القولُ فى تفسيرِ السورةِ التى يُذكَرُ فيها البقرةُ

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختَلَفَت تَراجِمةُ القرآنِ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ الٓمٓ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : هى اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

٨٧/١ / **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قال : اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ الآمُلِيُّ ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ موسى بنُ مسعودٍ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ .

وقال بعضُهم : هى فَواتِحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بها القرآنَ .

---

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١/ ٢٢- ومن طريقه النحاس فى القطع والائتناف ص ١١١، ومعانى القرآن ٧٥/١. وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ٣٣/١ معلقا عقب الأثر (٥٠) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥٠) ، والنحاس فى معانى القرآن ٧٥/١ من طريق أبى حذيفة به.

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأصَمُّ الكوفىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المُحاربىُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ فَواتِحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بها القرآنَ(١) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفارىُّ ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ فَواتِحُ(٢) .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ و ﴿ صٓ ﴾ فواتحُ افْتَتَح اللَّهُ بها(٣) .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ(٤) ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَ حديثِ هارونَ بنِ إدريسَ(٥) .

وقال بعضُهم : هى اسمٌ للسورةِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣٧/٥ (٨٢٠٤) من طريق ابن جريج به مقتصرًا على قوله : ﴿ المص ﴾ . قال ابن جريج : قلت : ألم تكن تقول : هى أسماء ؟ قال : لا .

(٢) أخرجه النحاس فى معانى القرآن ٧٥/١ من طريق سفيان عن خصيف أو غيره ، عن مجاهد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥٦/١ عن الثورى به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/ ٥٢.

(٤) فى ص ، ت ١: « الحسين » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥١) من طريق حجاج به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أنبَأنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، قال : سألْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ زيدِ بنِ أسْلَمَ عن قولِ اللَّهِ : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ، و ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ ، و ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ﴾ . فقال : قال أبى : إنما هى أسماءُ السُّوَرِ[(١)] .

وقال بعضُهم : هو اسمُ اللَّهِ الأعظمُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، قال : [١/٢٤و] حدَّثنا شعبةُ ، قال : سألْتُ السُّدِّىَّ عن ﴿حمٓ﴾ و ﴿طسٓمٓ﴾ و ﴿الٓمٓ﴾ . فقال : قال ابنُ عباسٍ : هى اسمُ اللَّهِ الأعظمُ[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنى أبو النُّعْمانِ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ ، عن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ . فذكَر نحوَه[(٣)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عُبَيدِ[(٤)] اللَّهِ بنِ موسى ، عن إسماعيلَ ، عن الشعبىِّ ، قال : فَواتحُ السُّوَرِ مِن أسماءِ اللَّهِ[(٥)] .

وقال بعضُهم : هو قَسَمٌ أقْسَم اللَّهُ به ، وهو مِن أسمائِه .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٣ عقب الأثر (٥٠) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٢ (٤٤) من طريق يحيى بن عباد ، عن شعبة ، عن السدى ، قال: بلغنى عن ابن عباس .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٠ من طريق السدى به . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٤) فى ص ، ت ٢: « عبد » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٢ (٤٧) من طريق إسماعيل بن سالم ، عن الشعبى بلفظ : هى =

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحِ السَّهْمىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هو قَسَمٌ (١) أقْسَمه اللَّهُ (١) ، وهو مِن أسماءِ اللَّهِ (٢) .

/ **وحدثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا خالدٌ ٨٨/١
الحَذَّاءُ ، عن عكرمةَ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ قسَمٌ (٣) .

وقال بعضُهم : هو حروفٌ مُقَطَّعةٌ مِن أسماءٍ وأفعالٍ ، كلُّ حرفٍ مِن ذلك لمعنًى غيرِ معنى الحرفِ الآخرِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، **وحدَّثنا** سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا (٤) أبى ، عن شَريكٍ (٤) ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن ابنِ عباسٍ :

= اسم من أسماء اللَّه مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء اللَّه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، مطولا .

ورُوِى عن الشعبى أنه قال : سر هذا القرآن فواتح السور . كما سيأتى .

وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات (١٦٩) من طريق محمد بن سليمان ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن السدى : فواتح السور من أسماء الله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى أبى الشيخ والبيهقى عن السدى .

(١ - ١) فى م : « أقسم اللَّه به » .

(٢) أخرجه النحاس فى معانى القرآن ٧٤/١، وابن مردويه - كما فى تخريج أحاديث الكشاف ١/ ٣٤، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٦٣) من طريق عبد اللَّه بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٢، ٦٧/٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥٢) من طريق ابن علية به .

(٤ - ٤) فى م : « ابن أبى شريك » .

﴿ الٓمٓ ﴾. قال : أنا اللَّهُ أعلمُ[١] .

وحُدِّثْتُ عن أبي عُبيدٍ ، قال : حدَّثنا أبو اليَقْظانِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : قولُه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قال : أنا اللَّهُ أعلمُ[٢] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ الهَمْدانيُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ القَنَّادُ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ الٓمٓ ﴾ قال : أما ﴿ الٓمٓ ﴾ فهو حروفٌ[٣] اشْتُقَّ مِن حُروفِ هِجاءِ أسماءِ اللَّهِ[٤] .

حدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، قال : حدَّثنا عَيّاشُ[٥] بنُ زيادٍ الباهليُّ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبي بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ حمٓ ﴾ ، و﴿ نٓ ﴾ قال : اسمٌ مُقَطَّعٌ[٦] .

---

(١) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٢٢/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٢/١ (٤٣) .
وأخرجه النحاس فى القطع والائتناف ص ١١١، وفى معانى القرآن ٧٣/١، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٦٧) من طريق شريك به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٢، ٦٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٢) ذكره النحاس فى معانى القرآن ٧٣/١ عن أبى اليقظان به . وينظر تفسير البغوى ٥٨/١. وأبو اليقظان - هو عمار بن محمد - صدوق يخطئ .

(٣) فى م ، والأسماء والصفات : « حرف » .

(٤) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (١٦٨) من طريق عمرو بن حماد به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٢/١ (٤٥) من طريق عمرو به ، عن السدى من قوله . وسقط منه ذكر أسباط .

(٥) فى ص ، م : « عباس » . والمثبت موافق لما فى تفسير ابن أبى حاتم .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٢/١ (٤٨) من طريق محمد بن معمر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى ابن مردويه . وذكره البغوى فى تفسيره ٥٩/١ عن سعيد قوله .

وقال بعضُهم : هى حروفُ هِجاءٍ موضوعٍ .

ذكْرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن منصورِ بنِ أبى نُوَيْرَةَ ، قال : حدَّثنا أبو سعيدٍ المُؤَدِّبُ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : فَواتحُ السورِ كلُّها : ﴿ قٓ ﴾ و ﴿ صٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ طسٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓرٰ ﴾ وغيرُ ذلك هِجاءٌ موضوعٌ[(١)] .

وقال بعضُهم : هى حروفٌ يَشْتَمِلُ كلُّ حرفٍ منها على معانٍ شتَّى مختلفةٍ .

ذكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ الرازىِّ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قال : هذه الأحرفُ مِن التسعةِ والعشرين حرفًا ، دارَت فيها الألسُنُ كلُّها ، ليس منها حرفٌ إلا وهو مِفتاحُ اسمٍ مِن أسمائِه ، وليس منها حرفٌ إلا وهو فى آلائِه وبلائِه ، وليس منها حرفٌ إلا وهو فى[(٢)] مدةِ قومٍ وآجالِهم . وقال عيسى ابنُ مريمَ ، وعجِب[(٣)] : يَنْطِقون فى أسمائِه ، ويَعِيشون فى رزقِه ، فكيف يَكْفُرون به[(٤)] ؟ قال : الألفُ مِفتاحُ اسمِه اللَّهِ ، واللامُ مِفتاحُ اسمِه لطيفٍ ، والميمُ مِفْتاحُ اسمِه مَجيدٍ ؛ الألفُ آلاءُ اللَّهِ ، واللامُ لُطْفُه ، والميمُ مَجْدُه ؛ الألِفُ سَنةٌ ، واللامُ ثلاثون سنةً ، والميمُ أربعون سنةً[(٥)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى ابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص ، م : « عجيب » .

(٤) زيادة من : ر .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١، ٥٨٤/٢ عقب الأثر (٣١١٨/٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .=

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ بنحوِه .

وقال بعضُهم : هى حروفٌ مِن حسابِ الجُمَّلِ[1] . كرِهْنا ذكرَ الذى حُكِى ذلك عنه ، إذ كان الذى رواه ممَّن لا يُعْتَمَدُ على روايتِه ونقلِه ، وقد مَضَتِ الروايةُ بنظيرِ ذلك مِن القولِ عن الربيعِ بنِ أنسٍ .

وقال بعضُهم : لكلِّ كتابٍ سرٌّ ، وسرُّ القرآنِ فَواتحُه[2] .

وأما أهلُ العربيةِ فإنهم اختَلَفوا فى معنى ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : هى حُروفٌ مِن ٨٩/١ حروفِ المُعْجَمِ ، اسْتُغْنِى/ بذكْرِ ما ذُكِر منها فى أوائلِ السورِ عن ذكرِ بَواقِيها[3] التى هى تَتِمَّةُ الثمانيةِ والعشرين حرفًا ، كما اسْتَغْنَى المُخبِرُ عمَّن أخْبَرَ عنه أنه فى حروفِ المعجمِ الثمانيةِ والعشرين بذكرِ « أ ب ت ث » عن ذكرِ بَواقى حروفِها التى هى تَتِمَّةُ الثمانيةِ والعشرين ، قال : ولذلك رُفِع ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ لأن معنى الكلامِ :

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى عبد بن حميد عن الربيع مقتصرا على قوله : ألف مفتاح ... مجيد . وعزاه السيوطى ٢٣/١ إلى المصنف ، وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ٣٣/١، ٥٨٤/٢ (٣٣، ٣١١٨) من طريق أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية . ولم يذكر فى الدر المنثور قول عيسى عليه السلام . وينظر تفسير ابن كثير ٥٧/١ .

(١) حساب الجمَّل : ضرب من الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف على ترتيب خاص . الوسيط (ج م ل) .

(٢) أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ – كما فى الدر المنثور ٢٣/١ – عن داود بن أبى هند قال : كنت أسأل الشعبى عن فواتح السور ، قال : يا داود ، إن لكل كتاب سرا ، وإن سر هذا القرآن فواتح السور ، فدعها وسل عما بدا لك .

(٣) بعده فى ص : « منها » .

الألفُ واللامُ والميمُ مِن الحروفِ المُقَطَّعةِ ، ذلك الكتابُ الذى أنْزَلْتُه إليك مجموعًا لا ريبَ فيه .

فإن قال قائلٌ : فإن « أ ب ت ث » قد صارتْ كالاسمِ فى حروفِ الهِجاءِ ، كما صارتِ « الحمدُ » اسمًا لفاتحةِ الكتابِ ؟

قيل له : لمّا كان جائزًا أن يقولَ القائلُ : ابنى فى « ط ظ » . وكان معلومًا بقِيلِه ذلك لو قاله أنه يُرِيدُ الخبرَ عن ابنه أنه فى الحروفِ المُقَطَّعةِ ، عُلم بذلك أن « أ ب ت ث » ليس لها باسمٍ ، وإن كان ذلك آثرَ[1] فى الذكرِ مِن سائرِها .

قال : وإنما خُولِف بينَ ذكْرِ حروفِ المُعْجَمِ فى فَواتحِ السورِ ، فذُكِرَت فى أوائلِها مختلفةً ، وذِكْرِها إذا ذُكِرَت بأوائلِها التى هى « أ ب ت ث » مُؤْتَلِفةً ، ليَفْصِلَ بينَ الخبرِ عنها إذا أُرِيد ، بذكرِ ما ذُكِر منها مُخْتلِفًا ، الدلالةُ على الكلامِ المتصلِ ، وإذا أُرِيد بذكرِ ما ذُكِر منها مُؤْتَلِفًا الدلالةُ على الحروفِ المُقَطَّعةِ بأعيانِها .

واسْتَشْهَد لإجازةِ قولِ القائلِ : ابنى فى « ط ظ » . وما أشبهَ ذلك مِن الخبرِ عنه أنه فى حروفِ المعجمِ ، وأن ذلك مِن قيلِه فى البيانِ يقومُ مَقامَ قولِه : ابنى فى « أ ب ت ث » برَجَزِ بعضِ الرُّجّازِ مِن بنى أسدٍ[2] :

لمَّا رأيْتُ (٣)أمرَها فى حُطِّى(٣)

---

(١) فى م : « يؤثر » .

(٢) الأبيات الثلاثة الأول فى تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨١، واللسان (ف ن ك) .

(٣ - ٣) فى اللسان ، ونسخة من تهذيب اللغة : « أنها فى خطى » .

وفَنَكَتْ(١) فى كَذِبى(٢) ولَطِّى(٣)

[١/٢٤ظ] أخذْتُ منها بقُرونٍ(٤) شُمْطِ(٥)

فلم يَزَلْ ضَرْبى(٦) بها ومَعْطِى(٧)

حتـــى علَا الرأسَ دمٌ يُغَطِّى

فزعَم أنه أراد بذلك الخبرَ عن المرأةِ أنها فى « أبى جاد » ، فأقام قولَه :

لما رأيتُ أمرَها فى حُطِّى

مُقامَ خبرِه عنها أنها فى « أبى جاد » ، إذ كان ذلك مِن قولِه يَدُلُّ سامعَه على ما يَدُلُّه عليه قولُه : لما رأيْتُ أمرَها فى « أبى جاد » .

وقال آخرون : بل ابْتُدئَت بذلك أوائلُ السورِ ليَفْتَحَ لاستماعِه أسماعَ المشركين ، إذ تواصَوْا بالإعراضِ عن القرآنِ ، حتى إذا اسْتَمَعوا له تُلِى عليهم المؤلَّفُ منه .

وقال بعضُهم : الحروفُ التى هى فَواتحُ السورِ حروفٌ يَسْتَفْتِحُ اللَّهُ بها كلامَه .

(٨)وقال(٨) : فإن قيل : هل يكونُ مِن القرآنِ ما ليس له معنًى ؟ فإن(٩) معنى هذا

---

(١) فنك فى الكذب : مضى ولجَّ فيه . اللسان (ف ن ك) .

(٢) فى ص : « كدى » ، وفى ت ٢: « كيدى » ، وفى نسخة من تهذيب اللغة : « كدنى » .

(٣) لط حقه : جحده . اللسان (ل ط ط) .

(٤) القرن : الخصلة من الشعر . اللسان (ق ر ن) .

(٥) الشمط فى الشعر : اختلافه بلونين من سواد وبياض . اللسان (ش م ط) .

(٦) فى ص : « صونى » .

(٧) المعط : الجذب . اللسان (م ع ط) .

(٨ - ٨) سقط من : م ، وفى ت ٢: « وقال آخرون » .

(٩) كذا فى النسخ ، ولعل صوابها : « قيل » .

أنه ابتدَأ[1] بها ليُعْلَمَ أن السورةَ التى قبلَها قد انْقَضَت ، وأنه قد أخَذ فى أخرى ، فجعَل هذا علامةَ انقطاعِ ما بينَهما ، وذلك فى[2] كلامِ العربِ ، يُنْشِدُ الرجلُ منهم الشعرَ ، فيقولُ[3] :

بل * وبَلدةٍ ما الإنسُ مِن آهالِها

ويقولُ[4] :

لا بَل * ما هاج أحزانًا وشَجْوًا قد شَجَا

و « بل » ليست مِن البيتِ ولا تُعَدُّ فى وزنِه ، ولكن يَقْطَعُ بها كلامًا ويَسْتَأْنِفُ الآخرَ .

قال أبو جعفرٍ : ولكلٍّ قولٍ مِن الأقوالِ التى قالها الذين وصَفْنا قولَهم فى ذلك وجهٌ معروفٌ .

فأما الذين قالوا : ﴿ الٓمٓ ﴾ / اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ ، فلقولِهم ذلك وجهان : ٩٠/١

أحدُهما : أن يَكونوا أرادوا أن ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ للقرآنِ ، كما الفُرقانُ اسمٌ له . وإذا كان معنى قائلٍ ذلك كذلك ، كان تأويلُ قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ على معنى القَسَمِ ، كأنه قال : والقرآنِ ، هذا الكتابُ لا ريبَ فيه .

والآخرُ منهما : أن يَكونوا أرادوا أنه اسمٌ مِن أسماءِ السورةِ[5] تُعْرَفُ به ، كما

---

(١) فى م : « افتتح » .

(٢) سقط من : ر .

(٣) اللسان (أ هـ ل) غير منسوب .

(٤) الرجز للعجاج فى ديوانه ص ٣٤٨.

(٥) بعده فى م : « التى » .

تُعْرَفُ سائرُ الأشياءِ بأسمائِها التى هى لها أماراتٌ [(١]تُعْرَفُ بها[١)] ، فيَفْهَمُ السامعُ مِن القائلِ يقولُ : قرأْتُ اليومَ ﴿الٓمٓصٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ . أى السورةَ التى قرأَها مِن سُورِ القرآنِ ، كما يَفْهَمُ عنه إذا قال : لقيتُ اليومَ عَمْرًا وزيدًا . وهما بزيدٍ وعمرٍو عارفان - مَن الذى لقِى مِن الناسِ .

وإن أشْكَل معنى ذلك على امرئٍ، فقال : وكيف[(٢)] يَجوزُ أن يكونَ ذلك كذلك ، ونَظائرُ ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓرٓ﴾ فى القرآنِ جماعةٌ مِن السورِ ، وإنما تكونُ الأسماءُ أماراتٍ إذا كانت مُمَيِّزةً بينَ الأشخاصِ ، فأما إذا كانت غيرَ مُمَيِّزةٍ فليست أماراتٍ ؟

قيل : إن الأسماءَ وإن كانت قد صارت لاشتراكِ كثيرٍ مِن الناسِ فى الواحدِ منها ، غيرَ مميِّزَةٍ إلا بمَعانٍ أُخَرَ معها ؛ مِن ضَمِّ نسبةِ المُسَمَّى بها إليها ، أو نعتِه أو وصفِه بما يُفَرِّقُ بينَه وبينَ غيرِه مِن أشكالِها ، فإنها وُضِعَت[(٣)] ابْتِداءً للتمييزِ لا شكَّ ، ثم احْتِيج عندَ الاشتراكِ إلى المَعانى المُفَرِّقةِ بينَ المُسَمَّى بها ، فكذلك ذلك فى أسماءِ السورِ ، جُعِل كلُّ اسمٍ - فى قولِ قائلِ هذه المَقالةِ - أمارةً للمُسَمَّى به مِن السورِ ، فلما شارَكَ المُسَمَّى به فيه غيرَه مِن سُورِ القرآنِ ، احتاج المُخْبِرُ عن سورةٍ منها أن يَضُمَّ إلى اسمِها المُسَمَّى به مِن ذلك إلى[(٤)] ما يُفَرِّقُ به السامعُ[(٥)] بينَ الخبرِ عنها وعن غيرِها مِن نعتٍ وصفةٍ أو غيرِ ذلك ، فيَقُولُ المُخْبِرُ عن نفسِه أنه تلا سورةَ البقرةِ ، إذا سماها باسمِها الذى هو ﴿الٓمٓ﴾ : قرأْتُ ﴿الٓمٓ﴾ البقرة . وفى آلِ عِمْرانَ : قرأْتُ

(١ - ١) فى ص : « تعرفونها » ، وفى ر : « يعرفن » ، وفى ت ٢: « يعرفونها » .

(٢) بعده فى م : « و » .

(٣) فى ص : « وصفت » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م ، ت ٢: « للسامع » .

﴿الٓمٓ﴾ آل عمران . أو[1] ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ . و﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ . كما لو أراد الخبرَ عن رجلين ، اسمُ كلِّ واحدٍ منهما عمرٌو ، غيرَ أن أحدَهما تميميٌّ والآخرَ أزْديٌّ ، لَلَزِمه أن يقولَ لمن أراد إخبارَه عنهما : لقِيتُ عمرًا التميميَّ وعمرًا الأزديَّ . إذا[2] كان لا يفرِّق[3] بينَهما وبينَ غيرِهما ممَّن يُشارِكُهما فى أسمائِهما إلا نسبتُهما[4] كذلك ، فكذلك ذلك فى قولِ مَن تأوَّل فى الحروفِ المُقَطَّعةِ أنها أسماءٌ للسورِ .

أما الذين قالوا : ذلك فَواتحُ يَفْتَتِحُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بها كلامَه . فإنهم وجَّهوا ذلك إلى نحوِ المعنى الذى حكَيْنا عمَّن حكَيْنا ذلك عنه مِن أهلِ العربيةِ أنه قال : ذلك أدِلَّةٌ على انْقِضاءِ سورةٍ وابتداءٍ فى أخرى ، وعلامةٌ لانقطاعِ ما بينَهما . كما جُعِلَت « بل » فى ابتداءِ قصيدةٍ دلالةً على ابتداءٍ فيها وانقضاءِ أخرى قبلَها ، كما ذكَرْنا عن العربِ إذا أرادوا الابتداءَ فى إنشادِ قصيدةٍ قالوا :

بل * ما هاج أحْزانًا وشجْوًا قد شَجَا

و « بل » ليست مِن البيتِ ولا داخلةً فى وزنِه ، ولكن ليَدُلَّ به على قطعِ كلامٍ وابتداءِ آخرَ .

وأما الذين قالوا : ذلك حروفٌ مُقَطَّعةٌ ، بعضُها مِن أسماءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وبعضُها مِن صفاتِه ، ولكلِّ حرفٍ مِن ذلك معنًى غيرُ معنى الحرفِ الآخرِ . فإنهم

---

(١) فى ر ، م : « و » .

(٢) فى م ، ت ٢ : « إذ » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « فرق » .

(٤) فى ر ، م : « بنسبتهما » ، وفى ت ٢ : « بتسميتهما » .

نحَوْا بتأويلِهم ذلك نحوَ قولِ الشاعرِ(١) :

قلْنا لها قِفِى لنا(٢) قالت قافْ

لا تَحْسَبى أنَّا نَسِينا الإيجافْ(٣)

يعنى بقولِه : قالت قاف . قالت(٤) : وقَفْتُ . فدَّلت بإظهارِ « القافِ » مِن
١/ ٩١ « وقَفْتُ » على مُرادِها مِن تَمامِ الكلمةِ / التى هى : « وقَفْتُ » . فصرَفوا قولَه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . وما أشبهَ ذلك إلى نحوِ هذا المعنى ، فقال بعضُهم : الألفُ ألفُ أنا ، واللامُ لامُ اللَّهِ ، والميمُ ميمُ أعْلَمُ ، وكلُّ حرفٍ منهن دالٌّ على كلمةٍ تامةٍ . قالوا : فجملةُ هذه الحروفِ المُقَطَّعةِ إذا ظهَر مع كلِّ حرفٍ منهن تَمامُ حروفِ الكلمةِ : أنا اللَّهُ أعلمُ . قالوا : وكذلك سائرُ جميعِ ما فى أوائلِ سُورِ القرآنِ مِن ذلك ، فعلى هذا المعنى وبهذا التأويلِ . قالوا : ومستفيضٌ ظاهرٌ فى كلامِ العربِ أن يَنْقُصَ المتكلمُ منهم مِن الكلمةِ الأحرفَ إذا كان فيما بقِى دلالةٌ على ما حذَف منها ، ويَزيدَ فيها ما ليس منها إذا لم تكُنِ الزيادةُ مُلبِسةً معناها على سامِعِها ، كحذفِهم فى النقصِ فى الترخيمِ مِن حارثٍ الثاءَ ، فيقولون : ياحارِ . ومِن مالكٍ الكافَ ، فيقولون : يا مالِ . وما أشْبَهَ [١/ ٢٥و] ذلك . وكقولِ راجزِهم(٥) :

ما لِلظَّليمِ(٦) عالَ(٧) كيف لا يا

---

(١) الرجز للوليد بن عقبة فى شرح شواهد الشافية ملحق بالشافية ٤/ ٢٧١. والأول منه فى الصاحبى ص ١٦١.

(٢) سقط من : م .

(٣) الإيجاف : حثّ الدابة على سرعة السير . اللسان (و ج ف) .

(٤) بعده فى م : « قد » .

(٥) الرجز فى تهذيب اللغة ١٥/ ٦٧٠، واللسان (يا) ، وشرح شواهد الشافية ٤/ ٢٦٧.

(٦) الظليم : ذكر النعام . اللسان (ظ ل م) .

(٧) فى تهذيب اللغة واللسان : « عاك » . وفسر الشيخ شاكر « عال » بأنها دعاء عليه من عال عوله : أى =

يَنْقَدُّ عنه جِلْدُه إذا يا

كأنه أراد أن يقولَ : إذا يَفعلُ كذا وكذا . فاكْتَفَى بالياءِ مِن « يَفْعَلُ » . وكما قال آخرُ منهم[(١)] :

بالخيرِ خيراتٍ وإن شرًّا فَا

يريدُ : فشرًّا .

ولا أُرِيدُ الشرَّ إلا أن تا

يُريدُ : إلا أن تَشاءَ . فاكْتَفَى بالتاءِ والفاءِ فى الكلمتَيْن جميعًا مِن سائرِ حروفِهما ، وما أشبهَ ذلك مِن الشواهدِ التى يَطولُ الكتابُ باستيعابِه .

وكما **حدَّثني** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ وابنِ عونٍ ، عن محمدٍ ، قال : لما مات يزيدُ بنُ معاويةَ قال لى عَبِيدَةُ[(٢)] : إنى لا أُراها إلا كائنةً فتنةً فافْزَعْ مِن ضَيْعَتِك ، والْحَقْ بأهلِك . قلتُ : فما تَأْمُرُنى ؟ قال : أحَبُّ إلَيَّ[(٣)] لك أنْ تا - قال أيوبُ وابنُ عونٍ بيدِه تحتَ خدِّه الأيمنِ يَصِفُ الاضطجاعَ - حتى تَرَى أمرًا تَعْرِفُه .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بـ « تا » تَضْطَجِع ، فاجْتَزَأَ بالتاءِ مِن « تَضْطَجِع » . وكما قال الآخرُ فى الزيادةِ فى الكلامِ على النحوِ الذى وصَفْتُ[(٤)] :

= ثكلته أمه . وفسرها محققو شرح شواهد الشافية بأنها من قولهم : عال عولا . بمعنى زاد فى جريه . أما عاك فبمعنى كرّ . اللسان (ع و ك) .

(١) الكتاب ٣/ ٣٢١ ونسبه فى شرح شواهد الشافية ٤/ ٢٦٤ للقيم بن أوس .

(٢) فى ص ، م : « عبدة » . وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٦٦.

(٣) فى ر : « التى » .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٤، والصاحبى ص ٣٨٠.

أقولُ إذْ خَرَّتْ على الكَلْكالِ[(١)] ياناقتى ما جُلْتِ من مَجالِ

يريدُ : الكَلْكلَ . وكما قال الآخرُ[(٢)] :

إنَّ شَكْلِى وإن شَكْلَكِ شَتَّى فالْزَمِى الخُصَّ واخْفِضِى[(٣)] تَبْيَضِضِّى[(٤)]

فزاد ضادًا وليست فى الكلمة .

قالوا : فكذلك ما نقَص مِن تمامِ حروفِ كلِّ كلمةٍ مِن هذه الكلماتِ التى ذكَرْنا أنها تَتِمَّةُ حروفِ ﴿ الٓمٓ ﴾ ونظائرِها ، نظيرُ ما نقَص مِن الكلامِ الذى حكَيْناه عن العربِ فى أشعارِها وكلامِها .

وأما الذين قالوا : كلُّ حرفٍ مِن ﴿ الٓمٓ ﴾ ونظائرِها دالٌّ على مَعانٍ شَتَّى - نحوَ الذى ذكَرْنا عن الربيعِ بنِ أنسٍ - فإنهم وجَّهوا ذلك إلى مثلِ الذى وجَّهه إليه مَن قال : هو بتأويلِ : أنا اللَّهُ أعلمُ . فى أن كلَّ حرفٍ منه بعضُ حروفِ كلمةٍ تامةٍ اسْتُغْنِى بدَلالتِه على تمامِه عن ذكرِ تمامِه - وإن كانوا له مخالفين فى كلِّ حرفٍ مِن ذلك ، أهو مِن الكلمةِ التى ادَّعَى أنه منها قائلو القولِ الأولِ أم مِن غيرِها ؟ فقالوا : بل
٩٢/١ الألفُ مِن / ﴿ الٓمٓ ﴾ مِن كلماتٍ شَتَّى ، هى دالةٌ على معانى جميعِ ذلك وعلى تمامِه . قالوا : وإنما أفْرد كلَّ حرفٍ مِن ذلك ، وقصَّر به عن تمامِ حروفِ الكلمةِ ، أن جميعَ حروفِ الكلمةِ لو أُظْهِرَت لم تَدُلَّ الكلمةُ التى تُظْهَرُ - التى[(٥)] بعضُ هذه الحروفِ المُقَطَّعةِ بعضٌ لها - إلا على معنًى واحدٍ لا على معنيَيْن وأكثرَ منهما .

---

(١) الكلكال : الصدر أو ما بين الترقوتين . القاموس المحيط (ك ل ل) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٥، واللسان (ب ى ض) ، (خ ف ض) .

(٣) الخفض : لين العيش وسعته . اللسان (خ ف ض) .

(٤) أى : تبيضّى ، من البياض ، فزاد ضادا أخرى ضرورة لإقامة الوزن . اللسان (ب ى ض) .

(٥) سقط من : م .

قالوا : وإذ كان لا دلالةَ فى ذلك ، لو أَظْهَر جميعَها[١] ، إلا على معناها الذى هو معنًى واحدٌ ، وكان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قد أراد الدلالةَ بكلِّ حرفٍ منها على مَعانٍ كثيرةٍ لشيءٍ واحدٍ - لم يَجُزْ إلا أن يُفْرَدَ الحرفُ الدالُّ على تلك المعانى ، ليَعْلَمَ المخاطَبون به أنه جلَّ ثناؤه لم يَقْصِدْ قصدَ معنًى واحدٍ ودلالةٍ على شيءٍ واحدٍ بما خاطَبَهم به ، وأنه إنما قصَد الدلالةَ به[٢] على أشياءَ كثيرةٍ .

قالوا : فالألفُ مِن ﴿ الٓمٓ ﴾ مُقْتَضِيةٌ معانىَ كثيرةً ؛ منها تمامُ اسمِ الربِّ الذى هو اللَّهُ ، وتمامُ اسمِ نعماءِ اللَّهِ التى هى آلاءُ اللَّهِ ، والدلالةُ على أجَلِ قومٍ أنه سَنَةٌ ، إذ كانت الألفُ فى حسابِ الجُمَّلِ واحدًا . واللامُ مُقْتَضِيةٌ تمامَ اسمِ اللَّهِ الذى هو لَطيفٌ ، وتمامَ اسمِ فَضْلِه الذى هو لُطْفٌ ، والدلالةَ على أجَلِ قومٍ أنه ثلاثون سنةً . والميمُ مُقْتَضِيةٌ تمامَ اسمِ اللَّهِ الذى هو مَجيدٌ ، وتمامَ اسمِ عظمتِه التى هى مَجْدٌ ، والدلالةَ على أجَلِ قومٍ أنه أربعون سنةً .

فكان معنى الكلامِ فى تأويلِ قائلِ القولِ الأولِ ، أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه افْتَتَح كلامَه بوَصْفِ نفسِه بأنه العالِمُ الذى لا يَخْفَى عليه شيءٌ ، وجعَل ذلك لعبادِه مَنْهَجًا يَسْلُكونه فى مُفْتَتَحِ خُطَبِهم ورسائلِهم ومُهِمِّ أمورِهم ، وابتلاءً منه لهم به[٢] ليَسْتَوْجِبوا به عظيمَ الثوابِ فى دارِ الجزاءِ ، كما افْتَتَح بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام : ١] . وما أَشْبَهَ ذلك مِن السورِ التى جعَل مَفاتحَها الحمدَ لنفسِه ، وكما جعَل مَفاتحَ بعضِها تعظيمَ نفسِه وإجلالَها بالتسبيحِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] . وما أشبهَ ذلك مِن سائرِ سُورِ القرآنِ التى جعَل مَفاتحَ بعضِها

(١) فى ص : « جميعا » .
(٢) سقط من : م ، ت٢ .

تحميدَ نفسِه ، ومفاتحَ بعضِها تمجيدَها ، ومفاتحَ بعضِها تعظيمَها وتَنْزيهَها ، فكذلك جعَل مفاتحَ السورِ الأُخَرِ التى أوائلُها بعضُ حروفِ المُعْجَمِ مدائحَ نفسِه أحيانًا بالعلمِ ، وأحيانًا بالعدلِ والإنصافِ ، وأحيانًا بالإفضالِ والإحسانِ ، بإيجازٍ واختصارٍ ، ثم اقتصاصَ الأمورِ بعدَ ذلك .

وعلى هذا التأويلِ يَجِبُ أن تكونَ الألفُ واللامُ والميمُ فى أماكنِ الرفعِ مرفوعًا بعضُها ببعضٍ ، دون قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، ويكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ خبرًا[(١)] مبتدأً مُنْقطِعًا عن مَعنى ﴿ الٓمٓ ﴾ وكذلك ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فى تأويلِ قولِ قائلِ هذا القولِ الثانى مرفوعٌ بعضُه ببعضٍ ، وإن كان مخالفًا معناه معنى قولِ قائلِ القولِ الأولِ .

وأما الذين قالوا : هنَّ حروفٌ مِن حروفِ حسابِ الجُمَّلِ دون ما خالَف ذلك مِن المعانى . فإنهم قالوا : لا نعرِفُ للحروفِ المُقَطَّعةِ معنًى يُفْهَمُ سوى حسابِ الجُمَّلِ ، وسوى تَهَجِّى قولِ القائلِ : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قالوا : وغيرُ جائزٍ أن يُخاطِبَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عبادَه إلا بما يَفْهَمون ويَعقِلون عنه ، فلما كان ذلك كذلك - وكان قولُه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . لا يُعْقَلُ لها وجهٌ تُوَجَّهُ إليه إلا [١/٢٥ظ] أحدُ الوجهين اللذيْن ذكَرْنا ، فبَطَل أحدُ وجهيْه ، وهو أن يكونَ مُرادًا به تهجِّى : ﴿ الٓمٓ ﴾ - صحَّ وثبَت أنه مرادٌ به الوجهُ الثانى ، وهو حسابُ الجُمَّلِ ؛ لأن قولَ القائلِ : ﴿ الٓمٓ ﴾ . لا يَجوزُ أن يَلِيَه مِن الكلامِ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ لاستحالةِ معنى الكلامِ وخروجِه عن المعقولِ إذا أُولِى ﴿ الٓمٓ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ .

واحْتَجُّوا لقولِهم ذلك أيضًا بما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ الرازىُّ ، قال : حدَّثنا

(١) فى م : « خبر » .

سَلَمَةُ بنُ الفضلِ ، / قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى الكَلْبىُّ ، عن ٩٣/١
أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رِئابٍ ، قال : مرَّ أبو ياسرِ بنُ أخْطَبَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَتْلُو فاتحةَ[1] سورةِ البقرة ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ فأتى أخاه حُيَىَّ بنَ أخْطَبَ فى رجالٍ مِن يهودَ ، فقال : تَعْلَمُون[2] واللَّهِ ، لقد سمِعْتُ محمدًا يَتْلُو فيما أنْزَل اللَّهُ عليه ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ فقالوا : أنت سمِعْتَه ؟ قال : نعم . فمشَى حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ فى أولئك النفرِ مِن يهودَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا محمدُ ، ألم يُذْكَرْ لنا أنك تَتْلُو فيما أُنْزِل عليك ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَلَى » . قالوا : أجاءك بها[3] جبريلُ مِن عندِ اللَّهِ ؟ فقال : « نَعَمْ » . قالوا : لقد بعَث اللَّهُ قبلَك أنبياءَ ما نَعْلَمُه بيَّن لنبىٍّ منهم ما مُدَّةُ مُلْكِه ، وما أُكْلُ[4] أمَّتِه غيرَك . فقال حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ وأقبل على مَن كان معه ، فقال لهم : الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثونَ ، والميمُ أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنةً ، أفتَدْخُلُونَ[5] فى دينِ نبىٍّ إنما مدةُ مُلْكِه وأُكُلُ[6] أُمَّتِه إحدى وسبعونَ سنةً ؟ قال : ثم أقبلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا محمدُ ، هل مع هذا غيرُه ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : ماذا ؟ قال : « ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ » . قال : هذه أثقلُ وأطولُ ؛ الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثون ، والميم أربعون ، والصادُ تسعون[7] ، فهذه إحدى

---

(١) بعده فى ص : « الكتاب » .

(٢) فى سيرة ابن هشام : « تعلّموا » . أى : اعلموا .

(٣) فى ص ، م : « بهذا » .

(٤) فى م ، ت ٢ : « أجل » . والأُكل : الرزق . ومنه قيل للميت : انقطع أكله . اللسان (أ ك ل) . والمراد مدة الأمة التى يأكلون فيها رزقهم .

(٥) فى م : « قال : فقال لهم : أتدخلون » .

(٦) فى م : « أجل » .

(٧) فى ر ، ونسخة من سيرة ابن هشام : « ستون » .

وستون[(١)] ومائةُ سنةٍ . هل مع هذا يا محمدُ غيرُه ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : ماذا ؟ قال : « ﴿الٓر﴾ » . قال : هذه أثقلُ وأطولُ ؛ الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثون ، والراءُ مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنةٍ . فهل[(٢)] مع هذا غيرُه يا محمدُ ؟ قال : « نَعَمْ ، ﴿الٓمٓر﴾ » . قال : فهذه أثقلُ وأطولُ ؛ الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثون ، والميمُ أربعون ، والراءُ مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنةٍ . ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمْرُك يا محمدُ حتى ما نَدْرِى أقليلًا أُعْطِيتَ أم كثيرًا . ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسرٍ لأخيه حُيَىٍّ بنِ أخْطَبَ ولمن معه مِن الأحبارِ : ما يُدْرِيكم لعلَّه قد جُمِع هذا كلُّه لمحمدٍ ؛ إحدى وسبعون ، وإحدى وستون[(٣)] ومائةٌ ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعُمائةٍ وأربعٌ[(٤)] وثلاثون[(٤)] . فقالوا : لقد تَشابَه علينا أمرُه . فيَزْعُمون أن هؤلاء الآياتِ نزَلَت فيهم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[(٥)] [آل عمران : ٧] .

قالوا : قد صرَّح[(٦)] هذا الخبرُ بصحةِ ماقلنا فى ذلك مِن التأويلِ وفسادِ ما قاله مُخالِفونا فيه .

---

(١) فى ت ٢، ونسخة من سيرة ابن هشام : « ثلاثون » . وهو مبنى على التقدير السابق للصاد .

(٢) فى ر ، م ، ت ٢: « فقال : هل » .

(٣) فى ر : « ثلاثين » ، وفى ت ٢: « ثلاثون » .

(٤ - ٤) فى ص ، ر ، ت ٢، ونسخة من سيرة ابن هشام : « سنين » .

(٥) أخرجه البخارى فى التاريخ ٢/ ٢٠٨ معلقا عن سلمة بن الفضل به . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٥٩، ٦٠: حديث ضعيف ... مداره على محمد بن السائب الكلبى ، وهو مما لا يحتج بما انفرد به . واختلف فيه على ابن إسحاق . ينظر تاريخ البخارى ، وسيرة بن هشام ١/ ٥٤٥ .

(٦) فى ص : « صح » .

والصوابُ عندى مِن القولِ فى تأويلِ مَفاتحِ السورِ التى هى حروفُ المُعْجَمِ ، أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه جعَلها حروفًا مُقَطَّعةً ، ولم يَصِلْ بعضَها ببعضٍ فيَجْعَلَها كسائرِ الكلامِ المتَّصِلِ الحروفِ ؛ لأنه عزَّ ذكرُه أراد بلطفِه[(١)] الدلالةَ بكلِّ حرفٍ منه على مَعانٍ كثيرةٍ لا على معنًى واحدٍ ، كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ ، وإن كان الربيعُ قد اقتصَر به على معانٍ ثلاثةٍ دون ما زاد عليها .

والصوابُ فى تأويلِ ذلك عندى أن كلَّ حرفٍ منه يَحْوِى ما قاله الربيعُ وما قاله سائرُ المُفَسِّرين غيرُه فيه ، سوى ما ذكَرْتُ مِن القولِ عمَّن ذكَرْتُ عنه مِن أهلِ العربيةِ أنه كان يُوَجِّهُ تأويلَ ذلك إلى أنه حروفُ هِجاءٍ استُغْنِى بذكرِ ما ذُكِر منه فى مَفاتحِ السورِ عن ذكْرِ تَتِمَّةِ الثمانيةِ والعشرين الحرفِ[(٢)] مِن حروفِ المُعْجَمِ ، بتأويلِ : أن هذه الحروفَ ذلك الكتابُ ، مجموعةً ، / لا ريبَ فيه . فإنه قولٌ خطأٌ فاسدٌ ، ٩٤/١
لخروجِه عن أقوالِ جميعِ الصحابةِ والتابعين فمن بعدَهم مِن الخالِفين[(٣)] مِن أهلِ التفسيرِ والتأويلِ ، فكفَى دلالةً على خطئِه شهادةُ الحُجَّةِ عليه بالخطأ ، مع إبطالِ قائلِ ذلك قولَه الذى حكَيْناه عنه - إذ صار إلى البيانِ عن رفعِ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ - بقولِه مرةً : إنه مرفوعٌ كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبِه . ومرةً أخرى : إنه مرفوعٌ بالراجعِ مِن ذكرِه فى قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ومرةً بقولِه : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . وذلك تركٌ منه لقولِه : إن ﴿ الٓمٓ ﴾ مرافعةٌ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . وخروجٌ من القولِ الذى ادَّعاه فى تأويلِ ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . وأن تأويلَ ذلك : هذه الحروفُ ذلك الكتابُ .

---

(١) فى م : « بلفظه » .

(٢) فى ر : « الحروف » ، وفى م : « حرفا » .

(٣) فى ص : « المخالفين » .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف يَجوزُ أن يكونَ حرفٌ واحدٌ شاملًا الدلالةَ على معانٍ كثيرةٍ مختلفةٍ ؟

قيل : كما جاز أن تكونَ كلمةٌ واحدةٌ تَشْتَمِلُ على مَعانٍ كثيرةٍ مختلفةٍ ، نحوَ قولِهم للجماعةِ مِن الناسِ : أُمَّةٌ . وللحينِ مِن الزمانِ : أُمَّةٌ . وللرجلِ المُتَعَبِّدِ المُطيعِ للَّهِ : أُمَّةٌ . وللدِّينِ والمِلَّةِ : أُمَّةٌ . وكقولِهم للجَزاءِ والقِصاصِ : دِينٌ . وللسلطانِ والطاعةِ : دِينٌ . وللتَّذَلُّلِ : دينٌ . وللحسابِ : دِينٌ . فى أشباهٍ لذلك كثيرةٍ يَطولُ الكتابُ بإحصائِها ، مما يَكونُ مِن الكلامِ بلفظٍ واحدٍ ، وهو مُشْتَمِلٌ على مَعانٍ كثيرةٍ ، فكذلك قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓر﴾ و ﴿الٓمٓصٓ﴾ وما أشْبَه ذلك مِن حروفِ المُعْجَمِ التى هى فَواتحُ أوائلِ السورِ ، كلُّ حرفٍ منها دالٌّ على معانٍ شَتَّى ، شاملٌ جميعُها مِن أسماءِ [١/٢٠٦و] اللَّهِ عزَّ وجلَّ وصفاتِه ما قاله المفسِّرُون مِن الأقوالِ التى ذكَرْناها عنهم ، وهنَّ مع ذلك فَواتحُ السورِ ، كما قاله مَن قال ذلك ، وليس كونُ ذلك مِن حروفِ أسماءِ اللَّهِ جل ثناؤُه وصفاتِه ، بمانعِها أن تكونَ للسورِ فَواتحَ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد افْتَتَح كثيرًا مِن سورِ القرآنِ بالحمدِ لنفسِه والثناءِ عليها ، وكثيرًا منها بتَمْجيدِها وتعظيمِها ، فغيرُ مستحيلٍ أن يَبْتَدِئَ بعضَ ذلك بالقَسَمِ بها .

فالتى ابتُدِئَ أوائلُها بحروفِ المعجمِ ، أحدُ معانى أوائلِها أنهنَّ فَواتحُ ما افتَتَح بهن مِن سُوَرِ القرآنِ ، وهن مما أَقْسَمَ بهن ؛ لأن أحدَ معانيهنَّ أنهنَّ مِن حروفِ أسماءِ اللَّهِ تعالى ذكْرُه وصفاتِه ، على ما قدَّمْنا البيانَ عنها ، ولاشكَّ فى صحةِ معنى القسَمِ باللَّهِ وأسمائِه وصفاتِه . وهن مِن حروفِ حسابِ الجُمَّلِ ، وهن للسورِ التى افْتُتِحَت بهن شِعارٌ وأسماءٌ ، فذلك يَحْوِى مَعانىَ جميعِ ما (١) وصَفْنا مما (١) بيَّنَّا مِن وُجوهِه ؛ لأن

(١ - ١) فى ر : « ذكرنا ما » .

اللَّهَ جلَّ ثناؤُه لو أراد بذلك أو بشيءٍ منه الدلالةَ على معنًى واحدٍ مما يَحْتَمِلُه[١] ذلك، دون سائرِ المعانى غيرِه، لأبان ذلك لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إبانةً غيرَ مُشْكِلةٍ، إذ كان جلَّ ثناؤُه إنما أنْزَل كتابَه على رسولِه ﷺ ليُبَيِّنَ لهم ما اخْتَلَفوا فيه، وفى تركِه ﷺ إبانةَ ذلك أنه مرادٌ به مِن وُجوهِ تأويلِه البعضُ دون البعضِ - أوضحُ الدليلِ على أنه مرادٌ به جميعُ وجوهِه التى هو لها مُحْتَمِلٌ، إذ[٢] لم يكنْ مُسْتَحِيلًا فى العقلِ وجهٌ منها أن يَكونَ مِن تأويلِه ومعناه، كما كان غيرَ مستحيلٍ اجتماعُ المعانى الكثيرةِ للكلمةِ الواحدةِ باللفظِ الواحدِ فى كلامٍ واحدٍ.

ومَن أبَى ما قلْناه فى ذلك، سُئِل الفرْقَ بينَ ذلك وبينَ سائرِ الحروفِ التى تأْتى بلفظٍ واحدٍ، مع اشتمالِها على المعانى الكثيرةِ المختلفةِ، كالأُمَّةِ والدِّينِ وما أشْبَه ذلك مِن الأسماءِ والأفعالِ، فلن يقولَ فى أحدِ[٣] ذلك قولًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه.

وكذلك يُسْأَلُ كلُّ مَن تأوَّل شيئًا مِن ذلك على وجهٍ دون الأوجهِ الأُخَرِ التى
٩٥/١ وصَفْنا، / عن البرهانِ على دَعْواه، من الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له، ثم يُعارَضُ بقولِ مُخالِفِه فى ذلك، ويُسْأَلُ الفرقَ بينَه وبينَه، مِن أصلٍ، أو مما يَدُلُّ عليه أصلٌ. فلن يقولَ فى أحدِهما قولًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه.

وأما الذى زعَم مِن النحويِّين أن ذلك نظيرُ « بل » فى قولِ المُنْشِدِ شِعرًا[٤]:

بل * ما هاج أحْزانًا وشجوًا قد شَجا

وأنه لا معنًى له، وإنما هو زيادةٌ فى الكلامِ معناه الطَّرْحُ. فإنه أخْطأ مِن

---

(١) فى ص، م: « لا يحتمله ».
(٢) فى ص: « إذا ».
(٣) فى ص: « واحد من ».
(٤) تقدم فى ص ٢١٥.

وُجوهٍ شَتَّى :

أحدُها : أنه وصَف اللَّهَ تعالى ذكرُه بأنه خاطَب العربَ بغيرِ ما هو مِن لغتِها ، وغيرِ ما هو فى لغةِ أحدٍ مِن الآدميِّين ، إذ كانت العربُ وإن كانت قد كانت تَفْتَتِحُ أوائلَ إنشادِها ما أنْشَدَت مِن الشعرِ بـ « بل » ، فإنه معلومٌ منها أنها لم تكنْ تَبْتَدِئُ شيئًا مِن كلامِها بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓرۚ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ [(١] بمثلِ معنًى [١)] ابتدائِها ذلك بـ « بل » . وإذ كان ذلك ليس مِن ابتدائِها ، وكان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه إنما خاطَبهم بما خاطَبهم به [(٢)] مِن القرآنِ بما يَعْرِفون مِن لغاتِهم ، ويَسْتَعْمِلون بينَهم مِن مَنْطِقِهم فى جميعِ آيِه - فلا شكَّ أن سبيلَ ما وصَفْنا مِن حروفِ المُعْجَمِ التى افتُتِحت بها أوائلُ السورِ التى هن لها فَواتحُ ، سبيلُ سائرِ القرآنِ فى أنه لم يَعْدِلْ بها عن لغاتِهم التى كانوا بها عارِفين ، ولها بينَهم فى مَنْطِقِهم مُسْتَعْمِلين ؛ لأن ذلك لو كان مَعْدولًا به عن سبيلِ لغاتِهم ومَنْطِقِهم ، كان خارجًا عن معنى الإبانةِ التى وصَف اللَّهُ جلَّ ثناؤه بها القرآنَ ، فقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣- ١٩٥] . وأنَّى يكونُ مُبِينًا ما لا يَعْقِلُه ولا يفهمُه [(٣)] أحدٌ مِن العالمِين ، فى قولِ قائلِ هذه المقالةِ ، ولا يُعْرَفُ فى مَنْطِقِ أحدٍ مِن المخلوقين فى قولِه ؟ وفى إخبارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عنه أنه عربيٌّ مُبِينٌ ، ما يُكْذِبُ قائلَ [(٤)] هذه المقالةِ ، ويُنْبِئُ عنه أن العربَ كانوا به عالِمين ، وهو لها مُسْتَبِينٌ ، فذلك أحدُ أوجهِ خطئِه .

والوجهُ الثانى مِن خطئِه فى ذلك : إضافتُه إلى اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أنه خاطَب عبادَه بما

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ٢ : « بمعنى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « يفقهه » .

(٤) سقط من : ص ، م .

لا فائدةَ لهم فيه ، ولا معنًى له مِن الكلامِ ، الذى سواءٌ الخطابُ[١] به وتركُ الخطابِ به ؛ وذلك إضافةُ العَبَثِ الذى هو مَنْفيٌّ فى قولِ جميعِ المُوَحِّدين عن اللَّهِ ، إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه .

والوجهُ الثالثُ مِن خطئِه : أن « بل » فى كلامِ العربِ مفهومٌ تأويلُها ومعناها ، وأنها تُدْخِلُها فى كلامِها رجوعًا عن كلامٍ لها قد تقَضَّى ، كقولِهم : ما جاءنى أخوك ، بل أبوك ، وما رأيتُ عمرًا ، بل عبدَ اللَّهِ . وما أشْبَه ذلك مِن الكلامِ ، كما قال أعْشَى بنى ثَعْلبةَ[٢] :

ولَأَشْرَبَنَّ ثَمانِيًا وثَمانِيًا وثلاثَ عشْرةَ واثنتَيْن وأربعَا

ومضَى فى كلمتِه حتى بلَغ قولَه :

بالجُلَّسانِ[٣] وطَيِّبٍ أرْدانُه[٤] بِالوَنِّ[٥] يَضْرِبُ لى يَكُرُّ[٦] الإِصْبَعَا

ثم قال :

بل عَدِّ هذا فى قَريضٍ غيرِه واذكُرْ فتًى سَمْحَ الخَليقةِ أرْوَعا

فكأنه قال : دَعْ هذا ، وخُذْ فى قَريضٍ غيرِه . فـ« بل »[٧] إنما يأْتى فى كلامِ العربِ على هذا النحوِ مِن الكلامِ . / فأما افتتاحًا لكلامِها مُبْتَدَأً بمعنى ٩٦/١

(١) بعده فى ص : « فيه » .

(٢) البيتان الأولان فى الشعر والشعراء ١/ ٢٥٨.

(٣) الجلسان ، فارسى معرب ، يقال : إنه الورد . ويقال : قبة يصنعونها ويجعلون عليها الورد . المعرب ص ١٥٣، ١٥٤. والبيت فيه .

(٤) الأردان ، جمع رُدْن : وهو كم القميص . اللسان (ر د ن) .

(٥) الوَنُّ : الصنج الذى يضرب بالأصابع . اللسان (و ن ن) .

(٦) فى ر ، م : « يكد » .

(٧) فى ص ، ر ، ت٢ : « قيل » .

التطويلِ(١) والحذفِ ، مِن غير أن يَدُلَّ على معنًى ، فذلك ما(٢) لا نَعْلَمُ أحدًا ادَّعاه مِن أهلِ المعرفةِ بلسانِ العربِ ومَنْطِقِها ، سوى الذى ذكَرْتُ قولَه ، فيكونَ ذلك أصلًا يُشَبَّهُ به حُروفُ المُعْجَمِ التى هى فَواتحُ سورِ القرآنِ التى افْتُتِحَت بها ، لو كانت له مُشْبِهةً ، فكيف وهى مِن الشبهِ به بعيدةٌ ؟

[٢٦/١ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ .**

قال عامَّةُ المفسرين : تأويلُ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ : هذا الكتابُ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأَصَمُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المُحارِبىُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . قال : هو هذا الكتابُ(٣) .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : أخْبَرَنا خالدٌ الحذَّاءُ ، عن عكرمةَ ، قال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ : هذا الكتابُ(٤) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ ظُهَيرٍ ، عن السُّدِّىِّ فى قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . قال : هذا الكتابُ(٥) .

---

(١) فى ص ، ر : « البطول » ، وفى ت ٢ : « التطول » .

(٢) فى م : « مما » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٠/١ عن مجاهد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥٣) من طريق ابن علية به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ عقب الأثر (٥٣) من طريق أسباط ، عن السدى . وأخرجه =

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . قال : هذا الكتابُ . قال : وقال ابنُ عباسٍ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ : هذا الكتابُ[1] .

فإن قال قائلٌ : وكيف يَجوزُ أن يكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى « هذا » ؟ و « هذا » لاشكَّ إشارةٌ إلى حاضرٍ مُعايَنٍ ، و ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارةٌ إلى غائبٍ غيرِ حاضرٍ ولا مُعايَنٍ ؟

قيل : جاز ذلك ؛ لأن كلَّ ما تقضَّى [2]وقَرُب[2] تَقَضِّيه من الإخبارِ ، فهو وإن صار بمعنى غيرِ الحاضرِ ، فكالحاضرِ عندَ المخاطَبِ ، وذلك كالرجلِ يُحَدِّثُ الرجلَ الحديثَ ، فيقولُ السامعُ : إن ذلك واللَّهِ لكما قلتَ . و : هذا واللَّهِ كما قلتَ . و : هو واللَّهِ كما ذكَرْتَ . فيُخْبِرُ عنه مرةً بمعنى الغائبِ ، إذ كان قد تقضَّى ومضَى ، ومرةً بمعنى الحاضرِ ، لقُرْبِ جوابِه مِن كلامِ مُخْبِرِه ، كأنه غيرُ مُنْقَضٍ ، فكذلك ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فى قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . لأنه جلَّ ذكرُه لما قدَّم قبلَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ﴿ الٓمٓ ﴾ التى ذكَرْنا تصرُّفَها فى وجوهِها مِن المعانى على ما وصَفْنا ، قال لنبيِّه ﷺ : يا محمدُ ، هذا الذى ذكَرْتُه وبيَّنْتُه لك ، الكتابُ . ولذلك حسُن وضعُ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فى مكانِ « هذا » ؛ لأنه أُشِير به إلى الخبرِ عما تضَمَّنه قولُه ﴿ الٓمٓ ﴾ مِن المعانى ، بعدَ تقَضِّى الخبرِ عنه بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ فصار لقربِ الخبرِ عنه مِن تقَضِّيه ، كالحاضرِ المشارِ إليه ، فأخْبَر عنه بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ لانْقِضائِه ، ومصيرِ الخبرِ عنه

= الحاكم ٢/ ٢٦٠ من طريق أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن ابن مسعود . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ٦٠، وفتح القدير ١/ ٣٣.

(٢ - ٢) فى ص : « بقرب » ، وفى ر : « فقرب » .

كالخبرِ عن الغائبِ . وترْجَمه المفسِّرون أنه بمعنى « هذا » ؛ لقربِ الخبرِ عنه مِن انقضائِه ، فكان كالمُشاهَدِ[(١)] المشارِ إليه بـ« هذا » ، نحوَ الذى وصَفْنا مِن الكلامِ الجارى بينَ الناسِ فى مُحاوراتِهم ، وكما قال جلَّ ذكرُه : ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌۚ ﴾ [ص : ٤٨- ٤٩] . فهذا ما فى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إذا عنى بها[(٢)] « هذا » .

وقد يَحتَمِلُ قولُه جلَّ ذكرُه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . أن يكونَ مَعْنِيًّا به السورُ
٩٧/١ التى نزَلَت قبلَ سورةِ البقرةِ بمكةَ والمدينةِ ، فكأنه قال جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : / يا محمدُ ، اعْلَمْ أن ما تضَمَّنَتْه سورُ الكتابِ التى قد أنْزَلْتُها إليك هو الكتابُ الذى لا ريبَ فيه ، ثم ترْجَمه المُفَسِّرون بأن معنى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : هذا الكتابُ ، إذ كانت تلك السورُ التى نزَلَت قبلَ سورةِ البقرةِ مِن جملةِ جميعِ كتابِنا هذا الذى أنْزَلَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ .

وكان التأويلُ الأولُ أولى بما قال المُفَسِّرون ؛ لأن ذلك أظهرُ معانى قولِهم الذى قالوه فى : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ .

وقد وجَّه معنى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بعضُهم إلى نظيرِ معنى بيتِ خُفَافِ بنِ نُدْبَةَ السُّلَمىِّ[(٣)] :

فإن تَكُ خَيْلى قد أُصِيب صَمِيمُها فعَمْدًا على عَيْنٍ تيَمَّمْتُ مالِكَا[(٤)]

---

(١) فى ص ، ر ، ت ٢: « كالشاهد » .

(٢) فى ر : « بهذا » ، وفى ت ٢: « به » .

(٣) الأغانى ٢/ ٣٢٩، الخزانة ٥/٤٣٨ - ٤٤٠. وسيأتى البيت الثانى فى تفسير الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٤) هو مالك بن حمار الفزارى . ينظر الأغانى ٢/ ٣٢٩.

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ[1] مَتْنَه تأمَّلْ خُفافًا إننى أنا ذلِكا

كأنه أراد : تأمَّلْنى أنا ذلك . فزَعَمَ[2] أن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ بمعنى « هذا » [3]نظيرَ ما[3] أظْهَر خُفافٌ مِن اسمِه على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ ، وهو مُخْبِرٌ عن نفسِه ، فكذلك[4] أظْهَر ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى الخبرِ عن الغائبِ ، والمعنى فيه الإشارةُ إلى الحاضرِ المُشاهَدِ .

والقولُ الأولُ أولى بتأويلِ الكتابِ ؛ لما ذكَرْنا مِن العِلَلِ .

وقد قال بعضُهم : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ يعنى به التوراةَ والإنجيلَ[5] . وإذا وُجِّه تأويلُ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى هذا الوجهِ ، فلا مئونةَ فيه على مُتأوِّلِه كذلك ؛ لأن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يكونُ حينئذٍ إخبارًا عن غائبٍ على صحةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شكَّ فيه .

كما حدَّثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأصمُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ المُحاربىُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قال : لاشكَّ فيه[6] .

حدَّثنى سَلَّامُ بنُ سالمٍ الخُزاعىُّ ، قال : حدَّثنا خَلَفُ بنُ ياسِينَ الكوفىُّ ،

---

(١) أطر الشىء : عطفه وثناه . تاج العروس (أ ط ر) .

(٢) فى م : « فرأى » .

(٣ - ٣) فى ص : « نظيره » .

(٤) فى م : « لذلك » .

(٥) قال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٧ : ومن قال إن المراد بـ ﴿ ذلك الكتاب ﴾ الإشارة إلى التوراة والإنجيل ... فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وتكلف ما لا علم له به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٤ إلى المصنف .

عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ[١]، عن عطاءٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قال : لا شكَّ فيه[٢].

حدَّثنى أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ ظُهَيْرٍ ، عن السدىِّ ، قال : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شكَّ فيه[٣].

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ الهَمْدانىُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَرَه **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لاشكَّ فيه[٤].

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شكَّ فيه[٥].

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . يقولُ : لا شكَّ فيه .

---

(١) فى ص : « داود » . ينظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٣٦.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٤ عقب الأثر (٥٥) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٤ عقب الأثر (٥٥) من طريق أسباط عن السدى .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦١ عن السدى به . وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٠ من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن ابن مسعود . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٠ . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٤ عقب الأثر (٥٥) معلقا . وأخرجه أيضا ١/ ٦٣ (٢٣٤) - عند قوله : ﴿ وإن كنتم فى ريب ﴾ - من طريق سلمة بن الفضل به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : [١/٢٧و] أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . يقولُ : لا شكَّ فيه[1] .

٩٨/١ / وحُدِّثت عن عَمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ قولَه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ يقولُ : لاشكَّ فيه[2] .

وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : رابَنى الشيءُ يَرِيبُنى رَيْبًا . ومِن ذلك قولُ ساعدةَ ابنِ جُؤَيَّةَ الهُذَلىِّ[3] :

فقالوا تركْنا الحَىَّ قد حصِروا به فلا ريبَ أن قد كان ثَمَّ لَحِيمُ

ويُرْوَى : حصَروا ، وحصِروا . والفتحُ أكثرُ ، والكسرُ جائزٌ . يعنى بقولِه : حصروا به : أطافوا به . ويعنى بقولِه : لا رَيْبَ : لا شكَّ . وبقولِه : أن قد كان ثَمَّ لَحِيم . يعنى قَتيلًا . يقالُ : قد لُحِم . إذا قُتل .

والهاءُ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ عائدةٌ على الكتابِ ، كأنه قال : لا شكَّ فى ذلك الكتابِ أنه مِن عندِ اللَّهِ هُدًى للمُتَّقِين .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُدًى ﴾ .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٤/١ عقب الأثر (٥٥) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/١ إلى عبد بن حميد . وعزاه أيضا ٣٥/١ فى قوله : ﴿وإن كنتم فى ريب﴾ . إلى المصنف وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ٦٣/١ عقب الأثر (٢٣٥) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٤/١ عقب الأثر (٥٥) من طريق ابن أبى جعفر به . وقال ابن أبى حاتم : لا أعلم فى هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٢.

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ الغفاريُّ ، قال : حدَّثنا أبو نُعيمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن بَيَانٍ ، عن الشعبيِّ : ﴿ هُدًى ﴾ قال : هُدًى مِن الضلالةِ[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ابنُ نصرٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَرَه **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ يقولُ : نورٌ للمتقين[(٢)] .

والهُدى فى هذا الموضعِ مصدرٌ مِن قولِك : هدَيْتُ فلانًا الطريقَ - إذا أرْشَدْتَه إليه ، ودلَلْتَه عليه ، وبيَّنْتَه له - أَهْدِيه هُدًى وهِدايةً .

فإن قال لنا قائلٌ : أوَ ما كتابُ اللَّهِ نورًا إلا للمُتَّقِين ، ولا رَشادًا إلا للمؤمنين ؟

قيل : ذلك كما وصَفه ربُّنا عزَّ وجلَّ ، ولو كان نورًا لغيرِ المتقين ، ورَشادًا لغيرِ المؤمنين ، لم يَخصُصِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ المتقين بأنه لهم هدًى ، بل كان يَعُمُّ به جميعَ المُنْذَرين ، ولكنه هُدًى للمتقين ، وشفاءٌ لما فى صدورِ المؤمنين ، ووَقْرٌ فى آذانِ المكذِّبين ، وعمًى لأبصارِ الجاحدين ، وحجةٌ للَّه بالغةٌ على الكافرين ، فالمؤمنُ به مُهْتدٍ ، والكافرُ به محجوجٌ .

وقولُه : ﴿ هُدًى ﴾ يَحْتَمِلُ أوجهًا مِن المعانى :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٤ ٥ (٥٧) من طريق أبى نعيم به . وأخرجه أيضًا ١/٣٤ (٥٦، ٥٧) من طريقين عن سفيان به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٢٤ إلى وكيع .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٦١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٢٤ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٤ (٥٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

أحدُها : أن يكونَ نصبًا ، لمعنى القطعِ[1] مِن ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ؛ لأنه نكرةٌ و﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ معرفةٌ ، فيكونُ التأويلُ حينئذٍ : الٓمٓ ذلك الكتابُ هاديًا للمتقِين . و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مرفوعٌ بـ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ الٓمٓ ﴾ به ، و﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ نعتٌ لـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ نصبًا على القطعِ مِن راجعِ ذكرِ ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ الذى فى ﴿ فِيهِ ﴾ فيكونُ معنى ذلك حينئذٍ : الٓمٓ الذى لاريبَ فيه هاديًا .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ أيضًا نصبًا على هذيْن الوجهَيْن ، أعْنى على وجهِ القطعِ مِن الهاءِ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، ومِن ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ على أن ﴿ الٓمٓ ﴾ كلامٌ تامٌّ ، كما قال ابنُ عباسٍ : إن معناه : أنا اللَّهُ أعلمُ . ثم يكونُ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ خبرًا مُسْتَأْنَفًا ، فيُرْفَعُ حينئذٍ ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بـ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ، ويكونُ ﴿ هُدًى ﴾ قطعًا مِن ﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ، وعلى أن يُرْفَعَ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بالهاءِ العائدةِ عليه التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، و﴿ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ / نعتٌ له ، ٩٩/١ والهدى قطعٌ مِن الهاءِ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ . وإن جُعِل الهدى فى موضعِ رفعٍ ، لم يَجُزْ أن يكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ إلا خبرًا مُسْتَأْنَفًا ، و﴿ الٓمٓ ﴾ كلامًا تامًّا مكتفيًا بنفسِه ، إلا مِن وجهٍ واحدٍ ، وهو أن يُرْفَعَ حينئذٍ ﴿ هُدًى ﴾ بمعنى المدحِ ، كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : (الم * تِلْكَ آياتُ الكتابِ الحكيمِ * هُدًى ورَحْمَةٌ للمُحْسِنِينَ) [لقمان : ١ - ٣] . فى قراءةِ مَن قرَأ (رَحْمَةٌ) بالرفعِ على المدحِ للآياتِ[2] .

والرفعُ فى ﴿ هُدًى ﴾ حينئذٍ يَجوزُ مِن ثلاثةِ أوجهٍ ؛ **أحدُها** : ما ذكَرْنا من أنه

---

(١) يريد بالقطع هنا الحال . ينظر معانى القرآن ١/ ١١ ، والمصطلح النحوى ص ١٧٠ .

(٢) وهى قراءة حمزة وحده ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائى ، بالنصب . السبعة لابن مجاهد ص ٥١٢ .

مدحٌ مُسْتأْنَفٌ . والآخرُ : على أن يُجْعَلَ مُرافعَ[(١)] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، و ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ نعتٌ لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . والثالثُ : أن يُجْعَلَ تابعًا لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، ويكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ مرفوعًا بالعائدِ فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، فيكونَ كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢، ١٥٥] .

وقد زعَم بعضُ المتَقدِّمين فى العلمِ بالعربيةِ مِن الكوفيِّين[(٢)] أن ﴿ الٓمٓ ﴾ مرافعُ[(٣)] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ بمعنى : هذه الحروفُ مِن حروفِ المُعْجَمِ ، ذلك الكتابُ الذى وعَدْتُك أن أُوحِيَه إليك . ثم نقَض ذلك مِن قولِه فأسْرع نَقْضَه ، وهدَم ما بنَى فأسْرَع هَدْمَه ، فزعَم أن الرفعَ فى ﴿ هُدًى ﴾ مِن وجهَيْن ، والنصبَ من وجهَيْن ، وأن أحدَ وجهَىِ الرفعِ أن يكونَ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ نعتًا لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، والهُدى فى موضعِ رفعِ خبرٌ[(٤)] لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، كأنك قلتَ : ذلك هدًى[(٥)] لا شكَّ فيه . قال : وإن جعَلْتَ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ خبرَه ، رفَعْتَ أيضًا ﴿ هُدًى ﴾ بجعلِه تابعًا لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ كأنه قال : وهذا كتابٌ هُدًى ، مِن صفتِه كذا وكذا . قال : وأما أحدُ وجهَىِ النصبِ ، فأن تَجْعَلَ الكتابَ خبرًا لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ وتَنْصِبَ ﴿ هُدًى ﴾ على القطعِ ؛ لأن ﴿ هُدًى ﴾ نكرةٌ اتَّصلَت بمعرفةٍ ، وقد تَمَّ خبرُها فنصَبْتَها[(٦)] ؛ لأن النكرةَ لا تكونُ دليلًا على معرفةٍ ، وإن شئتَ نصَبْتَ ﴿ هُدًى ﴾ على القطعِ مِن

---

(١) فى م ، ت ٢: « الرافع » .

(٢) يعنى الفراء فى معانى القرآن ١/ ١٠.

(٣) فى م ، ت ٢: « رافع » .

(٤) فى ر : « خبرا » .

(٥) سقط من النسخ ، وأثبتناه من معانى القرآن .

(٦) فى م : « فتنصبها » .

الهاءِ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، كأنك قلتَ : لا شكَّ فيه هاديًا .

قال أبو جعفرٍ : فترَك الأصلَ الذى أصَّله فى ﴿ الٓمٓ ﴾ وأنها مرفوعةٌ بـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ونبَذه وراءَ ظهرِه ، واللازمُ كان له على الأصلِ الذى أصَّله ألا يُجيزَ الرفعَ فى ﴿ هُدًى ﴾ بحالٍ إلا مِن وجهٍ واحدٍ ، وذلك مِن قِبَلِ الاستئنافِ إذ كان مدْحًا . فأما على وجهِ الخبرِ لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، أو على وجهِ الاتباعِ لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، فكان اللازمُ له على قولِه أن يكونَ خطأً ، وذلك أن ﴿ الٓمٓ ﴾ إذا رفَعَتْ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ فلا شكَّ أن ﴿ هُدًى ﴾ غيرُ جائزٍ حينَئذٍ أن يكونَ خبرًا لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى المرافعِ له ، أو[1] تابعًا لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ؛ لأن موضعَه حينَئذٍ نصبٌ ، لتمامِ الخبرِ قبلَه وانقطاعِه - بمُخالفتِه إياه - عنه[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن الحسنِ قولَه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال : اتَّقَوْا ما حُرِّم عليهم ، وأدَّوْا ما افتُرِض عليهم[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن [٢٧/١ظ] عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : الذين يَحْذَرُون مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ عقوبتَه فى ترْكِ ما يَعْرِفون مِن الهُدَى ، ويَرْجُون رحمتَه بالتصديقِ بما جاء منه[4] .

---

(١) فى ص ، ت ٢: « و » .

(٢) إعراب القرآن لا يسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه ، وأبعدها عن التكلف ، وأسوغها فى لسان العرب ، فكما أن كلام الله أفصح كلام ، فكذلك إعرابه يجب أن يحمل على أفصح الوجوه .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦١/١ عن سفيان الثورى به .

(٤) فى ر ، م : « به » .

والأثر فى سيرة ابن هشام ٥٣٠/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٥/١ (٦٢) من طريق سلمة به .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ،
١/١٠٠ عن السُّدِّيِّ في خبرٍ / ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : هم المؤمنون[(١)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : سألَنى الأعمشُ عن « المتقين » ، قال : فأجَبْتُه ، فقال لى : سَلْ عنها الكَلْبيَّ . فسألْتُه فقال : الذين يَجْتَنِبون كبائرَ الإثمِ . قال : فرجَعْتُ إلى الأعمشِ ، فقال : نُرَى[(٢)] أنه كذلك . ولم يُنْكِرْه[(٣)] .

حدَّثني المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ الطبريُّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عمرُ أبو حفصٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : مَن هم ؟ نعَتَهم ووصَفَهم فأثْبَت صفتَهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ[(٥)] بنُ عُمارةَ[(٥)] ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال :

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦١/١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٤، ٢٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٥/١ (٦٣) من طريق عمرو، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٢) فى ر : « ترى أى » ، وفى ت ٢: « يرى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ عن أبى بكر بن عياش به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٥/١ (٦٤) من طريق ابن أبى عروبة به .

(٥ - ٥) فى م : « بن عمار » .

للمؤمنين الذين يتَّقُون الشركَ[١] ويَعْمَلون بطاعتى[٢] .

وأَوْلَى التأويلاتِ بقولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . تأويلُ مَن وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقَوُا اللَّهَ تبارك وتعالى فى ركوبِ ما نهاهم عن ركوبِه ، فتجَنَّبوا معاصِيَه ، واتَّقوْه فيما أمَرَهم به مِن فرائضِه ، فأطاعوه بأدائِها ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أبْهَم[٣] وصفَهم بالتقْوَى ، فلم يَحْصُرْ تَقْواهم إياه على[٤] بعضِ ما هو جلَّ ثناؤه أهلٌ[٤] له[٥] منهم دونَ بعضٍ ، فليس لأحدٍ مِن الناسِ أن يَحْصُرَ معنى ذلك على وصْفِهم بشىءٍ مِن تقوى اللَّهِ عزَّ وجلَّ دون شىءٍ ، إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها ؛ لأن ذلك مِن صفةِ القومِ لو كان مَحْصورًا على خاصٍّ مِن معانى التقوى دونَ العامِّ[٦] ، لم يَدَعِ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بيانَ ذلك لعبادِه ، إما فى كتابِه ، وإما على لسانِ رسولِه ﷺ ، إذ لم يَكُنْ فى العقلِ دليلٌ على استحالةِ وصفِهم بعمومِ التقوى .

فقد تبيَّن إذن بذلك فسادُ قولِ مَن زعَم أن تأويلَ ذلك إنما هو الذين اتَّقَوُا الشركَ وبرِئوا مِن النِّفاقِ ؛ لأنه قد يكونُ كذلك وهو فاسقٌ غيرُ مُسْتَحِقٍّ أن يكونَ مِن المتَّقِين ، إلا أن يكونَ عندَ قائلِ هذا القولِ معنى النفاقِ ركوبَ الفَواحِشِ التى حرَّمها اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ، وتَضْييعَ فرائضِه التى فَرَضها عليه ، فإن جماعةً مِن أهلِ العلمِ قد كانت تُسَمِّى مَن كان كذلك[٧] مُنافِقًا ، فيكونَ ،

---

(١) بعده فى ص : « بى » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦١/١ عن أبى روق به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، وفى م : « إنما » .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « بعضها من أهل » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) بعده فى م : « منها » .

(٧) فى م : « يفعل ذلك » .

وإن كان مُخالِفًا فى تسميتِه مَن كان كذلك بهذا الاسمِ - مُصِيبًا تأويلَ قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ الرازيُّ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : يُصَدِّقون[١] .

حدَّثنى يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ السَّهْمىُّ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾: يُصَدِّقون[٢] .

١٠١/١ / **حدَّثنى** المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ : يَخْشَوْن[٣] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّنْعانىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، قال : قال الزُّهرىُّ : الإيمانُ العملُ[٤] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن العَلاءِ ابنِ المُسَيَّبِ بنِ رافعٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف وابن إسحاق .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ عن على بن أبى طلحة به .

(٣) فى ر : « يخشعون » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ من طريق أبى جعفر به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ عن معمر به .

الإيمانُ التصديقُ[1] .

ومعنى الإيمانِ عندَ العربِ التصديقُ ، فيُدْعَى المُصَدِّقُ بالشيءِ قولًا مؤمنًا به ، ويُدْعَى المُصَدِّقُ قولَه بفعلِه مؤمنًا ، ومِن ذلك قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ١٧] . يعنى : وما أنت بمُصَدِّقٍ لنا فى قولِنا . وقد تَدْخُلُ الخشيةُ للَّهِ فى معنى الإيمانِ الذى هو تَصديقُ القولِ بالعملِ .

والإيمانُ كلمةٌ جامعةٌ للإقرارِ باللَّهِ وكتبِه ورسلِه ، وتصديقِ الإقرارِ بالفعلِ . فإذ كان ذلك كذلك ، **فالذى هو أولى بتأويلِ الآيةِ وأشبهُ بصفةِ القومِ** أن يَكُونوا موصُوفِين بالتصديقِ بالغيبِ قولًا واعتقادًا وعملًا ؛ إذ كان جلَّ ثناؤُه لم يَحْصُرْهم مِن معنى الإيمانِ على معنًى دونَ معنًى ، بل أجْمَل وصفَهم به ، مِن غيرِ خُصوصِ شىءٍ مِن مَعانيه أخْرَجَه من صفتِهم بخبرٍ ولا عقلٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ الرازىُّ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ . قال : بما جاء منه . يعنى مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : أما « الغيبُ » ، فما غاب عن العبادِ مِن أمرِ الجنَّةِ وأمرِ النارِ ، وما

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف مطولا .

ذكرَ اللَّهُ تبارك وتعالى فى القرآنِ ، لم يكنْ تصديقُهم بذلك - يعنى المؤمنين من العربِ - مِن قِبَلِ (١) أصلِ كتابٍ (١) أو عِلْمٍ كان عندَهم (٢) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، قال : الغيبُ القرآنُ (٣) .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ العَقَدىُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قتادةَ [١/ ٢٨و] فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ . قال : آمَنوا بالجنةِ والنارِ والبَعْثِ بعدَ الموتِ وبيومِ القيامةِ ، وكلُّ هذا غيبٌ (٤) .

حُدِّثْتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : آمَنوا باللَّهِ وملائكتِه ورسلِه واليومِ الآخرِ
١٠٢/١ وجنتِه ونارِه ولقائِه ، / وآمَنوا بالحياةِ بعدَ الموتِ ، فهذا غيبٌ كلُّه (٥) .

وأصلُ الغيبِ كلُّ ما غاب عنك مِن شىءٍ ، وهو مِن قولِك : غاب فلانٌ يَغِيبُ غَيْبًا .

وقد اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى أعيانِ القومِ الذين أنْزَل اللَّهُ جلَّ ثناؤُه هاتين الآيتَيْن

(١ - ١) فى ص : « أهل الكتاب » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٣ عن السدى به مختصرا . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٥، ٣٦ (٦٥، ٦٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله مختصرا .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وإلى الطستى فى مسائله عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق قال له ... فذكره مختصرا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٦ (٦٩) من طريق أبى أحمد الزبيرى به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ١/ ٣٦ (٦٧) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٣ كذلك .

مِن أولِ هذه السورةِ فيهم ، وفى نعتِهم وصفتِهم التى وصَفهم بها مِن إيمانِهم بالغيبِ وسائرِ المعانى التى حوَتْها الآيتان مِن صفاتِهم غيرَه ؛ **فقال بعضُهم** : هم مؤمنو العربِ خاصةً ، دونَ غيرِهم مِن مؤمنى أهلِ الكتابين[(١)] .

واستدَلُّوا على صحةِ[(٢)] قولِهم ذلك وحقيقةِ تأويلِهم بالآيةِ التى تَتْلُو هاتين الآيتين ، وهو قولُ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . قالوا : فلم يَكُنْ للعربِ كتابٌ قبلَ الكتابِ الذى أنْزَله اللَّهُ عز وجل على محمدٍ ﷺ ، تَدِينُ بتصديقِه والإقرارِ والعملِ به ، وإنما كان الكتابُ لأهلِ الكتابَيْن غيرِها . قالوا : فلما قصَّ اللَّهُ جلَّ ثناؤه نبأَ الذين يُؤْمِنون بما أُنْزِل إلى محمدٍ وما أُنْزِل مِن قبلِه ، بعدَ اقْتِصاصِه نبأَ المؤمنين بالغيبِ - علِمْنا أن كلَّ صِنْفٍ منهم غيرُ الصنفِ الآخَرِ ، وأن المؤمنين بالغيبِ نوعٌ غيرُ النوعِ المُصَدِّقِ بالكتابَيْن اللذَّيْن أحدُهما مُنَزَّلٌ على محمدٍ ﷺ ، والآخرُ منهما على مَن قَبلَه [(٣)] مِن رسلِ [(٣)] اللَّهِ عزّ وجلّ .

قالوا : وإذ كان ذلك كذلك ، صحّ ما قلْنا مِن أن تأويلَ قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ . إنما هو[(٤)] : الذين يُؤْمِنون بما غاب عنهم من الجنةِ والنارِ ، والثوابِ والعقابِ ، والبعثِ ، والتصديقِ باللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه ، وجميعِ ما كانت العربُ لا تَدِينُ به فى جاهليَّتِها ، مما[(٥)] أوْجَب اللَّهُ جلَّ ثناؤه على

---

(١) فى ص ، م : « الكتاب » .

(٢) فى ر : « حقيقة » .

(٣ - ٣) فى ص : « رسول » ، وفى ت ٢ : « من رسول » .

(٤) فى ص ، ت ٢ : « هم » .

(٥) فى م : « بما » .

عبادِه الدَّيْنُونةَ به ، دونَ غيرِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : أما ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فهم المؤمنون مِن العربِ ، ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : أما « الغيبُ » ، فما غاب عن العبادِ مِن أمرِ الجنةِ والنارِ ، وما ذكَر اللَّهُ فى القرآنِ ، لم يكُنْ تصديقُهم بذلك مِن قِبَلِ أصلِ كتابٍ أو علمٍ كان عندَهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ هؤلاء المؤمنون مِن أهلِ الكتابِ[(١)] .

وقال بعضُهم : بل نزَلَتْ هذه الآياتُ الأربعُ فى مؤمنى أهلِ الكتابِ خاصةً ؛ لإيمانِهم بالقرآنِ عندَ إخبارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه إياهم فيه عن الغُيوبِ التى كانوا يُخْفُونها بينَهم ويُسِرُّونها ، فعلِموا عندَ إظهارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه نبيَّه ﷺ على ذلك منهم فى تنزيلِه أنه مِن عندِ اللَّهِ جلَّ وعز ، فآمَنوا بالنبيِّ ﷺ ، وصدَّقوا بالقرآنِ وما فيه مِن الإخبارِ عن الغيوبِ التى لا عِلْمَ لهم بها ؛ لِما استقرَّ عندَهم بالحُجَّةِ التى احْتَجَّ اللَّهُ تبارك وتعالى بها عليهم فى كتابِه ، مِن الإخبارِ فيه عمَّا كانوا يَكْتُمونه مِن ضَمائرِهم - أن جميعَ ذلك مِن عندِ اللَّهِ .

١٠٣/١ / **وقال بعضُهم** : بل الآياتُ الأربعُ مِن أولِ هذه السورةِ أُنزِلَت على محمدٍ ﷺ بوصفِ جميعِ المؤمنين الذين ذلك صفتُهم ، مِن العربِ ، والعجمِ ، وأهلِ الكتابَيْن

---

(١) ينظر ص ٢٤٢ .

سِواهم ، وإنما هذه صفةُ صِنْفٍ مِن الناسِ ، والمؤمنُ بما أنْزَل اللَّهُ على محمدٍ ﷺ وما أُنْزِل مِن قبلِه هو المؤمنُ بالغيبِ .

قالوا : وإنما وصَفهم اللَّهُ بالإيمانِ بما أُنْزِل إلى محمدٍ وبما أُنْزِل إلى مَن قبلَه ، بعدَ تقَضِّى وصفِه إياهم بالإيمانِ بالغيبِ ؛ لأن وصفَه إياهم بما وصَفهم به مِن الإيمانِ بالغيبِ كان مَعْنِيًّا به أنهم يُؤْمنون بالجنةِ والنارِ والبعثِ وسائرِ الأمورِ التى كلَّفهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه الإيمانَ بها[1] ، مما لم يَرَوْه ولم يَأْتِ بعدُ مما هو آتٍ ، دونَ الإخبارِ عنهم أنهم يُؤْمنون بما جاء به محمدٌ ﷺ ومَن قبلَه مِن الرسلِ ومن[2] الكتبِ .

قالوا : فلما كان معنى قولِه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . غيرَ موجودٍ فى قولِه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ . كانت الحاجةُ مِن العبادِ إلى معرفتِهم صفتَهم بذلك ليَعْرفوهم ، نظيرَ حاجتِهم إلى معرفتِهم بالصفةِ التى وُصِفوا بها مِن إيمانِهم بالغيبِ ؛ ليَعْلَموا ما يَرْضَى اللَّهُ مِن أفعالِ عبادِه ، ويُحِبُّه مِن صفاتِهم ، فيَكُونوا به[3] ، إن وفَّقهم له ربُّهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرِو بنِ العباسِ[4] الباهلىُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ الضَّحَّاكُ ابنُ مَخْلَدٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ مَيْمونٍ المكِّىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : أربعُ آياتٍ مِن سورةِ البقرةِ فى نعتِ المؤمنين ، وآيتان[5] فى

---

(١) فى ر ، ت٢ : « به » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أى بهذا الوصف .

(٤) فى ص : « العاص » .

(٥) فى ت ٢ : « اثنان » ، وغير منقوطة فى ص .

نعتِ الكافرين ، وثلاثَ عشْرةَ في المنافقين[(١)] .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهدٍ بمثلِه[(٢)] .

وحدَّثني [(٣)] المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ[٣)] ، قال : حدَّثنا موسى بنُ مسعودٍ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٤)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : أربعُ آياتٍ مِن فاتحةِ هذه السورةِ - يعني سورةَ البقرةِ - في الذين آمنوا ، وآيتان[(٥)] في قادةِ الأحْزابِ[(٦)] .

وأولى القولين عندي بالصواب ، وأشبهُهما بتأويلِ الكتابِ ، القولُ الأولُ ، وهو أن الذين وصَفَهم اللَّهُ تعالى ذِكرُه بالإيمانِ بالغيبِ ، وما وصَفَهم به جلَّ ثناؤُه في الآيتين الأوَّلَتَيْن[(٧)] ، غيرُ الذين وصَفهم بالإيمانِ بالذي أُنْزِل على محمدٍ والذي أُنْزِل على[(٨)] مَن قبلَه مِن الرسلِ ؛ لما ذَكَرْتُ مِن العللِ [٢٨/١ظ] قبلُ لمن قال ذلك .

ومما يَدُلُّ أيضًا مع ذلك على صحةِ هذا القولِ ، أنه جَنَّس - بعدَ وصفِ المؤمنين

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٥ ، من طريق ورقاء ، عن ابن أبي نجيح . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/١ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر . وينظر ما سيأتي في ص ٢٧٦ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/١ إلى وكيع . وذكره ابن كثير في تفسيره ٦٧/١ عن الثوري به . وهو في تفسير الثوري ص ٤١ من قوله .

(٣ - ٣) في ص : « ابن المثنى » .

(٤) أخرجه النحاس في القطع والائتناف ص ١١٥ من طريق شبل به .

(٥) في ص ، ت ٢ : « اثنان » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف .

(٧) في ت ١ ، ت ٢ : « الأولين » .

(٨) في ر ، م ، ت ٢ : « إلى » .

بالصفتَيْن اللتين وصَف ، وبعدَ تَصْنيفِه كلَّ صنفٍ منهما على ما صنَّف الكفارَ - جنسين ، فجعَل أحدَهما مطبوعًا على قلبِه ، مختومًا عليه ، مأْيوسًا مِن إيمانِه ، والآخرَ منافقًا يُرائى بإظهارِ الإيمانِ فى الظاهرِ ، ويَسْتَسِرُّ النفاقَ فى الباطنِ ، فصيَّر الكفارَ جنسين ، كما صيَّر المؤمنين فى أولِ السورةِ جنسين ، ثم عرَّف عبادَه نعتَ كلِّ صنفٍ منهم وصفتَهم ، وما أعدَّ لكلِّ فريقٍ منهم مِن ثوابٍ أو عقابٍ ، وذمَّ أهلَ الذمِّ منهم ، وشكَر سعْىَ أهلِ الطاعةِ منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

/ وإقامتُها أداؤُها بحدودِها وفروضِها والواجبِ فيها ، على مَن فُرِضَت عليه ، ١/١٠٤ كما يقالُ : أقام القومُ سُوقَهم . إذا لم يُعَطِّلوها مِن البيعِ والشراءِ فيها . وكما قال الشاعرُ[(١)] :

أقَمْنا لأهلِ العراقَيْن[(٢)] سُوقَ الضِّـ ـرابِ فخاموا[(٣)] وولَّوْا جميعَا

وكما حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ . قال : الذين يقيمون الصلاةَ بفَرضِها[(٤)] .

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ١٤٦.

(٢) العراقين : البصرة والكوفة .

(٣) فى ص : « فجأمرا » ، وفى م : « خاسوا » .
وخاموا فى الحرب : جبنوا . اللسان (خ ى م) .

(٤) فى ص ، م : « بفروضها » .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٤ (٧٤) من طريق سلمة بن الفضل به .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال : إقامةُ الصلاةِ تمامُ الركوعِ والسجودِ ، والتِّلاوةُ ، والخشوعُ ، والإقبالُ عليها فيها[١] .

حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : يعني الصلاةَ المفروضةَ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

وأما الصلاةُ في كلامِ العربِ فإنها الدعاءُ ، كما قال الأعْشَى[٢] :

لها حارِسٌ لا يَبْرَحُ الدهرَ بيتَها وإن ذُبِحَت[٣] صلَّى عليها وزَمْزَما[٤]

يعني بذلك : دعا لها . وكقولِه[٥] الآخرِ أيضًا :

وقابَلَها الرِّيحَ في دَنِّها[٦] وصلَّى على دَنِّها وارْتَسَمْ[٧]

وأرَى أن الصلاةَ المفروضةَ سُمِّيَت صلاةً ؛ لأن المُصلِّيَ مُتعرِّضٌ لاستنجاحِ[٨] طَلِبتِه مِن ثوابِ اللَّهِ بعملِه ، مع ما يَسْأَلُ ربَّه فيها مِن حاجاتِه ، تعرُّضَ الداعي بدعائِه

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف .

(٢) ديوانه ص ٢٩٣.

(٣) يذكر الخمر في دنها ، يقال : ذبحت الدن : أي بزلته . اللسان (ذ ب ح) .

(٤) الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت ، لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ، لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلوقها . اللسان (ز م م) .

(٥) في ص ، م ، ت ٢: « قول » . والبيت في ديوان الأعشى ص ٣٥.

(٦) الدن : وعاء ضخم للخمر ونحوها .

(٧) ارتسم الرجل : كبَّر ودعا . اللسان (ر س م) .

(٨) في ص : « لاستخراج » ، وفي ر ، ت ٢: « استنجاح » .

ربَّه استنجاحَ حاجاتِه وسُؤْلِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

اخْتَلَف المُفسِّرون فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . قال : يُؤْتُون الزكاةَ احتسابًا لها[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى[(٢)] ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . قال : زكاةَ أموالِهم[(٣)] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : أخْبَرنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . قال : كانت النفقاتُ قُرْبانًا[(٤)] يَتَقَرَّبون بها إلى اللَّهِ على قدرِ مَيْسورِهم وجُهْدِهم ، حتى نزَلَت فرائضُ الصدقاتِ ؛ سبعُ آياتٍ فى سورةِ « براءة » ، مما يُذْكَرُ فيهن الصدقاتُ ، هن المُثْبَتاتُ الناسخاتُ[(٥)] .

وقال بعضُهم بما **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال :

---

(١) فى ر ، م ، ت ٢ : « بها » .

والأثر فى سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٧ (٧٧) من طريق سلمة به .

(٢) فى ص : « ابن المثنى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٥ عن على بن أبى طلحة به .

(٤) فى م : « قربات » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٧ إلى المصنف .

حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَرَه عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ
١٠٥/١ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ / مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ :
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : هي نفقةُ الرجلِ على أهلِه ، وهذا قبلَ أن تنزِلَ الزكاةُ[1] .

وأولى التأويلاتِ بالآيةِ وأحقُّها بصفةِ القومِ ، أن يكونوا كانوا لجميعِ اللازمِ لهم في أموالِهم مُؤَدِّين ؛ زكاةً كان ذلك أو نفقةَ مَن لزِمته نفقتُه مِن أهلٍ وعِيالٍ وغيرِهم ، ممَّن تجِبُ عليهم نفقتُه بالقَرابةِ والمِلْكِ وغيرِ ذلك ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عمَّ وصْفَهم ، إذ وصَفهم بالإنفاقِ مما رزَقهم ، فمدَحهم بذلك مِن صفتِهم ، فكان معلومًا أنهم[2] إذ لم يَخْصُصْ مدْحَهم ووصْفَهم بنوعٍ مِن النفقاتِ المحمودِ عليها صاحبُها دونَ نوعٍ ، بخبرٍ ولا غيرِه - أنهم مَوْصوفون بجميعِ معاني النفقاتِ المحمودِ عليها صاحبُها ، مِن طيبِ ما رزَقهم ربُّهم مِن أموالِهم وأمْلاكِهم ، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ .

قد مضَى البيانُ عن المَنْعوتِين بهذا النعتِ ، وأيُّ أجناسِ الناسِ هم ، غيرَ أنَّا نَذْكُرُ ما رُوِي في ذلك عمن رُوِي عنه في تأويلِه قولٌ ، فحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٥/١ عن السدى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف عن ابن مسعود دون آخره . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٨/١ (٧٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٢) في ص ، م : « أنه » .

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . أى : يُصَدِّقونك بما جئتَ به مِن[1] اللَّهِ جلَّ وعزَّ، وبما جاء به مَن قبلَك مِن المُرْسَلِين ، لا يُفرِّقون بينَهم ، ولا يَجْحَدون ما جاءوهم به مِن[2] ربِّهم[3] .

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [١/ ٢٩و] : هؤلاء المؤمنون مِن أهلِ الكتابِ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما الآخرةُ ، فإنها صفةٌ للدارِ ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] . وإنما وُصِفت بذلك لمصيرِها آخِرةً لأُولَى كان قبلَها ، كما تقولُ للرجلِ : أنْعَمْتُ عليك مرةً بعدَ أخرى ، فلم تَشْكُرْ لى الأُولَى ولا الآخرةَ . وإنما صارت الآخرةُ آخرةً للأولى ؛ لتقدُّمِ الأولى أمامَها ، فكذلك الدارُ الآخرةُ ، سُمِّيَت آخِرةً لتقدُّمِ الدارِ الأولى أمامَها ، فصارت التاليةُ[5] لها آخِرةً . وقد يَجوزُ أن تكونَ [6]وُصِفت بأنها[6] آخرةً ؛ لتأخُّرِها

(١) بعده فى ت ٢: « عند » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ٢: « عند » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٨ (٨٠) من طريق سلمة به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٧ عن السدى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٨ (٨٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٥) فى ص : « الثانية » .

(٦ - ٦) فى ص ، م : « سميت » .

عن الخلقِ ، كما سُمِّيَت الدنيا دنيا[١] ؛ لدُنُوِّها مِن الخلقِ .

وأما الذى وصَف اللَّهُ جلَّ ثناؤُه به المؤمنين بما أنْزَل إلى[٢] نبيِّه محمدٍ ﷺ ، وما أنْزَل إلى مَن قبلَه مِن المُرْسَلِين - مِن إيقانِهم به مِن أمرِ الآخِرةِ - فهو إيقانُهم بما كان المُشْرِكون به جاحِدِين ، مِن البَعْثِ والنشرِ ، والثوابِ والعقابِ ، والحسابِ والميزانِ ، وغيرِ ذلك مما أعَدَّ اللَّهُ لخلقِه يومَ القيامةِ .

١٠٦/١ / كما حدَّثنا به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ . أى : بالبَعْثِ والقِيامةِ ، والجنةِ والنارِ ، والحسابِ والميزانِ ، أى لا هؤلاء الذين يَزْعُمون أنهم آمنوا بما كان قبلَك ، ويَكْفُرون بما جاءك مِن ربِّك[٣] .

وهذا التأويلُ مِن ابنِ عباسٍ قد صرَّح عن أن السورةَ مِن أولِها - وإن كانت الآياتُ التى فى أولِها مِن نعتِ المؤمنين - تَعْريضٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ بذمِّ الكفارِ أهلِ الكتابِ ، الذين زعَموا أنهم بما جاءَت به رسلُ اللَّهِ عز وجل الذين كانوا قبلَ محمدٍ ﷺ - مُصَدِّقون ، وهم بمحمدٍ ﷺ مُكَذِّبون ، ولِمَا جاء به مِن التنزيلِ جاحدون ، ويدَّعون ، مع جُحودِهم ذلك ، أنهم مُهْتَدون ، وأنه لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا مَن كان هُودًا أو نَصارَى ، فأكْذَبَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ذلك مِن قِيلِهم بقولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

(١) فى ص : « قريبا » .

(٢) فى ر : « على » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١، ٥٣١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٨/١ (٨٢) من طريق ...امة به .

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . وأخبَر جلَّ ثناؤُه عبادَه أن هذا الكتابَ هُدًى لأهلِ الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، المُصدِّقين بما أُنزِل إليه وإلى مَن قبلَه مِن رسلِه مِن البيناتِ والهدى ، خاصَّةً دون مَن كذَّب بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، وادَّعى أنه مُصَدِّقٌ بمَن قبلَ محمدٍ ﷺ مِن الرسلِ ، وبما جاء به مِن الكتبِ ، ثم أكَّد جلَّ ثناؤُه أمرَ المؤمنين مِن العربِ ومِن أهلِ الكتابِ المُصدِّقِين بمحمدٍ ﷺ وبما أُنْزِل إليه وإلى مَن قبلَه مِن الرسلِ بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . فأخبَر أنهم هم أهلُ الهدى والفلاحِ خاصَّةً دون غيرِهم ، وأن غيرَهم هم أهلُ الضلالِ والخَسارِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ في مَن عَنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : عَنَى بذلك أهلَ الصِّفتَيْن المتقدمتَيْن ، أعْنى المؤمنين بالغيبِ مِن العربِ ، والمؤمنين بما أُنْزِل إلى محمدٍ ﷺ وإلى مَن قبلَه مِن الرسلِ ، وإياهم جميعًا وصَف بأنهم على هُدًى منه ، وأنهم هم المُفْلِحون .

ذِكْرُ مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : أما ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فهم المؤمنون مِن العربِ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ المؤمنون مِن أهلِ الكتابِ ، ثم جمَع الفريقَيْن ، فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ

وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1] .

١٠٧/١ / وقال بعضُهم : بل عنَى بذلك المتقين الذين يُؤْمِنون بالغيبِ ، وهم الذين يؤمنون بما أُنْزِل إلى محمدٍ ﷺ وبما أُنْزِل إلى مَن قبلَه مِن الرسلِ .

وقال آخرون : بل عنَى بذلك الذين يؤمنون بما أُنْزِل إلى محمدٍ ﷺ وبما أُنْزِل إلى مَن قبلَه ، وهم مُؤمنو أهلِ الكتابِ الذين صدَّقوا بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين مِن قبلُ بسائرِ الأنبياء والكتبِ .

وعلى هذا التأويلِ[2] الآخرِ يَحتَمِلُ أن يكونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ في مَحَلِّ خفضٍ ، ومَحَلِّ رفعٍ ؛ فأما الرفعُ فيه فإنه يأْتِيها مِن وجهَيْن ؛ أحدُهما ، مِن قِبَلِ العطفِ على ما في ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ مِن ذِكْرِ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ والثاني ، أن يكونَ خبرًا[3] مبتدأً ، ويكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ . مرافِعَها .

وأما الخفضُ ، فعلى العطفِ على « المُتَّقِينَ » وإذا كانت معطوفةً على ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ اتَّجَه لها وجهان مِن المعنى ؛ أحدُهما ، أن تكونَ هي و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الأولى مِن صفةِ المتقين . وذلك على تأويلِ مَن رأى أن الآياتِ الأربعَ بعدَ ﴿ الٓمٓ ﴾ نزَلَت في صِنفٍ واحدٍ مِن أصنافِ المؤمنين . والوجهُ الثاني ، أن تكونَ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الثانيةُ معطوفةً في الإعرابِ على « المتَّقين » بمعنى الخفضِ ، وهم في المعنى صنفٌ غيرُ

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٩/١ عن السدي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٥، ٣٨، ٤٠(٦٥، ٨٣، ٨٩) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٢) في ص : « الوجه » .

(٣) في ص ، م : « خبر » . والمقصود : أن يكون خبرا مقدما .

الصنفِ الأولِ . وذلك على مذهبِ مَن رأى أن الذين نزَلَت فيهم الآيتان الأُوَّلتان مِن المؤمنين بعدَ قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . غيرُ الذين نزَلَت فيهم [١/ ٢٩ظ] الآيتان الآخِرتان اللتان تَلِيانِ الأُوَّلتَيْن[1] .

وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الثانيةُ مرفوعةً فى هذا الوجهِ بمعنى الائتنافِ[2] ، إذ كانت مُبْتَدَأً بها بعدَ تمامِ آيةٍ وانْقِضاءِ قِصَّةٍ . وقد يَجوزُ الرفعُ فيها أيضًا بنيةِ الائتنافِ[2] ، إذ كانت فى مبتدأ آيةٍ ، وإن كانت مِن صفةِ المتقين .

فالرفعُ إذن يَصِحُّ فيها مِن أربعةِ أوجهٍ ، والخفضُ مِن وجهين .

وأولَى التأويلاتِ عندى بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ . ما ذكَرْتُ مِن قولِ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ ، وأن تَكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارةً إلى الفريقَيْن ، أعْنى المتّقين ، و ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ ، وتكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مرفوعةً بالعائدِ مِن ذكرِهم فى قولِه : ﴿ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ . وأن تكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الثانيةُ معطوفةً على ما قبلُ مِن الكلامِ ، على ما قد بيَّنّاه .

وإنما رأيْنا أن ذلك أولى التأويلاتِ بالآيةِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه نعَت الفريقَيْن بنعتِهم المحمودِ ، ثم أثْنَى عليهم ، فلم يكنْ عز وجل لِيَخُصَّ أحدَ الفريقَيْن بالثناءِ مع تَساوِيهما فيما اسْتَحَقَّا به الثناءَ مِن الصفاتِ ، كما غيرُ جائزٍ فى عدلِه أن يَتَساوَيا فيما يَسْتَحِقَّان به الجزاءَ مِن الأعمالِ ، فيَخُصَّ أحدَهما بالجزاءِ دونَ الآخرِ ، ويَحْرِمَ الآخرَ جزاءَ عملِه ، فكذلك سبيلُ الثناءِ

---

(١) فى ص ، ر ، ت ٢: « الأولين » .

(٢) فى م : « الاستئناف » وهما بمعنى .

بالأعمالِ ؛ لأن الثناءَ أحدُ أقسامِ الجزاءِ .

وأما معنى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . فإن معنى ذلك أنهم على نورٍ مِن ربِّهم ، وبرهانٍ واستقامةٍ وسَدادٍ ، بتسديدِ اللَّهِ إياهم ، وتوفيقِه لهم .

كما حدَّثنى ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . أى : على نورٍ مِن ربِّهم ، واستقامةٍ على ما جاءهم[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ .

١٠٨/١ / وتأويلُ قولِه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . أىْ : أولئك هم المُنْجِحون المُدْرِكون ماطلَبوا عندَ اللَّهِ تعالى ذكرُه ، بأعمالِهم وإيمانِهم باللَّهِ وكتبِه ورسلِه ، مِن الفَوْزِ بالثوابِ ، والخلودِ فى الجِنانِ ، والنَّجاةِ مما أعدَّ اللَّهُ تبارك وتعالى لأعدائِه مِن العِقابِ .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أى : الذين أدْرَكوا ما طلَبوا ، ونجَوْا مِن شرِّ ما منه هرَبوا[(٢)] .

ومِن الدلالةِ على أن أحدَ معانى الفلاحِ إدراكُ الطَّلِبةِ والظَّفَرِ بالحاجةِ ، قولُ لَبيدِ

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٩/١(٨٤) من طريق سلمة به .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٩/١(٨٨) من طريق سلمة به .

ابنِ رَبيعةَ[(١)] :

اعْقِلِى إن كُنْتِ لمَّا تَعْقِلِى ولقد أفْلَح مَن كان عَقَلْ

يعنى : ظفِر بحاجتِه وأصاب خيرًا . ومنه قولُ الراجزِ[(٢)] :

عَدِمْتُ أُمًّا ولَدَتْ رياحَا[(٣)]
جاءَتْ به مُفَرْكَحًا فِرْكاحَا[(٤)]
تَحْسبُ أن قد ولَدَت نَجاحَا
أَشْهَدُ لايَزِيدُها فَلاَحَا

يعنى : خيرًا وقربًا مِن حاجتِها .

والفَلَاحُ مصدرٌ مِن قولِك : أفْلَح فلانٌ يُفْلِحُ إفلاحًا ، وفَلاحًا ، وفَلَحًا . والفلاحُ أيضًا البقاءُ . ومنه قولُ لبيدٍ[(٥)] :

نَحُلُّ بلادًا كلُّها حُلَّ قبلَنا ونَرْجُو الفلاحَ بعدَ عادٍ وحِمْيَرِ

يريدُ : البقاءَ . ومنه أيضًا قولُ عَبيدٍ[(٦)] :

أفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدْرَكُ[(٧)] بالضَّعْـ ـفِ وقد يُخْدَعُ الأرِيبُ

يريدُ : عِشْ وابْقَ بما شئتَ . وكذلك قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(٨)] :

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٧٧.
(٢) البيت الثانى منه فى اللسان (فركح) غير منسوب .
(٣) فى م : « رباحا » .
(٤) الفركحة : تباعد ما بين الأليتين . اللسان (فركح) .
(٥) شرح ديوان لبيد ص ٥٧.
(٦) ديوانه ص ١٤.
(٧) فى م : « يبلغ » .
(٨) ديوانه ص ٢١٤.

وكلُّ فتًى ستَشْعَبُه شَعُوبٌ[١] وإن أَثْرَى وإن لاقَى فَلاحَا

أى : نجاحًا بحاجتِهِ وبقاءً .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى مَن عُنِى بهذه الآيةِ ، وفى مَن نزَلت ؛ فكان ابنُ عباسٍ يقولُ كما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مَوْلَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . أَىْ : بما أُنْزِل إليك مِن ربِّك ، وإنْ قالوا : إنَّا قد آمنَّا بما[٢] جاءَنا مِن قَبْلِك[٣] .

فكان ابنُ عباسٍ يَرى أنَّ هذه الآيةَ نزَلت فى اليهودِ الذين كانوا بنواحِى المدينةِ على عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ توبيخًا لهم فى جُحودِهم نبوَّةَ محمدٍ ﷺ ، وتكذيبِهم به ، مع علمِهم به ومعرفتِهم بأنه رسولُ اللَّهِ إليهم وإلى الناسِ كافَّةً .

١٠٩/١ /وقد **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مَوْلَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ صدرَ سورةِ البقرةِ إلى المائةِ منها نزَل فى رجالٍ سمَّاهم بأعيانِهم وأنسابِهم مِن أحبارِ يهودَ ، ومِن المنافقين مِن الأوسِ والخزرَجِ[٤] . كرِهنا تطويلَ الكتابِ بذكرِ أسمائِهم .

---

(١) الشعوب : المنية . القاموس المحيط (ش ع ب) .

(٢) بعده فى م : « قد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٠/١ (٩٢) من طريق سلمة به .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١، ٥٣١ . وسيأتى تمامه فى ص ٢٧٢، ٢٧٥ .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ ذلك قولٌ آخرُ ، وهو ما حدَّثنى به المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، (١) قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ (١) ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَحْرِصُ على أنْ يؤمنَ جميعُ الناسِ ويتابعوه على الهُدَى ، فأخْبَره اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه أنَّه لا يؤمنُ إلَّا مَن سبَق له مِن اللَّهِ السعادةُ فى الذِّكْرِ الأولِ ، ولا يَضِلُّ إلَّا مَن سَبق له مِن اللَّهِ الشقاءُ [١/ ٣٠و] فى الذِّكْرِ الأولِ (٢) .

وقال آخرون بما حُدِّثْتُ به عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، قال : آيتان فى قادةِ الأحزابِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال : وهم الذين ذكَرهم اللَّهُ فى هذه الآيةِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩] . قال : فهم الذين قُتِلوا يومَ بدرٍ (٣) .

وأَوْلَى هذه التأويلاتِ بالآيةِ تأويلُ ابنِ عباسٍ الذى ذكَره محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عنه ، وإن كان لكلِّ قولٍ مما قاله الذين

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٨٤، ١٣٧١، ١٣٨٥ (٧٢٥٠، ٧٧٨٥، ٧٨٧٥)، والطبرانى فى الكبير (١٣٠٢٥)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٣٩) من طريق عبد الله بن صالح به . وعند البيهقى مطولا بذكر آيات أخر .

(٣) سيأتى تمامه فى ص ٢٧٧ من طريق آخر عن ابن أبى جعفر به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٠ (٩٣) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية . وكذلك ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٧٠ عن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٩ إلى ابن المنذر عن أبى العالية مطولا .

ذكَرنا قولَهم فى ذلك مَذْهبٌ .

فأمَّا مَذْهبُ مَن تأوَّل فى ذلك ماقاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ ، فهو أنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُه لما أخْبَر عن قومٍ من أهلِ الكفرِ بأنهم لايؤمنون ، وأنَّ الإنذارَ غيرُ نافعِهم ، ثم كان مِن الكفارِ مَن قد نفَعه اللَّهُ بإنذارِ النبىِّ ﷺ إيَّاه ؛ لإيمانِه باللَّهِ وبالنبىِّ ﷺ وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ بعدَ نزولِ هذه السورةِ ، لم يَجُزْ أن تكونَ الآيةُ نزَلَت إلَّا فى خاصٍّ مِن الكفارِ ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت قادةُ الأحزابِ لا شكَّ أنهم ممن لم يَنْفَعْه اللَّهُ عزَّ وجلَّ بإنذارِ النبىِّ ﷺ إيَّاه ، حتى قتَلهم اللَّهُ تبارَك وتعالَى بأيدى المؤمنين يومَ بدرٍ ، عُلِم أنهم ممن عَنى اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه بهذه الآيةِ .

وأمَّا عِلَّتُنا فى اختيارِنا ما اخْترنا مِن التأويلِ فى ذلك ، فهى أن قولَ اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . عَقِيبَ خبرِ اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه عن مؤمنى أهلِ الكتابِ ، وعَقِيبَ نعتِهم وصفتِهم ، وثنائِه عليهم بإيمانِهم به ، وبكتبِه ورسلِه ، فأَوْلَى الأمورِ بحكمةِ اللَّهِ أن يُتْلِىَ ذلك الخبرَ عن كُفَّارِهم ونعوتِهم ، وذمَّ أسبابِهم وأحوالِهم ، وإظهارَ شتمِهم ، والبراءةَ منهم ؛ لأنَّ مؤمنيهم ومشركيهم وإن اخْتَلَفت أحوالُهم باختلافِ أديانِهم ، فإنَّ الجنسَ يَجْمَعُ جميعَهم بأنهم بنو إسرائيلَ .

وإنما احتجَّ اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه بأولِ هذه السورةِ لنبيِّه ﷺ على مشركى اليهودِ مِن أحبارِ بنى إسرائيلَ الذين كانوا مع علمِهم بنبوَّتِه مُنْكِرين نبوَّتَه ، بإظهارِ نبيِّه ﷺ
١/١١٠ على ما كانت/ تُسِرُّه الأحبارُ[1] منهم وتَكْتُمُه ، فيَجْهَلُه عُظْمُ اليهودِ وتَعْلَمُه الأحبارُ منهم ؛ ليَعْلَموا أن الذى أطْلَعه على علمِ ذلك هو الذى أَنْزَل الكتابَ على موسى عليه

(١) فى ر ، ت ٢ : « الأخبار » .

السلامُ ؛ إذ كان ذلك مِن الأمورِ التي لم يكنْ محمدٌ ﷺ ولا قومُه ولا عشيرتُه يَعْلَمونه ، ولا يَعْرِفونه مِن قبلِ نزولِ الفرقانِ على محمدٍ ﷺ ، فيُمْكِنَهم ادعاءُ اللَّبْسِ في أمرِه ﷺ أنَّه نبيٌّ ، وأن ما جاء به فمِن عندِ اللَّهِ . وأنَّى يُمْكِنُهم ادعاءُ اللَّبْسِ في صدقِ أُمِّيٍّ نشَأ بيْن أُمِّيِّين ، لا يَكْتُبُ ، ولا يَقْرأُ ، ولا يَحْسُبُ ، فيقال : قرَأ الكتبَ فعلِم . أو : حسَب فنَجَّم ؟ (١) انْبعث على أحبارٍ قَرَأَةٍ كَتَبَةٍ (١) ، قد درَسوا الكتبَ ، ورأَسوا الأممَ ، يُخْبِرُهم عن مستورِ عيوبِهم ، ومَصونِ علومِهم ، ومكتومِ أخبارِهم ، وخَفِيّاتِ أمورِهم التي جهِلها مَن هو دونَهم مِن أحبارِهم . إن أمْرَ مَن كان كذلك لغيرُ مُشْكِلٍ ، وإنَّ صِدقَه ، والحمدُ للَّهِ ، لَبيِّنٌ .

ومما يُنْبِئُ عن صحَّةِ ما قلنا - من أنَّ الذين عَنى اللَّهُ تعالى ذِكْرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ . هم أحبارُ اليهودِ الذين قُتِلوا على الكفرِ وماتوا عليه - اقتصاصُ اللَّهِ تعالى ذِكْرُه نبأَهم ، وتذكيرُه[٢] إيَّاهم ما أخَذ عليهم مِن العهودِ والمواثيقِ في أمرِ محمدٍ ﷺ بعدَ اقتصاصِه تعالى ذِكْرُه ما اقْتَصَّ مِن أمرِ المنافقين ، واعتراضِه بينَ[٣] ذلك بما[٤] اعْتَرَض به مِن الخبرِ عن إبليسَ وآدمَ في قولِه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة : ٤٠] الآيات . واحتجاجُه لنبيِّه عليهم (٥) بما احْتَجَّ به عليهم (٥) فيها عندَ[٦] جُحودِهم نبوَّتَه . فإذ كان الخبرُ أولًا عن مؤمني أهلِ الكتابِ ،

(١ - ١) في م : « وانبعث على أخبار قراء كتب » .

(٢) في ر : « بذكره » .

(٣) في ص : « من » .

(٤) في ص : « لما » .

(٥ - ٥) سقط من : ر .

(٦) في ص ، م : « بعد » .

وآخرًا عن مشركيهم ، فأَوْلَى أن يكونَ وَسَطًا عنهم ، [1] إذ كان الكلامُ بعضُه لبعضٍ تَبَعٌ ، إلا أنْ تأْتىَ [2][1] دَلالةٌ واضحةٌ بعدولِ بعضِ ذلك عما ابْتَدَأ به مِن معانيه ، فيكونَ معروفًا حينَئذٍ انصرافُه عنه .

وأما معنى الكفرِ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . فإنه الجُحودُ ، وذلك أن الأحبارَ مِن يهودِ المدينةِ جحَدوا نبوَّةَ محمدٍ ﷺ ، وستَروه عن الناسِ ، وكتَموا أمرَه ، وهم يَعْرِفونه كما يَعْرِفون أبناءَهم .

وأصلُ الكفرِ عندَ العربِ تغطيةُ الشىءِ ، ولذلك سَمَّوُا الليلَ كافرًا ؛ لتغطيةِ ظُلْمتِه ما لبِستَه ، كما قال الشاعرُ [3] :

فتَذَكَّرَا ثَقَلًا [4] رَثِيدًا [5] بَعْدَما   أَلْقَتْ ذُكاءُ [6] يَمِينَها فى كافِرِ

وكما قال لَبِيدُ بنُ ربيعةَ [7] :

* فى لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمامُها *

يعنى : غطَّاها .

فكذلك الأحبارُ مِن اليهودِ ، غطَّوا أمرَ محمدٍ ﷺ وكتَموه الناسَ ، مع علمِهم بنبوَّتِه ووجودِهم صفتَه فى كتبِهم ، فقال اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) فى م : « تأتيهم » .
(٣) هو ابن صعير المازنى ، كما فى المفضليات ص ١٣٠ .
(٤) الثقل : بيض النعام المصون . اللسان (ث ق ل) .
(٥) الطعام الرثيد : المنَضَّد بعضه فوق بعض ، أو بعضه إلى جنب بعض . ينظر اللسان (ر ث د) .
(٦) الذُّكاء : اسم للشمس . اللسان (ذ ك و) .
(٧) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٩ .

﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] . وهم الذين أنزَل اللَّهُ عزَّ وجَلَّ فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ .

١١١/١ / وتأويلُ ﴿ سَوَآءٌ ﴾ : معتدلٌ . مأخوذٌ مِن التَّساوى ، كقولِك : مُتساوٍ هذان الأمران عندِى ، وهما عندى سواءٌ . أى : هما متعادلان عندى . ومنه قولُ اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] . يعنى بذلك[(١)] : أعْلِمْهم وآذِنْهم بالحربِ ، حتى يَستوىَ [(٢)] علمُك وعلمُهم [(٢)] بما عليه كلُّ فريقٍ منهم للفريقِ الآخرِ . فكذلك قولُه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ : معتدلٌ عندهم أىُّ الأمرين كان منك إليهم ، الإنذارُ أم تركُ الإنذارِ ؛ لأنهم [١/٣٠ظ] لا يؤْمِنون ، وقد خَتَمْتُ على قلوبِهم وسمعِهم . ومِن ذلك قولُ عبدِ اللَّهِ[(٣)] بنِ قيسِ الرُّقَيَّاتِ[(٤)] :

تقدَّت[(٥)] بِىَ الشَّهْباءُ[(٦)] نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ   سَوَاءٌ عَلَيْها لَيْلُها ونَهارُها

يعنى بذلك : معتدلٌ عندَها فى السيرِ الليلُ والنهارُ ؛ لأنه لا فُتورَ فيه . ومنه قولُ الآخرِ[(٧)] :

(١) زيادة من : ر .

(٢ - ٢) فى ص : « عليك وعليهم » .

(٣) كذا فى النسخ . وهو مختلف فيه ، والراجح أنه عبيد الله ، وينظر البداية والنهاية ١٧٥/١٢ حاشية (٧) .

(٤) ديوانه ص ٨٢.

(٥) فى م : « تغذُّ » ، وهما بمعنى ، قدى الفرس : أسرع . اللسان (ق د ى) .

(٦) الشهبة فى الخيل : لون بياض ، يصدعه سواد فى خلاله . اللسان (ش هـ ب) .

(٧) البيت للأعشى فى ديوانه ص ٣٧٣. ونسبه ابن الشجرى فى الحماسة ٢/ ٧١٠، ٧٢٨، والنويرى فى نهاية الأرب ١/ ١٤٢، إلى مضرس بن ربعى ، ونسبه المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة ٢٣٣/٢ إلى مضرس بن لقيط ، ونسبه الحصرى فى زهر الآداب ٧٥١/٢ إلى ابن محكان السعدى .

وَلَيْلٍ يقولُ المرْءُ مِن ظُلُماتِه سَواءٌ صَحِيحاتُ[١] العُيُونِ وعُورُها

لأن الصحيحَ لا يُبْصِرُ فيه إلا بَصَرًا ضعيفًا مِن ظُلْمتِه .

وأمَّا قولُه : ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه ظهَر به الكلامُ ظهورَ الاستفهامِ وهو خبرٌ ؛ لأنه وقَع مَوْقِعَ « أيّ » ، كما تقولُ : ما نُبالى أقُمْتَ أم قَعَدْتَ . وأنت مخبرٌ لا مستفهمٌ ؛ لوقوعِ ذلك موقعَ « أَيّ » ، وذلك أن معناه إذا قلتَ ذلك : ما نبالى أيَّ هذين كان منك . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ . لما كان معنى الكلامِ : سواءٌ عليهم أىُّ هذين كان منك إليهم . حسُن فى موضعِه مع ﴿ سَوَآءٌ ﴾ : أفعَلْتَ أم لم تَفْعَلْ .

وقد كان بعضُ نحوِيِّى أهلِ البصرةِ يَزْعُمُ أن حرفَ الاستفهامِ إنما دخَل مع ﴿ سَوَآءٌ ﴾ وليس باستفهامٍ ؛ لأن المُستَفهِمَ إذا اسْتَفْهَم غيرَه فقال : أزيدٌ عندَك أَمْ[٢] عمرٌو ؟ مستثبِتٌ صاحبَه أيُّهما عندَه ، فليس أحدُهما أحقَّ بالاستفهامِ مِن الآخرِ . فلما كان قولُه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ . بمعنى التسويةِ ، أشْبَهَ ذلك الاستفهامَ ، إذ أشْبَهه فى التسويةِ . وقد بيَّنَّا الصوابَ فى ذلك .

فتأويلُ الكلامِ إذن : معتدلٌ يا محمدُ على هؤلاء الذين جحَدوا نبوَّتَك مِن أحبارِ يهودِ المدينةِ بعدَ علمِهم بها ، وكتَموا بيانَ أمرِك للناسِ بأنك رسولى إلى خلقى ، وقد أخذتُ عليهم العهدَ والميثاقَ ألا يَكْتُموا ذلك ، وأن يبيِّنوه للناسِ ، ويُخْبِروهم أنهم يجِدون صفتَك فى كتبِهم - أأَنْذَرتَهم أم لم تُنْذِرْهم فإنهم لا يؤمنون ، ولا يَرْجِعون إلى الحقِّ ، ولا يُصَدِّقون بك وبما جئتَهم به .

---

(١) فى ديوان الأعشى : « بصيرات » .

(٢) فى ص : « أو » .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مَوْلَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : أى أنهم قد كفَروا بما عندَهم[1] مِن ذِكْرٍ ، وجحَدوا ما أُخِذ عليهم مِن الميثاقِ لك ، فقد كفَروا بما جاءك ، وبما عندَهم مما جاءهم به غيرُك ، فكيف يَسْمَعون منك إنذارًا وتحذيرًا وقد كفَروا بما عندَهم مِن علمِك[2] ؟

/ القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجلَّ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . ١١٢/١

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ الختمِ الطَّبْعُ . والخاتَمُ هو الطَّابَعُ . يقالُ منه : خَتَمْتُ الكتابَ . إذا طَبَعْتَه .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف يَخْتِمُ على القلوبِ ، وإنما الختمُ طبعٌ على الأوعيةِ والظروفِ والغُلُفِ[3] ؟

قيل : فإن قلوبَ العبادِ أوعيةٌ لما أُودِعت مِن العلومِ ، وظروفٌ لما جُعِل فيها مِن المعارفِ بالأمورِ[4] . فمعنى الختمِ عليها وعلى الأسماعِ التى بها تُدْرَكُ المسموعاتُ ، ومِن قِبَلِها يُوصَلُ إلى معرفةِ حقائقِ الأنباءِ عن المغيَّباتِ - نظيرُ معنى الختمِ على سائرِ الأوعيةِ والظروفِ .

فإن قال : فهل لذلك مِن صفةٍ تصِفُها لنا فنفهَمَها أهى مثلُ الختمِ الذى يُعْرَفُ[5]

---

(١) بعده فى م : « من العلم » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٥٨ .

(٣) الغلف جمع الغلاف : وهو الصوان وما اشتمل على الشىء . اللسان (غ ل ف) .

(٤) فى ص : « بالعلوم » .

(٥) فى ر : « نعرف » .

لما ظهَر للأبصارِ ، أم هى بخلافِ ذلك ؟

قيل : **قد اختَلَف أهلُ التأويلِ** فى صفةِ ذلك ، وسنُخْبِرُ بصفتِه بعدَ ذكرِنا قولَهم ؛ **فحدَّثنى** عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْليُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، قال : أرانا مجاهدٌ بيدِه ، فقال : كانوا يُرَوْن أن القلبَ فى مثلِ هذا - يعنى الكفَّ - فإذا أذْنَب العبدُ ذنبًا ضُمَّ منه - وقال بإصْبَعِه الخِنْصَرِ هكذا - فإذا أذْنَب ضُمَّ - وقال بإصْبَعٍ أخرى - فإذا أذنَب ضُمَّ - وقال بإصبَعٍ أخرى هكذا - حتى ضَمَّ أصابعَه كلَّها . قال : ثم يُطْبَعُ عليه بطابَعٍ . قال مجاهدٌ : وكانوا يُرَوْن أن ذلك الرَّيْنُ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ، قال : القلبُ مثلُ الكفِّ ، فإذا أذْنَب ذنبًا قبَض إصْبَعًا حتى يَقْبِضَ أصابعَه كلَّها ، وكان أصحابُنا يُرَوْن أنه الرانُ .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : نُبِّئت أن الذنوبَ على القلبِ تَحُفُّ به مِن نواحيه حتى تلتقىَ عليه ، فالتقاؤُها عليه الطبعُ ، والطبعُ الختمُ . قال ابنُ جُريجٍ : الختمُ ، الختمُ على القلبِ والسمعِ [1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ كَثيرٍ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ : الرانُ أيسرُ مِن الطبعِ ، والطبعُ أيسرُ مِن الأقفالِ ، والأقفالُ أشدُّ ذلك كلِّه [2] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤١/١ (٩٩) من طريق حجاج به .

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب (٧٢١٠) من طريق حجاج به .

وقال بعضُهم: إنما معنى قولِه: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾. إخبـارٌ مِن اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه عن تكبرِهم وإعراضِهم عن الاستماعِ لِما دُعوا إليه مِن الحقِّ، كما يقالُ: إن فلانًا لأصمُّ عن هذا الكلامِ. إذا امْتَنَع مِن سماعِه، ورفَع نفسَه عن تفهُّمِه تكبرًا.

والحقُّ في ذلك عندى ماصحَّ بنظيرِه الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بَشارٍ، قال: حدثَّنا صفوانُ بنُ عيسى، قال: حدَّثنا ابنُ عَجْلانَ، عن القَعْقاعِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ إذا أذْنَب ذَنْبًا كانت نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قلبِه، فإنْ تاب ونزَع واسْتَغفر صُقِل[1] قلبُه، فإنْ زاد زادت حتى تُغْلِقَ[2] قلبَه، فذلك الرَّانُ الـذى قال اللَّهُ جَلَّ ثَناؤُه: ﴿ كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ / يَكْسِبُونَ ﴾» [المطففين: ١٤]. ١١٣/١

فأخبَر ﷺ أن الذنوبَ إذا تَتابعت على القلوبِ أغْلَقَتْها[3]، و إذا أغْلَقَتْها[3] أتاها حينئذٍ الختمُ مِن قِبَلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ والطبعُ، فلا يكونُ للإيمانِ إليها مسلكٌ، ولا للكفرِ منها مَخْلَصٌ، فذلك هو الطبعُ. والختمُ الذى ذكَره اللَّهُ تبارك وتعالى في قولِه: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾. نظيرُ الطبعِ والختمِ على ما تُدْرِكه الأبصارُ مِن الأوعيةِ والظروفِ التى لا يُوصلُ إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثم حَلِّها، فكذلك لا يصلُ الإيمانُ [١/ ٣١و] إلى قلوبِ مَن وصَف اللَّهُ أنه ختَم على قلوبِهم إلا بعدَ فضِّه خاتَمَه، وحَلِّه رِباطَه عنها.

ويقالُ لقائلى القولِ الثانى، الزاعِمين أن معنى قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) سقط من: ت ٢، وفي ص، ر: «صقلت».
(٢) في ص: «يغلق»، وفي م: «يغلف».
(٣) في م: «أغلفتها».

قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . هو وصفُهم بالاستكبارِ والإعراضِ عن الذى دُعوا إليه مِن الإقرارِ بالحقِّ تكبُّرًا : أخْبِرونا عن استكبارِ الذين وصَفهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بهذه الصفةِ ، وإعراضِهم عن الإقرارِ بما دُعوا إليه مِن الإيمانِ وسائرِ المعانى اللواحقِ به ، أفعلٌ منهم أم فعلٌ مِن اللَّهِ جلّ ثناؤُه بهم[١] ؟

فإن زعَموا أن ذلك فعلٌ منهم - وذلك قولُهم - قيل لهم : فإن اللَّهَ جلّ وعزّ قد أخْبَر أنه هو الذى ختَم على قلوبِهم وسمعِهم ، وكيف يجوزُ أن يكونَ إعراضُ الكافرِ عن الإيمانِ ، وتكبُّرُه عن الإقرارِ به ، وهو فعلُه عندَكم ، ختمًا مِن اللَّهِ على قلبِه وسمعِه ، وختمُه على قلبِه وسمعِه فعلُ اللَّهِ[٢] جَل ذكرُه دونَ فعلِ الكافرِ . فإن زعَموا أن ذلك جاز[٣] أن يكونَ كذلك لأن تكبُّرَه وإعراضَه كانا عن ختمِ اللَّهِ على قلبِه وسمعِه ، فلما كان الختمُ سببًا لذلك جاز أن يُسَمَّى مسبَّبُه به - ترَكوا قولَهم ، وأوْجَبوا أن الختمَ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه على قلوبِ الكفارِ وأسماعِهم معنًى غيرُ كفرِ الكافرِ ، وغيرُ تكبُّرِه وإعراضِه عن قَبولِ الإيمانِ والإقرارِ به ، وذلك الدخولُ[٤] فيما أنْكَروه .

وهذه الآيةُ مِن أوضحِ الدليلِ[٥] على فسادِ قولِ المنكرين تكليفَ ما لا يُطاقُ إلا بمعونةِ اللَّهِ جلَّ ذكرُه ؛ لأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وعز أخبَر أنه ختَم على قلوبِ صِنْفٍ مِن كفارِ عبادِه وأسماعِهم ، ثم لم يُسْقِطِ التكليفَ عنهم ، ولم يَضَعْ عن أحدٍ منهم فرائضَه ، ولم يُعْذِرْه فى شىءٍ مما كان منه مِن خلافِ طاعتِه بسببِ ما فعَل به مِن الختمِ

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى ص : « لله » .

(٣) فى ص ، م : « جائز » .

(٤) فى م : « دخول » .

(٥) فى ر ، م : « الدلالة » .

والطبعِ على قلبِه وسمعِه ، بل أخْبَرَ أن لجميعِهم منه عذابًا عظيمًا على تركِهم طاعتَه فيما أمَرهم به ونهاهم عنه من حدودِه وفرائضِه ، مع حَتْمِه القضاءَ عليهم مع ذلك أنهم[1] لا يؤمنون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقولُه : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ بعدَ تمامِ الخبرِ عمَّا ختَم اللَّهُ عليه مِن جوارحِ الكفارِ الذين مَضَت قصصُهم ، وذلك أَنَّ ﴿ غِشَـٰوَةٌ ﴾ مرفوعةٌ بقولِه : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ . فذلك دليلٌ على أنه خبرٌ مبتدأٌ ، وأن قولَه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ . قد تناهَى عندَ قولِه : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . وذلك هو القراءةُ الصحيحةُ عندَنا لمعْنَيين :

أحدُهما : اتفاقُ الحُجَّةِ مِن القرأَةِ والعلماءِ على الشهادةِ بتصحيحِها ، وانفرادُ المخالفِ لهم فى ذلك ، وشذوذُه عمَّا هم على تَخطئتِه مجمِعون ، وكفَى بإجماعِ الحُجَّةِ على تَخطئةِ قراءةٍ[2] شاهدًا على خطئِها .

والثانى : أن الختمَ غيرُ موصوفةٍ به العيونُ فى شىءٍ مِن كتابِ اللَّهِ[3] ، ولا فى خبرٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا موجودٍ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ ، وقد قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه فى سورةٍ أُخْرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ / سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ [الجاثية : ٢٣] . فلم يُدْخِلِ البَصَرَ فى معنى الختمِ ، وذلك هو المعروفُ فى[4] كلامِ العربِ ، فلم يَجُزْ لنا ولا لأحدٍ مِن الناسِ القراءةُ بنصبِ الغِشاوةِ[5] ؛ لِما وصفتُ ١١٤/١

(١) فى م : « بأنهم » .

(٢) فى م : « قراءته » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) فى ص : « من » .

(٥) وبنصب الغشاوة قرأ المفضل عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٣٨، ١٣٩ .

مِن العِلَّتين اللتين ذكَرْتُ ، وإن كان لنصبِها مَخْرَجٌ معروفٌ فى العربيةِ .

وبما قلنا فى ذلك من القولِ والتأويلِ رُوى الخبَرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى الحسينُ بنُ الحسنِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ : والغِشاوةُ على أبصارِهم [(١)] .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ مَخْرَجِ النَّصْبِ فيها ؟

قيل له : [(٢)] أن تَنْصِبَها [(٢)] بإضمارِ « جعَل » ، كأنه قال : وجعَل على أبصارِهم غشاوةً . ثم أسْقَط « جعَل » ، إذ كان فى أولِ الكلامِ ما يدلُّ عليه . وقد يَحْتَمِلُ نصبُها على إتباعِها موضعَ السمعِ ، إذ كان مَوْضِعُه نصبًا ، وإن لم يكنْ حسَنًا إعادةُ العاملِ فيه على ﴿ غِشاوةٌ ﴾ ولكنْ على إتباعِ الكلامِ بعضِه بعضًا ، كما قال : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ . ثم قال : (وفاكهةٍ مما يتخيرون * ولحمِ طيرٍ مما يشتهون * [(٣)] وَحُورٍ عِينٍ [(٣)]) [الواقعة : ١٧ - ٢٢] . فخفَض اللحمَ والحورَ العينَ [(٤)] على العطفِ به على الفاكهةِ ؛ إتباعًا لآخرِ الكلامِ أوَّلَه . ومعلومٌ أن اللحمَ لا يُطافُ به ولا بالحورِ العينِ [(٤)] ، ولكن ذلك [(٥)] كما قال الشاعرُ يصفُ فرسَه [(٦)] :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤١/١ (١٠٠) عن محمد بن سعد به .

(٢ - ٢) فى ر ، ت ٢: « أن ينصبها » ، وفى م : « أن نصبها » .

(٣ - ٣) ضبطهما فى النسخة : « ر » بالرفع وبالخفض ، والخفض شاهد المصنف ، وهو قراءة حمزة والكسائى ، ورواية المفضل عن عاصم ، وقرأ الباقون بالرفع . السبعة لابن مجاهد ص ٦٢٢.

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) سقط من : ص .

(٦) معانى القرآن للفراء ١٤/١ وقال : أنشدنى بعض بنى أسد يصف فرسه . وفى الخزانة ٣/ ١٣٩، ١٤٠: ولا يعرف قائله ، ورأيت فى حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذى الرمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده فيه .

عَلَفْتُها تِبْنًا وَماءً بارِدًا حتَّى شَتَتْ[(١)] هَمَّالَةً[(٢)] عَيْناها

ومعلومٌ أن الماءَ يُشْرَبُ ولا يُعْلَفُ[(٣)]، ولكنه نصَب ذلك على ما وصفتُ قبلُ .

وكما قال الآخرُ[(٤)] :

ورأيْتُ زَوْجَك فى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحا

وكان ابنُ جُريجٍ يقولُ فى انتهاءِ الخبرِ عن الختمِ إلى قولِه : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ وابتداءِ الخبرِ بعدَه - بمثلِ الذى قلنا فيه ، ويتأوَّلُ فيه مِن كتابِ اللَّهِ : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشورى : ٢٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، قال : الختمُ على القلبِ والسمعِ ، والغشاوةُ على البصرِ ، قال اللَّهُ تعالى ذِكْرُه : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . وقال : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[(٥)] .

والغشاوةُ فى كلامِ العربِ الغطاءُ ، ومنه قولُ الحارثِ بنِ خالدِ بنِ العاصِ[(٦)] :

تَبِعْتُكَ[(٧)] إذْ عَيْنى عليها غِشاوَةٌ فلمَّا انْجلتْ قَطَّعْتُ نَفْسِى أُلومُها

---

(١) شتا بالمكان : إذا أقام به شتاء . اللسان (ش ت و) .

(٢) هملت العين : فاضت وسالت . اللسان (هـ م ل) .

(٣) بعده فى م : « به » .

(٤) تقدم فى ص ١٤٠ .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧١/١ عن المصنف .

(٦) شعر الحارث بن خالد ص ١٠١.

(٧) فى شعر الحارث : « صحبتك » .

ومنه يقالُ : تغشَّانى[(١)] الهمُّ . إذا تجلَّله وركِبه . ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(٢)] :

هَلَّا سألْتِ بَنِى ذُبْيانَ ما حَسَبى إذَا الدُّخَانُ تَغشَّى الأَشْمَطَ البَرَما[(٣)]

يعنى بذلك[(٤)] : تجلَّله وخالَطه .

وإنما أخبَر اللَّهُ تعالى ذِكْرُه نبيَّه ﷺ عن الذين [١/٣١ظ] كفَروا به مِن أحبارِ اليهودِ ، أنه قد ختَم على قلوبِهم وطبَع عليها ، فلا يَعْقِلون للَّهِ موعظةً وعظَهم بها ،
١/١١٥ فيما آتاهم مِن علمِ / ما عندَهم مِن كتبِه ، وفيما حدَّد فى كتابِه الذى أوْحاه وأنْزَله إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، وعلى سمعِهم ، فلا يَسْمَعون مِن محمدٍ نبىِّ اللَّهِ ﷺ تحذيرًا ولا تذكيرًا ، ولا حُجةً أقامها عليهم بنبوَّتِه ، فيتذكَّروا ويحذَروا عقابَ اللَّهِ فى تكذيبِهم إيَّاه ، مع علمِهم بصدقِه وصحَّةِ أمرِه . وأعْلَمه مع ذلك أن على أبصارِهم غِشاوةً عن[(٥)] أن يُبْصِروا سبيلَ الهُدَى ، فيَعْلَموا قَبيحَ[(٦)] ما هم عليه من الضلالةِ والرَّدَى .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن جماعةٍ مِن أهلِ التأويلِ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بن جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ . أى : عن الهُدَى أن يُصيبوه أبدًا[(٧)] بغيرِ ما[(٧)] كذَّبوك به مِن الحقِّ الذى جاءك مِن ربِّك ، حتى يؤمنوا

(١) فى م : « تغشاه » .
(٢) ديوانه ص ١٠٦.
(٣) البرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . اللسان (ب ر م) .
(٤) بعده فى م : « إذا » .
(٥) فى ص : « من » .
(٦) فى ص ، م : « قبح » .
(٧ - ٧) فى سيرة ابن هشام : « يعنى بما » .

به ، وإن آمنوا بكلِّ ما كان قبلَك[(١)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ ﴾ . يقولُ : فلا يَعْقِلون ولا يَسْمَعون . ويقولُ : وجعَل على أبصارِهم غِشاوةً . يقولُ : على أعينِهم فلا يُبْصِرون[(٢)] .

وأما آخرون ، فإنهم كانوا يتأوَّلون أنَّ الذين أخْبَر اللَّهُ عنهم مِن الكفارِ أنه فعَل ذلك بهم هم قادةُ الأحزابِ الذين قُتِلوا يومَ بدرٍ .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : هاتان الآيتان إلى قولِه[(٣)] : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هم ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . وهم الذين قُتِلوا يومَ بدرٍ ، فلم يَدْخُلْ مِن القادةِ أحدٌ فى الإسلامِ إلا رجلان ؛ أبو سفيانَ ، والحكَمُ بنُ أبى العاصِ[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤١/١(٩٤) من طريق سلمة به ، وتقدم طرف منه فى ص ٢٥٨، وسيأتى تمامه فى ص ٢٧٤.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧١/١ عن السدى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤١، ٤٢ (٩٥، ١٠١) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وينظر تفسير الثورى ص ٤١.

(٣) زيادة من : ر .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٩ من طريق آخر عن ابن أبى جعفر به .

ابنِ أنسٍ ، عن الحسنِ ، قال : أما القادةُ فليس فيهم نجيبٌ[١] ، ولا ناجٍ ، ولا مهتدٍ .

وقد دلَّلنا فيما مضَى على أَوْلى هذين التأويلين بالصوابِ فكرِهنا إعادتَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ .

وتأويلُ ذلك عندى كما قاله ابنُ عباسٍ وتأوَّله .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ،عن ابنِ عباسٍ : ولهم بما هم عليه مِن خلافِك عذابٌ عظيمٌ . قال : فهذا فى الأحبارِ مِن يهودَ فيما كذَّبوك به مِن الحقِّ الذى جاءك مِن ربِّك بعدَ معرفتِهم[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ .

١١٦/١ / **قال أبو جعفرٍ :** أما قولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنَّ فى[٣] ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ وجهين ؛ **أحدُهما :** أن يكونَ جمعًا لا واحدَ له مِن لفظِه ، وإنما واحدُهم[٤] إنسانٌ وواحدتُهم[٥] إنسانةٌ . **والوجهُ الآخرُ :** أن يكونَ أصلُه « أُناسٌ » ، أُسْقِطت[٦] الهمزةُ منها لكثرةِ الكلامِ بها ، ثم[٧] دَخَلَتها الألفُ واللامُ المعرِّفتان ، فأُدْغِمت[٨] اللامُ التى دخلت مع

---

(١) فى م : « مجيب » .

(٢) تقدم طرف منه فى ص ٢٧٢.

(٣) فى ر : « من » .

(٤) فى م : « واحده » .

(٥) فى م : « واحدته » .

(٦) فى ص : « وأسقطت » .

(٧) فى ص ، ر ، ت ٢: « إذ » .

(٨) فى ر ، ت ٢: « فاندغمت » .

الألـفِ فيها للتعريفِ فى النونِ ، كما قيل فى[(١)] : ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف : ٣٨] . على ما قد بيَّنّا فى اسمِ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ[(٢)] .

وقد زعَم بعضُهم أنَّ « الناسَ » لغةٌ غيرُ « أُناسٍ » ، وأنه سمِع العربَ تُصَغِّرُه « نُوَيْسٌ » مِن الناسِ ، وأن الأصلَ لو كان « أُناسٌ » لقيل فى التصغيرِ : « أُنَيْسٌ » . فرُدَّ إلى أصلِه .

قال أبو جعفرٍ : وأجْمَع جميعُ أهلِ التأويلِ على أن هذه الآيةَ نزَلَت فى قومٍ مِن أهلِ النفاقِ ، وأن هذه الصفةَ صفتُهم .

ذِكرُ بعضِ[(٣)] مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ بأسمائِهم

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ : يعنى المنافقين مِن الأوْسِ والخزْرَجِ ومَن كان على أمرِهم[(٤)] .

وقد سُمِّى فى حديثِ ابنِ عباسٍ هذا أسماؤُهم[(٥)] ، غيرَ أنى ترَكْتُ تسميتَهم كراهةَ إطالةِ الكتابِ بذكرِهم .

حدَّثنا الحسنُ[(٦)] بنُ يحيى ، قال : أنبأنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أنبأنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ

---

(١) زيادة من : م .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ١٢٤.

(٣) سقط من : ص .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٢/١ (١٠٤) من طريق سلمة به .

(٥) بعده فى م : « عن أبى بن كعب » .

(٦) فى م ، ت ٢: « الحسين » .

فى قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . حتى بلَغ : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ . قال : هذه فى المنافقين[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : هذه الآيةُ إلى ثلاث عَشْرةَ فى نعتِ المنافقين[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن[(٤)] ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ : هم المنافقون[(٥)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ابنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ إلى :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٠ (١٥٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٥.

(٣) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٣ من طريق أبى حذيفة ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح به .

(٤) فى م : « وعن » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٩ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٢ عقب الأثر (١٠٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ النفاقِ[(١)] .

حدَّثنا [١/ ٣٢و] القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ فى قولِه : ﴿ وَمِنَ / ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ١١٧/١
قال : هذا المنافقُ ، يخالفُ قولُه فعلَه ، وسرُّه علانيتَه ، ومَدْخَلُه مَخْرَجَه ، ومَشْهَدُه مَغيبَه[(٢)] .

وتأويلُ ذلك أن اللَّهَ تبارَكَ وتعالى لما جمَع لرسولِه محمدٍ ﷺ أمرَه فى دارِ هجرتِه ، واسْتَقرَّ بها قرارُه ، وأظْهَر اللَّهُ بها كلِمتَه ، وفشا فى دُورِ أهلِها الإسلامُ ، وقهَر بها المسلمون مَن فيها مِن أهلِ الشركِ مِن عَبَدةِ الأوْثانِ ، وذلَّ بها مَن فيها مِن أهلِ الكتابِ - أظْهَر أحبارُ يهودِها لرسولِ اللَّهِ ﷺ الضَّغائنَ ، وأبْدَوا له العداوةَ والشنآنَ[(٣)] ، حسدًا وبَغيًا ، إلا نفرًا منهم هداهم اللَّهُ للإسلامِ فأسْلَموا ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] . وطابَقهم سرًّا على معاداةِ النبىِّ ﷺ وأصحابِه وبغيِهم الغوائلَ[(٤)] - قومٌ مِن أراهطِ[(٥)] الأنصارِ الذين آوَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ونصَروه ، كانوا[(٦)] قد عَسَوا[(٧)] فى شركِهم وجاهليَّتِهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٢/١ (١٠٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٢/١ عن ابن جريج به .

(٣) فى ص : « الشنار » . والشنآن : البغض . اللسان (ش ن أ) .

(٤) الغوائل : الدواهى . اللسان (غ و ل) .

(٥) الأراهط جمع الرهط : ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة . اللسان (ر هـ ط) .

(٦) فى م : « وكانوا » .

(٧) فى م : « عتوا » .

قد سمُّوا لنا بأسمائِهم ، كرِهنا تطويلَ الكتابِ بذكرِ أسمائِهم وأنسابِهم ، وظاهَروهم على ذلك فى خَفاءٍ غيرِ جِهارٍ ؛ حِذارَ القتلِ على أنفسِهم والسِّباءِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، وركونًا إلى اليهودِ ، لما هم عليه من الشركِ وسوءِ البصيرةِ بالإسلامِ . فكانوا إذا لَقُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ وأهلَ الإيمانِ به مِن أصحابِه ، قالوا لهم حِذارًا على أنفسِهم : إنَّا مؤمنون باللَّهِ وبرسولِه وبالبعثِ . وأعطَوهم بألسنتِهم كلمةَ الحقِّ ليَدْرءوا عن أنفسِهم حكمَ اللَّهِ فى من اعْتَقد ما هم عليه مقيمون من الشركِ ، لو أَظْهروا بألسنتِهم ما هم معتقدوه مِن شركِهم ، وإذا لَقُوا إخوانَهم مِن اليهودِ وأهلِ الشركِ والتكذيبِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، فخَلَوا بهم : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ . فإيَّاهم عَنى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى بقولِه تعالى خبرًا عنهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ : صدَّقنا[1] باللَّهِ .

وقد دلَّلنا على أن معنى الإيمانِ التصديقُ ، فيما مضَى مِن كتابِنا هذا قبلُ[2] .

وقولُه : ﴿ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . يعنى بالبعثِ يومَ القيامةِ ، وإنما سُمِّى يومُ القيامةِ اليومَ الآخرَ ؛ لأنه آخرُ يومٍ ، لا يومَ بعدَه سواه .

فإن قال قائلٌ : وكيف لا يكونُ بعدَه يومٌ ، ولا انقطاعَ للآخرةِ ولا فناءَ ولا زوالَ ؟

قيل : إن اليومَ عندَ العربِ إنما يُسَمَّى يومًا بليلتِه التى قبلَه ، فإذا لم يتقدَّمِ النهارَ ليلٌ لم يُسَمَّ يومًا . فيومُ القيامةِ يومٌ لا ليلَ[3] بعدَه ، سوى الليلةِ التى قامت فى

---

(١) فى م : « وصدقنا » .

(٢) زيادة من : ر . وينظر ما تقدم فى ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) بعده فى ص ، م : « له » .

صبيحتِها القيامةُ ، فذلك اليومُ هو آخرُ الأيامِ ، ولذلك سمَّاه اللَّهُ جلَّ ثناؤُه اليومَ الآخِرَ ، ونعَته بالعُقْمِ[1] ، ووصَفه بأنه يومٌ عقيمٌ[2] ؛ لأنه لا ليلَ بعدَه .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . ونفيُه عنهم جلّ ذكرُه اسمَ الإيمانِ ، وقد أَخْبَرَ عنهم أنهم قد قالوا بألسنتِهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . فإن ذلك مِن اللَّه جلَّ ذكرُه تكذيبٌ لهم فيما أَخْبروا عن اعتقادِهم مِن الإيمانِ بقُلوبِهم[3] ، والإقرارِ بالبعثِ ، وإعلامٌ منه نبيَّه ﷺ أن الذى يُبْدُونه له بأفواهِهم خلافُ ما فى ضمائرِ قلوبِهم ، وضِدُّ ما فى عزائمِ نفوسِهم .

وفى هذه الآيةِ دلالةٌ واضحةٌ على بُطولِ مازعَمَته الجَهْميَّةُ[4] أن الإيمانَ هو التصديقُ بالقولِ دونَ سائرِ المعانى غيرِه ، وقد أَخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ذكرُه عن الذين ذكَرهم / فى كتابه من أهلِ النفاقِ أنهم قالوا بألسنتِهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ١١٨/١ ٱلْآخِرِ ﴾. ثم نفَى عنهم أن يكونوا مؤمنين، إذ كان اعتقادُهم غيرَ مُصدِّقٍ قِيلَهم ذلك.

وقولُه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى : بمصدِّقين بما[5] يَزْعُمون أنهم به مُصدِّقون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وخداعُ المنافقِ ربَّه والمؤمنين إظهارُه بلسانِه مِن القولِ والتصديقِ خلافَ الذى فى قلبِه مِن الشكِّ والتكذيبِ ؛ ليَدْرأَ عن نفسِه بما أظْهَر بلسانِه حكمَ

---

(١) فى ص ، م : « بالعقيم » .

(٢) يشير إلى قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥].

(٣) زيادة من : ر .

(٤) بعده فى ص ، م : « من » .

(٥) فى ر ، م : « فيما » .

اللَّهِ اللازمَ من كان بمثلِ حالِه مِن التكذيبِ ، لو لم يُظْهِرْ بلسانِه ما أظْهَر مِن التصديقِ والإقرارِ - مِن القتلِ والسِّباءِ ، فذلك خِداعُه ربَّه وأهلَ الإيمانِ باللَّهِ .

فإن قال قائلٌ : وكيف يكونُ المنافقُ للَّهِ وللمؤمنين مخادِعًا ، وهو لا يُظْهِرُ بلسانِه خلافَ ما هو له معتقدٌ إلا تَقِيَّةً ؟

قيل : لا تَمْتَنِعُ العربُ[(١)] أن تُسَمِّىَ مَن أعْطَى بلسانِه غيرَ[(٢)] الذى هو فى ضميرِه تَقِيَّةً - لينجوَ مما هو له خائفٌ ، فنجا بذلك مما خافه - مخادِعًا لمن تَخَلَّص منه بالذى أظْهَر له مِن التقِيَّةِ ، فكذلك المنافقُ ، سُمِّى مخادعًا للَّهِ جلّ وعزّ وللمؤمنين ، بإظهارِه ما أظْهَر بلسانِه تَقِيَّةً ، مما تَخَلَّص به مِن القتلِ والسِّباءِ فى[(٣)] العاجلِ ، وهو لغيرِ ما أظْهَر مستبطِنٌ ، وذلك من فعلِه وإن كان خِداعًا للمؤمنين فى عاجلِ الدنيا ، فهو لنفسِه بذلك مِن فعلِه خادعٌ ؛ لأنه يُظْهِرُ لها بفعلِه ذلك بها أنه يُعْطِيها أمنيَّتَها ، ويُسْقِيها كأسَ سرورِها ، وهو[(٤)] مُوردُها به حياضَ عَطَبِها ، ومُجَرِّعُها به كأسَ عذابِها ، ومُذيقُها[(٥)] مِن غضبِ اللَّهِ وأليمِ عقابِه ما لا قِبَلَ لها به ، فذلك خديعتُه نفسَه ، ظَنًّا منه - مع إساءتِه إليها فى أمرِ مَعادِها - أنه إليها مُحْسِنٌ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ[(٦)] إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . إعلامًا منه عبادَه المؤمنين أن المنافقين

---

(١) بعده فى ص : « من » .

(٢) فى ر : « خلاف » .

(٣) فى ص ، م : « والعذاب » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ر : « مزيدها » ، وفى ت ١ : « مريرها » ، وفى ت ٢ : « مزبرها » ، وغير منقوطة فى ص ، وفى تفسير ابن كثير ١/ ٧٤ نقلا عن المصنف : « مزيرها » ، وكذا استصوبها الشيخ شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى .

(٦) فى ص : « يخادعون » . وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو . وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى كالمثبت . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٣٩ . وسيأتى كلام المصنف على هاتين القراءتين فى ص ٢٨٣ وما بعدها . وينظر أيضا حجة القراءات ص ٨٧.

بإساءتِهم إلى أنفسِهم ، و[(١)] إسخاطِهم عليهم[(٢)] ربَّهم ، بكفرِهم وشكِّهم وتكذيبِهم ، غيرُ شاعرين ولا دارِين ،ولكنهم على عَمْياءَ مِن أمرِهم مُقيمون .

وبنحوِ ما قلنا فى [٣٢/١ظ] تأويلِ ذلك كان ابنُ زيدٍ يقولُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألتُ عبدَ الرحمنِ بنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : هؤلاء المنافقون يُخادِعون اللَّهَ ورسولَه والذين آمنوا ، أنهم مؤمنون بما أظْهَروا[(٣)] .

وهذه الآيةُ مِن أوضحِ الدليلِ على تكذيبِ اللَّهِ قولَ[(٤)] الزاعِمين أن اللَّهَ لا يُعذِّبُ مِن عبادِه إلا مَن كفَر به عنادًا ، بعدَ علمِه بوحدانيتِه ، وبعدَ تقرُّرِ صحةِ ما عانَد ربَّه عليه مِن توحيدِه ، والإقرارِ بكتبِه ورسلِه عندَه[(٥)] ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخْبَر عن الذين وصَفهم بما وصَفهم به مِن النفاقِ ، وخداعِهم إيَّاه والمؤمنين ، أنهم لا يَشْعُرون أنهم مُبْطِلون فيما هم عليه مِن الباطلِ مُقِيمون ، وأنهم بخداعِهم الذى يَحْسَبون أنهم به يُخادِعون ربَّهم وأهلَ الإيمانِ به - مخدوعون . ثم أخْبَر جلّ ذكرُه أن لهم عذابًا أليمًا بتكذيبِهم[(٦)] بما كانوا يكذِّبون مِن نبوةِ نبيِّه ﷺ ، واعتقادِ الكفرِ به ، وبما كانوا يَكْذِبون فى زعمِهم أنهم مؤمنون ، وهم على الكفرِ مُصرُّون .

/ فإن قال لنا قائلٌ : قد علِمْتَ أن المفاعلةَ لا تكونُ إلا مِن فاعلَيْن ، ١١٩/١

---

(١) فى ص ، م : « فى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف ، وسيأتى تمامه ص ٢٨٦.

(٤) سقط من : ص .

(٥) فى ص : « عنه » .

(٦) سقط من : ر .

كقولِك : ضاربتُ أخاك ، وجالَسْتُ أباك . إذا كان كلٌّ واحدٍ منهما[(١)] مجالسَ صاحبِه ومضاربَه ، فأما إذا كان الفعلُ مِن أحدِهما فإنما يقالُ : ضرَبتُ أخاك . أو[(٢)] : جلَستُ إلى أبيك . فمَن خادع المنافقَ فجاز أن يقالَ فيه : يُخادِعُ[(٣)] اللَّهَ والمؤمنين ؟

قيل : قد قال بعضُ المنسوبين إلى العلمِ بلغاتِ العربِ[(٤)] : إن ذلك حَرْفٌ جاء بهذه الصورةِ ، أعنى « يُخادِعُ » بصورةِ « يُفاعِلُ » ، وهو بمعنى « يَفْعَلُ » ، فى حروفٍ أمثالِها شاذَّةٍ مِن منطقِ العربِ ، نظيرَ قولِهم : قاتَلك اللَّهُ . بمعنى : قتَلك اللَّهُ .

وليس القولُ فى ذلك عندى كالذى قال ، بل ذلك مِن التفاعُلِ[(٥)] الذى لا يكونُ إلا مِن اثنين ، كسائرِ ما يُعرفُ مِن معنى « يُفاعِلُ ومُفاعِل » فى كلِّ كلامِ العربِ . وذلك أن المنافقَ يُخادِعُ اللَّهَ جلَّ ثناؤه بكَذِبِه بلسانِه - على ما قد تقدَّم وصفُه - واللَّهُ خادِعُه بخِذْلانِه عن حسنِ البصيرةِ بما فيه نجاةُ نفسِه فى آجلِ مَعادِه ، كالذى أخْبَر فى قولِه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ[(٦)] ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ ﴾ [آل عمران : ١٧٨] . وبالمعنَى الذى أخْبَر أنه فاعلٌ به فى الآخرةِ بقولِه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] الآية . فذلك نظيرُ سائرِ ما يأتى مِن معانى الكلامِ بـ « يُفاعلُ ومُفاعل » .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « و » .

(٣) فى ص ، م : « خادع » .

(٤) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٣١.

(٥) فى ر ، ت ٢: « المفاعل » .

(٦) فى ر ، ت ٢: « تحسبن » . بالتاء ، وتنظر هاتان القراءتان فى موضعهما من التفسير .

وقد كان بعضُ أهلِ النحوِ مِن أهلِ البصرةِ يقولُ : لا تكونُ المفاعلةُ إلا مِن شيئين ، ولكنه إنما قيل : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ عندَ أنفسِهم بظنِّهم ألا يُعاقَبوا ، فقد علِموا خلافَ ذلك فى أنفسِهم ، بحجةِ اللَّهِ جلّ وعزّ الواقعةِ على خلقِه بمعرفتِه ، ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ قال : وقد قال بعضُهم : ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ[1] ﴾ . يقولُ : يَخْدَعون أنفسَهم بالتَّخْليةِ[2] بها ، وقد تكونُ المفاعلةُ مِن واحدٍ فى أشياءَ كثيرةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ[3] إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : أو ليس المنافقون قد خدَعوا المؤمنين بما أظْهَروا بألسنتِهم مِن قِيلِ الحقِّ - عن أنفسِهم وأموالِهم وذراريِّهم حتى سلِمَت لهم دنياهم ، وإن كانوا قد كانوا مَخْدوعين فى أمرِ آخرتِهم ؟

قيل :خطأٌ أن يقالَ : إنهم خدَعوا المؤمنين . لأنَّا إذا قلنا ذلك أوْجَبنا لهم حقيقةَ خدْعةٍ جازت[4] لهم على المؤمنين . كما أنَّا لو قلنا : قتَل فلانٌ فلانًا . أوْجَبنا له حقيقةَ قتلٍ كان منه لفلانٍ ، ولكنا نقولُ : خادَع المنافقون ربَّهم [5]والمؤمنين ولم[5] يَخْدَعوهم ، بل خدَعوا أنفسَهم - كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه - دونَ غيرِها . نظيرَ ما تقولُ فى رجلٍ قاتَل آخرَ فقتَل نفسَه ولم يَقْتُلْ صاحبَه : قاتلَ فلانٌ فلانًا ولم يَقْتُلْ إلا نفسَه . فتُوجِبُ له مقاتلةَ صاحبِه ، وتَنْفِى عنه قتلَه صاحبَه ، وتُوجِبُ له قتلَ نفسِه . فكذلك تقولُ : خادَع المنافقُ ربَّه والمؤمنين فلم

---

(١) بعده فى ر : « به » .

(٢) فى ر ، ت ٢ : « بالتحلية » .

(٣) فى ص : « يخادعون » .

(٤) فى م : « جاءت » .

(٥ - ٥) فى ص : « المؤمنون لم » .

يَخْدَعُ إلا نفسَه . فتُثْبِتُ منه خِداعَه[1] ربَّه والمؤمنين ، وتَنْفِى[2] أن يكونَ خدَع غيرَ نفسِه ؛ لأن الخادِعَ هو الذى قد صحَّت له الخديعةُ ووقَع منه فعلُها ، والمنافقون لم يَخْدَعوا غيرَ أنفسِهم ؛ لأن ما كان لهم من أهلٍ ومالٍ ، فلم يكنِ المسلمون ملَكوه عليهم فى حالِ خِداعِهم إيَّاهم[3] عنه بنفاقِهم ولا قبلَها ، فيَسْتَنْقِذوه[4] بخِداعِهم منهم ، وإنما دافعوا عنه بكَذِبِهم وإظهارِهم بألسنتِهم غيرَ الذى فى ضمائرِهم ، وبحُكْمِ[5] اللَّهِ لهم فى أموالِهم وأنفسِهم وذراريِّهم فى ظاهرِ أمورِهم بحكمِ ما انْتَسَبوا إليه مِن الملَّةِ ، واللَّهُ بما يُخْفُون مِن أمورِهم عالمٌ ، وإنما الخادعُ مَن ختَل[6] غيرَه عن شيئِه والمخدوعُ غيرُ عالِمٍ بموضعِ خديعةِ خادعِه . فأما والمخادَعُ عارفٌ بخِداعِ
١/١٢٠ صاحبِه إيَّاه ، و[7] غيرُ لاحقِه/ مِن خِداعِه إيَّاه مكروهٌ ، بل إنما يتجافى للظانِّ به أنه له مخادِعٌ ؛ اسْتِدْراجًا ليَبْلُغَ غايةً يتكامَلُ له عليه الحُجَّةُ للعقوبةِ التى هو به[8] مُوقِعٌ عندَ بلوغِه إيَّاها ، والمُستدرَجُ غيرُ عالمٍ بحالِ نفسِه عندَ مُستدرِجِه ، ولا عارفٍ باطِّلاعِه على ضميرِه ، وأنَّ إمهالَ مُستدرِجِه [9]إياه ، وتركَه معاجلةَ عقوبتِه[9] على جُرْمِه ؛ لِيَبْلُغَ المخاتِلُ المخادِعُ مِن استحقاقِه عقوبةَ مُستدرِجِه - بكثرةِ إساءتِه ، [10]وطولِ عِصيانِه إيّاه ، وكثرةِ صَفْحِ المستدرِجِ[10] ، وطولِ عفوِه عنه - أقصَى غايةٍ ، فإنما هو خادِعٌ نفسَه لاشكَّ ، دونَ مَن حدَّثَته نفسُه أنه له مخادِعٌ ،

---

(١) فى م : « مخادعة » .

(٢) بعده فى م : « عنه » .

(٣) فى م : « إياه » .

(٤) فى ص : « فيستبعدوه » .

(٥) فى م : « يحكم » . وغير منقوطة فى ر ، ت ٢.

(٦) ختل : خدع عن غفلة . اللسان (خ ت ل) .

(٧) سقط من : ص .

(٨) فى م : « بها » .

(٩ - ٩) فى م : « وتركه إياه معاقبته » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

ولذلك نفَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عن المنافقِ أن يكونَ خدَع غيرَ نفسِه ، إذ كانت الصفةُ التى وصَفْنا صفتَه .

وإذ كان الأمرُ على ما وصَفنا مِن خِداعِ المنافقِ ربَّه وأهلَ الإيمانِ به ، وأنه غيرُ صائرٍ[1] بخِداعِه ذلك إلى خديعةٍ صحيحةٍ إلا لنفسِه دونَ غيرِها ؛ لِمَا يُورِّطُها بفعلِه مِن الهلاكِ والعَطَبِ ، فالواجِبُ إذن [١/ ٣٣و] أن يكونَ الصحيحُ مِن القراءةِ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ . دونَ : (وَمَا يُخَادِعُونَ) . لأن لفظَ المخادِعِ غيرُ مُوجِبٍ تثبيتَ خديعةٍ على صِحَّةٍ ، ولفظَ خادِعٍ مُوجِبٌ تثبيتَ خديعةٍ على صِحَّةٍ . ولاشكَّ أن المنافقَ قد أوْجَب تثبيتَ[2] خديعةِ اللَّهِ لنفسِه ، بما رَكِب مِن خِداعِه ربَّه ورسولَه والمؤمنين بنفاقِه ، فلذلك وَجَبت الصِّحَّةُ لقراءةِ مَن قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

ومِن الدَّلالةِ أيضًا على أن قراءةَ من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ . أوْلَى بالصحَّةِ مِن قراءةِ مَن قرأ : (وَمَا يُخَادِعُونَ) . أنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخْبَر عنهم أنهم يُخادِعون اللَّهَ والمؤمنين فى أوَّلِ الآيةِ ، فمُحالٌ أن يَنْفِيَ عنهم ما قد أثْبَت أنهم قد فعَلوه ؛ لأن ذلك تضادٌّ فى المعنى ، وذلك غيرُ جائزٍ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وَمَا يَدْرُون . يقالُ : ما شعَر فلانٌ بهذا الأمرِ ، وهو لا يَشْعُرُ به - إذا لم يَدْرِ به[4] ولم يَعْلَمْ - شِعْرًا وشُعورًا .

---

(١) فى م : « سائر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) القراءتان متواترتان كما تقدم فى ص ٢٨٠ ، ولا تفاضل بين المتواتر ، وينظر توجيه قراءة : (وما يخادعون) فى البحر المحيط ١/٥٧ .

(٤) سقط من : ص ، م .

و[1] قال الشاعرُ[2] :

عقُّوا بِسَهمٍ فلم يَشْعُرْ به أحدٌ ثم استَفاءُوا[3] وقالوا حبَّذا الوَضَحُ[4]

يعنى بقولِه : لم يَشْعُرْ به أحدٌ[5] : لم يَدْرِ به أحدٌ ولم يَعْلَمْ .

فأخْبَرَ اللَّهُ جلّ ثناؤُه عن المنافقين أنهم لا يَشْعُرون بأن اللَّهَ خادِعُهم ، بإملائِه لهم واستدراجِه إيَّاهم ، الذى هو مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه إبلاغٌ إليهم فى الحجةِ والمَعْذرةِ ، ومنهم لأنفسِهم خديعةٌ ، ولها فى الآجلِ مَضرَّةٌ .

كالذى حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألتُ ابنَ زيدٍ عن قولِه : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ . قال : ما يَشْعُرون أنهم ضَرُّوا أنفسَهم بما أسَرُّوا مِن الكفرِ والنفاقِ . وقرأ قولَ اللَّهِ : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ . قال : هم المنافقون . حتى بلَغ : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [المجادلة : ١٨] . وقد كان الإيمانُ يَنْفَعُهم عندَكم[6] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ المرضِ السُّقمُ ، ثم[7] يقالُ ذلك فى الأجسادِ والأديانِ .

١٢١/١ فأخبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن فى قلوبِ المنافقين /مرضًا ، وإنما عنَى جلّ ثناؤه بخبرِه عن مرضِ قلوبِهم الخبرَ عن مرضِ ما فى قلوبِهم مِن الاعتقادِ . ولكن لما كان معلومًا بالخبرِ

---

(١) فى م : « كما » .

(٢) البيت للمتنخل الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ٢/ ٣١.

(٣) فى ص : « استفادوا » ، وفى ر : « استقاموا » ، وفى ت ٢: « استقادا » .

(٤) عقوا بسهم : أى رموا به فى السماء ، استفاءوا : رجعوا ، الوضح : اللبن . ينظر شرح أشعار الهذليين ١٢٧٩/٣.

(٥) زيادة من : ر .

(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٨١.

(٧) سقط من : ص .

عن مرضِ القلبِ أنه مَعْنِيٌّ به مرضُ ما هم مُعْتقدوه مِن الاعتقادِ ، اسْتَغْنى بالخبرِ عن القلبِ بذلك (١) والكنايةِ به (١) عن تصريحِ الخبرِ عن ضمائرِهم واعتقاداتِهم ، كما قال عمرُ بنُ لَجَأٍ (٢) :

وسبَّحَت المدينةُ لا تَلُمْهَا رأَت قمرًا بسوقِهِمُ نَهارَا

يريد : وسبَّح أهلُ المدينةِ . فاستغْنى بمعرفةِ السامعين خبرَه بالخبرِ عن المدينةِ ، عن الخبرِ عن أهلِها . ومثلُه قولُ عنترةَ العَبْسيِّ (٣) :

هلَّا سألتِ الخيلَ يابنةَ مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمِى

يريدُ : هلَّا سألتِ أصحابَ الخيلِ ؟ ومنه قولُهم : يا خيلَ اللَّهِ اركبى . يرادُ : يا أصحابَ خيلِ اللَّهِ ارْكَبوا . والشواهدُ على ذلك أكثرُ مِن أن يُحْصِيَها (٤) الكتابُ (٥) ، وفيما ذكَرنا كفايةٌ لمن وُفِّق لفهمِه .

فكذلك معنَى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . إنما يعنى : فى اعتقادِ قلوبِهم الذى يعتقِدُونه فى الدينِ ، والتصديقِ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، مرَضٌ وسُقْمٌ . فاجْتَزأ بدَلالةِ الخبرِ عن قلوبِهم على معناه ، عن تصريحِ الخبرِ عن اعتقادِهم .

والمرضُ الذى ذكَره اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه فى اعتقادِ قلوبِهم الذى وصَفْناه ، هو شكُّهم فى أمرِ محمدٍ ، وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وتحيُّرُهم فيه ، فلا هم به مُوقِنون إيقانَ إيمانٍ ، ولا هم له مُنكِرون إنكارَ إشراكٍ ، ولكنهم كما وصَفهم جلّ ذكرُه ،

(١ - ١) فى ص : « الكفاية » .

(٢) البيت فى التبيان ١/ ٤٩.

(٣) البيت من معلقته الشهيرة ، وهو فى ديوانه ص ١٠٢.

(٤) فى ر ، ت ٢: « يحصيه » .

(٥) فى م : « كتاب » .

مُذَبْذَبون بينَ ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[١] ، كما يقالُ : فلانٌ يُمرِّضُ فى هذا الأمرِ . أى يُضَعِّفُ العزمَ[٢] ، ولا يصحِّحُ الرَّوِيَّةَ فيه .

وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك تظاهَر القولُ فى تفسيرِه مِن المفسِّرين .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . أى : شكٌّ[٣] .

وحُدِّثتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بِشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : المرضُ النِّفاقُ[٤] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . يقولُ : فى قلوبِهم شكٌّ[٥] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال

---

(١) تضمين الآية ١٤٣ من سورة النساء .

(٢) فى ر ، ت ٢ : « للعزم » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١٢) من طريق سلمة به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١١) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ عقب الأثر (١١٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وسيأتى تمام هذا الأثر فى ص ٢٩١.

عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . قال : هذا مرضٌ فى الدِّينِ ، وليس مرضًا فى الأجسادِ . قال : وهم المنافقون .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدثنا سُوَيدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخْبَرنا ابنُ المباركِ قراءةً ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . قال : فى قلوبِهم رِيبةٌ وشكٌّ فى أمرِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه[(١)] .

وحُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ابنِ أنسٍ : ﴿فِي قُلُوبِهِم/ مَّرَضٌ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ النِّفاقِ ، فالمرَضُ الذى فى ١٢٢/١
قلوبِهم الشكُّ فى أمرِ اللَّهِ[(٢)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . حتى بلَغ : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . قال : المرضُ الشكُّ الذى دخَلهم فى الإسلامِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ .

قد دلَّلنا آنفًا على أن تأويلَ [٣٣/١ظ] المرضِ الذى وصَف اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه أنه فى قلوبِ المنافقين هو الشكُّ فى اعتقاداتِ قلوبِهم وأديانِهم ، وما هم عليه فى أمرِ محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأمرِ نبوَّتِه وما جاء به ، مُقِيمون .

فالمَرَضُ الذى أخْبر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عنهم أنه زادهم على مرضِهم ، هو نظيرُ ما

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ عقب الأثر (١١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) بعده فى ر : « فذلك هو المرض والله أعلم » .

كان فى قلوبهم مِن الشكِّ والحَيْرةِ قبلَ الزيادةِ ، فزادهم[1] اللَّهُ بما أحْدَث مِن حدودِه وفرائضِه التى لم يكنْ فرَضها قبلَ الزيادةِ التى زادَها المنافقين - مِن الشكِّ والحَيْرةِ ، إذ[2] شكُّوا وارْتَابوا فى الذى أحْدَث لهم مِن ذلك - إلى المرضِ والشكِّ الذى كان فى قلوبِهم فى السالفِ ، مِن حدودِه وفرائضِه التى كان فرَضها قبلَ ذلك . كما زاد المؤمنين به إلى إيمانِهم الذى كانوا عليه قبلَ ذلك ، بالذى أحْدَث لهم مِن الفرائضِ والحدودِ ، إذْ آمنوا به ، إلى إيمانِهم بالسالفِ مِن حدودِه وفرائضِه - إيمانًا ، كالذى قال جلَّ ثناؤه فى تنزيلِه : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤، ١٢٥] . فالزيادةُ التى زِيدها المنافقون مِن الرَّجاسةِ إلى رَجاستِهم هو ما وصَفنا ، و[3] التى زِيدها المؤمنون إلى إيمانِهم هو ما بيَّنا ، وذلك هو التأويلُ المجْمعُ عليه .

ذكرُ بعضِ مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابن عباسٍ : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ ﴾ . قال : شكًّا[4] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : أخبرنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ

---

(١) فى م : « فزاد » .

(٢) فى م : « إذا » .

(٣) بعده فى م : « الزيادة » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١٤) من طريق سلمة به .

الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ . يقولُ : فزادهم اللَّهُ[١] شكًّا[٢] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سُوَيدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ قراءةً ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ . يقولُ : فزادهم اللَّهُ رِيبةً وشكًّا فى أمرِ اللَّهِ[٣] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ . قال : زادهم رِجْسًا . وقرَأ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه :
١٢٣/١ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ/ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ . قال : شرًّا إلى شرِّهم ، وضلالةً إلى ضلالتِهم[٤] .

وحُدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ : فزادهم[٥] اللَّهُ شكًّا[٦] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والأليمُ[٧] المُوجِعُ . ومعناه : ولهم عذابٌ مُؤْلِمٌ . فصُرِفَ مُؤْلِمٌ إلى أليمٍ ، كما يقالُ : ضربٌ وَجيعٌ . بمعنى : مُوجِعٌ . واللَّهُ بديعُ السماواتِ والأرضِ . بمعنى : مُبْدِعٌ . ومنه قولُ عمرِو بنِ مَعْدِيكَرِبَ الزُّبيديِّ[٨] :

---

(١) بعده فى م : « ريبة و » .
(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٧٣.
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وينظر الفتح ٨/ ١٦٢.
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٤/١ عن ابن زيد .
(٥) فى ص ، م : « قال زادهم » .
(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٨٩.
(٧) بعده فى م : « هو » .
(٨) ديوان عمرو بن معديكرب (مجموع) ص ١٣٦.

أَمِنْ رَيْحانةَ[(١)] الداعِي السَّمِيعُ يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجُوعُ

بمعنى : المُسْمِعُ . ومنه قولُ ذِى الرُّمَّةِ[(٢)] :

وَنرْفَعُ[(٣)] مِن صُدُورِ شَمَـرْدَلَاتٍ[(٤)] يَصُدُّ[(٥)] وجـوهَهـا وَهَجٌ[(٦)] أَلِيمُ

ويُرْوى : يَصُكُّ[(٧)] .

وإنما الأليمُ صفةٌ للعذابِ ، كأنه قال : ولهم عذابٌ مُؤْلِمٌ . وهو مأخوذٌ مِن الألمِ ، والألمُ الوَجَعُ .

كما **حدَّثنى** المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، قال : الأليمُ المُوجِعُ[(٨)] .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : حدثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحَّاكِ ، قال : العذابُ[(٩)] الأليمُ ؛ الموجعُ[(١٠)] .

---

(١) ريحانة : هى ريحانة بنت معديكرب أخت عمرو ، وهى أم دريد بن الصمة ، كان الصمة سباها ثم تزوجها . الأغانى ١٠/ ٤.

(٢) ديوان ذى الرمة ٢/ ٦٧٧.

(٣) فى ص : « بربع » ، وفى ر : « ترفع » ، وفى ت ٢، م : « يرفع » . والمثبت من الديوان .
ورفع البعير بنفسه فى سيره : بالغ فيه . التاج (ر ف ع) .

(٤) الشمردلة : الناقة الحسنة الجميلة الخلق القوية على السير . اللسان (شمردل) .

(٥) يصد : يعترض . اللسان (ص د د) .

(٦) الوهج : حرارة الشمس والنار من بعيد . اللسان (و هـ ج) .

(٧) هذه رواية الديوان . والصك : الضرب الشديد . اللسان (ص ك ك) .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٤ (١١٩) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٩) سقط من : م .

(١٠) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٤ عقب الأثر (١١٩) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٠ إلى ابن أبى حاتم عن ابن عباس .

وحُدِّثت عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿ أَلِيمٌ[1] ﴾ . قال : هو العذابُ المُوجِعُ ، وكلُّ شىءٍ فى القرآنِ مِن الأليمِ فهو المُوجِعُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

اختلفت القَرَأَةُ[2] **فى قراءةِ ذلك** ؛ فقرَأه[3] بعضُهم : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ . مُخَفَّفَةَ الذالِ ، مفتوحةَ الياءِ ، وهى قراءةُ (٤ عُظمِ قَرَأَةِ ٤) أهلِ الكوفةِ[5] . وقرَأه آخرون : (يُكَذِّبُون) . بضمِّ الياءِ وتشديدِ الذالِ ، وهى قراءةُ (٤ عُظمِ قرأةِ ٤) أهلِ المدينةِ والحجازِ والبصرةِ[6] .

وكأنَّ الذين قرءوا ذلك بتشديدِ الذالِ وضمِّ الياءِ رأَوْا أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أوْجَب للمنافقين العذابَ الأليمَ بتكذيبِهم (٧ نبيَّهم محمدًا ٧) ﷺ وبما جاء به ، وأن الكذِبَ لولا التكذيبُ لا يُوجِبُ لأحدٍ اليسيرَ مِن العذابِ ، فكيف بالأليمِ منه ؟

وليس الأمرُ فى ذلك عندى كالذى قالوا ؛ وذلك أن اللَّهَ جلّ ثناؤُه أنْبأ عن المنافقين فى أولِ النبأ عنهم فى هذه السورةِ بأنهم يَكْذِبون بدَعْواهم الإيمانَ ، وإظهارِهم ذلك بألسنتِهم ، خِداعًا للَّهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه وللمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ

---

(١) فى ص ، ر ، ت ٢ : « الأليم » .

(٢) فى م : « القراءة » .

(٣) فى ر : « فقراءة » .

(٤ - ٤) فى م : « معظم » .

(٥) وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ٨٨ .

(٦) وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٤٣ .

(٧ - ٧) فى ص : « نبيه » .

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بذلك مِن قِيلِهم ، مع استسرارِهم الشكَّ والرِّيبةَ ، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بصنيعِهم ذلكَ ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ دونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ والمؤمنين ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بموضعِ خديعتِـهم أنفسَهم ، واستدراجِ اللَّهِ إيَّاهم بإملائِه لهم ، ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾ شكُّ [(١)] النفاقِ وريبتُه [(١)] ، واللَّهُ زائدُهم شكًّا وريبةً/ بما كانوا يَكْذِبون اللَّهَ ورسولَه ١٢٤/١
والمؤمنين بقولِهم بألسنتِهم : ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وهم فى قِيلِهم[(٢)] ذلك كَذَبةٌ ؛ لاستسرارِهم الشكَّ والمرضَ فى اعتقاداتِ قلوبِهم فى أمرِ اللَّهِ وأمرِ رسولِه ﷺ . فأَوْلَى فى حكمةِ اللَّهِ جَلَّ جلالُه أن يكونَ الوعيدُ منه لهم على ما افْتَتح به الخبرَ عنهم مِن قبيحِ أفعالِهم وذَميمِ أخلاقِهم ، دونَ ما لم يَجْرِ له ذكرٌ مِن أفعالِهم ، إذ كان سائرُ آياتِ تنزيلِه بذلك نزَل ، وهو أن يَفْتَتِحَ ذكرَ محاسنِ أفعالِ قومٍ ، ثم يختِمَ ذلك بالوعدِ[(٣)] على ما افْتَتَحَ به ذكرَه مِن أفعالِهم ، ويَفتتِحَ ذكرَ مساوِى أفعالِ آخرين ، ثم يختِمَ ذلك بالوعيدِ على ما [٣٤/١و] ابْتَدأ به ذكرَه مِن أفعالِهم . فكذلك الصحيحُ مِن القولِ فى الآياتِ التى افْتَتح فيها ذكرَ بعضِ مساوى أفعالِ المنافقين ، أن يختِمَ ذلك بالوعيدِ على ما افْتَتح به ذكرَه مِن قبائحِ أفعالِهم .

فهذا هذا[(٤)] ، مع دَلالةِ الآيةِ الأُخرى على صحةِ ما قلنا ، وشهادتِها بأن الواجبَ من القراءةِ ما اخترْنا ، وأن الصوابَ مِن التأويلِ ما تَأَوَّلْنا ، مِن أن وعيدَ اللَّهِ المنافقين فى هذه الآيةِ العذابَ الأليمَ على الكذبِ الجامعِ معنى الشكِّ والتكذيبِ ، وذلك قولُ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ

(١ - ١) فى م : « أى نفاق وريبة » .
(٢) فى ص : « قولهم » .
(٣) فى م : « بالوعيد » .
(٤) سقط من : ص ، ر .

يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١، ٢] . والآيةُ الأخرى في «المجادَلةِ» : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة: ١٦] . فأخبر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن المنافقين - بقِيلِهم ماقالُوا لرسولِ اللَّه ﷺ ، مع اعتقادِهم فيه ما هم معتقدون - كاذِبون ، ثم أخبرَ تعالى ذكرُه أن العذابَ المُهِينَ لهم على ذلك مِن كَذِبِهم . ولو كان الصحيحُ مِن القراءةِ على ماقَرأه القارئون في سورةِ «البقرةِ» : (وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبون) . لكانتِ القراءةُ في السورةِ الأخرى : (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لمُكَذِّبون) . ليكونَ الوعيدُ لهم (١) مِن العذابِ المهينِ (١) الذي هو عَقِيبَ ذلك وعيدًا على التكذيبِ لا على الكَذِبِ .

وفي إجماعِ المسلمين على أن الصوابَ مِن القراءةِ في قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . بمعنى الكَذِبِ ، وأنَّ إيعادَ اللَّهِ فيه المنافقين العذابَ الأليمَ على ذلك مِن كَذِبِهم - أوضحُ الدَّلالةِ على أن الصحيحَ مِن القراءةِ في سورةِ «البقرةِ» : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ . بمعنى الكَذِبِ ، وأن الوعيدَ مِن اللَّهِ تعالَى ذكرُه للمنافقين فيها على الكذبِ حقٌّ ، لا على التكذيبِ الذي لم يَجْرِ له ذكرٌ - نظيرَ الذي في سورةِ «المنافقين» سواءً .

وقد زعَم بعضُ نحويِّي البصرةِ أنَّ «ما» من قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ . اسمٌ للمصدرِ ، كما أنَّ «أَنْ» والفعلَ اسمان للمصدرِ في قولِك(٢) : أُحبُّ أن تأتيَني . وأنَّ المعنى إنما هو : بكَذِبِهم وتكذيبِهم . قال : وأَدْخل «كان» ليُخْبرَ أنه

(١ - ١) زيادة من : ر .

(٢) في ر : «قوله» ، وفي ت ٢: «مثل قوله» .

كان فيما مضى ، كما تقولُ[١] : ما أحسنَ ما كان عبدُ اللَّهِ . فأَنت تعجَبُ من عبدِ اللَّهِ لا من كَوْنِه ، وإنما وقَع التعجُّبُ فى اللفظِ على كونِه .

وكان بعضُ نحويِّ الكوفةِ يُنكرُ ذلك من قولِه ويَسْتَخْطِئُه ، ويقولُ : إنما أُلْغِيَت « كان » فى التعجُّبِ لأن الفعلَ قد تقدَّمها ، فكأنه قال : حَسَنًا كان زيدٌ ، وحسَنٌ كان زيدٌ[٢] . يُبْطِلُ « كان » ، ويُعْمِلُ مع الأسماءِ والصفاتِ التى بألفاظِ الأسماءِ إذا جاءتْ قبلَ « كان » ، ووقعَتْ « كان » بينها وبين الأسماءِ ./ وأما العِلَّةُ فى إبطالِها إذا ١٢٥/١
أُبطِلَت فى هذه الحالِ ، فتشبيهُ[٣] الصفاتِ والأسماءِ بـ « فعَل » و « يَفْعَلُ » التى[٤] لا يظهَرُ عملُ « كان » فيهما ، ألا ترى أنك تقولُ : يقومُ كان زيدٌ . فلا يظهَرُ عملُ « كان » فى « يقومُ » ؟ وكذلك : قام كان زيدٌ . فلذلك أُبْطل عملُها مع « فاعل » تمثيلًا بـ « فعَل » و « يفعلُ » ، وأُعْملت مع « فاعل » أحيانًا ؛ لأنه اسمٌ ، كما تُعْملُ فى الأسماءِ . فأما إذا تقدَّمت « كان » الأسماءَ والأفعالَ ، وكان الاسمُ والفعلُ بعدَها ، فخطأٌ عندَه أن تكونَ « كان » مُبْطَلَةً . فلذلك أحال قولَ البصرىِّ الذى حكَيناه ، وتأوَّل قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ[٥] ﴾ . أنه بمعنى : الذى يَكْذِبونه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ هذه الآيةِ ؛ فرُوِى عن سلمانَ الفارسىِّ أنه كان يقولُ : لم يجئْ هؤلاء بعدُ .

---

(١) فى ص ، ت ٢، م : « يقال » .

(٢) فى ت ٢: « فى التعجب لا » .

(٣) فى م : « فشبه » .

(٤) فى م : « اللتين » .

(٥) ضبطه فى « ر » بضم الياء .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدثنا عَثَّامُ بنُ عليٍّ ، قال : حدثنا الأعمشُ ، قال : سمِعت المِنْهالَ بنَ عمرٍو يحدِّثُ عن عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن سلمانَ ، قال : ما جاء هؤلاء بعدُ ، الذين : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكيمٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شَرِيكٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى الأعمشُ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ وغيرِه ، عن سلمانَ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ . قال : ما جاء هؤلاء بعدُ[2] .

وقال آخرون بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[3] . أمَّا ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنَّ الفسادَ هو الكفرُ والعملُ بالمعصيةِ[4] .

وحُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) أخرجه وكيع - كما فى تفسير ابن كثير ١/ ٧٥، والدر المنثور ١/ ٣٠- وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٥ (١٢٣) من طريق الأعمش به . وعباد بن عبد الله الأسدى ضعيف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٧٥ عن المصنف . وعبد الرحمن بن شريك ضعيف ، وقد خولف فيه شريك كما فى الإسناد قبله .

(٣) بعده فى م : « هم المنافقون » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٠ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٥ (١٢٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

الرَّبيع : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، يقولُ : لا تَعْصُوا في الأرضِ ، ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . قال : فكان فسادُهم على أنفسِهم ذلك معصيةَ اللهِ ؛ لأن مَن عصَى اللهَ في الأرضِ أو أمَر (١) بمعصيتِه ، فقد (١) أفْسَد في الأرضِ ؛ لأن إصلاحَ الأرضِ والسماءِ بالطاعةِ (٢) .

وأوْلى التأويلين بالآيةِ تأويلُ مَن قال : إن قولَ اللهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ نزَلت في المنافقين الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وإن كان معنيًّا بها كلُّ مَن كان بمثلِ صفتِهم (٣) من المنافقين بعدَهم إلى يومِ القيامةِ . وقد يَحْتَمِلُ قولُ سلمانَ عند تلاوةِ هذه الآيةِ : ما جاء هؤلاء بعدُ . ١٢٦/١ أن يكونَ قاله بعدَ فناءِ الذين كانوا بهذه الصفةِ على عهدِ / رسولِ اللهِ ﷺ ، خبرًا منه عمَّن هو (٤) جاءٍ منهم بعدَهم ولمَّا يجِئْ بعدُ ، (٥) لا أنه (٥) عنَى أنه لم يمضِ ممَّن ذلك (٦) صفتُه أحدٌ .

وإنما قلنا : أَوْلى التأويلين بالآيةِ ما ذكَرنا ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من [٣٤/١ظ] أهلِ التأويلِ على أن ذلك صفةُ مَن كان بينَ ظهرَانَيْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، من المنافقين ، وأن هذه الآياتِ فيهم نزَلت ، والتأويلُ المجْمَعُ عليه أَوْلى بتأويلِ القرآنِ من قولٍ لا دلالةَ على صحَّتِه من أصلٍ ولا نظيرٍ .

(١ - ١) في ر : « بمعصية في » .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥/١ عقب الأثر (١٢٢) من طريق ابن أبي جعفر به .
(٣) في ص : « وصفهم » .
(٤) سقط من : م .
(٥ - ٥) في م : « لأنه » .
(٦) في م : « هذه » .

والإفسادُ فى الأرضِ العملُ فيها بما نهَى اللَّهُ جلَّ وعزَّ عنه ، وتضييعُ ما أمرَ اللهُ بحفظِه ، فذلك جملةُ الإفسادِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه فى كتابهِ مُخبرًا عن قِيلِ ملائكتِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٣٠] يَعْنُون بذلك : أتجعلُ فى الأرضِ من يعصِيك ويُخالفُ أمرَك ؟ فكذلك صفةُ أهلِ النفاقِ ؛ مفسدون فى الأرضِ بمعصيَتِهم فيها ربَّهم ، ورُكوبِهم فيها ما نهاهم عن رُكوبِه ، وتضييعِهم فرائضَه ، وشكِّهم فى دينِ اللَّهِ الذى لا يقبَلُ من أحدٍ عملًا إلا بالتصديقِ به ، والإيقانِ بحقيقتِه ، وكذِبِهم المؤمنين بدَعْواهم غيرَ ما هم عليه مقيمون من الشكِّ والرِّيبِ ، ومُظاهرتِهم أهلَ التكذيبِ باللَّهِ وكتبِه ورسلِه على أولياءِ اللَّهِ إذا وجَدوا إلى ذلك سبيلاً . فذلك[1] إفسادُ المنافقين فى [2]أرضِ اللَّهِ[2] ، وهم يَحْسَبون أنهم بفعلِهم ذلك مُصلحونَ فيها ، فلم يُسْقِطِ اللَّهُ جلَّ ثناؤه عنهم عقوبتَه ، ولا خفَّف عنهم أليمَ ما أعدَّ من عقابِه لأهلِ معصيتِه ، بحُسْبانِهم أنهم فيما أَتَوْا من معاصى اللهِ مُصلحونَ ، بل أوْجب لهم الدَّرْكَ الأسفلَ من نارِه ، والأليمَ من عذابِه ، والعارَ العاجلَ بسَبِّ اللهِ إيَّاهم وشَتْمِه لهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ . وذلك من حُكمِ اللهِ فيهم أدلُّ الدليلِ على تكذيبِه جلّ ثناؤه قولَ القائلين : إن عقوباتِ اللهِ لا يَسْتَحِقُّها إلَّا المعاندُ ربَّه فيما لزِمه من حقوقِه وفروضِه ، بعد علمِه وثُبوتِ الحُجَّةِ عليه بمعرفتِه بلزومِ ذلك إيَّاه.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

وتأويلُ ذلك كالذى قاله ابنُ عباس ، الذى **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ

---

(١) فى ص : « وكذلك » ، وفى ر : « فكذلك » .

(٢ - ٢) فى ص : « الأرض » .

ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . أى قالوا : إنما نريدُ الإصلاحَ بينَ الفريقين من المؤمنين وأهلِ الكتابِ (١) .

وخالَفه فى ذلك غيرُه ، فحدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . قال : إذا ركِبوا معصيةَ اللَّهِ فقِيل لهم : لا تفعَلوا كذا وكذا . قالوا : إنما نحن على الهُدَى (٢) .

قال أبو جعفرٍ : وأىُّ الأمرين كان منهم فى ذلك ، أعنى فى دَعْواهم أنهم مصلحون ، فهم لا شكَّ أنهم كانوا يَحْسَبون أنهم فيما أتَوْا من ذلك مصلحون - فسواءٌ بينَ اليهودِ والمسلمين كانت دَعْواهم الإصلاحَ ، أو فى أديانِهم ، وفيما ركِبوا من معصيةِ اللَّهِ ، وكذِبهم المؤمنين فيما أظْهروا لهم من القولِ ، وهم لغيرِ
١٢٧/١ ما أظْهروا / مُسْتبطِنون ؛ لأنَّهم كانوا فى جميعِ ذلك من أمرِهم عندَ أنفسِهم مُحْسِنين ، وهم عندَ اللَّهِ مُسيئون ، ولأمرِ اللَّهِ مُخالِفون ، لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه قد كان فرَض عليهم عداوةَ اليهودِ وحربَهم مع المسلمين ، وألْزمهم التصديقَ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، كالذى ألْزم من ذلك المؤمنين ، فكان لقاؤُهم اليهودَ على وجهِ الوِلايةِ منهم لهم ، وشكُّهم فى نبوَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفيما جاء به أنه من عندِ اللَّهِ - أعظمَ الفسادِ ، وإن كان ذلك كان عندَهم إصلاحًا وهُدًى فى أديانِهم ، أو فيما بينَ المؤمنين واليهودِ ، فقال جلَّ ثناؤُه فيهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٥/١ (١٢٤) من طريق سلمة به .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، م : « مصلحون » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف كاللفظ المثبت . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٥/١ عن ابن جريج عن مجاهد ، بزيادة : « مصلحون » فى آخره .

دونَ الذين يَنْهَوْنهم من المؤمنين عن الإفسادِ فى الأرضِ ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وهذا القولُ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه تكذيبٌ للمنافقين فى دَعْواهم إذا[1] أُمِروا بطاعةِ اللَّهِ فيما أمَرهم اللَّهُ به ، ونُهوا عن معصيةِ اللَّهِ فيما نهاهم اللَّهُ عنه ، قالوا : إنما نحن مُصلحون لا مُفسدون ، ونحن على رُشْدٍ وهُدًى فيما أنْكَرْتموه علينا دونَكم ، لا ضالُّون . فكذَّبهم اللَّهُ جلّ وعزّ فى ذلك من قِيلِهم ، فقال : ألا إنهم هم المُفْسِدون المخالفون أمرَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، المتعدُّون حدودَه ، الراكبون معصيتَه ، التاركون فروضَه ، وهم لا يَشْعُرون ولا يَدْرُون أنهم كذلك ، لا الذين يَأْمُرونهم بالقسطِ من المؤمنين ، ويَنْهَوْنهم عن معاصى اللَّهِ جلّ وعزّ فى أرضِه من المسلمين .

القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعنى : وإذا قيل لهؤلاء الذين وصَفهم اللَّهُ ونَعَتهم بأنَّهم يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ : صَدِّقوا بمحمدٍ ﷺ[2] وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، كما صدَّق به الناسُ . ويعنى بـ ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ : المؤمنين الذين آمنوا بمحمدٍ ونبوَّتِه وما جاء به من عندِ اللَّهِ .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ[3] بنُ سعيدٍ ، عن بِشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ

(١) فى ر ، ت ٢: « إذ » .

(٢) بعده فى ص : « ونبوته » .

(٣) فى ص : « عمار » .

ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ . يقولُ : وإذا قيل لهم : صدِّقوا كما صدَّق أصحابُ محمدٍ ﷺ ، قولوا[(١)] : إنه نبيٌّ ورسولٌ ، وأن ما أُنزِل عليه حقٌّ ، وصدِّقوا بالآخرةِ ، وأنكم مبعوثون من بعدِ الموتِ[(٢)] .

وإنما أُدْخِلت الألفُ واللَّامُ فى ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ وهم بعضُ الناسِ لا جميعُهم ؛ لأنهم كانوا معروفين عندَ الذين خُوطبوا [(٣)]بذلك فى هذه[(٣)] الآيةِ بأعيانِهم . وإنما
١٢٨/١ معناه : آمِنوا كما آمَن الناسُ الذين تعرِفونهم من أهلِ اليقينِ / والتصديقِ باللَّهِ ، وبمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وباليومِ الآخرِ . فلذلك أُدْخِلت الألفُ واللامُ فيه ، كما [١/ ٣٥و] أُدْخِلتا فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . لأنه أُشِير بدخولِهما[(٤)] إلى ناسٍ معروفين عند مَن خُوطِب بذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والسفهاءُ جمعُ سَفِيهٍ ، [(٥)]كما العلماءُ[(٥)] جمعُ عليمٍ ، والحكماءُ جمعُ حكيمٍ . والسفيهُ الجاهلُ الضعيفُ الرأيِ ، القليلُ المعرفةِ بمواضعِ المنافعِ والمضارِّ . ولذلك سمَّى اللَّهُ جلَّ وعزَّ النساءَ والصبيانَ سفهاءَ ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء : ٥] . فقال عامَّةُ أهلِ التأويلِ : هم النساءُ والصبيانُ ؛ لضعفِ آرائِهم[(٦)] ، وقلةِ معرفتِهم بمواضعِ المصالحِ والمضارِّ التى

---

(١) فى م : « قالوا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٥ (١٢٦، ١٢٧) من طريق أبى كريب به .

(٣ - ٣) فى ص ، م : « بهذه » .

(٤) فى م : « بدخولها » .

(٥ - ٥) فى م : « كالعلماء » .

(٦) فى ت ٢ : « رأيهم » .

تُصْرَفُ إليها الأموالُ .

وإنما عَنى المنافقون بقيلِهم : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ - إذ دُعوا إلى التصديقِ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللهِ ، والإقرارِ بالبعثِ ، فقيل[(١)] لهم : ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ -: كما آمَن أصحابُ محمدٍ وأتباعُه من المؤمنين المصدِّقين به مِن[(٢)] أهلِ الإيمانِ واليقينِ ، والتصديقِ باللَّهِ ، وبما افْتَرض عليهم على لسانِ رسولِهِ محمدٍ ﷺ وفى كتابِه ، وباليومِ الآخرِ . فقالوا إجابةً لقائلِ ذلك لهم : أنؤمنُ كما آمنَ أهلُ الجهلِ ، ونصدِّقُ بمحمدٍ كما صدَّق به هؤلاء الذين لا عقولَ لهم ولا أفهامَ !

كالذى **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : يعنُون أصحابَ النبىِّ ﷺ[(٣)] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : يعنُون أصحابَ محمدٍ ﷺ[(٤)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فقال » .

(٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٧٦ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٠ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٦ عقب الأثر (١٣٠) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٦ (١٣٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخْبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ في قولِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ . قال : هذا قولُ المنافقين ، يريدون أصحابَ النبيِّ ﷺ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عُثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ[(١)] ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : يقولون : أنقولُ كما يقولُ السفهاءُ ؟ يعنُون أصحابَ محمدٍ ﷺ ، لخِلافِهم لدينِهم[(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ من اللَّهِ تعالى عن المنافقين الذين تقدَّم نعتُه لهم ، ووصفُه إيّاهم بما وَصَفهم به من الشكِّ والتكذيبِ - أنهم هم الجُهَّالُ في أديانِهم ، الضعفاءُ الآراءِ في اعتقاداتِهم واختياراتِهم التي اختاروها لأنفسِهم ، من الشكِّ [(٣)]والتكذيبِ[(٣)] والرَّيبِ في أمرِ اللهِ جلّ وعزّ وأمرِ رسولِه
١٢٩/١ وأمرِ نبوَّتِه ، وفيما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وأمرِ/ البعثِ ؛ لإساءتِهم إلى أنفسِهم بما أتَوْا من ذلك ، وهم يحسَبون أنهم إليها يُحسنون[(٤)] ، وذلك هو عينُ السَّفَهِ ؛ لأن السفيهَ إنما يُفْسِدُ من حيثُ يرى أنه يُصلِحُ ، ويُضيِّعُ من حيثُ يرى أنه يحفَظُ ، فكذلك المنافقُ ، يعصِي ربَّه من حيثُ يرى أنه يُطيعُه ، ويكفُرُ به من حيثُ يرى أنه يُؤمنُ به ، ويُسيءُ إلى نفسِه من حيثُ

---

(١) في م : « عمار » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٦/١ (١٢٩) من طريق أبي كريب به .

(٣ - ٣) زيادة من : ر .

(٤) في ر ، ت ٢: « محسنون » .

يَحْسَبُ[١] أنه يُحسنُ إليها ، كما وصَفهم به ربُّنا جلَّ ذكرُه فقال : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ دونَ المؤمنين المصدِّقين باللَّهِ وبكتابِه وبرسولِه وثوابِه وعقابِه ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . وكذلك كان ابنُ عباسٍ يتأوَّلُ هذه الآيةَ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : يقولُ اللَّهُ عزّ وجلَّ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ ، يقولُ : الجهَّالُ ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : ولكن لا يعقِلون[٢] .

وأما وجهُ دخولِ الألفِ واللامِ فى ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ فشبيهٌ بوجهِ دخولِهما فى ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ ، فى قولِه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ . وقد بيَّنَّا العلَّةَ فى دخولِهما هنالك ، والعلَّةُ فى دخولِهما فى ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ نظيرتُها فى دخولِهما فى ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ هنالك ، سواءٌ .

والدلالةُ التى تدلُّ عليه هذه الآيةُ من خطأ قولِ مَن زعَم أن العقوبةَ من اللَّهِ جلّ وعزّ لا يَسْتَحِقُّها إلا المعاندُ ربَّه ، بعدَ[٣] علمِه بصحةِ ما عانَده فيه - نظيرةُ[٤] دلالةِ الآياتِ الأُخَرِ التى قد تقدَّم ذكرُنا تأويلَها فى قولِه : ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ونظائرِ[٥] ذلك .

---

(١) فى ر : « يرى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٦/١ (١٣١، ١٣٢) من طريق أبى كريب به . وهو تمام الأثر المتقدم فى الصفحة السابقة .

(٣) فى م : « مع » .

(٤) فى ت ٢، م : « نظير » .

(٥) فى م : « نظير » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه الآيةُ نظيرةُ[1] الآيةِ الأُخْرى التى أخبر اللَّهُ جلّ ثناؤُه فيها عن المنافقين بخِداعِهم اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . ثم أكْذَبهم تعالى ذكره بقولِه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وأنهم بقيلِهم ذلك يُخادِعون اللَّهَ والذين آمنوا . وكذلك أخْبر عنهم فى هذه الآيةِ أنهم يقولون للمؤمنين المصدِّقين باللَّهِ وكتابِه ورسولِه بألسنتِهم : آمنَّا وصدَّقنا بمحمدٍ ، وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، خِداعًا عن دمائِهم وأموالِهم وذراريِّهم ، ودرْءًا لهم عنها ، وأنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدتِهم[2] وأهلِ العُتُوِّ والشرِّ والخُبْثِ منهم ، ومن سائرِ أهلِ الشركِ ، الذين هم على مثلِ ما[3] هم عليه من الكفرِ باللَّهِ وبكتابِه ورسولِه ، وهم شَياطينُهم – وقد دلَّلنا فيما مضَى من كتابِنا[4] على أن شياطينَ كلِّ شىءٍ مَردتُه – قالوا لهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أى : إنَّا معكم على دينِكم ، وظُهراؤُكم على مَن [١/٣٥ظ] خالَفكم فيه ، وأولياؤُكم دونَ أصحابِ محمدٍ ﷺ ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ باللَّهِ وبكتابِه ورسولِه وأصحابِه .

كالذى حدَّثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ . قال : كان رجالٌ / من اليهودِ إذا لَقُوا أصحابَ النبىِّ ١/١٣٠

(١) فى ر ، ت ٢ ، م : « نظير » .

(٢) فى ص : « أهل مودتهم » .

(٣) فى ص ، م : « الذى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ١٠٩ .

ﷺ أو بعضَهم ، قالوا : إنَّا على دينِكم . وإذا خَلَوا إلى أصحابِهم ، وهم شياطينُهم ، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بن أبي محمدٍ ، مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : إذا خَلَوا إلى شياطينهم من يهودَ ، الذين يأمُرونهم بالتكذيبِ وخلافِ ما جاء به الرسولُ ، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، أي : إنَّا على مثلِ ما أنتم عليه ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [(٢)] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، و[(٣)] **عن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ : أما شياطينُهم ، فهم رُءُوسُهم في الكفرِ [(٤)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ العَقَديُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ [(٥)] ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ أي : رُؤَسائِهم وقادتِهم في الشرِّ ، قالوا :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٦ - ٤٨ (١٣٣، ١٣٦، ١٤٢) من طريق محمد بن العلاء به .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٣١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٧، ٤٨ (١٣٧، ١٤١) من طريق سلمة به .

(٣) في ص : « أو » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/٧٧ عن السدى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٧ (١٤٠) عقب الأثر من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٥) في ر : « يزيد » .

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[١] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخْبرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : المشركون .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ابنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ جلّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : إذا خلا المنافقون إلى أصحابِهم من الكفارِ .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : أصحابُهم من المنافقين والمشركين[٢] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : إخوانُهم من المشركين ، ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[٣] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ قال : إذا أصاب المؤمنين رَخاءٌ قالوا[٤] : نحن معكم ، إنما نحن إخوانُكم . وإذا خَلَوا إلى شياطينِهم اسْتَهْزَءوا

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٧/١ (١٣٨) من طريق سعيد به .

وأخرجه عبد بن حميد - كما فى الفتح ١٦١/٨ - من طريق شيبان عن قتادة . وستأتى بقيته فى ص ٣١٢.

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٦، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ١٧٢/٤ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٧/١ (١٣٩) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) بعده فى م : « إنا » .

بالمؤمنين .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال[1] مجاهدٌ : شَياطينُهم أصحابُهم من المنافقين والمشركين .

فإن قال لنا قائلٌ : أرأيتَ قولَه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . فكيف قيلَ : ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . ولم يقلْ : خَلَوا بشياطينِهم . فقد عَلِمْتَ أن الجارىَ بينَ الناسِ فى كلامِهم : خَلَوتُ بفلانٍ . أكثرُ وأفْشَى من : خَلَوتُ / إلى فلانٍ . ومن ١٣١/١ قولِك : إن القرآنَ أفصحُ البيانِ ؟

قيل : قد اخْتَلف فى ذلك أهلُ العلم بلغةِ العربِ ، فكان بعضُ نحْويِّى البصرةِ يقولُ : يقالُ : خَلَوتُ إلى فلانٍ . إذا أُرِيد به : خلَوتُ إليه فى [2]الحاجةِ خاصَّةً[2] ، لا يَحْتَملُ - إذا قيل كذلك - إلا الخلاءَ إليه فى قضاءِ الحاجةِ . فأما إذا قيل : خَلَوتُ به . احْتَمل معنيين : **أحدُهما** ، الخلاءُ به فى الحاجةِ . **والآخرُ** ، فى[3] السخريةِ به . فعلى هذا القولِ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ لا شكَّ أفصحُ منه لو قيل : وإذا خَلَوا بشياطينِهم . لما فى قولِ القائلِ : وإذا خَلَوا بشياطينِهم . من التباسِ المعنى على سامِعيه[4] ، الذى هو مُنْتَفٍ عن قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ . فهذا أحدُ الأقوالِ .

والقولُ الآخرُ : [5]أن تُوجِّهَ[5] معنى قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ :

---

(١) فى ص : « وقال » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، م : « حاجة خاصة » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى ص : « سامعه » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ٢ : « فأن توجه » ، وفى م : « أن توجيه » .

و[١] إذا خَلَوا مع شياطينِهم . إذ كانت حروفُ الصفاتِ[٢] يُعاقِبُ بعضُها بعضًا ، كما قال اللَّهُ مُخبرًا عن عيسى ابنِ مريمَ أنه قال للحواريين : ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الصف : ١٤] . يريدُ : مع اللَّهِ . وكما تُوضعُ « على » فى موضعِ « مِن » و « فى » و « عن » ، و « الباء » ، كما قال الشاعرُ[٣] :

إذا رَضِيَتْ علىَّ بنو قُشيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أعْجَبَنى رِضَاها

بمعنى : عَنِّى .

وأما بعضُ نحْويِّى[٤] الكوفةِ ، فإنه كان يتأوَّلُ أن ذلك بمعنى : وإذا لَقُوا الذين آمَنوا قالوا آمَنَّا ، وإذا صرَفوا خَلاءَهم إلى شياطينِهم . فيزعُمُ أن الجالبَ لـ ﴿إِلَى﴾ المعنى الذى دلَّ عليه الكلامُ من انصرافِ المنافقين عن لقاءِ المؤمنين إلى شياطينهم خالِين بهم ، لا قولُه : ﴿خَلَوْاْ﴾ . وعلى هذا التأويلِ لا يَصْلُحُ فى[٥] موضعِ ﴿إِلَى﴾ غيرُها ؛ لتغيُّرِ الكلامِ بدخولِ غيرِها من الحروفِ مكانَها .

وهذا القولُ عندى أوْلى بالصوابِ ؛ لأن لكلِّ حرفٍ من حروفِ المعانى وجهًا هو به أوْلى من غيرِه ، فلا يصلُحُ تحويلُ ذلك عنه إلى غيرِه إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ

---

(١) فى ت ٢: « فإذا » ، وفى م : « أى » .

(٢) حروف الصفات هى حروف الجر ، وسميت بذلك لأنها تحدث صفة فى الاسم ، فقولك : جلست فى الدار . دلت « فى » على أن الدار وعاء للجلوس ، وقيل : لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . همع الهوامع ٢/ ١٩. وهى أيضًا حروف المعانى ، كما سيأتى .

(٣) هو القحيف العجلى ، وينظر البيت فى النوادر لأبى زيد ص ١٧٦، والكامل ٢/ ١٩٠، ٣/ ٩٨، والخزانة ٢/ ١٣٢.

(٤) بعده فى ص ، م : « أهل » .

(٥) سقط من : ص .

لها ، ولـ « إلى »[(١)] فى كلِّ موضعٍ دخَلت من الكلامِ حُكْمٌ ، وغيرُ جائزٍ سَلْبُها معانيَها فى أماكِنها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

أجْمع أهلُ التأويلِ جميعًا لا خلافَ بينهم على أن معنى قولِه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : إنما نحن ساخرون . فمعنى الكلام إذن : وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مَرَدتِهم من المنافقين والمشركين قالوا : إنا معكم على[(٢)] ما أنتم عليه ، من التكذيبِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، ومعاداتِه ومعاداةِ أتباعِه ، إنما نحن ساخرون بأصحابِ محمدٍ ﷺ [(٣)]فى قيلِنا[(٣)] لهم إذا لَقِيناهم : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . [٣٦/١و]

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ[(٤)] بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : ساخرون بأصحابِ محمدٍ ﷺ[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ،عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أى : إنما نحن نَسْتهزِئُ بالقومِ ونلعبُ بهم[(٦)] .

١٣٢/١ / **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ العَقَديُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ،

(١) فى ص : « الأولى » .

(٢) فى م : « عن » .

(٣ - ٣) فى ص : « بقيلنا » .

(٤) فى م : « قيس » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ (١٤٢) من طريق محمد بن العلاء به . وهو تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٠٦.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣١. وهو تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٠٧.

عن قتـادةَ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : إنما نَستهـزِئُ بهؤلاء القومِ ونَسْخَرُ بهم [١] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : نَستَهزِئُ بأصحابِ محمدٍ ﷺ [٢] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .

قـال أبو جعفرٍ : اختُـلِف في صفةِ استهزاءِ اللَّهِ تعالى ذكرُه الذي ذكَر أنه فاعلُه بالمنافقين الذين وصَف صفتَهم ؛ **فقال بعضُهم** : استهزاؤُه بهم كالذي أخْبرنا تبارك اسمُه أنه فاعلٌ بهم يومَ القيامةِ في قولِه تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤] الآية . وكالذي أخبرنا أنه فعَل بالكفارِ بقولِه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] . فهذا وما أشبهه من استهزاءِ اللَّهِ تعالى ذكرُه وسخريتِه ومكرِه وخديعتِه للمنافقين وأهلِ الشركِ به ، عندَ قائلي هذا القولِ ومتأوِّلي هذا التأويلِ .

وقال آخرون : بل استهزاؤُه بهم توبيخُه إياهم ، ولومُه لهم على ما ركِبوا من معاصيه [٣]

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٢) معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣١/١ إلى عبد بن حميد . وهو تتمة الأثر السابق في ص ٣٠٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في م : « معاصي الله » .

والكفرِ به ، كما يقالُ : إن فلانًا ليُهْزَأُ منه[(١)] اليومَ ، ويُسخرُ منه . يُرادُ به توبيخُ الناسِ إيَّاه ولومُهم له . أو[(٢)] إهلاكُه إيَّاهم وتدميرُه بهم ، كما قال عَبِيدُ بنُ الأبْرَصِ[(٣)] :

سَائِلْ بنا حُجْرَ ابنِ أُمِّ قَطَامِ إذْ ظلَّت به السُّمْرُ النواهِلُ[(٤)] تَلعبُ

فزعَموا أن السُّمْرَ - وهى القَنَا - لا لَعِبَ منها ، ولكنها لما قتَلَتهم وشرَّدتهم ، جعَل ذلك من فعلِها لعبًا بمن فعَلَت ذلك به . قالوا : فكذلك استهزاءُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بمَن استَهزَأ به من أهلِ النِّفاقِ والكفرِ به ، إما إهلاكُه إيَّاهم وتدميرُه بهم ، وإما إملاؤُه لهم ليأخُذَهم فى حالِ أمنِهم عندَ أنفسِهم بَغتةً ، أو توبيخُه لهم ولائمتُه إيَّاهم . قالوا : وكذلك معنى المكرِ منه والخديعةِ والسُّخريةِ .

وقال آخرون : قولُه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ . على الجوابِ ، كقولِ الرجلِ لمن كان يخدَعُه إذا ظَفِر به : أنا الذى خدَعتُك . ولم تكنْ منه خديعةٌ ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمرُ إليه . قالوا : وكذلك قولُه : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، و﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ . على الجوابِ ، واللَّهُ لا يكونُ منه المكرُ ولا الهُزْءُ . والمعنى عندَهم[(٥)] أن المكرَ والهُزْءَ حاقَ بهم .

(١) بعده فى ر : « منذ » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ٢ : « و » .

والضمير فى قوله : إهلاكه إياهم وتدميرهم . عائد على اللَّه سبحانه ، وهو معطوف على قوله : توبيخه إياهم .

(٣) ديوانه ص ٧ .

(٤) النواهل ، جمع الناهل والناهلة : وهى الإبل العطاش ، تشبه بها الرماح ، كأنها تعطش إلى الدم . التاج (ن هـ ل) .

(٥) زيادة من : ر .

وقال آخرون : قولُه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . وقولُه : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] . وقولُه : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] . و ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] . وما أشْبه ذلك – إخبارٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أنه مجازِيهم جزاءَ الاستهزاءِ ، ومعاقبُهم عقوبةَ الخِداعِ ،
١٣٣/١ فأخْرج خبرَه عن جزائِه / إيَّاهم وعقابِه[1] لهم ، مُخْرَجَ خبرِه عن فعلِهم الذى عليه استحقُّوا العقابَ فى اللفظِ ، وإن اخْتَلف المعنَيان ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] . ومعلومٌ أن الأُولَى من صاحِبها سيئةٌ ، إذ كانت منه للَّهِ تبارك وتعالى معصيةً ، وأن الأخرى عَدْلٌ ؛ لأنها من اللَّهِ جزاءٌ للعاصى على المعصيةِ ، فهما – وإن اتَّفق لفظاهما – مختلفتا المعنى ، وكذلك قولُه : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . فالعُدْوانُ الأولُ ظلمٌ ، والثانى جزاءٌ لا ظلمٌ ، بل هو عَدلٌ ؛ لأنه عقوبةٌ للظالمِ على ظلمِه ، وإن وافق لفظُه لفظَ الأولِ . وإلى مثلِ[2] هذا المعنى وَجَّهوا كلَّ ما فى القرآنِ من نظائرِ ذلك ، مما هو خبرٌ عن مكرِ اللَّهِ جَلَّ وعزَّ بقومٍ ، وما أشْبَه ذلك .

وقال آخرون : إن معنى ذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدتِهم قالوا : إنا معكم على دينِكم فى تكذيبِ محمدٍ ﷺ وما جاء به ، وإنما نحن – بما نُظهِرُ لهم من قولِنا لهم : صدَّقْنا بمحمدٍ ﷺ وما جاء به – مستهزِئون . يعنُون أنَّا نُظهِرُ لهم ما هو عندَنا باطلٌ لا حَقٌّ ولا هُدًى . قالوا : وذلك هو معنًى من معانى الاستهزاءِ ، فأخْبر اللَّهُ أنه يَسْتهزئُ بهم ، فيُظهِرُ لهم من أحكامِه فى الدنيا خلافَ الذى لهم عندَه فى الآخرةِ ، كما أظْهروا للنبىِّ ﷺ والمؤمنين فى الدينِ ما هم على خلافِه فى سرائرِهم .

(١) فى ص : « معاقبته » .
(٢) زيادة من : ر .

والصوابُ في ذلك من القولِ والتأويلِ عندَنا أن معنى الاستهزاءِ في كلامِ العربِ إظهارُ المستهزِئ للمستهزَأ به من القولِ والفعلِ ما يُرْضِيه ويُوافِقُه[1] ظاهرًا، وهو بذلك من قيلِه وفعلِه به مُوَرِّطُه[2] مساءَتَه[3] باطنًا، وكذلك معنى الخِداعِ والسُّخريةِ والمكرِ.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قد جعَل لأهلِ النِّفاقِ في الدنيا من الأحكامِ - بما أظْهروا بألسنتِهم من الإقرارِ باللَّهِ وبرسولِه وبما جاء به من عندِ اللَّهِ، المُدْخِلِهم[4] في عِدادِ مَن يشمَلُهم[5] اسمُ الإسلامِ، وإن كانوا[6] لغيرِ ذلك مُستبطِنين[7] - أحكامَ المسلمين[8] المصدِّقين إقرارَهم بألسنتِهم بذلك، بضمائرِ قلوبِهم، وصَحائحِ عزائمِهم، وحميدِ أفعالِهم المحققةِ لهم صحةَ إيمانِهم، مع علمِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ بكذبِهم، واطلاعِه على خُبْثِ اعتقادِهم، وشكِّهم فيما ادَّعَوا بألسنتِهم أنهم به[9] مصدِّقون، حتى ظنُّوا في الآخِرةِ - إذ حُشِروا في عِدادِ من كانوا في عِدادِهم في الدنيا - أنّهم وارِدُون مَوْرِدَهم، وداخِلون مَدْخَلَهم، واللَّهُ جلَّ جلالُه مع إظهارِه ما قد أظْهر لهم من الأحكامِ المُلْحِقتِهم[10] في عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرةِ

---

(١) سقط من: ص، وفي ر، ت ٢: «يوفقه».

(٢) في م: «مورثه».

(٣) في ص، م: «مساءة».

(٤) في م: «المدخل لهم».

(٥) في ص، م: «يشمله».

(٦) في ر: «كان».

(٧) بعده في م: «من».

(٨) في ر: «الإسلام».

(٩) سقط من: م.

(١٠) في م: «الملحقهم».

إلى [١/٣٦ظ] حالِ تمييزِه بينَهم وبينَ أوليائِه ، وتفريقِه بينهم وبينهم - مُعِدٌّ لهم من أليمِ عقابِه ونَكالِ عذابِه ، ما أعدَّ منه لأعْدى أعدائِه ، وشرِّ[(١)] عبادِه ، حتى ميَّز بينهم وبينَ أوليائِه ، فألحَقَهم من طبقاتِ جحيمِه بالدركِ الأسفلِ [(٢)]من النارِ[(٢)] - كان معلومًا[(٣)] أنه جلَّ ثناؤُه بذلك من فعلِه بهم ، وإن كان جزاءً لهم على أفعالِهم ، وعدلًا ما فعَل من ذلك بهم ؛ لاستحقاقِهم إيَّاه منه بعصيانِهم له كان بهم بما أظهَر لهم من الأمورِ التى أظْهرها لهم من إلحاقِه أحكامَهم فى الدنيا بأحكامِ أوليائِه وهم له أعداءٌ ، وحشرِه إيّاهم فى الآخرةِ مع المؤمنين وهم به من المكذِّبين ، إلى أن ميَّز بينَهم [(٤)]وبينَهم - مستهزِئًا بهم[(٤)] وساخرًا ، ولهم خادِعًا ،وبهم ماكرًا ؛ إذ كان معنى الاستهزاءِ والسُّخريةِ والمكرِ والخديعةِ ما وصَفنا قبلُ ، دونَ أن يكونَ ذلك معناه فى حالٍ فيها
١/١٣٤ المستهزِئُ بصاحبِه له ظالمٌ ، أو عليه فيها[(٥)] عادلٌ ، بل ذلك معناه فى كلِّ / أحوالِه ، إذا[(٦)] وُجدَت الصفاتُ التى قدَّمنا ذكرَها فى معنى الاستهزاءِ وما أشْبَهه من نظائِرِه .

وبنحوِ ما قلنا فيه رُوى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ،

---

(١) فى م : « أشر » .

(٢ - ٢) زيادة من : ر .

(٣) قوله : كان معلوما . جواب قوله: فإذ كان ذلك كذلك ... المتقدم أول الفقرة .

(٤ - ٤) فى م : « وبينهم مستهزئا » .

(٥) بعده فى م : « غير » .

(٦) فى ر : « إذ قد » .

عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . قال : يسخَرُ بهم للنِّقمةِ منهم[١] .

وأمّا الذين زعَموا أن قولَ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . إنما هو على وجهِ الجوابِ ، وأنه لم يكنْ من اللَّهِ استهزاءٌ ولا مكرٌ ولا خديعةٌ ، فنافون عن اللَّهِ جلّ ثناؤُه ما قد أثْبَته اللَّهُ جلّ ثناؤُه لنفسِه وأوْجَبه لها . وسواءٌ قال قائلٌ : لم يكنْ من اللَّهِ جلَّ ذكرُه استهزاءٌ ولا مكرٌ[٢] ولا سُخريةٌ بمن أخْبَر أنه يَسْتَهزِئُ ويسخَرُ ويمكُرُ به . أو قال : لم يخسِفِ اللَّهُ بمن أخْبَر أنه خسَف به من الأممِ ، ولم يُغرِقْ من أخْبَر أنه غرّقه منهم .

ويقالُ لقائلِ ذلك : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخْبَرنا أنه مكَر بقومٍ مضَوا قبلَنا لم نَرَهم ، وأخْبَر عن آخرين أنه خسَف بهم ، وعن آخرين أنه غرّقهم ، فصدَّقْنا اللَّهَ جلّ ثناؤُه فيما أخْبَرنا به من ذلك ، ولم نفرِّقْ بين شيءٍ منه ، فما برهانُك على تفريقِك ما فرَّقْتَ بينَه ، بزعمِك أنه قد غرّق وخسَف بمن قد[٣] أخْبَر أنه غرّقه وخسَف به ، ولم يمكُرْ بمن أخْبَر أنه قد مكَر به ؟ ثم يُعكَسُ القولُ عليه فى ذلك ، فلن يقولَ فى أحدِهما شيئًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه .

فإن لجَأ إلى أن يقولَ : إن الاستهزاءَ عبثٌ ولعبٌ ، وذلك عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ منفيٌّ .

قيل له : إن كان الأمرُ عندَك على ما وصَفْتَ من معنى الاستهزاءِ ، أفَلسْتَ تقولُ : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بهم ، وسخِر اللَّهُ منهم ، ومكَر اللَّهُ بهم . وإن لم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٤٨ (١٤٣) من طريق أبى كريب به .

(٢) بعده فى م : « ولا خديعة » .

(٣) زيادة من : ر .

يكنْ من اللَّهِ عندَك هُزْءٌ ولا سخريةٌ ؟ فإن قال : لا . كذَّب بالقرآنِ ، وخرَج من[1] ملَّةِ الإسلامِ . وإن قال : بلى . قيل له : أفتقولُ من الوجهِ الذى قلت : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ : يلعَبُ اللَّهُ بهم ويعبَثُ . ولا لعبَ من اللَّهِ ولا عبثَ ؟ فإن قال : نعم . وصَف اللَّهَ بما قد أجْمَع المسلمون على نفيه عنه ، وعلى تخطئةِ واصفِه به ، وأضاف إليه ما قد قامت الحجةُ من العقولِ على ضلالِ مُضيفِه إليه . وإن قال : لا أقولُ : يلعبُ اللَّهُ بهم ، ولا يعبَثُ . وقد أقولُ : يَسْتهزِئُ بهم ، ويسخَرُ منهم . قيل : فقد فرَّقت بين معنى اللعبِ والعبثِ ، والهُزْءِ والسخريةِ ، والمكرِ والخديعةِ ، ومن الوجهِ الذى جاز قيلُ هذا ، ولم يَجُزْ قيلُ هذا ، افْترق معنياهما ، فعُلم أن لكلٍّ واحدٍ منهما معنًى غيرَ معنى الآخرِ .

وللكلامِ فى هذا النوعِ موضعٌ غيرُ هذا ، كرِهنا إطالَة الكتابِ باستقصائِه ، وفيما ذكَرْنا كفايةٌ لمن وُفِّق لفَهمِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، **قال** : حدَّثنا عمرٌو ، **قال** : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ : يُملى لهم[2] .

---

(١) فى م : « عن » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٨/١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ (١٤٤) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وسيأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢.

/ وقال آخرون بما حدَّثني به المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، عن ١٣٥/١
ابنِ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ قراءةً ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ قال : يَزِيدُهم[(١)] .

وكان بعضُ نحويِّى[(٢)] البصرةِ يتأوَّلُ ذلك أنه بمعنى : يَمُدُّ لهم . ويزعُمُ أن ذلك نظيرُ قولِ العربِ : الغلامُ يلعَبُ الكِعابَ . [(٣)]يُراد به : يلعَبُ بالكِعابِ[(٣)] . قال : وذلك أنهم قد يقولون : قد مدَدْتُ له ، وأمْددْتُ له . فى غيرِ هذا المعنى ، وهو قولُ اللَّهِ جلَّ وعز : ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم ﴾ [الطور : ٢٢] . وهذا من : أمْدَدناهم . قال : ويقالُ : قد مدَّ البحرُ فهو مادٌّ ، وأمَدَّ الجُرْحُ فهو مُمِدٌّ .

وحُكِى عن يونسَ الجَرْمىِّ[(٤)] أنه كان يقولُ : ما كان من الشرِّ فهو : مدَدْتُ ، وما كان من الخيرِ فهو : أَمْدَدتُ . ثم قال : وهو كما فسَّرتُ لك ، إذا أردتَ أنك ترَكْتَه فهو : مَدَدتُ له ، وإذا أردتَ أنك أعْطَيتَه قلت : أمْدَدتُ .

وأما بعضُ نحويِّى الكوفةِ فإنه كان يقولُ : كلُّ زيادةٍ حدَثت فى الشىءِ من نفسِه ، فهو : مَدَدتُ ، بغيرِ ألفٍ ، كما تقولُ : مدَّ النهَرُ ، [(٥)]ومدَّه نهَرٌ[(٥)] آخرُ غيرُه . إذا اتَّصل به فصار منه ، وكلُّ زيادةٍ حَدَثت فى الشىءِ من غيرِه فهو بألفٍ ، كقولِك : أمدَّ الجُرْحُ ؛ لأنَّ المِدَّةَ من غيرِ الجُرحِ ، وأمْدَدتُ الجيشَ بمَدَدٍ .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ فى قولِه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ . أن يكونَ بمعنى :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ (١٤٥) من طريق ابن جريج به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده فى ر : « أهل » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٤/ ٨٥.

(٥ - ٥) فى ص : « مده فهو » ، وفى ر : « مد نهر » .

يزيدُهم . على وجهِ [(١)] الإملاءِ والتركِ لهم فى عُتوِّهم وتمرُّدِهم ، كما وصَف ربُّنا جلَّ ثناؤُه أنه فعَل بنظرائِهم فى قولِه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] . [(٢)] فكذلك قولُه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [(٢)] . يعنى : [(٣)] يَذَرُهم ويتركُهم فيه ، ويُملى [(٣)] لهم ليزدادوا إثمًا إلى إثمِهم .

ولا وجهَ لقولِ من قال : ذلك بمعنى : يَمُدُّ لهم . لأنَّه [(٤)] لا تدافُعَ بين [(٤)] العربِ وأهلِ المعرفةِ بلغتِها أن يستجيزوا قولَ القائلِ : مدَّ النهرَ [(٥)] نهرٌ آخرُ . بمعنى : اتصل به فصار [(٦)] زائدًا [(٧)] ماءُ المتَّصلِ [(٧)] به بماءِ المتَّصِلِ . مِن غيرِ تأوُّلٍ منهم ذلك [(٨)] أن معناه : [١/٣٧و] مدَّ النهرَ [(٩)] نهرٌ آخرُ . فكذلك ذلك فى قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والطغيانُ الفُعْلانُ ، من قولِك : طغَى فلانٌ يطغَى طُغْيانًا . إذا تجاوَز فى الأمرِ حدَّه فبغَى . ومنه قولُ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن

---

(١) فى ر : « معنى » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م .

(٣ - ٣) فى ص ، م : « نذرهم ونتركهم فيه ونملى » .

(٤ - ٤) فى ص : « تتدافع » .

(٥) فى ص : « إليهم » .

(٦) فى ص : « صارا » .

(٧ - ٧) فى ر ، ت ٢ : « ما اتصل » ، وفى ت ١ : « بماء المتصل » .

(٨) فى ص : « وذلك » .

(٩) فى ص : « للنهر » .

رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦، ٧] . أى : يتجاوزُ حدَّه . ومنه قولُ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[١] :

ودعا اللَّهَ دعوةً [٢]لاتَ هَنَّا[٢] بعدَ طُغْيانِه فظلَّ[٣] مُشيرَا

وإنما عنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾ أى[٤] : يُملى لهم ، ويذَرُهم يبغُون فى ضلالَتِهم[٥] وكفرِهم حَيارَى يتردَّدون .

كما حُدِّثت عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بِشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . قال : فى كفرِهم يتردَّدون[٦] .

وحدَّثنى موسى بنُ هارون ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره/عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ ١٣٦/١ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾ : فى كفرِهم[٧] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾ : فى ضلالتِهم[٨] .

حُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) ديوانه ص ٤٤.

(٢ - ٢) فى الديوان : « لا يهنا » .

(٣) فى إحدى نسخ الديوان : « فصار » .

(٤) فى م : « أنه » .

(٥) فى ص ، م : « ضلالهم » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٤٨، ١٥٠) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٧) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢ .

(٨) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٤٨) معلقا .

الرَّبيعِ : ﴿ فِى طُغْيَنِهِمْ ﴾ : فى ضلالتِهم[(١)] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فِى طُغْيَنِهِمْ ﴾ قال : طغيانُهم كفرُهم وضلالتُهم[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ يَعْمَهُونَ ۝١٥ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والعَمَهُ نفسُه الضلالُ . يقالُ منه : عمِه فلانٌ يعمَهُ عَمَهانًا وعُموهًا ، إذا ضلَّ . ومنه قولُ رؤْبَةَ بنِ العجّاجِ يصفُ مَضَلَّةً من المَهامِهِ[(٣)] :

ومَخْفَقٍ[(٤)] من لُهْلُهٍ[(٥)] ولُهْلُهِ
من[(٦)] مَهْمَهٍ[(٧)] يَجْتَبْنَهُ[(٨)] فى[(٩)] مَهْمَهِ
أعْمَى الهُدى بالجاهلين العُمَّهِ

والعُمَّهُ جمعُ عامِهٍ ، وهم الذين يضلُّون فيه فيتحيَّرون .

فمعنى قولِه جلَّ ثناؤُه إذن[(١٠)] : ﴿فِى طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ . فى ضلالتِهم وكفرِهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٤٨) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٩/١ عن ابن زيد .
(٣) ديوان رؤبة (مجموعة أشعار العرب) ص ١٦٦ .
(٤) المخفق : الأرض التى تستوى فيكون فيها السراب مضطربا . اللسان (خ ف ق) .
(٥) فى ص : « أهله » . واللهله : الأرض الواسعة يضطرب فيها السراب . اللسان (لهله) .
(٦) فى الديوان : « و » .
(٧) المهمه : الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس . اللسان (م هـ هـ) .
(٨) فى الديوان : « أطرافه » ، وفى ص : « يجتنه » ، وفى ت ١ : « يجبنه » . وجاب المفازة جوبًا : قطعها . تاج العروس (ج و ب) .
(٩) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « و » .
(١٠) سقط من : م .

الذى قد غمَرَهم دَنَسُه ، وعلاهم رِجْسُه ، يتردَّدون حَيارَى ضُلَّاً لَا ، لا يجدون إلى المَخْرَجِ منه سبيلًا ؛ لأنَّ اللَّهَ قد طبَع على قلوبِهم ، وختَم عليها ، وأَعْمَى أبصارَهم عن الهدَى وأغشاها[1] ، فلا يُبْصِرونَ رُشْدًا ، ولا يهتَدون سبيلًا .

وبنحوِ ما قلنا فى العَمَهِ جاء تأويلُ المتأوِّلين .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن مُرَّةَ** ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ : يتمادَوْن فى كفرِهم[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهِيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ . قال : يتمادَوْن[3] .

حُدِّثت عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ . قال : يتردَّدون[4] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ : المتلدِّدُ[5] .

---

(١) فى ص : « أعشاها » ، وفى ت ٢: « أعشاهم » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٤٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى ابن المنذر .

(٤) تقدم فى ص ٣٢١.

(٥) سقط من : ص ، وفى ت ١: « التلذذ » ، وفى ت ٢: « المتلذذ » . وتلدد : تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا . اللسان (ل د د) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . قال : يتردَّدون[١] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفَة ، قال حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

١٣٧/١ / **حدَّثنا** سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المُثنى ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، عن ابنِ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ قراءةً ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ قال : يتردَّدون[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا[٣] قائلٌ : وكيف اشترى هؤلاءِ القومُ الضلالةَ بالهدى ، وإنما كانوا منافقين لم يتقدَّمْ نفاقَهم إيمانٌ فيقالَ فيهم : باعوا هداهم الذى كانوا عليه بضلالتِهم التى[٤] اسْتَبدلوها منه . وقد علِمتَ أن معنى الشراءِ المفهومَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٦، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٥٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « حتى » .

اعتياضُ شيءٍ ببذلِ شيءٍ مكانَه عِوَضًا منه ، والمنافقون الذين وصَفهم اللَّهُ بهذه الصفةِ لم يكونوا قطُّ على هُدًى فيتْرُكوه ويَعْتاضوا منه كفرًا ونفاقًا ؟

قيل : قد اختَلف أهلُ التأويلِ في معنى ذلك ، فنذكُرُ ما قالوا فيه ، ثم نبيِّنُ الصحيحَ من التأويلِ في ذلك إن شاء اللَّهُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ أى : الكفرَ بالإيمانِ[1] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ . يقولُ[2] : أَخَذوا الضلالةَ وترَكوا الهدى[3] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ : استَحبُّوا الضلالةَ على الهُدى[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩/١ (١٥٣) من طريق سلمة به .

(٢) في ص ، ت ١: « قال » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٩/١ عن السدى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٠/١ (١٥٥) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٤) بعده في ت ٢ : « وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ . استحبوا الضلالة على الهدى » .=

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ : آمَنوا ثم كفَروا[١] .

حدَّثنا المُثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

قال أبو جعفرٍ : فكأنَّ[٢] [١/٣٧ظ] الذين قالوا فى تأويلِ ذلك : أخَذوا الضلالةَ وترَكوا الهدى . وجَّهوا معنى الشِّراءِ إلى أنه أخْذُ المُشْترِى المُشْتَرَى[٣] مكانَ الثمنِ المشترَى به ، فقالوا : كذلك المنافقُ والكافرُ قد أخَذا مكانَ الإيمانِ الكفرَ ، فكان ذلك منهما شراءً للكفرِ والضلالةِ اللذين أخَذاهما بترْكِهما ما ترَكا من الهدى ، وكان الهدى الذى ترَكاه هو[٤] الثمنَ الذى جعَلاه عِوَضًا من الضلالةِ التى أخذاها .

وأما الذين تأوَّلوا أن معنى قولِه : ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ : استحبُّوا . فإنهم لما وجَدوا اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد وصَف الكفارَ فى موضعٍ آخرَ ، فنسبَهم إلى استحبابِهم الكفرَ على الهدى ، فقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [فصلت : ١٧] . صرَفوا قولَه : ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ إلى ذلك ، وقالوا :

= وأثر قتادة أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ، كما فى الدر المنثور ٣٢/١- ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٥٢) - عن معمر عن قتادة . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٣٣٠.

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٧، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٠/١ (١٥٤) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) فى م : « فكان » .

(٣) سقط من : ص ، م .

(٤) فى ر : « من » .

قد تدخُلُ/الباءُ مكانَ « عَلَى » ، و « على » مكانَ الباءِ ، كما يقالُ : مَرَرْتُ بفلانٍ ، ١٣٨/١
ومَرَرْتُ على فلانٍ . بمعنًى واحدٍ ، وكقولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] . يُريدُ[1] : على قنطارٍ . فكان تأويلُ الآيةِ على معنى هؤلاء : أولئك الذين اختاروا الضلالةَ على الهدى . وأُراهم وجَّهوا معنى قولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱشْتَرَوُا۟ ﴾ إلى معنى : اختاروا ؛ لأن العربَ تقولُ : اشْتَريتُ كذا على كذا ، واسْتَرَيتُه . يعنُون : اخترتُه عليه . ومن الاسْتِراءِ[2] قولُ أعْشى بنى ثعلبةَ[3] :

فقد أُخرِجُ الكاعبَ[4] المُسْتَرا ةَ[5] من خِدْرِها وأُشِيعُ القِمَارَا

يَعنى بالمسْتراةِ[6] المختارةَ .

وقال ذو الرُّمَّةِ فى الاشتراءِ بمعنَى الاختيارِ[7] :

يذُبُّ القَصَايا[8] عن شَرَاةٍ[9] كأنَّها جماهيرُ[10] تحت المُدْجِناتِ[11] الهَوَاضِبِ[12]

يعنى بالشَّراةِ المختارةَ .

---

(١) فى م : « أى » .
(٢) فى ر ، م : « الاشتراء » .
(٣) ديوانه ص ٤٥.
(٤) الكاعب : الجارية التى نهد ثديها . اللسان (ك ع ب) .
(٥) فى م : « المشتراة » .
(٦) فى م : « بالمشتراة » .
(٧) ديوان ذى الرمة ١/ ٢١٢.
(٨) القصايا : خيار الإبل ، وقيل : القصية من الإبل رذالتها . وهو المراد هنا . اللسان (ق ص ى) .
(٩) فى الديوان ، واللسان (ق ص ى) : « سراة » ، وفى اللسان (ش ر ى) : « شراة » .
(١٠) الجماهير جمع الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع . اللسان (جمهر) .
(١١) أدجن المطر : دام فلم يقلع أياما . اللسان (د ج ن) .
(١٢) الهضبة : المطرة الدائمة العظيمة القطر . اللسان (هـ ض ب) .

وقال آخرُ فى مثلِ[(١)] ذلك[(٢)] :

إن الشَّرَاةَ رُوقةُ[(٣)] الأَموالِ
وحَزْرَةُ[(٤)] القَلْبِ خِيارُ المَالِ

قال أبو جعفرٍ : وهذا وإن كان وجهًا من التأويلِ ، فلستُ له بمختارٍ ؛ لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه قال : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ . فدلَّ بذلك على أن معنَى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ معنَى الشراءِ الذى يتعارفُه الناسُ ، من استبدالِ شىءٍ مكانَ شىءٍ ، وأخذِ عِوَضٍ على عوضٍ .

وأما الذين قالوا : إن القومَ كانوا مؤمنين فكفَروا . فإنه لا مؤنةَ عليهم لو كان الأمرُ على ما وصَفوا به القومَ ؛ لأن الأمرَ إذا كان كذلك ، فقد ترَكوا الإيمانَ ، واسْتَبدلوا به الكفرَ عوضًا من الهدى ، وذلك هو المعنى المفهومُ من معانى الشِّراءِ والبيعِ ، ولكنّ دلائلَ[(٥)] أولِ الآياتِ فى نعوتِهم إلى آخرِها دالَّـةٌ على أن القومَ لم يكونوا قطُّ استَضاءوا بنورِ الإيمانِ ، ولا دخَلوا فى ملَّةِ الإسلامِ ، أوَ ما تسمَعُ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه من لَدُنِ ابْتَدأ فى نعتِهم إلى أن أتى على صفتِهم ، إنما وصَفهم بإظهارِ الكذبِ بألسنتِهم بدَعْوَاهم التصديقَ بنبيِّنا محمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، خِداعًا للَّهِ ولرسولِه وللمؤمنين عندَ أنفسِهم ، واستهزاءً فى أنفسِهم بالمؤمنين ، وهم لغيرِ ما كانوا يُظهِرون مُشتبطنون ، يقولُ[(٦)] اللَّهُ جلَّ جلالُه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ

(١) فى ر : « معنى » .
(٢) البيت الأول فى أساس البلاغة ص ١٧٠، والبيت الثانى فى الصحاح ، واللسان ، والتاج (ح ز ر) .
(٣) الروقة : الجميل جدًّا من الناس . اللسان (ر و ق) .
(٤) حزرة القلب : نقاوته . ويقال : هذا حزرة نفسي : أى خير ما عندى . التاج (ح ز ر) .
(٥) فى ر ، ت ٢: « دلالة » .
(٦) فى م : « لقول » .

﴿ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ . ثم اقتصَّ قَصَصَهم إلى قولِه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ . فأين الدلالةُ على أنهم كانوا مؤمنين فكفَروا ؟

فإن كان[1] قائلُ هذه المقالةِ ظنَّ[2] أن قولَه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ هو الدليلُ على أن القومَ قد كانوا على الإيمانِ فانْتَقلوا عنه إلى الكفرِ ، فلذلك قيل لهم : ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾ . فإن ذلك تأويلٌ غيرُ مسلَّمٍ له ؛ إذ كان الاشتراءُ عندَ مخالفيه قد يكونُ أخذَ شيءٍ بتركِ آخرَ غيرِه ، وقد يكونُ بمعنى الاختيارِ ، وبغيرِ ذلك من المعانى ، والكلمةُ إذا احْتَمَلت وجوهًا لم يكنْ لأحدٍ صَرْفُ معناها إلى بعضِ وجوهِها دونَ بعضٍ إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أَوْلى عندى[3] بتأويلِ الآيـةِ ما رَوَينا عن ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ من تأويلِهما / قولَه : ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ : أخَذوا الضلالةَ ١٣٩/١
وترَكوا الهدى . وذلك أن كلَّ كافرٍ باللَّهِ فإنه مستبدِلٌ بالإيمانِ كفرًا[4] ، باكتسابِه الكفرَ الذى وُجد منه (٥) بدلًا من الإيمانِ (٥) الذى أُمِر به ، أوَ ما تسمَعُ اللَّهَ جَلَّ ثناؤه يقولُ فى من اكْتَسب كفرًا به مكانَ الإيمانِ به وبرسولِه : ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة : ١٠٨] . وذلك هو معنى الشراءِ ؛ لأنَّ كلَّ مشترٍ شيئًا فإنما يستبدلُ مكانَ الذى يُؤخذُ منه من البدلِ آخرَ بديلًا[6] منه ، (٧) فكذلك المنافقُ والكافرُ (٧) ، استَبدلَا بالهُدى الضلالَ والنِّفاقَ ، فأضلَّهما اللَّهُ ، وسلَبهما نورَ

---

(١) فى ص : « ظن » ، وفى ر : « قال » .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص : « عندنا » .

(٤) بعده فى ر : « و » .

(٥ - ٥) فى ر : « بالإيمان » .

(٦) فى م : « بدلا » .

(٧ - ٧) فى ص : « وكان الكافر والمنافق » .

الهدى ، فترَك جميعَهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك أن المنافقين بشرائِهم الضلالةَ بالهُدَى ، خسِروا ولم يربَحوا ؛ لأنَّ الرابحَ من التُّجارِ المستبدِلُ من سلعتِه المملوكةِ عليه بدلًا هو أنفسُ من سلعتِه[1] ، أو أفضلُ من ثمنِها الذى ابتاعَها به ، فأما المستبدِلُ من سلعتِه بدلًا[2] دونَها ، ودونَ الثمنِ الذى ابتاعَها به ، فهو الخاسرُ فى تجارتِه لا شكَّ . فكذلك الكافرُ والمنافقُ ؛ لأنهما اختارا الحَيْرَةَ والعمى على الرشادِ والهدى ، والخوفَ والرعبَ على الخَفْضِ[3] والأمنِ ، فاستَبدلا فى العاجلِ بالرشادِ الحَيْرَةَ ، وبالهدى الضلالةَ ، وبالخفضِ[4] الخوفَ ، وبالأمنِ الرعبَ ، مع ما قد أعدَّ لهما فى الآجلِ من أليمِ العقابِ وشديدِ العذابِ ، فخابا وخسِرا ذلك هو الخُسرانُ المبينُ . وبنحوِ ما قلنا فى ذلك كان قتادةُ يقولُ[5] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ : قد واللَّهِ رأيتُموهم ، خرَجوا من الهدَى إلى الضلالةِ ، [١/ ٣٨و] ومن الجماعةِ إلى الفُرقةِ ، ومن الأمنِ إلى الخوفِ ، ومن السُّنَّةِ إلى البدعةِ[6] .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وما وجهُ قولِه : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾ . وهل

---

(١) بعده فى ص : « المملوكة » .

(٢) فى ص : « ثمنا » .

(٣) فى ص ، م : « الحفظ » . والخفض : الدعة وطيب العيش . التاج (خ ف ض) .

(٤) فى ص ، م : « بالحفظ » .

(٥) فى ر ، ت ٢ : « يقوله » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٠ (١٥٧) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢٥.

التجارةُ مما تَربحُ أو تُوكَسُ[(١)] ، فيقالَ : رَبِحت أو وُضِعَت[(٢)] ؟

قيل : إن وجهَ ذلك على غيرِ ما ظننتَ ، وإنما معنى ذلك : فما ربِحوا فى تجارتِهم ، لا فيما اشْتَرَوا ولا فيما شَرَوا . ولكنّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه خاطَب بكتابِه عَربًا ، فسلَكَ فى خطابِه إيَّاهم وبيانِه لهم مسلَكَ خطابِ بعضِهم بعضًا وبيانِهم المستعمَلِ بينَهم . فلما كان فصيحًا لديهم قولُ القائلِ لآخرَ : خاب سعيُك ، ونام ليلُك ، وخَسِر بيعُك . ونحوُ ذلك من الكلامِ الذى لا يَخْفى على سامعِه ما يريدُ قائلُه ، خاطَبهم بالذى هو فى منطقِهم من الكلامِ ، فقال : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾ . إذ كان معقولًا عندَهم أن الربحَ إنما هو فى التجارةِ ، كما النومُ فى الليلِ ، فاكتفى بفَهمِ المخاطَبين بمعنى ذلك عن أن يقالَ : فما ربِحوا فى تجارتِهم . وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعرُ[(٣)] :

وشرُّ المَنايا مَيِّتٌ[(٤)] وَسْطَ[(٥)] أهلِه كهُلْكِ الفتاةِ[(٦)] أَسْلَمَ[(٧)] الحيَّ حاضِرُهْ

يعنى بذلك : وشرُّ المنايا مَنيَّةُ[(٨)] ميِّتٍ وسطَ أهلِه . فاكتفى بفهمِ سامعِ قيلِه مرادَه من ذلك عن إظهارِ ما ترَك إظهارَه . وكما قال رُؤْبةُ بنُ العجَّاجِ[(٩)] :

حارِثُ قد فرَّجتَ عنِّى همِّى

---

(١) فى م : « تنقص » . وهما بمعنى .

(٢) وُضِع فى تجارته : غُبن . اللسان (و ض ع) .

(٣) هو الحطيئة ، ينظر الكتاب ١/ ٢١٥، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١١٢.

(٤) فى الطبقات : « هالك » .

(٥) فى الكتاب : « بين » .

(٦) فى الكتاب : « الفتى » .

(٧) فى الطبقات : « أيقظ » ، وفى الكتاب : « قد أسلم » .

(٨) فى ر ، ت ٢: « ميتة » .

(٩) ديوانه ص ١٤٢.

فنام ليلى وتجلَّى غمِّى

١/١٤٠ / فوصَف بالنومِ الليلَ ، ومعناه أنه هو الذى نام . وكما قال جريرُ بنُ الخَطَفى[1] :

وأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أما نهارُه فأَعْمَى وأما ليلُه فبصيرُ

فأضاف العمى والإبصارَ إلى الليلِ والنهارِ ، ومرادُه وصفُ النَّبْهانىِّ[2] بذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ : ما كانوا رُشداءَ فى اختيارِهم الضلالةَ على الهدى ، واستبدالِهم الكفرَ بالإيمانِ ، واشترائِهم النفاقَ بالتصديقِ والإقرارِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وقد علمتَ أن الهاءَ والميمَ من قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ كنايةُ جماعٍ[3] من الرجالِ ، أو الرجالِ والنساءِ ، و ﴿ ٱلَّذِى ﴾ دلالةٌ على واحدٍ من الذكورِ ، فكيف جعَل الخبرَ عن الواحدِ مثلاً لجماعةٍ ؟ وهلَّا قيل : مثلُهم كمثلِ الذين اسْتَوقدوا نارًا ؟ وإن جاز عندَك أن تُمَثَّلَ الجماعةُ بالواحدِ ، فتُجيزَ لقائلٍ رأَى جماعةً من الرجالِ فأَعْجَبتْه صُوَرُهم وتمامُ خلقِهم وأجسامِهم أن يقولَ : كأن هؤلاءِ ، أو كأن أجسامَ

---

(١) ديوانه ٢/ ٨٧٧.

(٢) فى ص : « النهار » . والنبهانى : هو الأعور النبهانى ، نزل بجرير فأهدى إليه جرير ، ولكن الأعور أساء الأدب وأخذ يتفف على ما أهدى إليه ، فتهاجيا ، فكان ذلك مما أجابه به جرير .

(٣) فى م : « جماعة » .

هؤلاء نخلةٌ ؟

قيل : أمّا فى الموضعِ الذى مثَّل ربُّنا جلَّ ثناؤُه جماعةً من المنافقين بالواحدِ الذى جعَله لأفعالِهم مثلاً ، فجائزٌ حسنٌ ، وفى نظائرِه ، كما قال جلَّ ثناؤُه فى نظيرِ ذلك : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩] . يَعْنى : (١) كدَوْرِ أعينِ الذين يُغْشَى عليهم (١) من الموتِ . وكقولِه : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨] . بمعنى : إلا كبعثِ نفسٍ واحدةٍ .

وأمّا فى تمثيلِ أجسامِ الجماعةِ من الرجالِ فى الطولِ وتمامِ الخلقِ بالواحدةِ من النخيلِ ، فغيرُ جائزٍ ، ولا فى نظائرِه ، لفرقٍ بينَهما .

فأما تمثيلُ الجماعةِ من المنافقين بالمستوقِد الواحدِ ، فإنما جاز لأن المرادَ من (٢) الخبرِ عن مَثَلِ المنافقين (٣) الخبرُ عن مثَلِ استِضاءتِهم بما أظهَروا بألسنتِهم من الإقرارِ (٤) وهم لغيرِه مستبطِنون ، من اعتقاداتِهم الرديَّةِ ، وخلطِهم نفاقَهم الباطنَ بالإقرارِ بالإيمانِ الظاهرِ . والاستضاءةُ - وإن اخْتَلفَت أشخاصُ أهلِها - معنًى واحدٌ لا معانٍ مختلفةٌ ، فالمَثَلُ لها (٥) فى معنى المثلِ للشخصِ الواحدِ من الأشياءِ المختلفةِ الأشخاصِ .

وتأويلُ ذلك : مثَلُ استضاءةِ المنافقين بما أظْهَروا من الإقرارِ باللهِ عزّ وجل وبمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، قولًا ، وهم به مكذِّبون اعتقادًا ، كمثَلِ استضاءةِ المُوقدِ

(١ - ١) فى ت ١ : « كدوران الذى يغشى عليه » ، وفى م : « كدوران عين الذى يغشى عليه » .

(٢) فى ص : « بمثل » .

(٣) فى ص ، ت ٢ : « المنافق » .

(٤) بعده فى ت٢ : « والمراد هم الأفراد » .

(٥) فى ص ، ت ١ : « له » .

نارًا . ثم أُسقِط ذكرُ الاستضاءةِ وأُضِيف المثلُ إليهم ، كما قال نابغةُ بنى جَعْدةَ[(١)] :

وكيف تواصِلُ من أصْبَحتْ خِلالتُه[(٢)] كأبى مَرْحَبِ[(٣)]

يريدُ : كخِلالةِ أبى مرحبٍ . فأسْقَط « خِلالَـةَ » ؛ إذ كان فيما أظْهَر من الكلامِ دلالةٌ لسامعيه على ما حذَف منه .

١٤١/١ / فكذلك القولُ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ لما كان معلومًا عندَ سامعيه بما ظهَر[(٤)] من الكلامِ أن المثَلَ إنما ضُرِب لاستضاءةِ القومِ بالإقرارِ دونَ أعيانِ أجسامِهم ، حسُن حذفُ ذكرِ الاستضاءةِ وإضافةُ المثلِ إلى أهلِه ، والمقصودُ بالمثَل ما ذكَرنا . فلما وصَفنا جاز وحسُن قولُه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وتَشْبيهُ[(٥)] مثَلِ الجماعةِ فى اللفظِ بالواحدِ ، إذ كان المرادُ بالمثَلِ الواحدَ فى المعنى . وأما إذا أُريد تشبيهُ الجماعةِ من أعيانِ بنى آدمَ ، أو أعيانِ ذوى الصورِ والأجسامِ بشىءٍ ، فالصوابُ من الكلامِ تشبيهُ الجماعةِ بالجماعةِ ، والواحدِ بالواحدِ ؛ لأن عينَ كلِّ واحدٍ منهم غيرُ أعيانِ الآخرينَ ، ولذلك من المعنى افْتَرَق القولُ فى تشبيهِ الأفعالِ والأسماءِ ، فجاز تشبيهُ أفعالِ الجماعةِ من الناسِ وغيرِهم – [(٦)]إذا كانت[(٦)] بمعنًى واحدٍ – بفعلِ الواحدِ ، ثم حذفُ أسماءِ الأفعالِ ، وإضافةُ المثَلِ والتشبيهِ إلى الذين لهم الفعلُ ، فيقالُ : ما أفعالُكم إلا كفعلِ الكلبِ . ثم

---

(١) شعر النابغة الجعدى ص ٢٦ .

(٢) الخلالة والخلة : الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل . اللسان (خ ل ل) ، والبيت فيه .

(٣) أبو مرحب : كنية الظل . اللسان (ر ح ب) ، والبيت فيه .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ : « أظهر » .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢: « يشبه » .

(٦ – ٦) فى ت ٢: « إذا كان » ، وفى ت ١: « إذ كانوا » .

يُحذفُ فيقالُ : ما أفعالُكم إلا كالكلبِ ، أو[١] كالكلابِ . وأنت تعنى : إلّا كفعلِ الكلبِ ، وإلّا كفعلِ الكلابِ . ولم يَجُزْ أن تقولَ : ما هم إلا نخلةٌ . وأنت تريدُ تشبيهَ أجسامِهم بالنخلِ فى الطولِ والتمامِ .

وأما قولُه : ﴿ ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . فإنه فى تأويلِ : أوْقد ، كما قال الشاعرُ[٢] :

ودَاعٍ دَعَا يا من يُجيبُ إلى النَّدَى[٣] فلم يَسْتَجِبْه عندَ ذاك مُجيبُ

[١/٣٨ظ] يريدُ : فلم يُجِبْه .

فكان معنى الكلامِ إذن : مثَلُ استضاءةِ هؤلاء المنافقين فى إظهارِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين بألسنتِهم من قولِهم : آمنَّا باللَّهِ وباليومِ الآخرِ ، وصدَّقنا بمحمدٍ وبما جاء به . وهم للكفرِ مستبطِنون ، فيما[٤] اللهُ فاعلٌ بهم ، مثَلُ استضاءةِ موقِدٍ نارًا بنارِه ، حتى أضاءت له النارُ ما حولَه . يعنى ما حَولَ المستوقِدِ .

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ من أهلِ البصرةِ أن ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ بمعنى الذين ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] . وكما قال الشاعرُ[٥] :

---

(١) فى ر : « وإلا » .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوى ، والبيت فى الأصمعيات ص ٩٦، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٢١٣، وأمالى القالى ٢/ ١٥١.

(٣) الندى : الجود . الصحاح (ن د ى) .

(٤) فى ت ٢: « مما » .

(٥) هو الأشهب ابن رميلة ، والبيت فى الكتاب ١/ ١٨٧، والمؤتلف والمختلف ص ٣٧.

فإن الذى حانت بفَلْجٍ[(١)] دماؤُهُمْ هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ

قال أبو جعفرٍ : والقولُ الأولُ هو القولُ ؛ لِما وصَفْنا من العلةِ ، وقد أغْفَل قائلُ ذلك فرقَ ما بينَ « الذى » فى الآيتين وفى البيتِ ؛ لأن ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ قد جاءت الدَّلالةُ على أن معناها الجمعُ ، وهو قولُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ . وكذلك « الذى » فى البيتِ ، وهو قولُه : دماؤُهم . وليست هذه الدَّلالةُ فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾ . فذلك فرقُ ما بينَ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾ وسائرِ شواهدِه التى اسْتَشهد بها على أن معنى : ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾ بمعنى الجماعِ[(٢)] ، وغيرُ جائزٍ لأحدٍ نقلُ الكلمةِ التى[(٣)] الأغلبُ فى استعمالِ العربِ على معنًى إلى غيرِه إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها .

ثم اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فيه أقوالٌ :

أحدُها : ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ،/ أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، ١/١٤٢
قال : ضرَب اللَّهُ للمنافقين مثلًا فقال : ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ أى : يُبصِرون[(٤)] الحقَّ ويقولون به ، حتى إذا خرَجوا به من ظُلمةِ الكفرِ ، أطفئوه بكفرِهم به ونفاقِهم فيه ، فترَكهم فى ظلماتِ الكفرِ ، فهم لا يُبصِرون هدًى ،

---

(١) فلج : موضع بين البصرة وحمى ضرية . وقيل : هو واد بطريق البصرة إلى مكة ، ببطنه منازل للحاج . التاج (ف ل ج) .

(٢) فى م : « الجماعة » .

(٣) فى ص : « إلى » ، وفى م : « التى هى » .

(٤) فى سيرة ابن هشام : « لا يبصرون » .

ولا يَسْتقيمون على حقٍّ[(١)] .

والآخرُ : ما **حدَّثنا** به المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا** ﴾ إلى آخرِ الآيةِ : هذا مثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للمنافقين أنهم كانوا يعتزُّون[(٢)] بالإسلامِ ، فيناكِحُهم المسلمون ، [(٣)]ويُوارِثونهم[(٣)] ، ويقاسمونهم الفَىْءَ ، فلما ماتوا سلَبهم اللَّهُ ذلك العزَّ ، كما سلَب صاحبَ النارِ ضوءَه ، ﴿ **وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ** ﴾ . [(٤)]يقولُ : فى[(٤)] عذابٍ[(٥)] .

والثالثُ : ما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ** ﴾ : زعَم أن أُناسًا دخَلوا فى الإسلامِ مقدَمَ النبىِّ ﷺ المدينةَ ، ثم إنهم نافقوا ، فكان مثَلُهم كمثَلِ رجلٍ كان فى ظلمةٍ ، فأوْقَد نارًا فأضاءت له[(٦)] ما حولَه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٣٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٢ (١٦٨) من طريق سلمة به ، وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٨١.

(٢) فى ر : « يغترون » ، وفى ت ٢: « يعبرون » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) فى ت ١: « قال » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٠ (١٥٨) من طريق أبى صالح به إلى قوله : ضوءه .
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٢ إلى ابن المنذر والصابونى فى المائتين . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص٣٤٨ .

(٦) سقط من : ص ، ت ١.

من قَذًى أو أذًى ، فأبْصَره حتى عرَف ما يَتَّقى ، فبينا هو كذلك إذ طُفِئت نارُه ، فأقْبَل لا يَدْرى ما يَتَّقى من أذًى ، فكذلك المنافقُ ، كان فى ظلمةِ الشركِ ، فأسْلم فعرَف الحلالَ من الحرامِ ، والخيرَ من الشرِّ ، فبينا هو كذلك إذ كفَر ، فصار لا يعرِفُ الحلالَ من الحرامِ ، ولا الخيرَ من الشرِّ ، وأما النورُ فالإيمانُ بما جاء به محمدٌ ﷺ ، وكانت الظلمةُ نفاقَهم[(١)] .

والآخر : ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ سعدٍ[(٢)] ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، عن أبيه ، عن جدِّه[(٣)] ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ، إلى ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ : ضرَبه اللَّهُ مثلًا للمنافقِ ، وقولُه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ . قال : أما النورُ فهو إيمانُهم الذى يتكلَّمون به ، وأما الظلمةُ فهى ضلالتُهم وكفرُهم الذى[(٤)] يتكلَّمون به ، وهم قومٌ كانوا على هدًى ، ثم نُزِع منهم فعَتَوا[(٥)] بعدَ ذلك[(٦)] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٨١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة ، إلى قوله : من الشر .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥١ (١٦٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

وعزاه السيوطى إلى ابن المنذر . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٨.

(٢) فى م : « سعيد » .

(٣) فى ص : « أبيه » .

(٤) زيادة من : ر .

(٥) فى ر : « فعموا » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى المصنف إلى قوله : وكفرهم .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٨١ عن العوفى به . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٦٩.

قتادةَ قولَه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ : وإن المنافقَ تكلَّم بـ « لا إلَه إلا اللَّهُ » ، فأضاءت له فى الدنيا ، فناكَح بها المسلمين ، وعادَّ[1] بها المسلمين ، ووارَث بها المسلمين ، وحقَن بها دمَه ومالَه ، فلما كان عندَ الموتِ سُلِبها المنافقُ ؛ لأنَّه لم يكنْ لها أصلٌ فى قلبِه ، ولا حقيقةٌ فى عمَلِه[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ : وهى لا إلَهَ إلا اللهُ ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشرِبوا ، / وأمِنوا فى الدنيا ، ونكَحوا النساءَ ، ١٤٣/١
وحقَنوا[3] دماءَهم ، حتى إذا ماتوا ذهَب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى أبو تُمَيلةَ[4] ، عن عُبيدِ بنِ سليمانَ ، عن الضحّاكِ بنِ مُزاحمٍ قولَه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ . قال : أما النورُ فهو إيمانُهم الذى يتكلَّمون به ، وأما الظلماتُ فهى ضلالتُهم وكفرُهم[5] .

---

(١) فى ص ، ت ٢ : « عادا » ، وفى ر ، ت ١ ، والدر المنثور : « غازى » .
والمعنى : شارك . يقال : هم يتعادون . إذا اشتركوا فيما يعاد فيه بعضهم بعضا من مكارم أو غير ذلك من الأشياء كلها . تاج العروس (ع د د) .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت٢ : « علمه » .
والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وسيأتى تمامه فى ص ٣٤٨ ، ٣٧١ .

(٣) بعده فى م : « بها » .

(٤) فى م : « نميلة » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٣٢ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥١ ، ٥٢ (١٦٥ ، ١٦٩) من طريق على بن الحكم ، عن الضحاك .

وقال آخرون بما **حدَّثني** به محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ . قال : أما إضاءةُ النارِ ، فإقبالُهم إلى المؤمنين و[1] الهدَى ، وذهابُ نورِهم إقبالُهم إلى الكافرين و[1] الضلالةِ[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، عن شِبْلٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ [١/٣٩و] نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ : أما إضاءةُ النارِ ، فإقبالُهم إلى المؤمنين والهدى ، وذهابُ نورِهم إقبالُهم إلى الكافرين والضلالةِ .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنى الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، قال : ضرَب مثَلَ أهلِ النِّفاقِ فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . قال : إنما ضَوْءُ النارِ ونُورُها ما أوقدْتَها ، فإذا خمَدت ذهَب نورُها ، كذلك المنافقُ ، كلما[3] تكلَّم بكلمةِ الإخلاصِ أضاء له ، فإذا شكَّ وقَع فى الظلمةِ[4] .

---

(١) سقط من : ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٧ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥١ (١٦١ ، ١٦٣) .
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٣ إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٣٧٠ ، ٣٧٨ .

(٣) فى ت ٢ : « كما » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٠ (١٥٩) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : هذه صفةُ المنافقين ، كانوا قد آمَنوا حتى أضاء الإيمانُ فى قلوبِهم ، كما أضاءت النارُ لهؤلاء الذين استَوْقَدوا ، ثم كفَروا فذَهب اللَّهُ بنورِهم ، فانْتَزَعه كما ذَهَب بضوءِ هذه النارِ ، فترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون[1] .

وأَوْلى التأويلاتِ بالآيةِ ما قاله قتادةُ والضحَّاكُ ، وما رواه علىُّ بنُ أبى طلحةَ عن ابنِ عباسٍ ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما ضرَب هذا المثَلَ للمنافقين الذين وصَف صفتَهم وقصَّ قَصَصَهم ، من لدنِ ابْتَدأ بذكرِهم بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ[2] ﴾ لا [3]للمُعالِنين بالكفرِ[3] المجاهرين بالشركِ . ولو كان المثلُ لمن آمَن إيمانًا صحيحًا ثم أعْلن بالكفرِ[4] إعلانًا صحيحًا - على ما ظنَّ المتأوِّلُ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ أن ضوءَ النارِ[5] مثَلٌ لإيمانِهم الذى كان منهم عندَه على صحةٍ ، وأن ذَهابَ نورِهم مثَلٌ لارتدادِهم وإعلانِهم الكفرَ على صحةٍ - لم يكنْ هناك من القومِ خِداعٌ ولا استهزاءٌ/عندَ أنفسِهم ولا نِفاقٌ . وأنَّى يكونُ خِداعٌ ونفاقٌ ممَّن لم يُبدِ لك قولًا ولا فعلًا إلا ما أوْجَب لك العلمَ بحالِه التى هو لك عليها ، وبعزيمةِ نفسِه التى هو مقيمٌ عليها ؟ إن هذا لغيرِ[6] شكٍّ من النِّفاقِ بعيدٌ ، ١٤٤/١

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨١/١ عن ابن زيد .

(٢) بعده فى م : « أى » .

(٣ - ٣) فى ر : « المعالنين الكفر » ، وفى م : « المعلنين بالكفر » .

(٤) فى ص ، ت ٢ : « الكفر » .

(٥) فى ت ١ : « النهار » .

(٦) فى ت ١ ، م : « بغير » .

ومن الخِداعِ برئٌ ، وإن[(١)] كان القومُ لم تكنْ لهم إلا حالتان ؛ حالُ إيمانٍ ظاهرٍ ، وحالُ كفرٍ ظاهرٍ ، فقد سَقَط عن القومِ اسمُ النفاقِ ؛ لأنهم في حالِ إيمانِهم الصحيحِ كانوا مؤمنين ، وفي حالِ كفرِهم الصحيحِ كانوا كافرين ، و لا حالةَ هنالك ثالثةً كانوا بها منافقين . وفي وصفِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه إيَّاهم بصفةِ النفاقِ ما يُنْبِئُ عن أن القولَ غيرُ القولِ الذي زعَمه مَن زعَم أن القومَ كانوا مؤمنين ثم ارتدُّوا إلى الكفرِ فأقاموا عليه ، إلا أن يكونَ قائلُ ذلك أراد أنهم انْتَقلوا من إيمانِهم الذي كانوا عليه إلى الكفرِ الذي هو نفاقٌ ، وذلك قولٌ إن قاله ، لم تُدرَكْ صحتُه إلَّا بخَبَرٍ مستفيضٍ ، أو ببعضِ المعاني الموجبةِ صحَّتَه . فأما في ظاهرِ الكتابِ ، فلا دلالةَ على صحَّتِه ؛ لاحتمالِه من التأويلِ ما هو أوْلَى به منه .

فإذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا في ذلك ، فأوْلَى تأويلاتِ الآيةِ بالآيةِ : مثَلُ استضاءةِ المنافقين - بما أظْهَروا بألسنتِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ من الإقرارِ به ، وقولِهم له وللمؤمنين : آمَنَّا باللَّهِ وكتُبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ . حتى حُكِم لهم بذلك في عاجلِ الدنيا بحكمِ المسلمين في حقنِ الدماءِ والأموالِ ، والأمنِ على الذرِّيَّةِ من السِّباءِ ، وفي المناكحةِ والموارثةِ - كمثلِ استضاءةِ الموقِدِ النارَ بالنارِ ، حتى[(٢)] ارْتَفق بضيائِها ، وأبْصَر به[(٣)] ما حولَه مستضيئًا بنورِه من الظلمةِ ، حتى خمَدت النارُ وانطفأت ، فذهَب نورُه ، وعاد المستضيءُ به في ظلمةٍ وحَيْرةٍ .

وذلك أن المنافقَ لم يزَلْ مستضيئًا بضوءِ القولِ الذي دافعَ عنه في حياتِه القتلَ والسِّباءَ ، مع استبطانِه ما كان مستوجِبًا به القتلَ وسلبَ المالِ لو أظْهَره بلسانِه ، تُخَيِّلُ

---

(١) في ر : « فلو » ، وفي ت ٢ ، م : « فإن » .

(٢) بعده في ت ١ : « إذا » .

(٣) سقط من : ص ، م .

إليه بذلك نفسُه أنه باللَّهِ ورسولِه والمؤمنين مستهزئٌ مخادعٌ ، حتى سوَّلت له نفسُه إذ ورَد على ربِّه في الآخرةِ أنه ناجٍ منه بمثلِ الذي نجا به في الدنيا من الكذبِ والنفاقِ . أوَ ما تسمَعُ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه يقـولُ إذ نعَتهم[1] ، ثم [2]أخبَر خبرَهم[2] عندَ ورودِهم عليه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] . ظنًّا من القومِ أن نجاءَهم[3] من عذابِ اللَّهِ في الآخرةِ ، في مثلِ[4] الذي كان به نجاؤُهم[3] من القتلِ والسِّباءِ[5] وسلبِ المالِ[6] في الدنيا ، من الكذبِ والإفكِ ، وأن خداعَهم نافعُهم هنالك نفعَه إيَّاهم في الدنيا ، حتى عايَنوا من أمرِ اللَّهِ ما أيْقَنوا به أنهم كانوا من ظنونِهم في غرورٍ وضلالٍ ، واستهزاءٍ بأنفسِهم وخداعٍ ، إذ أطْفأ اللَّهُ نورَهم يومَ القيامةِ ، فاسْتَنظروا المؤمنين ليقْتَبِسوا من نورِهم ، فقيل لهم[7] : ارْجِعوا وراءَكم فالتمِسوا نورًا ، واصلَوْا سعيرًا . فذلك حينَ ذهَب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم في ظلماتٍ لا يُبْصِرون ، كما انطَفأت نارُ المستوقِدِ النارَ بعدَ إضاءتِها له ، فبقِي في ظلمةٍ[8] حَيْرانَ تائهًا ، يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ / ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ ١/١٤٥

(١) في ت ٢ : « بعثهم » .
(٢ - ٢) في م : « أخبرهم » .
(٣) في م : « نجاتهم » .
(٤) سقط من : ر ، ت ٢ .
(٥) بعده في ت ١ : « والكذب » .
(٦) في ص : « الأموال » .
(٧) سقط من : ص ، ت ١ .
(٨) في م : « ظلمته » .

أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٣ - ١٥].

فإن قال لنا قائلٌ: إنك ذكَرْتَ أن معنى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾: خمَدت وانطَفأت. وليس ذلك بموجودٍ في القرآنِ، فما دَلالتُك[١] على أن ذلك معناه؟

قيل: قد قلنا: إن من شأنِ العربِ الإيجازَ والاختصارَ إذا[٢] كان فيما نطَقت به الدَّلالةُ الكافيةُ على ما حذَفت وترَكت، [١/٣٩ظ] كما قال أبو ذُؤَيبٍ الهُذَليُّ[٣]:

عَصَيْتُ[٤] إليها القلبَ إنِّى لأمرِها سميعٌ فما أدْرِى أرُشْدٌ طِلابُها

يعنى بذلك: فما أدْرِى أرُشْدٌ طِلابُها أم غيٌّ. فحذَف ذكرَ «أمْ غيٌّ»، إذ كان فيما نطَق به الدلالةُ عليها، وكما قال ذو الرُّمَّةِ في نعتِ حَميرٍ[٥]:

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أو حينَ نصَّبَت[٦] له مِن خَذَا[٧] آذانِها وَهْو جانِحُ

يعنى: أو حينَ أقْبَل الليلُ. في نظائرَ لذلك كثيرةٍ كرِهنا إطالةَ الكتابِ بذكرِها. فكذلك قولُه: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ لمَّا كان فيه وفيما بعدَه من قولِه: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾

---

(١) في ت ١: «دليلك».

(٢) في ص، ت ١: «إذ».

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٧١.

(٤) في الديوان: «عصاني».

(٥) ديوان ذي الرمة ٢/ ٨٩٧.

(٦) نصبت: رفعت آذانها. اللسان (ن ص ب).

(٧) خذِيت الأذن: استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه، يكون ذلك في الناس والخيل والحمر، خلقة أو حدثا. اللسان (خ ذ ى).

دَلالةٌ على المتروكِ كافيةٌ من ذكرِه ، اخْتَصر الكلامَ طلبَ الإيجازِ ، وكذلك حذفُ ما حذَف واختصارُ ما اخْتَصَر من الخبرِ عن مثَلِ المنافقين بعدَه ، نظيرَ ما اخْتصر من الخبرِ عن مثَلِ المستوقِدِ النارَ ؛ لأن معنى الكلامِ : فكذلك المنافقون ذهَب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون - بعدَ الضياءِ الذى كانوا فيه فى الدنيا ، بما كانوا يُظْهِرون بألسنتِهم من الإقرارِ بالإسلامِ ، وهم لغيرِه مستبطِنون - كما ذهَب ضوءُ نارِ هذا المستوقِدِ بانطفاءِ نارِه وخمودِها ، فبقِىَ فى ظلمةٍ لا يُبْصِرُ .

والهاءُ والميمُ فى قولِه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ عائدةٌ على الهاءِ والميمِ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإذ كان تأويلُ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ هو ما وصَفْنا من أن ذلك خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عمَّا هو فاعلٌ بالمنافقين فى الآخرةِ ، عندَ هَتْكِ أستارِهم ، وإظهارِه فضائحَ[1] أسرارِهم ، وسلبِه ضياءَ أنوارِهم ، من ترْكِهم فى ظُلَمِ أهوالِ يومِ القيامةِ يتردَّدون ، وفى حنادسِها لا يُبْصِرون ، فبَيِّنٌ أن قولَه جلَّ ثناؤُه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ من المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ ، وأن معنى الكلامِ : أولئك الذين اشترَوُا الضلالةَ بالهدَى ، فما رَبِحت تجارتُهم وما كانوا مُهْتدين ، صُمٌّ بُكْمٌ عمىٌ فهم لا يَرْجِعون ، مثَلُهم كمثَلِ الذى اسْتوقَد نارًا ، فلما أضاءَت ما حَوْلَه ذهب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظُلُماتٍ / لا ١/١٤٦
يُبْصِرون ، أوْ كمثَلِ صيِّبٍ من السماءِ .

وإذ كان ذلك معنى الكلامِ ، فمعلومٌ أنَّ قولَه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ يأتِيه الرفعُ

(١) فى ت ١ : « قبائح » .

من وجهين ، والنصبُ من وجهين : **فأما أحدُ وجهى الرفعِ** : فعلى الاستئنافِ لما فيه من الذمِّ ، وقد تفعَلُ العربُ ذلك فى المدحِ والذمِّ ، فتنصِبُ وترفَعُ وإن كان خبرًا عن معرفةٍ ، كما قال الشاعرُ[1] :

لا يَبْعَدَنْ[2] قَوْمِى الَّذين هُمُ سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ[3]
النازِلِينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِين مَعاقِدَ الأُزْرِ

فيُرْوَى : « النازلون » و « النازِلين » ، وكذلك « الطيِّبون » و « الطيِّبين » ، على ما وصَفْتُ من المدحِ .

والوجهُ الآخرُ : على نيَّة التكريرِ من : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ . فيكونُ المعنى حينئذٍ : أولئك الذين اشْتَرُوا الضلالةَ بالهدَى ، فما رَبِحت تجارتُهم وما كانوا مهتدين ، أولئك صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فهم لا يرجِعون .

وأما أحدُ وجهى النصبِ : فأن يكون قطعًا مما فى : ﴿ مُهْتَدِينَ ﴾ من ذكرِ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، لأن الذى فيه من ذكرِهم معرفةٌ ، والصمُّ نكرةٌ .

والآخرُ : أن يكونَ قطعًا من : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ لأنَّ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ معرفةٌ ، والصمُّ نكرةٌ .

وقد يجوزُ النصبُ فيه أيضًا على وجهِ الذمِّ ، فيكونُ ذلك وجهًا من النصبِ ثالثًا .

فأمَّا على تأويلِ ما رَوَينا عن ابنِ عباسٍ من غيرِ وجهِ روايةِ علىِّ بنِ أبى طلحةَ عنه ، فإنه لا يجوزُ فيه الرفعُ إلا من وجهٍ واحدٍ ، وهو الاستئنافُ . وأما النصبُ فقد

---

(١) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفان ، وهما فى ديوانها ص ٢٩.

(٢) يبعدن : يهلكن ، من بعِد يبعَد . اللسان (ب ع د) .

(٣) الجزر ؛ جمع الجزور : وهى الناقة التى تنحر . اللسان (ج ز ر) .

يجوزُ فيه من وجهين : **أحدُهما** ، الذمُّ . **والآخرُ** ، القطعُ من الهاءِ والميمِ اللتين فى ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ ، أو من ذكرِهم فى ﴿ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ . وقد بيَّنا القولَ الذى هو أوْلَى بالصوابِ فى تأويلِ ذلك .

والقراءةُ التى هى القراءةُ[(١)] ، الرفعُ دونَ النصبِ ؛ لأنه ليس لأحدٍ خلافُ رسومِ مصاحفِ المسلمين ، وإذا قرِئَ نصبًا كانت قراءةً مخالفةً رسمَ مصاحِفِهم[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن المنافقين ، أنهم باشترائِهم الضلالةَ بالهدى لم يكونوا للهدَى والحقِّ مُهْتدين ، بل هم صُمٌّ عنهما فلا يسمَعونهما[(٣)] ؛ لغلبةِ خِذلانِ اللَّهِ عليهم ، بُكْمٌ عن القيلِ بهما ، فلا ينطِقون بهما - والبُكْمُ الخُرْسُ ، وهو جِماعُ[(٤)] أبكمَ - عُمْىٌ عن أن يُبْصِروهما فيعقِلوهما ؛ لأنَّ اللَّهَ قد طبَع على قلوبِهم بنفاقِهم فلا يَهْتَدون .

وبمثلِ ما قلنا فى ذلك قالت علماءُ أهلِ التأويل .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ[(٥)] بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ : عن الخيرِ[(٦)] .

---

(١) فى م : « قراءة » .
(٢) بعده فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « القول فى تأويل قوله : صم بكم عمى » .
(٣) فى ر : « يسمعون بهما » .
(٤) فى م : « جمع » .
(٥) فى م : « عبد » .
(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ . يقولُ : لا يسمَعون الهدى ، ولا يُبْصِرونه ، ولا يعقِلونه [(١)] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ بُكْمٌ ﴾ : هم [(٢)] الخُرْسُ [(٣)] .

١٤٧/١ / **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ : صُمٌّ عن الحقِّ فلا يسمَعونه ، عُمْىٌ عن الحقِّ فلا يُبصِرونه ، بُكْمٌ عن الحقِّ فلا ينطِقون به [(٤)] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقولُه : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ . إخبارٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن هؤلاء المنافقين الذين نعَتهم اللَّهُ باشترائِهم الضلالةَ بالهدَى ، وصَمَمِهم عن سماعِ الخيرِ والحقِّ ، وبَكَمِهِمْ عن القيلِ بهما ، وعَماهم عن إبصارِهما - أنهم لا يَرْجِعون إلى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢/١ (١٧٢) من طريق عبد الله بن صالح به .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابوني في المائتين . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٧. وسيأتي في ٥١/٣ .

(٢) في ت ٢: « هو » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣/١ (١٧٥) من طريق أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، ٥٣/١ (١٧٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣/١ (١٧٤، ١٧٦) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد نحوه. وتقدم أوله في ص٣٣٩. وسيأتي في ٥٠/٣.

الإقلاعِ عن ضلالتِهم ، ولا يثوبون[١] إلى الإنابةِ من نفاقِهم ، فآيَس المؤمنين من أن يُبْصِرَ هؤلاء [١/٤٠و] رُشْدًا ، ويقولوا حقًّا ، أو يسمَعوا داعيًا إلى الهدَى ، أو أن يذَّكَّروا فيتوبوا من ضلالتِهم ، كما آيَس من توبةِ قادةِ كفارِ أهلِ الكتابِ والمشركين وأحبارِهم ، الذين وصَفهم بأنه قد ختَم على قلوبِهم وعلى سمعِهم ، وغشَّى على أبصارِهم .

وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أى : لا يتوبون ولا يذَّكَّرون[٢] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[٣] : إلى الإسلامِ[٤] .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ قولٌ يُخالِفُ معناه معنى هذا الخبرِ[٥] ، وهو ما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « يتوبون » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٩) من طريق يزيد به . وهو تمام الأثر المتقدم فى ص ٣٣٩.

(٣) بعده فى ص ، ر : « فهم لا يرجعون » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٧.

(٥) فى ر ، ت ٢: « القول » .

مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أى : فلا يَرْجِعونَ إلى الهدَى ، ولا إلى خيرٍ ، ولا يُصيبون نجاةً ، ما كانوا على ما هم عليه[1] .

وهذا تأويلٌ ظاهرُ التلاوةِ بخلافِه ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخْبَر عن القومِ أنهم لا يَرْجِعون عن اشترائِهم الضلالةَ بالهدى ، إلى ابتغاءِ الهدى وإبصارِ الحقِّ[2] ، من غيرِ حصرٍ منه جلَّ ذكرُه ذلك من حالِهم على[3] وقتٍ دونَ وقتٍ ، وحالٍ دونَ حالٍ . وهذا الخبرُ الذى ذكَرناه عن ابنِ عباسٍ يُنبِئُ عن[4] أن ذلك من صفتِهم محصورٌ على وقتٍ ، وهو ما كانوا على أمرِهم مُقيمين ، وأن لهم السبيلَ إلى[5] الرجوعِ عنه ، وذلك من التأويلِ دعوَى باطلةٌ[6] لا دلالةَ عليها من ظاهرٍ ، ولا من خبرٍ تقومُ بمثلِه الحجةُ فيُسَلَّم لها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى ذكرُه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

١٤٨/١ / قال أبو جعفرٍ : والصيِّبُ الفَيْعِلُ ، من قولِك : صاب المطرُ يصوبُ صَوْبًا . إذا انحدَر ونزَل ، كما قال الشاعرُ[7] :

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٧) من طريق سلمة به إلى قوله : الهدى . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦.

(٢) فى ص : « عن » .

(٣) فى م : « إلى » .

(٤) سقط من : ص ، وفى ر : « على » .

(٥) فى ص : « عن » .

(٦) فى ص : « ناظر » ، وفى ت ٢: « باطل » .

(٧) البيت غير منسوب فى الاشتقاق ص ٢٦، والمفردات فى غريب القرآن ص ١٤٥، واللسان (أ ل ك ، ل أ ك) ، ونسبه فى المفضليات ص ٣٩٤ إلى علقمة بن عبدة ، وليس فى ديوانه ، ونسب فى مجاز القرآن ٣٣/١ إلى رجل من عبد القيس ، وفى شرح أشعار الهذليين ٢٢٢/١ إلى متمم بن نويرة ، وذكر فى اللسان (ص و ب ، =

فَلسْتَ لإِنْسِيٍّ[1] ولكنْ لمَلْأَكٍ[2] تَنَزَّلَ من جوِّ السماءِ يَصوبُ

وكما قال علقمةُ بنُ عَبَدةَ[3] :

كأنَّهُمْ صابتْ عليهم سَحَابَةٌ صواعِقُها لطَيْرِهِنَّ دَبيبُ

فلا تَعْدِلى بَيْنى وبينَ مُغَمَّرٍ[4] سُقِيتِ[5] رَوَايا[6] المُزْنِ[7] حينَ[8] تَصوبُ

يعنى : حينَ تنحدِرُ .

وهو فى الأصلِ صَيْوِبٌ ، ولكنَّ الواوَ لمّا سبَقتها ياءٌ ساكنةٌ ، صُيِّرتا جميعًا ياءً مشددةً ، كما قيل : سيِّدٌ ، من سادَ يسودُ ، وجيِّدٌ ، من جاد يجودُ . وكذلك تفعَلُ العربُ بالواوِ إذا كانت متحرِّكةً وقبلَها ياءٌ ساكنةٌ ، تصيِّرُهما جميعًا ياءً مشددةً .

وبما قلنا من القولِ فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ الأَحْمَسىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ ، قال :

= م ل ك) الاختلاف فى نسبته ، وزاد عن السيرافى نسبته إلى أبى وجزة .

(١) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « بإنسى » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ١ : « ملكا » ، وفى ت ٢ : « ملاكا » .

(٣) ديوانه ص ٣٤، ٤٦.

(٤) المغمر من الرجال : من استجهله الناس . التاج (غ م ر) .

(٥) فى الديوان : « سقتك » .

(٦) الروايا ؛ جمع الراوية : وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يسقى عليه الماء . اللسان (ر و ى) .

(٧) المزن : السحاب عامة ، وقيل : السحاب ذو الماء ، واحدته مزنة ، وقيل : المزنة السحـابة البيضاء . اللسان (م ز ن) .

(٨) فى الديوان : « حيث » .

حدَّثنا هارونُ بنُ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : القَطْرُ[(١)] .

حدَّثنى عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : قال لى عطاءٌ : الصيِّبُ المطرُ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الصيِّبُ المطرُ[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : الصيِّبُ المطرُ[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه[(٥)] ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادَةَ : ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ ﴾ . يقولُ : المطرُ[(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٤٧) من طريق محمد بن عبيد به .

وأخرجه ابن أبى الدنيا فى المطر - كما فى فتح البارى لابن رجب ٩/٢٣١- وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٤ (١٨٠) من طريق هارون بن عنترة به .

وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ١/٣٣ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبى يعلى وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٤ عقب الأثر (١٨٠) معلقًا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٢ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم والصابونى فى المائتين فى أثر مطول ، وسيأتى بطوله فى ص ٣٦٩.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٨٢ عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من الصحابة ، والسدى .

(٥) فى م ، ت ٢: « جده » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخْبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ وعمرُو بنُ عليٍّ ، قالا : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : الصيِّبُ المطرُ (١) .

حدَّثنى المُثَنَّى قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : الصيِّبُ المطرُ (٢) .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : الصيِّبُ المطرُ (٣) .

١٤٩/١ / **حُدِّثت** عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الصيِّبُ المطرُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : أو كغَيثٍ من السماءِ .

حدَّثنا سَوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ العَنْبَرِيُّ ، قال : قال سفيانُ : الصيِّبُ الذى فيه المطرُ (٤) .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : المطرُ (٥) .

---

(١) فى ص ، ر : « الربيع » .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٤٨) من طريق أبى حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤/١ عقب الأثر (١٨٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) تفسير الثورى ص ٤١ عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير : السحاب فيه المطر .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨٢/١ عن عطاء .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك : مثَلُ استضاءةِ المنافقين بضوءِ إقرارِهم بالإسلامِ ، مع استسرارِهم الكفرَ ، مثَلُ اسْتِضاءَةِ[(١)] موقدِ نارٍ[(٢)] بضوءِ نارِه ، على ما وصَف جلَّ ثناؤُه من صفتِه ، أو كمثَلِ مطرٍ مُظلمٍ ، وَدْقُه[(٣)] تَحَدَّرَ من السماءِ ، تحمِلُه مُزنةٌ ظلماءُ ، في ليلةٍ مُظلمةٍ ، وذلك هو الظلُماتُ التى أخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنها فيه .

فإن قال لنا قائلٌ : أخْبِرْنا عن هذين المثَلين ، أهما مثَلان للمنافقين ، أو أحدُهما ؟ فإن يكونا مثَلين للمنافقين ، فكيف قيل : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ و « أو » تأتى بمعنى الشكِّ فى الكلامِ ، ولم يقلْ : وكصيِّبٍ . بالواوِ التى تُلحِقُ المثلَ الثانىَ بالمثلِ الأولِ ؟ أو يكونَ مثلُ القومِ أحدَهما ، فما وجهُ ذكرِ الآخرِ بـ ﴿ أَوْ ﴾ وقد علمتَ أن « أو » إذا كانت فى الكلامِ ، فإنما تدخُلُ فيه على وجهِ الشكِّ من المخبِرِ فيما أخْبَرَ عنه ، كقولِ القائلِ : لقِيَنى أخوك أو أبوك . وإنما لقِيَه أحدُهما ، ولكنه جهِل عينَ الذى لقِيَه منهما ، مع علمِه أن أحدَهما قد لقِيَه ، وغيرُ جائزٍ فى اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أن يُضافَ إليه الشكُّ فى شىءٍ ، أو عُزوبُ علمِ شىءٍ عنه فيما أخْبَرَ أو ترَك الخبرَ عنه .

قيل له : إن الأمرَ [١/٤٠ظ] فى ذلك بخلافِ[(٤)] الذى[(٥)] ذهبتَ إليه ، و « أو » وإن كانت فى بعضِ الكلامِ تأتى بمعنى الشكِّ ، فإنها قد تأتى دالَّةً على مثلِ ما تدلُّ عليه الواوُ ، إما بسابقٍ من الكلامِ قبلَها ، وإما بما يأتى بعدَها ، كقولِ توبةَ بنِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « إضاءة » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « النار » .

(٣) الودق : المطر كله شديده وهينه . اللسان (و د ق) .

(٤) فى ص : « خلاف » .

(٥) فى ص : « منا » ، وفى ت ١ : « ما » .

الحُمَيِّرِ[1] :

وقد زعَمتْ ليلى بأنِّىَ فاجرٌ لنفسى تُقَاها أو عليها فُجورُها

ومعلومٌ أن ذلك من توبةَ على غيرِ وجهِ الشكِّ فيما قال ، ولكن لما كانت « أو » فى هذا الموضعِ دالَّةً على مثلِ الذى كانت تدلُّ عليه الواوُ لو[2] كانت مكانَها ، وضَعها موضِعَها . وكذلك قولُ جريرٍ[3] :

نال[4] الخِلافَةَ أو كانتْ له قَدَرًا كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

وكما قال الآخرُ[5] :

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئًا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ[6] أو عِفاقِ[7]

على[8] المَرْأَيْنِ[8] إذْ مَضَيَا[9] جَميعًا لشأنِهما بحُزْنٍ[10] واشْتِياقِ[11]

---

(١) الأضداد ص ٢٧٩، وأمالى القالى ١/ ٨٨، وأمالى المرتضى ٢/ ٥٧.

(٢) فى م : « ولو » .

(٣) ديوانه ١/ ٤١٦.

(٤) فى م : « جاء » .

(٥) هو متمم بن نويرة ، والبيتان فى الأضداد ص ٢٨٠، وأمالى المرتضى ٢/ ٥٨، واللسان (ع ف ق) .

(٦) فى النسخ : « جبير » ، وفى اللسان : « يزيد » . وقال ابن برى : صوابه بجير . وهو على الصواب فى الأضداد وأمالى المرتضى .

(٧) فى م : « عناق » .

وبجير أخو عفاق ، ويقال : غفاق . وهو ابن مليك ، ويقال : ابن أبى مليك . وكان بسطام بن قيس أغار على بنى يربوع فقتل عفاقا ، وقتل بجيرا بعد قتله أخاه عفاقا فى العام الأول ، وأسر أباهما ثم أعتقه وشرط عليه ألا يغير عليه . ذكره فى اللسان عن ابن برى .

(٨ - ٨) فى اللسان : « هما المرآن » .

(٩) فى الأضداد ، وأمالى المرتضى : « ملكا » ، وفى اللسان : « ذهبا » .

(١٠) فى الأضداد ، وأمالى المرتضى : « بشجو » .

(١١) فى اللسان : « واحتراق » .

فقد دلَّ بقولِه : على المِزَأَيْنِ . أن بكاءه الذى أراد أن يَبكيه لم يُرِدْ أن يقصِدَ به أحدَهما دونَ الآخرِ ، بل أراد أن يَبكِيَهما جميعًا . فكذلك ذلك فى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ . لمَّا كان معلومًا أن ﴿ أَوْ ﴾[1] دالَّةٌ[2] فى ذلك على مثلِ
١٥٠/١ الذى كانت تدلُّ عليه الواوُ لو[3][2] كانت مكانَها ، كان سواءً نطق فيه بـ « أو » / أو بالواوِ . وكذلك وجهُ حذفِ المَثَلِ من قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ لمَّا كان قولُه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ دالًّا على أن معناه : كمثلِ صيِّبٍ . حذَف المثلَ واكتفى بدَلالةِ ما مضَى من الكلامِ فى قولِه[4] : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ على أن معناه : أو كمثلِ صيِّبٍ - من إعادةِ ذكرِ المثلِ ؛ طَلَبَ الإيجازِ والاختصارِ .

[٢/١ظ][*] **القولُ فى تأويلِ قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُه** : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ .

قال أبو جعفر : فأما الظلماتُ فجمعٌ ، واحدُها ظلمةٌ .

وأما الرعدُ ، **فإن أهلَ العلمِ اختلَفوا فيه ؛ فقال بعضُهم** : هو ملَكٌ يزجُرُ السحابَ .

---

(١) فى ت ١ : « الواو » .

(٢ - ٢) فى ت ١ : « على معنى يدل على مثله أو » .

(٣) فى ص ، ر ، م : « ولو » .

(٤) فى ت ١ : « أوله » .

(*) من هنا يبدأ الجزء الثانى من نسخة جامعة القرويين ، وسيشار إليها بـ « الأصل » ، وسيجد القارئُ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثنَّى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحَكَمِ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يزجُرُ السحابَ بصوتِه[1] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ المُثنَّى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عدىٍّ ، عن شعبةَ ، عن الحكَمِ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ اليَرْبُوعىُّ ، قال : حدَّثنا فُضيلُ بنُ عِياضٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : حدَّثنا هُشيمٌ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ سالمٍ ، عن أبى صالحٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ مِن الملائكةِ يُسبِّحُ[2] .

وحدَّثنى نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَوْدىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يعلى ، عن أبى الخطَّابِ البصرىِّ ، عن شهرِ بنِ حَوْشبٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ مُوكَّلٌ بالسحابِ ، يسوقُه كما يسوقُ الحادِى الإبلَ ، يسبِّحُ ، كلَّما خالفت سحابةٌ سَحَابةً صاح بها ، فإذا اشتدَّ غضَبُه طارت النارُ من فِيه ، فهى الصواعقُ التى رأيتُم[3] .

وحُدِّثت عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ،

---

(١) أخرجه البغوى فى الجعديات (٢٥٥) ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥ من طريق شعبة به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٤٩ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ . وينظر سنن البيهقى ٣/ ٣٦٣، والدر المنثور ٤/ ٥١.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٥١ إلى المصنف والخرائطى وأبى الشيخ .

(٣) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٧) من طريق حرب بن شداد ، عن شهر . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٥١ إلى عبد بن حميد . وأخرجه أبو الشيخ (٨٨١) من طريق آخر عن شهر ، عن كعب ، نحوه . وسيأتى فى ص ٣٥٩ من طريق شهر ، عن ابن عباس ، مختصرا .

عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ من الملائكةِ اسمُه الرعدُ ، وهو الذى تسمَعون صوتَه[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ حُسينٍ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يزجُرُ السحابَ بالتسبيحِ والتكبيرِ[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ[(٣)] بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، عن ابن جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ اسمُ ملَكٍ ، وصوتُه هذا تسبيحُه ، فإذا اشتدّ زجرُه السحابَ ، اضطَرب السحابُ واحْتَكَّ ، فتخرُجُ الصواعقُ مِن بيْنِه .

حدَّثنا الحسنُ[(٣)] ، قال : حدَّثنا عفانُ ، قال : حدَّثنا أبو عوانةَ ، عن موسى البزازِ[(٤)] ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يسوقُ السحابَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٥٠ إلى المصنف وابن مردويه .

وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٠) من طريق جويبر ، عن الضحاك من قوله . وعزاه السيوطى ٤/٥١ إلى ابن المنذر . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٦٠، ٣٦١.

وبعد هذا الأثر اختلاف فى ترتيب الآثار فى المخطوط الأصل عن بقية النسخ ، وما فى النسخ الأخرى أليق بالسياق ، ولذا سيجد القارئ اضطرابا فى ترقيم ورقات الأصل .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٨) من طريق عبد الملك بن الحسين به . وعبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى متروك .

وأخرج أبو الشيخ أيضا (٧٦٩) نحوه مرفوعا من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وأخرج أيضا (٧٧٦) من طريق أسباط ، عن السدى من قوله ، مثل أثر شهر عن ابن عباس الآتى .

(٣) فى الأصل : « الحسين » .

(٤) فى ر : « البزار » .

بالتسبيحِ ، كما يسوقُ الحادِى الإبلَ بحُدائِه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ[(٢)] بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ عبَّادٍ وشَبَابةُ ، قالا[(٣)] : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحَكَمِ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يزجُرُ السحابَ .

١٥١/١ /**حدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عتَّابُ بنُ زيادٍ ، عن عكرمةَ ، قال : الرعدُ ملَكٌ فى السماءِ[(٤)] يجمَعُ السحابَ كما يجمَعُ الراعى الإبلَ[(٥)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : الرعدُ خَلْقٌ من خَلْقِ اللَّهِ سامعٌ مُطيعٌ للَّهِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا حسينٌ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عكرمةَ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يُؤمَرُ بإزجاءِ السحابِ ، ويؤلِّفُ بينَه ، فذلك الصوتُ تسبيحُه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ .

---

(١) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٦ - المنتقى) من طريق عفان به .

وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٥) من طريق أبى عوانة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٥٠ إلى ابن المنذر . وتقدم فى ص ٣٥٧ نحوه من قول شهر بن حوشب .

(٢) فى الأصل : « الحسين » .

(٣) فى الأصل : « قال » .

(٤) فى م ، ت ١: « السحاب » .

(٥) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٤ - المنتقى) ، والبيهقى ٣/ ٣٦٣ من طريق آخر عن عكرمة نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٥١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن المغيرةِ [٢/٤ظ] بنِ سالمٍ[(١)] ، عن أبيه أو غيرِه ، أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قال : الرعدُ ملَكٌ[(٢)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، قال : أخْبَرنا موسى ابنُ سالمٍ أبو جَهْضَمٍ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبي الجَلْدِ يَسألُه عن الرعدِ ؟ فقال : الرعدُ ملَكٌ[(٣)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ الوليدِ الشَّنيُّ[(٤)] ، عن عكرمةَ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يسوقُ السحابَ كما يسوقُ الراعِي الإبلَ .

حدَّثني سعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قال : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال : حدَّثنا الحَكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : كان ابنُ عباسٍ إذا سمِع الرعدَ قال : سبحانَ الذي سبَّحتَ له . قال : وكان يقولُ[(٥)] : الرعدُ ملَكٌ ينعِقُ بالغيثِ ، كما ينعِقُ الراعي بغنمِه[(٦)] .

---

(١) كذا في النسخ ، وفي المصادر : « مسلم » . وينظر تاريخ الدورى ٤/ ٢١٠ (٤٠٠٣) ، والثقات ٧/ ٤٦٤ .

(٢) أخرجه البيهقي ٣/ ٣٦٣ ، والخطيب في المتفق والمفترق ٣/ ١٩٣٦ من طريق حماد بن سلمة ، عن المغيرة ابن مسلم ، عن أبيه ، عن علي . وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٧٢) من طريق آخر عن علي بلفظ : البرق : مخاريق من نار بأيدي ملائكة السحاب يزجرون به السحاب .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٠ إلى ابن أبي الدنيا في المطر وابن المنذر .

(٣) في ت ٢، ت٣ : « الملك » .

والأثر أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٦٣ - المنتقى) من طريق حماد به من قول ابن عباس . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩.

(٤) في م : « السني » .

(٥) بعده في ر ، م ، ت ٢، ت ٣: « إن » .

(٦) ينظر ص ٣٥٨.

وقال آخرون : الرعدُ ريحٌ تختَنقُ تحتَ السحابِ فتصّاعدُ ، فيكونُ منه ذلك الصوتُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، [٢/٢و] قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيريُّ ، قال : حدَّثنا بشيرٌ[(١)] أبو[(٢)] إسماعيلَ ، عن أبي كَثيرٍ[(٣)] ، قال : كنتُ عندَ أبي الجَـلْدِ[(٤)] ، إذ جاءه رسولُ ابنِ عباسٍ بكتابٍ إليه ، فكتَب[(٥)] إليه : كتبتَ إليّ تسألُني عن الرعدِ ، فالرعدُ الريحُ[(٦)] .

حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عمرانُ بنُ ميْسرةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ بنِ الفراتِ ، عن أبيه ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبي الجَـلْدِ[(٤)] يسألُه عن الرعدِ ، فقال : الرعدُ ريحٌ[(٧)] .

قال أبو جعفرٍ : فإن كان الرعدُ ما ذكَره ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ، فمعنَى الآية : أو كصيِّبٍ من السماءِ فيه ظلماتٌ وصوتُ رعدٍ ؛ لأن الرعدَ إن كان ملَكًا يسوقُ السحابَ ، فغيرُ كائنٍ في الصيِّبِ ؛ لأن الصَّيِّبَ إنما هو ما تحدَّر من صَوْبِ[(٨)] السحابِ ، والرعدُ إنما هو في جوِّ السماءِ يسوقُ السحابَ . على أنه لو كان فيه

---

(١) في م ، ص ، ت ١ : « بشر » .

(٢) في النسخ : « بن » وهو خطأ . وهو بشير بن سلمان ، أبو إسماعيل ، والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٤/ ١٦٨.

(٣) في الأصل : « كبير » .

(٤) في م : « الخلد » .

(٥) في ت ١ : « فقال في كتاب » .

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٧٣) من طريق بشير به ، وسيأتي تمامه في ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٥٥ (١٨٧) من طريق ابن إدريس ، به .

(٨) في ص ، ت ١، ت ٢: « صوت » .

ثَمَّ[(١)] ، لم يكنْ له صوتٌ مسموعٌ ، لم[(٢)] يكنْ هنالك رعبٌ يُرْعَب به أحدٌ ؛ لأنه قد قيل : إن مع كلِّ قطرةٍ من قَطْرِ المطرِ ملَكًا . فلا يَعْدُو المَلَكُ الذى اسمُه الرعدُ لو كان
١٥٢/١ مع الصيِّبِ ، إذا لم يكنْ مسموعًا صوتُه - أن يكونَ كبعضِ / تلك الملائكةِ التى تنزلُ مع القَطْرِ إلى الأرضِ ، فى ألا رُعبَ على أحدٍ بكونِه فيه . فقد عُلِم - إذ كان الأمرُ كما[(٣)] وصَفْنا من قولِ ابنِ عباسٍ - أن معنَى الآيةِ : أو كمثَلِ غيْثٍ تحدَّر من السماءِ فيه ظلماتٌ وصوتُ رعدٍ . إن كان الرعدُ هو ما قاله ابنُ عباسٍ ، وأنه استَغْنَى بدَلالةِ ذكرِ الرعدِ باسمِه على المرادِ فى الكلامِ من ذكرِ صوتِه ، وإن كان الرعدُ ما قاله أبو الجلدِ[(٤)] ، فلا شىءَ فى قولِه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ ﴾ . متروكٌ ؛ لأن معنى الكلامِ حينَئذٍ : فيه ظلماتٌ ورعدٌ ، الذى هو ما وصَفْنا صفتَه .

وأما البرقُ ، **فإن أهلَ العلمِ اختَلفوا فيه ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا** مطرُ بنُ محمدٍ الضبِّىُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ مهدىٍّ ، **وحدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : حدَّثنى أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قالوا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ الثورىُّ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهيلٍ ، عن سعيدِ بنِ أَشْوَعَ ، عن ربيعةَ بنِ الأَبْيَضِ ، عن علىٍّ ، قال : البرقُ مخاريقُ[(٥)] الملائكةِ[(٦)] .

(١) فى م : « يمر » .
(٢) فى م : « فلم » .
(٣) فى ص ، ر ، م : « على ما » .
(٤) فى م : « الخلد » .
(٥) المخاريق ، جمع مخراق : وهو فى الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا ، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه . النهاية ٢/ ٢٦.
(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٥ (١٩٠) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٧٧١) ، والبيهقى ٣/٣٦٣ من طريق سفيان به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٤٩، ٥٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
وأخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٥ - المنتقى) من طريق المسعودى ، عن سلمة ، عن رجل ، عن على بلفظ : الرعد : ملك ، والبرق : مخاريق بأيدى الملائكة . وينظر علل الدارقطنى ٣/ ٢٠٠.

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ حسينٍ ، عن السُّدِّيِّ ، عن أبي مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : البرقُ مخاريقُ بأيدى الملائكةِ يزْجُرون بها السحابَ .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، عن المغيرةِ بنِ سالمٍ ، عن أبيه أو غيرِه ، أن عليَّ بنَ أبى طالبٍ قال : الرعدُ الملَكُ ، والبرقُ ضربُه السحابَ بمِخْراقٍ من[1] حديدٍ[2] .

وقال آخرون : هو سَوْطٌ من نورٍ ، يزجُرُ به الملكُ السحابَ .

[٢/٢ظ] ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثت عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ بذلك[3] .

وقال آخرون : هو ماءٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا بشيرٌ[4] أبو[5] إسماعيلَ ، عن أبى كَثيرٍ[6] ، قال : كنتُ عند أبى الجَلْدِ[7] ، إذ جاءه رسولُ ابنِ

---

(١) ليس فى : الأصل .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٦٠ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٥٠ إلى المصنف وابن مردويه .

(٤) فى م : « بشر » .

(٥) فى النسخ : « بن » . وهو خطأ كما تقدم فى ص ٣٦١.

(٦) فى الأصل : « كبير » .

(٧) فى م : « الخلد » .

عباسٍ بكتابٍ إليه[(١)] ، [(٢)]فكتَب إليه[٢)] : كَتَبْتَ[(٣)] إليّ[(٤)] تسألُنى عن البرقِ ، فالبرقُ الماءُ[(٥)] .

حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عِمرانُ بنُ ميْسرةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ[(٦)] بنِ الفراتِ ، عن أبيه ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبى الجلدِ يسألُه عن البرقِ ، فقال : البرقُ ماءٌ[(٧)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن رجلٍ من أهلِ البصرةِ من قُرَّائِهم ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبى الجَـلْدِ[(٨)] - رجلٍ مِن أهلِ هَجَرَ - يسألُه عن البرقِ ، فكتَب إليه : كتَبتَ إليَّ تسألُنى عن البرقِ ، وإنه من الماءِ[(٩)] .

وقال آخرون : هو مَصْعُ[(١٠)] ملَكٍ .

١٥٣/١ / **حدَّثنا** محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عثمانَ بنِ الأسودِ ، عن مجاهدٍ ، قال : البرقُ مَصْعُ

(١) ليس فى : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : م .

(٤) زيادة من : ص .

(٥) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٦١ . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩.

(٦) فى الأصل : « الحسين » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٥ (١٨٨) من طريق ابن إدريس به .

(٨) فى م : « الخلد » .

(٩) أخرج أبو الشيخ فى العظمة (٧٨٢) من طريق ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن عامر ، قال : أرسل ابن عباس إلى أبى الجلد . فذكره مطولًا ، وفيه : وأما البرق فهو تلألؤ الماء . ينظر علل أحمد ١/ ٧٠ (١٩٤) .

(١٠) سيأتى تعريف المصع فى كلام المصنف ، وينظر النهاية ٤/ ٣٣٧.

مَلَكٌ[(١)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا هشامٌ ، عن محمدِ بنِ مسلمٍ الطائفيِّ ، قال : بلَغنى أن البرقَ ملَكٌ له أربعةُ أوجهٍ ، وجهُ إنسانٍ ، ووجهُ ثَوْرٍ ، ووجهُ نَسرٍ ، ووجهُ أسدٍ ، فإذا مصَع بأجنحتِه فذلك البرقُ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن وهبِ بنِ سليمانَ ، عن شُعيبٍ الجَبَائىِّ ، قال : فى كتابِ اللَّهِ ؛ الملائكةُ حَملةُ العرشِ ، لكل ملَكٍ منهم وجهُ إنسانٍ وثَورٍ وأسدٍ ونَسْرٍ ، فإذا حرَّكوا أجنحتَهم ، فهو البرقُ ، وقال أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[(٣)] :

[٤/٢و] رجُلٌ وثورٌ تحتَ رجْلِ يمينِه ... والنَّسْرُ للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[(٤)]

حدَّثنا الحسنُ[(٥)] بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : البرقُ ملَكٌ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦/١ (١٩٤) من طريق عثمان به ، بزيادة : يسوق به السحاب .

وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٤٩/٤ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ مثله . وعزاه أيضًا إلى المنذر مطولا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى البداية والنهاية ١/ ٨٧، وتفسير ابن كثير ٣٦٣/٤ - عن أبيه ، عن هشام - هو ابن عبيد الله الرازى - به . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩.

(٣) ديوانه ص ٢٩.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٤ إلى أبى الشيخ .

(٥) فى الأصل ، ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « الحسين » . وتقدم فى ص ٣٥٨ .

(٦) أخرج أبو الشيخ فى العظمة (٧٨٠) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس بلفظ : البرق ملك يترايا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٤ إلى ابن أبى الدنيا فى المطر .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ(١) ، قال : الصواعقُ ملَكٌ يَضْرِبُ(٢) السحابَ بالمطارقِ(٣) ، فيُصيبُ به من يشاءُ .

قال أبو جعفرٍ : وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ ما قاله عليُّ بنُ أبى طالبٍ وابنُ عباسٍ ومجاهدٌ بمعنًى واحدٍ ؛ وذلك أن تكونَ المخاريقُ التى ذكَر علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أنها هى البرقُ ، هى(٤) السِّياطُ التى هى من نورٍ ، التى يُزْجِى بها الملَكُ السحابَ ، كما قال ابنُ عباسٍ ، ويكونُ إزجاءُ الملَكِ السحابَ مَصْعَه إيّاه بها . وذلك أن المِصاعَ عندَ العربِ أصلُه المُجالدةُ بالسيوفِ ، ثم تستعْمِلُه فى كلِّ شىءٍ جُولِد به ، فى حربٍ وغيرِ حربٍ ، كما قال أعْشَى بنى ثعلبةَ وهو يصفُ جَوارِىَ لَعِبْن بحَلْيِهن وتَجالَدْن به(٥) :

إذا هُنَّ نازَلْنَ أقرانَهُنَّ وكان المِصاعُ بما فى الجُوَنْ(٦)

يقالُ منه : ماصَعه مِصاعًا . وكأنَّ مجاهدًا إنما قال : مَصْعُ ملَكٍ . إذ كان

---

(١) بعده فى ت٢ : « وهب بن سليمان » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) فى م ، ت٢ : « بالمخارق » .

(٤) فى ص ، ت ٢: « وهى » .

(٥) ديوان الأعشى ص ١٧.

(٦) الجونة – وربما همزت – : سلة مستديرة مغشاة أدما ، يجعل فيها الطيب والثياب . اللسان (ج أ ن ، ج و ن) .

السحابُ لا يُماصِعُ المَلَكَ ، وإنما الرعدُ هو الماصِعُ[(١)] له ، فجعَله مصدرًا من : مصَعَه يمصَعُه مَصْعًا .

وقد ذكرنا فى معنى الصاعقةِ ما قاله شهرُ بنُ حَوْشبٍ فيما مضَى[(٢)] .

وأما تأويلُ الآيةِ ، **فإن أهلَ التأويلِ مختلِفون فيه** ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك أقوالٌ ؛ [٣/٢و] **أحدُها** : ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أى : هم من ظلُمات ما هم فيه من الكفرِ والحذرِ من القتلِ على الذى هم عليه من الخلافِ والتخوُّفِ منكم - على مثلِ ما وَصَفَ من الذى[(٣)] هو فى ظلمةِ الصيِّبِ ، فجعَل أصابعَه فى أُذُنيه مِن الصواعقِ حذَرَ الموتِ ، ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أى : لشدةِ ضوءِ الحقِّ ، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ / أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ أى : يعرِفون الحقَّ ويتكلَّمون ١٥٤/١
به ، فهم من قولِهم به على استقامةٍ ، فإذا ارْتَكسوا منه إلى الكفرِ قامُوا متحيِّرين[(٤)] .

---

(١) فى م : « المماصع » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٥٧.

(٣) فى الأصل : « الذين » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٤، ٥٦، ٥٨ (١٨٣، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٩) من طريق سلمة به ، وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

والآخرُ: ما حدَّثنا به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إلى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أما الصيِّبُ [(١)] فالمطرُ. كان [(١)] رجلان من المنافقين من أهلِ المدينةِ هرَبا من رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المشركين ، فأصابَهما هذا المطرُ الذى ذكَر اللَّهُ ، فيه رعدٌ شديدٌ وصواعقُ وبرقٌ ، فجعَلا كلَّما أصابَهما [(٢)] الصواعقُ جعَلا أصابِعَهما فى آذانِهما ، من الفرَقِ أن تدخُلَ الصواعقُ فى مسامعِهما فتقتُلَهما ، وإذا لمَع البرقُ مَشَوا فى ضوئِه ، وإذا لم يلمَعْ لم يُبْصِرا ، قاما مكانَهما لا يمشيان ، فجعَلا يقولان : ليتنا قد أصْبَحنا فنأتىَ محمدًا فنضعَ أيدِيَنا فى يدِه . فأصْبَحا ، فأتَياه فأسْلَما ، ووضَعا أيديَهما فى يدِه ، وحسُن إسلامُهما ، فضرَب اللَّهُ شأنَ هذين المنافقَين الخارجَين مثَلًا للمنافِقين الذين بالمدينةِ ، وكان المنافقون إذا حضَروا مجلسَ النبىِّ ﷺ جعَلوا أصابِعَهم فى آذانِهم فرَقًا مِن كلامِ النبىِّ ﷺ أن يَنزِلَ فيهم شىءٌ ، أو يُذْكَروا بشىءٍ فيُقْتَلوا ، كما كان ذانك [٣/٢ظ] المنافقان الخارجان يجعَلان أصابِعَهما فى آذانِهما . ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ ، فإذا كَثُرت أموالُهم ، ووُلِد لهم الغِلمانُ ، [(٣)] وأصابُوا [(٣)] غنيمةً أو فتحًا ، مشَوْا فيه ، وقالوا : إن دينَ محمدٍ ﷺ دينُ [(٤)]

(١ - ١) فى م : « والمطر ، كانا » .

(٢) فى م : « أضاء لهما » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « فأصابوا » ، وفى ر ، ت ٢ : « أو أصابوا » .

(٤) فى ص ، والدر المنثور : « حينئذ » ، وفى ت ١ : « حق و » .

صدقٍ . فاستقامُوا عليه ، كما كان[١] ذانك المنافقان يَمْشِيان ، إذا أضاء لهما[٢] البرقُ مشَوْا فيه ، ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ ﴾ . فكانوا إذا هلَكت أموالُهم ، ووُلِدِ لهم الجوارِى ، وأصابهم البلاءُ ، قالوا : هذا مِن أجلِ دينِ محمدٍ . فارْتَدُّوا كفارًا ، كما قام ذانك المنافقان حينَ أظْلَم البرقُ عليهما[٣] .

والثالثُ : ما **حدَّثَنى** به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: كمطرٍ ، ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ : هو مثَلُ المنافقِ فى ضوءِ ما تكلَّم بما معه من كتابِ اللَّهِ ، وعمِل مُراءاةً للناسِ ، فإذا خلا وحدَه عمِل بغيرِه ، فهو فى ظلمةٍ ما أقام على ذلك ، وأمّا الظلماتُ فالضلالةُ ، وأما البرقُ فالإيمانُ ،وهم أهلُ الكتابِ ، ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فهو رجلٌ[٤] يأخُذُ بطرَفِ الحقِّ لا يستطيعُ أن يُجاوِزَه[٥] .

والرابعُ : ما **حدَّثنى** به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: وهو المطرُ ، ضرَب مثَلَه فى القرآنِ ، يقولُ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ ﴾ يقولُ :

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « لهم » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٧ .

(٤) بعده فى ت١ : « واحد » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف . وتقدم أوله فى ص ٣٥٦.

ابتلاءٌ ، [(١] ﴿ وَرَعْدٌ ﴾ يقولُ : تخويفٌ ، ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ [١)] . ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ . يقولُ : يكادُ مُحكَمُ القرآنِ أن يدلَّ على عَوْراتِ المنافقين ، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ يقولُ : كلَّما أصاب المنافقون مِن الإسلامِ عزًّا اطمأنُّوا ، وإن أصابَ الإسـلامَ نكبةٌ [(٢] قاموا ليرْجِعوا [٢)] إلى الكفرِ ، يقولُ : ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ كقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ ﴾ [الحج : ١١] . إلى آخرِ الآيةِ[(٣)] .

١٥٥/١ **قال أبو جعفرٍ** : / ثم اختَلَف سائرُ أهلِ التأويلِ بعدُ في ذلك نظيرَ ما رُوى عن ابنِ عباسٍ مِن الاختلافِ **فحدَّثني** محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى بنِ ميمونٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : إضاءةُ البرقِ وإظلامُه[(٤)] على نحوِ ذلك المثَلِ[(٥)] .

حدَّثنا المُثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

(١ - ١) في الدر المنثور : « ورعد وبرق - تخويف » .

(٢ - ٢) في م : « قالوا ارجعوا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨ (١٨٢، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٨) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابوني في المائتين .

(٤) في الأصل ، ر : « إظلامهم » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير مجاهد ص ١٩٧ . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٥٧.

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ : فالمنافقُ[1] إذا رأى فى الإسلامِ رخاءً أو طمأنينةً أو سَلْوةً من عيشٍ ، قال : أنا معكم وأنا منكم . وإذا أصابتْه شدَّةٌ[2] حَقْحَق[3] واللَّهِ عندَها ، فانْقُطِع به ، فلم يَصْبِرْ على بلائِها ، ولم يَحتسِبْ أجرَها ، ولم يرْجُ عاقبتَها[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ يقولُ : أجبنُ[5] قومٍ ، لا يسمَعون شيئًا إلا ظنُّوا أنهم هالكون فيه ؛ [6]حذَرًا من[6] الموتِ ، ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . ثم ضرَب لهم مثَلًا آخرَ ، فقال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ . يقولُ : هذا المنافقُ ؛ إذا كثُر مالُه ، وكثُرت ماشيتُه ، وأصابتْه عافيةٌ ، قال : لم يُصِبْنى مذْ دخلتُ فى دينى هذا إلا خيرٌ . ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ يقولُ : إذا ذهبَت أموالُهم ، وهلَكت مواشِيهم ، وأصابهم البلاءُ ، قاموا متحيِّرين .

---

(١) فى ت ١ : « قال » .

(٢) فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ : « شديدة » .

(٣) الحقحقة : أن يسار البعير ويحمل على ما يتعبه وما لا يطيقه حتى يبدع براكبه ، وقيل : هو المتعب من السير . اللسان (ح ق ق) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد نحوه ، وتقدم أوله فى ص ٣٣٩.

(٥) فى م : « أخبر عن » ، وفى ت ١ : « هم أجبن » .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ : « حذارا من » .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قال : مثلُهم كمثلِ قومٍ ساروا فى [٢/٥٥و] ليلةٍ مظلمةٍ ، ولها مطرٌ ورعدٌ وبرقٌ على جادَّةٍ ، فلما أبْرَقت أبْصَروا الجادَّةَ فمضَوْا فيها ، فإذا ذهَب البرقُ تحيَّروا ، وكذلك المنافقُ ، كلَّما تكلَّم بكلمةِ الإخلاصِ أضاء له ، فإذا شكَّ تحيَّر ووقَع[1] فى الظُّلْمةِ ، فكذلك قولُه : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ ﴾ . ثم قال فى أسماعِهم وأبصارِهم التى عاشُوا بها فى الناسِ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا أبو تميلةَ[3] ، عن عُبيدِ بنِ سليمانَ الباهليِّ ، عن الضحَّاكِ بنِ مُزاحمٍ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ قال : أما الظلماتُ فالضلالةُ ، والبرقُ الإيمانُ[4] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعْلى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وَهبٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [5]فقَرأ حتى بلَغ[5] : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال : هذا أيضًا مثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للمنافقين ، كانوا قد استنارُوا[6] بالإسلامِ ، كما استنار[7] هذا بنورِ هذا[8] البرقِ .

---

(١) بعده فى ر : « ورجع » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٩ عقب الأثر (١٢٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى الأصل : « ثميلة » ، وفى م : « نميلة » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٤، ٥٦ (١٨٤، ١٩٥) من طريق على بن الحكم عن الضحاك .

(٥ - ٥) فى ر : « حتى قرأ » .

(٦) فى ت ١ : « استضاءوا » .

(٧) فى ت ١ : « استضاء » .

(٨) سقط من : ص ، ت ١ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : ليس فى الأرضِ شىءٌ يسمعُه المنافقُ إلا ظنَّ أنه يُرادُ به ، وأنه الموتُ ، كراهيةً له ، والمنافقُ أكرَهُ خلقِ اللَّهِ للموتِ ، كما إذا كانوا بالبرارِىِّ[1] فى المطرِ ، فرُّوا من الصواعقِ .

/حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قال : مثَلٌ ضُرِب للكافرِين[2] . ١٥٦/١

قال أبو جعفرٍ : وهذه الأخبارُ[3] التى ذكَرْناها عمَّن رَوَيناها عنه ، فإنها وإن اخْتَلفت فيها ألفاظُ قائليها متقارِباتُ المعانى ؛ لأنها جميعًا تُنْبِئُ عن أن اللَّهَ ضرَب الصَّيِّبَ لظاهرِ إيمانِ المنافقِ مثلًا ، ومثَّل ما فيه من ظلماتٍ بضلالتِه ، وما فيه من ضياءِ برقٍ بنورِ إيمانِه ، واتِّقاءَه من الصواعقِ بتصييرِ أصابعِه فى أُذُنَيه ، لضعفِ[4] جَنانِه ، ونَخْبِ[5] فؤادِه ، من حُلولِ عقوبةِ اللَّهِ بساحتِه ، ومشيَه فى ضوءِ البرقِ باستقامتِه على نورِ إيمانِه ، وقيامَه فى الظلامِ بحيرتِه فى ضلالتِه وارتكاسِه فى عَمَهِه .

فتأويلُ الآيةِ[6] إذن - إذ[7] كان الأمرُ على ما وصَفْنا - : [٥/٢ظ] أو[8] مَثَلُ ما اسْتَضاء به المُنافِقون ، مِن قيلِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين بألسنتِهم : آمنَّا باللَّهِ

(١) فى ص : « بالبر » ، وفى م ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « بالبراز » .
(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ : « للكافر » ، وفى ت ٢ : « الكافر » .
(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « الأقوال » .
(٤) فى م : « بضعف » .
(٥) فى م : « تحير » . والنخب : الجبن وضعف القلب . اللسان (ن خ ب) .
(٦) فى ص : « الكلام » .
(٧) فى ص : « إن » ، وفى م « إذا » .
(٨) فى الأصل : « و » .

وباليومِ الآخِرِ وبمحمدٍ وبما جاء به . حتى صار لهم بذلك فى الدنيا أحكامُ المؤمنين ، وهم - مع إظهارِهم بألسنتِهم ما يُظْهِرون - باللَّهِ وبرسولِه وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ وباليومِ الآخرِ مُكَذِّبون ، ولخلافِ ما يُظْهِرون بالألْسُنِ فى قلوبِهم مُعْتَقِدون ، على عمًى منهم وجَهالةٍ بما هم عليه مِن الضَّلالةِ ، لا يَدْرُون فى[1] أيِّ الأمْرَين اللذين قد شُرِعا لهم الهدايةُ ، فى[2] الكفرِ الذى كانوا عليه قبلَ إرسالِ اللَّهِ محمدًا ﷺ بما أرْسَله به إليهم ، أم فى الذى أتاهم به محمدٌ ﷺ مِن عندِ ربِّهم ؟ فهم مِن وَعيدِ اللَّهِ إياهم على لسانِ محمدٍ ﷺ وَجِلون ، وهم مع وَجَلِهم مِن ذلك فى حقيقتِه شاكُّون ، فى قلوبِهم مرضٌ فزادَهم اللَّهُ مرضًا - كمثل غَيْثٍ سرَى ليلًا فى مُزْنةٍ[3] ظَلْماءَ وليلةٍ[4] مُظْلِمةٍ ، يَحْدُوها رَعْدٌ ، ويَسْتَطِيرُ فى حافاتِها برقٌ ، شديدٌ لَمَعانُه ، كثيرٌ خَطَرانُه[5] ، يَكادُ سناه[6] يَذْهَبُ بالأبصارِ ، ويَخْتَطِفُها مِن شدَّةِ ضِيائِه ونورِ شُعاعِه ، وتَهْبِطُ منها تاراتٍ صَواعِقُ ، تَكادُ تَدَعُ النفوسَ مِن شدةِ أهْوالِها زَواهِقَ .

فالصَّيِّبُ مَثَلٌ لظاهرِ ما أظْهَر المُنافِقون بألسنتِهم مِن الإقْرارِ والتَّصْديقِ ، والظلماتُ التى هى فيه لظُلُماتِ ما هم مُسْتَبِطنوه[7] من الشكِّ والتَّكْذيبِ ومرضِ القلوبِ ، وأما الرعدُ والصَّواعقُ فلِما هم عليه مِن الوَجَلِ مِن وَعيدِ اللَّهِ إياهم على لسانِ رسولِه ﷺ فى آيِ كتابِه ، إمَّا فى العاجلِ وإمَّا فى الآجِلِ ، أن يَحُلَّ بهم ، مع شكِّهم فى ذلك ، هل هو كائنٌ أم غيرُ كائنٍ ، وهل له حقيقةٌ أم ذلك كذبٌ

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٢) فى الأصل ، ص : « أفى » .

(٣) فى ت ١ : « برية » .

(٤) فى م : « ليل » .

(٥) الخطران : الارتفاع والانخفاض . انظر التاج (خ ط ر) .

(٦) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « سنا برقه » .

(٧) فى م : « مستنبطون » .

وباطلٌ ؟ مَثَلٌ[(١)] . فهم مِن وَجَلِهم أن يكونَ ذلك حقًّا ، يَتَّقُونه بالإقرارِ بما جاء به محمدٌ ﷺ بألسنتِهم ، مخافةً على أنفسِهم مِن الهلاكِ ونزولِ النَّقِماتِ . وذلك تأويلُ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ يعْنى بذلك : يَتَّقُون وَعيدَ اللَّهِ الذى أنْزَله فى كتابِه على لسانِ رسولِه ﷺ بما يُبْدُونه بألسنتِهم مِن ظاهرِ الإقرارِ ، كما يَتَّقِى الخائفُ[(٢)] أصواتَ الصَّواعقِ بتغطيةِ أُذُنيه ، وتَصْبيرِ أصابعِه فيهما[(٣)] ، حَذَرًا على نفسِه منها[(٤)] .

وقد ذكَرْنا الخبرَ الذى رُوِى عن ابنِ مسعودٍ وعن ابنِ عباسٍ أنهما كانا يَقُولان : إن المنافقين [٦/٢و] كانوا إذا حضَروا مجلسَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أدْخَلوا أصابعَهم فى آذانِهم فَرَقًا مِن كلامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أن يَنْزِلَ فيهم شىءٌ ، أو يُذْكَروا بشىءٍ فيُقْتَلوا[(٥)] . فإن كان ذلك صحيحًا - ولستُ أعْلَمُه صحيحًا ،/ إذ كنتُ بإسنادِه مُرتابًا - فإن القولَ الذى رُوِى عنهما هو القولُ . وإن يكنْ غيرَ صَحيحٍ ، فأوْلَى بتأويلِ الآيةِ ما قُلْنا ؛ لأنَّ اللَّهَ إنما قصَّ علينا مِن خبرِهم فى أولِ مُبْتَدَأِ قَصَصِهم ، أنهم[(٦)] يُخادِعون اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين بقولِهم : آمَنَّا باللّهِ وباليومِ الآخِرِ . مع شكِّ قلوبِهم ومرضِ أفئدتِهم فى حقيقةِ ما زعَموا أنهم به مُؤْمنون ، مما جاءَهم به رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عندِ ربِّهم ، وبذلك وصَفهم فى جميعِ آيِ القرآنِ التى ذكَر فيها صفتَهم ، فكذلك ذلك فى هذه الآيةِ . ١٥٧/١

(١) ليست فى : الأصل ، وفى ت ١ : « شك » .

(٢) بعده فى ر : « من » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ : « فيها » .

(٤) فى ت ٢ : « منهما » .

(٥) تقدم فى ص ٣٦٨ .

(٦) بعده فى ص : « عارفون » .

وإنما جعَل اللَّهُ إدخالَهم أصابعَهم فى آذانِهم مَثَلًا لاتِّقائهم رسولَ اللَّهِ ﷺ والمؤمنين بما ذكَرْنا أنهم يتَّقُونهم به ، كما يَتَّقِى سامعُ صوتِ الصاعقةِ بإدخالِ أصابعِه فى أُذُنيه ، وذلك مِن المَثَلِ نظيرُ تمثيلِ اللَّهِ ما أنْزَل[1] فيهم مِن الوَعيدِ فى آيِ كتابِه بأصواتِ الصَّواعقِ ، وكذلك قولُه : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ ﴾ جعَله جل ثناؤُه مَثَلًا لخوفِهم وإشفاقِهم مِن حُلولِ عاجلِ العِقابِ المُهْلِكِهم[2] الذى تُوُعِّدوه بساحتِهم ، كما يَجْعَلُ سامعُ أصواتِ الصَّواعِقِ أصابِعَه فى أُذُنيه حَذَرَ العَطَبِ والموتِ على نفسِه أن تَزْهَقَ مِن شدتِها .

وإنما نصَب قولَه : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ ﴾ على نحوِ ما تَنْصِبُ به التَّكْرِمةَ فى قولِك : زُرْتُك تَكْرِمةً لك . تُرِيدُ بذلك : زُرْتُك[3] مِن أجلِ تَكْرِمتِك . وكما قال جلّ ثناؤُه : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . على التفسيرِ للفعلِ[4] .

وقد رُوِى عن قتادةَ أنه كان يَتأوَّلُ قولَه : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ ﴾ : حَذَرًا مِن الموتِ .

حدَّثنا بذلك الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : حدَّثنا مَعْمَرٌ عنه .

وذلك مذهبٌ مِن التأويلِ ضعيفٌ ؛ لأنَّ القومَ لم يَجْعَلوا أصابعَهم فى آذانِهم حَذَرًا مِن الموتِ ، فيكونَ معناه ما قال : إنه يرادُ[5] به : حَذَرًا مِن الموتِ . وإنما جعَلوها

---

(١) فى الأصل : « نزل » .

(٢) فى م : « المهلك » .

(٣) سقط من : ص ، ت ٢، ت ٣.

(٤) يعنى بالتفسير للفعل: المفعول لأجله. ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٧، والمصطلح النحوى ص ١٦٤.

(٥) فى م : « مراد » .

مِن حِذارِ الموتِ فى آذانِهم .

وكان قتادةُ وابنُ جُرَيْجٍ يَتأوَّلان قولَه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أن ذلك مِن اللَّهِ جل ثناؤه صفةٌ للمنافِقِين بالهَلَعِ وضعفِ القلوبِ وكراهيةِ الموتِ . [٢/٦٦ظ] ويتأوَّلان فى ذلك قولَه : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] .

وليس الأمرُ فى ذلك عندى كالذى قالا ، وذلك أنه قد كان فيهم مَن لا تُنْكَرُ شجاعتُه ، ولا تُدْفَعُ بَسالتُه ، كقُزْمانَ(١) الذى لم يَقُمْ مَقامَه أحدٌ(٢) مِن المؤمنين(٣) يومَ أُحُدٍ(٣) ، ودونَه(٤) ، وإنما كانت كراهتُهم شُهودَ المَشاهِدِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتَرْكُهم مُعاونتَه على أعدائِه ؛ لأنهم لم يكونوا فى أديانِهم مُسْتَبْصِرين ، ولا برسولِ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقِين ، فكانوا للحضورِ معه مَشاهدَه كارِهِين ، إلا بالتَّخْذِيلِ عنه . ولكنّ ذلك وصفٌ مِن اللهِ لهم بالإشْفاقِ مِن حُلولِ عقوبةِ اللَّهِ بهم على نفاقِهم ، إما عاجلًا وإما آجِلًا .

ثم أخْبَرَ جلّ ثناؤُه أن المنافِقِين الذين نعَتَهم اللهُ النَّعْتَ الذى ذكَر ، وضرَب لهم الأمثالَ التى وصَف ، وإنِ اتَّقَوْا عقابَه ، وأشْفَقُوا من عذابِه إشفاقَ الجاعلِ فى أُذنيه أصابعَه حِذارَ حُلولِ الوَعيدِ الذى توَعَّدهم به فى آيِ كتابِه - غيرُ مُنْجِيهم ذلك مِن نزولِه بعَقْوَتِهم(٥) ، وحُلولِه بساحتِهم ، إما عاجلًا فى الدنيا ، وإما آجِلًا فى الآخرةِ ،

---

(١) هو قزمان بن الحارث ، حليف بنى ظفر ، كان منافقا معروفا بالشجاعة ، وقاتل يوم أحد قتالا شديدا ، حتى أصابته الجراحة ، فقتل نفسه . ينظر الإصابة ٥/ ٤٤٠.

(٢) سقط من : ص ، وفى ر : « بأحد » ، وفى ت ٢: « كأحد » .

(٣ - ٣) فى ص : « كثير أحد » ، وفى ر ، ت ٢: « كبير أحد » ، وفى ت ١، م : « بأحد » .

(٤) فى الأصل ، ر : « ذويه » .

(٥) فى ص : « بعقولهم » ، وفى م : « بعقوبتهم » . والعقوة والعقاة : الساحة وما حول الدار ، والمحلة . اللسان (ع ق و) .

للذى فى قلوبهم مِن مرضِها ، والشكِّ فى اعتقادِها ، فقال : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يَعْنى[1] : جامِعُهم ، فمُحِلٌّ بهم عُقوبتَه .

١٥٨/١ / وكان مجاهدٌ يَتأوَّلُ ذلك كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال أخبرنا عيسى بنُ مَيْمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال : جامِعُهم فى جهنمَ[2] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا حسينٌ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال : جامِعُهم[3] .

وأما ابنُ عباسٍ فرُوِى عنه فى ذلك ما حدَّثنى به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يقولُ : اللَّهُ مُنْزِلٌ ذلك بهم مِن النِّقْمةِ[4] .

ثم عاد جلّ ذكرُه إلى نعتِ إقرارِ المنافقين بألسنتِهم ، والخبرِ (٥) عنه و (٥) عنهم وعن نفاقِهم ، وإتمامِ المثلِ الذى ابْتَدأ ضَرْبَه لهم ولشكِّهم ومَرَضِ قلوبِهم ، فقال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ يعْنى بالبرقِ الإقرارَ الذى أظْهَروه بألسنتِهم باللهِ وبرسولِه وما جاء به

---

(١) فى م : « بمعنى » .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٧ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ٤/ ١٧٢ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٧ (٢٠١) . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٧ (٢٠٠) من طريق ابن جريج به ، بزيادة : يوم القيامة فى جهنم .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٧ (١٩٩) من طريق سلمة به .

(٥ - ٥) سقط من : ر ، ت ١ .

مِن عندِ ربِّهم . فجعَل البرقَ له مثلًا على ما[1] قدَّمْنا صفتَه ، ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ يعنى : يَذْهَبُ بها ويَسْتَلِبُها ويَلْتَمِعُها[2] مِن شدةِ ضِيائِه[3] ونُورِ شُعاعِه[4] .

كما [٢/٧و] حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ . قال : يَلْتَمِعُ أبْصارَهم ولمَّا يَفْعَلْ[5] .

والخَطْفُ السَّلْبُ . ومنه الخبرُ الذى رُوِى عنِ النبىِّ ﷺ أنه نَهى عن الخَطْفةِ[6] . يعنى بها النُّهْبَةَ . ومنه قيل للخُطَّافِ الذى يُخْرَجُ به الدَّلْوُ مِن البئرِ : خُطَّافٌ ؛ لاخْتِطافِه واسْتِلابِه ما علِق به . ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[7] :

---

(١) بعده فى ر : « قد » .

(٢) التمع الشيءَ : اختلسه . اللسان (ل م ع) .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر ، ت٢ : « ضيائها » .

(٤) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ٢: « شعاعها » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٧ (٢٠٤) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٦) أخرجه الدارمى ٢/ ٨٥، والطبرانى فى الكبير ٢٢/٢٠٩ (٥٥١) ، والبيهقى ٩/٣٣٤ من طريق أبى أويس عبد الله بن عبد الله ، عن الزهرى ، عن أبى إدريس ، عن أبى ثعلبة بلفظ : نهى رسول الله ﷺ عن الخطفة ، والمجثمة ، والنهبة ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع .

وآخره فى النهى عن كل ذى ناب من السباع فى الصحيحين ، وغيرهما من طرق عن الزهرى به . وينظر علل الدارقطنى ٦/٣١٦ - ٣١٨.

وأخرجه الحميدى (٣٩٧) ، وأحمد ٥/١٩٥ ، ٦/٤٥٥ (الميمنية) من طريق سهيل ، عن عبد الله بن يزيد السعدى ، عن أبى الدرداء ، نحوه . وينظر علل الدارقطنى ٦/ ٢٠٣، ٢٠٤.

والخطفة : ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية . والمراد ما يقطع من أطراف الشاة ، والخطفة المرة الواحدة من الخطف ، فسمى بها العضو المختطف . ينظر النهاية ٢/٤٩ .

(٧) ديوانه ص ٥٢.

خَطاطِيفُ حُجْنٌ[١] فى حِبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نَوازِعُ

فجعَل ضَوءَ البرقِ وشدةَ شُعاعِ نُورِه ، لضَوْءِ[٢] إقرارِهم بألسنتِهم باللهِ وبرسولِه ﷺ وبما جاء به مِن عندِ اللهِ واليومِ الآخِرِ وشُعاعِ نورِه - مَثَلًا .

ثم قال : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ يعنى أن البرقَ كلَّما أضاء لهم . وجعَل البرقَ لإيمانِهم مَثَلًا . وإنما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الإيمانُ . وإضاءتُه لهم أن يَرَوْا فيه ما يُعْجِبُهم فى عاجلِ دُنْياهم مِن النُّصْرةِ على الأعداءِ ، وإصابةِ الغَنائمِ فى المَغازِى ، وكثرةِ الفُتوحِ وتتابُعِها[٣] ، والثَّراءِ فى الأموالِ ، والسلامةِ فى الأبدانِ والأهلِ والأولادِ - فذلك إضاءتُه لهم ؛ لأنهم إنما يُظْهِرون بألسنتِهم ما يُظْهِرونه مِن الإقرارِ ابْتغاءَ ذلك ، ومُدافَعةً عن أنفسِهم وأموالِهم وأهليهم وذَرارِيِّهم ، فهم كما وصَفَهم جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [الحج : ١١] .

ويعنى بقولِه : ﴿ مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ : مشَوْا[٤] فى ضوءِ البرقِ . وإنما ذلك مَثَلٌ لإقرارِهم على ما وصَفْنا . فمعناه : كلما رأَوْا فى الإيمانِ ما يُعْجِبُهم فى عاجلِ دنياهم - على ما وصَفْنا - ثبَتوا عليه ، وأقاموا فيه ، كما يَمْشِى السائرُ فى ظُلمةِ الليلِ وظُلمةِ الصَّيِّبِ الذى وصَفه جلّ ذكرُه ، إذا برَقَت فيها بارقةٌ (٥ فأبصَر طريقَه بها ٥) .

﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ ﴾ يعنى : ذهَب ضَوْءُ البرقِ عنهم[٦] . ويعنى بقولِه : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ :

---

(١) الحجن جمع أحجن : وهو الشيء المعوج . اللسان (ح ج ن) .

(٢) فى ص : « بضوء » ، وفى م : « كضوء » .

(٣) فى ص ، م : « منافعها » .

(٤) فى الأصل : « يعنى مشوا » .

(٥ - ٥) فى م : « أبصر طريقه فيها » .

(٦) فى الأصل ، ر ، ت١ : « عليهم » .

على السائرين فى الصَّيِّبِ الذى وَصَف جلَّ ذكرُه ، وذلك للمنافِقِين مَثَلٌ . ومعنى إظلامِ ذلك أن المنافقين كلما لم يَرَوْا فى الإسلامِ ما يُعْجِبُهم / فى دنياهم - عندَ ابتلاءِ ١٥٩/١
اللَّهِ مؤمِنى عبادِه بالضَّرَّاءِ ، وتَمْحيصِه إياهم بالشدائدِ والبلاءِ ، مِن إخفاقِهم فى مَغْزاهم ، (١)أو إدالةِ(١) عدوِّهم منهم ، أو إدبارٍ مِن دنياهم عنهم - أقاموا على نفاقِهم ، وثبَتوا على ضَلالتِهم ، كما قام السائرون [٧/٢ظ] فى الصَّيِّبِ الذى وصَف جل ذكرُه إذا أظلَم(٢) وخبَتَ(٣) ضَوْءُ البرقِ ، فحار فى طريقِه فلم يَعْرِفْ مَنهجَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإنَّما خَصَّ اللَّهُ جلَّ ذِكرُهُ السمعَ والأبصارَ بأنَّه لو شاء أذهَبَها مِن المنافقين دونَ سائرِ أعضاءِ أجسامِهم - لِلذى جرَى مِن ذكرِها فى الآيتَيْن ، أعْنى قولَه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ . وقولَه : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ فجرَى ذكرُها فى الآيتَيْنِ على وجهِ المثَلِ . ثم عقَّب جلّ ثناؤُه ذكرَ ذلك بأنه لوشاء أذْهَبه مِن المنافِقين ، عقوبةً لهم على نفاقِهم وكفرِهم ، وعيدًا مِن اللهِ لهم ، كما توعَّدهم فى الآيةِ التى قبلَها بقولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ واصفًا بذلك جلّ ذكرُه نفسَه أنه المُقْتَدِرُ عليهم وعلى جمعِهم(٤) ، لإحْلالِ سُخْطِه بهم ، وإنزالِ نِقْمتِه عليهم ، ومُحَذِّرَهم بذلك سَطْوتَه ، ومُخَوِّفَهم(٥) عقوبتَه ، ليَتَّقُوا بأسَه ، ويُسارِعوا إليه بالتوبةِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ

(١ - ١) فى ص : « وإدالة » ، وفى م : « وإنالة » . والإدالة : الغلبة . اللسان (د و ل) .

(٢) بعده فى الأصل : « عليهم » .

(٣) فى ص : « خف » ، وفى ر ، م : « خفت » ، وخبت وخفت بمعنى .

(٤) فى الأصل ، ص : « جميعهم » .

(٥) بعده فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « به » .

إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ ﴾ : لِمَا تركوا مِن الحقِّ بعدَ معرفتِه[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : ثم قال - يعْنى : قال اللهُ - فى أسْماعِهم - يعنى أسْماعَ المنافِقِين - وأبصارِهم التى عاشُوا بها فى الناسِ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ ﴾[(٢)] .

وإنما معنى قوله : ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ ﴾ : لأذهب سمعَهم وأبصارَهم . ولكنَّ العربَ إذا أدخلوا الباءَ فى مثلِ ذلك قالوا : ذهبتُ ببصرِه . وإذا حذَفوا الباءَ قالوا : أذهبتُ بصرَه . كما قال جلّ ذكرُه : ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [الكهف : ٦٢] . ولو أدخلتِ الباءُ فى الغداءِ لقيل : آتِنا بغدائِنا .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ فوحَّد ، وقال : ﴿ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ ﴾ فجمَع ، وقد علِمْتَ أن الخبرَ فى السمعِ خبرٌ عن سمعِ جماعةٍ ، كما الخبرُ فى الأبصارِ خبرٌ عن أبصارِ جماعةٍ ؟

قيل : قد اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى ذلك ، فقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : وحَّد السمعَ لأنه عَنَى به المصدرَ وقصَد به الخَرْقَ ، وجمَع الأبصارَ لأنه عَنَى [٢/٨و] بها[(٣)] الأعينَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩/١ (٢١٣) من طريق سلمة به . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩/١ (٢١٢) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « به » .

وكان بعضُ نحويِّى البصرةِ يَزْعُمُ أن السمعَ وإن كان فى لفظٍ واحدٍ ، فإنه بمعنى جماعٍ . ويَحْتَجُّ فى ذلك بقولِ اللهِ جلّ وعزّ : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] . يُرادُ[1] : لا تَرْتَدُّ إليهم أطْرافُهم . وبقولِه : ﴿ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] . يُرادُ به : أدْبارُهم .

قال أبو جعفرٍ : وإنما جاز[2] ذلك عندى لأن فى الكلامِ ما يَدُلُّ على أنه مُرادٌ به الجمعُ ، فكان دَلالتُه[3] على المرادِ منه وأداءِ معنى الواحدِ مِن السمعِ عن معنى جماعةٍ ، مُغْنِيًا[4] عن جِماعِه ، ولو فُعِل بالبصرِ نظيرُ الذى فُعِل بالسمعِ ، أو فُعِل بالسمعِ نظيرُ الذى فُعِل / بالأبصارِ - مِن الجمعِ والتوحيدِ - كان فصيحًا صحيحًا ؛ ١٦٠/١
لما ذكرْنا مِن العلةِ ، كما قال الشاعرُ[5] :

كُلُوا فى بَعْضِ[6] بَطْنِكُمُ تعِفُّوا[7] فإنَّ زَمانَنا[8] زَمَنٌ خَمِيصُ

فوحَّد البطنَ ، والمرادُ به[9] البطونُ ؛ لما وصَفْنا مِن العلةِ .

---

(١) فى ص : « ويراد » ، وفى م : « يريد » .
(٢) بعده فى ص ، ت١ ، ت٢ : « جمع » ، وفى ر : « جميع » .
(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت٢ : « فى دلالته » ، وفى م : « فيه دلالة » .
(٤) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « معنيا » .
(٥) بعده فى ر : « حيث قال » .
والبيت من أبيات سيبويه التى لا يعلم قائلها ، ينظر الكتاب ١/ ٢١٠ ، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٣١١ ، ٢/ ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٤٣ ، والخزانة ٧/ ٥٣٧ ، ٥٥٩ .
(٦) فى الأصل ، ص ، ر ، و أمالى ابن الشجرى ، والموضع الأول من الخزانة : « نصف » .
قال صاحب الكشاف - كما فى الخزانة ٥٦٣/٧ - : أكل فى بعض بطنه ، إذا كان دون الشبع ، وأكل فى بطنه ، إذا امتلأ وشبع .
(٧) فى الأصل ، ص ، ر ، والموضع الأول من الخزانة : « تعيشوا » . وذكر صاحب الخزانة أنها رواية .
(٨) فى مصادر التخريج : « زمانكم » .
(٩) فى ص ، م : « منه » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ .

قال أبو جعفر : وإنما وصَف نفسَه جلّ ذكرُه بالقُدرةِ على كلِّ شىءٍ فى هذا الموضعِ ؛ لأنه حذّر المنافِقين بأسَه وسطْوتَه ، وأخبرَهم أنه بهم محيطٌ ، وعلى إذهابِ أسماعِهم وأبصارِهم قديرٌ ، ثم قال جلّ ذكرُه : فاتَّقونى أيها المنافقون ، واحذَروا خداعِى وخداعَ رسُولى وأهلِ الإيمانِ بى ؛ لا[(١)] أُحِلَّ بكم نِقَمِى ، فإنى على ذلك وعلى غيرِه من الأشياءِ قادرٌ[(٢)] . ومعنى ﴿ قَدِيرٌ ﴾ : معنى قادرٍ ، كما معنى عليمٍ[(٣)] : عالمٌ . على ما وصفْتُ فيما تقدّم من نظائِرِه مِن زيادةِ معنى « فعيلٍ » « على » « فاعلٍ » فى المدحِ والذّمِّ[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ .

فأمَر جلَّ ثناؤُه الفريقين اللذين أَخْبر عن أحدِهما أنه سواءٌ عليهم أُنْذِروا[(٥)] أَمْ لم يُنذَروا[(٦)] أنهم لا يؤمنون ؛ لطبعِه على قلوبِهم وسمعِهم[(٧)] ، وعن الآخَرِ أنه يُخادِعُ اللَّهَ والذين [٨/٢ظ] آمنوا بما يُبْدى بلسانِه من قيلِه : آمنَّا باللَّهِ وباليومِ الآخِرِ . مع استبطانِه خلافَ ذلك ومرضِ قلبِه وشكِّه فى حقيقةِ ما يُبْدى مِن ذلك ، وغيرَهم مِن سائرِ خلقِه المُكلَّفين - بالاستكانةِ والخضوعِ له بالطاعةِ ، وإفرادِ الرُّبوبيَّةِ له والعبادةِ دونَ الأوثانِ والأصنامِ والآلهةِ ؛ لأنَّه جلَّ ذِكرُه هو خالقُهم وخالقُ مَن قبلَهم مِن

---

(١) فى فى الأصل : « لأنى » .

(٢) فى ص ، م : « قدير » .

(٣) بعده فى ر : « معنى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ١٢٥ .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « أأنذرتهم » .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « تنذرهم و » .

(٧) بعده فى م : « وأبصارهم » .

آبائِهم وأجدادِهم ، وخالقُ أوثانِهم وأصنامِهم وآلهتِهم .

فقال لهم جلَّ ذِكرُه : فالذى خلَقكم وخلَق آباءَكم وأجدادَكم وسائرَ الخلقِ غيرَكم ، وهو يقدِرُ على ضَرِّكم ونفعِكم ، أَوْلى بالطاعةِ ممَّن لا يقدِرُ لكم على نَفْعٍ ولا ضَرٍّ .

وكان ابنُ عباسٍ فيما رُوِى لنا عنه يقولُ فى ذلك نظيرَ ما قُلنا فيه ، غيرَ أنه ذُكِر عنه أنه كان يقولُ فى معنى : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ : وحِّدوا ربَّكم .

وقد دلَّلنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن معنى العبادةِ ؛ الخضوعُ للَّهِ بالطاعةِ ، والتذلُّلُ له بالاستكانةِ[(١)] .

والذى أراد ابنُ عباسٍ - إن شاء اللَّهُ - بقولِه فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ : [(٢)] وحِّدوه . أى[(٢)] : أَفرِدوا الطاعةَ والعبادةَ لربِّكم دونَ سائرِ خلقِه .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال اللَّهُ جل ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ : للفريقين جميعًا من الكفارِ والمنافقين ، أى : وحِّدوا ربَّكم الذى خلَقكم والذين مِن قبلِكم[(٣)] .

وحدَّثنى مُوسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ / النبىِّ ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ١٦١/١

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٥٩ .

(٢ - ٢) فى ص : « وحدوا له » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٩، ٦٠ (٢١٥، ٢١٦) من طريق سلمة به .

﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. (١) يقولُ : خلَقكم وخلَق الذين مِن قبلِكم(٢) .

قال أبو جعفرٍ(١) : وهذه الآيةُ مِن أدلِّ الدليلِ على فسادِ قولِ مَن زعَم أن تكليفَ ما لا يُطاقُ إلَّا بمعونةِ اللهِ غيرُ جائزٍ ، إلَّا بعدَ إعطاءِ اللهِ المكلَّفَ المعونةَ على ما كلَّفه ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ وعزَّ أمَر مَن وصَفْنا بعبادتِه والتوبةِ مِن كفرِه ، بعدَ إخبارِه عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضلالتِهم [٩/٢و] لا يَرْجِعون .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وتأويلُ ذلك : لعلَّكم تتَّقون بعبادتِكم ربَّكم الذى خلَقكم ، وطاعتِكم إيَّاه فيما أمَركم به ونهاكم عنه ، وإفرادِكم له بالعبادةِ(٣) - سخطَه وغضبَه أن يَحُلَّ عليكم(٤) ، وتكونوا مِن المتقين الذين رَضِى عنهم ربُّهم .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿تَتَّقُونَ﴾ : تُطيعون .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن سفيانَ ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ . قال : لعلكم تُطيعون(٥) .

والذى أظنُّ أن مجاهدًا أراد بقولِه هذا : لعلكم أن تتَّقوا رَبَّكم بطاعتِكم إيَّاه ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠/١ (٢١٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « العبادة لتتقوا » ، وفى م : « بالعبادة لتتقوا » .

(٤) فى ر : « بكم » .

(٥) تفسير الثورى ص ٤٢ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠/١ (٢٢٠) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

وإقلاعِكم عن ضلالتِكم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قال جلَّ ثناؤه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أوَ لم يكُنْ عالمًا بما يصيرُ إليه أمرُهم إذا هم عَبدوه وأطاعوه ، حتى قال لهم : لعلَّكم إذا فعَلتم ذلك أن تتَّقوا . فأخْرَج الخبرَ عن عاقبةِ عبادتِهم إيَّاه مُخْرَجَ الشكِّ ؟

قيل : ذلك على غيرِ المعنى الذى توهَّمتَ ، وإنما معنى ذلك : اعبُدوا ربَّكم الذى خلَقكم والذين مِن قبلِكم لتتَّقوه بطاعتِه وتوحيدِه وإفرادِه بالرُّبوبيةِ والعبادةِ ، كما قال الشاعرُ[(١)] :

وقُلْتُمْ لنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعلَّنا نَكُفُّ وَوَثَّقْتُمْ لَنا كُلَّ مَوْثِقِ
فلمَّا كَففْنا الحَرْبَ كانَتْ عُهودُكُمْ كَلَمْحِ سَرابٍ فى المَلَا[(٢)] مُتَألِّقِ

يريدُ بذلك : قلتم لنا كفُّوا لنكفَّ . وذلك أن « لعل » فى هذا الموضعِ لو كان شكًّا لم يكونوا وثَّقوا لهم كلَّ مَوْثِقٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ .

وقولُه : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ مردودٌ على ﴿ ٱلَّذِى ﴾ الأوَّلِ فى قولِه : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ وهما جميعًا مِن نعتِ ﴿ رَبَّكُمُ ﴾ . فكأنَّه قال : اعبُدوا ربَّكم الخالِقَكم ، والخالقَ [٩/٢ظ] الذين مِن قبلِكم ، الجاعلَ لكم الأرضَ فِراشًا . يعنى بذلك أنه جعَل لكم[(٣)] الأرضَ مِهادًا تُوطَأُ ، وقرارًا يُستقرُّ / عليها . يُذكِّرُ ربُّنا جلَّ ذكرُه بذلك مِن قيلِه ، عبادَه[(٤)] نعمَه عندَهم وآلاءَه لديهم ؛ ١٦٢/١

(١) البيتان فى أمالى ابن الشجرى ٥١/١ غير منسوبين .
(٢) فى ص ، م : « الفلا » . والفلا والملا : المتسع من الأرض ، أو الصحراء الواسعة . اللسان (ف ل و ، م ل و) .
(٣) فى ص : « لهم » .
(٤) فى م : « زيادة » .

لِيذكُروا أياديَه عندَهم ، فيُنيبوا إلى طاعتِه ، تَعطُّفًا منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، مِن غير ما حاجةٍ منه إلى عبادتِهم ، ولكن لِيُتِمَّ نعمتَه عليهم ولعلَّهم يَهتدُون .

كما حدَّثني مُوسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن [(١] مُرَّةَ ، عن [١)] ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ : فهي فِراشٌ يُمشَى عليها ، وهي المهادُ والقَرارُ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ قال : مهادًا لكم[(٣)] .

وحدَّثني المُثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ قال : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ أي : مِهادًا[(٤)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل وعزّ : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإنما سُمِّيت السماءُ سماءً ؛ لعُلُوِّها على الأرضِ ، وعلى سُكَّانِها مِن خلقِه ، وكلُّ شيءٍ كان فوقَ شيءٍ آخرَ ، فهو لما تحتَه سماءٌ . ولذلك قيل لسقفِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٤ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦١ (٢٢٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦١ عقب الأثر (٢٢٢) معلقا .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦١ عقب الأثر (٢٢٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

البيتِ : سماؤُه ؛ لأنَّه فوقَه مرتفِعٌ عليه ، وكذلك قيل : سما فلانٌ لفلانٍ : إذا أَشْرف له وقصَد نحوَه عاليًا عليه ، كما قال الفرزدقُ[(١)] :

سَمَوْنا لِنَجْرانَ اليَمانِى وأَهْلِهِ   وَنجْرانُ[(٢)] أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ[(٣)] مَقاوِلُهْ[(٤)]

وكما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[(٥)] :

[(٦)] سَمَتْ لى نَظْرَةٌ[(٦)] فَرأَيْتُ مِنْها   تُحَيْتَ الخِدْرِ[(٧)] وَاضِعَةَ القِرَامِ[(٨)]

يريدُ بذلك : أَشْرفتْ لى نظرةٌ وبدَت . فكذلك السماءُ سُمِّيت للأرضِ سماءً ؛ لعُلُوِّها وإشرافِها عليها .

كما **حدَّثنى** مُوسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ : ابتنى[(٩)] السماءَ[٢/١٠و] على الأرضِ كهيئةِ القُبَّةِ ، وهى سَقْفٌ على الأرضِ[(١٠)] .

---

(١) ديوانه ص ٧٣٥.

(٢) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة . معجم البلدان ٤/ ٧٥١.

(٣) تديث : توطأ . وطريق مديث أى مذلل . اللسان (د ى ث) .

(٤) المقول : الملك من ملوك حمير ، والجمع مقاول ومقاولة . اللسان (ق و ل) .

(٥) ديوانه ص ١٥٩.

(٦ - ٦) فى الديوان : « صفحت بنظرة » .

(٧) الخدر : ستر يمد للجارية فى ناحية البيت . تاج العروس (خ د ر) .

(٨) القرام : الستر الرقيق . اللسان (ق ر م) .

(٩) فى م : « فبناء » ، وفى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « فبنى » ، وفى حاشية الأصل : « فى الأم : فبنى » .

(١٠) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ (٢٢٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ قال : جعَل السماءَ سقفًا لك[1] .

وإنما ذكَر السماءَ والأرضَ جل ثناؤُه فيما عدَّد عليهم مِن نعَمِه التى أَنْعَمها عليهم ؛ لأنَّ منهما أقواتَهم وأرزاقَهم ومعايشَهم ، وبهما قِوامُ دنياهم . فأَعْلَمهم أن الذى خلَقهما وخلَق جميعَ ما فيهما وما هم فيه مِن النِّعمِ ، هو المستحِقُّ عليهم الطاعةَ ، والمستوجِبُ منهم الشكرَ والعبادةَ ، دونَ الأصنامِ والأوثانِ التى لا تضُرُّ ولا تنفَعُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ .

يعنى بذلك أنه جل ثناؤُه أَنْزل مِن السماءِ مطرًا ، فأَخْرج بذلك المطرِ ممّا أنْبتوه[2]
١٦٣/١ فى الأرضِ مِن زروعِهم / وغروسِهم ثمراتٍ رزقًا لهم ؛ غِذاءً وأقواتًا . فنبَّههم بذلك جلَّ ثناؤُه على قدرتِه وسلطانِه ، وذَكَّرهم به آلاءَه لديهم ، وأنه هو الذى خلَقهم ، وهو الذى يرزُقُهم ويكفُلُهم[3] ، دونَ مَن جعَلوه له نِدًّا وعِدْلًا من الأوثانِ والآلهةِ . ثم زجَرهم عن أن يجعَلوا له نِدًّا مع علمِهم بأنَّ ذلك كما أَخْبَرهم ، وأنَّه لا نِدَّ له ولا عِدْلَ ، ولا لهم نافعٌ ولا ضارٌّ ، ولا خالقٌ ولا رازقٌ سواه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والأندادُ جمعُ نِدٍّ ، والنِّدُّ العِدْلُ والمِثْلُ ، كما قال حسانُ بنُ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٤) معلقا .

(٢) فى ر : « أثبتوه » .

(٣) فى ص ، ت ٢ : « يكلفهم » .

ثابتٍ[١] :

أَتَهْجُوه وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ[٢] فَشَرُّكما لخَيْرِكُما الفِداءُ

يعنى بقولِه : ولستَ له بنِدٍّ : لستَ له بمِثْلٍ ولا عِدْلٍ . وكلُّ شىءٍ كان نظيرًا لشىءٍ وله شبيهًا ، فهو له نِدٌّ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أى : عِدْلًا[٣] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن [٢/١٠ظ] ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أى : عِدْلًا[٤] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ . قال : أَكْفَاءً مِن الرجالِ تُطيعونهم فى معصيةِ اللَّهِ[٥] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى

---

(١) ديوانه ص ٧٦.

(٢) فى الديوان : « بكفو » .

(٣) فى م : « عدلاء » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٥ إلى المصنف .

(٤) فى م : « عدلاء » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٥ إلى المصنف ووكيع وعبد بن حميد .

وأخرجه الثورى فى تفسيره ص ٤٢ عن مجاهد . وستأتى بقيته فى ص ٣٩٤ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٤، ٣٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

قولِ اللَّهِ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ . قال : الأندادُ الآلهةُ التى جعَلوها معه ، وجعَلوا لها مثلَ ما جعَلوا له .

وحُدِّثت عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةِ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ قال : أشْباهًا[١] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ القزازُ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن شَبيبٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ : أن تقولوا : لولا كلبُنا لدخَل علينا اللصُّ الدارَ ، ولولا كلبُنا[٢] فى الدارِ . ونحو هذا[٣] .

فنهاهم اللَّهُ جل ذكرُه أن يُشرِكوا به شيئًا ، وأن يعبُدوا غيرَه ، أو يتَّخِذوا له نِدًّا أو عِدْلًا فى الطاعةِ ، فقال : كما لا شريكَ لى فى خلقِكم ، وفى رزقِى[٤] الذى أرْزُقُكم ، ومِلْكى إيَّاكم ، ونِعْمتى التى أنعمتُها عليكم ، فكذلك فأَفْرِدوا لى الطاعةَ ، وأَخْلِصوا لى العبادةَ ، ولا تجعَلوا لى شريكًا ونِدًّا مِن خَلْقى ، فإنكم تعلمون أن كُلَّ نعمةٍ عليكم فمنِّى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختَلف أهلُ التأويلِ فى الذين عُنُوا بهذه الآيةِ ؛ **فقال بعضُهم :** عُنِى بها جميعُ المشركين مِن مُشرِكى العربِ وأهلِ الكتابِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٢٨) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « صاح » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٢٩) من طريق أبى عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مطولا . وينظر مسند أحمد ٣٣٩/٣ (١٨٣٩) ، وتفسير ابن كثير ١/ ٨٧.

(٤) فى م ، ت٢ : « رزقكم » .

وقال بعضُهم : عُنِى بذلك أهلُ الكتابَيْنِ التوراةِ والإنجيلِ .

ذكرُ مَن قال : عُنى بها جميعُ عَبَدةِ الأوثانِ مِن العربِ وكفارِ أهلِ الكتابيْنِ

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ [١١/٢و] بنُ الفضلِ ، عن محمدِ ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ / مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن ١٦٤/١
سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزَل ذلك فى الفريقَيْنِ جميعًا مِن الكفارِ والمنافِقين ، وإنَّما عنَى بقولِه : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : لا تُشرِكوا باللَّهِ غيرَه مِن الأندادِ التى لا تنفعُ ولا تضُرُّ ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم يرزُقُكم غيرُه ، وقد علِمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسولُ مِن توحيدِه هو الحقُّ لا شكَّ فيه[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : تعلَمون أن اللَّهَ خلَقكم وخلَق السماواتِ والأرضَ ، ثم تجعَلون له أندادًا[(٢)] .

ذكرُ من قال : عُنِى بذلك أهلُ الكتابَيْنِ

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه إلهٌ واحدٌ فى التوراةِ والإنجيلِ[(٣)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٣١) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٣٣) من طريق يزيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٣٢) من طريق سفيان به .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا قَبِيصةُ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(١)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . يقولُ : وأنتم تعلَمون أنه لا نِدَّ له فى التوراةِ والإنجيلِ .

قال أبو جعفرٍ : وأحسَبُ أن الذى دعا مجاهدًا إلى هذا التأويلِ ، وإضافةِ ذلك إلى أنه خطابٌ لأهلِ التوراةِ والإنجيلِ دونَ غيرِهم ، الظنُّ منه بالعربِ أنها لم تكُنْ تعلَمُ أن اللَّهَ خالِقُها ورازِقُها بجحودِها وحدانيةَ ربِّها ، وإشراكِها معه فى العبادةِ غيرَه ، وإن ذلك لقولٌ ، ولكنَّ اللَّهَ جلَّ ذكرُه قد أَخْبَر فى كتابِه عنها أنها كانت تُقِرُّ بوحدانيتِه ، غيرَ أنها كانت تُشرِكُ فى عبادتِه ما كانت تُشرِكُ فيها ، فقال تعالى ذِكرُه : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف : ٨٧] . وقال تعالى ذِكرُه : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٣١] .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أَوْلى بتأويلِ قولِه : ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ - إذ كان ما كان عندَ العربِ مِن العلمِ بوحدانيةِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، وأنه مُبدِعُ الخلقِ وخالِقُهم ورازِقُهم ، نظيرَ الذى كان مِن ذلك عندَ [٢/١١ظ] أهلِ الكتابَيْن ، ولم يكنْ فى الآيةِ دَلالةٌ على أن اللَّهَ عَنى بقولِه : ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أحدَ الحزبَيْن ، بل مَخرَجُ الخِطابِ بذلك عامٌّ للناسِ كافَّةً[(٢)] ؛ لأنه تحدَّى الناسَ كلَّهم بقولِه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) تفسير الثورى ص ٤٢. وهذا الأثر تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٩١ .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « لهم » .

﴿ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ - أن يكونَ تأويلُه ما قاله ابنُ عباسٍ وقتادةُ ، مِن أنَّه معنيٌّ بذلك كلُّ مُكلَّفٍ عالمٍ بوحدانيةِ اللَّهِ وأنه لا شريكَ له في خلقِه ، يشركُ[(١)] معه في عبادتِه[(٢)] ، كائنًا مَن كان مِن الناسِ ، عَربيًّا كان أو أعجميًّا ، كاتبًا[(٣)] أو أميًّا ، وإن كان الخِطابُ لكفارِ أهلِ الكتابِ الذين كانوا حَوالَىْ دارِ هجرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأهلِ النِّفاقِ منهم ، وممن بينَ ظهرانيْهم ممن كان مشركًا فانتقل إلى النِّفاقِ بمَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عليهم .

١٦٥/١ / **القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه :** ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا مِن اللَّهِ جل ثناؤُه احتجاجٌ لنبيِّه محمدٍ ﷺ على مُشركى قومِه مِن العربِ ومُنافقيهم ، وكفارِ أهلِ الكتابِ وضُلَّالِهم الذين افْتَتَح بقصصِهم قولَه جلَّ ثناؤُه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وإيَّاهم يُخاطِبُ بهذه الآياتِ ، [(٤)]وضُرباءَهم يعنى بها[(٤)] ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه لهم : ﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ أيها المشركون مِن العربِ والكفارِ مِن أهلِ الكتابيْن ، إنْ كنتم فى شكٍّ ، وهو الرَّيبُ ، ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمدٍ ﷺ مِن النورِ والبرهانِ وآياتِ الفرقانِ ، أنه مِن عندِى ، وأنِّى الذى أنْزلتُه إليه ، فلم تؤمنوا به ، ولم تصدِّقوه فيما يقولُ ، فأْتوا بحُجةٍ تدفَعُ حُجتَه ؛ لأنكم تعلَمون أن حجةَ كلِّ ذى نبوَّةٍ على صدقِه فى دَعْواه النبوَّةَ أن يأتىَ ببرهانٍ يَعجزُ عن أن يأتِىَ بمثلِه جميعُ الخلقِ . ومن حجةِ محمدٍ ﷺ

---

(١) فى الأصل : « مشرك » .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « غيره » .

(٣) فى ص ، ر ، ت ٢: « كتابيا » .

(٤ - ٤) فى م : « وأخبر بأهم نعوتها » .

على صِدْقِه ، وبرهانِه على حقيقةِ نبوَّتِه ، وأن ما جاء به مِن عندى ، عجزُ جميعِكم وجميعِ مَن تستعينون به مِن أعوانِكم وأنصارِكم عن أن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، وإذا عجَزتم عن ذلك وأنتم أهلُ البراعةِ فى الفصاحةِ والبلاغةِ والذَّرابةِ(١) ، فقد علِمتم أن غيرَكم عما عجَزتم عنه [١٢/٢و] مِن ذلك أعجَزُ ، كما كان برهانُ مَن سلَف مِن رُسُلى وأنبيائى على صدْقِه ، وحُجتُه على نبوَّتِه مِن الآياتِ ما يعجِزُ عن الإتيانِ بمثلِه جميعُ خلقى . فتقرَّر حينئذٍ عندَكم أن محمدًا ﷺ لم يتقوَّلْه ولم يختلِقْه ؛ لأن ذلك لو كان منه اختلاقًا وتقوُّلًا لم تعجِزوا وجميعُ خَلْقِى(٢) عن الإتيانِ بمثلِه ؛ لأن محمدًا ﷺ لم يَعْدُ أن يكونَ بشرًا مثلَكم ، وفى مثلِ حالِكم فى الجسمِ وبَسْطةِ الخَلقِ وذَرابةِ اللسانِ ، فيُمكِن أن يُظنَّ به اقتدارٌ على ما عجَزتم عنه ، أو يُتوهَّمَ منكم(٣) عجزٌ عما اقْتَدر عليه .

ثم اخْتلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ(٤) قولِه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ؛

فحدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ يعنى بذلك : مِن مثلِ هذا القرآنِ حقًّا وصدقًا ، لا باطلَ فيه ولا كَذِبَ(٥) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبرنا مَعْمرٌ ، عن

---

(١) فى م : « الدراية » .

والذرابة : حِدَّةُ نحوِ السيف والسنان ، وتستعار لطلاقة اللسان مع عدم اللكنة . التاج (ذ ر ب) .

(٢) فى م : « خلقه » .

(٣) فى ص : « فيكم » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣/١ (٢٣٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد بن حميد .

قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ . يقولُ : بسورةٍ من[(١)] مثلِ هذا القرآنِ[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ابنُ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ : مثلِ القرآنِ[(٣)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ قال : ﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ مثلِ القرآنِ .

١٦٦/١ / فمعنى قولِ مجاهدٍ وقتادةَ الذى ذكَرناه عنهما أن اللَّهَ جلَّ ذِكْرُه قال لمن حاجَّه لنبيِّه[(٤)] محمدٍ ﷺ مِن الكفارِ : فأتوا بسورةٍ مِن مثلِ هذا القرآنِ ، مِن كلامِكم أيَّتُها العربُ ، كما أتَى به محمدٌ بلغاتِكم ومعانى منطقِكم .

وقد قال قومٌ آخرون : إن معنى قولِه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ : مِن مثلِ محمدٍ مِن البشرِ ؛ لأن محمدًا بشرٌ مثلُكم .

والتأويلُ الأوَّلُ الذى قاله مجاهدٌ وقتادةُ هو التأويلُ الصحيحُ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قال فى سورةٍ أُخرى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد الرزاق .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣/١ (٢٣٧) من طريق ابن أبى نجيح به .

(٤) فى م : « فى نبيه » .

[يونس: ٣٨]. ومعلومٌ أن السورةَ ليست لمحمدٍ بنظيرٍ ولا شبيهٍ فيجوزَ أن يقالَ: فأْتوا بسورةٍ مثلِ محمدٍ.

فإن قال لنا قائلٌ: [٢/١٢ظ] إنك ذكَرت أن اللَّهَ عَنى بقولِه: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: مِن مثلِ هذا القرآنِ، فهل للقرآنِ مِن مثلٍ فيقالَ: ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه؟

قيل: إنه لم يَعنِ به: ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه فى التأليفِ والمعانى التى بايَن بها سائرَ الكلامِ غيرَه. وإنما عَنَى: ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه فى البيانِ؛ لأن القرآنَ أَنْزله اللَّهُ بلسانٍ عربيٍّ، وكلامُ العربِ - لا شكَّ - له مثلٌ فى معنى العربيةِ، فأما فى المعنى الذى بايَن به القرآنُ سائرَ كلامِ المخلوقين، فلا مثلَ له مِن ذلك الوجهِ ولا نظيرَ ولا شبيهَ.

وإنما احْتَجَّ جلَّ ثناؤُه عليهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ بما احْتَجَّ به[1] له عليهم مِن القرآنِ، إذ ظهَر عجزُ القومِ عن أن يأتوا بسورةٍ مِن مثلِه فى البيانِ، إذ كان القرآنُ بيانًا مثلَ بيانِهم، وكلامًا نزَل بلسانِهم، فقال لهم جلَّ ثناؤُه: وإن كنتم فى ريبٍ مِن أن ما أَنْزلتُ على عبدِى مِن القرآنِ مِن عندِى، فأْتوا بسورةٍ مِن كلامِكم الذى هو مثلُه فى العربيةِ، إذ كنتم عربًا، وهو بيانٌ نظيرُ بيانِكم، وكلامٌ شبيهُ كلامِكم. فلم يُكلِّفْهم جلَّ ثناؤُه أن يأتوا بسورةٍ مِن غيرِ اللسانِ الذى هو نظيرُ اللسانِ الذى نزَل به القرآنُ، فيقدِروا أن يقولوا: كلَّفْتنا ما لو أحسنَّاه أتينا به، وإنا لا نقدِرُ على الإتيانِ به؛ لأنا لسنا مِن أهلِ اللسانِ الذى كلَّفتَنا الإتيانَ به، فليس لك علينا بهذا حجةٌ؛ لأنا وإن عجَزنا عن أن نأتِيَ بمثلِه مِن غيرِ ألسُنِنا - لأنا لسنا مِن أهلِه - ففى الناسِ خلقٌ كثيرٌ مِن غيرِ أهلِ لسانِنا يقدِرُ على أن يأتِيَ بمثلِه مِن اللسانِ الذى كلَّفتنا الإتيانَ به. ولكنه جلَّ ثناؤُه قال لهم: ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه؛ لأن مثلَه مِن الألسُنِ ألسنُكم،

---

(١) سقط من: م.

وأنتم - إن كان محمدٌ اخْتَلَقه وافْتَراه - إذا اجتَمَعتم وتظاهَرتم على الإتيانِ بمثلِ سورةٍ منه مِن لسانِكم وبيانِكم ، أقدرُ على اختلاقِه ورصفِه[(١)] وتأليفِه مِن محمدٍ ﷺ ، وإن لم تكونوا أقدرَ عليه منه ، فلن تعجِزوا وأنتم جميعٌ عما قدَر عليه محمدٌ مِن ذلك وهو وحيدٌ[(٢)] ، إن كنتم صادقين في دَعْواكم وزعمِكم أن محمدًا افْتَراه واخْتَلَقه وأنه مِن عندِ غيرى .

[(٣)]**القولُ في تأويلِ قولِه جَلَّ وعَزَّ** : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم [٢/١٣و] مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٣)] .

واخْتَلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ؛ فقال ابنُ عباسٍ ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يعني : أعوانَكم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين[(٤)] .

١٦٧/١ / **حدَّثني** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي[(٥)] نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ : ناسٌ يَشْهَدون لكم[(٦)] .

---

(١) في م : « وضعه » .

(٢) في م : « وحده » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١ ، ٥٣٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣/١ ، ٦٤ (٢٤٠) من طريق سلمة به .

(٥) سقط من : م .

(٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
والأثر في تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٢) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، عن شبلٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قومٌ يَشهَدون لكم .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ قال : ناسٌ يَشْهَدون . قال ابنُ جُريجٍ : ﴿ شُهَدَآءَكُم ﴾ عليها إذا أتيتم بها أنها مثلُه ؛ مثلُ القرآنِ . وذلك قولُ اللَّهِ لمن شكَّ مِن الكفارِ فيما جاء به محمدٌ ﷺ[(١)] .

وقولُه : ﴿ وَٱدۡعُواْ ﴾ يعنى : اسْتَنصروا واستَعينُوا ، كما قال الشاعرُ[(٢)] :

فَلَمَّا الْتَقَتْ فُرسانُنا ورِجالُهُم   دَعَوْا يا لَكَعْبٍ[(٣)] واعْتَزَيْنا[(٤)] لِعامِرِ

يعنى بقولِه : دَعَوا يا لَكَعْبٍ : اسْتَنصروا كعبًا واستغاثوا[(٥)] بهم .

وأما الشهداءُ ، فإنها جمعُ شهيدٍ ، كما الشركاءُ جمعُ شريكٍ ، والخطباءُ جمعُ خطيبٍ . والشهيدُ يُسمَّى به الشاهدُ على الشيءِ لغيرِه بما يُحقِّقُ دَعْواه ، وقد يُسمَّى به المُشاهِدُ للشيءِ ، كما يقالُ : فلانٌ جليسُ فلانٍ ، يَعْنى به مُجالِسَه ، ونديمُه ، يَعْنى به مُنادِمَه ، وكذلك يقالُ : شهيدُه . يَعْنى به مُشاهِدَه .

---

(١) ينظر تفسير ابن أبي حاتم ٦٣/١ (٢٣٦) .

(٢) البيت للراعى النميرى ، وهو فى ديوانه ص ١٤٥ .

(٣) فى الديوان : « لكلب » .

(٤) اعتزى : انتسب ، صدقًا كان أو كذبًا . اللسان (ع ز و) .

(٥) فى ر ، م : « استعانوا » .

فإذا كانت الشهداءُ مُحْتَمِلةً أن تكونَ جمعَ الشهيدِ الذى هو منصرِفٌ للمعنَيَيْن اللذين وصفتُ ، فأَوْلى وجهيه بتأويلِ الآيةِ ما قاله ابنُ عباسٍ ، [٢/١٣ظ] وهو أن يكونَ معناه : واستنصِروا على أن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه أعوانَكم وشهداءَكم الذين يُشاهدونكم ويُعاونونكم على تكذيبِكم اللَّهَ ورسولَه ، ويُظاهرونكم على كفرِكم ونفاقِكم ، إن كنتم محقِّين فى جحودِكم أن ما جاءكم به محمدٌ ﷺ اختلاقٌ وافتراءٌ ؛ لتمتحنوا أنفسَكم وغيرَكم : هل تقدِرون على أن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، فيقدِرَ محمدٌ على أن يأتِيَ بجميعِه من قِبَلِ نفسِه اختلاقًا ؟

وأما ما قاله مجاهدٌ وابنُ جُريجٍ فى تأويلِ ذلك ، فلا وجهَ له ؛ لأن القومَ كانوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أصنافًا ثلاثةً ؛ أهلَ إيمانٍ صحيحٍ ، وأهلَ كفرٍ صحيحٍ ، وأهلَ نفاقٍ بينَ ذلك . فأهلُ الإيمانِ كانوا باللَّهِ وبرسولِه مؤمنين ، فكان مِن الـمُحالِ أن يَدَّعِىَ الكفارُ أن لهم شهداءَ - على حقيقةِ ما كانوا يأتُون به ، لو أتَوا باختلاقٍ مِن الرسالةِ ، ثم ادَّعَوا أنه للقرآنِ نظيرٌ - مِن المؤمنين . فأما[1] أهلُ النفاقِ والكفرِ ، فلا شكَّ أنهم لو دُعُوا إلى تحقيقِ الباطلِ وإبطالِ الحقِّ لسارعوا إليه مع كفرِهم وضلالتِهم ، فمن أىِّ الفِرَقِ[2] كانت تكونُ شهداؤُهم لو ادَّعَوا أنهم قد أتَوا بسورةٍ مِن مثلِ القرآنِ ؟

ولكن ذلك كما قال اللَّهُ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] . فأخبر جلَّ ثناؤُه فى هذه الآيةِ أن مثلَ القرآنِ لا يأتى به الجنُّ والإنسُ ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيانِ به ، وتحدَّاهم بمعنى التوبيخِ لهم فى سورةِ « البقرة » ، فقال :

---

(١) بعده فى الأصل ، ر ، ت ١ ، ت ٣ : « من » .

(٢) فى م : « الفريقين » .

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن
١٦٨/١ دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ/صَٰدِقِينَ ﴾ . يعنى بذلك : إن كنتم فى شَكٍّ فى صِدْقِ محمدٍ ﷺ فيما جاءكم به مِن عندى أنه مِن عندى ، فَأْتُوا بسورةٍ من مثلِه ، ولْيستنْصِرْ بعضُكم بعضًا على ذلك ، إن كنتم صادقين فى زعمِكم ، حتى تعلَموا أنكم إذ عجزتم عن ذلك ، أنه لا يقدِرُ على أن يأتىَ به محمدٌ ﷺ ولا مِن البشرِ أحدٌ ، ويصحَّ عندَكم أنه تنزيلى ووَحْيى إلى عبدى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعز : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا [١٤/٢و] وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ .

ويعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ : إن لم تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤُكم عليه وأعوانُكم ، فتبيَّن لكم بامتحانِكم واختبارِكم عَجْزُكم وعجزُ جميعِ خلقى عنه ، وعلِمتم أنه مِن عندى ، ثم أقَمْتم على التكذيبِ به .

وقولُه : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أى : ولن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه أبدًا .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أى : لا تقدِرون على ذلك ولا تُطيقونه[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ : [(٢)]قد تبيَّنَ[(٢)] لكم الحقُّ[(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤/١ (٢٤٣) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م : « فقد بين » ، وضبطه فى ر : « بُين » بضم الباء .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى ابن أبى حاتم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ : فاتَّقُوا أن تَصْلَوا النارَ بتكذيبِكم رَسُولى ، بما جاءَكم به مِن عندى أنه مِن وَحْيِى وتنزيلى ، بعدَ تبيُّنِكم أنه كتابى ومن عندى ، وقيامِ الحجةِ عليكم بأنه كلامى ووَحْيِى ، بعَجْزِكم وعَجْزِ جميعِ خَلْقى عن أن يأتُوا بمثلِه .

ثم وصَف جلَّ ذكرُه النارَ التى حذَّرهم صِلِيَّها ، فأَخْبَرهم أن الناسَ وَقودُها ، وأَن الحجارةَ وَقودُها ، فقال : ﴿ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ يعنى بقولِه : ﴿ وَقُودُهَا ﴾ : حَطَبُها ، والعربُ تجعَلُه مصدرًا ، وهو اسمٌ إذا فتَحْتَ الواوَ بمنزلةِ الحطبِ ، فإذا ضمَمْتَ الواوَ مِن « الوقودِ » كان مصدرًا مِن قولِ القائلِ : وقَدَت النارُ ، فهى تقِدُ وُقودًا وقِدَةً ووَقَدانًا ووَقْدا ، يُرادُ بذلك أنها التهبَتْ .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وكيف خُصَّت الحجارةُ فقُرِنت بالناسِ ، حتى جُعلَت لنارِ جهنَّمَ حطبًا ؟ قيل : إنها حجارةُ [١٤/٢ظ] الكِبْرِيتِ ، وهى أشدُّ الحجارةِ فيما بلغَنا حرًّا إذا أُحْمِيت .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن مِسعرٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ ميسرةَ الزرَّادِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ قال : هى حجارةٌ مِن كِبريتٍ خلَقها اللَّهُ يومَ خلَقَ السماواتِ والأرضَ فى السماءِ الدنيا يُعدُّها للكافرين[١] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤/١ (٢٤٤) ، والطبرانى فى الكبير (٩٠٢٦) ، والحاكم ٢/ ٢٦١، ٤٩٤ ، والبيهقى فى البعث والنشور (٥٠٣) من طريق مسعر به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/١ إلى الفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر . وينظر تفسير الثورى ص ٤٢.

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيينةَ ، عن
١٦٩/١ مِسعرٍ ، عن عبدِ الملكِ/الزرَّادِ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن ابنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ قال : حجارةُ الكِبْريتِ جعَلها اللَّهُ كما شاء[1] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ : أما الحجارةُ فهي حجارةٌ في النارِ مِن كِبْريتٍ أسودَ يُعذَّبون به مع النارِ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ في قولِه : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ قال : حجارةٌ مِن كِبْريتٍ أسودَ في النارِ . قال : وقال لي عمرُو بنُ دينارٍ : حجارةٌ أصلَبُ مِن هذه وأعظمُ[3] .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن مسعرٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ ميسرةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : حجارةُ[4] الكبريتِ . قال[5] : خلَقها اللَّهُ عندَه كيف شاء وكما شاء[6] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/١ إلى عبد الرزاق .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/١ عن السدى به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٥) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/١ عن ابن جريج به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥/١ (٢٤٧) من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار به .

(٤) بعده في م : « من » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٤) ، والطبراني (٩٠٢٦) ، والحاكم ٢٦١/٢ من طرق عن مسعر به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

قد دلَّلنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن الكافرَ فى كلامِ العربِ هو الساترُ شيئًا بغطاءٍ ، وأَن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما سَمَّى الكافرَ كافرًا لجحودِه آلاءَه عندَه ، وتغطيتِه نَعْماءَه قِبَلَه[1] .

فمعنى قولِه إذن : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ : أُعِدَّت النارُ للجاحدين أن اللَّهَ ربُّهم ، المتوحِّدُ بخلقِهم وخلْقِ الذين مِن قبلِهم ، الذى جعَل لهم الأرضَ فِراشًا ، والسماءَ [١٥/٢و] بناءً ، وأَنْزَل مِن السماءِ ماءً ، فأَخْرج به مِن الثمراتِ رزقًا لهم ، المشركين معه فى عبادتِه الأندادَ والآلهةَ ، وهو المتفرِّدُ لهم بالإنشاءِ ، والمتوحِّدُ بالأقواتِ والأرزاقِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى : لمن كان على مثلِ ما أنتم عليه مِن الكفرِ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما قولُه : ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ . فإنه يعنى : أَخْبِرْهم . والبشارةُ أصلُها الخبرُ بما[3] يُسَرُّ به المخبَرُ ، إذا كان سابقًا به كلَّ مخبَرٍ سواه .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٢٦٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥/١ (٢٤٨) من طريق سلمة به .

(٣) بعده فى الأصل : « بشر » .

١٧٠/١ وهذا أمرٌ مِن اللَّهِ نبيَّه محمدًا ﷺ بإبلاغِ بشارتِه خلقَه الذين آمنوا به / وبمحمدٍ ﷺ وبما جاء به مِن عندِ ربِّه ، وصدَّقوا إيمانَهم ذلك وإقرارَهم بأعمالِهم الصالحةِ ، فقال له : يا محمدُ ، بشِّرْ مَن صدَّقك أنك رسولى ، وأنَّ ما جئتَ به مِن الهدى والنورِ فمن عندى ، وحقَّق تصديقَه ذلك قولًا بأداءِ الصالحِ مِن الأعمالِ التى افترضْتُها عليه ، وأوجبتُها فى كتابى على لسانِك عليه - أن له جناتٍ تَجرى مِن تحتِها الأنهارُ ، خاصَّةً ، دونَ مَن كذَّب بك[(١)] ، وأنكَر ما جئتَه به مِن الهُدَى مِن عندى ، وعانَدك ، ودونَ مَن أَظْهَر تصديقَك وأقرَّ بأن ما جئتَه به فمِن عندى ، قولًا ، وجحَده اعتقادًا ولم يحقِّقْه عملًا ، فإن لأولئك النارَ التى وَقودُها الناسُ والحجارةُ مُعَدَّةً عندى .

والجناتُ جِماعُ جَنَّةٍ ، والجنةُ البُستان .

وإنما عَنَى جلَّ ذكرُه بذكرِ الجنةِ ما فى الجنةِ مِن أشجارِها وثمارِها وغروسِها دونَ أرضِها ، فلذلك قال : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ؛ لأنه معلومٌ أنه إنما أراد جلَّ ثناؤُه الخبرَ عن ماءِ أنهارِها أنه جارٍ تحتَ أشجارِها وغروسِها وثمارِها ، [٢/ ١٥ظ] لا أنه جارٍ تحتَ أرضِها ؛ لأن الماءَ إذا كان جاريًا تحتَ الأرضِ ، فلا حظَّ فيها لعيونِ مَن فوقَها إلا بكشفِ الساترِ بينَه وبينَها . على أن الذى تُوصَفُ به أنهارُ الجنةِ أنها جاريةٌ فى غيرِ أخاديدَ .

كما حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا الأشجعىُّ ، عن سفيانَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى عُبيدةَ ، عن مسروقٍ ، قال : نخلُ الجنةِ نَضيدٌ مِن أصلِها إلى فرعِها ، وثمرُها أمثالُ القِلالِ ، كلَّما نُزِعتْ ثمرةٌ عادت مكانَها أُخرَى ، وماؤُها يَجرى فى غيرِ أخدودٍ[(٢)] .

---

(١) فى الأصل : « به » .

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٢٠) من طريق الثورى به . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة =

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدثنا مِسعرُ بنُ كِدامٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى عُبيدةَ بنحوِه[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : سمعتُ عمرَو بنَ مُرَّةَ يحدِّثُ عن أبى عُبيدةَ . فذكَر مثلَه . قال : فقلت لأبى عُبيدةَ : من حدَّثك ؟ فغضِب وقال : مسروقٌ[(٢)] .

فإذا كان الأمرُ كذلك فى أن أنهارَها جاريةٌ فى غيرِ أخاديدَ ، فلا شكَّ أن الذى أُريدَ بالجناتِ أشجارُ الجناتِ وغروسُها وثمارُها دونَ أرضِها ، إذ كانت أنهارُها تجرى فوقَ أرضِها وتحتَ غُروسِها وأشجارِها ، على ما ذكَره مسروقٌ ، وذلك أَوْلى بصفةِ الجنةِ من أن تكونَ أنهارُها جاريةً تحتَ أرضِها .

وإنما رغَّب اللَّهُ بهذه الآيةِ عبادَه فى الإيمانِ ، وحضَّهم على عبادتِه بما أَخْبَرهم أنه أَعدَّه لأهلِ طاعتِه والإيمانِ به عندَه ، كما حذَّرهم فى الآيةِ التى قبلَها بما أَخْبَر من إعدادِه ما أعدَّ لأهلِ الكفرِ به والجاعلين معه الآلهةَ والأندادَ من عقابِه عن إشراكِ غيرِه معه ، والتعرُّضِ لعقوبتِه بركوبِ معصيتِه وتركِ طاعتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ذكرُه : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا ﴾ : من الجناتِ . والهاءُ راجعةٌ

=(٤٩) من طريق عمرو بن مرة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى هناد وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٩٧/١٣ من طريق مسعر به .

(٢) أخرجه حسين المروزى وابن صاعد فى زوائدهما على الزهد لابن المبارك (١٤٨٩ ، ١٤٩٠) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣١٥) من طريق ابن مهدى به .

على الجناتِ ، [٢/ ١٦و] وإنما المَغْنِيُّ أشجارُها . فكأنه قال : كُلَّما رُزقوا من أشجارِ البساتينِ التي أعدَّها اللَّهُ للذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ في جناتِه من ثمرةٍ من ثمارِها رزقًا ، قالوا : هذا الذى رُزقنا من قبلُ .

١٧١/١ / **ثم اختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه** : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : تأويلُه : هذا الذى رُزقنا مِن قبلُ[١] في الدنيا .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . قال : إنهم أُتوا بالثمرِ في الجنةِ ، [٢]فلما نظَروا[٢] إليها قالوا : هذا الذى رُزقنا من قبلُ في الدنيا[٣] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ : في الدنيا .

وحدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

---

(١) بعده في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت٢ : « هذا » .

(٢ - ٢) في ص : « فنظروا » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٩٠ عن السدى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٨ إلى المصنف عن ابن مسعود ، وناسٍ من الصحابة . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦٦ (٢٥٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

يقولون : ما أشبهَه به[١] .

[٢]وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[٢] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ : فى الدنيا . قال[٣] : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : يعرِفونه[٤] .

وقال آخرون : تأويلُ ذلك : هذا الذى رُزِقنا من [٥]قَبلُ مِن[٥] ثمارِ الجنةِ مِن قبلِ هذا ؛ لشدةِ مشابهةِ بعضِ ذلك بعضًا فى اللونِ والطعمِ . ومن علةِ قائلى هذا القولِ أن ثمارَ الجنةِ كلَّما نُزِع منها شىءٌ عاد مكانَه آخرُ مثلُه .

كما حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنى ابنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : سمِعتُ عمرَو بنَ مُرَّةَ يحدِّثُ عن [١٦/٢ظ] أبى عُبيدةَ[٦] ، قال : نخلُ الجنةِ نَضيدٌ من أصلِها إلى فرعِها ، وثمرُها أمثالُ القِلالِ ، كلما نُزِعتْ منها ثمرةٌ عادتْ مكانَها أُخرَى[٧] .

قالوا : فإنما اشْتَبهت عندَ أهلِ الجنةِ لأن التى عادت نظيرةُ التى نُزِعتْ فأُكِلَت ،

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦/١ (٢٥٨) بزيادة : يقول : من كل صنف مثل. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) فى ص : « قالوا » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٠/١ عن ابن زيد .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٦) بعده فى ر : « وذكر ثمار الجنة » .

(٧) تقدم تخريجه فى ص ٤٠٦.

فى كلِّ معانيها . قالوا : ولذلك قال اللَّهُ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ ؛ لاشتباهِ جميعِه فى كلِّ معانيه .

وقال بعضُهم : بل قالوا : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ لمشابهتِه الذى قبلَه فى اللونِ وإن خالفه فى الطعمِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسينِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنا شيخٌ من المَصِّيصَةِ[١] ، عن الأوزاعىِّ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، قال : يُؤْتَى أحدُهم بالصَّحْفَةِ فيأكُلُ منها ، ثم يُؤْتَى بأُخْرَى فيقولُ : هذا الذى أُتِينا به مِن قبلُ . فيقولُ المَلَكُ : كُلْ ، فاللونُ واحدٌ والطعمُ مُختَلِفٌ[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وهذا التأويلُ مذهبٌ مِن تأويلِ[٣] الآيةِ ، غيرَ أنه يدفَعُ صحَّتَه ظاهرُ التلاوةِ . والذى يدلُّ على صحتِه ظاهرُ الآيةِ ويُحقِّقُ صحَّتَه[٤] قولُ القائلين : إن معنى ذلك : هذا الذى رُزِقنا مِن قبلُ فى الدنيا . وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قال : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ . فأَخْبَر جلَّ ثناؤُه أن مِن قِيلِ أهلِ الجنةِ كُلَّما رُزِقوا مِن ثمرِ الجنةِ رزقًا أن يقولوا : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . ولم يَخْصُصْ بأن ذلك من قيلِهم فى بعضِ ذلك دونَ بعضٍ ، فإذ كان قد أَخبَر جلَّ ذكرُه عنهم أن

---

(١) المصيصة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . معجم البلدان ٤/ ٥٥٧.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٦٧ (٢٦١) من طريق عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبى كثير به بنحوه.

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢: « تأول » .

(٤) فى الأصل : « صحة » .

ذلك من قيلِهم فى كلِّ ما رُزقوا من / ثمرِها ، فلا شكَّ أن ذلك من قيلِهم فى أولِ رزقٍ ١٧٢/١
رُزقوه من ثمارِها ، وأُتوا به بعدَ دخولِهم الجنةَ واستقرارِهم فيها ، الذى لم يتقدَّمْه عندَهم من ثمارِها ثمرةٌ .

فإذ كان لا شكَّ أن ذلك من قيلِهم فى أولِه ، كما هو من قيلِهم فى أوسَطِه وما يتلوه ، فمعلْومٌ أنه مُحالٌ أن يكونَ من قيلِهم لأولِ رزقٍ رُزقوه من ثمارِ الجنةِ : هذا الذى رُزِقنا من قبلِ هذا من ثمارِ الجنةِ . وكيف يجوزُ أن يقولوا لأولِ رزقٍ رُزقوه من ثمارِها ولمَّا يتقدَّمْه عندَهم غيرُه منها : هذا الذى رُزقناه من قبلُ ؟ إلا أن ينسِبَهم ذو عَتَهٍ[1] وضلالٍ إلى قيلِ الكذبِ الذى قد [٢/١٧و] طهَّرهم اللَّهُ منه ، أو يدفَعَ دافعٌ أن يكونَ ذلك مِن قيلِهم لأولِ رزقٍ يُرزقونه منها من ثمارِها ، فيَدفَعَ صحةَ ما أَوْجَب اللَّهُ صحّتَه بقولِه : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ من غيرِ نَصْبِ دَلالةٍ على أنه مَعنيٌّ به حالٌ من أحوالِهم دونَ حالٍ . فقد تبيَّنَ بما بيَّنا أن معنى الآيةِ : كلما رُزِقَ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ مِن ثمرةٍ من ثمارِ الجنةِ فى الجنةِ رزقًا ، قالوا : هذا الذى رُزِقنا من قبلِ هذا فى الدنيا .

فإن سأَلنا سائلٌ فقال[2] : وكيف قال القومُ : هذا الذى رُزِقنا من قبلُ . والذى رُزِقوه من قبلُ قد عُدِم بأكلِهم إيَّاه ؟ وكيف يجوزُ أن يقولَ أهلُ الجنةِ قولًا لا حقيقةَ له ؟

قيل : إن الأمرَ على غيرِ ما ذهبتَ إليه فى ذلك ، وإنما معناه : هذا مِن النوعِ الذى رُزِقناه من قبلِ هذا من الثمارِ والرزقِ ، كالرجلِ يقولُ لآخرَ : قد أعدَّ لك فلانٌ

---

(١) فى م : « غرة » .
(٢) سقط من : الأصل .

مِن الطعامِ كذا وكذا مِن ألوانِ الطبيخِ والشِّواءِ والحلوى . فيقولُ المَقولُ له ذلك : هذا طعامى فى منزلى . يعنى بذلك أن النوعَ الذى ذكَر له صاحبُه أنه أعدَّه له من الطعامِ هو طعامُه ، (١) لا أن (١) أعيانَ ما أَخبَره صاحبُه أنه قد أعدَّه له هو طعامُه ، بل ذلك مما لا يجوزُ لسامعٍ سمِعه يقولُ ذلك أن يتوهَّمَ أنه أراده أو قصَده ؛ لأن ذلك خلافُ مَخرجِ كلامِ المتكلمِ ، وإنما يُوجَّهُ كلامُ كلِّ متكلمٍ إلى المعروفِ فى الناسِ من مخارجِه دونَ المجهولِ من معانيه ، فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ إذ كان ما كانوا رُزِقوه من قبلُ قد فنِى وعُدِم ، فمعلومٌ أنهم عَنَوا بذلك : هذا من النوعِ الذى رُزِقنا من قبلُ ، ومن جنسِه فى التسمياتِ (٢) والألوانِ . على ما قد بيَّنا من القولِ فى ذلك فى كتابِنا هذا (٣) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ .

والهاءُ فى قولِه : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ عائدةٌ على الرزقِ ، فتأويلُه : وأُتُوا بالذى رُزِقوا من ثمارِها متشابهًا .

وقد اختَلَفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ التشابهِ (٤) فى ذلك ؛ [٢/١٧ظ] **فقال بعضُهم** : تشابهُه أن كلَّه خِيارٌ لا رَذْلَ فيه .

(١ - ١) فى الأصل : « إلا أن » ، وفى م : « لأن » .

(٢) فى ص : « السمات » .

(٣) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : ﴿ وأتوا به متشابهًا ﴾ أنه متشابه فى الفضل : أى كل واحد منه له من الفضل فى نحوه مثل الذى للآخر فى نحوه . قال أبو جعفر : وليس هذا قولاً نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل . وحسب قول بخروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه » ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « أن كل » بدلٌ من : « أى كل » وسيأتى فى مكانه الصحيح فى ص ٤١٨ .

(٤) فى ص ، م : « المتشابه » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا خلادُ بنُ أسلمَ ، قال : أَخْبَرنا النَّضْرُ بنُ شُميلٍ ، قال : أَخْبَرنا أبو عامرٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ قال : خِيارًا كلُّها لا رَذْلَ فيها[(١)] .

١٧٣/١ /**حدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن أبى رَجاءٍ : قرأ الحسنُ آياتٍ من « البقرة » فأتى على هذه الآيةِ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ قال : ألم تَرَوا إلى ثمارِ الدنيا كيف تُرذلون بعضَه ؟ وإن ذلك ليس فيه رَذْلٌ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبَرنا مَعْمرٌ ، قال : قال الحسنُ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ . قال : يُشبهُ بعضُه بعضًا ليس فيه مَرْذولٌ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ : أى خِيارٌ لا رَذْلَ فيه[(٣)] ، وإن ثمارَ الدنيا يُنْتَقَى منها ويُرذَلُ منها ، وثمارُ الجنةِ خِيارٌ كلُّه لا يُرذَلُ منه شىءٌ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : ثمرُ الدنيا منه ما يُرذَلُ ومنه نقاوةٌ ، وثمرُ الجنةِ نقاوةٌ كلُّه ، يُشبِهُ بعضُه بعضًا فى الطِّيبِ ، ليس فيه مرذولٌ[(٥)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى ص : « من رذل » .

(٣) فى ص : « فيها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ (٢٦٣) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ص١٣٣ عن ابن جريج .

وقال بعضُهم : تشابهُه فى اللونِ وهو مختلفُ الطعمِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : فى اللونِ والمرْآةِ ، وليس يُشبِهُ الطعمَ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : مثلَ الخِيارِ[2] .

حدَّثنى المثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفَةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : لونُه ، مختلفًا طعمُه ، مثلَ الخِيارِ من القِثَّاءِ[3] .

حُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ابنِ أنسٍ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : يُشبهُ بعضُه بعضًا ويختلفُ الطعمُ[4] .

[٢/١٨و] حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . قال : مشتبهًا فى

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩١/١ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٨.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

اللونِ ومختلفًا فى الطعمِ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : مثلَ الخيارِ .

وقال بعضُهم : تشابهُه فى اللونِ والطعمِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . قال : اللونُ والطعمُ .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، عن الثورىِّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ويحيى بنِ سعيدٍ : ﴿ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . قالا : فى اللونِ والطعمِ .

/ **وقال بعضُهم** : تشابهُه تشابهُ ثمرِ الجنةِ وثمرِ الدنيا فى اللونِ ، وإن اختلفت ١٧٤/١ طعومُهما .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . قال : يُشبِهُ ثمرَ الدنيا ، غيرَ أن ثمرَ الجنةِ أطيبُ[(٢)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد الرزاق ، وينظر تفسير الثورى ص ٤٢ .

(٢) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٨٦ من طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنى الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ . قال : يُشبِهُ ثمرَ الدنيا ، غيرَ أن ثمرَ الجنةِ أطيبُ (١) .

وقال بعضُهم : لا يُشبِهُ شىءٌ مما فى الجنةِ ما فى الدنيا إلا الأسماءُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا الأشجعىُّ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا مُؤمَّلٌ ، قالا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، (٢) عن أبى ظَبْيانَ (٢) ، عن ابنِ عباسٍ - قال أبو كُريبٍ فى حديثِه عن الأشجعىِّ - : لا يُشبِهُ شىءٌ مما فى الجنةِ ما فى الدنيا إلا الأسماءُ . وقال ابنُ بشَّارٍ فى حديثِه عن مؤمَّلٍ ، قال : ليس فى الدنيا مما فى الجنةِ إلَّا الأسماءُ (٣) .

حدَّثنا عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى ظَبْيانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ليس [٢/١٨ظ] فى الدنيا من الجنةِ شىءٌ إلا الأسماءُ .

وحدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال: قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه :﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ . قال : يعرِفون أسماءَه كما كانوا فى الدنيا ، التُّفَّاحُ بالتُّفَّاحِ ، والرُّمَّانُ بالرُّمَّانِ ، قالوا فى الجنةِ : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ فى الدنيا ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ يعرِفونه ، وليس هو مثلَه فى الطعمِ (٤) .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩١/١ عن عكرمة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ر ، ت ١، ت ٢.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦/١ (٢٦٠) ، والبيهقى فى البعث والنشور (٣٦٨) من طرق عن الأعمش به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى هناد ومسدد وابن المنذر . وينظر الصحيحة (٢١٨٨) .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩١/١ عن ابن زيد .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلَى هذه التأويلاتِ بتأويلِ الآيةِ تأويلُ مَن قال : وأتوا به متشابهًا فى اللونِ والمنظرِ ، والطعمُ مختلِفٌ . يعنى بذلك اشتباهَ ثمرِ الجنةِ وثمرِ الدنيا فى المنظرِ واللونِ ، مختلفًا فى الطعمِ والذوقِ ، لِمَا قَدَّمنا من العلَّةِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . وأن معناه : كلما رُزقوا مِن الجنانِ مِن ثمرةٍ مِن ثمارِها رِزقًا قالوا : هذا الذى رُزِقنا مِن قبلِ هذا فى الدنيا . فأَخْبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم قالوا ذلك مِن أجلِ أنهم أُتُوا بما أُتُوا به مِن ذلك فى الجنةِ مُتشابهًا ، يعنى بذلك تشابُه ما أُتُوا به منه فى الجنةِ والذى كانوا رُزِقوه فى الدنيا ، فى اللونِ والمَرْآةِ والمنظرِ ، وإن اختلفا فى الطعمِ والذوقِ فتباينا ، فلم يكنْ لشىءٍ مما فى الجنةِ من ذلك فى الدنيا نظيرٌ .

وقد دلَّلنا على فسادِ قولِ مَن زعَم أن معنى قولِه : ﴿ قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . إنما هو من قولِ أهلِ الجنةِ فى تشبيهِهم بعضَ ثمرِ الجنةِ ببعضٍ ، وتلك الدَّلالةُ على فسادِ ذلك القولِ هى الدَّلالةُ على فسادِ قولِ مَن خالَف قولَنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . لأَن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أَخْبَر عن المعنى الذى مِن أجلِه قال القومُ : ﴿ هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . بقولِه : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ .

ويُسألُ مَن أَنْكَر ذلك فزعَم أنه غيرُ جائزٍ أن يكونَ شىءٌ مما فى الجنةِ نظيرًا لشىءٍ مما فى الدنيا بوجهٍ مِن الوجوهِ ، فيقالُ له : أيجوزُ أن تكونَ أسماءُ ما فى الجنةِ من ثمارِها وأطعمتِها وأشربتِها نظائرَ أسماءِ ما فى الدنيا/ منها ؟ ١٧٥/١

فإن أَنْكَر ذلك خالَف نصَّ كتابِ اللَّهِ ؛ لأن اللَّهَ إنما عرَّف عبادَه فى الدنيا ما هو عتيدٌ[١] فى[٢] الجنةِ بالأسماءِ التى يُسمَّى بها ما فى الدنيا مِن ذلك .

---

(١) فى ص ، م : « عنده » . والعتيد : الحاضر المهيأ . التاج (ع ت د) .

(٢) فى ر : « فيها » .

وإن قال : ذلك جائزٌ ، بل هو كذلك .

قيل : فما أَنْكَرْتَ أن يكونَ ألوانُ ما فيها من ذلك نظيرَ ألوانِ ما فى الدنيا منه ، بمعنى البياضِ والحمرةِ والصُّفرةِ وسائرِ صنوفِ الألوانِ ، وإن تبايَنت فتفاضَلت بفضلِ [١٩/٢و] حسنِ المرْآةِ والمنظرِ ، فكان لما فى الجنةِ من ذلك مِن البهاءِ والجمالِ وحسنِ المرْآةِ والمنظرِ ، خلافُ الذى لما فى الدنيا منه ، كما كان جائزًا ذلك فى الأسماءِ مع اختلافِ المسمَّياتِ بالفضلِ فى أجسامِها ؟ ثم يُعكَسُ عليه القولُ فى ذلك ، فلن يقولَ فى أحدِهما شيئًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه .

وكان أبو موسى الأشعريُّ يقولُ فى ذلك بما حدَّثنا به محمد بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عدىٍّ وعبدُ الوهَّابِ ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، عن عوفٍ ، عن قَسَامةَ ، عن الأشعرىِّ ، قال : إن اللَّهَ لما أَخْرَج آدمَ من الجنةِ زوَّده من ثمارِ الجنةِ ، وعلَّمه صنعةَ كلِّ شىءٍ ، فثمارُكم هذه من ثمارِ الجنةِ ، غيرَ أن هذه تَغَيَّرُ ، وتلك لا تتغيَّرُ[(١)] .

[(٢)] وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أنَّ معنى قولِه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . أنه متشابهٌ فى الفضلِ ، أى كلُّ واحدٍ منه له مِن الفضلِ فى نحوِه مثلُ الذى للآخرِ فى نحوِه .

وليس هذا قولًا نستجيزُ التشاغلَ بالدَّلالةِ على فسادِه ؛ لخروجِه عن قولِ جميعِ علماءِ أهلِ التأويلِ . وحسبُ قولٍ بخروجِه عن قولِ جميعِ أهلِ العلمِ دَلالةٌ على خَطَئِه[(٢)] .

---

(١) أخرجه البزار (٢٣٤٥ - كشف) من طريق ابن أبى عدى به .

وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٤٣، والحاكم ٢/ ٥٤٣، والبيهقى فى البعث والنشور (١٩٨) من طريق معمر وهوذة بن خليفة ، عن عوف به .

وأخرجه عبد الله بن أحمد - كما فى حادى الأرواح ص١٣٤ - والبزار (٢٣٤٤ - كشف) من طريق ربعى بن علية ، عن عوف به مرفوعًا . وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٩٧/٨ إلى الطبرانى ، وقال : رجاله ثقات .

(٢ - ٢) سقط من : ر ، م ، وتقدم مكانه فيهما فى ص ٤١٢.

القولُ في تأويلِ قولِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والهاءُ والميمُ اللتان فى ﴿ لَهُمْ ﴾ عائدتان على ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . والهاءُ والألفُ اللتان فى ﴿ فِيهَآ ﴾ عائدتان على الجنَّاتِ . وتأويلُ ذلك : وبشِّرِ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ أن لهم جناتٍ فيها أزواجٌ مطهرةٌ .

والأزواجُ جمعُ زوجٍ ، وهى امرأةُ الرجلِ . يقالُ : فلانةُ زوجُ فلانٍ وزوجتُه .

وأما قولُه : ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . فإن تأويلَه أنهن[(١)] طُهِّرن مِن كلِّ أذًى وقَذًى وريبةٍ ، مما يكونُ فى نساءِ أهلِ الدنيا مِن الحيضِ والنُّفاسِ والغائطِ والبولِ والمُخاطِ والبُصاقِ والمَنىِّ ، وما أَشْبَهَ ذلك مِن الأذى والأدْناسِ والرِّيَبِ والمكارهِ .

كما حدَّثنا به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهمدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ [٢/ ١٩ظ] النبىِّ ﷺ : أما ﴿ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ فإنهن لا يَحِضْنَ ولا يُحدِثْنَ ولا يتنخَّمْنَ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . يقولُ : مُطهّرةٌ مِن القَذَرِ والأذى[(٣)] .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١، ٩٨٤/٣ (٢٦٤، ٥٥٠٧) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى ابن المنذر .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا يحيى[(١)] القطَّانُ[(٢)] ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : لا يبُلْنَ ولا يتغوَّطْنَ ولا يَمذِينَ[(٣)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه ، إلا أنه زاد فيه : ولا يُمْنينَ ولا يَحِضْن .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : مُطهَّرةٌ مِن الحيضِ والغائطِ والبولِ والنُّخامِ والبصاقِ والمَنىِّ والوَلدِ[(٤)] .

١٧٦/١ /**حدَّثنا** المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٥)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبَرنا الثورىُّ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ[(٦)] نحوَ حديثِ أحمدَ بنِ إسحاقَ عن الزبيرىِّ ، غيرَ أنه زاد فيه : ولا يَلِدْنَ ولا يَنزُفْنَ[(٦)] .

---

(١) بعده فى ت ١: « بن » .

(٢) فى ص : « العطار » .

(٣) تفسير الثورى ص ٤٣.

(٤) تفسير مجاهد ص١٩٨. ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٦٧، ٣/٩٨٤، (٢٦٥، ٥٥٠٨)، والبيهقى فى البعث والنشور (٣٩٩). وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٩ إلى وكيع وهناد فى الزهد وعبد بن حميد.

(٥) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٤٣ - زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٩٢) .

(٦ - ٦) سقط من ت ١، وفى ص ، م : « قال : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمنين ولا يبزقن » ، ومثله فى ت ٢، إلا أن فيها : « ولا ينزفن » بدلا من : « ولا يبزقن » . =

حدثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابن أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَ حديثِ محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبي عاصمٍ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ : إي واللَّهِ ، مِن الإثمِ والأذى[(١)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال أخْبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ في قولِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾. قال : طَهَّرهن اللَّهُ من كلِّ بولٍ وغائطٍ وقَذَرٍ ، ومن كلِّ مأثمٍ[(٢)] .

حُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، قال : مُطهَّرةٌ من الحيضِ والحَبَلِ والأذى[(٣)] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المطهَّرةُ من الحيضِ والحَبَلِ .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدٍ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : المطهَّرةُ التي لا تَحيضُ . قال : وأزواجُ الدنيا ليست بمطهَّرةٍ ؛ [٢/ ٢٠و] ألا تراهنَّ يَدمَين ويتركن الصلاةَ والصيامَ ؟ قال ابنُ زيدٍ : وكذلك خُلِقَتْ حوَّاءُ حتى عَصتْ ، فلما عصتْ قال اللهُ : إنِّي خلقتكِ مطهَّرةً ، وسأُدْمِيك كما دمَّيْتِ هذه الشجرةَ[(٤)] .

= والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/١ إلى عبد الرزاق . وينظر تفسير الثوري ص ٤٣.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧/١، ٩٨٤/٣ (٢٦٦، ٥٥٠٩) من طريق سعيد وأبان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧/١ (٢٦٧) من طريق خليد ، عن قتادة ، بنحوه .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩٢/١ ، وابن رجب في فتح الباري ١٢/٢ عن المصنف ، وقال ابن كثير : وهذا غريب . وسيأتي بسياق أطول من هذا في ص ٥٦٥.

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، عن[1] الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ يقولُ : مُطهَّرةٌ مِن الحيضِ[2] .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ الرازىُّ ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : مِن الحيضِ .

وحدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : من الولدِ والحيضِ والغائطِ والبولِ . وذكَر أشياءَ مِن هذا النحوِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : والذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ فى الجناتِ خالدون . فالهاءُ والميمُ مِن قولِه : ﴿ وَهُمْ ﴾ عائدةٌ على ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . والهاءُ والألفُ فى ﴿ فِيهَا ﴾ على الجناتِ . وخلودُهم فيها دوامُ بقائهم فيها على ما أعطاهم اللَّهُ فيها مِن الحَبْرَةِ[4] والنعيمِ المقيمِ .

١٧٧/١ **/ القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .**

---

(١) فى الأصل : « وعن » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٦٧ عقب الأثر (٢٦٧) معلقا .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٦٧ عقب الأثر (٢٦٧) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٩ إلى وكيع وهناد . وينظر البداية والنهاية ٢٠/ ٣٣٥.

(٤) فى ر ، ت ١: « الخيره » . والحبرة : النعمة وسعة العيش . النهاية ١/ ٣٢٧.

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنى الذى أنزَل اللَّهُ جلَّ ثناؤه فيه[(١)] هذه الآيةَ وفى تأويلِها ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذَكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن [٢/ ٢٠ظ] ابن عباسٍ ، **وعن** مرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : لـمّا ضرَب اللَّهُ هذين المَثلَيْن للمنافقِين - يعنى قولَه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وقولَه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ . الآيات الثلاث - قال المنافقون : اللَّهُ أعلى وأجلُّ من أن يضرِبَ هذه الأمثالَ . فأنزَل اللَّهُ جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ إلى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[(٢)] .

وقال آخرون بما **حدَّثنى** به أحمدُ بنُ إبراهيمَ[(٣)] ، قال : حدَّثنا قُرادٌ ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ قال : هذا مثلٌ ضرَبه اللهُ للدنيا ؛ أن البعوضةَ تحيا ما جاعتْ ، فإذا سمِنتْ ماتتْ ، وكذلك مثلُ هؤلاء القومِ الذين ضرَبَ اللهُ لهم هذا المثلَ فى القرآنِ ، إذا امتلئوا من الدنيا رِيًّا ، أخذهم اللهُ عند ذلك . قال : ثم تلا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية[(٤)] [الأنعام : ٤٤] .

---

(١) فى الأصل : « فى » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة . وهو عند ابن أبى حاتم ٦٨/١ (٢٧٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) بعده فى ر : « الدورقى » .

(٤) قال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٣: هكذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، بنحوه ، فالله أعلم .

وهو عند ابن أبى حاتم ٦٨/١ (٢٧٠) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٣ إلى أبى الشيخ .

حدثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ بنحوِه ، إلّا أنه قال : فإذا خلت آجالُهم ، وانْقَطَعت مُدَّتُهم ، صاروا كالبعوضةِ تحيا ما جاعت وتموتُ إذا رَوِيت ، فكذلك هؤلاءِ الذين ضرَب اللهُ لهم هذا المثلَ ، إذا امتلئوا مِن الدنيا رِيًّا أخذَهم اللَّهُ فأهلكهم ، فذلك قولُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

وقال آخرون بما حدَّثنا به بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أى : إن اللَّهَ لا يستحيى من الحقِّ أن يَذْكُرَ منه شيئًا ما ، قلَّ منه أو كثُرَ ، إن اللَّهَ جل ذكره لما ذكَر فى كتابِه الذبابَ والعنكبوتَ ، قال أهلُ الضلالةِ : ما أراد اللَّهُ من ذِكْرِ هذا ؟ فأنزَل اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[١] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن
١٧٨/١ قتادةَ ، قال : لمّا ذكَر/ اللّهُ العنكبوتَ والذبابَ ، قال المشركون : ما بالُ العنكبوتِ والذبابِ يُذْكَران ؟ فأنزَل اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وقد ذهَب [٢/ ٢١و] كلُّ قائلٍ ممن ذكَرْنا قولَه فى هذه الآيةِ وفى المعنى الذى أُنزلت فيه مذهبًا ، غيرَ أن أوْلى ذلك بالصوابِ وأشبهَه بالحقِّ ما ذكَرْنا مِن قولِ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ ، وذلك أن اللَّهَ أخبرَ عبادَه أنه لا يستحيى أن يَضْرِبَ مثلًا

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٢ عن سعيد به .

(٢) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١/ ١٤ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير ١/ ٦٩ (٢٧٣) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٢: والعبارة الأولى - يعنى رواية معمر عن قتادة - فيها إشعار أن هذه الآية مكية ، وليس كذلك ، وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب ، والله أعلم .

ما بعوضةً فما فوقها ، عقيبَ أمثالٍ قد تَقَدَّمَت فى هذه السورةِ ضرَبها للمنافقِين دونَ الأمثالِ التى ضرَبها فى سائرِ السورِ غيرِها - فلأنْ[(١)] يكونَ هذا القولُ ، أعنى قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ . جوابًا لنكيرِ الكفارِ والمنافقين ما ضرَب اللَّهُ لهم مِن الأمثالِ فى هذه السورةِ ، أحقُّ وأولى من أن يكونَ ذلك جوابًا لنكيرِهم ما ضرَب اللَّهُ لهم من الأمثالِ فى غيرِها من السورِ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أنه إنما وجَب أن يكونَ ذلك جوابًا لنكيرِهم ما ضرب من الأمثالِ فى سائرِ السُّورِ ؛ لأن الأمثالَ التى ضرَبها اللَّهُ لهم ولآلهتِم فى سائرِ السورِ أمثالٌ فى مُوافقةِ المعنى لما أَخبَر اللَّهُ عنه أنه لا يستحيى أن يضربَه مثلًا ؛ إذ كان بعضُها تمثيلًا لآلهتِهم بالعنكبوتِ ، وبعضُها تشبيهًا لها فى الضعفِ والمهانةِ بالذبابِ ، وليس ذكرُ شىءٍ من ذلك بموجودٍ فى هذه السورةِ فيجوزَ أن يقالَ : إن اللَّهَ لا يستحيى أن [(٢)]يضربَه مثلًا[(٢)] . فإن ذلك بخلافِ ما ظنَّ ، وذلك أن قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ إنما هو خبرٌ منه جلَّ ذِكْرُه أنه لا يستحيى أن يضربَ فى الحقِّ من الأمثالِ صغيرِها وكبيرِها ابتلاءً بذلك عبادَه ، واختبارًا[(٣)] منه لهم ، ليَميزَ به أهلَ الإيمانِ والتصديقِ به من أهلِ الضلالةِ والكفرِ به ، إضلالًا منه به لقومٍ وهدايةً منه به لآخرين .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ : يعنى الأمثالَ صغيرَها وكبيرَها ، يؤمنُ بها المؤمنون ، ويعلَمون أنها الحقُّ مِن ربِّهم ، ويهديهم اللَّهُ بها ،

---

(١) فى ص : « فلا » .

(٢ - ٢) فى م : « يضرب مثلا ما » .

(٣) فى ص : « إخبارا » ، وفى ر : « اختيارا » .

ويَضِلُّ بها الفاسقون . يقولُ : يعرِفُه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرِفُه الفاسقون فيكفرون به[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابن أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بمثلِه .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، [٢١/٢ظ] قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

لا أنه جلَّ ذِكْرُه قصَد الخبرَ[(٢)] عن عينِ البعوضةِ أنه لا يستحيي مِن ضربِ المثلِ بها ، ولكنَّ البعوضةَ[(٣)] لما كانت أضعفَ الخلقِ - كما **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا أبو سفيانَ ، عن مَعمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : البعوضَةُ أضعفُ ما خلَق اللَّهُ[(٤)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ نحوَه - خصَّها اللَّهُ بالذكرِ في القلةِ ، فأخبَر أنه لا يستحيي أن يَضْرِبَ أقلَّ الأمثالِ في الحقِّ وأحقرَها وأعلاها إلى غيرِ نهايةٍ في الارتفاعِ ، جوابًا منه جلَّ ذِكْرُه لمن أنكَر من منافقِي خلقِه ما ضرَب لهم من المثلِ بمُوقِدِ النارِ ، والصَّيِّبِ من السماءِ على ما نَعَتهما به من نَعْتِهما .

فإن قال لنا قائلٌ : وأين ذِكْرُ نكيرِ المنافقِين الأمثالَ التي وصفْتَ الذي هذا الخبرُ

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨/١ (٢٧٢) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد نحوه .

(٢) في الأصل : « بالخبر » .

(٣) في الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢: « البعوض » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/١ إلى المصنف .

جوابُه ، فنعلمَ أنَّ/ القولَ فى ذلك ما قلتَ ؟ ١٧٩/١

قيل : الدَّلالةُ على ذلك بيِّنةٌ فى قولِه جل ذكرُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴾ . وإن القومَ الذين ضرَب لهم الأمثالَ فى الآيتيْن المتقدِّمتيْن - اللتين مثَّلَ ما عليه المنافقون مقيمون فيهما[(١)] بمُوقِدِ النارِ وبالصَّيِّبِ من السماءِ على ما وصَف من ذلك قبلَ قولِه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾ - قد أنكَروا المثلَ ، وقالوا : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴾ . فأوضَح خطأَ قِيلِهم ذلك ، وقبَّح لهم ما نطَقوا به وأخبرَهم بحكمِهم فى قِيلِهم ما قالوا منه ، وأنه ضلالٌ وفسوقٌ ، وأن الصوابَ والهدَى ما قاله المؤمنون دونَ ما قالوه .

وأما تأويلُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾ . فإن بعضَ المنسوبين إلى المعرفةِ بلغةِ العربِ كان يتأولُ معنى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾ : إن اللَّهَ لا يخشَى أن يضربَ مثلًا . ويَستشهدُ على ذلك من قولِه بقولِ اللَّهِ جل وعز : ﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . ويزْعُمُ أن معنى ذلك : وتستحيى الناسَ واللَّهُ أحقُّ أن تستحييَه . فيقولُ : الاستحياءُ بمعنى الخشيةِ ، والخشيةُ بمعنى الاستحياءِ .

وأما معنى قولِه : ﴿ أَن يَضۡرِبَ ﴾ . فهو : أن يُبيِّنَ ويصفَ . كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ ﴾ [الروم : ٢٨] . بمعنى : وصَف لكم . وكما قال الكميتُ[(٢)] :

---

(١) قوله : « فيهما » متعلق بقوله : « مثل » يعني الآيتين اللتين مثل فيهما - ما عليه المنافقون مقيمون - بموقد النار .

(٢) شعر الكميت بن زيد (مجموع) ٢/ ١٢٢ .

وذلك ضربُ أخماسٍ أُرِيدتْ لأسداسٍ عسى ألا تكونا[(١)]

بمعنى وصفِ أخماسٍ . والمثَلُ الشَّبهُ ، يقالُ : هذا مِثْلُ الشيءِ ومَثَلُه ، كما يقال : شِبْهُه وشَبَهُه . [٢٢/٢و] ومنه قولُ كعبِ بنِ زهيرٍ[(٢)] :

كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ[(٣)]

يعنى شَبَهًا .

فمعنى قولِه إذن : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ : إن اللَّهَ لا يخشَى أن يصِفَ شبهًا لما شَبَّه به[(٤)] .

وأما ﴿ مَّا ﴾ التى مع « مَثل » فإنها بمعنى الذى ؛ لأن معنى الكلامِ : إن اللَّهَ لا يستحيِى أن يضربَ الذى هو بعوضةٌ فى الصِّغرِ والقِلةِ فما فوقَها مَثَلًا .

فإن قال قائلٌ: فإن كان القولُ فى ذلك ما قلتَ ، فما وجهُ نصبِ « البعوضة » ، وقد علمتَ أن تأويلَ الكلامِ على ما تأوّلتَ : أن اللَّهَ لا يستحيِى أن يضربَ مثَلًا الذى هو بعوضةٌ ؛ فالبعوضةُ على قولِك فى محلِّ الرفعِ ، فأنَّى أتاها النصبُ ؟

قيل : أتاها النصبُ من وجهين ، **أحدُهما** : مِن أن ﴿ مَّا ﴾ لما كانت فى محلِّ نصبٍ بقولِه : ﴿ يَضْرِبَ ﴾ وكانتِ البعوضةُ لها صلةً ، عُرِّبت[(٥)] بتعريبِها فأُلزِمتْ

---

(١) البيت فى أصله مثل يضرب لمن يرواغ ويظهر أمرا وهو يريد غيره . ينظر جمهرة الأمثال ٢/ ٥ .

(٢) ديوانه ص ٨ .

(٣) أصل البيت مثل يضرب فى إخلاف الوعد . وعرقوب هو عرقوب بن معبد بن أسيد بن زيد مناة ، وقيل : هو رجل من الأمم الماضية . الفاخر ١٣٣، ١٣٤.

(٤) هذا تتمة تفسير الكلمة على مذهب من قال : إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبرى . وأما تفسير الطبرى فيأتى فى آخر تفسير الآية .

(٥) فى م : « أعربت » . قال الشيخ شاكر : وقوله : عربت . أى أجريت مجراها فى الإعراب ، وهذا هو معنى التعريب فى اصطلاح قدماء النحاة .

إعْرابَها ، كما قال حسانُ بنُ ثابتٍ[(١)] :

[(٢)]وكفَى[٢)] بنا فضلًا على مَن غيرِنا   حبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا

فعُرِّب « غير »[(٣)] بإعراب « مَن » ، والعربُ تفعلُ ذلك خاصةً فى « مَن » و« ما » ؛ تُعَرِّبُ صِلاتِهما[(٤)] بإعرابِهِمَا ؛ لأنهما يكونان معرِفةً أحيانا ونكرةً أحيانًا .

وأما الوجهُ الآخرُ: فأن يكونَ معنى الكلامِ : إن اللّهَ لا يستحيى أن يضربَ مثلًا ما بينَ بعوضةٍ إلى/ ما فوقَها . ثم حذَف ذِكْرَ « بينَ » ١٨٠/١
و « إلى » ؛ إذْ كان فى نصبِ « البعوضة » ودخولِ الفاءِ فى ﴿ مَّا ﴾ الثانيةِ دَلالةٌ عليهما ، كما قالتِ العربُ : مُطِرْنا ما زُبالةَ فالثَّعْلَبِيَّةَ[(٥)] . و:له عشرون ما[(٦)] ناقةً فجَمَلًا . و : هى أحسنُ الناسِ ما قرنًا فقدمًا . يعنون بذلك : [(٧)]ما بيْنَ[٧)]

---

(١) ليس فى ديوان حسان ، وقد أورده المصنف فى تفسير الآية ١٥٩ من سورة آل عمران غير منسوب، ونسبه فى الكتاب ٢/ ١٠٥ إلى الأنصارى بدون تحديد ، ونسبه فى خزانة الأدب إلى كعب بن مالك وقال : ونسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا ، ولم يوجد فى شعره . قال اللخمى فى شرح شواهد الجمل : وقيل : هو لعبد الله بن رواحة الأنصارى . وقيل : لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك . الخزانة ٦/ ١٢٢.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ر : « لكفى » ، وفى ص : « أكفا » .

(٣) فى الأصل : « غيرنا » .

(٤) فى الأصل : « صلاتها » .

(٥) المعنى إذا قلت : مُطِرنا بين زبالة فالثعلبية . أنك أردت أن المطر انتظم الأماكن التى ما بين القريتين ، وإذا قلت : مطِرنا ما بين زبالة فالثعلبية . فإنك تريد أن المطر وقع بينهما ، ولم ترد أنه اتصل فى هذه الأماكن كلها . والعرب إذا ألقت « بين » من كلام تصلح « إلى » فى آخره ، نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما بـ« بين » والآخر بـ « إلى » ، فيقولون : مطرنا ما زبالة فالثعلبية . ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢٢، وخزانة الأدب ١١/ ١٠، ١١، ١٣، ١٦، ٢٠.

وزبالة بضم أوله ؛ منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . والثعلبية ماء لبنى أسد ، وهى من أعمال المدينة منسوبة إلى ثعلبة بن مالك . معجم ما استعجم ١/ ٣٤١، ومعجم البلدان ٢/ ٩١٢.

(٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) فى ص : « من » .

قَرْنِها إلى قَدمِها . وكذلك يقولون فى كلِّ ما حسُن فيه من الكلامِ دخولُ « ما » بين كذا إلى كذا . ينصِبون الأولَ والثانىَ ، ليدلَّ النصبُ (١)فى الأسماءِ(١) على المحذوفِ من الكلامِ . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ .

وقد زعمَ بعضُ أهلِ العربيةِ أن ﴿ مَّا ﴾ التى مع « المثَل » صِلةٌ فى الكلامِ بمعنى التَّطوُّلِ(٢) ، وأن معنى الكلامِ : إن اللَّهَ لا يستحيِى(٣) أن يضربَ بعوضةً مثلًا فما فوقَها . فعلى هذا التأويلِ يجبُ أن تكونَ « البعوضة » منصوبةً بـ ﴿ يَضْرِبَ ﴾ ، وأن تكونَ ﴿ مَّا ﴾ الثانية التى فى ﴿ فَمَا فَوْقَهَاۚ ﴾ معطوفةً على البعوضةِ لا على ﴿ مَّا ﴾ .

وأما [٢٢/٢ظ] تأويلُ قولِه : ﴿ فَمَا فَوْقَهَاۚ ﴾ . (٤)فهو : ما(٤) هو أعظمُ منها عندِى ؛ لما ذكَرْنا قبلُ من قولِ قتادةَ وابنِ جُريجٍ أن البعوضةَ أضعفُ خلقِ اللَّهِ ، فإن كانت أضعفَ خلقِ اللَّهِ فهى نهايةٌ فى القلةِ والضعفِ ، وإذا كانت كذلك فلا شكَّ أن ما فوقَ أضعفِ الأشياءِ لا يكونُ إلا أقوَى منه . فقد يجبُ أن يكونَ المعنى على ما قالاه : فما فوقَها فى العِظَمِ والكِبَرِ ، إذ(٥) كانتِ البعوضةُ نهايةً فى الضعفِ والقلةِ .

وقيل فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَا فَوْقَهَاۚ ﴾ : فى الصِّغَرِ والقلةِ . كما يُقالُ فى الرجلِ يذكرُه الذاكرُ فيصِفُه باللؤمِ والشحِّ ، فيقولُ السامعُ : نعم ، وفوقَ ذلك . يعنى

(١ - ١) فى م : « فيهما » .

(٢) فى الأصل ، ر : « البطول » ، وفى ص : « التطويل » . والتطول بمعنى الزيادة فى الكلام .

(٣) بعده فى ص : « من الحق » .

(٤ - ٤) فى م : « فما » ، وفى ت ١ : « فهو » .

(٥) فى الأصل ، ت ١ : « إذا » .

به فوقَ الذى وصفتَ فى الشحِّ واللؤمِ .

وهذا قولٌ خلافُ تأويلِ أهلِ العلمِ الذين تُرتضَى معرفتُهم بتأويلِ القرآنِ ، فقد تبيَّنَ إذن بما وصفْنا أن معنى الكلامِ : إن اللّهَ لا يستحيى أن يصِفَ شبهًا لما شَبَّه به الذى هو ما بينَ بعوضةٍ إلى ما فوقَ «البعوضةِ». فأما تأويلُ الكلامِ لو رُفعتِ « البعوضة » ، فغيرُ جائزٍ فى ﴿ مَّا ﴾ ، إلا ما قلنا من أن تكونَ[1] اسمًا لا صلةً ، بمعنى التطولِ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِ اللّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ذكرُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ : فأما الذين صدَّقوا اللّهَ ورسولَه .

وقولُه : ﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ ﴾ . يعنى : فيعرِفونَ أن المثَلَ الذى ضرَبه اللّهُ لما ضرَبه له مثلًا[3] مَثلٌ .

كما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ ﴾ أى : هذا المثَلُ الحقُّ من ربِّهم ، وأنه كلامُ اللّهِ ومِنْ عندِ اللّهِ[4] .

وكما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حَدَّثنا سعيدٌ ،

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢: « يكون » .

(٢) فى الأصل ، ر : « البطول » .

(٣) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٦٩ عقب الأثر (٢٧٧) من طريق ابن أبى جعفر به . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ١/ ٦٩ (٢٧٥) ، والدر المنثور ١/ ٤٢.

عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ أى : يعلَمون أنه كلامُ الرحمنِ ، وأنه الحقُّ من اللَّهِ ، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾[(1)] .

وقولُه : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . يعنى : الذين جحَدوا آياتِ اللَّهِ ، وأنكَروا ما عرَفوا ، وستَروا ما عَلِموا أنه الحقُّ . وذلك صفةُ المنافقين ، وإيَّاهم عنَى اللَّهُ
١٨١/١ جلّ ثناؤُه ومَن كان من نُظرائِهم[(2)] / وشركائِهم من المشركين مِن[(3)] أهلِ الكتابِ وغيرِهم ، بهذه الآيةِ : ﴿ فَيَقُولُونَ [٢٣/٢و] مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

كما قد ذكَرْنا قبلُ[(4)] من الخبرِ الذى روَيْناه عن مجاهدٍ الذى حدَّثنا به محمدُ ابنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ الآية . قال : يؤمنُ بها المؤمنون ، ويعلَمون أنها الحقُّ من ربِّهم ، ويهديهم اللَّهُ بها ، ويَضِلُّ بها الفاسقون . يقولُ : يعرِفُه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرِفُه الفاسقون فيكفرون به .

وتأويلُ قولِه : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ : ما الذى أراد اللَّهُ بهذا المثَلِ مثلًا ؟ فـ « ذا » الذى مع « ما » فى معنى « الذى » ، وأرادَ صلته ، و« هذا » إشارةٌ إلى « المثل » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

ومعنى قولِه جل ذكرُه : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ : يُضلُّ اللَّهُ به كثيرًا من خلقِه . والهاءُ فى ﴿بِهِۦ﴾ من ذِكْرِ «المثَل» . وهذا خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤه مُبتدأٌ ، ومعنى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩/١ (٢٧٦) من طريق يزيد به دون آخره ، ثم أخرجه (٢٧٧) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، وفيه : وأنه من عند الله .

(٢) فى حاشية الأصل : « وقع فى غير الأم : نُصَرائهم » .

(٣) فى ر : « و » .

(٤) تقدم فى ص٤٢٥ ، ٤٢٦.

الكلامِ : (١) قال اللّهُ : يُضِلُّ اللهُ (١) بالمثلِ الذى يضْربُه كثيرًا من أهلِ النفاقِ والكفرِ .

كما حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ : يعنى المنافقين ، ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ : يعنى المؤمنين ، فيزيدُ هؤلاء ضلالًا إلى ضلالِهم لتكذيبِهم بما قد علِموه حقًّا يقينًا من المثَلِ الذى ضرَبه اللهُ لِما ضرَبه له ، وأنه لِما ضرَبه له موافقٌ ، فذلك إضلالُ اللّهِ إياهم به ، ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ ﴾ - يعنى بالمثلِ - كثيرًا من أهلِ الإيمانِ والتصديقِ ، فيزيدهم هدًى إلى هداهم ، وإيمانًا إلى إيمانِهم ، لتصديقِهم بما قد علِموه حقًّا يقينًا أنه موافقٌ ما ضرَبه اللّهُ له مثلًا ، وإقرارِهم به ، وذلك هدايةُ (٢) اللّهِ لهم به (٣) .

وقد زعَم بعضُهم أن ذلك خبرٌ عن قولِ (٤) المنافقين ، كأنهم قالوا : ما أرادَ اللّهُ بمَثَلٍ لا يعرفُه كلُّ أحدٍ ، يُضِلُّ به هذا ويهدِى به هذا ؟ ثم استؤنِف الكلامُ والخبرُ عن اللّهِ ، فقال اللّهُ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وفى ما فى سورةِ « المدثر » من قولِ اللّهِ : ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر: ٣١] - ما ينبئُ عن أنه فى سورةِ « البقرة » كذلك مبتدأٌ ، أعنى قولَه : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

(١ - ١) فى م : « أن الله يضل » .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م : « من » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠/١ (٢٨٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله ، مقتصرا على أوله .

(٤) سقط من : م .

[٢٣/٢ظ] **القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ وعز :** ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

وتأويلُ ذلك ما **حَدَّثني** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ في خبرٍ ذكرَه **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ : هم المنافقون[١] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ : فسَقوا فأضلَّهم اللهُ على فسقِهم[٢] .

١٨٢/١ /**حدَّثني** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ : هم أهلُ النفاقِ[٣] .

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ الفِسقِ في كلامِ العربِ الخروجُ عن الشيءِ ، يقالُ منه : فَسقَتِ الرُّطَبةُ ، إذا خرَجت من قشرِها ؛ ومن ذلك سُميتِ الفأرةُ فُوَيسِقةً ؛ لخروجِها عن[٤] جحرِها ، فكذلك المنافقُ والكافرُ ، سُمِّيا فاسقَيْن لخروجِهما عن طاعةِ ربِّهما ، ولذلك قال جلَّ ذكرُه في صفةِ إبليسَ : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] . يعني به : خرَج عن طاعتِه واتباعِ أمرِه .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠/١ (٢٨٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠/١ (٢٨٥) من طريق سعيد به . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠/١ عقب الأثر (٢٨٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في ر : « من » .

داودَ بنِ الحصينِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩] أى : بما (١) تعدَّوا من (١) أمرى (٢) .

فمعنى قولِه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ : وما يُضِلُّ اللّهُ بالمثَلِ الذى يضْرِبُه لأهلِ النفاقِ والضلالِ إلا الخارِجين عن طاعتِه والتارِكين اتباعَ أمرِه ، من أهلِ الكفرِ به من أهلِ الكتابِ ، وأهلِ الضلالِ من أهلِ النفاقِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا وصفٌ من اللّهِ جلَّ ذِكرُه الفاسقين الذين أخبَر أنه لا يُضِلُّ بالمثَلِ الذى ضرَبه لأهلِ النفاقِ غيرَهم ، فقال : ومَا يُضلُّ اللهُ بالمثلِ الذى يضرِبُه ، على ما وصَفَ قَبلُ فى الآياتِ المتقدمةِ - إلا الفاسقين الذين يَنْقُضون عهدَ اللّهِ من بعدِ ميثاقِه .

ثم اختلَف أهلُ المعرفةِ فى معنى العهدِ الذى وصَف اللّهُ هؤلاء الفاسقين [٢/٢٤و] بنقضِه ؛ **فقال بعضُهم** : هو وصيةُ اللّهِ إلى خلقِه ، وأمرُه إياهم بما أمرَهم به من طاعتِه ، ونهيُه إيّاهم عما نهاهُم عنه من معصيتِه فى كُتُبِه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ ، ونقضُهم ذلك تركُهم العملَ به .

وقال آخرون : إنما نزلَت هذه الآياتُ فى كفارِ أهلِ الكتابِ والمنافقين منهم ، وإياهم عنَى اللّهُ جلَّ ذِكْرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ . وبقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ . فكلُّ

(١ - ١) فى ص ، ر ، م ، ت ٢: « بعدوا عن » ، وفى ت ١، ت ٣: « بعدوا من » .

(٢) وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٠ (٥٩٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق من قوله .

ما فى هذه الآياتِ فعَذْلٌ لهم وتوبيخٌ إلى انقضاءِ قَصَصِهم . قالوا : فعهدُ اللّهِ الذى نقضُوه بعدَ ميثاقِه هو ما أخَذه اللّهُ عليهم فى التوراةِ ؛ من العملِ بما فيها ، واتباعِ محمدٍ ﷺ إذا بُعِث ، والتصديقِ به وبما جاءَ به من عندِ ربِّهم ، ونقْضُهم ذلك هو جُحودُهم به بعدَ معرفتِهم بحقيقتِه ، وإنكارِهم ذلك ، وكتمانِهم علمَ ذلك الناسَ ، بعد إعطائِهم اللّهَ مِن أنفسِهم الميثاقَ لَيُبَيِّنُنَّه للناسِ ولا يكتُمونه ، فأخبَر جل ذكرُه أنهم نبَذوه وراء ظهورِهم واشترَوا به ثمنًا قليلًا .

وقال بعضُهم : إن اللّهَ عنَى بهذه الآيةِ جميعَ أهلِ الشركِ والكفرِ والنفاقِ ،
١٨٣/١ وعهدُه إلى جميعِهم فى توحيدِه /ما وضَع لهم من الأدلةِ[(١)] الدالةِ على رُبوبيَّتِه ، وعهدُه إليهم فى أمرِه ونهيِه ما احتج به لرسُلِه من المعجزاتِ التى لا يقدِرُ أحدٌ من الناسِ غيرُهم أن يأتىَ بمثلِها ، الشاهدةِ لهم على صدقِهم . قالوا : ونقضُهم ذلك تركُهم الإقرارَ بما قد تبيَّنتْ لهم صحتُه بالأدلةِ[(١)] ، وتكذيبُهم الرسلَ والكتُبَ ، مع علمِهم أن ما أتَوا به حقٌّ .

وقال آخرون : العهدُ الذى ذكَره اللّهُ هو العهدُ الذى أخَذه عليهم حينَ أخرَجهم من صُلْبِ آدمَ ، الذى وصَفه فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[(٢)] الآيتين [الأعراف : ١٧٢، ١٧٣] . ونقضُهم ذلك تركُهم الوفاءَ به .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلى الأقوالِ عندى بالصوابِ فى ذلك قولُ من قال : إنَّ هذه

---

(١) فى الأصل : « الدلالة » .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ذرياتهم » . والمثبت من : م ، وهى قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى ، وقراءة الجمع قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن عامر . ينظر السبعة ص ٢٩٨.
ولم يشر المصنف فى سورة الأعراف إلى هاتين القراءتين ، فأثبتناه بالإفراد كرسم مصاحفنا .

الآياتِ نزلتْ فى كفارِ أحبارِ اليهودِ الذين كانوا بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، وما قرُب منها من بقايا بنى إسرائيلَ ، ومن كان على شركِه من أهلِ النفاقِ الذين قد بيّنا قَصَصَهم فيما مضَى من كتابِنا [٢٤/٢ظ] هذا .

وقد دلّلْنا على أن قولَ اللّهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . وقولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . فيهم أُنْزِلت ، وفى مَن كان على مِثْلِ الذى هم عليه من الشركِ باللّهِ ، غيرَ أن هذه الآياتِ عندى وإن كانت فيهم نزلَتْ ، فإنه مَعْنِىٌّ بها كلُّ مَن كان على مثلِ ما كانوا عليه من الضلالِة ، ومعنىٌّ بما وافقَ منها صفةَ المنافقين خاصةً جميعُ المنافقين ، وبما[١] وافقَ منها صفةَ كفارِ أحبارِ اليهودِ جميعُ[٢] مَن كان لهم نَظيرًا فى كفرِهم ، وذلك أن اللّهَ جلَّ ذكرُه يَعُمُّ أحيانًا جميعَهم بالصفةِ لتقديمِه ذِكْرَ جميعِهم[٣] فى أولِ الآياتِ التى ذكَرتْ قَصَصَهم[٤] ، ويَخُصُّ بالصفة أحيانًا بعضَهم لِتفصيلِه فى أولِ الآياتِ بينَ فَرِيقَيْهِم[٥] ، أعنى فريقَ المنافِقين من عبدةِ الأوثانِ وأهلِ الشركِ باللّهِ ، وفريقَ كفارِ أحبارِ اليهودِ . فالذين ينقضون عهدَ اللّهِ هم التاركونَ ما عهِد اللّهُ إليهم من الإقرارِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به وتَبْيِينِ نُبوَّتِه للناسِ ، والكاتمون بيانَ ذلك بعدَ علْمِهم به وبما قد أخَذ اللّهُ عليهم فى ذلك ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ[٦] لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ[٧] فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] . ونبذُهم ذلك

---

(١) فى ص : « ما » .

(٢) فى ص : « وجميع » .

(٣) فى م : « جميعها » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) فى م : « فريقهم » .

(٦) فى ص : « ليبيننه » . قراءة وستأتى فى موضعها من التفسير .

(٧) فى ص : « يكتمونه » . وهى قراءة ستأتى .

وراءَ ظهورِهم هو نقضُهم العَهدَ الذى عُهِد إليهم فى التوراةِ ، الذى وصفْناه ، وتركُهم العملَ به .

وإنما قلتُ : إنه عنَى بهذه الآيةِ[1] مَن قلتُ إنه عنَى بها ؛ لأن الآياتِ من مبتدأ الآياتِ الخمسِ والستِّ من سورةِ « البقرةِ » فيهم نزلتْ إلى تمامِ قَصَصِهم ، وفى الآيةِ التى بعدَ الخبرِ عن خلقِ آدمَ ، وبيانِه[2] فى قولِه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] . وخطابه جلَّ ذِكرُه إياهم بالوفاءِ بذلك خاصةً دونَ سائرِ البشرِ ، ما يدلُّ على أن قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ . مقصودٌ[3] به كفارُهم ومنافقُوهم ، ومَن كان من أشياعِهم مِن مُشرِكى عَبَدةِ الأوثانِ على ضلالتِهم ، غيرَ أن الخطابَ وإن كان لمن وصفتُ من الفريقيْن ، فداخلٌ فى أحكامِهم وفى ما أوجَب اللّهُ لهم من الوعيدِ والذمِّ والتوبيخِ ، كلُّ من كان على سبيلِهم ومنهاجِهم من جميعِ الخلقِ وأصنافِ الأُممِ المخاطَبين بالأمرِ والنهيِ .

فمعنى الآيةِ إذن : وما يُضِلُّ به إلا التاركِين طاعةَ اللّهِ ، الخارجِين عن
١٨٤/١ اتباعِ / أمرِه ونهيِه ، الناكثِين عهودَ اللّهِ التى عهِدها إليهم فى الكُتبِ التى أنزَلها إلى رسلِه وعلى ألْسُنِ أنبيائِه ، باتباعِ أمرِ رسولِه [٢٥/٢و] محمدٍ ﷺ وما جاء به ، وطاعةِ اللّهِ فيما افترَض عليهم فى التوراةِ من تبيِينِ أمرِه للناسِ ، وإخبارِهم إياهم أنَّهم يجِدونه مكتوبًا عندَهم أنه رسولٌ من عندِ اللّهِ مُفترضَةٌ طاعتُه ، وتركِ كتمانِ ذلك لهم . ونَكثُهم ذلك ونقضُهم إياه هو مخالفتُهم اللّهَ فى عهدِه إليهم فيما وصفتُ أنه عهِد إليهم ، بعدَ إعطائِهم ربَّهم الميثاقَ بالوفاءِ بذلك ، كما وصَفهم به ربُّنا جل ذِكْرُه

---

(١) فى ر ، م ، ت ٣: « الآيات » .

(٢) فى م : « أبنائه » . وفى ر : « نبئه » . وقوله : وبيانه . معطوف على قوله : وفى الآية التى بعد الخبر .

(٣) فى ص : « مقصور » .

بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

وأما قوله : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ . فإنه يَعنى : من بعدِ توثُّقِ اللّهِ منه [١] بأخذِ [٢] عهودِه بالوفاءِ له بما عهِد إليه فى ذلك ، غيرَ أن التوثُّقَ مصدرٌ من قولِك : توثَّقتُ من فلانٍ توثُّقًا . والميثاقُ اسمٌ منه ، والهاءُ فى «الميثاق» عائدةٌ على اسمِ «اللّه» جلَّ ذِكْرُه .

وقد يدخُلُ فى حكمِ هذه الآيةِ كلُّ من كان بالصفةِ التى وصَف اللّهُ بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفارِ فى نقضِ العهدِ ، وقطْعِ الرحمِ ، والإفسادِ فى الأرضِ .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ : فإياكم ونقضَ هذا الميثاقِ ، [٣] فإن اللّهَ قد كرِه نقْضَه وأوْعَد فيه ، وقدَّم فيه فى آيٍ مِن [٤] القرآنِ [٣] ، حجةً وموعظةً ونصيحةً ، وإنا لا نعلمُ اللّهَ أوعَد فى ذنبٍ ما أَوْعَد فى نقضِ الميثاقِ ، فمن أَعطَى عهدَ اللّهِ وميثاقَه من ثمرةِ قلبِه فلْيفِ به للهِ [٥] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ : فهى

---

(١) فى ص : « فيه » .

(٢) فى ص : « يأخذ » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ر ، م . وينظر الدر المنثور ١/ ٤٢ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

ستٌّ خلالٍ فى أهلِ النفاقِ ، إذا كانت لهم الظَّهْرَةُ[(١)] أظْهَروا هذه الخلالَ الستَّ جميعًا ؛ إذا حدَّثوا كذَبوا ، وإذا وعَدوا أخلَفوا ، وإذا ائْتُمِنوا خانوا ، ونقَضوا عهْدَ اللَّهِ مِن بعدِ ميثاقِه ، وقطَعوا ما أمَر اللَّهُ به أن يُوصلَ ، وأفسَدوا فى الأرضِ ، وإذا كانت عليهم الظَّهْرَةُ أظهَروا الخِلالَ الثلاثَ ؛ إذا حدَّثوا كذَبوا ، وإذا وعَدوا [٢٥/٢ظ] أخلَفوا ، وإذا ائْتُمِنوا خانوا[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والذى رغَّب اللهُ فى وَصْلِه وذمَّ على قطْعِه فى هذه الآيةِ ، الرحمُ ، وقد بيَّن ذلك فى كتابِه فقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] .وإنما عنَى بالرحمِ أهلَ الرجلِ[(٣)] الذين جمعتْهم وإياه رحمُ والدةٍ واحدةٍ . وقطْعُ ذلك ظلمُها[(٤)] فى تركِ أداءِ ما ألزَم اللّهُ من حقوقِها ، وأوجَبَ من برِّها . ووصْلُها أداءُ الواجبِ لها إليها ، من حقوقِ اللّهِ التى أوجَب لها ، والتعطُّفُ عليها بما يَحِقُّ التعطفُ به عليها .

١٨٥/١ و ﴿ أَن ﴾ التى مع ﴿ يُوصَلَ ﴾ فى محلِّ خفضٍ ، بمعنى ردِّها على/ موضعِ الهاءِ التى فى ﴿ بِهِۦٓ ﴾ . فكان معنى الكلامِ : ويقطَعون الذى أمَر اللّهُ به[(٥)] بأن يُوصلَ . والهاءُ التى فى ﴿ بِهِۦٓ ﴾ هى كنايةُ[(٦)] ذكرِ ﴿ مَآ ﴾[(٧)] .

---

(١) الظهرة : الكثرة ، ويريد هنا الغلبة ، من قولك : ظهرت على فلان ، إذا علوته وغلبته . اللسان (ظ هـ ر) .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٦/١ عن الربيع .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر : « الرحم » .

(٤) فى ص ، م : « ظلمه » ، وفى ت ١ ، ت ٢، ت ٣: « ظلمة » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٦) بعده فى م : « عن » .

(٧) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢: « أن » ، وفى م : « أن يوصل » .

وبما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ . وأنه الرحمُ ، كان قتادةُ يقولُ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ : فقُطِعَ واللّهِ ما أمَر اللّهُ به أن يوصلَ بقطيعةِ الرحمِ والقرابةِ[(١)] .

وقد تأوّل بعضُهم ذلك أن اللّهَ ذمَّهم بقطعِهم رسولَه والمؤمنين به وأرحامَهم . واستَشهَد على ذلك بعمومِ[(٢)] ظاهرِ الآيةِ ، وألا[(٣)] دلالةَ على أنه معنيٌّ بها بعضُ ما أمَر اللّهُ بوصْلِه دونَ بعضٍ .

وهذا مذهبٌ مِن تأويلِ الآيةِ غيرُ بعيدٍ من الصوابِ ، ولكنَّ اللّهَ جلَّ ثناؤُه قد ذكَر المنافقين فى غيرِ آيةٍ من كتابِه ، فوصَفهم بقطْعِ الأرحامِ ، فهذه نظيرةُ تلك ، غيرَ أنها وإن كانت كذلك ، فهى دالةٌ على ذمِّ اللّهِ كلَّ قاطعٍ قطَع ما أمَر اللّهُ أن يُوصلَ ، رحِمًا كانت أو غيرَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : [٢٦/٢و] ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفسادُهم فى الأرضِ هو ما تقدَّم وَصْفُناهُ قبلُ من معصيتِهم ربَّهم ، [(٤)]وكُفرِهم به[(٤)] ، وتكذيبِهم رسولَه ، وجَحْدِهم نبوَّتَه ، وإنكارِهم ما أتاهم به من عندِ اللّهِ أنه حقٌّ مِن عندِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر : « عموم » .

(٣) فى ص : « لا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

والخاسرون جمعُ خاسرٍ ، والخاسرون ؛ الناقصون أنفسَهم حظوظَها بمعصيتِهم اللّهَ – من رحمتِه ، كما يخسَرُ الرجلُ فى تجارتِه بأن يوضَعَ من رأسِ مالِه فى بيعِه[(١)] . فكذلك الكافرُ والمنافقُ خسِر بحِرْمانِ اللّهِ إياه رحمَتَه التى خلَقها لعبادِه فى القيامةِ أحوجَ ما كان إلى رحمتِه . يقالُ منه : خسِر الرجلُ يخسَرُ خُسْرًا وخُسرانًا وخَسارًا . كما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(٢)] :

إن سَلِيطًا فى الخَسارِ إنَّهْ

أولادُ قومٍ خُلِقـوا أقِنَّهْ[(٣)]

يعنى بقولِه : فى الخَسارِ . أى : فيما يوكِسُهم حظوظَهم من الشرفِ والكرمِ .

وقد قيل : إن معنى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ : أولئك هم الهالِكون . وقد يجوزُ أن يكونَ قائلُ ذلك أرادَ ما قلنا من هلاكِ الذى وصَف اللّهُ صفتَه بالصفةِ التى وصَفَه بها فى هذه الآيةِ ، بحِرْمانِ اللّهِ إياه ما حرَمه من رحمتِهِ بمعصِيتِه إياه وكفرِه به . فحمَل تأويلَ الكلامِ على معناه دونَ البيانِ عن تأويلِ عينِ الكلمةِ بعينِها ، فإن أهلَ التأويلِ ربما فعلوا ذلك لعللٍ كثيرةٍ تدعوهم إليه .

وقال بعضُهم فى ذلك بما **حُدِّثت** به عن المِنجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كلُّ شىءٍ نسَبه اللّهُ إلى غيرِ أهلِ الإسلامِ من اسمٍ مثلَ خاسرٍ فإنما يعنى به الكفرَ ، وما نسَبه إلى أهلِ الإسلامِ فإنما يعنى به الذَّنْبَ[(٤)] .

---

(١) وُضع الرجل فى تجارته – بالبناء للمجهول – كعُنِىَ : خسر فيها . التاج (و ض ع) .

(٢) ديوانه ٢/١٠١٧، والنقائض ص ٤.

(٣) أقنة جمع قن ، وهو العبد ، وهو جمع نادر . التاج (ق ن ن) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

/ [٢٦/٢ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ** : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ . ١٨٦/١

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، **عن** السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يقولُ : لم تكونوا شيئًا فخلَقكم ، ثم يميتُكم ، ثم يحيِيكم يومَ القيامةِ[(١)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر : ١١] . قال : هى كالتى فى « البقرة » : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وحدَّثنى أبو حُصينٍ [(٢)] عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[(٣)] بنِ يونسَ ، قال : حدَّثنا عَبْثَرٌ ، قال : حدَّثنا حُصينٌ[(٢)] ، عن أبى مالكٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قال : خلَقْتنا ولم نَكُنْ شيئًا ، ثم أمَتَّنا ، ثم أحْيَيْتَنا .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشيمٌ ، عن حُصينٍ ، عن أبى مالكٍ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١، ت ٢.

(٣) بعده فى م : « ابن عبد الله » . وينظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٤.

فى قولِه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قال : كانوا أمواتًا فأحياهم اللَّهُ ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا [(١] الحسينُ بنُ داودَ [١)] ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ . قال : لم تكونوا شيئًا حتى [(٢)] خلَقكم ، ثم يميتُكم الموتةَ الحقَّ ، ثم يحييكُم ، وقولُه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ مثلُها [(٣)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى الحجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبرنى عطاءٌ الخراسانىُّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هو قولُه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [(٤)] .

وحُدِّثْت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : [٢٧/٢و] حدثنى أبو العاليةِ فى قولِ اللهِ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ

(١ - ١) فى ص : « الحسن » .

(٢) فى ر ، م ، ت ١ : « حين » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠٢) من طريق ابن جريج به بنحوه ، وليس فيه تصريح ابن جريج بالسماع . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى ابن المنذر .

وفى رواية ابن جريج عن عطاء الخراسانى ضعف ، قال ابن المدينى : سألت يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراسانى ، فقال : ضعيف . قلت ليحيى : إنه يقول : أخبرنى ؟ قال : لا شىء ، كله ضعيف إنما هو كتاب دفعه إليه . ينظر تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٦ ، وعطاء لم يسمع من ابن عباس . ينظر جامع التحصيل ص ٢٣٨.

بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ . يقولُ : حينَ لم يكونوا شيئًا ، ثم أحياهم (١) حين (٢) خلَقهم (١) ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يومَ القيامةِ ، ثم رجَعوا إليه بعدَ الحياةِ (٣) .

وحُدِّثت عن المِنجابِ ، قال : حدثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ / فى قولِه : ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ . قال : كنتم ١٨٧/١
ترابًا قبلَ أن يخلُقَكم ، فهذه مِيتةٌ ، ثم أحياكم فخلَقكم ، فهذه حياةٌ (٤) ، ثم يميتُكم فترجِعون إلى القبورِ ، فهذه مِيتةٌ أخرى ، ثم يبعَثُكم يومَ القيامةِ ، فهذه حياةٌ (٤) ، فهما مِيتَتان وحياتانِ ، فهو قولُه (٥) : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (٦) .

وقال آخرون بما حدَّثنا به أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن السدىِّ ، عن أبى صالحٍ : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ قال : يُحييكم فى القبرِ ، ثم يُميتُكم (٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ر : « وحين » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠٣) من طريق أبى جعفر به .

(٤) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « إحياءة » .

(٥) فى الأصل : « كقوله » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠١) عن أبى زرعة ، عن منجاب به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٧/٥ إلى ابن مردويه .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ عقب الأثر (٣٠١) معلقا .

وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٧: هذا غريب .

وقال آخرون بما حدَّثنا به بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾(١) الآية . قال : كانوا أمواتًا(١) في أصْلُبةِ(٢) آبائِهم ، فأحياهم اللهُ وخلَقهم ، ثم أماتَهم الموتَةَ التي لا بدَّ منها ، ثم أحياهُم للبعثِ يومَ القيامةِ ، فهما حياتان وموتَتان .

وقال بعضُهم بما حدَّثني به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِ اللهِ : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ قال : خلَقهم اللهُ من ظَهرِ آدمَ حينَ أخَذ عليهم الميثاقَ(٣) . وقرأ : (وإذْ أخذَ ربكَ من بني آدمَ من ظُهُورِهم ذُرِّيَّاتِهِم) . حتى بلَغ : ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢، ١٧٣]. قال : فكسَّبهم العقلَ وأخَذ عليهم الميثاقَ . قال : وانتزَع ضِلْعًا من أضلاعِ آدمَ القُصَيْرَى(٤) ، فخلَق منه حواءَ . ذكَره عن النبيِّ ﷺ . قال : وذلك قولُ اللهِ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا [٢/ ٢٧ظ] كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١]. قال : بثَّ منهما(٥) بعدَ ذلك في الأرحامِ خلقًا كثيرًا . وقرأ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [الزمر : ٦] . قال : خلْقًا بعدَ ذلك . قال : فلما أخَذ عليهم الميثاقَ أماتهم ، ثم خلَقهم في الأرحامِ ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يومَ القيامةِ ، فذلك قولُ اللهِ : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) في ر ، م : « أصلاب » ، والصلب يجمع على أصلب وأصلاب .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ٩٧.

(٤) القصيرى : الضلع التي تلي الشاكلة ، وهي أسفل الأضلاع . التاج (ق ص ر) .

(٥) في ص ، ر ، م : « فيهما » .

﴿ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ . وقرأ قولَ اللهِ تعالى ذكره : ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤، والأحزاب: ٧]. قال: يومئذٍ. قال: وقرأ قولَ اللهِ: ﴿وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

قال أبو جعفرٍ: ولكلِّ قولٍ من هذه الأقوالِ التي حكَيْناها عمّن رَوَيناها عنه وجهٌ ومذهبٌ من التأويلِ. فأما وجهُ تأويلِ مَن تأوَّلَ قولَه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾. أى: لم تكونوا شيئًا. فإنه ذهَب إلى نَحوِ قولِ العربِ للشيءِ الدَّارسِ والأمرِ الخاملِ الذِّكرِ: هذا شيءٌ ميتٌ، وهذا أمرٌ ميتٌ. يُرادُ بوصفِه بالموتِ خمولُ ذِكْرِه ودُروسُ أثَرِه من الناسِ، وكذلك يقالُ في ضدِّ ذلك وخلافِه: هذا أمرٌ حيٌّ، وذِكْرٌ حيٌّ. يرادُ بوصفِه بذلك أنه نابِهٌ مُتعالمٌ في الناسِ، كما قال أبو نُخيلةَ السَّعديُّ[(١)]:

فأحْيَيْتَ[(٢)] لى ذِكْرِى وما كنتُ خاملًا ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أنْبَهُ من بعضِ

/يريدُ بقولِه: فأحيَيْتَ لى ذِكرِى. أى: رفعْتَه وشهَرْتَه فى الناسِ حتى نبُه فصار ١٨٨/١
مذكورًا حيًّا بعدَ أن كان خاملًا ميتًا.

فذلك[(٣)] تأويلُ قولِ من تأوَّل فى قولِهِ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾: لم تكونوا شيئًا. أى: كنتم خمولًا لا ذِكْرَ لكم، وذلك كان[(٤)] موتَكم، ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ فجعلكم[(٤)]

---

(١) البيت فى طبقات ابن المعتز ص ٦٤، والمؤتلف والمختلف ص ٢٩٧.

(٢) فى ص، والمؤتلف والمختلف: «وأحيت»، وفى ابن المعتز: «وأنبهت».

(٣) فى ص، ر، م، ت ١، ت ٢: «فكذلك».

(٤ - ٤) فى الأصل: «موتهم فأحياهم فجعلهم».

بشَرًا أحياءً [١]تُذكَرون وتعرَفون[١] ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بقبضِ أرواحِكم، وإعادتِكم كالذى كنتم قبلَ أن يحييَكم من دروسِ ذكرِكم، وتَعفِّى آثارِكم، وخُمولِ أمورِكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بإعادةِ أجسامِكم إلى هيئاتِها، ونفخِ الروحِ فيها، وتَصْيِيرِكم بشرًا كالذى كنتم قبلَ الإماتةِ تتعارَفون فى بعثِكم وعندَ حشْرِكم.

وأما وجهُ تأويلِ مَن تأوَّل ذلك أنه الإماتةُ التى هى خروجُ الروحِ من الجسدِ، فإنه ينبغى أن يكونَ ذهَب بقولِه: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾. إلى أنه خطابٌ لأهلِ القبورِ بعدَ إحيائِهم فى قبورِهم، [٢٨/٢و] وذلك معنًى بعيدٌ؛ لأن التوبيخَ هنالك إنما هو توبيخٌ على ما سلَف وفرَط من إجْرامِهم، لا استعتابٌ واسترجاعٌ. وقولُه جلَّ ذِكْرُه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ .توبيخُ مُستعتِبٍ عبْدَه[٢]، وتأنيبُ مُسترجِعٍ خلْقَه من المعاصِى إلى الطاعَةِ، ومن الضلالةِ إلى الإنابةِ، ولا إنابةَ فى القبورِ بعدَ المماتِ، ولا توبةَ فيها بعدَ الوفاةِ.

وأما وجهُ تأويلِ قولِ قتادةَ ذلك أنهم كانوا أمواتًا فى أصلابِ آبائِهم. فإنه عنَى بذلك أنهم كانوا نُطَفًا لا أرواحَ فيها، فكانت بمعنى سائرِ الأشياءِ المَواتِ التى لا أرواحَ فيها، وإحياؤُه إياها جل ذِكْرُه؛ نَفْخُه الأرواحَ فيها، وإماتتُه إياهم بعدَ ذلك؛ قبضُه أرواحَهُم، وإحياؤه إياهم بعد ذلك؛ نفخُ الأرواحِ فى أجسامِهم يومَ يُنْفَخُ فى الصورِ ويُبعَثُ الخلقُ للموعودِ.

وأما ابنُ زيدٍ فقد أبان عن نفسِه ما قصَد بتأويلِه ذلك، وأن الإماتةَ الأولَى

(١ - ١) فى الأصل: «يذكرون ويعرفون».

(٢) فى م: «عباده».

عندَه[(١)] إعادةُ اللّهِ جلَّ ثناؤه عبادَه فى أصلابِ آبائِهم بعدَما أخذهم من صُلبِ آدمَ، وأن الإحياءَ الآخرَ هو نفخُ الأرواحِ فيهم فى بطونِ أمهاتِهم، وأن الإماتةَ الثانيةَ هى قبضُ أرواحِهم للعَوْدِ إلى الترابِ، والمصيرُ فى البرزَخِ إلى يومِ البعثِ، وأن الإحياءَ الثالثَ هو نفخُ الأرواحِ فيهم لبعثِ الساعةِ ونشرِ القيامةِ. وهذا تأويلٌ إذا تدبَّره المتدبِّرُ وجَده خِلافًا لظاهرِ قولِ اللّهِ الذى زعَم مفسِّرُه أن الذى وصَفْنا من قولِه تفسيرُه، وذلك أن اللّهَ جلَّ ذكرُه أخبر فى كتابِه عن الذين أخبَر عنهم من خلقِه أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾. وزعَم ابنُ زيدٍ أن[(٢)] تفسيرَه أن اللّهَ أحياهم ثلاثَ إحياءاتٍ، وأماتهم ثلاثَ إماتاتٍ.

قال أبو جعفرٍ: والأمرُ عندنا وإن كان فى ما وصَف من استخراجِ اللّهِ جلَّ ثناؤُه من صُلْبِ آدمَ ذُريتَه، وأخذِه ميثاقَه عليهم، كما وصَف، فليس ذلك من تأويلِ هاتين الآيتين - أعنى قولَه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ الآية. وقولَه: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ - فى شىءٍ؛ لأن أحدًا لم يدَّعِ أن اللّهَ أمات من ذرَأ يومئذٍ غيرَ الإماتةِ التى صار [٢٨/٢ظ] بها فى البرزخِ إلى البعثِ، فيكونَ جائزًا أن يوجَّهَ تأويلُ الآيةِ إلى ما وجَّهَهُ إليه ابنُ زيدٍ.

/ **وقال بعضُهم**: الموتةُ الأولَى مُفارقةُ نُطفةِ الرجلِ جسدَه إلى رحمِ المرأةِ، فهى ١٨٩/١
ميتةٌ من لَدُنْ فِراقِها جسدَه إلى نفخِ الروحِ فيها، ثم يُحييها اللّهُ بنفخِ الروحِ فيها فيجعَلُها بشرًا سويًّا بعدَ تاراتٍ تأتى عليها، ثم يُميتُه الـمِيتةَ الثانيةَ بقبضِ الروحِ منه، فهو فى البرزخِ ميتٌ إلى يومِ يُنْفَخُ فى الصورِ، فيَرُدُّ فى جسدِه روحَه، فيعودُ حيًّا سويًّا لبعثِ القيامةِ، فذلك موتَتان وحياتان.

---

(١) فى م: «عند».

(٢) فى م: «فى».

وإنما دعَا هؤلاء إلى هذا القولِ لأنهم قالوا : موتُ ذِى الروحِ مفارقةُ الروحِ إياه . فزعَموا أن كلَّ شىءٍ من ابنِ آدمَ حىٌّ ما لم يفارقْ جسدَه الحىَّ ذا الروحِ ، فكلُّ ما فارقَ جسدَه الحىَّ ذا الروحِ ، فارقَتْه (١) الروحُ و (١) الحياةُ فصار ميتًا ، كالعضوِ من أعضائِه ؛ مثلُ اليدِ من يدَيْه أو الرِّجْلِ من رجلَيْه ، لو قُطِعت فأُبِينَتْ ، والمقطوعُ ذلك منه حىٌّ ، كان الذى بان من جسدِه مَيِّتًا لا روحَ فيه بفراقِه سائرَ جسدِه الذى فيه الروحُ . قالوا : فكذلك نطفتُه حيةٌ بحياتِه ، ما لم تفارقْ جسدَه ذا الروحِ ، فإذا فارقَتْه مُبايِنةً له صارت مَيتةً ، نظيرَ ما وصفْنا من حكمِ اليدِ والرجلِ وسائرِ أعضائِه ، وهذا قولٌ ووجهٌ من التأويلِ لو كان من أقوالِ أهلِ القُدْوةِ الذين يُرتضَى للقرآنِ تأويلُهم .

وأوْلَى ما ذكَرْنا من الأقوالِ التى بيَّنَّا بتأويلِ قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ الآية . القولُ الذى ذكَرْناه عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ابنِ عباسٍ ، من أنَّ معنى قولِه : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ . أمواتَ الذِّكرِ ، خُمولًا فى أصلابِ آبائِكم ، نُطَفًا لا تُعرَفون ولا تُذكَرون ، فأحياكُم بإنشائِكُم بشرًا سويًّا ، حتى ذُكِرتم وعُرِفتم وحَيِيتُم ، ثم يميتُكم بقبضِ أرواحِكم وإعادتِكم رُفاتًا ، لا تُعْرَفون ولا تُذْكرون فى البرزخِ إلى يومِ تُبعثون ، ثم يُحييكم بعدَ ذلك بنفخِ الأرواحِ فيكم لبعثِ الساعةِ وصَيحةِ القيامةِ ، ثم إلى اللهِ تُرجَعون بعدَ ذلك ، كما قال : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لأن اللهَ جلَّ ثناؤُه يُحييهم فى قبورِهم قبلَ حشرِهم ، ثم يحشُرُهم لموقفِ الحسابِ ، كما قال جلَّ ذكرُه ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج : ٤٣] . وقال : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس : ٥١] .

والعِلةُ التى من أجلِها [٢٩/٢و] اختَرنا هذا التأويلَ ، ما قدَّمنا ذِكْرَه للقائلين به ،

(١ - ١) سقط من : م .

وفسادُ ما خالَفه بما قد أوضَحْناه قبلُ .

وهذه الآيةُ توبيخٌ من اللّهِ جلَّ ثناؤُه للقائلين : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ . الذين أخبرَ اللّهُ عنهم أنهم مع قِيلِهم ذلك بأفواهِهم ، غيرُ مؤمنين به ، وأنهم إنما يقولون ذلك خِداعًا للّهِ وللمؤمنين ، فعذَلهم اللّهُ بقولِه : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾ . ووبَّخهم واحتجَّ عليهم فى نكيرِهم ما أنكَروا من ذلك ، وجُحودِهم ما جَحدوا بقلوبِهم المريضةِ ، فقال : كيف تكفرون باللّهِ فتَجْحَدون قدرتَه على إحيائِكم بعد إماتتِكم (١لبعْثِ القيامةِ ، ومجازاةِ المسىءِ منكم بالإساءةِ ، والمحسنِ بالإحسانِ ، وقد كنتم نطفًا أمواتًا فى أصلابِ آبائِكم ، فأنشأتُكم[(٢)] خلقًا سويًّا ، وجعلتُكم[(٣)] بشرًا أحياءً ، ثم أمتُّكم[(٤)] بعد إنشائكم ، فقد علِمتم أن من فعَل ذلك بقدرتِه ، غيرُ معجزِه - بالقدرةِ التى فعَل ذلك بكم - إحياؤُكم بعد إماتتِكم١) ، وإعادتُكم بعد إفنائِكم ، وحشرُكم إليه لمجازاتِكم بأعمالِكم .

(٥القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾

قال أبو جعفرٍ٥) : ثم عدَّدَ ربُّنا عليهم ، وعلى أوليائِهم من أحبارِ اليهودِ الذين جمَع بينَ قَصَصِهم وقَصصِ المنافقين فى كثيرٍ من آيِ هذه السورةِ التى افتَتح الخبرَ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢.

(٢) فى ص : « فأنشأكم » .

(٣) فى ص : « فجعلكم » .

(٤) فى ص : « أماتكم » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

عنهم فيها بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ - نِعَمَه التى سلَفتْ منه إليهم وإلى آبائِهم ، التى عظُمتْ منهم مواقِعُها ، ثم سلْبُه[(١)] كثيرًا منهم كثيرًا منها ، بما ركِبوا من الآثامِ ، واجترَموا من الأجْرام ،
١٩٠/١ وخالَفوا من الطاعةِ إلى المعصيةِ ،/ محذِّرَهم بذلك تعجيلَ العقوبةِ لهم ، كالتى[(٢)] عجَّلها للأسلافِ والأفراطِ قبلَهم ، ومخوِّفَهم حُلولَ مَثُلاتِه بساحتِهم ، كالذى أحلَّ بأوائِلهم[(٣)] ، ومعرِّفَهم ما لهم من النجاةِ فى سرعةِ الأَوْبةِ إليه وتعجيلِ التوبةِ ؛ من الخلاصِ لهم يومَ القيامةِ من [٢٩/٢ظ] العقابِ . فبدأ بعدَ تعديدِه عليهم ما عدَّد من نِعَمِه التى هم فيها مُقيمون بذكرِ أبينا وأبِيهم آدمَ أبى البشرِ ، صلواتُ اللّهِ عليه ، وما سلَف منه من كرامتِه إليه وآلائِه لدَيه ، وما أحلَّ به وبعدوِّه إبليسَ مِن عاجلِ عقوبتِه بمعصيتِهما التى كانت منهما ، ومخالفتِهما أمْرَه الذى أمَرهما به ، وما كان من تغمُّدِه آدمَ برحمتِه إذْ تاب وأناب إليه ، وما كان من إحلالِه بإبليسَ من لعنتِه فى العاجِل ، وإعدادِه له ما أعدَّ له من العذابِ المقيمِ فى الآجلِ ، إذِ استكبرَ وأبَى التوبةَ إليه والإنابةَ ، مُنبهًا لهم على حُكمِه فى المُنيبين إليه بالتوبةِ ، وقضائِه فى المستكبرِين عن الإنابةِ ، إعذارًا من اللّهِ بذلك إليـهم ، وإنذارًا لهم لِيتدبَّروا آياتِه ، ولِيتذكَّرَ منهم أُولو الألبابِ ، وخاصًّا أهلَ الكتابِ بما ذكَر من قصَصِ آدمَ وسائرِ القصصِ التى ذكَرها معها وبعدَها ، مما علِمه أهلُ الكتابِ وجهِلَتْه الأمةُ الأُميةُ مِن مشركِى عَبدَةِ الأوثانِ - بالاحتجاجِ عليهم - دونَ غيرِهم من سائرِ أصنافِ الأممِ الذين لا علْمَ عندَهم بذلك - لنبيِّه محمدٍ ﷺ ؛ ليعلموا بإخبارِه إياهم بذلك أنه للّهِ رسولٌ مبعوثٌ ، وأن ما جاءهم به فمِن عندِه ، إذْ كان ما اقتصَّ عليهم من هذه القصصِ من مكنونِ

(١) فى م : « سلب » .
(٢) فى الأصل : « كالذى » .
(٣) فى م : « بأوليهم » .

علومِهم ، ومَصونِ ما فى كُتبِهم ، وخفىِّ أمورِهم ، التى لم يكنْ يدَّعِى معرفةَ عِلْمِها غيرُهم وغيرُ مَن أخَذ عنهم وقرَأ كُتُبَهم . وكان معلومًا من محمدٍ ﷺ أنه لم يكنْ قطُّ كاتبًا ، ولا لأسفارِهم تاليًا ، ولا لأحدٍ منهم مصاحبًا ولا مجالسًا ، فيمكِنَهم أن يَدَّعُوا أنه أخَذ ذلك من كُتبِهم ، أو عن بعضِهم ، فقال جلَّ ذكرُه فى تعديدِه عليهم ماهم فيه مقيمون من نِعَمِه مع كفرِهم به ، وتركِهم شُكْرَه عليها بما يَجِبُ له عليهم من طاعتِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فأخبرَهم جلَّ ذِكْرُه أنه خلَقَ لهم ما فى الأرضِ جميعًا ؛ لأن الأرضَ وجميعَ ما فيها لبنى آدمَ منافعُ ، أما فى الدِّينِ فدليلٌ[(١)] على وحدانيةِ ربِّهم[(٢)] ، وأما فى الدنيا فمعاشٌ وبلاغٌ لهم[(٣)] إلى طاعتِه ، وأداءِ فرائضِه ، فلذلك قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ .

وقولُه : ﴿ هُوَ ﴾ مَكْنِىٌّ[(٤)] من اسمِ اللّهِ جلَّ ذِكْرُه ، [٣٠/٢و] عائدٌ على اسمِه فى قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ . ومعنى خلْقِه ما خلَق جلّ ثناؤُه ؛ إنشاؤُه عينَه ، وإخراجُه من حالِ العدَمِ إلى الوجودِ . و﴿ مَّا ﴾ بمعنى « الذى » ، فمعنى الكلامِ إذن : كيفَ تكفرون باللّهِ وقد كنتم نُطَفًا فى أصلابِ آبائِكم ، فجعَلكم بشرًا أحياءً ، ثم يميتُكم ، ثم هو مُحييكم بعد ذلك ، وباعثُكم يومَ الحشرِ للثوابِ

---

(١) بعده فى الأصل : « له » .

(٢) فى الأصل : « ربه » .

(٣) فى ص : « له » .

(٤) إنما أطلق الكوفيون على الضمير : « المكنى » أو « الكناية » . لأنه يرمز به عن الظاهر اختصارا ، فهو اسم كنى به عن اسم . ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٥، ١٩، ٥٠، وشرح المفصل ٣/ ١٨٤، وشرح الرضى ٢/ ٩٣.

والعقابِ ، وهو المُنعمُ عليكم بما خلَق لكم فى الأرضِ ، من مَعايشِكم وأدِلَّتِكم على وحدانيةِ ربِّكم . و ﴿ كَيْفَ ﴾ بمعنى التعجبِ والتوبيخِ ، لا بمعنى الاستفهامِ ، كأنه قال : ويْحَكُمْ كيفَ تكفرون باللهِ ! كما قال : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير : ٢٦] . وحلَّ قولُه : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ محلَّ الحالِ ، وفيه ضميرُ[(١)] « قد » ، ولكنَّها حُذفت لما فى الكلامِ من الدليلِ عليها ، وذلك أن « فَعل » إذا حلَّت محلَّ الحالِ كان معلومًا أنها مُقتضيةٌ « قد » ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء : ٩٠] يعنى : قد حَصِرتْ صدُورُهم . وكما تقولُ للرجلِ : أصبحتَ كَثُرَتْ ماشيتُك . تريدُ : قَدْ كثُرتْ ماشيتُك .

١٩١/١ وبنحوِ / ما قلنا فى قولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ كان قتادةُ يقولُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ : نَعَمْ واللهِ ، سَخَّر لكم ما فى الأرضِ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : أقبلَ عليها . كما تقولُ : كان فلانٌ مُقبلًا على فلانٍ ، ثم استوى علىَّ يُشاتمُنى ، واستوى إلىَّ يُشاتمُنى . يعنى : أقبَل علىَّ وإلىَّ

---

(١) الضمير هنا بمعنى التقدير . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ١٤١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٥ (٣٠٧) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٢ إلى عبد بن حميد . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٩.

يُشاتِمُنى . واستَشهد على أن معنى الاستواءِ بمعنى الإقبالِ بقولِ الشاعرِ[(١)] :

أقولُ وقد قَطَعْنَ بنا شَرَوْرَى[(٢)] سَوامِدَ[(٣)] واستوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ[(٤)]

فزعَم أنه عنَى به أنّهنَّ خرجْن من الضَّجوعِ ، وكان ذلك عنده بمعنى « أقبَلْن » .

وهذا [٢/٣٠ظ] من التأويلِ فى هذا البيتِ خطأٌ ، وإنما معنى قولِه : واستوينَ من الضجوعِ - عندى - : استوَيْنَ على الطريقِ من الضَّجُوعِ خارجاتٍ . بمعنى : استقَمْنَ عليه[(٥)] .

وقال بعضُهم : لم يكن ذلك من اللّهِ جلَّ ذكرُه بتحوُّلٍ ، ولكنه يعنى فِعْلَه ، كما تقولُ : كان الخليفةُ فى أهلِ العراقِ يُواليهم ، ثم تحوَّلَ إلى أهلِ الشامِ . إنما يريدُ تحوُّلَ فعْلِه .

وقال بعضُهم : قولُه : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعنى : استوتْ به . كما قال الشاعرُ :

أقُولُ لَهُ لَمَّا استوَى فى ترابِه[(٦)] على أىِّ دِينٍ [(٧)]قَتَّلَ الناسَ[(٧)] مُصْعبُ

---

(١) البيت لابن مقبل ، وهو فى ديوانه ص ١٦٤ .

(٢) شرورى : جبل بين العَمْق والمعدِن ، فى طريق مكة إلى الكوفة ، وهى بين بنى أسد وبنى عامر . معجم ما استعجم ٣/ ٧٩٤، والبيت فيه .

(٣) رواية الديوان ، ومعجم ما استعجم : « ثوانى » . وسمدت الإبل : إذا جدت فى السير . التاج (س م د) .

(٤) الضجوع : موضع بين بلاد هذيل وبلاد بنى سليم . معجم ما استعجم ٣/ ٨٥٧ والبيت فيه .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى ص : « ثراته » ، وفى ر : « تراثه » .

(٧ - ٧) فى م : « قبل الرأس » .

وقال بعضُهم : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : عمَد لها . وقال : كلُّ تاركٍ عملًا كان فيه إلى آخرَ[1] فهو مُستوٍ لما عمَد له ومُستوٍ إليه .

وقال بعضُهم : الاستواءُ هو العلوُّ ، والعلوُّ هو الارتفاعُ .

وممن قال ذلك الربيعُ بنُ أنسٍ ، **حُدِّثْتُ** بذلك عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقولُ : ارتفعَ إلى السماءِ[2] .

ثم اختلَف متأوِّلو الاستواءِ بمعنى العلوِّ والارتفاعِ في الذي استوَى إلى السماءِ ؛ **فقال بعضُهم** : الذي استوَى إلى السماءِ وعلَا عليها خالِقُها ومُنشِئُها .

وقال بعضُهم : بلِ العالي إليها[3] الدخانُ الذي جعَله اللَّهُ للأرضِ سماءً .

قال أبو جعفرٍ : والاستواءُ في كلامِ العربِ منصرِفٌ على وجوهٍ ؛ **منها** : انتهاءُ شبابِ الرجلِ وقوَّتِه ، فيقالُ إذا صارَ كذلك : قدِ استوَى الرجلُ .

ومنها : استقامةُ ما كان فيه أوَدٌ[4] من الأمورِ والأسبابِ ، يقالُ منه : استوَى لفلانٍ أمرُه : إذا استقام له بعدَ أوَدٍ[5] . ومنه قولُ الطِّرِمَّاحِ بنِ حكيمٍ[6] :

طال على رسمِ مَهْدَدٍ أبَدُهْ   و[7]عفا واسْتَوَى به بَلَدُهْ

(١) في م : « آخره » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥/١ عقب الأثر (٣٠٨) من طريق ابن أبي جعفر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/١ إلى المصنف عن أبي العالية . وستأتي بقيته في ص ٤٥٨ .

(٣) في ص : « عليها » .

(٤) الأود : العِوَج . ينظر التاج (أ و د) .

(٥) في الأصل : « درء » .

(٦) ديوانه ص ١٩٣.

(٧) في الأصل : « ثم » .

يعنى : استقام به .

١٩٢/١ / ومنها : الإقبالُ على الشيءِ بالفعلِ ، كما يقالُ : استوَى فلانٌ على فلانٍ بما يكرهُه ويسوءُه بعدَ الإحسانِ إليه .

ومنها : (١) الاستيلاءُ والاحتواءُ(١) ، كقولِهم : استوَى فلانٌ على المملكةِ . بمعنى : احتوَى عليها وحازَها .

ومنها : العلوُّ والارتفاعُ ، كقولِ القائلِ : استوَى فلانٌ على سريرِه . يعنى به : عُلوَّه [٣١/٢و] عليه .

قال أبو جعفرٍ : وأوْلَى المعانى بقولِ اللّهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ : علَا عليهن وارتفع ، فدبَّرهن بقدرتِه وخلَقهنَّ سبعَ سماواتٍ .

والعجبُ ممن أنكَرَ المعنى المفهومَ من كلامِ العربِ فى تأويلِ قولِ اللّهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذى هو بمعنَى العلوِّ والارتفاعِ هَرَبًا عندَ نفسِه من أنْ يلزَمَه بزعمِه - إذا تأوَّله بمعناه المفهومِ كذلك - أن يكونَ إنما علَا وارتفَع بعد أن كان تحتَها ، إلى أنْ تأوَّلَه بالمجهولِ من تأويلِه المُسْتَنْكَرِ(٢) ، ثم لم ينجُ مما هرَب منه ، فيقالُ له : أزعَمتَ أن تأويلَ قولِه : ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ : أقبَل ، أفكانَ مُدْبِرًا عن السماءِ فأقبَل إليها ؟ فإن زعَمَ أن ذلك ليس بإقبالِ فعلٍ ولكنه إقبالُ تدبيرٍ . قيلَ له : فكذلك فقلْ(٣) : علَا عليها عُلوَّ مُلْكٍ وسلطانٍ لا علوَّ انتقالٍ وزوالٍ . ثم لن يقولَ فى شيءٍ من ذلك قولًا إلا أُلزِم فى الآخَرِ مثلَه . ولولا أنَّا كرِهنا إطالةَ الكتابِ بما ليس من جنسِه لأَنبأْنا عن فسادِ قولِ كلِّ قائلٍ قال فى ذلك قولًا لقولِ أهلِ الحقِّ فيه مخالفًا ، وفيما بيَّنا منه ما يُشرِفُ

(١ - ١) فى م : « الاحتياز والاستيلاء » .

(٢) فى ص : « المستكره » .

(٣) فى ر : « تقل » .

بذى الفهمِ على ما فيه له الكفايةُ إن شاء اللَّهُ .

وإن قال لنا قائلٌ : أخبِرْنا عن استواءِ اللَّهِ جلَّ وعز إلى السماءِ ، كان قبلَ خلْقِ السماءِ أم بعدَه ؟

قيل : بعدَه ،وقبلَ أن يسوِّيَهن سبعَ سماواتٍ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت : ١١] . فالاستواءُ كان بعد أن خلَقها دخانًا ، وقبل أن يسَوِّيَها سبعَ سماواتٍ .

وقال بعضُهم : إنما قال(١) : ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ولا سماءَ ، كقولِ الرجلِ لآخَرَ : اعمَلْ هذا الثوبَ . وإنما معه غزلٌ .

وأما قولُه : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . فإنه يعنى : هيَّأَهُنَّ وخلَقهن ودبَّرهن وقوَّمهن . والتسويةُ فى كلامِ العربِ التقويمُ والإصلاحُ والتوطئةُ ، كما يقالُ : سوَّى فلانٌ لفلانٍ هذا الأمرَ . إذا قوَّمه وأصلَحه ووطَّأه له ، فكذلك تسويةُ اللَّهِ جلَّ وعز سماواتِه ، تَقويمُه إياهن على مشيئتِه ، وتدبيرُه لهن على إرادتِه ، وتفتيقُهن بعد ارْتِتاقِهن(٢) .

كما حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ [٣١/٢ظ] سَمَٰوَٰتٍ ﴾ يقولُ : سوّى خَلْقَهنّ ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

وقال جلّ ذكرُه : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . فأخرَج مَكنيَّهن(٤) مُخرجَ مَكْنيِّ الجميعِ ،

---

(١) فى الأصل ، ر : « قيل » .

(٢) فى ص : « بتامتهن » ، وفى م : « ارتاقهن » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ (٣١٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/١ إلى المصنف عن أبى العالية . وتقدم أوله فى ص ٤٥٦ .

(٤) فى ر : « مكينهن » . والمكنى هو الضمير فى اصطلاح نحويى الكوفة . ينظر ص ٤٥٣.

وقد قال قبلُ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فأخرَجها على تقديرِ الواحدِ ، وإنما أخرَج مَكنيَّهن مُخرَجَ مَكْنيِّ الجميعِ ؛ لأن السماءَ جمعٌ ، واحدُها سماوَةٌ ، فتقديرُ واحدتِها وجميعِها إذن تقديرُ بقرةٍ وبقرٍ ، ونخلةٍ ونخلٍ ، وما أشبهَ ذلك ، ولذلك أُنِّثت السماءُ مرةً ، فقيل : هذه سماءٌ . وذُكِّرت أُخرى ، فقيل : ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل : ١٨] . كما يُفعَلُ ذلك بالجميعِ الذى لا فرْقَ بينَه وبين واحدِه غيرُ دخولِ الهاءِ وخروجِها ، فيقالُ : هذا بقرٌ ، وهذه بقرٌ ، وهذا نخلٌ ، وهذه نخلٌ . وما أشبهَ / ذلك . ١٩٣/١

وكان بعضُ أهلِ العربيةِ يزعُمُ أن السماءَ واحدةٌ ، غيرَ أنها تدُلُّ على السماواتِ ، فقيل : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ . يُراد بذلك التى ذُكرتْ وما دلَّتْ عليه من سائرِ السماواتِ التى لم تُذكرْ معها . قال : وإنما تُذكَّرُ إذا ذُكِّرتْ وهى مؤنثةٌ ، فيقالُ : ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ . كما يُذَكَّرُ المؤنثُ ، وكما قال الشاعرُ[1] :

فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ... ولا أرضَ أبْقَلَ إبْقالَها

وكما قال أعْشى بنى ثعلبةَ[2] :

فإمّا تَرَىْ لِمَّتِى بُدِّلَتْ ... فإنَّ الحوادثَ أزْرَى بها

وقال بعضُهم : السماءُ وإن كانت سماءً فوقَ سماءٍ ، وأرضًا فوقَ أرضٍ ، فهى فى التأويلِ واحدةٌ إن شئتَ ، ثم تكونُ تلك الواحدةُ جِماعًا ، كما يقالُ : ثوبٌ

---

(١) البيت لعامر بن جوين الطائى ، وهو فى الكتاب ٢/ ٤٦، والخزانة ١/ ٤٥ .

(٢) ديوانه ١٧١، وروايته :

فإن تعهدينى ولى لمة ... فإن الحوادث ألوى بها

أخلاقٌ وأسمالٌ[(١)] ، وبُرْمةٌ أعشارٌ[(٢)] . للمتكسِّرَةِ ، وبُرْمةٌ أكسارٌ وأجبارٌ . وأخلاقٌ ، أى أنّ نواحيَه أخلاقٌ .

فإن قال لنا قائلٌ : فإنك[(٣)] قد قلتَ : إن اللهَ استوَى إلى السماءِ وهى دخانٌ قبل أن يسوِّيَها سبعَ سماواتٍ ثم سوّاها سبعًا [(٤)] بعد استوائِه إليها[(٤)] ، فكيف زعَمتَ أنها جماعٌ ؟

قيل : إنهنَّ كُنَّ سبعًا غيرَ مُستوياتٍ ، فلذلك[(٥)] قال تعالى ذكرُه : فسواهنَّ سبعًا .

كما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : قال محمدُ بنُ إسحاقَ : كان أوّلَ ما خلَق اللّهُ تعالى ذكرُه النورُ [٣٢/٢و] والظلمةُ ، ثم ميَّزَ بينَهما فجعَل الظلمةَ ليلًا أسودَ مُظلمًا ، وجعَل النورَ نهارًا مضيئًا مُبصرًا ، ثم سمَك السماواتِ السبعَ من دخانٍ ، يقالُ - واللّهُ أعلمُ - : من دخانِ الماءِ . حتى استقلَلْنَ ولم يُحْبَكن ، وقد أغطَش فى السماءِ الدنيا ليلَها وأخرَج ضُحاها ، فجرَى فيها الليلُ والنهارُ ، وليس فيها شمسٌ ولا قمرٌ ولا نجومٌ ، ثم دحَا الأرضَ فأرْساها بالجبالِ ، وقدَّر فيها الأقواتَ ، وبثَّ فيها ما أراد من الخَلْقِ ، ففرَغ من الأرضِ وما قدَّر فيها من أقواتِها فى أربعةِ أيامٍ ، ثم استوَى إلى السماءِ وهى دخانٌ ، كما قال ، فحبَكَهُنَّ ، وجعَل فى السماءِ الدنيا شمسَها وقمرَها ونجومَها ، وأوْحَى فى كلِّ سماءٍ أمْرَها ،

---

(١) ثوب أخلاق : من قولهم : خلق الثوب . أى بلى كله . وأسمال من : سمل الثوب سمولا وسمولة : أخلق . التاج (خ ل ق ، س م ل) .

(٢) أى : مكسرة على عشر قطع . ينظر التاج (ع ش ر) .

(٣) سقط من : ص ، ر .

(٤ - ٤) فى ص : « فقد استوى به إليها » .

(٥) فى ص : « فكذلك » .

فأكمَل خَلْقَهن فى يومين ، ففرَغ من خلْقِ السماواتِ والأرضِ فى ستةِ أيامٍ ، ثم استوَى فى اليومِ السابعِ فوقَ سَماواتِه ، ثم قال للسّماواتِ والأرضِ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ لِمَا أردْتُ[١] بكما ، فاطمَئِنَّا عليه طوعًا أو كرهًا ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[٢] .

فقد أخبَر ابنُ إسحاقَ أن اللّهَ تعالى ذكرُه استوَى إلى السماءِ بعد خلقِه الأرضَ وما فيها وهنّ سبعٌ من دخانٍ ، فسَوّاهُنَّ كما وصَف .

وإنما استَشهدْنا لقولِنا الذى قُلْنا فى ذلك بقولِ ابنِ إسحاقَ ؛ لأنه أوضحُ بيانًا عن خبرِ[٣] السماواتِ أنهنَّ كن سبعًا من دخانٍ قبلَ استواءِ ربِّنا إليها لتسويتِها[٤] - من غيرِه ، وأحسنُ شرحًا لما أردْنا الاستدلالَ به ، من أن معنى السماءِ التى قال تعالى ذكرُه فيها : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ بمعنى الجمعِ على ما وصفْنا ، وأنَّه إنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . إذْ كانت السماءُ بمعنى الجمعِ ، على ما بيَّنّا .

فإن قال لنا قائلٌ : فما صِفةُ تسويةِ اللّهِ السماواتِ التى ذكَرها فى قولِه : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . إذْ كنَّ قد كنّ خُلِقن سبعًا قبل تسويتِه إياهُنَّ ؟ وما وجْهُ ذكْرِ خلْقِهنّ بعد ذكْرِ خلْقِ الأرضِ ، أَلأنَّها[٥] خُلِقتْ قبلَها أم لمعنًى[٦] غيرِ ذلك ؟

قيل : قد ذكَرْنا ذلك فى الخبرِ الذى رَوَيْناه عن ابنِ إسحاقَ ، ونزيدُ ذلك توكيدًا بما نضُمُّ إليه من أخبارِ بعضِ السلفِ المتقدِّمين وأقوالِهم .

---

(١) فى الأصل : « أردته » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٤/١ إلى قوله : مبصرا . وينظر تفسير الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

(٣) فى ص : « خلق » .

(٤) فى ص ، ر ، م : « بتسويتها » .

(٥) فى ص : « لا أنها » ، وفى ر : « لأنها » .

(٦) فى ص ، م : « بمعنى » .

١٩٤/١ / فحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ في خبرٍ ذكَره عن [٢/٣٢ظ] أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ . قال : إن اللهَ تعالى ذكرُه كان عرشُه على الماءِ ، ولم يخلُقْ شيئًا غيرَ ما خلَق قبلَ الماءِ ، فلمَّا أراد أن يَخْلُقَ الخَلْقَ أخرَج من الماءِ [(١)] دخانًا ، فارتفَع فوق الماءِ فسَما عليه ، فسمّاهُ سماءً ، ثم أيبَس الماءَ فجعَله أرضًا واحدةً ، ثم فتقَها فجعَل سبعَ أرَضينَ في يومين ، في الأحدِ والاثنين ، فخلَق الأرضَ على حوتٍ ، والحوتُ هو النونُ الذي ذكَر اللهُ في القرآن : ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] . والحوتُ في الماءِ ، والماءُ على ظَهْرِ صَفَاةٍ ، والصفاةُ على ظهرِ مَلَكٍ ، والمَـلَكُ على صخرةٍ ، والصخرةُ في الريحِ - وهي الصخرةُ التي ذكَر لقمانُ [(٢)] - ليست في السماءِ ولا في الأرضِ ، فتحرَّك الحوتُ فاضطرَب ، فتزلزلتِ الأرضُ ، فأرْسَى عليها الجبالَ فقرّتْ ، فالجبالُ تفخَرُ على الأرضِ ، وذلك قولُه : ﴿ [(٣)] وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ [(٣)] رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] . وخلَق الجبالَ فيها ، وأقواتَ أهلِها ، وشجرَها ، وما ينبغي لها في يومين ؛ في الثلاثاءِ والأربعاءِ ، وذلك حينَ يقولُ : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ . يقولُ : أنبتَ شجرَها . ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ . يقولُ :

(١) في ص : « النار » .

(٢) يشير إلى الآية ١٦ من سورة لقمان .

(٣ - ٣) في النسخ ، والتوحيد ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والدر المنثور : « وجعل لها » ، والمثبت هو صواب تلاوة الآية ، وهي كذلك في تاريخ المصنف .

أقواتَها لأهلِها . ﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ . يقول : (١)من سأل فهكذا(١) الأمرُ . ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٞ﴾ [فصلت : ٩- ١١] . وكان ذلك الدخانُ من تنفُّسِ الماءِ حينَ تنفَّس ، فجعَلها سماءً واحدةً ، ثم فتقَها فجعَلها سبعَ سماواتٍ فى يومين ؛ فى الخميسِ والجمُعةِ ، وإنما سُمِّىَ يومَ الجمُعةِ لأنه جُمِع فيه خلْقُ السماواتِ والأرضِ ، ﴿وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ . قال : خلَق فى كلِّ سماءٍ خلْقَها من الملائكةِ والخَلْقِ الذى فيها ، من البحارِ وجبالِ البَرَدِ وما لا يُعلَمُ ، ثم زيَّنَ السَّماءَ الدُّنْيا بالكواكبِ ، فجعَلها زينةً وحِفْظًا تحْفَظُ من الشياطينِ ، فلمّا فرَغ من خلْقِ ما أحبّ ، استوَى على العرشِ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الأعراف : ٥٤، يونس : ٣، هود : ٧] . يقولُ : ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾(٢) [الأنبياء : ٣٠] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، [٣٣/٢و] قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ . قال : خلَق الأرضَ قبلَ السماءِ ، فلمّا خلَق الأرضَ ثارَ منها دخانٌ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ . قال : بعضُهن فوقَ بعضٍ ، وسبعُ أرضين بعضُهن تحتَ(٣)

(١ - ١) فى م : « قل لمن يسألك هكذا » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٥٢، ٥٣ عن موسى وغيره ، عن عمرو به ، إلى آية سورة النحل .

وأخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ص٢٤٣، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٨٠٧) من طريق عمرو به .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٧٤ (٣٠٦) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٢، ٤٣ إلى ابن المنذر .

(٣) فى ر : « فوق » .

بعضٍ[١] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِهِ : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴾ قال : بعضُهن فوق بعضٍ ، بين كلِّ سماءين مَسِيرةُ خمسِمائةِ عامٍ[٢] .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِهِ حيثُ ذكَر خلْقَ الأرضِ قبلَ
١٩٥/١ السماءِ ، ثم ذكَر السماءَ قبلَ الأرضِ - : وذلك أن اللّهَ / خلَق الأرضَ بأقواتِها من غيرِ أن يدْحُوَها قبلَ السماءِ ، ثم استوَى إلى السماءِ فسوّاهُنّ سبعَ سماواتٍ ، ثم دَحَا الأرضَ بعد ذلك ، فذلك قولُه عز وجل : ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٣٠] .

حدثنى المثنى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى أبو معشرٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن عبدِ اللّهِ بنِ سلامٍ أنه قال : إن اللّهَ بدَأ الخلْقَ يومَ الأحدِ ، فخلَق الأرَضِين فى الأحدِ والاثنينِ ، وخلَق الأقواتَ والرواسِىَ فى الثلاثاءِ والأربعاءِ ، وخلَق السماواتِ فى الخميسِ والجمُعةِ ، وفرَغ فى آخرِ ساعةٍ من يومِ الجمُعةِ ، فخلَق فيها آدمَ على عَجَلٍ ، فتلك الساعةُ التى تقومُ فيها الساعةُ[٣] .

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ٤٢/١ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ (٣١١) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٨٨٥) من طريق الحسن بن يحيى به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/١ إلى المصنف وعبد الرزاق .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٤، ٥٤،٥٥ مفرقا .

=

فمعنى الكلامِ إذن : هو الذى أنعَم عليكم ، فخلَق لكم ما فى الأرضِ جميعًا ، وسخَّره لكم ، تفضُّلًا منه بذلك عليكم ؛ ليكونَ لكم بلاغًا فى دنياكم ، ومتاعًا إلى موافاةِ آجالِكم ، ودليلًا لكُم على وحدانيةِ ربِّكم ، ثم علَا إلى السماواتِ السبعِ وهنَّ دخانٌ ، فسوّاهن وحَبَكهن ، وأجرَى فى بعضِهن(١) (٢)شمسَه وقمرَه ونجومَه(٢) ، وقدَّر فى كلِّ واحدةٍ منهنَّ ما قدَّر من خلْقِه .

[٢/٣٣ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ .**

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَهُوَ ﴾ نفسَه ، وبقولِه : ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أن الذى خلَقكم وخلَق لكم ما فى الأرضِ جميعًا ، وسوَّى السماواتِ السبعَ بما فيهن ، فأحكَمهن مِن دخانِ الماءِ وأتقَن(٣) صُنْعَهن ، لا يخفَى عليه أيُّها المنافقون والملحدون والكافرون به مِن(٤) أهلِ الكتابِ - ما تُبْدون وما تكتُمون فى أنفسِكم ، وإن أبدَى منافقوكم بألسِنتِهم قولَهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . وهم على التكذيبِ به مُنْطَوون ، وكذَّبتْ أحبارُكم(٥) بما أتاهم به رسولى من الهدَى والنورِ ، (٦)وهم(٦) بصحتِه عارِفون ، وجحَدوا(٧) وكتَموا ما

= وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٨٨٤) من طريق محمد بن بكير ، عن أبى معشر به .

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨١١) من طريق ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام . وأخرج أحمد ٥/ ٤٥٠ (الميمنية) آخره من طريق آخر عن عبد الله بن سلام .

(١) فى الأصل ، ص : « بعضها » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « شمسها وقمرها ونجومها » .

(٣) فى ت ١ : « أيقن » .

(٤) فى ص : « و » .

(٥) فى ص : « أحبارهم » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) الأصل ، ر : « جحدوه » .

قد أخَذْتُ عليهم تبْيانَه[(١)] لخلقِى من أمرِ محمدٍ ﷺ [(٢)] ونُبُوَّتِه[(٢)] - المواثيقَ ، وهم به عالمون ، بل أنا عالمٌ بذلك [(٣)] من أمْرِكم[(٣)] وغيرِه من أمورِكم وأمورِ غيرِكم ؛ أى[(٤)] بكلِّ شىءٍ عليمٌ .

وقولُه : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . بمعنى عالمٍ . ورُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ : هو الذى قد كَمُلَ فى علْمِه .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ ابنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : العالِمُ الذى قد كَمُلَ فى عِلْمِه[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .

زعَم بعضُ المنسوبين إلى العلمِ بلُغاتِ العَربِ من أهلِ البصرةِ[(٦)] أن تأويلَ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ : وقال ربُّك . وأنّ ﴿ إِذْ ﴾ من الحروفِ الزَّوائدِ ، وأن معناها الحذفُ . واعتَلَّ لقولِه الذى وصَفْنا عنه فى ذلك ببيتِ الأسودِ بنِ يَعْفُرَ[(٧)] :

فإذا وذلك لا مَهاهَ لِذِكْرِه والدهرُ يُعْقِبُ صالحًا بفسادِ

(١) فى م : « ببيانه » .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى ص ، ر ، م : « إنى » .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٢٠ - من طريق عبد الله بن صالح به . وينظر تفسير ابن كثير ٨/ ٥٤٧.
(٦) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/٣٦، ٣٧ .
(٧) البيت فى المفضليات ، ص ٢٢٠، واللسان (م هـ هـ) .

/ ثم قال : ومعناها : وذلك لا مَهاهَ لذِكْرِه . وببيتِ عبدِ منافِ بن رِبْعٍ[١] ١٩٦/١
الهُذلىِّ[٢] :

حتى إذا أسلَكوهم فى قُتائِدَةٍ[٣] شَلًّا[٤] كما تطْرُدُ الجَمّالةُ[٥] الشُّرُدا[٦]

[٣٤/٢و] وقال : معناه : حتى أسْلَكُوهم .

قال أبو جعفرٍ : والأمرُ فى ذلك بخلافِ ما قال ، وذلك أن « إذْ »[٧] حرفٌ يأتى بمعنى الجزاءِ ، ويَدُلُّ على مجهولٍ من الوقتِ ، وغيرُ جائزٍ إبطالُ حرفٍ كان دليلًا على معنًى [٨]فى الكلامِ[٨] . إذ سواءٌ قيلُ قائلٍ : هو بمعنى البُطولِ[٩] ، [٨]وهو[٨] فى الكلامِ دليلٌ على معنًى مفهومٍ . وقيلُ آخرَ فى جميعِ الكلامِ الذى نطَق به دليلًا على ما أرِيدَ به : هو بمعنى البُطولِ[٩] .

وليس [١٠]لما ادّعى[١٠] الذى وصَفْنا قولَه[١١] - فى بيتِ الأسودِ بنِ يَعفُرَ ، أن « إذا »[١٢] بمعنى البُطولِ[٩] - وجهٌ مفهومٌ ؛ بل ذلك لو حُذِف من الكلامِ لَبَطَل المعنَى

(١) فى ت ١، ت ٢: « زربع » .

(٢) ديوان الهذليين ٢/ ٤٢، وسيأتى ٩/١٤، وفى الشعراء .

(٣) قتائدة : جبل بين المنصرف والروحاء . معجم ما استعجم ٣/ ١٠٤٨.

(٤) شل السائق الإبل شلًّا ؛ إذا طردها ، والشل : الطرد . التاج (ش ل ل) .

(٥) فى ص : « الحمالة » ، والجمالة أصحاب الجمال .

(٦) شرد جمع شرود من قولهم : شرد الفرس أو البعير . إذا استعصى وذهب على وجهه . التاج (ش ر د) .

(٧) فى ر ، ت ١، ت ٢: « إذا » .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) فى م : « التطول » .

(١٠ - ١٠) فى م : « المدعى » .

(١١) فى ر : « فى قوله » .

(١٢) فى ت ٢: « إذ » .

الذى أراده الأسودُ من قولِه :

* فإذا وذلك لا مَهاهَ لذِكْرِه *

وذلك أنه أراد بقولِه : فإذا[(١)] : فإذا الذى نحن فيه وما قد مضَى من عَيْشِنا . وأشار بقولِه : [(٢)]وذلك[(٢)] . إلى ما تقدَّم وصْفُه من عيشِه الذى كان فيه . لا مَهاهَ لذِكْرِهِ ، يعنى : لا طَعْمَ له ولا فضْلَ ؛ لإعقابِ الدهرِ صالحَ ذلك بفسادٍ . وكذلك معنى قولِ عبدِ منافِ بنِ رِبعٍ[(٣)] :

حتى إذا أسلكوهم فى قُتائدةٍ شَلًّا[(٤)] ....

لو أُسقِط منه « إذا » بطَل معنى الكلامِ ؛ لأن معناه : حتى إذا أسلكوهم فى قُتائدةٍ سلكوا شَلًّا . فدلَّ[(٥)] قولُه : أسلكوهم شلًّا[(٤)] . على مَعْنَى المْحذُوفِ ، فاسْتُغْنِى عن ذكْرِه بدَلالةِ « إذا » عليه فحُذِف - كما قد ذكَرْنا فيما مَضَى من كتابِنا[(٦)] - على ما تفعَلُ العربُ فى نظائرِ ذلك ، وكما قال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ[(٧)] :

فإن المنيةَ من يخْشَها فسوف تصادِفُه أيْنَما

وهو يريدُ : أينما ذهَب . وكما تقولُ العربُ : أتيتُك من قبلُ ومن بعدُ . تُرِيدُ:

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢: « ذلك » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢: « زريع » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢: « سلا » .

(٥) فى ر : « فذلك » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١١١ - ١١٢ ، ٣٤٤ .

(٧) البيت فى الصناعتين ١٨٣ ، والخزانة ١٠١/١١ وشرح التصريح ٢/ ٢٥٣.

من قبلِ ذلكَ ومن بعدِ ذلكَ . فكذلك ذلك فى « إذا » ، كما يقولُ القائلُ : إذا أكرَمك أخوك فأكرِمْه ، وإذا لا فلَا . يريدُ : وإذا لم يُكرِمْك[1] فلا تُكرِمْه . ومن ذلك قولُ الآخرِ[2] .

فإذا وذلك لا يضُرُّك ضُرُّه[3] فى يومِ أسألُ[4] نائلًا أو أنكَدَا

نظيرَ ما ذكَرْنا من المعنى فى بيتِ الأسودِ بنِ يَعفُرَ . وكذلك معنى قولِ اللّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . لو أُبْطِلَتْ « إذْ » وحذِفتْ من الكلامِ ، لاستحالَ عن[5] معناه الذى هو به وفيه « إذْ » .

فإن قال قائلٌ : فما معنى ذلك ، وما الجالبُ لـ « إذ » ، إذا[6] لم يكنْ فى الكلامِ قبلَه ما يُعطَفُ به عليه ؟

قيل له : قد ذكَرنا فيما مضَى أن اللّهَ تعالى ذكرُه [٣٤/٢ظ] خاطَب الذين خاطَبهم بقولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ . بهذه الآياتِ والتى بعدَها مُوَبِّخَهم ومُقَبِّحًا إليهم سوءَ فِعالِهم ومُقامِهم على ضلالِهم مع النعمِ التى أنعَمها عليهم وعلى أسلافِهم ، ومُذَكِّرَهُم - بتعديدِ نِعَمِه عليهم وعلى أسلافِهم - بأسَه أن يسلُكوا سبيلَ مَن هلَك من أسلافِهم فى معصيتِه ، فيسلُكَ بهم سبيلَهم[7] فى

(١) فى ت ١: « يكن معك » .

(٢) التبيان ١/ ١٣١.

(٣) فى ص ، والتبيان : « ضرة » ، وفى ر : « ضيرة » .

(٤) فى ص ، م : « أثل » .

(٥) فى ت ١، ت ٢: « من » .

(٦) فى ص ، م : « إذ » .

(٧) فى ت ١: « سبيله » .

عقوبتِه ، ومُعرِّفَهم ما كان منه من تعطُّفِه على التائبِ منهم ، استعتابًا منه لهم ، فكان
١٩٧/١ مما عدَّدَ من نِعَمِه عليهم ، أنه خلَق لهم ما فى الأرضِ / جميعًا ، وسخَّر لهم ما فى السماواتِ ؛ من شمسِها وقمرِها ونجومِها وغيرِ ذلك من منافعِها التى جعَلها لهم ولسائرِ بنى آدمَ معهم منافعَ ، فكان فى قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . معنى[(١)] : اذكُروا نعمتى[(٢)] عليكم إذ خلَقتُكم ولم تكونوا شيئًا ، وخلَقتُ لكم ما فى الأرض جميعًا ، وسوَّيتُ لكم ما فى السماءِ . ثم عطَف بقولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ على المعنى المقتضَى بقولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ إذ كانَ مُقتضيًا ما وصفتُ من قولِه : اذكُروا نِعمتى إذْ فعلتُ بكم وفعلتُ ، واذكُروا فِعْلِى بأبِيكم آدمَ ، إذْ قلتُ للملائكةِ : إنى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً .

فإن قال قائلٌ : فهل لذلك من نظيرٍ فى كلامِ العربِ نعلَمُ به صحةَ ما قلتَ ؟

قيل : نعم ، أكثرُ مِن أن يُحصَى ، من ذلك قولُ الشاعرِ[(٣)] :

أجِدَّك لن تَرَى بثُعَيْلِباتٍ[(٤)] ولا بَيْدانَ[(٥)] ناجيةً[(٦)] ذَمُولا[(٧)]

---

(١) فى ر : « معناه » .

(٢) بعده فى م : « التى أنعمت » .

(٣) البيتان للمرار بن سعيد الفقعسى، وهما فى مجالس ثعلب ١/ ١٥٩، واللسان (ب ى د ، ن ش غ ، ط ف ل) .

(٤) فى ص : « بتعيلنات » . وثعيلبات تصغير جمع ثعلبة : موضع . معجم البلدان ١/ ٩٢٧.

(٥) بيدان : جبل أحمر مستطيل من أخيلة حمى ضرية . معجم البلدان ١/ ٧٨٣.

(٦) الناجية : الناقة السريعة . التاج (ن ج و) .

(٧) الذميل : ضرب من سير الإبل ، وقيل : هو السير اللين ما كان ، وقيل : هو فوق العنق . اللسان (ذ م ل) .

ولا متدارَكِ[(١)] والشمسُ طِفْلٌ ببعضِ نواشغِ[(٢)] الوادى حُمُولَا

فقال : ولا مُتدارَكِ . ولم يتقدَّمْه فعلٌ بلفظِه يُعطَفُ[(٣)] به عليه ، ولا حرفٌ مُعرَبٌ إعرابَه فيُرَدَّ « متدارك » عليه فى إعرابِه ، ولكنه لما تقدَّمه فعلٌ مجحودٌ بـ « لن »[(٤)] يَدُلُّ على المعنى المطلوبِ فى الكلامِ من[(٥)] المحذوفِ ، استغْنَى بدَلالةِ ما ظَهَر منه عن إظهارِ ما حُذِف ، وعامَل الكلامَ فى المعنى والإعرابِ معاملتَه أن[(٦)] لو كان ما هو محذوفٌ منه ظاهرًا ؛ لأن قولَه :

* أجِدَّك لن تَرَى بثُعَيْلِباتٍ *

معناه : أجِدَّك لستَ براءٍ . فردَّ « مُتدارَكًا » على مَوضعِ « تَرَى » ، كأن « لست » والباءَ[(٧)] موجودتان فى الكلامِ . فكذلك قولُه :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ . لمّا سلَف قبلَه تذكيرُ اللهِ جلّ وعزَّ المخاطَبين به ما سلَف قِبلَهم وقِبلَ آبائِهم من أيادِيه وآلائِه ، وكان قولُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ [٣٥/٢و] لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ مع ما بعدَه من النِّعَمِ التى عدَّدَها عليهم ، ونبَّههم على مواقعِها - ردَّ « إذْ » على موضعِ ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ﴾ . لأن معنى ذلك : اذكُروا هذه من نِعَمِى[(٨)] ، وهذه التى قلتُ فيها للملائكةِ . فلمّا كانت الأولى مُقتضيةً « إذ » ، عطَف

---

(١) فى اللسان : « متلاقيا » .

(٢) النواشغ : مجارى الماء فى الوادى . التاج (ن ش غ) .

(٣) فى ر : « يفعله » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « بأن » .

(٥) فى م : « وعلى » .

(٦) فى ص : « إذ » .

(٧) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « الياء » .

(٨) فى ص : « نعمتى » .

(١) بـ « إذ » (١) على موضعِها فى الأولى ، كما وصَفْنا من فِعْلِ(٢) الشاعرِ فى : ولا مُتدارِكٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ .

والملائكةُ جمعُ مَلْأَكٍ(٣) ، غيرَ أن أحدَهم بغيرِ الهمزِ أكثرُ وأشهرُ فى كلامِ العربِ منه بالهمزِ ، وذلك أنهم يقولون فى واحدِهم : مَلَكٌ من الملائكةِ . فيحذِفون الهمزَ منه ، ويُحرِّكون اللامَ التى كانت مُسَكَّنةً لو هُمِزَ الاسمُ ، وإنما يُحرِّكونها بالفَتْحِ لأنهم ينقُلونَ حركةَ الهمزةِ التى فيه بسقوطِها(٤) إلى الحرفِ الساكنِ قبلَها ، فإذا جمَعوا واحدَهم ردُّوه(٥) فى(٦) الجمعِ إلى الأصلِ (٧) وهمَزُوا(٧) ، فقالوا : ملائكةٌ . وقد تفعَلُ العربُ نحوَ ذلك كثيرًا فى كلامِها ، فتترُكُ الهمزَ فى الكلمةِ التى هى مهموزةٌ فيجرِى كلامُهم بتَرْكِ هَمْزِها فى حالٍ ، وبهمزِها فى أُخرى ، كقولِهم : رأيتُ فلانًا . فجرَى كلامُهم بهمزِ « رأيتُ » ، ثم قالوا : نرَى / وترَى ويَرى . فجرَى كلامُهم فى « يفعل » ونظائرِها بتركِ الهمزِ ، حتى صار الهمزُ معها شاذًّا ، مع كونِ الهمزِ فيها أصلًا . فكذلك ذلك فى « مَلَك وملائكة » ، جرَى كلامُهم بتركِ الهمزِ من واحدِهم ، وبالهمزِ ١٩٨/١

(١ - ١) فى م : « وإذ » .
(٢) فى م : « قول » .
(٣) فى ص ، ر ، م : « ملك » .
(٤) فى ص : « فسقوطها » ، وفى ر : « لسقوطها » .
(٥) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ردوا » .
(٦) سقط من : ص ، م .
(٧ - ٧) فى الأصل : « فهمزوا » .

فى جميعِهم ، وربما جاء الواحدُ منهم[(١)] مهموزًا ، كما قال الشاعرُ[(٢)] :

فلستَ بجنِّىٍّ[(٣)] ولكنْ مَلْأَكًا[(٤)] تحدَّر من جوِّ السماءِ يَصُوبُ

وقد يقالُ فى واحدِهم : مألَكٌ . فيكونُ ذلك مثلَ قولِهم : جبَذ وجذَب ، وشَأْمَلَ وشمْأَل[(٥)] . وما أشبهَ ذلك من الحروفِ المقلوبةِ[(٦)] ، غيرَ أن الذى يجبُ إذا سُمِّىَ واحدُهم : مألكٌ[(٧)] ، أن يُجمَعَ إذا جُمِعَ على ذلك : مآلكُ ، ولستُ أحفظُ جمعَهُم كذلك سماعًا ، ولكنهم قد يَجمعون : ملائِكُ ، و ملائِكةٌ ، كما يُجْمَعُ أشعثُ : أشاعثُ وأشاعِثةٌ ، ومِسْمَعٌ : مَسامعُ ومَسامِعَةٌ . قال أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ فى جمعِهم كذلك[(٨)] :

[٣٥/٢ظ] وفيها مِنْ عبادِ اللّهِ قومٌ ملائِكُ ذُلِّلوا وهُمُ صِعابُ

وأصلُ الملأكِ[(٩)] الرسالةُ ، كما قال عدىُّ بنُ زيدٍ العِبادِىُّ[(١٠)] :

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٢) تقدم تخريج البيت فى ص ٣٥٠.

(٣) فى م : « لإنسى » .

(٤) فى م : « لملأك » .

(٥) فى ص : « شمل » .

(٦) قلب الشيء : حوله ظهرًا لبطن . والقلب المكانى باب من أبواب التصريف ، يقع فيه تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وأكثر ما يتفق القلب فى المعتل والمهموز ، وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوّه . وأنواعه كثيرة . ينظر التاج (ق ل ب) ، وفهارس سيبويه ، وفهارس المقتضب ، والخصائص ٢/ ٨٨، وشرح الرضى على الشافية ٢١/١ فما بعدها . وينظر أيضا القلب والإبدال لابن السكيت نشرة هفنر ؛ ضمن مجموعة الكنز اللغوى .

(٧) فى ص : « ملك » .

(٨) ديوانه ص ٦٢.

(٩) فى ص : « الملك » .

(١٠) البيت فى الأغانى ٢/ ١١٤، والعقد الفريد ٥/ ٢٦١، وكتاب ليس فى كلام العرب لابن خالويه =

أبلغِ النعمانَ عنى ملأَكًا[١] أنه قد طال حَبْسِى وانتظارِى[٢]

وقد يُنشَدُ : مَألَكًا ، على اللغةِ الأخرَى . فمن قال : ملأكًا . فهو « مَفْعَل » ، من : [٣]لأَكَ إليه يَلأَكُ[٤][٣] ، إذا أرسَل إليه رسالةً ، مَلأَكةً[٥] . ومن قال : مَألَكًا . فهو « مَفعَل » ، من : ألَكتُ إليه آلِكه[٦] ، إذا أرسلتَ إليه ، مألكةً وألُوكًا . كما قال لَبيدُ ابنُ[٧] ربيعةَ[٨] :

وغُلامٍ أرسلَتْه أمُّه بألوكٍ فبَذَلْنا ما سأَلْ

فهذا من : ألَكت . ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبيانَ[٩] :

ألِكْنِى يا عُيَينَ إليك قولًا [١٠]سأُهْدِيه[١١] إليك إليك عنِّى[١٠]

وقال عبدُ بنى الحَسْحاسِ[١٢] :

ألِكْنى إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى بآيةِ ما جاءت إلينا تهادِيَا

= ص ٤٧. والرواية فيهن جميعًا : « مألكا » .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢: « مألكا » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢: « انتظار » .

(٣ - ٣) فى ص : « لاك إليه يلك » .

(٤) فى م : « يلئك » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢: « ملكه » .

(٦) فى م : « ألك » .

(٧) بعده فى م : « أبى » .

(٨) شرح ديوان لبيد ص ١٧٨.

(٩) ديوانه ص ١٩٧.

(١٠ - ١٠) فى م : « ستهديه الرواة إليك عنى » .

(١١) فى الديوان : « سأبديه » .

(١٢) تقدم البيت وتخريجه فى ص ١٠٤.

يعنى بذلك : أبلِغها رسالتى . فسُمِّيتِ الملائكةُ ملائكةً بالرسالةِ ؛ لأنها رسُلُ اللّهِ بينَه وبينَ أنبيائِه ومَن أُرسِلتْ إليه مِن عبادِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعز : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ[1] قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : إنى فاعلٌ .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جريرِ بنِ حازمٍ[2] ومباركٍ ، عن الحسنِ ، وأبى بكرٍ - يعنى الهُذَلىَّ - **عن** الحسنِ وقتادةَ ، قالوا : قال اللّهُ تعالى ذِكْرُه لملائكتِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قال لهم : إنى فاعلٌ[3] .

وقال آخرون : إنى خالقٌ .

/[٣٦/٢و] ذِكرُ من قال ذلك ١٩٩/١

حُدِّثت عن المِنجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، قال : كلُّ شىءٍ فى القرآنِ « جعَل » فهو « خلَق »[4] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « خازم » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨، ١٠١ مطولا . وسيأتى بتمامه فى ص ٤٩٢ .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٦ (٣١٥) من طريق سعيد بن سليمان ، عن مبارك ، عن الحسن به .
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٤ إلى المصنف عن الحسن وحده .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٤ إلى المصنف من قول الضحاك .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . إنِّى مُستخلِفٌ فيها[(١)] خليفةً ، ومُصَيِّرٌ فيها خُلَفاءَ[(٢)] . وذلك شبيهٌ بتأويلِ قولِ الحسنِ وقتادةَ .

وقيل : إن الأرضَ التى ذكَرها اللَّهُ جل ثناؤُه فى هذه الآيةِ هى مكةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ سابطٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « دُحِيتِ الأرضُ مِن مكَّةَ ، وكانتِ الملائكةُ تطُوفُ بالبيتِ ، فهى أولُ من طاف به ، وهى الأرضُ التى قال اللَّهُ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وكان النبىُّ إذا هلَك قومُه ونَجا هُوَ والصالحون ، أتاها[(٣)] هو ومَن معه فعبَدوا اللَّهَ بها حتى يموتوا ، فإنَّ قبرَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ بينَ زمزمَ والرُّكنِ والمَقامِ »[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ خَلِيفَةً ﴾ .

والخليفةُ الفَعِيلةُ ، من قولِك : خلَف فلانٌ فلانًا فى هذا الأمرِ[(٥)] ، إذا قام مَقامَه فيه بعدَه ، كما قال تعالى ذكرُه . ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ

---

(١) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فى الأرض » .

(٢) فى ص ، ر : « خلقا » .

(٣) فى م : « أتى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦/١ (٣١٧) من طريق عطاء به مختصرًا ، وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى ابن عساكر ، وينظر مختصر تاريخ دمشق ١٥٦/٢٧ ، ١٥٧ .

وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٠ : وهذا مرسل ، وفى سنده ضعف ، وفيه مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم ، فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك .

(٥) فى ر : « الإقرار » .

﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]. يَعْنى بذلك أنه أبدَلكم فى الأرضِ منهم، فجعلكم خُلفاءَ [(١] بعدَهم، ومن ذلك قيل للسلطانِ الأعظمِ: خليفةٌ. لأنه خلَف الذى كان قبلَه، فقام بالأمرِ مَقامَه، فكان منه خَلَفًا [١)]، يقالُ منه: خَلَف الخليفةُ يخلُفُ خِلافةً وخِلِّيفَى [(٢)].

وكان ابنُ إسحاقَ يقولُ بما حدَّثنا [(٣)] به ابنُ حُميدٍ، قال: حدَّثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - يقولُ: ساكنًا وعامرًا يَسكُنُها ويَعْمُرُها - ليسَ خَلْقًا [(٤)] منكم [(٥)].

وليس الذى قال ابنُ إسحـاقَ فى معنى «الخليفةِ» بتأويلِها [(٦)]، وإن كان اللَّهُ [٣٦/٢ظ] تعالى ذكرُه إنما أخبَر ملائكتَه أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً يَسكُنُها، ولكن معناها ما وصفتُ قبلُ.

فإن قال لنا قائلٌ: فما الذى كان فى الأرضِ قبلَ بنى آدمَ لها عامرًا، فكان بنو آدمَ منه بدلًا، وفيها منه [(٧)] خَلَفًا؟

قيلَ: قد اختلف أهلُ التأويلِ فى ذلك؛ فحدَّثنا أبو كُريبٍ، قال: حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، عن أبى رَوْقٍ، عن الضحاكِ، عن ابنِ

(١ - ١) سقط من: ت ١، ت ٢.

(٢) الخليفى، بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء: الخلافة، وقيل: هو مبالغة فى الخلافة لا نفسها، ويدل على كثرة الجهد فى أمور الخلافة وتصريف أعنتها. التاج (خ ل ف).

(٣) فى ر: «حدثكم».

(٤) فى ر: «خلفا».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦/١ (٣١٦) من طريق سلمة به. وسيأتى بتمامه فى ص ٤٩٦.

(٦) فى ص: «بتأويلهما».

(٧) فى الأصل: «منهم».

عباسٍ ، قال : أولُ من سكَن الأرضَ الجنُّ ، فأفسَدوا فيها ، وسفَكوا[(١)] الدماءَ ، وقتَل بعضُهم بعضًا . قال : فبعَث اللهُ إليهم إبليسَ فى جندٍ مِن الملائكةِ ، فقتَلهم إبليسُ ومن معه[(٢)] ، حتى ألحقُوهم[(٣)] بجزائرِ البحورِ وأطرافِ الجبالِ ، ثم خلَق اللهُ آدمَ فأسكَنه إياها ، فلذلك قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[(٤)] .

[(٥)]فعلى هذا[(٥)] القولِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ من الجنِّ يَخلُفونهم[(٦)] فيها فيسكُنونها ويَعْمُرُونها .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية . قال : إن
١/٢٠٠ اللّهَ خلَقَ الملائكةَ يومَ الأربعاءِ ،/ وخلَق الجنَّ يومَ الخميسِ ، وخلَق آدمَ يومَ الجمُعةِ ، قال : فكفَر قومٌ مِن الجنِّ ، فكانتِ الملائكةُ تهبِطُ إليهم فى الأرضِ فتُقاتِلُهم ، فكانت الدماءُ وكان الفسادُ فى الأرضِ[(٧)] .

وقال آخرون فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . أى : خُلَفاءَ[(٨)]

---

(١) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فيها » .
(٢) فى الأصل : « معهم » .
(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ألحقهم » .
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن المصنف .
وأخرجه الحاكم ٢٦١/٢ من طريق مجاهد عن ابن عباس به بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد .
(٥ - ٥) فى ر : « فعنى بها » .
(٦) فى الأصل : « يخلقونه » .
(٧) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٤. وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٨٨٢) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم وأبى الشيخ عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ٧٧/١ (٣٢٢) .
(٨) فى ر : « خلقا » ، وفى م : « خلفا » .

يخلُفُ بعضُهم بعضًا ، وهم ولدُ آدمَ الذين يَخْلُفون أباهم آدمَ ، ويَخْلُفُ كلُّ قرنٍ منهم القرنَ الذى سلَف قبلَه . وهذا قولٌ حُكِى[1] عن الحسنِ البصرىِّ .

ونظيرٌ له ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزّبيرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن ابنِ سابطٍ فى قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ قال : يَعنُون به بنى آدمَ[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قال اللَّهُ للملائكةِ : إنى أُريدُ أن أخلُقَ فى[3] الأرضِ خَلْقًا ، وأجعلَ فيها خليفةً . وليس للّهِ يومئذٍ خَلْقٌ إلا الملائكةُ ، والأرضُ ليس فيها خلقٌ[4] .

[٣٧/٢و] وهذا القولُ يَحْتَمِلُ ما حُكِى عن الحسنِ ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ أراد ابنُ زيدٍ أن اللّهَ تعالى ذِكْرُه أخبَر الملائكةَ أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً له ، يَحْكُمُ فيها بينَ خلْقِه بحُكْمِه ، نظيرَ مَا **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو ابنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، (٥ عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، ٥) **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أن اللّهَ جلَّ ثناؤُه قال للملائكةِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قالوا : ربَّنا وما يَكُونُ ذلك الخليفةُ ؟ قال يكونُ له ذريةٌ يُفسِدُون فى الأرضِ

---

(١) فى الأصل : « يحكى » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن الثورى به . وينظر ما سيأتى فى ص ٤٩١ .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن ابن زيد . وهو جزء من الأثر الآتى فى ص ٤٩٥ .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

وَيَتَحَاسَدونَ ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا[(١)].

فكان تأويلُ الآيةِ على هذه الروايةِ التى ذكَرناها عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ : إنى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً منِّى يَخْلُفُنى فى الحكمِ بينَ خَلْقِى ، وذلك الخليفةُ هو آدمُ وَمَن قامَ مَقامَه فى طاعةِ اللَّهِ ، والحكمِ بالعدلِ بينَ خَلْقِه . وأما الإفسادُ وسفكُ الدماءِ بغيرِ حَقِّها فمن غيرِ خلفائِه ، ومن غيرِ آدمَ ومَن قام مَقامَه فى عبادِ اللَّهِ ؛ لأنهما أخبرَا أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه قال لملائكتِه إذْ سألوه : ما ذاك الخليفةُ ؟ : إنه خليفةٌ تكونُ له ذريةٌ يُفْسِدون فى الأرضِ ويتحاسَدون ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا . فأضاف الإفسادَ وسفْكَ الدماءِ بغيرِ حقِّها إلى ذريةِ خَليفتِه دونَه ، وأخرَج منه خليفتَه .

وهذا التأويلُ وإن كان مخالفًا فى معنى الخليفةِ ما حُكِى عن الحسنِ من وجهٍ ، فموافقٌ له من وجهٍ ، فأما موافقتُه إياه فصرْفُ متأوِّليه إضافةَ الإفسادِ فى الأرضِ وسَفْكِ الدماءِ فيها إلى غيرِ الخليفةِ . وأما مخالفتُه إياه ، فإضافتُهم الخلافةَ إلى آدمَ بمعنى استخلافِ اللَّهِ إياه فيها . وإضافةُ الحسنِ الخلافةَ إلى ولدِه ، بمعنى خلافةِ بعضِهم بعضًا ، وقيامِ قرْنٍ منهم مَقامَ قَرْنٍ قبلَهم ، وإضافةِ الإفسادِ فى الأرض وسَفْكِ الدماءِ إلى الخليفةِ .

والذى دعَا المتأوِّلين قولَه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ التأويلَ[(٢)] [٢/٣٧ظ] الذى ذُكِر عن الحسنِ - إلى ما قالوا فى ذلك ؛ أنّهم قالوا : إن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن السدى به.

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٧/١ (٣٢٤) من طريق السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس وحده ، نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/١ إلى عبد بن حميد . وسيأتى مطولا فى ص ٤٨٦- ٤٨٨، ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) فى م : « فى التأويل » .

الملائكةَ إنما قالت لربِّها – إذ قال لهم ربُّهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ – : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . إخبارًا منها بذلك عن الخليفةِ الذى أخبَر اللَّهُ جلَّ ذِكْرُه أنه جاعِلُه فى الأرضِ لا عن[1] غيرِه ؛ لأن [2]المحاورةَ بين[2] الملائكةِ وبين ربِّها عنه جرتْ . قالوا : فإذ كان ذلك كذلك ، وكان اللَّهُ تعالى ذِكْرُه قد برَّأ آدمَ من الإفسادِ فى الأرضِ وسفْكِ الدماءِ ، وطهَّره من ذلك ، عُلِم أن الذى عُنى به غيرُه من ذرِّيتِه . فثبَت أن / الخليفةَ الذى يفسِدُ فى الأرضِ ويَسفِكُ الدماءَ هو ١/٢٠١
غيرُ آدمَ ، وأنهم ولدُه الذين فعلُوا ذلك ، وأن معنى الخلافةِ التى ذكَرها اللَّهُ إنما هى خلافةُ قَرْنٍ منهم قرنًا ، عندَهم[3] ؛ لما وصَفْنا . وأغفَل قائلُو هذه المقالةِ ومتأوِّلو الآيةِ هذا التأويلَ سبيلَ التأويلِ ، وذلك أن الملائكةَ – إذ قال لها ربُّها : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ – لم تُضِفِ[4] الإفسادَ وسفْكَ الدماءِ فى جوابِها ربَّها إلى خليفتِه فى أرضِه ، بل قالت : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . [5]وغيرُ مُنكرٍ أن يكونَ ربُّها أعلَمَها أنه يكونُ لخليفتِه ذلك ذريةٌ يكونُ منهم الإفسادُ وسفكُ الدماءِ ، [6]فقالت : يا ربَّنا ، أتجعلُ فيها من يفسِدُ فيها ويسفِكُ الدماءَ[5][6] . كما قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ ومَن حكَيْنا ذلك عنه من أهلِ التأويلِ[7] .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ر : « المجاورة من » .

(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « غيرهم » . وعندهم . يعنى عند هؤلاء المتأولين .

(٤) فى ص : « تصف » ، وفى : ت ٢: « يصف » .

(٥ - ٥) سقط من : ر .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) بعده فى ص : « على الأصل المنقول منه بلغت من أوله قراءتى على القاضى أبى الحسن الخصيب بن عبد الله الخصيبى عن أبى محمد الفرغانى عن أبى جعفر الطبرى . وسمع معى أخى على بن أحمد بن =

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه خبرًا عن ملائكتِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : وكيف قالتِ الملائكةُ لربِّها ، إذ أخبَرها أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً : ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . ولم يكنْ آدمُ بعدُ مخلوقًا ولا ذريتُه ، فيعلَموا ما يفعَلون عِيانًا ؟ أعلِمتِ الغيبَ فقالت ذلك ، أم [١/٣٨و] قالت ما قالت مِن ذلك ظنًّا ؟ فذلك شهادةٌ منها بالظنِّ ، وقولٌ بما لا تعلمُ ، وذلك ليس مِن صفتِها ، أمْ ما وجهُ قِيلِها ذلك لربِّها ؟

قيل : قد قالتِ العلماءُ من أهلِ التأويلِ فى ذلك أقوالًا ، ونحن ذاكِرو أقوالِهم فى ذلك ، ثم مُخْبِرون بأصحِّها برهانًا وأوضحِها حُجةً .

فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما حدثنا به أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ مِن حىٍّ مِن أحياءِ الملائكةِ يقالُ لهم : الجنُّ(١) . خُلِقوا من نارِ السَّمومِ مِن بينِ الملائكةِ . قال : وكان اسمُه الحارثَ . قال : وكان خازنًا مِن خُزَّانِ الجنةِ . قال : وخُلِقتِ الملائكةُ كلُّهم مِن نورٍ غيرَ هذا الحىِّ . قال : وخُلِقتِ الجنُّ الذين ذكِروا فى القرآنِ من مارجٍ من نارٍ - وهو لسانُ النارِ الذى يكونُ فى طرَفِها إذا أُلهِبَت - قال : وخلِق الإنسانُ (٢من طينٍ٢) ، فأولُ مَن سكَن الأرضَ الجنُّ ، فأفسَدوا فيها وسفَكوا الدماءَ ، وقتَل بعضُهم بعضًا . قال : فبعَث اللَّهُ جلَّ وعزَّ إليهم

= عيسى ونصر بن الحسن الطبرى . وسمع أبوالفتح أحمد بن عمر الجهارى من موضع سماعه . وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربع مائة ، بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم » .

(١) فى ص : « الحن » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

إبليسَ فى جندٍ مِن الملائكةِ - وهم[١] هذا الحىُّ [٢]الذين يُقالُ لهم : الجنُّ[٢] - فقتَلهم إبليسُ ومن معه حتى ألحَقَهم بجزائرِ البُحورِ وأطرافِ الجبالِ ، فلما فعَل إبليسُ ذلك اغـترَّ[٣] فى نفسِه ، وقال : قد صنَعْتُ شيئًا لم يَصْنَعْه أحدٌ . قال : فاطَّلع اللَّهُ على ذلك مِن قلبِه ، ولم تطَّلِعْ عليه الملائكةُ الذين كانوا معه ، فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه للملائكةِ [٤]الذين معه[٤] : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فقالتِ الملائكةُ مجيبِين له : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ، كما أفسدتِ الجنُّ وسفَكتِ الدماءَ ، وإنما بعَثْتَنا[٥] عليهم لذلك ، فقال : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : إنى قد اطَّلعتُ من قلبِ إبليسَ على ما لم تطَّلعوا عليه من كِبْرِه واغْتِرارِه[٦] .

قال : ثم أمَر بتربةِ آدمَ فرُفِعَت ، فخلَق اللَّهُ آدمَ مِن طينٍ لازِبٍ - واللازِبُ اللَّزِجُ الطيِّبُ[٧] - مِن حمأٍ مَسْنونٍ مُنْتِنٍ . قال : وإنما كان حمأً مسنونًا بعدَ الترابِ . قال : فخلَق [١/٣٨ظ] منه آدمَ عليه السلامُ بيدِه . قال : فمكَث أربعينَ ليلةً جسدًا ملقًى ، فكان إبليسُ يَأْتِيه فيَضْرِبُه برِجْلِه فيُصَلْصِلُ - أى[٨] : فيُصَوِّتُ - قال : فهو / قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] . يقولُ : ١/٢٠٢
كالشىءِ المنفوخِ[٩] الذى ليس بمُصمَتٍ[١٠] . قال : ثم يَدْخلُ فى فِيه ويَخرجُ من دُبُرِه ،

(١) فى الأصل : « هو » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى الأصل ، ص : « اعتز » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) فى ص ، م : « بعثنا » ، وفى ت ٢ : « بغينا » ، وفى ت ١ : « بقينا » .
(٦) فى الأصل ، ص : « اعتزازه » .
(٧) فى ص ، ر ، م ، ت ١ : « الصلب » .
(٨) زيادة من : م .
(٩) فى ر ، ت ٢ : « المنفرج » .
(١٠) المصمت : الذى لا جوف له . اللسان (ص م ت) .

ويَدْخلُ من دُبُره ، ويَخرُجُ من فِيه ، ثم يقولُ : لستَ شيئًا للصلصلةِ ، ولشيءٍ ما خُلقتَ ، لئن سُلِّطتُ عليك لأُهلِكَنَّك ، ولئن سُلِّطْتَ عليَّ لأَعْصِيَنَّك . قال : فلما نفَخ اللَّهُ فيه من رُوحِه ، أتَتِ النَّفخةُ مِن قِبلِ رأسِه فجعَل لا يَجرِى شىءٌ منها فى جسدِه إلا صار لحمًا ودمًا ، فلما انتهتِ النفخةُ إلى سُرَّتِه نظَر إلى جسدِه ، فأعْجَبه ما رأى مِن حُسنِه ، فذهَب ليَنهضَ فلم يَقدِرْ ، فهو قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَانَ[1] ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١] . قال : ضجِرًا لا صبْرَ له على سَرَّاءَ ولا ضَرّاءَ . قال : فلما تمَّتِ النفخةُ فى جسدِه عطَس فقال : الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين . بإلهامِ اللَّهِ له ، فقال اللَّهُ له : يَرْحَمُكَ اللَّهُ يا آدمُ . قال : ثم قال اللَّهُ للملائكةِ الذين كانوا مع إبليسَ خاصةً دونَ الملائكةِ الذين فى السماواتِ : اسْجُدوا لآدمَ . فسجَدوا كلُّهم أجمعون إلا إبليسَ أبَى واستكبر ، لما كان[2] حدَّث به[3] نفسَه مِن كِبْرِه واغتِرارِه[4] ، فقال : لا أسجدُ له ، وأنا خيرٌ منه ، وأكبر سنًّا وأقوى خلقًا ، ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] . يقولُ : إن النارَ أقْوَى مِن الطينِ . قال : فلما أبَى إبليسُ أن يسجدَ أبْلَسَه اللَّهُ ، أى[5] : آيَسَه مِن الخيرِ كلِّه ، وجعَله شيطانًا رَجيمًا عقوبةً لمعصيتِه .

ثم علَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ، وهى هذه الأسماءُ التى يَتعارَفُ بها الناسُ ؛ إنسانٌ ودابةٌ وأرضٌ وسهلٌ وبحرٌ وجبلٌ[6] وحمارٌ ، وأشباهُ ذلك مِن الأممِ وغيرِها ، ثم عرَض

---

(١) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « خلق » ، وفى الدر المنثور : « خلق الإنسان من عجل » ، وفى تفسير ابن كثير تركت على الخطأ كما جاءت فى المخطوطات الخمس المذكورة .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من : الأصل ، ر .

(٤) فى ص : « اعتزازه » .

(٥) سقط من : الأصل ، وفى م : « و » .

(٦) فى ص : « حبل » .

هذه الأسماءَ على أولئك الملائكةِ - يعنى الملائكةَ الذين كانوا مع إبليسَ الذين خُلِقوا مِن نارِ السمومِ - وقال لهم : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يقولُ : أخْبِرُونى بأسماءِ هؤلاء ، ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ : (١) إن كنتم (١) تَعلمون لِمَ (٢) أجعَلُ فى الأرضِ خليفةً . قال : فلمّا علِمتِ الملائكةُ مُؤاخذةَ (٣) اللَّهِ عليهم فيما تكلَّموا به من علمِ الغيبِ الذى لا يعلمُه غيرُه ، الذى ليس لهم به علمٌ ، قالوا : ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ - تنزيهًا للَّهِ مِن أن يكونَ أحدٌ [٣٩/٢و] يعلمُ الغيبَ غيرَه - تبنا إليك ، ﴿ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ﴾ - تبرِّيًا منهم من علمِ الغيبِ - ﴿ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ﴾ كما علَّمْتَ آدمَ . فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ . يقولُ : أخبِرْهم بأسمائِهم ، ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ . (٤) يقولُ : أخبَرَهم (٤) بأسمائهم ، ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾ أيها الملائكةُ خاصةً : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، ولا يَعْلَمُه غيرى ، ﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾ . يقول : ما تُظْهِرون ، ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ . يقول : أعلمُ السرَّ كما أعلمُ العَلانيةَ ، يعنى ما (٥) كتَم إبليسُ فى نفسِه مِن الكِبْرِ والاغْتِرارِ (٦) .

وهذه الروايةُ عن ابنِ عباسٍ تُنبئُ عن أن قولَ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذۡ قَالَ

(١ - ١) فى ص ، ر ، م : « أنكم » .

(٢) فى ص ، م ، ت٢ : « أنى » .

(٣) فى ص : « موجدة » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٥) فى ص ، ر : « مما » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٤، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ١٠٠ مفرقًا .

وعزاه ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٨ إلى المصنف بطوله ، وقال عقبه : هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور .

رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . خطابٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ لخاصٍّ مِن الملائكةِ دونَ الجميعِ ، وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكةِ كانوا قبيلةَ إبليسَ خاصةً ، الذين قاتَلوا معه جنَّ الأرضِ قبلَ خلقِ آدمَ ، وأن اللَّهَ إنما خصَّهم بقيلِ ذلك امتحانًا منه لهم وابتلاءً ؛ ليعرِّفَهم قصورَ علْمِهم وفضْلَ كثيرٍ ممَّن هو أضعفُ خَلْقًا منهم من خَلْقِه عليهم ، وأن كرامتَه لا تُنالُ بقُوَى الأبدانِ وشدةِ الأجسامِ ، كما ظنَّه إبليسُ عدوُّ اللَّهِ ، ومُصَرِّحٌ[(١)] بأن قِيلَهم لربِّهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . كانت هَفوةً منهم ورَجْمًا بالغيبِ ، وأن اللَّهَ أطْلَعَهم على
٢٠٣/١ مكروهِ ما نطَقوا به مِن ذلك ، ووقَّفهم عليه حتى تابوا وأنابوا / إليه مما قالوا ونطَقوا مِن رَجْمِ الغيْبِ بالظُّنونِ ، وتبرَّءُوا إليه من أن يَعْلَمَ الغيبَ غيرُه ، وأظْهَر لهم مِن إبليسَ ما كان مُنطوِيًا عليه من الكِبْرِ الذي قد كان عنهم مستَخْفِيًا .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ خلافُ هذه الروايةِ ، وهو ما **حدَّثني** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : لما فرَغ اللَّهُ مِن خلقِ ما أحبَّ ، استوى على العرشِ ، فجعَل إبليسَ على مُلْكِ سماءِ الدنيا ، وكان من قبيلةٍ من الملائكةِ يُقالُ لهم : الجنُّ . وإنما سُمُّوا الجنَّ لأنهم خُزَّانُ الجنةِ ، وكان إبليسُ مع مُلكِه خازنًا ، [٣٩/٢ظ] فوقَع في صدرِه كِبْرٌ ، وقال : ما أعطاني اللَّهُ هذا إلا لمزيدٍ[(٢)] لي - هكذا قال موسى ابنُ هارونَ ، وقد **حدَّثني** به[(٣)] غيرُه[(٤)] فقال : لـمَزِيَّةٍ لي - على الملائكةِ . فلما وقَع

---

(١) في ر : « تصرح » ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ : « يصرح » .
(٢) في الأصل ، وتاريخ المصنف : « لمزية » .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) هو أحمد بن أبي خيثمة ، كما صرح المصنف باسمه في تاريخه ١/ ٨٦.

ذلك الكِبْرُ فى نفسِه ، اطَّلَع اللَّهُ على ذلك منه ، فقال اللَّهُ للملائكةِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قالوا : ربَّنا ، وما يكونُ ذلك الخليفةُ ؟ قال : يكونُ له ذرية يُفْسِدُون فى الأرضِ ويتحاسَدون ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا . قالُوا : ربَّنا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى من شأنِ إبليسَ . فبعَث جبريلَ عليه السلامُ إلى الأرضِ ليأْتِيَه بطِينٍ منها ، فقالتِ الأرضُ : إنى أعوذُ باللَّهِ منك أن تَنقُصَ منى أو تَشِينَنى . فرجَع ولم يأخُذْ ، وقال : ربِّ إنها عاذَت بك فأعذْتُها . فبعَث اللَّهُ مِيكائيلَ ، فعاذَت منه فأعاذها ، فرجَع فقال كما قال جبريلُ ، فبعَث مَلَكَ الموتِ ، فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذُ باللَّهِ أن أرجِعَ ولم أُنفِذْ أمْرَه . فأخَذ مِن وجهِ الأرضِ وخلَط ، فلم يَأْخُذْ من مكانٍ واحدٍ ، وأخَذ مِن تُرْبةٍ حمراءَ وبيضاءَ وسوداءَ ، فلذلك خرَج بنو آدمَ مُخْتَلِفين ، فصَعِد به فبلَّ الترابَ حتى عاد طينًا لازبًا - واللازبُ هو الذى يَلْتَزِقُ بعضُه ببعضٍ - ثم تُرِك حتى أنْتَن وتغيَّر ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦] . قال : مُنْتِنٍ . ثم قال للملائكةِ : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١، ٧٢] . فخلَقه اللَّهُ بيدَيْه ، لكَيْلا يتكبَّرَ إبليسُ عنه ليقولَ له : تتكبَّرُ عما عمِلْتُ بيدىَّ ، ولم أتكبَّرْ أنا عنه ؟ فخلَقه بشرًا ، فكان جسدًا من طينٍ أربعين سنةً مِن مقدارِ يومِ الجمعةِ ، فمرَّت به الملائكةُ ، ففزِعوا منه لمَّا رأَوْه ، وكان أشدَّهم منه فزَعًا إبليسُ ، فكان يمرُّ به فيضربُه ، فيُصَوِّتُ الجسدُ كما يُصَوِّتُ الفَخَّارُ ، وتَكُونُ له صَلْصَلةٌ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤] . ويقولُ : لأمرٍ ما خُلِقْتَ . ودخَل مِن[1] فيه فخرَج مِن دُبُرِه . فقال للملائكةِ : لا تَرْهَبوا مِن هذا ، فإن ربَّكم صَمَدٌ وهذا أجوفُ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

لئن سُلِّطْتُ عليه لأُهْلِكَنَّه . فلمَّا بلَغ الحينَ الذى يُريدُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن يَنفُخَ فيه [٢/٤٠و] الرُّوحَ ، قال للملائكةِ : إذا نفَخْتُ فيه مِن رُوحى فاسْجُدوا له . فلمّا نفَخ فيه الرُّوحَ فدخَل الرُّوحُ فى رأسِه ، عطَس ، فقالت له الملائكةُ : قل : الحمدُ للَّهِ . فقال : الحمدُ للَّهِ . فقال له اللَّهُ : رحِمك ربُّك . فلما دخَل الروحُ فى عينَيْهِ نظَر إلى ثِمارِ الجنةِ ، فلمّا دخَل فى جوفِه اشْتهَى الطعامَ ، فوثَب قبلَ أن تَبْلُغَ الروحُ رجليْه عَجْلانَ إلى ثمارِ الجنةِ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ
١/٢٠٤ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر ٣٠، ٣١] أى[1] :/ استكبر وكان من الكافرين . قال اللَّهُ له : ما منَعك أنْ تَسجدَ إذ أمَرتُك لِما خلقْتُ بيدَىَّ . قال : أنا خيرٌ منه لم أكُنْ لأَسْجُدَ لبشرٍ خلقتَه من طينٍ . قال اللَّهُ له : اخْرُجْ منها فما يَكُونُ لك - يعنى: ما يَنْبغى لك - أنْ تَتَكَبَّرَ فيها ، فاخْرُجْ إنك مِن الصاغِرين . والصَّغارُ هو الذُّلُّ . قال : وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ، ثم عرَض الخلْقَ على الملائكةِ فقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ . فقالوا له : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . قال اللَّهُ : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال: قولُهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . فهذا الذى أبْدَوْا ، وأَعْلمُ ما كنتم تكْتُمون ، يعنى ما أسَرَّ إبليسُ فى نفسِه من الكِبْرِ[2] .

(١) فى م : « أبى » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨١، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ١٠٠ مفرقا .

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٧٧٣) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨ من طريق عمرو بن حماد به ، دون قوله : قال الله له : اخرج منها فما يكون لك ...

فهذا الخبرُ أولُه مُخالِفٌ معْناه معنى الروايةِ التى رُوِيتْ عن ابنِ عباسٍ مِن روايةِ الضحاكِ التى قدمْنا ذِكْرَها قبلُ ، وموافِقٌ معنى آخرِه معناها ، وذلك أنه ذُكِر فى أوَّلِه أن الملائكةَ سأَلت ربَّها : ما ذاك الخليفةُ ؟ حين قال لها : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فأجابها أنه تكونُ له ذُرِّيةٌ يُفسِدُون فى الأرضِ ويَتَحاسَدُون ويَقتلُ بعضُهم بعضًا ، فقالت الملائكةُ حينئذٍ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فكان قولُ الملائكةِ ما قالت لربِّها من ذلك بعدَ إعلامِ اللَّهِ إياها أن ذلك كائنٌ من ذريةِ الخليفةِ الذى يجعَلُه فى الأرضِ . [٢/٤٠ظ] فذلك معنى خلافِ أولِه معنى خبرِ الضحاكِ الذى ذكرْناه .

وأما موافقتُه إياه فى آخرِه ، فهو قولُهم فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أن بنى آدمَ يفسِدون فى الأرضِ ويَسْفِكون الدماءَ ، وأن الملائكةَ قالت – إذ قال لها ربُّها ذلك – تبَرِّيًا مِن علمِ الغيبِ : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا إذا تدَبَّره ذو الفهمِ ، علِم أنَّ أولَه يُفْسِدُ آخرَه ، وأن آخِرَه يُبطِلُ معنى أولِه ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكره إن كان أخبَرَ الملائكةَ أن ذريةَ الخليفةِ الذى يَجْعَلُه فى الأرضِ تُفْسِدُ فيها وتَسْفِكُ الدماءَ ، فقالتِ الملائكةُ لربِّها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فلا وجهَ لتوبيخِها على أن أخْبَرَت عمَّن أخْبَرَها اللَّهُ عنه أنه يُفسِدُ فى الأرضِ ويَسفِكُ الدماءَ ، بمثلِ الذى أخْبَرَها عنهم ربُّها ، فيَجُوزَ أن يُقالَ لها فيما طوَى عنها مِن العلومِ : إن كنتم صادقين فيما علِمْتُم بخبرِ اللَّهِ إياكم أنه كائنٌ مِن الأمورِ فأَخبَرْتُم به ، فأَخْبِرونا بالذى قد طوَى اللَّهُ عنكم علمَه ، كما قد أخْبَرْتُمونا بالذى قد أطْلَعَكم اللَّهُ (١ على علمِه ١) – بل ذلك خُلْفٌ مِن التأويلِ ، ودعوَى على اللَّهِ

(١ – ١) فى م : « عليه » .

ما لا يَجوزُ أن يكونَ [(١)] له صفةٌ ، وأخْشَى أن يَكُونَ بعضُ نَقَلةِ هذا الخبرِ هو الذى غَلِط على مَن رواه عنه مِن الصحابةِ [(١)] ، وأن يكونَ التأويلُ منهم [(٢)] كان فى [(٣)] ذلك : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ فيما ظنَنْتم أنكم أدْرَكْتموه مِن العلمِ بخبَرى إياكم أن بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ ، حتى اسْتَجَزْتم أن تَقُولوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فيكونُ التَّوْبيخُ حينئذٍ واقعًا على ما ظنُّوا أنهم قد أدْرَكوا بقولِ اللَّهِ لهم : إنه يكونُ له ذريةٌ يُفسِدون فى

١/٢٠٥ الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ . لا على / إخبارِهم بما أخبرهم اللَّهُ به أنه كائنٌ ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤه وإن كان أخبَرهم عما يكونُ مِن بعضِ ذريةِ خليفتِه فى الأرضِ ، ما يكونُ منه فيها مِن الفسادِ وسَفْكِ الدماءِ ، فقد كان طوَى عنهم الخبرَ عما يكونُ من كثيرٍ منهم بما يكونُ مِن طاعتِهم ربَّهم ، وإصلاحِهم [(٤)] فى أرضِه وحَقْنِ الدماءِ ، ورفعِه [(٥)] منزلتَهم ، وكرامتِهم [(٥)] عليه ، فلم يُخْبِرْهم بذلك ، فقالتِ الملائكةُ : [٤١/٢و] ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ على ظنٍّ منها - على تأويلِ هذيْن الخبرَيْن اللذيْن ذكَرْتُ وظاهرِهما - أن جميعَ ذريةِ الخليفةِ الذى يُجعَلُ [(٦)] فى الأرضِ يُفسِدون فيها ، ويَسفِكون فيها الدماءَ ، فقال اللَّهُ لهم ، إذ علَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أنكم تَعْلَمون أن جميعَ بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ ، على ما

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢) فى الأصل : « عنهم » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ : « على » .

(٤) فى ر : « إصلاحه » .

(٥ - ٥) فى ر : « منزلته وكرامته » .

(٦) فى م : « يجعله » .

ظننتُم فى أنفسِكم . إنكارًا منه لِقيلِهم ما قالوا مِن ذلك على الجميعِ والعمومِ ، وهو مِن صفةِ خاصٍّ ذريةِ الخليفةِ منهم . وهذا الذى ذكَرْنا هو صفةٌ منا لتأويلِ الخبرِ لا القولُ الذى نَخْتارُه فى تأويلِ الآيةِ .

ومما يَدُلُّ على ما ذكَرْنا مِن توجيهِ مَخْرجِ[1] خبرِ الملائكةِ عن إفسادِ ذريةِ الخليفةِ وسَفْكِها الدماءَ على العمومِ ما **حدَّثنا** به أحمدُ[2] بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ قولَه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . قال : يعْنون الناسَ[3] .

وقال آخرون فى ذلك بما **حدَّثنا** به بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فاستشارَ[4] الملائكةَ فى خلقِ آدمَ ، فقالوا :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وقد علِمتِ الملائكةُ مِن علمِ اللَّهِ أنه لا شىءَ أكْرَهُ إلى اللَّهِ مِن سَفْكِ الدماءِ والفسادِ فى الأرضِ ، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فكان فى علمِ اللَّهِ أنه سيكونُ مِن تلك[5] الخليفةِ أنبياءُ ورسلٌ ، وقومٌ صالحون ، وساكِنو[6] الجنةِ . قال : وذُكِر لنا أن ابنَ عباسٍ كان يقولُ : إن اللَّهَ لما أخَذ فى خلقِ آدمَ قالتِ الملائكةُ : ما اللَّهُ خالقٌ خلقًا أكرمَ عليه منَّا ، ولا أعلمَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « بن أحمد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨/١ (٣٢٦) من طريق أبى أحمد الزبيرى به . وينظر ما تقدم فى ص ٤٧٩.

(٤) فى م : « فاستخار » .

(٥) سقط من : ص ، وفى م : « ذلك » .

(٦) فى الأصل ، ص : « ساكن » .

منًّا . فابْتُلوا بخلقِ آدمَ - وكلُّ خلقٍ مُبتلًى - كما ابْتُلِيَتِ السماواتُ والأرضُ بالطاعةِ ، فقال اللَّهُ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] [(١)] .

وهذا الخبرُ عن قتادةَ يَدُلُّ على أن قتادةَ كان يرى أن الملائكةَ قالت ما قالت مِن قولِها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . على غيرِ [(٢)] [٤١/٢ظ] يقينِ علمٍ تقدَّم منها بأن ذلك كائنٌ ، ولكن على الرأيِ منها والظنِّ ، وأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أنكر ذلك مِن قيلِها ، وردَّ عليها ما رأَت بقولِه : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . مِن أنه يكونُ مِن ذريةِ ذلك الخليفةِ الأنبياءُ والرسلُ والمجْتَهِدُ فى طاعةِ اللَّهِ .

وقد رُوِى عن قتادةَ خلافُ هذا التأويلِ ، وهو ما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . قال : كان اللَّهُ أعلمَهم [(٣)] إذا كان فى الأرضِ خلقٌ أفْسَدوا فيها ، وسفَكوا الدماءَ ، فذلك قولُه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [(٤)] .

وبمثلِ قولِ قتادةَ قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ ، منهم الحسنُ البصريُّ .

٢٠٦/١ /**حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جريرِ بنِ حازمٍ ومبارَكٍ ، عن الحسنِ ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ ، قالا : قال اللَّهُ لملائكتِه : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قال لهم : إنى فاعلٌ . فعرَضُوا برأيِهم ، فعلَّمهم علمًا ، وطوَى عنهم علمًا علِمه لا يَعْلَمونه ، فقالوا بالعلمِ الذى علَّمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٠، ١٠١ . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٩٩/٧ من طريق شيبان ، عن قتادة ، نحوه . وينظر ما سيأتى فى ص ٥١٠ .

(٢) من هنا إلى قوله : « قال : علمه اسم » . ص٤٩٣ سقط من المخطوط الأصل .

(٣) بعده فى ص ، ر : « أنه » ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٠٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨/١ (٣٢٥) عن الحسن بن يحيى به .

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وقد كانت الملائكةُ علِمتْ مِن علم اللَّهِ أنه لا ذنبَ أعظمَ عندَ اللَّهِ مِن سَفْكِ الدماءِ ، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فلما أخَذ فى خلقِ آدمَ همَستِ الملائكةُ فيما بينَها ، فقالوا : ليخْلُقْ ربُّنا ما شاء أن يَخْلُقَ ، فلن يَخْلُقَ خَلقًا إلا كنّا أعلمَ منه ، وأكرمَ عليه منه . فلمّا خلَقه ونفَخ فيه مِن روحِه ، أمَرهم أن يَسجدوا له لِمَا قالوا ، ففضَّله عليهم ، فعلِموا أنهم ليسوا بخيرٍ منه ، فقالوا : إن لم نَكنْ خيرًا منه ، فنحن أعلمُ منه ؛ لأنا كنا قبلَه ، وخُلِقتِ الأممُ قبلَه . فلما أُعْجِبوا بعلمِهم ابتُلوا ، ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنى لا أَخْلُقُ خلقًا إلا كنتم أعلمَ منه ، فأَخْبِرونى بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتم صادقينَ . قال : ففزِع القومُ إلى التوبةِ – وإليها يَفْزَعُ كلُّ مؤمنٍ – فقالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . لقولِهم : لِيَخْلُقْ ربُّنا ما شاء ، فلن يَخْلُقَ خلقًا أكرمَ عليه منا ، ولا أعلمَ منا . قال : علَّمه اسمَ [٢/ ٤٢و] كلِّ شىءٍ ؛ هذه الخَيْلُ[1] ، وهذه البِغالُ ، والإبلُ ، والجنُّ ، والوحشُ ، وجعَل يُسمى كلَّ شىءٍ باسمِه ، وعُرِضَت عليه أمَّةً أمَّةً : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال: أما ما أبْدَوْا فقولُهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وأمَّا ما كتَموا فقولُ بعضِهم لبعضٍ : نحن خيرٌ منه وأعلمُ[2] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « الجبال » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨، ١٠١، ١٠٢ بتمامه . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٧=

حدَّثني المثنَّى بنُ إبراهيمَ الآمُليُّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ في قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية . قال : إنَّ اللَّهَ خلَق الملائكةَ يومَ الأربعاءِ ، وخلَق الجنَّ يومَ الخميسِ ، وخلَق آدمَ يومَ الجمعةِ . قال : فكفَر قومٌ مِن الجنِّ ، فكانتِ الملائكةُ تهْبِطُ إليهم في الأرضِ فتُقاتِلُهم ، فكانتِ الدماءُ ، وكان الفسادُ في الأرضِ ، فمِن ثَمَّ قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ الآية[1] .

[2]حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ بمثلِه[2] .

حدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن غيرِ[3] الربيع ابنِ أنسٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . قال : وذلك حينَ قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرَفوا أنه جاعلٌ في الأرضِ خليفةً ، قالوا بينَهم : لن يَخلُقَ اللَّهُ خلقًا إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ . فأراد اللَّهُ جلَّ ذكرُه أن يُخبرَهم أنه قد فضَّل عليهم آدمَ ، وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ، فقال للملائكةِ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ / مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . فكان ١/٢٠٧

= (٣٢٣) من طريق مبارك ، عن الحسن به مختصرًا . وقد تقدم مختصرًا في ص ٤٧٥ . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٩.

(١) تقدم في ص ٤٧٨.

(٢ - ٢) في ص : « حدثنا محمد بن جرير قال » .

(٣) سقط من : ر .

الذى أبْدَوْا حينَ قالوا :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وكان الذى كتَموا بينَهم قولَهم : لن يَخْلُقَ ربُّنا خلقًا إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ . فعرَفوا أن اللَّهَ فضَّل عليهم آدمَ فى العلمِ والكرمِ[(١)] .

وقال ابنُ زيدٍ بما حدَّثنى به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لمّا خلَق اللَّهُ النارَ ذُعِرَت منها الملائكةُ ذُعْرًا شديدًا ، وقالوا : ربَّنا لمَ خلَقْتَ هذه النارَ ، ولأىِّ شىءٍ خلَقْتَها ؟ [٢/ ٤٢ظ] قال : لِمَن عصانى مِن خَلْقى . قال : ولمْ يَكُنْ للَّهِ[(٢)] خَلْقٌ يومَئذٍ إلا الملائكةُ ، والأرضُ ليس فيها خلقٌ ، إنما خُلِق آدمُ بعدَ ذلك . وقرَأ قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] . قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ، ليتَ ذلك الحينَ[(٣)] . ثم قال : وقالتِ الملائكةُ : يا ربِّ ، أو يأتى علينا دهرٌ نعصِيك فيه ! - لا يَرَون له خلقًا غيرَهم - قال :لا ، إنى أُريدُ أن أَخلُقَ فى الأرضِ خلْقًا ، وأَجعَلَ فيها خَليفةً[(٤)] ، يَسفِكون الدماءَ ويُفْسِدون فى الأرضِ . فقالت الملائكةُ : أتَجعلُ فى الأرض مَن يفسدُ فيها ويسفكُ الدماءَ وقد اختَرْتَنا ؟ فاجْعَلْنا نحن فيها ، فنحن نُسبِّحُ بحمدِك ونُقدِّسُ لك ، ونعمَلُ فيها بطاعتِك . وأعظَمت الملائكةُ أن يَجعَلَ اللَّهُ فى الأرضِ مَن يَعْصِيه ، فقال : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . فقال : فلانٌ ، وفلانٌ . قال : فلما رأَوْا ما أعْطاه اللَّهُ مِن العلمِ عليهم[(٥)] ،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٢، ١٠٣ بهذا الإسناد عن الربيع . ووقع فيه : حدثنا عمار بن الحسن .

(٢) فى الأصل ، ر : « الله » .

(٣) أى : ليت الإنسان بقى شيئا غير مذكور ، خوفا من يوم القيامة .

وقول عمر أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٣٥) ، وأبو عبيد فى الفضائل ص ٧٠. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) فى ص ، م : « خليقة » .

(٥) سقط من : م .

أقرُّوا لآدمَ بالفضلِ عليهم ، وأبى الخبيثُ إبليسُ أن يُقِرَّ له ، قال : ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾[(١)] [الأعراف : ١٢، ١٣] .

وقال ابنُ إسحاقَ بما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : لما أراد اللَّهُ أن يَخْلُقَ آدمَ بقدرتِه ليَبْتَلِيَه ويَبْتَلِيَ به ، لعلمِه بما في ملائكتِه وجميعِ خلقِه - وكان أولَ بلاءٍ ابتُلِيَت به الملائكةُ مما لها فيه ما تحِبُّ وما تَكْرَهُ ، للبلاءِ والتَّمْحيصِ لما فيهم مما لم يَعْلَموا ، وأحاط به علمُ اللَّهِ منهم - جمَع[(٢)] الملائكةَ مِن سكانِ السماواتِ والأرضِ ، ثم قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . يقول : ساكنًا وعامرًا ليَسْكنَها ويَعْمُرَها ، خَلْقًا[(٣)] ليس منكم . ثم أخْبَرَهم بعلمِه فيهم ، فقال : يُفْسِدون في الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ ويَعمَلون بالمعاصي . فقالوا جميعًا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . لا نَعْصِي ، ولا نأْتي شيئًا كرِهْته ، ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٤)] أى[(٥)] : فيكم ومنكم - ولم يُبْدِها لهم - مِن المعصيةِ والفسادِ وسفكِ الدماءِ وإتيانِ ما أَكْرَهُ منهم ، مما يكونُ في الأرضِ مما ذكَرْتُ في بني آدمَ .

قال اللَّهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ [٤٣/٢و] عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٦٩- ٧٢] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/١ إلى المصنف مختصرًا . وينظر الدر المنثور ٢٩٧/٦.

(٢) في الأصل ، م : « جميع » .

(٣) في ر : « خلفا » .

(٤) بعده في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢: « قال » .

(٥) بعده في م : « إني أعلم » .

فذكَر لنبيِّه ﷺ الذى كان مِن ذِكرِه آدمَ ﷺ حينَ أراد خلقَه ، ومُراجعةِ الملائكةِ إياه فيما ذكَر لهم منه ، فلما عزَم اللَّهُ تعالى ذكرُه على خلْقِ آدمَ قال للملائكةِ : ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٨] . بيدَيْه تكْرِمةً له ، وتَعْظيمًا لأمرِه ، وتَشْريفًا له ، حفِظَتِ الملائكةُ عهدَه ، ووَعَوْا قولَه ، وأجْمَعوا لطاعتِه ، إلا ما كان مِن عدوِّ اللَّهِ إبليسَ ، فإنه صمَت على ما كان فى نفسِه مِن الحسدِ والبغْيِ والتكَبُّرِ والمعصيةِ .

وخلَق اللَّهُ آدمَ عليه السلامُ مِن أَدَمةِ الأرضِ ؛ مِن طينٍ لازبٍ مِن حمأٍ مسنونٍ بيديه ، تكرِمةً له ، / وتَعْظيمًا لأمرِه ، وتَشْريفًا له على سائرِ خلْقِه . ٢٠٨/١

قال ابنُ إسحاقَ : فيُقالُ واللَّهُ أعلمُ : خلَق اللَّهُ آدمَ ، ثم وضَعه يَنْظُرُ إليه أربعين عامًا قبلَ أن يَنْفُخَ فيه الرُّوحَ حتى عاد صَلصالًا كالفَخارِ ، ولم تَمسسْه نارٌ . قال : فيُقالُ واللَّهُ أعلمُ : إنه لمَّا انْتَهى الروحُ إلى رأسِه عطَس ، فقال : الحمدُ للَّهِ . فقال له ربُّه : يَرْحَمُك[1] ربُّك . ووقَع الملائكةُ حينَ اسْتَوَى سجودًا له ؛ حفظًا لعهدِ اللَّهِ الذى عهِد إليهم ، وطاعةً لأمرِه الذى أمَرهم به ، وقام عدوُّ اللَّهِ إبليسُ مِن بينِهم فلم يَسْجُدْ ، مُكابِرًا مُتعَظِّمًا ، بغْيًا وحسدًا ، فقال له : ﴿ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ . إلى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٧٥- ٨٥] . قال : فلمَّا فرَغ اللَّهُ مِن إبليسَ ومن مُعاتَبتِه ، وأبَى إلا المعصيةَ ، أوْقَع عليه اللعنةَ ، وأخْرَجه مِن الجنةِ ، ثم أقْبَل على آدمَ وقد علَّمه الأسماءَ كلَّها ، فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أى : إنما أجبْناك فيما علَّمْتَنا ، فأما ما لم

(١) فى الأصل : « رحمك » .

تُعَلِّمْنا فأنت أعْلَمُ به ، فكان ما سمَّى آدمُ مِن شىءٍ ، كان اسمَه الذى هو عليه إلى يومِ القيامةِ[(١)] .

وقال ابنُ جُرَيْجٍ بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : إنما [٢/٤٣ظ] تكلَّموا بما أعْلَمَهم أنه كائنٌ مِن خلقِ آدمَ ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[(٢)] .

وقال بعضُهم : إنما قالتِ الملائكةُ ما قالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . لأن اللَّه تعالى ذكرُه أذِن لها فى السؤالِ عن ذلك بعد ما أخْبَرَها أن ذلك كائنٌ مِن بنى آدمَ ، فسألَتْه الملائكةُ ، فقالت على التعجبِ منها : وكيف يَعْصُونك يا ربِّ وأنتَ خالقُهم ؟ فأجابهم ربُّهم : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى أن ذلك كائنٌ منهم وإن لم تَعْلَموه أنتم ، ومِن بعضِ مَن تَرَوْنه لى طائعًا ، يُعَرِّفُهم بذلك قُصورَ علمِهم عن علمِه .

وقال بعضُ أهلِ العربيةِ : قولُ الملائكةِ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . على غيرِ وجهِ الإنكارِ منهم على ربِّهم ، وإنما سأَلوه ليعْلَموا ، وأخْبَروا عن أنفسِهم أنهم يُسَبِّحون . وقال : قالوا ذلك لأنهم كرِهوا أن يُعْصَى اللَّهُ ؛ لأن الجنَّ قد كانت أُمِرَتْ قبلَ ذلك فعَصَتْ .

وقال بعضُهم : ذلك مِن الملائكةِ على وجهِ الاسْتِرْشادِ عما لم يَعْلَموا مِن ذلك ، فكأنهم قالوا : يارَبِّ خَبِّرْنا . مسألةَ اسْتِخْبارٍ منهم للَّهِ ، لا على وجهِ مسألةِ التوبيخِ .

قال أبو جعفرٍ : وأولَى هذه التأويلاتِ بقولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه مُخْبِرًا عن ملائكتِه

(١) أخرج المصنف بعضه فى تاريخه ١/٩٣، ٩٥، ١٠٤، وتقدم طرف منه فى ص ٤٧٧.
(٢) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٠٢.

قيلَها له : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا / مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ١/٢٠٩
وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . تأويلُ مَن قال : إن ذلك منها استِخْبارٌ لربِّها ، بمعنى : أَعْلِمْنا ياربَّنا ، أجاعلٌ أنت فى الأرضِ مَن هذه صفتُه ، وتاركٌ أن تجْعَلَ (١ خليفتَك فيها ١) منا ، ونحن نُسَبِّحُ بحمدِك ونُقَدِّسُ لك . لا إنكارًا منها لِما أعْلَمَها ربُّها أنه فاعلٌ ، وإن كانت قد استعظَمَتْ لمَّا أُخبِرَت بذلك أن يكونَ للَّهِ خلقٌ يَعْصِيه .

وأما دَعْوى مَن زعَم أن اللَّهَ كان أذِن لها بالسؤالِ عن ذلك ، فسألَتْ على وجهِ التعجبِ ، فدَعْوى لا دَلالةَ عليها فى ظاهرِ التنزيلِ ، ولا خبرَ بها عن[٢] الحُجَّةِ يَقْطَعُ العُذْرَ ، وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ فى تأويلِ كتابِ اللَّهِ بما لا دَلالةَ عليه مِن بعضِ الوجوهِ التى تَقومُ بها الحُجَّةُ .

وأما وصفُ الملائكةِ مَن وصَفَت - فى استخبارِها ربَّها عنه - بالفسادِ فى الأرضِ وسفْكِ الدماءِ ، فغيرُ مُسْتحيلٍ فيه[٣] ما رُوِى عن ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ مِن القولِ الذى رواه السدىُّ ، ووافَقَهما [٢/ ٤٤و] عليه قَتادةُ مِن التأويلِ ، وهو أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أخبَرهم أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً تكونُ له ذريةٌ يفعَلون كذا وكذا ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . على ما وصَفتُ من الاستخبارِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وما وجهُ اسْتِخْبارِها ، والأمرُ على ما وصَفْتَ مِن أنها قد أُخْبِرَت أن ذلك كائنٌ ؟

قيل : وجهُ اسْتِخْبارِها حينَئذٍ يكونُ عن حالِهم عندَ[٤] وقوعِ ذلك ، وهل

(١ - ١) فى ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢: « خلفاءك » .
(٢) فى م : « من » .
(٣) فى ص : « منه » .
(٤) فى ر ، م : « عن » .

ذلك منهم ؟ ومسألتُهم ربَّهم أن يَجْعَلَهم الخلفاءَ فى الأرضِ حتى لا يَعْصُوه .

وغيرُ فاسدٍ أيضًا ما رواه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، وتابَعه عليه الربيعُ بنُ أنسٍ ، من أن الملائكةَ قالت ذلك لِما كان عندها مِن علمِ سُكانِ الأرضِ قبلَ آدمَ من الجنِّ ، فقالت لربِّها : أجاعلٌ فيها أنت مثلَهم مِن الخلْقِ يَفْعَلون مثلَ الذى كانوا يَفْعَلون ؟ على وجهِ الاسْتِعلامِ منهم لربِّهم ، لا على وجهِ الإيجابِ أن ذلك كائنٌ كذلك ، فيَكونَ ذلك منها إخبارًا عما لم تَطَّلِعْ عليه مِن علمِ(١) الغيبِ .

وغيرُ خطأ أيضًا ما قاله ابنُ زيدٍ مِن أن يكونَ قِيلُ الملائكةِ ما قالت كان(٢) على وجهِ التعجبِ منها مِن أن يكونَ للَّهِ خلقٌ يَعْصِى خالقَه .

وإنما ترَكْنا القولَ بالذى رواه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، ووافَقه عليه الربيعُ ، وبالذى قاله ابنُ زيدٍ فى تأويلِ ذلك ؛ لأنه لا خبرَ عندَنا بالذى قالوه مِن وجهٍ يَقْطَعُ مجيئُه العذرَ ، ويَلْزَمُ سامعَه به الحجةُ ، والخبرُ عما قد مضَى وما قد سَلَف لا يُدْرَكُ علمُ صحتِه إلا بمجيئِه مَجيئًا يَمْتَنِع منه التشاغُبُ(٣) والتَّواطُؤُ ، ويَسْتَحيلُ فيه(٤) الكذبُ والخطأُ والسَّهْوُ ، وليس ذلك بموجودٍ كذلك فيما حكاه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، (٥)ووافقه عليه الربيعُ(٥) ، ولا فيما قاله ابنُ زيدٍ .

فأولَى التأويلاتِ إذ كان الأمرُ كذلك بالآيةِ ، ما كان عليه مِن ظاهرِ التنزيلِ دَلالةٌ مما يَصِحُّ مَخْرَجُه فى المفهومِ .

---

(١) فى ص : « ظهر » .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « من ذلك » .

(٣) فى ص : « الشاعر » .

(٤) فى ص ، ر ، م : « منه » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

فإن قال قائلٌ : فإن كان أَوْلَى التأويلاتِ بالآيةِ هو ما ذكَرْتَ ، مِن أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه أخْبَر الملائكةَ بأن ذرية خليفتِه فى الأرضِ يُفسِدون فيها ويَسفِكون فيها الدماءَ ، فمِن أجلِ ذلك قالتِ الملائكةُ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . فأَين ذِكْرُ إخبارِ اللَّهِ تعالى ذِكْرُه إياهم بذلك [٢/ ٤٤ظ] فى كتابِه ؟

قيل له :اكْتُفى بدَلالةِ ما قد ظهَر مِن الكلامِ عليه عنه ، كما قال الشاعر[١] :

٢١٠/١ / [٢]فلا تَدْفِنونى إنَّ دَفْنى مُحَرَّمٌ[٢] عليكم ولكنْ خامِرى[٣] أمَّ عامرِ

فحذَف قولَه : دعُونى للتى يُقالُ لها [٤]إذا أُريد[٤] صيدُها : خامِرى أمَّ عامرٍ[٥] . إذ كان فيما ظهَر مِن كلامِه دلالةٌ على معنى مرادِه ، فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لـمّا كان فيه دَلالةٌ على ما ترَك ذكرَه بعد قولِه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ مِن الخبرِ عما يَكونُ مِن إفسادِ ذريتِه فى الأرضِ ، اكْتَفَى بدلالتِه ، فحذَف وترَك ذِكْرَه ، كما ذكَرْنا مِن قولِ الشاعرِ ، ونظائرُ ذلك فى القرآنِ وأشعارِ العربِ وكلامِها أكثرُ مَن أن يُحْصَى ، فلِمَا ذكَرْنا مِن ذلك[٦] اخْتَرْنا ما اختَرْنا مِن القولِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ .

---

(١) فى نسبة البيت خلاف ، وأكثر الرواية تنسبه إلى الشَّنْفَرى - ينظر الشعر والشعراء ١/ ٨٠، والأغانى ٢١/ ١٨٢، وشرح الحماسة للمرزوقى ٢/ ٤٨٧، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٣٦٠ - وبعضها ينسبه إلى تأبط شرًّا . ينظر الحيوان ٦/ ٤٥٠، وأمالى المرتضى ٢/ ٧٣.

(٢ - ٢) رواية الحيوان : فلا تقبرونى إن قبرى محرم .

(٣) رواية الأصفهانى ، والمرزوقى : « أبشرى » .

(٤ - ٤) فى م : « عند » .

(٥) أم عامر هى الضبع ، ويضرب بها المثل فيُشبَّه بها الأحمق فيقال : خامرى أم عامر ، ينظر عقلاء المجانين ص ٢٥، ٢٦، ومجمع الأمثال ١/ ٤٢٢.

(٦) بعده فى ص : « ما ذكرنا » .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

أما قولُه : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ . فإنه يَعْنى : إنا نعظِّمُك بالحمدِ لك والشكرِ ، كما قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : (١﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾١) [النصر : ٣] . وكما قال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى : ٥] . وكلُّ ذكرٍ للَّهِ عندَ العربِ فتَسْبيحٌ وصلاةٌ ، يقولُ الرجلُ منهم : قضَيْتُ سُبْحَتى[٢] مِن الذكرِ والصلاةِ . وقد قيل : إن التسبيحَ صلاةُ الملائكةِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المُغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : كان النبىُّ ﷺ يُصَلِّى ، فمرَّ رجلٌ مِن المسلمين على رجلٍ مِن المنافِقين ، فقال له : النبىُّ ﷺ يُصَلِّى وأنت جالسٌ ! فقال له : امْضِ إلى عملِك إن كان لك عملٌ . فقال : ما أَظُنُّ إلا سيَمُرُّ عليك مَن يُنْكِرُ عليك . فمرَّ عليه عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال له : يا فلانُ ، النبىُّ ﷺ يُصَلِّى وأنت جالسٌ ! فقال له مثلَها ، فقال : هذا مِن عمَلى . فوثَب عليه ، فضرَبه حتى انْبَهَر[٣] ، ثم دخَل المسجدَ ، فصلَّى مع النبىِّ ﷺ ، فلما انْفتَل النبىُّ ﷺ قام إليه عمرُ ، [٢/ ٤٥و] فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، مرَرْتُ آنفًا على فلانٍ وأنت تُصَلِّى ، فقلتُ له : النبىُّ ﷺ يُصَلِّى وأنت جالسٌ ! فقال : مُرَّ[٤] إلى عملِك إن كان لك عملٌ . فقال النبىُّ ﷺ : « فَهَلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ » . فقام عمرُ مُسْرِعًا ، فقال : « ياعمرُ ، ارجِعْ ، فإن غضبَك عِزٌّ ، ورضاك حُكْمٌ ، إن للَّهِ

(١ - ١) فى ر : « نسبح بحمدك » .

(٢) السبحة : الدعاء ، وصلاة التطوع ، والنافلة . التاج (س ب ح) .

(٣) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « ابتهر » ، وفى م : « انتهى » . والبُهرُ : انقطاع النفس من الإعياء ، وقد انبهر وابتهر : أى تتابع نَفَسه . التاج (ب هـ ر) .

(٤) فى م : « سر » .

فى السماواتِ السبعِ ملائكةً يُصلُّونَ له غِنًى[1] عن صلاةِ فُلانٍ » . فقال عمرُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، وما صلاتُهم ؟ فلم يَرُدَّ عليه شيئًا ، فأتاه جبريلُ ، فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، سأَلك عمرُ عن صلاةِ أهلِ السماءِ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : اقْرَأْ على عمرَ السلامَ ، وأخْبِرْه أن أهلَ سماءِ الدنيا سجودٌ إلى يومِ القيامةِ يَقُولون : سبحانَ ذى المُلكِ والملكوتِ . وأهلَ السماءِ الثانيةِ ركوعٌ[2] إلى يومِ القيامةِ يَقُولون : سُبْحانَ ذى[3] العزةِ والجَبَروتِ . وأهلَ السماءِ الثالثةِ قيامٌ إلى يومِ القيامةِ يقولون : سبحانَ الحىِّ الذى لا يموتُ[4] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ وسهلُ بنُ موسى الرازىُّ ، قالا : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : أخْبَرَنا الجُرَيْرىُّ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الجَسْرىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ ، عن أبى ذَرٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ عادَه - أو أن أبا ذَرٍّ عاد النبىَّ ﷺ - فقال : يارسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت ، / أىُّ الكلامِ أحبُّ إلى اللَّهِ جل وعز ؟ فقال : « ما اصطَفى اللَّهُ لملائكتِه ؛ ٢١١/١
سبحانَ ربى وبحمدِه ، سبحانَ ربِّى وبحمدِه »[5] .

فى أشكالٍ لما ذكَرْنا مِن الأخبارِ ، كرِهْنا إطالةَ الكتابِ باسْتِقْصائِها .

---

(١) فى الأصل : « غناء » . وهما بمعنى .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر : « قيام » .

(٣) كذا فى الأصل ، م ، والحلية ، وكتب فوقه فى الأصل : «رب» وفى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « رب » .

(٤) إسناده مرسل ، ولا يصح وصله . أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٧٧/٤ من طريق ابن حميد به .
وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ص٦٢ (ترجمة عمر طبعة الرسالة) من طريق يعقوب به ، مختصرا .
وأخرجه ابن عدى٦/ ٢٢٨٩ ، وابن عساكر ص ٦١، ٦٢ من طريق يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، وعن أنس ، مختصرا . وصوب ابن عدى المرسل .

(٥) أخرجه الترمذى (٣٥٩٣) من طريق ابن علية به . وأخرجه أحمد ٥/ ١٤٨، ١٦١، ١٧٦ (الميمنية) ، ومسلم (٢٧٣١) ، من طرق عن الجريرى به نحوه . وينظر العلل للدارقطنى ٦/ ٢٤٥، ٢٤٦.

وأصلُ التسبيحِ للَّهِ عندَ العربِ التنزيهُ له مِن إضافةِ ما ليس مِن صفاتِه إليه ، والتبرِئةُ له مِن ذلك ، كما قال أعْشَى بنى ثَعْلبةَ[(١)] :

أَقُولُ لـمَّـا جـاءنـى فـخْـرُه سبحانَ مِن عَلْقَمةَ الفاخِرِ

يريدُ : سبحانَ اللَّهِ مِن فخْرِ علقمةَ . أى : تنزيهًا[(٢)] للَّهِ مما أتى علقمةُ مِن الافْتِخارِ . على وجهِ النكيرِ[(٣)] منه لذلك .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى ذلك التسبيحِ والتقْدِيسِ فى هذا الموضعِ ؛ **فقال بعضُهم** : قولُهم[(٤)] : ﴿ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ : نُصَلِّى لك .

ذكرُ مَن قال ذلك

[٢/ ٤٥ظ] **حدَّثنى** موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قال : يَقُولون[(٥)] : نُصَلِّى لك[(٦)] .

وقال آخَرون : نُسَبِّحُ لك التسبيحَ المعلومَ .

---

(١) ديوانه ص ١٤٣.

(٢) فى ر : « تبرئة » .

(٣) فى ص ، ر : « التكبير » ، ت ٢: « التنكير » .

(٤) فى الأصل ، ص ، ت ١، ت ٢: « قوله » .

(٥) فى الأصل : « يقول » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٠) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ . قال : التسبيحُ : التسبيحُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

والتقْديسُ هو التطهيرُ والتعظيمُ ، ومنه قولُهم : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ . يعنى بقولِهم : سُبُّوحٌ . تنزيهٌ للَّهِ جلَّ وعزَّ ، وبقولِهم : قُدُّوسٌ . طهارةٌ له وتعظيمٌ . ولذلك قيل للأرضِ : أرضٌ مُقَدَّسةٌ . يعنى بذلك المُطَهَّرَةَ .

فمعنى قولِ الملائكةِ إذن : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ : نُنَزِّهُك ونُبَرِّئُك مما يُضيفُه إليك أهلُ الشركِ بك ، ونُصَلِّى لك . ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . نَنْسِبُك إلى ما هو مِن صفاتِك من الطهارةِ من الأدناسِ ، وما أضاف إليك أهلُ الكفرِ بك .

وقد قيل : إن تقديسَ الملائكةِ لربِّها صلاتُها له ، كما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : التقديسُ : الصلاةُ[(٢)] .

وقال بعضُهم : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : نُعَظِّمُك ونُمَجِّدُك .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، قال : حدَّثنا أبو

---

(١) تفسير عبد الرزاق – كما فى الدر المنثور ٤٦/١ – وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٢٩) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق – كما فى الدر المنثور ٤٦/١ – وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٢) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

سعيدٍ المُؤَدِّبُ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ ، عن أبي صالحٍ في قوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : نُعَظِّمُك ونُمَجِّدُك[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثني عيسى ، وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابن أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : نُعَظِّمُك ونُكَبِّرُك[(٢)] .

٢١٢/١ [٤٦/٢و] / حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : لا نعصِى ولا نأتى شيئًا تَكرهُه[(٣)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبي روقٍ ، عن الضحاكِ في قوله : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : التقديسُ : التطهيرُ[(٤)] .

وأما قولُ مَن قال : التقديسُ : الصلاةُ ، أو[(٥)] : التعظيمُ . فإن معنى قولِه ذلك راجعٌ إلى نحوِ[(٦)] المعنى الذى ذكَرْنا مِن التطهيرِ ، من أجلِ أن صلاتَها لربِّها تعظيمٌ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ص ١١٣ (٣٣٤، ٣٣٥ - تحقيق د. أحمد عبد الله العمارى) من طريق سفيان ، عن إسماعيل به . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٩، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ص ١١٣ (٣٣٣ - تحقيق د. أحمد عبد الله العمارى) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير الثورى ص ٤٤.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٠٣، وتقدم بتمامه في ص ٤٩٦.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٠٣، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٩/١ (٣٣١) عن أبي زرعة ، عن منجاب ، عن بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس .

(٥) في ر، ت ١، ت ٢: « و ».

(٦) سقط من : ر، م .

منها له ، وتطهيرٌ مما يَنسِبُه إليه أهلُ الكفرِ به .

ولو كان[1] مكانَ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : ونُقَدِّسُك . كان فصيحًا مِن الكلامِ ، وذلك أن العربَ تقولُ : فلانٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ ويُقَدِّسُه ، ويُسَبِّحُ للَّهِ ويُقَدِّسُ له . بمعنًى واحدٍ ، وقد جاء بذلك القرآنُ ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه : ٣٣] . وقال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجمعة : ١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : يعنى بقولِه : ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ مما اطلَع عليه مِن إبليسَ ، وإضمارِه المعصيةَ للَّهِ وإخفائِه الكبْرَ ، مما اطلَع عليه تعالى ذكرُه منه ، وخفِى على ملائكتِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : إنى قد اطلَعتُ مِن قلبِ إبليسَ على ما لم تَطَّلِعوا عليه مِن كِبْرِه[2] واغترارِه[2] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ [٢/٤٦ظ] عباسٍ ،

(١) فى ص ، م : « قال » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « واعتزازه » . وتقدم الأثر بتمامه فى ص٤٨٢ وما بعدها .

وعن مُرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى : مِن شأنِ إبليسَ[١] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، وحدَّثنا محمدُ ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، قالا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : علِم من إبليسَ المعصيةَ وخلَقه لها[٢] .

حدَّثنى موسى بنُ عبدِ الرحمنِ المَسْروقيُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عليِّ بنِ بَذِيمةَ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه[٣] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن عليِّ بنِ بذيمةَ ، عن مجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : علِم من إبليسَ المعصيةَ وخلَقه لها .

٢١٣/١ /حدَّثنى جعفرُ[٤] بنُ محمدٍ البُزُوريُّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ بشرٍ ، عن حمزةَ

(١) تقدم بتمامه فى ص٤٨٦ - ٤٨٨.

(٢) أخرجه ابن عيينة فى تفسيره - كما فى الدر المنثور ٤٦/١ - وعنه سعيد بن منصور فى سننه (١٨٤ - تفسير) عن ابن أبى نجيح وغيره ، عن مجاهد . وهو فى تفسير مجاهد ص ١٩٩.

وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمى فى الرد على الجهمية ص٦٠ من طريق ابن جريج ، عن مجاهد . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (٩٣٨) عن أبيه ، عن محمد بن بشر به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٤) من طريق على بن بذيمة به .

(٤) فى الأصل : « يعقوب » .

الزياتِ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ كتْمانَه الكِبْرَ ألا يسْجُدَ لآدمَ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ[1] ، قال : وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ[2] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا سُويدٌ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، قال : قال مجاهدٌ فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ ، وخلَقه لها . وقال مرةً : آدمَ .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : حدَّثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ عبدَ الوهابِ بنَ مجاهدٍ يُحدِّثُ عن أبيه فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ[4] ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ وخلَقه لها ، وعلِم مِن آدمَ الطاعةَ وخلَقه لها .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن ابنِ

---

(١) بعده فى ر : « عن ابن أبى نجيح عن مجاهد » .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (٨٩١) من طريق شبل به ، بزيادة : وخلقه لها .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/ ٤٦ - ومن طريقه عبد الله بن أحمد فى السنة (٩٣٨) .

(٤) فى ص : « يعلمون » .

طاوسٍ ، عن أبيه والثوريِّ ، عن عليِّ بنِ بَذِيمةَ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ وخلَقَه لها[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ[(٢)] إسحاقَ : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أى : فيكم ومنكم - ولم يبْدِها لهم - [٤٧/٢و] مِن المعصيةِ والفسادِ وسَفْكِ الدماءِ[(٣)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى أعلمُ ما لا تعلمونَ من أنَّه يكونُ من تلك[(٤)] الخليفةِ أهلُ الطاعةِ والولايةِ للَّهِ جلَّ ذكْرُه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ : فكان فى علمِ اللَّهِ أنه سيكونُ مِن [(٥)] تلك الخليفةِ [(٥)] أنبياءُ ورسلٌ وقومٌ صالحون وساكنو[(٦)] الجنةِ[(٧)] .

وهذا الخبرُ من اللَّهِ تعالى ذكرُه يُنبئُ عن أن ملائكتَه التى قالت : ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . استفْظَعَت أن يكونَ للَّهِ جلَّ ثناؤُه خلْقٌ يَعْصِيه ، وعَجِبَتْ منه إذ أُخبِرت أن ذلك كائنٌ فلذلك قال لهم ربُّهم : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا

---

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١/ ٤٦- وأخرجه عبد الرزاق أيضًا فى الأمالى (١٩٥) .

(٢) فى ر : « أبى » .

(٣) تقدم مطولاً فى ص ٤٩٦.

(٤) فى م : « ذلك » .

(٥ - ٥) فى م : « ذلك الخليفة » ، وفى ت ١ : « تلك الخليقة » .

(٦) فى الأصل ، وتفسير ابن أبى حاتم : « ساكن » ، وفى ر ، ت ١: « ساكنون » .

(٧) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٤٩١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٥) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

نَعْلَمُونَ ﴾ يَعْنى بذلك واللَّهُ أعلمُ : إنكم لتَعْجَبون مِن أمرٍ[1] وتَسْتَفْظِعونه ، وأنا أعلمُ أنه فى بعضِكم ، وتصِفون أنفسَكم بصفةٍ أعلمُ خلافَها مِن بعضِكم ، وتُعَرِّضون بأمرٍ قد جعَلْتُه لغيرِكم . وذلك أن الملائكةَ [2]قالت لربِّها[2] - لمّا أخبرَها ربُّها بما هو كائنٌ مِن ذريةِ خليفتِه من الفسادِ وسَفْكِ الدماءِ - قالت لربِّها : ربَّنا ، أجاعلٌ أنت فى الأرضِ خليفةً مِن غيرِنا ، [3]يكونُ مِن ذريَّتِه[3] من يَعْصِيك أم منا ، فإنا نعَظِّمُك ونصَلِّى لك ونُطِيعُك ولا نَعْصِيك ؟ - ولم يكنْ عندَها علمٌ بما قد انطوى كَشْحًا عليه إبليسُ من استكبارِه على ربِّه - فقال لهم ربُّهم : إنِّى أعلمُ غيرَ الذى تقُولونَ من بعضِكم . وذلك هو ما كان مستورًا عنهم مِن أمرِ إبليسَ وانْطِوائِه على ما كان قد انْطَوَى عليه مِن الكِبْرِ ، وعلى قِيلِهم ذلك ، ووصْفِهم أنفسَهم بالعمومِ من الوصفِ ، عُوتِبوا .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ . ٢١٤/١

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : بعَث ربُّ العِزَّةِ تعالى ذِكْرُه إبليسَ[4] ، فأخَذ مِن أَديمِ الأرضِ مِن عذْبِها ومِلْحِها ، فخلَق منه آدمَ ، ومِن ثَمَّ سُمِّى آدمَ ؛ لأنه خُلِق مِن أَديمِ [٢/٤٧ظ] الأرضِ[5] .

---

(١) فى م : « أمر الله » .

(٢ - ٢) سقط من : ر ، ت ١، ت ٢.

(٣ - ٣) فى الأصل : « تكون ذريته تعصيك واجعله » .

(٤) فى م : « ملك الموت » .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٠، ٩١، وفيه زيادة ، وينظر تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٣.
وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٣٨٠ من طريق يعقوب القمى به نحوه .
وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨١٦) من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس =

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ ثابتٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىٍّ ، قال : إن آدمَ خُلِق مِن أديمِ الأرضِ ، فيه الطَّيِّبُ والصالحُ والرَّدِىءُ ، فكلُّ ذلك أنت راءٍ فى ولدِه ، الصالحَ والردىءَ(١) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا مِسْعَرٌ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : خُلِق آدمُ مِن أَدِيمِ الأرضِ ، فسُمِّىَ آدمَ(٢) .

حدَّثنا ابنُ المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو داودَ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : إنما سُمِّىَ آدمَ لأنه خُلِق مِن أَدِيمِ الأرضِ(٣) .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أن مَلَكَ الموتِ لمَّا بُعِث ليأْخُذَ مِن

= مختصرًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/١ إلى المصنف وابن سعد وابن أبى حاتم وابن عساكر مطولًا . وأخرجه ابن سعد ١/ ٢٦- ومن طريقه ابن عساكر ٧/ ٣٧٩، ٣٨٠- من طريق آخر ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن مسعود . وابن جبير لم يدرك ابن مسعود .

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩١/١ . وعمرو بن ثابت ضعيف .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩١. وأخرجه ابن سعد٢٦/١ من طريق مسعر به .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩١. وأخرجه ابن سعد ١/ ٢٦- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٣٨٧- من طريق شعبة به . وأخرجه ابن عساكر ٣٨٦/٧ من طريق الثورى ، عن أبى حصين أو غيره ، عن سعيد بن جبير . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/١ إلى عبد بن حميد . وأخرجه ابن عساكر أيضا ٣٨٧/٧ من طريق إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، بزيادة ستأتى من طريق آخر عن سعيد فى تفسير الآية ١١٥ من سورة طه .

الأرضِ تُرْبةَ آدمَ ، أخَذ مِن وجهِ الأرضِ وخلَط ، فلم يَأْخُذْ مِن مكانٍ واحدٍ ، وأخَذ مِن تربةٍ حمراءَ وبيضاءَ وسوداءَ ، فلذلك خرَج بنو آدمَ مُخْتَلِفين ، ولذلك سُمِّىَ آدمَ ؛ لأنه أُخِذ مِن أَدِيمِ الأرضِ[(١)] .

وقد رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ خبرٌ يُحَقِّقُ ما قال مَن حكَيْنا قولَه فى معنى « آدمَ » ، وذلك ما **حدَّثنى** به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن عوفٍ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ بَشَّارٍ وعمرُ بنُ شَبَّةَ ، قالا : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا عوفٌ ، **وحدَّثنا** ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ومحمدُ بنُ جعفرٍ وعبدُ الوهَّابِ الثَّقَفىُّ ، قالوا : حدَّثنا عوفٌ ، **وحدَّثنى** محمدُ بنُ عُمارةَ الأسَدىُّ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ ، قال : حدَّثنا عَنْبَسةُ ، عن عوفٍ الأعْرابىِّ ، عن قَسامةَ بنِ زُهَيْرٍ ، عن أبى موسى الأشْعَرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ خلَقَ آدمَ مِن قَبْضَةٍ قَبَضَها مِن جَميعِ الأرْضِ ، فجاء بنو آدمَ على قَدْرِ الأرْضِ ، جاء منهم الأحْمرُ والأسْودُ والأبْيضُ ، وبينَ ذلك ، [(٢)]والسهْلُ والحزْنُ[(٢)] ، والخَبيثُ وَالطيِّبُ »[(٣)] .

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٨٨ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « الحزن والسهل » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩١/١ بزيادة فى آخره . وأخرجه الترمذى (٢٩٥٥) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠١٤) من طريق ابن بشار به . وأخرجه أحمد ٤/ ٤٠٦،٤٠٠ (الميمنية) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، وابن حبان (٦١٨١) ، وأبو الشيخ (١٠١٥) من طريق يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد ٤٠٠/٤ (الميمنية) عن محمد بن جعفر به .

وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٤٣ ، وابن سعد ١/ ٢٦ ، وأحمد ٤/ ٤٠٦،٤٠٠ (الميمنية) ، وعبد بن حميد (٥٤٨) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، وابن حبان (٦١٦٠) ، والحاكم ٢/ ٢٦١ ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ١٠٤ ، ٨/ ١٣٥ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٧١٥، ٨١٥) ، وابن عساكر فى تاريخه ٣٧٤/٧ من طرق أخرى عن عوف به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

قال أبو جعفرٍ : فعلى التأويلِ الذى تأوَّل «آدمَ» مَن تأوَّله بمعنى أنه خُلِق
٢١٥/١ مِن أَدِيمِ الأرضِ ، يَجِبُ أن يكونَ أصلُ «آدمَ» فعلًا / سُمِّىَ به أبو البَشرِ ،
كما سُمِّىَ أحمدُ بالفِعلِ [٢/٤٨و] من الإحْمادِ ، وأسعدُ مِن الإسعادِ ، فلذلك لم
يُجرَ[1] . ويَكونُ تأويلُه حينَئذٍ : آدمَ المَلَكُ الأرضَ . يعنى به : بلَغ أَدَمَتَها - وأَدَمَتُها :
وجهُها الظاهرُ لرأْىِ العينِ ، كما[2] جِلْدةُ كلِّ[3] ذى جِلدٍ[3] له أَدَمةٌ ، ومِن ذلك سُمِّىَ
الإدامُ إدامًا ؛ لأنه صار كالجِلْدةِ العليا مما هى منه - ثم نُقِل مِن الفعلِ فجُعِل اسمًا
للشخصِ بَعيْنِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى الأسماءِ التى علَّمَها آدمَ ثم عرَضها على الملائكةِ ؛ فقال ابنُ عباسٍ بما **حدَّثنا** به أبو كرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال[4] : علَّم اللَّهُ آدمَ الأسماءَ كلَّها ، وهى هذه الأسماءُ التى يَتَعارَفُ بها الناسُ ؛ إنسانٌ ، ودابةٌ ، وأرضٌ ، وسهلٌ ، وبحرٌ ، وجبلٌ ، وحمارٌ ، وأشباهُ ذلك مِن الأممِ وغيرِها[5] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، **وحدَّثنى** المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ

---

(١) أى لم يُصْرف ، والإجراء الصرف . ينظر المصطلح النحوى ص ١٦٦.

(٢) بعده فى م : « أن » .

(٣ - ٣) فى ص : « شىء » .

(٤) فى ت١ ، ت٢ : « فلما » .

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ - ٤٨٥ .

فى قولِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : (١) ما خلَق اللهُ كلَّه (١) .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ [٢] .

حدَّثنا علىُّ بنُ الحسنِ [٣] ، قال : حدَّثنا مُسلمٌ الجَرْمِىُّ ، عن محمدِ بنِ مُصْعَبٍ ، عن قَيْسِ بنِ الربيعِ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : علَّمه اسمَ الغُرابِ والحَمامةِ ، واسمَ كلِّ شىءٍ [٤] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن شَرِيكٍ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ ، قال : علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ ، حتى البعيرِ والبقرةِ والشاةِ [٥] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن شَرِيكٍ ، عن عاصمِ بنِ كُلَيبٍ ، عن سعيدِ [٦] بنِ مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : علَّمه اسمَ [٧] القَصْعةِ والفَسْوةِ [٨] والفُسَيَّةِ [٩] .

(١ - ١) فى م ، ت١ ، ت٢ : « علمه اسم كل شىء » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧، وهو فى تفسير مجاهد ص ١٩٩.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧. وأخرجه ابن أبى حاتم ١/ ٨٠ (٣٣٨) من طريق سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بلفظ : علمه كل دابة وكل طير وكل شىء .

(٣) فى ص ، ت١ : « الحسين » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٢ (٣٥١) من طريق قيس به .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٤٩ إلى وكيع .

(٦) فى الأصل : « سعد » .

(٧) بعده فى ت١ : « كل شىء حتى » .

(٨) فى ت ٢: « القوس » .

(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٠ (٣٣٧) من طريق عاصم به . وسعيد بن معبد مجهول .

حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن عاصمِ ابنِ كُلَيْبٍ ، [٢/ ٤٨ظ] عن الحسنِ بنِ سعدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : حتى الفَسْوَةِ والفُسَيَّةِ[١] .

حدَّثنا على بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمٌ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ ، عن قيسٍ ، عن[٢] عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ ، عن سعيدِ بنِ مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ ، حتى الهَنَةِ والهُنَيَّةِ ، والفَسْوةِ والضَّرْطةِ[٣] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا على بنُ مُسْهِرٍ ، عن عاصمِ ابنِ كُلَيْبٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : علَّمه القَصْعةَ مِن القُصَيْعَةِ ، والفَسْوةَ مِن الفُسَيَّةِ[٤] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ
٢١٦/١ قولَه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ / ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . حتى بلَغ : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ : فأنْبأ كلَّ صنفٍ مِن الخلقِ باسمِه ، وألجأه إلى جنسِه[٥] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : علَّمه اسمَ كلِّ

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧.

(٢) فى الأصل ، ص : « ابن » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧.

(٤) عاصم بن كليب لم يدرك ابن عباس كما فى الأسانيد قبله .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨. وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٩.

شىءٍ ؛ هذا جبلٌ ، وهذا بحرٌ ، وهذا كذا ، وهذا كذا ، لكلِّ شىءٍ ، ثم عرَض تلك الأسماءَ[١] على الملائكةِ ، فقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جَريرِ بنِ حازمٍ ومباركٍ ، عن الحسنِ ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ ، قالا : علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ ؛ هذه الخيلُ ، وهذه البِغالُ ، والإبلُ ، والجنُّ ، والوحشُ ، وجعَل يُسَمِّى كلَّ شىءٍ باسمِه[٣] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن غيرِ[٤] الربيعِ ، قال : اسمَ كلِّ شىءٍ .

وقال آخَرون : علَّم آدمَ أسماءَ الملائكةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : أسماءَ الملائكةِ[٥] .

وقال آخَرون : إنما علَّمه أسماءَ ذُرِّيَّتِه .

---

(١) فى م : « الأشياء » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨. وهو فى تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٢، ٤٣.

(٣) تقدم بتمامه فى ص ٤٩٣.

(٤) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٩ عن عبدة المروزى ، عن عمار بن الحسن به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : أسماءَ ذُرِّيتِه كلِّهم[1] أجمعين[2] .

قال أبو جعفر: وأولَى هذه الأقوالِ بالصوابِ وأشْبهُها بما دلَّ على صحتِه ظاهرُ التِّلاوةِ ، قولُ مَن قال فى قولِه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . أنها أسماءُ ذرِّيَّتِه وأسماءُ [٢/ ٤٩و] الملائكةِ ، دون أسماءِ سائرِ أجناسِ الخلقِ ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعْنى بذلك أعيانَ المُسَمَّيْن بالأسماءِ التى علَّمها آدمَ . ولا تَكادُ العربُ تَكْنى بالهاءِ والميمِ إلا عن أسماءِ بنى آدمَ والملائكةِ . فأما إذا كَنَتْ عن أسماءِ البَهائمِ وسائرِ الخلقِ سوى مَن وصَفْنا ، فإنها تَكْنى عنها بالهاءِ والألفِ ، أو[3] بالهاءِ والنونِ ، فقالت : عرَضَهنّ ، أو عرَضَها . وكذلك تَفْعَلُ إذا كَنَتْ عن أصنافٍ مِن الخلْقِ ؛ كالبَهائمِ والطيرِ وسائرِ أصنافِ الأممِ ، وفيها أسماءُ بنى آدمَ أو[4] الملائكةِ ، فإنها تَكْنى عنها بما وصَفْنا مِن الهاءِ والنونِ ، و[5] الهاءِ والألفِ . وربما كَنَتْ عنها إذا كان ذلك[6] كذلك ، بالهاءِ والميمِ ، قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ[7] كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، وفى ص ، ر : « كلها » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٩ مطولا .

(٣) فى ت١ : « و » .

(٤) فى ر ، م ، ت١ : « و » .

(٥) فى م : « أو » .

(٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٧) فى الأصل : « خالق » . وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٧ .

[النور: ٤٥] . فكنَى عنها بالهاءِ والميمِ ، وهى أصنافٌ مختلِفةٌ ، فيها الآدمىُّ وغيرُه . وذلك وإن كان جائزًا ، فإن الغالبَ المُسْتَفيضَ فى كلامِ العربِ ما وصَفْنا ، مِن إخْراجِهم كنايةَ أسماءِ أجناسِ الأممِ - إذا اخْتَلَطَت - بالهاءِ والألفِ ، و(١) الهاءِ والنونِ ؛ فلذلك قلتُ : أَولى بتأويلِ الآيةِ أن تَكونَ الأسماءُ التى عَلَّمها آدمَ أسماءَ أعيانِ بنى آدمَ وأسماءَ الملائكةِ . وإن كان ما قال ابنُ عباسٍ / جائزًا ، على مثالِ ما جاء ٢١٧/١ فى كتابِ اللَّهِ جل ثناؤه مِن قولِه : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ(٢) كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ الآية . وقد ذُكِر أنها فى حرفِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : (ثم(٣) عرَضَهن)(٤) . وأنها فى حرفِ أُبَىٍّ : (ثم عرَضها)(٤) .

ولعلَّ ابنَ عباسٍ تأوَّل ما تأوَّل مِن قولِه : علَّمه اسمَ(٥) كلِّ شىءٍ ، حتى الفَسْوةِ والفُسَيَّةِ . على قراءةِ أُبَىٍّ ، فإنه فيما بلغَنا كان يَقْرَأُ قراءةَ أُبَىٍّ . وتأويلُ ابنِ عباسٍ - على ما حُكِى عن أبىٍّ من قراءتِه - غيرُ مُسْتَنْكَرٍ ، بل هو صحيحٌ مُسْتَفِيضٌ فى كلامِ العربِ ، على نحوِ ما تقدَّم وصْفِى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد تقَدَّم ذِكْرُنا التأويلَ الذى هو أَوْلى بالآيةِ على قراءتِنا ورَسْمِ مُصْحَفِنا ، وأن [٢/ ٤٩ظ] قولَه : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ . بالدَّلالةِ على بنى آدمَ والملائكةِ ، أَوْلَى منه بالدَّلالةِ على أجناسِ الخلقِ كلِّها ، وإن كان غيرَ فاسدٍ أن يكون دالًّا على

(١) فى م : « أو » .
(٢) فى الأصل ، ر ، ت١ : « خالق » .
(٣) فى النسخ : « و » .
(٤) ينظر البحر المحيط ١/ ١٤٦ .
(٥) زيادة من : م .

جميعِ أصنافِ الأُممِ ، للعللِ التي وصَفْنا .

ويعنى بقولِه : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ : ثم عرَض أهلَ الأسماءِ على الملائكةِ .

وقد اختَلَف المفسِّرون فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ نحوَ اختلافِهم فى قولِه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . وسأذْكُرُ (١) قولَ بعضٍ (١) مَن انتَهى إلينا عنه فيه قولٌ .

حدَّثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بِشْرُ بنُ عُمارَةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ : ثم عرَض هذه الأسماءَ على الملائكةِ . يعنى أسماءَ جميعِ الأشياءِ التى علَّمها آدمَ مِن أصنافِ الخلقِ (٢) .

حدثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابن عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ : ثم عرَضَ الخلْقَ على الملائكةِ (٣) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : أسماءَ ذريتِه كلِّها أخَذهم مِن ظهرِه ، ثم عرَضَهم على الملائكةِ (٤) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن

(١ - ١) فى ص ، م : « قول » ، وفى ر ، ت١ ، ت٢ : « بعض قول » .

(٢) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٥ عن السدى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٠ (٣٤١) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وتقدم بتمامه فى ص٤٨٨ .

(٤) تقدم تخريجه فى ص٥١٨ .

قتادةَ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ . قال : علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ ، ثم عرَض تلك الأسماءَ على الملائكةِ[(١)] .

حدثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ : عرَض أصحابَ الأسماءِ على الملائكةِ[(٢)] .

حدثنى عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمٌ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ ، عن قيسٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعنى: عرَض الأسماءَ ؛ الحَمامةَ والغرابَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جَريرِ بنِ حازمٍ ومباركٍ ، عن الحسنِ ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ ، قالا : علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ ؛ هذه الخيلُ ، وهذه البغالُ ، وما أشْبَهَ ذلك ، وجعَل يُسَمِّى كلَّ شيءٍ باسمِه ، وعُرِضَت عليه أُمَّةً أُمَّةً[(٤)] .

/ القولُ فى تأويل قولِه جلّ وعزّ : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ . ٢١٨/١

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ : أَخْبِرونى . كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ [٢/ ٥٠و] بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ . يقولُ : أخْبِرونى بأسماءِ هؤلاءِ[(٥)] .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٥١٧ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٩ إلى المصنف .

(٣) تقدم فى ص ٥١٥.

(٤) تقدم بتمامه فى ص ٤٩٣.

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(١)] :

وأنْبَأه المُنَبِّئُ أنَّ حيًّا حُلُولًا مِن حَرامٍ[(٢)] أو جُذَامِ

يعنى بقولِه : أنبأه : أخْبَرَه وأعْلَمَه .

القولُ فى تأويل قولِه : ﴿ بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، **وحدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ . قال : بأسماءِ هذه التى حدَّثْتُ بها آدمَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بن دُاودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ . يقولُ : بأسماءِ هؤلاءِ التى[(٤)] حَدَّثْتُ بها آدمَ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فحدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ : إن كنتم تَعْلَمون لِمَ أجْعَلُ فى الأرضِ

---

(١) ديوانه ص ١٦٢ .

(٢) فى ت٢ : « حزام » ، وفى ت١ : « جذام » . وحرام : بطن من جذام .

(٣) تفسير مجاهد ص ١٩٩، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨١ (٣٤٢) .

(٤) فى ت١ ، ت٢ : « الذين » .

خليفةً[١] ؟

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ بنى آدمَ يُفْسِدون فى الأرضِ ويَسْفِكون الدماءَ[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، **عن** جريرِ بنِ حازمٍ ومباركٍ ، عن الحسن ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنى لم[٣] أَخْلُقْ خَلْقًا إلا كُنتم أعلمَ منه ، فأخْبِرونى بأسماءِ هؤلاءِ إن كنتم صادِقين[٤] .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ تأويلُ ابنِ عباسٍ ومَن قال بقولِه .

[٢/ ٥٠ظ] ومعنى ذلك : فقال : أنبِئونى بأسماءِ مَن عرَضْتُه عليكم أيتُها الملائكةُ القائلون : أتَجعَلُ (٥) فى الأرضِ (٥) مَن يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدمَاءَ ، مِن غيرِنا أم منا ، فنحن نُسَبِّحُ بحمدِك ونُقَدِّسُ لك ؟ إن كنتم صادقين فى قِيلِكم أنى إن جعَلْتُ خليفتى فى الأرضِ مِن غيرِكم ، عَصَانى ذريتُه وأفْسَدوا فيها وسفَكوا الدماءَ ، وإن جعَلْتُكم فيها ، أطَعْتُمونى واتَّبَعْتُم أمرى ، بالتعظيمِ لى والتقديسِ ، فإنكم إذ كنتم لا تَعْلَمون أسماءَ هؤلاء الذين عرَضْتُهم عليكم مِن خَلْقى ، وهم مَخْلوقون

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٥ عن السدى به . وتقدم بتمامه فى ص ٤٨٨.

(٣) فى الأصل : « لن » .

(٤) تقدم فى ص ٤٩٣ .

(٥ - ٥) فى ص ، م : « فيها » .

موجودون تَرَوْنهم وتُعايِنونهم ، وعَلِمه غيرُكم بتَعْليمِى إياه ، فأنتم بما هو غيرُ موجودٍ مِن الأمورِ الكائنَةِ التى لم توجَدْ بعدُ ، وبما هو مُتَستِّرٌ من الأُمورِ - التى هى
١/٢١٩ موجودةٌ - عن أعينِكم ، / أحْرَى أن تكونوا غيرَ عالمين ، فلا تَسْألونى ما ليس لكم به علمٌ ، فإنى أعلمُ بما يُصْلِحُكم ويُصْلِحُ خَلْقى .

وهذا الفعلُ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه بملائكتِه الذين قالوا له : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . مِن جهةِ عِتابِه تعالى ذِكرُه إياهم - نظيرُ قولِه لنبيِّه نوحٍ صلّى اللَّهُ عليه ، إذ قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ - ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٥، ٤٦] . فكذلك الملائكةُ سأَلت ربَّها أن تكونَ خُلفاءَه فى الأرضِ ليُسَبِّحوه ويُقَدِّسوه فيها ؛ إذ كان ذريةُ مَن أخْبَرهم أنه جاعلُه فى الأرضِ خليفةً يُفْسِدون فيها ويَسْفِكون الدماءَ ، فقال لهم تعالى ذكرُه : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى بذلك : إنى أعْلَمُ أن بعضَكم فاتحُ المعاصى وخاتِمُها . وهو إبليسُ ، مُنْكِرًا بذلك[1] تعالى ذِكرُه قولَهم . ثم عرَّفهم موضِعَ هَفْوتِهم ، فى قِيلِهم ما قالوا مِن ذلك ، بتعريفِهم قُصورَ علمِهم عمّا هم له شاهِدون عِيانًا - فكيف بما لم يَرَوْه ولم يُخْبَروا عنه ؟ - بعرْضِه ما عرَض عليهم مِن خلقِه الموجودين يومَئذٍ ، وقيلِه لهم : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنكم إن اسْتَخْلَفْتُكم فى أرْضى سبَّحْتمونى وقدَّسْتُمونى ، وإن اسْتَخْلَفْتُ فيها غيرَكم عَصانى ذُريتُه وأفْسَدوا وسَفَكوا الدماءَ . فلمَّا اتَّضح لهم موضِعُ خطأِ قيلِهم ، وبَدَت لهم هفوةُ زَلَّتِهم ، أنابوا إلى اللَّهِ بالتوبةِ فقالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . فسارَعوا الرَّجْعةَ مِن

(١) فى ت١ ، ت٢ : « بعد ذلك » .

الهَفْوةِ ، وبادَروا الإنابةَ مِن الزَّلَّةِ ، كما قال نوحٌ عليه السلامُ حِين عوتِب في مسألتِه ، فقيل له : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ - : ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[(١)] [هود : ٤٦، ٤٧] . وكذلك فعْلُ كلِّ مُسَدَّدٍ للحقِّ مُوَفَّقٍ له ، سَريعةٌ [٢/ ٥١و] إلى الحقِّ إنابتُه ، قريبةٌ إليه أوْبتُه .

وقد زعَم بعضُ نحْويِّي أهلِ البصرةِ أن قولَه : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ . لم يكنْ ذلك لأن الملائكةَ ادَّعَوْا شيئًا ، إنما أخْبَرَ عن جهْلِهم بعلمِ الغيبِ وعلمِه بذلك وفضلِه ، فقال : أنْبِئوني إن كنتم صادقين . كما يقولُ الرجلُ للرجلِ : أنْبِئْني بهذا إن كنتَ تَعْلَمُ . وهو يَعْلَمُ أنه لا يَعْلَمُ ، يُرِيدُ أنه جاهِلٌ .

وهذا قولٌ إذا تدَبَّره متَدَبِّرٌ عَلِم أن بعضَه مفْسِدٌ بعضًا ، وذلك أن قائلَه زعَم أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال للملائكةِ - إذ عرَض عليهم أهلَ الأسماءِ - : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ . وهو يَعْلَمُ أنهم لا يَعْلَمون ذلك[(٢)] ، ولا هم ادَّعَوْا[(٣)] علمَ شيءٍ[(٣)] يوجِبُ أن يوبَّخوا بهذا القـولِ . وزعَم أن قولَه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ نظيـرُ قولِ القائلِ[(٤)] : أنبِئْني بهذا إن كنتَ تَعْلَمُ . وهو يَعْلَمُ أنه لا يَعْلمُ ، يُرِيدُ أنه جاهلٌ . ولا شكَّ أن معنى قولِه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ . إنما هو : إن كنتم صادقيـنَ ؛ إمّا في قولِكم ، وإمّا في فعلِكم ؛ لأن الصدقَ في كلامِ العربِ إنما هو صِدقٌ في الخبرِ لا في العلمِ ، وذلك أنه غيرُ معقولٍ في لغةٍ مِن اللغاتِ أن يُقالَ : صدَق

---

(١) سقطت هذه الآية من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢.

(٣ - ٣) في ص : « شيئًا » .

(٤) في ر ، م : « الرجل للرجل » .

الرجلُ . بمعنى : عَلِم . فإذ كان ذلك كذلك ، فقد وجَب أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه قال للملائكةِ – على تأويلِ قولِ هذا الذى حكَيْنا قولَه فى هذه الآيةِ – : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ . وهو يَعْلَمُ أنهم غيرُ صادقين ، يُرِيدُ بذلك أنهم كاذِبون ، وذلك هو عينُ ما أنْكره ؛ لأنه زعَم أن الملائكةَ لم تَدَّعِ شيئًا ، فكيف جاز

١/٢٢٠ أن / يقالَ لها[1] : إن كنتم صادقين فأنبِئونى بأسماءِ هؤلاء[2] ؟ مع خروج هذا القولِ الذى حكَينا عن صاحبِه ، مِن أقوالِ جميعِ المُتَقَدِّمين والمُتَأَخِّرين مِن أهلِ التأويلِ والتفسيرِ .

وقد حُكِى عن بعضِ أهلِ التفسيرِ أنه كان يَتأَوَّلُ قولَه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ . بمعنى : إذ كنتم صادقين .

ولو كانت ﴿إِن﴾ بمعنى « إذ » فى هذا الموضعِ ، لَوجَب أن تكونَ قراءتُها بفتحِ ألفِها ؛ لأن « إذ » إذا تقَدَّمها فعلٌ مُستقبَلٌ ، صارت علةً للفعل وسببًا له ، وذلك كقولِ القائلِ : أقومُ إذ قمتَ . فمعناه : أقومُ مِن أجلِ أنك قمتَ . والأمرُ بمعنى الاستِقبالِ . فمعنى الكلامِ لو كانت ﴿إِن﴾ بمعنى « إذ » : أنبِئونى بأسماءِ هؤلاءِ مِن أجلِ أنكم صادِقون . فإذا وُضِعَت « إن » مكانَ[3] ذلك ، قيل : أنبِئونى بأسماءِ هؤلاءِ أن كنتم صَادقين . مفتوحةَ الألفِ . وفى إجماعِ جميعِ قَرَأةِ [٥١/٢ظ] أهلِ الإسلامِ على كسرِ الألفِ مِن ﴿إِن﴾ دليلٌ واضحٌ على خطأِ تأويلِ مَن تأوَّل ﴿إِن﴾ بمعنى « إذ » فى هذا الموضعِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ

(١) سقط من : ت١ ، ت٢ ، وفى م : « لهم » .
(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ : « هذا » .
(٣) فى ص : « فى موضع » .

أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن ملائكتِه بالأَوْبةِ إليه ، وتسليمِ عِلْمِ ما [(١]عَلِم مِمّا[١)] لم يَعْلَموه له ، وتَبَرِّيهم[(٢)] مِن أن يَعْلَموا أو يَعْلَمَ أحدٌ شيئًا إلا ما علَّمه تعالى ذِكرُه .

وفى هذه الآياتِ الثلاثِ العِبْرةُ لمن اعْتَبر ، والذكْرَى لمن ادَّكَر ، والبيانُ لمن كان له قلبٌ أو ألقَى السمعَ وهو شهيدٌ ، عما أوْدَع اللَّهُ تعالى ذكرُه آىَ هذا القرآنِ مِن لَطائفِ الحِكَمِ التى تَعْجِزُ عن أوصافِها الألسنُ . وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه احْتَجَّ فيها لنبيِّه ﷺ على مَن كان بين ظهرانَيْه مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ، بإطلاعِه إياه مِن علومِ الغَيْبِ التى لم يكنْ تعالى ذكرُه أَطْلَع عليها مِن خلقِه إلا خاصًّا ، ولم يكنْ مُدْرَكًا علمُه إلا بالإنباءِ والإخبارِ ؛ لتتقَرَّر عندَهم صحةُ نبوتِه ، ويَعْلَموا أن ما أتاهم به فمِن عندِه ، ودلَّ فيها على أن كلَّ مُخْبِرٍ خبرًا عما قد كان ، أو عما هو كائنٌ مما لم يكنْ ولمّا يَأْتِه به خبرٌ ، ولم يُوضَعْ له على صحتِه بُرهانٌ ، فمُتَقَوِّلٌ ما يَسْتَوْجِبُ به مِن ربِّه العقوبةَ .

ألا [(٣]تَرَى أن[٣)] اللَّهَ ردَّ على ملائكتِه قِيلَهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وعرَّفهم أن قِيلَ ذلك لم يكنْ جائزًا لهم ، بما عرَّفهم مِن قُصورِ علمِهم عندَ عَرْضِه ما عرَض عليهم مِن أهلِ الأسماءِ ، فقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . فلم يَكُنْ لهم مَفْزَعٌ إلا الإقرارُ بالعجزِ والتَّبَرِّى إليه أن يعلَموا إلّا مَا علَّمَهم بقولِهم : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . فكان فى ذلك أوضحُ

(١ - ١) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « إن » .

(٢) فى ت ١، ت ٢: « تنزيههم » .

(٣ - ٣) فى ر : « تسمعون » ، وفى ت ١، ت ٢: « يسمعون » .

الدلالةِ وأبينُ الحُجَّةِ على كذبِ مَقالةِ كلِّ مَن ادَّعَى شيئًا مِن علومِ الغيبِ ، مِن الحُزاةِ[(١)] والكَهَنةِ والعافَةِ[(٢)] والمُتنجِّمةِ .

وذكَّر [٢/ ٥٢و] بها الذين وصَفْنا أمرَهم مِن أهلِ الكتابِ ، سَوالفَ نعمِه على آبائِهم ، وأياديَه عندَ أسلافِهم ، عندَ إنابتِهم إليه ، وإقبالِهم إلى طاعتِه ، مُسْتَعْطِفَهم بذلك إلى الرَّشادِ ، ومُسْتَعْتِبَهم به إلى النجاة ، وحذَّرهم - بالإصرارِ والتمادى / فى ١/٢٢١
الغَىِّ[(٣)] والضَّلالِ - حلولَ العِقابِ بهم ، نظيرَ ما أحلَّ بعدوِّه إبليسَ ، إذ تمادَى فى الغَىِّ[(٣)] والخَسارِ[(٤)] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . فهو كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تَنْزِيهًا للَّهِ مِن أن يكونَ أحدٌ يَعْلَمُ الغيبَ غيرَه ، تُبْنا إليك ، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ تَبَرِّيًا منهم مِن علمِ الغيبِ ، إلَّا ما علَّمتنا كما علَّمْتَ آدمَ[(٥)] .

و« سبحانَ » مصدرٌ لا تصرُّفَ له ، ومعناه : تسبيحَكَ[(٦)] . كأنهم قالوا : نُسَبِّحُكَ تَسْبيحًا ، ونُنَزِّهُكَ تَنْزيهًا ، ونُبَرِّئُكَ مِن أن نَعْلَمَ شيئًا غيرَ ما علَّمْتَنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك : إنك أنت يا ربَّنا العليمُ - مِن غيرِ تَعْليمٍ -

---

(١) الحزاة : جمع حاز ، وهو الذى يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . النهاية ١/ ٣٨٠ .

(٢) فى الأصل ، م : « القافة » . والعافة : جمع عائف ، وهو المتكهن بالطير أو غيرها . التاج (ع ى ف) .

(٣) فى م : « البغى » .

(٤) بعده فى ص ، ر ، م : « قال » .

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٦) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « نسبحك » .

بجميعِ[(١)] ما قد كان ، وما هو كائنٌ ، والعالمُ للغُيوبِ دون جميعِ خلقِك . وذلك أنهم نفَوْا عن أنفسِهم بقولِهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . أن يكونَ لهم علمٌ إلا ما علَّمهم ربُّهم ، وأثْبتوا ما نَفَوْا عن أنفسِهم مِن ذلك لربِّهم بقولِهم : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . يَعْنون بذلك العالمَ مِن غيرِ تعليمٍ ؛ إذ كان مَن سواك لا يَعْلَمُ شيئًا إلا بتعليمِ غيرِه إياه .

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ : هو ذو الحِكْمةِ ، كما حدَّثنى به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : حدَّثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : العليمُ الذى قد كمُل فى علمِه ، والحكيمُ الذى قد كمُل فى حِكْمتِه[(٢)] .

وقد قيل : إن معنى ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الحاكمُ ، كما[(٣)] العليمُ بمعنى العالمِ ، والخبيرُ بمعنى الخابرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه عرَّف ملائكتَه [٥٢/٢ظ] الذين سألُوه أن يَجْعَلَهم الخلفاءَ فى الأرضِ ووصَفوا أنفسَهم بطاعتِه والخضوعِ لأمرِه ، دون غيرِهم الذين يفْسِدون فيها ويَسْفِكون الدماءَ - أنهم مِن الجهلِ بمَواقعِ تدْبيرِه ومحَلِّ قَضائِه ، قبلَ إطْلاعِه إياهم عليه ، على نحوِ جهلِهم بأسماءِ الذين عرَضهم عليهم ، إذ كان ذلك مما لم يُعَلِّمْهم فيَعْلَموه ، وأنهم وغيرَهم مِن العبادِ لا يَعْلَمون مِن العلمِ إلا ما

---

(١) فى الأصل : « لجميع » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٢٠ - وأبو الشيخ فى العظمة (٩٨) من طريق عبد الله بن صالح به مطولا . وسيأتى فى تفسير قوله : ﴿ الصمد ﴾ .

(٣) بعده فى م : « أن » .

علَّمَهم إياه ربُّهم ، وأنه يَخُصُّ بما شاء مِن العلمِ مَن شاء مِن الخلقِ ، ويَمْنَعُه منهم مَن شاء ، كما علَّم آدمَ أسماءَ من عرَض على الملائكةِ ، ومنَعهم علمَها إلا بعدَ تعليمِه إياهم .

فأما تأويلُ قولِه : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم ﴾ : (١)قال اللَّهُ : يا آدمُ أنبِئْهم(١) . يقولُ : أخبِرِ الملائكةَ . والهاءُ والميمُ فى قولِه : ﴿ أَنۢبِئْهُم ﴾ عائدتان على الملائكةِ . وقولُه : ﴿ بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ يعنى : بأسماءِ الذين عرَضهم على الملائكةِ . والهاءُ والميمُ اللتان فى ﴿ بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ كنايةٌ عن ذكرِ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ التى فى قولِه : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم ﴾ يقولُ : فلمّا أخْبَرَ آدمُ الملائكةَ بأسماءِ الذين عرَضهم عليهم ، فلم يَعْرِفوا أسماءَهم ، وأيْقَنوا خطأَ قِيلِهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك ﴾ . وأنهم قد هفَوْا(٢) فى ذلك ،

١/٢٢٢ / وقالوا ما لايَعْلَمون كيفيَّةَ وقوعِ قَضاءِ ربِّهم فى ذلك ، لو وقَع على ما نطَقوا به - قال لهم ربُّهم : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . والغيبُ : هو ما غاب عن أبصارِهم فلم يُعايِنوه . تَوبيخًا مِن اللَّهِ جلَّ وعزَّ لهم بذلك على ما سلَف مِن قيلِهم ، وفرَط منهم مِن خطأِ مسألتِهم .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيد ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارة ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباس : ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . يقولُ : أخْبِرْهم بأسمائِهم ، ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ أيُّها الملائكةُ خاصةً : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، ولا يَعْلَمُه غيرى(٣) .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قصةِ الملائكةِ

(١ - ١) سقط من : م ، وفى ص : « يقول أخبرهم » .

(٢) بعده فى ص : « عنده » .

(٣) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

وآدمَ : فقال اللَّهُ للملائكةِ : كما لم تَعْلَموا هذه الأسماءَ ، فليس لكم علمٌ أنما[(١)] أرَدْتُ أن أجْعَلَهم ليُفْسدوا فيها ، هذا عِندِى[(٢)] قد علِمْتُه ، فكذلك أخْفَيْتُ عنكم أنى أجْعَلُ فيها مَن يَعْصِينى ومَن يُطِيعُنى . قال : وسبَق مِن اللَّهِ : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩] . قال : ولم تَعْلَمِ الملائكةُ ذلك ولم يَدْرُوه . قال : فلما رأَوْا ما أعْطَى اللَّهُ آدمَ مِن العلمِ ، أقرُّوا لآدمَ بالفضلِ[(٣)] .

[٥٣/٢و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه** : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

قال أبو جعفر : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ . يقولُ : ما تُظْهِرون ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . يقولُ : أعْلَمُ السرَّ كما أعْلَمُ العَلانيةَ . يعنى ما كتَم إبليسُ فى نفسِه مِن الكِبْرِ والاغْتِرارِ[(٤)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : قولُهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فهذا الذى أبْدَوْا ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . يَعْنى ما أسَرَّ إبليسُ فى نفسِه مِن الكِبْرِ[(٥)] .

---

(١) فى ص : « بما » .

(٢) فى ص ، ر : « عبدى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠٧/١ عن المصنف .

(٤) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠٦/١ عن السدى به .

=

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ ثابتٍ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قولَه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : ما أسَرَّ إبليسُ في نفسِه[1] .

حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ في قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : ما أسَرَّ إبليسُ في نفسِه مِن الكِبْرِ ألَّا يَسْجُدَ لآدمَ[2] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ الأَنْماطيُّ ، قال : حدَّثنا مَهْديُّ بنُ مَيْمونٍ ، قال سمِعْتُ الحسنَ بنَ دينارٍ قال للحسنِ ونحن جُلوسٌ عندَه في منزلِه : يا أبا سعيدٍ ، أرأيْتَ قولَ اللَّهِ للملائكةِ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . فما
١/٢٢٣ الذى كتَمَت الملائكةُ؟ فقال الحسنُ : إن اللَّهَ لمَّا خلَق / آدمَ ، رأَتِ الملائكةُ خلقًا عَجبًا ، فكأنهم دخَلَهم مِن ذلك شيءٌ ، فأقبَل بعضُهم إلى بعضٍ ، وأسرُّوا ذلك بينَهم ، فقالوا : ما يُهِمُّكم من هذا المخلوقِ ! إن اللَّهَ لن يَخْلُقَ خلقًا إلا كُنَّا أكرمَ عليه منه[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : أسَرُّوا بينَهم فقالوا :

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٥٠ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٢ (٣٥٤) من طريق الفضل بن خالد ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك عن ابن عباس بنحوه .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٣ عقب الأثر (٣٥٧) معلقا . وعمرو بن ثابت ضعيف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٦ عن الثورى .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٨٥- تفسير) من طريق مهدى بن ميمون به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٥٠ إلى عبد بن حميد .

يَخْلُقُ اللَّهُ ما (١) يَشاءُ أن يَخْلُقَ (١) ، فلن يَخْلُقَ خلقًا إلَّا ونحن أكرمُ عليه منه (٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : فكان الذي أَبدَوا [٥٣/٢ظ] حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . وكان الذي كتَموا بينَهم قولُهم : لن يَخْلُقَ ربُّنا خلقًا إلا كنا نحن أعلَمَ منه وأكرمَ . فعرَفوا أن اللَّهَ فضَّل آدمَ عليهم في العلمِ والكرمِ (٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ ما قاله ابنُ عباسٍ ، وهو أن معنى قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ : وأعلمُ - مع علمِى غيبَ السماواتِ والأرضِ - ما تُظهِرون بألسنتِكم ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : وما كنتم تُخْفُونه في أنفسِكم ، فلا يَخفَى علىَّ شيءٌ ، سواءٌ عندى سَرائرُكم وعَلانيتُكم . والذى أظْهَروه بألسِنتِهم ما أخبرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه عنهم أنهم قالوه ، وهو قولُه (٤) : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . والذى كانوا يَكْتُمونه ما كان عليه منطويًا إبليسُ مِن الخلافِ على اللَّهِ في أمرِه ، والتَّكَبُّرِ عن طاعتِه ؛ لأنه لا خلافَ بينَ جميعِ أهلِ التأويلِ أن تأويلَ ذلك غيرُ خارجٍ مِن أحدِ الوجهَيْن اللذين وصَفْتُ ، وهو ما قلْنا . والآخرُ ما ذكَرْنا مِن قولِ الحسنِ وقتادةَ ، ومَن قال : إن معنى ذلك كِتْمانُ الملائكةِ بينَهم : لن يَخْلُقَ اللَّهُ خلقًا إلا كنا أكرمَ عليه منه . فإذ كان لا قولَ في

(١ - ١) في الأصل ، ر : « شاء » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٣/١ .

(٣) بعده في ت١ ، ت٢ : « كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٣/١ (٣٥٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في م : « قولهم » .

تأويلِ ذلك إلا أحدُ القولين اللذين وصَفْتُ ، ثم كان أحدُهما غيرَ موجودةٍ على صحتِه الدَّلالةُ مِن الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له - صَحَّ الوجهُ الآخرُ . والذى حُكِى عن الحسنِ وقتادةَ ومَن قال بقولِهما فى تأويلِ ذلك ، غيرُ موجودةٍ الدَّلالةُ على صحتِه من الكتابِ ، ولا من خبرٍ تجبُ به حجةٌ . والذى قاله ابنُ عباسٍ يَدُلُّ على صحتِه خبرُ اللَّهِ عن إبليسَ وعِصْيانِه إياه ، إذ دعاه إلى السجودِ لآدمَ عليه السلامُ فأبَى واسْتَكْبَر ، وإظهارُه لسائرِ الملائكةِ مِن معصيتِه وكِبْرِه ما كان له كاتمًا قبلَ ذلك .

فإن ظَنَّ ظانٌّ أن الخبرَ عن كِتمانِ الملائكةِ ما كانوا يَكْتُمون ، لمَّا كان خارجًا مَخْرَجَ الخبرِ عن الجميعِ ، كان غيرَ جائزٍ أن يكونَ ما رُوِى فى تأويلِ ذلك عن ابنِ عباسٍ ومَن قال بقولِه ، مِن أن ذلك خبرٌ عن كِتْمانِ إبليسَ الكِبْرَ والمعصيةَ ، صحيحًا ، فقد ظَنَّ غيرَ الصوابِ . وذلك أن مِن شأنِ العربِ إذا أَخْبَرَتْ خبرًا عن بعضِ جماعةٍ بغيرِ تسميةِ شخصٍ بعينِه أن تُخْرِجَ الخبرَ [٢/٥٤و] عنه مُخْرَجَ الخبرِ عن الجميعِ ، وذلك كقولِهم : قُتِل الجيشُ وهُزِموا . وإنما قُتِل الواحدُ أو البعضُ ، وهُزِم الواحدُ أو البعضُ ، فتُخْرِجُ الخبرَ عن المهزومِ منهم والمقتولِ مُخْرَجَ الخبرِ عن جميعِهم ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ
١/٢٢٤ ٱلْحُجُرَٰتِ /أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤] . ذُكِر أن الذى نادَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فنزَلَت هذه الآيةُ فيه ، كان رجلًا مِن جماعةٍ مِن بنى تميمٍ ، كانوا قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ (١) . فأَخْرَج الخبرَ عنه مُخْرَجَ الخبرِ عن الجماعةِ ، فكذلك قولُه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . أَخْرَج الخبرَ مُخْرَجَ الخبرِ عن الجميعِ ، والمرادُ به الواحدُ منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ

(١) سيأتى تخريجه فى سورة الحجرات .

إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ . فمعطوفٌ على قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ . كأنه قال لليهودِ الذين كانوا بينَ ظهرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من بنى إسرائيلَ ، مُعَدِّدًا عليهم نعمَه ، ومُذَكِّرَهم آلاءَه ، على نحوِ الذى قد وصَفْنا فيما مضَى قبلُ - : اذْكُروا فِعْلى بكم إذ أنْعَمْتُ عليكم ، فخلَقْتُ لكم ما فى الأرضِ جميعًا ، وإذ قلتُ للملائكةِ إنى جاعِلٌ فى الأرضِ خليفةً ، فكرَّمْتُ أباكم آدمَ بما آتيْتُه مِن عِلْمى وفَضْلى وكَرامتى ، وإذ أسْجَدتُ له مَلائِكتى فسجَدوا له . ثم اسْتَثْنى مِن جميعِهم إبليسَ ، فدلَّ باستثنائِه إياه منهم على أنه منهم ، وأنه ممَّن قد أُمِر بالسجودِ معهم ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف : ١١، ١٢] . فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمَر إبليسَ فى من أمَره مِن الملائكةِ بالسجودِ لآدمَ ، ثم اسْتَثْناه مما أخْبَر عنهم أنهم فعَلوه مِن السجودِ لآدمَ ، فأخْرَجه مِن الصفةِ التى وصَفهم بها مِن الطاعةِ لأمرِه ، ونفَى عنه ما أثْبَته لملائكتِه مِن السجودِ لعبدِه آدمَ .

ثم **اختَلَف أهلُ التأويلِ فيه** ؛ هل هو مِن الملائكةِ أم هو مِن غيرِهم ؟ **فقال بعضُهم** [٢/٥٤ظ] بما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ مِن حيٍّ مِن أحياءِ الملائكةِ يقالُ لهم : الجِنُّ . خُلِقوا مِن نارِ السَّمومِ مِن بينِ الملائكةِ . قال : وكان اسمُه الحارثَ . قال : وكان خازنًا مِن خُزَّانِ الجنةِ . قال : وخُلِقَت الملائكةُ مِن نورٍ غيرَ هذا الحيِّ . قال : وخُلِقَت الجِنُّ الذين ذُكِروا فى القرآنِ مِن مارجٍ مِن نارٍ ؛ وهو لسانُ النارِ الذى يَكونُ فى طَرَفِها إذا الْتَهَبَت[1] .

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن خَلَّادِ بنِ[(١)] عَطاءٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ قبلَ أن يَرْكَبَ المعصيةَ مِن الملائكةِ ، اسمُه عَزَازِيلُ[(٢)] ، وكان مِن سكانِ الأرضِ ، وكان مِن أشدِّ الملائكةِ اجْتِهادًا وأكثرِهم علمًا ، فذلك دعاه إلى الكبْرِ ، وكان مِن حيٍّ يُسَمَّوْن جنًّا[(٣)] .

وحدَّثنا به ابنُ حُميدٍ مرةً أخرى ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن خلادِ بنِ[(١)] عطاءٍ ، عن طاوسٍ ، أو مُجاهِدٍ أبي الحَجَّاجِ ، عن ابنِ عباسٍ وغيرِه بنحوِه ، إلا أنه قال : كان مَلَكًا مِن الملائكةِ اسمُه عَزَازِيلُ[(٤)] ، وكان مِن سكانِ الأرضِ وعُمَّارِها ، وكان سكانُ الأرضِ فيهم يُسَمَّوْن الجنَّ مِن بينِ الملائكةِ[(٥)] .

١/٢٢٥ / **حدَّثني** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ،

---

(١) في ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١١٠ ، والبداية والنهاية ١/ ١٢٩ : « عن » .
وفي الرواة : خلاد بن عطاء بن رباح ، يروى عن أبيه . التاريخ الكبير ١٨٦/٣ .
وخلاد بن عبد الرحمن الصنعاني ، يروى عن طاووس ومجاهد . تهذيب الكمال ٨/ ٣٥٦.
والمثبت كما في الأصل ، وكذلك هو في تاريخ المصنف ، والأضداد ، وتفسير ابن كثير ٥/ ١٦٥.
وفي الرواة : خلاد بن عطاء بن الشَّيْج ، يروى عن طاووس . وقال ابن إسحاق : هو الشامي . التاريخ الكبير ١٨٦/٣ . وينظر ما سيأتي في تفسير الآية ٥٠ من سورة الكهف .
(٢) في الأصل : « عزرائيل » .
(٣) أخرجه ابن إسحاق في المبتدأ ، كما في تفسير ابن كثير ١١٠/١ .
وأخرجه المصنف في تاريخه ٨٦/١ . وينظر الدر المنثور ٥٠/١ .
(٤) في ر : « عزرايل » .
(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٨٦/١ . وأخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٣٤ من طريق ابن حميد وابن غانم ، عن سلمة به مطولا .

وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : جُعِل إبليسُ على مُلْكِ سماءِ الدنيا ، وكان مِن قبيلةٍ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم : الجنُّ . وإنما سُمُّوا الجنَّ لأنهم خُزَّانُ الجنةِ ، وكان إبليسُ مع مُلْكِه خازنًا[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسَيْنُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : كان إبليسُ مِن أشْرافِ الملائكةِ و[(٢)]أكرمِهم قبيلةً ، وكان خازنًا على الجنانِ ، وكان له سلطانُ سماءِ الدنيا ، وكان له سلطانُ الأرضِ . قال : قال ابنُ عباسٍ : وقولُه : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف : ٥٠] . إنما سُمِّى بالجَنَّانِ أنه كان خازنًا عليها . كما يُقالُ للرجلِ : مَكِّىٌّ ، ومدَنىٌّ ، وكوفىٌّ ، وبصرىٌّ . قاله[(٣)] ابنُ جُرَيْجٍ[(٤)] .

وقال آخَرون : هم سِبْطٌ مِن الملائكةِ قَبيلَةٌ ، وكان اسمُ قبيلتِه الجِنَّ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن صالحٍ مولى التوأمةِ وشريكِ بنِ أبى نَمِرٍ - أحدُهما أو كلاهما - عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن مِن الملائكةِ قبيلةً مِن الجنِّ ، وكان إبليسُ منها ، وكان يَسُوسُ ما بينَ السماءِ والأرضِ[(٥)] .

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٦ .

(٢) زيادة من : م .

(٣) فى النسخ : « قال » . والمثبت مما سيأتى فى تفسير سورة الكهف .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٨١/١ إلى قوله : « وكان له سلطان الأرض » . وسيأتى فى سورة الكهف بزيادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢٧/٤ إلى المصنف وابن المنذر ، بزيادة نحوه .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ٨١/١ . وسيأتى فى ص ٥٤١ من طريق آخر عن شريك ، عن صالح ، عن ابن عباس . وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٣١) من طريق سليمان بن بلال ، عن شريك ، عن كريب ، عن ابن عباس .

حُدِّثْتُ عن الحُسَينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ الفضلَ بنَ خالدٍ ، قال : أخْبَرَنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضَّحَّاكَ بنَ مُزاحِمٍ يقولُ في قولِه : ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ . قال : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : إن إبليسَ كان مِن أشرفِ الملائكةِ وأكرمِهم قبيلةً . ثم ذكَر مثلَ حديثِ [٢/٥٥و] ابنِ جُرَيْجٍ الأولِ سَواءً[١] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنى شَيْبانُ ، قال : حدَّثنا سَلَّامُ بنُ مِسْكينٍ ، عن قَتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، قال : كان إبليسُ رئيسَ ملائكةِ سماءِ الدنيا[٢] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ : قَبيلٌ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم : الجنُّ . وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : لو لم يَكُنْ مِن الملائكةِ لم يُؤْمَرْ بالسجودِ ، وكان على خِزانةِ سماءِ الدنيا . قال : وكان قَتادةُ يقولُ : جُنَّ عن طاعةِ ربِّه[٣] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ . قال : كان مِن قَبيلٍ مِن الملائكةِ يقالُ لهم : الجنُّ[٤] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : أمَّا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٨١/١ عن عبدان المروزى ، عن الحسين بن الفرج به .
وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٣٨) من طريق أبى معاذ به نحوه .
(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٨٦/١ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/١، ٢٢٧/٤ إلى ابن أبى حاتم .
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢٧/٤ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبيه ، إلى قوله : سماء الدنيا .
وأخرج باقيه أبو الشيخ فى العظمة (١١٣٢) من طريق سلام بن مسكين ، عن أبيه ، عن قتادة .
(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٠٤/١ .

العربُ فيقولون : ما الجنُّ إلّا كلُّ ما اجْتَنَّ فلم يُرَ . قال : وأما قولُه : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ . أى : كان مِن الملائكةِ ، وذلك أن الملائكةَ اجْتنُّوا فلم يُرَوْا ، وقد قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٨] . وذلك لقولِ قريشٍ : إن الملائكةَ بناتُ اللَّهِ . فيقولُ اللَّهُ جلَّ ذكرُه : إن تكنِ الملائكةُ بناتى / فإبليسُ منها ، وقد جعَلوا بينى وبينَ إبليسَ ١/٢٢٦ وذريتِه نسَبًا . قال : وقد قال الأعْشَى ؛ أعْشَى بنى قيسِ بنِ ثَعْلبةَ البَكْرىُّ ، وهو يَذْكُرُ سليمانَ بنَ داودَ وما أعطاه اللَّهُ عزّ وجلّ :

فلو كان شىءٌ خالدًا أو مُعمَّرًا لكان سليمانُ البرِىءَ مِن الدَّهرِ
بَراه إلهى واصطَفاه عِبادَه وملَّكه ما بينَ ثريا[1] إلى مِصْرِ
وسخَّر من جنِّ الملائكِ تسعةً قيامًا لديه يعملون بلا أجرِ

قال : فأبَت العربُ فى لغتِها إلا أن الجنَّ كلُّ ما اجتَنَّ ، وتقولُ : ما سمَّى اللَّهُ الجنَّ إلا أنهم اجْتنُّوا فلم يُرَوا ، وما سمَّى بنى آدمَ الإنسَ إلا أنهم ظهَروا فلم يجتنُّوا ، فما ظهَر فهو إنسٌ ، وما اجْتنَّ فلم يُر فهو جِنٌّ[2] .

وقال آخَرون بما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : ما كان إبليسُ مِن الملائكةِ طَرْفةَ عينٍ قطُّ ، وإنه لأصلُ

---

(١) فى الأصل : « تونا » ، وفى الأضداد : « ترنا » .

(٢) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٣٥ من طريق ابن حميد وابن غانم ، عن سلمة به مختصرا .

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٥/١٦٥ : وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذى بأيدينا ، وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة .

الجنِّ كما أن آدمَ أصلُ الإنسِ[(١)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ : ألجأه إلى نَسَبِه ، [٢/٥٥ظ] فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ الآية . وهم يَتوالَدون كما يَتوالَدُ بنو آدمَ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : حدَّثنا أبو سعيدٍ اليَحْمَدىُّ[(٣)] إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سَوَّارُ بنُ الجَعْدِ اليَحْمَدِىُّ ، عن شَهْرِ ابنِ حَوشَبٍ قولَه : ﴿ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ . قال : كان إبليسُ مِن الجنِّ الذين طرَدَتهم الملائكةُ ، فأسَرَه بعضُ الملائكةِ فذهَب به إلى السماءِ[(٤)] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : إبليسُ أبو الجنِّ ، كما آدمُ أبو الإنسِ[(٥)] .

حدَّثنا علىُّ بنُ الحسنِ[(٦)] ، قال : حدَّثنى أبو نصرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ الخَلَّالُ ، قال : حدَّثنى سُنَيدُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرحمنِ بنُ يحيى ، عن موسى بنِ نُمَيرٍ وعثمانَ بنِ سعيدِ بنِ كاملٍ ، عن سعدِ بن مسعودٍ ، قال :

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٥٦) من طريق ابن أبى عدى به .
وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٣٧ ، وأبو الشيخ (١١٤٠) من طريق عوف به . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ١١٠، ٥/ ١٦٤: هذا إسناد صحيح .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٤٨) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة من قوله .

(٣) بعده فى م : « حدثنا » .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٧ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٢٢٧ إلى ابن أبى حاتم .

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحسين » .

كانت الملائكةُ تُقاتِلُ الجنَّ ، فسُبِى إبليسُ وكان صغيرًا ، فكان مع الملائكةِ فتعبَّد معها ، فلما أُمِروا بالسجودِ لآدمَ سجَدوا ، فأبى إبليسُ ، فلذلك قال اللَّهُ : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾[(1)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا المباركُ بنُ مُجاهدٍ أبو الأزهرِ ، عن شريكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نمِرٍ ، عن صالحٍ مولى التَّوْأَمةِ ، عن ابن عباسٍ ، قال : إن مِن الملائكةِ قبِيلًا يقالُ لهم : الجنُّ . فكان إبليسُ منهم ، وكان إبليسُ يسُوسُ ما بينَ السماءِ والأرضِ ، فعصَى فمسَخه اللَّهُ شيطانًا رَجيمًا[(2)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ القزَّازُ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن شَريكٍ ، [(3)] عن رجلٍ[(3)] ، عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن اللَّهَ خلَق خلقًا فقال : اسْجُدوا لآدمَ . فقالوا : لا نَفْعَلُ . فبعَث اللَّهُ عليهم نارًا تحْرِقُهم ، ثم خلَق خلقًا آخرَ ، فقال : إنى خالقٌ بشرًا مِن طينٍ ، فاسْجُدوا لآدمَ . قال : فأبَوْا ، فبعَث اللَّهُ عليهم نارًا فأحْرَقَتهم . قال : ثم خلَق هؤلاءِ ، فقال : اسْجُدوا لآدمَ . فقالوا : نعَم . قال : وكان إبليسُ مِن أولئك الذين أبَوا أن يَسجُدوا لآدمَ[(4)] .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٧ . وينظر العظمة (١١٤٣) ، وتفسير ابن كثير ١/١١١ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٢. وأخرجه البيهقى فى الشعب (١٤٤) من طريق زهير بن محمد ، عن شريك به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص ، ر .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١١١ عن المصنف . وقال : وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ؛ فإن فيه رجلا مبهما ، ومثله لا يحتج به .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٧ عن محمد بن سنان ، عن أبى عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ من طريق أبى عاصم به مثله . وينظر ما سيأتى فى تفسير الآية ٢٨، ٢٩ من سورة الحجر .

قال أبو جعفرٍ : وعلةُ مَن قال هذه المَقالةَ - [(١]أن إبليسَ ليس هو مِن الملائكةِ[١)] - أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَر في كتابِه أنه خلَق إبليسَ من نارِ السَّمومِ ، ومِن مارجٍ مِن نارٍ ، ولم يخبِرْ عن الملائكةِ أنه خلَقها مِن شيءٍ من ذلك ، وأن اللَّهَ أخبَر[(٢)] أنه مِن الجنِّ .

١/٢٢٧ /قالوا : فغيرُ جائزٍ أن يُنْسَبَ إلى غيرِ ما نسَبه اللَّهُ إليه . قالوا : ولإبليسَ نَسْلٌ وذُرِّيةٌ ، والملائكةُ لا تَتناسَلُ ولا تَتوالَدُ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه عِلَلٌ تُنْبِئُ عن ضعفِ معرفةِ أهلِها ، [٥٦/٢و] وذلك أنه غيرُ مُسْتَنْكَرٍ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه خلَق أصنافَ ملائكتِه مِن أصنافٍ مِن خلقِه شَتَّى . فخلَق بعضًا مِن نُورٍ ، وبعضًا مِن نارٍ ، وبعضًا مما شاء مِن غيرِ ذلك . وليس في تَرْكِ اللَّهِ تعالى ذكرُه الخبرَ عما خلَق منه ملائكتَه ، وإخبارِه عما خلَق منه إبليسَ ، ما يوجِبُ أن يكونَ إبليسُ خارجًا مِن[(٣)] معناهم ، إذ كان جائزًا أن يكونَ خلَق صِنفًا مِن ملائكتِه مِن نارٍ كان منهم إبليسُ ، وأن يكونَ أفْرَد إبليسَ بأن خلَقه مِن نارِ السَّمومِ دون سائرِ ملائكتِه . وكذلك غيرُ مخرجِه أن يكونَ كان مِن الملائكةِ بأن كان له نسلٌ وذريةٌ ، لِما ركَّب فيه من الشهوةِ واللذةِ التي نُزِعتْ من سائرِ الملائكةِ ، لِما أراد اللَّهُ به[(٤)] مِن المَعْصيةِ .

وأما خبرُ اللَّهِ تعالى ذكرُه عنه أنه مِن الجنِّ ، فغيرُ مدفوعٍ أن يُسَمَّى[(٥)] ما اجْتَنَّ

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) بعده في ص : « في كتابه » .
(٣) في م : « عن » .
(٤) في الأصل : « منهم » ، وفي ص ، ت٣ : « بهم » .
(٥) بعده في ص : « من الجن » .

مِن الأشياءِ كلِّها عن الأبْصارِ جنًّا - كما قد ذكَرْنا قبلُ فى شعرِ الأعْشَى - فيكونُ إبليسُ والملائكةُ منهم لاجْتِنانِهم عن أبصارِ بنى آدمَ .

القولُ فى معنى : ﴿ إِبْلِيسَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإبليسُ : إفْعِيلُ ، مِن الإبْلاسِ ، وهو الإياسُ مِن الخيرِ والندَمُ والحزنُ .

كما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إبليسُ أبْلَسَه اللَّهُ مِن الخيرِ كلِّه ، وجعَله شيطانًا رجيمًا عُقوبةً لمعصيتِه(١) .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : كان اسمُ إبليسَ الحارثَ ، وإنما سُمِّى إبليسُ حينَ أبْلِس فقيرًا(٢) .

قال أبو جعفرٍ : وكما قال اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] . يعنى به أنهم آيِسون مِن الخيرِ ، نادِمون حُزْنًا ، كما قال العجَّاجُ(٣) :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا(٤)
قال نَعَمْ أَعْرِفُه وأبْلَسَا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٩٥ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٤ (٣٦٢) ، وابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٣٦ من طريق بشر به بنحوه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٥٠ إلى ابن المنذر . وتقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ .

(٢) فى م : « فغير » ، وغير منقوطة فى ص .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٤ عقب الأثر (٣٦٢) من طريق عمرو بن حماد به نحوه .

(٣) ديوانه ص ١٢٣ .

(٤) رسم مكرِس ومكرَس : بعرت فيه الإبل وبوَّلت ، فركب بعضه بعضًا . التاج (ك ر س) .

وقال رُؤْبةُ[(١)] :

وحضَرَتْ[(٢)] يومَ الخميسِ الأَخْماسْ
وفى الوُجـــوهِ صُفْرةٌ وإبْـــلاسْ

[٥٦/٢ظ] يعنى به : اكْتئابًا وكُسوفًا .

فإن قال قائلٌ : فإن كان إبليسُ كما قلتَ إفعيلَ مِن الإبْلاسِ ، فهلَّا صُرِف وأُجْرِى ؟

قيل : تُرِك إجراؤُه اسْتِثْقالًا ، إذ كان اسمًا لا نظيرَ له مِن أسماءِ العربِ ، فشبَّهَته
٢٢٨/١ العربُ - إذ كان كذلك - بأسماءِ العَجَمِ التى / لا تُجْرَى ، وقد قالوا : مرَرْتُ بإسحاقَ . فلم يُجْروه ، وهو مِن : أسْحَقه اللَّهُ إسْحاقًا . إذ كان وقَع مبتدأً اسمًا لغيرِ العربِ ، ثم تسَمَّت به العربُ ، فجرَى مَجْراه - وهو مِن أسماءِ العجمِ - فى الإعرابِ ، فلم يُصْرَفْ . وكذلك أيوبُ ، إنما هو فَيْعُولٌ[(٣)] ، مِن : آبَ يَئوبُ ، [(٤)] نظيرَ قَيُّومٍ من : قام يقومُ[٤)] .

وتأويلُ قولِه : ﴿ أَبَىٰ ﴾ . يعنى بذلك إبليسَ ، أنه امْتَنع مِن السجودِ لآدمَ فلم يَسْجُدْ له ، ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ . يعنى بذلك أنه تكبَّر وتعَظَّم عن طاعةِ اللَّهِ فى السجودِ لآدمَ .

وهذا وإن كان مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه خبرًا عن إبليسَ ، فإنه تَقْرِيعٌ لضُرَبائِه من

---

(١) ديوانه (مجموع أشعار العرب) ص ٦٧ .

(٢) فى الديوان : « عرفت » .

(٣) فى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فعول » ، وفى م : « فيعوع » . وأيوب زنة فيعول ، وقيل : فعول .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

خلقِ اللَّهِ الذين يَتَكَبَّرون عن الخضوعِ لأمرِ اللَّهِ ، والانْقِيادِ لطاعتِه فيما أمَرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليمِ له فيما أوْجَب لبعضِهم على بعضٍ مِن الحقِّ . وكان ممَّن تكبَّر عن الخضوعِ لأمرِ اللَّهِ ، والتَّذَلُّلِ لطاعتِه ، والتسليمِ لقضائِه فيما ألْزَمَهم مِن حقوقِ غيرِهم - اليهودُ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأحبارُهم الذين كذَّبوا[(1)] برسولِ اللَّهِ ﷺ ، [(2)]وهم بصفتِه عارفون[(2)] ، وبأنه للَّهِ رسولٌ عالمون . ثم اسْتَكْبَروا - مع علمِهم بذلك - عن الإقرارِ بنبوتِه ، والإذْعانِ لطاعتِه ؛ بَغْيًا منهم له وحسدًا . فقرَّعهم اللَّهُ بخبرِه عن إبليسَ الذى فعَل فى استكبارِه عن السجودِ لآدمَ ، حسدًا له وبَغْيًا ، نظيرَ فعلِهم فى التكبُّرِ عن الإذعانِ لمحمدٍ نبيِّ اللَّهِ ﷺ ونبوتِه ، إذ جاءهم بالحقِّ مِن عندِ ربِّهم ، حسدًا وبَغْيًا .

ثم وصَف إبليسَ بمثلِ الذى وصَف به الذين ضرَبه لهم مثلًا ، فى الاستكبارِ والحسدِ والاسْتِنْكافِ عن الخضوعِ لمَن أمَره اللَّهُ بالخضوعِ له ، فقال : ﴿ وَكَانَ ﴾ - يعنى إبليسَ - ﴿ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . مِن الجاحِدين نعمَ اللَّهِ عليه ، وأياديَه عندَه ، بخلافِه عليه فيما أمَره به من السجودِ لآدمَ ، كما كفَرَت اليهودُ نعمَ ربِّها التى آتاها وآباءَها قبلُ ؛ مِن إطعامِ اللَّهِ أسْلافَهم المنَّ والسَّلْوَى ، وإظلالِ الغَمامِ عليهم ، وما لا يُحْصَى مِن نعمِه التى كانت لهم خُصوصًا ، وما خصَّ الذين أدْرَكوا محمدًا ﷺ بإدْراكِهم إياه ، ومشاهدتِهم [(3)]حُجَّةَ اللَّهِ عليهم[(3)] ، [٥٧/٢و] فجَحَدت نبوتَه بعد علمِهم به ، ومعرفتِهم بنبوتِه ، حسدًا وبَغْيًا ، فنسَبه اللَّهُ تعالى ذكرُه إلى الكافرين ، فجعَله مِن عِدادِهم فى الدِّينِ والمِلَّةِ ، وإن خالَفهم فى الجنسِ والنسبةِ ، كما جعَل أهلَ

---

(١) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كانوا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « وصفته عارفين » .

(٣ - ٣) فى ص : « محمد ﷺ » .

النِّفاقِ بعضَهم مِن بعضٍ ، لاجْتماعِهم على النفاقِ ، وإن اخْتَلَفت أنسابُهم وأجْناسُهم ، فقال : ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعنى بذلك أن بعضَهم مِن بعضٍ فى النفاقِ والضَّلالِ ، فكذلك قولُه فى إبليسَ : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . كان منهم فى الكُفرِ باللَّهِ ، والمخالفةِ لأمْرِه ، وإن كان مخالِفًا جنسُه أجْناسَهم ، ونِسْبتُه نِسْبتَهم . ومعنى قولِه : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . أى أنه كان حينَ أبَى السجودَ مِن الكافرين حينَئذٍ .

وقد رُوِى عن الربيعِ بن أنسٍ ، عن أبى العاليةِ أنه كان يَقولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . فى هذا الموضعِ : وكان مِن العاصِين .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ العسقَلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . يعنى : من[(١)] العاصِين[(٢)] .

حدِّثْت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه .

وذلك شَبيهٌ بمعنى[(٣)] قولِنا فيه .

وكان سجودُ الملائكةِ لآدمَ تَكْرِمةً لآدمَ ، وطاعةً للَّهِ ، لا عبادةً لآدمَ ،

٢٢٩/١ /كما **حدثنا** به بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ . فكانت الطاعةُ للَّهِ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٥ (٣٦٧) من طريق آدم به .
(٣) فى الأصل : « لمعنى » .

والسَّجْدةُ لآدمَ ، أكْرَم اللَّهُ آدمَ أن أسْجَدَ له ملائكتَه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفى هذه الآيةِ دَلالةٌ واضحةٌ على صحةِ قولِ مَن قال : إن إبليسَ أُخْرِج مِن الجنةِ بعدَ الاسْتكبارِ عن السجودِ لآدمَ ، وأُسْكِنها آدمُ قبلَ أن يَهْبِطَ إبليسُ إلى الأرضِ . ألا تسمعون اللَّهَ يقولُ : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . فقد تبيَّنَ أن إبليسَ إنما أزَلَّهما عن طاعةِ اللَّهِ بعدَ أن لُعِن وأظْهَر التكبُّرَ ؛ لأن سجودَ الملائكةِ لآدمَ كان بعدَ أن نُفخ فيه الروحُ ، وحينئذٍ كان امْتِناعُ إبليسَ مِن السجودِ له ، وعند الامتناعِ مِن ذلك حلَّت عليه اللعنةُ .

كما حدَّثنى موسى بنُ هارون ، قال : حدَّثنا [٢/٥٧ظ] عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أن عدوَّ اللَّهِ إبليسَ أقْسَم بعِزَّةِ اللَّهِ لَيُغْوِيَنَّ آدمَ وذريَّتَه وزوجَتَه ، إلا [(٢)]عبادَ اللَّهِ[(٢)] الـمُخْلَصِين منهم ، بعد أن لعَنه اللَّهُ ، وبعدَ أن أُخْرِج مِن الجنةِ ، وقبلَ أن يَهْبِطَ إلى الأرضِ ، وعلَّم اللَّهُ آدمَ الأسماءَ كلَّها .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما فرَغ اللَّهُ مِن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٥٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ١/ ٨٤ (٣٦٤) ، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٠٠ .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٤(٣٦٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن ابن عباس .
(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عباده » .

إبليسَ ومُعاتَبتِه ، وأبَى إلا المعصيةَ ، أوقَع اللَّهُ عليه اللعنةَ ، ثم أخْرَجه مِن الجنةِ ، أقْبَل على آدمَ وقد علَّمه الأسماءَ كلَّها ، فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[(١)] .

ثم اختلَفَ أهلُ التأويلِ فى الحالِ التى خُلقت لآدمَ زوجتُه ، والوقتِ الذى جُعِلَت له سكنًا ؛ فقال ابنُ عباسٍ بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : فأُخْرِج إبْليسُ مِن الجنةِ حينَ لُعِن ، وأُسْكِن آدمُ الجنةَ ، فكان يَمْشِى فيها وَحْشًا[(٢)] ، ليس له زَوْجٌ يَسْكُنُ إليها ، فنام نَوْمةً ، فاسْتيْقظ وإذا عند رأسِه امرأةٌ قاعدةٌ ، خلَقها اللَّهُ من ضِلَعِه ، فسَألَها : من أنْتِ ؟ قالت : امْرَأةٌ . قال : ولِمَ خُلِقْتِ ؟ قالت : تسكنُ إلَىَّ . قالت له الملائكةُ - ينظُرون ما بلَغ علمُه - : ما اسْمُها يا آدمُ ؟ قال : حواءُ . قالوا : ولِمَ سميت حواءَ ؟ قال : لأنَّها خُلِقَتْ مِن شىءٍ حىٍّ . فقال اللَّهُ له : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾[(٣)] .

فهذا الخبرُ يُنْبِئُ عن أن حَواءَ خُلِقَت بعدَ أن أُسكِن آدمُ الجنةَ ، فجُعِلَت له سَكَنًا .

٢٣٠/١ / وقال آخرون : بل خُلِقَت قبلَ أن يُسْكَنَ آدمُ الجنةَ .

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٩٦ .

(٢) أى وحده ليس معه غيره . اللسان (و ح ش) .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٣ ، ١٠٤ . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨٢٠) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٠٢ من طريق عمرو بن حماد به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٥ (٣٧٢) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما فرَغ اللَّهُ مِن مُعاتَبةِ إبليسَ ، أقْبَل على آدمَ وقد علَّمه الأسماءَ كلَّها ، فقال : ﴿ يَآءَادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . ثم ألْقَى السِّنَةَ على آدمَ - فيما بلَغَنا عن أهلِ الكتابِ مِن أهلِ التَّوْراةِ ، وغيرِهم مِن أهلِ العلمِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ وغيرِه - ثم أخَذ ضِلَعًا مِن أضْلاعِه مِن شِقِّه الأيسرِ ، [٥٨/٢ و] ولأَم مكانَه لحمًا ، وآدمُ نائمٌ لم يَهْبُبْ مِن نَوْمِه حتى خلَق اللَّهُ مِن ضِلَعِه تلك زوجتَه حَوَّاءَ ، فسوَّاها امرأةً ليَسْكُنَ إليها ، فلما كشَف عنه السِّنَةَ وهبَّ مِن نومتِه رآها إلى جنبِه ، فقال - فيما يَزْعُمون واللَّهُ أعلمُ - : لحمى ودمى وزوجتى . فسكَن إليها ، فلمّا زوَّجه اللَّهُ ، وجعَل له سكنًا من نفسِه ، قال له قِبَلًا[(١)] : ﴿ يَآءَادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : ويقالُ لامرأةِ الرجل : زوْجُه وزَوْجتُه . والزوجةُ بالهاءِ أكثرُ فى كلامِ العربِ منها بغيرِ الهاءِ ، والزوجُ بغيرِ الهاءِ يقالُ : إنها لغةٌ لأزْدِ شَنُوءةَ . فأمّا الزوجُ الذى لا اختلافَ فيه بينَ العربِ فهو زوجُ المرأةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أمّا الرَّغَدُ ، فإنه الواسِعُ مِن العيشِ الهَنِىءِ الذى لا يُعَنِّى صاحبَه ، يقالُ : أرْغَد فلانٌ . إذا أصاب واسعًا مِن العيشِ الهَنِىءِ ، كما قال امرُؤُ القيسِ بنُ

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فتلا » . وقِبلا : عيانا ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يولى أمره أو كلامه أحدا من ملائكته . النهاية ٤/٨ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/١٠٤ . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١١٢ عن ابن إسحاق به .

حُجْرٍ[(١)] :

بينَما المرءُ تَراهُ ناعِمًا يأمنُ الأحْداثَ فى عيشٍ رغدْ

وكما **حدَّثنا** به موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ : والرَّغَدُ الهنِىءُ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسَى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهِدٍ قولَه : ﴿ رَغَدًا ﴾ . قال : لا حِسابَ عليهم[(٣)] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ . أى : لا حسابَ عليهم .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ،

---

(١) لم نجده فى ديوان امرئ القيس بهذه الرواية ، ولكن لامرئ القيس قصيدة على نفس الوزن بها بيت شبيه ، لعله المراد وليس فيه موضع الشاهد ، وهو :

بينما المرء شهاب ثاقب ضرب الدهر ثناه فخمد

ديوان امرئ القيس ص٢١٧ .

(٢) ذكره الحافظ فى الفتح ١٦٤/٨ عن المصنف من طريق السدى عن رجاله . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وهو تمام الأثر المتقدم فى ص ٥٤٧ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٤) .

عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ . قال : الرَّغَدُ سَعَةُ المَعيشةِ[(١)] .

[٢/٥٨ظ] فمعنى الآيةِ : وقلْنا يا آدمُ اسْكُن أنت وزوجُك الجنةَ ، وكُلَا مِن الجنةِ رِزقًا واسعًا هَنيئًا مِن العيشِ حيثُ شئتُما .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ : ثم أتى[(٢)] البلاءُ الذى كُتِب على الخلقِ / على آدمَ ، كما ابتُلِى الخلقُ قبلَه ، إن اللَّهَ تعالى ذكرُه ٢٣١/١ أحَلَّ له ما فى الجنةِ أن يأكلَ منها رَغَدًا حيثُ شاءَ ، غيرَ شجرةٍ واحدةٍ نُهِى عنها ، وقَدَّم إليه فيها ، فما زال به البلاءُ حتى وقَع بالذى نُهِى عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والشجرُ فى كلامِ العربِ كلُّ ما قام على ساقٍ ، ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٦] . يعنى بالنَّجْمِ ما نجَم مِن الأرضِ مِن نَبْتٍ ، وبالشجَرِ ما اسْتَقَلَّ على ساقٍ .

ثم **اخْتَلَف أهلُ التأويلِ** فى عينِ الشجَرةِ التى نُهِىَ عن أكلِ ثمرِها آدمُ عليه السلام ؛ **فقال بعضُهم :** هى السُّنْبُلةُ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ الأَحْمَسىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الحميدِ الحِمَّانىُّ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٥/١ (٣٧٣) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) فى م : « إن » .

عن النضرِ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الشجَرةُ التى نُهِىَ آدمُ عنها[(١)] السُّنْبُلةُ[(٢)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، **وحدَّثنا** ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا عِمْرانُ بنُ عُيَيْنَةَ[(٣)] ، جميعًا عن حُصينٍ ، عن أبى مالكٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : هى السُّنْبلةُ[(٤)] .

حدَّثنا محمد بن بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْدىٍّ ، **وحدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قالا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ ، عن حُصَيْنٍ ، عن أبى مالكٍ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْب وابنُ وَكيعٍ ، قالا : حدَّثنا ابنُ إدْريسَ ، قال : سمِعْتُ أبى ، عن عطيةَ العوفىِّ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : السُّنْبُلةُ[(٥)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : الشجَرةُ التى نُهِى عنها آدمُ هى السُّنْبلةُ .

حدَّثنى المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : [٢/ ٥٩و] حدَّثنا

---

(١) فى م : « عن أكل ثمرها » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٧) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٥٩) من طريق محمد بن إسماعيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/١ إلى ابن المنذر وابن عساكر . والنضر بن عبد الرحمن متروك .

(٣) فى م : « عتيبة » . وينظر تهذيب الكمال ٣٤٥/٢٢ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٠١/٧ من طريق حصين به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٧) معلقا .

القاسمُ ، قال : حدَّثنى رجلٌ مِن بنى تَميمٍ ، أن ابنَ عباسٍ كتَب إلى أبى الجَلْدِ يَسْألُه عن الشجرةِ التى أكَل منها آدمُ ، والشجرةِ التى تاب عندَها ؟ فكتَب إليه أبو الجَلْدِ : سأَلْتَنى عن الشجرةِ التى نُهِىَ عنها آدمُ ، وهى السُّنْبُلةُ ، وسأَلْتَنى عن الشجرةِ التى تاب عندَها آدمُ ، وهى الزَّيْتُونةُ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن رجلٍ مِن أهْلِ العلمِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ : الشجرةُ التى نُهِىَ عنها آدمُ البُرُّ[1] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ عُيَيْنةَ وابنُ المباركِ ، عن الحسنِ بنِ عُمارةَ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانت الشجرةُ التى نَهَى اللَّهُ عنها آدمَ وزوجتَه السُّنبلةَ[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ اليمنِ ، عن[3] وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ اليَمانيِّ أنه كان يقولُ : هى البُرُّ ، ولكنَّ الحَبَّةَ منها فى الجنةِ ككُلَى البقرِ ، ألينُ مِن الزُّبْدِ وأحْلَى مِن العسلِ ، وأهلُ التَّوْراةِ يَقُولون : هى البُرُّ[4] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن يعقوبَ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١١٣ عن ابن إسحاق به . وينظر الدر المنثور ١/ ٥٢ .

(٢) سيأتى بتمامه فى تفسير الآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٣) فى الأصل : « وعن » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٦ (٣٧٨) من طريق سلمة به .

ابنِ عُتْبةَ ، أنه حدَّث أنها الشجرةُ التى تَحَنَّكُ[(١)] بها الملائكةُ للخَلْدَةِ[(٢)] .

٢٣٢/١ / **حدَّثنا** ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يَمانٍ ، عن جابرِ بنِ يزيدَ بنِ رِفاعةَ ، عن مُحارِبِ بنِ دِثارٍ ، قال : هى السنْبُلةُ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبو أُسامةَ ، عن يزيدَ بنِ إبراهيمَ ، عن الحسنِ ، قال : هى السنبلةُ التى جعَلها اللَّهُ رِزقًا لولدِه فى الدنيا[(٣)] .

وقال آخَرون : هى الكَرْمةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا [(٤)]عبيدُ اللَّهِ[(٤)] ، عن إسرائيلَ ، عن السدىِّ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هى الكَرْمةُ[(٥)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

(١) فى م : « تحتك » .

(٢) فى ص ، م : « للخلد » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٧) معلقا .

(٤ - ٤) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عبد الله » .

(٥) فى ر ، والمصادر : « الكرم » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٦) من طريق عبيد الله به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وذكر السيوطى ٥٣/١ عن المصنف ، عن ابن عباس : هى اللوز . وقال : كذا فى النسخة ، وهى قديمة ، وعندى أنها تصحفت من الكرم .

ٱلشَّجَرَةَ ﴾ : هى الكَرْمُ ، وتَزْعُمُ اليهودُ أنها الحنْطةُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حَمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ ، قال : الشجرةُ هى الكَرْمُ .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ ، قال : هو العِنَبُ . فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن خَلَّادٍ الصَّفَّارِ ، عن بَيانٍ ، عن الشعبيِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : الكَرْمُ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ وابنُ وَكيعٍ ، قالا : [٥٩/٢ ظ] حدَّثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ ، قال : الشجرةُ التى نُهِى عنها آدمُ شجرةُ الخمرِ .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : حدَّثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ حسينٍ[(٣)] ، عن يَعْلَى بنِ مُسْلِمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قولَه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : الكَرْمُ[(٤)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سُفيانُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : العِنَبُ .

حدَّثنا القاسمُ قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ ، قال : عِنَبٌ[(٤)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى المصنف عن ابن مسعود . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٤٠١ .

(٢) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٥٣/١ - وأخرجه ابن سعد ٣٤/١ من طريق بيان به . وعزاه السيوطى إلى أبى الشيخ . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ٨٦/١(٣٧٦) .

(٣) فى ص : « حصين » .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٦) معلقًا .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا خالدٌ الواسطىُّ ، عن بَيانٍ ، عن الشعبىِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : الكَرْمُ.

وقال آخَرون : هى التِّينةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن بعضِ أصحابِ محمدٍ ﷺ ، قال: تينةٌ[1] .

٢٣٣/١ / **قال أبو جعفرٍ**: والقولُ فى ذلك عندنا أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخْبَر عبادَه أن آدمَ وزوجَه قد أكَلا مِن الشجرةِ التى نهاهما عن الأكلِ منها ، وأتَيا الخَطيئةَ التى نهاهما عن إتيانِها بأكلِهما ما أكَلا منها ، بعدَ أن بيَّن اللَّهُ لهما عَينَ الشجرةِ التى نهاهما عن الأكلِ منها ، وأشار لهما إليها بقولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . ولم يَضَعِ اللَّهُ لعبادِه المخاطَبين بالقرآنِ دَلالةً على أىِّ أشجارِ الجنةِ كان نَهْيُه آدمَ عليه السلامُ أن يَقْرَبَها ، بنصٍّ عليها باسمِها ، ولا بدَلالةٍ عليها ، ولو كان للَّهِ جلّ ثناؤُه فى العلمِ بأىِّ ذلك مِن أىٍّ رضًا ، لم يُخْلِ عبادَه مِن نَصْبِ دَلالةٍ لهم عليها يَصِلون بها إلى معرفةِ عينِها ، ليُطِيعوه بعلمِهم بها ، كما فعَل ذلك فى كلِّ ما فى العلمِ به له رضًا .

فالصوابُ فى ذلك أن يقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه نهَى آدمَ عليه السلامُ وزوجتَه عن أكلِ شجرةٍ بعينِها مِن أشجارِ الجنةِ دون سائرِ أشجارِها ، فخالَفا إلى ما نهاهما اللَّهُ عنه ، فأكلا منها كما وصَفَهُما اللَّهُ به ، ولا علمَ عندَنا [(٢)] بأىِّ ذلك من أىٍّ [(٢)] . وقد

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى المصنف عن بعض الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد . وعزاه السيوطى إلى أبى الشيخ عن مجاهد . وينظر ما تقدم فى ص ٢٠٤ .

(٢ - ٢) فى م : « أى شجرة كانت على التعيين ؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ، ولا =

قِيلَ : كانت شجرةَ البُرِّ . وقيل : كانت شجرةَ العِنَبِ . وقيل : كانت شجرةَ التِّينِ . وجائزٌ أن تكونَ واحدةً منها ، وذلك (١) عِلْمٌ إذا عُلِم (١) لم يَنْفَعِ العالمَ به علمُه ، وإنْ جَهِله جاهلٌ لم يضُرَّه جهلُه به .

[٦٠/٢و] **القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .**

قال أبو جعفرٍ : اخْتلَف أهلُ العربيةِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحْويِّى الكوفيين : تأويلُ ذلك : ولا تَقْرَبا هذه الشجرةَ ، فإنكما إن قرِبْتُماها كنتما مِن الظالمين . فصار الثانى فى موضعِ جوابِ الجزاءِ ، وجوابُ الجزاءِ يَعْمَلُ فيه أوَّلُه ، كقولِك : إن تَقُمْ أَقُمْ . فتَجزِمُ الثانىَ بجزمِ الأوَّلِ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ لمّا وقعَتِ الفاءُ فى موضعِ شرطِ الأوَّلِ نُصِب بها ، وصُيِّرَت بمنزلةِ « كى » فى نصبِها الأفعالَ المستقبلةَ ، للزومِها الاستقبالَ ، إذ كان أصلُ الجزاءِ الاستقبالَ .

وقال بعضُ نحْويِّى أهلِ البصرةِ : تأويلُ ذلك : لا يكُنْ منكما قُرْبُ هذه الشجرةِ ، فأن تكونا مِن الظالمين . غيرَ أنه زعَم أنّ « أن » غيرُ جائزٍ إظهارُها مع ﴿ لَا ﴾ ، ولكنَّها مُضْمَرةٌ لابد منها ليَصحَّ الكلامُ بعطفِ اسمٍ - وهى « أن » - على اسمٍ ، كما غيرُ جائزٍ فى قولِهم : عسى أن يَفْعَلَ : عسى الفعلُ . ولا فى قولِك : ما كان لِيَفْعَلَ : ما كان لأن يَفْعَلَ .

وهذا القولُ الثانى يُفْسِدُه إجماعُ جميعِهم على تخطئةِ قولِ القائلِ : سرَّنى

= فى السنة الصحيحة ، فأنى يأتى ذلك من أتى » .

(١ - ١) فى م : « إن علمه عالم » .

تقومُ يا هذا . وهو يُرِيدُ : سرَّنى قيامُك . فكذلك يجبُ أن يَكونَ خطأً على هذا المذهبِ قولُ القائلِ : لا تقمْ . إذا كان المعنى : لا يكن منك قيامٌ . وفى إجْماعِ جميعِهم على صحةِ قولِ القائلِ : لا تَقُمْ . وفسادِ قولِ القائلِ : سرَّنى تَقُومُ . بمعنى : سرَّنى قيامُك - الدليلُ الواضحُ على فسادِ دعوى المُدَّعِى أن مع ﴿ لَا ﴾ التى فى قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . ضميرَ « أن » ، وصحةِ القولِ الآخرِ .

وفى قولِه : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . وجهان مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يَكونَ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ فى نيةِ العطفِ على قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ فيكونَ تأويلُه حينئذٍ : ولا تَقْرَبا هذه الشجرةَ ، ولا تكونا من الظالمين . فيكونَ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ حينئذٍ فى معنى الجزمِ مجزومًا بما جُزِم به : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ . كما يقولُ القائلُ : لا تُكلِّمْ عَمْرًا ولا تُؤْذِه . كما قال امرُؤُ القيسِ[1] .

١/٢٣٤ [٢/ ٦٠ظ] /فقلتُ له صوِّبْ ولا تجْهَدَنَّهُ فيُذْرِكَ مِن أُخْرَى القَطاةِ[2] فتَزْلَقِ

فجزَم « يُذْرِك » بما جزَم به « لا تجْهَدَنَّه » ، كأنه كرَّر النهىَ .

والثانى : أن يكونَ ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . بمعنى جوابِ النهيِ ، فيكونَ تأويلُه حينئذٍ : لا تَقْرَبا هذه الشجرةَ ، فإنكما إن قَرِبْتُماها كنتما مِن الظالمين . كما تقولُ : لا تَشْتُمْ زيدًا[3] فيَشْتُمَك مُجازاةً . فيكونَ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ حينئذٍ فى موضعِ نَصبٍ إذ كان حرفًا عُطِفَ على غيرِ شكلِه ، لمَّا كان فى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ حرفٌ عاملٌ فيه لا[4] يَصْلُحُ إعادتُه فى ﴿ فَتَكُونَا ﴾ ، فنُصِب على ما قد بيَّنْتُ فى أولِ هذه المسألةِ .

---

(١) ديوانه ص ١٧٤ .

(٢) القطاة : موضع الردف من الدابة خلف الفارس . اللسان (ق ط و) .

(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عمرًا » .

(٤) فى ص ، م : « ولا » .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ . فإنه يعنى به : فتكونا من المُتَعدِّين إلى غيرِ ما أُذِن لهم فيه وأُبيح لهم . وإنما عَنَى بذلك أنكما إن قرِبْتُما هذه الشجرةَ كنتما على مِنْهاجِ مَن تَعدَّى حُدودى ، وعَصَى أمرى ، واسْتَحلَّ مَحارِمى ؛ لأن الظالمين بعضُهم أولياءُ بعضٍ ، واللَّهُ ولِىُّ المُتَّقِين .

وأصلُ الظلمِ فى كلامِ العربِ وضعُ الشىءِ فى غيرِ موضعِه ، ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[1] :

إلَّا أَوارِىَّ[2] لَأْيًا ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْىُ كالحوضِ بالمَظْلومةِ الجَلَدِ

فجعَل الأرضَ مظلومةً ؛ لأن الذى حفَر فيها النُّؤْىَ حفَر فى غيرِ موضعِ الحفرِ ، فجعَلها مظلومةً [3]لوضعِ الحُفْرةِ[3] منها فى غيرِ موضعِها . ومِن ذلك قولُ ابنِ قَمِيئةَ فى صفةِ غَيْثٍ[4] :

ظلَم البِطاحَ[5] به[6] انْهلالُ[7] حَريصةٍ[8] ... فَصَفَا النِّطافُ[9] له بُعَيْدَ المُقْلَعِ[10]

---

(١) تقدم فى ص ١٨٤ .

(٢) فى الأصل ، م : « الأوارى » . ويروى بالوجهين ، وقد تقدم بدون الألف واللام فى جميع النسخ فى الموضع السابق .

(٣ - ٣) فى ص : « لموضع الحفر » .

(٤) كذا نسبه المصنف ، وورد هذا البيت فى ديوان ابن قميئة ص ٢٠٧ على أنه من الشعر المنسوب إليه وليس فى مخطوطة الديوان . والصواب أنه للحادرة ، ينظر المفضليات ص ٤٤ ، وديوان شعر الحادرة ص ٣٠٨ .

(٥) البطاح : بطون الأودية . التاج (ب ط ح) .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بها » . وفى المفضليات : « له » . والمثبت من الأصل ، ص موافق لما فى ديوان شعر الحادرة .

(٧) أنهل المطر انهلالاً : سال بشدة . اللسان (هـ ل ل) .

(٨) الحريصة : السحابة التى تقشر وجه الأرض بمطرها . التاج (ح ر ص) .

(٩) النطاف : القليل من الماء . وقيل : هى الماء الصافى قلَّ أو كثر . اللسان (ن ط ف) .

(١٠) المقلع : الإقلاع ؛ وهو الإمساك والكف . التاج (ق ل ع) .

وظلمُه إياه مَجيئُه فى غيرِ أوانِه ، وانصبابُه فى غيرِ مَصَبِّه . ومنه ظلمُ الرجلِ جَزورَه ، وهو نحرُه إياه لغيرِ علَّةٍ ، وذلك عندَ العربِ وَضْعُ النحرِ فى غيرِ موضعِه .

وقد يتفرَّعُ الظُّلْمُ فى معانٍ يَطولُ بإحْصائِها الكِتابُ ، سنُبيِّنُها فى أماكنِها إذا أتيْنا عليها ، إنِ اللَّهُ شاء ذلك ، وأصلُ ذلك كُلِّه ما وصَفْنا من وضعِ الشىءِ فى غيرِ موضِعِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَفتِ القَرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأَتْه عامَّتُهم : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ . بتشديدِ اللامِ[(١)] ، بمعنى : اسْتَزَلَّهما ، مِن قولِك : زَلَّ الرجلُ فى دينِه . إذا هفَا فيه وأخْطَأ ، فأتَى ما ليس له إتيانُه [٦١/٢و] فيه ، وأزلَّه غيرُه ، إذا سبَّب له ما يَزِلُّ مِن أجلِه فى دِينِه أو دنياه ؛ ولذلك أضاف اللَّهُ تعالى ذكرُه إلى إبليسَ خروجَ آدمَ وزوجتِه مِن الجنةِ فقال : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . يعنى : إبليسُ أخرَجهما[(٢)] ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ؛ لأنه كان الذى سبَّب لهما الخطيئةَ التى عاقَبهما اللَّهُ عليها بإخْراجِهما مِن الجنةِ .

وقرَأه آخرون : (فأزالهما)[(٣)] . بمعنى إزالةِ الشىءِ عن الشىءِ، وذلك تَنْحِيتُه عنه.

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ [(٤)] ما **حدَّثناه**[(٤)] القاسمُ ،

٢٣٥/١ قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : / حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : قولُه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . قال : أغواهما[(٥)] .

---

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبى عمرو والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٥٣ .

(٢) سقط من ص ، م ، ت٢ .

(٣) وهى قراءة حمزة . المصدر السابق .

(٤ - ٤) فى ص : « الشيطان عنها ، قال : أغواهما . حدثنا » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٧/١ (٣٨٦) من طريق ابن جريج به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى ابن المنذر .

وأولى القراءتَيْن بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد أخْبَرَ في الحرفِ الذي يتْلُوه بأنَّ إبليسَ أخرَجَهُما مما كانا فيه ، وذلك هو مَعْنى قولِه : (فأزالهما)[1] . فلا وجهَ - إذ كان معنى الإزالةِ معنى التَّنْحِيةِ والإخْراجِ - أن يُقالَ : (فأزالهما الشيطانُ عنها فأخْرَجهما مما كانا فيه) فيكونُ كقولِه : فأزالهما الشيطانُ عنها فأزالهما مما كانا فيه . ولكنِ المعنى المفهومُ أن يُقالَ : فاسْتَزَلَّهما إبليسُ عن طاعةِ اللَّهِ - كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . وقرَأَت به القَرَأَةُ - فأخْرَجهما باسْتِزْلالِه إياهما عن[2] الجنةِ .

فإن قالَ قائلٌ : وكيف كان اسْتِزْلالُ إبليسَ آدمَ وزوجتَه عليهما السلامُ ، حتى أُضِيفَ إليه إخراجُهما مِن الجنةِ ؟

قيل : قد قالت العلماءُ في ذلك أقوالًا سنَذْكُرُ بعضَها .

فحُكِي عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ في ذلك ما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا عمرُ[3] بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مُهْرِبٍ ، قال : سمِعْتُ وهْبَ ابنَ مُنَبِّهٍ يقولُ : لمَّا أسْكَن اللَّهُ آدمَ وذريتَه ، أو زوجتَه - الشكُّ مِن أبي جعفرٍ ، وهو في أصلِ كتابِه : وذريتَه - ونهاه عن الشجرةِ ، وكانت شجرةً غُصونُها مُتَشَعِّبٌ بعضُها في بعضٍ ، وكان لها ثمرٌ تأْكُلُه الملائكةُ لخُلْدِهم ، وهي الثمرةُ التي نهَى اللَّهُ عنها آدمَ وزوجتَه ، فلمّا أراد إبليسُ أن يَستزِلَّهما ، دخَل في جوفِ الحيَّةِ ، وكانت للحيَّةِ أربعُ قَوائِمَ كأنها بُخْتيَّةٌ[4] مِن أحسنِ دابةٍ خلَقها اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ، فلمّا دخَلت الحيةُ الجنةَ ،

---

(١) في ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فأزلهما » .

(٢) في م : « من » .

(٣) في م : « عمرو » .

(٤) البختية : الأنثى من الجمال البُخْتِ ، والذكر بختيٌّ ، وهي جمال طوال الأعناق ، وتجمع على بُخت وبخاتيّ - غير مصروف - واللفظة معربة . النهاية ١٠١/١ .

خرَج مِن جوفِها إبليسُ ، فأخَذ مِن الشجرةِ التى [٦١/٢ظ] نهَى اللَّهُ عنها آدمَ وزوجتَه ، فجاء بها[(١)] إلى حَوَّاءَ ، فقال : انظُرى إلى هذه الشجرةِ ، ما أطيبَ ريحَها ، وأطيبَ طعمَها ، وأحسنَ لونَها ! فأخَذَت حواءُ فأكَلَت منها ، ثم ذهَبَت بها إلى آدمَ ، فقالت : انظُرْ إلى هذه الشجرةِ ، ما أطيبَ ريحَها ، وأطيبَ طعمَها ، وأحسنَ لونَها ! فأكَل منها آدمُ ، فبدَت لهما سَوآتُهما ، فدخَل آدمُ فى جوفِ الشجرةِ ، فناداه ربُّه : يا آدمُ ، أين أنت ؟ قال : أنا هذا[(٢)] يا ربِّ . قال : ألا تَخرُجُ ؟ قال : أستَحْيِى منك يا ربِّ . قال : ملعونةٌ الأرضُ التى خُلِقْتَ منها لعنةً [(٣]تتحوَّلُ ثمارُها[٣)] شوكًا . قال : ولم يَكُنْ فى الجنةِ ولا فى الأرضِ[(٤)] شجرةٌ كان أفضلَ مِن الطَّلْحِ والسِّدْرِ . ثم قال : يا حَوَّاءُ ، أنت التى غرَرْتِ عبدى ، فإنك لا تَحْمِلين حَمْلًا إلا حَملْتِه كَرْهًا ، فإذا أرَدْتِ أن تَضَعِى ما فى بطنِكِ أشْرَفْتِ على الموتِ مِرارًا . وقال للحيَّةِ : أنتِ التى دخَل الملعونُ فى جوفِكِ ، حتى غرَّ عبدِى ، ملعونةٌ أنتِ لعنةً تَتَحوَّلُ قَوائِمُك فى بطنِكِ ، [(٥]ولا يكونُ[٥)] لك رزقٌ إلا الترابُ ، أنت عدوَّةُ بنى آدمَ ، وهم أعداؤُكِ ، حيثُ لقيتِ أحدًا منهم أخَذْتِ بعَقِبِه ، وحيثُ لقِيَكِ شدَخ رأسَكِ . قال عمرُ[(٦)] : قيل لوهبٍ : وما كانت الملائكةُ تأْكُلُ ؟ قال : يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ[(٧)] .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ نحوُ هذه القصةِ .

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « به » .

(٢) فى م ، ت ٢: « هنا » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتحول ثمرها » .

(٤) فى ص : « السماء » .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، وتاريخ المصنف : « لا يكن » ، وفى ت٣ : « لم يكن » .

(٦) فى م : « عمرو » .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٦، وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٨، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٧ (٣٨٢) - مختصرا - عن الحسن بن يحيى به . وعندهم : لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة . بدون شك .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ في خبرٍ ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابن عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : لما قال اللَّهُ لآدمَ : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ / شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . أراد إبليسُ أن ١/٢٣٦ يَدْخُلَ عليهما الجنةَ ، فمنعَه الخَزَنةُ ، فأتَى الحيةَ - وهى دابةٌ لها أربعُ قَوائِمَ ، كأنها البعيرُ ، وهى كأحسنِ الدوابِّ - فكلَّمها أن تُدْخِلَه فى فُقْمِها[(١)] حتى تَدْخُلَ به إلى آدمَ ، فأدْخَلَته فى فُقْمِها[(٢)] - [(٣)]قال أبو جعفرٍ : والفُقْمُ جانبُ الشِّدْقِ[(٣)] - فمرَّت الحيةُ على الخَزَنةِ فدخَلَت ولا يَعْلَمون ، لِمَا أراد اللَّهُ مِن الأمرِ . فكلَّمه مِن فُقْمِها[(٤)] ، فلم يُبالِ كلامَه[(٥)] ، فخرَج إليه ، فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . يقولُ : هل أَدُلُّك على شجرةٍ إن أكَلْتَ منها كنتَ مَلِكًا مثلَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، أو تكونا مِن الخالدِين فلا تَموتان أبدًا . وحلَف لهما باللَّهِ : ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] . وإنما أراد بذلك لِيُبْدِىَ لهما ما تَوارَى عنهما مِن سَوْءاتِهما بهَتْكِ لباسِهما ، وكان قد علِم أن لهما سَوْأَةً ، لِمَا كان يَقْرأُ مِن كتبِ الملائكةِ ، ولم يَكُنْ آدمُ يَعْلَمُ ذلك ، وكان [٦٢/٢و] لِباسُهما الظُّفْرَ ، فأبَى آدمُ أن يأْكُلَ منها ، فتقدَّمَت حَوَّاءُ فأكَلَت ، ثم قالت : يا آدمُ كُلْ ، فإنى قد أكَلْتُ فلم يَضُرَّنى . فلمَّا أكَل آدمُ بَدَت لهما سوءاتُهما ، وطَفِقا يَخْصِفان عليهما مِن ورقِ الجنةِ[(٦)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، وتاريخ المصنف ، والدر المنثور : « فمها » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، والتاريخ ، والدر : « فمها » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م : « فمها » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فمه » .

(٥) فى م ، والدر : « بكلامه » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/١٠٦ ، ١٠٧ . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٧/٤٠٢ من طريق عمرو =

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : حدَّثنى مُحدِّثٌ أن الشيطانَ دخَل الجنةَ فى صورةِ دابةٍ ذاتِ قوائمَ ، فكان يُرى أنه[(١)] البعيرُ ، قال : فلُعِن ، فسقَطت قوائمُه فصار حيَّةً[(٢)] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : وحدَّثنى أبو العاليةِ أن مِن الإبلِ ما كان أوَّلُها مِن الجنِّ . قال : فأُبيحَت له الجنةُ كلُّها إلا الشجرةَ ، وقيل لهما[(٣)] : ﴿ لا نقربا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال : فأتى الشيطانُ حَوَّاءَ ، فبدَأ بها ، فقال : أنُهِيتُما عن شىءٍ ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرةِ . فقال : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] . قال : فبدَأَت حواءُ فأكَلَت منها ، ثم أمَرَت آدمَ فأكَل منها . قال : وكانت شجرةً مَن أكَل منها أحْدَث . قال : ولا يَنْبَغِى أن يَكونَ فى الجنةِ حَدَثٌ . قال : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا[(٤)] ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . قال : فأخرج آدمُ مِن الجنةِ[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، أن آدمَ حينَ دخَل الجنةَ ورأَى ما فيها مِن الكَرامةِ وما أعْطاه اللّهُ منها ، قال : لو

= ابن حماد به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥١/٥ (٨٢٩٤، ٨٢٩٥ ، ٨٢٩٨) من طريق عمرو بن حماد به ، عن السدى من قوله مختصرًا .

(١) فى ت٣ : « كأنه » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١٠٩/١ .

(٣) فى ص : « له » .

(٤) فى الأصل ، ص : « فأزالهما » . وهى قراءة حمزة كما تقدم .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٩، ١١٠.

أن خُلْدًا كان . (١) فاغْتَمَز فيها(١) منه الشيطانُ لمَّا سِمعَها منه ، فأتاه مِن قِبَلِ الخُلْدِ(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حُدِّثْتُ أن أولَ ما ابْتَدَأهما به مِن كيدِه إياهما أنه ناح عليهما نِياحَةً(٣) حَزَّنتهما(٤) حينَ سمِعاها ، فقالا له : ما يُبْكِيك ؟ قال : أبْكِي عليكما ؛ تَمُوتان فتُفارِقان ما أنتما فيه مِن النعمةِ والكَرامةِ . فوقَع ذلك فى أنفسِهما ، ثم أتاهما فوَسْوَس إليهما ، فقال : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . وقال : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠، ٢١] . أى : تكونان ملَكين ، أو تَخلُدان - إن لم تكونا ملَكَين - فى نعمةِ الجنةِ ، فلا تَمُوتان . يقولُ اللَّهُ جل ثناؤُه : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ ﴾(٥) [الأعراف : ٢٢] .

/ **وحدَّثنى** يونُسُ [٢/ ٦٢ظ] بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : وسْوَس الشيطانُ إلى حَوَّاءَ فى الشجرةِ حتى أتَى بها إليها ، ثم حسَّنها فى عينِ آدمَ . قال : فدعاها آدمُ لحاجتِه . قالت : لا ، إلا أن تأْتِيَ هـٰهنا . فلما أتَى قالت : لا ، إلا أن تَأْكُلَ مِن هذه الشجرةِ . قال : فأكَلا منها فبدَت لهما سَوءاتُهما . قال : وذهَب آدمُ هاربًا فى الجنةِ ، فناداه ربُّه : يا آدمُ ، أمنِّى تَفِرُّ ؟ قال : لا يا ربِّ ، ولكن حَياءً منك . قال : يا آدمُ ، أنَّى أُتِيتَ ؟ قال : مِن قِبَلِ حواءَ أى ربِّ . فقال اللَّهُ : فإن لها علىَّ أن أُدْمِيَها ٢٣٧/١

(١ - ١) فى م : « فاغتنمها » . وقوله اغتمز فيها : يقال : سمعت منه كلمة فاغتمزتها فى عقله ، وأغمزت فيه ، أى : وجدت فيه ما يستضعف لأجله . أساس البلاغة (غ م ز) .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١٠.

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « مناحة » .

(٤) فى م ، وتاريخ المصنف : « أحزنتهما » . وفى نسختين من نسخ التاريخ كالمثبت هنا .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١٠، ١١١.

فى كلِّ شهرٍ مرةً كما دَمَّتْ[(١)] هذه الشجرةَ ، وأن أَجْعَلَها سَفِيهةً ، فقد كنتُ خلَقْتُها حَلِيمةً ، وأن أَجْعَلَها تحْمِلُ كَرْهًا وتَضَعُ كَرْهًا ، فقد كنتُ جعَلْتُها تحْمِلُ يُسْرًا[(٢)] وتَضَعُ يُسْرًا[(٢)] . قال ابنُ زيدٍ : ولولا البَلِيَّةُ التى أصابَتْ حَوَّاءُ لكان نساءُ الدنيا لا يَحِضْنَ ، ولكُنَّ حَليماتٍ ، وكُنَّ يَحْمِلْنَ يُسْرًا[(٢)] ويَضَعْنَ يُسْرًا[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، قال : سمِعْتُه يَحْلِفُ باللّهِ ما يَسْتَثْنى : ما أَكَل آدمُ مِن الشجرةِ وهو يَعْقِلُ ، ولكنّ حَوَّاءَ سقَتْه الخمرَ ، حتى إذا سكِر قادَتْه إليها فأكَل[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ ، عن طاوسٍ اليَمانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن عدُوَّ اللهِ إبليسَ عرَض نفسَه على دَوابِّ الأرضِ أنها تحْمِلُه حتى تَدْخُلَ به[(٤)] الجنةَ[(٥)] حتى[(٦)] يُكَلِّمَ آدمَ وزوجتَه ، فكلُّ الدوابِّ أبَى ذلك عليه ، حتى كلَّم الحَيَّةَ ، فقال لها : أَمْنَعُكِ مِن ابنِ آدمَ ، فأنتِ فى ذِمَّتى إن أنتِ أدْخَلْتِنى الجنةَ . فجعَلَتْه بينَ نابينِ مِن أنيابِها ، ثم دخَلَت به ، فكلَّمَهما مِن فيها ، وكانت كاسيةً تَمْشِى على أربعِ قَوائِمَ ، فأعْراها اللّهُ وجعَلها

---

(١) فى م : « أدميت » ، وفى تاريخ المصنف : « أدمت » . والمثبت هنا والذى فى التاريخ كلاهما بمعنى ، وينظر التاج (د م ى) .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يسيرا » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١١. وتقدم طرف منه فى ص ٤٢١.

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١١، ١١٢ مطولا .

(٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « معه » ، وبعده فى م : « معها » .

(٦) فى م : « و » .

تَمْشِى على بطنِها . قال : يقولُ ابنُ عباسٍ : اقْتُلُوها حيث وجَدْتُموها ، أخْفِروا ذِمَّةَ عدوِّ اللهِ فيها[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : وأهلُ التَّوراةِ يَدْرُسون : إنما كلَّم آدمَ الحيةُ . ولم يُفَسِّروا كتفسيرِ ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ ، قال : نهَى اللهُ آدمَ وحوَّاءَ أن يأْكُلا مِن شجرةٍ واحدةٍ فى الجنةِ ، ويأْكُلا منها[(٢)] رَغَدًا حيث شاءا ، فجاء الشيطانُ فدخَل فى [٦٣/٢و] جوفِ الحيةِ ، فكلَّم حَوَّاءَ ، ووسْوَس[(٣)] إلى آدمَ ، فقال : ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠، ٢١] . قال : فقطَعت[(٤)] حَوَّاءُ الشجرةَ ، فدَمِيَت الشجرةُ ، وسقَط عنهما رياشُهما الذى كان عليهما ، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف : ٢٢] . لِمَ أَكَلْتَها وقد نهَيْتُك عنها ؟ قال : يارَبِّ ، أَطْعَمَتْنى حَوَّاءُ . قال لحَوَّاءَ : لِمَ أَطْعَمْتِه ؟ قالت : أمَرَتْنِى الحيةُ . قال للحيةِ : لِمَ أمَرْتِها ؟ قالت : أمَرَنى إبليسُ . قال : ملعونٌ مَدْحورٌ ؛ أما أنت يا حَوَّاءُ فكما أَدْمَيْتِ الشجرةَ ، تَدْمَيْن[(٥)] فى كلِّ هلالٍ ، وأما أنت يا حَيَّةُ فأَقْطَعُ / قَوائمَك ، فتَمْشِين جرًّا[(٦)] على وجهِك ، وسيَشْدَخُ رأسَك مَن ٢٣٨/١

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٥٣ إلى عبد الرزاق .

(٢) فى ر : « من الجنة » .

(٣) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الشيطان » .

(٤) فى م : « فعضت » .

(٥) فى م : « فتدمين » .

(٦) سقط من : ر. وفى م ، وتاريخ المصنف : « جريا » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « جرى » .

لَقِيَكِ بالحجرِ ، اهْبِطوا بعضُكم لبعضٍ عدُوٌّ[(١)] .

فقد رُوِيَت هذه الأخبارُ - عمَّن روَيْناها عنه مِن الصحابةِ والتابعين وغيرِهم - في صفةِ استزلالِ إبليسَ عدوِّ اللَّهِ آدمَ وزوجتَه حتى أخْرَجَهما مِن الجنةِ .

قال أبو جعفرٍ : وأولى ذلك بالحقِّ عندَنا ما كان لكتابِ اللَّهِ مُوافِقًا ، وقد أخْبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه عن إبليسَ أنه وسْوَس لآدَمَ وزوجتِه ليُبْدِيَ لهما ما وُورِى عنهما مِن سَوْءاتِهما ، وأنه قال لهما : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ . وأنه قاسَمهما : ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . مُدَلِّيًا لهما بغُرورٍ . ففى إخْبارِ اللَّهِ تعالى ذكرُه عن عدوِّ اللهِ أنه قاسَم آدمَ وزوجتَه بقيلِه لهما : ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . الدليلُ الواضحُ على أنه قد باشَر خطابَهما بنفسِه ، إما ظاهرًا لأعينِهما ، وإما مُسْتَجِنًّا في غيرِه ، وذلك أنه غيرُ معقولٍ في كلامِ العربِ أن يُقالَ : قاسَم فلانٌ فلانًا في كذا وكذا . إذا سبَّب له سببًا وصَل به إليه دونَ أن يَحْلِفَ له ، والحَلِفُ لا يكونُ بتَسَبُّبِ السببِ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه : ١٢٠] . لو كان ذلك كان منه إلى آدمَ على نحوِ الذى منه إلى ذريتِه - مِن تَزْيينِ أكلِ ما نهَى اللَّهُ آدمَ عن أكلِه مِن الشجرةِ ، بغيرِ مباشرةِ خطابِه إياه بما اسْتَزَلَّه به مِن القولِ والحِيَلِ - لَما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . كما غيرُ جائزٍ أن يَقولَ اليومَ قائلٌ ممَّن أتَى معصيةً : قاسَمَنى إبليسُ أنه لى ناصحٌ فيما زيَّن لى مِن المعصيةِ [٦٣/٢ظ] التى أتَيْتُها . فكذلك الذى كان مِن آدمَ وزوجتِه لو كان على النحوِ الذى يكونُ فيما بيَن إبليسَ اليومَ وذريةِ آدمَ ، لما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . ولكن

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٩.

ذلك كان إن شاءَ اللَّهُ على نحوِ ما قال ابنُ عباسٍ ومَن قال بقولِه .

فأما سببُ وصولِه إلى الجنةِ حتى كلَّم آدمَ بعدَ أن أخْرَجَه اللَّهُ منها وطرَده عنها ، فليس فيما رُوى عن ابنِ عباسٍ ووهبِ بنِ مُنبِّهٍ فى ذلك معنًى يَجوزُ لذى[1] فَهمٍ مُدافعتُه ، إذ كان ذلك قولًا لا يَدْفَعُه عقلٌ[2] ، ولا خبرٌ يَلزَمُ تَصْديقُه مِن حُجَّةٍ بخلافِه ، وهو مِن الأمورِ المُمْكنةِ . فالقولُ فى ذلك أنه قد وصَل إلى خطابِهما على ما أخْبَرنا اللَّهُ تعالى ذكرُه ، وممكنٌ أن يَكونَ وصَل إلى ذلك بنحوِ الذى قاله المتأوِّلون ، بل ذلك - إن شاء اللَّهُ - كذلك ؛ لتتابعِ أقوالِ أهلِ التأويلِ على تصحيحِ ذلك ، وإن كان ابنُ إسحاقَ قد قال فى ذلك ما حدَّثنا به ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ[3] إسحاقَ فى ذلك : [4]اللَّهُ أعلمُ ، أكَمَا[4] قال ابنُ عباسٍ وأهلُ التَّوْراةِ ، أَمْ[5] خلَص إلى آدمَ وزوجتِه بسُلطانِه الذى جعَل اللَّهُ له ليَبْتَلِىَ به آدمَ وذريتَه ؟ وأنه يَأْتى ابنَ آدمَ فى نَوْمتِه وفى يَقَظتِه ، وفى كلِّ حالٍ مِن أحوالِه ، حتى يَخْلُصَ إلى ما أراد منه حتى يَدْعُوَه إلى المعصيةِ ، ويُوقِعَ فى نفسِه الشهوةَ وهو لا يَراه ، وقد قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . وقال : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقد قال اللَّهُ جل ثناؤه لنبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «لذوى».

(٢) فى ص : «قول».

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أبو».

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «والله أعلم، كما».

(٥) فى م ، ت ٢: «إنه».

بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١، ٢] . إلى آخرِ السورةِ . ثم ذكر
٢٣٩/١ الأخبارَ التى رُويَت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ / مَجْرَى الدَّمِ »[(١)] . ثم[(٢)] قال ابنُ إسحاقَ : وإنما أمرُ ابنِ آدمَ فيما بينَه وبينَ عدوِّ اللهِ كأمْرِه فيما بينَه وبينَ آدمَ ، فقال اللهُ : ﴿ فاهبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣] . ثم خلَص إلى آدمَ وزوجتِه حتى كلَّمَهما[(٣)] كما قصَّ اللهُ علينا مِن خبرِهما ، فقال : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ [٦٤/٢و] يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . فخلَص إليهما[(٤)] بما خلَص إلى ذريتِه مِن حيثُ لا يَرَيانِه - فاللهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان - فتابا إلى ربِّهما .

قال أبو جعفرٍ : وليس فى يقينِ ابنِ إسحاقَ - لو كان قد أيْقَن فى نفسِه - أن إبليسَ لم يَخْلُصْ إلى آدمَ وزوجتِه بالمُخاطَبةِ بما أخبَر اللهُ عنه أنه قال لهما وخاطَبهما به ، ما يَجوزُ لذى فهمِ الاعتراضُ به على ماورَد مِن القولِ مُسْتَفِيضًا فى أهلِ العلمِ ، مع دَلالةِ الكتابِ على صحةِ ما اسْتَفاض مِن ذلك بينَهم ، فكيف بشَكِّه ؟ واللهَ نَسْأَلُ التوفيقَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . فإنه يعنى : فأخرَج الشيطانُ آدمَ وزوجتَه ، ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يعنى : مما كان فيه آدمُ وزوجتُه مِن رَغَدِ العيشِ فى الجنةِ ، وسَعَةِ نعيمِها الذى كانا فيه . وقد بيَّنَّا أن اللهَ تعالى ذكرُه إنما أضاف إخراجَهما مِن الجنةِ إلى

---

(١) أخرجه البخارى (٢٠٣٩) ، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية ، رضى الله عنها .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص ، ت ١ : « كلمها » .

(٤) فى ص : « إليها » .

الشيطانِ ، وإن كان اللّهُ هو المُخْرِجَ لهما ؛ لأن خروجَهما منها كان عن سببٍ مِن الشيطانِ ، فأُضِيف ذلك إليه لتَسْبيبِه إياه ، كما يقولُ القائلُ لرجلٍ وصَل إليه منه أذًى حتى تحَوَّل مِن أجلِه عن موضعٍ كان يَسْكُنهُ : ما حوَّلنى عن[(١)] موضِعى الذى كنتُ فيه إلا أنت . ولم يَكُنْ منه له تحويلٌ ، ولكنه لمّا كان تحوُّلُه عن سببٍ منه جاز له إضافةُ تحويلِه إليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

يُقالُ : هبَط فلانٌ أرضَ كذا ، ووادىَ كذا . إذا حَلَّ ذلك ، كما قال الشاعرُ[(٢)] :

ما زِلْتُ أَرْمُقُهم حتَّى إذا هبَطَتْ أَيْدِى الرِّكابِ بهم مِن راكِسٍ[(٣)] فَلَقَا[(٤)]

وقد أبان هذا القولُ مِن اللهِ جل ثناؤُه عن صحةِ ما قلْنا مِن أن المُخْرِجَ آدمَ مِن الجنةِ هو [٢/٦٤ظ] اللهُ جل ثناؤُه ، وأن إضافةَ اللّهِ إلى إبليسَ ما أضاف إليه مِن إخراجِهما كان على ماوصَفْنا ، ودلَّ بذلك أيضًا على أن هُبوطَ آدمَ وزوجتِه وعدوِّهما إبليسَ كان فى وقتٍ واحدٍ ، لجَمْعِ[(٥)] اللّهِ إياهم فى الخبرِ عن إهْباطِهم ، بعدَ الذى كان مِن خَطيئةِ آدمَ وزوجتِه ، وتسبيبِ إبليسَ ذلك لهما ، على ما وصَفَه ربُّنا تعالى ذكرُه عنهم .

---

(١) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

(٢) هو زهير بن أبى سلمى ، شرح ديوانه ص ٣٧.

(٣) راكس : واد . معجم البلدان ٢/ ٧٣٥.

(٤) فى ص : « فلتا » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « قلقا » . والفلق : المطمئن من الأرض بين ربوتين . اللسان (ف ل ق) .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بجمع » ، وفى م : « يجمع » .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ ﴾ . مع إجماعِهم على أن آدمَ وزوجتَه ممَّن عُنِى به .

فحدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبو أسامةَ ، عن أبى عَوَانةَ ، عن إسماعيلَ بنِ سالمٍ ، عن أبى صالحٍ : ﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ . قال : آدمُ وحواءُ[1] والحيَّةُ[2] .

[3]حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ وموسى بنُ هارونَ ، قالا : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : فلعَن الحيةَ وقطَع قَوائمَها ، وترَكها تَمْشِى على بطنِها ، وجعَل رزقَها مِن الترابِ ، وأهبَط إلى الأرضِ آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيةَ[3] .

١/٢٤٠ / وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميْمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدمُ وإبليسُ والحيةُ[4] .

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وإبليس » . وسيأتى بهذه الزيادة من وجه آخر عن إسماعيل فى ص ٥٨٨ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٢/١ (٤١٦) من طريق أبى عوانة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٥٥ إلى أبى الشيخ من طريق قتادة ، عن أبى صالح .

(٣ - ٣) سقط من ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٢/١ عقب الأثر (٤١٦) من طريق عمرو به .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ١١٢/١ بهذا الإسناد عن السدى بإسناده المعروف .

(٤) بعده فى ت ١ : « وحواء » .

والأثر فى تفسير مجاهد ص ٢٠٠ بلفظ : إبليس وآدم . وأخرجه المصنف فى تاريخه ١١٢/١ بزيادة : حواء . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٠٤/٧ من طريق الثورى ، عن مجاهد بلفظ : آدم والحية والشيطان . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/١ إلى أبى الشيخ عن مجاهد بهذا اللفظ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾: آدمُ وإبليسُ والحيّةُ ذرية بعضِهم أعداءٌ لبعضٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدمُ وذريتُه ، وإبليسُ وذريتُه .

حدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ بنُ أبى إياسٍ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ (١) فى قوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : يعنى آدمَ وإبليسَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عُبيدُ اللّهِ بنُ موسى ، عن إسرائيلَ ، عن السُّدىِّ ، عمَّن حدَّثه (١) ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : (٢) بعضُهم لبعضٍ عـدوٌّ (٢) ؛ آدمُ وحواءُ وإبليسُ والحيةُ .

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ السدىِّ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : ﴿ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدمُ وحواءُ وإبليسُ والحيّةُ (٣) .

[٦٥/٢و] **حدَّثنى** يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه :

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢ - ٢) فى الأصل : « بعضكم لبعض عدو قال » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١٢، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٩/١ ، ١٤٥٥/٥ (٣٩٨، ٨٣٢٠) عن يونس به .

﴿ اَهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : لهما ولذريتِهما .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وما كانت عَداوةُ ما بينَ آدمَ وزوجتِه وإبليسَ والحيةِ ؟

قيل : أما عَداوةُ إبليسَ آدمَ وذريتَه ، فحسَدُه إيّاه ، واسْتِكبارُه عن طاعةِ اللّهِ في السجودِ له حينَ قال لربِّه : ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢، ص : ٧٦] .

وأما عَداوةُ آدمَ وذريتِه إبليسَ ، فعداوةُ المؤمنين إيّاه ؛ لكفرِه باللّهِ وعِصْيانِه ربَّه في تكبُّرِه عليه ومُخالفتِه أمرَه ، وذلك مِن آدمَ ومؤمنِى ذريتِه إيمانٌ باللّهِ .

وأما عَداوةُ إبليسَ آدمَ ، فكفرٌ باللّهِ .

وأما عَداوةُ ما بينَ آدمَ وذريتِه والحيّةِ ، فقد ذكَرْنا ما رُوِى فى ذلك عن ابنِ عباسٍ ووهبِ بنِ مُنبِّهٍ ، وذلك هى العَداوةُ التى بيننا وبينَها ، كما رُوِى عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنه قال : « ما سَالَمْناهُنَّ منذ حارَبْناهُنَّ ، فمن تَرَكَهُنَّ خَشْيَةَ ثَأْرِهِنَّ فليس منّا » .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ رِشدين[1] ، قال : حدَّثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ ، عن ابنِ عَجْلانَ ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ ، عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنه قال : « ما سَالَمْناهُنَّ منذ حارَبْناهُنَّ ، فمن تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً فليس مِنَّا »[2] .

---

(١) فى م : « رشد » .

(٢) أخرجه أحمد ٣٦٠/١٥ ، ٤٣٣/١٦ (٩٥٨٨، ١٠٧٤١) ، وأبو داود (٥٢٤٨) ، والطحاوى فى المشكل (١٣٣٨) من طرق عن ابن عجلان به . وأخرجه الحميدى (١١٥٦) ، وأحمد ٣٢٤/١٢ =

وأحْسَبُ أن الحربَ التى بينَنا كان أصلُه ما ذكَره علماؤُنا الذين قدَّمْنا الروايةَ عنهم / فى إدخالِها إبليسَ الجنةَ بعدَ أن أخْرَجَه اللَّهُ منها ، حتى اسْتَزَلَّه عن طاعةِ ربِّه ٢٤١/١
فى أكلِ[1] ما نُهِى عن أكلِه مِن الشجرةِ .

وقد حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا مُعاويةُ بنُ هشامٍ ، وحدَّثنا محمدُ بنُ خلفٍ العَسْقلانيُّ ، [2]قال : حدَّثنا آدمُ ، جميعًا عن شَيْبانَ[2] ، عن جابرٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن قتلِ الحيَّاتِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خُلِقَتْ هى والإنسانُ ، كُلُّ واحدٍ منهما عَدُوٌّ لصَاحِبِه ، إن رَآها أَفْزَعَتْه ، وإن لَدَغَتْهُ أَوْجَعَتْهُ ، فاقْتُلْهَا حيث وَجَدْتها »[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ .

اخْتَلَفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلكِ ؛ فقال بعضُهم بما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا [٦٥/٢ظ] آدمُ العَسْقلانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ الرازيُّ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾[4] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

= (٧٣٦٦) ، وابن حبان (٥٦٤٤) من طريق ابن عجلان أيضا ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن عجلان به . وقال الدارقطنى فى العلل ١٣٨/١١ : ولعل محمد بن عجلان سمعه عن أبيه ، واستثبته من بكير بن الأشج .

(١) فى م : « أكله » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) إسناده ضعيف ؛ لضعف جابر الجعفى . وأخرجه الطيالسى (٢٧٤١) ، والطبرانى فى الأوسط (٤٥٠٠) من طريق جابر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٠/١، ١٤٥٥/٥ (٤٠١، ٨٣٢٣) من طريق آدم به .

عن الربيعِ في قولِه : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر : ٦٤] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولكم فى الأرضِ قَرارٌ فى القبورِ[١] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال[٢] : القبورُ[٣] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ السُّدىِّ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : القبورُ[٤] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : مُقامُهم فيها .

والمستقرُّ فى كلامِ العربِ هو موضعُ الاستقرارِ ، فإذ كان ذلك كذلك ، فحيثُ كان مِن[٥] الأرضِ موجودًا حالًّا ، فذلك المكانُ مِن الأرضِ مُسْتَقَرُّه .

وإنما عنَى اللَّهُ جلّ وعزّ بذلك أن لهم فى الأرضِ مستقرًّا ومَنْزِلًا بأماكنِهم

(١) بعده فى ر : « ولكم فيها بلاغ إلى الموت » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « يعنى » ، وفى ت ٣ : « أعنى » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥٥/٥ عقب الأثر (٨٣٢١) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٩/١ (٣٩٩) من طريق إسرائيل ، عن السدى ، عن ابن عباس .

(٥) بعده فى م : « فى » .

ومُسْتَقَرِّهم مِن الجنةِ والسماءِ ، وكذلك قولُه : ﴿ وَمَتَٰعٌ ﴾ . يعنى به أنّ لهم فيها متاعًا بمتاعِهم فى الجنةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ولكم فيها بَلاغٌ إلى الموتِ .

/ ذِكر مَن قال ذلك ٢٤٢/١

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ فى قولِه : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال : يقولُ : بَلاغٌ إلى الموتِ[(1)] .

حدَّثنى يونُس ، قال أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ السُّدىِّ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال : الحياةُ .

[(2)]**حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحـاقُ ، قال : حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن [٢/ ٦٦و] إسرائيلَ ،عن السدىِّ ، عمّن حدّثه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال : الحياةُ[(2)] .

وقال آخَرون : يعنى بقولِه : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ : إلى قيامِ الساعةِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٠، ١٤٥٦/٥ (٤٠٢، ٨٣٢٤) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٠، ١٤٥٦/٥ (٤٠٣، ٨٣٢٥) من طريق عبيد اللَّه بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . قال : إلى يومِ القيامةِ ، إلى انقطاعِ الدنيا .

وقال آخرون : ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾[(١)] : إلى أجلٍ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثْت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . قال : إلى أجلٍ[(٢)] .

والمتاعُ في كلامِ العربِ كلُّ ما استُمْتِع به مِن شيءٍ ، في[(٣)] معاشٍ استُمْتِع به ، أو رِياشٍ أو زينةٍ أو لذَّةٍ أو غيرِ ذلك . فإذ كان ذلك كذلك - وكان اللهُ تعالى ذكرُه قد جعَل حياةَ كلِّ حيٍّ متاعًا له يَسْتَمْتِعُ بها أيامَ حياتِه ، وجعَل الأرضَ للإنسانِ مَتاعًا أيامَ حياتِه بقَرارِه عليها ، واغْتِذائِه بما أخرَج اللهُ عزّ وجلّ منها مِن الأَقْواتِ والثِّمارِ ، والتِذاذِه بما خلَق اللهُ فيها مِن الملاذِّ ، وجعَلها مِن بعدِ وفاتِه لجثتِه كِفاتًا[(٤)] ، ولجسمِه منزلًا وقَرارًا ، وكان اسمُ المتاعِ يَشْتَمِلُ جميعَ ذلك - كان أولى التأويلاتِ بالآيةِ - إذ[(٥)] لم يَكُنِ اللهُ تعالى ذكرُه وضَع دَلالةً دالَّةً على أنه قصَد بقولِه : ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . بعضًا دونَ بعضٍ ، وخاصًّا دونَ عامٍّ في عقلٍ ولا خبرٍ - أن يَكونَ ذلك في

(١) بعده في ص ، م : « قال » .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٣٢١/١ عن الربيع .

(٣) في م : « من » .

(٤) كِفاتا : أي تحفظهم وتحرزهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم ، وتحفظهم وتحرزهم أمواتا في بطنها . التاج (ك ف ت) .

(٥) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إن » .

معنى العامِّ ، وأن يَكونَ الخبرُ أيضًا كذلك إلى وقتِ بُطولِ[(١)] اسْتِمْتاعِ بنى آدمَ وبنى إبليسَ بها ، وذلك إلى أن تُبَدَّلَ الأرضُ غيرَ الأرضِ .

فإذ كان ذلك أولى التأويلاتِ بالآيةِ لما وصَفْنا ، فالواجبُ إذن أن يَكونَ تأويلُ الآيةِ : ولكم فى الأرضِ مَنازلُ ومَساكنُ تَسْتَقِرُّون فيها اسْتِقْرارَكم - كان - فى السماواتِ ، وفى الجنانِ فى مَنازِلِكم منها ، واستمتاعٌ منكم بها وبما أخْرَجْتُ لكم منها ، وبما جعَلْتُ لكم فيها مِن المَعاشِ والرِّياشِ والزِّينِ والملاذِّ ، وبما أعطيتُكم على ظهرِها [(٢)] من الحياةِ [(٢)] أيامَ حياتِكم ، ومِن بعدِ وَفاتِكم لأرْماسِكم[(٣)] وأجداثِكم [٢/ ٦٦ظ] تُدْفَنون فيها ، وتَبْلُغون باستمتاعِكم بها إلى أن أُبَدِّلَكم بها غيرَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ .

أما تأويلُ قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ . فإنه : أخَـذ وقَبِل[(٤)] . وأصلُه التَّفَعُّلُ مِن اللِّقاءِ ، كما يَتَلَقَّى/ الرجلُ الرجلَ يستقبِلُه[(٥)] عندَ قدومِه مِن [(٦)] غَيْبةٍ أو سفرٍ ، فكذلك ذلك[(٦)] فى قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ . كأنه اسْتَقْبَله فتلَقَّاه بالقَبولِ حينَ أُوحِى إليه أو أُخْبِر به ، فمعنى ذلك إذن : فلقّى اللّهُ آدمَ كلماتِ توبةٍ ، فتلقَّاها آدمُ مِن ربِّه وأخَذها عنه تائبًا ، فتاب اللّهُ عليه بقِيلِه إياها وقبولِه إياها مِن ربِّه . ٢٤٣/١

كما حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الآية . قال : لقَّاهما هذه الآيةَ : ﴿ رَبَّنَا

---

(١) فى ص ، م : « يطول » .
(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٣) الرمس : القبر . التاج (ر م س) .
(٤) فى م ، ر : « قيل » .
(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مستقبله » .
(٦ - ٦) فى ص : « غيبته أو سفره فكان ذلك كذلك و » .

ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] [الأعراف : ٢٣] .

وقد قرأ بعضُهم : (فَتَلَقَّى ءَادَمَ مِن رَّبِّهِ كَلماتٌ)[2] . فجعَل « الكلماتِ » هى المُتَلَقِّيةَ آدمَ . وذلك وإن كان مِن جِهةِ العربيةِ جائزًا - إذ كان كلُّ ما تَلقَّاه الرجلُ فهو له مُتلَقٍّ ، وما لقِيه فقد لقِيه ، فصار للمتكلمِ أن يُوَجِّهَ الفعلَ إلى أيِّهما شاء ، ويُخْرِجَ مِن الفعلِ أيَّهما أحبَّ - فغيرُ جائزٍ عندى فى القراءةِ إلا رفعُ « آدمَ »[3] على أنه المُتَلَقِّى « الكلماتِ » ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرأةِ وأهلِ التأويلِ مِن علماءِ السلفِ والخلفِ على توجيهِ التَّلَقِّى إلى آدمَ دونَ الكلماتِ ، وغيرُ جائزٍ الاعْتراضُ عليها فيما كانت عليه مُجْمِعةً بقولِ مَن يجوزُ عليه السهوُ والخطأُ .

واخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى أعْيانِ الكلماتِ التى تَلقَّاها آدمُ مِن ربِّه ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عَطِيةَ ، عن قيسٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾. قال : أىْ ربِّ ، ألم تَخْلُقْنى بيدِك ؟ قال : بلى . قال : أىْ ربِّ ، ألم تنفُخْ فىَّ مِن رُوحِك ؟ قال : بلى . قال : أىْ رَبِّ ، أَلَمْ تُسْكِنِّى جنّتَك ؟ قال : بلى . قال : أىْ ربِّ ، ألم تَسْبِقْ رحمتُك غضبَك ؟ قال : بلى . قال : أرأَيْتَ إن[4] تُبْتُ وأصْلَحْتُ ، أراجِعى أنت إلى الجنةِ ؟ قال : بلى[5] . قال : فهو قولُه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن ابن زيد .

(٢) هذه قراءة ابن كثير . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٥٣.

(٣) بل قراءة الرفع والنصب متواترتان .

(٤) بعده فى م : « أنا » .

(٥) فى م : « نعم » . وهو وجه الكلام ، وتظاهرت النسخ على « بلى » ، وكذا هو فى التاريخ للمصنف ، والمستدرك .

مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾[(١)] .

حدَّثني عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمٌ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصعبٍ ، عن قيسِ بنِ الربيعِ ، عن عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ ، عن سعيدِ بنِ مَعْبَدٍ[(٢)] ، [٦٧/٢و] عن ابنِ عباسٍ نحوَه[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ : فإنَّ آدمَ قال لربِّه إذ عصاه : ربِّ ، أرأيتَ إن تُبْتُ وأصْلَحْتُ ؟ فقال له ربُّه : إني راجِعُك إلى الجنةِ[(٤)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ : ذُكِرَ لنا أنه قال : يا ربِّ ، أرأَيْتَ إن أنا تبتُ وأصلحتُ ؟ قال : إذن أَرجِعَك إلى الجنةِ[(٥)] . قال : وقال

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٣٢. وأخرجه الآجرى فى الشريعة (٧٥٥، ٩١٠) من طريق قيس بن الربيع به . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٣/٧ من طريق ابن أبى ليلى به .

وابن عطية هو الحسن بن عطية بن نجيح - كما سيأتى فى ٨٦/٢ - وهو صدوق ، وقد اختلف على قيس فيه .

وقد أخرجه الحاكم ٥٤٥/٢ من طريق الحسن بن عطية ، عن الحسن بن صالح ، عن المنهال به . وقال : صحيح الإسناد . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى التوبة وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) بياض فى ص ، وفى م : « جبير » ، وفى ت ١، ت ٢: « معبد » وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١١٦.

(٣) سعيد بن معبد مجهول ، وقد اختلف على قيس فيه .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن العوفى عن ابن عباس .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٣٢. وأخرجه البيهقى فى الشعب (٧١٧٤) ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٥/٧ من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وسيأتى من وجه آخر عن قتادة فى ص ٥٨٦ .

الحسنُ[١] : إنهما قالا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢] .

حدَّثنى المثنّى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقَلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ . قال : إن آدمَ لـمَّا
١/٢٤٤ أصاب الخطيئةَ ، قال : يارَبِّ أرأَيْتَ / إن تبتُ وأصلحتُ ؟ فقال اللهُ : إذن أُرْجِعَك إلى الجنةِ . فهى مِن الكلماتِ . ومِن الكلماتِ أيضًا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ . قال : ربِّ ، ألم تَخْلُقْنى بيدِك[٤] ؟ قيل له : بلى . قال : ونفَخْتَ فىَّ مِن رُوحِك ؟ قيل له : بلى . قال : وسبَقَت رحمتُك[٥] غضبَك ؟ قيل له : بلى . قال : ربِّ ، هل[٦] كتبْتَ هذا علىَّ ؟ قيل له : نعَم . قال : ربِّ ، إن تبتُ وأصلحتُ هل أنت راجِعى إلى الجنةِ ؟ قيل له : نعَم . قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٧] [طه : ١٢٢] .

---

(١) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحسين » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩١/١ عقب الأثر (٤١٠) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن أبى جعفر به .

(٤) فى الأصل ، ت ١ : « بيديك » .

(٥) بعده فى الأصل : « إلى » .

(٦) بعده فى م : « كنت » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٠/١ عقب الأثر (٤٠٧) من طريق عمرو به . وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٨٦- تفسير) - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٣٣- عن الحسن بن يزيد الأصم ، =

وقال آخرون بما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع عُبيدَ ابنَ عُميرٍ يقولُ : قال آدمُ عليه السلامُ : يا ربِّ ، خَطيئتى التى أخْطَأْتُها ، أشىءٌ كتبتَه علىَّ قبلَ أن تَخْلُقَنى ، أو شىءٌ ابْتَدَعْتُه مِن قِبَلِ نفسِى ؟ قال : بل[1] شىءٌ كتَبْتُه عليك قبلَ أن أَخْلُقَك . قال : فكما كتَبْتَه علىَّ فاغْفِرْه لى . قال : فهو قولُ اللهِ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾[2] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ[3] ، قال : حدَّثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، [4]عن مجاهدٍ ، عن[4] عُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ بمثلِه[5] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ[3] ، قال : حدَّثنا وَكيعُ بنُ الجراحِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، عمَّن سمِع عُبيدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : قال آدمُ . فذكَر نحوَه[6] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثورىُّ ، عن

= عن السدى . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا (٤٠٧) من طريق إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس .

(١) فى م : « بلى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩١/١ (٤٠٩) من طريق ابن مهدى به . وأخرجه الدارمى فى الرد على الجهمية ص ٧٢، عن محمد بن كثير ، عن سفيان به .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « سنان » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قال أخبرنى من سمع » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٤/٧ من طريق مؤمل به . وقد خولف مؤمل فى إسناده .

(٦) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٥٩/١ - ومن طريقه الفريابى فى القدر (١٢١) ، والآجرى فى الشريعة (٣٢٢) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٢٣) ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٧٣.

عبدِ العزيزِ [٢/ ٦٧ظ] بنِ رفيعٍ ، عن عُبيدِ بنِ عُميرٍ مثلَه[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، قال : أَخْبَرَنى مَن سَمِع عُبيدَ بنَ عُميرٍ . بنحوِه .

وقال آخرون بما **حدَّثني** به أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حكيمٍ الأَوْدِيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شَريكٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، قال : حدَّثنا حُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن حُميدِ بنِ نَبْهانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ [(٢)]يزيدَ بنِ معاويةَ[(٢)] أنه قال : قولُه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . قال آدمُ[(٣)] : اللهم لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، أَستَغْفِرُك وأتوبُ إليك ، فَتُبْ عليَّ إنك أنت التوابُ الرحيمُ[(٤)] .

حدَّثني المثنّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو غَسّانَ ، قال : [(٥)]حدَّثنا زُهَيْرٌ[(٥)] ، **وحدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : أَخْبَرَنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ وقيسٌ ، جميعًا عن خُصَيْفٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ حتى فرَغ منها[(٦)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤ . وأخرجه الآجرى فى الشريعة (٣٢٣) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٣٤ من طريق الحسن بن يحيى ومحمد بن حماد الطهرانى ، عن عبد الرزاق به .

(٢ - ٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زيد عن » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) عبد الرحمن بن شريك ضعيف ، وحميد بن نبهان لم يتعين لنا .

وأخرجه البيهقى فى الشعب (٧١٧٥) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٣٥ ، ٤٢/ ١١٥ (ترجمة عبد الرحمن ، طبعة مجمع اللغة بدمشق) - من طريق البيهقى والخطيب وغيرهما - من طريق العوام بن حوشب ، عن عبد الكريم المكتب - وعند البيهقى : عبد الرحيم - عن عبد الرحمن بن يزيد . وعبد الكريم هو ابن أبى المخارق المعلم ، ضعيف .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنبأنا أبو زهير » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٣٢ ، عن أحمد بن إسحاق الأهوازى وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم =

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ كان يَقولُ في قولِ اللّهِ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ الكلماتُ : اللهمّ لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، / ربِّ إني ظلَمتُ نفسِي ، فاغْفِرْ لي إنك ٢٤٥/١
خيرُ الغافِرين ، اللهم لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، ربِّ إني ظلَمْتُ نفسى فارْحَمْنى إنك خيرُ الراحمين ، اللهم لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، ربِّ إني ظلَمْتُ نفسى ، فتُبْ عليَّ إنك أنت التَّوابُ الرَّحيمُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن النضرِ بنِ عربيٍّ[(٢)] ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ الآية[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : أىْ ربِّ ، أَتتوبُ عليَّ إن تُبْتُ ؟ قال : نعَم . فتاب آدمُ ، فتاب عليه ربُّه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال أخْبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(٤)] .

= فى تفسيره ٩١/١ (٤١٠) من طريق سفيان به ، عن خصيف ، عن مجاهد وسعيد ابن جبير .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٩١/١ (٤١١) من طريق أبي حذيفة ، عن شبل ، عن عبد اللّه بن كثير ، عن مجاهد . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

(٢) فى ت ١: « عمير » ، وفى ت ٢، ت ٣: « عتير » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٣٥، من طريق محمد بن حماد =

(١) حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : هو قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) .

وهذه الأقوالُ التى حكَيْناها عمَّن حكَيْناها عنه ، وإن كانت مختلفةَ [٢/ ٦٨و] الألفاظِ ، فإن معانيَها مُتَّفِقَةٌ فى أن اللّهَ تعالى ذكرُه لقَّى آدمَ كلماتٍ تلقَّاهن آدمُ مِن ربِّه فقبِلَهن ، وعمِل بهن ، وتاب - بقِيلِه إيَّاهن وعملِه بهن - إلى اللّهِ مِن خطيئتِه ، مُعْتَرِفًا بذنبِه ، مُتَنصِّلًا إلى ربِّه مِن خطيئتِه ، نادمًا على ما سلَف منه مِن خلافِ أمرِه ، فتاب اللّهُ عليه بقبولِه الكلماتِ التى تلقَّاهن منه ، وندمِه على سالفِ الذنبِ منه .

والذى يَدُلُّ عليه كتابُ اللّهِ جلّ ثناؤه أن الكلماتِ التى تَلقَّاهن آدمُ مِن ربِّه هن الكلماتُ التى أخْبَر جلّ ذكرُه عنه أنه قالها مُتَنَصِّلًا بقِيلِها إلى ربِّه ، معترفًا بذنبِه ، وهو قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . وليس ما قاله مَن خالَف قولَنا هذا - مِن الأقوالِ التى حكَيْناها - بمدفوعٍ قولُه ، ولكنه قولٌ لا شاهدَ عليه مِن حجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، فيَجوزَ لنا إضافتُه إلى آدمَ ، وأنه مما تلَقَّاه مِن ربِّه عندَ إنابتِه إليه مِن ذنبِه .

وهذا الخبرُ الذى أخْبَر اللّهُ عن آدمَ - من قيلِه الذى لقَّاه اللّهُ إيّاه ، فقاله تائبًا إليه مِن خطيئتِه - تَعريفٌ منه جلَّ ذِكرُه جميعَ المخاطَبين بكتابِه كيفيةَ التوبةِ إليه مِن

= الطهرانى ، عن عبد الرزاق به . وتقدم من وجه آخر عن قتادة فى ص ٥٨١ .

(١ - ١) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١١٦ عن ابن زيد .

الذنوبِ ، وتنبيهٌ للمُخاطَبِينَ بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ . على موضعِ التوبةِ مـمّا هم عليه مِن الكفرِ باللّهِ ، وأن خَلاصَهم مما هم عليه مُقِيمون مِن الضَّلالةِ نظيرُ خَلاصِ أبيهم آدمَ مِن خطيئتِه ، مع تذكيرِه إيّاهم به السالفَ إليهم مِن النِّعمِ التى خصَّ بها أباهم آدمَ وغيرَه مِن آبائِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وقولُه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . يعنى على آدمَ ، والهاءُ التى فى ﴿ عَلَيْهِ ﴾ عائدةٌ على آدمَ . وقولُه : / ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . يعْنى : رزَقه التوبةَ مِن خطيئتِه . والتوبةُ معناها ١/٢٤٦
الإنابةُ إلى اللّهِ جلَّ ثناؤُه ، والأَوْبةُ إلى طاعتِه مما يَكْرَهُ مِن معصيتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . أن اللّهَ جلّ ثناؤُه هو التوابُ على مَن تاب إليه مِن عبادِه [٢/ ٦٨ظ] المُذْنبين مِن ذنوبِه ، التاركُ مُجازاتَه بإنابتِه إلى طاعتِه بعدَ معصيتِه بما سلَف مِن ذنبِه . و قد ذكَرْنا أن معنى التوبةِ مِن العبدِ إلى ربِّه إنابتُه إلى طاعتِه ، وأوْبتُه إلى ما يُرْضِيه ، بتركِه ما يَسْخَطُه مِن الأمورِ التى كان عليها مُقيمًا مما يَكْرَهُه ربُّه . فكذلك توبةُ اللّهِ على عبدِه ، هو أن يَرْزُقَه ذلك ، ويؤوبَ له[(١)] مِن غضبِه عليه إلى الرضا عنه ، ومِن العقوبةِ إلى العفوِ والصَّفْحِ عنه .

وأما قولُه : ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فإنه يعنى أنه المُتَفَضِّلُ عليه مع التوبةِ بالرحمةِ ، ورحمتُه إياه إقالتُه[(٢)] عثرتَه وصَفْحُه عن عقوبةِ جُرْمِه .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « إقالة » .

وقد ذكَرْنا القولَ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ ﴾ . فيما مضَى ، فلا حاجةَ بنا إلى إعادتِه ؛ إذ كان معناه فى هذا الموضعِ هو معناه فى ذلك الموضعِ .

وقد حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ ابنُ سالمٍ ، عن أبى صالحٍ فى قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ ﴾ . قال : آدمُ وحوَّاءُ والحيّةُ وإبليسُ[(١)] .

القولُ فى تأويل قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴾ : فإن يأْتِكم ، و « ما » التى مع « إن » توكيدٌ للكلامِ ، ولدخولِها مع « إن » أُدْخِلَت النونُ المُشَدَّدةُ فى ﴿ يَأْتِيَنَّكُم ﴾ تفرقةً بدخولِها بينَ « ما » التى تَأْتى بمعنى توكيدِ الكلامِ - التى تُسَمِّيها أهلُ العربيةِ صِلةً وحَشْوًا - وبين « ما » التى تأتى بمعنى « الذى » ، فتُؤْذِنُ بدخولِها فى الفعلِ أنَّ « ما » التى مع « إن » التى بمعنى الجزاءِ توكيدٌ ، وليست « ما » التى بمعنى « الذى » .

وقد قال بعضُ نحويِّى [(٢)]أهلِ البصرةِ[(٢)] : إنَّ « إمَّا » : « إنْ » ، زِيدَت معها « ما » ، وصار الفعلُ الذى بعدَه بالنونِ الخفيفةِ أو الثقيلةِ ، وقد يَكونُ بغيرِ نونٍ ، وإنما حسُنَت فيه النونُ لمَّا دخَلَته « ما » ؛ لأن « ما » نفىٌ ، وهى مما ليس بواجبٍ ، وهى الحرفُ الذى يَنْفِى الواجبَ ، فحسُنَت فيه النونُ ، نحوَ قولِهم : بعينٍ ما أَرَيَنْكَ . حينَ أُدْخِلَت فيها « ما » حسُنَت النونُ فيما هاهنا .

وقد أنْكَر جماعةٌ مِن أهلِ العربيةِ دعوى قائلِ[(٣)] هذه المقالةِ أن « ما » التى مع :

---

(١) تقدم فى ص ٥٧٢ من طريق آخر عن إسماعيل .

(٢ - ٢) فى م : « البصريين » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائلى » .

بعينٍ ما أرينك ، بمعنى الجحدِ ، وزعَموا أن ذلك بمعنى التوكيدِ للكلامِ .

وقال آخرون : بل هو حَشْوٌ فى الكلامِ ، ومعناها الحذفُ ، وإنما معْنى الكلامِ : « بعينٍ أراك . [٢/٦٩و] وغيرُ جائزٍ أن يُجْعَلَ مع الاختلافِ فيه أصلًا يُقاسُ عليه غيرُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

والهُدَى فى هذا الموضعِ البيانُ والرَّشادُ ، كما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا / آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ . قال : الهُدَى الأنبياءُ والرسلُ والبَيانُ[1] . ٢٤٧/١

فإن كان ما قال أبو العاليةِ فى[2] ذلك كما قال ، فالخِطابُ بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ ﴾ . وإن كان لآدمَ وزوجتِه ، فيَجِبُ أن يَكونَ مُرادًا به آدمُ وزوجتُه وذريتُهما ، فيَكونَ ذلك حينَئذٍ نظيرَ قولِه : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . بمعنى : أتَيْنا بما فينا مِن الخَلْقِ طائِعِين . ونظيرَ قولِه فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (ربَّنا واجْعَلْنا مُسلِمَيْنِ لك ومن ذُرِّيتِنا أُمَّةً مُسلمَةً لك وأَرِهِم مَنَاسِكَهم)[3] . فجمَع قبلَ أن تَكونَ ذريةٌ ، وهو فى قراءتِنا : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وكما يقولُ القائلُ لآخرَ : كأنك قد تزوَّجْتَ ووُلِد لك وكثُرتُم وعززْتُم . ونحوِ ذلك مِن الكلامِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٣/١ (٤١٩) من طريق آدم به .

(٢) فى ص : « من » .

(٣) سيأتى تخريج هذه القراءة فى موضعها من التفسير .

وإنما قلْنا : إن ذلك هو الواجبُ على التأويلِ الذى ذكَرْناه عن أبى العاليةِ ؛ لأن آدمَ كان هو النبىَّ عليه السلامُ أيامَ حياتِه بعدَ أن أُهْبِط إلى الأرضِ ، والرسولَ مِن اللّهِ تعالى ذكرُه إلى ولدِه ، فغيرُ جائزٍ أن يكونَ مَعْنيًّا - وهو الرسولُ - بقولِه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ . خطابًا له ولزوجتِه : فإما يأتينّكم مِنى[(١)] أنبياءُ ورسلٌ . إلا على ما وصَفْتُ مِن التأويلِ .

وقولُ أبى العاليةِ فى ذلك - وإن كان وجهًا مِن التأويلِ تحْتَمِلُه الآيةُ - فأقربُ إلى الصوابِ منه عندى ، وأشبهُ بظاهرِ التِّلاوةِ أن يكونَ تأويلُها : فإما يَأْتِيَنَّكم[(٢)] يا معشرَ مَن أُهْبِطَ[(٣)] إلى الأرضِ مِن سمائى - وهو آدمُ وزوجتُه وإبليسُ ، كما قد ذكَرْنا قبلُ فى تأويلِ الآيةِ التى قبلَها - إما يَأْتِيَنَّكم منى بيانٌ مِن أمرِى وطاعتى ورَشادٌ إلى سبيلى ودِينى ، فمَن اتَّبَعه منكم فلا خوفٌ عليهم ولا هم [٢/ ٦٩ظ] يَحْزنون ، وإن كان قد سلَف منهم قبلَ ذلك إلىَّ معصيةٌ وخلافٌ لأمْرى وطاعتى . يُعَرِّفُهم بذلك تعالى ذكرُه أنه التائبُ على مَن تاب إليه مِن ذنوبِه ، والرحيمُ بمن[(٤)] أناب إليه ، كما وصَف نفسَه بقولِه : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

وذلك أن ظاهرَ الخِطابِ بذلك إنما هو للذين قال لهم جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . والذين خُوطِبوا به هم مَن سَمَّيْنا فى قولِ الحُجَّةِ مِن الصحابةِ والتابعين الذين قد قدَّمْنا الروايةَ[(٥)] عنهم . وذلك وإن كان خطابًا مِن اللّهِ تعالى ذِكرُه لمن أُهْبِط حينَئذٍ مِن السماءِ إلى الأرضِ ، فهو سنَّةُ اللّهِ فى جميعِ خلقِه ، وتعريفٌ منه بذلك

---

(١) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هدى » .

(٢) بعده فى م : « منى » .

(٣) فى م : « أهبطته » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢: « لمن » .

(٥) بعده فى ص : « به » .

الذين أخبَر عنهم في أولِ هذه السورةِ بما أخبَر عنهم في قولِه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وفي قولِه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٦ ، ٨] . أن[١] حُكْمَه فيهم – إن تابوا إليه وأنابوا ، واتَّبعوا ما أتاهم مِن البيانِ مِن عندِ اللَّهِ على لسانِ رسولِه محمدٍ ﷺ – أنهم عندَه في الآخرةِ ممَّن لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنون ، وأنهم إن هلَكوا على[٢] كُفرِهم وضَلالتِهم قبلَ الإنابةِ والتوبةِ ، كانوا مِن أهلِ النارِ المُخَلَّدِين فيها .

وقولُه : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ . يعني : فمَن تبع بَيانى الذى أُبَيِّنُه[٣] على أَلْسُنِ رُسُلى ، أو مع رسلى .

كما حدَّثنى به المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العسقلانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ يعنى : بَيانى[٤] .

١/٢٤٨ / وقولُه : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . يعنى : فهم آمِنون في أهوالِ القيامةِ مِن عقابِ اللّهِ ، غيرُ خائِفِين عذابَه ؛ بما أطاعوا اللّهَ في الدنيا ، واتَّبعوا أمرَه وهُداه وسبيلَه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يومَئذٍ على ما خلَّفوا بعدَ وفاتِهم في الدنيا .

كما حدَّثنى يونُسُ ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . يقولُ : لا خوفٌ عليكم أمامَكم ، وليس شيءٌ أعظمَ في صدرِ الذى يَموتُ ممَّا بعدَ الموتِ ، فأمَّنهم منه وسلَّاهم عن الدنيا ، فقال : ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

(١) في ص ، م : « وأن » .
(٢) في الأصل : « من » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « في » .
(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آتيته » .
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٣/١ (٤٢٢) من طريق آدم .

وقولُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ [٢/ ٧٠و] بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ . يعنى : والذين جحدوا آياتى وكذَّبوا رُسُلى . وآياتُ اللهِ حُجَجُه وأدلَّتُه على وحدانيَّتِه وربوبيَّتِه ، وما جاءت به الرسلُ مِن الأعْلامِ والشَّواهدِ على ذلك ، وعلى صدقِها فيما أنبأَتْ عن ربِّها ، وقد بيَّنا أن معنى الكفرِ التَّغْطيةُ على الشىءِ[(١)] .

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ يعنى : أهلُها الذين هم أهلُها دونَ غيرِهم ، المُخَلَّدون فيها أبدًا[(٢)] إلى غيرِ أمَدٍ ولا نهايةٍ .

كما **حدَّثنى** عُقبةُ بنُ سِنانٍ البصرىُّ ، قال : حدَّثنا غَسَّانُ بنُ مُضَرَ ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ يَزيدَ ، **وحدَّثنا** سَوَّارُ بنُ عبدِ اللهِ العَنْبَرِىُّ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : حدَّثنا أبو مَسْلَمةَ[(٣)] ، **وحدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ وأبو بكرِ بنُ[(٤)] عونٍ ، قالا : حدَّثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أمَّا أهْلُ النَّارِ الذِين هم أهْلُها ، فإنَّهم لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ ، ولكِنَّ أقْوَامًا أصابَتْهم النَّارُ بخَطايَاهم - أو بذُنُوبِهم - فأمَاتَتْهم إمَاتَةً ، حتى إذا صَارُوا فَحمًا أُذِنَ فى الشَّفَاعَةِ »[(٥)] .

---

(١) تقدم فى ص ٢٦٢.

(٢) فى ر : « هم فيها خالدون » .

(٣) بعده فى م : « سعيد بن يزيد » . وهو اسم أبى مسلمة .

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « أبى » .

(٥) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ص ١٨٢ ، وابن صاعد فى زوائده على زهد ابن المبارك (١٢٦٩) من طريق عقبة بن سنان ويعقوب بن إبراهيم به .

وأخرجه مسلم (١٨٥) ، وابن ماجه (٤٣٠٩) من طريق بشر بن المفضل به . وأخرجه أحمد ١٧/ ١٣٤، ١٣٥ (١١٠٧٧) ، وحسين المروزى وابن صاعد فى زوائدهما على زهد ابن المبارك (١٢٦٩) ، وأبو يعلى (١٠٩٧، ١٣٧٠) ، وابن حبان (٧٤٨٥) ، وابن منده فى الإيمان (٨٣٢) من طريق ابن علية به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤه : ﴿ يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ . ولدَ[(١)] يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ . وكان يعقوبُ يُدْعَى إسرائيلَ ، بمعنى : عبدُ اللّهِ وصَفْوتُه مِن خلقِه . و « إيلُ » هو اللّهُ تعالى ذكرُه ، و « إسْرا » : هو العبدُ ، كما قيل : جبريلُ بمعنى : عبدُ اللّهِ .

وكما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن الأعمشِ ، عن إسماعيلَ بنِ رَجاءٍ ، عن عُمَيْرٍ مولَى ابنِ عباسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن إسرائيلَ كقولِك : عبدُ اللّهِ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن عبدِ اللّهِ ابنِ الحارثِ قال : « إيلُ » اللّهُ بالعِبْرانيةِ[(٣)] .

وإنما خاطَب اللّهُ جلّ وعزّ بقولِه : ﴿ يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ أحبارَ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، فنسَبهم إلى يعقوبَ ، كما نسَب / ذريةَ آدمَ إلى آدمَ ، فقال : ﴿ يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ ٢٤٩/١
[الأعراف : ٣١] . وما أشْبَه ذلك .

وإنما خصَّهم بالخطابِ فى هذه الآيةِ والتى بعدَها مِن الآيِ التى ذكَّرهم فيها نعَمَه - وإن كان قد تقدَّم ما أنْزَل فيهم وفى غيرِهم فى [٢/ ٧٠ظ] أولِ هذه السورةِ ما

---

(١) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يا ولد » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٣) ، والبيهقى فى الشعب (١٦٥) ، والخطيب فى المتفق والمفترق ٣٩٨/١ من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش به . وسيأتى فى ٢٩٦/٢ بهذا الإسناد . وينظر تغليق التعليق ٤/ ١٧٥.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٧) من طريق جرير به . وسيأتى فى ٢٩٥/٢ بهذا الإسناد .

قد تقَدَّم - أن الذى احْتَجَّ به مِن الحُجَجِ فى[(١)] الآياتِ التى فيها أنباءُ أسْلافِهم وأخبارُ أوائلِهم ، وقَصَصُ الأمورِ التى هم بعلمِها مَخْصوصون دونَ غيرِهم مِن سائرِ الأممِ ، ليس عندَ[(٢)] غيرِهم مِن العلمِ بصحتِه وحقيقتِه مثلُ الذى لهم مِن العلمِ به ، إلا لمن اقتَبَس علمَ ذلك منهم ، فعرَّفهم باطِّلاعِ محمدٍ ﷺ على علمِها - مع بُعْدِ قومِه وعَشيرتِه مِن معرفتِها ، وقلَّةِ مُزاولةِ محمدٍ ﷺ دراسةَ الكتبِ التى فيها أنباءُ ذلك - أن محمدًا ﷺ لم يَصِلْ إلى علمِ ذلك إلا بوحيٍ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه وتنزيلٍ منه ذلك إليه ؛ لأنهم مِن عِلْمِ صحةِ ذلك بمَحلٍّ ليس به مِن الأممِ غيرُهم ، فلذلك تعالى ذكرُه خصَّ بقولِه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ خطابَهم .

كما **حدَّثنا** به ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ قال : يا أهلَ الكتابِ ، للأحبارِ مِن يهودَ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ .

ونعمتُه التى أنْعَمها على بنى إسرائيلَ[(٤)] اصْطفاؤُه منهم الرسلَ ، وإنزالُه عليهم الكتبَ ، واسْتِنْقاذُه إياهم مما كانوا فيه مِن البلاءِ والضَّرَّاءِ مِن فرعونَ وقومِه ، إلى التَّمْكينِ لهم فى الأرضِ ، وتَفْجيرِ عُيونِ الماءِ مِن الحجرِ ، وإطعامِ المنِّ والسَّلْوَى ، فأمَر جل ثناؤُه أعْقابَهم أن يَكونَ ما سلَف منه إلى آبائِهم على ذِكْرٍ منهم[(٥)] ، وألا يَنْسَوْا صَنيعَه إلى أسلافِهم وآبائِهم ، فيُحِلَّ بهم مِن النِّقَمِ ما أحَلَّ بمَن نسِى نعمَه عندَه منهم

(١) فى ص ، م : « و » .
(٢) فى ص : « عندهم » .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥ (٤٣٤) من طريق سلمة به .
(٤) بعده فى ر : « وتلك النعم » ، وبعده فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « جل ذكره » .
(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

وكَفَرَها وجحَد صنائعَه عندَه .

كما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى : بَلائى[(١)] عندَكم وعندَ آبائِكم ؛ لِمَا كان نجّاهم به مِن فرعونَ وقومِه[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العسقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ﴾ قال : نعمتُه أن جعَل منهم الأنبياءَ والرسلَ ، وأنْزَل عليهم الكتبَ[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ : يعنى نعمتَه التى أنْعَم على بنى إسرائيلَ فيما سمَّى وفيما سِوَى ذلك ؛ [٢/ ٧١و] فجَّر لهم الحجرَ ، وأنْزَل عليهم المنَّ والسلوى ، وأنْجاهم مِن عُبوديةِ[(٤)] آلِ فرعونَ[(٥)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : نعمةٌ عامةٌ ، ولا نعمةَ أفضلُ مِن نعمةِ الإسلامِ ، والنِّعمُ بعدُ تبعٌ لها . وقرَأ قولَ اللّهِ تعالى ذِكْرُه : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ﴾ الآية [الحجرات : ١٧] .

---

(١) فى م : « آلائى » .

(٢) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٥/١ (٤٣٥) من طريق آدم به .

(٤) فى الأصل : « عبودة » ، وفى ص : « عيون » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٥/١ (٤٣٦) من طريق ابن أبى نجيح به .

وتذكيرُ اللّهِ تعالى ذكرُه الذى ذكَّرهم بهذه الآيةِ مِن نعَمِه على لسانِ رسولِه
٢٥٠/١ محمدٍ ﷺ ، نظيرُ تَذْكيرِ موسى صلواتُ اللّهِ / عليه أسلافَهم على عهدِه الذى أخْبَرَ اللّهُ عنه أنه قاله لهم ، وذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد تقدَّم بَيانُنا عن معنى العهدِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، واختلافِ المُخْتَلِفِين فى تأويلِه(١) ، والصوابِ عندَنا مِن القولِ فيه . وهو فى هذا الموضعِ عهدُ اللّهِ ووصيتُه التى أخَذ على بنى إسرائيلَ فى التَّوراةِ أن يُبيِّنوا للناسِ أمرَ محمدٍ ﷺ أنه رسولُ اللهِ ، وأنهم يَجِدونه مَكتوبًا عندَهم أنه نبىُّ اللّهِ ، وأن يُؤمِنوا به وبما جاء به مِن عندِ اللّهِ .

﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ وعهدُه إليهم(٢) أنهم إذا فعَلوا ذلك أدْخَلَهم الجنةَ ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ الآية [المائدة : ١٢] . وكما قال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٦، ١٥٧] .

وكما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ،

---

(١) تقدم فى ص٤٣٥ - ٤٣٩.

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « إياهم » .

عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ ﴾ : الذى أخَذْتُ فى أعْناقِكم للنبىِّ محمدٍ إذ جاءكم ، ثم ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أى : أُنْجِزْ لكم ما وعَدْتُكم عليه بتصديقِه واتباعِه ، بوضعِ ما كان عليكم مِن الإصْرِ والأغْلالِ التى كانت فى أعْناقِكم بذنوبِكم [٢/ ٧١ظ] التى كانت مِن أحداثِكم[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . قال : عهدُه إلى عبادِه ؛ دينُه[(٢)] الإسلامُ أن يَتَّبِعوه ، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يعنى الجنةَ[(٣)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ : أمّا ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ ﴾ ، فما عهِدْتُ إليكم فى الكتابِ ، وأمّا ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ ، فالجنةُ ، عهِدْتُ إليكم أنكم إن عمِلْتُم بطاعتى أدْخَلْتُكم الجنةَ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال : ذلك الميثاقُ الذى أخَذ عليهم فى « المائدةِ » : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . فهذا عهدُ اللّهِ الذى عهِد إليهم ، وهو عهدُ اللّهِ فينا ، فمن أوْفَى بعهدِ اللهِ وفَى اللّهُ له بعهدِه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥، ٩٦ (٤٣٨، ٤٤١) من طريق سلمة به .

(٢) فى م : « دين » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥، ٩٦ (٤٣٩) ، وعقب (٤٤١) من طريق آدم به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١١٨ عن السدى .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يقولُ : أَوْفوا بما أمَرْتُكم به مِن طاعتى ، ونهَيْتُكم عنه مِن معصيتى فى النبىِّ ﷺ وفى غيرِه ، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يقولُ : أَرْضَ عنكم وأُدْخِلْكم الجنةَ[(1)] .

٢٥١/١ / حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . قال : أَوْفوا بأمْرِى أُوفِ بالذى وعَدْتُكم . وقرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ حتى بلَغ : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] . قال : هذا عهدُه الذى عهِد لهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه جلّ وعز : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ : وإياى فاخْشَوْا واتَّقُوا أيها المُضيِّعون عَهْدى مِن بنى إسرائيلَ ، والمُكَذِّبون رَسولى الذى قد أخَذْتُ ميثاقَكم فيما أنزَلْتُ مِن الكتبِ على أنْبيائى أن تُؤْمِنوا به وتَتَّبِعوه - أن أُحِلَّ بكم مِن عقوبتى - إن لم تُنِيبُوا وتَتوبُوا إلىَّ باتِّباعِه والإقرارِ بما أنْزَلْتُ إليه - ما أحْلَلْتُ بمَن خالف أمرى وكذَّب [٢/٧٢و] رُسلى مِن أسْلافِكم .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بن أبى محمد ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ أى[(2)] : أن أُنزِلَ بكم ما أَنْزَلْتُ بمَن كان قبلَكم مِن آبائِكم مِن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥، ٩٦ (٤٣٧، ٤٤٠) من طريق المنجاب به .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

النَّقِماتِ التى قد عرَفْتُم مِن المَسْخِ وغيرِه[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنى آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ . يقولُ : فاخْشَوْنِ[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ يقولُ : وإياىَ فاخْشَوْنِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَءَامِنُواْ ﴾ : صدِّقوا ، كما قد قدَّمْنا البيانَ عنه قبلُ[(٤)] . ويَعْنى بقولِه : ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ . ما أنْزَل على محمدٍ ﷺ مِن القرآنِ . ويعنى بقولِه : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . أن القرآنَ مُصَدِّقٌ لما مع اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ مِن التوراةِ ، فأمَرهم بالتَّصْديقِ بالقرآنِ ، وأخْبَرَهم أن فى تصديقِهم بالقرآنِ تصديقًا منهم للتوراةِ ؛ لأن الذى فى القرآنِ مِن الأمرِ بالإقرارِ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه واتِّباعِه ، نظيرُ الذى مِن ذلك فى التوراةِ والإنجيلِ ، ففى تصديقِهم بما أُنْزل على محمدٍ ﷺ تصديقٌ منهم لما معهم مِن التوراةِ ، وفى تكذيبِهم به تكذيبٌ منهم لما معهم مِن التوراةِ .

وقولُه جل ثناؤُه : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ . قطعٌ مِن الهاءِ المتروكةِ فى ﴿ أَنزَلْتُ ﴾[(٥)]

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٢) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٣) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ عقب الأثر (٤٤٣) من طريق عمرو به .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٤.

(٥) فى ص ، م : « أنزلته » .

مِن ذكر « ما » . ومعنى الكلامِ : وآمِنوا بالذى أنْزَلْتُه مصدقًا لما معكم أيُّها اليهودُ . والذى معهم هو التوراةُ والإنجيلُ .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى عيسى ابنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . يقولُ : ﴿ بِمَآ[1] أَنزَلْتُ ﴾ القرآنُ ، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ التوراةُ والإنجيلُ[2] .

٢٥٢/١ /حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، [٢/ ٧٢ظ] قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . يقولُ : يا معشرَ أهلِ الكتابِ ، آمِنوا بما أنْزَلْتُ على محمدٍ ﷺ مصدِّقًا لما معكم ، يقولُ : لأنهم يَجِدون محمدًا ﷺ مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : كيف قيل : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ والخطابُ خبرٌ[4] لجميعٍ ، وقولُه[5] : ﴿ كَافِرٍ ﴾ واحدٌ ؟ وهل نُجيزُ - إن كان ذلك

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إنما » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٥) ، بدون ذكر التوراة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ص ١٦ (مخطوط) إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٤) من طريق آدم به .

(٤) فى ص ، م : « فيه » .

(٥) سقط من : م .

جائزًا - أن يَقولَ قائلٌ : لا تكونوا أولَ رجلٍ قام ؟

قيل له : إنما يَجوزُ توحيدُ ما أُضِيف إليه « أفْعَل » وهو خبرٌ لجميعٍ ، إذا كان اسمًا مشتقًّا مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » ؛ لأنه يؤدِّى عن المرادِ معه المحذوفَ مِن الكلامِ ، وهو « مَن » ، ويَقومُ مَقامَه فى الأداءِ عن معنى ما كان يؤَدِّى عنه « مَن » ، مِن الجمعِ والتأنيثِ ، وهو فى لفظٍ واحدٍ . ألا تَرَى أنك تقولُ : ولا تكونوا أولَ مَن يَكْفُرُ به . فـ « مَن » بمعنى جمعٍ ، وهو غيرُ مُتَصَرِّفٍ تَصَرُّفَ الأسماءِ للتثنيةِ والجمعِ والتأنيثِ ، فإذا أُقِيم الاسمُ المشتقُّ مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » مُقامَه ، جرَى وهو موحَّدٌ مَجْراه فى الأداءِ عما كان يُؤَدِّى عنه « مَنْ » مِن معنى الجمعِ والتأنيثِ ، كقولِك : الجيشُ مُنْهَزِمٌ[1] ، والجُنْدُ مُقْبِلٌ[2] . فتُوَحِّدُ الفعلَ لتوحيدِ لفظِ الجيشِ والجندِ ، وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ : الجيشُ رجلٌ ، والجندُ غلامٌ . حتى تقولَ : الجندُ غِلْمانٌ ، والجيشُ رجالٌ . لأن الواحدَ مِن عددِ الأسماءِ التى هى غيرُ مشتقةٍ مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » لا يُؤَدِّى عن معنى الجماعةِ منهم ، ومِن ذلك قولُ الشاعرِ[3] :

وإذا هُمُ طعِموا فألْأَمُ طاعِمٍ   وإذا هُمُ جاعوا[4] فشرُّ جِياعِ

فوحَّد مرَّةً على ما وصَفْتُ مِن نيةِ « مَن » ، وإقامةِ الظاهرِ مِن الاسمِ الذى هو مشتقٌّ مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » مُقامَه ، وجمَع أُخرى على الإخراجِ على عددِ الأسماءِ المُخْبَرِ عنهم ، ولو وحَّد حيثُ جمَع أو جمَع حيثُ وحَّد ، كان صوابًا جائزًا .

وأما تأويلُ ذلك فإنه يَعْنى به : يا معشرَ أحبارِ أهلِ الكتابِ ، صدِّقوا بما أنْزَلْتُ

---

(١) فى م : « ينهزم » .

(٢) فى م : « يقبل » .

(٣) ذكره أبو زيد فى النوادر ص ١٥٢، والفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٣.

(٤) فى النوادر : « عاعوا » . وهى رواية فى البيت .

على رسولى محمدٍ ﷺ مِن القرآنِ المُصَدِّقِ كتابَكم ، والذى عندَكم مِن التوراةِ والإنجيلِ المعهودِ إليكم فيهما أنه رسولى [٧٣/٢و] ونبيِّىَ المبعوثُ بالحقِّ ، ولا تكونوا أولَ أُمَّتِكم[1] كذَّب به وجحَد أنه مِن عندِى ، وعندَكم مِن العلمِ به ما ليس عندَ غيرِكم .

وكفرُهم به جُحودُهم أنه مِن عندِ اللّهِ .

والهاءُ التى فى ﴿ بِهِۦ ﴾ مِن ذكرِ « ما » التى مع قولِه : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ .

كما حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنى الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ : بالقرآنِ[2] .

ورُوِى عن أبى العاليةِ فى ذلك ما حدَّثنى به المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ . يقولُ : ولا تكونوا أولَ مَن كفَر بمحمدٍ ﷺ[3] .

٢٥٣/١ / وقال بعضُهم : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ . يعنى : بكتابِكم . ويتأوَّلُ أن فى تكذيبِهم بمحمدٍ ﷺ تكذيبًا منهم بكتابِهم ؛ لأن فى كتابِهم الأمرَ باتِّباعِ محمدٍ ﷺ .

وهذان القولان مِن ظاهرِ ما تَدُلُّ عليه التِّلاوةُ بعيدانِ ، وذلك أن اللّهَ جَلَّ ثناؤُه أمَر المُخاطَبين بهذه الآيةِ فى أولِها بالإيمانِ بما أنْزَل على محمدٍ ﷺ ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . ومعقولٌ أن الذى أنْزَله اللّهُ فى

---

(١) فى م : « من » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٤٧) من طريق آدم به .

عصرِ محمدٍ ﷺ هو القرآنُ لا محمدٌ ؛ لأن محمدًا صلواتُ اللهِ عليه رسولٌ مُرْسَلٌ لا تَنْزِيلٌ مُنْزَلٌ ، والمُنْزَلُ هو الكتابُ ، ثم نهاهم أن يكونوا أولَ مَن يَكْفُرُ بالذى أمَرهم بالإيمانِ به فى أولِ الآيةِ - مِن أهلِ الكتابِ ، فذلك هو الظاهرُ المفهومُ ، ولم يَجْرِ لمحمدٍ ﷺ فى هذه الآيةِ ذكرٌ ظاهرٌ فيُعادَ عليه بذكرِه مَكْنِيًّا فى قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ . وإن كان غيرَ مُحالٍ فى الكلامِ أن يُذكَرَ مَكْنِيُّ اسمٍ لم يَجْرِ له ذكرٌ ظاهرٌ فى الكلامِ .

وكذلك لا معنى لقولِ مَن زعَم أن العائدَ مِن الذِّكْرِ فى ﴿ بِهِۦ ﴾ على « ما » التى فى قولِه : ﴿ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . لأن ذلك وإن كان مُحْتَمِلًا ظاهرَ الكلامِ ، فإنه بعيدٌ مما يَدُلُّ عليه ظاهرُ التِّلاوةِ والتنزيلِ ؛ لما وصَفْنا قبلُ مِن أن الأمرَ[1] بالإيمانِ به فى أولِ الآيةِ هو القرآنُ ، فكذلك الواجبُ أن يكونَ النهىُ عن الكفرِ به فى آخرِها هو القرآنَ . فأما أن يكونَ المأمورُ بالإيمانِ به غيرَ المنهىِّ عن الكفرِ به فى كلامٍ واحدٍ وآيةٍ واحدةٍ ، فذلك غيرُ الأشهرِ الأظهرِ فى الكلامِ ، هذا مع بُعْدِ معناه فى التأويلِ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ [٢/ ٧٣ظ] عباسٍ : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ : وعندَكم فيه مِن العلمِ ما ليس عندَ غيرِكم[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فحدَّثنى** المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

(١) فى م : « المأمور » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٧ (٤٤٦) من طريق سلمة به .

يقولُ : لا تأْخُذوا عليه أجرًا . قال : وهو مَكتوبٌ عندَهم فى الكتابِ الأولِ : يا بنَ آدمَ ، علِّمْ مَجّانًا كما عُلِّمْتَ مَجّانًا[1] .

وقال آخرون بما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . يَقولُ : لا تَأْخُذوا طَمعًا قليلًا وتَكْتُموا اسمَ اللهِ ، فذلك الطَّمَعُ هو الثمنُ[2] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : لا تَبِيعوا ما آتيتُكم مِن العلمِ بكتابى وآياتِه بثمنٍ خَسيسٍ وعَرَضٍ مِن الدنيا قليلٍ . وبيعُهم إياه تركُهم إبانةَ ما فى كتابِهم مِن أمرِ محمدٍ ﷺ للناسِ وأنه مَكتوبٌ فيه أنه النبىُّ الأمىُّ الذى يَجِدونه مَكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، بثمنٍ قليلٍ ، وهو رِضاهم بالرِّياسةِ على أتْباعِهم مِن أهلِ ملَّتِهم ودينِهم ، وأخذِهم الأجرَ ممَّن بيَّنوا له ذلك على ما بيَّنوا له منه .

وإنما قلْنا : معنى ذلك : لا تَبيعوا ؛ لأن مُشْتَرِىَ الثمنِ القليلِ بآياتِ اللهِ بائعُ
١/٢٥٤ الآياتِ بالثمنِ ، فكلُّ واحدٍ مِن / الثمنِ والمُثَمَّنِ مَبيعٌ لصاحبِه ، وصاحبُه به مُشْتَرٍ[3] .

وأما معنى ذلك على ما تأوَّله أبو العاليةِ : فبيِّنوا للناسِ أمرَ محمدٍ ﷺ ، ولا تَبْتَغوا عليه منهم أجرًا . فيكونُ حينَئذٍ نهيُه عن أخذِ الأجرِ على تَبْيينِه هو النهىَ عن شراءِ الثمنِ القليلِ بآياتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعز : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٩٧ (٤٤٩) والخطيب فى الكفاية ص١٥٣ من طريق آدم به . وأخرجه ابن عدى ٣/١٠٢٣ - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٨/١٧٩ - ، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٢٢٠، والخطيب ص١٥٤ من طريق أبى جعفر به نحوه . وأخرجه أبو خيثمة فى العلم (٦٨) عن إسحاق بن سليمان الرازى عن أبى جعفر عن الربيع قوله .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٩٧ (٤٥١) من طريق عمرو به .

(٣) فى الأصل : « مُشْتَرِى » .

قال أبو جعفرٍ : يقولُ : فاتَّقونِ فى بيعِكم آياتى بالخَسِيسِ مِن الثمنِ ، وشِرائِكم بها القليلَ مِن العِوضِ[1] ، وكفرِكم بما أنْزَلْتُ على رسولى ، وجُحودِكم نبوَّةَ نبيِّى[2] - أن أُحِلَّ بكم ما أحْلَلْتُ بأسلافِكم[3] الذين سلَكوا سبيلَكم مِن المَثُلاتِ والنَّقِماتِ .

[٢/ ٧٤و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه** : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ : لا تَخْلِطوا . واللَّبْسُ هو الخَلْطُ ، يقالُ منه : لَبَسْتُ عليه هذا الأمرَ أَلْبِسُه لَبْسًا ، إذا خلَطْتَه عليه[4] .

كما **حُدِّثْنا** عن المِنْجابِ ، عن بشرٍ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٩] . يقولُ : لخلَطْنا عليهم ما يَخْلِطون[5] .

ومنه قولُ العَجَّاجِ[6] :

لَمَّا لَبَسْنَ الحقَّ بالتَّجَنِّى
غَنِينَ واسْتَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّى

يعنى بقوله : لبَسْنَ : خلَطْنَ . وأما اللُّبْسُ فإنه يقالُ منه : لبِسْتُه أَلبَسُه لُبْسًا ومَلْبَسًا . وذلك فى الكِسْوةِ يَكْتَسِيها فيَلْبَسُها .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « العرض » .
(٢) فى م : « نبيه » .
(٣) فى م : « بأخلافكم » .
(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عليهم » .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٦٧ (٧١٣٤) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .
(٦) ديوانه ص ١٨٥ .

ومن اللَّبْسِ قولُ الأخطلِ(١) :

ولقد لبِسْتُ لهذا الدهرِ أعْصُرَه حتى تجلَّل رأسى الشَّيْبُ واشْتَعَلا

ومِن اللَّبْسِ قولُ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف كانوا يَلْبِسون الحقَّ بالباطلِ وهم كفارٌ ؟ وأىُّ حقٍّ كانوا عليه مع كفرِهم باللَّهِ ؟

قيل : إنه كان فيهم مُنافِقون منهم يُظْهِرون التَّصْديقَ بمحمدٍ ﷺ ويَسْتَبْطِنون الكفرَ به ، وكان عُظْمُهم يَقُولون : محمدٌ نبىٌّ مبعوثٌ ، إلا أنه مبعوثٌ إلى غيرِنا . فكان لَبْسُ المنافقِ منهم الحقَّ بالباطلِ إظهارَه الحقَّ بلسانِه وإقرارَه بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به جِهارًا ، وخلْطَه ذلك الظاهرَ مِن الحقِّ بالباطلِ الذى يَسْتَبْطِنُه ، وكان لَبْسُ المُقِرِّ منهم بأنه مَبعوثٌ إلى غيرِهم ، الجاحدِ أنه مبعوثٌ إليهم ، إقرارَه بأنه مبعوثٌ إلى غيرِهم - وهو الحقُّ - وجحودَه أنه مَبْعوثٌ إليهم وهو الباطلُ ، وقد بعَثه اللَّهُ إلى الخلقِ كافَّةً ، فذلك خلْطُهم الحقَّ بالباطلِ ولَبْسُهم إياه به .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . قال : لا تَخْلِطوا الصدقَ بالكذبِ(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى
١/٢٥٥ العاليةِ : ﴿ وَلَا / تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . يقولُ : لا تَخْلِطوا الحقَّ بالباطلِ ، وأدُّوا

---

(١) شرح ديوان الأخطل ص ٣٤٧.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٤ إلى المصنف .

النَّصيحةَ لعبادِ اللّهِ فى أمرِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ[(١)] .

[٢/ ٧٤ظ] **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ : اليهوديةَ والنصرانيةَ بالإسلامِ .

وحدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . قال : الحقُّ التوراةُ التى أنْزَل اللّهُ تعالى ذكرُه على موسى ، والباطلُ الذى كتَبوه بأيديهم[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفى قولِه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ **وجهان** مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ اللّهُ تعالى ذكرُه نهاهم عن أن يَكْتُموا الحقَّ ، كما نهاهم عن أن يَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ . فيَكونُ تأويلُ ذلك حينَئذٍ : ولا تَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ ، ولا تكْتُموا الحقَّ . ويَكونُ قولُه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ﴾ عندَ ذلك مَجْزومًا بما جُزِم به ﴿تَلْبِسُوا۟﴾ عَطْفًا عليه .

والوجهُ الآخرُ منهما : أن يَكونَ النهىُ مِن اللّهِ تعالى ذكرُه لهم عن أن يَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ ، ويكونَ قولُه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ خبرًا منه عنهم بكِتمانِهم الحقَّ الذى يَعْلَمونه . فيَكونُ قولُه حينَئذٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ﴾ منصوبًا لانْصرافِه عن معنى قولِه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . إذ كان قولُه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ نهيًا ، وقولُه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ﴾ خبرًا معطوفًا عليه غيرَ جائزٍ أن يُعادَ عليه ما عمِل فى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٨/١ (٤٥٤) من طريق آدم به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

قولِه : ﴿ تَلْبِسُواْ ﴾ مِن الحرفِ الجازمِ ، وذلك هو المعنى الذى يُسَمِّيه النَّحْويون صَرْفًا[١] . ونظيرُ ذلك فى المعنى والإعرابِ قولُ الشاعرِ[٢] :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِىَ مثلَه   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

فنصَب « تأتى » على التأويلِ الذى قلْنا فى قولِه : ﴿ وَتَكۡتُمُواْ ﴾ ؛ لأنه لم يَرِدْ : لا تَنْهَ عن خلقٍ ولا تأتِ مثلَه . وإنما معناه : لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وأنت تأتى مثلَه . فكان الأولُ نهيًا والثانى خبرًا ، إذ عطَفه على غيرِ شكلِه .

فأما الوجهُ الأولُ مِن هذين الوجهين اللذين ذكَرْنا أن الآية تَحْتَمِلُهما ، فهو على مذهبِ ابنِ عباسٍ الذى **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ ابنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾ . يقولُ : لا تَكْتُموا الحقَّ وأنتم تَعْلَمون[٣] .

حدَّثنا [٢/ ٧٥و] ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بن ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾ . أى : ولا تَكْتُموا الحقَّ .

وأما الوجهُ الثانى منهما ، فهو على مذهبِ أبى العاليةِ ومُجاهدٍ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن

---

(١) ينظر تعريف المصنف للصرف فى ٦/ ٩٢، وينظر المصطلح الكوفى ص١٠٥ وما بعدها .

(٢) البيت مختلف فى نسبته ؛ فقال صاحب الخزانة ٨/ ٥٦٤: المشهور أنه لأبى الأسود الدؤلى . ونسبه سيبويه فى الكتاب ٤٢/٣ للأخطل . وقد نسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٢٧٣ للمتوكل الليثى .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

أبى العاليةِ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال : كتموا نَعْتَ[1] محمدٍ ﷺ[2] .

/ حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى بنِ ميمونٍ ، ٢٥٦/١
عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ نحوَه .

وأما تأويلُ الحقِّ الذى كتَموه وهم يَعْلَمونه ، فإنه ما حدَّثنا به ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ . يقولُ : لا تَكْتُموا ما عندَكم مِن المعرفةِ برسولى ، وما جاء به ، وأنتم تَجِدونه عندَكم فيما تَعْلَمون مِن الكتبِ التى بأيديكم[4] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ . يقولُ : إنكم قد عَلِمْتُم أن محمدًا رسولُ اللهِ ﷺ ، فنهاهم عن ذلك .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : يَكْتُمُ أهلُ الكتابِ

---

(١) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « بعث » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٨/١ (٤٥٦) من طريق آدم به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٩/١ عقب الأثر (٤٥٨) معلقا .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٨/١ (٤٥٧) من طريق سلمة به .

محمدًا ﷺ وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : الحقُّ هو محمدٌ ﷺ[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال : كتَموا نَعْتَ محمدٍ ﷺ وهم يَجِدونه مَكتوبًا عندَهم[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ[(٣)] ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : تَكْتُمون محمدًا وأنتم تَعْلَمون ، وأنتم تَجِدونه عندَكم فى التوراةِ والإنجيلِ .

فتأويلُ الآيةِ [٢/ ٧٥ظ] إذن : ولا تَخْلِطوا على الناسِ أيُّها الأحبارُ مِن أهلِ الكتابِ فى أمرِ محمدٍ ﷺ وما جاء به مِن عندِ ربِّه ، وتزْعموا أنه مَبْعوثٌ إلى [(٤)] بعضِ أجْناسِ الأممِ دون بعضٍ ، أو تُنافِقوا فى أمرِه ، وقد علِمْتُم أنه مَبْعوثٌ إلى [(٤)] جميعِكم ، وجميعِ الأممِ غيرِكم ، فتَخْلِطوا بذلك الصدقَ بالكذبِ ، وتَكْتُموا به ما تَجِدونه فى كتابِكم مِن نعْتِه وصفتِه ، وأنه رسولى إلى الناسِ كافَّةً ، وأنتم تَعْلَمون أنه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٩/١ (٤٥٨) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٢) تقدم مختصرا فى ص ٦٣٣ .

(٣) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « الحسن » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

رسولى ، وأن ما جاء به إليكم فمِن عندى ، وتَعْرِفون أن مِن عهدى الذى أَخَذْتُ عليكم فى كتابِكم الإيمانَ به وبما جاء به والتصديقَ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

٢٥٧/١ / **قال أبو جعفرٍ** : ذُكِر أن أحبارَ اليهودِ والمنافِقِين كانوا يَأْمُرون الناسَ بإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ولا يَفْعَلونه ، فأمَرهم اللّهُ تعالى ذكرُه بإقامِ الصلاةِ مع المسلمين المُصدِّقِين بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، وإيتاءِ زكاةِ أموالِهم معهم ، وأن يَخْضَعوا للّهِ تبارك وتعالى ولرسولِه كما خضَعوا .

كما **حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ . قال : فَرِيضتان واجِبتان ، فأدُّوهما إلى اللّهِ جلّ ثناؤه .

وقد بيَّنا معنى إقامةِ الصلاةِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، فكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضعِ[1] .

وأما إيتاءُ الزكاةِ فهو أداءُ الصدقةِ المفروضةِ ، وأصلُ الزكاةِ نَماءُ المالِ وتَثْميرُه وزيادتُه . ومِن ذلك قيل : زكا الزرعُ ، إذا كثُر ما أخْرَج اللّهُ جلّ وعزّ منه ، وزكَتِ النفقةُ ، إذا كَثُرت . وقيل : زكا الفردُ ، إذا صار زوجًا بزيادةِ الزائدِ عليه حتى صار به شَفْعًا ، كما قال الشاعرُ[2] :

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٧ .

(٢) البيت فى اللسان (خ س ى) .

كانوا خَسًا أو زَكًا مِن دونِ أربعةٍ لم يُخْلَقوا وجُدودُ[(١)] الناسِ تَعْتَلِجُ[(٢)]

[(٣)]قال أبو جعفرٍ : خسًا : الوترُ ، وزكًا : الشَّفْعُ[(٣)] .

وقال الرَّاجزُ[(٤)] :

فـلا خَسًا عَـدِيدُه ولا زَكا

كما شِرارُ البَقْلِ أطرافُ السَّفَا

قال أبو جعفرٍ : السفا : شَوكُ البُهْمَى ، والبُهْمى : الذى يكونُ مُدَوَّرًا فى السُّلَّاءِ[(٥)] . يعنى بقولِه : ولا زكا [٢/٧٦و] : لم يُصَيِّرْهم شَفْعًا مِن وِتْرٍ بحُدوثِه فيهم .

وإنما قيل للزكاةِ : زكاةٌ ، وهى مالٌ تَخْرُجُ مِن مالٍ ؛ لتثميرِ اللّهِ جلَّ وعزَّ - بإخراجِها مما أُخْرِجَت منه - ما بـقِى عندَ ربِّ المالِ مِن مالِه . وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ سُمِّيت زكاةً لأنها تطهيرٌ لما بقِى مِن مالِ الرجلِ ، وتخليصٌ له مِن أن تكونَ فيه مَظْلِمةٌ لأهلِ السُّهْمانِ ، كما قال اللّهُ جل ثناؤُه مخبرًا عن نبيِّه موسى صلواتُ اللّهِ عليه : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [الكهف : ٧٤] . يعنى : بريئةً مِن الذنوبِ طاهرةً . وكما يقالُ للرجلِ : هو عَدْلٌ زَكِيٌّ . بذلك المعنى .

قال أبو جعفرٍ : وهذا الوجهُ أعجبُ إلىَّ فى تأويلِ زكاةِ المالِ مِن الوجهِ الأولِ ،

(١) جدود : حظوظ . اللسان (ج د د) .

(٢) تعتلج : تتصارع . اللسان (ع ل ج) .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٤) هو هريم بن جواس التميمى ، والرجز بروايات مختلفة فى الأغانى ٢١/ ٣٠، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٣٩، ومعجم الشعراء ص ٤٧٣.

(٥) فى النسخ : « السلى » . والصواب ما أثبتناه . والسلاء : جمع سلاءة وهو شوك النخل . اللسان (س ل أ) . وينظر تعليق الشيخ شاكر .

وإن كان الوجهُ الأولُ مقولًا[(١)] فى تأويلِها . وإيتاؤُها : إعطاؤُها أهلَها .

وأما الركوعُ ، فهو الخضوعُ للهِ جلّ ثناؤه بالطاعةِ ، يُقالُ منه : ركَع فلانٌ لكذا وكذا إذا خضَع له . ومنه قولُ الشاعرِ[(٢)] :

بِيعَت بكَسْرٍ لَئِيمٍ واسْتَغاث بها مِن الهُزالِ أبوها بعدَ ما رَكَعا

يعنى : بعدَ ما خضَع مِن شدةِ الحاجةِ والجَهْدِ .

وهذا أمرٌ مِن اللهِ تعالى ذكرُه لمن ذكَر مِن أحبارِ بنى إسرائيلَ ومُنافقِيها - بالإنابةِ[(٣)] والتوبةِ إليه ، وبإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ، والدخولِ مع المسلمين فى الإسلامِ ، والخضوعِ له بالطاعةِ ، ونَهْىٌ منه لهم عن كِتْمانِ ما قد علِموا مِن نبوَّةِ محمدٍ ﷺ بعدَ تَظاهُرِ حُجَجِه عليهم ، مما قد وصَفْنا قبلُ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، وبعدَ الإعْذارِ إليهم والإنْذارِ ، وبعدَ تذكيرِهم نعمَه إليهم وإلى أسلافِهم ؛ تَعَطُّفًا منه بذلك عليهم وإبلاغًا إليهم فى المَعْذِرةِ .

٢٥٨/١ /**القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه** : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « البرِّ » الذى كان المخاطَبون بهذه الآيةِ يَأْمُرون الناسَ به ، ويَنْسَوْن أنفسَهم ، بعدَ إجماعِ جميعِهم على أن كلَّ طاعةٍ للهِ فهى تُسَمَّى بِرًّا .

فرُوِى عن ابنِ عباسٍ ما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ، س : « مقبولا » .

(٢) هو عصام بن عبيد الزمانى . والبيت فى الوحشيات لأبى تمام ص ٨٦ ، والحيوان للجاحظ ٤/ ٢٨١ ، والشطر الأول فيهما : بيعت بوكس قليل فاستقل بها

(٣) فى م : « بالإبانة » .

عباسٍ : ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ [٢/ ٧٦ظ] وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . أى : تَنْهَوْن الناسَ عن الكفرِ بما عندَكم مِن النبوةِ والعهدِ مِن التوراةِ ، وتَتْرُكون أنفسَكم وأنتم تكْفُرون بما فيها مِن عَهْدِى إليكم فى تصديقِ رسولى ، وتَنْقُضون مِيثاقى ، وتَجْحَدون ما تَعْلَمون مِن كتابى[(١)] .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ . يقولُ : أتَأْمُرُون الناسَ بالدخولِ فى دينِ محمدٍ ﷺ وغيرِ ذلك مما أُمِرْتُم به مِن إقامِ الصلاةِ [(٢)] وإيتاءِ الزكاةِ [(٢)] ، ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[(٣)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنى عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : كانوا يَأْمُرون الناسَ بطاعةِ اللّهِ وهم يَعْصُونه[(٤)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : كان بنو إسرائيلَ يَأْمُرون الناسَ بطاعةِ اللّهِ وبتَقْواه وبالبرِّ ويُخالِفون ، فعيَّرهم اللّهُ جلّ ثناؤه[(٥)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ : أهلُ الكتابِ والمنافِقون كانوا يَأْمُرون الناسَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠١، ١٠٢ (٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٩) من طريق سلمة به .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف ، وسيأتى تمامه فى ص ٦١٦، ٦١٧.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٧٨) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠١/١ (٤٧٧) عن الحسن بن يحيى به .

بالصومِ والصلاةِ، ويَدَعُون العملَ بما يَأْمُرون به الناسَ، فعيَّرهم اللهُ جلّ ثناؤه بذلك، فمن أَمَر بخيرٍ فلْيَكُنْ أشدَّ الناسِ فيه مُسارَعةً[1].

وقال آخَرون بما حدَّثنى به يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ: هؤلاء اليهودُ كان إذا جاء الرجلُ يَسْأَلُهم ما ليس فيه حقٌّ ولا رِشْوةٌ ولا شئٌ، أَمَروه بالحقِّ، فقال اللهُ جلّ ثناؤه لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

وحدَّثنى علىُّ بنُ الحسنِ، قال: حدَّثنا مسلمٌ الجَرْمِىُّ، قال: حدَّثنا مَخْلَدُ ابنُ الحسينِ، عن أيوبَ السَّخْتِيانىِّ، عن أبى قِلابةَ فى قولِ اللهِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. قال: قال أبو الدَّرْداءِ: لا يَفْقَهُ الرجلُ كلَّ الفقهِ حتى يمقُتَ الناسَ فى ذاتِ اللهِ، ثم يَرْجِعَ إلى نفسِه فيكونَ لها أشدَّ مَقْتًا[3].

٢٥٩/١ / قال أبو جعفرٍ: وجميعُ الذى قال فى تأويلِ هذه الآيةِ مَن ذكَرْنا قولَه متقاربُ المعنى؛ لأنهم وإن اختَلَفوا فى صفةِ «البرِّ» الذى كان القومُ يَأْمُرون به غيرَهم الذين وصَفَهم اللهُ جل ثناؤه بما وصَفَهم به، فهم مُتَّفِقون فى أنهم [٧٧/٢و] كانوا يَأْمُرون الناسَ بما للهِ فيه رضًا مِن القولِ والعملِ، ويُخالِفون ما أمَروهم به مِن ذلك إلى غيرِه بأفعالِهم.

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٢١/١ عن ابن جريج.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٢١/١ عن ابن زيد.

(٣) أخرجه معمر فى جامعه (٢٠٤٧٣)، وابن أبى شيبة ١٣/ ٣٠٦، والخطابى فى العزلة ص ٨٢، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢١١، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٩) من طريق أيوب به بنحوه. وزاد معمر فى أوله: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة. وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء، قال الحافظ فى الفتح ٣٨٣/١٣: رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

فالتأويلُ الذى يَدُلُّ على صحتِه ظاهرُ التِّلاوةِ إذن : أتأْمُرون الناسَ بطاعةِ اللّهِ وتتْرُكون أنفسَكم تَعْصِيه ؟ فهلَّا تأْمُرونها بما تأْمُرُون به الناسَ مِن طاعةِ ربِّكم جلَّ وعز ؟ مُعَيِّرَهم بذلك ومقبِّحًا (١)لهم قبيحَ(١) ما أتَوْا به(٢) .

ومعنى نسيانِهم أنفسَهم فى هذا الموضعِ نظيرُ النسيانِ الذى قال جل ثناؤُه : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] . بمعنى : ترَكوا طاعةَ اللّهِ فترَكهم اللّهُ مِن ثوابِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : تَدْرُسون وتَقْرَءون .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . يقُولُ : تَدْرُسون الكتابَ بذلك(٣) .

ويعنى بـ ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : التَّوْراةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ : أفلا تَفْقَهون وتَفْهَمون قُبْحَ ما تأْتُون مِن معصيتِكم ربَّكم التى تأْمُرون الناسَ بخِلافِها وتَنْهَوْنهم عن رُكوبِها ، وأنتم راكبُوها ، وأنتم تَعْلَمون أن الذى عليكم مِن حقِّ اللهِ وطاعتِه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ والإيمانِ به وبما جاء به ، مثلُ الذى على مَن تأْمُرونه باتِّباعِه .

كما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا

(١ - ١) فى الأصل : « لهم قبح » ، وفى م : « إليهم » .
(٢) فى ص : « منه » .
(٣) تقدم أوله فى ص ٦١٤ .

بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . يقولُ : أفلا تَفقهون . فنهاهم عن هذا الخُلُقِ القَبيحِ [(١)] .

وهذا يَدُلُّ على صحةِ ما قلْنا مِن أمرِ أحْبارِ يهودِ بنى إسرائيلَ غيرَهم باتِّباعِ محمدٍ ﷺ ، وأنهم كانوا يَقُولون : هو مَبْعوثٌ إلى غيرِنا . كما ذكَرْنا قبلُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : [٧٧/٢ظ] يعنى بقولِه تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ : واسْتَعِينوا على الوفاءِ بعهدى الذى عاهَدْتُمونى فى كتابِكم - مِن طاعتى واتباعِ أمرى ، وتركِ ما تَهْوَوْنه مِن الرِّياسةِ وحبِّ الدنيا ، إلى ما تَكْرَهونه مِن التسليمِ لأمْرِى ، واتباعِ رسولى محمدٍ ﷺ - بالصبرِ عليه والصلاةِ .

وقد قيل : إن معنى الصبرِ فى هذا الموضعِ الصومُ ، والصومُ بعضُ معانى الصبرِ [(٢)] عندَنا ، بل تأويلُ [(٢)] ذلك عندَنا أن اللّهَ تعالى ذكرُه أمَرهم بالصبرِ على كُلِّ ما كرِهَتْه نفوسُهم مِن طاعةِ اللّهِ وتركِ مَعاصِيه .

وأصلُ الصبرِ منعُ النفسِ مَحابَّها وكفُّها عن هَواها ؛ ولذلك قيل للصابرِ على المصيبةِ : صابرٌ ، لكفِّه نفسَه عن / الجزَعِ . وقيل لشهرِ رمضانَ : شهرُ الصَّبرِ ، لصبرِ ٢٦٠/١
صائميه عن المَطاعِمِ والمَشارِبِ نهارًا . وصَبْرُه إياهم عن ذلك : حَبْسُه لهم وكفُّه إياهم عنه ، كما تَصْبِرُ الرجلَ المسيءَ للقتلِ ، فتَحْبِسُه عليه حتى تَقْتُلَه ، ولذلك قيل : قتَل فلانٌ فلانًا صَبْرًا . يعنى به : حبَسه عليه حتى قتَله ، فالمقتولُ مَصْبورٌ ، والقاتلُ صابرٌ .

وأما الصلاةُ فقد ذكَرْنا معناها فيما مضَى [(٣)] .

---

(١) تقدم أوله فى ص ٦١٤ .

(٢ - ٢) فى ص : « عند تأويل من تأول » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٨، ٢٤٩.

فإن قال قائلٌ : قد علِمْنا معنى الأمرِ بالاستعانةِ بالصبرِ على الوَفاءِ بالعهدِ والمحافظةِ على الطاعةِ ، فما معنى الأمرِ بالاستعانةِ بالصلاةِ على طاعةِ اللّهِ وتركِ مَعاصِيه ، والتَّعَرِّى عن الرِّياسةِ وترْكِ الدنيا ؟

قيل : إن الصلاةَ فيها تلاوةُ كتابِ اللّهِ جل ثناؤه ، الداعيةِ آياتهُ إلى رفضِ الدنيا ، وهجرِ نَعيمِها ، المُسَلِّيةِ النفوسَ عن زينتِها وغُرورِها ، المُذَكِّرةِ الآخرةَ وما أعدَّ اللهُ فيها لأهلِها ، ففى الاعتبارِ بها المعونةُ لأهلِ طاعةِ اللهِ جلَّ جلالُه على الجِدِّ فيها ، كما رُوِى عن نبيِّنا ﷺ أنه كان إذا حزَبَه أمرٌ[(١)] فزِع إلى الصلاةِ .

حدَّثنى بذلك إسماعيلُ بنُ موسى الفَزارىُّ ، قال : أخبرنا الحسينُ[(٢)] بنُ زيادٍ[(٣)] الهَمْدانىُّ ، [(٤)]عن ابنِ جُرَيجٍ[(٤)] ، عن عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن محمدِ بنِ عُبَيدِ بنِ أبى قُدامةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ اليمَانِ ، عن حُذيفةَ ، قال : كان رسولُ اللّهِ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ فزِع إلى الصلاةِ[(٥)] .

---

(١) حزَبه أمر : أى إذا نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غم . النهاية ١/٣٧٧ .

(٢) كذا فى النسخ ، والصواب : الحسن . كما فى الثقات ٨/١٦٨ والمصادر ، ولعله : الحسن بن زياد اللؤلؤى ، وهو ضعيف ، والله أعلم .

(٣) سقط من : ر ، وفى م : « رتاق » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، وفى م ، ر : « عن ابن جرير » .

(٥) إسناده ضعيف ؛ عبد العزيز بن اليمان مجهول . وأخرجه ابن قانع فى معجمه ٢/١٨٩ عن العنزى - هو الحسن بن عليل - عن إسماعيل به . وأخرجه ابن قانع أيضا ، وابن منده - كما فى أسد الغابة ٣/ ٥٠٦، ٥٠٧- من طريق عمر بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق الثقفى ، عن إسماعيل به ، ولم يذكرا فى إسناده حذيفة . وهكذا ذكره ابن حبان فى الثقات ٨/١٦٨ ، والمزى فى التحفة ٣/٥٠ . ووقع فى أسد الغابة ، والتحفة : محمد بن عبد الله بن أبى قدامة . وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ١٠/٥٧ (٦٥٤٨) .

وأخرجه البخارى فى الكبير ١/١٧٢ معلقا عن النضر بن محمد الجرشى ، عن عكرمة به موصولا .

وحدَّثني سليمانُ بنُ عبدِ الجبارِ ، قال : حدَّثنا خلفُ بنُ الوليدِ الأزْديُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ زكريا ، عن عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللّهِ الدُّؤَليِّ ، قال : قال عبدُ العزيزِ أخو حُذَيْفةَ : قال حذيفةُ : كان رسولُ اللّهِ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ صلَّى[1] .

وكذلك رُوِى عنه [٢/ ٧٨و] ﷺ أنه رأَى أبا هريرة مُنْبَطِحًا على بطنِه فقال له : « اشكَنْب دَرْد »[2] . قال : نعم . قال : « قُمْ فَصَلِّ فإنَّ فِى الصَّلاةِ شِفَاءً »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٨/٥ (الميمنية) عن خلف بن الوليد به . وأخرجه أحمد - أيضا - وأبو داود (١٣١٩) ، والخطيب ٢٧٤/٦ من طريق يحيى بن زكريا بن أبى زائدة به . ووقع عند أبى داود : ابن أخى حذيفة .

وأخرجه ابن قانع فى معجمه ١٨٩/٢ ، وأبو نعيم - كما فى أسد الغابة ٥٠٧/٣ - من طريق سريج بن يونس ، عن ابن أبى زائدة به ، ولم يذكر فى إسناده حذيفة . وهكذا ذكره المزى فى التحفة ٣/ ٥٠. ووقع فى أسد الغابة : ابن أخى حذيفة . وصوبه أبو نعيم ، والحافظ فى الإصابة ٥/ ٢٥٠.

والصواب أنه أخو حذيفة . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/ ٣٥٦.

(٢) فى الأصل : « اشتكيت ذرنا » . وفى المسند : « اشكنب ذرد » وفى سنن ابن ماجه : « اشكمت درد » ، وفى التاريخ الصغير : « أشكم درد » . وهى كلمة فارسية تعنى : أتشتكى بطنك ؟ ينظر الذيل على النهاية ص ٢٧٤، والمعجم الذهبى ص ٣٧٥، وفيه « شكم درد : مغص » .

(٣) حديث منكر ، والصواب أنه موقوف . وأخرجه أحمد ١٥/ ٢٨، ٢٩، ١٣١ (٩٠٦٦، ٩٢٤٠) ، وابن ماجه (٣٤٥٨) ، والعقيلى ٢/ ٤٨، وابن عدى فى الكامل ٣/ ٩٨٥، وأبو الشيخ فى أخلاق النبى ﷺ ص ٢٧٥ ، وابن شاهين فى الجزء الخامس من الأفراد (٦٥) ، وتمام فى الفوائد (١١٤٣- الروض البسام) ، وابن الجوزى فى العلل المتناهية ١/ ١٧٠، ١٧١، وغيرهم من طريق ذوَّاد بن عُلبة ، عن ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد ، عن أبى هريرة ، مرفوعا . وذوَّاد ضعيف ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا .

ورواه الصلت بن الحجاج عن ليث مثل رواية ذوَّاد بن عُلبة . أخرجه أبو الشيخ ص ٢٧٦ ، وابن عدى ٤/ ١٤٠٠، وابن الجوزى ١/ ١٧١.

وقال ابن عدى : هذا معروف بذوَّاد بن عُلبة عن ليث ، أسنده ، وغيره أوقفه على أبى هريرة . وهذا الصلت بن الحجاج رواه أيضا كما رواه ذوَّاد مرفوعا ... والصلت فى بعض أحاديثه ما ينكر عليه ، بل عامته كذلك .

وقال ابن الجوزى : ولعله أخذه من ذواد ... وقد رُوِى هذا الحديث عن أبى هريرة موقوفا ، وهو أصح .

والموقوف أخرجه البخارى فى الصغير ٢٣٥/٢ - وعنه العقيلى ، وابن عدى ، وابن الجوزى ١٧٢/١ - =

فأمَر اللهُ جلَّ ثناؤُه الذين وصَف أمرَهم مِن أحْبارِ بنى إسرائيلَ أن يَجْعَلوا مَفْزَعَهم - فى الوفاءِ بعهدِ اللهِ الذى عاهَدوه - إلى الاستعانةِ بالصبرِ والصلاةِ كما أمَر نبيَّه محمدًا ﷺ بذلك ، فقال له : ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمدُ ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه : ١٣٠] . فأمَره جل ثناؤُه فى نَوائبِه بالفزَعِ إلى الصبرِ والصلاةِ .

وقد **حدَّثنا** محمدُ بنُ العَلاءِ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ قالا : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا عُيَيْنةُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، أن ابنَ عباس نُعِى إليه أخوه قُثَمُ وهو فى سفرٍ ، فاسْتَرْجَع ثم تنَحَّى عن الطريقِ ، فأناخ فصلَّى ركعتَيْن ، أطال فيهما الجلوسَ ، ثم قام يَمْشِى إلى راحلتِه وهو يقولُ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[1] .

وأما أبو العاليةِ فإنه كان يَقولُ بما **حدَّثنى** به المثنى بنُ إبراهيمُ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ

= عن ابن الأصبهانى ، عن المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبى هريرة ، موقوفا .

وقال ابن الأصبهانى : رفعه ذوَّاد ، وليس له أصل ، أبو هريرة لم يكن فارسيا ، إنما مجاهد فارسى .

وأخرجه العقيلى ، وابن عدى - أيضا - من طريقين آخرين عن ليث به موقوفا . وليث ضعيف . وينظر التحديث بما قيل : لا يصح فيه حديث ص ١٣٩.

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣١ - تفسير) - ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٩٦٨٢) - عن ابن علية به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى ابن المنذر .

وأخرجه سعيد أيضا (١٨٩ ، ٢٣٢) عن هشيم ، عن خالد بن صفوان ، عن زيد بن على ، عن ابن عباس ، وفيه : نعى إليه ابن له .

وأخرجه البخارى فى الكبير ١٥٦/٣ من طريق هشيم به عن ابن عباس ، أنه أصابته مصيبة فصلى .

وأخرجه الحاكم ٢٦٩/٢ ، ٢٧٠ - وعنه البيهقى فى الشعب (٩٦٨١) - من طريق هشيم ، عن خالد ، عن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عباس أنه جاءه نعى بعض أهله .

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ . قال : يَقولُ : اسْتَعينوا بالصبرِ والصلاةِ على مَرْضاةِ اللّهِ ، واعْلَموا أنهما مِن طاعةِ اللّهِ تعالى ذكرُه[(١)] .

/ وقال ابنُ جُرَيْجٍ بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى ٢٦١/١
حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ . قال : إنهما مَعونتان على رحمةِ اللّهِ[(٢)] .

وحدَّثنى يُونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية . قال : قال المُشْرِكون : واللّهِ يا محمدُ إنك لَتَدْعُونا إلى أمرٍ كبيرٍ . قال : إلى الصلاةِ والإيمانِ باللّهِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى جلّ وعزّ بقولِه : ﴿وَإِنَّهَا﴾ : وإن الصلاةَ . والهاءُ والألفُ فى ﴿وَإِنَّهَا﴾ عائدتان على الصلاةِ .

وقد قال بعضُهم : إن قولَه : ﴿وَإِنَّهَا﴾ . بمعنى : إن إجابةَ محمدٍ ﷺ . ولم [٢/ ٧٨ظ] يَجْرِ لذلك بلفظِ الإجابةِ ذِكْرٌ فتُجْعَلَ الهاءُ والألفُ كنايةً عنه ، وغيرُ جائزٍ تركُ الظاهرِ المفهومِ مِن الكلامِ إلى باطنٍ لا دَلالةَ على صحتِه .

ويعنى بقولِه جلَّ وعزَّ : ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ : لَشديدةٌ ثقيلةٌ .

كما **حدَّثنا** يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخْبَرَنا يزيدُ[(٤)] ، قال : أخْبَرَنا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٢/١ (٤٨١) من طريق آدم به .
(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢٤، عن ابن جريج .
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى المصنف .
(٤) فى م : « ابن زيد » .

جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ . قال : إنها لثقيلةٌ[(١)] .

ويعنى بقولِه : ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ : إلا على الخاضِعين لطاعتِه ، الخائفِين سَطَواتِه ، المُصَدِّقِين بوعدِه ووَعِيدِه .

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ : يعنى المُصَدِّقين بما أنْزَل اللهُ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ : يعنى الخائِفين[(٣)] .

وحدَّثنى مُحمَّدُ بنُ عَمْرٍو[(٤)] قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا [(٥)] عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ [(٥)] ، عن مُجاهدٍ : ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ . قال : المؤمنين حقًّا[(٦)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٨٧) معلقا عن يزيد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٨٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٩١) من طريق آدم به .

(٤) فى م : « جعفر » .

(٥ - ٥) فى م : « سفيان عن جابر » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ١٧٢/٤ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٩٠) وينظر تفسير الثورى ص ٤٥.

وحدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ قال : قال ابنُ زيدٍ : الخشوعُ الخوفُ والخشيةُ للهِ عز وجل . وقرأ قولَ اللّه تبارك وتعالى : ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى : ٤٥] . قال : قد أذَلَّهم الخوفُ الذى نزَل بهم وخشَعوا له .

وأصلُ الخشوعِ التَّواضعُ والتَّذللُ والاسْتِكانةُ ، ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبيرِ تواضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

يعنى : والجبالُ خُشَّعٌ مُتَذَلِّلةٌ لعِظَمِ المُصيبةِ بفَقْدِه .

فمعنى الآيةِ : واستَعِينوا أيُّها الأحبارُ مِن أهلِ الكتابِ بحبسِ أنفسِكم على طاعةِ اللهِ جل وعز ، وكفِّها عن مَعاصى اللّهِ ، وبإقامةِ الصلاةِ المانعةِ مِن الفَحْشاءِ والمُنْكرِ ، المُقَرِّبةِ مِن رضا اللهِ ، العظيمةِ إقامتُها إلا على المُتَواضِعِين للّهِ المُسْتَكِينين لطاعتِه المُتَذَلِّلين مِن مَخافتِه .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ . ٢٦٢/١

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف أخْبَرَ اللّهُ جلَّ وعزَّ عمَّن قد وَصَفه [٢/ ٧٩و] بالخشوعِ له بالطاعةِ أنه يَظُنُّ أنه مُلاقِيه ، والظنُّ شكٌّ ، والشاكُّ فى لقاءِ اللّهِ جلَّ ثناؤه عندَك باللّهِ كافرٌ ؟

قيل : إن العربَ قد تُسَمِّى اليقينَ ظنًّا ، والشكَّ ظنًّا ، نظيرَ تسميتِهم الظُّلمةَ سُدْفةً ، والضياءَ سُدفةً ، والمُغيثَ صارخًا ، والمُسْتَغيثَ صارخًا ، وما أشْبَهَ ذلك مِن الأسماءِ التى تُسمَّى بها الشىءَ وضدَّه ، ومما يَدُلُّ على أنه يُسَمَّى به اليقينُ ، قولُ دُرَيْدِ ابنِ الصِّمَّةِ[(٢)] :

(١) هو جرير ، والبيت فى ديوانه ٢/ ٩١٣.
(٢) الأصمعيات ص ١٠٧، وشرح ديوان الحماسة ٢/ ٨١٢.

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألْفَىْ مُدَجَّجٍ سَراتُهمُ[١] فى الفارسىِّ المُسَرَّدِ[٢]

يعنى بذلك : تيَقَّنوا ألفَىْ مُدَجَّجٍ تأْتِيكم .

وقولُ عَمِيرةَ بنِ طارقٍ[٣] :

بأن تَغْتَزوا[٤] قوْمى وأَقْعُدَ فيكمُ وأَجْعَلَ منى الظنَّ غَيْبًا مُرَجَّمَا

يعنى : وأجْعَلَ منى اليَقينَ غيبًا مُرَجَّمًا .

والشواهدُ مِن أشعارِ العربِ وكلامِها على أن الظنَّ فى معنى اليقينِ أكثرُ مِن أن تُحْصَى ، وفيما ذكَرْنا لمَن وُفِّق لفهمِه كِفايةٌ .

ومنه قولُ اللّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : ٥٣] . وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك جاء تفسيرُ المُفَسِّرين .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ . قال : الظنُّ ههنا يقينٌ[٥] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن

---

(١) السراة : جمع سرى ، والسرى الرئيس ، وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير ؛ لأنه لا يجمع فعيل على فعلة . المصباح (س ر ى) .

(٢) السَّرْد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق ، والمسرد : تداخل الحلق بعضها فى بعض . اللسان (س ر د) .

(٣) الأضداد لابن الأنبارى ص ١٤، والنقائض ١/ ٥٣، ٢/ ٧٨٥.

(٤) فى الأصل : « تعتزوا » ، وفى م : « يعتزوا » ، وفى ت ١، ت ٢: « تعبروا » . وغير منقوطة فى ص والمثبت من مصادر التخريج .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٩٣) من طريق آدم به .

جابرٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : كلُّ ظنٍّ فى القرآنِ يَقينٌ ، ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾ [الحاقة : ٢٠] ، و﴿ ظَنُّوا ﴾[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا أبو داودَ الحَفَرىُّ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كلُّ ظنٍّ فى القرآنِ فهو عِلْمٌ[(٢)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ : أمَّا ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ فَيسْتَيْقِنون[(٣)] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ : علِموا أنهم ملاقو ربِّهم . قال : هى كقولِه : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ . يقولُ : علِمْتُ[(٤)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ . قال : لأنهم لم يُعاينوا ، فكان ظنُّهم يَقينًا ، وليس ظنًّا فى شكٍّ . [٢/ ٧٩ظ] وقرأ : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ . ٢٦٣/١

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ . فأُضِيف المُلاقون إلى الربِّ جلَّ وعزَّ ، وقد علِمْتَ أن معناه : الذين يَظُنُّون أنهم يَلْقَوْن ربَّهم ؟ وإذا كان المعنى كذلك ، فمِن كلامِ العربِ تركُ الإضافةِ وإثباتُ النونِ ، وإنما تُسْقِطُ

(١) ذكره ابن كثير فى التفسير ١/ ١٢٥ عن المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢٦ عن المصنف . وقال ابن كثير : وهذا سند صحيح . وأخرجه الثورى فى تفسيره ص ٤٥، قال : قال مجاهد ...

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٤ عقب الأثر (٤٩٤) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢٦ عن ابن جريج .

النونَ وتُضِيفُ فى الأسماءِ المبْنيَّةِ مِن الأفعالِ إذا كانت بمعنى « فَعَل » ، فأما إذا كانت بمعنى « يفْعَل » ، و« فاعِل » ، فشأنُها إثباتُ النونِ وتركُ الإضافةِ .

قيل : لا تَدافُعَ بينَ جميعِ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ وألْسُنِها فى إجازةِ إضافةِ الاسمِ المَبنىِّ من « فَعَل » و « يفعَلُ » ، وإسقاطِ النونِ ، وهو بمعنى « يفْعَل » ، و« فاعِل » - أعْنى بمعنى الاسْتِقْبالِ وحالِ الفعلِ - ولمَّا يَنْقَضِ ، فلا وجهَ لمسألةِ السائلِ عن ذلك لمَ قيل .

وإنما اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى السببِ الذى مِن أجلِه أُضِيفَ وأُسْقِطَت النونُ ؛ فقال نحْويُّو البصرةِ : أُسْقِطَت النونُ مِن ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ وما أشْبَهَه مِن الأفعالِ التى فى لفظِ الأسماءِ ، وهى فى معنى « يفعل » ، أو فى[(١)] معنى ما لم يَنْقَضِ [(٢)] من الفعلِ[(٢)] ، اسْتِثْقالًا لها ، وهى مُرادةٌ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] . وكما قال : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ [القمر : ٢٧] . ولمَّا يُرْسِلْها بعدُ ، وكما قال الشاعرُ[(٣)] :

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتِنا ... أوَ عبدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ

فأضاف « باعث[(٤)] » إلى « الدينارِ » ولمَّا يَبْعَثْ ، ونصَب « عبدَ ربٍّ » عطفًا على موضعِ « دينارٍ » ؛ لأنه فى معنى[(٥)] نصبٍ وإن خُفِض ، وكما قال الآخرُ[(٦)] :

والحافظو عورةِ العَشِيرةِ لا ... يَأْتِيهمُ مِن وَرائِهم نَطَفُ[(٧)]

(١) فى ص ، ر ، م : « وفى » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م .

(٣) الكتاب لسيبويه ١/ ١٧١ ، وذكر الاختلاف فى نسبته فى الخزانة ومما قيل : إنه مصنوع . ثم قال : والله أعلم بالحال . الخزانة ٨/ ٢١٩ .

(٤) فى الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « باعثا » .

(٥) فى م : « موضع » .

(٦) الكتاب ١/ ١٨٦ ، وينظر الخلاف فى نسبته فى الخزانة ٤/ ٢٨٣ .

(٧) النطف : العيب والشر والفساد . القاموس المحيط (ن ط ف) .

بنصبِ « العورةِ » وخفضِها ، فالخفضُ على الإضافةِ ، والنصبُ على حذفِ النونِ اسْتِثْقالًا وهى مُرادةٌ . وهذا قولُ نحْويِّى البصرةِ .

وأما نحْويُّو الكوفةِ فإنهم قالوا : جائزٌ فى ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ الإضافةُ ، وهو فى معنى « يَلْقَوْن » ، وإسقاطُ النونِ منه ؛ لأنه فى لفظِ الأسماءِ ، فله فى الإضافةِ إلى الأسماءِ حظُّ الأسماءِ ، وكذلك حكمُ [٢/ ٨٠و] كلِّ اسمٍ كان له نَظيرًا . قالوا : وإذا أُثْبِتت فى شىءٍ من ذلك النونُ وتُركت الإضافةُ ، فإنما تفعلُ ذلك به لأن له معنى « يفعل » الذى لم يَكنْ ولم يَجِبْ بعدُ . قالوا : فالإضافةُ فيه للفظِ ، وتركُ الإضافةِ للمعنى .

فتأويلُ الآيةِ إذن : واسْتَعِينوا على الوَفاءِ بعَهْدى بالصبرِ عليه والصلاةِ ، وإن الصلاةَ لكبيرةٌ إلا على الخائِفِين عِقابى ، المتَواضِعِين لأمْرِى ، الموقِنين بِلقائى والرجوعِ إلىَّ بعدَ مماتِهم .

وإنما أخْبَرَ اللَّهُ جل ثناؤُه أن الصلاةَ كبيرةٌ إلا على مَن هذه صفتُه ؛ لأن مَن كان غيرَ مُوقِنٍ بمَعادٍ ، ولا مُصدِّقٍ بمَرْجِعٍ ولا ثَوابٍ ولا عِقابٍ ، فالصلاةُ عندَه عَناءٌ وضَلالٌ ؛ لأنه لا يَرْجُو بإقامتِها إدراكَ نفعٍ ، ولا دفعَ ضُرٍّ ، وحُقَّ لمَن كانت هذه الصفةُ صفتَه أن تكونَ الصلاةُ عليه كبيرةً ، وإقامتُها عليه ثقيلةً ، وله فادحةً .

وإنما خفَّت على المؤمنين المُصدِّقين بلقاءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، الراجِين عليها جَزيلَ ثَوابِه ، الخائِفين بتَضْييعِها أليمَ عقابِه ، لِمَا يَرْجُون بإقامتِها فى مَعادِهم مِن الوصولِ إلى ما وعَد اللَّهُ عليها أهلَها ، ولِمَا يَحْذَرون بتَضْييعِها / ما أوْعَد مُضَيِّعِيها . فأمَر اللَّهُ ٢٦٤/١
تعالى ذكرُه أحبارَ بنى إسرائيلَ الذين خاطَبهم بهذه الآياتِ أن يَكونوا مِن مُقِيمِيها ، الراجِين ثوابَها ، إذا كانوا أهلَ يقينٍ أنهم إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ راجِعون ، وإياه فى القيامةِ مُلاقُون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والهاءُ والميمُ اللتان فى قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ مِن ذكرِ الخاشِعين ، والهاءُ التى فى ﴿ إِلَيْهِ ﴾ مِن ذكرِ الربِّ جلَّ وعزَّ فى قولِه : ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ فتأويلُ الكلمةِ : وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشِعين المُوقِنين أنهم إلى ربِّهم راجِعون .

ثم اخْتُلِف فى تأويلِ « الرجوعِ » الذى فى قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ . قال : يَسْتَيْقِنون أنهم يَرْجعون إليه يومَ القيامةِ[(١)] .

[٨٠/٢ظ] **وقال آخرون :** معنى ذلك أنهم إليه يَرْجعون بموتِهم .

وأولى التأويلَيْن بالآيةِ القولُ الذى قاله أبو العاليةِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤه قال فى الآية التى قبلَها : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] . فأخبَر جلَّ ثناؤُه أن مَرْجِعَهم إليه بعد نَشْرِهم وإحيائِهم مِن مَماتِهم ، وذلك لاشكَّ يومَ القيامةِ ، فكذلك تأويلُ قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويل قولِه جل ثناؤه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك فى هذه الآيةِ نظيرُ تأويلِه فى التى قبلَها فى قولِه : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . وقد ذكَرْتُه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٤/١ (٤٩٥) من طريق آدم به .

هنالك[(١)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا أيضًا مما ذكَّرهم اللَّهُ جل جلالُه مِن آلائِه ونعمِه عندَهم . ويَعْنِى بقولِه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ : أنى فضَّلْتُ أسْلافَكم . فنَسَب نِعَمَه على آبائِهم وأسْلافِهم إلى أنها نِعَمٌ منه عليهم ؛ إذ كانت مآثِرُ الآباءِ مآثِرَ للأبناءِ ، والنعمُ عندَ الآباءِ نِعَمًا عند الأبناءِ ؛ لِكونِ الأبناءِ مِن الآباءِ . وأخْرَج جل ذكرُه قولَه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ مُخْرَجَ العُمومِ وهو يُريدُ به خصوصًا ؛ لأن المعنى : وأنى فضَّلْتُكم على عالَمِ مَن كنتم بينَ ظَهْرَيه وفى زمانِه .

كالذى حدَّثنا به محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى الصَّنْعانىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ قال : فضَّلهم على عالَمِ ذلك الزمانِ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قال : بما أُعْطُوا مِن المُلْكِ والرُّسلِ والكتبِ على عالَمِ مَن كان فى ذلك الزمانِ ، فإن لكل زمان عالَمًا[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا [٢/ ٨١و] أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : على مَن هم بينَ ظَهْرَانَيْه[(٤)] .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٥٩٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤، ٤٥، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٨ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٩٧) من طريق آدم به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٨ إلى عبد بن حميد .

١/٢٦٥ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال مُجاهِدٌ فى قولِه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ قال : على مَن هم بينَ ظَهرَانَيْه[(١)].

وحدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سأَلْتُ ابنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . قال : عالَم ذلك الزمانِ . وقرَأ قولَ اللَّهِ تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] . قال : هذه لـمَن أطاعَه واتَّبَع أمرَه ، وقد كان فيهم القِرَدةُ ، وهم أبْغَضُ خلقِه إليه . قال : وقال لهذه الأمةِ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . قال : هذه لِمَن أطاعه واتَّبع أمرَه جل وعز واجْتَنَب مَحارِمَه .

قال أبو جعفرٍ : والدليلُ على صحةِ ما قلْنا مِن أن تأويلَ ذلك على الخصوصِ الذى وصَفْنا ما حدَّثنى به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، وحدَّثنا الحسنُ ابنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، جميعًا عن بَهْزِ بنِ حَكيمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ألَا إنَّكم وَفَّيْتُم سَبْعين أُمَّةً » : قال يعقوبُ فى حديثِه : « أنْتُم آخِرُها » . وقال الحسنُ : « أنْتُم خَيْرُها وأكْرَمُها على اللَّهِ » .

فقد أنْبَأ هذا الخبرُ عن النبيِّ ﷺ أن بنى إسرائيل لم يكونوا مُفَضَّلِين على أمةِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، وأن معنى قولِه : ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية : ٢٦] . وقولِه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . على ما بيَّنا مِن تأويلِه ، وقد أتَيْنا على بيانِ تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . بما فيه الكفايةُ فى غيرِ هذا الموضعِ ، فأغْنَى ذلك عن

(١) فى الأصل ، ص : « ظهريه » .

إعادتِه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ : واتَّقوا يومًا لا تَجْزِى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا . وجائزٌ أيضًا أن يَكونَ تأويلُه : واتَّقُوا يومًا لا تَجْزِيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، كما قال الراجزُ[(٢)] :

قد صبَّحَتْ صبَّحَها السلامُ

بكَبِدٍ خالَطَها سَنامُ

فى ساعةٍ يُحَبُّها الطَّعامُ

وهو يعنى : يُحَبُّ فيها الطعامُ . فحُذِفَت [٢/ ٨١ظ] الهاءُ الراجعةُ على « اليومِ » ؛ إذ فيه اجتزاءٌ بما ظهَر مِن قولِه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ﴾ الدالِّ على المحذوفِ منه - عما حُذِف ؛ إذ كان معلومًا معناه .

وقد زعَم قومٌ مِن أهلِ العربيةِ أنه لا يَجوزُ أن يَكونَ المحْذوفُ فى هذا الموضعِ إلا الهاءَ .

/ وقال آخَرون : لا يجوزُ أن يكونَ المحذوفُ إلا « فيه » . ٢٦٦/١

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على جَوازِ حذفِ كلِّ ما دل الظاهرُ (٣) من الكلام (٣) عليه[(٤)] .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٤٤ .

(٢) الرجز فى الكامل للمبرد ١/ ٣٤.

(٣ - ٣) سقط من : ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ١٣٩ .

وأما المعنى فى قولِه : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ . فإنه تحذيرٌ مِن اللّهِ تعالى ذكرُه عبادَه الذين خاطَبَهم بهذه الآيةِ ، عقوبتَه أن تحِلَّ بهم يومَ القيامةِ ، وهو اليومُ الذى لا تَجْزِى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، ولا يَجْزِى فيه والدٌ عن ولدِه ، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئًا .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ﴾ . فإنه يعنى : لا تُغْنى .

كما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ : أما ﴿ تَجْزِى ﴾ فتُغْنِى[1] .

وأصلُ الجزاءِ فى كلامِ العربِ القَضاءُ والتَّعْويضُ ، يقالُ : جزَيْتُه قَرْضَه ودَيْنَه ، أَجْزِيه جَزاءً . بمعنى : قضَيْتُه دَيْنَه . ومِن ذلك قيل : جزَى اللّهُ فلانًا عنى خيرًا أو شرًّا . بمعنى : أثابه عنى ، وقضاه عنى ما لزِمنى له بفعلِه الذى سلَف منه إلىَّ .

وقد قال قومٌ مِن أهلِ العلمِ بلغةِ العربِ : يُقالُ : أجْزَيْتُ عنه كذا . إذا أعَنْتَه عليه ، وجزَيْتُ عنك فلانًا . إذا كافأْتَه .

وقال آخَرون منهم : بل : جزَيْتُ عنك : قضَيْتُ عنك ، وأجْزَيْتُ : كفَيْتُ .

وقال آخَرون منهم : بل هما بمعنًى واحدٍ ، يُقالُ : جزَتْ عنك شاةٌ وأجْزَتْ ، وجزَى عنك درهمٌ وأجْزَى ، ولا تَجْزِى عنك شاةٌ ولا تُجْزِى . بمعنًى واحدٍ . إلا أنهم ذكَروا أنَّ : جزَت عنك ، ولا تَجْزِى عنك ، مِن لغةِ أهلِ الحجازِ ، وأن : أجزَأ وتُجْزِئُ ، مِن لغةِ غيرِهم . وزعَموا أن تميمًا خاصَّةً مِن بينِ قبائلِ العربِ تقولُ : أجْزَأَتْ عنك شاةٌ ، وهى تُجْزِئُ عنك .

وزعَم آخَرون أن « جَزَى » بلا همزٍ : قضَى ، و « أَجْزَأَ » بالهمزِ : كافأَ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٤ (٤٩٨) من طريق عمرو بن حماد به .

فمعنى الكلامِ إذن : واتَّقُوا يومًا لا تَقْضِى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، ولا تُغْنِى عنها غِنًى .

فإن قال قائلٌ : وما معنى : لا تَقْضِى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا[(١)] ، ولا تُغْنِى عنها غِنًى ؟

قيل : هو أن أحدَنا اليومَ ربَّما قضَى عن ولدِه أو والدِه أو ذى الصَّداقةِ والقَرابةِ دَيْنَه ، وأما فى الآخرةِ - فإنه فيما أتَتْنا به الأخبارُ [٢/ ٨٢و] عنها - يَسُرُّ الرجلَ أن يَبْرُدَ[(٢)] له على ولدِه أو والدِه حقٌّ ، وذلك أن قضاءَ الحقوقِ فى القيامةِ مِن الحسناتِ والسيئاتِ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ونصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَوْدىُّ ، قالا[(٣)] : حدَّثنا المُحاربىُّ ، عن أبى خالدٍ الدالانىِّ[(٤)] يزيدَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللّهِ ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا كانت عندَه لأَخيه مَظْلِمَةٌ فِي عِرْضٍ - قال أبو كُرَيْبٍ[(٥)] فى حديثِه : أو مَالٍ - جاءَه[(٦)] فاسْتَحَلَّهُ قبلَ أَن يُؤْخَذَ منه وليس ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ ، فإن كانت له حَسَنَاتٌ أَخَذُوا مِن حَسَنَاتِه ، وإن لم تكنْ لَه حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عليه من سَيِّئَاتِهِم »[(٧)] .

---

(١) سقط من ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) برد لى حقى على فلان : وجب ولزم وثبت . تاج العروس (ب ر د) .

(٣) فى ر ، م : « قال » .

(٤) فى م : « الدولابى » .

(٥) فى م : « بكر » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ : « أو جاه » .

(٧) أخرجه الترمذى (٢٤١٩) عن نصر بن عبد الرحمن به . وأخرجه الترمذى أيضا ، وأبو يعلى (٦٥٣٩) من طريق المحاربى به . وأخرجه الطيالسى (٢٤٤٠، ٢٤٤٦) ، وأحمد ١٥/ ٣٧٧، ١٦/ ٣٣٧ (٩٦١٥، ١٠٥٧٣) ، والبخارى (٢٤٤٩) من طريق سعيد المقبرى به .

وحدَّثني أبو عثمانَ المُقدَّميُّ ، قال : حدَّثنا الفَرَويُّ[(١)] ، قال : حدَّثنا مالكٌ ، عن المَقْبُريِّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه[(٢)] .

حدَّثنا خَلَّادُ بنُ أسْلَمَ ، قال : حدَّثنا أبو همامٍ الأهْوازيُّ ، قال : أخْبَرَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ سعيدٍ ، عن سعيدٍ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه .

٢٦٧/١ / حدَّثني موسى بنُ سهلٍ الرَّمْليُّ ، قال : حدَّثنا نُعَيْمُ بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ العزيزِ الدَّراوَرْديُّ ، عن عمرِو بنِ أبي عمرٍو ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَموتَنَّ أحدُكم وعليه دَيْنٌ ، فإنَّه ليس هناك دِينارٌ ولا دِرْهَمٌ ؛ إنَّما تَقْتَسِمُون هُناك[(٣)] الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ » . وأشار رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه يمينًا وشمالًا .

حدَّثني محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا سلمُ بنُ قادمٍ ، قال : حدَّثنا أبو مُعاويةَ هاشمُ بنُ عيسى ، قال : أخْبَرَني الحارثُ بنُ مُسلمٍ ، عن الزهريِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوِ حديثِ أبي هريرةَ[(٤)] .

قال أبو جعفرٍ : فذلك معنى قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ . يعني أنها

---

(١) في ر ، م ، ت ٣: « القروى » . وينظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٧١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٣٤٤ من طريق إسحاق بن محمد الفروى به .
وأخرجه ابن حبان (٧٣٦٢) من طريق خالد بن أبي يزيد ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن مالك به .
وخالفه أبو خالد الدالاني ، فرواه عن زيد ، عن سعيد المقبرى، عن أبي هريرة ، كما سبق .
وأصحاب مالك يروونه عنه ، عن سعيد ، عن أبي هريرة . أخرجه البخارى (٦٥٣٤) ، وغيره . وينظر علل الدارقطني ١٠/٣٥٦ - ٣٥٨، ومسند الطيالسي (٢٤٤٠) .

(٣) في ر ، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هنالك » .

(٤) إسناده ضعيف ؛ هاشم بن عيسى ، هو ابن أبي هريرة ، قال العقيلي : منكر الحديث ، وهو وأبوه مجهولان بالنقل . وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٥٩) عن محمد بن الحسين الأنماطي ، عن سلم به . وينظر المجمع ٣٥٥/١٠ .

لا تَقْضِي عنها شيئًا لزِمها لغيرِها ؛ لأن القَضاءَ هنالك مِن الحسناتِ والسيئاتِ على ما وصَفْنا . وكيف يَقْضِى عن غيرِه غُرْمًا[(١)] لزِمه مَن كان يَسُرُّه أن يَثْبُتَ له على ولدِه أو والدِه حقٌّ فيأْخُذَه منه ولا يَتَجافَى له عنه ؟

وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أن معنى قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ : لا تَجْزِى منها أن تكونَ مكانَها .

وهذا قولٌ يَشْهَدُ ظاهرُ القرآنِ على فَسادِه ؛ وذلك أنه غيرُ معقولٍ فى كلامِ العربِ أن يَقولَ القائلُ : ما أغْنَيْتَ عنى شيئًا . [٨٢/٢ظ] بمعنى : ما أغْنَيْتَ منى أن تكونَ مكانى . بل إذا أرادوا الخبرَ عن شيءٍ أنه لا يَجْزِى مِن شيءٍ ، قالوا : لا يَجْزِى هذا مِن هذا . ولا يَسْتَجِيزون أن يَقولوا : لا يَجْزِى هذا مِن هذا شيئًا .

فلو كان تأويلُ قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ . ما قاله مَن حكَيْنا قولَه ، لقال : واتَّقوا يومًا لا تَجْزِى نفسٌ عن نفسٍ . كما يقالُ : لا تَجْزِى نفسٌ مِن نفسٍ . ولم يَقُلْ : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ . وفى صحةِ التنزيلِ بقولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ أوضحُ الدَّلالةِ على صحةِ ما قلْنا ، وفسادِ قولِ مَن ذكَرْنا قولَه فى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : و« الشَّفاعةُ » مصدرٌ مِن قولِ الرجلِ : شفَع لى فلانٌ إلى فلانٍ شَفاعةً . وهو طلَبُه إليه فى قضاءِ حاجتِه ، وإنما قيل للشفيعِ : شَفيعٌ وشافعٌ . لأنه ثنَّى المُسْتَشْفِعَ به[(٢)] ، فصار له شَفْعًا ، وكان ذو الحاجةِ قبلَ استِشْفاعِه به فى حاجتِه فَرْدًا ،

---

(١) فى ر ، م : « ما » ، وفى ت ٢، ت ٣: « عن ما » .

(٢) فى م : « له » .

فصار صاحبُه له فيها شافعًا ، وطلبُه فيه وفى حاجتِهِ شَفاعةً ، ولذلك سُمِّى الشفيعُ فى الدارِ والأرضِ شفيعًا ؛ لمصيرِ البائعِ به شَفْعًا .

فتأويلُ الآيةِ إذن : واتَّقوا يومًا لا تَقْضِى نفسٌ عن نفسٍ حقًّا لزِمها للّهِ عزَّ وجلَّ ولا لغيرِه ، ولا يَقْبَلُ اللّهُ منها شفاعةَ شافعٍ ، فيَتْرُكَ لها ما لزِمها مِن حقٍّ .

وقيل : إن اللهَ جل ثناؤُه خاطَب أهلَ هذه الآيةِ بما خاطَبهم به فيها ؛ لأنهم كانوا مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ، وكانوا يقولون : نحن أبناءُ اللّهِ وأَحِبَّاؤُه وأولادُ أنبيائِه ، وسيَشْفَعُ لنا عندَه آباؤُنا . فأَخْبَرَهم اللّهُ تعالى ذكرُه أن نفسًا لا تَجْزِى عن نفسٍ شيئًا فى القيامةِ ، ولا يُقْبَلُ منها شفاعةُ أحدٍ فيها حتى يُسْتَوْفَى لكلِّ ذى حقٍّ منها حقُّه .

كما **حدَّثنى** عباسُ بنُ أبى طالبٍ ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ نُصَيْرٍ ، عن شعبةَ ،
٢٦٨/١ عن العَوَّامِ بنِ مُزَاحِمٍ[(١)] - / رجلٌ مِن بنى قيسِ بنِ ثَعْلَبَةَ - عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن عثمانَ بنِ عفانَ ، أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « إِنَّ الجَمَّاءَ لَتَقْتَصُّ مِن القَرْنَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ »[(٢)] .

وكما قال اللّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ

---

(١) هكذا فى النسخ ، وهو قول ابن معين . وفى ر : « مراحم » . والصواب : مراجم . بالراء والجيم . ينظر المؤتلف للدارقطنى ٤/ ٢٠٧٨، وتعجيل المنفعة ٢/ ٨٨.

(٢) إسناده ضعيف ؛ حجاج بن نصير ضعيف . وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ٥٤٢/١ (٥٢٠) ، والبزار (٣٨٧) ، والعقيلى فى الضعفاء ١/ ٢٨٥، وابن عدى فى الكامل ٢/ ٦٤٩، والدارقطنى فى العلل ٦٤/٣ من طرق عن حجاج بن نصير به .

وأخرجه العقيلى ١/ ٢٨٥، ٢٨٦، وابن عدى ٢/ ٦٥٠، والدارقطنى ٦٥/٣ من طريق غندر ، عن العوام ، عن أبى السليل ، عن سلمان ، موقوفًا . وهو الصواب . قال ابن عدى : قال لنا ابن صاعد : وليس هذا من حديث عثمان عن النبى ﷺ ، إنما رواه أبو عثمان ، عن سلمان من قوله . وينظر العلل لابن أبى حاتم (٢١٤٢، ٢١٦٦) ، وعلل الدارقطنى .

ومعناه فى صحيح مسلم (٢٥٨٢) عن أبى هريرة مرفوعا .

نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فآيَسَهم اللّهُ جل ذكرُه مما كانوا أطْمَعوا فيه أنفسَهم مِن النجاةِ مِن عذابِ اللّهِ - [٢/ ٨٣و] مع تكذيبِهم بما عرَفوا مِن الحقِّ، وخلافِهم أمرَ اللّهِ تعالى ذكرُه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ، وما جاءهم به مِن عندِه - بشفاعةِ آبائِهم وغيرِهم مِن الناسِ كلِّهم، وأخبَرَهم أنه غيرُ نافعِهم عندَه إلا التوبةُ إليه مِن كفرِهم، والإنابةُ مِن ضَلالِهم، وجعَل ما سنَّ فيهم مِن ذلك إمامًا لكلِّ مَن كان على مِثل منهاجِهم؛ لئلا يَطْمَعَ ذوو الإلحادِ فى رحمةِ اللّهِ.

قال أبو جعفر: وهذه الآيةُ وإن كان مَخْرَجُها عامًّا فى التِّلاوةِ، فإن المرادَ بها خاصٌّ فى التأويلِ؛ لتَظاهُرِ الأخبارِ عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنه قال: «شَفَاعَتى لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِن أُمَّتى»[1]. وأنه قال: «ليس مِن نَبِيٍّ إلَّا وقد أُعْطِىَ دَعْوَةً، وإنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتى شَفاعَةً لأُمَّتى، وهى نائِلَةٌ منهم من لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[2]. فقد تبيَّنَ بذلك أن اللّهَ جل ثناؤُه قد يَصْفَحُ لعبادِه المؤمنين بشفاعةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ لهم عن كثيرٍ مِن عُقوبةِ إجْرامِهم بينَهم وبينَه، وأن قولَه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾. إنما هى لمن مات على كفرِه غيرَ تائبٍ إلى اللّهِ عز وجل. وليس هذا مِن مَواضِعِ الإطالةِ فى القولِ فى الشَّفاعةِ والوَعْدِ والوَعيدِ فنَسْتَقْصِىَ الحِجاجَ فى ذلك، وسنَأْتى على ما فيه الكفايةُ فى مَواضِعِه إن شاء اللّهُ تعالى.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾.

قال أبو جعفرٍ: و«العَدْلُ» فى كلامِ العربِ - بفتحِ العينِ - الفِدْيةُ.

---

(١) أخرجه الطيالسى (٢١٣٨)، وأحمد ٢٠/ ٤٣٩ (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذى (٢٤٣٥)، وغيرهم من حديث أنس.

(٢) أخرجه البخارى (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨، ١٩٩) من حديث أبى هريرة بنحوه.

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ، قال : أنبأنا آدمُ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ، عن الربيعِ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ قال : يعنى فِداءً[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ، قال : حدَّثنا أسْباطُ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ : أما ﴿ عَدْلٌ ﴾ فيَعْدِلُها ، مِن العَدْلِ. يقولُ : لو جاءت بملْءِ الأرضِ ذهبًا تَفْتَدِى به ما تُقُبِّل منها .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال : أخبرنا معمرٌ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ . قال : لو جاءت بكلِّ شىءٍ لم يُقبلْ منها[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ، قال : حدَّثنا الحسينُ، قال : حدَّثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، قال : قال مُجاهِدٌ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ . قال : بَدَلٌ، والبَدَلُ الفِدْيةُ[(٣)] .

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ . قال : لو أن لها مِلْءَ[(٤)] الأرضِ ذهبًا لم يُقْبَلْ منها ؛ (٥) لم يُؤْخَذْ منها (٥) فِداءٌ . قال : ولو جاءَت بكلِّ شىءٍ لم يُقْبَلْ منها .

حدَّثنا نَجيحُ بنُ إبراهيمَ، قال : أخبرنا علىُّ بنُ حَكيمٍ، قال : أخبرنا حُميدُ بنُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٥ (٥٠١) من طريق آدم به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٤٥ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) فى ص : « مثل » .

(٥ - ٥) سقط من : ر، م .

٢٦٩/١ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، / عن [٨٣/٢ظ] عمرِو بنِ قيسٍ المُلَائيِّ ، عن رجلٍ مِن بنى أُميةَ مِن أهلِ الشامِ ، أحْسَن عليه الثناءَ ، قال : قيل : يا رسولَ اللهِ ، ما العَدْلُ ؟ قال : « العَدْلُ الفِدْيَةُ »[(١)] .

قال أبو جعفر : وإنما قيل للفِدْيةِ مِن الشيءِ والبَدَلِ منه : عَدْلُه ؛ لمُعادَلتِه إياه وهو مِن غيرِ جنسِه ، ومَصيرِه له مثلًا مِن وَجهِ الجزاءِ ، لا مِن وجهِ المُشابَهةِ فى الصورةِ والخِلْقةِ ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام : ٧٠] . بمعنى : وإن تَفْدِ كلَّ فِدْيةٍ لا يُؤْخَذْ منها . يقالُ منه : هذا عَدْلُه وعَدِيلُه . وأما العِدْلُ - بكسرِ العينِ - فهو مِثْلُ الحِمْلِ المَحْمولِ على الظهرِ ، يقالُ مِن ذلك : عندى غلامٌ عِدْلُ غُلامِك ، وشاةٌ عِدْلُ شاتِك . بكسرِ العينِ ، إذا كان غلامًا يَعْدِلُ غلامًا ، وشاةً تَعْدِلُ شاةً ، وكذلك ذلك فى كلِّ مثْلٍ للشىءِ مِن جنسِه ، فإذا أُريد أن عندَه قيمتَه مِن غيرِ جنسِه نُصِبَت العينُ ، فقيل : عندى عَدْلُ شاتِك مِن الدراهمِ . وقد ذُكِر عن بعضِ العربِ أنه يَكْسِرُ العينَ مِن العَدْلِ الذى هو بمعنى الفِديةِ [(٢)] والمعادلةِ [(٢)] ما عادلَتْه مِن جهةِ الجَزاءِ ؛ وذلك لتقارُبِ معنى العَدْلِ والعِدْلِ عندَهم . وأما واحدُ الأعْدالِ فلم يُسْمَعْ فيه إلا عِدْلٌ بكسرِ العينِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وتأويلُ قولِه جلَّ جلاله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . يعنى : إنهم يومَئذٍ لا يَنْصُرُهم ناصرٌ ، كما لا يَشْفَعُ لهم شافعٌ ، ولا يُقْبَلُ منهم عَدْلٌ ولا فِديةٌ ، بَطَلَت هنالك المُحاباةُ ، واضْمَحلَّت الرِّشا والشَّفاعاتُ ، وارْتَفَع مِن القومِ التعاوُنُ

(١) إسناده ضعيف ؛ عمرو بن قيس من أتباع التابعين ، وشيخه مجهول . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى المصنف . وينظر تفسير ابن كثير ١٢٧/١.

(٢ - ٢) فى ر ، م ، ت٢ : « لمعادلة » ، وفى ت١ ، ت٣ : « المعادلة » .

والتَّناصُرُ، وصار الحُكمُ إلى العَدلِ الجَبَّارِ الذى لا يَنْفَعُ لديه الشُّفَعاءُ والنُّصَراءُ، فيَجْزِى بالسيئةِ مثلَها، وبالحسنةِ أضْعافَها، وذلك نظيرُ قولِه جل ثناؤُه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٤- ٢٦].

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ فى معنى: ﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾. ما **حُدِّثْتُ** به عن المِنْجابِ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، عن أبى رَوْقٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: ما لكم[1] لا تمانَعون منا، هَيْهاتَ[2]، ليس ذلك لكم اليومَ[3].

وقد قال بعضُهم فى معنى قولِه: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: وليس لهم مِن اللّهِ يومَئذٍ نَصيرٌ يَنْتَصِرُ لهم مِن اللّهِ إذا عاقَبَهم.

وقد قيل: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بالطلبِ فيهم والشَّفاعةِ والفِدْيةِ.

قال أبو جعفرٍ: [٨٤/٢و] والقولُ الأولُ أولى بتأويلِ الآيةِ؛ لما وصَفْنا مِن أن اللّهَ جل ثناؤُه إنما أعْلَم المخاطَبِين بهذه الآيةِ أن يومَ القيامةِ يومٌ لا فِدْيةَ فيه[4] لمن استَحَقَّ مِن خلقِه عُقوبتَه، ولا شَفاعةَ فيه، ولا ناصرَ له، وذلك أن ذلك قد كان لهم فى الدنيا، فأخْبَر أن ذلك يومَ القيامةِ مَعْدومٌ لا سبيلَ لهم إليه.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

---

(١) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «اليوم».
(٢) فى الأصل: «أيهات»، على إبدال الهاء همزة، مثل هراق وأراق.
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧٣/٥ إلى المصنف.
(٤) سقط من: ص، ر، م، ت١، ت٢، ت٣.

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ . فإنه عَطْفٌ على قولِه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ﴾ . / فكأنه قال : اذْكُروا نِعْمتى التى أنْعَمْتُ عليكم ، واذْكُروا ٢٧٠/١ إنعامَنا عليكم إذ نَجَّيْناكم مِن آلِ فرعونَ ، بإنجائِنا لكم منهم .

وأما : (١﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾١) فإنهم أهلُ دينِه وقومُه وأشْياعُه .

وأصلُ « آل » : أهلٌ ، أُبْدِلَت الهاءُ همزةً ، كما قالوا : ماءٌ[٢] . فأبْدَلوا الهاءَ همزةً ، فإذا صغَّروه قالوا : مُوَيْهٌ . فردُّوا الهاءَ فى التَّصْغيرِ ، وأخْرَجوه على أصلِه ، وكذلك إذا صغَّروا « آلًا » ، قالوا : أُهَيْلٌ . وقد حُكِى سَماعًا مِن العربِ فى تَصْغيرِ « آلٍ » : أُوَيْلٌ . وقد يُقالُ : فلانٌ مِن آلِ النساءِ . يُرادُ أنه منهن خُلِق . ويقالُ ذلك أيضًا بمعنى أنه يُرِيدُهن ويَهْواهن ، كما قال الشاعرُ[٣] :

فإنكَ[٤] مِن آلِ النِّساءِ وإنَّما يَكُنَّ لِأَدْنَى لا وِصالَ لِغائبِ

وأحسنُ أماكنِ « آل » أن يُنْطَقَ به مع الأسماءِ المشهورةِ ، مثلَ قولِهم : آلُ النبىِّ محمدٍ ﷺ ، وآلُ علىٍّ ، وآلُ العباسِ ، وآلُ عَقيلٍ . وغيرُ مُسْتَحْسَنٍ استعمالُه مع المجهولِ وفى أسماءِ الأرَضِين وما أشبهَ ذلك . غيرُ حسنٍ عندَ أهلِ العلمِ بلسانِ[٥] العربِ أن يُقالَ : رأيتُ آلَ الرجلِ ، وزارنى[٦] آلُ المرأةِ . ولا : رأيتُ آلَ البصرةِ ، وآلَ

(١ - ١) سقط من : ر ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) فى ر ، م : « ماه » .

(٣) البيت فى الصاحبى ص ٤٣٤ غير منسوب ، ونسبه فى الخصائص ٢٧/٣ إلى كُثَيِّر ، وليس فى ديوانه ، ونسبه فى البحر المحيط ٢٦٢/٢ إلى جميل ، وليس فى ديوانه أيضا .

(٤) فى مصادر التخريج : « بثينة » .

(٥) فى الأصل : « بلغات » .

(٦) فى م : « رآنى » .

الكوفةِ . وقد ذُكِر عن[1] العربِ سَماعًا أنها تقولُ : رأيْتُ آلَ مكةَ ، وآلَ المدينةِ . وليس ذلك فى كلامِهم بالمستعملِ الفاشى .

وأما ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ فإنه يقالُ : إنه اسمٌ كانت مُلوكُ العَمالِقةِ بمصرَ تُسَمَّى به ، كما كانت ملوكُ الرومِ يُسمَّى بعضُهم قيصَرَ ، وبعضُهم هِرقْلَ ، وكما كانت ملوكُ فَارسَ تُسَمَّى الأَكاسِرةَ ، [٨٤/٢ ظ] واحدُهم كِسْرَى ، وملوكُ اليمنِ تُسَمَّى التَّبابِعةَ ، واحدُهم تُبَّعٌ .

وأما فرعونُ موسى الذى أخْبَرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه عن بنى إسرائيلَ أنه نجَّاهم منه ، فإنه يقالُ : إن اسمَه [2]الذى هو اسمُه[2] الوَليدُ بنُ مُصْعبٍ . كذلك ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ أنه بلَغه عن اسمِه . **حدَّثنا** بذلك محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ[3] .

[4]وقد قيل : إن اسمَه[4] مصعبُ بنُ الرَّيَّانِ .

وإنما جاز أن يقالَ : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . والخطابُ به لمن لم[5] يُدْرِكْ فرعونَ ولا المُنَجَّيْنَ منه ؛ لأن المُخاطَبِين بذلك كانوا أبناءَ مَن نجَّاهم مِن فرعونَ وقومِه ، فأضاف ما كان مِن نعمِه على آبائِهم إليهم ، وكذلك ما كان مِن كُفرانِ آبائِهم ، على وجهِ الإضافةِ ، كما يقولُ القائلُ لآخرَ : فعَلْنا بكم كذا وكذا[6] ،

---

(١) بعده فى ص ، م : « بعض » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٨٧/١ .

(٤ - ٤) فى م : « أن اسمه الوليد بن » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

وفعَلْنا بكم كذا ، وقتَلْناكم وسبَيْناكم . والمخْبِرُ إما أن يكونَ يعنى قومَه وعَشيرتَه بذلك ، أو أهلَ بلدِه ووطنِه ، كان المَقولُ له ذلك أدْرَكَ ما فُعِل بهم مِن ذلك أو لم يُدْرِكْه ، كما قال الأخطلُ يُهاجِى جَريرَ بنَ عَطِيَّةَ[1] :

ولقد سَما[2] لكمُ الهُذَيْلُ[3] فنالكم بإرَابَ[4] حيث يُقَسِّمُ الأَنْفالَا[5]

فى فَيْلَقٍ[6] يَدْعُو الأراقِمَ[7] لم تَكُنْ فُرْسانُه عُزْلًا ولا أَكْفالَا[8]

ولم يَلْقَ[9] جَريرٌ هُذَيلًا ولا أدْرَكه ، ولا أدْرَكَ إرَابَ ولا شهِدَه ، ولكنه لما كان يومًا مِن أيامِ قومِ الأخْطَلِ على قومِ جَريرٍ ، أضاف الخطابَ إليه وإلى قومِه ، فكذلك خطابُ اللهِ عز وجل مَن خاطَبه بقولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . لمَّا كان فعلُه ما فعَل مِن ذلك بقومِ مَن خاطَبه بالآيةِ وآبائِهم ، [10]أضاف فعْلَه ذلك الذى فعَله بآبائِهم إلى المُخاطَبين بالآيةِ[10] وقومِهم .

---

(١) ديوان الأخطل ص ٣٩١ .

(٢) سما لهم : نهض لقتالهم ، وتساموا : تباروا . اللسان (س م و) .

(٣) الهذيل : هو الهذيل بن هبيرة التغلبى . النقائض ص ٧٧.

(٤) إراب : ماء من مياه بنى يربوع ، كانت فيه لتغلب وقعة على بنى يربوع . معجم ما استعجم ١/ ١٣٣.

(٥) فى الأصل ، ص : « الأثقالا » ، وفى ت ١ ، ت ٣: « الأنقال » والنفل : الغنيمة والهبة . اللسان (ن ف ل) .

(٦) الفيلق : الكتيبة الكثيرة السلاح . اللسان (ف ل ق) .

(٧) الأرقم من الحيات ما فيه بياض وسواد ، والجمع أراقم . اللسان (ر ق م) .

والأراقم هنا : هم من بنى تغلب ، جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب ، مركاهن بأمهم وهم فى قطيفة لها فقالت : ينظر إلى ولدى هؤلاء . فقال : واللّٰه لكأنما رمونى بعيون الأراقم . النقائض ص ٧٨.

(٨) الكفل من الرجال : الذى يكون فى مؤخر الحرب ، وإنما همته فى التأخير والفرار . اللسان (ك ف ل) .

(٩) فى ص : « يلحق » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص ، ر .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

١/٢٧١ **قال أبو جعفرٍ** : / وفى قولِه : ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ . وجهان مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يَكونَ خبرًا مُسْتأْنَفًا عن فِعْلِ فرعونَ ببنى إسرائيلَ ، فيَكونَ معناه حينَئذٍ : واذْكُروا نعمتى عليكم إذ نَجَّيناكم[(١)] مِن آلِ فرعونَ ، وكانوا مِن قبلُ يَسُومُونكم سُوءَ العذابِ .

وإذا كان ذلك تأويلَه كان موضعُ ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ رفعًا[(٢)] .

والوجهُ الثانى : أن يَكونَ ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ حالًا ، فيكونَ تأويلُه [٨٥/٢و] حينَئذٍ : وإذ نَجَّيْناكم مِن آلِ فرعونَ سائميكم سُوءَ العذابِ . فيكونَ حالًا مِن ﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ . فإنه : يُورِدُونكم ، ويُذِيقُونكم ، ويُولُونكم . يقالُ منه : سامه خُطَّةَ ضَيْمٍ . إذا أولاه ذلك وأذاقه[(٣)] ، كما قال الشاعرُ[(٤)] :

* إن سِيمَ خَسْفًا[(٥)] وجهُه تَرَبَّدَا[(٦)] *

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ . فإنه يعنى : ما ساءَهم مِن العذابِ . وقد قال بعضُهم : أشدَّ العذابِ . ولو كان ذلك معناه لقيل : أسوأَ العذابِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وما ذلك العذابُ الذى كانوا يُسومُونهم[(٧)] ؟

قيل : هو ما وصَفه اللَّهُ تعالى ذِكْرُه فى كتابِه فقال : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ

(١) فى ص : « نجيتكم » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « وجها » .

(٣) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣.

(٤) هو عمرو بن سالم الخزاعى ، من أبيات قالها يستنصر فيها النبى ﷺ على قريش وبنى بكر . والأبيات فى سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) الخسف : الإذلال ، وأن يحملك الإنسان ما تكره . التاج (خ س ف) .

(٦) تربد وجهه : تغير من الغضب . التاج (ر ب د) .

(٧) بعده فى ر ، م ، ت ٢، ت ٣: « الذى كان يسوءهم » ، وفى ت١ : « الذى يسوءهم » .

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ .

وقد قال محمدُ بنُ إسحاقَ فى ذلك ما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : كان فرعونُ يُعَذِّبُ بنى إسرائيلَ ، فيَجْعَلُهم خَدَمًا وخَوَلًا[1] ، وصنَّفهم فى أعمالِه[2] ؛ فصِنفٌ يَبْنون ، وصِنْفٌ يَزْرَعون له ، فهم فى أعمالِه ، ومَن لم يَكُنْ منهم فى صَنْعةٍ له مِن عملِه ، فعليه الجزيةُ ، فسامَهم كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[3] .

وقال السُّدِّىُّ : جعَلهم فى الأعمالِ القَذِرةِ ، وجعَل يُقَتِّلُ أبناءَهم ، ويستحيى نساءَهم . **حدَّثنى** بذلك موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ .

فأضاف اللّهُ جل ثناؤُه ما كان مِن فعلِ آلِ فرعونَ ببنى إسرائيلَ مِن سَوْمِهم إياهم سُوءَ العذابِ ، وذَبْحِهم أبناءَهم ، واسْتِحْيائِهم نساءَهم ، إليهم دونَ فرعونَ - وإن كان فعلُهم ما فعَلوا مِن ذلك كان بقوةِ فرعونَ وعن أمرِه - لمباشرتِهم ذلك بأنفسِهم ، فبيِّنٌ بذلك أن كلَّ مباشرٍ قتْلَ نفسٍ أو تعذيبَ حيٍّ بنفسِه ، وإن كان عن أمْرِ غيرِه ، ففاعلُه الـمُتولِّى ذلك هو المستحقُّ إضافةَ ذلك إليه ، وإن كان الآمِرُ قاهرًا الفاعلَ المأمورَ بذلك- سلطانًا كان الآمرُ ، أو لِصًّا حاربًا[5] ، أو مُتَغَلِّبًا فاجرًا - كما أضاف جل ثناؤُه تذبيحَ أبناءِ بنى إسرائيلَ واستحياءَ نسائِهم إلى آلِ فرعونَ دون فرعونَ ، وإن كانوا بقوةِ فرعونَ وأمرِه إياهم بذلك [٢/ ٨٥ظ] فعَلوا ما فعَلوا ، مع غلبتِه إياهم

---

(١) الـخَوَل : حشم الرجل وأتباعه ، ويقع على العبد والأمة . ينظر النهاية ٢/ ٨٨ .

(٢) فى الأصل : « أعمالهم » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٨٧ . وتقدم أوله فى ص ٦٤٢ .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٤٩.

(٥) فى م : « خاربا » . والحارب : المُشلِّح ، وهو قاطع الطريق . ينظر اللسان (ح ر ب ، ش ل ح) .

وقهرِه لهم ، فكذلك كلُّ قاتلٍ نفسًا بأمرِ غيرِه ظلمًا ، فهو المقتولُ به عندَنا قِصاصًا ، وإن كان قتلُه إياه بإكراهِ غيرِه له على قتلِه .

وأما تأويلُ ذَبْحِهم أبناءَ بنى إسرائيلَ ، واستحيائِهم نساءَهم ، فإنه كان فيما ذُكِر لنا عن ابنِ عباسٍ وغيرِه كالذى **حدَّثنا** به العباسُ بنُ الوليدِ الآمُلِىُّ وتميمُ بنُ
١/٢٧٢ المُنْتَصرِ الواسطىُّ ، قالا : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : / أخْبَرَنا الأصبغُ بنُ زيدٍ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ أبى[(١)] أيوبَ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : تذاكَر فرعونُ وجُلساؤُه ما كان اللَّهُ تعالى ذكرُه وعَد إبراهيمَ خليلَه عليه السلامُ أن يجْعَلَ فى ذريتِه أنبياءَ ومُلوكًا ، فأْتمروا وأجْمَعوا أمرَهم على أن يَبْعَثَ رجالًا معهم الشِّفَارُ[(٢)] ، يَطُوفون فى بنى إسرائيلَ ، فلا يَجِدون مولودًا ذكرًا[(٣)] إلا ذَبَحوه ، ففعَلوا ، فلمَّا رأَوْا أن الكبارَ مِن بنى إسرائيلَ يَمُوتون بآجالِهم ، وأن الصغارَ يُذَبَّحون ، قال : تُوشِكون أن تُفْنُوا بنى إسرائيلَ ، فتَصيروا إلى أن تُباشِروا مِن الأعمالِ والخِدْمةِ ما كانوا يَكْفُونكم ، فاقْتُلوا عامًا كلَّ مولودٍ ذكرٍ ، فَيقِلَّ[(٤)] أبناؤُهم ، ودَعُوا عامًا . فحمَلَتْ أمُّ موسى بهارونَ فى العامِ الذى لا يُذْبَحُ فيه الغِلْمانُ ، فولَدَته علانيةً آمنةً[(٥)] ، حتى إذا كان القابلُ حمَلَت بموسى[(٦)] .

وقد **حدَّثنا** عبدُ الكريمِ بنُ الهَيْثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشارٍ الرَّمَادىُّ ،

---

(١) سقط من النسخ ، وينظر تهذيب الكمال ٢٣/٣٣٦ .

(٢) الشفار جمع شفرة ، وهو السكين العظيم وما عُرِّض من الحديد وحُدِّد . القاموس المحيط (ش ف ر) .

(٣) سقط من : ص ، ر .

(٤) فى ص ، ت ٣: « فتقتل » ، وفى ت ١: « فيقتل » .

(٥) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أمه » . وغير واضحة فى الأصل ، والمثبت موافق لما فى تفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٩، والدر المنثور ٤/ ٢٩٦، وغيرهما كما سيأتى .

(٦) سيأتى تخريجه فى تفسير الآية ٤٠ من سورة طه ، فى حديث الفتون الطويل .

قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، قال : حدَّثنا أبو سعدٍ[(١)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قالت الكَهَنةُ لفرعونَ : إنه يُولَدُ فى هذا العامِ مولودٌ يَذْهَبُ بمُلْكِك . قال : فجعَل فرعونُ على كلِّ ألفِ امرأةٍ مائةَ رجلٍ ، وعلى كلِّ مائةٍ[(٢)] عشرةً ، وعلى كلِّ عشرةٍ رجلًا ، فقال : انْظُروا كلَّ امرأةٍ حاملٍ فى المدينةِ ، فإذا وضَعت حَمْلَها فانْظُروا إليه ، فإن كان ذكرًا فاذْبَحوه ، وإن كان أنثى فخَلُّوا عنها[(٣)] . وذلك قولُه : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[(٤)] .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ . قال : إن فرعونَ ملكهم أربعَمائةِ سنةٍ ، فقالت الكَهَنةُ : إنه سيُولَدُ العامَ بمصرَ غلامٌ يَكونُ هلاكُك[(٥)] على يديه . فبعَث فى أهلِ مصرَ نساءً قَوابِلَ ، فإذا ولَدَت امرأةٌ غلامًا أُتِى به فرعونُ [٢/ ٨٦و] فقتَله ، ويَسْتَحْيِى الجَوارِىَ[(٦)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ الآية . قال : إن فرعونَ ملكهم أربعَمائةِ سنةٍ ، وإنه أتاه آتٍ ، فقال : إنه سيَنْشَأُ فى

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « سعيد » . وهو أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال الأعور . وليس هو أبا سعيد عبد الكريم بن مالك الجزرى ، فقد جاء مصرحا بأنه أبو سعد الأعور فى تفسير ابن أبى حاتم ٢٧٧٣/٨ (١٥٦٧٥) .

(٢) بعده فى الأصل : « امرأة » .

(٣) فى الأصل : « عنه » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى المصنف . وأبو سعد البقال ضعيف .

(٥) فى ص ، ر : « هلاكه » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٥/١ (٥٠٥) من طريق آدم به .

مصرَ غلامٌ مِن بنى إسرائيلَ ، فيَظْهَرُ عليك ، ويَكونُ هَلاكُك على يديه . فبعَث فى أهلِ مصرَ نساءً . فذكَر نحوَ حديثِ آدمَ .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : كان مِن شأنِ فرعونَ أنه رأَى رؤيا[(١)] فى مَنامِه ، أن نارًا أقْبَلَت مِن بيتِ المقدسِ حتى اشْتَمَلَت على بيوتِ مصرَ ، فأحْرَقَت القِبْطَ وترَكَت بنى إسرائيلَ ، وأخْرَبَت بيوتَ مصرَ ، فدعا السَّحَرةَ والكَهَنةَ[(٢)] والقافَةَ والحازَةَ ، فسأَلهم عن رُؤْياه ، فقالوا له : يَخْرُجُ مِن هذا البلدِ الذى جاء بنو إسرائيلَ منه - يَعْنون بيتَ المقدسِ - رجلٌ يَكونُ على وجهِه هَلاكُ مصرَ . فأمَر ببنى إسرائيلَ ألا يُولَدَ لهم غلامٌ إلا ذبَحوه ، ولا تُولَدَ لهم جاريةٌ إلا تُرِكَت . وقال للقِبْطِ : انْظُروا مَملوكيكم الذين يَعْمَلون خارجًا فأدْخِلوهم ، واجْعَلوا بنى إسرائيلَ يَلُون تلك الأعمالَ القَذِرةَ . فجعَل بنى إسرائيلَ فى أعمالِ غلمانِهم ، وأدْخَلوا غلمانَهم ، فذلك حينَ يقولُ اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : تجبَّر فى الأرضِ ، ﴿ وَجَعَلَ
١/٢٧٣ أَهْلَهَا / شِيَعًا ﴾ يعنى بنى إسرائيلَ[(٣)] حينَ جعَلهم فى الأعمالِ القَذِرةِ ، ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [القصص : ٤] . فجعَل لا يُولَدُ لبنى إسرائيلَ[(٣)] مَوْلودٌ إلا ذُبِح ، فلا يَكْبَرُ الصغيرُ ، وقذَف اللَّهُ فى مَشْيَخةِ بنى إسرائيلَ الموتَ ، فأسْرَع فيهم ، فدخَل رءوسُ القِبْطِ على فرعونَ ، فكلَّموه ، فقالوا : إن هؤلاء القومَ[(٤)] قد وقَع فيهم الموتُ ، فيُوشِكُ أن يَقَعَ العملُ على غِلمانِنا بذبحِ أبنائِهم ، فلا تَبْلُغُ الصِّغارُ وتَفْنَى

---

(١) سقط من : ر ، م .
(٢) بعده فى م : « والعافة » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

الكِبارُ ، فلو أنك كنتَ تُبْقِى مِن أولادِهم . فأمَر أن يُذَبَّحوا سنةً ويُتْرَكوا سنةً ، فلما كان فى السنةِ التى لا يُذَبَّحون فيها ، وُلِد هارونُ فتُرِك ، فلما كان فى السنةِ التى يُذَبَّحون فيها حمَلت بموسى[1] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ذُكِر لى أنه لما تَقارَب زمانُ موسى أتى مُنَجِّمو فرعونَ وحُزَاتُه[2] [٢/ ٨٦ظ]إليه ، فقالوا[3] : تَعَلَّمْ[4] أنَّا نَجِدُ فى علمِنا أن مولودًا مِن بنى إسرائيلَ قد أظلَّك زمانُه الذى يُولَدُ فيه ، يَسْلُبُك مُلْكَك ، ويَغْلِبُك على سلطانِك ، ويُخْرِجُك مِن أرضِك ، ويُبَدِّلُ دينَك . فلما قالوا له ذلك أمَر بقتلِ كلِّ مولودٍ يُولَدُ مِن بنى إسرائيلَ [5]مِن الغِلْمانِ ، وأمَر بالنساءِ يُسْتَحْيَيْنَ ، فجمَع القَوابلَ مِن نساءِ أهلِ[6] مَمْلكتِه ، فقال لهن : لا يَسْقُطْ على أيْدِيكُنَّ غلامٌ مِن بنى إسرائيلَ[5] إلا قَتَلْتُموه[7] . فكنَّ يَفْعَلْنَ ذلك ، وكان يَذْبَحُ مَن فوقَ ذلك مِن الغلمانِ ، ويَأْمُرُ بالحَبَالَى فيُعَذَّبْنَ حتى يَطْرَحْنَ ما فى بُطونِهنَّ[8] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « موسى » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٦/١ (٥٠٦) من طريق عمرو به .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ٣٨٨/١ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده المعروف . وسيفرق المصنف بقيته فيما يأتى .

(٢) فى م : « أحزابه » .

(٣) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « له » .

(٤) فى م : « نعم » .

(٥ - ٥) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) فى ص ، م : « قتلتنه » .

(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٨٧ . وتقدم أوله فى ص ٦٤٥ .

أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : لقد ذُكِر أنه كان لَيَأْمُرُ بالقَصَبِ فيُشَقُّ حتى يُجعَلَ أمثالَ الشِّفَارِ ، ثم يُصَفُّ بعضُه إلى بعضٍ ، ثم يُؤْتَى بالحَبَالَى مِن بنى إسرائيلَ ، فيُوقَفْنَ عليه فيَحُزُّ أقْدامَهن ، حتى إن المرأةَ منهن لَتَمْصَعُ[1] بولدِها فيَقَعُ[2] بينَ رِجْلَيْها ، فتَظَلُّ تَطَؤُه تَتَّقِى[3] به حَدَّ القَصَبِ عن[4] رِجْلَيْها[5] ، لِمَا بلَغ مِن جَهدِها ، حتى أسْرَف فى ذلك ، وكاد يُفْنِيهم ، فقيل له : أفْنَيْتَ الناسَ ، وقطَعْتَ النَّسْلَ ، وإنهم خَوَلُك وعُمَّالُك[6] . فأمَرَ[7] أن يُقْتَلَ الغِلْمانُ عامًا ويُسْتَحْيَوْا عامًا ، فوُلِد هارونُ فى السنةِ التى يُسْتَحْيَا فيها الغِلْمانُ ، ووُلِد موسى فى السنةِ التى فيها يُقْتَلون[8] .

فالذى قاله مَن ذكَرْنا قولَه مِن أهلِ العلمِ كان ذَبحَ آلِ فرعونَ أبناءَ بنى إسرائيلَ واستحياءَهم نساءَهم . فتأويلُ قولِه إذن - على ما تأوَّله الذين ذكَرْنا قولَهم - ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ[9] ﴾ : يَسْتَبْقُونَهن فلا يَقْتُلونهن .

وقد يَجِبُ على تأويلِ مَن قال بالقولِ الذى ذكَرْنا عن ابنِ عباسٍ وأبى العاليةِ والربيعِ بنِ أنسٍ والسُّدىِّ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . أنه تَرْكُهم الإناثَ مِن القتلِ عندَ وِلادتِهن إياهن - أن يكونَ جائزًا أن تُسَمَّى الطفلُ[10] مِن

---

(١) مصعت المرأة بولدها : ألقت به . التاج (م ص ع) .
(٢) بعده فى : ص ، ر ، م ، ت ٢: « من » .
(٣) فى الأصل : « وتتقى » .
(٤) فى الأصل : « من » .
(٥) فى ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « رجلها » .
(٦) فى ص : « غلمانك » .
(٧) فى الأصل ، ص ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فتأمر » . والمثبت موافق لما فى تاريخ المصنف .
(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٣٨٧ ، ٣٨٨ .
(٩) فى الأصل ، ت ٢: « نساءهم » .
(١٠) فى م ، ت ٢: « الطفلة » .

الإناثِ فى حال صِباها وبعدَ وِلادتِها(١) امرأةً ، والصَّبايا الصغارُ وهن أطفالٌ نساءً ؛ لأنهم تأوَّلوا قولَ اللّهِ جل وعزّ : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ : يَسْتَبْقون الإناثَ مِن الوِلْدانِ عندَ الوِلادةِ فلا يَقْتُلونهن .

وقد أنْكَر ذلك مِن قولِهم ابنُ جُرَيْجٍ ، فقال بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . قال : يَسْتَرِقُّون نساءَكم .

فحاد ابنُ جُرَيْجٍ بقولِه هذا عما قاله (٢ مَن ذكَرْنا قولَه ٢) فى قولِه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . إنه اسْتِحْياءُ / الصَّـبايا الأطفالِ(٣) ، إذ لم يَجِدْهن يَلْزَمُهن اسمُ نساءٍ ، ٢٧٤/١
ثم دخَل فيما هو أعظمُ مما أنكَـر بتأويلِه ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ : ويَسْتَرِقُّون . وذلك تأويلٌ غيرُ [٢/ ٨٧و] موجودٍ فى لغةٍ عربيةٍ ولا أعْجَمية ، وذلك أن الاسْتِحياءَ إنما هو اسْتِفْعالٌ مِن الحياةِ ، نظيرُ الاسْتِبْقاءِ مِن البَقاءِ ، والاسْتِسْقاءِ مِن السَّقْيِ ، وهو مِن معنى الاسْتِرقاقِ بمعزِلٍ .

وقد تأوَّل(٤) آخَـرون قولَه : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ . بمعنى : يُذَبِّحون رجالَكم (٥ أبناءَ آبائِكم ٥) . وأنْكَروا أن يَكونَ المَذْبوحون الأطفالَ ، وقد قرَن بهم النساءَ ، فقالوا : فى إخبارِ اللّهِ جل ثناؤُه أن المستحيَيْن هم النساءُ ، الدَّلالةُ الواضحةُ على أن الذين كانوا يُذَبَّحون هم الرجالُ دون الصِّبْيانِ ؛ لأن المُذَبَّحِين لو كانوا هم

---

(١) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولادها » .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده فى ص ، ر ، م : « قال » .

(٤) فى ر ، م : « قال » .

(٥ - ٥) فى م : « آباء أبنائكم » .

الأطفالَ لَوَجَب أن يكونَ المُسْتَحْيَوْن هم الصَّبايا . قالوا : وفى إخبارِ اللهِ عز وجل أنهم النساءُ ما يُبينُ عن[(١)] أن الـمُذَبَّحِين هم الرجالُ .

وقد أغْفَل قائلو هذه المَقالةِ - مع خروجِهم مِن تأويلِ أهلِ التأويلِ مِن الصحابةِ والتابعين - موضعَ الصوابِ ، وذلك أن اللّه جل ثناؤه قد أخْبَر عن وَحيه إلى أمِّ موسى أنه أمَرها أن تُرْضِعَ موسى ، فإذا خافَت عليه أن تُلْقِيَه فى التابوتِ ، ثم تُلْقِيَه فى اليَمِّ ، فمعلومٌ بذلك أن القومَ لو كانوا إنما كانوا[(٢)] يَقْتُلون الرجالَ ويَتْرُكون النساءَ ، لم يَكُنْ بأمِّ موسى حاجةٌ إلى إلقاءِ موسى فى اليَمِّ ، أو لو أن موسى كان رجلًا لم تَجْعَلْه أمُّه فى التابوتِ .

ولكن ذلك عندَنا على ما تأوَّله ابنُ عباسٍ ومَن حكَيْنا قولَه قبلُ ، مِن ذبْحِ آلِ فرعونَ الصِّبيانَ وترْكِهم مِن القتلِ الصَّبايا . وإنما قيل : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ إذ[(٣)] كان الصَّبايا داخلاتٍ مع أُمهاتِهن - وأمهاتُهن لا شكَّ نساءٌ - فى الاسْتِحياءِ ؛ لأنهم لم يكونوا يَقْتُلون صغارَ النساءِ ولا كِبارَهن ، فقيل : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ يعنى بذلك الوالداتِ والمولوداتِ ، كما يُقالُ : قد أقبلَ الرجالُ . وإن كان فيهم صِبيْانٌ . فكذلك قولُه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . وأما مِن الذكورِ فإنه لمَّا لم يَكُنْ يُذْبَحُ إلا المولودون قيل : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ ولم يَقُلْ : يُذَبِّحون رجالَكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى ذكرُه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما قولُه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . فإنه يعنى : وفى الذى فعَلْنا بكم مِن إنجائِنا كم[(٤)] مما كنتم فيه مِن عذابِ آلِ فرعونَ إياكم - على

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى الأصل : « إذا » .
(٤) فى ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إنجائنا إياكم » .

ما وصَفْتُ - بلاءٌ لكم مِن ربِّكم [٢/ ٨٧ظ] عظيمٌ .

ويعنى بقولِه ﴿ بَـلَآءٌ ﴾ : نعمةٌ ، كما حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ بَـلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . قال : نعمةٌ[(١)] .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدىِّ فى قولِه : ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَـلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ : أما البلاءُ فالنعمةُ[(٢)] .

وحدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَـلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . قال : نعمةٌ مِن ربِّكم عظيمةٌ[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَ حديثِ سُفيانَ .

٢٧٥/١ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَـلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . قال : نعمةٌ عظيمةٌ .

وأصلُ البلاءِ فى كلامِ العربِ الاختبارُ والامتِحانُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الخيرِ والشرِّ ؛ لأن الامتحانَ والاختبارَ قد يَكونُ بالخيرِ كما يكونُ بالشرِّ ، كما قال اللَّهُ جل

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٦/١ (٥٠٧) من طريق أبى صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٦/١ عقب الأثر (٥٠٧) من طريق عمرو به . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٨.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى وكيع . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٦/١ عقب الأثر (٥٠٧) معلقا .

ثناؤه : ﴿ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] . يقول : اختبرْناهم . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] . ثم تُسَمِّى العربُ الخيرَ بلاءً ، والشرَّ بلاءً ، غيرَ أن الأكثرَ فى الشرِّ أن يُقالَ : بلَوتُه أبْلُوه بلاءً ، وفى الخيرِ : أبْلَيْتُه أبْليه إبلاءً وبلاءً . ومِن ذلك قولُ زُهَيْرِ بنِ أبى سُلْمَى[1] :

جزَى اللهُ بالإحسانِ ما فعَلا بكم فأبْلَاهما خيرَ البلاءِ الذى يَبْلُو

فجمَع بينَ اللغتَيْنْ ؛ لأنه أراد : فأنْعَمِ اللّهُ عليهما خيرَ النِّعَمِ التى يَخْتَبِرُ بها عبادَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ .

أما تأويلُ قولِه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا ﴾ . فإنه عطفٌ على : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم ﴾ ، بمعنى : واذْكُروا نِعْمتىَ التى أنعمتُ عليكم ، واذْكُروا إذ نـجَّيناكم مِن آلِ فرعونَ ، وإذ فرَقْنا بكم البحرَ .

ومعنى قولِه : ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ ﴾ : فصَلْنا بكم البحرَ ؛ لأنهم كانوا اثنَىْ عشَرَ سِبْطًا ، ففرَق البحرَ اثنَىْ عشَرَ طريقًا ، فسلَك كلُّ سِبْطٍ منهم طريقًا منها ، فذلك فَرْقُ اللّهِ جلَّ ثناؤُه بهم البحرَ ، وفصلُه بهم بتفريقِهم[2] فى طرُقِه الاثنَىْ عشَرَ[3] .

كما **حدَّثنى** موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : [٨٨/٢و] لما أتَى موسى البحرَ كَنَاه أبا خالدٍ ، وضرَبه فانْفَلَق ، فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ

---

(١) شرح ديوان زهير ص ١٠٩.

(٢) فى الأصل ، ص : « بتفرقهم » .

(٣) فى الأصل : « العشر » .

العظيم ، فدخَلَت بنو إسرائيلَ ، وكان فى البحرِ اثنا عشَرَ طريقًا ، فى كلِّ طريقٍ سِبْطٌ[(١)] .

وقد قال بعضُ نحويِّى البصرةِ : معنى قولِه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ : فرَقْنا بينَ الماءِ وبينَكم ، يريدُ بذلك : فصَلْنا بينَكم وبينَه وحجَزْنا حيث مرَرْتُم فيه .

وذلك خلافُ ما فى ظاهرِ التلاوةِ ؛ لأن اللّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أخبَر أنه فرَق البحرَ بالقومِ ، ولم يُخْبِرْ أنه فرَق بينَ القَوْمِ وبينَ البحرِ فيَكونَ التأويلُ ما قاله قائلُ[(٢)] هذه المَقالةِ . وفرقُه البحرَ بالقومِ إنما هو تفريقُه البحرَ بهم على ما وصَفْنا مِن افتراقِ سُبُلِه[(٣)] بهم على ما جاءت به الآثارُ .

القـــولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : كيف غرَّق اللّهُ آلَ فرعونَ ونجَّى بنى إسرائيلَ ؟

قيل : كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ ، عن عبدِ اللّهِ بنِ شدَّادِ بنِ الهادِ ، قال : لقد ذُكِر لى أنه خرَج فرعونُ فى طلبِ موسى على سبعين ألفًا مِن دُهْمِ الخيلِ سوى ما فى جندِه مِن شِيَةِ[(٤)] الخيلِ ، وخرَج موسى حتى إذا قابَله البحرُ فلم يكنْ له عنه مُنْصَرَفٌ ، طلَع فرعونُ فى جندِه مِن خلفِهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ ﴾ موسى ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١، ٦٢] . أى :

---

(١) سيأتى بتمامه فى ص ٦٨١ .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائلو » .

(٣) فى ص ، م : « سبيله » .

(٤) الشِّيَة : سواد فى بياض أو بياض فى سواد . اللسان (و ش ى) .

للنجاةِ - وقد وعَدَنى ذلك ، ولا خُلْفَ لوعدِه[(١)] .

٢٧٦/١ / حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : أَوْحَى اللّهُ جلَّ وعزَّ - فيما ذُكر لى - إلى البحرِ : إذا ضرَبك موسى بعَصاه فانفلِقْ له . قال : فبات[(٢)] البحرُ يَضْرِبُ بعضُه بعضًا فَرَقًا[(٣)] مِن اللّهِ وانتظارَه[(٤)] أمرَه ، فأوْحَى اللّهُ إلى موسى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ ، فضرَبه بها ، وفيها سُلطانُ اللّهِ الذى أعْطاه ، ﴿ فَٱنفَلَقَ[(٥)] فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] . أى : كالجبل على نَشَزٍ[(٦)] مِن الأرضِ . يقولُ اللّهُ لموسى : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧]. فلما اسْتَقَرَّ له[(٧)] البحرُ على طريقٍ قائمةٍ يَبَسٍ سلَك فيه موسى بنى إسرائيلَ ، وأتْبَعه [٢/ ٨٨ظ] فرعونُ بجنودِه[(٨)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، عن عبدِ اللّهِ بنِ شَدَّادِ بنِ الهادِ الليثىِّ ، قال : حُدِّثْتُ أنه لما دخَلت بنو إسرائيلَ[(٩)] ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ ، أقبلَ فرعونُ وهو على حِصانٍ له مِن الخيلِ

---

(١) فى ر ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لموعوده » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٠ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٦٩/٨ (١٥٦٥٥) من طريق سلمة به .

(٢) فى م : « فثاب » .

(٣) الفرق : الخوف . اللسان (ف ر ق) .

(٤) فى م : « انتظار » .

(٥) فى الأصل ، ص : « فانفرق » .

(٦) فى م : « يبس » . والنشز : المتن المرتفع من الأرض . اللسان (ن ش ز) .

(٧) فى ر ، م : « لهم » .

(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٠ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٧٢/٨ ، ٢٧٧٣ (١٥٦٧٠، ١٥٦٧٧) من طريق سلمة به .

(٩) بعده فى ص ، م : « البحر » .

حتى وقَف على شَفِيرِ البحرِ ، وهو قائمٌ على حالِه ، فهاب الحصانُ أن يَنْفُذَ ، فعرَض له جبريلُ عليه السلامُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ[(١)] ، فقرَّبَها منه فشمَّها الفحلُ ، فلمَّا شمَّها قدَّمها[(٢)] ، فتقدَّم معه[(٣)] الحصانُ عليه فرعونُ ، فلما رأَى جندُ[(٤)] فرعونَ فرعونَ قد دخَل ، دخَلوا معه ، وجبريلُ أمامَه ، وهم يَتْبَعون فرعونَ ، وميكائيلُ على فرسٍ مِن خلفِ القومِ يَشْحَذُهم[(٥)] ، يقولُ : الْحَقُوا بصاحبِكم . حتى إذا فصَل جبريلُ مِن البحرِ ليس أمامَه أحدٌ ، ووقَف مِيكائيلُ على ناحيتِه الأخرى ليس خلفَه أحدٌ ، طبَّق عليهم البحرُ ، ونادَى فرعونُ حينَ رأَى مِن سلطانِ اللهِ وقُدرتِه ما رأَى ، وعرَف ذلَّه[(٦)] ، وخَذَلَتْه نفسُه -: ﴿ [(٧)]لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ[(٧)] ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٨)] [يونس : ٩٠] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن أبى إسحاقَ الهَمْدانىِّ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ الأَوْدىِّ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ . قال : لمَّا خرَج موسى ببنى إسرائيلَ بلَغ ذلك فرعونَ ، فقال : لا تَتْبَعوهم حتى يَصِيحَ الديكُ . قال : فواللهِ ما صاح ليلتَئذٍ ديكٌ حتى أصْبَحوا ، فدعا بشاةٍ فذُبِحت ، ثم قال : لا أَفْرُغُ مِن كبدِها حتى يَجْتَمِعَ إلىَّ ستُّمائةِ ألفٍ مِن القِبْطِ . فلم يَفْرُغْ مِن كبدِها حتى اجتمَع إليه ستُّمائةِ ألفٍ من

(١) الفرس الوديق : هى التى تشتهى الفحل . النهاية ١٦٨/٥ .
(٢) فى م : « تبعها » ، وقدَّمها : أى زجرها وأمرها بالتقدم . ينظر اللسان (ق د م) .
(٣) فى م : « معها » .
(٤) فى الأصل : « جنود » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « خيل » .
(٥) فى م : « يسوقهم » . ويشحذهم يسوقهم بمعنى .
(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زلته » .
(٧ - ٧) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آمنت بالذى » ، وفى م : « آمنت أنه لا إله إلا الذى » .
(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٠ ، ٤٢١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/ ٢٧٧٥ ، ٢٧٧٦ (١٥٦٨٧) من طريق سلمة به .

القبطِ ، ثم سار ، فلما أتى موسى البحرَ قال له رجل من أصحابِه يُقالُ له : يُوشَعُ بنُ نُونٍ : أين أمَرَك ربُّك يا موسى ؟ قال : أمامَك . يُشِيرُ إلى البحرِ ، فأقْحَم يُوشَعُ فرسَه فى البحرِ حتى بلَغ الغَمْرَ[(١)] ، فذهَب به ، ثم رجَع ، فقال : أين أمَرَك ربُّك يا موسى ؟ فواللهِ ما كذَبْتَ ولا كُذِبْتَ ، ففعَل ذلك ثلاثَ مراتٍ ، ثم أوْحَى اللهُ إلى موسى : ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ . يقولُ : مثلَ جبلٍ . ثم سار موسى ومَن معه ، وأتْبَعَهم فرعونُ فى طريقِهم ، حتى إذا تَتامُّوا فيه أطْبَقه اللهُ عليهم ، فلذلك قال : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ . قال مَعْمَرٌ : قال قتادةُ : كان مع موسى ستُّمائةِ ألفٍ ، وأتْبَعَه فرعونُ على ألفِ ألفٍ ومائتى[(٢)] ألفِ حِصانٍ[(٣)] .

حدَّثنا عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ الرَّمَادىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : قال [(٤)]أبو سعدٍ[(٤)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أوْحَى
٢٧٧/١ اللهُ إلى موسى أن أسْرِ بعبادى [٨٩/٢و] / ليلًا إنكم متبعون . قال : فسرَى موسى ببنى إسرائيلَ ليلًا ، فأتْبَعهم فرعونُ فى ألفِ ألفِ حِصانٍ سِوَى الإناثِ ، وكان موسى فى ستِّمائةِ ألفٍ ، فلمَّا عايَنَهم فرعونُ ، قال : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا

---

(١) الغمر : معظم البحر . تاج العروس (غ م ر) .

(٢) فى م : « مائة » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٥، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٦، ١٠٧ (٥٠٨) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه أيضا ٨/ ٢٧٧١ (١٥٦٦٧) من طريق إسرائيل ، عن أبى إسحاق به ، ببعضه . وينظر تاريخ المصنف ١/ ٤١٤.

وأخرج ابن أبى حاتم أيضا ٨/ ٢٧٧٤، ٢٧٧٥ (١٥٦٨٢، ١٥٦٨٦) من طريق يونس وإسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود نحوه .

(٤ - ٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أبو سعيد » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧ .

لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٤- ٥٦] . فسرَى موسى ببنى إسرائيلَ حتى هجَموا على البحرِ ، فالْتَفَتوا ، فإذا هم برَهَجِ[١] دوابِّ فرعونَ فقالُوا : يا موسى : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف : ١٢٩] . هذا البحرُ أمامَنا ، وهذا فرعونُ قد رَهِقَنا[٢] بمَن معه : ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] . قال : فأوْحَى اللهُ جل ثناؤُه إلى موسى ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ . وأوْحَى إلى البحرِ أنِ اسْمَعْ لموسى ، وأَطِعْ إذا ضرَبك . قال : فبات[٣] البحرُ له أَفْكَلٌ - يعنى : له رِعْدةٌ - لا يَدْرِى مِن أيِّ جوانبِه يَضْرِبُه . قال : فقال يُوشَعُ لموسى : بماذا أُمِرْتَ ؟ قال : أُمِرْتُ أن أَضْرِبَ البحرَ . قال : فاضْرِبْه . قال : فضرَب موسى البحرَ بعصاه ، فانْفَلَق ، فكان فيه اثنا عشَرَ طريقًا ، كلُّ طريقٍ كالطَّوْدِ العظيمِ ، فكان لكلِّ سِبْطٍ منهم طريقٌ يَأْخُذون فيه ، فلمَّا أخَذوا فى الطريقِ ، قال بعضُهم لبعضٍ : ما لنا لا نَرَى أصحابَنا ؟ قالوا لموسى : أين أصحابُنا لا نَرَاهم ؟ قال : سِيروا فإنهم على طريقٍ مثلِ طريقِكم . قالوا : لا نَرْضَى حتى نَرَاهم .

قال سفيانُ : قال عمارٌ الدُّهْنِىُّ : قال موسى : اللهمَّ أعِنِّى على أخلاقِهم السيئةِ . قال : فأوْحَى اللهُ إليه أن قُلْ بعصاك هكذا . وأوْمأَ إبراهيمُ بيدِه يُدِيرُها على البحرِ ، قال موسى بعَصاه على الحِيطانِ هكذا ، فصار فيها كِواءٌ[٤] يَنْظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ .

---

(١) الرهج : الغبار . اللسان (ر هـ ج) .

(٢) رهق فلان فلانا : تبعه فقارب أن يلحقه . اللسان (ر هـ ق) .

(٣) فى م : « فثاب » .

(٤) فى م : كوى . وكِواء وكُوًى : جمع كُوَّة ، وهى الخرق فى الحائط . اللسان (ك و ى) .

قال سفيانُ : قال أبو سعدٍ [(١)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : فساروا حتى خرَجوا مِن البحرِ ، فلما جاز آخِرُ قومِ موسى هجَم فرعونُ على البحرِ هو وأصحابُه ، وكان على فرسٍ أدهمَ ذَنُوبٍ [(٢)] حِصانٍ ، فلما هجَم على البحرِ هاب الحِصانُ أن يَتَقَحَّمَ [(٣)] في البحرِ ، فمثَل له جبريلُ عليه السلامُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ ، فلما رآها الحِصانُ تَقَحَّم خلفَها ، وقيل لموسى : اتْرُكِ البحرَ رَهْوًا - قال : طُرُقًا على حالِه - قال : ودخَل فرعونُ وقومُه البحرَ ، فلمَّا دخَل آخِرُ قومِ فرعونَ ، وجاز آخرُ قومِ موسى ، أَطْبَق البحرُ على فرعونَ وقومِه فأُغْرِقوا [(٤)] .

وحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ ، أن اللّهَ أمَر موسى أن يَخْرُجَ ببني إسرائيلَ ، فقال : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ . فخرَج موسى [٢/٨٩ظ] وهارونُ فى قومِهما ، وأُلْقِى على القِبْطِ الموتُ ، فمات كلُّ بِكْرِ رَجُلٍ ، فأصْبَحوا يَدْفِنونهم ، فشُغِلوا عن طلبِهم حتى طلَعت الشمسُ ، فذلك حينَ يقولُ اللّهُ جل وعزَّ : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ . وكان موسى على سَاقةِ بنى إسرائيلَ ، وكان هارونُ أمامَهم يَقْدُمُهم ، فقال المؤمنُ لموسى : يا نبيَّ اللّهِ ، أين أُمِرْتَ ؟ قال : البحرَ . فأراد أن يَقْتَحِمَ ، فمنَعه موسى ، وخرَج موسى فى ستِّمائةِ ألفٍ وعشرين ألفَ مُقاتِلٍ - لا يَعُدُّون ابنَ العشرين لصِغَرِه ، ولا ابنَ الستين لكِبَرِه ، وإنما عَدُّوا ما بينَ ذلك سوى الذريةِ ، وتبِعهم فرعونُ على مُقَدِّمتِه هامانُ فى ألفِ ألفٍ وسبعِمائةِ ألفِ حِصانٍ ، ليس فيها مادِيانةٌ [(٥)] - يعنى الأنثى - وذلك حينَ

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « سعيد » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧ .

(٢) الذنوب : وافر شعر الذنب . النهاية ٢/ ١٧٠.

(٣) فى م : « يقتحم » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/ ٢٧٧١، ٢٧٧٣ (١٥٦٦٥، ١٥٦٧٥) من طريق ابن عيينة به ، مختصرا . وينظر ما سيأتى فى ص ٦٦٩ - ٦٧١.

(٥) فى الأصل : « ماذيانه » ، وفى م : « ماذبانه » ، وفى ت ١، ت ٣: « مادبانه » ، وفى ت ٢: « ماربانه » .=

يقولُ اللَّهُ : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٣، ٥٤] . يعنى بنى إسرائيلَ ، فتقدَّم هارونُ فضرَب البحرَ ، فأَبَى البحرُ أن يَنْفَتِحَ ، وقال : مَن هذا الجبارُ الذى يَضْرِبُنى ؟ حتى أتاه / موسى ، فكنَاه أبا خالدٍ وضرَبه ، ٢٧٨/١
﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] . يقولُ : كالجبلِ العظيمِ . فدخَلَت بنو إسرائيلَ ، وكان فى البحرِ اثنا عشَرَ طريقًا ، فى كلِّ طريقٍ سِبْطٌ - وكانت الطرقُ انْفَلَقَت بجُدْرانٍ - فقال كلُّ سِبْطٍ : قد قُتِل أصحابُنا . فلمّا رأى ذلك موسى ، دعا اللَّهَ ، فجعَلها[(١)] لهم قَناطرَ كهيئةِ الطِّيقانِ ، فنظَر آخرُهم إلى أولِهم ، حتى خرَجوا جميعًا ، ثم دنا فرعونُ وأصحابُه ، فلما نظَر فرعونُ إلى البحرِ مُنْفَلِقًا ، قال : ألا تَرَوْنَ البحرَ فَرِق منى ؟ قد انْفَتَح لى حتى أُدْرِكَ أعْدائى فأَقْتُلَهم . فذلك قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٤] . يقولُ : قرَّبنا ثَمَّ الآخَرين . يعنى آلَ فرعونَ . فلما قام فرعونُ على أفْواهِ الطُّرُقِ أبَتْ خيلُه أن تَقْتَحِمَ[(٢)] ، فنزَل جبريلُ عليه السلامُ على ماديانةٍ[(٣)] ، فشامَّت[(٤)] الحُصُنُ[(٥)] رِيحَ الماديانةِ[(٦)] ، فاقْتَحَمت[(٧)] فى أَثَرِها ، حتى إذا همَّ أوَّلُهم أن يَخْرُجَ ودخَل آخرُهم ، أُمِر البحرُ أن يَأْخُذَهم ، فالْتَطَم عليهم[(٨)] .

= وماديانة : فارسية معربة . ينظر المعجم الذهبى ص ٥٣٢.

(١) فى الأصل : « فجعله » .

(٢) فى الأصل : « تتقحم » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر : « ماذيانه » ، فى م : « ماذبانة » ، وفى ت ٢: « ماربانه » .

(٤) فى الأصل : « فشمت » .

(٥) فى م : « الحصان » .

(٦) فى الأصل : « المازيانه » ، وفى ت ٢: « الماربانه » .

(٧) فى م : « فاقتحم » .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٧٠/٨ ، ٢٧٧٢ ، ٢٧٧٣ - ٢٧٧٥ (١٥٦٦١، ١٥٦٦٩، ١٥٦٧٦، ١٥٦٧٩، ١٥٦٨٤) مفرقا عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . =

وحدَّثنى يُونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما أخَذ عليهم فرعونُ الأرضَ إلى البحرِ قال لهم فرعونُ : قُولوا لهم يَدْخُلوا البحرَ إن كانوا صادِقِين . فلما رآهم أصحابُ موسى قالوا : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١، ٦٢] . فقال موسى للبحرِ : أَلسْتَ تَعْلَمُ أنِّى رسولُ اللّهِ ؟ قال : بَلَى . قال : وتَعْلَمُ أن هؤلاء عبادٌ مِن عبادِ اللّهِ ، أمَرَنى أن آتِىَ بهم ؟ قال : بلى . قال : وتَعْلَمُ أن هذا عدوُّ اللهِ ؟ قال : بلى . قال : فافرُقْ[(1)] لى طريقًا ولِمَن معى . قال : يا موسى ، إنما أنا عبدٌ مملوكٌ ، [٢/ ٩٠و] ليس لى أمْرٌ إلا أن يَأْمُرَنى اللّهُ . فأوْحَى اللهُ إلى البحرِ إذا ضرَبك موسى بعصاه فانْفَرِقْ ، وأوْحَى إلى موسى أن اضْرِبِ البحرَ . وقرَأ قولَ اللّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧] . وقرَأ قولَه : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ [الدخان : ٢٤] : سهلًا ليس فيه تَعدٍّ ، فانْفَرَق اثنتى عشْرةَ فِرْقةً ، فسلَك كلُّ سِبْطٍ فى طريقٍ . قال : فقالوا لفرعونَ : إنهم قد دخَلوا البحرَ . قال : ادْخُلوا عليهم . قال : وجبريلُ فى آخرِ بنى إسرائيلَ يقولُ لهم : لِيَلْحَقْ آخرُكم أولَكم . وفى أولِ آلِ فرعونَ يقولُ لهم : رُوَيْدًا يَلْحَقْ آخرُكم أولَكم . فجعَل كلُّ سِبْطٍ فى البحرِ يقولون للسِّبْطِ الذين دخَلوا قبلَهم : قد هلكوا . فلما دخَل ذلك قُلُوبَهم أوحى اللّهُ إلى البحرِ فجعَل لهم قَناطرَ يَنْظُرُ هؤلاء إلى هؤلاء ، حتى إذا خرَج آخِرُ هؤلاء ، ودخَل آخرُ هؤلاء ، أمَر اللّهُ البحرَ فأَطْبَقَ على هؤلاء .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ . أى : تَنْظُرون إلى فَرْقِ اللّهِ بكم البحرَ ، وإهلاكِه آلَ فرعونَ فى الموضعِ الذى نجّاكم فيه ، وإلى عظيمِ سُلطانِه فى الذى أراكم مِن طاعةِ البحرِ إياه ، مِن مَصيرِه رُكامًا فِرَقًا كهيئةِ الأَطْوادِ الشامخةِ ، غيرَ زائلٍ عن حَدِّه ؛ انقيادًا لأمرِه ، وإذْعانًا لطاعتِه ، وهو سائلٌ ذائبٌ قبلَ ذلك .

=وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤١٣ - ٤١٥ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده المعروف . وتقدم أوله فى ص ٦٤٩.

(١) فى م : « انفرق » .

يُوقِفُهم بذلك جلَّ ذكرُه على موضعِ حُجَجِه عليهم، ويُذَكِّرُهم آلاءَه عندَ أوائلِهم، ويُحَذِّرُهم - (١) بتكذيبِهم (١) نبيَّنا محمدًا ﷺ - أن يَحِلَّ بهم ما حلَّ بفرعونَ وآلِه في تكذيبِهم موسى صلواتُ اللَّهِ عليه.

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن معنى قولِه: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. كمعنى قولِ القائلِ: ضُرِبْتَ وأهلُك يَنْظُرون، فما أتَوْك ولا أغاثوك (٢). يعنى: وهم قريبٌ بمَرْأًى ومَسْمَعٍ. وكقولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. وليس هناك رؤيةٌ، إنما هو علمٌ.

والذى دعاه إلى هذا التأويلِ أنه وجَّه قولَه: ﴿وَأَنتُمْ / تَنظُرُونَ﴾. إلى غَرَقِ آلِ فرعونَ، فقال: قد كانوا فى شُغُلٍ مِن أن يَنْظُروا مما اكْتَنَفَهم مِن البحرِ من أن يَرَوْا فرعونَ وغَرَقَه. ٢٧٩/١

وليس الذى تأوَّله تأويلَ الكلامِ، إنما التأويلُ: وأنتم تنظرون إلى فَرْقِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ البحرَ لكم - مما قد وصَفتُ آنِفًا - والْتِطامِ أمْواجِ البحرِ بآلِ فرعونَ فى الموضعِ الذى صيَّر لكم من البحرِ طريقًا يبَسًا. وذلك لا شكَّ كان نظرَ عِيانٍ لا نظرَ علمٍ، على ما ظنَّه قائلُ هذا القولِ الذى حكَيْنا.

[٢/٩٠ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾.**

اختلَفتِ القَرَأةُ فى قراءةِ ذلك؛ فقرَأه بعضُهم: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ (٣). بمعْنى أن اللَّهَ تعالى واعَد موسى مُوافَاةَ (٤) الطُّورِ لمُناجاتِه، فكانت المُواعَدةُ مِن اللَّهِ لموسى، ومِن موسى لربِّه. وكان مِن حجتِهم على اختيارِهم قراءةَ: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ على: (وعَدْنا)

(١ - ١) فى م، ت ١: «فى تكذيبهم».

(٢) فى ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «أعانوك».

(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر والكسائى وحمزة. السبعة لابن مجاهد ص ١٥٤.

(٤) فى ر: «مراقاة»، وفى م: «ملاقاة».

أن قالوا : كلُّ اتِّعادٍ[(١)] كان بينَ اثنين للالتقاءِ أو[(٢)] للاجتماعِ ، فكلُّ واحدٍ منهما مُواعِدٌ صاحبَه ذلك ، فلذلك - زعَموا[(٣)] - وجَب أن يُقْضَى لقراءةِ مَن قرَأ : ﴿ وَٰعَدْنَا ﴾ بالاختيارِ على قراءةِ مَن قرَأ : (وَعَدْنا) .

وقرَأه بعضُهم : (وَعَدْنا)[(٤)] . بمعْنى أن اللَّهَ تعالى ذكرُه الواعدُ موسى ، والمنفردُ بالوعدِ دونَه . وكان مِن حجتِهم فى اختيارِهم ذلك أن قالوا : إنما تكونُ المُواعَدةُ بينَ البشرِ ، فأما اللَّهُ جل ثناؤُه ، فإنه المنفردُ بالوعدِ والوَعيدِ فى كلِّ خيرٍ وشرٍّ . قالوا : وبذلك جاء التنزيلُ فى القرآنِ كلِّه ، فقال اللَّهُ جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وقال : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ [الأنفال : ٧] . قالوا : فكذلك الواجبُ أن يكونَ هو المنفردَ بالوعدِ فى قولِه : (وإذْ وَعَدْنا مُوسَى) .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ عندَنا فى ذلك (٥) مِن القولِ (٥) أنهما قِراءتان قد جاءَت بهما الأُمَّةُ ، وقرَأَت بهما القرأةُ ، وليس فى القراءةِ بإحداهما إبطالُ معنى الأُخرى ، وإن كان فى إحداهما زيادةُ معنًى على الأُخْرى مِن جهةِ الظاهرِ والتِّلاوةِ ؛ فأما مِن جهةِ المفهومِ بهما ، فإنهما متَّفِقتان ، وذلك أن مَن أخْبَر عن شخصٍ أنه وعَد غيرَه اللقاءَ بموضعٍ مِن المَواضعِ ، فمَعْلُومٌ أن الموعودَ ذلك واعدٌ صاحبَه مِن لقائِه بذلك المكانِ مثلَ الذى وعَده مِن ذلك صاحبُه ، (٦) إذا كان راضيًا مُجيبًا صاحبَه إلى ما وعده مثلَ الذى وعده من ذلك صاحبُه (٦) ، إذا كان وعدُه إياه ذلك عن اتفاقٍ منهما عليه . ومعلومٌ أن موسى صلواتُ اللَّهِ عليه لم يَعِدْه ربُّه الطورَ إلا عن رِضا موسى بذلك ؛ إذ

---

(١) فى م : « إيعاد » .
(٢) فى ص : « و » .
(٣) بعده فى م : « أنه » .
(٤) وهى قراءة أبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٥٤ .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦ - ٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

كان موسى غيرَ مَشْكوكٍ فيه ، أنه كان بكلِّ ما أمَرَه اللّهُ به راضيًا ، وإلى محبتِه فيه مُسارِعًا ، ومعقولٌ أن اللّهَ تعالى لم يَعِدْ موسى ذلك إلا وموسى عليه السلامُ له[(١)] مُستَجيبٌ ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن اللهَ تعالى ذكرُه كان قد وعَد موسى الطورَ ، ووعَده موسى اللقاءَ ، فكان اللهُ عز ذكرُه لموسى واعدًا مُواعِدًا له المُناجاةَ على الطُّورِ ، وكان موسى واعدًا لربِّه مُواعِدًا له اللقاءَ ، فبأىِّ القراءتَيْن مِن : « وعَد » وواعَد » قرَأ القارئُ، فهو للحقِّ[(٢)] فى ذلك - مِن جهةِ التأويلِ واللغةِ - مُصِيبٌ ؛ لما وصَفْنا مِن العِلَلِ قبلُ .

ولا معنى لقولِ [٩١/٢ و] القائلِ : إنما تكونُ المُواعَدةُ بينَ البشرِ ، وإن اللّهَ تبارك وتعالى بالوعدِ والوَعيدِ مُنْفَرِدٌ فى كلِّ خيرٍ وشرٍّ . وذلك أن انفرادَ اللّهِ بالوعدِ والوَعيدِ فى الثوابِ والعِقابِ ، والخيرِ والشرِّ ، والنفعِ والضَّرِّ ، الذى هو بيدِه ، وإليه دونَ سائرِ خلقِه - لا يُحِيلُ الكلامَ الجارىَ بينَ الناسِ فى استعمالِهم إياه عن وُجوهِه ، ولا يُغَيِّرُه عن مَعانيه . والجارى بينَ الناسِ مِن الكلامِ المفهومِ ما وصَفْنا ، مِن أنّ كلَّ اتِّعادٍ[(٣)] كان بينَ اثنين ، فهو / وعدٌ مِن كُلِّ واحدٍ منهما ، ومُواعَدةٌ بينَهما ، وأن كلَّ واحدٍ منهما ٢٨٠/١
واعِدٌ صاحبَه مُواعِدُه[(٤)] ، وأن الوعدَ الذى يكونُ به الانفرادُ مِن الواعِدِ دونَ الموعودِ ، إنما هو ما كان بمعنى الوعدِ الذى هو خلافُ الوَعيدِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ مُوسَىٰ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وموسى - فيما بلَغَنا - كلِمتان بالقِبْطيةِ ، يُعْنَى بهما : ماءٌ وشجرٌ . فـ « مو » : هو الماءُ ، و « سا » : هو الشجرُ . وإنما سُمِّى بذلك - فيما

(١) فى ر : « له إليه » ، وفى م : « إليه » .

(٢) فى م : « الحق » .

(٣) فى م : « إيعاد » .

(٤) فى ص ، ر ، م : « مواعد » .

بلَغَنا - لأن أمَّه لما جعَلَتْه فى التابوتِ - حينَ خافَت عليه مِن فرعونَ - وألْقَتْه فى اليمِّ ، كما أوْحَى اللَّهُ إليها ، وقيل : إن اليَمَّ الذى ألْقَتْه فيه هو النّيلُ ؛ دفَعَتْه أمواجُ اليمِّ حتى أدْخلَته بينَ أشجارٍ عندَ بيتِ فرعونَ ، فخرَج جَوارِى آسِيةَ امرأةِ فرعونَ يَغْتَسِلْنَ ، فوجَدْن التابوتَ ، فأخَذْنَه ، فسُمِّى (١) باسمِ المكانِ (١) الذى أُصِيب فيه ، وكان ذلك بمكانٍ[٢] فيه ماءٌ وشجرٌ ، فقيل : « موسى » ، ماءٌ وشجرٌ .

كذلك **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ[٣] .

قال أبو جعفرٍ : وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ يصهرَ[٤] بنِ قاهثَ[٥] بنِ لَاوِى بنِ يعقوبَ إسرائيلِ اللَّهِ بنِ إسحاقَ ذبيحِ اللَّهِ[٦] بنِ إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ ، فيما زعَم ابنُ إسحاقَ ، **حدَّثنى** بذلك ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ عنه[٧] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ومعنى ذلك : وإذْ واعَدْنا مُوسى أرْبَعينَ لَيْلَةً بتمامِها . فالأربعون الليلةِ[٨] كلُّها داخلةٌ فى الميعادِ .

[٩١/٢ظ] وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أن معناه : وإذ[٩] واعَدْنا موسى

(١ - ١) فى ر : « بالمكان » .
(٢) فى م : « المكان » .
(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٩٠/١ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده . وفيه أن الشجر : شا - بالشين المعجمة . وتقدم أوله فى ص ٦٤٩.
(٤) فى الأصل : « يسهر » .
(٥) فى ر : « فاهث » .
(٦) سيأتى تعليقنا فى تفسير سورة الصافات أن الصحيح فى الذبيح أنه إسماعيل عليه السلام .
(٧) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٨٥/١ .
(٨) فى م : « ليلة » .
(٩) فى م : « إذا » .

انْقِضاءَ أربعين ليلةً ، أى رأسَ الأربعين . ومثَّل ذلك بقولِه : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] . وبقولِهم : اليومَ أربعون منذُ خرَج فلانٌ ، واليومَ يومان . أى اليومُ تمامُ يومين وتمامُ أربعين .

قال أبو جعفرٍ : وذلك خلافُ ما جاءَت به الروايةُ عن أهلِ التأويلِ ، وخلافُ ظاهرِ التِّلاوةِ . فأما ظاهرُ التلاوةِ ، فإن اللهَ جل وعز قد أخْبرَ أنه واعَد موسى أربعين ليلةً ، فليس لأحدٍ إحالةُ ظاهرِ خبرِه إلى باطنٍ بغيرِ بُرْهانٍ دالٍّ على صحتهِ .

وأما أهلُ التأويلِ ، فإنهم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكرُه ، وهو ما **حدَّثنى** به المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ قولَه : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ . قال : يعنى ذا القَعْدةِ وعشرًا مِن ذى الحِجَّةِ ، وذلك حينَ خلَّف موسى أصحابَه ، واسْتَخْلَف عليهم هارونَ ، فمكَث على الطُّورِ أربعين ليلةً ، وأُنْزِل عليه التوراةُ فى الألواحِ - وكانت الألواحُ مِن بَرَدٍ(١) - فقرَّبه الربُّ(٢) نَجِيًّا وكلَّمه ، وسمِع صَرِيفَ(٣) القلمِ ، وبلَغَنا أنه لم يُحْدِثْ حَدَثًا فى الأربعين ليلةً حتى هبَط مِن الطُّورِ(٤) .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنحوِه .

---

(١) فى م : « زبرجد » .

(٢) بعده فى م : « إليه » .

(٣) فى ر : « صرير » . وهما بمعنى .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٧/١ (٥١١) من طريق آدم به ، دون قوله : وكانت الألواح من برد . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا ١٥٦٣/٥ (٨٩٥٩) . وفيه : من بردى .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : وعَد اللَّهُ موسى - حينَ أهلَك فرعونَ وقومَه ، ونجَّاه وقومَه - ثلاثين ليلةً ، ثم أتمَّها بعشرٍ ، فتمَّ ميقاتُ ربِّه أربعين ليلةً ، يَلْقاه[1] فيها بما[2] شاء ، واستَخْلَف موسى هارونَ على بنى
٢٨١/١ إسرائيلَ ، وقال : إنى مُتَعَجِّلٌ إلى ربى ، فاخْلُفْنى فى قومى ، ولا تَتَّبِعْ / سبيلَ المفسدين . فخرَج موسى إلى ربِّه مُتَعَجِّلًا للقائِه شوقًا إليه ، وأقام هارونُ فى بنى إسرائيلَ ومعه السامريُّ ، يَسِيرُ بهم على أَثَرِ موسى ليُلْحِقَهم به[3] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : انْطَلَق موسى واستَخْلَف هارونَ على بنى إسرائيلَ ، وواعَدَهم ثلاثين ليلةً ، وأَتَمَّها اللَّهُ بعشرٍ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ : ثم اتَّخَذْتُم فى أيامِ مُواعَدَتى موسى العجلَ إلهًا مِن بعدِ أن فارَقَكم موسى مُتَوَجِّهًا إلىَّ للمَوْعِدِ . والهاءُ فى قولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ عائدةٌ على ذكرِ موسى .

[٩٢/٢و] فأخْبَر جلَّ ثناؤُه المُخالِفِين نبيَّنا محمدًا ﷺ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ المُكَذِّبين به ، المخاطَبين بهذه الآيةِ عن فِعلِ آبائِهم وأسلافِهم ، وتَكْذيبِهم رُسُلَهم ، وخلافِهم أنبياءَهم ، مع تَتابُعِ نِعَمِه عليهم ، وسُبوغِ[5] آلائِه لديهم ، مُعَرِّفَهم بذلك

---

(١) فى م : « تلقاه ربه » .

(٢) فى ص : « ما » .

(٣) ينظر تاريخ الطبرى ١/ ٤٢١ ، ٤٢٥ . وما سيأتى فى ص ٦٧١ .

(٤) سيأتى بتمامه فى ص ٦٧٠ ، ٦٧١ .

(٥) فى ص ، ت ٣: « شيوع » ، وفى ت ١، ت ٢: « وبسيوغ » .

أنهم - من (١) خلافِهم محمدًا (١) ﷺ ، وتَكذيبِهم به (٢) ، وجُحودِهم رسالتَه ، مع علمِهم بصدقِه - على مثلِ مِنْهاجِ آبائِهم وأسْلافِهم ، ومُحَذِّرَهم مِن نزولِ سَطْوتِه بهم - بمُقامِهم على ذلك مِن تكذيبِهم - ما نزَل بأوائِلهم المُكَذِّبينَ بالرسلِ مِن المَسْخِ واللَّعْنِ وأنواعِ النَّقِماتِ .

وكان سببَ اتخاذِهم العجلَ ما حدَّثني به عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيينةَ ، قال : حدَّثنا أبو سعدٍ (٣) ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما هجَم فرعونُ على البحرِ هو وأصحابُه ، وكان فرعونُ على فَرَسٍ أدْهَمَ ذَنُوبٍ حِصانٍ ، فلما هجَم على البحرِ هاب الحِصانُ أن يَتقحَّمَ (٤) في البحرِ ، فتَمَثَّل له جبريلُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ ، فلما رآها (٥) حصانُ فرعونَ (٥) تقحَّم خلفَها . قال : وعرَف السامريُّ جبريلَ ؛ لأن أمَّه حينَ خافَت أن يُذْبَحَ خلَّفَتْه في غارٍ وأطْبقَت عليه ، فكان جبريلُ يَأْتِيه فيَغْذُوه بأصابعِه ، فيَجِدُ في إحْدى (٦) أصابعِه لبنًا ، وفي الأُخْرى عسلًا ، وفي الأخرى سمنًا ، فلم يَزَلْ يَغْذُوه حتى نَشَأ ، فلما عايَنه في البحرِ عرَفه ، فقبَض قَبْضةً مِن أثرِ فرَسِه . قال : أخَذ مِن تحتِ الحافرِ قبضةً - قال سفيانُ : وكان ابنُ مسعودٍ يَقْرَؤُها : (فقَبضْتُ قَبْضَةً مِن أَثَرِ فرسِ الرسولِ) - قال أبو سعدٍ : قال عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ : وأُلْقِي في رُوعِ (٧) السامريِّ أنك لا تُلْقِيها على

(١ - ١) في ص : « خلاف محمد » .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سعيد » . وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧ .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يقتحم » .

(٥ - ٥) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحصان » .

(٦) سقط من : ص ، وفي ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعض » .

(٧) الروع ، بالضم : القلب والعقل ، ووقع ذلك في روعي . أي : في نفسي وخلَدي وبالي . اللسان (ر و ع) .

شيءٍ فتقولُ : كُنْ كذا وكذا . إلا كان[1] ، فلم تَزَلِ القَبْضةُ معه فى يدِه حتى جاوَز البحرَ ، فلما جاوَز موسى وبنو إسرائيلَ البحرَ ، وأغْرَق اللَّهُ آلَ فرعونَ قال موسى لأخيه هارونَ : ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢] . ومضَى موسى لموعدِ ربِّه ، قال : وكان مع بنى إسرائيلَ حَلْىٌ مِن حَلْيِ آلِ فرعونَ قد تعَوَّرُوه[2] ، فكأنهم تَأَثَّمُوا منه ، فأخْرَجوه لتنْزِلَ النارُ فتأْكُلَه ، فلما جمَعوه ، قال السامريُّ بالقبضةِ التى كانت فى يدِه هكذا ، فقذَفها فيه - وأوْمَأ أبو[3] إسْـحاقَ بيدِه هكذا - وقال : كُنْ عِجْلًا جسدًا له خُوارٌ . فصار عجلًا جسدًا له خُوارٌ ، فكان تَدْخُلُ الريحُ فى دُبُرِه وتَخْرُجُ مِن فيه ، ويُسْمَعُ له صوتٌ ، فقال : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٨٨] . فعكَفوا على العجلِ يَعْبُدُونه ، فقال هارونُ : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ [٩٢/٢ظ] فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[4] [طه : ٩٠، ٩١] .

٢٨٢/١ / حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : لما أمَر اللَّهُ موسى أن يَخْرُجَ ببنى إسرائيلَ - يعنى مِن أرضِ مصرَ - أمَر موسى بنى إسرائيلَ أن يَخْرُجوا ، وأمَرهم أن يَسْتَعِيروا الحَلْىَ مِن القِبْطِ ، فلما نجَّى اللَّهُ موسى ومَن معه مِن بنى إسرائيلَ مِن البحرِ ، وغرَّق آلَ فرعونَ ، أتَى جبريلُ إلى موسى يَذْهَبُ به إلى اللَّهِ ، فأقْبَل على فرسٍ ، فرآه السامريُّ فأنْكَره ، ويقالُ[5] : إنه فرَسُ الحياةِ . فقال حينَ رآه : إن لهذا لشأنًا . فأخَذ مِن تربةِ الحافرِ حافرِ الفرسِ ، فانطَلَق موسى واسْتَخْلَف هارونَ

(١) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يكون » .

(٢) تعوّر الشيءَ : استعاره . اللسان (ع و ر) .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ابن » . وأبو إسحاق هو إبراهيم بن بشار .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥٨ - ٦٦٠ .

(٥) فى ص ، م : « قال » .

على بنى إسرائيلَ ، وواعَدهم ثلاثين ليلةً ، وأتمَّها اللَّهُ بعشرٍ ، فقال لهم هارونُ : يا بنى إسرائيلَ : إن الغَنيمةَ لا تَحِلُّ لكم ، وإن حَلْىَ القِبْطِ إنما هو غَنيمةٌ ، فاجْمَعوها [(١] جميعًا ، واحْفِروا [١)] لها حُفْرةً [(٢)] فادْفِنوها ، فإن جاء موسى فأحَلَّها أخَذْتُموها ، وإلا كان شيئًا لم تأْكُلوه . فجمَعوا ذلك الحلْىَ فى تلك الحُفْرةِ ، وجاء السامرىُّ بتلك القَبْضةِ فقذَفها ، فأخْرَج اللَّهُ مِن الحَلْىِ عِجْلًا جسدًا له خُوارٌ ، وعدَّت بنو إسرائيلَ موعِدَ موسى ، فعدُّوا الليلةَ يومًا واليومَ يومًا ، فلما كان تمامُ العشرين ، خرَج لهم العِجْلُ ، فلما رأَوه قال لهم السامرىُّ : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ . يقولُ : ترَك موسى إلهَه هٰهنا وذهَب يَطْلُبُه . فعكَفوا عليه يَعْبُدونه ، وكان يَخُورُ ويَمْشِى ، فقال لهم هارونُ : يا بنى إسرائيلَ ﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ . يقولُ : إنما ابْتُليتُم به . يقولُ [(٣)] : بالعِجْلِ ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ . فأقام هارونُ ومَن معه مِن بنى إسرائيلَ لا يُقاتِلونهم ، وانْطَلَق موسى إلى إلهِه يُكَلِّمُه ، فلما كلَّمه قال له : ﴿ مَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه : ٨٣- ٨٥] . فأخْبَرَه خبرَهم ، قال موسى : يا ربِّ ، هذا السامرىُّ أمَرَهم أن يَتَّخِذوا العِجْلَ ، أرأيْتَ الرُّوحَ مَن نفَخها فيه ؟ قال الربُّ : أنا . قال : ربِّ ، أنت إذن أضْلَلْتَهم [(٤)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : كان فيما ذُكِر لى

(١ - ١) فى ص : « جميعها فاحفروا » .

(٢) فى الأصل : « حفيرة » .

(٣) فى ر : « أى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٦٨/٨ (١٥٦٥٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به ، بأوله . وأخرجه المصنف فى تاريخه ٤٢١/١ ، ٤٢٢ عن موسى بن هارون به ، عن السدى بإسناده . وتقدم أوله فى ص ٦٤٩.

أن موسى قال لبنى إسرائيلَ فيما أمَره اللَّهُ عز وجل به : اسْتَعِيروا منهم - يعنى مِن آلِ فرعونَ - الأمتعةَ والحَلْىَ والثِّيابَ ، فإنى مُنَفِّلُكم أموالَهم مع هَلاكِهم . فلما أذَّن فرعونُ فى الناسِ ، كان مما يُحَرِّضُ به على بنى إسرائيلَ أن قال حينَ (١) ساروا : لم يَرْضَوْا أن خرَجوا (١) بأنفسِهم حتى ذهَبوا بأموالِكم معهم (٢) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن حكيمِ بنِ جُبيْرٍ ، عن سعيدِ [٩٣/٢و] بنِ جُبيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان السامرىُّ رجلًا مِن أهلِ باجَرْمَا (٣) ، وكان مِن قومٍ يَعْبُدون البقرَ ، وكان حُبُّ عبادةِ البقرِ فى نفسِه ، وكان قد أظْهَر الإسلامَ فى بنى إسرائيلَ ، فلما فصَل (٤) هارونُ فى بنى إسرائيلَ وفصَل موسى إلى ربِّه ، قال لهم هارونُ : أنتم قد حُمِّلْتُم أوْزارًا مِن زينةِ القومِ - آلِ فرعونَ - وأمتعةً وحَلْيًا ، فتَطهَّروا منها ، فإنها نَجَسٌ . وأوْقَد لهم نارًا فقال : اقْذِفوا ما كان معكم مِن ذلك فيها . قالوا : نعم . فجعَلوا يأْتُون بما كان فيهم (٥) مِن تلك الأمتعةِ وذلك الحَلْيِ فيَقْذِفون به فيها ، حتى إذا تكَسَّر الحَلْىُ فيها ، ورأى السامرىُّ أثرَ فرسِ جبريلَ ، فأخَذ ترابًا مِن أثرِ حافرِه ، ثم أقْبَل إلى النارِ (٦) ، فقال لهارونَ : يا نبىَّ اللَّهِ ، أُلْقِى ما فى يدى ؟ قال : نعم . ولا يَظُنُّ هارونُ إلا أنه كبعضِ ما جاء به غيرُه مِن ذلك الحلْيِ والأمتعةِ ، فقذَفه / فيها وقال : كنْ عِجْلًا جسدًا له خُوَارٌ . فكان للبلاءِ ٢٨٣/١

(١ - ١) فى م : « سار ولم يرضوا أن يخرجوا » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤١٩.

(٣) باجرما ؛ بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . معجم البلدان ١/ ٤٥٤.

(٤) فى م : « فضل » . وفصل فلان من عندى فصولا : إذا خرج . اللسان (ف ص ل) .

(٥) فى ر ، م : « معهم » .

(٦) فى تاريخ المصنف : « الحفرة » .

والفتنةِ، فقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾. فعكَفوا عليه، وأحبُّوه حبًّا لم يُحِبُّوا مثلَه شيئًا قطُّ، يقولُ اللَّهُ جلَّ ذكرُه: ﴿فَنَسِىَ﴾. أى ترَك ما كان عليه مِن الإسلامِ - يعنى السامرىَّ - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]. قال[(١)]: وكان اسمُ السامرىِّ موسى بنَ ظَفَرَ، وقَع فى أرضِ مصرَ فدخَل فى بنى إسرائيلَ، فلما رأى هارونُ ما وقَعوا فيه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾. فأقام هارونُ فى مَن معه مِن المسلمين ممَّن لم يُفْتَتَنْ، وأقام مَن يَعْبُدُ العِجْلَ على عبادةِ العِجْلِ، وتخوَّف هارونُ إن سار بمَن معه مِن المسلمين أن يقولَ له موسى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤]. وكان له هائبًا مُطِيعًا[(٢)].

حدَّثنى يونسُ، قال: أخبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ: لما أنْجَى اللَّهُ عز وجل بنى إسرائيلَ مِن فرعونَ، وأغْرَق فرعونَ ومَن معه، قال موسى لأخيه هارونَ: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. قال: لما خرَج موسى وأمَر هارونَ [(٣)]ما أمَرَه[(٣)]، وخرَج موسى مُتَعَجِّلًا مَسْرورًا إلى اللَّهِ، قد عرَف موسى أن المرءَ إذا أنجَح[(٤)] فى حاجةِ سيدِه كان يَسُرُّه أن يَتَعَجَّلَ إليه. قال: وكان حينَ خرَجوا اسْتَعاروا حَلْيًا وثيابًا مِن آلِ فرعونَ، فقال لهم هارونُ: إن هذه الثيابَ والحَلْىَ لا تَحِلُّ لكم، فاجْمَعوا نارًا فألْقُوه فيها فأحْرِقوه. قال: فجمَعوا نارًا.

---

(١) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٣ - ٣) فى ص: «بما أمره»، وفى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بما أمره به».

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «نجح». يقال: نجح فلان، وأنجح: إذا أصاب طلبته. النهاية ٥/ ١٨.

قال : فكان السامريُّ قد نظَر إلى أثرِ دابَّةِ جبريلَ ، وكان جبريلُ على فرسٍ أنثى ، وكان السامريُّ فى قومِ موسى . قال : فنظَر إلى أثرِه فقبَض منه قبضةً ، فيبِسَت عليها يدُه ، فلما ألْقَى قومُ موسى الحَلْىَ فى النارِ ، وألْقَى السامريُّ معهم القَبْضةَ ، صوَّر اللَّهُ جلَّ وعزَّ [٩٣/٢ ظ] ذلك لهم عِجْلًا ذهبًا ، فدخَلَتْه الريحُ ، فكان له خُوارٌ ، فقالوا : ما هذا؟ فقال السامريُّ الخبيثُ : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ . الآية إلى قولِه : ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٨٨- ٩١] . قال : حتى إذا أتَى موسى الموعدَ قال اللَّهُ : ﴿ مَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ . فقرأ حتى بلَغ : ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ [طه : ٨٤- ٨٦] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ . قال : العِجْلُ حَسِيلُ[(١)] البقرةِ . قال : حَلْىٌ اسْتَعارُوه مِن آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونُ : أخْرِجوه فتطَهَّروا منه وأحْرِقوه . وكان السامريُّ[(٢)] أخَذ قَبْضةً مِن أثرِ فرسِ جبريلَ ، فطرَحه فيه فانْسَبَك ، وكان له كالجوفِ تَهْوِى فيه الرياحُ .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : إنما سُمِّى العِجْلَ ؛ لأنهم عَجِلوا فاتَّخذوه قبلَ أن يأْتِيَهم موسى[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهلىُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى

(١) الحسيل : ولد البقرة الأهلية ، وعم به بعضهم فقال : هو ولد البقرة . اللسان (ح س ل) .

(٢) بعده فى م : « قد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٨/١ (٥١٢) من طريق آدم به .

عيسى ، / (١) وحدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبْلٌ ، ٢٨٤/١
جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ : حسيلُ البقرةِ . قال : حَلْىٌ استعارُوه من آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونُ : أخرِجوه فتطهَّروا منه وأحْرِقُوه . وكان السامِرىُّ أخَذ قبْضةً من أثرِ فرسِ جبريلَ فطرَحه فيه فانْسَبَك ، وكان له كالجوفِ تَهْوِى فيه الرياحُ (١) .

وتأويلُ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ . يعنى : وأنتم واضعو العبادةِ فى غيرِ موضعِها ؛ لأن العبادةَ لا تَنْبَغِى إلا للَّهِ تعالى ذكرُه ، وعبَدْتُم أنتم العجلَ ظلمًا منكم ، ووضعًا للعبادةِ فى غيرِ موضعِها .

وقد دلَّلْنا فى غيرِ هذا الموضعِ مما مضَى مِن كتابِنا ، أن أصْلَ كلِّ ظُلمٍ وضْعُ الشىءِ فى غيرِ مَوْضعِه ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ (٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ . يقولُ (٣) : ثم ترَكْنا مُعاجَلتَكم بالعقوبةِ مِن بعدِ ذلك . أى : مِن بعدِ اتخاذِكم العجلَ إلهًا .

كما **حدَّثنى** به المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا [٩٤/٢و] آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال :

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحو حديث القاسم ، عن الحسن ، حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه » . وقوله : « الحسن » . صوابه : الحسين ، كما تقدم .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٨/١ ، ١٠٩ ، ١١٠٤/٤ (٥١٣ ، ٥٢٤ ، ٦١٩٦) مفرقا من طريق ورقاء ، عن ابن أبى نجيح إلى قوله : فتطهروا منه .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٥٩ .

(٣) سقط من : ص ، م .

حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ . يعني : مِن بعدِ ما اتَّخَذْتُم العجلَ[(١)] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . فإنه يعني به : لتَشْكُروا . ومعنى : « لعل » في هذا الموضعِ معنى « كي »[(٢)] . وقد بيَّنْتُ فيما مضَى قبلُ أن أحدَ معاني « لعل » معنى « كي » بما فيه الكفايةُ عن إعادتِه في هذا الموضعِ[(٣)] .

فمعنى الكلامِ إذن : ثم عَفَونا عنكم مِن بعدِ اتخاذِكم العجلَ إلهًا [(٤)]لتَشْكُروا لي[(٤)] على عَفْوى عنكم ، إذ كان العفوُ يُوجِبُ الشكرَ على أهلِ اللُّبِّ والعقلِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعني بقولِه : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : واذْكُروا أيضًا إذ آتَيْنا موسى الكتابَ والفُرقانَ . ويعني بالكتابِ التوراةَ ، وبالفُرقانِ الفصلَ بينَ الحقِّ والباطلِ .

كما حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ . قال : فرَق فيه[(٥)] بينَ الحقِّ والباطلِ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٠٨ (٥١٥) من طريق آدم به .

(٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٣٨٧ .

(٤ - ٤) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لتشكروني » .

(٥) في ص : « الله فيه » ، وفي م : « به » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٠٩ (٥٢١) من طريق آدم به .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . قال : الكتابُ هو الفُرقانُ ، فُرقانٌ بينَ الحقِّ والباطلِ[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريْجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . قال : الكتابُ هو الفُرقانُ ، فرَق بينَ الحقِّ والباطلِ .

٢٨٥/١ / **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجاجٌ ، عن ابنِ جُريْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الفُرْقانُ جِماعُ اسمِ التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ والفُرقانِ[(٢)] .

وقال ابنُ زيدٍ فى ذلك بما **حدَّثنى** به يونسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألْتُه - يعنى ابنَ زيدٍ - عن قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . فقال : أما « الفُرْقانُ » الذى قال اللَّهُ جلَّ وعزَّ : ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال : ٤١] . فذلك يومُ بدرٍ ، يومَ فرَق اللَّهُ بينَ الحقِّ [٩٤/٢ظ] والباطلِ ، والقضاءُ الذى فرَق به بينَ الحقِّ والباطلِ . قال : فكذلك أعْطَى اللَّهُ موسى الفُرقانَ ، فرَق اللَّهُ بينَهم ، وسلَّمه اللَّهُ وأنجاه ، فرَق بينَهم بالنصرِ ، فكما جعَل اللَّهُ ذلك بينَ محمدٍ و[(٣)] المشركين ، فكذلك جعَله بينَ موسى وفرعونَ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) فى ص : « وبين » .

قال أبو جعفرٍ : وأولى [(١] هذين التأويلَيْن [١)] بتأويلِ الآيةِ ما رُوِى عن ابنِ عباسٍ وأبى العاليةِ ومُجاهدٍ ، مِن أن الفرقانَ الذى ذكَر اللَّهُ أنه آتاه موسى فى هذا الموضعِ هو الكتابُ الذى فرَق به [(٢)] بينَ الحقِّ والباطلِ ، وهو نعتٌ للتوراةِ وصفةٌ لها . فيكونُ تأويلُ الآيةِ حينئذٍ : وإذ آتينا موسى التوراةَ التى كتَبْناها [(٣)] له فى الألواحِ ، وفرَقْنا بها بينَ الحقِّ والباطلِ . فيكونُ الكتابُ نعتًا للتوراةِ أُقِيم مُقامَها اسْتِغْناءً به عن ذكرِ التوراةِ ، ثم عطَف عليه الفُرقانَ ، إذ [(٤)] كان مِن نعتِها . وقد بيَّنَّا معنى الكتابِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، وأنه بمعنى المكتوبِ [(٥)] .

وإنما قلْنا : هذا التأويلُ أولى بالآيةِ - وإن كان مُحْتَمِلًا غيرُه مِن التأويلِ - لأن الذى قبلَه من [(٦)] ذِكْرِ الكتابِ ، وأن معنى الفرقانِ الفَصْلُ - وقد دلَّلْنا على ذلك فيما مضَى مِن كتابِنا هذا - فإلحاقُه ، إذ كان كذلك ، بصفةِ ما وِليه أولَى مِن إلحاقِه بصفةِ ما بَعُد منه .

وأما تأويلُ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . فنظيرُ قولِه تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . ومعناه : لِتَهْتَدوا . فكأنه قال تعالى : واذْكُروا أيضًا إذ آتَيْنا موسى التوراةَ التى تَفْرُقُ بينَ الحقِّ والباطلِ ، لتَهْتَدوا بها وتَتَّبِعوا الحقَّ الذى فيها ؛ لأنى جعَلْتُها كذلك هُدًى لمن اهْتَدَى بها واتَّبع ما فيها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ

(١ - ١) فى ص : « هذه التأويلات » .
(٢) فى ص : « فيه » .
(٣) فى ر : « اكتتبناها » .
(٤) بعده فى ر : « الفرقان » .
(٥) ينظر ما تقدم فى ص ٩٥.
(٦) سقط من : م .

أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

وتأويلُ ذلك : واذْكُروا أيضًا إذ قال موسى لقومِه مِن بنى إسرائيلَ : يا قومِ إنكم ظلَمْتُم أنفسَكم . وظلمُهم إياها كان فعلَهم بها ما لم يكنْ لهم أن يَفْعَلوه بها ، مما أوْجَب لهم العقوبةَ مِن اللَّهِ تعالى ، وكذلك كلُّ فاعلٍ فعلًا يَسْتَوْجِبُ به العقوبةَ مِن اللَّهِ تعالى ، فهو ظالمٌ لنفسِه بإيجابِه العقوبةَ لها مِن اللَّهِ تعالى ، وكان الفعلُ الذى فعَلوه فظلَموا به أنفسَهم ، هو ما أخْبَر [٢/٥٩و] اللَّهُ عنهم مِن ارْتِدادِهم باتخاذِهم العجلَ ربًّا بعدَ فِراقِ موسى إياهم . ثم أمَرهم موسى بالمراجعةِ مِن ذنبِهم ، والإنابةِ إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ مِن رِدَّتِهم بالتوبةِ إليه ، والتسليمِ لطاعتِه فيما / أمَرهم به ، وأخْبَرَهم أن توبتَهم مِن الذنبِ الذى رَكِبوه قَتْلُهم أنفسَهم – وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى التوبةِ الأَوْبَةُ مما يَكْرَهُه اللَّهُ إلى ما يَرْضاه مِن طاعتِه[1] – فاسْتَجاب القومُ لما أمَرهم به موسى مِن التوبةِ مما رَكِبوا مِن ذنوبِهم إلى ربِّهم ، على ما أمَرهم به . ٢٨٦/١

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ المثنى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ابنُ الحجاجِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : عمَدوا إلى الخَناجرِ ، فجعَل يَطْعُنُ بعضُهم بعضًا .

حدَّثنى عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ محمدٍ ، قال ابنُ جُرَيْجٍ : أخْبَرَنى القاسمُ بن أبى بَزَّةَ ، أنه سمِع سعيدَ بنَ جُبيرٍ ومُجاهِدًا قالا : قام بعضُهم إلى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٥٨٧.

بعضٍ بالخَناجرِ يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، لا يَحِنُّ[(١)] رجلٌ على رجلٍ قريبٍ ولا بَعيدٍ ، حتى أَلْوَى[(٢)] موسى بثوبِه ، فطرَحوا ما بأيديهم ، فتكَشَّف عن سبعين ألفَ قَتيلٍ ، وإن اللَّهَ أوْحَى إلى موسى أنْ حَسْبِى فقد اكْتَفَيْتُ . فذلك حينَ أَلْوَى بثوبِه[(٣)] .

حدَّثنى عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، قال : قال أبو سعدٍ[(٤)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال موسى لقومِه : ﴿ تُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . قال : أمَر موسى قومَه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلوا أنفسَهم . قال : فاحْتَبَى[(٥)] الذين عكَفوا على العجلِ فجلَسوا ، وقام الذين لم يَعْكُفوا على العجلِ وأخَذوا الخَناجرَ بأيديهم ، وأصابَتهم ظلمةٌ شديدةٌ ، فجعَل يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، فانْجلَت الظلمةُ عنهم وقد أجْلَوْا عن سبعينَ ألفَ قتيلٍ ، كلُّ مَن قُتِل منهم كانت له توبةٌ ، وكلُّ مَن بَقِى[(٦)] كانت له توبةٌ[(٧)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ ، قال : لما رجَع موسى إلى قومِه قال : ﴿ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٦، ٨٧] . فألْقَى مُوسى

---

(١) فى ر : « يحزن » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : « يحنو » . وحن عليه : عطف . اللسان (ح ن ن) .

(٢) ألوى بثوبه : إذا لمع وأشار . اللسان (ل و ى) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٠ (٥٢٨) من طريق حجاج به .

(٤) فى م : « سعيد » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧ .

(٥) فى م : « فاختبأ » . والاحتباء : أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشده عليها ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب . النهاية ١/ ٣٣٥.

(٦) بعده فى ص : « منهم » .

(٧) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣١ عن المصنف . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧.

الألواحَ وأخَذ برأسِ أخيه يَجُرُّه إليه ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه : ٩٤] . فترَك هارونَ ومال إلى السامرىِّ ، فقال : ﴿ ما خَطْبُكَ يَسَٰمِرِىُّ ﴾ . إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه : ٩٥- ٩٧] . ثم أخَذه فذبَحه ، ثم حرَقه[١] بالمِبْرَدِ ، ثم ذَرَّاه فى اليَمِّ ، فلم يَبْقَ بحرٌ يَجْرِى يومَئذٍ إلا وقَع فيه شىءٌ منه ، ثم قال لهم موسى : اشْرَبوا منه . فشرِبوا ، فمَن كان يُحِبُّه [٩٥/٢ظ] خرَج على شاربِه[٢] الذهبُ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣] . فلما سُقِط فى أيدى بنى إسرائيلَ حينَ جاء موسى ، ورَأَوْا أنهم قدْ ضَلُّوا قالوا : ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] . فأبَى اللَّهُ أن يَقْبَلَ توبةَ بنى إسرائيلَ إلا بالحالِ التى كرِهوا أن يُقاتِلوهم حينَ عبَدوا العجلَ ، فقال لهم موسى : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : فصَفُّوا صفَّيْن ، ثم اجْتَلَدوا بالسيوفِ ، فاجْتَلَد الذين عبَدوه والذين لم يَعْبُدوه بالسيوفِ ، فكان مَن قُتِل مِن الفريقَيْن شهيدًا ، حتى كثُر القتلُ ، حتى كادوا أن يَهْلِكوا ، حتى قُتِل بينَهم سبعون ألفًا ، / وحتى دعا موسى وهارونُ : ربَّنا هلَكَتْ بنو ٢٨٧/١
إسرائيلَ ، ربَّنا البقيةَ البقيةَ . فأمَرهم أن يَضَعوا السلاحَ ، وتاب عليهم ، فكان مَن قُتِل شهيدًا ، ومَن بَقِى كان مُكَفَّرًا عنه ، فذلك قولُه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] .

---

(١) حرق الحديد بالمبرد : برده وحك بعضه ببعض . اللسان (ح ر ق) .

(٢) فى الأصل ، م : « شاربيه » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٣، ٤٢٤ عن موسى ، عن عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١١ (٥٣٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهلىُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . قال : كان موسى أمَرَ قومَه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا بالخَناجرِ ، فجعَل الرجلُ يَقْتُلُ أباه ويَقْتُلُ ولدَه ، فتاب اللَّهُ عليهم[1] .

[2]**وحدَّثنى** المُثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . قال : كان أمَرَ موسى قومَه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا ، ولا يَقْتُلَ الرجلُ أباه ولا أخاه ، فبلَغَ ذلك فى ساعةٍ من نهارٍ سبعين ألفًا[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم ﴾ الآية . قال : فصاروا صفَّيْن ، فجعَل يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، فبلَغ القَتْلَى ما شاء اللَّهُ ، ثم قيل لهم : قد تِيبَ على القاتلِ والمقتولِ .

حدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى الليثُ ، قال : حدَّثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : لما أُمِرَت بنو إسرائيلَ بقتلِ أنفسِها برَزُوا ومعهم موسى ، فاضْطَربُوا[3] بالسيوفِ ، وتَطاعَنوا بالخَناجرِ ، وموسى رافعٌ يديه ، حتى إذا فتَر ، أتاه بعضُهم فقالوا : يا نبىَّ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ لنا . وأخَذوا بعَضُدَيْه يَسنُدُون[4] يديه ، فلم يَزَلْ أمرُهم على ذلك حتى إذا قبِل اللَّهُ توبتَهم ، قبَض أيدىَ بعضِهم عن بعضٍ ،

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٢ ، وفيه : ففعلوا . بدل قوله : فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « فتضاربوا » .

(٤) فى م : « يشدون » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يسدون » .

فألْقَوُا السلاحَ ، وحزِن موسى [٩٦/٢و] وبنو إسرائيلَ للذى كان مِن القتلِ فيهم ، فأوْحَى اللَّهُ إلى موسى : ما[(١)] يَحْزُنُك ؟ أمّا مَن قُتِل منكم[(٢)] فحىٌّ عندى يُرْزَقُ[(٣)] ، وأمَّا مَن بقِى فقد قَبِلْتُ توبتَه . [(٤)]فبشَّر بذلك موسى بنى[(٤)] إسرائيلَ[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرىِّ وقتادةَ فى قولِه : ﴿ فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قالا[(٦)] : قاموا صفَّيْنِ يقتُلُ بعضُهم بعضًا ، حتى قيل لهم : كُفُّوا . قال قتادةُ : كانت شهادةً للمقتولِ ، وتوبةً للحىِّ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال لى عطاءٌ : سمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : قام بعضُهم إلى بعضٍ يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، ما يتوقَّى[(٧)] الرجلُ أباه ولا أخاه ولا ابنَه [(٨)] ولا[(٨)] أحدًا ، حتى نزَلَتِ التوبةُ . قال ابنُ جُريجٍ : وقال ابنُ عباسٍ : بلَغ قَتلاهم سبعين ألفًا ، ثم رفَع اللَّهُ عنهم القتلَ ، وتاب عليهم .

---

(١) فى م : « لا » .

(٢) فى الأصل : « منهم » . والمثبت موافق لما فى تفسير ابن كثير .

(٣) فى الأصل : « يرزقون » .

(٤ - ٤) فى م ، وتفسير ابن كثير : « فسر بذلك موسى وبنو » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣١/١ عن المصنف ، وقال : إسناد جيد . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٠ إلى المصنف وأحمد فى الزهد .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » .

(٧) فى الأصل : « يبدا » ، وفى ص : « تبرانا » .

ولعل ما فى الأصل وص تصحف من : « يترابأ » . كما أثبتها الشيخ شاكر ، ورابأت الشىء ورابأت فلانا : حذرته واتقيته . ورابأ الرجلَ : اتقاه . اللسان (ر ب أ) .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : قاموا صفَّيْن فاقْتَتلوا بينَهم ، فجعَل اللَّهُ القتلَ لـمَن قُتِل منهم شَهادةً ، وكانت توبةً لمن بقِى ، وكان قتلُ بعضِهم بعضًا أن اللَّهَ علِم أن ناسًا منهم علِموا أن العِجْلَ باطلٌ ، فلم يَمْنَعْهم أن يُنْكِروا عليهم إلا مخافةَ القتالِ ، فلذلك أُمِرُوا[(١)] أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما رجَع موسى إلى قومِه ، وأحْرَق العِجلَ وذَرَّاه فى اليَمِّ ، خرَج إلى ربِّه بمَن اخْتار مِن قومِه ، فأخَذَتْهم الصاعقةُ ثم بُعِثوا ، سأل موسى ربَّه التوبةَ لبنى إسرائيلَ مِن عبادةِ[(٢)] العجلِ ، فقال : لا ، إلا أن يَقْتُلوا أنفسَهم . قال : فبلَغَنى أنهم قالوا لموسى : نَصْبِرُ لأمرِ اللَّهِ . فأمَر موسى مَن لم يكنْ عبَد العجلَ أن يَقْتُلَ مَن
١/٢٨٨ عَبدَه ، فجلَسوا بالأفْنِيةِ ، وأصلَت[(٣)] عليهم القومُ / السيوفَ ، فجعَلوا يَقْتُلونهم ، وبكَى موسى وبَهَش[(٤)] إليه الصِّبْيانُ والنساءُ يَطْلُبون العفوَ عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمَر موسى أن [(٥)]يُرْفَعَ عنهم السيفُ[(٥)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما رجَع موسى إلى قومِه ، وكان[(٦)] سبعون رجلًا قد اعْتَزَلوا مع هارونَ العجلَ لم يَعْبُدوه ، فقال لهم

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: «أمر» .

(٢) بداية خرم فى النسخة (ص) وينتهى فى ص ٦٩١ .

(٣) فى م : «سلت» . وأصلت السيف : جرده من غمده . اللسان (ص ل ت) .

(٤) بهَشْتُ إلى الرجل وبهش إلىّ : تهيأتُ للبكاء وتهيأ له . اللسان (ب هـ ش) .

(٥ - ٥) فى م ، وتفسير ابن كثير : «ترفع عنهم السيوف» .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣١، ١٣٢ عن ابن إسحاق .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٧، ٤٢٨، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة بن يسار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٦) فى م ، ت ٣: «كانوا» .

موسى : انْطَلِقوا إلى موعدِ ربِّكم . فقالوا : يا موسى ، أمَا مِن توبةٍ ؟ قال : بلى[(١)] ، اقْتُلُوا أنفُسَكم ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية . فاخْتَرَطوا السيوفَ والجِرَزَةَ[(٢)] والخَناجرَ والسَّكاكِينَ ، قال : وبُعِثت عليهم ضَبابةٌ . قال : فجعَلوا يَتَلامَسون [٢/٩٧ظ] بالأيدى ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا . قال : ويَلْقَى الرجلُ أباه وأخاه فيَقْتُلُه ولا يَدْرِى ، قال : ويَتَنادَوْن فيها : رحِم اللَّهُ عبدًا صبَر حتى يَبْلُغَ اللَّهُ رضاه . وقرَأ قولَ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان : ٣٣] قال : فقَتْلاهم شُهداءُ ، وتِيب على أحيائِهم . وقرَأ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

فالذى ذكَرْنا - عمَّن روَيْنا عنه الأخبارَ التى روَيْناها - كان توبةَ القومِ مِن الذنبِ الذى أتَوْه فيما بينَهم وبينَ ربِّهم ، بعبادتِهم العجلَ ، مع ندمِهم على ما سلَف منهم مِن ذلك .

وأما معنى قولِه : ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ . فإنه يعنى : ارْجِعوا إلى طاعةِ خالقِكم وإلى ما يُرْضِيه عنكم .

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ . أى : إلى خالقِكم[(٣)] .

وهو مِن : برَأ اللَّهُ الخلقَ [(٤)]يَبْرَؤُهم بَرْءًا[(٤)] ، فهو بارِئُهم[(٥)] . والبَرِيَّةُ

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بل» .
(٢) الجرزة ، جمع الجُرْز : العمود من الحديد . اللسان (ج ر ز) .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٠ (٥٢٦) من طريق آدم به .
(٤ - ٤) فى م : «يبرؤه» .
(٥) فى م : «بارئ» .

الخلقُ ، وهى فَعِيلةٌ بمعنى مفعولةٍ ، غيرَ أنها لا تُهْمَزُ ، كما لا يُهْمَزُ « مَلَكٌ » ، وهو مِن « [١]لأْكٌ » ؛ لأنه[١] جرَى بتركِ الهمزِ كذلك . كما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[٢] :

إلا سُليمانَ إذ قال الإلهُ[٣] له قُمْ فى البَرِيَّةِ فاحْدُدْها[٤] عن الفَنَدِ[٥]

وقد قيل : إن البَرِيَّةَ إنما لم تُهْمَزْ لأنها فعيلةٌ مِن البَرَى ، والبَرَى الترابُ . فكأنَّ تأويلَه على قولِ مَن تأوَّله كذلك أنه مخلوقٌ مِن الترابِ .

وقال بعضُهم : إنما أُخِذَت البَرِيَّةُ مِن قولِك : بَرَيْتُ العودَ . فلذلك لم يُهْمَزْ .

قال أبو جعفرٍ : وتركُ الهمزِ مِن « بارِئِكم » جائزٌ ، والإبْدالُ منها جائزٌ . فإذ كان ذلك جائزًا فى « بارِئِكم » ، فغيرُ مُسْتَنْكَرٍ أن تكونَ البَرِيَّةُ مِن : بَرَى اللَّهُ الخلقَ . بتركِ الهمزةِ .

وأما قولُه : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : توبتُكم بقتلِكم أنفسَكم ، وطاعتُكم ربَّكم ، خيرٌ لكم عندَ بارِئِكم ؛ لأنكم تَنْجُون بذلك مِن عقابِه فى الآخرةِ على ذنبِكم ، وتَسْتَوْجِبون به الثوابَ منه .

وقولُه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ . [٦]يقولُ : فتاب اللَّهُ عليكم[٦] بما فعَلْتُم مما أمَرَكم به

(١ - ١) فى م : « لأك ، لكنه » .

(٢) ديوانه ص ١٣ .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المليك » .

(٤) حد الرجل عن الأمر يحده حدا : منعه وحبسه ، تقول : حددت فلانا عن الشر . أى منعته . اللسان (ح د د) . والبيت فيه .

(٥) الفَنَد : الخطأ فى القول والرأى . تاج العروس (ف ن د) .

(٦ - ٦) فى م : « أى » .

مِن قتْلِ بعضِكم بعضًا . وهذا مِن المحذوفِ الذى اسْتُغْنى بالظاهرِ منه عن المتروكِ ؛ لأن معنى الكلامِ : فتُوبوا إلى بارِئِكم فاقْتُلوا أنفسَكم ، ذلكم خيرٌ لكم عندَ بارِئِكم ، فتُبتم فتاب اللَّهُ عليكم . فترَك ذِكْرَ قولِه : فتبتُم . إذ كان فى قولِه : ﴿ فَنَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ . دَلالةٌ بينةٌ على اقْتِضاءِ الكلامِ : فتبتُم .

ويعنى بقولِه : ﴿ فَنَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ : رجَع لكم ربُّكم إلى ما أحْبَبْتُم مِن العفوِ عن ذنوبِكم وعظيمِ ما ركِبتُم ، والصفحِ عن جُرْمِكم ، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . يعنى : الراجعُ لمن أناب إليه بطاعتِه إلى ما يُحِبُّ مِن العفوِ عنه . ويعنى بـ ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ : العائدُ عليه[1] برحمتِه المُنْجيةِ مِن عقوبتِه .

[٩٨/٢و]/ **القولُ فى تأويلِ قولِه :** ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ ٢٨٩/١
جَهْرَةً ﴾ .

وتأويلُ ذلك : واذْكُروا أيضًا إذ قلْتُم : يا موسى لن نُصَدِّقَك ولن نُقِرَّ بما جئْتَنا به حتى نَرَى اللَّهَ[2] عِيانًا ، برفعِ الساترِ بينَنا وبينَه ، وكشفِ الغِطاءِ دونَنا ودونَه ، حتى نَنْظُرَ إليه بأبصارِنا . كما تُجْهَرُ الرَّكِيَّةُ[3] ، وذلك إذا كان ماؤُها قد غطَّاه الطِّينُ ، فنُقِّى[4] ما قد غطَّاه حتى ظهَر الماءُ وصفا . يقالُ منه[5] : جَهَرْتُ الرَّكِيَّةَ أَجْهَرُها جَهْرًا وجَهْرةً . ولذلك قيل : قد جاهَر[6] فلانٌ بهذا الأمرِ

---

(١) فى م : « إليه » .

(٢) بعده فى ر : « جهرة أى » ، وبعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جهرة » .

(٣) الرَّكِيَّة : البئر . اللسان (ر ك ى) .

(٤) غير منقوطة فى الأصل ، وفى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فنفى » ، والمثبت كما فى اللسان نقلا عن الأخفش ، ويحتمله ما فى الأصل . وينظر اللسان (ج هـ ر) .

(٥) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قد » .

(٦) فى م ، ت ١ : « جهر » .

مُجاهَرةً وجِهارًا. إذا أظْهَره لرأْيِ العينِ وأعلَنه، كما قال الفَرَزْدَقُ بنُ غالبٍ[(١)] :

مِن اللائى يَظَلُّ[(٢)] الألْفُ منه مُنِيخًا[(٣)] مِن مَخافتِه جِهارًا[(٤)]

وكما حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: حدَّثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ، قال: قال ابنُ عباسٍ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً﴾. قال: علانيةً[(٥)].

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ، قال: ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً﴾. قال[(٦)]: عِيانًا[(٧)].

وحدَّثنى يونُسُ، قال: أخْبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً﴾: حتى يَطْلُعَ إلينا[(٨)].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً﴾. أى: عِيانًا[(٩)].

---

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٤٤٣.

(٢) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «يضل».

(٣) فى م، ت ٢: «مسحا»، وفى ت ٣: «متيحا».

(٤) فى شرح الديوان: «نهارا». فلا شاهد فيه للمصنف.

والشاهد فى بيت آخر للفرزدق من نفس القصيدة هو قوله:

ولكن اللئام إذا هجونى غضبت فكان نصرتى الجهارا

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٢ عن ابن جريج به. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١١(٥٣٤) من طريق أبى الحويرث، عن ابن عباس، وأبو الحويرث صدوق سيئ الحفظ.

(٦) فى ر: «قال علانية»، وفى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «يقول».

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١١ عقب الأثر (٥٣٥) من طريق ابن أبى جعفر به.

(٨) سيأتى بتمامه فى ص ٦٩٦، ٢/٤٧.

(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١١ (٥٣٥) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة.

فذكَّرهم بذلك جلّ ذكرُه كثرةَ[1] اختلافِ آبائِهم ، وسُوءَ استقامةِ أسلافِهم لأنبيائِهم ، مع كثرةِ مُعاينتِهم مِن آياتِ اللَّهِ وعِبَرِه[2] ما تَثْلُجُ[3] بأقلِّها الصدورُ ، وتَطْمَئِنُّ بالتصديقِ معها النفوسُ ، وذلك مع تَتابُعِ الحُجَجِ عليهم ، وسُبوغِ النِّعَمِ مِن اللَّهِ لديهم ، وهم مع ذلك مرةً يَسْأَلون نبيَّهم أن يَجْعَلَ لهم إلهًا غيرَ اللَّهِ ، ومرَّةً يَعْبُدون العِجْلَ مِن دونِ اللَّهِ ، ومرةً يقولون : لن[4] نُصَدِّقَك حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرةً . وأخرى يقولون له إذا دُعُوا إلى القتالِ : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنا هلهنا قاعِدُون . ومرةً يُقالُ لهم : ﴿ قُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٨] . فيقولون : حِنْطةٌ فى شَعيرةٍ . ويَدْخُلون البابَ مِن قِبَلِ أَسْتاهِهِم ، مع غيرِ ذلك مِن أفعالِهم التى آذَوْا بها نبيَّهم عليه السلامُ التى يَكْثُرُ إحْصاؤُها .

فأعْلَمَ ربُّنا تبارك اسمُه وتعالى ذكرُه الذين خاطَبَهم بهذه الآياتِ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنهم لن يَعْدُوا أن يَكُونوا - فى تكذيبِهم محمدًا ﷺ ، وجُحودِهم نبوَّتَه ، / وتركِهم الإقرارَ ١/٢٩٠ [٢/٩٨ظ] به ، وبما جاء به ، مع علمِهم به ، ومعرفتِهم بحقيقةِ أمرِه - كأسْلافِهم وآبائِهم الذين [5]قصَّ اللَّهُ[5] عليهم قَصَصَهم فى ارْتِدادِهم عن دينِهم مرةً بعدَ أخرى ، وتَوَثُّبِهم على نبيِّهم موسى صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه تارةً بعدَ أخرى ، مع عظيمِ بَلاءِ اللَّهِ عندَهم ، وسُبوغِ آلائِه عليهم .

---

(١) سقط من : ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٢) فى الأصل ، ت ٣ : « غيره » .
(٣) ثَلِجت نفسى بالشىء ثَلَجا ، وثَلَجت ، تثلُج وتثلَج ثلوجا : اشتَفَتْ به واطمأنت إليه . اللسان (ث ل ج) .
(٤) فى ر ، م : « لا » .
(٥ - ٥) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٣ : « فصل » ، وفى ت ٢ : « فصل الله » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

قال أبو جعفرٍ: اختَلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ الصاعقةِ التى أخَذَتْهم؛ **فقال بعضُهم بما حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبَرَنا مَعْمَرٌ، عن قَتادةَ فى قولِه: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾. قال: ماتوا[(١)].

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ، قال: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ[(٢)] ٱلصَّٰعِقَةُ﴾. قال: سمِعوا صوتًا فصَعِقوا. يقولُ: ماتوا[(٣)].

وقال آخَرون بما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ الهَمْدانىُّ، قال: ثنا عمرُو بنُ حمادٍ، قال: ثنا أسْباطُ، عن السُّدِّىِّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: والصاعقةُ نارٌ[(٤)].

وقال آخَرون بما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، قال: أخذَتْهم الرَّجْفةُ، وهى الصاعقةُ، فماتوا جميعًا[(٥)].

وأصلُ الصاعقةِ كلُّ أمرٍ هائلٍ مَن[(٦)] رآه أو عايَنه أو أصابه، حتى يَصِيرَ مِن هَوْلِه

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٣٨) عن الحسن بن يحيى به.
(٢) فى الأصل، ر، ت ٣: «فأخذتهم».
(٣) فى ر، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فماتوا».
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٣٩) من طريق ابن أبى جعفر به.
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٤٠) من طريق عمرو به. وستأتى بقيته فى ص ٦٩٥.
(٥) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٦٨٤.
(٦) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

وعَظيمِ شأنِه إلى هلاكٍ وعطبٍ أو[(١)] إلى ذَهابِ عقلٍ وغُمورِ فَهمٍ أو فقدِ بعضِ آلاتِ الجسمِ ؛ صوتًا كان ذلك أو نارًا أو زَلْزَلَةً أو رَجْفًا . ومما يَدُلُّ على أنه قد يَكونُ مَصْعوقًا وهو حَيٌّ غيرُ ميتٍ ، قولُ اللَّهِ عزَّ وجل : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] . يعنى مَغْشِيًّا عليه . ومنه قولُ جَريرِ بنِ عَطِيَّةَ[(٢)] :

وهل كان الفَرَزْدَقُ غيرَ قِرْدٍ أصابَتْه الصَّواعِقُ فاسْتَدَارَا

فقد عُلِم أن موسى لم يكنْ حين غُشِى عليه وصَعِق ، ميِّتًا ؛ لأن اللَّهَ جلّ ثناؤه قد أخْبَر عنه أنه لمَّا أفاق قال : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ . ولا شَبَّه جَريرٌ الفَرَزْدقَ وهو حيٌّ بالقِرْدِ ميتًا ، ولكن معنى ذلك ما وصَفْنا .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ : وأنتم تَنْظُرون إلى الصاعقةِ[(٣)] التى أصابَتْكم . يقولُ : أخَذَتْكم الصاعقةُ عِيانًا[(٣)] جِهارًا وأنتم تَنْظُرون إليها[(٤)] .

[٩٩/٢و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .**

يعنى بقولِه : ﴿ بَعَثْنَاكُم ﴾ : أحْيَيْناكم .

وأصلُ البعثِ إثارةُ الشيءِ مِن مَحلِّه . ومنه قيل : بعَث فلانٌ راحلتَه . إذا أثارها مِن مَبْرَكِها لِتسيرَ[(٥)] ، كما قال الشاعرُ[(٦)] :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) ديوانه ٨٨٧/٢ .

(٣ - ٣) سقط من : ر .

(٤) إلى هنا ينتهى الخرم بالنسخة ص والمشار إلى بدايته فى ص ٦٨٤ .

(٥) فى ر ، م : « للسير » .

(٦) هو النابغة الذبيانى ، والبيت فى ديوانه ص ٢٥١ .

فأبْعَثُها وَهِيَ صَنِيعُ[١] حَوْلٍ كرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةً وَقاحَا

والرَّعْنُ : مُنْقَطِعُ أنفِ الجبلِ ، والذِّعْلِبَةُ : الخفيفةُ ، والوَقاحُ : الشديدةُ الحافرِ أو الخُفِّ . ومِن ذلك قيل : بعَثْتُ فلانًا لحاجتى . إذا أقَمْتَه مِن مكانِه الذى هو فيه للتَّوَجُّهِ فيها . ومنه قيل ليومِ القيامةِ : يومُ البعثِ ؛ لأنه يومٌ يُثارُ الناسُ فيه مِن قبورِهم لموقفِ الحسابِ .

٢٩١/١ / ويعنى بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾ : مِن بعدِ[٢] موتِكم بالصاعقةِ التى أهْلَكَتْكم .

وقولُه : ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ . يقولُ : فعَلْنا ذلك بكم لِتَشْكروني على ما أَوْلَيْتُكم مِن نعمتى عليكم[٣] ، بإحْيائى إياكم ، (٤)اسْتِيناءً منى لكم(٤) ؛ لِتُراجِعوا التوبةَ مِن عظيمِ ذنبِكم ، بعدَ إحلالى العقوبةَ بكم بالصاعقةِ التى أحْلَلْتُها بكم ، فأماتَتْكم بعظيمِ (٥)خطاياكم التى كانت(٥) منكم فيما بينَكم وبينَ ربِّكم .

وهذا القولُ على تأويلِ مَن تأوَّل قولَه : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم ﴾ : ثم أحْيَيْناكم .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم ﴾ . أى : بعَثْناكم أنبياءَ .

حدَّثنى بذلك موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ،

(١) صنيع حول : رعت وعلفت حولا حتى سمنت ؛ وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، اللسان (ص ن ع) .

(٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) سقط من : ر ، وفى م : « استبقاء منى لكم » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « استثناء منى لكم » . واستأنيتُ بفلان : لم أعجله ، ويقال : استأن فى أمرك . أى لا تعجل . اللسان (أ ن ى) .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت ٢: « خطئكم الذى كان » ، وفى ر : « خطاياكم الذى كان » .

عن السديِّ[(١)] .

وتأويلُ الكلامِ على ما تأوَّله السديُّ : فأخَذَتْكم الصاعقةُ ، ثم أحْيَيْناكم مِن بعدِ موتِكم ، وأنتم[(٢)] تَنْظُرون إلى إحيائِناكم[(٣)] مِن بعدِ موتِكم ، ثم بعَثْناكم أنبياءَ لعلكم تَشْكُرون .

وزعَم السُّديُّ أن ذلك مِن المُقَدَّمِ الذى معناه التأخيرُ ، والمُؤَخَّرِ الذى معناه التقديمُ .

حدَّثنا بذلك موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ .

وهذا تأويلٌ يَدُلُّ ظاهرُ التلاوةِ على خلافِه ، مع إجماعِ أهلِ التأويلِ على تخطئتِه ، فالواجبُ على تأويلِ السديِّ الذى حكَيْناه عنه أن يكونَ معنى قولِه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : تَشكرونى[(٤)] على تَصْيِيرى إياكم أنبياءَ .

وكان سببَ قيلِهم لموسى ما أخْبَر اللَّهُ عنهم أنهم قالوه له مِن قولِهم : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . ما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ[(٥)] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : لما رجَع [٢/ ٩٩ظ] موسى إلى قومِه ، ورأَى ما هم فيه مِن عبادةِ العِجْلِ ، وقال لأخيه وللسامريِّ ما قال ، وحرَّق العجلَ وذرَّاه فى البحرِ[(٦)] اخْتار موسى منهم سبعين رجلًا ؛ الخَيِّرَ فالخَيِّرَ ، وقال : انْطَلِقوا إلى اللَّهِ

(١) سيأتى بتمامه فى ص ٦٩٥ .
(٢) فى الأصل : « لعلكم » .
(٣) فى م : « إحيائنا إياكم » .
(٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى ر : « مسلمة » .
(٦) فى م ، ت ١، ت ٢ ، ت ٣ : « اليم » .

فتُوبوا إليه مما صنعْتُم ، وسَلُوه التوبةَ على مَن ترَكْتُم وراءَكم مِن قومِكم ، صوموا وتطهَّروا وطهِّروا ثيابَكم . فخرَج بهم إلى طُورِ سَيْناءَ لميقاتٍ وقَّته له ربُّه ، وكان لا يَأْتِيه إلا بإذنٍ منه وعلمٍ ، فقال له السبعون - فيما ذُكِر لى - حينَ صنَعوا ما أمَرهم به ، وخرَجوا للقاءِ ربِّه ، قالوا : يا موسى ، اطْلُبْ لنا إلى ربِّك نَسْمَعْ كلامَ ربِّنا . فقال : أفْعَلُ . فلما دنا موسى مِن الجبلِ وقَع عليه (١)عمودُ الغَمامِ(١) حتى تغَشَّى الجبلَ كلَّه ، ودنا موسى فدخَل فيه ، وقال للقومِ : ادْنُوا . وكان موسى إذا كلَّمه(٢) وقَع على جَبهتِه نورٌ ساطعٌ لا يَستطيعُ أحدٌ مِن بنى آدمَ أن يَنْظُرَ إليه ، فضُرِب دونَه بالحجابِ(٣) ، ودنا القومُ حتى إذا دخَلوا فى الغَمامِ وقَعوا سُجودًا ، فسمِعوه وهو يُكلِّمُ موسى يَأْمُرُه ويَنْهاه : افْعَل ولا تَفْعَلْ . فلما فرَغ إليه(٤) مِن أمرِه انْكَشَف(٥) عن موسى الغَمامُ ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . فأَخذَتْهم الرجفةُ ، وهى الصاعقةُ ، فماتوا جميعًا ، وقام موسى يُناشِدُ ربَّه ويَدْعُوه ويَرْغَبُ إليه ويقولُ : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىٰ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] . قد سَفِهوا ، أفتُهْلِكُ مَن ورائى مِن بنى إسرائيلَ (٦)بما فعَل(٦) السُّفهاءُ منا ؟ - أى : إن هذا لهم هَلاكٌ - اختَرْتُ منهم سبعين رجلًا ، الخيِّرَ فالخيِّرَ ، أَرْجِعُ إليهم وليس معى منهم رجلٌ واحدٌ ، فما الذى يُصَدِّقونى به أو يَأْمَنونى عليه بعدَ هذا ؟ ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] . فلم يَزَلْ موسى يُناشِدُ ربَّه (٧)ويسألُه(٧)

(١ - ١) فى ص : « عمود غمام » ، وفى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الغمام » .
(٢) بعده فى م : « ربه » .
(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحجاب » .
(٤) سقط من : ص ، م .
(٥) فى م : « وانكشف » .
(٦ - ٦) فى م : « بما تفعل » . وفى ت ١: « مما يفعل » ، وفى ت٢: « بما تفعل » .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

ويَطْلُبُ إليه ، حتى ردَّ إليهم[(١)] أرْواحَهم ، وطلَب إليه التوبةَ لبنى إسرائيلَ مِن عبادةِ العِجْلِ ، فقال : لا ، إلا أن يَقْتُلوا أنفسَهم[(٢)] .

٢٩٢/١ / حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أَسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن السديِّ : لما تابَت بنو إسرائيلَ مِن عبادةِ العِجْلِ ، وتاب اللَّهُ عليهم بقتلِ بعضِهم بعضًا كما أمَرَهم به ، أمَر اللَّهُ تعالى موسى أن يَأْتِيَه فى ناسٍ مِن بنى إسرائيلَ يَعْتَذِرون إليه مِن عبادةِ العِجْلِ ، ووعَدَهم موْعِدًا ، فاخْتار موسى مِن قومِه سبعين رجلًا على عَيْنِه ، ثم ذهَب بهم ليَعْتَذِروا ، فلما أتَوْا ذلك المكانَ قالُوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ . فإنك قد كلَّمْتَه فأرِناه ، فأخَذَتْهم الصاعقةُ فماتوا ، فقام موسى يَبْكِى ويَدْعُو اللَّهَ ويقولُ : ربِّ ماذا أقولُ لبنى إسرائيلَ إذا أتَيْتُهم وقد أهْلَكْتَ خِيارَهم ؟ ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ . فأوْحَى اللَّهُ إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممَّن اتَّخذ العِجْلَ . فذلك حينَ يقولُ [٢/١٠٠و] موسى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ [(٣)]إلى قَوْلِه[(٣)] : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[(٤)] [الأعراف : ١٥٥، ١٥٦] . وذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ . ثم إن اللَّهَ أحْياهم فقاموا وعاشوا رجلًا رجلًا[(٥)] ، يَنْظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ كيف يَحْيَوْنَ ، فقالوا : يا موسى أنت تَدْعُو اللَّهَ فلا تَسْأَلُه[(٦)] شيئًا إلا أعْطاك ، فادْعُه يَجْعَلْنا

(١) فى ص : « إليه » .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٦٨٤ .

(٣ - ٣) زيادة من تاريخ الطبرى .

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى : « يقول : تبنا إليك » .

(٥) سقط من : ص .

(٦) فى ص : « تطلب » .

أنبياءَ ، فدعا اللَّهَ فجعَلهم أنبياءَ ، فذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ . ولكنه قدَّم حرفًا وأخَّر حرفًا[1] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قال لهم موسى - لما رجَع مِن عندِ ربِّه بالألواحِ قد كُتِب فيها التوراةُ ، فوجَدَهم يَعْبُدون العِجْلَ ، فأمَرهم بقتلِ أنفسِهم ففعَلوا ، فتاب اللَّهُ عليهم[2] - : إن هذه الألواحَ فيها كتابُ اللَّهِ ، فيه أمرُه الذى أمَرَكم به[3] ، ونَهْيُه الذى نهاكم عنه . فقالوا : ومَن يَأْخُذُه بقولِك أنت ! لا واللَّهِ حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ، حتى يَطْلُعَ اللَّهُ إلينا[4] فيقولَ : هذا كتابى فخُذُوه ، فما له لا يُكَلِّمُنا كما كَلَّمك[5] أنت يا موسى ، فيقولُ : هذا كتابى فخُذوه ؟ وقرَأ قولَ اللَّهِ تعالى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . قال : فجاءت غَضْبةٌ مِن اللَّهِ ، فجاءَتْهم صاعقةٌ بعدَ التوبةِ ، فصَعَقَتهم فماتوا أجْمَعُون . قال : ثم أحْياهم اللَّهُ مِن بعدِ موتِهم . وقرَأ قولَ اللَّهِ تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . فقال لهم موسى : خُذوا كتابَ اللَّهِ . فقالوا : لا . فقال : أىُّ شىءٍ أصابَكم ؟ قالوا : أصابنا أنَّا مِتنا ثم حَيِينا . قال : خُذوا كتابَ اللَّهِ . فقالوا : لا . قال : فبعَث اللَّهُ ملائكةً فنتَقتِ الجبلَ فوقَهم[6] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٤٢٨/١ ، ٤٢٩ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده .
(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فقال » .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « علينا » .
(٥) سقط من : ص ، م .
(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٣/١ عن ابن زيد .

مَّوْتِكُمْ ﴾ . قال : أخذَتْهم الصاعقةُ ، ثم بعَثهم اللَّهُ ليُكْمِلوا بقيةَ آجالِهم[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ابنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ . قال : هم السبعون الذين اخْتارَهم موسى فساروا معه . قال : فسمِعوا كلامًا ، فقالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . قال : فسمِعوا صوتًا فصَعِقوا . يقولُ : ماتوا[(٢)] . فذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ [٢/١٠٠ظ] مَوْتِكُمْ ﴾ . فبُعِثوا مِن بعدِ موتِهم ؛ لأن موتَهم ذاك كان / عقوبةً لهم ، فبُعِثوا لبقيةِ آجالِهم[(٣)] . ٢٩٣/١

فهذا ما رُوِى فى السببِ الذى مِن أجلِه قالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ .

ولا خبرَ عندَنا بصحةِ شىءٍ مما قاله مَن ذكَرْنا قولَه فى سببِ قِيلِهم ذلك لموسى تقومُ به حجةٌ [(٤)]فيُسَلَّمَ له[(٤)] ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك بعضَ ما قالوه ، فإذ كان لا خبرَ بذلك تقومُ به حُجةٌ ، فالصوابُ مِن القولِ فيه أن يقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد أخْبَرَ عن قومِ موسى أنهم قالوا له : ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . كما أخْبَرَ عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخْبَرَ اللَّهُ بذلك عنهم الذين خُوطِبوا بهذه الآياتِ تَوْبيخًا

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢(٥٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) بعده فى الأصل : « قوله : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾ . قال : أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله ليكملوا بقية آجالهم ... حدثنا إسحاق ، قال : حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ . قال : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه فقالوا : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ . فصعقوا . يقول : ماتوا » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٣٩، ٥٤٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤ - ٤) فى م : « فتسلم لهم » .

لهم على كفرِهم بمحمدٍ ﷺ ، (١) وقد (١) قامَت حجَّتُه على مَن احتَجَّ به عليه ، ولا حاجةَ لِمَن انْتَهت إليه إلى معرفةِ السببِ الداعى كان (٢) لهم إلى قيلِ ذلك ، وقد قال الذين أخْبَرنا عنهم الأقوالَ التى ذكَرْناها ، وجائزٌ أن يكونَ بعضُها حقًّا كما قالوا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . عطفٌ على قولِه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ . فتأويلُ الآيةِ : ثم بعَثْناكم مِن بعدِ موتِكم ، وظلَّلنا عليكم الغَمامَ - وعدَّد عليهم سائرَ ما أنْعَم به عليهم - لعلكم تَشْكُرون .

والغَمامُ جماعُ غَمامةٍ ، كما السَّحابُ جماعُ سَحابةٍ ، والغَمامُ هو ما غَمَّ السماءَ فألْبَسَها ، مِن سَحابٍ وقَتامٍ ، وغيرِ ذلك مما يَسْتُرُها عن أعينِ الناظرين ، وكلُّ مغطًّى (٣) فإن العربَ (٣) تُسَمِّيه مَغْمومًا .

وقد قيل : إن الغَمامَ التى ظلَّلها اللَّهُ على بنى إسرائيلَ لم تَكنْ (٤) سَحابًا .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : ليس بالسَّحابِ (٥) .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ص ، ر : « فقد » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى ص : « فالعرب » .

(٤) فى الأصل ، ر : « يكن » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣٤ عن الثورى به .

عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : ليس بالسَّحابِ[1] ، هو الغَمامُ الذى يَأْتى اللَّهُ فيه يومَ القيامةِ ، لم يكنْ إلا لهم[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : هو بمنزلةِ السَّحابِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : غَمامٌ أبْرَدُ مِن هذا وأطيبُ ، وهو الذى يَأْتى اللَّهُ جلَّ وعزَّ فيه يومَ القيامةِ . فى قولِه : ﴿ فِى ظُلَلٍ[3] مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . وهو الذى جاءَت فيه الملائكةُ يومَ بدرٍ . قال ابنُ عباسٍ : وكان معهم فى التِّيهِ[4] .

وإذ كان معنى الغَمامِ ما وصَفْنا ، مما غمَّ السماءَ مِن شىءٍ فغطَّى وجهَها عن الناظرِ إليها ، فليس / الذى ظلَّله اللَّهُ على بنى إسرائيلَ فوصَفه بأنه كان غَمامًا ، بأَوْلَى بوصفِه إياه بذلك أن يكونَ سَحابًا ، منه بأن يكونَ غيرَ ذلك مما ألْبَس وجهَ السماءِ مِن شىءٍ . ٢٩٤/١

وقد قيل : إنه ما ابيضَّ مِن السَّحابِ[5] .

---

(١) بعده فى ص : « وبإسناده عن مجاهد قال ليس بالسحاب » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٣ (٥٤٩) من طريق أبى حذيفة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٠ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٣) فى الأصل : « ظل » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٤ عن الحسين به . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٣ (٥٥٠) بإسناده عن ابن جريج ، قال : قال آخرون : هو غمام أبرد من هذا وأطيب .

(٥) بعده فى الأصل طمس مقداره ست كلمات .

[٢/١٠١ و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ .**

اختلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ المنِّ ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنى به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ . قال : المنُّ صَمْغةٌ(١) .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ . يقولُ : كان المنُّ يَنْزِلُ عليهم مثلَ الثلجِ(٢) .

وقال آخَرون : هو شَرابٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : المنُّ شرابٌ كان يَنْزِلُ عليهم مثل العسلِ ، فيَمْزُجونه بالماءِ ثم يَشْرَبونه(٣) .

وقال آخَرون : المنُّ عسلٌ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٣، ومن طريقه عبد بن حميد والفريابى ، كما فى تغليق التعليق ٤/ ١٧٣.

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٣) من طريق سفيان ، عن ابن أبى نجيح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٠ إلى وكيع .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٦) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، مطولا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٥ (٥٥٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : المنُّ عسلٌ كان يَنزِلُ لهم مِن السماءِ[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن جابرٍ ، عن عامرٍ ، قال : عَسلُكم هذا جزءٌ مِن سبعين جزءًا مِن المنِّ[(٢)] .

وقال آخَرون : المنُّ الخبزُ[(٣)] الرُّقَاقُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثني عبدُ الصمدِ ، قال : سمِعْتُ وهبًا ، وسُئِل ما المَنُّ ؟ قال : خبزُ الرُّقاقِ ، مثلُ الذُّرَةِ ، أو[(٤)] مثلُ النَّقِيِّ[(٥)] .

وقال آخَرون : المنُّ الزَّنْجبيلُ[(٦)] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ : المنُّ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣٥. عن ابن زيد .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٥ عن المصنف .

(٣) فى م : « خبز » .

(٤) فى م ، ت٢ : « و » .

(٥) النقى : هو الدقيق الحُوَّارى ، وهو الذى يُنقَّى من لُباب البُرّ . ينظر تاج العروس (ح و ر) .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٥ (٥٥٧) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٠ إلى عبد بن حميد . وسيأتى بتمامه فى ص ٧٠٩.

(٦) فى م : « الترنجبين » . وسيأتى التعليق عليها .

كان يَسقُطُ على (١) الشجرِ الزنْجبيلِ (١) .

وقال آخرون : المنُّ هو الذى يَسقُطُ على الشجرِ الذى يأْكُلُه الناسُ .

١/٢٩٥ **/ ذكرُ من قال ذلك**

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا الحِمَّانىُّ ، قال : حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ فى قولِه : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ . قال : المنُّ الذى يَقَعُ على الشجرِ .

حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : المنُّ هذا الذى يَقَعُ على الشجرِ .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلْمَنَّ ﴾ . قال : المنُّ الذى يَسقُطُ مِن السماءِ على الشجرِ فيأْكُلُه الناسُ .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : كان المنُّ يَنْزِلُ على شجرِهم ، فيَغْدُون إليه (٢) فيأْكُلون منه ما شاءوا (٣) .

(١ - ١) فى م : « شجر الترنجبين » ، وفى تاريخ المصنف : « الشجر الترنجبين » ، والمثبت موافق لما فى تفسير ابن أبى حاتم ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٤.

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٣٠ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده ، مطولا .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وسيأتى مطولا فى ص ٧٠٧، ٧٠٨.

(٢) فى ص ، م : « عليه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٢) من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، =

(١ وقد قيل : إن المنَّ التَّرنْجَبِينُ ١) .

وقال بعضُهم: المنُّ : الذى يَسْقُطُ على الثُّمامِ(٢) والعُشَرِ(٣) ، وهو حُلْوٌ كالعسلِ ، وإياه عَنَى الأعْشَى ميمونُ بنُ قيسٍ بقولِه(٤) :

[١٠١/٢ظ] لو أُطعِموا المنَّ والسَّلْوَى مكانَهمُ ما أبْصَرَ الناسُ طُعْمًا فيهمُ نَجَعَا

وتَظاهَرَت الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « الكَمْأةُ مِنَ المَنِّ ، وماؤُها شِفاءٌ للعينِ »(٥) .

وقال بعضُهم : المنُّ شرابٌ حُلْوٌ كانوا يَطْبُخونه فيَشْرَبونه .

وأما أُميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ الثقفىُّ فإنه جعَله فى شِعْرِه عسلًا ، فقال يَصِفُ أمرَهم فى التِّيهِ وما رُزِقوا فيه(٦) :

فرَأَى اللَّهُ أنهم بمَضِيعٍ لابذى مَزْرَعٍ ولا مَثْمُورا(٧)

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/١ إلى ابن المنذر .

(١ - ١) فى ر : « وقيل : المن عسل » .

والترنجبين : طل يقع من السماء ، ندى شبيه بالعسل ، جامد متحبب ، وتأويله عسل الندى . الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١/ ١٣٧.

(٢) الثمام : نبت معروف فى البادية ، ولا تجهده النعم إلا فى الجدوبة . اللسان (ث م م) .

(٣) العشر : شجر له صمغ وفيه حراق مثل القطن يقتدح به . اللسان (ع ش ر) .

(٤) زيادة من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ . والبيت فى ديوان الأعشى ص ١٠٩ .

(٥) أخرجه البخارى (٥٧٠٨) ، ومسلم (٢٠٤٩) ، وغيرهما من حديث سعيد بن زيد . وينظر مسند الطيالسى (٢٥١٩) ، وتفسير ابن كثير ، تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٤٠٥/٢ - ٤١٦ .

(٦) ديوان أمية ص ٤٤ .

(٧) المضيع والمِضيعة : الاطراح والهوان . اللسان (ض ى ع) .

فسَناها[(١)] عليهم غادياتٍ ومرَى مُزْنَهم خَلايَا وخُورَا[(٢)]
عسلًا ناطفًا وماءً فُراتًا وحَليبًا ذا بَهْجةٍ مُرْمُورَا[(٣)]

فجعَل المنَّ الذى كان يَنْزِلُ عليهم عسلًا ناطِفًا ، والناطفُ هو القاطرُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ .

و« السَّلْوى » اسمُ طائرٍ يُشْبِهُ السُّمَانَى ، واحدُه[(٤)] وجِماعُه بلفظٍ واحدٍ ، وكذلك السُّمَانَى لفظُ جِماعِها وواحدِها سَواءٌ . وقد قيل : إن واحدَ السَّلْوَى سَلْواةٌ .

ذكرُ مَن قال ما قلنا فى ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : أخبرنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، (٥) فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مرةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ (٥) : السَّلْوَى طيرٌ يُشْبِهُ

---

(١) فى م : « فعناها » ، وهى رواية ، وفى الديوان : « فعفاها » . وسناها : سقاها . اللسان (س ن و) .

(٢) غاديات جمع غادية : وهى السحابة التى تنشأ غدوة ، ومرى الناقة مريا : مسح ضرعها للدرة . والخلايا : جمع خلية ، وهى الناقة التى خليت للحلب . والخور : الإبل الحمر إلى الغبرة ، رقيقات الجلود طوال الأدبار ، ولها شعر ينفذ ، ووبرها أطول من سائر الوبر . ينظر اللسان (غ د و ، م ر ى ، خ ل ى ، خ و ر) .

(٣) فى ص : « مزمورا » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، والديوان : « ممرورا » . وبعده فى م : « الممرور الصافى من اللبن » . وبعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المرمور الصافى من اللبن » ، وفى حاشية ص : « المرمور الصافى من اللبن » . وفى القاموس مادة (مرمر) : المُرمورة بالضم الجارية الناعمة الرَّجراجة .

(٤) فى الأصل ، م : « واحدة » .

(٥ - ٥) سقط من الأصل ، ص .

السُّمَانَى[1].

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ ، قال : كان طيرًا أكبرَ مِن السُّمانَى .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ ، قال : السَّلْوَى طيرٌ[2] كانت تَحْشُرُها عليهم الريحُ الجَنوبُ[3].

٢٩٦/١ / حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : السَّلْوَى طائرٌ[4].

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : السَّلْوَى طائرٌ[5].

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : السَّلْوَى هو السُّمَانَى[6].

حدَّثنى أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : أخْبرَنا أبو أحمدَ ، قال : أخبرنا شَريكٌ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٨/١ عن المصنف به . وسيأتى مطولا فى ص ٧٠٧، ٧٠٨.

(٢) فى ص ، م ، ت ١، ت ٣: «طائر».

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ (٥٦٢) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، مطولا .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠٣.

(٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «طير».

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ (٥٦٠) من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا (٥٥٩) من طريق جهضم ، عن ابن عباس . وينظر تفسير ابن كثير ، تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/ ٤١٦، ٤١٧.

مُجالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : السَّلْوَى السُّمانَى .

(١) حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : السلوى السُّمانَى (١) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ابنِ أنسٍ : السلوى كان طيرًا يَأْتِيهم مثلَ [١٠٢/٢و] السُّمانَى (٢) .

وحدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : السَّلْوَى طيرٌ .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثنى عبدُ الصمدِ ، قال : سمِعْتُ وهبًا وسُئِل : ما السَّلْوَى ؟ فقال : طيرٌ سَمِينٌ مثلُ الحَمامِ (٣) .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أبو عامرٍ ، قال : ثنا قُرَّةُ ، عن الضحاكِ ، قال : السُّمانَى هو السلوى (٤) .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وما كان سببُ تَظْليلِ اللَّهِ الغَمامَ وإنزالِه المَنَّ والسلوى على هؤلاء القومِ ؟

قيل : قد اخْتَلَف أهلُ العلمِ فى ذلك ، ونحن ذاكِرون ماحضَرَنا منه .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

والأثر ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ عقب الأثر (٥٦١) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ عقب الأثر (٥٦١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ (٥٦٣) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

فحدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : لمّا تاب اللَّهُ على قوم(١) موسى وأحْيَا السبعين الذين اخْتارَهم موسى بعدَ ما أماتهم ، أمَرهم اللَّهُ بالسيرِ(٢) إلى أَرِيحا ، وهى أرضُ بيتِ المقدسِ ، فساروا حتى إذا كانوا قريبًا منها(٣) بعَث موسى اثنَىْ عشَرَ نَقيبًا ، فكان مِن أمرِهم وأمرِ الجبَّارين وأمْرِ قومِ موسى ما قد قصَّ اللَّهُ فى كتابِه ، فقال قومُ موسى لموسى : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ . فغضِب موسى فدعا عليهم ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ ، فكانت عَجْلةً من موسى عجِلَها ، فقال اللَّهُ : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٢٥، ٢٦] . فلما ضُرِب عليهم التِّيهُ ندِم موسى ، وأتاه قومُه الذين كانوا معه يُطِيعونه فقالوا له : ما صنَعْتَ بنا يا موسى ؟ فلما ندِم أوْحَى اللَّهُ إليه : (٤)لا تَأْسَ(٤) على القومِ الفاسِقِين - أى : لا تحْزَنْ على القومِ الذين سمَّيْتُهم فاسِقِين - فلم يَحْزَنْ . فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بماءٍ ههنا ؟ أين الطعامُ ؟ فأنْزَل اللَّهُ عليهم المنَّ ، فكان يَسْقُطُ على (٥)الشجرِ الزَّنْجبيلِ(٥) ، والسَّلْوى وهو طيرٌ يُشْبِهُ السُّمانَى ، فكان يَأْتِى أحدُهم فيَنْظُرُ إلى الطيرِ فإن كان سَمِينًا ذبَحه وإلا أرْسَله ، فإذا سمِن أتاه . فقالوا : هذا الطعامُ ، فأين الشرابُ ؟ فأُمِر موسى ، فضرَب بعصاه الحجرَ فانْفَجَرت منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، فشرِب / كلُّ سِبْطٍ مِن عينٍ . فقالوا : هذا الطعامُ والشرابُ ، فأين ٢٩٧/١
الظلُّ ؟ فظلَّل عليهم الغَمامَ . فقالوا : هذا الظلُّ ، فأين اللِّباسُ ؟ فكانت ثيابُهم تَطولُ

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « بالمسير » .

(٣) فى ص ، ونسخة من تاريخ المصنف : « منهم » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أن لا تأس » .

(٥ - ٥) فى م ، وتاريخ المصنف : « شجر الترنجبين » . وينظر ما تقدم فى ص ٧٠٢.

معهم كما تَطولُ الصِّبيانُ ، ولا يَتَخرَّقُ لهم ثوبٌ ، فذلك قولُه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ . وقولُه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، [٢/١٠٢ظ] قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما تاب اللَّهُ على بنى إسرائيلَ وأمَر موسى أن يَرْفعَ عنهم السيفَ مِن عبادةِ العجلِ ، أمَر موسى أن يَسِيرَ[(٢)] بهم إلى الأرضِ المقدسةِ ، وقال : إنى قد كَتَبْتُها لكم دارًا وقرارًا ومَنْزِلًا ، فاخْرُجْ إليها وجاهِدْ مَن فيها مِن العدوِّ ، فإنى ناصرُكم عليهم . فسار بهم موسى إلى الأرضِ المقدَّسةِ بأمرِ اللَّهِ ، حتى إذا نزَل التِّيهَ بينَ مصرَ والشامِ ، وهى بلادٌ ليس فيها خَمَرٌ[(٣)] ولا ظلٌّ ، دعا موسى ربَّه حين آذاهم الحرُّ ، فظلَّل عليهم بالغَمامِ ، ودعا لهم بالرزقِ ، فأنْزَل عليهم المنَّ والسَّلْوَى .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ (٤) بنِ أنسٍ ، **وحُدِّثت** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ (٤) قولَه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : ظلَّل عليهم الغَمامَ فى التِّيهِ ، (٥) ما هو فى قدرِ (٥) خمسةِ فَراسِخَ أو ستةٍ ، كلما أصْبَحوا ساروا غادِين ، فأمْسَوا فإذا هم فى مكانِهم الذى ارْتَحَلوا منه ، فكانوا كذلك حتى مرَّت أربعون سنةً . قال : وهم فى ذلك يَنْزِلُ عليهم المنُّ والسلوى ، ولا تَبْلَى ثيابُهم ، ومعهم حجرٌ مِن حجارةِ الطُّورِ يَحْمِلونه معهم ، فإذا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٩، ٤٣٠ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده .

(٢) فى ص : « يسبق » .

(٣) الخمر بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره ، كالجبل وغيره . التاج (خ م ر) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) فى ص : « فإذا هو فى قدر » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تاهوا فى » .

نزَلوا ضرَبه موسى بعصاه ، فانْفَجَرَتْ منه اثنتا عشْرةَ عينًا .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثنى عبدُ الصمدِ ، قال : سمِعْتُ وهبًا يقولُ : إن بنى إسرائيلَ لما حرَّم اللَّهُ عليهم أن يَدْخُلوا الأرضَ المُقَدَّسةَ أربعين سنةً يَتِيهون فى الأرضِ ، شكَوْا إلى موسى فقالوا : ما نأْكُلُ ؟ فقال : إن اللَّهَ سيأْتِيكم بما تأْكُلون . قالوا : مِن أين لنا إلا أن يُمْطِرَ علينا خُبزًا ! قال : إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ سيُنْزِلُ عليكم خُبزًا مَخْبوزًا . فكان يُنْزِلُ عليهم المَنَّ - سُئِل وهبٌ : ما المنُّ ؟ قال : خُبزُ الرُّقاقِ مثلُ الذُّرةِ أو مثلُ النَّقِيِّ - قالوا : وما نأْتَدِمُ ؟ وهل بُدٌّ لنا مِن لحمٍ ؟ قال : فإن اللَّهَ يأْتِيكم به . فقالوا : مِن أين لنا إلا أن تأْتِيَنا به الريحُ ! قال : فإن [1] اللَّهَ يأتيكم [1] به . فكانت الريحُ تأْتِيهم بالسَّلْوَى - فسُئِل وهبٌ : ما السلوى ؟ قال : طيرٌ سَمِينٌ مثلُ الحَمامِ ، كان يأْتِيهم فيأْخُذون منه مِن سبتٍ إلى سبتٍ - قالوا : فما نَلْبَسُ ؟ قال : لا يَخْلَقُ لأحدِكم ثوبٌ أربعين سنةً . قالوا : فما نَحْتَذِى ؟ قال : لا يَنْقَطِعُ لأحدِكم شِسْعٌ [2] أربعين سنةً . قالوا : فإنه يُولدُ فينا أولادٌ ، فما نَكْسُوهم ؟ قال : ثوبُ [3] الصغيرِ يَشِبُّ معه . قالوا : فمِن أين لنا الماءُ ؟ قال : يأْتِيكم به اللَّهُ . قالوا : فمِن أين إلا أن يَخْرُجَ لنا مِن الحجرِ ! فأمَر اللَّهُ موسى أن يَضْرِبَ بعصاه الحجرَ . قالوا : فبِمَ نُبْصِرُ إذ تَغْشانا الظُّلْمةُ ؟/ فضرَب لهم عمودًا [4] مِن نورٍ فى ٢٩٨/١
وسَطِ عسكرِهم أضاء عسكرَهم كلَّه. قالوا: فبِمَ نَسْتَظِلُّ ، فإن الشمسَ [5] علينا

(١ - ١) غير واضحة فى الأصل ، وفى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الريح تأتيكم».

(٢) الشسع : سير يمسك النعل بأصابع القدم . الوسيط (ش س ع) .

(٣) فى ص ، ر ، ت ١، ت ٢: «الثوب».

(٤) فى م : «عمود».

(٥) بعده فى ص : «قال».

شديدةٌ ؟ قال : يُظِلُّكم اللَّهُ بالغَمامِ[(١)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا [٢/١٠٣و] ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ . فذكَر نحوَ حديثِ موسى ، عن عمرِو بنِ حمادٍ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : خُلِق لهم فى التِّيهِ ثيابٌ لا تَخْلَقُ ولا تَدْرَنُ .

قال : وقال ابنُ جُرَيْجٍ : إن أخَذ الرجلُ مِن المَنِّ والسَّلْوَى فوقَ طعامِ يومٍ فسَد ، إلا أنهم كانوا يَأْخُذُون فى يومِ الجمعةِ طعامَ يومِ السبتِ فلا يُصْبِحُ فاسدًا[(٣)] .

[٣/١ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه** : ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا مما اسْتُغْنِى بدَلالةِ ظاهرِه [(٤)]عن ذكرِ[(٤)] ما تُرِك منه ، وذلك أن تأويلَ الآيةِ : وظلَّلْنا عليكم الغَمامَ وأنْزَلْنا عليكم المنَّ والسَّلْوى ، وقلْنا لكم : كلوا مِن طيباتِ ما رزَقْناكم . فتُرِك ذكرُ قولِه : وقلنا لكم . لِما بيَّنّا مِن دَلالةِ الظاهرِ فى الخطابِ عليه .

وعنَى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ : كلوا مِن شَهِيّاتِ[(٥)] رِزْقِنا

---

(١) تقدم طرف منه فى ص ٧٠١ ، ٧٠٦ .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن أسباط عن السدى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٩ عن الحسين به .

وبعده فى الأصل : « تم الجزء الثانى والحمد لله حمدًا كثيرًا [....] وصلى الله على [....] وأهله الطيبين وسلم تسليما . يتلوه الجزء الثالث القول فى تأويل قول الله جلَّ ثناؤه كلوا من طيبات ما رزقناكم . قال أبو جعفر » .

(٤ - ٤) فى م : « على » .

(٥) فى م : « مشتهيات » .

الذى رزَقْناكموه .

وقد قيل : عنَى بقولِه : ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ : مِن حلالِه الذى أبَحْناه لكم فجعَلْناه لكم رزقًا .

والأولُ مِن القولَيْن أولَى بالتأويلِ ؛ لأنه وصْفُ ما كان القومُ فيه مِن هَنِيءِ العيشِ الذى أعْطاهم ، فوصْفُ ذلك بالطَّيِّب الذى هو بمعنى اللَّذَّةِ أحْرَى مِن وصفِه بأنه حلالٌ مُباحٌ .

و ﴿ وَمَا ﴾ التى[(١)] مع : ﴿ رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ بمعنى الذى ، كأنه قال[(٢)] : كلوا مِن طيباتِ الرزقِ الذى رزَقْناكموه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وهذا أيضًا مِن الذى اسْتُغْنِى بدَلالةِ ظاهرِه على ما تُرِك منه ، وذلك أن معنى الكلامِ : كلوا مِن طيباتِ ما رزَقْناكم ، فخالَفوا ما أمَرْناهم به ، وعصَوا ربَّهم ، ثم رسولَنا إليهم ، وما ظلَمونا . فاكْتُفِى بما أُظهِر عما تُرِك .

وقولُه : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ . يقولُ : وما ظلَمونا بفعلِهم ذلك ومعصيتِهم ، ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ . وما وضَعوا فعلَهم ذلك وعِصْيانَهم إيانا موضعَ مَضَرَّةٍ [٢/٣و] علينا ، ومَنْقَصةٍ لنا ، [(٣)]ولكنهم وضَعوه مِن أنفسِهم موضعَ مَضَرَّةٍ عليها ومَنْقَصةٍ لها[(٣)] .

---

(١) فى الأصل : « الذى » .

(٢) فى ص ، م : « قيل » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

كما حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . قال : يَضُرُّون[(١)] .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن أصلَ الظلمِ وضعُ الشىءِ فى غيرِ موضعِه ، بما فيه الكِفايةُ ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه[(٢)] .

وكذلك ربُّنا جلَّ ثناؤُه لا تَضُرُّه معصيةُ عاصٍ ، ولا يَتَحَيَّفُ خزائنَه ظلمُ ظالمٍ ، ولا تَنْفَعُه طاعةُ مُطيعٍ ، ولا يَزِيدُ فى مُلْكِه عدلُ عادلٍ ، بل نفسَه يَظْلِمُ الظالمُ ، وحظَّها يَبْخَسُ العاصى ، وإياها يَنْفَعُ الطائعُ[(٣)] ، وحظَّها يُصِيبُ العادلُ .

٢٩٩/١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ .**

والقريةُ التى أمَرَهم اللَّهُ أن يَدْخُلوها فيأْكُلوا منها رَغَدًا حيث شاءوا - فيما ذُكِر لنا - بيتُ المَقْدِس .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ . قال : بيتُ المقدسِ[(٤)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَإِذْ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ (٥٦٧) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى أبى الشيخ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٥٩، ٥٦٠ .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « المطيع » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ (٥٦٩) عن الحسن بن يحيى به .

قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ : أما القريةُ فبيتُ[(١)] المقدسِ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ : يعنى بيتَ المَقدِسِ[(٣)] .

وحدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألْتُه - يعنى ابنَ زيدٍ - عن قولِه : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ . قال : هى أَرِيحا ، وهى قريبةٌ مِن بيتِ المَقْدِسِ[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ .

يعنى بذلك : فكُلوا مِن هذه القريةِ حيث شِئْتُم عيشًا هَنِيئًا واسعًا بغيرِ حِسابٍ .

وقد بيَّنَّا معنى الرَّغَدِ فيما مضَى مِن الكتابِ[(٥)] ، وذكَرْنا أقوالَ أهلِ التأويلِ فيه .

[٢/٣ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ .**

أما البابُ الذى أُمِروا أن يَدْخُلوه ، فإنه قيل : هو بابُ الحِطَّةِ مِن بيتِ المقدسِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقرية بيت » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ عقب الأثر (٥٦٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ عقب الأثر (٥٦٩) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٩/١ .
(٥) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كتابنا » . وينظر ما تقدم فى ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ . قال : بابُ الحِطَّةِ مِن بابِ إيلياءِ[(١)] بيتِ المقدسِ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ ﴾ : أما البابُ فبابٌ مِن أبوابِ بيتِ المقدسِ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ : فإنه أحدُ أبوابِ بيتِ المقدسِ ، وهو يُدْعَى بابَ حِطَّةٍ .

وأما قولُه : ﴿ سُجَّدٗا ﴾ . فإن ابنَ عباسٍ كان يتأوَّلُه بمعنى الرُّكَّعِ .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا سُفيانُ ، عن الأعمشِ ،

١/٣٠٠ عن المِنْهالِ / بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ . قال : رُكَّعًا مِن بابٍ صغيرٍ[(٤)] .

حدَّثنى الحسنُ بنُ الزِّبْرِقانِ النَّخَعِىُّ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم « من » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٧/١ (٥٧٤) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٧/١ عقب الأثر (٥٧٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

سُجَّدًا ﴾ . قال : أُمِروا أن يَدْخُلوا رُكَّعًا[(١)] .

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ السجودِ الانْحِناءُ لمن سُجِد له مُعَظَّمًا بذلك ، فكلُّ مُنْحَنٍ لشىءٍ تَعْظيمًا له [(٢)] وخُشُوعًا [(٢)] فهو له ساجدٌ ، ومنه قولُ الشاعرِ [(٣)] :

بجَمْعٍ[(٤)] تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِه   تَرَى الأُكْمَ فيه[(٥)] سُجَّدًا للحوافِرِ[(٦)]

يعنى بقولِه : سُجَّدًا : خاشعةً خاضعةً .

ومِن ذلك قولُ أعْشَى بنى[(٧)] قيسِ بنِ ثَعْلَبَةَ[(٨)] :

يُـراوِحُ مِـن صـلـواتِ المَلِـيـ   ـكِ طَوْرًا سُجودًا وطَوْرًا جُؤَارَا

[٣/٣و] فلذلك تأوَّل ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ سُجَّدًا ﴾ : رُكَّعًا ؛ لأن الراكعَ مُنْحَنٍ ، وإن كان الساجدُ أشدَّ انْحِناءً منه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ : فِعْلةٌ . مِن قولِ القائلِ : حطَّ اللَّهُ عنك خَطاياك ، فهو

---

(١) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥، ٧٢٦ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) هو زيد الخيل ، والبيت له فى المعانى الكبير ٢/ ٨٩٠ ، والكامل ٢/ ٢٠١، وغير منسوب فى الصناعتين ص ٢٨٦.

(٤) فى الصناعتين ، والكامل : « بجيش » .

(٥) فى المعانى الكبير ، والكامل : « منه » .

(٦) البلق : جمع أبلق وبلقاء ، وهى الفرس التى يرتفع تحجيلها إلى الفخذين . والحجرات : جمع حَجْرة ، وهى الناحية ، والأكم جمع أكمة وهى التل . اللسان (ح ج ر ، ب ل ق ، أ ك م) .

(٧) فى م : « بن » .

(٨) ديوانه ص ٥٣.

يَحُطُّها حِطَّةً . بمنزلةِ الرِّدَّةِ والجِدَّةِ[1] والمِدَّةِ ، مِن : جدَدْتُ[2] ومدَدْتُ .

واختَلَفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ ؛ فقال بعضُهم بنحوِ الذى قلْنا فى ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ : ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ . قال : قال الحسنُ وقَتادةُ : أى : احْطُطْ عنا خطايانا[3] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ : يحطُّ اللَّهُ بها عنكم ذنبَكم وخطيئتَكم[4] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : يَحُطُّ اللَّهُ[5] عنكم خَطاياكم .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا وَكِيعٌ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ : مَغْفِرةٌ[6] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : تُحَطُّ عنكم خَطاياكم[7] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحدة » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حددت » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٩/١ (٥٨٤) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) فى م : « خطاياكم » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٦) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥، ٧٢٦ .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ عقب الأثر (٥٨٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لى عَطاءٌ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : سمِعْنا أنه يَحُطُّ عنهم خَطاياهم[1] .

وقال آخرون : معنى ذلك : قولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . كأنهم وجَّهوا تأويلَه : قولوا الذى يَحُطُّ عنكم خَطاياكم ، وهو قولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى وسعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قالا : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال : حدَّثنا الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ [٣/٣ظ] : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : قولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ[2] .

/ **وقال آخرون** بمثلِ معنى قولِ عِكْرمةَ ، إلا أنهم جعَلوا القولَ الذى أُمِروا بقيلِه الاسْتغفارَ . ٣٠١/١

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ الزِّبْرِقانِ ، قال : حدَّثنا أبو أُسامةَ ، عن سُفيانَ ، عن الأعمشِ ،

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ عقب الأثر (٥٨٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ (٥٨٢) من طريق حفص به . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٢٠٥) من طريق حفص ، عن الحكم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مطولا .

وأخرجه سلمة بن شبيب فى زوائده على تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧، والطبرانى فى الدعاء (١٥٦٤) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة قوله . وإبراهيم بن الحكم ضعيف .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد . وسيأتى فى سورة الأحزاب : ٧٠، وسورة فصلت : ٦، ٧، ٣٠، وسورة الفتح : ٢٦، وسورة النبأ : ٣٨، وسورة النازعات : ١٨، وسورة الأعلى : ١٤.

عن المِنْهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : أُمِرُوا أن يَسْتَغْفِروا[(١)] .

وقال آخَرون نحوَ[(٢)] قولِ عِكْرمةَ ، إلا أنهم قالوا : القولُ الذى أُمِروا أن يَقُولوه هو أن يَقُولوا : هذا الأمرُ حقٌّ كما قيل لكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : قولوا : هذا الأمرُ حقٌّ كما قيل لكم[(٣)] .

واخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى المعنى الذى مِن أجلِه رُفِعَت « الحِطَّةُ » ؛ فقال بعضُ نحويِّى أهلِ البصرةِ : رُفِعَت « الحِطَّةُ » بمعنى قولوا : ليكنْ منك[(٤)] حِطَّةٌ لذُنوبِنا . كما تقولُ للرجلِ : سَمْعُك .

وقال آخَرون منهم : هى كلمةٌ أمَرَهم اللَّهُ أن يقولوها مرفوعةً ، وفرَض عليهم قِيلَها كذلك .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ[(٥)] : رُفِعَت « الحِطَّةُ » بضَميرِ « هذه » ، كأنه قال : وقولوا : هذه حطةٌ .

وقال آخَرُ منهم : هى مرفوعةٌ بضَميرٍ معناه الخبرُ ، كأنه قال : قولوا : ما هو

(١) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥، ٧٢٦ .
(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « نظير » .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٨ (٥٨١) عن أبى زرعة ، عن منجاب .
(٤) فى ص ، ر ، م ، ت ٣: « منكم » .
(٥) فى ص ، ر ، م : « الكوفيين » .

حطةٌ . فتكونُ « حطةٌ » حينئذٍ خبرًا لـ « ما » .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أقربُ عندى فى ذلك إلى الصوابِ وأشْبَهُ بظاهرِ الكتابِ ، أن يكونَ رفَع ﴿حِطَّةٌ﴾ بنيةِ خبرٍ محذوفٍ قد دلَّ عليه ظاهرُ التِّلاوةِ ، وهو : دخولُنا البابَ سجدًا حطةٌ . فكفَى مِن تَكريرِه بهذا اللفظِ مادل عليه الظاهرُ مِن التنزيلِ ، وهو قولُه[(١)] : ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ . كما قال جلَّ ثناؤُه : (وإذْ قالت أُمةٌ منهم لمَ تعِظُون قومًا اللَّهُ مُهْلِكُهم أو مُعَذِّبُهم عذابًا شديدًا قالوا مَعْذِرَةٌ[(٢)] إلى ربِّكم) [الأعراف : ١٦٤] . بمعنَى : مَوْعِظتُنا إياهم مَعْذِرةٌ إلى ربِّكم . فكذلك عندى تأويلُ قولِه : ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ . يعنى بذلك : وإذ قلْنا : ادْخُلُوا هذه القريَةَ وادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ، وقولوا : دخولُنا ذلك سُجَّدًا حِطّةٌ لذنوبِنا . وهذا القولُ على نحوِ تأويلِ الربيعِ بنِ أنسٍ وابنِ[(٣)] جُرَيْـجٍ وابنِ[(٣)] زيدٍ [٣/٤و] الذى ذكَرْناه آنِفًا .

وأما على تأويلِ قولِ عكرمةَ ، فإن الواجبَ أن تكونَ القراءةُ بالنصبِ فى : ﴿حِطَّةٌ﴾ ؛ لأن القومَ إن كانوا أُمِروا أن يقولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . أو أن يقولوا : نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . فقد قيل لهم : قولوا هذا القولَ . فـ « قولوا » حينَئذٍ واقعٌ على الحِطَّةِ ؛ لأن الحِطَّةَ على قولِ عكرمةَ هى قولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . وإذا[(٤)] كانت هى قولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فالقولُ عليها واقعٌ ، كما لو أمَر رجلٌ رجلًا بقولِ الخيرِ ، لقال[(٥)] له : قل خيرًا . نصبًا ، ولم يكنْ صوابًا أن يقولَ له : قل خيرٌ . إلا على اسْتِكْراهٍ شَديدٍ .

---

(١) فى الأصل : « قولوا » .

(٢) سيأتى تعليق المصنف على قراءة الرفع فى سورة الأعراف .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إذ » .

(٥) فى م ، ت ٢ : « فقال » .

وفى إجماعِ القرأةِ على رفعِ « الحطة » بيانٌ واضحٌ على خلافِ الذى قاله عكرمةُ مِن التأويلِ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ .

وكذلك الواجبُ على التأويلِ الذى روَيْناه عن الحسنِ وقَتادةَ فى قولِه :
٣٠٢/١ ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . أن تكونَ / القراءةُ فى ﴿ حِطَّةٌ ﴾ نَصْبًا ؛ لأن مِن شأنِ العربِ إذا وضَعوا المصادرَ مَواضِعَ الأفعالِ ، وحذَفوا الأفعالَ ، أن يَنْصِبوا المصادرَ ، كما قال الشاعرُ[1] :

أَبِيدُوا[2] بأَيْدِى عُصْبَةٍ[3] وسُيوفُهم ... على أُمَّهاتِ الهامِ ضربًا شآمِيَا

وكقولِ القائلِ للرجلِ : سمعًا وطاعةً . بمعنى : أسمَعُ[4] سمعًا وأُطيعُ[5] طاعةً . وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٢٣، ٧٩] . بمعنى : نَعوذُ باللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾ : نَتَغَمَّدْ لكم بالرحمةِ خَطاياكم ، ونَسْتُرْها عليكم ، فلا نَفْضَحْكم بالعقوبةِ عليها .

وأصلُ الغَفْرِ التغطيةُ والسترُ ، فكلُّ ساترٍ شيئًا فهو غافرُه . ولذلك[6] قيل للبَيْضةِ مِن الحديدِ التى تُتَّخَذُ جُنَّةً للرأسِ : مِغْفَرٌ ؛ لأنها تُغَطِّى الرأسَ وتجُنُّه . ومنه غِمْدُ

(١) هو الفرزدق ، والبيت فى ديوانه ص ٨٩٠.
(٢) فى الديوان : « أناخوا » .
(٣) فى الديوان : « طاعة » .
(٤) فى الأصل ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « اسمع » .
(٥) فى الأصل ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أطع » .
(٦) فى ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ومن ذلك » .

السيفِ ، وهو ما (١)تَغَمَّدَه فواراه(١) ، (٢)ومن ذلك(٢) قيل لزِئْبِرِ(٣) الثوبِ : غَفْرةٌ(٤) . لتغطيتِه الثوبَ(٥) ، وحئولِه(٦) بينَ الناظرِ والنظرِ إليه(٧) . ومنه قولُ أوسِ بنِ حُجْرٍ(٨) :

ألا(٩) أُعْتِبُ(١٠) ابنَ العَمِّ إن كان جاهلًا وأَغْفِرُ عنه الجهلَ إن كان أَجْهَلَا

يعنى بقولِه : وأغفرُ عنه الجهلَ : أَسْترُ عليه جهلَه بحِلْمى عنه .

[٤٣/٣ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ خَطَٰيَٰكُمۡۚ ﴾ .**

والخَطايا جمعُ خَطِيَّةٍ بغيرِ هَمْزٍ ، كما المَطايا جمعُ مَطِيَّةٍ ، والحَشايا جمعُ حَشِيَّةٍ ، وإنما تُرِك جمعُ الخَطايا بالهمزِ ؛ لأن تركَ الهَمْزِ فى خَطيةٍ أكثرُ مِن الهمزِ ، فجُمِع على(١١) خطايَا ، على أن(١١) واحدتَها غيرُ مَهْموزةٍ . ولو كانت الخطايا مَجْموعةً على خَطيئةٍ بالهمزِ لقيل : خَطائى . على مثالِ قبيلةٍ وقَبائِلَ ، وصَحيفةٍ وصَحائفَ . وقد تُجْمَعُ خَطيئةٌ بالتاءِ فتُهْمَزُ ، فيُقالُ : خَطِيئاتٌ .

(١ - ١) فى م : « يغمده فيواريه » .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولذلك » .

(٣) الزئبر : ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز . اللسان (زأبر) .

(٤) فى م : « غفر » .

(٥) فى م : « العورة » ، وفى ت ١ : « العيون » ، وفى ت ٣ : « للعيون » .

وبعده خرم فى النسخة « ص » إلى ص ٦٧٢ من الجزء الثانى ، أثناء تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حوله » .

(٧) فى م : « إليها » .

(٨) ديوانه ص ٨٢.

(٩) فى م : « فلا » .

(١٠) أعتبه : أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته ، وتقول : قد أعتبنى فلان . أى ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضانى عنه ، بعد إسخاطه إياى عليه . اللسان (ع ت ب) .

(١١) سقط من : الأصل .

والخَطيئةُ فَعِيلةٌ ، مِن : خَطِئَ الرجلُ يَخْطَأُ خِطأً . وذلك إذا عدَل عن سبيلِ الحقِّ . ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

[(٢)]وإنَّ مُهاجِرَيْن[٢)] تكَنَّفاه [(٣)]عِبادُ[(٤)] اللَّهِ قد[٣)] خطِئا وحابا[(٥)]

يعنى : أضَلَّا الحقَّ وأثِما .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

وتأويلُ ذلك ما رُوِى لنا عن ابنِ عباسٍ ، وهو ما **حدَّثنا** به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ : مَن كان منكم مُحْسِنًا زِيد فى إحْسانِه ، ومَن كان مُخطِئًا نَغْفِرْ له خَطيئتَه .

فتأويلُ الآيةِ : وإذ قلنا : ادْخُلوا هذه القريةَ ، مُباحًا لكم أكلُ[(٦)] ما فيها مِن الطَّيِّباتِ ، ومُوَسَّعًا عليكم بغيرِ حسابٍ ، وادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ، وقولوا : سُجودُنا هذا للَّهِ حِطَّةٌ مِن ربِّنا لذنوبِنا ، يَحُطُّ به آثامَنا . نتَغَمَّد لكم ذُنوبَ المُذْنِبِ منكم ، فنسْتُرُها عليه ، ونَحُطُّ أوْزارَها عنه ، ونَزِيدُ[(٧)] المحسِنَ[(٨)] منكم -

---

(١) هو أمية بن الأسكر ، والبيت فى ذيل الأمالى ص ١٠٩ ، والأغانى ٢١/ ١٠ ، والخزانة ٦/ ١٩ .

(٢ - ٢) فى الأغانى ، والخزانة : « أتاه مهاجران » .

(٣ - ٣) فى ذيل الأمالى : « ليترك شيخه » ، وفى الأغانى ، والخزانة : « ففارق شيخه » .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لعمر » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ومصادر التخريج : « خابا » .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كل » .

(٧) فى م : « سنزيد » .

(٨) فى الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المحسنين » .

إلى إحسانِنا[(١)] السالفِ عندَه - إحْسانًا .

ثم أخبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه عن عظيمِ جَهالتِهم ، وسُوءِ طاعتِهم ربَّهم ، وعِصْيانِهم لأنبيائِهم ، واستِهْزائِهم برسلِهم[(٢)] ، مع عظيمِ آلاءِ اللَّهِ عندَهم ، وعَجائبِ ما أراهم مِن آياتِه وعِبَرِه ، مُوَبِّخًا بذلك أبناءَهم الذين خُوطِبوا بهذه الآياتِ ، ومُعْلِمَهم أنهم (٣)لن يَعْدوا(٣) - فى تكذيبِهم محمدًا ﷺ ، / وجحودِهم نبوَّتَه ، مع عظيمِ إحسانِ اللَّهِ بمَبْعَثِه فيهم إليهم ، وعَجائبِ ما أظْهَر على يديه مِن الحُجَجِ بينَ أظْهُرِهم - أن يكونوا كأسْلافِهم [٣/٥٥و] الذين وصَف صفتَهم ، وقصَّ عليهم[(٤)] أنباءَهم فى هذه الآياتِ ، فقال جل ثناؤُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ . ٣٠٣/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ فَبَدَّلَ ﴾ : فغيَّر . ويعنى بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ : الذين فعَلوا ما لم يكنْ لهم فعلُه . ويعنى بقولِه : ﴿ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ : بدَّلوا قولًا غيرَ الذى أُمِروا أن يَقُولوه ، فقالوا خِلافَه . وذلك هو التبديلُ والتَّغْييرُ الذى كان منهم .

وكان تبديلُهم بالقولِ الذى أُمِروا أن يَقُولوه قولًا غيرَه ، ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ

---

(١) فى الأصل : « إحسانه » .

(٢) فى م : « برسله » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إن تعدوا » .

(٤) فى م : « علينا » .

عُبيدٍ[(١)] المُحاربيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، عن مَعْمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ فى قولِه : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ . قال : « بدَّلوا فقالوا : حبَّةٌ »[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن همامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، أنه سمِع أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ تبارك وتعالى لبنى إسرائيلَ : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ[(٣)] لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴾ . فبدَّلوا ، فدَخَلوا البابَ يَزْحَفون[(٤)] على أسْتاهِهم ، وقالوا : حبَّةٌ فى شَعَرةٍ[(٥)] »[(٦)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ وعليُّ بنُ مجاهدٍ ، قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن صالحِ بنِ كيسانَ ، عن صالحٍ مولى التوأمةِ ، عن أبى هريرَةَ ، عن النبيِّ ﷺ . قال[(٧)] : وحدَّثنى[(٨)] محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ

---

(١) فى م ، ت٢ : « عبد الله » ، وفى ت١ ، ت٣ : « عبد » . وينظر تهذيب الكمال ٧٠/٢٦ .

(٢) أخرجه النسائى فى الكبرى (١٠٩٩٠) ، وابن المقرئ فى معجمه (١٥٨) من طريق محمد بن عبيد به .
وأخرجه أحمد ٤٧١/١٣ (٨١١٠) ، والبخارى (٤٤٧٩) ، والنسائى (١٠٩٨٩) من طرق عن ابن المبارك به ، إلا أنه فى رواية النسائى موقوفا .

(٣) فى صحيح مسلم : « يُغْفَر » . وهى قراءة نافع . ينظر حجة القراءات ص ٩٧ .

(٤) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يرجعون » .

(٥) فى ر ، م : « شعيرة » . وهى رواية الكشميهنى . فتح البارى ٨/ ٣٠٤.

(٦) أخرجه أحمد ٥٣٥/١٣ (٨٢٣٠) ، والبخارى (٣٤٠٣، ٤٦٤١) ، ومسلم (٣٠١٥) ، والترمذى (٢٩٥٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٧/١، ١١٩ (٥٧٥، ٥٨٧) ، وابن حبان (٦٢٥١) من طريق عبد الرزاق به .

(٧) يعنى محمد بن إسحاق .

(٨) فى م : « حدثت عن » .

ابنِ جبيرٍ ، أو عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « دخَلوا البابَ الذى أُمِروا أن يدخُلوا منه سجّدًا ، يزحَفون على أستاهِهم يقولون : حنطةٌ فى شعيرةٍ »[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى سعدٍ[(٢)] ، عن أبى الكَنودِ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ [٣/٥٥ظ] . قالوا : حِنْطةٌ حمراءُ فيها شَعيرةٌ . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . فرفَعوا رُءوسَهم وبدَّلوا . فزعَم السُّدِّىُّ ، عن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ أنه قال : إنهم قالوا : هِطى سُمْقاثا أزبه هَزْبا . وهو بالعربيةِ : حبةُ حنطةٍ حمراءُ مثقوبةٌ ، فيها شعرةٌ سوداءُ . فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه :

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٥/١، وفيه : عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة ، وعمن لا أتهم ، عن ابن عباس . وصالح مولى التوأمة اختلط . وينظر تفسير ابن كثير ١٤١/١ .

(٢) فى م : « سعيد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٩/١ (٥٨٨) من طريق ابن مهدى به ، دون ذكر ابن مسعود .
وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٩٠٢٧) من طريق الفريابى ، عن سفيان به عن ابن مسعود . وينظر علل أحمد ١٤٤/٢، ١٤٥ (٩٢٢) ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٩/١ (٥٨٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو به ، دون قول السدى .

﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قال : رُكَّعًا[(١)] مِن بابٍ صغيرٍ ، فجعَلوا يَدْخُلون مِن قِبَلِ أَسْتاهِهم ، ويقولون : حِنطةٌ . فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[(٢)] .

حدَّثني الحسنُ[(٣)] بنُ الزِّبْرِقانِ النَّخَعيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أُسامةَ ، عن سُفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، / عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أُمِروا أن يَدْخُلوا رُكَّعًا ويقولوا : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ . قال : أُمِروا أن يَسْتَغْفِروا . قال : فجعَلوا يَدْخُلون مِن قِبَلِ أَسْتاهِهم مِن بابٍ صغيرٍ ، ويقولون : حِنطةٌ . يَسْتَهْزِئون ، فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ . ١/٣٠٤

حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ والحسنِ : ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قالا : دخَلوها على غيرِ الجهةِ التى أُمِروا بها[(٤)] ، دخَلوها مُتَزَحِّفِين على أَوْراكِهم ، وبدَّلوا قولًا غيرَ الذى قِيل لهم ، فقالوا : حبَّةٌ فى شَعيرةٍ[(٥)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : (٦) أمَر موسى قومَه (٦) أن يَدْخُلوا البابَ سُجَّدًا ويقولوا :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ركوعا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٧/١ ، ١١٩ (٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٩٠) ، والحاكم ٢٦٢/٢ من طريق سفيان به . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وتقدم طرف منه فى ص ٧١٦ ، ٧١٨ .

(٣) فى الأصل : « الحسين » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى الأصل : « شعرة » . والأثر تقدم تخريجه فى ص ٧١٦ .

(٦ - ٦) كذا . ومن المعلوم أن نبى الله موسى ﷺ قد مات فى التيه الذى عاقبهم الله به بعد خذلانهم إياه وعصيانهم أمره فى دخول بيت المقدس وقتال العمالقة . ولما انقضت المدة التى كتبها الله عليهم . دخلوا بيت المقدس وقاتلوا العمالقة وفتحها الله لهم على يد نبى الله يوشع بن نون . ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب =

حِطَّةٌ . وطُؤْطِئَ لهم البابُ ليَسْجُدوا ، فلم يَسْجُدوا ، ودخَلوا على أدبارِهم ، وقالوا : حِنْطةٌ[١] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : أمَر موسى قومَه أن يَدْخُلوا المسجدَ ويقولوا : حِطَّةٌ . وطُؤْطِئَ لهم البابُ ليَخْفِضوا[٢] رءوسَهم ، فلم يَسْجُدوا ، فدخَلوا على أجْنُبِهم[٣] إلى الجبلِ - وهو الجبلُ الذى تجَلَّى له ربُّه جل ثناؤُه - وقالوا : حِنْطةٌ . فذلك التبديلُ الذى قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، [٦/٣و] قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قال : فدخَلوا على أسْتاهِهم مُقْنِعى[٤] رءوسِهم .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن[٥] النضرِ بنِ عَرَبىٍّ[٦] ، عن عكرمةَ : ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قال[٧] : فدخَلوا مُقْنِعى رءوسِهم . ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . فقالوا : حِنْطةٌ ، حبَّةٌ حمراءُ فيها شَعَرةٌ[٨] . قال[٥] : فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ

= سجدًا ويقولوا حطة . وينظر تاريخ المصنف ١/٤٣٢ - ٤٤٢، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٩، والبداية والنهاية ٢/٢٢١ - ٢٤٢.

(١) تقدم تخريجه فى ص ٧١٣ .

(٢) فى م : « ليقولوا » .

(٣) فى م : « أستاههم » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « استهم » .

(٤) المُقْنِع : الرافع رأسَه فى السماء . التاج (ق ن ع) .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « عدى » .

(٧) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « شعيرة » .

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[(١)] .

٣٠٥/١ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابن جُرَيْجٍ ، [(٢)]قال : قال لى عطاءٌ فى قولِه : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ . قال : أما تبديلُهم فسَمِعْنا أنهم قالوا : حنطةٌ . قال ابنُ جُرَيجٍ[(٢)] : وقال ابنُ عباسٍ : لما دخَلوا قالوا : حبةٌ فى شعَرةٍ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما دخَلوا البابَ قالوا : حبةٌ فى شعيرةٍ . فبدَّلوا قولًا غيرَ الذى قيل لهم .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[(٤)] : فكان سجودُ أحدِهم على خدِّه . ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ يحطُّ عنكم خطيئاتِكم[(٥)] . فقالوا : حِنْطةٌ . وقال بعضُهم : حبةٌ فى شَعيرةٍ . ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[(٦)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ : يَحُطُّ اللَّهُ بها عنكم ذنبَكم وخَطيئاتِكم . قال : فاسْتَهْزَءوا

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٠/١ عقب الأثر (٥٩٠) معلقا .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « شعيرة » .

(٤) بعده فى م ، ت ١ : « قال » .

(٥) فى م : « خطاياكم » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ (٥٧٨) من طريق ابن أبى جعفر به إلى قوله : على خده .

به - يعنى بموسى - وقالوا : ما يَشاءُ موسى أن يَلْعَبَ بنا إلا لعِب بنا ، حِطَّةٌ حِطَّةٌ ! أىُّ شىءٍ حطةٌ ؟ وقال بعضُهم لبعضٍ : حِنْطةٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ : على الذين فعَلوا ما لم يكنْ لهم فعلُه مِن تَبْديلِهم القولَ الذى أمَرهم اللَّهُ أن يَقُولوه قولًا غيرَه ، ومَعْصيتِهم إياه فيما أمَرهم به ، ورُكوبِهم ماقد نهاهم (١) عنه و (١) عن رُكوبِه ﴿ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

والرِّجْزُ فى لغةِ (٢) أهلِ الحجازِ (٢) [٦/٣ظ] العذابُ ، وهو غيرُ الرِّجْسِ (٣) ، وذلك أن (٤) الرِّجْسَ هو النَّتْنُ (٤) . ومنه الخبرُ الذى رُوِى عن النبىِّ ﷺ فى الطاعونِ أنه قال : « إنه رِجزٌ عُذِّب به بعضُ الأممِ الذين قبلَكم » .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَنى يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : أخْبَرَنى عامرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن أُسامةَ بنِ زيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إن هذا الوَجَعَ - أو السُّقْمَ - رِجزٌ عُذِّب به بعضُ الأممِ قبلَكم » (٥) .

(١ - ١) زيادة من : ر .

(٢ - ٢) فى م : « العرب » .

(٣) فى م : « الرجز » .

(٤ - ٤) فى م : « الرجز : البثر » .

(٥) أخرجه مسلم (٢٢١٨/٩٦) من طريق ابن وهب به .

وأخرجه أحمد ٥/ ٢٠٧، ٢٠٨ (الميمنية) ، والبخارى (٦٩٧٤) ، ومسلم (٩٦/٢٢١٨) ، وغيرهم من طريق الزهرى به نحوه . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٤٢، ١٤٣.

حدَّثني أبو شَيْبةَ بنُ أبي بكرِ بنِ أبي شَيْبةَ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ ، قال : حدَّثني أبي ، عن الشَّيْبانيِّ ، عن رياحِ[1] بنِ عَبِيدةَ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، قال : شهِدْتُ أسامةَ بنَ زيدٍ عندَ سعدِ بنِ مالكٍ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الطاعونَ رِجْزٌ أُنْزِل على مَن كان قبلَكم - أو على بني إسرائيلَ - » .

وبمثلِ الذي قلْنا في[2] ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ رِجْزًا ﴾ . قال : عذابًا[3] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا ﴾ . قال : الرِّجْزُ الغضبُ[4] .

حُدِّثتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبي روقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ رِجْزًا ﴾ . قال : كلُّ شيءٍ في كتابِ اللَّهِ جل ثناؤُه من الرِّجزِ يعني به العذابَ[5] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما قيل لبني إسرائيلَ : ادخُلوا البابَ سجَّدًا وقولوا : حطةٌ . فَبَدَّل الذين ظَلَموا منهم قولًا غيرَ

(١) في م : « رباح » .

(٢) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تأويل » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٢٠ (٥٩٣) من طريق آدم به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٢٠ (٥٩٢) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به .

الذى قيل لهم ، بعَث اللَّهُ عليهم الطاعونَ ، فلم يُبْقِ منهم أحدًا . وقرأ : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ . قال : وبقِى الأبناءُ ، ففيهم الفضلُ والعبادةُ التى تُوصَفُ فى بنى إسرائيلَ والخيرُ ، وهلَك الآباءُ كلُّهم ؛ أهلَكهم الطاعونُ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الرِّجْزُ العذابُ ، وكلُّ شىءٍ فى القرآنِ رِجْزٌ فهو عذابٌ .

/ **قال أبو جعفرٍ** : وقد دلَّلْنا على أن تأويلَ الرِّجْزِ العذابُ . وعذابُ اللَّهِ عزّ وجلّ أصنافٌ مختلفةٌ ، وقد أخْبَر جل ثناؤُه أنه أنْزَل على الذين وصَفْنا أمْرَهم الرِّجْزَ مِن السماءِ ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان طاعونًا ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان غيرَه ، ولا دَلالةَ فى [٧/٣و] ظاهرِ القرآنِ ولا فى أثرٍ عن الرسولِ صلى اللَّه عليه ثابتٍ أىُّ أصنافِ العذابِ كان ذلك . ٣٠٦/١

فالصوابُ مِن القولِ فيه أن يُقالَ كما قال جل ثناؤُه : (١) أنزل اللَّهُ(١) عليهم رِجْزًا من السماءِ بفسقِهم . غيرَ أنه يَغْلِبُ على نَفْسى(٢) صحةُ ما قاله ابنُ زيدٍ ، للخبرِ الذى ذكَرْتُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى إخبارِه عن الطاعونِ أنه رِجْزٌ ، وأنه عُذِّب به قومٌ قبلَنا ، وإن كنتُ لا أقولُ : إن ذلك كذلك يَقينًا ؛ لأن الخبرَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ لا بَيانَ فيه أىُّ أمَّةٍ عُذِّبَت بذلك ، وقد يجوزُ أن يكونَ الذين عُذِّبوا به كانوا غيرَ الذين وصَف اللَّهُ صفتَهم فى قولِه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

(١ - ١) فى م : « فأنزلنا » .

(٢) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « النفس » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

(١) ومعْنى ذلك : بفِسْقِهم (١) .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا[٢] على أن معنى الفِسْقِ الخروجُ مِن الشىءِ[٣] .

فتأويلُ قولِه : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ . إذن : بما كانوا يَتْرُكون طاعةَ اللَّهِ فيَخْرُجون عنها إلى معصيتِه وخلافِ أمرِه .

(١ - ١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت ٣.

(٢) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هذا » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ : وإذ اسْتَسْقانا موسى لقومِه ؛ أى : سأَلَنا[(١)] نَسْقِى قومَه ماءً . فترَك ذكرَ المسئولِ[(٢)] ذلك ، والمَعْنِيّ الذى سأَل موسى ؛ إذ كان فيما ذكَر مِن الكلامِ الظاهرِ دَلالةٌ على معنى ما ترَك [(٣)]وحذَف[(٣)] .

وكذلك قولُه : ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ . مما اسْتُغْنِى بدَلالةِ الظاهرِ على المَتْروكِ منه ، وذلك أن معنى الكلامِ : فقلْنا : اضْرِبْ بعصاك الحجرَ . فضرَبه فانْفَجَرت . فترَك ذكْرَ الخبرِ عن ضَرْبِ موسى الحجرَ ؛ إذ كان فيما ذكَر دَلالةٌ على المرادِ منه .

وكذلك قولُه : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ . [٧/٣ظ] إنما معناه : قد علِم كلُّ أناسٍ منهم مَشْرَبَهم . فترَك ذكرَ « منهم » لدَلالةِ الكلامِ عليه .

وقد دلَّلْنا على أن « أناس »[(٤)] جمعٌ لا واحدَ له مِن لفظِه - فيما مضى - وأن

(١) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن » .

(٢) بعده فى حاشية الأصل : « فى الأم : له » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى م : « الناس » . وهو ما تقدم فى ١/٢٧٤ .

الإنسانَ لو جُمِع على لفظِه لَقيل : أناسينُ[(١)] وأَناسِيَةٌ .

وقومُ موسى هم بنو إسرائيلَ الذين قصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ قَصَصَهم فى هذه الآياتِ . وإنما اسْتَسْقَى لهم ربَّه جلَّ ثناؤُه الماءَ فى الحالِ التى تاهوا فيها فى التِّيهِ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ الآية . قال : كان هذا إذ هم فى البَرِّيَّةِ
٣٠٧/١ اشْتَكَوْا إلى نبيِّهم الظَّمأَ ، فأُمِروا /بحجرٍ طُورانىٍّ[(٢)] مِن الطُّورِ ، أن يَضْرِبَه موسى بعَصاه ، فكانوا يَحْمِلونه معهم ، فإذا نزَلوا ضرَبه موسى بعصاه ، فانْفَجَرَت منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، لكلِّ سِبْطٍ عينٌ مَعلومةٌ ، مُسْتَفيدٌ[(٣)] ماؤُها لهم[(٤)] .

حدَّثنى تَميمُ بنُ المُنْتَصِرِ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا أَصْبَغُ بنُ زيدٍ ، عن القاسمِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ذلك فى التِّيهِ ، ظُلِّل عليهم الغَمامُ ، وأُنْزِل عليهم المنُّ والسَّلْوَى ، وجُعِل لهم ثيابٌ لا تَبْلَى ولا تَتَّسِخُ ، وجُعِل بينَ ظَهْرانَيْهِم حجرٌ مُرَبَّعٌ ، وأُمِر موسى فضَرب بعصاه الحجرَ ، فانفجرَتْ منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، فى كلِّ ناحيةٍ منه ثلاثُ عيونٍ ، لكلِّ سبطٍ عينٌ ، ولا يَرْتَحِلون مَنْقَلةً[(٥)] إلا وجَدوا ذلك الحجرَ منهم[(٦)] بالمكانِ الذى كان به منهم[(٦)] فى

---

(١) فى م : « أناسى » . وهو جمع صحيح بإبدال الياء من النون .

(٢) فى م : « طورى أى » ، وفى تفسير ابن حاتم : « طورى » .

(٣) فى م : « مستفيض » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١/١ (٥٩٧، ٦٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة ، مختصرًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر . اللسان (ن ق ل) .

(٦) فى م : « معهم » .

المنزلِ الأولِ .

حدَّثنى عبدُ الكريمِ ، قال : أخْبَرَنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن (١) أبى سَعْدٍ (١) ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ذلك فى التِّيهِ ، ضرَب لهم موسى الحجرَ ، فصار فيه اثنتا عشْرةَ عينًا مِن ماءٍ ، لكلِّ سِبْطٍ منهم عينٌ يَشْرَبون منها (٢) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ : (٣) فانْفَجر لهم الحجرُ بضربةِ موسى اثنتى (٣) عشْرَةَ عينًا ، لكلِّ سِبْطٍ منهم عينٌ ، كلُّ ذلك كان فى تِيهِهم حينَ تاهوا (٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ . قال : خافوا الظَّمأَ فى تِيهِهم حينَ تاهوا ، فانْفَجر لهم الحجرُ اثنتَىْ عشْرةَ عينًا ، ضرَبه موسى . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : الأسْباطُ بنو يَعقوبَ ، كانوا اثْنَى عشَرَ رجلًا ، كلُّ واحدٍ منهم ولَد

(١ - ١) فى م ، ت ٣ ، وتفسير ابن كثير : « أبى سعيد » . والصواب المثبت ، وهو أبو سعد البقال سعيد بن المرزبان ، كما تقدم فى ١/٦٤٧.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٢ إلى المصنف . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٤٣ عن سفيان الثورى ، عن أبى سعيد ، عن عكرمة به .

وسفيان هو ابن عيينة ، كما جاء مصرحًا بذلك فى ١/٦٤٧، وإبراهيم بن بشار الرمادى مشهور بالرواية عنه ، ولا يعرف له رواية عن الثورى .

(٣ - ٣) فى م : « فانفجرت منه اثنتا » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

سِبْطًا[١] ؛ أُمَّةً مِن الناسِ[٢] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، [٨/٣و] قال : قال ابنُ زيدٍ : اسْتَسْقَى لهم موسى فى التِّيهِ ، فسُقُوا فى حَجرٍ مثلِ رأسِ الشاةِ . قال : يُلْقُونه فى جانبِ[٣] الجُوَالِقِ[٤] إذا ارْتَحَلوا ، ويَقْرَعُه موسى بالعصا إذا نزَل ، فتَنْفَجِرُ منه اثنتا عشْرَةَ عينًا ، لكلِّ سبطٍ منهم عينٌ ، فكان بنو إسرائيلَ يَشْرَبون منه ، حتى إذا كان الرحيلُ اسْتَمْسَكَت العُيونُ ، وقيل به[٥] فأُلْقِى فى جانبِ الجُوَالِقِ ، فإذا نزَل رمَى به ، فقرَعه بالعصا ، فتفَجَّرَت عينٌ مِن كلِّ ناحيةٍ مثلَ البحرِ .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ ، قال : كان ذلك فى التِّيهِ[٦] .

وأما قولُه : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ . فإنما أخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بذلك عنهم ، [٧]فخصَّ بالنَّبأِ عنهم بذلك[٧] ؛ لأن معناهم - فى الذى أخْرَج اللَّهُ لهم مِن الحجرِ الذى وصَف فى هذه الآيةِ صفتَه مِن الشربِ - كان مُخالِفًا معانىَ سائرِ الخلقِ فيما أخْرَج اللَّهُ لهم مِن المياهِ مِن الجبالِ والأرَضِينَ ، التى لا مالكَ لها سوى اللَّهِ جلَّ وعزَّ . وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه كان جعَل لكلِّ سِبْطٍ مِن الأسباطِ الاثنَىْ عشَرَ ،

---

(١) بعده فى م : « و » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤٠ إلى المصنف مقتصرًا على آخره .

(٣) فى م : « جوانب » .

(٤) الجوالق : وعاء من الأوعية معروف ، فارسى معرب . اللسان (ج ل ق) .

(٥) قيل به . أى : رُفع وحُمل ، والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده . أى أخذ ، وقال برجله . أى مشى . ينظر النهاية ٤/ ١٢٤ .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٣٠، ٤٣١ عن موسى بن هارون به ، عن السدى بإسناده ، مطولًا .

(٧ - ٧) سقط من : ر ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

عينًا مِن الحجرِ الذى وصَف صفتَه فى هذه الآيةِ ، يَشْرَبُ منها دونَ سائرِ الأسباطِ غيرِه ، لا يَدْخُلُ سِبْطٌ منهم فى شِرْبِ سِبْطٍ غيرِه ، فكان مع ذلك لكلِّ عينٍ مِن تلك /العيونِ الاثنتَىِ العشْرَةَ موضعٌ مِن الحجرِ ، قد عرَفه السِّبْطُ الذى منه شِرْبُه[1] ، فلذلك ٣٠٨/١
خصَّ جلَّ ثناؤُه هؤلاء بالخبرِ عنهم أن كلَّ أناسٍ منهم كانوا عالِمين بمَشْرَبِهم دونَ غيرِهم مِن الناسِ ، إذ كان غيرُهم - فى الماءِ الذى لا يَمْلِكُه أحدٌ - شُركاءَ فى مَنابعِه ومَسايلِه ، وكان كلُّ سِبْطٍ مِن هؤلاء [2]كان منفردًا[2] بشرْبِ مَنبَعٍ مِن مَنابعِ الحجرِ - دونَ سائرِ مَنابعِه - خاصٌّ لهم دونَ سائرِ الأسْباطِ غيرِهم ، فلذلك خصَّ بالخبرِ عنهم أن كلَّ أناسٍ منهم قد علِموا مَشْرَبَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ .

وهذا أيضًا مما اسْتُغْنِى بذكرِ ما هو ظاهرٌ منه عن ذكرِ ما تُرِك ذكرُه . وذلك أن تأويلَ الكلامِ : فقلنا : اضْرِبْ بعصاك الحجرَ . فضرَبه ، فانْفَجَرت منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، قد [٨/٣ظ] علِم كلُّ أناسٍ منهم[3] مَشْرَبَهم ، فقيل لهم : كلوا واشْرَبوا مِن رزقِ اللَّهِ . أخْبَرَ جلَّ ثناؤُه أنه أمَرَهم بأكلِ ما رزَقهم فى التِّيهِ مِن المنِّ والسلوى ، وبشربِ ما فجَّر لهم[4] مِن الماءِ مِن الحجرِ المُتعاوَرِ[5] الذى لا قَرارَ له فى أرضٍ ، ولا سبيلَ إليه [6]لماءٍ ، ولكنَّه[6] يَتَدَفَّقُ بعيونِ الماءِ ، ويَزْخَرُ بيَنابيعِ العَذْبِ الفُراتِ ، بقدرةِ ذى الجَلالِ والإكْرامِ .

---

(١) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء والحصة منه . المصباح المنير (ش ر ب) .

(٢ - ٢) فى ر ، م : « مفردا » .

(٣) زيادة من : ر .

(٤) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيه » .

(٥) اعتوَروا الشىء وتعوَّروه وتعاوَروه : تداولوه فيما بينهم . اللسان (ع و ر) .

(٦ - ٦) فى ر : « لماء لكنه » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لمالكيه » .

ثم تقدَّم جلَّ ثناؤُه إليهم - مع (١ إباحتِه لهم ١) ما أباح ، وإنعامِه عليهم بما أنْعَم (٢) مِن العيشِ الهَنِيءِ - بالنهيِ عن السعْيِ في الأرضِ فسادًا ، والعَثَا فيها استكبارًا ، فقال تعالى ذكرُه لهم : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا ﴾ : لا تَطْغَوا ، ولا تَسْعَوْا فى الأرضِ مُفْسِدِين .

كما **حدَّثنى** به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . يقولُ : لا تَسْعَوا فى الأرضِ فَسادًا (٣) .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . (٤ قال : لا تَطْغَوا فى الأرضِ مفسدين ٤) . لا تَعْثَ : لا تَطْغَ .

حدَّثنا بشرٌ ، (٥ قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ٥) ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . أى : لا تَسِيروا فى الأرضِ مُفْسِدِين (٦) .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ

(١ - ١) فى م : « إباحتهم » .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به عليهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٢ (٦٠٦) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٢ (٦٠٧) من طريق شيبان ، عن قتادة .

عباسٍ : ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ : لا تَسْعَوْا فى الأرضِ[(١)] .

وأصلُ العَثَا شدةُ الإفسادِ ، [(٢)]بل هو أشدُّ الإفسادِ[(٢)] ، يُقالُ منه : عَثِى فلانٌ فى الأرضِ - إذا تجاوَز فى الإفسادِ إلى غايتِه - يَعْثَى عَثًا ، مقصورٌ ، وللجماعةِ : هم يَعْثَوْن . وفيه لُغتان أُخْرَيان ؛ إحداهما : عَثَا يَعْثُو عُثُوًّا[(٣)] . ومَن قرَأ بهذه اللغةِ ، فإنه يَنْبَغِى له أن يَضُمَّ الثاءَ مِن « يعثو » ، ولا أعْلَمُ قارئًا يُقْتَدَى بقراءتِه قرَأ به . ومَن نطَق بهذه اللغةِ مُخْبِرًا عن نفسِه قال : عثَوْتُ أَعْثُو . ومَن نطَق باللغةِ الأولى قال : عَثِيتُ أَعْثَى .

والأخرى منهما : عاث يَعِيثُ عَيْثًا وعُيُوثًا وعَيَثانًا ، كلُّ ذلك بمعنًى واحدٍ . ومِن العَيْثِ قولُ رُؤْبَةَ بنِ العَجَّاجِ[(٤)] :

/[٩/٣و] وعاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عَـائِثُ ٣٠٩/١

مُصَـــدِّقٌ أو تاجِـــرٌ مُقَـاعِثُ[(٥)]

يعنى بقولِه : عاث فينا : أفْسَد فينا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ضبطت فى الأصل هكذا : « عَثْوًا » .

(٤) ديوانه ص ٣٠.

(٥) المصدق : الذى يقبض أموال الصدقة والزكاة . والمقاعث : الذى يستأصل المال ويستوعبه . اللسان (ص د ق ، ق ع ث) .

قال أبو جعفرٍ رحمه اللَّهُ : قد دلَّلْنا فيما مضَى قبلُ على معنَى الصبرِ ، وأنه كَفُّ النفْسِ وحبسُها عن الشيءِ[(١)] . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعنى الآيةِ إذن : واذْكُروا إذ قلتم يا معشرَ بنى إسرائيلَ : لن نُطيقَ حبسَ أنفسِنا على طعامٍ واحدٍ - وذلك الطعامُ الواحدُ هو ما أخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه أطْعَمَهموه فى تِيهِهم ، وهو السلْوى فى قولِ بعضِ أهلِ التأويلِ ، وفى قولِ وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ هو الخبزُ النَّقِىُّ مع اللحمِ - فاسْأَلْ لنا ربَّك يُخْرِجْ لنا مما تُنْبِتُ الأرضُ مِن البَقْلِ والقِثَّاءِ ، وما سَمَّى اللَّهُ مع ذلك وذكَر أنهم سألوه موسى .

وكان سببَ مسألتِهم موسى ذلك فيما بلَغَنا ما **حدَّثنا** به بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ . قال : كان القومُ فى البرِّيَّةِ قد ظُلِّل عليهم الغَمامُ ، وأُنْزِل عليهم المنُّ والسَّلْوَى ، فملُّوا ذلك ، وذكَروا عيشًا كان لهم بمصرَ ، فسأَلوه موسى ، فقال اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ . قال : ملُّوا طعامَهم ، وذكَروا عيشَهم الذى كانوا فيه قبلَ ذلك ، قالُوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا ﴾[(٣)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ . قال : كان طعامُهم السلوى ، وشرابُهم المنَّ ، فسأَلوا ما ذُكِر ، فقيل لهم : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا فَإِنَّ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٦١٧/١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ (٦١١) عن الحسن بن يحيى به .

لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ . قال أبو جعفرٍ الرازىُّ[(١)] : وقال قتادةُ : إنهم لما قدِموا الشامَ فقَدوا أَطْعماتِهم[(٢)] التى كانوا يأْكُلونها ، فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ . وكانوا قد ظُلِّل عليهم الغَمامُ ، وأُنْزِل عليهم المنُّ والسلْوى ، فملُّوا ذلك ، وذكَروا عيشًا كانوا فيه بمصرَ[(٣)] .

٣١٠/١ /حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، [٩/٣ظ] قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، [(٤)]عن مجاهدٍ[(٤)] فى قولِ اللَّهِ : ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ : المنُّ والسلْوى ، فاسْتَبْدَلوا به البَقْلَ وما ذُكِر معه[(٥)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ بمثلِه سَواءً .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ بمثلِه .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : أُعْطُوا فى التِّيهِ ما أُعْطُوا ، فأَجَمُوا[(٦)] ذلك ، فقالوا : ﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أطعمتهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٢، ١٢٣ (٦٠٩، ٦١٢) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فملوا » وهما بمعنى . وانظر التاج (أ ج م) .

وَبَصَلِهَا ﴾[(١)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرنا ابنُ زيدٍ ، قال : كان طعامُ بنى إسرائيلَ فى التِّيهِ واحدًا ، وشرابُهم واحدًا ، كان شرابُهم عسلًا يَنْزِلُ لهم مِن السماءِ ، يُقالُ له : المنُّ . وطعامُهم طيرٌ يقالُ له : السَّلوى . يأكُلون الطيرَ ، ويشربُون العسلَ ، لم يكونوا يعرِفون خبزًا ولا غيرَه ، فقالوا : يا موسى ، إنَّا لن نَصْبِرَ على طعامٍ واحدٍ ، ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ . فقرأ حتى بلَغ : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾ .

وإنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ . ولم يَذْكُرِ الذى سأَلوه أن يَدْعُوَ ربَّه ليُخْرجَه لهم مِن الأرضِ ، فيقولوا[(٢)] : ادْعُ لنا ربَّك يُخْرِجْ لنا كذا وكذا مما تُنْبِتُه الأرضُ مِن بقلِها وقِثَّائِها ؛ لأن « مِن » تأتى بمعنى التبعيضِ لما بعدَها ، فاكْتُفِى بها مِن ذِكْرِ المُبَعَّضِ[(٣)] ، إذ كان معلومًا بدخولِها معنى ما أُريد بالكلامِ الذى هى فيه ، كقولِ القائلِ : أَصَبْتُ[(٤)] اليومَ عندَ فلانٍ مِن الطعامِ . يُرِيدُ : أصبْتُ[(٥)] شيئًا منه .

وقد قال بعضُهم : « مِن » هٰهنا بمعنى الإلغاءِ والإسْقاطِ ، كأَنَّ معنى الكلامِ عندَه : يُخْرِجْ لنا ما تُنْبِتُ الأرضُ من بقلِها . واسْتَشْهَد على ذلك بقولِ العربِ : ما

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٢ (٦١٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وينظر تاريخ المصنف ١/ ٤٣١.

(٢) فى م : « فيقول : قالوا » .

(٣) فى م : « التبعيض » .

(٤) فى م : « أصبح » .

(٥) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

رأيتُ مِن أحدٍ . بمعنى : ما رأيتُ أحدًا . وبقولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَيُكَفِّرُ[(١)] عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧١] . وبقولِهم : قد كان مِن حديثٍ ، فخَلِّ عنى حتى أذْهَبَ . يُريدون : قد كان حديثٌ .

وقد أنْكَر مِن أهلِ العربيةِ جماعةٌ أن تَكونَ « مِنْ » بمعنى الإلغاءِ فى شىءٍ مِن الكلامِ ، وادَّعَوْا أن دخولَها فى كلِّ موضعٍ دخَلَت فيه [(٢)]إيذانٌ بأنَّ[(٢)] المتكلمَ مُرِيدٌ بعضَ ما أُدْخِلَت فيه لا جميعَه ، وأنها لا تَدْخُلُ فى موضعٍ إلا لمعنًى مفهومٍ .

فتأويلُ الكلامِ إذن - على ما وصَفْنا مِن أمرِ مَن ذكَرْنا - : فادْعُ لنا ربَّك يُخْرِجْ لنا بعضَ ما تُنْبِتُ الأرضُ من بَقْلِها وقِثَّائِها .

والبَقْلُ والقِثَّاءُ والعَدَسُ والبَصَلُ ، [٣/١٠و] هو ما قد عرَفه الناسُ بينَهم مِن نباتِ الأرضِ وحبِّها .

وأما الفُومُ ، **فإن أهلَ التأويلِ مختلِفون**[(٣)] **فيه ؛ فقال بعضُهم** : هو الحِنْطةُ والخبزُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ومُؤَمَّلٌ ، قالا : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُريجٍ[(٤)] ، عن عطاءٍ ، قال : الفُومُ الخبزُ[(٥)] .

---

(١) فى الأصل : « يكفر » . وينظر ما سيأتى عند تأويل هذه الآية .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مؤذن أن » .

(٣) فى ر ، م : « اختلفوا » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبى نجيح » .

(٥) تفسير الثورى ص ٤٥ .

١/٣١١ /حدَّثني أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سُفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ومُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قالا : خُبْزُها[١] .

حدَّثني زكريا بنُ يحيى بنِ أبى زائدةَ ومحمدُ بنُ عمرٍو ، قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الخبزُ[٢] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ والحسنِ : الفومُ هو الحبُّ الذى يَخْتَبِزُ الناسُ .

حدَّثنا الحسنُ ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ والحسنِ مثلَه[٣] .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخْبَرَنا حُصَيْنٌ ، عن أبى مالكٍ فى قولِه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الحنطةُ[٤] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن يونُسَ ، عن الحسنِ وحُصَيْنٍ ، عن أبى مالكٍ فى قولِه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . الحِنْطةُ[٥] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قَتادةَ ، قال : الفُومُ الحبُّ الذى يَخْتَبِزُ الناسُ منه .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٤٥ عن الثورى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٢ إلى وكيع وعبد ابن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٤.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٩٠ - تفسير) عن خالد بن عبد الله ، عن حصين به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من الأصل .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٤٥ عن هشيم به .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ : هو الحِنْطةُ[(١)] .

حدَّثني القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لى عَطاءُ بنُ أبى رَباحٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : خبزُها. قالها مجاهدٌ.

حدَّثني يحيى بنُ عثمانَ السَّهْميُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . يقولُ : الحِنْطةُ والخبزُ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ قال : هو البُرُّ بعينِه ؛ الحِنْطةُ[(٣)] .

حدَّثني عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : ثنا مسلمٌ الجَرْميُّ ، قال : ثنا عيسى بنُ يونُسَ ،عن رِشْدينَ بنِ كُرَيْبٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الفومُ الحِنْطةُ بلسانِ بنى هاشمٍ[(٤)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال[(٥)] ابنُ زيدٍ : الفُومُ الخبزُ[(٦)] .

حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ المصريُّ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ عقب الأثر (٦١٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى الإتقان ٦/٢ - عن أبيه عن عبد الله بن صالح به ، دون قوله : والخبز . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ (٦١٣) من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، بلفظ : الخبز .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٤٥/١ عن الضحاك به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٤٥/١ عن المصنف . ورشدين ضعيف .

(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لى » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٤٥/١.

منصورٍ اليَحْصَبيُّ ، عن نافعِ بنِ أبى نُعَيْمٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ [٣/١٠ظ] سُئِل عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ . قال : الحِنطةُ ، أما سمِعْتَ قولَ أُحَيْحة بنِ الجُلَاحِ ، وهو يقولُ :

قد كنتُ أغْنَى الناسِ شخصًا واحدًا ورَد المدينةَ عن زِراعةِ فُومِ[١]

وقال آخرون : هو الثُّومُ .

٣١٢/١ ## /ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن ليثٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : هو هذا الثُّومُ[٢] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : الفُومُ الثُّومُ[٣] .

وهى فى بعضِ القراءةِ : (وثومِها) .

وقد ذُكِر أن تسميةَ الحِنْطةِ والخبزِ جميعًا فُومًا مِن اللغةِ القديمةِ . حُكِى سماعًا مِن أهلِ هذه اللغةِ : فَوِّموا لنا . بمعنى : اخْتَبِزوا لنا .

وذُكِر أن ذلك فى[٤] قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (وثومِها)[٥] . بالثاءِ . فإن كان

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ (٦١٤) من طريق نافع به . وهو لم يدرك ابن عباس .

وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٥٩٧) من طريق جويبر ، عن الضحاك فى المسائل التى سألها نافع بن الأزرق لابن عباس ، والأثر فى مسائل نافع ص ٤٠ .

والبيت فى الأغانى ٢/١٩ ، واللسان (ف و م) منسوب إلى أبى محجن الثقفى . وفى الأغانى « فول » بدلًا من « فوم » . وهو فى المسائل مختلف عن هلهنا .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٤٤/١ عن ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣/١ عقب الأثر (٦١٥) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٩١- تفسير) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٥٤ =

ذلك صحيحًا فإنه مِن الحروفِ المُبْدَلةِ ، كقولِهم : وقَعوا فى عاثُورِ[١] شَرٍّ وعافورِ شرٍّ . وكقولِهم للأَثافىِّ : أَثَاثِىّ ، وللمَغافيرِ : مَغاثِيرُ ، وما أشْبَهَ ذلك مما تُقْلَبُ فيه[٢] الثاءُ فاءً ، والفاءُ ثاءً ؛ لتَقارُبِ مَخرجِ الفاءِ مِن مَخْرَجِ الثاءِ . والمَغافيرُ شَبيهٌ [٣]بالصَّمْغَةِ والعسلِ ، ينزِلُ من السماءِ[٣] يَقَعُ على الشجرِ وغيرِها[٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ . قال موسى لهم : أتأْخُذون الذى هو أخسُّ خَطَرًا وقيمةً وقَدْرًا مِن العيشِ ، بدلًا بالذى هو خيرٌ منه خطرًا وقيمةً وقدرًا ؟ وذلك كان استبدالَهم .

وأصلُ الاسْتِبْدالِ هو تركُ شىءٍ لآخرَ غيرِه مكانَ المتروكِ .

ومعنى قولِه : ﴿ أَدْنَىٰ ﴾ : أخَسُّ وأوضعُ وأصغرُ قَدْرًا وخَطَرًا . وأصلُه مِن قولِهم : هذا رجلٌ دَنِىٌّ بَيِّنُ الدَّناءةِ ، وإنه ليُدَنِّى فى الأمورِ . بغيرِ همزٍ . إذا كان يَتَتَبَّعُ خسائسَها[٥] . وقد ذُكِر الهمزُ عن بعضِ العربِ فيه سماعًا منهم ، يقولون : ما كنتَ دَنِيئًا ، ولقد دَنأْتَ . وأنْشَدنى بعضُ أصحابِنا عن غيرِه أنه سمِع بعضَ بنى كِلابٍ

= بأسانيد ضعيفة .

(١) العاثور : ما أُعدَّ ليقع فيه أحد . التاج (ع ث ر) .

(٢) سقط من : ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) فى ر : « بالشىء الحلو يشبه بالعسل ينزل من السماء حار » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بالشىء الحلو يشبه بالعسل ينزل من السماء حلوا » .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نحوها » .

(٥) فى م : « خسيسها » .

يُنْشِدُ بيتًا للأعْشَى[١] :

باسِلةُ الوَقْعِ سَرابِيلُها بِيضٌ إلى دانِئِها[٢] الظاهِرِ

[١١/٣و] يَهْمِزُ الدانئَ . وأنه سمِعهم يقولون : إنه لَدانئٌ خَبيثٌ . بالهمزِ . فإن كان ذلك عنهم صحيحًا ، فالهمزُ فيه لغةٌ ، وتركُه أخرَى .

ولاشك أن من اسْتَبْدَل بالمنِّ والسلْوى البَقْلَ والقِثَّاءَ والعَدَسَ والبَصَلَ والثُّومَ ، فقد اسْتَبْدَلَ الوَضِيعَ مِن العيشِ بالرفيعِ منه .

وقد تأوَّل بعضُهم قولَه : ﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ بمعنى : الذى هو أقربُ . ووجَّه قولَه : ﴿ أَدْنَىٰ ﴾ إلى أنه أفْعَلُ ؛ مِن الدُّنُوِّ الذى هو بمعنى القربِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ . قاله عددٌ مِن أهلِ التأويلِ فى تأويلِه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ . يقولُ : أتَسْتَبْدِلون الذى هو شرٌّ بالذى هو خيرٌ[٣] .

٣١٣/١ /**حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ . قال : أَرْدَأُ[٤] .

---

(١) ديوانه ص ١٤٧.

(٢) فى الديوان : « جانبها » .

(٣) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منه » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ (٦١٧) من طريق يزيد بن زريع به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ .

وتأويلُ ذلك : فدعا موسى ، فاسْتَجَبْنا له ، فقلْنا لهم : اهْبِطوا مصرًا . وهو مِن[1] المحذوفِ الذى اجْتُزِئَ بدَلالةِ ظاهرِه عن[2] ذِكْرِ ما حُذِف وتُرِك منه .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى الهبوطِ إلى المكانِ إنما هو النزولُ إليه والحُلولُ به[3] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : وإذ قلتُم : يا موسى ، لن نصبِرَ على طعامٍ واحدٍ ، فادْعُ لنا ربَّك يُخرِجْ لنا مما تُنْبِتُ الأرضُ من بقلِها وقثَّائِها وفُومِها وعدَسِها وبصلِها . قال موسى لهم : أتَسْتَبْدِلون الذى هو أخَسُّ وأرْدَأُ مِن العيشِ بالذى هو خيرٌ منه ؟ فدعا لهم موسى ربَّه أن يُعْطِيَهم ما سألوه ، فاسْتَجاب اللَّهُ له دعاءَه ، فأعْطاهم ما طلَبوا ، وقال اللَّهُ تعالى ذكره لهم : اهْبِطُوا مِصْرًا فإن لكم ما سألْتُم .

ثم اخْتَلفت القَرأَةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا ﴾ . فقرَأته عامَّةُ القَرأةِ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا ﴾ بتَنْوينِ « المِصْرِ » وإجْرائِه . وقرَأه بعضُهم بتركِ التنوينِ وحذفِ الألفِ [٣/١١ظ] منه[4] . فأما الذين نوَّنوه وأجْرَوْه ، فإنهم عنَوْا به مصرًا مِن الأمصارِ لا مصرًا بعينِه . فتأويلُه على قراءتِهم : اهْبِطوا مصرًا مِن الأمصارِ ؛ لأنكم فى[5] البَرِّ و[5] البَدْوِ ، والذى طلَبْتُم لا يكونُ فى البَوادِى والفَيافِى ، وإنما يكونُ فى القُرى والأمصارِ ؛ فإنَّ لكم إذا هبَطْتُموه[6] ما سألْتُم مِن العيشِ . وقد يجوزُ أن يكونَ بعضَ

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « على » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٥٧١ .

(٤) وهذه قراءة الحسن وطلحة والأعمش وأبان بن تغلب ، وهى كذلك فى مصحف أُبى وابن مسعود وبعض مصاحف عثمان . المصاحف لابن أبى داود ص ٥٧، والبحر المحيط ١/ ٢٣٤.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل : « به » .

مَن قرَأ ذلك بالإجْراءِ والتَّنْوينِ ، كان تأويلُ الكلامِ عندَه : اهْبِطوا مصرًا البلدةَ التى تُعْرَفُ بهذا الاسمِ ، وهى مصرُ التى خرَجوا عنها . غيرَ أنه أجْراها ونوَّنها اتِّباعًا منه خَطَّ المصحفِ ؛ لأن فى المصحفِ ألفًا ثابتةً فى « مصرَ » ، فيَكونُ سبيلُ قراءتِه ذلك بالإجْراءِ والتنوينِ سبيلَ قراءةِ مَن قرأ : (كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوارِيرًا مِن فِضَّةٍ) [الإنسان : ١٥، ١٦] . مُنَوَّنةً[(١)] ، اتِّباعًا منه خطَّ المُصْحفِ .

وأما الذى لم يُنَوِّنْ « مصرَ » ، فإنه لاشكَّ أنه عنَى « مصرَ » التى تُعْرَفُ بهذا الاسمِ بعينِها دونَ سائرِ البُلْدانِ غيرِها .

وقد اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك نظيرَ اخْتِلافِ القَرأةِ فى قراءتِه ؛ **فحدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا ﴾ . أىْ : مِصرًا مِن الأمصارِ ، ﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا ﴾ : مِن الأمصارِ ، ﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ . فلمَّا خرَجوا مِن التِّيهِ رُفِع المنُّ والسَّلْوَى وأكَلوا البُقولَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثَنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا ﴾ . قال : مِصْرًا مِن الأمصارِ ، زعَموا أنهم لم يَرْجِعوا إلى مصرَ .

---

(١) وهى قراءة نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر ، وقرأ ابن كثير بالتنوين فى الأولى ، وبغير تنوين فى الثانية . السبعة لابن مجاهد ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ عقب الأثر (٦١٨) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ (٦٢١) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد ، به مختصرًا .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ . قال : يعني مصرًا مِن الأمصارِ .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ . قال : مِصْرًا مِن الأمصارِ ، ومصرُ لا تُجْرَى في الكتابِ[1] . فقالوا : أيُّ
٣١٤/١ مصرٍ ؟ قال : الأرضُ المقدَّسةُ[2] . /وقرأ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ٢١] .

وقال آخَرون : هي مصرُ التي كان بها فرعونُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ . قال : يعني به مصرَ فرعونَ[3] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ مثلَه .

ومِن حُجَّةِ مَن قال : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه إنما عنَى بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ . مصرًا مِن الأمصارِ دون مصرِ فرعونَ بعينِها - أن اللَّهَ [١٢/٣و] تبارك وتعالى جعَل أرضَ الشامِ لبني إسرائيلَ مَساكنَ بعدَ أن أخْرَجَهم مِن مصرَ ، وإنما ابْتَلاهم بالتِّيهِ بامتناعِهم على موسى صلى اللَّهُ عليه في حربِ الجَبابرةِ ، إذ قال لهم : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ . ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ[4] إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الكلام » .

(٢) بعده في م : « التي كتب اللَّه لهم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٢٤ (٦١٩) من طريق آدم به .

(٤) بعده في م : « إن فيها قومًا جبارين . إلى قوله » .

وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . فحرَّم اللَّهُ عزَّ وجلَّ على قائلى ذلك - فيما ذُكِر لنا - دخولَها حتى هلكوا فى التِّيهِ ، وابْتَلاهم بالتَّيَهانِ فى الأرضِ أربعين سنةً ، ثم أَهْبَط ذرِّيَّتَهم الشامَ ، فأسْكَنَهم الأرضَ المقدَّسةَ ، وجعَل هلاكَ الجَبابرةِ على أيديهم مع يُوشَعَ بنِ نُونٍ ، بعدَ وفاةِ موسى عليه السلامُ . قالوا[(١)] : فرَأَيْنا اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخْبَر عنهم أنه كتَب لهم الأرضَ المقدسةَ ، ولم يُخْبِرْنا عنهم أنه ردَّهم إلى مصرَ بعدَ إخراجِه إيَّاهم منها ، فيَجوزَ لنا أن نَقْرأَ : (اهبِطوا مصرَ) . ونتأوَّلَه أنه ردَّهم إليها .

قالوا : فإن احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بقولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء : ٥٧- ٥٩] .

قيل له[(٢)] : فإن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أوْرَثهم ذلك فملَّكهم إيَّاها ، ولم يَرُدَّهم إليها ، وجعَل مَساكنَهم الشامَ .

وأما الذين قالوا : إنما عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ ﴾ . مصرَ ، فإن مِن حُجَّتِهم التى احْتَجُّوا بها الآيةَ التى قال فيها : ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . وقولَه : ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥- ٢٨] . قالوا : فأخْبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه أنه قد ورَّثهم ذلك وجعَلها لهم ، فلم يكونوا ليَرِثوها ثم لا يَنْتَفِعوا بها .

قالوا : ولا يَكونون مُنْتَفِعين بها إلا[(٣)] بمَصيرِهم أو[(٣)] بمَصيرِ بعضِهم إليها ، وإلا فلا وجهَ للانتفاعِ بها إن لم يَصِيروا ، أو يَصِرْ بعضُهم إليها .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لهم » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

قالوا : وأُخرى أنها فى قراءةِ أبىِّ ابنِ كعبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : (اهبِطوا مصرَ) . بغيرِ ألفٍ . قالوا : ففى ذلك الدَّلالةُ البينةُ على أنها مصرُ بعينِها .

والذى نقولُ به فى ذلك أنه لا دَلالةَ فى كتابِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه على الصوابِ مِن هذين التأويلَيْن ، ولا خبرَ به عن الرسولِ ﷺ يَقْطَعُ مجيئُه العذرَ ، وأهلُ التأويلِ مُتَنازِعون تأويلَه .

فأولى الأقوالِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ[1] أن يُقالَ : إن موسى سأَل ربَّه أن يُعْطِيَ قومَه ما سأَلوه مِن /نباتِ الأرضِ - على ما بيَّنه اللَّهُ جلَّ ثناؤُه فى كتابِه - وهم ٣١٥/١
فى الأرضِ [١٢/٣ظ] تائِهون ، فاسْتَجاب اللَّهُ لموسى دعاءَه ، وأمَره أن يَهْبِطَ بمَن معه مِن قومِه قَرارًا مِن الأرضِ التى تُنْبِتُ[2] ما سأَل لهم مِن ذلك ، إذ كان ما[3] سأَلوه لا يُنْبِتُه إلَّا القُرَى والأمصارُ ، فإنَّه[4] قد أعْطاهم ذلك إذا[5] صاروا إليه . وجائزٌ أن يَكونَ ذلك القَرارُ مصرَ ، وجائزٌ أن يكونَ الشامَ .

فأما القراءةُ فإنها بالألفِ والتنوينِ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا ﴾ . وهى القراءةُ التى لا يَجوزُ عندى غيرُها ؛ لإجماعِ خُطوطِ مصاحفِ المسلمين ، واتفاقِ قراءةِ القَرأَةِ على ذلك ، ولم يَقْرَأْ بتركِ التنوينِ فيه وإسقاطِ الألفِ منه إلا مَن لا يَجوزُ الاعْتِراضُ به على الحُجَّةِ فيما جاءَت به مِن القراءةِ مُسْتَفِيضًا فيها[6] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ .

---

(١) فى ر ، م : « والصواب » .

(٢) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « لهم » .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « الذى » .

(٤) فى ر ، م : « وأنه » .

(٥) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « إذ » .

(٦) فى ر : « بينها » ، وكتب فوقها : « فيها » ، وأشار إلى نسخة ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بينها » .
وإلى هنا ينتهى الجزء الموجود عندنا من النسخة « ر » وهو نهاية المجلد الأول منها .

يعنى جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَضُرِبَتْ ﴾ . أى : فُرِضَت ووُضِعَت عليهم الذِّلةُ وأُلْزِمُوها ، مِن قولِ القائلِ : ضرَب الإمامُ الجِزْيةَ على أهلِ الذِّمةِ ، وضرَب الرجلُ على عبدِه الخَراجَ . يعنى بذلك (١) أنَّه فرَضه ووظَّفه وألزمه (١) إيَّاه ، وهو من قولِهم : ضرَب الأميرُ على الجيشِ البَعْثَ . يُرادُ به : أَلْزَمَهموه .

وأما « الذِّلةُ » فإنَّها الفِعْلةُ ، مِن قولِ القائلِ : ذلَّ فلانٌ يَذِلُّ ذُلًّا وذِلَّةً . كالصِّفْوةِ (٢) ، مِن : صفا (٣) هذا الأمرُ . والقِعْدةِ ، مِن : قعَد .

و « الذِّلةُ » هى الصَّغارُ الذى أمَر اللَّهُ عبادَه المؤمنين ألا يُعْطُوهم أمانًا - على القَرارِ على ما هم عليه مِن كفرِهم به وبرسلِه (٤) - إلا أن يَبْذُلوا الجزيةَ عليه لهم ، فقال تبارك اسمُه : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ (٥) ، عن الحسنِ وقتادةَ فى قولِه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ . قالا : يُعْطُون الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون (٦) .

وأما « المَسْكَنةُ » فإنَّها مصدرُ المِسْكينِ ، يقالُ : ما فيهم أسْكَنُ مِن فلانٍ . و: ما كان مِسْكينًا . و: لقد تَمَسْكن تَمَسْكُنًا (٧) . ومِن العربِ مَن يقولُ : تسكَّن (٨)

(١ - ١) فى م : « وضعه فألزمه » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كالصغرة » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صغر » .

(٤) فى م : « برسوله » .

(٥) فى الأصل : « عمار » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٥ (٦٢٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٧) فى م : « مسكنة » .

(٨) فى م : « تمسكن » .

تسكُّنًا[١] . و « المَسْكَنةُ » في هذا الموضعِ مَسْكَنةُ الفاقةِ والحاجةِ ، وهي خُشوعُها وذُلُّها .

كما حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن [١٣/٣و] أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : الفاقةُ[٢] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ قولَه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : الفقرُ[٣] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : هؤلاء يهودُ بني إسرائيلَ . قلتُ له : هم قِبْطُ مصرَ ؟ قال : وما لِقِبْطِ مصرَ وهذا ، لا واللَّهِ ما هم هم ، ولكنهم اليهودُ ، يهودُ بني إسرائيلَ .

فأخْبَرَ[٤] اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه أَبْدَلهم[٥] بالعزِّ ذُلًّا ، وبالنِّعْمةِ بُؤْسًا ، وبالرِّضا عنهم غَضَبًا ، جَزاءً منه لهم على كُفرِهم بآياتِه ، وقتلِهم أنبياءَه ورسلَه ؛ اعتداءً وظلمًا منهم بغيرِ حقٍّ ، و[٦]عصيانًا منهم[٦] له ، وخلافًا عليه ، تعالى ربُّنا وجلَّ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

٣١٦/١ /يعني بقولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ : انْصرَفوا ورجَعوا . ولا يُقالُ : باءُوا . إلَّا موصولًا ؛ إمَّا بخيرٍ وإما بشرٍّ ، يُقالُ منه : باءَ فلانٌ بذنبِه ، يَبُوءُ به بَوْءًا وبَواءً[٧] . ومنه

---

(١) في م : « تمسكنًا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥/١ (٦٢٧) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥/١ عقب الأثر (٦٢٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فأخبرهم » .

(٥) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بيدلهم » .

(٦ - ٦) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عصيانهم » .

(٧) في الأصل ، ت ٢: « بُؤُوءًا » .

قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ [المائدة : ٢٩] . يعنى : تَنْصَرِفَ مُتَحَمِّلَهما[1] وتَرْجِعَ بهما ، قد صارا عليك دُونى .

فمعنى الكلامِ إذن : فرجَعوا مُنْصَرِفِين مُتَحَمِّلِين غَضَبَ اللَّهِ ، قد صار عليهم مِن اللَّهِ غَضَبٌ ، ووجَب عليهم منه سَخَطٌ . كما **حُدِّثْتُ** عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ . فحدَث عليهم غَضَبٌ مِن اللَّهِ[2] .

حدَّثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أَخْبَرَنا يَزيدُ ، قال : أَخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ . قال : اسْتَحَقُّوا الغضبَ مِن اللَّهِ[3] .

وقد بيَّنَّا معنى غضَبِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه على عبدِه فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، فأغْنَى عن إعادتِه فى هذا المكانِ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . ضرْبَ الذِّلةِ والمَسْكَنةِ عليهم ، وإحلالَ[5] [6] غضبِه بهم[6] ، فدلَّ بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ - وهو يعنى به ما وصَفْنا - على أن قولَ القائلِ : ذلك . يَشْمَلُ المعانىَ الكثيرةَ إذا أُشِير به إليها .

---

(١) فى الأصل : « محتملهما » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ (٦٣١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ عقب الأثر (٦٣١) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٥) فى م : « إحلاله » .

(٦ - ٦) فى ت ٣: « الغضب عليهم » .

ويعنى بقولِه : [٣/١٣ظ] ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ . مِن أجْلِ أنهم كانوا يَكْفُرون . يقولُ : فعَلْنا (١) الذى فعلْنا (١) بهم - مِن إحلالِ الذُّلِّ والمَسْكَنةِ والسَّخَطِ بهم - مِن أجْلِ أنهم كانوا يَكْفُرون بآياتِ اللّهِ ، ويَقْتُلون النَّبيين بغيرِ الحقِّ . كما قال أعْشَى بنى تَغْلبةَ (٢) :

مَلِيكيَّةٌ جاوَرَتْ بالحِجا زِ قَوْمًا عُداةً وأرضًا شَطِيرَا

بما قد تربَّعُ رَوْضَ القَطا (٣) ورَوْضَ التَّناضِبِ (٤) حتى تَصِيرَا (٥)

يعنى بذلك : جاوَرَتْ (٦) هذه المرأةُ قومًا عُداةً وأرضًا بَعيدةً مِن أهلِه ، مكانَ (٧) قُرْبِها كان منه ومِن قومِه وبدلًا ؛ مِن (٨) تَرَبُّعِها رَوْضَ القَطَا ورَوْضَ التَّناضِبِ .

فكذلك قولُه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : كان ذلك منا (٩) مِنْ أجلِ كفرِهم (٩) بآياتِنا ، وجَزاءً لهم بقتلِهم أنْبياءَنا .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى مِن كتابِنا أن معنى الكفرِ تَغْطيةُ الشىءِ وسترُه ، وأن آياتِ اللّهِ حُججُه وأعلامُه وأدلتُه على توحيدِه وصدقِ رسلِه (١٠) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) ديوانه ص ٩٣.

(٣) روض القطا : من أشهر رياض العرب وأكثرها دورا فى أشعارهم ، وهى بين السّلى والعرمة شرق مدينة الرياض . معجم البلدان ٢/ ٨٥٦، ومعجم الأماكن الواردة فى المعلقات العشر ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٤) التناضب : من أضاة بنى غفار فوق سرف ، على مرحلة من مكة . تاج العروس (ن ض ب) .

(٥) حتى تصيرا : حتى تحضر المياه ، والمصير : الموضع الذى تصير إليه المياه . اللسان (ص ى ر) .

(٦) بعده فى م : « بهذا المكان » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بمكان » .

(٨) « من » هنا تعليلية ، يريد : من أجل .

(٩ - ٩) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بكفرهم » .

(١٠) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢.

فمعنى الكلامِ إذن : فعَلْنا بهم ذلك مِن أجْلِ أنهم كانوا يَجْحَدون حُجَجَ اللَّهِ على توحيدِه وتصديقِ رسلِه، (١)ويُدافِعون حقيقتَها(١)، ويُكذِّبون بها.

ويعنى بقولِه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾ : ويَقْتُلون رسلَ اللَّهِ الذين ابْتَعَثَهم لإنباءِ ما أرْسَلَهم به عنه لمن أُرْسِلوا إليه.

وهم جِماعٌ، واحدُهم نبيٌّ بغيرِ همزٍ، وأصلُه الهمزُ؛ لأنه مِن: أنْبَأ عن اللَّهِ، فهو يُنْبِئُ عنه إنْباءً. وإنما الاسمُ منه مُنْبِئٌ، ولكنه صُرِف وهو مُفْعِلٌ إلى ١/٢١٧ فَعِيلٍ، كما صُرِف سَميعٌ إلى فَعِيلٍ مِن /مُفْعِلٍ، وبَصِيرٌ مِن مُبْصِرٍ، وأشْبَاهُ ذلك. وأُبْدِلَ مكانَ الهمزةِ مِن النبىءِ الياءُ، فقيل: نبيٌّ. هذا ويُجْمَعُ النبيُّ أيضًا أنْبياءَ، وإنما جمَعوه كذلك لإلحاقِهم النبيَّ، بإبدالِ الهمزةِ منه ياءً، بالنُّعوتِ التى تَأْتى على تقديرِ فَعِيلٍ مِن ذَواتِ الياءِ والواوِ، وذلك أنهم إذا جمَعوا ما كان مِن النُّعوتِ على تقديرِ فَعِيلٍ مِن ذواتِ الياءِ والواوِ، جمَعُوه على أَفْعِلاءَ، كقولِهم: وليٌّ وأوْلِياءُ، ووَصِيٌّ وأَوْصِياءُ، ودَعِيٌّ وأَدْعِياءُ. ولو جمَعوه على أصلِه الذى هو أصلُه، وعلى أن الواحدَ نبىءٌ مَهموزٌ، لجَمَعوه على فُعَلاءَ، فقيل: همُ النُّبآءُ. على مثالِ النُّبَغاءِ(٢)؛ لأن ذلك جمعُ ما كان على فَعِيلٍ مِن غيرِ ذَواتِ الياءِ والواوِ مِن النُّعوتِ، كجمعِهم الشريكَ شُرَكاءَ، والعليمَ عُلَماءَ، والحَكِيمَ حُكَماءَ، وما أشْبَهَ ذلك. وقد حُكِى سَماعًا مِن العربِ فى جمعِ النبيِّ: النُّبآءُ. وذلك مِن لغةِ الذين يَهْمِزون النبىءَ ثم يَجْمَعونه النُّبآءَ، على ما قد بيَّنْتُ. ومِن ذلك قولُ عباسِ بنِ مِرْداسٍ السُّلَميِّ [٣/١٤و] فى مدحِ النبيِّ ﷺ(٣):

(١ - ١) فى م: «ويدفعون حقيتها».

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «النبآء».

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦١.

يا خاتَمَ النُّبآءِ إنك مُرْسَلٌ بالحقِّ (١) خيرُ هُدَى الإلهِ (١) هُداكا

فقال : يا خاتمَ النُّبآءِ . على أن واحدَهم نبىءٌ مَهْموزٌ .

وقد قال بعضُهم : النبىُّ والنبوَّةُ غيرُ مَهْموزَيْنِ ؛ لأنهما مأْخوذان مِن النَّبْوَةِ ، وهى مثلُ النَّجْوةِ ، وهما (٢) المكانُ المرتفعُ ، وكان يقولُ : إن أصلَ النبىِّ الطريقُ . ويَسْتَشْهِدُ على ذلك ببيتِ القُطَامىِّ (٣) :

لمَّا وَرَدْنَ نبِيًّا واسْتَتَبَّ لنا (٤) مُسْحَنْفِرٌ (٥) كخُطوطِ السَّيْحِ (٦) مُنْسَحِلُ (٧)

ويقولُ : إنما سُمِّى الطريقُ نبيًّا ؛ لأنه ظاهرٌ مُسْتَبِينٌ ، مِن النَّبْوةِ . ويقولُ : لم أسْمَعْ أحدًا يَهْمِزُ النبىَّ (٨) . وقد ذكَرْنا ما فى ذلك ، وبيَّنَّا ما فيه الكفايةُ إن شاء اللَّهُ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ . أنهم كانوا يَقْتُلون رُسُلَ اللَّهِ بغيرِ إذنِ اللَّهِ لهم بقتلِهم ، مُنْكِرين رسالتَهم ، جاحِدِين نبوتَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ردٌّ على ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الأولِ . ومعنى الكلامِ : وضُرِبَت عليهم الذِّلَّةُ والمَسْكَنةُ ، وباءوا بغضبٍ مِن اللَّهِ ؛ مِن أجْلِ كفرِهم بآياتِ اللَّهِ وقتلِهم النبيِّين بغيرِ الحقِّ ، ومِن أجْلِ عِصْيانِهم ربَّهم واعتدائِهم حدودَه . فقال جل ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ

(١ - ١) فى م : « بالخير كل هدى السبيل » ، وفى السيرة : « بالحق كل هدى السبيل » .

(٢) فى م : « هو » .

(٣) ديوانه ص ٢٧.

(٤) فى م : « بنا » .

(٥) مسحنفر : ممتد . اللسان (سحفر) .

(٦) فى م : « النسج » . والسيح : قيل : العباءة المخططة . وقيل : نوع من البرود . اللسان (س ى ح) .

(٧) السحل : الكشط والقشر . اللسان (س ح ل) .

(٨) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « قال » .

﴿بِمَا عَصَوا﴾ . والمعنى : ذلك بعصيانِهم وكونِهم[(١)] مُعْتَدِين .

والاعتداءُ تجاوُزُ الحدِّ الذى حدَّه اللَّهُ تعالى ذكرُه لعبادِه إلى غيرِه ، وكلُّ مُتجاوِزٍ حدَّ شىءٍ إلى غيرِه فقد تَعَدَّاه إلى ما تجاوَزَ إليه . فمعنى الكلامِ : فعَلْتُ بهم ما فعَلْتُ مِن ذلك بما عصَوْا أمرى ، وتجاوَزوا حدِّى إلى ما نهَيْتُهم عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ .

أما ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فهم المُصَدِّقُون رسولَ اللَّهِ ﷺ فيما أتاهم به مِن [٣/ ١٤ظ] الحقِّ مِن عندِ اللَّهِ ، وإيمانُهم /بذلك تصديقُهم به ، على ما قد بيَّنَّا فيما مضى ٣١/
مِن كتابِنا هذا[(٢)] .

وأما ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ ، فهم اليهودُ ، ومعنى ﴿هَادُوا﴾ : تابوا ، يقالُ منه : هادَ القومُ يَهودُون [(٣)]هَوَادًا وَهِيَادةً[(٣)] . وقيل : إنما سُمِّيَت اليهودُ يهودًا ؛ مِن أجلِ قولِهم : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ[(٤)] ، قال : إنما سُمِّيَتِ اليهودَ ؛ مِن أجلِ أنهم قالوا : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَالنَّصَرَىٰ﴾ .

﴿وَالنَّصَرَىٰ﴾ جمعٌ ، واحدُهم نَصْرَانُ ، كما واحدُ السَّكارَى سَكْرانُ ، وواحدُ النَّشاوَى نَشْوانُ ، وكذلك جمعُ كلِّ نعتٍ كان واحدُه على فَعْلانَ ، فإن جمعَه على فَعَالَى ، إلا أن المستفيضَ مِن كلامِ العربِ فى واحدِ النَّصارَى نَصْرانىٌّ ،

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « كفرهم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٠.

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢: « هودًا وهادة » .

(٤) بعده فى ت ٢: « قال مجاهد » .

وقد حُكِى عنهم سَماعًا : نَصْرانُ . بطرحِ الياءِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

تَرَاه إذا دَار[(٢)] العَشِىُّ مُحَنِّفًا ... [(٣)]ويُضْحِى لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ[(٣)] شامِسُ

وسُمِع منهم فى الأنثى نَصْرانةٌ . قال الشاعرُ[(٤)] :

* [(٥)]نَصْرانةٌ لم تَحَنَّفِ[(٥)] *

وقد سُمِع فى جَمْعِهم « أنصارٌ » بمعنى النَّصارَى . قال الشاعرُ[(٦)] :

لمَّا رأيْتُ نَبَطًا أنْصارَا

شَمَّرْتُ عن رُكْبَتِىَ الإزارَا

كنتُ لهم مِن النَّصارَى جارَا

وهذه الأبياتُ التى ذكَرْتُها تَدُلُّ على أنهم سُمُّوا نَصارَى لنُصْرةِ بعضِهم بعضًا ، وتَناصُرِهم بينَهم . وقد قيل : إنهم إنما سُمُّوا نَصارَى ؛ مِن أجْلِ أنهم نزَلوا أرضًا يقالُ لها : ناصِرةُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : النصارى إنما سُمُّوا نَصارَى ؛ مِن أجلِ أنهم نزَلُوا أرضًا يقالُ لها : ناصِرةُ[(٧)] .

---

(١) البيت فى الأضداد ص ١٨١، ونقله أبو حيان فى البحر المحيط ١/٢٣٨ عن المصنف .

(٢) فى م : « زار » .

(٣ - ٣) فى الأضداد : « تراه ويضحى وهو نفران » .

(٤) هو أبو الأخزر الحمانى ، والبيت فى الكتاب ٣/ ٢٥٦، ٤١١، واللسان (ح ن ف) .

(٥ - ٥) فى م : « فكلتاهما خرت وأسجد رأسها ... كما سجدت نصرانة لم تحنف
يقال : أسجد . إذا مال » .

(٦) الأبيات فى معانى القرآن ١/ ٤٤، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٧٩، ٣٧١، واللسان (ن ص ر) .

(٧) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٤٧.

ويقولُ آخَرون : لقولِه : ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [الصف : ١٤] .

وقد ذُكِر عن ابنِ عباسٍ مِن طريقٍ غيرِ مُرْتَضًى أنه كان يقولُ : إنما سُمِّيَت النصارى نَصارَى ؛ لأن قريةَ عيسى ابنِ مَرْيَمَ كانت تُسَمَّى ناصِرةَ ، وكان أصحابُه يُسَمَّوْن النَّاصِرِيِّين ، وكان يقالُ لعيسى : الناصريُّ .

حُدِّثْتُ بذلك عن هشامِ [٣/١٥و] بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ ، قال : إنما سُمُّوا نَصارَى ؛ لأنهم كانوا بقريةٍ يقالُ لها : ناصِرةُ . يَنْزِلُها عيسى ابنُ مريمَ ، فهو اسمٌ تَسَمَّوْا به ، ولم يُؤْمَروا به[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓۚ ﴾ [المائدة : ٨٢] . قال : تَسَمَّوْا بقريةٍ يقالُ لها : ناصِرةُ . كان عيسى ابنُ مريمَ صلى اللَّهُ عليه يَنْزِلُها[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ .

و « الصابِئون » جمعُ صابِئٍ، وهو المُسْتَحْدِثُ سِوَى دينِه دينًا ، كالمُرْتَدِّ مِن ١/٣١٩ أهلِ الإسلامِ/ عن دينِه . وكلُّ خارجٍ مِن دينٍ كان عليه إلى آخَرَ غيرِه تُسَمِّيه العربُ صابِئًا ، يقالُ منه : صبأ فلانٌ يَصْبَأُ صَبْأً . ويقالُ : صبأَتِ النُّجومُ . إذا طلَعَت ، وصبأ علينا فلانٌ مِنْ[(٤)] موضعِ كذا وكذا . يعنى به : طلَع .

---

(١) أخرجه ابن سعد ١/ ٥٣، ٥٤ من طريق هشام بن محمد به مطولا .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٥ إلى المصنف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٨٧.

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

واختَلَف أهلُ التأويلِ في مَن يَلْزَمُه هذا الاسمُ مِن أهلِ المِلَلِ ؛ **فقال بعضُهم** : يَلْزَمُ ذلك كلَّ خارجٍ مِن دينٍ إلى غيرِ دينٍ . وقالوا : الذين عنَى اللَّهُ بهذا الاسمِ قومٌ لا دينَ لهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، جميعًا عن سُفيانَ ، عن ليثٍ ، عن مُجاهِدٍ : الصَّابِئُون ليسوا بيهودَ ولا نَصارَى ، ولا دينَ لهم[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الحجاجِ ابنِ أرْطاةَ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا حكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن الحجاجِ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : الصابئون بينَ المجوسِ واليهودِ ، لا تُؤْكَلُ ذَبائحُهم ، ولا تُنْكَحُ نساؤُهم[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن حجاجٍ ، عن قَتادةَ ، عن الحسنِ مثلَ ذلك[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ : ﴿ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ ﴾ : بينَ اليهودِ والمجوسِ ، لا دينَ لهم[(٢)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٤ ، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧ ، ومصنفه (١٠٢٠٧) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٢٧ (٦٣٨) من طريق وكيع ، عن سفيان به . والأثر في تفسير الثوري ص ٤٦ من قوله .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ٤٣٤ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : [٣/١٥ظ] قال مُجاهِدٌ : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ : بينَ المجوسِ واليهودِ ، لا دينَ لهم . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قلتُ لعَطاءٍ : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ : زعَموا أنها قَبيلةٌ مِن نحوِ السَّوَادِ ، ليسوا بمجوسٍ ولا يهودَ ولا نَصارَى . قال : قد سمِعْنا ذلك ، وقد قال المشركون للنبيِّ ﷺ : قد صَبَأ[(١)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾[(٢)] . قال : الصابئون دينٌ مِن الأديانِ ، كانوا [(٣)] بالجزيرةِ ، جزيرةِ[(٣)] المَوْصِلِ ، يقولون : لا إلهَ إلا اللَّهُ . وليس لهم عملٌ ولا كتابٌ ولا نبيٌّ ، إلا قولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . قال : ولم يُؤْمِنوا برسولِ اللَّهِ ، فمِن أجْلِ ذلك كان المشركون يقولون للنبيِّ ﷺ وأصحابِه : هؤلاء الصابِئون . يُشَبِّهُونهم بهم[(٤)] .

وقال آخَرون : هم قومٌ يَعْبُدون الملائكةَ ويُصَلُّون[(٥)] القبلةَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : حدَّثنا المُعْتَمِرُ ، عن أبيه ، عن الحسنِ ، قال : نُبِّئَ[(٦)] زيادٌ أن الصابئين يُصَلُّون[(٥)] القِبْلةَ ، ويُصَلُّون الخمسَ ، فأراد أن يَضَعَ عنهم الجِزْيةَ ، قال : فخُبِّرَ بعدُ أنهم يَعْبُدون الملائكةَ .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم ١/١٢٧ عقب الأثر (٦٣٨) معلقًا .

(٢) فى الأصل ، م : « الصابئون » . والمثبت هو القراءة هنا ، وما فى الأصل ، م هو قراءة الآية ٦٩ من سورة المائدة .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بجزيرة » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٤٩ عن ابن وهب به .

(٥) بعده فى م : « إلى » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ : « حدثنى » .

٣٢٠/١ /**حدَّثنا** بشرٌ، قال: حدَّثنا يزيدُ، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ . قال: الصابئون قومٌ يَعْبُدون الملائكةَ، ويُصَلُّون[1] القِبْلةَ، ويَقْرَءون الزَّبورَ[2] .

حدَّثنى المثنَّى، قال: حدَّثنا آدمُ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ، عن الرَّبيعِ، عن أبى العاليةِ، قال: الصابئون فرقةٌ مِن أهلِ الكتابِ يَقْرَءون الزَّبورَ. قال أبو جعفرٍ - يَعْنى الرازىَّ -: وبلَغَنى أيضًا أن الصابئين قومٌ يَعْبُدون الملائكةَ، ويَقْرَءون الزَّبورَ، ويُصَلُّون[1] القِبْلَةَ[3] .

وقال آخَرون: بل هم طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ، قال: حدَّثنا أبى، عن سفيانَ، قال: سألتُ[4] السُّدِّىَّ عن الصابِئِين، فقال: هم طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ[5] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ [٣/١٦و] ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ : مَن صدَّق باللَّهِ،

---

(١) بعده فى م: «إلى».

(٢) ذكره ابن كثير ١/١٤٩ عن سعيد، عن قتادة. وسيأتى فى سورة الحج، الآية ١٧ من طريق معمر عن قتادة، مطولا.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٧، ١٢٨، (٦٣٩، ٦٤٢) من طريق آدم به.

(٤) فى م: «سئل».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٢٧ عقب الأثر (٦٣٩) من طريق أسباط، عن السدى. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٥ إلى وكيع.

وأقرَّ بالبَعْثِ بعدَ المَماتِ يومَ القيامةِ ، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فأطاع اللَّهَ ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . يعنى بقولِه : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : فلهم ثوابُ عملِهم الصالحِ عندَ ربِّهم .

فإن قال لنا قائلٌ : فأين تمامُ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ ؟ قيل : [(١)]تمامُه[(١)] جملةُ قولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . لأن معناه : مَن آمَن منهم باللَّهِ واليومِ الآخِرِ . فترَك ذكرَ « منهم » لدلالةِ الكلامِ عليه ؛ اسْتِغْناءً بما ذكَر عمَّا ترَك ذكْرَه .

فإن قال : وما معنى هذا الكلامِ ؟

قيل : معناه : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، مَن يُؤْمِنْ منهم[(٢)] باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلهم أجرُهم عندَ ربِّهم .

فإن قال : وكيف يُؤْمِنُ المؤمنُ ؟

قيل : ليس المعنى فى المؤمنِ المعنى الذى ظننْتَه ، مِن انْتِقالٍ مِن دينٍ إلى دينٍ ، كانتقالِ [(٣)]اليهودِ والنصارى[(٣)] إلى الإيمانِ - وإن كان قد قيل : إن الذين عُنُوا بذلك مَن كان مِن أهلِ الكتابِ على إيمانِه بعيسى صلى اللَّهُ عليه ، وبما جاء به ، حتى أدْرَك محمدًا ﷺ ، فآمَن به وصدَّقه ، فقيل لأولئك الذين كانوا مؤمنين بعيسى وبما جاء به إذْ[(٤)] أدْرَكوا محمدًا ﷺ : آمِنُوا بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به - ولكن معنى إيمانِ المؤمنِ فى هذا الموضعِ ثباتُه على إيمانِه وتركُه تَبْديلَه .

(١ - ١) فى ت ١ ، ت ٣ : « قبل إتمامه » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) فى م : « اليهودى والنصرانى » .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

وأما إيمانُ اليهودِ والنصارى والصابئين ، فالتصديقُ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، فمَن يُؤْمِنْ منهم بمحمدٍ وبما جاء به واليومِ الآخرِ ، ويَعْمَلْ صالحًا ، فلم يُبَدِّلْ ولم يُغَيِّرْ ، حتى تُوُفِّى على ذلك كلِّه[1] ، فله ثوابُ عملِه وأجرُه عندَ ربِّه ، كما وصَف جلَّ ثناؤُه .

فإن قال قائلٌ : وكيف قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . وإنما لفظُ ﴿ مَنْ ﴾ لفظُ واحدٍ ، والفعلُ معه مُوَحَّدٌ ؟

/قيل : إنَّ « مَن » ، وإن كان الذى يليه مِن الفعلِ مُوَحَّدًا ، فإن له معنى الواحدِ ٣٢١/١
والاثنين والجمعِ ، والتذكيرِ والتأنيثِ ؛ [٣/١٦ظ] لأنه فى كلِّ هذه الأحوالِ على هيئةٍ واحدةٍ وصورةٍ واحدةٍ لا يَتَغَيَّرُ ، فالعربُ تُوَحِّدُ معه الفعلَ وإن كان فى معنى جَمْعٍ ، للفظِه ، وتَجْمَعُ أخرى معه الفعلَ لمعناه ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس : ٤٢، ٤٣] . فجمَع مرةً مع ﴿ مَنْ ﴾ الفعلَ لمعناه ، ووحَّد أخرى معه الفعلَ ؛ لأنه فى لفظِ واحدٍ[2] ، كما قال الشاعرُ[3] :

أَلِمَّا[4] بسَلْمَى عنكما إنْ عرَضْتُما   وقُولَا لها عُوجِى على مَن تَخَلَّفوا

فقال : تخَلَّفوا . فجمَع[5] ، وجعَل « مَن » بمنزلةِ « الذين » . قال الفرَزْدَقُ[6] :

---

(١) سقط من ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت ٢: « الواحد » .

(٣) البيت لامرئ القيس ، وهو فى الديوان ص ٣٢٤ من قصيدة له ، ويقال أيضًا : إنها لرجل من كندة .

(٤) الإلمام : الزيارة فى الأحايين . اللسان (ل م م) .

(٥) سقط من : م .

(٦) ديوانه ص ٨٧٠.

(١) تعالَ فإن عاهَدْتنى (١) لا تَخُونُنى نَكُنْ مثلَ مَن يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ

فثنَّى « يصطحبان » لمعنى « مَن » . فكذلك قولُه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . وحَّد ﴿ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ للفظِ ﴿ مَنْ ﴾ ، وجمَع ذكْرَهم فى قولِه : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ لمعناه ؛ لأنه فى معنى جمعٍ .

وأما قولُه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . فإنه يعنى به جلَّ ذكرُه : ولا خوفٌ عليهم فيما قدِموا عليه مِن أهوالِ القيامةِ ، ولا هم يَحْزَنون على ما خلَّفوا وراءَهم مِن الدنيا وعيشِها ، عندَ مُعاينتِهم ما أعَدَّ اللَّهُ لهم مِن الثوابِ والنَّعيمِ المُقيمِ عندَه .

ذكْرُ مَن قال : عُنِى بقولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ . مؤمنو أهلِ الكتابِ الذين أدْرَكوا رسولَ اللَّهِ ﷺ :

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية . قال : نزَلَت هذه الآيةُ فى أصحابِ سَلْمانَ الفارسىِّ ، وكان سلمانُ رجلًا مِن جُنْدَيْسَابُورَ (٢) ، وكان مِن أشرافِهم ، وكان ابنُ الملكِ صديقًا له مؤاخيًا ، لا يقضى واحدٌ منهما أمرًا دونَ صاحبِه ، وكانا يَركبانِ (٣) إلى الصيدِ جميعًا ، فبينما هما فى الصيدِ إذ رُفِع لهما بيتٌ مِن عَباءٍ (٤) ، فأتَياه فإذا هما فيه برجلٍ بينَ يديه مُصْحفٌ يَقْرأُ فيه وهو يَبْكى ،

(١ - ١) فى الديوان : « تعش فإن واثقتنى » .

(٢) فى م : « جندا يسابور » . وجنديسابور : من بلاد فارس . ينظر معجم ما استعجم ٢/ ٣٩٧.

(٣) فى الأصل : « يركنان » .

(٤) فى م : « خباء » . والعباء : ضرب من الأكسية فيه خطوط . تاج العروس (ع ب أ) .

فسأَلاه : ما هذا ؟ فقال : الذى يُرِيدُ أن يَعْلَمَ هذا لا يَقِفُ موقفَكما ، فإن كنتما تُريدانِ أن تَعْلَما ما فيه فانْزِلا حتى [١٧/٣و] أُعَلِّمَكما . فنزَلا إليه ، فقال لهما : هذا كتابٌ[(١)] جاء مِن عندِ اللَّهِ ، أمَر فيه بطاعتِه ، ونهَى [(٢)] فيه عن معصيتِه :[(٢)] ألا تَزْنِىَ ، ولا تَسْرِقَ ، ولا تَأْخُذَ أموالَ الناسِ بالباطلِ - فقصَّ عليهما ما فيه - وهو الإنجيلُ الذى أنْزَل اللَّهُ على عيسى . فوقَع فى قلوبِهما وتابَعاه فأسْلَما ، وقال لهما : إن ذبيحةَ [(٣)] قومِكما عليكما[(٣)] حرامٌ . فلم يَزالا معه كذلك يَتَعَلَّمان منه ، حتى كان عيدٌ للملكِ ، فجعَل[(٤)] طعامًا ، ثم جمَع الناسَ والأشرافَ ، وأرْسَل إلى ابنِ الملكِ ، فدعاه إلى صَنِيعِه ليأْكُلَ مع الناسِ ، فأبَى الفتى وقال : إنى عنك مَشْغولٌ ، فكلْ أنت وأصحابُك . فلما أكْثَر عليه مِن الرُّسلِ ، أخْبرَهم أنه لا يأْكُلُ مِن طعامِهم ، فبعَث الملكُ إلى ابنِه ، فدعاه وقال : ما أمْرُك هذا[(٥)] ؟ قال : إنا لا نأْكُلُ مِن ذبائِحكم ، إنكم /كفارٌ ، ليس تَحِلُّ ذبائحُكم . فقال له الملكُ : مَن أمَرك بهذا ؟ فأخبَره أن ٣٢٢/١ الراهبَ أمَره[(٦)] بذلك ، فدعا الراهبَ فقال : ماذا يَقُولُ ابنى ؟ قال : صدَق ابنُك . قال له : لولا أن الدمَ فينا عظيمٌ لقتَلْتُك ، ولكن اخْرُجْ مِن أرضِنا . فأجَّله أجَلًا . قال سلمانُ : فقمْنا نَبْكِى عليه ، فقال لهما : إن كنتما صادقَيْن ، فإنا فى بِيعةٍ بالمَوْصلِ مع ستين رجلًا نَعْبُدُ اللَّهَ فيها ، فائْتونا فيها . فخرَج الراهبُ ، وبقِى سَلْمانُ وابنُ الملكِ ، فجعَل سلمانُ يقولُ لابنِ الملكِ : انْطَلِقْ بنا . وابنُ الملكِ يقولُ : نعم . وجعَل ابنُ

(١) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « اللَّه » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عن معصيته فيه » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ت١، ت٢، ت٣: « قومكم عليكم » .

(٤) جعل هنا : صنع . والجعل والصنع واحد . التاج (ج ع ل) .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى ت ١: « أخبره » .

الملكِ يَبِيعُ مَتاعَه يُرِيدُ الجَهازَ[(١)] ، فلمَّا أبْطأَ على سلمانَ ، خرَج سلمانُ حتى أتاهم ، فنزَل على صاحبِه ، وهو ربُّ البِيعةِ ، وكان أهلُ تلك البِيعةِ [(٢)]أفضلَ مرتبةً مِن الرُّهْبانِ[(٢)] ، فكان سَلْمانُ معه[(٣)] يَجْتَهِدُ فى العبادةِ ، ويُتْعِبُ نفسَه ، فقال له الشيخُ : إنك غلامٌ حَدَثٌ ، تَكَلَّفُ[(٤)] مِن العبادةِ ما لا تُطِيقُ ، وأنا خائفٌ أن تَفْتُرَ وتَعْجِزَ ، فارْفُقْ بنفسِك وخَفِّفْ عنها[(٥)] . فقال له سلمانُ : أرَأَيْتَ الذى تَأْمُرُنى به ، أهو[(٦)] أفضلُ أو الذى أَصْنَعُ ؟ قال : لا[(٧)] ، بل الذى تَصْنَعُ ؟ قال : فخلِّ عنى . قال : ثم إن صاحبَ البِيعةِ دعاه ، فقال : أتَعْلَمُ أن هذه البِيعةَ لى ، وأنا أحَقُّ الناسِ بها ، ولو شئتُ أن أُخْرِجَ هؤلاء منها لَفعَلْتُ ! ولكنى رجلٌ أضْعُفُ عن عبادةِ هؤلاء ، وأنا أُرِيدُ أن أتحوَّلَ مِن هذه البِيعةِ إلى بِيعةٍ أخرى ، هم أهونُ عبادةً مِن هؤلاء ، فإن شئتَ أن تُقِيمَ هلهنا فأَقِمْ ، وإن شئتَ أن تَنْطَلِقَ معى فانْطَلِقْ . فقال له سلمانُ : أىُّ البِيعَتَيْن أفضلُ أهلًا ؟ قال : هذه . قال سلمانُ : فأنا أكونُ فى هذه . فأقام سلمانُ بها ، وأوْصَى صاحبُ البِيعةِ [١٧/٣ظ] عالِمَ البِيعةِ بسَلمانَ ، فكان سلمانُ يَتَعَبَّدُ معهم . ثم إن الشيخَ العالِمَ أراد أن يَأْتِىَ بيتَ المقدسِ ، [(٨)]فدعا سلمانَ ، فقال : إنى أُرِيدُ أن آتِىَ بيتَ المقدسِ ، فإن شئتَ[(٨)] أن تَنْطلِقَ معى فانطلِقْ ، وإن شئتَ أن تُقِيمَ فأَقِمْ . قال له سلمانُ : أيُّهما أفضلُ ؛ أنْطَلِقُ معك أوْ[(٩)] أُقِيمُ ؟ قال : لا ، بل تَنْطَلِقُ معى . فانْطَلَق

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « الجهاد » .
(٢ - ٢) فى م : « من أفضل » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « أفضل من » .
(٣) فى م : « معهم » .
(٤) فى م : « تتكلف » ، وفى ت ٢: « فكلف » .
(٥) فى م : « عليها » .
(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هو » .
(٧) سقط من : م .
(٨ - ٨) فى م : « فقال لسلمان : إن أردت » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فإن شئت » .
(٩) فى م : « أم » .

معه ، فمرُّوا بمُقْعَدٍ على ظهرِ الطريقِ مُلْقًى ، فلما رآهما نادَى : يا سيدَ الرُّهْبانِ ، ارْحَمْنى رحِمك[(١)] اللَّهُ . فلم يُكلِّمْه ، ولم يَنْظُرْ إليه ، وانْطَلَقا حتى أتَيا بيتَ المقدسِ ، فقال الشيخُ لسلمانَ : اخْرُجْ فاطْلُبِ العلمَ ، فإنه يَحْضُرُ هذا المسجدَ عُلماءُ أهلِ الأرضِ . فخرَج سلمانُ يَسْمَعُ منهم ، فرجَع يومًا حَزِينًا ، فقال له الشيخُ : ما لك يا سلمانُ ؟ قال : أرَى الخيرَ كلَّه قد ذهَب به مَن كان قبلَنا مِن الأنبياءِ وأتباعِهم . قال له الشيخُ : يا سلمانُ ، لا تَحْزَنْ ، فإنه قد بقِى نبيٌّ ليس مِن نبيٍّ أفضلَ تَبَعًا منه ، وهذا زمانُه الذى يَخْرُجُ فيه ، ولا أُرانى أُدْرِكُه ، وأما أنت فشابٌّ فلعلك أن تُدْرِكَه ، وهو يَخْرُجُ فى أرضِ العربِ ، فإن أدْرَكْتَه فآمِنْ به واتَّبِعْه . فقال له سلمانُ : فأخْبِرْنى عن علامتِه بشىءٍ . قال : نعم ، هو مَخْتومٌ فى ظهرِه بخاتمِ النُّبوةِ ، وهو يأْكُلُ الهَدِيَّةَ ، ولا يأْكُلُ الصدقةَ . ثم رجَعا حتى بلَغا مكانَ المُقْعَدِ ، فناداهما فقال : يا سيدَ الرُّهْبانِ ، ارْحَمْنى رحِمك[(١)] اللَّهُ . فعطَف إليه حمارَه ، وأخَذ بيدِه فرفَعه ، وضرَب به الأرضَ ، ودعا له ، وقال : قُمْ بإذنِ اللَّهِ . فقام صحيحًا يَشْتَدُّ[(٢)] . فجعَل سلمانُ يَتَعَجَّبُ وهو يَنْظُرُ إليه يَشْتَدُّ ، وسار الراهبُ ، فتغَيَّب عن سلمانَ ، ولا يَعْلَمُ سلْمانُ . ثم إن سلمانَ فزِع ، فطلَب الراهبَ ، [(٣)]فلقِى رجلين[(٣)] مِن العربِ مِن كَلْبٍ ، فسألَهما : هل رأيْتُما الراهبَ ؟ فأناخ أحدُهما راحلتَه ، قال : نِعْمَ راعى الصِّرْمةِ[(٤)] هذا[(٥)] ! فحمَله فانْطَلَق به إلى المدينةِ . قال سلمانُ : فأصابَنى مِن الحزنِ شىءٌ لم يُصِبْنى مثلُه قطُّ . فاشْتَرَتْه امرأةٌ مِن جُهَيْنةَ ، فكان يَرْعَى عليها هو وغلامٌ لها يَتَراوَحان الغنمَ ، هذا يومًا وهذا يومًا ، وكان سلمانُ يَجْمَعُ الدراهمَ يَنْتَظِرُ خروجَ

---

(١) فى م : « يرحمك » .

(٢) يشتد : يسرع ويعدو . اللسان (ش د د) .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلقيه رجلان » .

(٤) الصرمة : القطيع من الإبل والغنم . انظر اللسان (ص ر م) .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : « هذه » .

١/٣٢٣ محمدٍ ﷺ ؛ /فبينا هو يومًا يَرْعَى ، إذ أتاه صاحبُه الذى يَعْقُبُه ، فقال له[(١)] : أشَعَرْتَ أنه[(٢)] قدِم اليومَ المدينةَ رجلٌ يَزْعُمُ أنه نبيٌّ ؟ فقال له سلمانُ : أَقِمْ فى الغنمِ حتى آتِيَك . فهبَط سلمانُ إلى المدينةِ ، فنظَر إلى النبيِّ ﷺ ودار حولَه ، فلمَّا [١٨/٣و] رآه النبيُّ ﷺ عرَف ما يُريدُ ، فأرْسَل ثوبَه ، حتى خرَج خاتَمُه ، فلمَّا رآه أتاه وكلَّمه ، ثم انْطَلَق ، فاشْتَرَى بدينارٍ ، ببعضِه شاةً فشواها[(١)] ، وببعضِه خبزًا ، ثم أتاه به ، فقال : « ما هذا ؟ » قال سلمانُ : هذه صدقةٌ ، قال : « لا حاجةَ لى بها ، فأخرِجْها فلْيَأْكُلْها المُسْلِمون » . ثم انْطَلَق فاشْتَرَى بدينارٍ آخرَ خبزًا ولحمًا ، فأتَى به النبيَّ ﷺ ، فقال : « ما هذا ؟ » قال : هذه هديَّةٌ . قال : « فاقْعُدْ فكُلْ[(٢)] » . فقعَد فأكَلا جميعًا منها ، فبينا هو يُحَدِّثُه إذ ذكَر أصحابَه ، فأخْبَرَه خبرَهم ، فقال : كانوا يَصُومون ويُصَلُّون ويُؤْمِنون بك ، ويَشْهَدون أنك ستُبْعَثُ نبيًّا . فلما فرَغ سلمانُ مِن ثنائِه عليهم قال له نبيُّ اللَّهِ : « يا سَلْمانُ ، هم مِن أهلِ النارِ » . فاشْتَدَّ ذلك على سلمانَ ، وقد كان قال له سلمانُ : لو أدْرَكوك صدَّقوك واتَّبَعوك . فأنْزَل اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . فكان إيمانُ اليهودِ أنه مَن تمسَّك بالتَّوْراةِ وسنةِ موسى [(٣)]كان مؤمنًا[(٣)] ، حتى جاء عيسى ، فلما جاء عيسى كان مَن تمسَّك بالتَّوْراةِ وأخذ بسنةِ موسى فلم يَدَعْها ، و[(٤)] يَتَّبِعْ عيسى كان هالكًا . وإيمانُ النصارى أنه مَن تمسَّك بالإنجيلِ منهم وشرائعِ عيسى ، كان مؤمنًا مَقبولًا منه ، حتى جاء محمدٌ ﷺ ، فمن لم يَتَّبِعْ محمدًا ﷺ

(١) سقط من م ، ت ١، ت ٢، ت ٣ .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٣: « قد » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣ .

(٤) بعده فى م : « لم » .

منهم ويَدَعْ ما كان عليه مِن سنةِ عيسى والإنجيلِ ، كان هالكًا[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية . قال : سأل[(٢)] سلمانُ الفارسىُّ النبىَّ[(٣)] ﷺ عن أولئك النصارى وما رأَى مِن أعمالِهم ، قال : « لم يَمُوتوا على الإسلامِ » . قال سلمانُ : فأظْلَمَت علىَّ الأرضُ ، وذكرتُ[(٤)] اجتهادَهم[(٥)] . فنزَلَت هذه الآيةُ ، فدعا سلمانَ فقال : « نَزَلَت هذه الآيةُ فى أصحابِك » . ثم قال النبىُّ ﷺ : « مَن مات على دينِ عيسى ، ومن[(٢)] مات على دينِ الإسلامِ قبلَ أن يَسْمَعَ بى ، فهو على خيرٍ ، ومَن سمِع بىَ اليومَ ولم يُؤْمِنْ بى فقد هلَك »[(٦)] .

وقال ابنُ عباسٍ بما **حدَّثنى** به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ [٣/١٨ظ] وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . فأنزَل

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف – بلفظه – وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧/١ (٦٣٦) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٦ من طريق عمرو بن حماد به ، مختصرا .

وأخرجه الواحدى – أيضا – وابن عساكر فى تاريخه ٤١٨/٢١ ، ٤١٩ من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، مختصرا . وذكره الذهبى فى السير ٥٢٢/١ – ٥٢٥ من طريق عمرو به عن السدى بإسناده ، مطولا .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « للنبى » .

(٤) فى م ، ت ١: « ذكر » .

(٥) فى الأصل : « أخبارهم » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٤/١ إلى المصنف . وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٥ من طريق ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لما قص سلمان ... وأخرجه ابن أبى عمر المدنى فى مسنده – كما فى الدر المنثور ٧٣/١ – ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ (٦٣٤) من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال سلمان :... ومجاهد لم يسمع من سلمان .

اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بعدَ هذا : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] [آل عمران : ٨٥] .

[2] حدَّثنا ابنُ البَرْقيِّ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ أبى سلمةَ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ فى قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . قال : هى منسوخةٌ ، نسختها : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾[2] .

وهذا الخبرُ يَدُلُّ على أن ابنَ عباسٍ كان يَرَى أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد كان وعَد مَن عمِل صالحًا مِن اليهودِ والنصارى والصابئين على عملِه فى الآخرةِ الجنةَ ، ثم نسَخ ذلك بقولِه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

فتأويلُ الآيةِ إذن على ما ذكَرْنا عن مجاهدٍ والسديِّ : إن الذين آمَنوا مِن هذه
٣٢٤/١ الأمةِ ، والذين هادُوا / والنصارى والصابئين - مَن آمَن مِن اليهودِ والنصارى والصابئين باللَّهِ واليومِ الآخرِ - فلهم أجرُهم عندَ ربِّهم ، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنون .

والذى قلْنا مِن التأويلِ الأولِ أشْبَهُ بظاهرِ التَّنْزيلِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذِكرُه لم يَخْصُصْ بالأجرِ على العملِ الصالحِ مع الإيمانِ بعضَ خلقِه دونَ بعضٍ منهم ، والخبرُ بقولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . عن جميعِ مَن[3] ذكَر فى أولِ الآيةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ .

الميثاقُ المِفْعالُ ، مِن الوَثيقةِ ؛ إما بيمينٍ ، وإما بعهدٍ ، أو غيرِ ذلك مِن الوَثائقِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦/١(٦٣٥) ، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٠ من طريق أبى صالح به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سقط من : ت ١، وفى م ، ت ٢، ت ٣: « ما » .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ . الميثاقَ الذى أخْبَرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أنه أخَذ منهم فى قولِه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣- ٨٥] . الآياتِ التى ذكَر معها .

وكان سببَ أخذِ الميثاقِ عليهم فيما ذكَر ابنُ زيدٍ ما **حدَّثنى** يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما رجَع موسى مِن عندِ ربِّه بالألواحِ قال لقومِه بنى إسرائيلَ : إن هذه الألواحَ فيها كتابُ اللَّهِ ، وأمْرُه الذى أمَرَكم به ، ونَهْيُه الذى نهاكم عنه . فقالوا : ومَن يأْخُذُه بقولِك أنت ؟ لا واللَّهِ حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ، حتى يَطلُعَ اللَّهُ إلينا[(1)] فيقولَ : هذا كتابى فخُذُوه . فما له لا يُكَلِّمُنا كما كلَّمَك أنت يا موسى ! فيقولُ : هذا كتابى فخُذُوه . قال : فجاءت غَضْبةٌ مِن اللَّهِ ، فجاءَتهم صاعقةٌ فصَعَقَتْهم ، فماتوا أجْمَعون . قال : ثم أحْياهم اللَّهُ مِن بعدِ موتِهم ، فقال لهم موسى : [٣/١٩و] خُذُوا كتابَ اللَّهِ . فقالوا : لا . قال : أىُّ شىءٍ أصابكم ؟ قالوا : مِتْنا ثم حَيِينا . قال : خُذُوا كتابَ اللَّهِ . قالوا : لا . فبعَث اللَّهُ ملائكةً ، فنتقَت الجبلَ فوقَهم . [(2)]وقرَأ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٤] . قال : فرُفِع فوقَهم[(2)] . فقيل لهم : أتَعْرِفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطُّورُ . قال : خُذُوا الكتابَ ، وإلا طرَحْناه عليكم . قال : فأخَذوه بالميثاقِ . وقرَأ قولَ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ . حتى بلَغ : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : ولو كانوا أخَذوه أولَ مرةٍ لأخَذوه بغيرِ ميثاقٍ[(3)] .

---

(١) فى م : « علينا » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم هذا الأثر فى ١/ ٦٩٦.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ ﴾ .

أمَّا الطُّورُ فإنه الجبلُ فى كلامِ العربِ ، ومنه قولُ العَجَّاجِ[(١)] :

دانَى جناحَيْهِ[(٢)] مِن الطُّــــورِ فمَرّ
تَقَضِّىَ[(٣)] البازِى إذا البازِى كَسَرْ[(٤)]

وقيل : إنه اسمُ جبلٍ بعينه . وذكَروا[(٥)] أنه الجبلُ الذى ناجَى اللَّهُ عليه موسى .

وقيل : إنه مِن الجبالِ ما أنْبَتَ دون ما لم يُنْبِتْ .

١/٣٢٥ /ذكرُ مَن قال : هو الجبلُ كائنًا ما كان

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : أمَر موسى قومَه أن يَدْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ويَقُولوا : حِطَّةٌ . وطُؤْطِئَ لهم[(٦)] البابُ ليَسْجُدوا ، فلم يَسْجُدوا ودخَلوا على أدْبارِهم ، وقالوا : حِنْطةٌ . فنتَق فوقَهم الجبلَ - يقولُ : أخْرَج أصْلَ الجبلِ مِن الأرضِ ، فرفَعه فوقَهم كالظُّلَّةِ - والطُّورُ بالسُّرْيانيةِ الجبلُ - تخويفًا ، [(٧)]فدخَلوا سُجَّدًا على خوفٍ - أو حَرْفٍ ، شكَّ أبو عاصمٍ[(٧)] - أعينُهم إلى الجبلِ ، وهو الجبلُ الذى تجَلَّى له ربُّه[(٨)] .

---

(١) ديوانه ص ٢٨.

(٢) دانى جناحيه : ضمهما .

(٣) تقضى : أصلها : تقضَّض ، فقلب الضاد الأخيرة ياء استثقالاً . وتقضض الطائر : هوى فى طيرانه يريد الوقوع . تاج العروس (ق ض ض) .

(٤) كسر : إذا ضم من جناحيه شيئا وهو يريد الوقوع أو الانقضاض . التاج (ك س ر) .

(٥) فى م : « ذكر » .

(٦) فى الأصل : « عليهم » .

(٧ - ٧) فى م : « أو خوفا ، شك أبو عاصم ، فدخلوا سجدا على خوف » .

(٨) تفسير مجاهد ص ٢٠٣، ٢٠٤، وتقدم أوله فى ١/ ٧١٤.

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، [١٩/٣ظ] عن مُجاهِدٍ ، قال : رُفِع الجبلُ فوقَهم كالظُّلَّةِ[(١)] ، كالسَّحابةِ ، فقيل لهم : لتُؤْمِنُنَّ أو ليَقعَنَّ عليكم . فآمَنوا . والجبلُ بالسُّرْيانيةِ الطُّورُ .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ . قال : الطورُ جبلٌ[(٢)] كانوا بأصلِه ، فرُفِع عليهم فوقَ رءوسِهم ، فقال : لتَأْخُذُنَّ أمْرِى ، أو لأَرْمِيَنَّكم به[(٣)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ . قال : الطورُ الجبلُ ، اقْتَلَعه اللَّهُ ، فرفَعه فوقَهم ، فقال : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . فأَقَرُّوا بذلك[(٤)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ . قال : رفَع فوقَهم الجبلَ ، يُخَوِّفُهم به[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبىٍّ ، عن عِكْرمةَ ، قال : الطُّورُ الجبلُ[(٦)] .

حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : لما قال اللَّهُ تعالى ذكرُه لهم : ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . فأبَوْا أن يَسْجُدوا ، وأمَر اللَّهُ جلَّ ذكرُه الجبلَ أن يَقَعَ عليهم ، فنظَروا إليه وقد غشِيَهم ، فسقَطوا سُجَّدًا ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الجبل » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١ عقب الأثر (٦٥٢) من طريق أبى جعفر، عن الربيع من قوله .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١ عقب الأثر (٦٥٢) معلقًا .

فسجَدوا[(١)] على شِقٍّ ، ونظَروا بالشقِّ الآخَرِ ، فرحِمَهم اللَّهُ ، فكشَفه عنهم ، [(٢)] فقالوا : ما سجدةٌ أحبَّ إلى اللَّهِ مِن سجدةٍ كشَف بها العذابَ عنكم . فهم يسجُدون لذلك على شقٍّ[(٢)] ، وذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ [الأعراف : ١٧١] . وقولُه : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾[(٣)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الجبلُ بالسُّرْيانيةِ الطُّورُ ، [(٤)] وهو بالعربيةِ الجبلُ[(٤)] .

وقال آخَرون : الطورُ اسمٌ للجبلِ الذى ناجَى اللَّهُ جلَّ جلالُه عليه موسى عليه السلامُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الطُّورُ الجبلُ الذى أُنْزِلَت عليه - يعنى على موسى - التَّوْراةُ ، وكانت بنو إسرائيلَ أسفلَ منه[(٥)] . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال لى عَطاءٌ : رفَع[٣/٢٠و] الجبلَ على بنى إسرائيلَ ، فقال : لتُؤْمِنُنَّ به أو ليَقَعَنَّ عليكم . فذاك قولُه : ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾[(٦)] .

وقال آخَرون : الطُّورُ مِن الجبالِ ما أنْبَتَ خاصَّةً .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢، ت٣.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١ (٦٥٣) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء .

/ذكرُ من قال ذلك ٣٢٦/١

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ ٱلطُّورَ ﴾ قال : الطورُ مِن الجبالِ ما أنْبَت ، وما لم يُنْبِتْ فليس بطُورٍ[١] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ العربيةِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُ نحويِّي البصرةِ : هو مما اسْتُغْني بدلالةِ الظاهرِ المذكورِ عما تُرِك ذكرُه منه[٢] ، وذلك أن معنى الكلامِ : ورفَعْنا فوقَكم الطُّورَ ، وقلْنا لكم : خُذُوا ما آتَيْناكم بقوةٍ ، وإلا قذَفْناه عليكم .

وقال بعضُ نحويِّي الكوفةِ : أخْذُ الميثاقِ قولٌ ، فلا حاجةَ بالكلامِ إلى إضمارِ قولٍ فيه ، فيكونَ مِن كلامَيْن ، غيرَ أنه يَنْبَغِي لكلِّ ما خالَف القولَ مِن الكلامِ الذي هو بمعنى القولِ أن تكونَ معه « أن » ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾ [نوح : ١] . قال : ويجوزُ بحذْفِ[٣] « أن » .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ من القولِ في ذلك عندَنا أن كلَّ كلامٍ نُطِق به ، مفهومٌ به معنى ما أُرِيد منه[٤] ، ففيه الكِفايةُ مِن غيرِه .

ويعني بقولِه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم ﴾ : ما أمَرْناكم به في التَّوْراةِ . وأصلُ الإيتاءِ الإعطاءُ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩/١(٦٥١) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت٣، وفي م : « له » .

(٣) في م : « أن تحذف » .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ت١، ت٢ .

ويعنى بقولِه: ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾: بجِدٍّ ، و[(١)] تأديةِ ما [(٢)] أُمِرْتم به [٢)] فيه وافْتُرِض عليكم .

كما [(٣)] حدَّثنا عبدُ الكريمِ ، قال : حدَّثنا [٣)] إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، قال : [(٤)] حدَّثنا أبو سعدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ قال : بجدٍّ [(٥)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال [٤)] : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : بعَمَلٍ [(٦)] بما فيه [(٧)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، [٣/٢٠ظ] عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . [(٨)] أى : بطاعةِ اللَّهِ [(٩)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ ، قال : أخبَرنا عبيدُ اللَّهِ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [٨)] . قال : بطاعةٍ [(١٠)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن

---

(١) فى م : « فى » .
(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أمركم » .
(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حدثت عن » .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٥ إلى المصنف .
(٦) فى م : « تعملوا » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يعمل » .
(٧) تفسير مجاهد ص ٢٠٥ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ٤/ ١٧٣ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٠ (٦٥٧) .
(٨ - ٨) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٠ (٦٥٦) من طريق آدم به .
(١٠) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٠ عقب الأثر (٦٥٦) من طريق أبى جعفر به .

قَتادةَ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : القوةُ الجِدُّ ، وإلا قَذَفْتُه[1] عليكم . قال : فأقَرُّوا بذلك أنهم يَأْخُذون ما أُوتُوا بقوةٍ[2] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ : يعنى بجِدٍّ واجْتِهادٍ[3] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ ، وسألْتُه عن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : خُذُوا الكتابَ الذى جاء به موسى بصدقٍ وحقٍّ .

(٤**حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم ﴾ . قال : كتابُكم ، لتأْخُذُنَّه أو لَيقعَنَّ عليكم الطُّورُ . قالوا : نأخُذُه . وأقَرُّوا ثم نقَضُوا الميثاقَ بعدَ ذلك٤) .

فتأويلُ الآيةِ إذن : خُذُوا ما افْتَرَضْنا عليكم فى كتابِنا مِن الفرائضِ فاقْبَلوه ، واعْمَلوا باجتهادٍ منكم فى أدائِه ، مِن غيرِ تَقْصيرٍ ولا تَوانٍ . وذلك هو معنى أخْذِهم إياه بقوةٍ وبجِدٍّ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه : واذْكُروا ما فيما آتَيْناكم مِن كتابِنا مِن وعدٍ ووعيدٍ[5] ، وتَرْغيبٍ وتَرْهيبٍ ، /فاتْلُوه واعْتَبِروا به ، وتَدَبَّروه ، (٦كى إذا فعَلْتم ذلك تَتَّقونى٦) ، ٣٢٧/١

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « قذفه » .
(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١(٦٥٨) عن الحسن بن يحيى به.
(٣) عزاه الحافظ فى الفتح ١٦١/٨ إلى المصنف .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩/١(٦٥٣) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، نحوه .
(٥) بعده فى م ، ت ٢: « شديد » .
(٦ - ٦) فى م : « إذا فعلتم ذلك كى تتقوا » .

وتَخافوا عِقابى ، بإصْرارِكم على ضَلالِكم ، فتُنيبُوا إلى طاعتى ، وتَنْزِعوا عما أنتم عليه مِن مَعصيتى .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحُصينِ ، عن عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. قال: تَنْزِعون عما أنتم عليه[(1)] .

والذى آتاهم اللَّهُ تعالى ذكرُه هو التوراةُ ، كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا [٣/٢١و] أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . يقولُ : واذْكُروا ما فى التوراةِ [(2)] واعمَلُوا به [(2)] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . يقولُ : [(3)] اقرَءوا ما [(3)] فى التَّوْراةِ [(4)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سأَلْتُ ابنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . قال : اعْمَلوا بما فيه بطاعةِ اللَّهِ تعالى ذكرُه وصدقٍ . قال : وقال : اذكُروا [(5)] ما فيه ، ولا [(6)] تَنْسَوْه ولا تُغْفِلوه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعز : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم ﴾ : ثم أعْرَضْتُم . وإنما هو « تفَعَّلْتُم » ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وابن إسحاق .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٩) من طريق آدم به بنحوه . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٥٠ .

(٣ - ٣) فى م : « أمروا بما » ، و فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أمروا ما » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ عقب الأثر (٦٥٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واذكروا » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لا » .

مِن قولِهم : ولَّانى فلانٌ دُبُرَه . إذا اسْتَدْبَر عنه وخلَّفه خلفَ ظهرِه ، ثم يُسْتَعْمَلُ ذلك فى كلِّ تاركِ طاعةَ أَمْرٍ ، (١) وهاجرِ خِلٍّ (١) ، ومُعْرِضٍ بوجهِ (٢) ، فيقالُ : فلانٌ قد تولَّى عن طاعةِ فلانٍ ، وتولَّى عن مُواصلتِه . ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [التوبة : ٧٦] . يعنى بذلك : خالَفوا ما كانوا وعَدوا اللَّهَ مِن قولِهم : ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [التوبة : ٧٥] . ونبَذوا ذلك وراءَ ظُهورِهم .

ومِن شأنِ العربِ استعارةُ الكلمةِ ووضعُها مكانَ نَظيرتِها ، كما قال أبو ذُؤَيْبٍ (٣) الهُذَلىُّ :

فليس كعَهْدِ (٤) الدارِ يا أُمَّ مالكٍ ولكن أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلُ
وعاد الفتى كالكَهْلِ ليس بقائِلٍ سوى العَدْلِ (٥) شيئًا واسْتَراح العَواذِلُ

يعنى بقولِه : أحاطَت بالرِّقابِ السَّلاسلُ . أن الإسلام صار فى منعِه إيانا ما كنا نَأْتِيه فى الجاهليةِ مما حرَّمه اللَّهُ علينا فى الإسلامِ ، بمنزلةِ السَّلاسلِ المُحيطةِ برِقابِنا التى تَحُولُ بينَ مَن كانت فى رقبتِه ، مع الغُلِّ الذى فى يدِه ، وبينَ ما حاول أن يَتَناوَلَه .

ونَظائرُ ذلك فى كلامِ العربِ أكثرُ مِن أن تُحْصَى . فكذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ . يعنى بذلك أنكم ترَكْتُم العملَ بما أخَذْنا ميثاقَكم وعهودَكم على العملِ به بجدٍّ واجْتهادٍ ، بعدَ إعطائِكم ربَّكم المَواثيقَ على العملِ به ، والقيامِ بما

(١ - ١) فى م : « بها عز وجل » .
(٢) فى م : « بوجهه » .
(٣) كذا فى النسخ ، وكذا قال ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ص ١١٢ ، والبيتان من قصيدة لأبى خراش الهذلى يرثى بها زهير ابن العجوة . ديوان الهذليين ٢/ ١٥٠ .
(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لعهد » .
(٥) فى الأصل : « العذل » ، وفى م : « الحق » . وينظر شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٢٣ .

أمَرَكم به فى كتابِكم ، فنبَذْتُموه [٣/٢١ظ] وراءَ ظهورِكم .

وكنَى بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . عن جميعِ ما قبلَه فى الآيةِ المتقدمةِ ، أعنى قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الآية .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ .

١/٣٢٨ /يعنى تعالى ذكرُه بقولِه: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾. فلولا أن اللَّهَ تفَضَّلَ عليكم بالتوبةِ بعدَ نَكثِكم[١] الميثاقَ الذى واثَقْتُموه - إذ رفَع فوقَكم الطورَ - بأنكم تجْتَهِدون فى طاعتِه ، وأداءِ فَرائضِه ، والقيامِ بما أمَرَكم به ، والانْتِهاءِ عما نَهاكم عنه فى الكتابِ الذى آتاكم ، فأنْعَم عليكم بالإسلامِ ، ورحمتُه التى رحِمَكم بها ، فتَجاوَز عنكم خَطيئتَكم التى ركِبْتُموها ، بمراجعتِكم طاعةَ ربِّكم - لكنتم مِن الخاسرين .

وهذا وإن كان خطابًا لمن كان بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أهلِ الكتابِ أيامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنما هو خبرٌ عن أسلافِهم ، فأُخْرِجَ[٢] مُخْرَجَ الخبَرِ[٣] عنهم ، على نحوِ ما قد بيَّنَّا فيما مضَى ، مِن أن القَبيلةَ مِن العربِ تُخاطِبُ القَبيلةَ عندَ الفَخارِ أو غيرِه ، بما مضَى مِن فِعلِ أسْلافِ المخاطِبِ بأسْلافِ المخاطَبِ ، فتُضِيفُ فِعْلَ أسْلافِ المُخاطِبِ إلى أنفسِها ، فتقولُ : فعَلْنا[٤] وفعَلْنا[٤] . [٥]وما فُعِل بأسلافِ المخاطَبِ إلى المخاطِبِ لهم بقولِهم : فعَلنا بكم[٥] [٦]وفعلْنا بكم[٦] . وقد ذكَرْنا بعضَ

---

(١) فى ت ٢، ت ٣: « نقضكم » ، وفى ت ١: « نبذكم » .
(٢) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الخبر » .
(٣) فى م : « المخبر » .
(٤) بعده فى م : « بكم » .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) زيادة من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

الشواهِدِ فى ذلك مِن شعرِهم فيما مضَى[(١)] .

وقد زعَم بعضُهم أن الخطابَ فى هذه الآياتِ إنما أُخْرِج بإضافةِ الفعلِ إلى المُخاطَبِين ، والفعلُ لغيرِهم ؛ لأن المخاطَبِين بذلك كانوا يَتَوَلَّوْن مَن كان فعَل ذلك مِن أوائلِ بنى إسرائيلَ ، فصيَّرهم اللَّهُ منهم مِن أجلِ وِلايتِهم لهم .

وقال بعضُهم : إنما قيل ذلك كذلك ؛ لأن سامِعيه كانوا عالِمين - وإن كان الخطابُ خرَج خطابًا للأحْياءِ مِن بنى إسرائيلَ وأهلِ الكتابِ - أن[(٢)] المعنى فى ذلك إنما هو خبرٌ عما [(٣)]قد مضَى[(٣)] مِن أنْباءِ أسلافِهم ، فاسْتُغْنِى بعلم السامِعِين بذلك عن ذكرِ أسْلافِهم [٢٢/٣و]* بأعْيانِهم . ومثَّل ذلك بقولِ الشاعرِ[(٤)] :

إذا ما انْتَسَبْنا لم تَلِدْنى لَئِيمةٌ ولم تَجِدِى مِن أن تُقِرِّى به بُدًّا

فقال : إذا انْتَسَبْنا . و « إذا » تَقْتَضِى مِن الفعلِ مُسْتَقْبلًا ، ثم قال : لم تَلِدْنى لَئِيمةٌ . فأخْبَر عن ماضٍ مِن الفعلِ ، وذلك أن الوِلادةَ قد مَضَت وتقدَّمَت ، وإنما فعَل ذلك - عندَ المحْتَجِّ به - لأن السامعَ قد فهِم معناه .

فجعَل ما ذكَرْنا مِن خطابِ اللَّهِ أهلَ الكتابِ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أيامَ رسولِ اللَّه ﷺ ، بإضافةِ أفعالِ أسْلافِهم إليهم - نظيرَ ذلك .

والأولُ الذى قُلْنا هو المُسْتَفِيضُ فى[(٥)] كلامِ العربِ وخِطابِها .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٦٤٢ ، ٦٤٣.

(٢) فى م : « إذ » .

(٣ - ٣) فى م : « قص الله » .

* من هنا يبدأ خرم فى المخطوطة الأصل وينتهى فى ص ١٥٩.

(٤) معانى القرآن ١/٦١ ، وفى حاشية الأمير على مغنى اللبيب ١/ ٢٥: فى حاشية السيوطى : قائله زائدة بن صعصعة الفقعسى . ولم ينسبه السيوطى فى شرحه على شواهد المغنى ١/ ٨٩.

(٥) فى م : « من » .

وكان أبو العاليةِ يقولُ فى قولِه : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ - فيما ذُكِر لنا - نحوَ القولِ الذى قُلْناه .

حدَّثنى المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ[(١)] ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ . قال : فضلُ اللَّهِ الإسلامُ ، ورحمتُه القرآنُ[(٢)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ، قال: حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ، [(٣)] عن أبيه[(٣)] ، عن الربيعِ بمثلِه[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٤) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : فلولا فَضْلُ اللَّهِ عليكم ورَحْمَتُه إياكم ، بإنقاذِه إياكم بالتوبةِ عليكم مِن خَطيئتِكم وجُرْمِكم ، لكنتم الباخِسِين أنفسَكم حُظوظَها دائمًا ، الهالِكِين بما اجْتَرَمْتُم مِن نَقْضِ ميثاقِكم ، وخلافِكم أمرَه وطاعتَه .

وقد تقَدَّم بيانُنا قبلُ بالشَّواهدِ عن[(٥)] معنى الخَسارِ ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٦)] .

٣٢٩/١ /**القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥) ﴾ .**

---

(١) فى النسخ : « النضر » . وهو من الأسانيد الدائرة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣١ عقب الأثر (٦٦٢) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) سقط من النسخ ، وهو من الأسانيد الدائرة .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣١ عقب الأثر (٦٦٢، ٦٦٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى ت ٢: « على » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٤٢.

يعنى بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ﴾ : ولقد عرَفْتُم ، كقولِك : قد عَلِمْتُ أخاك ، ولم أَكُنْ أَعْلَمُه . يعنى : عرَفْتُه ولم أَكُنْ أَعْرِفُه . كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . يعنى : لا تَعْرِفونهم ، اللَّهُ يَعْرِفُهم .

وقولُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ . أى : الذين تجاوَزُوا حدِّى ، ورَكِبوا ما نهَيْتُهم عنه فى يومِ السبتِ ، وعصَوْا أمْرى .

وقد دلَّلْتُ فيما مضَى على أن الاعْتِداءَ أصلُه تجاوُزُ الحدِّ فى كلِّ شىءٍ ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ(١) .

قال : وهذه الآيةُ وآياتٌ بعدَها تَتْلُوها ، مما عدَّد جلَّ ثناؤُه فيها على بنى إسرائيلَ - الذين كانوا بينَ خِلالِ دُورِ الأنصارِ زمانَ النبيِّ ﷺ ، الذين ابْتَدَأ بذكرِهم فى أولِ هذه السورةِ مِن نَكْثِ أسْلافِهم عهدَ اللَّهِ وميثاقَه - ما كانوا يُبْرِمون مِن العقودِ ، وحذَّر المخاطَبين بها أن يَحِلَّ بهم - بإصرارِهم على كفرِهم ومُقامِهم على جُحودِ نبوةِ محمدٍ ﷺ ، وتركِهم اتباعَه والتصديقَ بما جاءَهم به مِن عندِ ربِّه - مثلُ الذى حلَّ بأوائلِهم مِن المَسْخِ والرَّجْفِ والصَّعْقِ ، وما لا قِبَلَ لهم به مِن غَضَبِ اللَّهِ وسَخَطِه .

كالذى **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ يقولُ : ولقد عرَفْتُم . وهذا تحذيرٌ لهم مِن المعصيةِ ، يقولُ : احْذَرُوا أن يُصِيبَكم ما أصاب أصحابَ السبتِ إذ عصَوْنى ، ﴿ ٱعْتَدَوْاْ ﴾ ، يقولُ : اجْترَءوا ، ﴿ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ . قال : لم يَبْعَثِ اللَّهُ نبيًّا إلا أمَره بالجُمُعةِ ، وأخْبَرَه بفضلِها وعِظَمِها فى السَّماواتِ وعندَ الملائكةِ ، وأنَّ الساعةَ تَقُومُ فيها ، فمَن اتَّبَع الأنبياءَ فيما

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٢.

مضَى ، كما اتَّبَعَتْ أمةُ محمدٍ ﷺ محمدًا ، قَبِل الجُمُعَةَ ، وسمِع وأطاع وعرَف فضلَها ، وثبَت عليها بما أمَره اللَّهُ تعالى به ونبيُّه ﷺ ، ومَن لم يَفْعَلْ ذلك كان بمنزلةِ الذين ذكَر اللَّهُ فى كتابِه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . وذلك أن اليهودَ قالت لموسى حين أمَرهم بالجمعةِ ، وأخْبَرَهم بفضلِها : يا موسى ، كيف تَأْمُرُنا بالجُمُعةِ وتُفَضِّلُها على الأيامِ كلِّها ، والسبتُ أفضلُ الأيامِ كلِّها ؛ لأن اللَّهَ خلَق السماواتِ والأرضَ والأقْواتَ فى ستةِ أيامٍ ، وسبَت[1] له كلُّ شىءٍ مُطِيعًا يومَ السبتِ ، وكان آخرَ الستةِ ؟

قال : وكذلك قالت النصارَى لعيسى ابنِ مريمَ حينَ أمَرهم بالجُمُعةِ ، قالوا له : كيف تَأْمُرُنا بالجمعةِ ، وأولُ الأيامِ أفضلُها وسيِّدُها ، والأولُ أفضلُ ، واللَّهُ واحدٌ ، والواحدُ الأولُ أفضلُ ؟ فأوْحَى اللَّهُ إلى عيسى أنْ دَعْهم والأحدَ ، ولكن ليَفْعَلوا فيه كذا وكذا مما أمَرهم به ، فلم يَفْعَلوا ، فقصَّ اللَّهُ تعالى قَصَصَهم فى الكتابِ بمعصيتِهم .

قال : وكذلك قال اللَّهُ لموسى حينَ قالت له اليهودُ ما قالوا فى أمرِ السبتِ أنْ
١/٣٣٠ دَعْهم والسبتَ فلا يَصِيدوا /فيه سمكًا ولا غيرَه ، ولا يَعْمَلوا شيئًا ، كما قالوا . قال : فكان إذا كان السبتُ ظهَرَتِ الحِيتانُ على الماءِ ، فهو قولُه : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ [الأعراف : ١٦٣] . يقولُ : ظاهرةً على الماءِ - ذلك لمعصيتِهم موسى - وإذا كان غيرُ يومِ السبتِ صارت صيدًا كسائرِ الأيامِ ، فهو قولُه : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ . ففعَلَت الحيتانُ ذلك ما شاء اللَّهُ ، فلما رأَوْها كذلك طمِعوا فى أخْذِها ، وخافوا العقوبةَ ، فتناوَل بعضُهم منها ، فلم تَمْتَنِعْ

---

(١) سبت له : سكن وخشع وانقطع إلا عن العبادة . ينظر التاج (س ب ت) .

عليه ، وحذِر العقوبةَ التى حذَّرهم موسى مِن اللَّهِ تعالى ، فلما رأَوا أن العقوبةَ لا تَحِلُّ بهم عادوا وأخْبَرَ بعضُهم بعضًا بأنهم قد أخَذوا السمكَ ولم يُصِبْهم شىءٌ ، فكثَّروا فى ذلك ، وظنُّوا أن ما قال لهم موسى كان باطلًا ، وهو قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ يقولُ لهؤلاء الذين صادوا السمكَ : فمسَخهم اللَّهُ قِرَدةً بمعصيتِهم . يقولُ : إذن لم يَحْيَوْا فى الأرضِ إلا ثلاثةَ أيامٍ ، ولم تَأْكُلْ ، ولم تَشْرَبْ ، ولم تَنْسُلْ ، وقد خلَق اللَّهُ القردةَ والخنازيرَ ، وسائرَ الخلقِ فى الستةِ الأيامِ التى ذكَر اللَّهُ فى كتابِه ، فمسَخ هؤلاءِ القومَ فى صورةِ القِردةِ ، وكذلك يَفْعَلُ بمَن شاء كما يَشاءُ ، ويُحَوِّلُه كما يَشاءُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحُصينِ ، عن عِكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : إن اللَّهَ إنما افْتَرَض على بنى إسرائيلَ اليومَ الذى افترض عليكم فى عيدِكم ، يومَ الجمعةِ ، فخالَفوا إلى السبتِ فعظَّموه ، وترَكوا ما أُمِروا به ، فلمَّا أبَوْا إلا لزومَ السبتِ ابْتَلاهم اللَّهُ فيه ، فحرَّم عليهم ما أحَلَّ لهم فى غيرِه ، وكانوا فى قريةٍ بينَ أَيْلَةَ والطُّورِ يقالُ لها : مَدْيَنُ . فحرَّم اللَّهُ عليهم فى السبتِ الحيتانَ ؛ صيدَها وأكلَها ، وكانوا إذا كان يومُ السبتِ أقْبَلَت إليهم شُرَّعًا إلى ساحلِ بَحْرِهم ، حتى إذا ذهَب السبتُ ذهَبْنَ ، فلم يَرَوْا حُوتًا صغيرًا ولا كبيرًا ، حتى إذا كان يومُ السبتِ أتَيْنَ إليهم شُرَّعًا ، حتى إذا ذهَب السبتُ ذهَبْنَ ، فكانوا كذلك ، حتى إذا طال عليهم الأَمَدُ ، وقَرِموا[(٢)] إلى الحيتانِ عمَد رجلٌ منهم ، فأخَذ حوتًا سرًّا يومَ السبتِ ، فخَزَمَه[(٣)] بخيطٍ ، ثم أرْسَله فى

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٥ ، ٣/ ١٣٧ إلى المصنف مختصرًا ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٥١ عن الضحاك به ، نحوه .

(٢) القَرَمُ ، بالتحريك : شدة الشهوة إلى اللحم . اللسان (ق ر م) .

(٣) خزم الشىء يخزمه خزمًا : شكه . اللسان (خ ز م) .

الماءِ ، وأوْتَد له وَتِدًا فى الساحلِ ، فأوْثَقه ثم ترَكه ، حتى إذا كان الغدُ جاء فأخَذَه - أى : إنى لم آخُذْه فى يومِ السبتِ - ثم انْطَلَق به فأكَلَه ، حتى إذا كان يومُ السبتِ الآخرِ عاد لمثلِ ذلك ، ووجَد الناسُ ريحَ الحيتانِ ، فقال أهلُ القريةِ : واللَّهِ لقد وجَدْنا ريحَ الحيتانِ . ثم عثَروا على ما صنَع ذلك الرجلُ ، قال : ففعَلوا كما فعَل ، وأكَلوا سرًّا زمانًا طويلًا ، لم يَعْجَلِ اللَّهُ عليهم بعقوبةٍ حتى صادوها علانيةً وباعوها بالأسواقِ ، وقالت طائفةٌ منهم مِن أهلِ البقيَّةِ[(١)] : ويحَكم ! اتَّقُوا اللَّهَ . ونهَوْهم عما كانوا يَصْنَعون . وقالت طائفةٌ أُخرى لم تأْكُلِ الحيتانَ ، ولم تَنْهَ القومَ عما صنَعوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لسخطِنا أعمالَهم[(٢)] ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

قال ابنُ عباسٍ : فبينما هم على ذلك أصْبَحَت تلك البَقِيَّةُ فى أنديَتِهم ومساجدِهم ، وفقَدوا الناسَ فلا يَرَوْنهم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : إن للناسِ لَشأنًا ،
١/٣٣١ فانْظُروا ما هو. فذهَبوا يَنْظُرون فى دُورِهم، فوجَدوها / مُغْلَّقةً عليهم ، قد دخَلوا ليلًا ، فغلَّقوها على أنفسِهم ، كما يُغَلِّقُ الناسُ على أنفسِهم ، فأصْبَحوا فيها قِرَدةً ؛ إنهم لَيَعْرِفون الرجلَ بعينِه ، وإنه لَقِرْدٌ ، والمرأةَ بعينِها وإنها لَقِرْدةٌ ، والصبيَّ بعينِه وإنه لَقِرْدٌ .

قال : يقولُ ابنُ عباسٍ : فلولا ما ذكَر اللَّهُ أنه أنْجَى الذين نَهَوْا عن السُّوءِ لَقُلْنا : أهْلَك الجميعَ منهم . قالوا : وهى القريةُ التى قال اللَّهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ الآية[(٣)] .

---

(١) فى م : « التقية » . وأهل البقية : هم أهل الفهم والطاعة . قال القتيبى : أولو بقية من دين قوم لهم بقية : إذا كانت بهم مُسكة وفيهم خير . ينظر اللسان (ب ق ى) .

(٢) فى ت ٣: « عليهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩٧/٥ - ١٦٠٢ مفرقًا من طريق ابن إسحاق به . وعزاه السيوطى =

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ : أُحِلَّت لهم الحيتانُ ، وحُرِّمَت عليهم يومَ السبتِ بَلاءً مِن اللَّهِ ، ليَعْلَمَ مَن يُطِيعُه ممَّن يَعْصِيه ، فصار القومُ ثلاثةَ أصنافٍ ؛ فأما صِنفٌ فأمْسَك ونَهَى عن المَعْصيةِ ، وأمَّا صِنفٌ فأمْسَك عن حُرْمةِ اللَّهِ ، وأما صِنفٌ فانْتَهَك حُرْمةَ اللَّهِ ومَرَد على المعصيةِ ، فلما أبَوْا إلا الاعْتِداءَ إلى ما نُهُوا عنه ، قال اللَّهُ لهم : ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . فصاروا قِرَدةً لها أذْنابٌ تَعاوَى ، بعدَ ما كانوا رجالًا ونساءً[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ . قال : نُهُوا عن صيدِ الحيتانِ يومَ السبتِ ، فكانت تَشْرَعُ إليهم يومَ السبتِ ، وبُلُوا بذلك فاعْتَدَوْا فاصْطادُوها ، فجعَلَهم اللَّهُ قِرَدةً خاسِئِين[2] .

حدَّثنى موسى قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : فهم أهلُ أَيْلةَ ، وهى القريةُ التى كانت حاضرةَ البحرِ ، فكانت الحيتانُ إذا كان يومُ السبتِ - وقد حرَّم اللَّهُ على اليهودِ أن يَعْمَلوا فى السبتِ شيئًا - لم يَبْقَ فى البحرِ حُوتٌ إلا خرَج حتى يُخْرِجْنَ خَراطِيمَهن مِن الماءِ ، فإذا كان يومُ الأحدِ لزِمْنَ سُفْلَ البحرِ ، فلم يُرَ منهن شىءٌ حتى يكونَ يومُ السبتِ ، فذلك قولُه : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى

= فى الدر المنثور ١٣٧/٣ إلى أبى الشيخ .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣/١ (٦٧١) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢/١ (٦٦٧) عن الحسن بن يحيى به . وهو فى تفسير عبد الرزاق ٤٧/١، ٤٨ عن قتادة والكلبى .

كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ . فاشْتَهى بعضُهم السمكَ ، فجعَل الرجلُ يَحْفِرُ الحَفِيرةَ ، ويَجْعَلُ لها نهرًا إلى البحرِ ، فإذا كان يومُ السبتِ فتَح النهرَ ، فأقْبَل الموجُ بالحيتانِ يَضْرِبُها حتى يُلْقِيَها فى الحَفيرةِ ، ويُريدُ الحوتُ أن يَخْرُجَ فلا يُطِيقَ مِن أجلِ قلةِ ماءِ النهرِ ، فيَمْكُثُ ، فإذا كان يومُ الأحدِ جاء فأخَذَه ، فجعَل الرجلُ يَشْوِى السَّمكَ ، فيَجِدُ جارُه ريحَه ، فيَسْأَلُه فيُخْبِرُه ، فيَصْنَعُ مثلَ ما صنَع جارُه ، حتى إذا فشَا فيهم أكلُ السمكِ قال لهم علماؤُهم : ويحَكم إنما تَصْطادون السمكَ يومَ السبتِ ، وهو لا يَحِلُّ لكم . فقالوا : إنما صِدْناه يومَ الأحدِ حينَ أخَذْناه . فقال الفقهاءُ : لا ، ولكنكم صِدْتُموه يومَ فتَحْتُم له الماءَ ، فدخَل . فقالوا : لا . وعَتَوْا أن يَنْتَهُوا ، فقال بعضُ الذين نهَوْهم لبعضٍ : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ . يقولُ : لِمَ تَعِظُونهم وقد وعَظْتُموهم فلم يُطِيعوكم . فقال بعضُهم : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ . فلما أبَوْا قال المسلمون : واللَّهِ لا نُساكِنُكم فى قريةٍ واحدةٍ . فقسَموا القريةَ بجدارٍ ، ففتَح
١/٣٣٢ المسلمون بابًا والمُعْتَدون فى السبتِ /بابًا ، ولعَنهم داودُ ، فجعَل المسلمون يَخْرُجون مِن بابِهم ، والكفارُ مِن بابِهم ، فخرَج المسلمون ذاتَ يومٍ ، ولم يَفْتَحِ الكفارُ بابَهم ، فلمَّا أبْطَئوا عليهم تسَوَّر المسلمون عليهم الحائطَ ، فإذا هم قِردةٌ يَثِبُ بعضُهم على بعضٍ ، ففتَحوا عنهم ، فذهَبوا فى الأرضِ ، فذلك قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٦] . فذلك حينَ يقولُ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ٧٨] . فهم القردةُ[(١)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٢ (٦٦٩) من طريق عمرو بن حماد به ، إلى قوله : حتى يكون =

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : لم يُمسَخوا ، إنما هو مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ لهم ، مِثْلَ ما ضرَب مَثَلَ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفارًا(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : مُسِخَت قلوبُهم ، ولم يُمسَخوا قِردةً ، وإنما هو مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ لهم ، كمثلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفارًا(٢) .

وهذا القولُ الذى قاله مُجاهِدٌ قولٌ لظاهرِ ما دل عليه كتابُ اللَّهِ مُخالِفٌ ، وذلك أن اللَّهَ أخبَر في كتابِه أنه جعَل منهم القِرَدةَ والخَنازيرَ وعَبَدَ الطاغوتَ ، كما أخبَر عنهم أنهم قالوا لنبيِّهم : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء : ١٥٣] . وأن اللَّهَ تعالى ذكرُه أصْعَقَهم عندَ مَسألتِهم ذلك ربَّهم ، وأنهم عبَدوا العِجْلَ ، فجعَل توبتَهم قتلَ أنفسِهم ، وأنهم أُمِروا بدُخولِ الأرضِ المقدسةِ ، فقالوا لنبيِّهم : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . فابْتَلاهم بالتِّيهِ ، فسواءٌ(٣) قال قائلٌ(٣) : هم لم يَمْسَخْهم قردةً . وقد أخبَر جلَّ ذكرُه أنه جعَل منهم قِردةً وخنازيرَ - وآخرُ قال : لم يَكُنْ شيءٌ مما أخبَر اللَّهُ عن بني إسرائيلَ أنه كان منهم ؛ مِن الخلافِ

= يوم السبت . وذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٥٢ ، ١٥٣ عن السدى بتمامه .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٥ بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٣ (٦٧٢) عن أبيه ، عن أبي حذيفة به . وعزاه السيوطى في الدرالمنثور ١/٧٥ إلى ابن المنذر ، وانظر التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (١٨٤) .

(٣ - ٣) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال قائلهم » .

على أنبيائِهم ، والعقوباتِ والأنكالِ التى أحَلَّها اللَّهُ بهم . ومَن أنْكَر شيئًا مِن ذلك وأقرَّ بآخرَ منه ، سُئِل البرهانَ على قولِه ، وعُورِض - فيما أنْكر مِن ذلك - بما أقرَّ به ، ثم يُسْأَلُ الفَرْقَ مِن خبرٍ مُسْتَفِيضٍ أو أثرٍ صحيحٍ ، هذا مع خلافِ قولِ مجاهدٍ قولَ جميعِ الحُجَّةِ التى لا يجوزُ عليها الخطأُ والكذبُ فيما نقَلَتْه مُجْمِعَةً عليه ، وكفَى دليلًا على فسادِ قولٍ إجماعُها على تخطئتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ ﴾ . أى : فقلْنا للذين اعتدَوْا فى السبتِ - يعنى فى يومِ السبتِ - وأصلُ السَّبْتِ الهُدُوُّ والسكونُ فى راحةٍ ودَعَةٍ ، ولذلك قيل للنائمِ : مَسْبُوتٌ . لهدوِّه وسكونِ جسدِه واستراحتِه ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ: ٩] . أى : راحةً لأجسادِكم ، وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : سبَت فلانٌ يَسْبُتُ سَبْتًا .

وقد قيل : إنه سُمِّى سَبْتًا ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه فرَغ يومَ الجمعةِ - وهو اليومُ الذى قبلَه - مِن خلقِ جميعِ خلقِه .

وقولُه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . أى : صِيرُوا كذلك .

والخاسِئُ المُبْعَدُ المَطْرُودُ ، كما يَخْسَأُ الكلبُ ، يُقالُ منه : خَسَأْتُه أَخْسَؤُه خَسْئًا وخُسوءًا ، وهو يَخْسَأُ خُسوءًا . قال : ويقال : خَسَأْتُه فخَسَأ وانْخَسَأ . ومنه قولُ الراجزِ[(١)] :

١/٣٣٣ / كالكلبِ إن قلتَ له اخْسَأْ انْخَسَأْ

(١) اللسان (خ س أ) ، وفيه : إن قيل له . بدل : إن قلت له .

يعنى : إن طرَدْتَه انْطَرَد ذَليلًا صاغرًا . فكذلك معنى قولِه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . أى : مُبْعَدِين مِن الخيرِ أذِلَّاءَ صُغَراءَ .

كما حدَّثنا ابنُ[1] بشارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : صاغِرِين[2] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ خَٰسِـِٔينَ ﴾ . قال : صاغِرِين[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . أى : أَذِلَّةً صاغِرِين[4] .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : خاسِئًا : يعنى ذَليلًا[5] .

---

(١) سقط من النسخ : وهو محمد بن بشار ، وقد سبق مرارًا .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٣ عقب الأثر (٦٧٤) ، معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٦ إلى المصنف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٨ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٣ عقب الأثر (٦٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٦، ٦/ ٢٤٨ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم . وعزاه أيضًا فى ١/ ٧٦ إلى ابن المنذر بلفظ : صاغرين .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ الهاءِ والألفِ فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ . وعلامَ هى عائدةٌ ؟ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فيها قولان :

أحدُهما ، ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ : فجعَلْنا تلك العقوبةَ ، وهى المَسْخَةُ ، نَكالًا[(١)] .

فالهاءُ والألفُ من قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ . على قولِ ابنِ عباسٍ هذا ، كنايةٌ عن المَسْخةِ ، وهى « فَعْلَةٌ » مِن : مسَخهم اللَّهُ مَسْخةً .

فمعنى الكلامِ على هذا التأويلِ : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ : فصاروا قردةً مُمْسُوخِين . ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾[(٢)] : فجعَلْنا عُقوبتَنا ومَسْخَنا إياهم ﴿ نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

والقولُ الآخَرُ مِن قولَىِ ابنِ عباسٍ ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ : يعنى الحِيتانَ .

والهاءُ والألفُ على هذا القولِ مِن ذكرِ الحيتانِ ، ولم يَجْرِ لها ذكرٌ ، ولكن لما كان فى الخبرِ دلالةٌ كنَى عن ذكرِها ، والدلالةُ على ذلك قولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

(٢) سقط من : ت ٢.

وقال آخَرون : فجعَلْنا القريةَ التى اعْتَدَى أهلُها فى السبتِ . فالهاءُ والألفُ فى قولِ هؤلاءِ كِنايةٌ عن قريةِ القومِ الذين مُسِخوا .

/ وقال آخَرون : معنى ذلك : فجعَلْنا القِرَدةَ الذين مُسِخوا نَكالًا لما بينَ يديها ١/٣٣٤
وما خلفَها . فجعَلوا الهاءَ والألفَ كنايةً عن القردةِ .

وقال آخَرون : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ يعنى به : فجعَلْنا الأُمةَ التى اعْتَدَتْ فى السبتِ نَكالًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ نَكَالًا ﴾ .

والنَّكالُ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : نكَّل فلانٌ بفلانٍ تَنْكيلًا ونَكالًا . وأصلُ النَّكالِ العقوبةُ ، كما قال عدىُّ بنُ زيدٍ العِبادىُّ[1] :

لا [2]يُسْخِطُ المليكَ[2] ما يسعُ[3] الـ ـعبدَ ولا فى نَكالِه تَنْكيرُ

وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ نَكَالًا ﴾ . يقولُ : عقوبةً[4] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

---

(١) التبيان ١/ ٢٩٢.

(٢ - ٢) فى م : « يحط الضليل » ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « تسحه العبيك » ، وفى ت ٣ : « تسخط العبليك » . والمثبت من التبيان . وينظر تعليق الشيخ شاكر .

(٣) فى م : « يصنع » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٦ إلى المصنف .

عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا ﴾ . أى : عقوبةً[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ . يقولُ : ليَحْذَرَ مَن بعدَهم عُقوبتى ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . يقولُ : الذين كانوا بقُوا معهم[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : لِمَا خلا لهم مِن الذُّنوبِ ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . أى : عِبْرةً لمن بقِى مِن الناسِ[(٣)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنى ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . أى مِن القُرَى[(٤)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنا به بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : قال اللَّهُ : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : مِن ذُنوبِ القومِ ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أى : للحِيتانِ التى أصابوا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧، ٦٨١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣/١، ١٣٤ (٦٧٦، ٦٨٠) من طريق ابن إسحاق به .

عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : مِن ذنوبِها ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : مِن الحيتانِ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : ما مضَى مِن خَطاياهم إلى أن هلَكوا به .

٣٣٥/١ / **حدَّثنى** المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . يقولُ : ﴿ بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : ما مضَى مِن خَطاياهم ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : خَطاياهم التى هلَكوا بها[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه ، إلا أنه قال : ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : خَطيئتُهم التى هلَكوا بها .

وقال آخرون بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . قال : أما ما ﴿ بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : فما سلَف مِن عملِهم ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : فمَن كان بعدَهم مِن الأممِ أن يَعْصُوا ، فيَصْنَعَ اللَّهُ بهم مثلَ ذلك[3] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به ابنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : يعنى الحِيتانَ جعَلها نَكالًا لما بينَ يديها وما خلفَها مِن الذنوبِ التى

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١ . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ١٣٤/١ (٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٢) .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤/١ (٦٨٢) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧) من طريق عمرو به نحوه .

عمِلوا قبلَ الحِيتانِ ، وما عمِلوا بعدَ الحِيتانِ ، فذلك قولُه : ﴿ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾[(1)] .

وأوْلَى هذه التأويلاتِ بتأويلِ الآيةِ ما رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ ، وذلك لما وصَفْنا مِن أن الهاءَ والألفَ فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا ﴾ . بأن تكونَ مِن ذِكْرِ العقوبةِ والمَسْخةِ التى مُسِخها القومُ أولى منها بأن تكونَ مِن ذكرِ غيرِها ؛ مِن أجلِ أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما يُحَذِّرُ خلقَه بأسَه وسَطْوتَه ، وبذلك يُخَوِّفُهم ، وفى إبانتِه عزَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ نَكَالًا ﴾ . أنه عنَى به العقوبةَ التى أحَلَّها بالقومِ - ما يُعْلِمُ أنه عنَى بقولِه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . فجعَلْنا عقوبتَنا التى أحْلَلْناها بهم عُقوبةً لما بينَ يديها وما خلفَها ، دونَ غيرِه مِن المعانى . وإذا كانت الهاءُ والألفُ بأن تكونَ مِن ذكرِ المَسْخةِ والعُقوبةِ أولى منها بأن تكونَ مِن ذكرِ غيرِها ، فكذلك العائدُ فى قولِه : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . مِن الهاءِ والألفِ ، أن يكونَ مِن ذكرِ الهاءِ والألفِ اللتين فى قولِه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ . أولى مِن أن يَكونَ مِن غيرِه .

فتأويلُ الكلامِ - إذا كان الأمرُ على ما وصَفْنا - : فقلنا لهم : كونوا قردةً خاسِئِين . فجعَلْنا عُقوبتَنا لهم عقوبةً لما بينَ يديها مِن ذنوبِهم السالفةِ منهم ، مَسْخَنا إياهم ، وعقوبتَنا لهم ، ولما خلْفَ عقوبتِنا لهم مِن أمثالِ ذنوبِهم ، أن يَعْمَلَ بها عاملٌ ، فيُمْسَخوا مثلَ ما مُسِخوا ، وأن يَحِلَّ بهم مثلُ الذى حلَّ بهم . تَحْذيرًا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عبادَه أن يَأْتوا مِن مَعاصِيه ، مثلَ الذى أتَى المَمْسُوخون فيُعاقَبوا عقوبتَهم .

وأما الذى قال فى تأويلِ ذلك ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ : يعنى الحِيتانَ ؛ عُقوبةً لما بينَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف بنحوه .

يدى الحِيتانِ مِن ذنوبِ القومِ وما بعدَها مِن ذنوبِهم . فإنه أبْعَدَ فى الانْتِزاعِ ؛ وذلك أن الحِيتانَ لم يَجْرِ لها ذكرٌ فيُقالَ : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن ذلك جائزٌ وإن لم يكنْ جرَى للحيتانِ ذكرٌ ؛ لأن العربَ قد تَكْنى عن الاسمِ ولم يَجْرِ له ذكرٌ ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فغيرُ جائزٍ أن يُتْرَكَ المفهومُ مِن ظاهرِ الكتابِ - والمعقولُ به ظاهرٌ فى الخطابِ والتنزيلِ - إلى باطنٍ لا دلالةَ عليه مِن ظاهرِ التنزيلِ ، ولا خبرٍ عن الرسولِ ﷺ منقولٍ ، ولا فيه مِن الحجةِ إجماعٌ مُسْتَفِيضٌ .

٣٣٦/١ /وأما تأويلُ مَن تأوَّل ذلك : لما بينَ يديها مِن القُرَى ، وما خلفَها . فيُنْظَرُ إلى تأويلِ مَن تأوَّل ذلك : بما بينَ يدى الحِيتانِ وما خلفَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ .

والموعظةُ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : وعَظْتُ الرجلَ أَعِظُه وَعْظًا ومَوْعِظةً . إذا ذكَّرْتَه .

فتأويلُ الآيةِ : فجعَلْناها نَكالًا لمَا بينَ يديها وما خلفَها وتَذْكِرةً للمتقين ، ليَتَّعِظوا بها ويَعْتَبِرُوا ويَتَذَكَّروا بها .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ . يقولُ : وتذكرةً وعِبْرةً للمتقين[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

وأما المُتَّقُون فهم الذين اتَّقَوْا بأداءِ فرائضِه واجْتِنابِ مَعاصِيه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : ثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . يقولُ : للمؤمنين الذين يَتَّقُون الشِّركَ ، ويَعْمَلون بطاعتى[(١)] .

فجعَل تعالى ذكرُه ما أحَلَّ بالذين اعْتَدَوْا فى السبتِ مِن عقوبتِه مَوْعِظةً للمتقين خاصَّةً ، وعِبْرةً للمؤمنين دون الكافرين به إلى يومِ القيامةِ .

كالذى **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحصينِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : إلى يومِ القيامةِ[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : بعدَهم[(٣)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[(٤)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : أما ﴿ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : فهم أمةُ محمدٍ ﷺ[(٥)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال : فكانت موعظةً للمتقين خاصَّةً[(٦)] .

---

(١) تقدم فى ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ١/ ١٣٥ (٦٨٤) من طريق ابن إسحاق به.
(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٥ عقب الأثر (٦٨٦) معلقا .
(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٨.
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٥ (٦٨٨) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .
(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٥ (٦٨٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : لمَن بعدَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

٣٣٧/١ /وهذه الآيةُ مما وبَّخ اللَّهُ بها المخاطَبين [١/٩٨ظ] مِن بنى إسرائيلَ فى نَقْضِ أوائلِهم الميثاقَ الذى أخَذه اللَّهُ عليهم بالطاعةِ لأنبيائِه ، فقال لهم : واذْكُروا أيضًا مِن نَكْثِكم مِيثاقى ، ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ - وقومُه بنو إسرائيلَ ، إذ ادَّارَءُوا فى القَتيلِ الذى قُتِل فيهم إليه -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . والهُزُؤُ : اللَّعِبُ والسُّخْريةُ ، كما قال الراجزُ[1] :

قد هزِئَتْ منى أُمُّ طَيْسَلَهْ

قالَتْ أَراهُ مُعْدِمًا لا شىءَ لَهْ

يعنى بقولِه : قد هَزِئَت : قد سخِرَت ولعِبَت .

ولا ينْبَغى أن يكونَ مِن أنبياءِ اللَّهِ - فيما أخبَرَتْ عن اللَّهِ مِن أمرٍ أو نهيٍ - هُزُؤٌ أو لعبٌ ، فظنُّوا بموسى أنه فى أمرِه إياهم - عن أمرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه بذبحِ البقرةِ عندَ تَدارُئِهم فى القتيلِ إليه[2] - هازِئٌ لاعبٌ ، ولم يَكُنْ لهم أن يَظُنُّوا ذلك بنبيِّ اللَّهِ ، وهو يُخْبِرُهم أن اللَّهَ هو الذى أمَرَهم بذبحِ البقرةِ .

---

(١) هو صخير بن عمير التميمى ، والرجز فى الأصمعيات ص ٢٣٤، وأمالى القالى ٢/ ٢٨٤، وسمط اللآلى ص ٩٣٠، واللسان (ط س ل) على اختلاف فى روايته .

(٢) بعده فى م : « أنه » .

وحُذِفَت الفاءُ مِن قولِه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . وهو جوابٌ ، لاسْتِغْناءِ ما قبلَه مِن الكلامِ عنه ، وحُسْنِ السكوتِ على قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . فجاز لذلك إسقاطُ الفاءِ مِن قولِه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . كما جاز وحَسُن إسقاطُها مِن قولِه : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ ﴾ [الحجر : ٥٧، ٥٨، والذاريات : ٣١، ٣٢] . ولم يَقُلْ : « فقالوا : إنا أُرْسِلْنا » . ولو قيل : « فقالوا » . كان حسنًا أيضًا جائزًا . ولو كان ذلك على كلمةٍ واحدةٍ لم تُسْقَطْ منه الفاءُ ، وذلك أنك إذا قلتَ : قمتُ وفعَلتُ كذا وكذا . لم[1] تَقُلْ : قمتُ فعلتُ كذا وكذا ؛ لأنها عطفٌ لا استفهامٌ يُوقَفُ عليه .

فأخْبَرَهم موسى - إذ قالوا له ما قالوا - أن المُخْبِرَ عن اللَّهِ جل ثناؤه بالهُزْءِ والسخريةِ مِن الجاهِلين ، وبرَّأ نفسَه مما ظنُّوا به مِن ذلك ، فقال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ . يعنى : مِن السفهاءِ الذين يَرْوُون عن اللَّهِ الكذبَ والباطلَ .

وكان سببَ قيلِ موسى لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ما حدَّثنا به محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ عَقيمٌ - أو عاقرٌ - قال : فقتَله وليُّه ، ثم احْتَمَله ، فألْقاه فى سِبْطٍ غيرِ سِبْطِه . قال : فوقَع بينَهم فيه الشرُّ ، حتى أخذوا السلاحَ ، قال : فقال أولو النُّهَى : أتَقْتَتِلون وفيكم رسولُ اللَّهِ ؟ قال : فأتَوا نبىَّ اللَّهِ ، فقال : اذْبَحوا بقرةً . فقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ . قالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : فضُرِب ، فأخْبَرَهم بقاتلِه . قال : ولم تُؤْخَذِ البقرةُ إلا بوزنِها ذهبًا . قال : ولو أنهم

(١) فى النسخ : « ولم » . والصواب ما أثبت .

أخذوا أدنى بقرةٍ لأجزأت عنهم . فلم يُوَرَّثْ قاتلٌ بعدَ ذلك[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدَّثنى أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ قال : كان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ ، وكان غَنِيًّا ، ولم يَكُنْ له ولدٌ ، وكان له قريبٌ ، وكان وارثَه ، فقتَله ليَرِثَه ، ثم أَلْقاه على مَجْمَعِ الطريقِ ، وأتى موسى ، فقال له : إن قريبى قُتِل ، وأُتِى[(٢)] إلىَّ أمرٌ عظيمٌ ، وإنى لا أَجِدُ أحدًا يُبيِّنُ لى مَن[(٣)] قتَله غيرَك يا نبىَّ اللَّهِ . قال : فنادَى/ موسى فى الناسِ : أَنْشُدُ اللَّهَ مَن كان عندَه مِن هذا علمٌ إلا بيَّنه لنا . فلم يَكُنْ عندَهم علمُه ، فأقْبَل القاتلُ على موسى ، فقال : أنت نبىُّ اللَّهِ ، فاسْأَلْ لنا ربَّك أن يُبَيِّنَ لنا . فسأَل ربَّه ، فأوْحَى اللَّهُ إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ . فعجِبوا وقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ . قالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾ - يعنى : لا هَرِمةٌ - ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ - يعنى : ولا صغيرةٌ - ﴿ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ - أى : نَصَفٌ بينَ البِكْرِ والهَرِمةِ - قالوا ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ - أى : صافٍ لونُها - ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ - أى : تُعْجِبُ الناظِرين - قالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ - أى : لم يُذَلِّلْها العملُ - ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ - يعنى : ليستْ بذَلولٍ فتُثِيرَ الأرضَ - ﴿ وَلَا تَسْقِى

١/٣٣٨

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/٤٨ عن معمر ، عن أيوب به . وأخرجه آدم بن أبى إياس وعبد بن حميد فى تفسيرهما - كما فى تفسير ابن كثير ١/١٥٤ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٦ (٦٩٠) ، والبيهقى ٦/ ٢٢٠ من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٦ إلى ابن المنذر .

(٢) فى تفسير ابن كثير : « وإنى » .

(٣) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

ٱلْحَرْثَ ﴾ - يقولُ : ولا تَعْمَلُ فى الحَرْثِ - ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ - يعنى : مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ - ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ - يقولُ : لا بَياضَ فيها- قالوا : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ . ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : ولو أن القومَ حينَ أُمِرُوا أن يَذْبَحوا بقرةً اسْتَعْرَضوا بقرةً مِن البقرِ فذبَحوها ، لكانت إياها ، ولكنَّهم شدَّدوا على أنفسِهم فشدَّد اللَّهُ عليهم ، ولولا أن القومَ اسْتَثْنَوْا فقالوا : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . لما هُدُوا إليها أبدًا ، فبلَغَنا أنهم لم يَجِدوا البقرةَ التى نُعِتَت لهم إلا عندَ عَجوزٍ عندَها يَتامَى ، وهى القَيِّمةُ عليهم ، فلما علِمَت أنهم لا يَزْكو[1] لهم غيرُها أضْعَفَت عليهم الثمنَ ، فأتَوْا موسى فأخبَروه أنهم لم يَجِدوا هذا النعتَ إلا عندَ فلانةَ ، وأنها سألَتْهم أضعافَ ثمنِها ، فقال لهم موسى : إن اللَّهَ قد كان خفَّف عليكم فشدَّدْتُم على أنفسِكم ، فأعْطُوها رِضاها وحُكْمَها . ففعَلوا واشْتَرَوْها ، فذبَحوها ، فأمَرَهم موسى أن يَأْخُذوا عَظْمًا منها فيَضْرِبوا به القَتيلَ ، ففعَلوا ، فرجَع إليه رُوحُه ، فسمَّى لهم قاتلَه ، ثم عاد ميتًا كما كان ، فأخَذوا قاتلَه [١/٩٩و] - وهو الذى كان أتَى موسى فشكَا إليه - فقتَله اللَّهُ على أسوأ عملِه[2] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ ﴾ . قال : كان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ مُكْثِرًا مِن المالِ ، وكانت له ابنةٌ ، وكان له ابنُ أخٍ محتاجٌ ، فخطَب إليه ابنُ أخيه ابنتَه ، فأبَى أن يُزَوِّجَه إياها ، فغضِب الفتى ، وقال : واللَّهِ لأَقْتُلَنَّ عمِّى ، ولآخُذَنَّ

---

(١) أى لا يصلح .

(٢) أخرجه آدم بن أبى إياس فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١/ ١٥٤- ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٠ عقب الأثر (٧١٦) ، ١/ ١٤١، ١٤٢ (٧٢٤، ٧٢٩، ٧٣٠) مفرقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٨، ٧٩ إلى المصنف مختصرًا .

مالَه ، ولأَنْكِحَنَّ ابنتَه ، ولآكُلَنَّ دِيَتَه . فأتاه الفتى ، وقد قَدِم تجارٌ فى بعضِ أَسْباطِ بنى إسرائيلَ ، فقال : يا عمِّ ، انْطَلِقْ معى ، فخُذْ لى مِن تجارةِ هؤلاءِ القومِ لعلى أُصِيبُ فيها[1] ، فإنهم إذا رأَوْك معى أعْطَوْنى . فخرَج العمُّ مع الفتى ليلًا ، فلمَّا بلَغ الشيخُ ذلك السِّبطَ قتَله الفتى ، ثم رجَع إلى أهلِه ، فلما أصْبَح جاء كأنه يَطْلُبُ عمَّه ، كأنه لا يَدْرِى أين هو ، فلم يَجِدْه ، فانْطَلَق نحوَه ، فإذا هو بذلك السِّبطِ مُجْتَمِعِين عليه ، فأخَذَهم وقال : قتَلْتُم عمِّى ، فأدُّوا إلىَّ دِيَتَه . وجعَل يَبْكِى ، ويَحْثُو الترابَ على رأسِه ، ويُنادِى : واعمَّاه ! فرفَعَهم إلى موسى ، فقضَى عليهم بالديةِ ، فقالوا له : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ لنا حتى يَتَبَيَّنَ له مَن صاحبُه ، فيُؤْخَذَ صاحبُ الجَرِيمةِ[2] ، فواللَّهِ إن ديتَه علينا لَهَيِّنةٌ ، ولكنا نَسْتَحِى أن نُعَيَّرَ به . فذلك حينَ يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ . فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ/ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . قالوا : نَسْأَلُك عن القَتيلِ ، وعمَّن قتَله ، وتَقولُ : اذْبَحوا بقرةً ! أَتَهْزَأُ بنا ؟ ١/٣٣٩
قال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ . قال : قال ابنُ عباسٍ : فلو اعْتَرَضوا بقرةً فذبَحوها لأَجْزَأَت عنهم ، ولكنهم شدَّدُوا وتعنَّتُوا موسى ، فشدَّد اللَّهُ عليهم ، فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ - والفارِضُ : الهَرِمةُ التى لا تَلِدُ ، والبِكْرُ : التى لم تَلِدْ إلا ولدًا واحدًا ، والعَوانُ : النَّصَفُ التى بينَ ذلك ، التى قد وَلَدَت وولد ولدُها - ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ . قالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ - قال : تُعْجِبُ الناظرين - قالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا

---

(١) فى تفسير ابن كثير : « منها » .

(٢) فى ت ١، ت ٣: « الفرجة » ، وفى ت ٢: « المرحة » .

ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ - مِن بَياضٍ ، ولا سَوادٍ ، ولا حُمْرةٍ - قالوا : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ . فطلَبوها فلم يَقْدِروا عليها .

وكان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ مِن أبرِّ الناسِ بأبيه ، وأن رجلًا مرَّ به معه لؤْلؤٌ يَبيعُه ، فكان أبوه نائمًا تحتَ رأسِه المِفْتاحُ ، فقال له الرجلُ : تَشْتَرِى منى هذا اللؤلؤَ بسبعين ألفًا ؟ فقال له الفتى : كما أنت حتى يَسْتَيْقِظَ أبى ، فآخُذَه بثمانين ألفًا . فقال له الآخرُ : أيْقِظْ أباك ، وهو لك بستين ألفًا . فجعَل التاجرُ يَحُطُّ له حتى بلَغ ثلاثين ألفًا ، وزاد الآخرُ على أن يَنْتَظِرَ حتى يَسْتَيْقِظَ أبوه ، حتى بلَغ مائةَ ألفٍ ، فلما أكْثَر عليه قال : لا واللَّهِ ، لا أَشْتَرِيه منك بشيءٍ أبدًا . وأبَى أن يُوقِظَ أباه ، فعوَّضه اللَّهُ مِن ذلك اللؤلؤِ أن جعَل له تلك البقرةَ ، فمرَّت به بنو إسرائيلَ يَطْلُبون البقرةَ ، فأبْصَروا البقرةَ عندَه ، فسأَلوه أن يَبيعَهم إياها بقرةً ببقرةٍ ، فأبَى . فأعْطَوْه ثنْتَيْن فأبَى ، فزادُوه حتى بلَغوا عشرًا فأبَى ، فقالوا : واللَّهِ لا نَتْرُكُك حتى نَأْخُذَها منك . فانْطَلَقوا به إلى موسى ، فقالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنا وجَدْنا البقرةَ عندَ هذا ، فأبَى أن يُعْطِيَناها ، وقد أَعْطَيْناه ثمنًا . فقال له موسى : أَعْطِهم بقرتَك . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أحَقُّ بمالى . فقال : صدَقْتَ . وقال للقومِ : أرْضُوا صاحبَكم . فأعْطَوْه وزنَها ذهبًا فأبَى ، فأضْعَفوا له مثلَ ما أعْطَوْه وزنَها ، حتى أعْطَوْه وزنَها عشرَ مراتٍ ، فباعَهم إياها ، وأخَذ ثمنَها ، فقال : اذْبَحوها . فذبَحوها ، فقال : اضْرِبوه ببعضِها ، فضرَبوه بالبَضْعةِ التى بينَ الكَتِفَيْن فعاش ، فسأَلوه : مَن قتلَك ؟ فقال لهم : ابنُ أخى ، قال : أَقْتُلُه ، وآخُذُ مالَه ، وأَنْكِحُ ابنتَه . فأخَذوا الغلامَ ، فقتَلوه [1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، **وحدَّثنى** يونُسُ ، قال :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/١٣٦ - ١٤٣ (٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧١٦، ٧٢٨، ٧٣٨) مفرقا من طريق عمرو بن حماد به .

أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، عن ابنِ زيدٍ ، (١) وحدَّثنى عن مُجاهِدٍ (١) ، **وحدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، قال : حدَّثنى خالدُ بنُ يزيدَ ، عن مُجاهِدٍ ، **وحدَّثنى** المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ (٢) عبدِ الكَريمِ ، قال : حدَّثنى عبدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمِع وهبًا يَذْكُرُ ، **وحدَّثنى** القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ ، وحَجَّاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ ، **وحدَّثنى** محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : أخْبَرَنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ . فذكَر جميعُهم أن السببَ الذى مِن أجلِه قال لهم موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن/ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ نحوُ السببِ الذى ذكَره عَبيدةُ وأبو العاليةِ والسُّدىُّ ، غيرَ أن بعضَهم ذكَر أن الذى قتَل القَتيلَ الذى اخْتُصِم فى أمرِه إلى موسى كان أخا المقتولِ ، وذكَر بعضُهم أنه كان ابنَ أخيه . وقال بعضُهم : بل كانوا جماعةً وَرَثةً اسْتَبْطَئوا حياتَه . إلا أنهم جميعًا مُجْمِعون على أن موسى إنما أمَرهم [١/٩٩ظ] بذبحِ البقرةِ مِن أجلِ القَتيلِ إذ احْتَكموا إليه - عن أمرِ اللَّهِ إياهم بذلك - فقالوا له : وما ذَبْحُ البقرةِ يُبَيِّنُ لنا خُصومَتَنا التى اخْتَصَمْنا فيها إليك فى قتلِ مَن قُتِل ، فادُّعِى على بعضِنا أنه القاتلُ ، أتَهْزَأُ بنا ؟ ١/٣٤٠

كما **حدَّثنى** يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قُتِل قَتيلٌ مِن بنى إسرائيلَ ، فطُرِح فى سِبْطٍ مِن الأسْباطِ ، فأتَى أهلُ ذلك القَتيلِ إلى ذلك السِّبْطِ ، فقالوا : أنتم واللَّهِ قتَلْتُم صاحبَنا ؟ قالوا : لا واللَّهِ . فأتَوْا موسى ، فقالوا : هذا قَتيلُنا بينَ أظْهُرِهم ، وهم واللَّهِ قتَلوه . فقالوا : لا واللَّهِ يا نبىَّ اللَّهِ ، طُرِح علينا . فقال لهم

(١ - ١) كذا فى النسخ ، والصواب حذفه . وتفسير ابن زيد مشهور .

(٢) فى النسخ : « عن » . وهو خطأ وقد تقدم فى ١/ ٧٠١، ٧٠٩، وسيأتى فى ص ١١٥ بهذا الإسناد على الصواب .

موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ . فقالوا : أتستهزئُ بنا ؟ وقرأ قولَ اللهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قالوا : نأتيك فنذكرُ قتيلَنا والذى نحن فيه ، فتستهزئُ بنا ؟ فقال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ ، وحجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ : لمَّا أتَى أولياءُ القَتيلِ والذين ادَّعَوا عليهم قتلَ صاحبِهم ، موسى ، وقصُّوا قصتَهم عليه ، أوْحَى اللَّهُ إليه أن يَذْبَحوا بقرةً ، فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ . قالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ . قالوا : وما البقرةُ والقَتيلُ ؟ قال : أقولُ لكم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ . وتقولون : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : فقال الذين قيل لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ - بعد أن عَلِموا واسْتَقَرَّ عندَهم أن الذى أمَرَهم به موسى عليه السلامُ مِن ذلك عن أمرِ اللهِ مِن ذَبْحِ بقرةٍ ، جِدٌّ وحقٌّ - : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ . فسألُوا موسى أن يَسْأَلَ ربَّه لهم ما كان اللَّهُ قد كفاهم بقولِه لهم : اذبَحوا بقرةً . لأنه جلَّ ثناؤُه إنما أمَرهم بذبحِ بقرةٍ مِن البقرِ - أىَّ بقرةٍ شاءوا ذبْحَها ، مِن غيرِ أن يَحْصُرَ لهم ذلك على نوعٍ منها دونَ نوعٍ ، أو صِنفٍ دونَ صنفٍ - فقالوا بجَفاءِ أخْلاقِهم وغِلَظِ طَبائِعهم وسُوءِ أفهامِهم ، وتكلُّفِ ما قد وضَع اللَّهُ عنهم مَئُونتَه ؛ تعنُّتًا منهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما قال لهم موسى : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١٥٧/١ : وهذه السياقات عن عبيدة وأبى العالية والسدى وغيرهم فيها اختلاف ما ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى إسرائيل ، وهى مما يجوز نقلها ، ولكن لا نصدق ولا نكذب ، فلهذا لا نعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا ، والله أعلم .

﴿الْجَٰهِلِينَ﴾ . قالوا له يَتَعَنَّتونه : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ .

فلمَّا تكلَّفوا جهلًا منهم ما تكلَّفوا - مِن البحثِ عما كانوا قد كُفُوه مِن صفةِ البقرةِ التى أُمِروا بذبحِها ؛ تَعَنُّتًا منهم بنبيِّهم موسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، بعدَ الذى كانوا أظْهَروا له مِن سُوءِ الظنِّ به فيما أخْبَرَهم عن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بقولِهم : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ - عاقَبهم عزَّ وجلَّ بأن خصَّ بذبحِ ما كان أمَرهم بذبحِه مِن البقرِ ، على نوعٍ منها دونَ نوعٍ ، فقال لهم جلَّ ثناؤُه - إذ سأَلوه ، فقالوا : ما هى ، ما صفتُها ، وما /حِلْيتُها[1] ؟ حَلِّها لنا لنَعْرِفَها .- قال : ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ . ٣٤١/١

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ : لا مُسِنَّةٌ هَرِمةٌ . يقالُ منه : فَرَضَت البقرةُ تَفْرِضُ فُروضًا ، [2]وفرُضت[2] . يعنى بذلك : أسَنَّتْ . ومِن ذلك قولُ الشاعرِ[3] :

يا رُبَّ ذى ضِغْنٍ علىَّ فارِضِ
له قُروءٌ كقُروءِ الحائِضِ[4]

يعنى بقولِه : « فارض » . قديمٌ : يَصِفُ ضِغْنًا قديمًا . ومنه قولُ الآخَرِ[5] :

لها[6] زِجاجٌ[7] ولَهاةٌ فارِضُ[8]

(١) الحلية : الصفة . وحلِّها : صِفْها . انظر اللسان (ح ل ى) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) مجالس ثعلب ص ٣٦٤، والمعانى الكبير ٢/ ٨٥٠، ٨٥١، والحيوان ٦/ ٦٧، والأضداد ص ٢٨ وغيرها .

(٤) القروء : جمع قرء ، وهو وقت الحيض . قال الجاحظ : كأنه ذهب إلى أن حقده يخبو تارة ثم يستعر ، ثم يخبو ثم يستعر .

(٥) البيت الأول فى اللسان (ز ج ج) ، والثانى فى المخصص ١/ ١٦٢.

(٦) فى م : « له » ، والتصويب من اللسان .

(٧) الزِّجاج : هى الأنياب ، على الاستعارة ، وأصل الزُّجّ : الحديدة التى تركب أسفل الرمح ، يركز به الرمح فى الأرض . انظر التاج (ز ج ج) .

(٨) معناها هنا : العظيمة الضخمة . وانظر اللسان (ف ر ض) .

حَذْلاءُ كالوَطْبِ نَحاهُ الماخِضُ[(١)]

وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ ﴿ فَارِضٌ ﴾ قال المُتأوِّلون .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىُّ بنُ سعيدٍ الكِنْدىُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . قال : لا كبيرةٌ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ عَطِيَّةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أو عن عِكْرِمةَ - شكَّ شَرِيكٌ - : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . قال : الكبيرةُ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : أخبَرَنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . الفارضُ الهَرِمةُ .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ . يقولُ : ليست بكبيرةٍ هَرِمةٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ الخُراسانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَّا فَارِضٌ ﴾ : الهَرِمةُ[(٤)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هدلاء كالوطب تجاه الماخض » . والمثبت من المخصص . قال فى المخصص : رجل أحذل وامرأة حذلاء . قال : والأحذل من الرجال الذى فى منكبيه ورقبته انكباب إلى صدره . والوطب : سقاء اللبن من جلد . ونحاه : صرفه وأماله . والماخض من : مخض اللبن ، إذا أخذ زبده .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٧ ، ١٣٨ (٦٩٥ ، ٧٠١) من طريق عبد السلام بن حرب به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) معلقًا عن عكرمة .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٤) من طريق ابن جريج به . =

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : الفارضُ الكبيرةُ[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهدٍ قولَه : ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال : الكبيرةُ .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ : يعني : لا هَرِمةٌ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : الفارضُ الهَرِمةُ[(٤)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : قال مَعْمَرٌ : قال قَتادةُ : الفارضُ الهَرِمةُ . يقولُ : ليست بالهَرِمةِ ولا البِكرِ ، عَوانٌ بينَ ذلك[(٥)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ : الفارضُ الهَرِمةُ التي لا تَلِدُ[(٦)] .

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٧/١، ٧٨ إلى ابن المنذر وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس . وينظر التحفة ٩٠/٥، وتهذيب الكمال ١١٥/٢٠، والفتح ٦٦٧/٨، ٤١٨/٩، وهدى الساري ص ٣٧٤.

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) معلقًا .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق عمرو به .

وحدَّثني يونُسُ ، [١/١٠٠و] قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الفارضُ الكبيرةُ .

١/٣٤٢ /القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ .

و« البِكْرُ » مِن إناثِ البَهائمِ وبني آدمَ ما لم يَفْتَحِلْه الفَحْلُ ، وهي مَكْسورةُ الباءِ ، لم يُسْمَعْ منه « فَعَل » ولا « يَفْعَل » . وأما « البَكْرُ » بفتحِ الباءِ فهو الفَتِيُّ مِن الإبلِ .

وإنما عنَى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : ولا صَغيرةٌ لم تَلِدْ .

كما حدَّثني عليُّ بنُ سعيدٍ الكِنْديُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : صغيرةٌ[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : البِكْرُ الصغيرةُ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عَطِيَّةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدٍ، عن ابنِ عباسٍ، أو عكرمةَ - شكَّ[(٣)] - : ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ . قال : الصغيرةُ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ : الصغيرةُ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني أبو سفيانَ ، عن مَعْمَرٍ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٥) من طريق عبد السلام بن حرب به .

(٢) تفسير مجاهد ص٢٠٦ .

(٣) يعني شريكًا ، كما تقدم في ص ٨٤ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٨) معلقًا عن عكرمة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٦) من طريق ابن جريج به .

قَتادةَ : ﴿ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ : ولا صَغيرةٌ[(١)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ : ولا صغيرةٌ ضَعيفةٌ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ : يعنى : ولا صغيرةٌ[(٣)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، مثلَه .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ فى « البكرِ » : لم تَلِدْ إلا ولدًا واحدًا[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ عَوَانُۢ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : العَوانُ النَّصَفُ التى قد ولَدَت بَطْنًا بعدَ بطنٍ ، وليست بنعتٍ للبِكْرِ . يقالُ منه : قد عوَّنَتْ . إذا صارت كذلك .

وإنما معنى الكلامِ : قال : إنه يَقولُ : إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكرٌ[(٥)] ، عَوانٌ بينَ ذلك . ولا يَجوزُ أن يَكونَ ﴿ عَوَانُۢ ﴾ إلا مبتدأً ؛ لأن قولَه : ﴿ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ ﴾ كِنايةٌ عن الفارِضِ والبِكْرِ ، فلا يجوزُ أن يَكونَ مُتقَدِّمًا عليهما . ومنه قولُ الأخْطَلِ[(٦)] :

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٨) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٧) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٨) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٨) من طريق عمرو به .

(٥) بعده فى م : « بل » .

(٦) شرح ديوان الأخطل ص ٨٣.

وما بمكةَ(١) مِن شُمْطٍ مُحَفِّلةٍ وما بيَثْرِبَ مِن عُونٍ وأبْكارِ(٢)

وجمعُها عُونٌ ، يُقالُ : امرأةٌ عَوانٌ مِن نِسوةٍ عُونٍ ، ومنه قولُ تَميمِ بنِ مُقْبِلٍ(٣) :

ومَأْتَمٍ(٤) كالدُّمَى حُورٍ مَدامِعُها لم تَيْأَسِ(٥) العَيْشَ أبْكارًا ولا عُونَا

و « بقرةٌ عَوانٌ » ، و « بقرٌ عُونٌ » . قال : وربما قالت العربُ : « بقرٌ عُونٌ » ، مثلَ « رُسُلٍ » ؛ يَطْلُبون بذلك الفرقَ بينَ جمعِ « عَوانٍ » مِن البقرِ ، وجمعِ « عَانَةٍ » مِن ١/٣٤٣ الحُمُرِ ، ويقالُ : هذه حربٌ عَوانٌ . إذا كانت حربًا قد قُوتِل فيها مرةً / بعدَ مرةٍ ، يُمَثَّلُ ذلك بالمرأةِ التى قد ولَدَت بطنًا بعدَ بطنٍ ، وكذلك يُقالُ : حاجةٌ(٦) عَوَانٌ . إذا كانت قد قُضِيَت مرةً بعدَ مرةٍ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ أن ابنَ زيدٍ أنْشَدَه :

قُعودٌ لَدَى الأبْوابِ طُلَّابُ حاجةٍ عَوَانٍ مِن الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرَا

قال أبو جعفرٍ : والبيتُ للفَرَزْدقِ(٧) .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك تأوَّله أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا علىُّ بنُ سعيدٍ الكِنْدىُّ ، ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن

---

(١) فى المصدر : « بزمزم » .

(٢) الشمط ، جمع أشمط وشمطاء ، والشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . ومحفلة : من الحفيل والاحتفال وهو الجد والاجتهاد .

(٣) ديوانه ص ٣٢٥.

(٤) المأتم : جماعة النساء أو الرجال فى خير أو شر . اللسان (أ ت م) .

(٥) فى الديوان : « تبأس » .

(٦) فى م : « حالة » .

(٧) ديوان الفرزدق ص ٢٢٧.

مُجاهِدٍ : ﴿ عَوَانٌۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ ﴾ وَسَطٌ ، قد ولَدَتْ بطنًا أو بطنَيْن[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ قال : العَوانُ : العانِسُ النَّصَفُ[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : العوانُ : النَّصَفُ[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ عَطِيةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أو عكرمةَ - شكَّ شَريكٌ - ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ . قال : بينَ ذلك[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ . قال : بينَ الصغيرةِ والكبيرةِ ، وهي أقوى ما يكونُ مِن البقرِ والدَّوابِّ ، وأحسنُ ما يكونُ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ قال : النَّصَفُ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٧٠١) من طريق عبد السلام بن حرب به . وأخرجه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢، تحقيق أبي إسحاق الحويني - من طريق خصيف به .

(٢) أخرجه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣، تحقيق أبي إسحاق الحويني - من طريق ابن أبي نجيح به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٠٦ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ عقب أثر (٦٩٩) معلقًا عن عكرمة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٦٩٩) من طريق منجاب به .

﴿ عَوَانٌ ﴾ نَصَفٌ[(١)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ : العَوانُ نَصَفٌ بيـنَ ذلك[(٢)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ عَوَانٌ ﴾ : التى[(٣)] تُنْتَجُ شيئًا بشرطِ [(٤)]أن تَكونَ[(٤)] التى قد نُتِجَت بَكْرةً أو بَكْرتَيْن .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : العَوانُ النَّصَفُ التى بيـنَ ذلك ، التى قد وَلَدَت ووَلَدَ ولدُها[(٥)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : العَوانُ بيـنَ ذلك ليست ببكرٍ ولا كبيرةٍ .

[١/١٠٠ظ] القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ بَيْنَ ذَالِكَ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ بَيْنَ ذَالِكَ ﴾ : بيـنَ البِكْرِ والهَرِمةِ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ بَيْنَ ذَالِكَ ﴾ . أى : بيـنَ البِكْرِ والهَرِمةِ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) من طريق آدم به.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) معلقًا .

(٣) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لم » .

(٤ - ٤) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ (٧٠٠) من طريق عمرو بن حماد به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) من طريق آدم به .

/فإن قال قائلٌ : قد علِمْتَ أن « بينَ » لا تَصْلُحُ إلا أن تَكونَ مع شيئَيْن ٣٤٤/١
فصاعدًا ، فكيف قيل : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ . و ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ واحدٌ فى اللفظِ ؟

قيل : إنما صلَحَت مع كونِها واحدةً ؛ لأن « ذلك » بمعنى اثنين ، والعربُ تَجْمَعُ فى « ذلك » و « ذاك » شيئين ومعنيَيْن مِن الأفعالِ ، كما يقولُ القائلُ : أَظُنُّ أخاك قائمًا ، و كان عمرٌو أباك . ثم يقولُ : قد كان ذاك ، وأَظُنُّ ذلك . فيَجْمَعُ بـ « ذاك » و« ذلك » الاسمَ والخبرَ الذى كان لابد لـ « أظنُّ »[1] و « كان » منهما .

فمعنى الكلامِ : قال : إنه يقولُ : إنها بقرةٌ لا مُسِنَّةٌ هَرِمةٌ ، ولا صَغيرةٌ لم تَلِدْ ، ولكنها بقرةٌ نَصَفٌ قد وَلَدَت بطنًا بعدَ بطنٍ بينَ الهَرَمِ والشبابِ . فجمَع ﴿ذَٰلِكَ﴾ معنى الهَرَمِ والشبابِ ، لما وصَفْنا ، ولو كان مكانَ « الفارِضِ والبِكْرِ » اسمَا شخصَيْن لم يُجْمَعْ مع « بينَ » « ذلك » ، وذلك أن « ذلك » لا يُؤَدِّى عن اسمِ شخصين ، وغيرُ جائزٍ لمَن قال : كنتُ بينَ زيدٍ وعمرٍو . أن يقولَ : كنتُ بينَ ذلك . وإنما يَكونُ ذلك مع أسماءِ الأفعالِ دون أسماءِ الأشخاصِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) ﴾ .

يقولُ اللَّهُ لهم جلَّ ثناؤُه : افْعَلوا ما آمُرُكم به تُدْرِكوا حاجاتِكم وطَلِباتِكم عندى ، واذْبَحوا البقرةَ التى أمَرْتُكم بذبحِها ، تَصِلوا - بانتهائِكم إلى طاعتى بذبحِها - إلى العلمِ بقاتلِ قَتيلِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾ .

ومعنى ذلك : قال قومُ موسى لموسى : ادعُ لنا ربَّك يُبَيِّنْ لنا لونَ البقرةِ التى

---

(١) فى النسخ : « للظن » . والمثبت هو الصواب .

أمَرْتَنا بذبحِها . وهذا أيضًا تعنُّتٌ آخرُ منهم بعدَ الأولِ ، وتكلُّفُ طلبِ ما قد كانوا كُفوه فى المرةِ الثانيةِ والمسألةِ الآخِرةِ ، وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا فى المرةِ الثانيةِ ، إذ قيل لهم بعد مسألتِهم عن حِلْيةِ البقرةِ التى كانوا أُمِروا بذبحِها ، فأبَوْا إلا تكلُّفَ ما قد كُفُوه مِن المسألةِ عن صفتِها ، فحُصِروا على نوعٍ دونَ سائرِ الأنواعِ ؛ عقوبةً مِن اللَّهِ لهم على مَسألتِهم التى سألوها نبيَّهم ﷺ تعنُّتًا منهم له ، ثم لم يَحْصُرْهم على لونٍ منها دونَ لونٍ ، فأبَوْا إلا تَكلُّفَ ما كانوا عن تَكلُّفِه أغْنِياءَ ، فقالوا – تعنُّتًا منهم لنبيِّهم ﷺ كما ذكَر ابنُ عباسٍ – : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ فقيل لهم عقوبةً لهم : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ فحُصِروا على لونٍ منها دونَ لونٍ ، ومعنى ذلك : أن البقرةَ التى أمَرْتُكم بذبحِها صفراءُ فاقعٌ لونُها .

قال : ومعنى قولِه : ﴿ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ : أىُّ شىءٍ لونُها ؟ فلذلك كان اللونُ مرفوعًا ؛ لأنه مُرافِعُ « ما » ، وإنما لم يُنْصَبْ « ما » بقولِه : ﴿ يُبَيِّن لَّنَا ﴾ لأن أصلَ « أىٍّ » و « ما » جمعُ مُتفرِّقِ الاستفهامِ . يقولُ[1] القائلُ : بيِّنْ لنا أسوداءُ هذه البقرةُ أم صفراءُ ؟ فلما لم يَكُنْ [2]لقولِه : بيِّنْ لنا . أن يقعَ على الاستفهامِ متفرِّقًا ، لم يكنْ له أن يقعَ[2] على « أىٍّ » ؛ لأنه جمعُ ذلك المتفرِّقِ ، وكذلك كلُّ ما كان مِن نظائرِه ، فالعملُ فيه واحدٌ فى « ما » و « أىٍّ » .

٣٤٥/١ /**واختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ ﴾ ؛ فقال بعضُهم :** معنى ذلك : سوداءُ شديدةُ السَّوادِ .

---

(١) فى النسخ : « كقول » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٢ - ٢) فى النسخ : « كقوله بين لنا ارتفع على الاستفهام منصرفا لم يكن له ارتفع » . والمثبت هو الصواب . وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٤٦ - ٤٨.

ذكرُ مَن قال ذلك منهم

حدَّثني أبو مسعودٍ إسماعيلُ بنُ مسعودٍ الجَحْدريُّ ، قال : ثنا نوحُ بنُ قيسٍ ، عن محمدِ بنِ سيفٍ ، عن الحسنِ : ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ قال : سوداءُ شديدةُ السَّوادِ[١] .

حدَّثني أبو زائدةَ زكريا بنُ يحيى بنِ أبى زائدةَ والمثنى بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا نوحُ بنُ قيسٍ ، عن محمدِ بنِ سيفٍ ، عن أبى رَجاءٍ ، عن الحسنِ مثلَه[٢] .

وقال آخَرون : معنى ذلك : صفراءُ القَرْنِ والظِّلْفِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني هشامُ بنُ يونُسَ النَّهْشَليُّ ، قال : ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن أشْعثَ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : صفراءُ القَرنِ والظِّلْفِ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنى هُشَيْمٌ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن كَثيرِ بنِ زيادٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : كانت وَحْشِيَّةً[٣] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن إبراهيمَ ، عن أبى حفصٍ ، عن

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٩٢ - تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٩ (٧٠٩) من طريق نوح بن قيس به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٨ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٠ (٧١٥) من طريق مسلم بن إبراهيم به . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/١٥٨: وهذا غريب .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٨ (٧٠٤) من طريق هشيم به .

مَغْراءَ ، أو عن رجلٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : صفراءُ القَرْنِ والظِّلْفِ[(١)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : هي صَفْراءُ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا الضَّحَّاكُ بنُ مَخْلَدٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ قال : لو أَخَذُوا بقرةً صَفراءَ لأَجْزَأَت عنهم[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : وأَحْسَبُ أن الذى قال فى قولِه : ﴿ صَفْرَآءُ ﴾ : يَعْنى به سوداءَ . ذهَب إلى قولِه[(٣)] فى نعتِ الإبلِ السودِ : هذه إبلٌ صُفْرٌ ، وهذه ناقةٌ صفراءُ . يعْنى بها سوداءَ ، وإنما قيل ذلك فى الإبلِ لأن سوادَها يَضْرِبُ إلى الصُّفْرةِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[(٤)] :

تلك خَيْلى منه[(٥)] وتلك رِكابِى[(٦)] هن صُفْرٌ أولادُها كالزَّبيبِ

يعنى بقولِه : هن صُفْرٌ : هن سُودٌ ، وذلك إن وُصِفَت الإبلُ به فليس مما تُوصَفُ به البقرُ ، مع أن العربَ لا تَصِفُ السَّوادَ بالفُقوعِ ، وإنما تَصِفُ السوادَ - إذا وصَفَتْه بالشِّدةِ - بالحُلوكةِ ونحوِها ، [١٠١/١و] فتقولُ : هو أسودُ

(١) إبراهيم هو ابن يزيد الخوزى متروك . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٨) من طريق ليث بن أبى سليم ، عن مغراء ، عن سعيد بن جبير . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضًا ١٣٩/١ (٧٠٧) من طريق شريك ، عن الأعمش ، عن مغراء ، عن ابن عمر فى قوله : ﴿ صفراء ﴾ . قال صفراء الظلف .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٥ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٦) .

(٣) كذا فى النسخ ، ولعل صوابها : « قولهم » .

(٤) هو الأعشى الكبير ، والبيت فى ديوانه ص ٦٨ .

(٥) فى م : « منها » .

(٦) الركاب : الإبل التى يسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . التاج (ر ك ب) .

حالكٌ وحانِكٌ وحُلْكُوكٌ، وأسودُ غِرْبيبٌ ودَجُوجيٌّ. ولا تقولُ: هو أسودُ فاقعٌ. وإنما تقولُ: هو أصفرُ فاقعٌ. فوصْفُه إياه بالفُقوعِ مِن الدليل البينِ على خلافِ التأويلِ الذى تأوَّل قولَه: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ المتأوِّلُ بأن معناه سوداءُ شديدةُ السوادِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾.

يعنى: خالصٌ لونُها. والفُقوعُ فى الصُّفرةِ نظيرُ النُّصوعِ فى البَياضِ، وهو شِدَّتُه وصَفاؤُه.

١/٣٤٦ /كما **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخْبَرَنا مَعْمَرٌ، قال: قال قَتادةُ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: هى الصافى لونُها[(١)].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا آدمُ، قال: ثنا أبو جعفرٍ، عن الربيعِ، عن أبى العاليةِ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾. أى: صافٍ لونُها[(٢)].

حُدِّثْتُ عن عمارٍ، قال: ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ بمثلِه[(٣)].

حدَّثنا موسى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسْباطُ، عن السُّدىِّ: ﴿فَاقِعٌ﴾. قال: نَقِىٌّ لونُها[(٤)].

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: حدَّثنى أبى، قال: حدَّثنى عمى، قال: حدَّثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: شديدةُ الصُّفْرةِ، تَكادُ مِن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٩ عقب الأثر (٧١١) من طريق آدم به.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٩ عقب الأثر (٧١١) من طريق ابن أبى جعفر به.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٩ عقب الأثر (٧١١) من طريق عمرو بن حماد به.

صُفرتِها تَبْيَضُّ[(١)] . قال أبو جعفرٍ : أُراه أبيضَ .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ . قال : شديدةٌ صفرتُها .

يقالُ منه : فقَع لونُه يَفْقَعُ ، ويَفْقُعُ ، فَقْعًا وفُقوعًا فهو فاقعٌ . كما قال الشاعرُ :

حمَلْتُ عليه الوَرْدَ[(٢)] حتى ترَكْتُه ذَليلًا يَسُفُّ التُّرْبَ واللَّوْنُ فاقعُ

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ : تُعْجِبُ هذه البقرةُ ، في حُسنِ خَلْقِها ومَنظَرِها وهَيئتِها ، الناظرَ إليها .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ أي : تُعْجِبُ الناظِرين[(٣)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثني عبدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمِع وهبًا : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ : إذا نظَرْتَ إليها يُخَيَّلُ إليك أن شُعاعَ الشمسِ يَخْرُجُ مِن جلدِها[(٤)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ قال : تُعْجِبُ الناظِرين[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ (٧١٤) عن محمد بن سعد به .
(٢) الورد من الخيل : بين الكميت والأشعر .
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ عقب الأثر (٧١٦) معلقًا .
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ (٧١٧) من طريق إسماعيل بن عبد الكريم به .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٠ (٧١٦) من طريق عمرو بن حماد به .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقوله : ﴿ قَالُواْ ﴾ : قال قومُ موسى الذين أُمِروا بذبحِ البقرةِ ، لموسى . فترَك ذكرَ « موسى » ، وذكَر عائدَ ذكرِه اكْتِفاءً بما دلَّ عليه ظاهرُ الكلامِ . وذلك أن معنى الكلامِ : قالوا له : ادْعُ لنا ربَّك . فلم يَذْكُرْ « له » لما وصَفْنا .

وقولُه : ﴿ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ خبرٌ مِن اللَّهِ عن القومِ بجَهْلةٍ منهم ثالثةٍ ، وذلك أنهم لو كانوا إذ أُمِروا بذبحِ البقرةِ ذبَحوا أيَّتَها تيَسَّرتْ مما يَقَعُ عليه اسمُ بقرةٍ كانت عنهم مُجْزِئةً ، ولم يَكُنْ عليهم غيرُها ؛ لأنهم لم يَكُونوا كُلِّفوها بصفةٍ دون صفةٍ ، فلمَّا سأَلوا بيانَها بأيَّةِ صفةٍ هى ، فبيَّن لهم أنها بسِنٍّ مِن الأسْنانِ دونَ سِنٍّ سائرِ الأسْنانِ ، فقيل لهم : هى عَوانٌ بينَ الفارضِ والبِكْرِ الضَّرَعِ[(١)] . فكانوا - إذ بُيِّنَتْ لهم سنُّها - لو ذبَحوا أدْنَى بقرةٍ بالسنِّ التى بُيِّنَت لهم كانت عنهم مُجْزِئةً ؛ لأنهم لم يَكُونوا كُلِّفوها بغيرِ السنِّ التى حُدَّتْ لهم ، ولا كانوا حُصِروا على لونٍ منها / دونَ ١/٣٤٧ لونٍ ، فلما أبَوْا إلا أن تكونَ مُعَرَّفةً لهم بنُعوتِها ، مُبَيَّنةً بحُدودِها التى تُفرِّقُ بينَها وبينَ سائرِ بَهائمِ الأرضِ ، فشدَّدوا على أنفسِهم ، شدَّد[(٢)] اللَّهُ عليهم بكثرةِ سُؤالِهم نبيَّهم واختلافِهم عليه .

ولذلك قال نبيُّنا ﷺ لأُمَّتِه : « ذَرونى ما ترَكْتُكم ، فإنما أُهلك مَن كان قبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم ، فإذا أمَرْتُكم بشيءٍ فأْتُوه ، وإذا نهَيْتُكم عن

---

(١) الضَّرَعُ ، بالتحريك ، والضارع : الصغير من كل شيء . وقيل : الصغير السن الضعيف الضاوى النحيف . اللسان (ض ر ع) .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فشدد » .

شيءٍ فانْتَهُوا عنه ما اسْتَطَعْتُم »[(١)] .

قال أبو جعفرٍ : ولكنَّ القومَ لما زادوا نبيَّهم موسى ﷺ أذًى وتَعنُّتًا ، زادهم اللَّهُ عقوبةً وتشديدًا .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عَثَّامُ بنُ عليٍّ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو أَخَذوا أدْنَى بقرةٍ اكْتَفَوْا بها ، لكنهم شدَّدوا فشدَّد اللَّهُ عليهم[(٢)] .

حدَّثنا محمد[(٣)] بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ ، قال : سَمِعْتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : لو أنَّهم أَخَذُوا أدْنَى بقرةٍ لأَجْزَأَت عنهم .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ ، **وحدَّثني** المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، جميعًا عن ابنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ السَّلْمانيِّ ، قال : سأَلوا وشدَّدوا، فشُدِّد عليهم.

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ ، قال : لو أخَذ بنو إسرائيلَ بقرةً لأَجْزَأَت عنهم ، ولولا قولُهم : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ما وجَدُوها[(٤)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٣٢٥/١٢ ، ٤٦٨ (٧٣٦٧، ٧٥٠١) ، والبخارى (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبى هريرة .

وقوله : « فإذا أمرتكم بشىء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا عنه ما استطعتم » . خطأ ، صوابه : « فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » . وانظر الفتح ٢٦٠/١٣- ٢٦٣.

(٢) ذكره ابن كثير ١٥٨/١ عن المصنف . وقال : إسناد صحيح . وقد رواه غير واحد عن ابن عباس .

(٣) فى م ، ت ١: « عمر » ، وفى ت ٢، ت٣: « عمرو » . وتقدم على الصواب كما أثبتناه فى ص ٧٦.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٩٣ - تفسير) عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، يبلغ به النبى ﷺ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٧/١ إلى الفريابى وابن المنذر مرفوعًا .

عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ : لو أخَذُوا بقرةً ما كانت لأَجْزَأَت عنهم ، ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ [١/١٠١ظ] إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ . قال : لو أخَذُوا بقرةً مِن هذا الوصفِ لأَجْزَأَت عنهم ، ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾ . قال : لو أخَذوا بقرةً صفراءَ لأجزأتْ عنهم ، ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآية[1] .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ بنحوِه ، وزاد فيه : ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مُجاهِدٌ : لو أخَذُوا بقرةً ما كانت ، أَجْزَأَت عنهم . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال لى عَطاءٌ : لو أخَذُوا أدْنَى بقرةٍ كفَتْهم . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال رسولُ اللَّهِ/ ﷺ : « إنما أُمِرُوا بأدْنى بقرةٍ ، ولكنَّهم لما شَدَّدوا على أنفسِهم شدَّد اللَّهُ عليهم ، وايْمُ اللَّهِ لو أنهم لم يَسْتَثْنُوا ما بُيِّنَت لهم آخرَ الأبدِ »[2] . ١/٣٤٨

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : لو أن القومَ حينَ أُمِروا أن يَذْبَحوا بقرةً اسْتَعْرَضوا بقرةً مِن البقرِ فذبَحوها لكانَت إيَّاها ، ولكنهم شدَّدوا على أنفسِهم ، فشدَّد اللَّهُ عليهم ، ولولا أن القومَ اسْتَثْنَوا فقالوا : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ لما هُدُوا إليها أبدًا[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٣٩ (٧٠٦) مختصرًا .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٧ إلى المصنف عن ابن جريج مرفوعًا .
(٣) تقدم مطولا فى ص ٧٧، ٧٨.

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « إنما أُمِر القومُ بأدْنَى بقرةٍ ، ولكنَّهم لما شدَّدوا على أنفسِهم شُدِّد عليهم ، والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لو لم يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَت لهم آخرَ الأبَدِ »[1] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَرَه عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو أَعْرَضوا[2] بقرةً فذبَحوها لأَجْزَأَت عنهم ، ولكنهم شدَّدوا وتعنَّتوا موسى ، فشدَّد اللَّهُ عليهم[3] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : قال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ : قال ابنُ عباسٍ : لو أن القومَ نظَروا أدْنى بقرةٍ - يعنى بنى إسرائيلَ - لأجزأت عنهم ، ولكن شدَّدوا فشُدِّد عليهم ، فاشْتَرَوها بملءِ جلدِها دَنانيرَ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لو أخَذُوا بقرةً كما أمَرَهم اللَّهُ كفاهم ذلك ، ولكنَّ البلاءَ فى هذه المسائلِ ، فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ فشُدِّد عليهم ، فقال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ قال : ﴿ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ . قال : وشُدِّد عليهم أشدَّ مِن الأولِ . فقرأ حتى بلَغ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ . فأبَوْا أيضًا فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ، فشُدِّد عليهم فقال : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٧ إلى المصنف .

(٢) فى م : « اعترضوا » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٣٧ (٦٩٣) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى ، عن ابن عباس .

لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ . قال : فاضْطُرُّوا إلى بقرةٍ لا يُعْلَمُ على صفتِها غيرُها ، هى صفراءُ ليس فيها سَوادٌ ولا بياضٌ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه الأقوالُ التى ذكَرْناها عمن ذكرناها عنه مِن الصحابةِ والتابعِين والخالِفِين بعدَهم ، مِن قولِهم : إن بنى إسرائيلَ لو كانوا أخَذوا أدْنى بقرةٍ فذبَحوها أجْزَأَت عنهم ، ولكنهم شدَّدوا فشدَّد اللَّهُ عليهم - مِن أوضحِ الدلالةِ على أن القومَ كانوا يَرَون أن حكمَ اللَّهِ فيما أمَر ونهَى فى كتابِه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ على العمومِ الظاهرِ دونَ الخُصوصِ الباطنِ ، إلا أن يَخُصَّ بعضَ ما عمَّه ظاهرُ التَّنْزيلِ ، كتابٌ مِن اللَّهِ أو رسولُ اللَّهِ ، وأن التنزيلَ أو الرسولَ إن خصَّ بعضَ ما عمَّه ظاهرُ التنزيلِ بحكمٍ خلافِ ما دَلَّ عليه الظاهرُ ، فالمخصوصُ مِن ذلك خارجٌ مِن حكمِ الآيةِ التى عمَّت ذلك الجنسَ خاصةً ، وسائرُ حكمِ الآيةِ على العمومِ ، على نحوِ ما قد بيَّنَّاه فى كتابِنا « كتابِ الرِّسالةِ » مِن « لطيفِ القولِ فى البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » - فى قولِنا فى العمومِ والخصوصِ ، وموافقةِ قولِهم فى ذلك قولَنا ،
٣٤٩/١ ومذهبِهم مذهبَنا ، وتَخْطِئتِهم قولَ /القائلين بالخصوصِ فى الأحكامِ ، وشَهادتِهم على فسادِ قولِ مَن قال : حُكمُ الآيةِ الجائيةِ مَجِيءَ العمومِ على العُمومِ ما لم يُخْتَصَّ منها بعضُ ما عمَّته الآيةُ ، فإن خُصَّ منها بعضٌ ، فحُكمُ الآيةِ حينَئذٍ على الخصوصِ فيما خُصَّ منها ، وسائرُ ذلك على العمومِ .

وذلك أن جميعَ مَن ذكَرْنا قولَه آنِفًا - ممَّن عاب على[(١)] بنى إسرائيلَ مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صفةِ البقرةِ التى أُمِروا بذبحِها وسنِّها وحِلْيتِها - رأَوْا أنهم كانوا فى مسألتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ موسى ذلك مُخْطِئِين ، وأنهم لو كانوا اسْتَعْرَضوا أدْنى بقرةٍ مِن البقرِ - إذ أُمِروا بذبحِها بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ فذبَحوها -

---

(١) فى ت١، ت٢، ت٣: « عن » .

كانوا للواجبِ عليهم مِن أمرِ اللَّهِ فى ذلك مُؤَدِّين ، وللحقِّ مُطيعِين ، إذ لم يَكُنِ القومُ حُصِروا على نوعٍ مِن البقرِ دونَ نوعٍ ، وسنٍّ دونَ سنٍّ .

ورأَوا مع ذلك أنهم إذ سألوا موسى عن سنِّها ، فأخْبَرَهم عنها وحصَرَهم منها على سنٍّ دونَ سنٍّ ، ونوعٍ دونَ نوعٍ ، وخَصَّ مِن جميعِ أنواعِ البقرِ نوعًا منها ، كانوا فى مسألتِهم إياه المسألةَ الثانيةَ بعد الذى خصَّ لهم من أنواعِ البقرِ ، من الخطأَ على مثلِ الذى كانوا عليه من الخطأَ فى مسألتِهم إياه المسألةَ الأولى .

[١٠٢/١و] وكذلك رَأَوْا أنهم فى المسألةِ الثالثةِ على مثلِ الذى كانوا عليه مِن ذلك فى الأولى والثانيةِ ، وأن اللازمَ كان لهم فى الحالةِ الأولى استعمالُ ظاهرِ الأمرِ ، وذبحُ أىِّ بهيمةٍ شاءوا مما وقَع عليها اسمُ بقرةٍ .

وكذلك رأَوْا أن اللازمَ كان لهم فى الحالةِ الثانيةِ استعمالُ ظاهرِ الأمرِ ، وذبحُ أىِّ بهيمةٍ شاءوا مما وقَع عليها اسمُ بقرةٍ عَوَانٍ لا فارضٍ ولا بِكْرٍ ، ولم يَرَوْا أن حكمَهم - إذ خُصَّ لهم بعضُ البقرِ دونَ البعضِ فى الحالةِ الثانيةِ - انْتَقل عن اللازمِ كان لهم فى الحالةِ الأولى مِن استعمالِ ظاهرِ الأمرِ إلى الخصوصِ .

ففى إجماعِ جميعِهم على ما رَوَينا عنهم مِن ذلك - مع الروايةِ التى رَوَيناها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بالموافقةِ لقولِهم - دليلٌ واضحٌ على صحةِ قولِنا فى العمومِ والخصوصِ ، وأن أحكامَ اللَّهِ جل ثناؤُه فى آيِ كتابِه - فيما أمَر ونهَى - على العمومِ مالم يَخُصَّ ذلك ما يَجبُ التسليمُ له ، وأنه إذا خُصَّ منه شىءٌ فالمخصوصُ منه خارجٌ حكمُه مِن حكمِ الآيةِ العامةِ الظاهرِ ، وسائرُ حكمِ الآيةِ على ظاهرِها العامِّ ، ومُؤَيِّدٌ حقيقةَ ما قلْنا فى ذلك ، وشاهدٌ عَدْلٌ على فسادِ قولِ مَن خالَف قولَنا فيه .

وقد زعَم بعضُ مَن عظُمَت جَهالتُه ، واشْتَدَّت حَيْرَتُه ، أن القومَ إنما سألوا موسى ما سألوا بعدَ أمرِ اللَّهِ إياهم بذبحِ بقرةٍ مِن البقرِ ؛ لأنهم ظنُّوا أنهم أُمِروا بذبحِ بقرةٍ بعينِها

خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصا موسى فى معناها ، فسأَلوه أن يُحَلِّيَها لهم ليَعْرِفوها .

ولو كان الجاهلُ تدبَّر قولَه هذا ، لسهُل عليه ما اسْتَصْعَب مِن القولِ ، وذلك أنه اسْتَعْظَم مِن القومِ مسألتَهم نبيَّهم ما سأَلوه تَشَدُّدًا منهم فى دينِهم ، ثم أضاف إليهم مِن الأمرِ ما هو أعْظَمُ مما اسْتَنْكَرَه أن يَكونَ كان منهم ، فزعَم أنهم كانوا يرَوْن أنه جائزٌ أن يَفْرِضَ اللَّهُ عليهم فرضًا ويَتَعَبَّدَهم بعبادةٍ ، ثم لا يُبَيِّنَ لهم ما يَفْرِضُ عليهم ويَتَعَبَّدُهم به ، حتى يَسْأَلوا بيانَ ذلك لهم ، فأضاف إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه ما لا يَجوزُ إضافتُه إليه ، ونسَب القومَ مِن الجهلِ إلى ما لا يُنْسَبُ المجانينُ إليه ، فزعَم أنهم كانوا يَسْأَلون ربَّهم أن يَفْرِضَ عليهم الفَرائضَ ، فنعوذُ باللَّهِ مِن الحَيْرةِ ، ونَسْأَلُه التوفيقَ والهِدايةَ .

/وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ . فإن البقرَ جِماعُ بقرةٍ . ٣٥٠/١

وقد قرَأ بعضُهم : (إن الباقرَ)[1] . وذلك وإن كان فى الكلامِ جائزًا لمجيئِه فى كلامِ العربِ وأشعارِها ، كما قال ميمونُ بنُ قيسٍ[2] :

وما ذنبُه أن عافَتِ الماءَ باقِرٌ   وما إن تَعافُ الماءَ إلا ليُضْرَبا[3]

وكما قال أميةُ[4] :

ويَسُوقون باقِرَ [5]السَّهْلِ للطَّوْ   دِ[5] مَهازِيلَ خَشْيةً أن تَبُورَا

---

(١) وبها قرأ محمد ذو الشامة وعكرمة ويحيى بن يعمر . ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢٥٣.

(٢) ديوان الأعشى ص ١١٥.

(٣) قال الجاحظ : وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ؛ إما لكدر الماء ، أو لقلة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ؛ لأن البقر تتبعه كما تتبع الشُّوْلُ الفحل . الحيوان ١/ ١٨.

(٤) ديوانه ص ٤٥.

(٥ - ٥) فى النسخ : « الطود للسَّهْل » . والمثبت من الديوان . يقول الجاحظ فى ذكر نيران العرب : « ونار أخرى ، وهى النار التى كانوا يستمطرون بها فى الجاهلية الأولى ، فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات وركد عليهم البلاء ، واشتد الجدب ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من =

- فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به لمخالفتِه القراءةَ الجائيةَ مَجِيءَ الحُجَّةِ ، بنقلِ مَن لا يَجوزُ عليه - فيما نقَلوه مُجْمِعِين عليه - الخطأُ والسَّهْوُ والكذبُ .

وأما تأويلُ : ﴿ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾ فإنه يعنى به : الْتَبس علينا .

والقَرَأَةُ مختلفةٌ فى تِلاوتِه ؛ فبعضُهم كانوا يَتْلُونه : ﴿ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾ . بتخفيفِ الشينِ ونصبِ الهاءِ على مثالِ « تَفَاعَلَ » ويُذَكِّرُ الفعلَ وإن كان البقرُ جِماعًا ؛ لأن مِن شأنِ العربِ تَذْكيرَ كلِّ فعلِ جمعٍ كانت واحدتُه بالهاءِ ، وجمعُه بطرحِ الهاءِ وتأنيثَه ، كما قال اللَّهُ تعالى فى نظيرِه فى التَّذْكيرِ : ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ [القمر : ٢٠] . فذكَّر « المُنْقَعِرَ » ، وهو مِن صفةِ « النخلِ » لتذكيرِ لفظِ « النخلِ » . وقال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾ [الحاقة : ٧]. فأنَّث « الخاويةَ » وهى مِن صفةِ النخلِ - بمعنى النخلِ ؛ لأنها وإن كانت فى لفظِ الواحدِ المذكرِ - على ما وصَفْنا قبلُ - فهى جِماعُ نخلةٍ .

وكان بعضُهم يَتْلُوه : (إنَّ البقَرَ تَشَّابَهُ علينا)(١) . بتشديدِ الشينِ وضمِّ الهاءِ ، فيُؤَنِّثُ الفعلَ بمعنى تأنيثِ « البقرِ » ، كما قال : ﴿ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾ . ويُدْخِلُ فى أولِ « تَشَابَه » تاءً تَدُلُّ على تأنيثِها ، ثم تُدْغَمُ التاءُ الثانيةُ فى شينِ « تَشَابَهَ » ؛ لتقارُبِ مَخْرَجِها ومَخْرَجِ الشينِ ، فتَصِيرُ شِينًا مُشَدَّدةً ، وتُرْفَعُ الهاءُ بالاستقبالِ والسلامةِ مِن الجَوازِمِ والنَّواصبِ .

وكان بعضُهم يَتْلُوه : (إنَّ البقَرَ يَشَّابَهُ علينا)(٢) . فيُخْرِجُ « يَشَّابَه » مُخْرَجَ الخبرِ عن الذَّكَرِ ؛ لِما ذكَرْنا مِن العلةِ فى قراءةِ مَن قرَأ ذلك : ﴿ تَشَٰبَهَ ﴾ بالتخفيفِ ،

= البقر ، ثم عقدوا فى أذنابها وبين عراقيبها ، السَّلَع والعُشَر ، ثم صعدوا بها فى جبل وعْر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا . الحيوان ٤/ ٤٦٦ .

(١) هى قراءة الأعرج ، ورويت عن الحسن . البحر المحيط ١/ ٢٥٤ .

(٢) هى قراءة ابن مسعود . السابق .

ونصبِ الهاءِ ، غيرَ أنه كان يَرْفَعُه بالياءِ التى يُحْدِثُها فى أولِ « تشَابَهَ » التى تأتى بمعنى الاستقبالِ ، وتُدْغَمُ التاءُ فى الشينِ ، كما فعَله القارئُ فى (تَشَّابَهُ) بالتاءِ والتشديدِ .

والصوابُ فى ذلك مِن القراءةِ عندَنا : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ . بتخفيفِ شينِ « تَشَابَهَ » ونصبِ هائِه ، بمعنى « تَفَاعَلَ » ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرأَةِ على تَصْويبِ ذلك ورفعِهم[(١)] ماسواه مِن القراءاتِ ، ولا يُعْتَرَضُ على الحُجَّةِ بقولِ مَن يَجُوزُ عليه فيما نقَل السهوُ والغَفْلةُ والخطأُ .

وأما قولُه : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . فإنهم عنَوْا : وإنا إن شاء اللَّهُ لمُبَيَّنٌ لنا ما الْتَبس علينا وتَشَابَهَ مِن أمرِ البقرةِ التى أُمِرْنا بذبحِها . ومعنى « اهْتِدائِهم » فى هذا الموضعِ معنى « تَبَيُّنِهم » أىَّ ذلك الذى لزِمهم ذَبْحُه مما سواه مِن أجناسِ البقرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ [١٠٢/١ظ] لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ .

/وتأويلُ ذلك : قال موسى : إن اللَّهَ يقولُ : إن البقرةَ التى أمَرْتُكم بذبحِها بقرةٌ ٣٥١/١
لا ذَلولٌ . ويعنى بقولِه : ﴿ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . أى : لم يُذَلِّلْها العملُ . فمعنى الآيةِ : إنها بقرةٌ لم تُذَلِّلْها إثارةُ الأرضِ بأظْلافِها ، ولا سُنِىَ عليها[(٢)] الماءُ ، فيُسْقَى عليها الزرعُ ، كما يقالُ للدابةِ التى قد ذلَّلها الركوبُ أو العملُ : دابةٌ ذَلولٌ بيِّنةُ الذِّلِّ . بكسر الذَّالِ ، ويُقالُ فى مثلِه مِن بنى آدمَ : رجلٌ ذَليلٌ بيِّنُ الذُّلِّ والذِّلَّةِ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . يقولُ : صعبةٌ لم يُذِلَّها عملٌ ، ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾[(٣)] .

---

(١) كذا بالنسخ ، ولعل الصواب : « دفعهم » .

(٢) سنيت الدابة وغيرها تسنى : إذا سقى عليها . اللسان (س ن ى) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١/١ (٧٢٧) من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثني موسى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السديِّ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ . يقولُ : بقرةٌ ليست بذَلولٍ يُزرَعُ عليها ، وليْسَت تَسقى الحرثَ[(١)] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . أي : لم يُذِلَّها العملُ . ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ . يعني : ليست بذَلولٍ فتُثِيرَ الأرضَ . ﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ . يقولُ : ولا تَعْمَلُ[(٢)] في الحرثِ[(٣)] .

حُدثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ . يقولُ : لم يُذِلَّها العملُ ، ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ . يقولُ : تُبِينُ الأرضَ[(٤)] بأظْلافِها . ﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ . يقولُ : ولا تعمَلُ[(٢)] في الحرثِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال الأعرجُ : قال مجاهدٌ قولَه : ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ . يقولُ : ليست بذَلولٍ فتفعَلَ ذلك[(٥)] .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ليست بذَلولٍ تُثِيرُ الأرضَ ، ولا تَسْقِي الحرثَ .

ويعني بقولِه : ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ : تَقْلِبُ الأرضَ للحرثِ ، يقالُ منه : أثَرْتُ الأرضَ أُثِيرُها إثارةً ، إذا قلَبتَها للزرعِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٤٢ (٧٢٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم مطولا في ص ٧٧ .

(٤) أبانت الماشية الأرض ، إذا فصلتها عن بعضها . اللسان (ب ى ن) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٤١ (٧٢٣) من طريق حجاج به .

وإنما وصَفها جلَّ ثناؤه بهذه الصفةِ ؛ لأنها كانت - فيما قيل - وَحْشيَّةً .

حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن كَثيرِ بنِ زيادٍ ، عن الحسنِ ، قال : كانت وَحْشيَّةً[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ .

ومعنى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ : مُفَعَّلةٌ ، مِن السلامةِ ، يقالُ منه : سُلِّمَتْ تُسلَّمُ فهى مُسلَّمةٌ .

ثم اختَلف أهلُ التأويلِ في المعنى الذى سُلِّمَت منه ، فوصَفَها اللَّهُ بالسلامةِ منه ؛ فقال مجاهدٌ بما **حدثنا** به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يقولُ : مُسَلَّمةٌ مِن الشِّيَةِ ، و ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : لا بياضَ فيها ولا سوادَ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . قال : مُسَلَّمةٌ من الشِّيَةِ ، ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : لا بياضَ فيها ولا سَوادَ .

/ **وقال آخَرون** : مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ . ٣٥٢/١

---

(١) تقدم فى ص ٩٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ (٧٣٢، ٧٣٥) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . أى : مُسلَّمةٌ مِن العيوبِ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يقولُ : لا عيبَ فيها[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يعنى : مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ[(٣)] .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال ابنُ عباسٍ : قولُه : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ : لا عَوارَ فيها[(٥)] .

والذى قاله ابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ ومن قال بمثلِ قولِهما فى تأويلِ ذلك ، أوْلَى بتأويلِ الآيةِ مما قاله مجاهدٌ ؛ لأن سَلامَتَها لو كانت مِن سائرِ أنواعِ الألوانِ سِوَى لونِ جلدِها ، لكان فى قولِه : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . مُكْتفًى عن قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . وفى قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ ، ما يُوَضِّحُ عن أن معنى قولِه : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . غيرُ معنى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٢ (٧٣٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٢ عقب الأثر (٧٣٣) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٢ عقب الأثر (٧٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٨ إلى المصنف .

قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعنى الكلامِ أنه يقولُ : إنها بقرةٌ لم تُذَلِّلْها إثارةُ الأرضِ وقَلْبُها للحِراثةِ ولا السُّنُوُّ عليها للمزارعِ ، وهي مع ذلك صحيحةٌ مُسَلَّمةٌ مِن العيوبِ .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : لا لونَ فيها يُخالِفُ لونَ جلدِها . وأصلُه مِن : وَشْيِ الثوبِ . وهو تحسينُ عُيوبِه التي تَكونُ فيه بضُروبٍ مختلفةٍ مِن ألوانِ سَدَاه ولُحْمتِه ، يقالُ منه : وَشَيْتُ الثوبَ فأنا أَشِيه شِيَةً ووَشْيًا . ومنه قيل للساعي بالرجلِ إلى السلطانِ أو غيرِه : واشٍ . لكذبِه عليه عندَه وتحسينِه كذبَه بالأباطيلِ ، يقالُ منه : وشَيْتُ به إلى السلطانِ وِشايةً . ومنه قولُ كعبِ بنِ زُهَيْرٍ[(١)] :

تَسْعَى الوُشَاةُ بجنْبَيها[(٢)] وقولُهُمُ إنك يا بنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتولُ

والوُشاةُ جمع واشٍ ، يعني أنهم يَتقوَّلون بالأباطيلِ ، ويُخبِرُونه أنه إن لحِق بالنبيِّ ﷺ قتَلَه .

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن الوَشْيَ العلامةُ . وذلك لا معنى له ، إلا أن يكونَ أراد بذلك تحسينَ الثوبِ بالأعْلامِ ؛ لأنه معلومٌ أن القائلَ : وشَيْتُ بفلانٍ إلى فلانٍ . غيرُ جائزٍ أن يُتوهَّمَ عليه أنه أراد : جعَلْتُ له عندَه علامةً .

وإنما قيل : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . وهي مِن : وَشَيْتُ ؛ لأن الواوَ لما أُسقِطَت مِن أولِها أُبدِلَتْ مكانَها الهاءُ في آخرِها ، كما قيل : وزَنْتُه زِنةً [١/١٠٣و] ، و[(٣)] وَسَيْتُه سِيَةً[(٣)] ،

---

(١) ديوانه ص ١٩.

(٢) في م : « جنابيها » .

(٣ - ٣) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « وشيته شية » . وسيته : حلَقته . ينظر اللسان (و س ى) .

ووَعَدْتُه عِدَةً ، ووَدَيْته دِيَةً .

وبمثلِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . أى : لا بياضَ فيها[(١)] .

١/٣٥٣ /**حدَّثنا** الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، مثلَه[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . يقولُ : لا بَياضَ فيها[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهِدٍ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . أى : لا بياضَ فيها ولا سَوادَ[(٤)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن أبيه ، عن عطيةَ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . قال : لونُها واحدٌ ، ليس فيها لونٌ سِوَى لونِها[(٥)] .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) من طريق آدم به .

(٤) تقدم فى ص ١٠٧.

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٧) معلقا .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : مِن بياضٍ ولا سوادٍ ولا حُمْرةٍ[(١)] .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ : هى صفراءُ ليس فيها بياضٌ ولا سوادٌ .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ . يقولُ : لا بياضَ فيها[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ . **فقال بعضُهم**: معنى ذلك: الآن بيَّنْتَ لنا الحقَّ فتبيَّنَّاه، [(٣)]وعرَفْنا أيَّةَ بقرةٍ عَنيتَ[(٣)] .

وممَّن قال ذلك قتادةُ :

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ . أى : الآن بيَّنتَ لنا[(٤)] .

وقال بعضُهم : ذلك خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن القومِ أنهم نسَبوا نبيَّ اللَّهِ موسى صلواتُ اللَّهِ عليه إلى أنه لم يَكُنْ يَأْتِيهم بالحقِّ فى أمرِ البقرةِ قبلَ ذلك .

وممَّن رُوِى عنه معنى هذا القولِ عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ (٧٣٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ٢: « وعرفناه ، أنه بقرة عينت » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ (٧٣٩) من طريق شيبان ، عن قتادة .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : اضطُرُّوا إلى بقرةٍ لا يَعْلَمون على صفتِها غيرَها ، وهى صفراءُ ليس فيها سَوادٌ ولا بياضٌ ، فقالوا : هذه بقرةُ فلانٍ ، ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . وقبلَ ذلك واللَّهِ قد جاءَهم بالحقِّ[(١)] .

وأولى التأويلين عندَنا بقولِه : ﴿ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . قولُ قتادةَ ، وهو أن تأويلَه : الآن بيَّنتَ لنا الحقَّ فى أمرِ البقرِ[(٢)] ، فعرَفْنا أيُّها[(٣)] الواجبُ علينا ذبحُها منها ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخبَر عنهم أنهم قد أطاعوه ، فذبَحوها بعد قِيلِهم هذا مع غِلَظِ مؤنةِ ذبحِها عليهم وثِقَلِ أمْرِها ، فقال : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ . وإن كانوا قد قالوا - بقولِهم : الآن بيَّنْتَ لنا الحقَّ - هُراءً[(٤)] مِن القولِ ، وأتَوْا خطأً وجهلًا مِن الأمرِ ، وذلك أن نبيَّ اللَّهِ موسى ﷺ كان مُبَيِّنًا لهم - فى كلِّ مسألةٍ سأَلوها إياه ، وردٍّ[(٥)] رادُّوه فى أمرِ البقرةِ - /الحقَّ ، وإنما يُقالُ : الآن بيَّنْتَ لنا الحقَّ لمن ١/٣٥٤
لم يَكُنْ مُبَيِّنًا قبلَ ذلك ، فأما مَن كان كلُّ قِيلِه - فيما أبان عن اللَّهِ تعالى ذكْرُه - حقًّا وبيانًا ، فغيرُ جائزٍ أن يقالَ له فى بعضِ ما أبان عن اللَّهِ فى أمرِه ونهيِه ، وأدَّى عنه إلى عبادِه مِن فرائضِه التى أوجَبها عليهم : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . كأنه لم يَكُنْ جاءَهم بالحقِّ قبلَ ذلك .

وقد كان بعضُ مَن سلَف يَزعُمُ أن القومَ ارْتَدُّوا عن دينِهم ، وكفَروا بقولِهم لموسى : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ . ويَزعُمُ أنهم نفَوْا أن يكونَ موسى أتاهم بالحقِّ فى أمْرِ البقرةِ قبلَ ذلك ، وأن ذلك مِن فعْلِهم وقِيلِهم كفرٌ .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٥٩/١ مقتصرًا على آخره . وتقدم بطوله فى ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) فى النسخ : « البقرة » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) فى م ، ت ٢: « أنها » ، وفى ت ١، ت ٣: « أنه » .

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « هزوا » .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « رده » .

وليس الذى قال مِن ذلك عندَنا كما قال ؛ لأنهم أذْعَنوا بالطاعةِ بذبحِها ، وإن كان قيلُهم الذى قالوه لموسى جَهْلَةً منهم وهَفْوَةً مِن هَفَواتِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ : فذبَح قومُ موسى البقرةَ التى وصَفها اللَّهُ لهم ، وأمَرهم بذبحِها .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . أى : قارَبوا أن يَدَعوا ذبْحَها ، ويترُكوا فرْضَ اللَّهِ عليهم فى ذلك .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجلِه كادوا أن يُضيعوا فرْضَ اللَّهِ عليهم فى ذبحِ ما أمَرهم بذبحِه مِن ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك السببُ كان غلاءَ ثمنِ البقرةِ التى أُمِروا بذبحِها ، وبُيِّنَت لهم صفتُها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا أبو معشرٍ المدنىُّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ فى قولِه : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : لغلاءِ ثمنِها[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدٍ الهلالىُّ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ الخطابِ ، قال : ثنا أبو معشرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرظىِّ : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . قال: مِن كثرةِ قيمتِها .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : أخبَرنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، وحجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ - فى حديثٍ فيه طُولٌ ، ذكَر أن حديثَ بعضِهم دخَل فى حديثِ بعضٍ - قولَه : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ : لكثرةِ الثمنِ ، أخَذوها بمِلْءِ مَسْكِها ذهبًا مِن مالِ المقتولِ ، فكان سَواءً ، لم يَكُنْ فيه فَضْلٌ فذبَحوها[(١)] .

حُدِّثتُ عن المنجابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ . يقولُ : كادوا لا يَفعَلون ، [١٠٣/١ظ] ولم يَكُنِ الذى أرادوا ؛ لأنهم أرادوا ألا يَذْبَحُوها ، وكلُّ شىءٍ فى القرآن «أَكادُ[(٢)] » و[(٣)] «كادوا» و«لو» ، فإنه لا يكونُ ، وهو مثلُ قولِه: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[(٤)] [طه: ١٥].

وقال آخَرون : لم يكادوا أن يفعَلوا ذلك ، خوفَ الفضيحةِ إن أَطْلَع اللَّهُ على قاتلِ القتيلِ الذى اختَصَموا فيه إلى موسى .

والصوابُ مِن التأويلِ عندَنا أن القومَ لم يكادوا يفعَلون ما أمَرهم اللَّهُ به مِن ذبحِ البقرةِ للخَلَّتين كلتيهما ؛ إحداهما : غَلاءُ ثَمنِها مع ما ذُكِر لنا من صِغَرِ خطَرِها وقلةِ قيمتِها . والأخرى : خوفُ عظيمِ الفضيحةِ على أنفسِهم بإظهارِ اللَّهِ نبيَّه موسى صلواتُ اللَّهِ عليه وأتباعَه على قاتلِه[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٤/١ (٧٤٣) من طريق أبى معشر ، عن محمد بن كعب .

(٢) فى م ، ت ٢: «كاد» .

(٣) فى م ، ت ٢: «أو» .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ (٧٤٢) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به . وينظر تفسير ابن كثير ١٦٠/١.

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ١٦٠/١ .

/فأما غلاءُ ثَمنِها فإنه قد رُوِى لنا فيه ضُروبٌ مِن الرِّواياتِ . ٣٥٥/١

فحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : اشترَوْها بوزنِها عشْرَ مراتٍ ذهبًا ، فباعَهم صاحبُها[1] إياها وأخَذ ثَمنَها[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : ثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : اشترَوْها بمِلْءِ جلدِها دنانيرَ .

حدثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهِدٍ ، قال : كانت البقرةُ لرجلٍ يبَرُّ أمَّه ، فرزَقه اللَّهُ أن جعَل تلك البقرةَ له ، فباعَها بمِلْءِ جلدِها ذهبًا[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، قال : حدثني خالدُ بنُ يزيدَ ، عن مجاهِدٍ ، قال : أعْطَوْا صاحبَها مِلْءَ مَسْكِها ذهبًا ، فباعَها منهم .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ[4] عبدِ الكريمِ ، قال : حدثني عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمِع وهبًا يقولُ : اشترَوْها منه على أن يَمْلَئوا له جلدَها دنانيرَ ، ثم ذبَحوها فعمَدوا إلى جلدِ البقرةِ فملئوه دنانيرَ ، ثم دفَعوها إليه .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ[5] ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمِّي[6] ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وجَدوها عندَ رجلٍ يَزْعُمُ أنه ليس بائعَها

---

(١) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « صاحبهم » .

(٢) تقدم مطولًا في ص ٨٠.

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٨١ .

(٤) في النسخ : « عن » . وانظر ما تقدم في ص ٨١ .

(٥) في م : « سعيد » .

(٦) في م ، ت ١، ت ٣: « يحيى » .

بمالٍ أبدًا ، فلم يَزالوا به حتى جعَلوا له أن يَسْلُخوا له مَسْكَها ، فيملئوه له دنانيرَ ، فرضِى به فأعْطاهم إياها[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : لم يجِدُوها إلا عندَ عَجوزٍ ، وإنها سألَتْهم أضعافَ ثمنِها ، فقال لهم موسى : أعْطُوها رِضاها وحُكْمَها . ففعَلوا ، واشترَوْها فذبَحوها[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال أيوبُ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : لم يَجِدوا هذه البقرةَ إلا عندَ رجلٍ واحدٍ ، فباعَها بوزنِها ذهبًا - أو مِلْءِ مَسْكِها ذهبًا - فذبَحوها[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ السَّلْمانىِّ ، قال : وجَدوا البقرةَ عندَ رجلٍ ، فقال : إنى لا أَبِيعُها إلا بمِلْءِ جلدِها ذهبًا . فاشترَوْها بمِلْءِ جلدِها ذهبًا .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : جعَلوا يَزيدون صاحبَها حتى ملئوا له مَسْكَها - وهو جلدُها - ذهبًا .

وأما صِغَرُ خَطَرِها وقلةُ قيمتِها ، فإن الحسنَ بنَ يحيى **حدَّثنا** ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ عُيَيْنةَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ سُوقةَ ، عن عكرمةَ ، قال : ما كان ثمنُها إلا ثلاثةَ دنانيرَ[(٤)] .

---

(١) انظر ما تقدم فى ص ٨٧ .

(٢) تقدم مطولًا فى ص ٧٨ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩، وتقدم مطولًا فى ص ٧٧.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٤ (٧٤٤) عن الحسن بن يحيى به . وقال ابن كثير : إسناد جيد .

وأما ما قلْنا مِن خوفِهم الفضيحةَ على أنفسِهم ، فإن وهبَ بنَ مُنَبِّهٍ كان يقولُ : إن القومَ إذ أُمِروا /بذبحِ البقرةِ إنما قالوا لموسى : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . لعِلْمِهم بأنهم ٣٥٦/١ سيَفتضِحون إذا ذُبِحَت ، فحادُوا عن ذبحِها .

حُدِّثتُ بذلك عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الكريمِ ، عن عبدِ الصمدِ بنِ مَعْقِلٍ ، عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ .

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : إن القومَ بعدَ أن أحْيَا اللَّهُ الميتَ فأخبَرهم بقاتِله ، أنْكَرت قَتَلَتُه قَتْلَه ، فقالوا : واللَّهِ ما قتَلْناه . بعدَ أن رَأَوُا الآيةَ والحقَّ .

حدَّثنى بذلك محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ : واذْكُروا يابنى إسرائيلَ إذ قتَلْتُم نفسًا . والنفسُ التى قتَلوها هى النفسُ التى ذكَرْنا قصتَها فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ .

وقولُه: ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾. يعنى : فاختَلَفْتُم وتنازَعْتُم . وإنما هو: فتَدارَأْتُم فيها . على مثالِ «تَفاعَلْتُم»، مِن الدَّرْءِ، والدَّرْءُ العِوَجُ . ومنه قولُ أبى[(٢)] النَّجْمِ العِجْلِيِّ :

خَشْيَةَ طغّـــامٍ إذا هَمَّ جَسَـــرْ
يَأْكُلُ ذا الدَّرْءِ ويُقْصِى مَن حَقَرْ

يعنى ذا العِوَجِ والعُسْرِ ، ومنه قولُ رُؤْبَةَ بنِ العَجّاجِ[(٣)] :

---

(١) سيأتى فى ص ١٢٩ .
(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٣) ديوان رؤبة ص ١٦٦.

أدْرَكْتُها قُدَّامَ كلِّ مِـــدْرَهِ[(١)]

بالدَّفْعِ عنى دَرْءَ كلِّ عُنْجُهِ[(٢)]

ومنه الخبرُ الذى حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقدامِ ، عن إسرائيلَ ، عن إبراهيمَ بنِ المهاجرِ ، عن مجاهدٍ ، عن السائبِ ، قال : جاءنى عثمانُ وزهيرٌ ابنا أميةَ[(٣)] ، فاسْتَأْذَنا لى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنا أعْلَمُ به منكما ، ألم تَكُنْ شَرِيكى فى الجاهليةِ ؟ » قلتُ : نعم ، بأبى أنت وأمى ، فنِعْم الشَّرِيكُ ، كنتَ لا تُمارِى ولا تُدارِى[(٤)] .

يعنى بقولِه : لا تُدارِى . لا تخالِفُ رفيقَك وشريكَك [١/١٠٤و] ولا تُنازِعُه ولا تُشارُّه[(٥)] .

وإنما أصلُ ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ ﴾ : فتدَارَأْتُم . ولكنَّ التاءَ قريبةٌ[(٦)] مِن مَخرجِ الدالِ -

---

(١) درهت عن القوم : دفعت عنهم ، ومدره القوم ، بالكسر : الدافع عنهم . اللسان (د ر هـ) .

(٢) العنجه والعنجهى ، بالضم : المتكبر ذو العظمة . التاج (ع ج هـ) .

(٣) كذا فى النسخ . والصواب : عثمان بن عفان ، وزهير بن أبى أمية . انظر الآحاد والمثانى ، والمسند ، والإصابة ٢/٥٧٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٦٩٢) عن أبى كريب به ، وسقط منه ذكر مجاهد .

وأخرجه أحمد ٢٤/٢٥٨ ، ٢٥٩ (١٥٥٠٠) عن أسود بن عامر ، عن إسرائيل به .

واختلف فى إسناده ، فقيل : عن مجاهد ، عن السائب . وقيل : عن مجاهد ، عن قائد السائب ، عن السائب . وقيل : عن مجاهد ، عن قيس بن السائب . وقيل غير ذلك .

وقال ابن عبد البر : مضطرب جدًّا ، منهم من يجعل الشركة مع رسول الله ﷺ للسائب بن أبى السائب ، ومنهم من يجعلها لأبى السائب أبيه ، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ، ومن يجعلها لعبد الله بن السائب ، وهذا اضطراب لا يثبت به شىء ، ولا تقوم به حجة . وينظر العلل لابن أبى حاتم (٣٥٠) ، والاستيعاب ٢/٥٧٢- ٥٧٤ ، وأسد الغابة ٢/٣١٥ ، ٣١٦ ، ٤/٤٢٣ ، والتحفة ٣/٢٥٦ ، ونصب الراية ٣/ ٤٧٤ ، والإصابة ٣/٢٢ ، ٢٣ ، ٥/٤٧١ - ٤٧٣ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٤٩ .

(٥) لا يشارِى ، من المشاراة ، وهى الملاجّة ، وقيل : لا يشارى ، من الشر . اللسان (ش ر ى) .

(٦) بعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المخرج » .

وذلك أن مَخرجَ التاءِ مِن طرفِ اللسانِ وأصولِ الثَّنِيَّتَيْن[١] ، ومَخرجَ الدالِ مِن طرفِ اللسانِ وأطرافِ الثَّنِيَّتَيْن - فأُدْغِمَتِ التاءُ فى الدالِ ، فجُعِلَت دالًا مُشدَّدةً ، كما قال الشاعرُ[٢] :

تُولِى الضَّجيعَ إذا ما استافَها[٣] خَصِرًا[٤] عَذْبَ المَذاقِ إذا ما اتَّابَعَ القُبَلُ

يُرِيدُ : إذا ما تَتابَعَ القُبَلُ . فأدْغَم إحدى التاءَيْن فى الأخرى .

فلما أُدْغِمَتِ التاءُ فى الدالِ ، فجُعِلَت دالًا مثلَها سكَنَت ، فجلَبوا[٥] ألفًا ليَصِلوا إلى الكلامِ بها ، وذلك إذا كان قبلَه شىءٌ ؛ لأن الإدْغامَ لا يَكونُ إلا وقبلَه شىءٌ ، ومنه قولُ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ٣٨] . إنما هو : تَدارَكوا . ولكنَّ التاءَ منها أُدْغِمَت فى الدالِ ، فصارَت دالًا مُشَدَّدةً ، وجُعِلَت فيها ألفٌ - إذا وُصِلَت بكلامٍ - قبلَها ليَسْلَمَ الإدغامُ . وإذا / لم يَكُنْ قبلَ ذلك ما يُواصِلُه ، وابْتُدِئَ به ، قيل : تَدارَكوا وتَثاقَلوا . فأظهَروا الإدغامَ . وقد قيل : يقالُ : ادَّارَكوا وادَّارَأوا . ١/٣٥٧

وقد قيل: إن معنى قولِه: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ : فتدافَعْتُم فيها. مِن قولِ القائلِ : درَأْتُ هذا الأمرَ عنى . ومِن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النور : ٨] . بمعنى : يَدفَعُ عنها العذابَ .

وهذا قولٌ قريبُ المعنى مِن القولِ الأولِ ؛ لأن القومَ إنما تَدافَعوا قَتْلَ قَتيلٍ ،

(١) فى م : « الشفتين » .

(٢) البيت فى معانى القرآن للفراء ١/ ٤٣٨.

(٣) فى م ، ت٢ : « اشتاقها » ، وفى ت١ ، ت٣: « استاقها » ، والمثبت من معانى القرآن ، واستافها : شمها . التاج (س و ف) .

(٤) الخصر : البارد من كل شىء ، ويريد هنا ريقها . التاج (خ ص ر) .

(٥) فى ت١ : « يجعلها » ، وفى ت ٢، ت ٣: « فجعلنا » .

فانْتَفَى كلُّ فريقٍ منهم أن يكونَ قاتِلَه، كما قد بيَّنَّا قبلُ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا[(١)] .

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال : اختَلَفتُم فيها .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال بعضُهم : أنتم قتَلتُموه . وقال الآخرون : أنتم قتلتُموه[(٣)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ . قال : اختَلفتُم ، وهو التنازُعُ ؛ تَنازَعوا فيه . قال : قال هؤلاء : أنتم قتلتموه . وقال هؤلاء : لا[(٣)] .

وكان تدارُؤُهم فى النفسِ التى قتَلُوها كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : صاحبُ البقرةِ رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ ، قتَله رجلٌ ، فألْقاه على بابِ ناسٍ آخَرين ، فجاء أوْلياءُ المقتولِ فادَّعَوْا دمَه عندَهم ، [(٤)]فانتفَوْا - أو انتَفَلوا[(٤)] - منه[(٥)] . شكَّ أبو عاصمٍ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٧٥.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٤ (٧٤٦) من طريق أبى حذيفة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٨ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٠ .

(٤ - ٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فانتقلوا أو انتقلوا » .

(٥) انتفلت من الشىء وانتفيت منه : تبرأت منه . اللسان (ن ف ل ، ن ف ى) .

مجاهدٍ بمثلِه سواءً ، إلا أنه قال : فادَّعَوْا دمَه عندَهم فانتفَوْا . ولم يَشُكَّ فيه[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : قَتيلٌ كان فى بنى إسرائيلَ ، فقذَف كلُّ سِبْطٍ منهم ، حتى تَفاقَم بينَهم الشرُّ ، حتى تَرافَعوا فى ذلك إلى نبىِّ اللَّهِ ﷺ ، فأوحَى اللَّهُ إلى موسى أن اذْبَحْ بقرةً ، فاضْرِبْه ببعضِها ، فذُكر لنا أن وليَّه الذى كان يَطلُبُ بدمِه هو الذى قتَله مِن أجلِ ميراثٍ كان بينَهم[(٢)] .

حدَّثنى ابنُ سعدٍ ، [(٣)]قال : حدثنى أبى[(٣)] ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ[(٤)] فى شأنِ البقرةِ : وذلك أن شيخًا مِن بنى إسرائيلَ على عهدِ موسى كان مُكْثِرًا مِن المالِ ، وكان بنو أخيه فُقراءَ لا مالَ لهم ، وكان الشيخُ لا ولدَ له ، وكان[(٥)] بنو أخيه ورَثَته ، فقالوا : ليت عمَّنا قد مات فورِثْنا مالَه . وإنه لما تَطاوَل عليهم ألا يموتَ عمُّهم أتاهم الشيطانُ ، فقال : هل لكم إلى أن تَقتُلوا عمَّكم فترِثوا مالَه ، وتُغرِموا أهلَ المدينةِ التى لستُم بها دِيَته ؟ - وذلك أنهما كانتا مدينتَيْن كانوا فى إحداهما ، فكان القتيلُ إذا قُتِل وطُرِح[(٦)] بينَ المدينتَيْن ، قِيس ما بينَ القَتيلِ وما بينَ المدينتَيْن ، فأيُّهما كانت أقربَ إليه غَرِمَتِ الديةَ - وأنهم لما سوَّل/ لهم الشيطانُ ذلك ، ٣٥٨/١
وتطاوَلَ عليهم ألا يموتَ عمُّهم ، عَمَدوا إليه فقتَلوه ، ثم عمَدوا فطرَحوه على بابِ المدينةِ التى ليسوا فيها ، فلمّا أصبَح أهلُ المدينةِ جاء بنو أخى الشيخِ ، فقالوا : عمُّنا قُتِل على بابِ مدينتِكم[(٧)] ، فواللَّهِ لَتَغْرَمُنَّ لنا دِيَةَ عمِّنا . فقال أهلُ المدينةِ : نُقسِمُ باللَّهِ ما

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٤ (٧٤٥) . وينظر ما تقدم فى ص ٨١ .
(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٨٠، ٨١ .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) بعده فى ت١ ، ت٢ : « قوله » .
(٥) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٦) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يطرح » .
(٧) فى ت ٢: « هذه المدينة » .

قتَلْنا ، ولا علِمْنا قاتلًا ، ولا فتَحْنا بابَ مدينتِنا منذُ أغلِقَ حتى أصبَحْنا . وإنهم عمَدوا إلى موسى ، فلمّا أَتَوْا قال بنو أخى الشيخ : عمُّنا وجَدناه مقتولًا على بابِ مدينتِهم . وقال أهلُ المدينةِ : نُقسِمُ باللَّهِ ما قتَلْناه ، (١) ولا علِمنا قاتلًا (١) ، ولا فتَحْنا بابَ المدينةِ مِن حينَ أغلَقْناه حتى أصبَحْنا . وأن جبريلَ جاء بأمرِ ربِّنا السميعِ العليمِ إلى موسى ، فقال : قل لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ فتَضْرِبوه ببعضِها (٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا حسينٌ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، وحجاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ - دخَل حديثُ بعضِهم فى حديثِ بعضٍ - قالوا : إن سِبْطًا مِن بنى إسرائيل لمَّا رَأَوْا كثرةَ شُرورِ الناسِ بَنَوْا مدينةً فاعتزَلوا شُرُورَ الناسِ ، فكانوا إذا أمسَوْا لم يترُكوا أحدًا منهم [١/١٠٤ظ] خارجًا إلّا أدخَلوه ، وإذا أصبَحوا قام رئيسُهم فنظَر وتشرَّف (٣) ، فإذا لم يَرَ شيئًا فتَح المدينةَ فكانوا مع الناسِ حتى يُمْسوا ، وكان رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ له مالٌ كثيرٌ ، ولم يكن له وارثٌ غيرُ ابنِ (٤) أخيه ، فطال عليه حياتُه ، فقتَله ليَرِثَه ، ثم حمَله فوضَعه على بابِ المدينةِ ، ثم كَمَن فى مكانٍ هو وأصحابُه ، قال : فتشرَّف رئيسُ المدينةِ على بابِ المدينةِ فنظَر فلم يَرَ شيئًا ، ففتَح البابَ ، فلمَّا رأى القتيلَ رَدَّ البابَ فناداه (٥) ابنُ أخى (٥) المقتولِ وأصحابُه : هيهاتَ ! قتلتُموه ثم ترُدُّون البابَ . وكان موسى لمَّا رأى القَتْلَ كثيرًا فى أصحابِه بنى إسرائيلَ ، كان إذا رأى القتيلَ بين ظَهْرَيِ القومِ أخذَهم .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٥٥ ، ١٥٦ عن المصنف . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت (٥٤) من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحوه .

(٣) تشرف الشىء واستشرفه : وضع يده على حاجبه كالذى يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه . اللسان (ش ر ف) .

(٤) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥ - ٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أخو » .

فكاد يكونُ بينَ أخى المقتولِ وبين أهلِ المدينةِ قتالٌ ، حتى لبِس الفريقان السلاحَ ، ثم كفَّ بعضُهم عن بعضٍ ، فأتَوْا موسى فذكَروا له شأنَهم ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هؤلاء قتَلوا قتيلًا ثم ردُّوا البابَ . وقال أهلُ المدينةِ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد عرَفْتَ اعتزالَنا الشرورَ ، وبنَيْنا مدينةً - كما رأيتَ - نعتزِلُ شرورَ الناسِ ، ما قتَلْنا ولا عَلِمْنا قاتلًا ، فأوحَى اللَّهُ تعالى ذِكْرُه إليه أن يذبَحوا بقرةً ، فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾[(1)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : كان فى بنى إسرائيل رجلٌ عقيمٌ وله مالٌ كثيرٌ ، فقتَله ابنُ أخٍ له ، فجرَّه فألقاه على بابِ ناسٍ آخَرين[(2)] ، ثم أصبَحوا فادَّعاه عليهم حتى تسلَّح هؤلاء وهؤلاء ، فأرادوا أن يَقتَتِلوا ، فقال ذَوُو النُّهَى منهم : أتقتَتلون وفيكم نبىُّ اللَّهِ ؟ فأمسَكوا حتى أَتَوْا موسى ، فقصُّوا عليه القصةَ ، فأمرَهم أن يَذبَحوا بقرةً فيَضْرِبوه ببعضِها ، فقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[(3)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قتيلٌ مِن بنى إسرائيلَ طُرِح فى سِبْطٍ مِن الأسباطِ فأتَى أهلُ ذلك السِّبْطِ إلى ذلك السبطِ ، فقالوا : أنتم واللَّهِ قتلتُم صاحبَنا . فقالوا : لا واللَّهِ . فأتَوْا إلى موسى فقالوا : هذا قَتيلُنا بين أظهُرِهم ، وهم واللَّهِ قتَلوه . فقالوا : لا واللَّهِ يانبىَّ اللَّهِ ، طُرِح علينا . فقال لهم موسى ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾[(1)] .

/**قال أبو جعفرٍ** : فكان اختلافُهم وتنازعُهم وخصامُهم بينَهم فى أمرِ القتيلِ ١/٣٥٩

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٨١، ٨٢ .

(٢) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « أو فى آخرين » .

(٣) تقدم بطوله فى ص ٧٧، ٧٨ .

الذى ذكرْنا أمْرَه على ما رَوَيْنا عن علمائِنا مِن أهلِ التأويلِ ، هو الدَّرْءُ الذى قال اللَّهُ جل ثناؤه لذُرِّيَّتِهم وبقايا أولادِهم : ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٧٢﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ : واللَّهُ مُعْلِنٌ ما كنتم تُسِرُّونه مِن قَتْلِ القتيلِ الذى قتَلتم ثم ادَّارَأْتم فيه .

ومعنى « الإخراجِ » فى هذا الموضعِ : الإظهارُ والإعلانُ لمن خفِى ذلك عنه ، وإطْلاعُهم عليه ، كما قال اللَّهُ تعالى ذكره : ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل : ٢٥] . يعنى بذلك : يُظْهِرُه ويُطْلِعُه مِن مَخْبَئِه بعدَ خَفائِه .

والذى كانوا يَكْتُمونه فأخرَجه ، هو قَتْلُ القاتلِ القتيلَ ، كما كتَم ذلك القاتلُ ومَن علِمه ممَّن شايَعه على ذلك حتى أظهرَه اللَّهُ وأخرَجه ، فأعَلن أمْرَه لمَن لا يَعلمُ أمْرَه .

وعنَى جلَّ ذكرُه بقوله : ﴿تَكۡتُمُونَ﴾ : تُسِرُّون وتُغَيِّبون .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ . قال : تُغَيِّبون[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ : ما كنتم تُغَيِّبون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾ .

يعنى جلَّ ذكرُه بقولِهِ : ﴿فَقُلۡنَا﴾ : لقومِ موسى الذين ادَّارَءوا فى القتيلِ –

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٤ (٧٤٨) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٨ إلى عبد بن حميد .

الذى قد تقدَّم وَصْفُنا أمْرَه -: اضرِبوا القتيلَ . والهاءُ التى فى قوله : ﴿ اَضْرِبُوهُ﴾ مِن ذِكْرِ القتيلِ ، ﴿ بِبَعْضِهَاۚ﴾ أى : ببعضِ البقرةِ التى أمرَهم اللَّهُ بذبْحِها فذبَحوها .

ثم اختَلف العلماءُ فى البعضِ الذى ضُرِب به القتيلُ مِن البقرةِ ، وأىُّ عُضْوٍ كان ذلك منها ؛ **فقال بعضُهم** : ضُرِب بفَخِذِ البقرةِ القتيلُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُرِب بفخِذِ البقرةِ فقام حيًّا ، فقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد فى مِيتَتِه[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُرِب بفَخِذِ البقرةِ . ثم ذكَر مثلَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبِىٍّ ، عن عكرمةَ : ﴿ فَقُلْنَا اَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ . قال : [(٢)] بفخِذِها ، فلمَّا ضُرِب بها[(٢)] عاش وقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد إلى حالِه[(٣)] .

١/٣٦٠ /**حدَّثنى** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال: ثنا شِبْلٌ، عن خالدِ بنِ يزيدَ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُرِب بفخِذِها الرجلُ فقام حيًّا ، فقال : قتَلنى فلانٌ . ثم عاد فى مِيتَتِه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٩/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢ - ٢) فى ت ٢: « ضرب بفخذها » .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٧٩/١- وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥/١ (٧٥٢) من طريق النضر ابن عربى به بنحوه .

قال أيوبُ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ : ضرَبوا المقتولَ ببعضِ لحمِها . وقال معمرٌ : قال قتادةُ : ضرَبوه بلحمِ الفخِذِ فعاش ، فقال : قتَلنى فلانٌ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكر لنا أنهم ضرَبوه بفخِذِها فأحياه اللَّهُ ، فأنبأ بقاتلِه الذى قتَله وتكلَّم ، ثم مات[(٢)] .

وقال آخَرون : الذى ضُرب به منها هو البَضْعةُ[(٣)] التى بين الكَتِفَيْنِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ : فضرَبوه بالبَضْعةِ التى بين الكتفينِ فعاش ، فسألوه : مَن قتَلك ؟ فقال لهم : ابنُ أخى[(٤)] .

وقال آخَرون : الذى أُمِرُوا أن يَضرِبوه به منها عظمٌ مِن عظامِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : أمرَهم موسى أن يأخذوا عظمًا منها فيَضْرِبوا به القتيلَ ، ففعَلوا ، فرجَع إليه رُوحُه ، فسمَّى لهم قاتلَه ثم عاد ميتًا كما كان ، فأُخذ قاتلُه - وهو الذى أتَى موسى فشكا إليه - فقتَله اللَّهُ على أسْوأ عَمَلِه[(٥)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٤٥ عقب الأثر (٧٥٢) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٩ إلى عبد بن حميد .

(٣) البضعة : القطعة من اللحم . اللسان (ب ض ع) . والمراد به غضروف الكتف كما سيأتى فى كلام المصنف .

(٤) تقدم مطولًا فى ص ٨٠ .

(٥) تقدم مطولًا فى ص ٧٨ .

وقال آخرون بما حدَّثنى به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ضرَبوا الميتَ ببعضِ آرابِها[١] ، فإذا هو قاعدٌ ، قالوا : مَن قتَلك ؟ قال : ابنُ[٢] أخى . قال : وكان قتَله وطرَحه[٣] على ذلك السِّبْطِ ، أراد أن يأخُذَ دِيَتَه[٤] .

والصوابُ مِن القولِ فى تأويلِ قولِه عندنا : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ . أن يقالَ : أمرَهم اللَّهُ جل ثناؤه أن يَضرِبوا القتيلَ ببعضِ البقرةِ لِيَحْيا المضروبُ . ولا دَلالةَ فى الآيةِ ، ولا خبرَ تقومُ به حُجَّةٌ ، على أىِّ أبعاضِها التى أُمر القومُ أن يَضرِبوا القتيلَ به . وجائزٌ أن يكونَ الذى أُمروا أن يَضرِبوه به هو الفَخِذَ ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك الذَّنَبَ وغُضْرَوفَ الكَتِفِ وغيرَ ذلك مِن أبعاضِها . ولا يَضُرُّ الجهلُ بأىِّ ذلك ضرَبوا القتيلَ ، ولا ينفَعُ العلمُ به ، مع الإقرارِ بأن القومَ قد ضرَبوا القتيلَ ببعضِ البقرةِ بعدَ ذَبْحِها ، فأحياه اللَّهُ .

فإن قال قائلٌ : وما كان معنى الأمرِ بضرْبِ القتيلِ ببعضِها ؟

قيل : لِيَحْيا فَيُنْبِئَ نبىَّ اللَّهِ موسى ﷺ والذين ادَّارءوا فيه مَن قاتِلُه .

فإن قال قائلٌ : وأين الخبرُ عن أن[١] اللَّهَ جل ثناؤه أمرَهم بذلك لذلك ؟ قيل : تُرِك ذلك اكتفاءً بدلالةِ ما ذُكر مِن الكلامِ الدالِّ عليه ، نحوَ الذى ذكَرْنا مِن نظائرِ ذلك فيما مضَى .

---

(١) الإرب : العضو ، والجمع آراب . اللسان (أ ر ب) .

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « طرح » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٨١، ٨٢ .

ومعنى الكلامِ : فقُلْنا : اضْرِبوه ببعضِها ليَحْيا . فضرَبوه فحَيِي - كما قال جل
١/٣٦١ ثناؤه : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾ [الشعراء: ٦٣] . والمعنى : /فضُرِب فانفلَق - يدُلُّ على ذلك قولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ .

وقولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . مُخاطبةٌ مِن اللَّهِ عبادَه المؤمنين ، واحتجاجٌ منه على المشركين المكذِّبين بالبعثِ ، (١) وأمرُهم بالاعتبارِ (١) بما كان منه جل ثناؤه مِن إحياءِ قتيلِ بنى إسرائيلَ بعد مماتِه فى الدنيا ، فقال لهم تعالى ذكرُه : أيُّها المكذِّبون بالبعثِ بعد المماتِ ، اعتبِروا بإحيائى هذا القتيلَ بعد مماتِه ، فإنى كما أحييتُه فى الدنيا فكذلك أُحْيِي الموتى بعد مماتِهم ، فأبعثُهم يومَ البعثِ .

فإنما احتجَّ جل ذكرُه بذلك على مُشْرِكى العربِ وهم قومٌ أُمِّيُّون لا كتابَ لهم ؛ لأن الذين كانوا يعلَمون علْمَ ذلك مِن بنى إسرائيلَ كانوا بين أظهُرِهم وفيهم نزلتْ هذه الآياتُ ، فأخبَرهم جل ذكرُه بذلك ليتعرَّفوا عِلْمَ مَن قِبَلَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ذِكْرُه : ويُرِيكم اللَّهُ أيُّها الكافرون المُكذِّبون بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ مِن آياتِه - وآياتُه : أعلامُه وحُجَجُه الدالَّةُ على نُبوتِه - لِتَعْقِلوا وتَفْهَموا أنه مُحِقٌّ صادقٌ فتؤمنوا به وتَتَّبِعوه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ .

(١ - ١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « وأمر منهم بالاختبار » .

يعنى بذلك كُفَّارَ بنى إسرائيلَ ، وهم - فيما ذُكِر - بنو أخى المقتولِ ، فقال لهم : ثم قسَتْ قلوبُكم . أى : جَفَتْ وغلُظتْ وعَسَتْ ، كما قال الراجزُ[1] :

وَقَدْ قَسَوْتُ وَقَسا لُدَّتى[2]

يُقالُ : قسا وعسا وعتا ، بمعنًى واحدٍ ، وذلك إذا جفا وغلُظ وصلُب . يُقالُ منه : قسا قلبُه يَقسُو قَسْوًا وقَسوةً وقَساوةً وقَساءً .

ويعنى بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ : مِن بعدِ أن أحيا المقتولَ لهم الذى ادَّارءوا فى قتْلِه ، فأخبرَهم بقاتلِه ، وما السببُ الذى مِن أجْلِه قتَله . كما قد وصَفْنا قبلُ على ما جاءت به[3] الآثارُ والأخبارُ ، وفصَل اللَّهُ تعالى ذكرُه بخبرِه بين المُحِقِّ منهم والمُبْطِلِ . وكانت قساوةُ قلوبِـهم التى وصَفهم اللَّهُ بها أنهم - فيما بلَغَنا - أنكَروا أن يَكُونوا هم قتَلوا القتيلَ الذى أحياه اللَّهُ ، فأخبَر بنى إسرائيلَ بأنهم كانوا قَتَلَتَه بعدَ إخبارِه إيّاهم بذلك ، وبعدَ مِيتَتِه الثانيةِ .

كما **حدثنى** محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، /عن ابنِ عباسٍ ، قال : لمَّا ضُرِب المقتولُ ببعضِها - يعنى ٣٦٢/١
ببعضِ البقرةِ - جلَس حيًّا[4] ، فقِيل له : مَن قتَلك ؟ فقال : بنو أخى قتَلونى . ثم قُبِض ، فقال بنو أخيه حينَ قُبِض : واللَّهِ ما قتَلْناه . فكذَّبوا بالحقِّ بعدَ إذ رأَوْه ، فقال اللَّهُ : ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ : يعنى بنى أخى [١٠٤/١ظ] الشيخِ ، ﴿ فَهِىَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً ﴾[5] .

---

(١) مجاز القرآن ١/ ١٥٨.

(٢) فى النسخ : « لدنى » . والمثبت من مجاز القرآن ، واللدة : التِّرب ، وهو الذى يولد معك فى وقت واحد . التاج (و ل د) .

(٣) سقط من : م ، ت ٢.

(٤) بعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « ما كان قط » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٢/١ عن عطية العوفى به .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ . يقولُ : مِن بعدِ ما أراهم اللَّهُ مِن إحياءِ الموتى ، وبعدَ ما أراهم مِن أمْرِ القَتيلِ ما أراهم ، ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[(١)] .

[(٢)] حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قولِه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ : من بعدِ هذه الآيةِ ، ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[(٢)] .

[(٣)] حدَّثني المثنَّى ، قال : حدثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[(٣)] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ فَهِيَ ﴾ . قلوبَكم ، يقولُ : ثم صلُبتْ قلوبُكم - بعدَ إذ رأيتُم الحقَّ فتبيَّنْتُموه وعَرَفْتُموه - عن الخُضوعِ له والإذعانِ لواجبِ حقِّ اللَّهِ عليكم ، فقلوبُكم كالحجارةِ صلابةً ويُبْسًا ، وغِلَظًا وشِدَّةً ، أو أشدُّ صلابةً - يعني قلوبَكم - عن الإذعانِ لواجبِ حقِّ اللَّهِ عليهم ، والإقرارِ له باللازمِ مِن حقوقِه لهم من الحجارةِ .

فإن سأل سائلٌ فقال : وما وجهُ قولِه : ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ و « أوْ » عند أهلِ العربيةِ إنما تأتي في الكلامِ لمعنى الشكِّ ، واللَّهُ تعالى جل ذكرُه غيرُ جائزٍ في خبرِه الشكُّ ؟

قيل : إن ذلك على غيرِ الوجهِ الذي توهَّمْتَه مِن أنه شكٌّ مِن اللَّهِ جل ذكرُه فيما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٦/١ (٧٥٧) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت٢ . والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥٠/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٦ (٧٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

أَخبَر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبِهم القاسيةِ أنها - عند عبادِه الذين هم أصحابُها الذين كذَّبوا بالحقِّ بعد ما رأَوُا العظيمَ مِن آياتِ اللَّهِ - كالحجارةِ قسوةً أو أشدُّ مِن الحجارةِ عندهم وعند مَن عرَف شأنَهم ، وقد قال فى ذلك جماعةٌ من أهلِ العربيةِ أقوالًا ؛ **فقال بعضُهم** : إنما أراد اللَّهُ جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . وما أشبهَ ذلك من الأخبارِ التى تأتى بـ « أو » كقولِه : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٧] . وكقولِ اللَّهِ جلَّ ذكرُه : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] . فهو عالمٌ أىَّ ذلك كان . قالوا : ونظيرُ ذلك قولُ القائلِ : أكلتُ بُسْرَةً أَوْ رُطَبَةً . وهو عالمٌ أىَّ ذلك أكَل ، ولكنَّه أبْهَم على المخاطَبِ ، كما قال أبو الأسودِ الدِّيليُّ[(١)] :

أُحِبُّ مُحَمّدًا حُبًّا شَدِيدًا وعَبَّاسًا وحَمْزَةَ وَالوَصِيّا
فإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أُصِبْه وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إنْ كانَ غَيّا

قالوا : ولاشكَّ أن أبا الأسودِ لم يكن شاكًّا فى أن حُبَّ مَن سمَّى رَشَدٌ ، ولكنه أَبْهَم على مَن خاطَبه به . وقد ذُكِرَ عن أبى الأسودِ أنه لما قال هذه الأبياتَ قيل له : شكَكتَ ؟ فقال : كلَّا واللَّهِ . ثم انتزَع[(٢)] بقولِ اللَّهِ عزّ وجل : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ . فقال : أوَ كان شاكًّا مَن أخبَر بهذا فى الهادى من الضلالِ ؟!

وقال بعضُهم : ذلك كقولِ القائلِ : ما أطعمتُك إلَّا حُلْوًا أَوْ حامضًا . وقد أطعَمه النوعين جميعًا . /فقالوا : فقائلُ ذلك لم يكنْ شاكًّا أنه قد أطعَم صاحبَه الحُلْوَ ٣٦٣/١
والحامضَ كليهما ، ولكنه أراد الخبرَ عمَّا أطعَمه إيَّاه أنه لم يَخرُجْ عن هذين النوعين .

---

(١) ديوانه (نفائس المخطوطات) ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انتزع : تمثل . التاج . (ن ز ع) .

قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . إنما معناه : فقلوبُهم لا تَخرُجُ من أحدِ هذين المَثَليْنِ ؛ إمّا أن تكونَ مَثلًا للحجارةِ فى القسوةِ ، وإما أن تكونَ أشدَّ منها قسوةً . ومعنى ذلك على هذا التأويلِ : فبعضُها كالحجارةِ قسوةً ، وبعضُها أشدُّ قسوةً من الحجارةِ .

وقال بعضُهم : « أو » فى قوله : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . بمعنى : وأشدُّ قسوةً . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] . بمعنى : وكفورًا . وكما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(١)] :

نال الخلافةَ أوْ كانَتْ له قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ موسى على قَدَرِ

يعنى : نال الخلافةَ وكانت له قَدَرًا . وكما قال النابغةُ[(٢)] :

قالَتْ [(٣)]ألا لَيْتَما[(٣)] هَذَا الحَمامُ لَنا إلى حَمامَتِنا أوْ[(٤)] نِصْفُهُ فَقَدِ[(٥)]

يريدُ : ونصفُه .

وقال آخَرون : « أو » فى هذا الموضعِ بمعنى « بل » . فكان تأويلُه عندَهم : فهى كالحجارةِ بل أشدُّ قسوةً . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ . بمعنى : بل يزيدون[(٦)] .

---

(١) تقدم البيت فى ١/ ٣٥٥.

(٢) ديوانه ص ١٦.

(٣ - ٣) فى الديوان : « فياليتما » .

(٤) فى الديوان : « و » .

(٥) فقد : حسب . اللسان (ق د د) .

(٦) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٧٢ .

وقال آخرون : معنى ذلك : فهى كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً عندَكم .

قال أبو جعفرٍ : ولكلٍّ ممَّا قيل مِن هذه الأقوالِ التى حكَيْنا وجهٌ ومَخرَجٌ فى كلامِ العربِ ، غيرَ أن أعجبَ الأقوالِ إلىَّ[(١)] فى ذلك ما قلْناه أوَّلا ، ثم القولُ الذى ذكرْناه عمَّن وجَّه ذلك إلى أنه بمعنى : فهى أوْجُهٌ فى القسوةِ من أن تكونَ كالحجارةِ أو أشدَّ . على تأويلِ أن منها كالحجارةِ ، ومنها أشدَّ قسوةً ؛ لأن « أو » وإن استُعمِلتْ فى أماكنَ مِن أماكنِ « الواوِ » حتى يَلتبِسَ معناها ومعنى « الواوِ » - لتقارُبِ معنيَيْهما فى بعضِ تلك الأماكنِ - فإن أصلَها أن تأتىَ بمعنى أحدِ الاثنينِ ، فتوجيهُها إلى أصلِها - [(٢)]مَن وجَد[(٢)] إلى ذلك سبيلًا - أعجبُ إلىَّ مِن إخراجِها عن أصلِها ومعناها المعروفِ لها .

قال : وأمّا الرفعُ فى قولِه : ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ . فمِن وجهين ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ عطفًا على معنى الكافِ التى فى قوله : ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ . لأن معناها الرفعُ ؛ وذلك أن معناها معنى « مِثْل » : فهى مثلُ الحجارةِ أو أشدُّ قسوةً من الحجارةِ .

والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ مرفوعًا على معنى تكريرِ « هى » عليه ، فيكونَ تأويلُ ذلك : فهى كالحجارةِ أو هى أشدُّ قسوةً مِن الحجارةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ذكرُه : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ : وإن

---

(١) فى ت١، ت٢، ت٣: « التى » .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : ما وجدنا ، أو : متى وجدنا .

مِن الحجارةِ لحجارةً[(١)] يتفجَّرُ منها الماءُ الذى تكونُ منه الأنهارُ . فاسْتُغْنِى [(٢)] بذِكْرِ الأنهارِ عن ذكْرِ الماءِ[(٢)] ، وإنما ذُكِّر فقيل : ﴿ مِنْهُ ﴾ للفظِ « ما » .

والتفجُّرُ التفعُّلُ مِن : تفجَّر[(٣)] الماءُ ، وذلك إذا تنزَّل خارجًا مِن منبعِه ، وكلُّ سائلٍ شخَص خارجًا من موضِعِه ومكانِه فقد [٣/١٠٦و] انفجَر ، ماءً كان ذلك أو دمًا أو صديدًا أو غيرَ ذلك ، ومنه قولُ عُمرَ بنِ لَجأٍ[(٤)] :

١/٣٦٤ /ولمَّا أنْ قُرِنْتُ[(٥)] إلى جَرِيرٍ أَبَى ذُو بَطْنِهِ [(٦)] إلّا انْفِجارَا[(٦)]

يعنى : إلّا خُروجًا وسَيلانًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : وإن مِن الحجارةِ لَحِجارةً تَشَّقَّقُ . وتَشَقُّقُها تَصَدُّعُها ، وإنما هى : لَمَا يَتَشَقَّقُ ، ولكنَّ التاءَ أُدْغِمَتْ فى الشِّين فصارتْ شِينًا مُشَدَّدةً .

وقولُه : ﴿ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ . [(٧)] يقولُ : فيخرُجُ منه الماءُ[(٧)] فيكونُ عينًا نابعةً [(٨)] وأنهارًا[(٨)] جاريةً .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(١) فى م : « حجارة » .
(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « بذكر الماء عن ذكر الأنهار » .
(٣) فى النسخ : « فجر » . والمثبت هو الصواب .
(٤) البيت فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٣٢، والأغانى ٨/ ٧٢.
(٥) فى النسخ : « قربت » . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٦ - ٦) فى مصدرى التخريج : « إلا انحدارا » .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ٣.
(٨ - ٨) فى ت ١ ، ت ٢، ت ٣: « لا أنهارًا » .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وإن مِن الحجارةِ لَمَا[(١)] يَهْبِطُ - أى : يَتَرَدَّى - مِن رأسِ الجبلِ إلى الأرضِ والسَّفْحِ مِن خوفِ اللَّهِ وخشيتِه . وقد دلَّلْنا على معنى الهبوطِ فيما مضَى بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٢)] .

وأُدْخِلَتْ هذه اللَّاماتُ اللواتى فى « ما » توكيدًا للخَبرِ .

وإنما وصَف اللَّهُ تعالى ذكرُه الحجارةَ بما وصفَها به - مِن أن منها[(٣)] المتفجِّرَ منه[(٤)] الأنهارُ ، وأن منها المتشقِّقَ بالماءِ ، وأن منها الهابطَ مِن خشيةِ اللَّهِ ، بعدَ الذى جعَل منها لقلوبِ الذين أَخبَر عن قسوةِ قلوبِهم مِن بنى إسرائيل مَثَلًا - معذرةً منه جلَّ ثناؤه لها دونَ الذين أخبَر عن قسوةِ قلوبِهم من بنى إسرائيل ؛ إذ كانوا بالصفةِ التى وصفَهم اللَّهُ بها من التكذيبِ برُسُلِه والجُحودِ لآياتِه بعد الذى أراهم من الآياتِ والعِبَرِ ، وعايَنوا مِن عجائبِ الأدلةِ والحُجَجِ ، مع ما أعطاهم تعالى ذكرُه مِن صحةِ العقولِ ، ومَنَّ به عليهم من سلامةِ النفوسِ التى لم يُعْطِها الحَجَرَ والمَدَرَ ، ثم هو مع ذلك منه ما يَتفجَّرُ بالأنهارِ ، ومنه ما يتَشَقَّقُ بالماءِ ، ومنه ما يَهبِطُ مِن خشيةِ اللَّهِ ، فأخبَر تعالى ذِكْرُه أن مِن الحجارةِ ما هو أَلْيَنُ من قلوبِهم لِمَا[(٥)] يُدْعَوْن إليه مِن الحقِّ . كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ[(٦)] .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لحجارة » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٥٧١

(٣) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « منها » .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عما » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/٥٣٦ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨١ إلى المصنف وابن إسحاق وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ١/١٤٧ (٧٦٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٦٢.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . قال : كلُّ حجرٍ يتفجَّرُ منه الماءُ ، أو يَتَشَقَّقُ عن ماءٍ ، أو يَتَرَدَّى مِن رأسِ جبَلٍ ، فهو مِن خشيةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، نزَل بذلك القرآنُ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ . ثم عذَر الحجارةَ ولم يَعْذِرْ شَقىَّ ابنِ آدمَ ، فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ مثلَه .

١/٣٦٥ /حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ثم عذَر اللَّهُ الحجارةَ فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ ﴾[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٧ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٧ (٧٦٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تقدم أوله فى ص ١٣٠ .

(٣) تقدم أوله منه فى ص ١٢٩ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ أنه قال فيها : كلُّ حجرٍ انفجَر منه ماءٌ ، أو تشقَّقَ عن ماءٍ ، أو تردَّى من جبلٍ ، فمن خشيةِ اللَّه ، نزَل به القرآنُ .

ثم اختَلف أهلُ النحوِ فى معنى هُبُوطِ ما هبَط مِن الحجارةِ مِن خَشيةِ اللَّهِ .

فقال بعضُهم : إن هبوطَ ما هبَط منها من خشيةِ اللَّهِ : تَفَيُّؤُ ظلالِه[(١)] .

وقال آخَرون : ذلك الجبلُ الذى صار دكًّا إذ تجلَّى له ربُّه[(٢)] .

وقال بعضُهم : ذلك كان منه ، ويكونُ بأن اللَّهَ جلَّ ذكرُه أعطَى بعضَ الحجارةِ المعرِفةَ والفَهمَ ، فعقَل طاعةَ اللَّهِ فأطاعه ، كالذى رُوِى عن الجِذْعِ الذى كان يَسْتَنِدُ إليه رسولُ اللَّه ﷺ إذا خطَب ، فلمَّا تحوَّل عنه حَنَّ[(٣)] . وكالذى رُوِى عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « إنَّ حَجَرًا كانَ يُسَلِّمُ عَلَىَّ فى الجاهِلِيَّةِ ، إنِّى لَأَعْرِفُهُ الآنَ »[(٤)] .

وقال آخَرون : بل قولُه : ﴿ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . كقولِه : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف : ٧٧] . ولا إرادةَ له . قالوا : وإنما أُرِيدَ بذلك أنه مِن عِظَمِ أمرِ اللَّهِ يُرَى كأنه هابطٌ خاشِعٌ مِن ذُلِّ خشيةِ اللَّهِ ، كما قال زيدُ الخَيْلِ[(٥)] :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ ترَى الأُكْمَ فِيها سُجَّدًا للحَوافِرِ

---

(١) يشير إلى الآية ٤٨ من سورة النحل ٤٨.

(٢) يعنى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) أخرجه أحمد ٢٢/١١٧، ١٨٧ (١٤٢٠٦، ١٤٢٨٢) ، والبخارى (٣٥٨٤) من حديث جابر . وينظر البداية والنهاية ٨/ ٦٧٩.

(٤) أخرجه الطيالسى (٨١٨) ، وأحمد ٥/٨٩ (الميمنية) ، ومسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة . وينظر البداية والنهاية ٨/ ٦٩٤.

(٥) تقدم البيت فى ١/ ٧١٥.

وكما قال سُوَيْدُ بنُ أبى كاهِلٍ يَصِفُ عَدُوًّا له يُرِيدُ أنه ذَلِيلٌ[(١)] :

سـاجِـدَ المَنْـخَـرِ إذْ يَـرْفَـعُـهُ خاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ[(٢)] المُسْتَمَعْ

وكما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(٣)] :

لَمَّا أتى خَبَرُ الرَّسُولِ تَضَعْضَعَتْ سُـورُ المَدِيـنَـةِ والجبـالُ الخُشَّـعُ

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ . أى : يُوجِبُ الخشيةَ لغيرِه بدلالتِه [١/١٠٦ظ] على صانعِه ، كما قيل : ناقةٌ تاجرةٌ : إذا كانت مِن نَجابتِها وفراهتِها تدعو الناسَ إلى الرغبةِ فيها ، كما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(٤)] :

وأَعـوَرَ مِـن نَـبْـهـانَ أمّـا نَـهـارُه فـأعْـمَـى وأمّـا لَـيْـلُـه فـبَـصِـيـرُ

فجعَل الصفةَ لليلِ والنهارِ ، وهو يُرِيدُ بذلك صاحبَه النَّبْهانىَّ الذى يَهْجُوه مِن أجْلِ أنه فيهما كان ما وصَفه به .

وهذه الأقوالُ وإن كانت غيرَ بعيداتِ المعنى مِمَّا تَحْتَمِلُه الآيةُ من التأويلِ ، فإن تأويلَ أهلِ التأويلِ مِن علماءِ سلَفِ الأمةِ بخلافِها ، فلذلك لم نَسْتَجِزْ صرْفَ تأويلِ الآيةِ إلى معنًى منها .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على معنى الخشيةِ ، وأنها الرهبةُ والمخافةُ ، فكرِهْنا إعادةَ ذلك فى هذا الموضعِ[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

---

(١) البيت فى المفضليات ص ٢٠١، والأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩٥.

(٢) فى ت ٢، ت ٣: « أذل » .

(٣) تقدم البيت فى ١/ ٦٢٣، والرواية هناك : « خبر الزبير تواضعت » . وكذا فى الديوان .

(٤) تقدم البيت فى ١/ ٣٣٢.

(٥) تقدم البيت فى ١/ ٥٩٨.

يعنى بقولِه : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ : وما اللَّهُ بغافلٍ - يا معشرَ المكذِّبينَ بآياتِه ، والجاحدينَ / نبوّةَ رسولِه محمدٍ ﷺ ، والمتقوِّلين عليه الأباطيلَ من ١/٣٦٦
بنى إسرائيلَ وأحبارِ اليهودِ - عما تعمَلون من أعمالِكم الخبيثةِ ، وأفعالِكم الرديئةِ ، ولكنه يُحصِيها عليكم ، فيجازِيكم بها فى الآخرةِ أو يعاقِبُكم بها فى الدنيا .

وأصلُ الغَفْلةِ عن الشىءِ تَرْكُه على وجهِ السهوِ عنه والنسيانِ له . فأخبرَهم تعالى ذكرُه أنه غيرُ غافلٍ عن أفعالِهم الخبيثةِ ولا ساهٍ عنها ، بل هو لها مُحْصٍ ، ولها حافظٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ . أصحابَ[1] محمدٍ . [2]يقولُ : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾[2] أى : أفترْجُونَ يا معشرَ المؤمنين بمحمدٍ ﷺ ، والمُصَدِّقين ما جاءَكم به مِن عندِ اللَّهِ ، أن يُؤْمِنَ لكم يهودُ بنى إسرائيلَ .

ويعنى بقولِه : ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : أن يُصَدِّقوكم بما جاءَكم به نبيُّكم ﷺ محمدٌ مِن عندِ ربِّكم .

كما **حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : يعنى أصحابَ محمدٍ ﷺ أن يُؤْمِنوا لكم ، يقولُ : أفتَطْمَعونَ أن يُؤْمِنَ لكم اليهودُ[3] ؟

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ الآية . قال : هم اليهودُ[4] .

(١) فى م : « يا أصحاب » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٦٩) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما « الفريقُ » فَجَمْعٌ ، كالطائفةِ ، لا واحدَ له مِن لفظِه ، وهو « فَعيلٌ » مِن « التَّفَرُّقِ » ، سُمِّىَ به الجِماعُ كما سُمِّيَت الجماعةُ بـ « الحِزْبِ » مِن « التَّحزُّبِ » ، وما أشْبَهَ ذلك ، ومنه قولُ أعْشَى بنى ثَعْلبةَ[1] :

أجَدُّوا[2] فلمَّا خِفْتُ أنْ يَتَفَرَّقُوا فَرِيقَيْن مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ[3]

يعنى بقولِه : ﴿مِّنْهُمْ﴾ : مِن بنى إسرائيلَ . وإنما جعَل اللَّهُ الذين كانوا على عهدِ موسى ومَن بعدَهم مِن بنى إسرائيلَ ، مِن اليهودِ الذين قال اللَّهُ لأصحابِ محمدٍ ﷺ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ . لأنهم كانوا آباءَهم وأسْلافَهم ، فجعَلَهم منهم إذ كانوا عَشائرَهم وفَرَطَهم وأسْلافَهم ، كما يَذْكُرُ الرجلُ اليومَ الرجلَ ، وقد مضَى على مِنهاجِ الذاكرِ وطريقتِه ، وكان مِن قومِه وعَشيرتِه ، فيقولُ : كان منا فلانٌ . يعنى أنه كان مِن أهلِ طريقتِه ومذهبِه ، أو مِن قومِه وعَشيرتِه ، فكذلك قولُه ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

٣٦٧/١ /**القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى :** ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

اخْتلَف أهلُ التأويلِ فى الذين عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

(١) ديوان الأعشى ص ٢٠١.

(٢) فى م : « أخذوا » . وأجد فى السير : أسرع فيه . اللسان (ج د د) .

(٣) التصويب : الانحدار وهو خلاف التصعيد . اللسان (ص و ب) .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : فالذين يُحَرِّفونَه والذين يَكْتُمونَه هم العلماءُ منهم [1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِه .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . قال : هى التوراةُ حرَّفوها [2] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ . قال : التوراةُ التى أنْزَلها عليهم يُحَرِّفونها ، يَجْعَلون الحلالَ فيها حرامًا ، والحرامَ فيها حلالًا ، والحقَّ فيها باطلًا ، والباطلَ فيها حقًّا ، إذا جاءَهم المُحِقُّ برِشْوةٍ أخْرَجوا له كتابَ اللَّهِ ، وإذا جاءَهم المُبْطِلُ برِشْوةٍ أخرجوا له ذلك الكتابَ فهو فيه مُحِقٌّ ، وإن جاء أحدٌ يَسْأَلُهم شيئًا ليس فيه حقٌّ ولا رِشوةٌ ولا شيءٌ أَمَروه بالحقِّ ، فقال لهم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [3] .

وقال آخرون فى ذلك بما **حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ [٣/١٠٧و] الحسنِ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٣) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٥/١ عن ابن وهب به .

كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : فكانوا يَسْمَعون مِن ذلك كما يَسْمَعُ أهلُ النُّبوةِ ، ثم يُحَرِّفونه مِن بعدِ ما عقَلوه وهم يَعْلَمون[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في قولِه : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ الآية . قال : ليس قولُه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ : يَسْمَعون التوراةَ ، كلُّهم قد سمِعها ، ولكنَّهم الذين سألوا موسى رؤيةَ ربِّهم فأخَذَتْهم الصاعقةُ فيها[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : بلَغنى عن بعضِ أهلِ العلمِ أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حِيلَ بيننا وبينَ رؤيةِ اللَّهِ عز وجل ، فأَسْمِعْنا كلامَه حين يُكَلِّمُك . فطلَب ذلك موسى إلى ربِّه ، فقال : نعم ، فَمُرْهم فليتَطَهَّروا ، ولْيُطَهِّروا ثيابَهم ، ويَصُوموا . ففعَلوا ، ثم خرَج بهم حتى أَتَى الطُّورَ ، فلما غَشِيَهم الغَمامُ أمرَهم موسى عليه السلامُ فوقَعوا سجودًا ، وكلَّمه ربُّه ، فسمِعوا
١/٣٦٨ كلامَه يَأْمُرُهم ويَنْهاهم ، /حتى عَقَلوا ما سمِعوا ، ثم انْصَرف بهم إلى بنى إسرائيلَ ، فلما جاءوهم حرَّف فريقٌ منهم ما أمَرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبنى إسرائيلَ : إن اللَّهَ قد أمرَكم بكذا وكذا . قال ذلك الفريقُ الذى ذكَرهم اللَّهُ : إنما قال كذا وكذا . خلافًا لِما قال اللَّهُ عز وجل لهم ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ لرسولِه محمدٍ ﷺ[(٣)] .

وأَوْلى التأويلين اللذين ذكرتُ بالآيةِ وأَشْبَهُهما بما دلَّ عليه ظاهرُ التلاوةِ ، ما قاله الربيعُ بنُ أنسٍ ، والذى حكاه ابنُ إسحاقَ عن بعضِ أهلِ العلمِ ، مِن أن اللَّهَ تعالى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٧٠) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٧٢) من طريق سلمة به ، إلى قوله : ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٤/١ عن ابن إسحاق به ، مطولا .

ذِكْرُه إنما عَنَى بذلك مَن سمِع كلامَه مِن بنى إسرائيلَ سماعَ موسى إياه منه ، ثم حرَّف ذلك وبدَّل مِن بعدِ سماعِه وعلمِه به وفهمِه إياه . وذلك أن اللَّهَ جل ثناؤُه إنما أخْبَر أن التحريفَ كان مِن فريقٍ منهم كانوا يَسْمَعون كلامَ اللَّهِ عز وجل ، اسْتِعْظامًا مِن اللَّهِ لِما كانوا يَأْتون مِن البهتانِ بعد توكيدِ الحجةِ عليهم والبرهانِ ، وإيذانًا منه تعالى ذِكْرُه عبادَه المؤمنين ، وقطَع أطماعَهم مِن إيمانِ بقايا نسلِهم بما أتاهم به محمدٌ مِن الحقِّ والنورِ والهُدَى ، فقال لهم : كيف تَطْمَعون فى تصديقِ هؤلاء اليهودِ إياكم ، وإنما تُخْبِرونهم - بالذى تُخْبِرونهم مِن الأَنْباءِ عن اللَّهِ عز وجل - عن غيبٍ لم يُشاهِدوه ولم يُعايِنوه ، وقد كان بعضُهم يَسْمَعُ مِن اللَّهِ كلامَه وأمْرَه ونهيَه ، ثم يُبَدِّلُه ويُحَرِّفُه ويَجْحَدُه ، فهؤلاء الذين بينَ أَظْهُرِكم مِن بقايا نسلِهم أحْرَى أن يَجْحَدوا ما أَتَيْتُموهم به مِن الحقِّ وهم لا يَسْمَعونه مِن اللَّهِ ، وإنما يَسْمَعونه منكم - وأقربُ إلى أن يُحَرِّفوا ما فى كُتُبِهم مِن صفةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ ونعتِه ، ويُبَدِّلوه وهم به عالمون ، فيَجْحَدوه ويُكَذِّبوا - مِن أوائلِهم الذين باشَروا كلامَ اللَّهِ مِن اللَّهِ جل ثناؤُه ثم حرَّفوه مِن بعدِ ما عقَلوه وعلِموه ، مُتَعمِّدين التحريفَ .

ولو كان تأويلُ الآيةِ على ما قاله الذين زعَموا أنه عَنَى بقولِه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ : يَسْمَعون التوراةَ . لم يَكُنْ لِذِكْرِ قولِه : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ . مَعْنًى مَفْهومٌ ؛ لأن ذلك قد سمِعه المُحرِّفُ منهم وغيرُ المُحرِّفِ ، فخصوصُ المحرِّفِ منهم بأنه كان يَسْمَعُ كلامَ اللَّهِ - إن كان التأويلُ على ما قاله الذين ذكَرنا قولَهم دونَ غيرِهم ممن كان يَسْمَعُ ذلك سماعَهم - لا مَعْنَى له .

فإن ظنَّ ظانٌّ إنما صَلَح أن يُقالَ ذلك لقولِه : ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ . فقد أغْفَل وجهَ الصوابِ فى ذلك ، وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقِيلَ : أفتَطْمَعون أن يُؤْمِنوا لكم

وقد كان فريقٌ منهم يُحَرِّفون كلامَ اللَّهِ مِن بعدِ ما عقَلوه وهم يَعْلَمون . ولكنه جل ثناؤُه أخْبَر عن خاصٍّ من اليهودِ كانوا أُعْطوا ، مِن مُباشَرَتِهم سَماعَ كلامِ اللَّهِ تعالى ، ما لم يُعْطَه أحدٌ غيرُ الأنبياءِ والرُّسُلِ ، ثم بدَّلوا وحرَّفوا ما سمِعوا مِن ذلك ، فلذلك وصَفهم بما وصَفهم به للخصوصِ الذى كان خَصَّ به هؤلاءِ الفريقَ الذى ذكَرهم فى كتابِه تعالى ذِكْرُه .

ويعنى بقولِه : ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ : ثم يُبَدِّلون مَعْناه وتأويلَه ويُغَيرونه . وأصلُه مِن انحرافِ الشيءِ عن جهتِه ، وهو ميلُه عنها إلى غيرِها ، فكذلك قولُه : ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ . أى : يُميلونه عن وجهِه ومَعْناه الذى هو مَعْناه إلى غيرِه . فأخْبَر اللَّهُ جل ثناؤُه أنهم فعَلوا ما فعَلوا مِن ذلك على علمٍ منهم بتأويلِ ما حرَّفوا ، وأنه بخلافِ ما حرَّفوه إليه ، فقال : ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . يعنى : مِن بعدِ ما عقَلوا تأويلَه ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . أى : يَعْلَمون أنهم فى تحريفِهم ما حرَّفوا مِن ذلك مُبْطِلون كاذِبون . وذلك إخْبارٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن إقدامِهم على البُهتِ ، ومُناصَبتِهم العداوةَ له ولرسولِه موسى ﷺ ، وأن بقاياهم - مِن مُناصَبتِهم العداوةَ للَّهِ ولرسولِه محمدٍ ﷺ بغيًا وحسدًا - على مثلِ الذى كان عليه أوائلُهم مِن ذلك فى عصرِ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾

أما قولُه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ . فإنه خبرٌ [١٠٧/٣و] مِن اللَّهِ جل ذِكْرُه عن الذين أيْأَس أصحابَ محمدٍ ﷺ مِن إيمانهم - مِن يهودِ بنى إسرائيلَ الذين كان فريقٌ منهم يَسْمَعون كلامَ اللَّهِ ثم يُحرِّفونه مِن بعدِ ما عَقَلوه وهم يَعْلَمون - وهم الذين إذا لقُوا الذين آمنوا باللَّهِ ورسولِه محمدٍ ﷺ قالوا : آمنّا . يعنى

بذلك أنهم إذا لقُوا الذين صَدَّقوا باللَّهِ وبمحمدٍ ﷺ رسولِه[(١)] ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ قالوا : آمنا . أى : صدَّقنا بمحمدٍ وبما صَدَّقتُم به ، وأقْرَرنا بذلك . أَخْبر اللَّهُ عز وجل عنهم أنهم تَخلقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا مِنهاجَهم .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عَمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ : وذلك أن نفرًا مِن اليهودِ كانوا إذا لَقُوا محمدًا ﷺ قالوا : آمنا . وإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا : أتُحدِّثونهم بما فتَح اللَّهُ عليكم .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ : يعنى المنافقين مِن اليهودِ كانوا إذا لَقُوا أصحابَ محمدٍ ﷺ قالوا : آمنا[(٢)] .

وقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ ذلك قولٌ آخرُ ، وهو ما حدَّثنا به ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ . أى : بصاحبِكم[(٣)] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولكنه إليكم خاصةً[(٤)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ الآية . قال : هؤلاء ناسٌ مِن اليهودِ آمنوا ثم نافقوا[(٥)] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٦٥ عن الضحاك به .

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « صاحبكم » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٦٥ عن ابن إسحاق به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٤٩ (٧٧٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ . أى : إذا خلا بعضُ هؤلاء
١/٣٧٠ اليهودِ الذين وصَف اللَّهُ / صفتَهم - إلى بعضٍ منهم ، فصاروا فى خَلاءٍ مِن الناسِ غيرِهم ، وذلك هو الموضعُ الذى ليس فيه غيرُهم ،﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعنى قال بعضُهم لبعضٍ : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

ثم اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم بما حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . يعنى : بما أمَركم اللَّهُ به . فيقولُ الآخَرون : إنما نَسْتَهْزِئُ بهم ونَضْحَكُ .

وقال آخَرون بما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ . أى : بصاحِبِكم[1] رسولِ اللَّهِ ، ولكنَّه إليكم خاصَّةً . وإذا خلا بعضُهم إلى بعضٍ قالوا : لا تُحَدِّثوا العربَ بهذا ، فإنكم قد كنتُم تَسْتَفْتِحون به عليهم فكان منهم . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ ﴾ . أى : تُقِرُّون بأنه نبىٌّ ، وقد علِمْتُم أنه قد أُخِذ له الميثاقُ عليكم باتِّباعِه ، وهو يُخْبِرُهم أنه النبىُّ[2] الذى كُنَّا نَنْتَظِرُ ونَجِدُه فى كتابِنا ، اجْحَدُوه ولا تُقِرُّوا لهم به . يقولُ اللَّهُ :

---

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صاحبكم » .

(٢) بعده فى النسخ : « ﷺ » . ولا موضع لها هنا .

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[(١)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . أي : بما أنْزَل اللَّهُ عليكم في كتابِكم ، مِن نَعْتِ[(٢)] محمدٍ ﷺ[(٣)] .

حدَّثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . أي : بما مَنَّ اللَّهُ عليكم في كتابِكم من نَعْتِ[(٤)] محمدٍ ﷺ ، فإنكم إذا فَعَلْتُم ذلك احْتَجُّوا به عليكم ، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ لِيَحْتَجُّوا به عليكم[(٦)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، قال : قال قتادةُ : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . يعنى : بما أَنْزَلَ اللَّهُ عليكم من أمرِ محمدٍ ﷺ ونَعْتِه[(٧)] .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ

---

(١) تقدم طرف منه في ص ١٤٥ .

(٢) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « بعث » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٠ (٧٨١) من طريق آدم به .

(٤) في ت ٣: « بعث » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨١ إلى عبد بن حميد .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، بزيادة في أوله .

(٧) في ت ٢، ت ٣: « بعثه » .

رَبِّكُمْ﴾ . قال : قولُ يهودَ من قُرَيظةَ حين سَبَّهُم النبيُّ ﷺ بأنهم إخوةُ القِردةِ والخنازيرِ ، قالوا : مَن حَدَّثك ؟ هذا حين أرسل إليهم عليًّا فآذَوْا محمدًا ، فقال : يا إخوةَ القِردةِ والخنازيرِ (١) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن
٣٧١/١ مُجاهدٍ مثلَه ، إلَّا أنه قال : / هذا حينَ أَرْسَلَ إليهم عليَّ بنَ أبي طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وآذَوُا النبيَّ ﷺ ، [١٠٨/١و] فقال : « اخْسَئُوا يا إِخْوَةَ القِرَدَةِ والخَنازِيرِ » .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثني الحسينُ ، قال : حدثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أخبرني القاسمُ بنُ أبي بَزَّةَ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ . قال : قام النبيُّ ﷺ يومَ قُرَيْظَةَ تحتَ حُصونِهم ، فقال : « يا إِخْوانَ القِرَدَةِ ، ويا إِخْوانَ الخَنازِيرِ ، ويا عَبَدَةَ الطَّاغُوتِ » . فقالوا : مَن أخبر هذا محمدًا ؟ ما خرَج هذا إلَّا منكم ، ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ : بما حكَمَ اللَّهُ للفتحِ ليكونَ لهم حُجَّةً عليكم . قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : هذا حينَ أرسلَ إليهم عليًّا فآذَوْا محمدًا ﷺ (٢) .

وقال آخرون بما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عَمْرٌو ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ - من العذابِ - ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ : هؤلاء ناسٌ من اليهودِ آمنوا ثم نافَقُوا ، فكانوا يُحَدِّثون المؤمنينَ مِن العربِ بما عُذِّبوا به ، فقال بعضُهم لبعضٍ : أَتُحَدِّثونهم بما فتح اللَّهُ عليكم مِن

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٠ (٧٨٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٦٦ عن ابن جريج به .

العذابِ ليقولوا نحن أحبُّ إلى اللَّهِ منكم ، وأكرمُ على اللَّهِ منكم[(١)] .

وقال آخرون بما حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ . قال : كانوا إذا سُئِلُوا عن الشيءِ قالوا : أَمَا تَعْلَمُونَ في التوراةِ كذا وكذا ؟ قالوا : بَلَى . قال : وهم يهودُ . فيقولُ لهم رُؤَساؤُهم الذين يرجِعون إليهم : ما لكم تُخْبِرُونهم بالذي أَنزل اللَّهُ عليكم فيُحاجُّوكم به عندَ ربِّكم ، أَفَلا تعقِلون ؟ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَدْخُلَنَّ علينا قصبَةَ المَدِينَةِ إلَّا مُؤْمِنٌ » . فقال رُؤَساؤُهم مِن أهلِ الكفرِ والنفاقِ : اذْهَبُوا فقولوا : آمنَّا . واكْفُرُوا إذا رَجَعْتُم . قال : فكانوا يأتون المدينةَ بالبُكَرِ ويَرجِعون إليهم بعدَ العصرِ . وقرأ قولَ اللَّهِ : ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران : ٧٢] . وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينةَ : نحنُ مسلمون . ليعلموا خَبَرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأَمْرَه ، وإذا رجَعوا رجَعوا إلى الكفرِ . فلمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ بهم ، قطَع ذلك عنهم فلم يكونوا يَدْخُلُون ، وكان المؤمنون الذين مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يَظُنُّون أنهم مؤمنونَ ، فيقولون لهم : أليس قد قال اللَّهُ لكم كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجَعوا إلى قومِهم قالوا : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[(٢)] .

وأصلُ الفتحِ في كلامِ العربِ النصرُ والقضاءُ والحُكْمُ ، يقالُ منه : اللهمَّ افتحْ بيني وبينَ فلانٍ : أي احْكُمْ بيني وبينَه . ومنه قولُ الشاعرِ[(٣)] :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٠ (٧٨٣) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٦٥، ١٦٦.

(٣) نسب هذا البيت - على اختلاف في روايته - إلى الأسعر الجعفي ، ومحمد بن حمران ، والأعشى ، وهو في جمهرة اللغة ٢/ ٤ ، وأمالي القالي ٢/ ٢٨١ .

أَلَا أبْلِغْ بنى عُصْمٍ رَسُولًا ... بأنِّى عن فُتاحتِكُمْ غنِيُّ

١/٣٧٢ /قال : ويُقال للقاضى : الفتَّاح . ومنه قولُ اللَّهِ عز وجل : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف : ٨٩] . أى : احْكُمْ بينَنا وبينَهم .

فإذا كان معنى الفتحِ ما وَصَفْنا ، تَبيَّنَ أن معنى قولِه : ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ . إنما هو : أَتُحدِّثونَهم بما حكَم اللَّهُ به عليكم وقَضاه فيكم . ومِن حُكْمِه جل ثناؤُه عليهم ما أخَذ به ميثاقَهم من الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به فى التوراةِ ، ومن قضائِه فيهم أنْ جعل منهم القردةَ والخنازيرَ . وغيرُ ذلك من أحكامِه وقضائِه فيهم ، وكلُّ ذلك كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين به حُجَّةً على المكذِّبينَ به[(١)] من اليهودِ المُقِرِّينَ بحُكْمِ التوراةِ وغيرِ ذلك .

فإن كان كذلك ، فالذى هو أَوْلَى عندى بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : معنى ذلك : أتُحدِّثونهم بما فتَح اللهُ عليكم مِن بَعْثِ[(٢)] محمدٍ ﷺ إلى خَلْقِه ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤه إنما قَصَّ فى أولِ هذه الآيةِ الخبرَ عن قولِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولأصحابِه : آمنَّا بما جاء به محمدٌ ﷺ . فالذى هو أَوْلَى بآخِرِها أن يكونَ نظيرَ الخبرِ عمَّا ابْتُدِئَ به أوَّلُها .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجبُ أن يكونَ تلاوُمُهم كان فيما بينَهم فيما كانوا أظهَروه لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولأصحابِه من قولِهم لهم : آمنَّا بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به . وكان قِيلُهم ذلك مِن أجْلِ أنهم كانوا[(١)] يجِدون ذلك فى كُتُبِهم ، وكانوا

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ت ١، ت ٣: « نعت » .

يُخْبِرون أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بذلك ، فكان تلاوُمُهم فيما بينهم إذا خَلَوْا على ما كانوا يُخْبِرونَهم بما هو حُجَّةٌ للمسلمينَ عليهم عندَ ربِّهم ، وذلك أنهم كانوا يُخبرونهم عن وجودِ نَعْتِ محمدٍ ﷺ فى كُتبِهم ويَكفرون به ، وكان فتحُ اللَّهِ الذى فَتَحه للمسلمين على اليهودِ ، وحُكمُه عليهم لهم فى كتابِهم ، أن يُؤمنوا بمحمدٍ ﷺ إذا بُعِث ، فلما بُعث كفَروا به مع عِلْمِهم بنُبُوَّتِه .

وقولُه : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . خبرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه عن اليهودِ اللائمينَ إخوانَهم على ما أخبَروا أصحابَ [١/١٠٨ظ] رسولِ اللَّهِ ﷺ بما فتَح اللَّهُ لهم عليهم ، أنهم قالوا لهم : أفلا تَفْقَهون أيُّها القومُ وتَعْقِلُون أن إخبارَكم أصحابَ محمدٍ[(١)] ﷺ بما فى كُتُبِكم أنه نبيٌّ مبعوثٌ ، حجةٌ لهم عليكم عندَ ربِّكم يحتجُّون بها عليكم ؟! أى : فلا تفعلوا ذلك ، ولا تقولوا لهم مثلَ ما قلتُم ، ولا تُخبروهم بمثلِ ما أخبرتُموهم به من ذلك . فقال جل ثناؤُه : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : أَوَلا يَعْلَمُ هؤلاءِ اللائمونَ من اليهودِ إخوانَهم من أهلِ مِلَّتِهم - على كونِهم[(٢)] إذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا : آمنَّا . وعلى إخبارِهم المؤمنينَ بما فى كتبِهم من نَعْتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومَبْعثِه ، القائلون لهم : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ - أنَّ اللَّهَ عالمٌ بما يُسِرُّون فيُخْفُونه عن المؤمنين فى خَلائِهم ؛ من كفرِهم وتلاوُمِهم بينَهم على إظهارِهم ما أظهَروا لرسولِ

(١) فى م : « النبى » .
(٢) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قولهم » .

اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين به من الإقرارِ بمحمدٍ ﷺ ، وعلى قِيلِهم لهم : آمنًا . ونَهْيِ بعضِهم بعضًا أن يُخبروا المؤمنين بما فتَح اللَّهُ للمؤمنين عليهم ، وقَضَى لهم عليهم فى كتبِهم من حقيقةِ نُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ وَنَعتِه ومَبْعَثِه ، وما يُعْلِنون فيُظهِرونه لمحمدٍ ﷺ ولأصحابِه المؤمنين به إذا لَقُوهم من قِيلِهم لهم : آمنًا بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به . نفاقًا وخِداعًا للَّهِ ولرسولِه وللمؤمنين .

كما حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من كفرِهم وتكذيبِهم محمدًا ﷺ إذا خَلا بعضُهم إلى بعضٍ ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ إذا لَقُوا أصحابَ محمدٍ ﷺ قالوا : آمنًا . ليُرْضُوهم بذلك[1] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ : يعنى ما أَسَرُّوا من كفرِهم بمحمدٍ ﷺ وتكذيبِهم به ، وهم يَجِدُونه مكتوبًا عندهم ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ : يعنى ما أَعْلَنوا حينَ قالوا للمؤمنين : آمنًا[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ : ومن هؤلاءِ اليهودِ الذين قَصَّ اللَّهُ قَصَصَهم فى هذه الآياتِ ، وأَيْأَسَ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ من إيمانِهم ، فقال لهم : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ . وهم إذا لَقُوكم قالوا : آمنًا .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥١ عقب الأثر (٧٨٧) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨١، ٨٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥١ (٧٨٦، ٧٨٨) من طريق آدم به .

كما **حدَّثنا** المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ : يعنى من اليهودِ[(١)] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا [(٢)]ابنُ أبى جعفرٍ[٢)] ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ . قال : أُناسٌ من يهودَ[(٣)] .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بـ « الأُمِّيِّين » الذين لا يَكتبون ولا يَقرءون ، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ : « إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نحْسُبُ »[(٤)] .

يقالُ منه : رجُلٌ أُميٌّ . أى : بيِّنُ الأُمِّيَّةِ .

كما **حدَّثنى** المُثَنَّى ، قال : حدثنى سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . قال : منهم مَن لا يُحسِنُ أن يَكْتُبَ[(٥)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ . قال : أُمِّيُّون لا يَقْرَءون الكتابَ من اليهودِ .

ورُوِىَ عن ابنِ عباسٍ قولٌ خلافُ هذا القولِ ، وهو ما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ،عن /بِشْرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ ٣٧٤/١

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٨٩) من طريق آدم به .

(٢ - ٢) فى ت ٣: « أبو جعفر » .

(٣) سيأتى بتمامه فى ص ١٥٧.

(٤) أخرجه أحمد ٤٣/٢ (٥٠١٧) ، والبخارى (١٩١٣) ، ومسلم (١٥/١٠٨٠) ، وأبو داود (٢٣١٩) من حديث ابن عمر .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩١) من طريق سفيان به نحوه .

عباسٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ . قال : الأُمِّيون قومٌ لم يُصدِّقوا رسولًا أرسَله اللَّهُ ، ولا كتابًا أنزَله اللَّهُ ، فكتبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقومٍ سَفِلَةٍ جُهَّالٍ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . وقال : قد أَخبر أنهم يكتُبون بأيديهم ، ثم سمَّاهم أُمِّيِّين لجُحُودِهم كتبَ اللَّهِ ورُسُلَه(١) .

وهذا التأويلُ تأويلٌ على خلافِ ما يُعرَفُ من كلامِ العربِ المُستفيضِ بينَهم ، وذلك أن الأُميَّ عندَ العربِ هو الذى لا يكتُبُ .

قال أبو جعفرٍ : وأَرى أنه قِيلَ للأُميِّ : أُميٌّ . نسبةٌ له ، بأنه لا يَكتُبُ ، إلى أُمِّه ؛ لأن الكتابَ كان فى الرجالِ دُونَ النساءِ ، فنُسِبَ مَن لا يَكتبُ ولا يَخُطُّ من الرجالِ إلى أُمِّه فى جهْلِه بالكتابةِ دونَ أبيه ، كما ذكرنا عن النبيِّ ﷺ من قولِه : « إنّا أمةٌ أُمِّيّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ » . وكما قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] .

فإذا كان معنى الأميِّ فى كلامِ العربِ ما وَصَفْنا ، فالذى هو أَوْلَى بتأويلِ الآيةِ ما قاله النَّخَعِيُّ مِن أن معنى قولِه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ : ومنهم مَن لا يُحسِنُ أن يكتُبَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : لا يعلمون ما فى الكتابِ الذى أَنزَله اللَّهُ ولا يَدرون ما أَوْدَعه اللَّهُ من [١/١٠٩و] حُدودِه وأحكامِه وفرائِضِه ، كهيئةِ البهائمِ .

كالذى **حدَّثنى** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ : إنما هم أمثالُ البهائمِ لا يَعْلَمُون شيئًا(٢) .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى المصنف ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٧، وقال : فى صحة هذا عن ابن عباس - بهذا الإسناد - نظر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠.

حدثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يقولُ[1] : لا يدرون ما فيه[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ : لايَدْرُونَ ما فيه[3] .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال : لا يدرون ما[4] فيه[5] .

حدثنا يونسُ[6] ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . لا يَعْلَمُون شيئًا ؛ لايَقْرَءُون ، التوراةُ ليست تُسْتَظْهَرُ ، إنما تُقْرَأُ هكذا ، فإذا لم يَكْتُبْ أحدُهم لم يَسْتَطِعْ أن يَقْرَأَه[7] .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بِشْرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . يقولُ[8] : لا يَعْرِفون الكتابَ الذى أنزَله اللَّهُ .

قال أبو جعفرٍ : وإنما عَنَى بالكتابِ التوراةَ ، ولذلك أُدْخِلَتْ فيه الألفُ واللامُ ؛

---

(١) بعده فى م : « لا يعلمون الكتاب و » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٠) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٠) من طريق آدم به .

(٤) فى م : « بما » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى ابن إسحاق .

(٦) فى النسخ : « بشر » . وهو إسناد دائر .

(٧) فى م : « يقرأ » .

(٨) سقط من : ت ٢، وفى م : « قال » .

لأنه قُصِد به كتابٌ معروفٌ بعينِه ، ومعناه : ومنهم فريقٌ لا يَكْتُبون ولا يَدْرُون ما فى
٣٧٥/١ الكتابِ الذى عَرَفْتُموه الذى هو عندَهم/ وهم يَنْتَحِلُونه ، ويدَّعون الإقرارَ به من أحكامِ اللَّهِ وفرائضِه وما فيه من حُدُودِه التى بيَّنها فيه .

(١) **واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه** (١) : ﴿ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم بما حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بِشْرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ . يقولُ : إلَّا قولًا يَقُولُونه [٢] بأفواهِهم كذبًا [٣] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن [٤] ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ : إلا كذبًا [٥] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

وقال آخَرون بما حدَّثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ يقولُ : يتمنَّوْن على اللَّهِ ما ليس لهم [٦] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن

(١ - ١) سقط من النسخ ، وأثبتناها كنهج أبى جعفر فى التفسير .
(٢) فى ت ١ ، ت ٢: « يقولون » .
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى المصنف .
(٤) بعده فى ت ٢: « محمد » .
(٥) تفسير مجاهد ص ٢٠٧، ٢٠٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٤) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى عبد بن حميد .
(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٣) معلقًا .

قتادة : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . يقولُ : يتمنَّوْن على اللَّهِ الباطلَ وما ليس لهم[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالحٍ ، [(٢)]عن معاويةَ بنِ صالحٍ[(٢)] ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. يقولُ: إلَّا أحاديثَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . قال : ناسٌ من يهودَ لم يكونوا يعلَمون من الكتابِ شيئًا ، وكانوا يتكلَّمون بالظنِّ بغيرِ ما فى كتابِ اللَّهِ ، ويقولون : هو من الكتابِ . أمانىُّ يتمنَّوْنها[(٤)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ : يتمنَّوْن على اللَّهِ ما ليس لهم[(٥)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ . قال : تمنَّوْا فقالوا : نحن من أهلِ الكتابِ . وليسوا منهم .

وأَوْلَى ما رَوَيْنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . بالحقِّ ، وأَشْبَهُه بالصوابِ ، الذى قاله ابنُ عباسٍ ، الذى رواه عنه الضحَّاكُ ، وقولُ مجاهدٍ ، أن الأُمِّيِّين الذين وصَفهم اللَّهُ بما وصَفهم به فى هذه الآيةِ وأنهم لا يَفْقَهُون من الكتابِ الذى أنزله اللَّهُ على موسى شيئًا ، ولكنهم يَتخرَّصون الكذبَ ويَتقوَّلون الأباطيلَ كذبًا وزُورًا ، والتمنِّى فى هذا الموضعِ هو تَخَلُّقُ الكذبِ وتَخَرُّصُه وافتعالُه ، يقالُ منه : تمنَّيتُ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . وهو إسناد دائر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٢) عن أبيه ، عن أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٣) من طريق آدم به .

كذا . إذا افتعلتَه وتَخرَّصْتَه . ومنه الخبرُ الذى رُوِىَ عن عثمانَ بنِ عفانَ رضى اللَّهُ عنه : ما تَعَتَّيْتُ[1] ولا تَمَنَّيْتُ[2] . يعنى بقولِه : ما تمنيتُ : ما تخرّصتُ الباطلَ ولا اخْتَلَقْتُ الكذبَ والإفْكَ .

والذى يَدُلُّ على صِحَّةِ ما قُلنا فى ذلك وأنه أَوْلَى بتأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ . من غيرِه من الأقوالِ ، قولُ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . فأخبَر عنهم
١/٣٧٦ جل ثناؤُه أنهم يتمنَّوْن ما يتمنَّوْن من الأكاذيبِ ظنًّا منهم/ لا يقينًا ، ولو كان معنى ذلك أنهم يَتْلونه ، لم يكونوا ظانِّين ، وكذلك لو كان معناه : يَتشهَّونه ؛ لأن الذى يَتلوه إذا تَدَبَّره عَلِمه ، ولا يَسْتَحِقُّ الذى يَتلو كتابًا قرَأه وإن لم يَتَدَبرْه بتَرْكِه التدبيرَ أن يقالَ : هو ظانٌّ لما يَتلو . إلا أن يكونَ شاكًّا فى نفسِ ما يَتلوه لا يَدْرِى أحقٌّ هو أم باطلٌ ؟ ولم يكنِ القومُ الذين كانوا يَتلون التوراةَ على عصرِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ من اليهودِ فيما بلَغَنا شاكِّين فى التوراةِ أنها من عندِ اللَّهِ ، وكذلك المتمنِّى الذى هو فى معنى المتشهِّى ، غيرُ جائزٍ أن يقالَ : هو ظانٌّ[3] تمنِّيه . لأن التَّمَنِّىَ من المتمنِّى إذا تمنَّى ما قد وُجِدتْ[4] عينُه ، فغيرُ جائزٍ أن يقالَ : هو شاكٌّ فيما هو به عالمٌ ؛ لأن العلمَ والشكَّ معنيان يَنْفِى كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه لا يجوزُ اجتماعُهما فى جُزْءٍ[5] واحدٍ ، والمتمنِّى فى حالِ تمنِّيه موجودٌ [6]تمنِّيه ، فغيرُ[6] جائزٍ أن يقالَ : هو يَظُنُّ تمنِّيه . وإنما

---

(١) فى م ، ت ٢: « تغنيت » ، وفى ت ١، ت ٣: « تعنيت » . والصواب ما أثبتناه . وعتا يعتو عتوًّا وعتيًّا : استكبر وجاوز الحد . اللسان (ع ت و) .

(٢) أخرجه محمد بن عائذ الدمشقى - كما فى البداية والنهاية ١٠/٢٩٦، ٢٩٧- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه (ص ٢٣، ٤٢٩- ترجمة عثمان ، طبعة مجمع اللغة بدمشق) - والفسوى فى تاريخه ٢/٤٨٨، وفيه قصة .

(٣) بعده فى م : « فى » .

(٤) فى م : « وجد » .

(٥) فى م : « حيز » .

(٦ - ٦) فى م : « غير » . وينظر التبيان ١/ ٣٢٠.

قيل : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ . والأمانىُّ من غيرِ نوعِ الكتابِ ، كما قال ربُّنا جل ثناؤه ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] . والظنُّ من العلمِ بمَعْزِلٍ ، وكما قال : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ١٩، ٢٠] . وكما قال الشاعرُ[1] :

[٢٢/٣و] *ليس بينى وبين قيسٍ عتابٌ غيرَ طَعْنِ الكُلَى وضَرْبِ الرِّقابِ

وكما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[2] :

حلَفْتُ يمينًا غيرَ ذى مَثْنوِيَّةٍ[3] ولا عِلْمَ إلا حُسْنَ ظَنٍّ بصاحبِ[4]

فى نظائرَ لما ذكرْنا يطولُ بإحصائِها الكتابُ .

ويَخْرُجُ بـ « إلا » ما بعدها من معنى ما قبلها ، ومن صفتِه ، وإن كان كلُّ واحدٍ منهما من غيرِ شكلِ الآخرِ ومن غيرِ نوعِه ، ويسمِّى ذلك بعضُ أهلِ العربيةِ استثناءً منقطِعًا ، لانقطاعِ الكلامِ الذى يأتى بعد « إلا » عن معنى ما قبلها ، وإنما يكونُ ذلك كذلك فى كلِّ موضعٍ حَسُنَ أن يوضعَ فيه مكانَ « إلا » « لكن » ، فيُعْلَمُ حينئذٍ انقطاعُ معنى الثانى عن معنى الأولِ ، ألا ترى أنك إذا قلْتَ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ . ثم أردْتَ وَضْعَ « لكن » مكانَ « إلا » وحَذْفَ

---

(١) البيت لعمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبى ، وهو فى الوحشيات ص ٤٢، ومعجم الشعراء ص ٧٠، وسمط اللآلى ١/ ١٨٤.

* إلى هنا ينتهى الخرم الذى فى الأصل . والذى بدأ فى أثناء ص ٥٧.

(٢) ديوان النابغة ص ٥٥.

(٣) حلفة غير ذات مثنوية : أى غير مُحَلَّلة . اللسان (ث ن ى) .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بغائب » . وهى رواية ابن السكيت ، وأما الذى فى الأصل فهو رواية الأصمعى وينظر ديوان النابغة برواية ابن السكيت ص ٥٥ وديوان النابغة بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٤١.

« إلا » ، وَجَدْتَ الكلامَ صحيحًا معناه صحتَه وفيه « إلا » ، وذلك إذا قلْتَ : ومنهم أُمِّيُّون لا يَعْلَمُونَ الكتابَ ، لكن أمانيَّ . يعنى : لكنهم يَتَمنَّوْن . وكذلك قولُه : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] : لكن اتِّباعَ الظنِّ . بمعنى : لكنَّهم يتَّبعون الظنَّ . وكذلك جميعُ هذا النوعِ من الكلامِ على ما وصَفْنا .

وقد ذُكِر عن بعضِ القَرأةِ أنه قرأ : (إلَّا أمانىَ) . مخففةً[(١)] . ومن خَفَّف ذلك وجَّهه إلى نحوِ جَمْعِهم المفتاحَ مفاتحَ ، والقُرْقورَ[(٢)] قراقرَ ، وأن ياءَ الجمعِ لمّا حُذفت خُفِّفَتِ الياءُ الأصليةُ ، أعْنى من « الأمانىّ » ، كما جَمَعوا الأُثْفِيَّةَ[(٣)] أَثافِىَ مخففةً ، كما قال زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى[(٤)] :

أَثَافِىَ سُفْعًا[(٥)] فى مُعَرَّسِ[(٦)] مِرْجَلٍ[(٧)] ونُؤْيًا[(٨)] كجِذْمِ[(٩)] الحَوْضِ لم يَتَثَلَّمِ[(١٠)]

وأما مَن ثَقَّل ﴿ أَمَانِىَّ ﴾ فشدَّد ياءَها ، فإنه[(١١)] نحوُ جَمْعِهم المفتاحَ مفاتيحَ ،

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر - وهو من العشرة . ينظر النشر لابن الجزرى ٢/ ١٦٤.

(٢) القرقور : السفينة أو الطويلة أو العظيمة . التاج (ق ر ر) .

(٣) الأثفية : ما يوضع عليه القِدْرُ. اللسان (ث ف ى) .

(٤) شرح ديوان زهير ص ٧.

(٥) السفعة : السواد المشرب حمرة ، ومنه قيل للأثافى : سفع . وهى التى أوقد بينها النار فسودت صِفاحها التى تلى النار. اللسان (س ف ع) .

(٦) المعرَّس : موضع التعريس ، والتعريس : نزول القوم فى السفر من آخر الليل يقعون وقعة للاستراحة . اللسان (ع ر س) .

(٧) المرجل : القِدْرُ من الحجارة والنحاس . اللسان (ر ج ل) .

(٨) النؤى : حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر. اللسان (ن أ ى) .

(٩) الجذم : أصل الشىء . اللسان (ج ذ م) .

(١٠) ثلم الإناء والسيف ونحوه يثلِمُه ثلْمًا ، وثلَّمه فانثلم وتثلَّم : كسر حرفه . اللسان (ث ل م) .

(١١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « وجه ذلك إلى » .

والقُرْقورَ قَراقيرَ، والزُّنْبورَ زَنابيرَ، فاجتمعتْ ياءُ «فَعاليلَ» ولامُها وهما جميعًا ياءان، فأُدْغِمت إحداهما فى الأخرى فصارتا ياءً واحدةً مشددةً.

فأما القراءةُ التى لا يجوزُ غيرُها لقارئٍ عندى فى ذلك، فتشديدُ ياءِ «الأمانىِّ»، لإجماعِ القَرَأةِ على أنها القراءةُ / التى مضى على القراءةِ بها السلفُ، مستفيضٌ ٣٧٧/١
ذلك بينهم غيرُ مدفوعةٍ صحتُه، وشذوذِ القارئِ بتخفيفِها عما عليه الحُجّةُ مُجْمِعةٌ فى ذلك، [(١]وكفَى شاهدًا على خطأِ[١)] قارئِ ذلك [(٢]بتخفيفِه إجماعُها[٢)] على تخطئتِه[(٣)].

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٣/٢٢ظ] يعنى بقولِه جل ثناؤُه: ﴿وَإِنْ هُمْ﴾: وما هم. كما قال جل ثناؤُه: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]. يعنى بذلك: ما نحن إلا بشرٌ مثلُكم. ومعنى قولِه: ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إلا[(٤)] يشكُّون ولا يَعْلمون حقيقتَه وصحتَه. والظنُّ فى هذا الموضعِ شَكٌّ.

فمعنى الآيةِ: ومنهم مَنْ لا يَكْتُبُ ولا يَخُطُّ ولا يَعْلَمُ كتابَ اللَّهِ ولا يَدْرِى ما فيه إلا تَخَرُّصًا وتَقَوُّلًا على اللَّهِ الباطلَ، ظنًّا منه أنه مُحِقٌّ فى تَخَرُّصِه وتَقَوُّلِه الباطلَ، وإنما وصَفَهم اللَّهُ تعالى ذكرُه بأنهم فى تَخَرُّصِهم على ظنٍّ، [(٥]هل هم فيه مُحِقُّون أم مُبْطِلون[٥)]؛ لأنهم كانوا قد سَمِعوا من رؤسائِهم وأحبارِهم أمورًا حَسِبوها من كتابِ

(١ - ١) فى م، ت١، ت٢، ت٣: «وكفى خطأً على».

(٢ - ٢) فى م: «بتخفيفها إجماعًا».

(٣) تقدم أن القراءة بتخفيف الياء قراءة أبى جعفر المدنى، وهى قراءة متواترة.

(٤) فى م: «لا».

(٥ - ٥) فى م: «أنهم محقون وهم مبطلون»، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أنهم محقون أم مبطلون».

اللَّهِ ، ولم تكنْ من كتابِ اللَّهِ ، فوصَفهم جل ثناؤُه بأنهم يَترُكون التصديقَ بالذى يُوقِنون به أنه من عندِ اللَّهِ مما جاء به محمدٌ ﷺ ، ويَتَّبِعون ماهم فيه شاكُّون ، وفى حقيقتِه مُرْتابون ، مما أخبَرهم به كُبراؤُهم ورُؤساؤُهم وأحبارُهم ؛ عنادًا منهم للَّهِ ولرسولِه ، ومخالفةً منهم لأمرِ اللَّهِ، واغترارًا منهم بإمهالِ اللَّهِ تعالى ذكرُه إياهم .

وبنحوِ ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ . قال فيه المتأوِّلون من السلفِ .

حدثنى محمدُ بن عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، **وحدثنى** المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شبلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ : إلا يُكَذِّبون[(١)] .

حدثنا القاسمُ ، [(٢)] قال : حدثنا الحسينُ[(٢)] ، قال : حدثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ ابنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ . أى : لا يَعْلَمون الكتابَ ولا يَدْرُون ما فيه ، وهم يَجْحَدون نبوتَك بالظنِّ[(٣)] .

حدثنا بشرٌ ، قال : حدثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٢ (٧٩٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٢ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٨ . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٦٧ .

يَظُنُّونَ ﴾ قال : يَظُنون الظنونَ بغيرِ الحقِّ[١] .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : يَظُنون الظنونَ بغيرِ الحقِّ[٢] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ فَوَيۡلٌ ﴾ .

٣٧٨/١ /**اختلف أهلُ التأويلِ** فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَوَيۡلٌ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدثنا** به أبو كريبٍ ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ [٢٣/٣و] : ﴿ فَوَيۡلٌ لَّهُم ﴾ . يقولُ : فالعذابُ عليهم[٤] .

وقال آخَرون بما **حدثنا** به ابنُ بشارٍ ، قال : حدثنا ابنُ مهدىٍّ ، قال : حدثنا سفيانُ ، عن زيادِ بنِ فياضٍ ، قال : سمِعتُ أبا عياضٍ يقولُ : الويلُ ما يَسيلُ من صَديدٍ فى أصلِ جهنمَ[٥] .

حدثنى مُشَرَّفُ[٦] بنُ أبانٍ الحطابُ ، قال : حدثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن زيادِ بنِ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٥) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٥) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ١٧٠ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٣/١ (٧٩٩) من طريق ابن مهدى به ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣٣٣ - زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣٣) عن سفيان به .

(٦) فى م : « بشر » ، وفى ت ١، ت ٢: « شرف » .

فياضٍ ، عن أبى عياضٍ فى قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ . قال : صِهْرِيجٌ فى أصلِ جهنمَ يَسيلُ فيه صديدُهم[(١)] .

حدثنى علىُّ بنُ سهلٍ الرَّمْلىُّ ، قال : حدثنا زيدُ بنُ أبى الزرقاءِ ، قال : حدثنا سفيانُ ، عن[(٢)] زيادِ بنِ فياضٍ ، عن أبى عياضٍ ، قال : الويلُ وادٍ من صديدٍ فى جهنمَ .

حدثنى ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ[(٣)] ، قال : ﴿ وَوَيْلٌ ﴾ : ما يَسيلُ من صديدٍ فى أصلِ جهنمَ .

وقال آخرون بما حدثنى به المثنى ، قال : حدثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ السلامِ بنِ صالحٍ القشيرىُّ[(٤)] ، قال : حدثنا علىُّ بنُ جريرٍ ، عن حمادِ بنِ سلَمةَ ، عن[(٥)] عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن كنانةَ العدوىِّ ، عن عثمانَ بنِ عفانَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : « الويلُ جبَلٌ فى النارِ »[(٦)] .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن درّاجٍ ، عن أبى الهيثمِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « ويلٌ وادٍ فى جهنمَ يَهْوِى فيه الكافرُ أربعين خريفًا قبل أن يَبْلُغَ قَعْرَه[(٧)] » .

---

(١) ذكره ابن رجب فى التخويف من النار ص ١١٨.

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣: « بن » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « شقيق » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/٥٩٥ - ٥٩٩ .

(٤) فى م : « التسترى » .

(٥) فى م : « بن » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٦٨ عن المصنف ، وقال : غريب جدا . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٧) إسناده ضعيف ؛ لضعف رواية دراج عن أبى الهيثم ، والحديث أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٣=

قال أبو جعفرٍ : فمعنى الآيةِ على ما رُوِى عمن ذكرْتُ قولَه فى تأويلِ ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ : فالعذابُ الذى هو شُرْبُ صديدِ أهلِ جهنمَ ، الذى[(١)] فى أسفلِ الجحيمِ ، لليهودِ الذين يَكْتُبون الباطلَ بأيديهم ثم يقولون : هذا من عندِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : الذين حَرَّفوا كتابَ اللَّهِ من يهودِ بنى إسرائيلَ ، وكتَبوا كتابًا على ما تأوَّلُوه من تأويلاتِهم ، مخالفًا لما أنزَله اللَّهُ عز وجل على نبيِّه موسى عليه السلامُ ، ثم باعوه من قومٍ لا علْمَ لهم بها ، ولا بما فى التوراةِ ، جهالٍ بما فى كُتُبِ اللَّهِ ، طَلَبَ[(٢)] عَرَضٍ من الدنيا خسيسٍ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه لهم : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

كما **حدثنا** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . قال : كان ناسٌ [٢٣/٣ظ] من اليهودِ كتَبوا

= (٧٩٨) عن يونس به . وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣٣٤ - زوائد نعيم بن حماد) ، وفى المسند (١٤٤) ، وأحمد ١٨/٢٤٠ (١١٧١٢) ، وعبد بن حميد (٩٢٢) ، والترمذى (٢٥٧٦، ٣١٦٤) ، وأبو يعلى (١٣٨٣) ، وابن حبان (٧٤٦٧) ، والحاكم ٢/٥٠٧، ٥٤٣، ٤/٥٩٦، والبيهقى فى البعث والنشور (٥١٢، ٥١٣، ٥٣٧) ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣١) من طريق دراج به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٢ إلى هناد فى الزهد والطبرانى وابن مردويه .

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لطلب » .

كتابًا من عندِهم يَبِيعونه من العربِ ، ويُحَدِّثونهم أنه من عندِ اللَّهِ ليأخُذوا به ثمنًا قليلًا[١] .

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ،
٣٧٩/١ عن أبى رَوْقٍ ، عن / الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الأُمِّيون قومٌ لم يُصَدِّقوا رسولًا أرسلَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، ولا كتابًا أنزَله اللَّهُ ، فكتَبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقومٍ سَفِلةٍ جُهّالٍ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . [٢]قال : ليبتاعوا به[٢] ﴿ ثَمَنًا ﴾ . قال : عَرَضًا من عَرَضِ الدنيا[٣] .

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : هؤلاء الذين عرَفوا أنه من عندِ اللَّهِ يُحرفونه[٤] .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلا أنه قال : ثم يُحَرِّفونه .

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الآية : وهم اليهودُ[٥] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٣/١ (٨٠٢) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٧/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٢، ٨٣ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٨٩/٢ (٣٧٣٤) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر ٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والفريابى .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٨.

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كان ناسٌ من بنى إسرائيلَ كتَبوا كتابًا بأيديهم ليتأكَّلوا الناسَ ، فقالوا : هذا من عندِ اللَّهِ . وما هو من عندِ اللَّهِ[١] .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . قال : عمَدوا إلى ما أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه فى كتابِهم من نعتِ محمدٍ ﷺ ، فحرَّفوه عن مَواضِعِه ، يبتغون بذلك عَرَضًا من عَرَضِ الدنيا ، فقال اللَّهُ[٢] : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٣] .

حدثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ السلامِ ، قال : ثنا علىُّ بنُ جريرٍ ، عن حمادِ بنِ سلَمةَ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن كنانةَ بنِ نعيمٍ العدوىِّ ، عن عثمانَ بنِ عفانَ رضِى اللَّهُ عنه ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ قال : « الويلُ جبلٌ فى النارِ » . وهو الذى أُنْزِل فى اليهودِ ؛ لأنهم حرَّفوا التوراةَ ، زادُوا فيها ما يُحبون ، ومَحَوْا منها ما يَكْرَهون ، ومَحَوْا اسْمَ محمدٍ ﷺ من التوارةِ ، فلذلك غَضِب اللَّهُ جل ثناؤه عليهم فرفَع بعضَ التوراةِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠، ٥١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٤، ١٥٥ (٨٠٨) عن الحسن ابن يحيى . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٣ إلى ابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٥ (٨١١) من طريق آدم به .

فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[(١)] .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى سعيدُ بنُ أبى أيوبَ ، عن محمدِ بنِ عجلانَ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، قال : ويلٌ وادٍ فى جهنمَ لو سُيِّرَتْ فيه الجبالُ [٣/٢٤و] لَامّاعت[(٢)] من شدةِ حَرِّه[(٣)] .

فإن قال لنا قائلٌ : فما وجهُ قولِه[(٤)] : ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ؟ وهل يكتبون[(٥)] بغيرِ اليدِ حتى احتاج المخاطَبون[(٦)] بهذه المخاطبةِ إلى أن يُخْبَروا عن هؤلاء القومِ الذين قَصَّ اللَّهُ تعالى ذكرُه قصتَهم أنهم كانوا يَكْتُبون الكتابَ بأيديهم ؟

١/٣٨٠ قيل له : إن الكِتابَ من بنى آدمَ وإن كان منهم باليدِ ،/ فإنه قد يضافُ الكتابُ إلى غيرِ كاتبِه وغيرِ المتولِّى رسمَ خَطِّه ، فيقالُ : كتَب فلانٌ إلى فلانٍ بكذا . وإن كان المتولِّى كتابتَه[(٧)] غيرَ المضافِ إليه الكتابُ ، إذا كان الكاتبُ كَتبه بأمرِ المضافِ إليه الكتابُ ، فأَعْلَم ربُّنا جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . عبادَه المؤمنين أن أحبارَ اليهودِ تَلِى كتابةَ الكذبِ والفِرْيةِ على اللَّهِ بأيديهم على عِلْمٍ منهم وعَمْدٍ للكَذِبِ على اللَّهِ ، ثم تَنْحَلُه[(٨)] إلى أنه من عندِ اللَّهِ وفى كتابِ اللَّهِ جلَّ

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ١٦٤.

(٢) فى م : « لانماعت » ، وأماع وانماع : ذاب وسال . اللسان (م ى ع) .

(٣) ابن المبارك فى الزهد (٣٣٢ - زوائد نعيم بن حماد) ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣٢) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٣/١ (٨٠٠) ، والبيهقى فى البعث والنشور (٥١٦) ، من طريق سعيد بن أبى أيوب به .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « تكون الكتابة » .

(٦) فى م : « المخاطب » .

(٧) بعده فى م : « بيده » .

(٨) نحله القول ينحله : نسبه إليه . اللسان (ن ح ل) .

وعزَّ، تَكَذُّبًا على اللَّهِ وافتراءً عليه ، فنفى اللَّهُ بقولِه : ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . أن يكونَ وَلِىَ كتابةَ ذلك بعضُ جُهّالِهم بأمرِ علمائِهم وأحبارِهم . وذلك نظيرُ قولِ القائلِ : باعنى فلانٌ عينَه كذا[1] ، واشترى فلانٌ نفسُه كذا . يرادُ بإدخالِ النفسِ والعينِ فى ذلك نَفْىُ اللَّبْسِ عن سامعِه أن يكونَ المتولِّى بيعَ ذلك أو شراءَه غيرَ الموصوفِ به بأمرِه ، ويُوجِبُ حقيقةَ الفعلِ للمُخْبَرِ عنه ، فكذلك قولُه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . أى : فالعذابُ فى الوادِى السائلِ من صديدِ أهلِ النارِ فى أسفلِ جهنمَ لهم . يعنى : للذين كتَبوا الكتابَ الذى وصَفْنا أمْرَه من يهودِ بنى إسرائيلَ محرَّفًا ، ثم قالوا : هذا من عندِ اللَّهِ . ابتغاءَ عَرَضٍ من الدنيا[2] قليلٍ ممن يبتاعُه منهم .

وقولُه : ﴿ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . يقولُ : من الذى كَتَبَتْ أيديهم من ذلك ، ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم ﴾ أيضًا ﴿ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ يعنى : مما يعمَلون من الخطايا ، ويجترِحُون من الآثامِ ، ويَكْسِبون من الحرامِ ، بكتابِهم الذى يَكْتُبونه بأيديهم بخلافِ ما أَنزَل اللَّهُ ، ثم يأْكُلون ثمنَه وقد باعُوه ممن باعُوه منهم[3] على أنه من كتابِ اللَّهِ .

كما **حدثنى** المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وكذا » .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .

(٣) فى الأصل : « به » .

العاليةِ : ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ : يعنى من الخطيئةِ[(١)] .

حدثنا أبو كريبٍ ، [٣/٢٤ظ] قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم ﴾ يقولُ : فالعذابُ عليهم . قال : يقولُ : من الذى كَتبوا بأيديهم من ذلك الكذبِ[(٢)] ، ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ يقولُ : مما يأكُلون به الناسَ[(٣)] السَّفِلةَ وغيرَهم[(٤)] .

وأصلُ « الكَسْبِ » العملُ ، فكلُّ عاملٍ عملًا بمباشرةٍ منه لما عَمِل ، ومعاناةٍ باحترافٍ ، فهو كاسبٌ لما عَمِل ، كما قال لبيدُ بنُ ربيعةَ[(٥)] :

لِمُعَفَّرٍ[(٦)] قَهْدٍ[(٧)] تَنازَعَ شِلْوَه[(٨)] غُبْسٌ[(٩)] كَواسبُ لا يُمَنُّ طَعامُها

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَقَالُوا ﴾ : اليهودُ . يقولُ : وقالتِ اليهودُ : ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ ﴾ . يَعنى : لن تُلاقِىَ أجسامَنا / النارُ ، ولن ندْخُلَها إلا أيامًا معدودةً . ١/٣٨١

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٥ (٨١٢) من طريق آدم به .

(٢) فى ت ٢: « الكتب » .

(٣) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣، وفى م : « من » .

(٤) ذكره ابن كثير فى التفسير ١/١٦٩ عن الضحاك عن ابن عباس . وقد تقدم هذا الأثر مختصرًا فى ص ١٦٣.

(٥) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٨.

(٦) المعفر : الممرغ فى التراب . اللسان (ع ف ر) .

(٧) القهد : ضرب من الضأن . اللسان (ق هـ د) .

(٨) شلو الحيوان : عضده ، وشلو الشىء : بقيته . اللسان (ش ل و) .

(٩) الغبس والغبسة : لون الرماد ، وهو بياض فيه كدرة . اللسان (غ ب س) .

وإنما قيل : « معدودة » . وإن لم يكن مُبَيَّنًا عددُها في التنزيلِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبرَ عنهم بذلك وهم عارفون عددَ الأيامِ التي يُوَقِّتونها لمُكْثِهم في النارِ ، فلذلك ترَك ذِكْرَ تسميةِ عددِ تلك الأيامِ ، وسمَّاها معدودةً لِمَا وصَفنا .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ في مبلغِ الأيامِ المعدودةِ التي عنَتْها[(١)] اليهودُ القائلون ما أخبرَ اللَّهُ عنهم مِن ذلك ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . [(٢)]قالوا : هي أربعون يومًا لأمْرٍ عُذِّبوا فيه ، ثم لا يُصيبُنا بعدها عذابٌ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[(٢)] : قال ذلك أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ، قالوا[(٣)] : لن يُدْخلَنا اللَّهُ[(٣)] النارَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ ؛ الأيامَ التي أَصَبْنا فيها العِجْلَ أربعينَ ليلةً[(٤)] ، فإذا تَقضَّت عنَّا تلك الأيامُ ، انقَطع عنَّا العذابُ والقَسَمُ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . قالوا : أيامًا معدودةً ؛ ما أصبْنا في العِجْلِ[(٥)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) في م : « عينها » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) زيادة من : م .

(٤) في م : « يوما » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٦ (٨١٦) عن الحسن بن يحيى به .

السُّدىِّ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ . قال : قالتِ اليهودُ : إن اللَّهَ يُدْخِلُنا النارَ فنَمْكُثُ فيها أربعين ليلةً ، حتى إذا أكلتِ النارُ خطايانا واستنقَيْنا[(١)] ، نادَى مُنادٍ : أَخْرِجوا كلَّ مختونٍ مِن وَلَدِ[(٢)] إسرائيلَ . فلذلك أُمِرْنا أن نَخْتَتِنَ . قالوا : فلا يَدَعون فى النارِ منا أحدًا إلا أخرَجوه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا [٣/٢٥و] آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : قالتِ اليهودُ : إن ربَّنا عتَب علينا فى أمْرٍ[(٣)] ، فأقسم ليُعذِّبنَّا أربعين ليلةً ، ثم يُخْرِجَنا . فأكذَبهم اللَّهُ جلّ ثناؤه .

حدثنى المُثَنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ ، قال : قالت اليهودُ : لن نَدْخُلَ النارَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ ، عَدَدَ الأيامِ التى عبَدْنا فيها العِجْلَ[(٤)] .

حدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى أبِى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية . قال ابنُ عباسٍ : ذُكِر أن اليهودَ وجَدوا فى التوراةِ مكتوبًا : إن ما بينَ طَرَفَىْ جهنمَ مسيرةُ أربعين سنةً ، إلى أن يُنْتهَى إلى شجرةِ الزَّقُّومِ نابتًا فى أصلِ الجحيمِ - وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : إن الجحيمَ سَقَرُ ، وفيها شجرةُ الزَّقُّومِ - فزَعَم أعداءُ اللَّهِ أنه إذا خلَا العددُ الذى وَجَدُوا فى كتابِهم أيامًا معدودةً - وإنما يعنى بذلك المسيرَ الذى

---

(١) فى م : « استنقتنا » ، وفى ت ٢: « استيقنا » .

(٢) بعده فى م : « بنى » .

(٣) فى م : « أمرنا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧ (٨١٨) ، من طريق آدم به مطولًا . وسيأتى الأثر بتمامه فى ص ١٧٦، ١٧٧.

ينتهى إلى أصلِ الجحيم - فقالوا : إذا خلا العددُ انقضَى[(١)] الأجلُ ، فلا عذابَ وتَذْهَبُ جهنَّمُ وتَهْلِكُ . فذلك قولُه : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ . يَعْنُون بذلك الأَجَلَ ، فقال ابنُ عباسٍ : لمَّا اقْتَحموا مِن بابِ جهنَّمَ ساروا فى العذابِ حتى انتهَوْا إلى شجرةِ الزَّقُّومِ آخرَ يومٍ مِن الأيامِ المعدودةِ ، [(٢)] وهى الأربعون سنةً ، فلما أكلوا من شجرةِ الزَّقُّومِ وملئوا منها البطونَ آخِرَ يومٍ من الأيامِ المعدودةِ[(٢)] ، قال لهم خُزَّانُ سَقَرَ : زعمتُم أنكم لن تَمَسَّكم النارُ إلَّا أيامًا معدودةً ، فقد خلا العددُ وأنتم فى الأَبَدِ ، فأخذ بهم فى الصَّعودِ فى جهنَّم يُرْهَقون[(٣)] .

٣٨٢/١ / **حدَّثنى** محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ : [(٢)] فإنَّهم اليهودُ قالوا : لن تمسنا النار[(٢)] إلَّا أربعين ليلةً[(٤)] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بنُ عمرَ ، عن الحَكَمِ بنِ أَبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : خاصَمَت اليهودُ رسولَ اللَّه ﷺ فقالوا : لن نَدْخُلَ النارَ إلَّا أربعين ليلةً ، وسَيَخْلُفُنا فيها قومٌ آخرون - يعنون محمدًا ﷺ وأصحابَه - فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه على رءوسِهم : « بل أنْتُم فيها خالدونَ ، لا يَخْلُفُكم إليها[(٥)] أَحَدٌ » . فأنزَل اللَّهُ جلَّ ثناؤه : ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[(٦)] الآية .

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « انتهى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « يزهقون » .

والأثر ذكره ابن رجب فى التخويف من النار ص ٨١ عن العوفى عن ابن عباس وعزاه إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٦/١ (٨١٧) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٧ من طريق الضحاك ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى ابن المنذر .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٩.

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فيها » .

(٦) إسناده ضعيف مرسل . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٦/١ (٨١٥) من طريق حفص به ، والأثر =

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جرَيْجٍ ، قال : أخبَرنى الحكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : اجتمعَتْ يهودُ يومًا تُخاصِمُ النبيَّ ﷺ فقالوا : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[1] ؛ أربعين يومًا ثم يَخْلُفُنا أو يَلْحَقُنا فيها أُناسٌ . فأشاروا إلى النبيِّ ﷺ وأصحابِه ، فقال النبيُّ : « كَذَبْتم بل أنتم فيها خالِدُونَ مُخَلَّدُونَ ، لا نَلْحَقُكم أو[2] نَخْلُفُكم فيها إن شاء اللَّهُ أبَدًا » .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثنا [٣/٢٥ظ] علىُّ بنُ مَعْبَدٍ ، عن أبى معاويةَ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ قال : قالت اليهودُ : لا نُعَذَّبُ فى النارِ يومَ القيامةِ إلَّا أربعين يومًا مِقْدارَ ما عبَدنا العِجْلَ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : حدَّثنى أبى ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال لهم : « أَنْشُدُكم باللَّهِ وبَالتَّوْراةِ التى أنْزَلها اللَّهُ على مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْناءَ ، مَن أهْلُ النَّارِ الذين أنْزَلَهمُ اللَّهُ في التَّوْراةِ ؟ » قالوا : إن ربَّهم غضِب عليهم غَضْبَةً ، فنَمْكُثُ فى النارِ أربعين ليلةً ، ثم نَخْرُجُ فتَخْلُفوننا فيها . فقال النبيُّ ﷺ : « كَذَبْتم واللَّهِ لا نَخْلُفُكم فيها أبَدًا » . فنزَل القرآنُ تصديقًا لقولِ النبيِّ ﷺ وتكذيبًا لهم : ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا﴾ . إلى قولِه : ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3] .

= عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « سموا » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ولا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى المصنف .

وقال آخَرون فى ذلك بما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانت يهودُ يقولون : إنما هذه[1] الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، وإنما يُعَذَّبُ الناسُ يومَ القيامةِ بِكُلِّ ألفِ سَنَةٍ من أيامِ الدنيا يومًا واحدًا مِن أيامِ الآخرةِ ، [2]وإنما هى[2] سبعةُ أيامٍ . فأنزَل اللَّهُ فى ذلك من قولِهم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ويهودُ تقولُ : / إنما مدَّةُ الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، وإنما يُعَذَّبُ الناسُ فى النارِ بكلِّ ألفِ سنةٍ مِن أيامِ الدنيا يومًا واحدًا فى النارِ من أيامِ الآخرةِ ، فإنَّما هى سَبْعةُ أيَّامٍ ، ثم يَنْقَطِعُ العذابُ . فأنزَلَ اللَّهُ عزّ وجل فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ الآية[3] . ٣٨٣/١

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ قال : كانت تقولُ : إنما الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، فإنما نُعَذَّبُ مكانَ كلِّ ألفِ سنةٍ يومًا[4] .

---

(١) فى م : « مدة » .

(٢ - ٢) فى م : « وإنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٥/١ (٨١٣) من طريق سلمة به . وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٧ من طريق ابن إسحاق به بدون ذكر سعيد .

وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١١١٦٠) من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس .

وسنده ضعيف جدا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلَّا أنه قال : كانت اليهودُ تقولُ : إنما الدنيا . وسائرُ الحديثِ مثلُه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مجاهدٌ : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ [٢٦/٣و] إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ : مِن الدهرِ . وسَمَّوْا عدةَ سبعةِ آلافِ سنةٍ ، من كلِّ ألفِ سنةٍ يومًا . يهودُ تقولُه .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ولمَّا قالت اليهودُ ما قالتْ مِن قولِها : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ . على ما قد بيَّنَّا مِن تأويلِ ذلك ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لمعشرِ اليهودِ : ﴿ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا ﴾ (١) بما تَقُولُون من أنّ النارَ لن تمسَّنا إلا أيامًا معدودةً ، فلن يُخلفَ اللَّهُ عهدَه . ويعني بقولِه : ﴿ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا ﴾ (١) : أخذتُم بما تقولون مِن ذلك مِن اللَّهِ ميثاقًا ، فاللَّهُ لا يَنْقُضُ ميثاقَه ، ولا يُبَدِّلُ وَعْده وَعَقْدَه ، أم تَقُولون عَلَى اللَّهِ الباطِلَ جَهْلًا وجُرْأةً عليه ؟

كما **حدثني** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، **وحدثني** المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال ، ثنا شبلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا ﴾ . أي : موثقًا من اللَّهِ بذلك أنه كما تقولون (٢) .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ ، قال : قالت

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٧/١ (٨١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

اليهودُ : لن نَدْخُلَ النارَ إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ عددَ الأيامِ التى عبَدنا فيها العِجْلَ . فقال اللَّهُ : ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ بهذا الذى تقولون ، أَلَكُم بهذا حجةٌ وبرهانٌ ، ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ ، فهاتُوا حجَّتَكم وبرهانَكم ، ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما قالت اليهودُ ما قالت ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤه لمحمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ . يقولُ : أَدَّخَرْتُم ﴿ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ . يقولُ : أقلتُم : لا إلهَ إلا اللَّهُ . لم تُشْرِكوا ، ولم تَكْفُروا به ، فإن كُنتُم قُلْتُموها فارْجُوا بها ، وإن كنتم لم تقولوها فَلِمَ تقولون على اللَّهِ ما لاتعلمون ؟ يقولُ : لو كنتم قلتُم : لا إلهَ إلا اللَّهُ . ولم تُشْرِكوا به شيئًا ، ثم مُتُّم على ذلك لكان لكم ذُخْرًا عندى ، ولم أُخْلِفْ وعْدى لكم أنى أُجازِيكم بها[(٢)] .

١/٣٨٤ /حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : لما قالت اليهودُ ما قالتْ ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ . وقال فى مكانٍ آخرَ : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٤] . ثم أخبرَ الخبرَ فقال : ﴿ بَلَىٰ مَن [٣/٢٦ظ] كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ .

وهذه الأقوالُ التى رَوَيْناها عن ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ وقتادةَ ، بنحوِ معنى ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ ؛ لأن مما أعطى اللَّهُ عبادَه مِن ميثاقِه أن مَن آمن به وأطاع أمْرَه نجَّاه مِن نارِه يومَ القيامةِ ، ومِن الإيمانِ به الإقرارُ بأن لا إلهَ إلا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧ (٨١٨) من طريق آدم به ، وتقدم مختصرًا فى ص ١٧٢.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٥ إلى المصنف .

اللَّهُ ، وكذلك من ميثاقِه الذى واثَقَهم به ، أن مَن أتاه يومَ القيامةِ بحجَّةٍ تكون له نجاةً مِن النارِ (١)أن يُنْجيَه(١) منها ، فكلُّ ذلك وإن اخْتَلَفَت ألفاظُ قائليه ، فمتَّفِقُ المعانى على ما قُلنا فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ .

وقولُه جلّ ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ تكذيبٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه القائلين من اليهودِ : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ ، وإخبارٌ منه لهم أنه مُعَذِّبٌ(٢) مَن أشرَك وكفَر به وبرسُلِه ، وأحاطتْ به ذنوبُه فمخلِّدُه(٣) فى النارِ ، وأنَّ الجنةَ لا يَسْكُنُها إلا أهلُ الإيمانِ به وبرسلِه ، وأهلُ الطاعةِ له ، والقائمون بحُدودِه .

كما **حدثنا** محمدُ بنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ بنُ الفضْلِ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . أى : من عمِل مثلَ أعمالِكم وكفَر بمثْلِ ما كفرْتُم به حتى يُحيطَ كفرُه بما له مِن حسنةٍ ، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٤) .

(١ - ١) فى م : « فينجيه » .

(٢) فى م : « يعذب » .

(٣) فى م ، ت ٢: « فمخلد » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ (٨٢٢، ٨٢٦، ٨٣٠، ٨٣٢) من طريق سلمة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى ابن المنذر ، وسيأتى أتم من هذا فى ص ١٨٧.

وأما ﴿ بَلَىٰ ﴾ فإنها إقرارٌ فى كلِّ كلامٍ فى أولِه جَحْدٌ ، كما « نَعَمْ » إقرارٌ فى الاستفهامِ الذى لا جَحْدَ فيه . وأصلُها « بَلْ » التى هى رجوعٌ عن الجَحْدِ المحْضِ فى قولِك : ما قام عمْرٌو ، بل زيدٌ . فزِيدَتْ فيها الياءُ[1] لِيَصْلُحَ عليها الوقوفُ ، إذ كانت[2] عطفًا ورُجوعًا عن الجَحْدِ ، ولتكونَ - أعنى « بَلَى »[3] - رُجوعًا عن الجحْدِ فقطْ ، وإقرارًا بالفعْلِ الذى بعدَ الجحْدِ ، فدلَّت الياءُ منها على معنى الإقرارِ والإنعامِ[4] ، ودَلَّ لفظُ « بلْ » على الرجوعِ عن الجحدِ .

وأمَّا السيئةُ التى ذكَرها اللَّهُ فى هذا المكانِ فإنها الشِّرْكُ باللَّهِ .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا يَحْيى بنُ سعيدٍ ، عن سفيانَ ، قال : حدثنى عاصِمٌ ، عن أبى وائلٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : الشركُ[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، **وحدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ : شركًا[6] .

١/٣٨٥ /**حدثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : أما السيئةُ فالشركُ[6] .

---

(١) يعنى الألف المقصورة أو اللينة ؛ حيث إنها ترسم ياءً .

(٢) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بل لا يصلح عليها الوقوف ، إذ كانت » .

(٣) فى الأصل : « بَلْ » .

(٤) هو التصديق والإقرار ، من قول القائل : نعم . إذا أقر ما سمع .

(٥) بعده فى م : « بالله » .

والأثر ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧ عقب الأثر (٨٢٣) عن أبى وائل معلقًا .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧ عقب الأثر (٨٢٣) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٥ إلى عبد بن حميد .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُالرزاقِ ، قال : أخبرنا معْمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[(١)] .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، [٢٧/٣و] قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : أمَّا السيئةُ فهى الذنوبُ التى وعَد اللَّهُ عليها النارَ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : الشركُ[(٣)] .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مجاهدٌ : ﴿ سَيِّئَةً ﴾ : شركًا .

حُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ : يعنى الشركَ[(٤)] .

وإنما قلنا : إن السيئةَ التى ذكَرها اللَّهُ عزّ وجلَّ أن من كسَبها وأحاطتْ به ذُنوبُه[(٥)] ، فهو مِن أهلِ النارِ - فى هذا الموضعِ - المخلَّدِينَ فيها ، إنما عنَى جلّ ذكرُه بها بعضَ السيئاتِ دونَ بعضٍ ، وإن كان ظاهرُها فى التلاوةِ عامًّا ؛ أَنَّ[(٦)] اللَّهَ قضَى على أهلِها بالخُلودِ فى النارِ . والخلودُ فى النارِ لأهلِ الكفرِ باللَّهِ دونَ أهلِ الإيمانِ به ؛ لتظاهرِ الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن أهلَ الإيمانِ لا يُخَلَّدُون فيها ، وأن الخُلودَ فى النارِ لأهلِ الكفرِ باللَّهِ دونَ أهلِ الإيمانِ به .

وبعدُ ، فإن اللَّهَ جلّ ثناؤه قد قرَن بقولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٤) من طريق عمرو به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) معلقًا. وسيأتى مطولًا فى ص ١٨٥.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى م : « خطيئته » .

(٦) فى م ، ت ٢: « لأن » .

بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ[(١)] فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . فكان معلومًا بذلك أن الَّذين لهم الخلودُ فى النارِ مِن أهلِ السيئاتِ ، غيرُ الذين لهم الخلودُ فى الجَـنَّةِ مِن أهلِ الإيمانِ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن الذين لهم الخلودُ فى الجَـنَّةِ مِن الذين آمنوا هم الذين عَمِلوا الصالحاتِ دونَ الذين عَمِلوا السيئاتِ ، فإن فى إخْبارِ اللَّهِ تعالى ذكرُه بأنَّه مُكفِّرٌ - باجتنابِنا كبائرَ ما نُنْهى عنه - سيئاتِنا ، ومُدْخِلُنا المُدْخلَ الكريمَ ، ما يُنْبِئُ عن صِحَّةِ ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . وأن ذلك على خاصٍّ من السيئاتِ دون عامِّها .

فإن قال لنا قائلٌ : فإن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما ضمِن لنا تكفيرَ سيئاتِنا باجتنابِنا كبائرَ ما نُنْهى عنه ، فما الدلالةُ على أن الكبائرَ غيرُ داخلةٍ فى قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ ؟

قيل : لمَّا صحَّ مِن أن الصغائرَ غيرُ داخلةٍ فيه ، وأن المَعْنيَّ بالآيةِ خاصٌّ دونَ عامٍّ ، ثبَت وصحَّ أن القضاءَ والحُكمَ بها غيرُ جائزٍ لأحدٍ على أحدٍ إلَّا على من وَقَفه[(٢)] اللَّهُ عليه بدَلالةٍ مِن خبرٍ قاطعٍ عُذْرَ مَن بلَغه ، وقد ثبَت وصحَّ أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد عنَى بذلك أهلَ الشركِ والكفرِ به بشهادةِ جميعِ الأمةِ ، فوجب بذلك القضاءُ على أن أهلَ الشركِ والكفرِ ممَّن عناه اللَّهُ بالآيةِ ، فأمَّا أهلُ الكبائرِ فإن الأخبارَ القاطعةَ عُذْرَ مَن بلَغته قد تظاهرتْ عندَنا بأنهم غيرُ مَعْنيِّينَ بها ، ومَنْ أنكر ذلك ممَّن دافَع حُجَّةَ الأخبارِ المُسْتَفيضةِ والأنباءِ المتَظاهِرةِ ، فاللازِمُ له تَرْكُ قَطْعِ /الشهادةِ على أهلِ الكبائرِ بالخُلودِ ٣٨٦/١
فى النارِ بهذه [٢٧/٣ظ] الآيةِ ونظائرِها التى جاءتْ بعُمومِهم فى الوعيدِ ؛ إذ كان تأويلُ القرآنِ غيرَ مُدْرَكٍ إلَّا ببيانِ مَن جعَل اللَّهُ إليه بيانَ القرآنِ ، وكانت الآيةُ فيها تأتى

(١) فى الأصل : « خطيئاته » . وهى قراءة نافع ، وقرأ الباقون بالإفراد . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢ .
(٢) فى الأصل : « وقف » .

عامًّا فى صِنْفٍ ظاهرُها ، وهى خاصٌّ فى ذلك الصنفِ باطنُها .

ويُسْأَلُ مدافِعو هذا الخبرِ بأن أهلَ الكبائرِ مِن أهلِ الاستثناءِ سؤالَنا مُنْكِرِى[(١)] رجمِ الزانى المحصَنِ ، وزوالِ فرضِ الصلاةِ عن الحائضِ فى حالِ الحيضِ ، فإن السؤالَ عليهم نظيرُ السؤالِ على أُولاءِ[(٢)] سواءً .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ .

يعنى بقولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : اجْتَمَعتْ عليه فمات عليها قبلَ الإنابةِ والتوبةِ منها . وأصلُ الإحاطةِ بالشىءِ الإحداقُ به ، بمنزلةِ الحائطِ الذى تُحاط به الدارُ فتُحْدِقُ به ، ومنه قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : مَن أشرَكَ باللَّهِ واقترَف ذنوبًا جَمَّةً فمات عليها قبلَ الإنابةِ والتوبةِ ، فأولئك أصحابُ النارِ هم مُخَلَّدون فيها أبدًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قاله المُتَأَوِّلون .

ذكرُ مَن قال ذلك منهم

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن الأَعْمَشِ ، [(٣)]عن أبى رَزِينٍ[(٣)] : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : مات بذَنْبِه[(٤)] .

[(٥)]**حَدَّثنا** أبو كريبٍ ، قال : حَدَّثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال : حَدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : مات بذنبه[(٥)] .

---

(١) فى م : « منكر » .

(٢) فى م : « هؤلاء » .

(٣ - ٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن أبى روق » ، وفى م : « عن أبى روق ، عن الضحاك » .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٨) معلقًا .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن أبى رَزينٍ ، عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : فمات عليها[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسْحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : يُحِيطُ كفْرُه بما لَه مِن حسنةٍ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : [(٣)(٤)] ما وعَد اللَّهُ عليه النارَ[(٥)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال[(٤)] : ما أَوْجَب اللَّهُ فيه النارَ .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال[(٣)] : أمَّا الخطيئةُ فالكبيرةُ المُوجِبةُ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١٣/ ٣٩٧، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ (٨٢٨) من طريق الأعمش به نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ (٨٢٦) من طريق سلمة به . وينظر ص ١٧٨ .

(٣ - ٣) سقط من : ت ١، ت ٢.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت٣ .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ عقب الأثر (٨٢٩) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد ، وهو فى تفسير مجاهد ص ٢٠٨ بلفظ : الخطيئة يعنى ما يعذب الله عليها.

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ عقب الأثر (٨٢٩) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، (١قال : أخبرَنا معمرٌ١) ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : الخطيئةُ الكبائرُ(٢) .

حدَّثني المُثنى [٣/ ٢٨و] ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا وكيعٌ ويحيى بنُ آدمَ ، عن سَلَّامِ بنِ مِسْكِينٍ ، قال : سأل رَجلٌ الحسَنَ عن قولِه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . فقال : ما نَدرِى ما الخطيئةُ يابُنَىَّ ، اتْلُ القرآنَ ، فكلُّ آيةٍ وعَد اللَّهُ عليها النارَ فهى الخطيئةُ(٣) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوَازِىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبَيْرِىُّ ، قال : ثنا
٣٨٧/١ سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن / مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : كلُّ ذنبٍ مُحِيطٍ فهو ما أوْعَد(٤) اللَّهُ عليه النارَ(٥) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : مات بخطيئتِه .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، قال : ثنا مسعودٌ أبو رَزِينٍ ، عن الربيعِ بنِ خُثَيْمٍ(٦) فى قولِه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : هو الذى

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ .

(٣) فى الأصل : « المحيطة » .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ : « وعد » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٥ إلى وكيع .

(٦) فى م : « خيثم » .

يموتُ على خطيئتِه قبلَ أن يتوبَ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : قال وكيعٌ : سمِعْتُ الأعمشَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : مات بذُنوبِه[(١)] .

حُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : الكبيرةُ المُوجبةُ[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمْرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ : فمات ولم يَتُبْ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجّاجٌ[(٤)] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ . قال : الشركُ . ثم تلا : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [النمل : ٩٠] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه : فأولئك الذين كسَبُوا السّيئاتِ وأحاطَت بهم خَطِيئاتُهم أصحابُ النارِ[(٥)] .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٨ عقب الأثر (٨٢٨) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٥ إلى وكيع .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٨ عقب الأثر (٨٢٨) من طريق عمرو به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حسان » .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هم فيها خالدون » .

ويعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ ﴾ : أهلُ النارِ . وإنما جعَلهم لها أصحابًا ؛ لإيثارِهم - كان فى حياتِهم الدنيا - مِن الأعمالِ ما يُورِدُهُموها ، ويُصْلِيهم[(١)] سعيرَها ، على الأعمالِ التى تُورِدُهم الجنةَ ، فجعَلهم جلَّ ذكرُه بإيثارِهم أسبابَها على أسبابِ الجنةِ لها أصحابًا ، كصاحبِ الرجلِ الذى يَصْحَبُه ، مُؤْثِرًا صُحْبَتَه على صحبةِ غيرِه حتى يُعْرَفَ به .

﴿ هُمۡ فِيهَا ﴾ . [٣/٢٨ظ] يعنى : هم فى النارِ خالدون . ويعنى بقوله : ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ : مقيمون أبدًا[(٢)] .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : [(٣)]حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال[(٣)] : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . أى : خالدون أبدًا[(٤)] .

حدّثنى موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ : لايَخْرُجون منها أبدًا[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ . أى : صدَّقوا بما جاء به محمدٌ ﷺ . ويعنى بقولِه : ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ : أطاعوا اللَّهَ فأقامُوا حدودَه ،

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يوردهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٩ (٨٣٠) من طريق سلمة به . وينظر ص ١٧٨ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٩ عقب الأثر (٨٣٠) من طريق عمرو به .

وأدَّوْا فرائضَه ، واجْتَنَبوا محارمَه . ويعنى بقولِه / : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين هم كذلك ، ٣٨٨/١
﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ . يعنى : أهلُها الذين هم أهلُها ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ مقيمون أبدًا .

وإنما هذه الآيةُ والتى قبلَها إخبارٌ مِن اللَّهِ عبادَه عن بقاءِ النارِ وبقاءِ أهلِها فيها ، (١) وبقاءِ الجنَّةِ وبقاءِ أهلِها فيها (١) ، ودوامِ ما أَعَدَّ (١) اللَّهُ عز وجل (١) فى كلِّ واحدةٍ منهما لأهلِها ، تكذيبًا مِن اللَّهِ القائلين مِن يهودِ بنى إسرائيلَ أن النارَ لن تَمَسَّهم إلَّا أيامًا معدودةً ، وأنَّهم صائرون بعدَ ذلك إلى الجنَّةِ . فأخبرَهم بخلودِ كُفَّارِهم فى النارِ وخلودِ مؤمنيهم فى الجنَّةِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . أى : مَن آمَن بما كفرتم به وعمِل بما تركتُم مِن دينِه ، فلهم الجنةُ خالدين فيها ، يُخْبِرُهم أن الثوابَ بالخيرِ والشرِّ مقيمٌ على أهلِه أبدًا ، لا انقطاعَ له أبدًا[٢] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ : محمدٌ عليه السلامُ وأصحابُه ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ (٨٣٢) من طريق سلمة به . وتقدم أوله فى ص ١٧٨ .

قد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن الميثاقَ « مِفْعَالٌ » ، مِن التوَثُّقِ باليمينِ [٣/ ٢٩و] ونحوِها مِن الأمورِ التى تُؤكدُ القولَ[(١)] .

فمعنى الكلامِ إذن : واذكُرُوا أيضًا يا معشرَ بنى إسرائيلَ إذ أخذْنا ميثاقَكم لا تعبُدون إلَّا اللَّهَ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . أى : ميثاقكم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(٢)] .

والقرَأَةُ مختلِفةٌ فى قراءةِ قولِه : ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ؛ فبعضُهم يَقْرَؤُها بالتاءِ ، وبعضُهم يَقْرَؤُها بالياءِ[(٣)] ، والمعنى فى ذلك واحدٌ ، وإنما جازت القراءةُ بالياءِ والتاءِ ، وأن يُقالَ : ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ، و (لا يَعْبُدون) . وهم غَيَبٌ[(٤)] ؛ لأن أخْذَ الميثاقِ بمعنى الاستحلافِ . فكما تقولُ : استَحْلَفْتُ أخاكَ لَيقومَنَّ . فتُخْبِرُ عنه خبَرَكَ عن الغائبِ لغَيبتِه عنك ، وتقولُ : اسْتَحْلفتُه لَتقُومَنَّ . فتُخْبِرُ عنه خبرَكَ عن المخاطَبِ ؛ لأنك قد كنتَ خاطبتَه بذلك ، فيكونُ ذلك صحيحًا جائزًا . فكذلك قولُه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ﴾ . و (لا يَعْبُدون) . مَن قرَأ
٣٨٩/١ ذلك بالتاءِ ، فبمعنى[(٥)] الخطابِ ، إذ كان الخطابُ قد كان بذلك ، / ومَن قرَأ بالياءِ فلأنهم [(٦)]كانوا غيرَ[(٦)] مخاطَبين بذلك فى وقتِ الخبرِ عنهم .

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٣٩ ، ٢/ ٤٦.
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٥٩ (٨٣٣) من طريق سلمة به .
(٣) قرأ بالتاء نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ بالياء ابن كثير وحمزة والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢.
(٤) ضبطها فى الأصل بفتح الياء ، اسم جمع ، ويجمع أيضا « غُيَّب وغُيَّاب » . ينظر التاج (غ ى ب) .
(٥) فى م : « فمعنى » .
(٦ - ٦) فى م : « ما كانوا » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « كانوا » .

وأمَّا رفعُ (لايَعبدون[١]) . فبالياءِ[٢] التى فى (يَعبدون[١]) . [٣]ولم تُنْصَبْ[٣] بـ « أن » التى كانت تَصْلُحُ أن تَدْخُلَ معَ : (لا يَعبدُونَ[١] إلَّا اللَّهَ) . لأنها إذا صَلَحَ دخولُها على فعْلٍ فحُذِفت ولم تَدْخُلْ ، كان وجهُ الكلامِ فيه الرفعَ ؛ كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّيَ[٤] أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر : ٦٤] . فرُفِع ﴿ أَعْبُدُ ﴾ - إذ لم تَدْخُلْ فيها « أن » - بالألِفِ الدَّالَّةِ على مَعْنى الاستِقْبالِ ، وكما قال الشاعرُ[٥] :

أَلا أيُّهذا الزَّاجِرِى أَحْضُرُ الوَغَى وأنْ أَشْهَدَ اللَّذاتِ هل أنتَ مُخْلِدِى

فرفَع « أَحْضُرُ » - وإن كان يصلُح دخولُ « أَنْ » فيها ، إذ حُذِفت - بالألفِ التى تأتى بمعنى الاستقبالِ .

وإنما صلَح حذْفُ « أن » مِن قولِه : (وإذ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ لا يعْبدُونَ) . لدلالةِ ما ظهَر مِن الكلامِ عليها ، فاكْتُفِى بدلالةِ الظاهرِ عليها منها .

وقد كان بعضُ نحْويِّى أهلِ البصرةِ يقولُ : معنى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ حكايةٌ ؛ كأنك قلتَ : استحلفْناهم لا تعبدون . أى : قلنا لهم : واللَّهِ لا تَعبُدون . أو قالوا : واللَّهِ لا يَعبُدون .

والذى قال مِن ذلك قريبٌ معناه مِن معنى القولِ الذى قلناه فى ذلك .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تعبدون » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فبالتاء » .

(٣ - ٣) فى م : « ولا ينصب » .

(٤) فى الأصل : « تأمروننى » . وهى قراءة ابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ٦٢٥ .

(٥) هو طرفة بن العبد ، والبيت فى ديوانه ص ٣١ .

[٢٩/٣ظ] وبنحوِ التأويلِ الذى قُلْنا فى قولِه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تأوَّلَه أهلُ التأويلِ .

ذكْرُ من تأوَّل ذلك كذلك

حدَّثنى المثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : أخَذ مواثيقَهم أن يُخْلِصوا له وألا يعبُدوا غيرَه[(١)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ . قال : أخذْنا ميثاقَهم أن يُخْلِصوا للهِ وألا يعبُدوا غيرَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ . قال : المِيثاقُ الذى أخَذ عليهم فى « المائدةِ »[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ .

وقولُه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ . عطفٌ على موضعِ « أن » المحذوفةِ فى ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ . فكأنَّ معنى الكلامِ : وإذ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بأن لا تعبُدوا إلا اللَّهَ وبالولدين إحسانًا . فرُفِع ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ لمَّا حُذِفت « أن » ، ثم عُطِف ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ على موضعِها ، كما قال الشاعرُ[(٣)] :

مُعَاوِىَ إنَّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ   فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحَدِيدا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٠ (٨٣٤) من طريق آدم به بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٠ (٨٣٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٣) قيل : عقيبة بن هبيرة ، وقيل : عبد الله بن الزَّبير الأسدى ، وقيل : عمر بن أبى ربيعة . ينظر الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣١٧، والخزانة ٢/ ٢٦٠، وديوان عبد الله بن الزبير (مجموع) ص ١٤٥، وتنظر حاشيته .

فنصَب « الحديدَ » على العطفِ به على موضعِ « الجبالِ » ؛ لأنها لو لم تكن فيها باءٌ خافضةٌ كانت نصبًا ، فعطَف بـ « الحديدِ » على موضعِ[1] « الجبالِ » لا على لفظِها ، فكذلك ما وصَفتُ مِن قولِه : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ .

وأمَّا « الإحسانُ » فمنصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ يؤدِّى عن[2] معناه قولُه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3] . إذ كان مفهومًا معناه ، فكأنَّ معنى الكلامِ لو أُظْهِر / المحذوفُ : وإذ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بأن لاتعبُدوا إلَّا اللَّهَ ، وبأن تُحْسِنوا إلى الوالدينِ إحْسانًا . فاكْتُفِى [٣/٣٠و] بقولِه : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ من أن يقالَ : وبأن تُحْسِنُوا إلى الوالِدَيْن إحْسَانًا ؛ إذ كان مفهومًا أن ذلك معناه بما ظهَر مِن الكلامِ . ١/٣٩٠

وقد زعم بعضُ أهلِ العربيةِ فى ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسِنوا إحسانًا . فجعَل الباءَ التى فى « الوالِدَين » من صلةِ « الإحسانِ » مقدَّمةً عَليه .

وقال آخَرون : بل معنى ذلك : ألا تعبُدوا إلَّا اللَّهَ ، وأحْسِنوا بالوالدينِ إحسانًا . فزعَموا أن الباءَ التى فى « الوالدينِ » مِن صلةِ المحذوفِ ، أعنى مِن[2] « أَحْسِنوا » ، فجعَلوا ذلك مِن كلامينِ . وإنما يُصْرَفُ الكلامُ إلى ما ادَّعَوْا مِن ذلك إذا لم يُوجَدْ لاتِّساقِ الكلامِ على كلامٍ واحدٍ وجْهٌ . فأمَّا وللكلامِ وجْهٌ مفهومٌ على اتِّساقِ[4] على كلامٍ واحدٍ ، فلا وجهَ لصرفِه إلى كلامينِ . وأَحْرَى[5] أن القولَ فى ذلك لو كان على ما قالوا القيل : وإلى الوالدَيْنِ إحسانًا . لأنه إنما يقالُ : أحسَنَ فلانٌ إلى والديْه . ولا يقالُ :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « معنى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) فى م : « اتساقه » .

(٥) فى م : « أخرى » .

أحسَن بوالديه . إلا على استكراهٍ للكلامِ ، ولكنِ القولُ فيه ما قلنا ، وهو : وإذ أخذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بكذا وبالوالدينِ إحسانًا . على ما بيَّنَّا قبلُ ، فيكونُ « الإحسانُ » حينَئذٍ مصدرًا مِن معنى[(١)] الكلامِ لا مِن لفظِه ، كما قد بيَّنَّا فيما مضَى مِن نظائرِه[(٢)] .

فإن قال قائلٌ : وما ذلك الإحسانُ الذى أخَذ عليهم بالوالدين الميثاقَ ؟

قيل : نظيرُ ما فرَض اللَّهُ على أُمَّتِنا لهما مِن فعْلِ المعروفِ بهما ، والقولِ الجميلِ ، وخفْضِ جَناحِ الذُّلِّ رحمةً بهما ، والتَّحنُّنِ عليهما ، والرأفةِ بهما ، والدعاءِ بالخيرِ لهما ، وما أشبهَ ذلك مِن الأفعالِ التى ندَبَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ عبادَه أن يفعَلوا بهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ : وبذى القُربى أن يصلُوا قرابتَه منهم ورحمَه .

و « القُرْبَى » مصدرٌ على تقديرِ « فُعْلَى » ، من قولِك : قرُبتْ منِّى رَحمُ فلانٍ قرابةً وقُرْبى [(٣)]وقُربةً[(٣)] وقُرْبًا . بمعنًى واحدٍ .

وأمَّا « اليتامى » فهو جمعُ يتيمٍ ، مثلُ أسيرٍ وأَسارى ، ويَدْخُلُ فى اليتامى الذكورُ منهم والإناثُ .

فمَعنى ذلك : وإذ أخذْنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ بأن لا تعبُدوا إلَّا اللَّهَ وحدَه دونَ مَا[(٤)] سواه مِن الأندادِ ، وبالوالدين إحسانًا ، وبذى القُرْبَى ؛ أن تَصِلوا رَحمَه ، وتَعرِفُوا حَقَّه ، وباليتامى ؛ أن تتعَطَّفوا عليهم بالرحمةِ والرأفةِ ، وبالمساكينِ ؛ أن

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٣٧ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

تُؤْتُوهم حقوقَهم التى ألزمَها [٣/٣٠ظ] اللَّهُ عزَّ وجلَّ أموالَكم .

و « المسكينُ » هو المُتَخَشِّعُ المُتَذَلِّلُ مِن الفاقةِ والحاجةِ ، وهو « مِفْعِيلٌ » مِن المَسْكَنَةِ ، والمسكنةُ هى ذُلُّ الحاجةِ والفاقةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : كيف قيل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . فأُخْرِج الكلامُ أمرًا ولمَّا يَتَقَدَّمْه أمرٌ ، بل الكلامُ جارٍ مِن أوَّلِ الآيةِ مَجْرَى الخبرِ ؟

قيل : إن الكلامَ وإن كان قد جرَى فى أولِ الآيةِ مَجْرَى الخبرِ ، فإنه مِمَّا يَحْسُنُ فى موضعِهِ الخطابُ بالأمرِ والنهيِ ، فلو كان مكانَ ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ، « لا تَعْبُدُوا إلَّا اللَّهَ » . على وجْهِ النهيِ مِن اللَّهِ لهم عن عبادةِ غيرِه – كان حسنًا صوابًا ، وقد ذُكِر أن ذلك كذلك فى قراءةِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ [١] ، وإنما حسُن ذلك وجاز لو كان مقروءًا به ؛ لأن أخذَ الميثاقِ قولٌ ، فكأنَّ [٢] معنى الكلامِ – لو كان / مقروءًا كذلك – : ٣٩١/١
وإذ قلنا لبنى إسرائيلَ : لا تعبدُوا إلا اللَّهَ . كما قال جلَّ ثناؤُه فى موضعٍ آخرَ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة : ٦٣] . [٣] فتُلُقِّى ذلك بالأمرِ ، كما تقولُ : قُلنا لهم : خُذوا ما آتيناكم بقوةٍ [٣] . فلما كان حَسَنًا وضعُ الأمرِ والنهيِ فى موضعِ ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ عطَف بقولِه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ على موضعِ ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾ [٤] – وإن كان مخالفًا لفظُ [٥] كُلِّ واحدٍ منهما ومعناه معنى صاحبِه [٦] – لما وصَفنا مِن جوازِ وضعِ الخطابِ بالأمرِ والنهيِ موضعَ

(١) وهى قراءة شاذة ، ينظر البحر المحيط ١/ ٢٨٢.

(٢) فى م : « فكان » .

(٣ – ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « لا تعبدون » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « ما فيه » .

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ . فكأنه قيل : وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيلَ لا تعبدوا إلا اللَّهَ ، وقولوا للناسِ حسنًا . وهو نظيرُ ما قدَّمنا البيانَ عنه ، مِن أن العربَ تَبتَدِئُ الكلامَ أحيانًا على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ فى مواضعِ الحكاياتِ عَمّا[1] أَخْبَرَتْ عنه ، ثم تعودُ إلى الخبرِ على وجهِ الخطابِ ، وتَبتَدِئُ أحيانًا على وجهِ الخطابِ ، ثم تعودُ إلى الإخبارِ على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ ، لما فى الحكايةِ مِن المَعْنَيَيْنِ ، كما قال الشاعرُ[2] .

أَسِيئِى بِنا أَوْ أَحْسِنِى لا مَلُومَةً لَدَيْنا وَلَا مَقْلِيةً إنْ تَقَلَّتِ

يعنى : تقلَّيْتِ .

وأمَّا « الحُسْنُ » **فإن القَرَأَةَ اخْتَلَفت فى قراءتِه** ؛ فقرَأتْه عامَّةُ قَرَأَةِ أهلِ الكوفةِ غيرَ عاصمٍ : (وقُولُوا للنّاسِ حَسَنًا) بفتحِ الحاءِ والسينِ[3] .

وقرأتْه عامَّةُ قَرَأَةِ أهلِ المدينةِ : ﴿حُسْنًا﴾ بضمِّ الحاءِ وتسكينِ السينِ[4] .

وقد رُوِى عن بعضِ القَرَأَةِ أنه كان يقرؤُها : (وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنَى) . على مثالِ « فُعْلَى »[5] .

واخْتَلف أهلُ العربيةِ فى فرْقِ ما بينَ معنى قولِه : (حَسَنًا) ، و﴿حُسْنًا﴾ ؛ فقال بعضُ البصريِّين : هو على أحدِ وجهينِ ؛ إمَّا أن يكونَ يُرادُ بـ« الحُسْنِ » : « الحَسَنُ » ، لكنها[6] لغةٌ ، كما [٣١/٣و] تقولُ : « البُخْلُ » و « البَخَلُ » . وإمَّا أن يكونَ جُعِلَ « الحُسْنُ » هو « الحَسَنَ » فى التشبيهِ ، وذلك أن الحُسنَ مصدرٌ ،

---

(١) فى م : « كما » .

(٢) هو كثير عزة ، والبيت فى ديوانه (مجموع) ص ١٠١ .

(٣) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢ .

(٤) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع وعاصم وابن عامر . السابق .

(٥) وهى قراءة أُبى وطلحة بن مصرف . البحر المحيط ١/ ٢٨٤، ٢٨٥. وهى قراءة شاذة .

(٦) فى م : « كلاهما » ، وفى ت ٢: « كلهما » ، وفى ت ١، ت ٣: « وكلها » .

و « الحَسَنَ » هو الشيءُ الحَسَنُ ، فيكونُ ذلك حينئذٍ كقولِك : إنما أنت أَكْلٌ وشُرْبٌ . كما[1] قال الشاعرُ[2] :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ[3] لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجِيعُ

فجعَل التحيةَ ضربًا .

وقال آخرُ : بل « الحُسْنُ » هو الاسمُ العامُّ الجامعُ جميعَ معانى الحُسْنِ ، و« الحَسَنُ » هو البعضُ مِن معانى « الحُسْنِ » . قال : وكذلك[4] قال جلَّ ثناؤه إذْ أوصَى بالوالدين : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] . يعنى بذلك أنه وصَّاه فيهما[5] بجميعِ معانى « الحُسْنِ » ، وأمَره فى سائرِ الناسِ ببعضِ الذى أمَره به فى والديْه ، فقال : (وَقُولُوا للنَّاسِ حَسَنًا) . يعنى بذلك بعضَ معانى الحُسْنِ .

والذى قاله هذا القائلُ فى معنى « الحُسْنِ » - بضم الحاءِ وسكونِ السين - غيرُ بعيدٍ مِن الصوابِ ، وأنه اسمٌ لنوعِه الذى سُمِّىَ به . وأمَّا « الحَسَنُ » فهو صفةٌ[6] ونَعْتٌ[6] لما وُصِف به ، وذلك يَقَعُ لخاصٍّ[7] . وإذا كان الأمرُ كذلك ، فالصوابُ مِن القراءةِ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ : (حَسَنًا) ؛ لأن القومَ إنما أُمِروا - فى هذا العهدِ الذى قيل لهم : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ - باستعمالِ الحَسَنِ من القولِ دونَ سائرِ معانى الحُسْنِ ، الذى يكونُ بغيرِ القولِ ، وذلك نَعْتٌ

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وكما » .

(٢) هو عمرو بن معديكرب ، والبيت فى ديوانه المجموع ص ١٣٠ .

(٣) دلفت : مشيت .

(٤) فى م ، ت ١، ت ١، ت ٣: « لذلك » .

(٥) فى الأصل ، ت ٢، ت ٣: « فيه » .

(٦ - ٦) فى م : « وقعت » .

(٧) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بخاص » .

لخاصٍّ مِن معانى الحُسْنِ وهو القولُ ، فلذلك اخترتُ قراءتَه بفتحِ الحاءِ والسينِ ، على قراءتِه بضمِّ الحاءِ وسكونِ السينِ[1] .

وأمّا الذى قرأ ذلك : (وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنَى) . فإنه خالَف بقراءتِه إيّاه كذلك قراءةَ أهلِ الإسلامِ ، وكفَى شاهدًا على خطأَ القراءةِ بها كذلك خروجُها مِن قراءةِ
٣٩٢/١ أهلِ الإسلامِ لو لم يكنْ على خطئِها شاهدٌ غيرُه . /فكيف وهى مع ذلك خارجةٌ مِن المعروفِ مِن كلامِ العربِ ، وذلك أن العربَ لا تَكادُ أن تتكلَّمَ بـ « فُعْلَى » و « أفْعَلَ » إلا بالألفِ واللامِ أو بالإضافةِ ، لا تقولُ : جاءنى أحسنُ . حتى يَقُولوا : الأحسنُ . ولا : أجملُ . حتى يَقولُوا : الأجملُ . وذلك أن « الأفْعَل » و « الفُعْلَى » لا يَكادان يُوجَدان صفةً إلا لمعْهودٍ معروفٍ ، كما تقولُ : بل أخوك الأحسنُ ، و : بل أختُك الحُسْنَى . وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ : امرأةٌ حُسْنَى ، ورجلٌ أحسنُ .

وأمّا تأويلُ القولِ الحَسَنِ الذى أمَر اللَّهُ به جلَّ ثناؤُه الذين وصَف أمْرَهم مِن بنى إسرائيلَ فى هذه الآيةِ أن[2] يَقُولوه للناسِ ، فهو ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أمَرَهم أيضًا بعدَ هذا الخُلُقِ أن يَقُولوا للناسِ حسنًا ؛ أن يَأْمُروا بـ « لا إلهَ إلا اللَّهُ » مَن لم يَقُلْها ورغِب عنها ، حتى يَقُولوها كما قالوها ، فإن ذلك قُرْبةٌ لهم مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه . [3]قال : والحسَنُ[3] أيضًا[4] ليِّنُ القولِ ، مِن الأدبِ الحسنِ الجميلِ ، والخُلُقِ الكريمِ ، وهو مما ارْتَضاه اللَّهُ وأحَبَّه[5] .

---

(١) القراءات واختياراتها لا تثبت بمثل هذا التعليل وإنما تثبت بالتواتر والنقل الصحيح عن النبى ﷺ .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « لأن » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقال الحسن » .

(٤) بعده فى الأصل : « من » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى المصنف نحوه مختصرا ، وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦١/١ (٨٤٦) نحو آخره عن الحسن .

حدَّثنا [٣/٣١ظ] المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيع ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ . قال : يَقولُ : قولوا للناسِ معروفًا[(١)] .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، فى قولِه : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ . قال : صِدقًا فى شأنِ محمدٍ ﷺ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن يزيدَ بنِ هارونَ ، قال : سَمِعْتُ سفيانَ الثَّوْرِىَّ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ . قال : مُرُوهم بالمعروفِ ، وانْهَوْهم عن المُنكرِ[(٣)] .

حدَّثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأصَمُّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المحارِبِىُّ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ بنُ أبى سُليمانَ ، قال : سأَلْتُ عطاءَ بنَ أبى رَباحٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ . قال : مَن لَقِيتَ مِن الناسِ ، فقُلْ له حَسَنًا مِن القولِ . قال : وسأَلْتُ أبا جعفرٍ فقال مثلَ ذلك .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ[(٤)] ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الملكِ ، عن أبى جعفرٍ وعطاءِ بنِ أبى رَباحٍ فى قولِه : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ . قال : للناسِ كلِّهم[(٥)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الملكِ ، عن عَطاءٍ مثلَه[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦١ (٨٤٣) من طريق آدم به .

(٢) ذكره ابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٢ معلقًا .

(٣) ذكره النحاس فى ناسخه ص ١٠٣ معلقًا .

(٤) فى م : « القاسم » ، وفى ت ٢: « نعيم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦١ (٨٤٤) ، وابن أبى الدنيا فى الصمت (٣٠٤) من طريق عبد الملك بن سليمان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٥ إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت (٣٠٨) ، وفى مداراة الناس (١٠٦) من طريق عبد الملك به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : أدُّوها بحدودِها[١] الواجبةِ عليكم فيها .

كما حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ[٢] ، قال : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : [٣]فى هذه الأخلاقِ[٣] ، وإقامةُ الصلاةِ تمامُ الركوعِ والسجودِ والتِّلاوةِ والخشوعِ ، والإقْبالُ عليها فيها[٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

قد بيَّنَّا فيما مضَى قبلُ معنى الزكاةِ وما أصلُها[٥] .

وأما الزكاةُ التى كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أمَر بها بنى إسرائيلَ الذين ذكَر أمْرَهم فى
١/٣٩٣ هذه الآيةِ ، فهى ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا/ عثمانُ ، عن بشرٍ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ . قال : إيتاءُ الزكاةِ ما كان اللَّهُ فرَض عليهم فى أموالِهم مِن الزكاةِ ، وهى سُنَّةٌ كانت لهم غيرُ سُنَّةِ محمدٍ ﷺ ، كانت زكاةُ أموالِهم قُرْبانًا تَهْبِطُ إليه [٣٢/٣و] نارٌ فتحمِلُها ، فكان ذلك تَقَبُّلَه ، ومَن لم تَفْعَلِ النارُ به ذلك كان غيرَ مُتَقَبَّلٍ ، وكان الذى قرَّب مِن مَكْسَبٍ لا يَحِلُّ مِن ظُلْمٍ أو غَشْمٍ ، أو أخْذٍ بغيرِ ما أمَره اللَّهُ عز وجل به وبيَّنه له .

---

(١) فى م : « بحقوقها » .

(٢) فى م : « مسعود » .

(٣ - ٣) فى م : « هذه » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فى هذه » ثم بياض بمقدار كلمة .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢٤٨/١ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٦١١/١ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليٍّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ : يعنى بالزكاةِ طاعةَ اللَّهِ تعالى ذكرُه والإخلاصَ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن يهودِ بنى إسرائيلَ ، أنهم نكَثوا عهدَه ، ونقَضوا مِيثاقَه ، بعدَ ما أخَذ مِيثاقَهم على الوفاءِ له بأن لا يَعْبُدوا غيرَه ، وبأن يُحْسِنوا إلى الآباءِ والأمهاتِ ، ويَصِلوا الأرْحامَ ، ويَتَعَطَّفوا على الأيْتامِ ، ويُؤَدُّوا حُقوقَ أهلِ المَسْكَنةِ إليهم ، ويَأْمُرُوا عبادَه بما أمَرَهم اللَّهُ به ، ويَحُثُّوهم على طاعتِه ، ويُقِيموا الصلاةَ بحُدودِها وفَرائضِها ، ويُؤْتوا زَكَواتِ أموالِهم ، فخالَفوا أمْرَه فى ذلك كلِّه ، وتوَلَّوْا عنه مُعْرِضِين ، إلا مَن عصَم اللَّهُ منهم ، فوَفَى للَّهِ بعهدِه وميثاقِه .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ ، عن بشرٍ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما فرَض اللَّهُ عليهم - يعنى على هؤلاء الذين وصَف اللَّهُ أمْرَهم فى كتابِه مِن بنى إسرائيلَ - هذا الذى ذكَر أنه أخَذ مِيثاقَهم به ، أعْرَضوا عنه اسْتِثْقالًا له[(٢)] وكَراهيةً ، وطلَبوا ما خفَّ عليهم ، إلا قليلًا منهم ، وهم الذين استثْنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه فقال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ . يقولُ : أعْرَضْتُم عن طاعتى ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ . قال : القَليلُ الذين اخْتَرْتُهم لطاعتى ، وسيَحِلُّ عِقابى بمَن تَوَلَّى وأعْرَض عنها . يقولُ : ترَكها اسْتِخْفافًا بها[(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٩/١ (٤٦٤) من طريق أبى صالح به .

(٢) سقط من : م .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٦/١ إلى المصنف .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : (١) ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال (١) : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، أو عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ : أى : تركْتُم ذلك كلَّه (٢) .

وقال بعضُهم : عنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ اليهودَ الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعنَى بسائرِ الآيةِ أسْلافَهم . كأنه ذهَب إلى أن معنى الكلامِ : ثم تولَّيتم إلا قليلًا [٣٢/٣ظ] منكم ، ثم تولَّى سَلَفُكم إلا قليلًا منهم . ولكنه جُعِل خِطابًا لبقايا نَسْلِهم - على ما قد ذكَرْناه فيما مضَى قبلُ (٣) - ثم قال : وأنتم معشرَ بَقاياهم مُعْرِضون أيضًا عن الميثاقِ الذى أخَذْتُه عليكم بذلك ، وتارِكوه تَرْكَ أوائلِكم .

وقال آخرون : بل قولُه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ خطابٌ لمَن /كان بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من يهودِ بنى ١/٣٩٤
إسرائيلَ ، وذَمٌّ لهم بنقضِهم الميثاقَ الذى أُخِذ عليهم فى التوراةِ وتبديلِهم أمرَ اللَّهِ وركوبِهم معاصيَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ .

وقولُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ . فى المعنى والإعرابِ نظيرُ قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٢ (٨٥٠) من طريق سلمة به .

(٣) تقدم فى ١/ ٦٤٢ - ٦٤٣ .

وأمّا سَفْكُ الدمِ ، فإنه صَبُّه وإراقتُه .

فإن قال قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ . وقال : أوَكان القومُ يَقْتُلُون أنفسَهم ، ويُخْرِجُونَها من ديارِها ، فيُنْهَوا عن ذلك ؟

قيل : ليس الأمرُ فى ذلك على ما ظَنَنْتَ ، ولكن نُهُوا عن أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا ، فكان فى قتلِ الرجلِ منهم الرجلَ منهم قتلُ نفسِه ، إذ كانت مِلَّتُهما[(1] واحدةً ، ودينُهما واحدًا ، وكأنَّ أهلَ الدينِ الواحدِ فى ولايةِ بعضِهم بعضًا[1)] بمنزلةِ رجلٍ واحدٍ ، كما قال ﷺ : « إنّما المؤمنون فى تَراحُمِهم وتَعاطُفِهم بينَهم بمنزلةِ[(2] الجسدِ الواحدِ[2)] ، إذا اشْتَكَى[(3] منه عُضوٌ[3)] تداعَى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ »[4] .

وقد يجوزُ أن يكونَ معنى قولِه : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ أى : لا يَقْتُلُ الرجلُ منكم[(5] الرجلَ منكم[5)] ، فيُقادَ به قِصاصًا ، فيكونَ بذلك قاتلًا نفسَه ؛ لأنه كان الذى سبَّب لنفسِه ما استحقَّتْ به القتلَ ، فأُضِيف إليه بذلك قتلُ ولىِّ المقتولِ إياه قِصاصًا بوليِّه ، كما يقالُ للرجلِ يَرْكَبُ فعلًا من الأفعالِ يَسْتَحِقُّ به العقوبةَ فيعاقَبُ[6] : أنت جَنَيْتَ هذا على نفسِك .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ت ٢ : « رجل واحد » .

(٣ - ٣) فى م : « بعضه » .

(٤) أخرجه البخارى (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ، وقد ذكره المصنف هنا بمعناه .

(٥ - ٥) سقط من : ت ٢.

(٦) بعده فى م ، ت ١ : « العقوبة » ، وفى ت٢ : « به العقوبة » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ [٣/٣٣و] دِمَآءَكُمْ ﴾ أى : لا يقتلُ بعضُكم بعضًا ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ ونفسُك يا بنَ آدمَ أهلُ مِلَّتِك[(١)] .

حدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جَعْفَرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ . يقولُ : لا يقتلُ بَعْضُكم بَعْضًا ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ . يقولُ : لا يُخْرِجْ بعْضُكم بعضًا من الديارِ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ . يقولُ : لا يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا .

[(٣)] **حُدِّثتُ** عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ .يقولُ : لا يقتلُ بعضُكم بعضًا[(٣)] بغيرِ حقٍّ ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ فتَسفِكَ يا بنَ آدمَ دماءَ أهلِ مِلَّتِك ودعوتِك .

١/٣٩٥ **/القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ .**

يعنى بقولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ [(٣)]أى : أقررتُم[(٣)] بالميثاقِ الذى أَخَذْنا

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٣/١ عقب الأثر (٨٥٢) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٢، ١٦٣ (٨٥١، ٨٥٣) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

عليكم (١)ألا تَسْفِكُوا(١) دماءَكُم ولا تُخْرِجوا أنفسَكُم مِن ديارِكُم .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . يقولُ : أقررْتم بهذا الميثاقِ(٢) .

حُدِّثْت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ في من خُوطِب بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك خطابٌ من اللَّهِ جلّ وعزّ لليهودِ الذين كانوا بين ظهرانَيْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أيامَ هجرتِه إليه مُؤَنِّبًا لهم على تضييعِهم أحكامَ ما في أيدِيهم مِن التوراةِ التي كانوا يُقِرُّون بحُكْمِها ، فقال اللَّهُ عزَّ وجل لهم : ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . يعني بذلك : أقرَّ(٣) أوائلُكم وسلفُكم ، ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ على إقرارِهم بأخذِ الميثاقِ عليهم بأن لا يَسْفِكوا دماءَهم ، ولا يُخْرِجوا أنفسَهم من ديارِهم ، (٤)وتُصَدِّقون(٤) بأنَّ ذلك حقٌّ مِن ميثاقي عليكم(٥) . وممن حُكِي هذا القولُ عنه ابنُ عباسٍ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ [٣/٣٣ظ] لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ

(١ - ١) في م ، ت ٢، ت ٣: « لا تسفكون » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٦٣ (٨٥٥) من طريق آدم به .

(٣) في م : « إقرار » .

(٤ - ٤) في م : « ويصدقون » .

(٥) في م : « عليهم » .

وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ : علَى أنَّ هذا حقٌّ من ميثاقِى عليكم[(١)] .

وقال آخرون : بل ذلك خَبرٌ من اللَّهِ جلّ وعزّ عن أوائِلِهم ، ولكنه تعالى ذكرُه أخرَج الخبرَ بذلك عنهم مُخْرَجَ المخاطبةِ على النحوِ الذى وَصَفْنا فى سائرِ الآياتِ التى هى نظائرُها ، التى قد بيَّنّا تأويلَها فيما مضَى[(٢)] .

وتأوَّلُوا قولَه : ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ بمعنى : وأنتم شُهودٌ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ يقولُ : وأنتم شهودٌ .

وأولى الأقاويلِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ عندِى أن يكونَ ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ خبرًا عن أسلافِهم ، وداخلًا فيه المخاطَبون به[(٣)] الذين أَدْرَكُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كما كان قولُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ خبرًا عن أسلافِهم وإن[(٤)] كان خطابًا للذين أدْرَكُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ؛ لأن اللَّهَ عزّ ذكرُه أخذ ميثاقَ الذين كانوا على
٣٩٦/١ عهدِ موسى عليه السلامُ/ من بنى إسرائيلَ على سبيلِ ما قد بيَّنه لنا فى كِتابِه ، فألْزَمَ جَميعَ مَن بعدَهم مِن ذُرِّيَّتِهِم مِن حُكْمِ التوراةِ مثلَ الذى أَلْزَم منه مَن كان على عهدِ موسى عليه السلامُ منهم ، ثم أَنَّب الذين خاطبَهم بهذه الآياتِ على نقضِهم ونقضِ سلفِهم ذلك الميثاقَ ، وتبديلِهم[(٥)] ما وَكَّدوا على أنفسِهم له بالوفاءِ من العهودِ بقولِه :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٤) من طريق سلمة به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٦٤٢/١ ، ٦٤٣.

(٣) فى م : « منهم » .

(٤) فى م : « بأن » .

(٥) فى م ، ت ٢: « تكذيبهم » .

﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وإن كان خارجًا على وجهِ الخطابِ للذين كانوا على عهدِ نبيِّنا ﷺ منهم ، فإنَّه معنيٌّ به كلُّ مَن أقَرَّ[(١)] بالميثاقِ منهم على عهدِ موسى عليه السلامُ ومَن بعدَه ، وكلُّ مَن شَهِد منهم بتصديقِ ما فى التوراةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه لم يَخْصُصْ بقولِه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وما أشبهَ ذلك من الآيِ بعضَهم دون بعضٍ ، والآيةُ محتمِلةٌ أن يكونَ أُريدَ بها جميعُهم ، فإذ كان ذلك كذلك ، فليس لأحدٍ أن يَدَّعِىَ أنه أريدَ بها بعضٌ منهم دونَ بعضٍ ، وكذلك حكمُ الآيةِ التى بعدَها ، أعنى قولَه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية ؛ لأنه قد ذُكِر أن أوائلَهم قد كانوا يفعلُون من ذلك ما كان يفعلُه أواخرُهم الذين أدركوا عصرَ نبيِّنا ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ [٣٤/٣و] وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ .

ويَتَّجِهُ قولُه جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ ﴾ وجهين ؛ أحدُهما ، أن يكونَ أُريدَ به : ثم أنتم يا هؤلاء . فترَك « يا » استغناءً بدَلالةِ الكلامِ عليه ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [يوسف : ٢٩] . وتأويلُه : يا يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا . فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : ثم أنتم[(٢)] يامعشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ ، بعد إقرارِكم بالميثاقِ الذى أخذْتُه عليكم [(٣)]ألا تَسْفِكوا[(٣)] دماءَكم ، ولا تُخْرِجوا[(٤)] أنفسَكم من ديارِكم[(٥)] ، وبعد شهادتِكم على أنفسِكم بأن ذلك حقٌّ لى عليكم لازمٌ لكم الوفاءُ لى به - تَقْتلون

(١) فى م : « واثق » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) فى م : « لا تسفكون » .
(٤) فى م : « تخرجون » .
(٥) بعده فى م : « ثم أقررتم » .

أنفسَكم وتُخْرِجون فريقًا منكم من ديارِهم ، متعاونين عليهم[1] في إخراجِكم إياهم بالإثمِ والعدوانِ . والتعاونُ هو التظاهرُ . وإنما قيل للتعاونِ: التظاهرُ . لتقويةِ بعضِهم ظهرَ بعضٍ ، فهو تفاعُلٌ من الظَّهْرِ ، وهو مساندةُ بعضِهم ظهرَه إلى ظهرِ بعضٍ .

والوجهُ الآخرُ أن يكونَ معناه : ثم أنتم ، القومَ[2] ، تَقْتلون أنفسَكم ، فيَرْجعُ إلى الخبرِ عن « أنتم » ، وقد اعْتُرِضَ بينهم وبين الخبرِ عنهم بـ « هؤلاء » ، كما تقولُ العربُ : أنا ذا أقوم ، أنا ذا أَجْلِسُ . ولو قيل : أنا هذا يَجْلِسُ . كان صحيحًا جائزًا ، وكذلك : أنت ذاك تقومُ .

وقد زعَم بعضُ البصريين أن قولَه : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ . في قولِه : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ
٣٩٧/١ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [3]تنبيهٌ وتوكيدٌ[3] لـ ﴿أَنتُمْ﴾ . وزعَم/ أنَّ « أنتم » وإن كانت كنايةَ أسماءِ جماعِ المخاطَبين ، فإنما جاز أن يؤكَّدوا بـ « هؤلاء » - [4]و « هؤلاء » لا يؤكدُ بها[4] عن مخاطَبين - كما قال خُفافُ ابنُ نُدْبَةَ[5] :

أقولُ له والرُّمحُ يَأْطِرُ مَتْنَه تأمَّلْ[6] خُفافًا إنَّنى أنا ذَلكا

يريد : أنا هذا[7] . وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس : ٢٢] .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ في مَن عُنِيَ بهذه الآيةِ نحوَ اختلافِهم في من عُنِيَ بقولِه :

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢: « عليه » .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢: « قوم » .

(٣ - ٣) في حاشية الأصل : « في الأم : تنبيه لا توكيد » .

(٤ - ٤) في م : « وأولى لأنها كناية » ، وفي ت١ ، ت٢ : « وأولى لا يكنى بها » .

(٥) تقدم في ١/ ٢٣٠ .

(٦) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « تبين » .

(٧) في الأصل : « هو » .

﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ .

ذكرُ اختلافِ المختلِفين فى ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ : أى : أهلَ الشركِ حتى تَسْفِكوا دماءَهم معهم وتُخْرِجوهم من ديارِهم معهم ، فقال : ابْتَلاهُم[1] اللَّهُ بذلك[2] مِن فعلِهم ، وقد حرَّم عليهم فى التوراةِ سفكَ دمائِهم ، وافترضَ عليهم فيها فداءَ أَسْراهم ، فكانوا فريقَيْن ؛ طائفةٌ منهم بنو قينقاعَ ولِفُّهم[3] حلفاءُ الخزرجِ ، [٣٤/٣ظ] والنضيرُ وقريظةُ ولِفُّهم[3] حلفاءُ الأوسِ ، فكانوا إذا كانت بين الأوْسِ والخزرجِ حربٌ خرجتْ بنو قينقاعَ مع الخزرجِ ، وخرجتِ النضيرُ وقريظةُ مع الأوسِ ، يُظاهرُ كلُّ واحدٍ من الفريقَيْن حلفاءَه على إخوانِه حتى يَتَسافكوا دماءَهم بينهم ، وبأيديهم التوراةُ يَعْرِفون منها ما عليهم وما لهم ، والأوسُ والخزرجُ أهلُ شركٍ يَعبدون الأوثانَ لا يَعْرِفون جنةً ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامةً ، ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالًا ، فإذا وَضَعتِ الحربُ أوزارَها افتدَوْا أَسْراهم ، تصديقًا لما فى التوراةِ وأخذًا به بعضُهم من بعضٍ . يَفْتَدِى بنو قينقاعَ ما كان من أَسْراهم فى أيدى الأوسِ ، وتَفْتَدِى النضيرُ وقريظةُ ما كان فى أيدى الخزرجِ منهم ، ويُطِلُّون[4] ما أصابُوا من الدماءِ ، وقتَلوا مَن قتَلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرةً لأهلِ الشركِ عليهم ، يقولُ اللَّهُ عز وجل حين أنْبَأَهم بذلك : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « أنبهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٣) سقط من : م . واللِّفُّ : الحزب والطائفة ، والقوم المجتمعون . والجمع لُفوف وألفاف . التاج (ل ف ف) .

(٤) الطلّ : هدر الدم ، وقيل : هو ألا يثأر به أو تقبل ديته . اللسان (ط ل ل) .

﴿بِبَعْضٍ﴾ أى : (١) يُفادِيه بحُكْمِ التوراةِ ، ويقتُلُه ، وفى حكمِ التوراةِ ألا يفعَلَ ، ويُخرِجُه من دارِه ، ويُظاهِرُ (١) عليه مَن يُشرِكُ باللَّهِ ويعبدُ الأوثانَ من دونِه ابتغاءَ عَرَضِ الدنيا . ففى ذلك من فعلِهم مع الأوسِ والخزرجِ - فيما بلغنى - نزلتْ هذه القصةُ (٢) .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ . قال : إن اللَّهَ جلَّ ذكرُه أخذ على بنى إسرائيلَ فى التوراةِ ألا يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا ، وأيُّما عبدٍ أو أمةٍ وجَدْتموه من بنى إسرائيلَ فاشتَرُوه بما (٣) قام ثَمَنُه (٣) فأَعْتِقوه ، فكانت قريظةُ حلفاءَ الأوسِ ، والنضيرُ حلفاءَ الخزرجِ ، فكانوا يَقْتَتِلُون فى حربِ سُمَيْرٍ (٤) ، فتقاتلُ بنو قريظةَ مع حلفائِها النضيرَ وحلفاءَها ، وكانت النضيرُ تُقاتِلُ قريظةَ وحلفاءَها ويَغْلِبونَهم ، فيُخْرِبون ديارَهم ويُخْرِجونَهم منها ، فإذا أُسِر رجلٌ من الفريقَيْن كليهِما ، جَمَعوا له حتى يَفْدُوه ،
٣٩٨/١ فتُعَيِّرُهم العربُ بذلك ، ويقولون : كيف تقاتلونهم وتَفْدونهم ؟ قالوا : /إنا أُمِرْنا أن نَفْدِيَهم وحُرِّم علينا قتالُهم . قالوا : فَلِمَ تُقاتلُونهم ؟ قالوا : إنا نَسْتَحْيِى أن يُستَذَلَّ حلفاؤُنا . فذلك حين عَيَّرهم اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، فقال : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (٥) .

(١ - ١) فى م : « تفادونه بحكم التوارة وتقتلونه وفى حكم التوراة ألا يقتل ولا يخرج من ذلك ولا يظاهر » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٦٣ - ١٦٦ (٨٥٦، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦٤، ٨٦٧، ٨٧٠) مفرقًا من طريق سلمة به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قدم يمينه » وبما قام ثمنه . يريد : بما بلغه ثمنه . يقال : كم قامت ناقتك ؟ أى كم بلغت . وقد قامت الأمةُ مائةَ دينار . أى بلغ قيمتها مائة دينار . اللسان (ق و م) .

(٤) سمير : رجل من بنى عمرو بن عوف . وينظر خبر هذه الحرب فى الكامل لابن الأثير ١/ ٦٥٨، والأغانى ٣/ ١٨. وسيذكره المصنف مرة أخرى فى تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٦٣ (٨٥٢، ٨٥٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : كانت قريظةُ والنضيرُ أخوَيْن ، وكانوا بهذه البلدةِ[1] ، وكان الكتابُ بأيديهم ، وكانت الأوسُ والخزرجُ أخوَيْن فافترَقا ، وافترَقَتْ قريظةُ والنضيرُ ، فكانت النضيرُ مع الخزرجِ ، وكانت قريظةُ مع الأوسِ . قال : فاقْتَتلوا ، وكان بعضُهم يَقْتُلُ بعضًا ، فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ﴾ الآية .

[٣٥/٣ظ] **وقال آخرون** بما **حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : كان فى بنى إسرائيلَ إذا اسْتَضْعَفوا قومًا أَخْرَجوهم من ديارِهم ، وقد أُخِذ عليْهم الميثاقُ ألا يَسفِكوا دماءَهم ، ولا يُخْرِجوا أنفسَهم من ديارِهم[2] .

وأما العُدْوانُ فهو الفُعْلانُ من التَّعَدِّى ، يقالُ منه : عدا فلانٌ فى كذا يَعْدُو فيه عَدْوًا وعُدْوانًا ، واعْتَدَى فهو يَعْتَدِى اعتداءً . وذلك إذا جاوز حدَّه ظُلْمًا وبَغْيًا .

وقد اختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ﴿ تَظَٰهَرُونَ ﴾ ؛ فقرأها بعضُهم : ﴿ تَظَٰهَرُونَ ﴾ . على مثالِ « تَفاعَلُون » ، بحذفِ التاءِ الزائدة - وهى التاءُ الآخرةُ ، وقرَأها آخرون : (تَظَّاهَرُونَ) . مُشدَّدةً ، بتأويلِ « تَتظاهَرُون » ، غيرَ أنهم أَدْغَموا التاءَ الثانيةَ فى الظاءِ لتقاربِ مخرجَيْهما فصَيَّروهما ظاءً مشددةً[3] .

وهاتان القراءتان وإن اختلفتْ ألفاظُهما فهما مُتَّفِقتَا المعنى ، فسواءٌ بأىِّ ذلك قرَأ به القارئُ ؛ لأنهما جميعًا لغتان معروفتان وقراءتان مُستَفيضتان فى أمْصارِ الإسلامِ بمعنًى واحدٍ ، ليس فى إحداهما معنًى تَستَحِقُّ به اختيارَها على الأخرى ، إلا

---

(١) فى م : « المثابة » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٣) من طريق آدم به .

(٣) وبها قرأ الكوفيون : عاصم وحمزة والكسائى ، وقرأ الباقون « تظَّاهرون » بالتشديد . ينظر النشر ٢١٨/٢.

أن يختارَ مختارٌ (تَظَّاهَرُونَ) بالتشديدِ طلبًا منه تتمةَ الكلمةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾. اليهودَ ، يُؤَنِّبُهم[1] بذلك ، ويُعَرِّفُهم به قبيحَ أفعالِهم التى كانوا يَفْعَلونها ، فقال لهم : ثم أنتم ، بعد إقرارِكم بالميثاقِ الذى أخذْتُه عليكم ألا تَسْفِكوا دماءَكم ، ولا تُخْرِجوا أنفسَكم من ديارِكم ، تَقْتُلُونَ أنفُسَكم - يعنى به : يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا - وأنتم مع قتلِكم مَن تَقْتلون منكم ، إذا وجَدْتم الأسيرَ منكم فى أيدى غيرِكم من أعدائِكم تَفْدُونهم ويُخْرِجُ بعضُكم بعضًا من دارِه ، وقَتْلُكم إياهم وإخراجُكُموهم من ديارِهم حرامٌ عليكم ، كما حرامٌ عليكم تَرْكُهم أَسْرى فى أيدى عَدُوِّكم ، فكيف تَسْتَجِيزونَ قتلَهم ولا تَسْتَجيزونَ تَرْكَ فدائِهم من عدوِّهم ؟ أم كيف لا تَسْتَجيزون تَرْكَ فدائِهم ، وتَسْتَجيزون قتلَهم ، وهما جميعًا فى اللازمِ لكم من الحكمِ فيهم سواءٌ ؛ لأن الذى حَرَّمْتُ عليكم مِن قَتْلِهم وإخراجِهم من دورِهم نظيرُ الذى حَرَّمْتُ عليكم من تَرْكِهم أَسْرَى فى أيدى عدوِّهم ، أتؤمنون ببعضِ الكتابِ الذى فرضْتُ عليكم فيه
٣٩٩/١ فرائضى وبيَّنْتُ لكم فيه حُدُودى وأخذْتُ عليكم[2] بالعملِ بما /فيه ميثاقى - فتُصَدِّقون [٣٥/٣ظ] به ، فتُفادُون أَسْراكم مِن أيدِى عدوِّكم ، وتَكْفُرونَ ببَعْضِه ، فتَجْحَدونه فتَقْتُلون مَن حرَّمْتُ عليكم قتلَه مِن أهلِ دينِكم ومِن قومِكم ، وتُخْرِجونهم مِن ديارِهم ، وقد علِمْتُم أن الكفرَ منكم ببَعْضِه نقضٌ منكم عهدى ومِيثاقى ؟!

(١) فى م : « يوبخهم » .
(٢) فى م : « عليه » .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ (١أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ١) وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ : فادين ، واللهِ إن فداءَهم لَلإيمانُ ، وإن إخراجَهم لَلكفرُ ، فكانوا يُخرِجونهم مِن ديارِهم ، وإذا رأَوْهم أُسارَى فى أيدى عدوِّهم افتكُّوهم[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أو عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ : قد علِمْتُم أن ذلكم عليكم فى دينِكم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فى كتابِكم ﴿ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ : أتُفادُونهم مؤمنين بذلك ، وتُخْرِجونهم كفرًا بذلك[(٣)] .

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ . يقولُ : إن وجدْتَه فى يدِ غَيرِك فدَيْته وأنت تَقْتُلُه[(٤)] بيدِك .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، قال : قال أبو جعفرٍ : كان قتادةُ يقولُ فى قولِه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ : فكان إخراجُهم كفرًا وفداؤُهم إيمانًا .

حدَّثنى المثنى ، قال: حدَّثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ

(١ - ١) فى الأصل : « أسرى تفدوهم » . وفى م ، ت١ ، ت٢ : « أسارى تفدوهم » ، وهذه قراءات سيذكرها المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٦/١ (٨٦٨) من طريق يزيد به .

(٣) تقدم مطولًا فى ص ٢٠٧ .

(٤) بعده فى الأصل : « أو أنت تقتله » .

فى قولِه : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية . قال : كان فى بنى إسْرائيلَ إذا اسْتَضْعَفوا قومًا أخْرَجوهم مِن ديارِهم ، وقد أُخِذ عليهم الميثاقُ ألا يَسْفِكوا دماءَهم ، ولا يُخْرِجُوا أنفسَهم مِن ديارِهم ، وأُخِذ عليهم الميثاقُ إنْ أُسِر بعضُهم أن يُفادُوهم ، فأخْرَجوهم مِن ديارِهم ، ثم فادوهم ، فآمَنوا ببعضِ الكتابِ وكفَروا ببعضٍ ، آمَنوا بالفِداءِ ففدَوْا ، وكفَروا بالإخراجِ مِن الديارِ فأَخْرَجوا[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، قال : ثنا الربيعُ بنُ أنسٍ ، قال : أخْبَرَنى أبو العاليةِ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ مرَّ على رأسِ الجالوتِ بالكوفةِ وهو يُفادِى مِن النساءِ مَن لم يَقَعْ عليه العربُ ، ولا يُفادِى مَن قد وقَع عليه العربُ ، فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ : أما إنه مَكْتوبٌ عندَك فى كتابِك : أن فَادُوهن كلَّهن[(٢)] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال[٣/٣٦و] : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ . قال: كفرُهم القتلُ والإخْراجُ ، وإيمانُهم الفِداءُ . قال ابنُ جُرَيْجٍ : /يقولُ : إذا كانوا عندَكم تَقْتُلونهم ، ١/٤٠٠
وتُخْرِجُونهم مِن ديارِهم ، وأما إذا أُسِروا تَفْدُونهم ؟ وبلَغَنى أن عمرَ بنَ الخطابِ قال فى قصةِ بنى إسرائيلَ : إن بنى إسرائيلَ قد مضَوْا ، وإنكم [(٣)] يا أهلَ الإسلامِ [(٣)] تُعْنَوْن بهذا الحديثِ .

واخْتَلَفت القَرَأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ ؛ فقرَأه بعضُهم : (أَسْرَى تَفْدُوهم) . وبعضُهم : (أُسارَى تُفادُوهم) . وبعضُهم :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٥، ١٦٦ (٨٦٦، ٨٧٢) من طريق آدم به .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٧٤ عن آدم بن أبى إياس فى تفسيره . مصنف ابن أبى شيبة ١٣/١٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم ١/١٦٥ (٨٦٥) .

(٣ - ٣) فى م : « أنتم » .

(أُسارَى تَفْدُوهم) . وبعضُهم : (أَسْرى تُفادُوهم)[1] .

فمَن قرَأ ذلك : (وإن يأتوكم أسْرَى) . فإنه أراد جمعَ الأسيرِ ، إذ كان على « فَعِيل » على مثالِ جمعِ أسماءِ ذَوِى العاهاتِ التى يأتى واحدُها على تقديرِ « فَعِيل » ؛ إذ كان الأسْرُ شَبيهَ المعنى - فى الأذَى والمكروهِ الداخلِ به على الأسِيرِ - ببعضِ مَعانى العاهاتِ ، وأُلْحِق جَمْعُ المسمى[2] به بجمعِ ما وصَفْنا ، فقيل : أَسيرٌ وأسْرَى . كما قيل : مريضٌ ومَرْضَى ، وكَسيرٌ وكَسْرَى ، وجَريحٌ وجَرْحَى .

وأما الذين قرَءوا ﴿ أُسَـٰرَىٰ ﴾ فإنَّهم أخرَجوه على مُخرجِ جمعِ « فَعْلان » ؛ إذ كان جمعُ « فعلان » الذى له « فَعْلَى » ، قد يُشارِكُ جمعَ « فعيلٍ » ، كما قالوا : سُكَارى وسَكْرى ، وكُسالى وكَسْلى ، فشبَّهوا أسيرًا - إذ جمَعوه مرةً أُسارى ، وأُخرى أَسْرى - بذلك .

وكان بعضُهم يَزْعُمُ أن معنى الأَسْرَى مخالِفٌ معنى الأسارَى ، ويَزْعُمُ أن معنى الأسْرَى اسْتِئْسارُ القومِ بغيرِ أسْرٍ مِن المُسْتأْسِرِ لهم ، وأن معنى الأسارَى معنى مَصيرِ القومِ المأْسُورِين فى أيدى الآسِرِين بأسْرِهم إياهم وأخْذِهم قهرًا وغَلَبةً .

قال أبو جعفرٍ : وذلك ما لا وجهَ له يُفْهَمُ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ ، ولكنَّ ذلك على ما وصَفْتُ مِن جمعِ الأسيرِ مرةً على « فَعْلَى » لِمَا بيَّنْتُ مِن العلةِ ، ومرةً على « فُعَالى » لمَا ذكَرْتُ مِن تشبيهِهم جمعَه بجمعِ سَكْرانَ وكَسْلانَ وما أشْبَه ذلك .

وأولى القراءات[3] بالصوابِ فى ذلك[4] قراءةُ مَن قرَأ : (وَإِنْ يأْتُوكُم أَسْرَى) ؛

---

(١) القراءة الأولى قرأ بها حمزة ، والثانية قرأ بها الكسائى وعاصم ونافع وأبو جعفر ، والثالثة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وخلف ، والرابعة قراءة شاذة مما فوق العشرة . انظر النشر ٢١٨/٢.

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المستلحق » .

(٣) سقط من : م .

(٤) القراءات المتواترة لا تفاضل بينها ، قال أبو عمرو الدانى : وأئمة القراء لا يعمل فى شىء من حروف القرآن =

لأن « فُعَالى » فى جمعِ « فَعِيل » غيرُ مُسْتَفيضٍ فى كلامِ العربِ ، فإذ كان ذلك غيرَ مُسْتَفِيضٍ فى كلامِهم ، وكان مُسْتَفِيضًا فاشيًا فيهم جمعُ ما كان مِن الصفاتِ - التى بمعنى الآلامِ والزَّمَانةِ - واحدُه على تقديرِ « فَعيلٍ » على « فَعْلَى » كالذى وصَفْنا قبلُ ، وكان أحدُ ذلك الأسيرَ - كان الواجبُ أن يُلْحَقَ بنَظائرِه وأشْكالِه فيُجْمَعَ جمعَها دونَ غيرِها [٣٦/٣ ظ] ممَّن خالَفَها .

وأما مَن قرَأ : ﴿ تُفَـٰدُوهُمْ ﴾ . فإنه أراد : إنكم تَفْدُونهم ممن[١] أسرَهم ، ويُفْدَى منكم الذين أسَرُوهم ؛ ففادُوكم بهم [٢]أسْراهم منكم[٢] .

وأما مَن قرَأ ذلك : (تَفْدُوُهُمْ) فإنه أراد أنكم يا معشرَ اليهودِ إن أتاكم الذين أخرَجْتُموهم منكم مِن ديارِهم أسْرَى ، فدَيْتُموهم فاسْتَنْقَذْتُموهم .

وهذه القراءةُ أعجبُ إلىَّ مِن الأولى - أعْنى : (أسْرَى تَفْدُوهم) - لأن الذى على اليهودِ فى دينِهم فِداءُ أسْراهم بكلِّ حالٍ ، فَدَى الآسِرون أسْراهم منهم أم لم يَفْدُوهم .

وأمّا قولُه : ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ فإن فى قولِه : ﴿ وَهُوَ ﴾ وجهين مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ كِنايةً عن الإخراجِ الذى تَقَدَّم ذكرُه ، فكأنه قال : وتُخْرِجون فريقًا منكم مِن ديارِهم ، وإخراجُهم مُحَرَّمٌ عليكم . ثم كرَّر الإخراجَ الذى بعدَ ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ تكريرًا على « هو » ، لمَّا حال بينَ « الإخراجِ » و ﴿ هُوَ ﴾ كلامٌ .

والتأويلُ الثانى : أن يَكونَ عِمادًا[٣] لمَّا كانت الواوُ التى مع ﴿ وَهُوَ ﴾ تَقْتَضِى

= على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها . النشر ١٦/١ .

(١) فى م : « من » .

(٢ - ٢) فى م : « أمراكم منهم » .

(٣) هو ضمير الفصل ويسميه الكوفيون عمادا ، لكونه حافظا لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية ، أو كأنه =

١/٤٠١ اسمًا يَليها دونَ/ الفعلِ[(١)] ، فلما قدَّم الفعلَ قبلَ الاسمِ - الذى تَقْتَضِيه الواوُ أن يَلِيَها - أُولِيَت « هو » ؛ لأنه اسمٌ ، كما تَقولُ فى الكلامِ : أَتيْتُك ، وهو قائمٌ أبوك . بمعنى وأبوك قائمٌ ؛ إذ كانت الواوُ تَقْتَضِى اسمًا ، فعُمِدَت بـ « هو » ؛ إذ سبق الفعلُ الاسمَ ليَصْلُحَ الكلامُ به ، كما قال الشاعرُ[(٢)] :

فأَبْلِغْ أبا يحيى إذا ما لقِيتَه ... على العِيسِ فى آباطِها عَرَقٌ يَبْسُ
بأنَّ السُّلاميَّ الذى بضَرِيَّةٍ[(٣)] ... أَميرَ الحِمَى قد باع حَقِّى بنى عَبْسِ
بثوبٍ ودينارٍ وَشاةٍ ودِرْهَمٍ ... فهل هو مرفوعٌ بما هٰهنا راسُ

فأُولِيَت « هل »[(٤)] لطلبِها الاسمَ العِمادَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ : فليس لمن قتَل منكم قَتيلاً - فكفَر بقتلِه إياه [(٥)]ببعضِ حكمِ[(٥)] اللهِ الذى حكَم به عليه فى التَّوْراةِ ، وأخْرَج منكم فريقًا مِن ديارِهم مُظاهِرًا[(٦)] عليهم أعداءَهم مِن أهلِ الشركِ ظُلمًا وعُدْوانًا ، وخلافًا لمَا أمَرَه اللهُ به فى كتابِه الذى أنْزَله إلى موسى - ﴿ جَزَآءُ ﴾ ، يعنى بـ« الجزاءِ » الثوابَ ، وهو العِوَضُ مما فعَل مِن ذلك والأجرُ عليه ، ﴿ إِلَّا خِزْيٌ

= عمد الاسم وقواه بتحقيق الخبر . شرح المفصل ٣/ ١١٠، شرح الرضى على الكافية ٢/ ٢٤، ٢٥.

(١) المراد بالفعل هنا : المشتقات التى تعمل عمل الفعل . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص٥٢ - ٥٤.

(٢) معانى القرآن للفراء ١/ ٥٢.

(٣) ضرية : أرض بنجد وينسب إليها حمى ضرية ينزلها حاج البصرة . معجم البلدان ٣/ ٢٧٢.

(٤) أى : أوليت هل الضمير « هو » .

(٥ - ٥) فى م ، ت١ ، ت٢ : « بنقض عهد » .

(٦) فى الأصل : « مظاهرة » .

فِي ٱلْحَيَوٰةِ [٣٧/٣و] ٱلدُّنْيَا ﴾ . والخِزْىُ الذُّلُّ والصَّغارُ . يقالُ منه : قد خَزِى الرجلُ يَخْزَى خِزْيًا ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، يعنى : فى عاجلِ الدنيا قبلَ الآخِرةِ.

ثم اختُلِف فى الخِزْيِ الذى جزاهم[1] اللهُ بما سلَف منهم[2] مِن معصيتِهم إياه ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك هو حُكْمُ اللهِ الذى أنْزَلَه إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ مِن أخْذِ القاتلِ بمَن قتَل والقَوَدِ به قِصاصًا ، والانتقامِ للمظلومِ مِن الظالِم .

وقال آخرون : بل ذلك هو أخْذُ الجزيةِ منهم ما أقاموا على دينِهم ذِلَّةً لهم وصَغارًا .

وقال آخرون : بل ذلك الخِزْىُ الذى جُوزُوا به فى الدنيا إخراجُ رسولِ اللهِ ﷺ النَّضِيرَ عن دِيارهم لأولِ الحَشْرِ ، وقَتْلُ مُقاتِلةِ قُرَيْظَةَ وسَبْىُ ذَرارِيِّهم ، فكان ذلك لهم خِزْيًا فى الدنيا ، ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ : ويومَ تَقومُ[3] الساعةُ ، يُرَدُّ مَن يَفْعَلُ ذلك منكم بعدَ الخزْيِ الذى يَحِلُّ به فى الدنيا جَزاءً على معصيتِه اللهَ ، إلى أشدِّ العذابِ الذى أعَدَّه اللهُ لأعْدائِه .

وقد قال بعضُهم : معنى ذلك : ثم يومَ القيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشدِّ مِن عذابِ الدنيا .

ولا معنى لقولِ قائلِ ذلك ؛ لأن اللهَ جل ثناؤُه إنما أخْبَرَ أنهم يُرَدُّون إلى أشدِّ معانى العذابِ ، ولذلك أدْخَل فيه الألفَ واللامَ ؛ لأنه عَنَى به جنسَ العذابِ كلِّه دونَ نوعٍ منه .

---

(١) فى م : « أخزاهم » .
(٢) سقط من : م .
(٣) سقط من : الأصل .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

اختلفت القَرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُهم : (وما اللهُ بغافلٍ عما يعملون) . بالياءِ[1] على وجهِ الإخبارِ / عنهم ، فكأنَّهم نحَوْا بقراءتِهم معنى : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن ١/٤٠٢
يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ويومَ القيامةِ يُرَدُّ من يفعلُ ذلك منكم إلى أشدِّ العذابِ (وما اللهُ بغافلٍ عما يَعْمَلُونَ) يعنى: عَمَّا يَعْمَلُه الذين أخبرَ اللهُ عنهم أنه ليس لهم جزاءٌ على فعلِهم إلَّا الخِزْىُ فى الحياةِ الدنيا ، ومرجِعُهم فى الآخرةِ إلى أشدِّ العذابِ .

وقرَأه آخَرون : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ بالتاءِ على وجهِ المخاطبةِ . قال : فكأنَّهم نَحَوْا بقراءتِهم : أفتؤمنون ببعضِ الكتابِ وتكفُرون ببعضٍ ، [٣/٣٧ظ] وما اللَّهُ بغافلٍ يا معشرَ اليهودِ عما تعملون أنتم .

وأَعْجَبُ القراءتين فى ذلك إلىَّ قراءةُ من قرأ بالياءِ إتباعًا لقولِه : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ ﴾ ولقولِه : ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ ﴾ ؛ لأن قولَه : (وما اللهُ بغافلٍ عما يَعْمَلُون) . إلى ذلك أقربُ منه إلى قولِه : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ﴾ فإتباعُه الأقربَ إليه أَوْلَى مِن إلحاقِه بالأبعدِ منه .

والوجهُ الآخرُ غيرُ بعيدٍ مِن الصوابِ .

وتأويلُ قولِه : (٢﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾٢) : وما اللهُ بساهٍ عن أعمالِهم الخبيثةِ ، بل هو مُحْصٍ لها ، وحافظُها عليهم حتى يُجازِيَهم بها فى الآخرةِ ، ويُخْزيَهم فى الدنيا فيُذِلَّهم ويَفْضَحَهم بها[3] .

---

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو بكر ويعقوب ، وقرأ بقية العشرة بالتاء ، وكلتا القراءتين متواترة . النشر ٢/ ٢١٨.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين أخبَر عنهم أنهم يُؤمنون ببعضِ الكتابِ فيُفَادُون أسراهم مِن اليهودِ ، ويَكْفُرون ببعضٍ فيَقْتُلون مَن حَرَّم اللهُ عليهم قتلَه مِن أهلِ مِلَّتِهم ، ويُخْرِجُون مِن دارِه مَن حَرَّم اللهُ عليهم إخراجَه مِن دارِه ، نقضًا لعهدِ اللهِ وميثاقِه فى التوراةِ إليهم ، فأخبرَ جل ثناؤه أن هؤلاء هم الذين اشتَرَوْا رياسةَ الحياةِ الدنيا على الضعفاءِ وأهلِ الجهلِ والغباءِ مِن أهلِ مِلَّتِهم ، وابتاعُوا المآكلَ الخَسِيسةَ الرديئةَ فيها بالإيمانِ الذى كان يكونُ لهم به فى الآخرةِ - لو كانوا أَتَوْا به مكانَ الكفرِ - الخلودُ فى الجنانِ . وإنما وصَفهم اللهُ جل ثناؤه بأنهم اشتَرَوْا الحياةَ الدنيا بالآخرةِ ؛ لأنهم رَضُوا بالدنيا - بكُفْرِهم باللهِ فيها - عوضًا مِن نعيمِ الآخرةِ الذى أعدّه اللهُ للمؤمنين ، فجعَل تركَهم[(١)] حُظُوظَهم مِن نعيمِ الآخرةِ بكفرِهم باللهِ ثمنًا لما ابتاعوه به مِن خسيسِ الدنيا .

كما حدَّثنا[(٢] بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا[٢)] يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ ﴾ : استحبُّوا قليلَ الدنيا على كثيرِ الآخرةِ[(٣)] .

ثم أخبرَ اللهُ جل ثناؤه أنهم إذ[(٤)] باعوا حظوظَهم مِن نعيمِ الآخرةِ بتركِهم

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٧/١ (٨٧٧) من طريق يزيد به .

(٤) فى م : « إذا » .

طاعتَه ، وإيثارِهم الكفرَ به والخسيسَ مِن الدنيا عليه ، فلا[(١)] حَظَّ لهم فى نعيمِ الآخرةِ ، وأن الذى لهم فى الآخرةِ العذابُ ، غيرُ مُخَفَّفٍ عنهم فيها العقابُ ؛ لأن الذى يُخَفَّفُ عنه فيها مِن العذابِ هو الذى له حَظٌّ فى نَعِيمِها ، ولا حَظَّ لهؤلاءِ لاشترائِهم[(٢)] - كان فى الدنيا[(٣)] - دنياهم بآخرتِهم .

وأمَّا [٣٨/٣و] قولُه : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . فإنه أخبر عنهم أنهم لا يَنْصُرُهم فى الآخرةِ أحدٌ فَيَدْفَعَ عنهم بنُصْرَتِه عذابَ اللهِ، لا بقوَّةٍ[(٤)] ، ولا بشفاعةٍ[(٥)] ولا غيرِهما .

/القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ . ٤٠٣/١

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : أنزلناه إليه .

وقد بيَّنَّا أن معنى الإيتاءِ الإعطاءُ ، فيما مضَى قبلُ[(٦)] .

والكتابُ الذى آتاه اللهُ موسى عليه السلامُ هو التوراةُ .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ . فإنه يعنى : وأَرْدَفْنا وأَتْبَعْنا بعضَهم خلفَ بعضٍ ، كما يَقْفُو الرجلُ الرجلَ إذا سار فى أَثَرِه مِن ورائِه ، وأصلُه مِن القَفَا ، يقالُ منه : قَفَوْتُ فلانًا : إذا صِرْتَ خلفَ قفاه ، كما يقالُ : دَبَرْتُه : إذا صِرْتَ فى دُبُرِه .

ويعنى بقولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ : مِن بعدِ موسى .

ويعنى : ﴿ بِٱلرُّسُلِ ﴾ : الأنبياءَ ، وهم جَمْعُ رسولٍ ، يقالُ : هو رسولٌ ، وهم

---

(١) فى م : « لا » .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الذى » .

(٣) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « و » .

(٤) فى م : « بقوته » .

(٥) فى م : « بشفاعته » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٥١ .

رُسُلٌ . كما يقالُ : هو رَجُلٌ صبورٌ ، وهم قومٌ صُبُرٌ ، وهو رَجُلٌ شَكورٌ ، وهم قومٌ شُكُرٌ .

وإنما يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ . أى: أَتْبَعْنا بعضَهم بعضًا على مِنهاجٍ واحدٍ وشريعةٍ واحدةٍ ؛ لأن كلَّ مَن بعَثه اللهُ نبيًّا بعدَ موسى صلَوَاتُ اللهِ عليه إلى أزمانِ عيسى ابنِ مريمَ ، فإنما بعَثه يَأْمُرُ بنى إسرائيلَ بإقامةِ التوراةِ والعمَلِ بما فيها والدعاءِ إلى ما فيها ، فلذلك قيل : ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ يعنى : على مِنهاجِه وشريعتِه ، والعملِ بما كان يَعْمَلُ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ : أعطينا عيسى ابنَ مريمَ . ويعنى بـ « البَيِّناتِ » التى آتاه اللهُ إيَّاها ، ما أَظْهَرَ على يديه مِن الحُجَجِ له[(١)] ، والدلالةِ على نُبُوَّتِه ؛ مِن إحياءِ الموتى ، وإبراءِ الأكْمَهِ[(٢)] والأَبْرَصِ[(٢)] ، ونحوِ ذلك مِن الآياتِ التى أبانتْ منزلتَه مِن اللهِ ، ودلَّت على صدقِه وصِحَّةِ نُبُوَّتِه .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ . أى : الآياتِ التى وضَع على يديه ؛ مِن إحياءِ الموتى ، وخلْقِه مِن الطينِ كهيئةِ الطيرِ ، ثم ينفُخُ فيه [٣٨/٣ظ] فيكونُ طائرًا بإذنِ اللهِ ، وإبراءِ الأسقامِ ، والخبرِ بكثيرٍ مِن الغُيُوبِ مِمَّا يَدَّخِرون فى بيوتِهم ، وما رَدَّ عليهم مِن التوراةِ مع الإنجيلِ الذى أحدَثَ اللهُ إليه[(٣)] .

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤١/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٨/١ ، ٤٨٣/٢ (٨٨١ ، ٢٥٥٥) من طريق سلمة به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ .

أمَّا معنى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَهُ ﴾ فإنه : قَوَّيْناه [١]وأَعَنَّاه بِهِ[١] .

كما **حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَهُ ﴾ . يقولُ : نصَرْناه .

يقال منه : أيَّدَك اللهُ ، أى : قوَّاك اللهُ ، وهو رجُلٌ ذو أيدٍ وذو آدٍ ، يراد : ذو قوةٍ . ومنه قولُ العَجَّاجِ[٢] :

مِنْ أنْ تَبَدَّلْـــتُ بآدِىَ آدا

/يعنى : [٣]تَبَدَّلتُ بقوَّةِ شَبابِى[٣] قوةَ المَشِيبِ . ومنه قولُ الشاعرِ[٤] : ١/٤٠٤

إنَّ القِدَاحَ إذا اجْتَمَعْنَ فَرَامَها   بالكَسْرِ ذُو جَلَدٍ[٥] وبَطْشٍ أَيِّدِ

يعنى بالأَيِّد : القَوِىّ .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : الرُّوحُ[٦] الذى أخبَرَ اللهُ تعالى ذكرُه أنه أيَّد عيسى به هو جبريلُ عليه السلامُ .

(١ - ١) فى م : « فأعناه » .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٤٦.

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ت ٢، ت ٣: « بشبابى » .

(٤) التعازى والمراثى للمبرد ص ١٢٥.

(٥) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « خلد » ، وفى التعازى والمراثى : « حنق وكسر » .

(٦) فى م : « روح القدس » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : هو جبريلُ[(١)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حَمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : هو جبريلُ[(٢)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ في قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : رُوحُ القُدُسِ : جبريلُ .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . قال : أُيِّد عيسى بجبريلَ ، وهو رُوحُ القُدُسِ[(٣)] .

حدَّثنا[(٤)] ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن [(٥)]ابنِ إسحاقَ[(٥)] ، قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الحسينِ المكِّيُّ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعريِّ ، أن نفرًا مِن اليهودِ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا : أخبِرْنا عن الرُّوحِ . قال : « أَنْشُدُكم باللهِ وبأَيَّامِه عندَ بَنِي إسْرائِيلَ ، هل تَعْلَمُونَ أنَّه جِبْرِيلُ ، وهو الذي يَأْتِينِي » ؟ قالوا : نعم[(٦)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٨/١ عقب الأثر (٨٨٤) من طريق عمرو به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٨/١ عقب الأثر (٨٨٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وقال » .

(٥ - ٥) في م : « إسحاق » .

(٦) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ مطولا . وسيأتي بتمامه في ص ٢٨٥ ، وينظر ص ٢٨٣.

وقال آخَرون : الرُّوحُ الذى أيَّد اللهُ به عيسى هو الإنْجيلُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يُونسُ بنُ عبدِ الأَعْلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، [٣٩/٣و] قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ . قال : أَيَّد اللهُ عيسى بالإنجيلِ رُوحًا كما جعَل القرآنَ رُوحًا للَّهِ ، كلاهما رُوحُ اللهِ ، كما قال اللهُ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقال آخَرون : الرُّوحُ هو الاسمُ الذى كان عيسى يُحْيِى به المَوْتَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ . قال : هو الاسمُ الذى كان يُحْيِى به عيسى المَوْتَى (١) .

١/٤٠٥ /وأَوْلَى التأويلاتِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : الرُّوحُ فى هذا الموضعِ جبريلُ ؛ لأن اللهَ جل ثناؤه أخبرَنا أنه أيَّد عيسى به ، كما أخبر فى قولِه : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ ﴾ [المائدة : ١١٠] . (٢أنَّه أيَّده به٢) ، فلو كان الرُّوحُ الذى أيَّده اللهُ به هو الإنجيلَ لكان قولُه : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ - ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٦) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ تكريرَ قولٍ لا معنى له ؛ وذلك أنه على تأويلِ قولِ مَن قال : معنى ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ : (١) إذ أيَّدتُك بالإنجيلِ (١) . إنَّما هو : إذ أيَّدتُك بالإنجيلِ ، وإذ علَّمتُك الإنجيلَ . وهو لا يكونُ به مُؤَيَّدًا إلا وهو مُعَلَّمُه ، فذلك تكريرُ كلامٍ واحدٍ (٢) في آيةٍ واحدةٍ (٢) مِن غيرِ زيادةِ معنًى في أحدِهما على الآخرِ ، وذلك خُلْفٌ مِن الكلامِ ، واللهُ تعالى ذكرُه يَتعالَى عن أن يُخاطِبَ عبادَه بما لا يُفيدُهم به فائدةً .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ فسادُ قولِ مَن زعَم أن الرُّوحَ في هذا الموضعِ الإنجيلُ ، وإن كان جميعُ كتبِ اللهِ جلّ ثناؤه التي أوحاها إلى رسلِه روحًا منه ؛ لأنه تحيا بها القلوبُ الميِّتةُ ، وتَنْتَعِشُ بها النفوسُ المُوَلِّيةُ ، وتَهْتَدِى بها الأحلامُ الضالَّةُ .

وإنما سَمَّى اللهُ جلَّ ثناؤه جبريلَ « رُوحًا » وأضافه إلى « القُدُسِ » ؛ لأنه كان بتكوينِ اللهِ له رُوحًا مِن عندِه عن غيرِ ولادةِ والدٍ ولَدَه ، فسمَّاه مِن أجلِ ذلك « روحًا » ، وأضافه إلى « القدسِ » - والقدسُ هو الطُّهْرُ - كما سُمِّي عيسى ابنُ مريمَ روحَ اللهِ ، مِن أجلِ تكوينِه له رُوحًا مِن عندِه مِن غيرِ ولادةِ والدٍ ولَدَه .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى مِن كتابِنا [٣٩/٣ظ] هذا أن معنى التقديسِ التطهيرُ (٣) . والقدسُ الطُّهرُ مِن ذلك .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ في معناه في هذا الموضعِ نحوَ اختلافِهم في الموضعِ الذى ذكرْناه .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : القدسُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/٥٠٥ وما بعدها .

البركةُ[(١)] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، [(٢)]عن الربيعِ[(٢)] ، قال : القدسُ هو الربُّ[(٣)] .

وحدَّثنى يُونُس بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ قال : اللهُ القُدُسُ ، وأيَّد عيسى برُوحِه . قال : [(٤)]واحتجَّ فى هذا بقولِ كعبٍ[(٤)] : اللهُ القُدسُ . وقرأ قولَ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر : ٢٣] . وقال : القُدُسُ والقُدُّوسُ واحدٌ .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ[(٥)] ، قال : أخبرنى عمْرُو بنُ الحارِثِ ، عن سعيدِ بنِ أبى [(٦)]هلالٍ ، عن[(٦)] هلالِ بنِ[(٧)] أسامةَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، قال : قال كعبٌ[(٨)] : اللهُ القُدُسُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٨) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده فى م : « تعالى ذكره » . والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤ - ٤) فى م : « نعت » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واحتج بقول بعث » .

(٥) بعده فى ت ٢ : « قال : قال ابن زيد » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) بعده فى الأصل : « أبى » . وهو هلال بن على بن أسامة . وقد ينسب إلى جده كما فى تهذيب الكمال ٣٤٣/٣٠ .

(٨) فى م : « نعت » . وينظر تفسير ابن كثير ١٧٦/١ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . اليهودَ مِن بنى إسرائيلَ .

حدَّثنى بذلك محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ .

قال أبو جعفرٍ : يقولُ اللهُ جل ثناؤه لهم : يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ ، لقد آتيْنا
١/٤٠٦ موسى التوراةَ ،/ وتابَعْنا مِن بعدِه الرسلَ[(١)] إليكم ، وآتينا عيسى ابنَ مريمَ البيِّناتِ والحُجَجَ إذ بعثْناه إليكم ، وقوَّيْناه بروحِ القُدُسِ ، وأنتم كُلَّما جاءكم رسولٌ مِن رُسُلى بغيرِ الذى تهواه نفوسُكم استكبرتُم عليه[(٢)] - تجبُّرًا وبَغْيًا - استكبارَ إمامِكم إبليسَ ، فكذَّبتُم مِنهم بعضًا ، وقتَلْتُم بعضًا ، أفهذا[(٣)] فعلُكم أبدًا برسلى !

وقولُه : ﴿ أَفَكُلَّمَا ﴾ وإن كان خرَج مَخْرَجَ التقريرِ فى الخطابِ فهو بمعنى الخبرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ .

اختلفت القَرأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأه بعضُهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ مخفَّفةَ اللامِ ساكنةً ، وهى قراءةُ عامَّةِ قرأةِ الأمصارِ فى جميعِ الأقطارِ[(٤)] . وقرأه بعضُهم : (وقالوا قلوبُنا غُلُفٌ) . مثقَّلةً[(٥)] اللامِ مضمومةً[(٦)] .

---

(١) فى م : « بالرسل » .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « عليهم » .

(٣) فى م : « فهذا » .

(٤) قرأ ذلك نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٤ .

(٥) يريد بالتثقيل هنا التحريك لا التشديد .

(٦) وبذلك قرأ أبو عمرو . المصدر السابق .

فأمَّا الذين قرءوها بسكون اللامِ وتخفيفِها ، فإنهم تأوَّلوها أنهم قالوا : قلوبُنا فى أَكِنَّةٍ وأغطيةٍ وغُلْفٍ ، فالغُلْفُ - على قراءةِ هؤلاء - جمعُ أغلَفَ ، وهو الذى فى غِلافٍ [٣/٤٠و] وغطاءٍ ، كما يقالُ للرجلِ الذى لم يَخْتَتِنْ : أغلَفُ . وللمرأةِ : غَلْفاءُ . وكما يقالُ للسيفِ إذا كان فى غلافِه : سيفٌ أغلَفُ ، وقوسٌ غَلْفاءُ . وجمعُها غُلْفٌ ، وكذلك جمعُ ما كان من النعوتِ ذَكَرُه على « أفعَلَ » وأنثاه على « فَعْلاءَ » ، يُجْمَعُ على « فُعْل » مضمومةَ الأولِ ساكنةَ الثانى ، مثلَ أحمرَ (١) وحُمْرٍ ، وصَفْراءَ (١) وصُفْرٍ ، فيكونُ ذلك جماعًا للتأنيثِ والتذكيرِ ، ولا يجوزُ تثقيلُ عينِ « فُعْلٍ » منه إلَّا فى ضرورةِ شعرٍ ، كما قال طَرَفَةُ بنُ العبدِ (٢) :

أَيُّها الفِتْيانُ فى مَجْلِسِنا جَرِّدُوا مِنْها (٣) وِرَادًا (٤) وشُقُرْ

يُرِيدُ : شُقْرًا . (٥) إلّا أنَّ الرَوِيَّ (٥) اضْطَرَّه إلى تحريكِ ثانيه فحرَّكه .

ومنه الخبرُ الذى حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا الحَكَمُ بنُ بَشِيرِ بنِ سلمانَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ قيسٍ المُلائىُّ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ الجَمَلىِّ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : القلوبُ أربعةٌ . ثم ذكَرها ، فقال فيما ذكَر : وقلبٌ أغلَفُ مَغْضُوبٌ (٦) عليه ، فذاك قلبُ الكافرِ (٧) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « وحمر وأصفر وصفر » .

(٢) ديوان طرفة بشرح الأعلم ص ٦٩ .

(٣) منها : أى الخيل . وجردوا الخيل ، يعنى : ألقوا عنها جلالها وأسرجوها استعدادًا للقتال واللقاء . المصدر السابق .

(٤) وراد : جمع وَرْد ، وهو من الخيل ما كان بين الكميت - الأسمر - والأشقر - الأحمر - . التاج (و ر د ، ش ق ر) .

(٥ - ٥) فى م : « لأن الشعر » .

(٦) فى الأصل ، ت ١ ، : « مغضوب » .

(٧) أخرجه ابن أبى شيبة ١١/ ٣٦، ١٥/ ١٠٨ ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٧٦ من طريق الأعمش ، عن عمرو ابن مرة به ، وأبو البخترى - سعيد بن فيروز - لم يدرك حذيفة .

ورواه شيبان بن عبد الرحمن ، عن ليث بن أبى سليم - وهو ضعيف - عن عمرو بن مرة ، عن أبى =

ذِكْرُ مَن تأَوَّل[(١)] ذلك بمعنى[(٢)] أنها فى أغطيةٍ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أى : فى أكِنَّةٍ[(٣)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو صـالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن [(٤)]علىِّ بنِ[(٤)] أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أى: فى غطاءٍ[(٥)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ : فهى القلوبُ المطبوعُ عليها[(٣)] .

وحدَّثنى عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا حَجّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : أخبرنى عبدُ اللهِ بنُ كَثيرٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ : عليها غِشاوةٌ[(٦)] .

/وحدَّثنى المثَنَّى قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِـبْلٌ ، قال : حدثنى عبدُ اللهِ ١/٤٠٧

= البخترى ، عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا . أخرجه أحمد ١٧/ ٢٠٨ (١١١٢٩) ، والطبرانى فى الصغير ٢/ ١١٠ ، وأبو نعيم فى الحلية ٤/ ٣٨٥ ، وأبو البخترى لم يدرك أبا سعيد الخدرى . وقال أبو نعيم : غريب من حديث عمرو وتفرد به شيبان ، عن ليث .

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قال » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعنى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٧٦.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١،ت ٢،ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٠ (٨٩٥) ، ٤/ ١١٠٨ (٦٢٢١) عن أبيه عن أبى صالح به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر ١/ ٨٧ إلى المصنف .

ابنُ[(١)] كَثيرٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ : عليها غشاوةٌ .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوازيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن الأعمشِ قولَه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ قال : هي في غُلْفٍ .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أي : لا تَفْقَهُ[(٢)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . قال : هو كقولِه : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾[(٣)] [فصلت : ٥] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا [٣/٤٠ظ] إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . قال : عليها طابَعٌ . قال : هو كقولِه : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾[(٣)] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أي : لا تَفْقَهُ[(٤)] .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ قال : يقولون : عليها غِلافٌ ، وهو الغِطاءُ[(٥)] .

---

(١) بعده في الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبي » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠ ، ٤/١١٠٨ عقب الأثر (٨٩٧ ، ٦٢٢٣) من طريق سعيد عن قتادة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٠ (٨٩٧) من طريق آدم به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٠ عقب الأثر (٨٩٥) عن أبي زرعة عن عمرو به .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ . قال : يقولُ : قلبي في غِلافٍ ، فلا يَخْلُصُ إليه ما[1] تقولُ . وقرأ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾[2] .

وأمَّا الذين قرءوها : (غُلُفٌ) . بتحريكِ اللامِ وضَمِّها ، فإنهم تأوَّلوها أنهم قالوا : قلوبُنا غُلُفٌ للعلمِ . بمعنى أنها أوعيةٌ لها[3] . والغُلُفُ - على قراءةِ[4] هؤلاء - جمعُ غِلافٍ ، كما يُجْمَعُ الكِتابُ كُتُبًا ، والحِجَابُ حُجُبًا ، والشِّهَابُ شُهُبًا .

فمعنى الكلامِ على تأويلِ مَن قرأه : (غُلُفٌ) . بتحريكِ اللامِ وضَمِّها : وقالت اليهودُ : قلوبُنا غُلُفٌ للعلمِ ، وأوعيةٌ له أَو[5] لغيرِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عُبَيْدُ بنُ أسباطَ بنِ محمدٍ القرشيُّ[6] ، قال : ثنا أبي ، عن فُضَيْلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ : (وقالوا قُلوبنا غُلُفٌ) . قال : أوعيةٌ للذِّكرِ[7] .

وحدَّثني محمدُ بنُ عُمارةَ الأسديُّ ، قال : ثنا عُبَيْدُ اللهِ بنُ موسى ، قال : أخبرَنا فُضَيْلٌ ، عن عطيةَ في قولِه : (غُلُفٌ) . قال : أوعيةٌ للعلْمِ[8] .

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مما » .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٧٧.

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تأويل » .

(٥) في م ، ت ١ ،ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠ ، ٤/ ١١٠٨ (٨٩٨ ، ٦٢٢٤) من طريق أسباط بن محمد به . وفيه : أوعية للمنكر .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٠ ، ٤/ ١١٠٨ (٨٩٤ ، ٦٢٢٠)من طريق فضيل به .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوَازِيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا (١ فُضَيْلُ بنُ مَرزوقٍ ١) ، عن عطيةَ مثلَه .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجَابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : (وقالوا قلوبُنا غُلُفٌ) . قال : مملوءةٌ عِلمًا لا يُحتاجُ إلى عِلْمِ (٢) محمدٍ ولا غيرِه (٣) .

١/٤٠٨ /والقراءةُ التى لا يجوزُ غيرُها فى قولِه : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ هى قراءةُ مَن قرَأها : ﴿ غُلْفٌۢ ﴾ . بتسكينِ اللامِ ، بمعنى أنها فِى أغشيةٍ وأغطيةٍ ؛ لاجتماعِ الحُجَّةِ مِن القَرَأَةِ وأهلِ التأويلِ على صِحَّتِها ، وشذوذِ مَن شَذَّ عنهم بما خالفه مِن قراءةِ ذلك بضمِّ اللامِ . وقد دَلَّلْنا على أن ما جاءت به الحُجَّةُ مُتَّفِقةً عليه ، حُجَّةٌ على مَن بلَغه ، وما جاء به المُنْفَرِدُ فغيرُ جائزٍ الاعتراضُ به على ما جاءت به الجماعةُ التى تقومُ بها الحُجَّةُ نقلاً ، (٤ قولًا أو عملًا ٤) ، فى غيرِ هذا الموضعِ ، فأغنى ذلك عن إعادتِه فى هذا المكانِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ : بل أقصاهم اللهُ وأبعَدهم وطرَدهم وأخزَاهم وأهلَكهم بكفرِهم ، [٤١/٣و] وهو (٥) جُحودُهم آياتِ اللهِ وبيِّناتِه وما ابْتَعث به رسلَه ، وتكذيبُهم أنبياءَه ، فأخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه أنه أبعَدهم منه ومِن رحمتِه بما

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٠، ٤/١١٠٨ (٨٩٣ ، ٦٢١٩) عن أبى زرعة عن منجاب به .

(٤ - ٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وقولا وعملا » .

(٥) سقط من : م .

كانوا يفعَلون مِن ذلك .

وأصلُ « اللَّعْنِ » الطردُ والإبعادُ والإقصاءُ ، يقال منه : لعَن فُلانٌ[(١)] فلانًا يَلْعَنُه لَعْنًا ، وهو ملعونٌ . ثم يُصَرَّفُ « مفْعولٌ » [(٢)]منه إلى « فَعِيلٍ »[(٢)] ، فيقال : هو لَعِينٌ . ومنه قولُ الشَّمَّاخِ[(٣)] :

ذَعَرْتُ بهِ القَطَا ونَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ[(٤)] الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

وفى قولِ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ . تكذيبٌ منه للقائلينَ مِن اليهودِ : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ ﴾ . لأن قولَه : ﴿ بَل ﴾ . دلالةٌ على جَحْدِه جل ذكرُه ، وإنكارِه ما ادَّعَوْا مِن ذلك ، إذ كانت « بل » لا تدخُلُ فى الكلامِ إلَّا نَقْضًا لمجحودٍ .

فإذ[(٥)] كان ذلك كذلك ، فبَيِّنٌ أن معنى الآيةِ : وقالت اليهودُ : قلوبُنا فى أَكِنَّةٍ مِمَّا تدعونا إليه يا محمدُ . فقال اللهُ تعالى ذكرُه : ما ذلك كما زعَموا ، ولكنّ اللهَ أقصَى اليهودَ وأبعَدَهم مِن رحمتِه ، وطرَدهم عنها وأخزاهم ، بجحودِهم [(٦)]به وبرسلِه[(٦)] فقليلاً ما يؤمنون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم :**

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منه » .

(٣) ديوانه ص ٣٢١ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مكان » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فإذا » .

(٦ - ٦) فى م : « له ولرسله » .

معناه : فقليلٌ منهم مَن يُؤْمِنُ . أى : لا يُؤْمِنُ منهم إلَّا قليلٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ : ولَعَمْرِى ، لمَن رجَع مِن أهلِ الشركِ أكثرُ مِمَّن رجَع مِن أهلِ الكتابِ ، إنما آمن مِن أهلِ الكتابِ رهطٌ يسيرٌ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال : لا يُؤْمِنُ منهم إلَّا قليلٌ[(١)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا يؤمنون إلَّا بقليلٍ مِمَّا فى أيديهم .

١/٤٠٩ /ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال : لا يُؤْمِنُ منهم إلَّا قليلٌ . قال معمرٌ : وقال غيرُه : لا يؤمِنون إلَّا بقليلٍ مِمَّا فى أيديهم .

وأَوْلَى التأويلاتِ فى قولِه : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ بالصوابِ [٣/٤١ظ] ما نحن مُبَيِّنُوهُ[(٢)] إن شاء اللهُ ، وهو أن اللهَ جل ثناؤه أخبَر أنه لعَن الذين وصَف صفتَهم فى هذه الآيةِ ، ثم أخبَر عنهم أنهم قليلو الإيمانِ بما أنزَل اللهُ إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، ولذلك

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ ، ١١٠٩/٤ (٩٠٠ ، ٦٢٢٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « متقنوه » .

نصَب قولَه : ﴿ فَقَلِيلًا ﴾ لأنه نعتٌ للمصدرِ المتروكِ ذكرُه ، ومعناه : بل لعَنهم اللهُ بكفرِهم ، فإيمانًا قليلاً ما يؤمنون . فقد تبيَّن إذن - بما بيَّنَّا - فسادُ القولِ الذى رُوِى عن قتادةَ فى ذلك ؛ لأن معنى ذلك لو كان على ما رُوِى عنه مِن أنه يعنى به : فلا يُؤْمِنُ منهم إلاَّ قليلٌ ، أو فقليلٌ منهم مَن يُؤْمِنُ . لكان « القليلُ » مرفوعًا لا منصوبًا ؛ لأنه إذا كان ذلك تأويلَه كان « القليلُ » حينئذٍ مُرَافِعًا « ما » ، وإن نُصِب « القليلُ » - و « ما » فى معنى « مَن » أو « الذى » - بقِيت « ما » لا مُرَافِعَ لها ، وذلك غيرُ جائزٍ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ .

فأمَّا أهلُ العربيةِ فإنهم اختَلَفُوا فى معنى ﴿مَّا﴾ التى فى قولِه : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : هى زائدةٌ لا معنى لها ، وإنما تأويلُ الكلامِ : فقليلًا يؤمنون . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وما أشبهَ ذلك . فزعَم أن « ما » فى ذلك زائدةٌ ، وأن معنى الكلامِ : فبرحمةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لهم . وأنشَد مُحْتَجًّا لقولِه ذلك بيتَ مُهَلْهِلٍ[(١)] :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ[(٢)] [(٣)]جَاءَ يَخْطُبُهَا[٣)] خُضِّبَ[(٤)] مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ

وزعَم أنه يعنى : خُضِّب أنفُ خاطبٍ بدمٍ . وأن « ما » زائدةٌ .

وأنكَر آخَرون ما قاله قائلُ هذا القولِ فى « ما » فى الآيةِ ، وفى البيتِ الذى أنشَده ، وقالوا : إنما ذلك مِن المتكلِّم على ابتداءِ الكلامِ بالخبرِ عن عمومِ جميعِ الأشياءِ ؛ إذ كانت « ما » كلمةً تَجْمَعُ كلَّ الأشياءِ ،ثم تَخُصُّ [(٥)]بعضَ ما عمَّته « ما » بما يُذْكَرُ[٥)] بعدَها .

---

(١) شرح المفصل ١/ ٤٦، والكامل ٣/ ٩١.
(٢) أبانٌ جَبَلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض . قاله المبرد .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ت ١ : « جئت تخطبها » .
(٤) فى المفصل : « رُمِّل » ، وفى الكامل : « ضرج » . وكل ذلك بمعنى .
(٥ - ٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وتعمُّ ما عمَّته بما تذكره » .

وهذا القولُ عندَنا هو أَوْلَى بالصَّوَابِ ؛ لأن زيادةَ ما لا يُفِيدُ مِن الكلامِ معنًى فى الكلامِ غيرُ جائزةٍ[(١)] إضافتُه إلى اللهِ جل ثناؤه .

ولعل قائلًا أن يقولَ : هل كان للذينَ أخبرَ اللهُ عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون ، مِن الإيمانِ قليلٌ أو كثيرٌ ، فيقالَ فيهم : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .

قيل : إن معنى الإيمانِ هو التصديقُ ، وقد كانت اليهودُ التى أخبرَ اللهُ عنها هذا الخبرَ تُصَدِّقُ بوَحْدَانيَّةِ اللهِ وبالبعثِ والثوابِ والعقابِ ، وتَكْفُرُ بمحمدٍ ﷺ وبنُبُوَّتِه ، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمانُ به ؛ لأنه فى كُتُبِهم ومِمَّا جاءهم به موسى ، فصدَّقوا ببعضٍ ، [(٢)]وذلك هو[(٢)] القليلُ مِن إيمانِهم ، وكذَّبوا ببعضٍ ، وذلك هو الكثيرُ الذى أخبرَ اللهُ عنهم أنهم يَكْفُرون به .

وقد قال بعضُهم : إنهم كانوا غيرَ[٣/٤٢و] مؤمنين بشىءٍ ، وإنما قيل : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ . وهم بالجميعِ كافرون ، كما تقولُ العربُ : قلَّما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ . [(٣)]تُريدُ : ما رأيتُ مثلَ هذا قَطُّ[(٣)] . ورُوِى عنها سماعًا منها : مرَرْتُ ببلدٍ[(٤)] قلَّما/ يُنْبِتُ إلَّا الكُرَّاثَ والبصلَ . يعنى : ما يُنْبِتُ [(٥)]شيئًا إلا[(٥)] الكُرَّاثَ والبصلَ . وما ١/٤١٠
أشبهَ ذلك مِن الكلامِ الذى يُنْطَقُ به بوصْفِ الشىءِ بالقِلَّةِ ، والمعنى فيه نفىُ جميعِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م : « جائز » .

(٢ - ٢) فى م : « هو ذلك » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣: « بيلاد » .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « غير » .

يعنى جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾: ولمَّا جاء اليهودَ مِن بنى إسرائيلَ الذين وصَف جلّ ثناؤُه صفتَهم ﴿ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى بـ « الكتابِ » القرآنَ الذى أنزَله على محمدٍ ﷺ ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعنى : مصدِّقٌ للذى معَهم مِن الكتبِ التى أنزلها اللهُ مِن قبلِ القرآنِ .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ : وهو القرآنُ الذى أنزَله على محمدٍ ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (١أى : للتوراةِ١) والإنجيلِ(٢) .

وحدِّثتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ : وهو القرآنُ الذى أُنْزِل على محمدٍ ﷺ مصدِّقٌ لما معَهم مِن التوراةِ والإنجيلِ(٣) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أى : وكان هؤلاءِ اليهودُ - الذين لمَّا جاءهم كتابٌ مِن عندِ اللهِ مصدِّقٌ لما معهم من الكتبِ التى أنزَلها اللهُ قبلَ الفُرقانِ ، كفَروا به - يَسْتَفْتِحون بمحمدٍ ﷺ - ومعنى الاسْتِفْتاحِ : الاسْتِنْصارُ - ويَسْتَنْصِرون اللهَ به على مُشْرِكى العربِ مِن قبلِ مَبْعَثِه . (٤وذلك قولُه : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾٤) أى : مِن قبلِ أن يُبْعَثَ .

(١ - ١) فى م : « من التوراة » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧١ (٩٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧١ عقب الأثر (٩٠١، ٩٠٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ [٣/٢ ٤٤ظ] الأنصاريِّ ، عن أشياخٍ منهم قالوا : فينا واللهِ وفيهم - يعنى : فى الأنصارِ وفى اليهودِ الذين كانوا جيرانَهم - نزَلت هذه القصةُ - يعنى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ - قالوا : كُنَّا قد علَوْناهم دهرًا فى الجاهليةِ ، ونحن أهلُ شركٍ ، وهم أهلُ كتابٍ ، فكانوا يقولون : إن نبيًّا (١) يُبعَثُ الآنَ نتَّبِعُه (١) قد أظلَّ (٢) زمانُه ، (٣) نَقْتُلكم معه (٣) قتلَ عادٍ وإرمَ ، فلمَّا بعَث اللهُ تعالى ذكرُه رسولَه مِن قريشٍ واتَّبَعْناه ، كفَروا به ، يقولُ اللهُ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (٤) .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى آلِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، أو سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن يهودَ كانوا/ يَسْتَفْتِحون على الأوسِ والخزرجِ ١/٤١١ برسولِ الله ﷺ قبلَ مَبْعَثِه ، فلمَّا بعَثه اللهُ من العربِ ، كفَروا به ، وجحَدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذُ بنُ جَبَلٍ ، وبشرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ أخو بنى سلِمةَ : يا معشرَ يهودَ ، اتَّقوا اللهَ وأَسْلِموا ، فقد كنتم تَسْتَفْتِحون علينا بمحمدٍ ﷺ ونحنُ أهلُ شركٍ ، وتُخْبِروننا أنه مبعوثٌ ، وتَصِفونه لنا بصفتِه . فقال سلَّامُ بنُ مِشْكَمٍ أخو

(١ - ١) فى م : « الآن مبعثه » .

(٢) فى الأصل : « أطل » .

(٣ - ٣) فى م : « يقتلكم » .

(٤) أخرجه ابن إسحاق فى سيرته ص٦٣ (٦٢) ، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٧٥، ٤٣٣،وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٧ إلى ابن المنذر . وينظر سيرة ابن هشام ١/ ٥٤١ .

بنى النَّضِيرِ : ما جاءنا بشىءٍ نَعْرِفُه ، وما هو بالذى كُنَّا نَذْكُرُ لكم . فأنزَل اللهُ فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(١)] .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى آلِ[(٢)] زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه[(١)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يقولُ : يَسْتَنْصِرون بخُرُوجِ محمدٍ ﷺ على مشركى العربِ . يعنى بذلك أهلَ الكتابِ ، فلمَّا بعَث اللهُ محمدًا ﷺ ورأَوْه مِن غيرِهم كفَروا به وحسَدُوه[(٣)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، عن علىٍّ الأَزْدِىِّ فى قولِ الله : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . قال : اليهودُ ، كانوا يقولون : اللهمَّ ابعثْ لنا هذا النبىَّ يَحْكُمْ بيننا وبينَ الناسِ . ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ : يَسْتَنْصِرون به على الناسِ[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٥) ، وأبو نعيم فى الدلائل (٤٣) من طريق ابن إسحاق به .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف .

(٤) تفسير مجاهد (ص٢٠٩) ، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٧٦/٢ .

وحدَّثني المُثَنَّى قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن عليٍّ الأَزْدِيِّ - وهو البارِقيُّ - في قولِ اللهِ : ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ . فذكَر مثلَه سواءً .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، [٤٣/٣و] قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : كانت اليهودُ تَسْتَفْتِحُ بمحمدٍ ﷺ على كفَّارِ العربِ مِن قبلُ ، وقالوا : اللهمَّ ابعثْ هذا النبيَّ الذي نَجِدُه مكتوبًا في التوراةِ يُعَذِّبْهم ويَقْتُلْهم . فلمَّا بعَث اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ فرأَوْا أنه بُعِث مِن غيرِهم ، كفَروا به ، حَسَدًا للعربِ ، وهم يعلَمون أنه رسولٌ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندَهم في التوراةِ : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [(١)] .

[(٢)] وحدّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال : كانوا يقولون : إنه سيأتي نبيٌّ . فلما جاءهم ما عرَفوا كفَروا بهِ [(٢)] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : كانت اليهودُ تَسْتَنْصِرُ بمحمدٍ ﷺ على مُشْرِكي العربِ ، يقولون : اللهمَّ ابعثْ هذا النبيَّ الذي نَجِدُه مكتوبًا عندَنا حتى يُعَذِّبَ المشركين ويَقْتُلَهم ، فلمَّا بعَث اللهُ محمدًا ﷺ ورأَوْا أنه مِن غيرِهم كفَروا به ، حسدًا للعربِ ، وهم يعلمون أنه رسولُ اللهِ ، فقال اللهُ : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي نعيم .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١/١ (٩٠٤) عن الحسن بن يحيى به .

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(١)].

وحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمْرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن
١/٤١٢ السُّدِّيِّ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ/ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ قال : كانتِ العربُ تَمُرُّ باليهودِ فيُؤْذُونهم ، وكانوا يَجِدون محمدًا ﷺ في التوراةِ ، فيَسألون[(٢)] اللهَ أن يبعثَه فيُقاتِلوا معه العربَ ، فلما جاءَهم محمدٌ كفَروا به حين لم يكنْ مِن بني إسرائيلَ[(٣)].

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولُه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ؟ قال : كانوا يَسْتَفْتِحون على كفارِ العربِ بخروجِ النبيِّ ﷺ ويَرْجُون أن يكونَ منهم ، فلما خرَج ورأَوْه ليس منهم كفَروا ، وقد عَرَفوا أنه الحقُّ وأنه نبيُّ اللهِ ﷺ ، قال اللهُ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

[(٤)]قال ابنُ جريجٍ : وقال مجاهدٌ[(٤)] : يَسْتَفْتِحون بمحمدٍ ، تقولُ : إنه يخرجُ . ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ ﴾ وكان من غيرِهم ﴿ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٦) من طريق آدم به .

(٢) في م : « ويسألون » .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥٣٦/٢ من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، بإسناده المعروف .

(٤ - ٤) في م ، ت ٢، ت٣: « قال حدثنا ابن جريج وقال مجاهد » ، وفي ت ١: « قال حدثنا ابن جريج قال حدثنا مجاهد » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٧) من طريق حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد نحوه .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : وقال ابنُ عباسٍ : كانوا يَسْتَفْتِحون على كفارِ العربِ .

[٤٣/٣ظ] **وحدَّثني** المثنى ، قال : حدثني الحِمّانيُّ[(١)] ، قال : حدَّثنا شَريكٌ ، عن أبي الجَحّافِ[(٢)] ، عن مُسلمٍ البَطِينِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ قولَه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ قال : هم اليهودُ ، عَرَفوا محمدًا أنه نبيٌّ وكفَروا به[(٣)] .

وحُدِّثت عن المنجابِ ، قال : حدثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قال : كانوا يَسْتَظْهِرون ، يقولون : نحن نُعِينُ محمدًا عليهم[(٤)] . وليسوا كذلك ، يَكْذِبون[(٥)] .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألتُ ابنَ زيدٍ عن قولِه : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ . قال : كانت يهودُ يَسْتَفْتِحون على كفارِ العربِ ، يقولون : أما واللهِ لو قد جاء النبيُّ الذي بَشَّر به موسى وعيسى ؛ أحمدُ ، لكان لنا عليكم . وكانوا يَظُنون أنه منهم ، (٦)وكانوا بالمدينةِ(٦) والعربُ حولَهم ، وكانوا يَسْتَفْتِحون عليهم به ويَسْتَنْصِرون به ، فلما (٧)كان مِن غيرِهم أَبَوْا أن يُؤمِنوا(٧) به وحَسَدوه . وقرأ قولَ

---

(١) في الأصل : « الجماني » .

(٢) في النسخ : « الحجاف » وهو داود بن أبي عوف ، أبو الجحاف الكوفي . ترجمته في تهذيب الكمال ٨/ ٤٣٤.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) في الأصل : « عليكم » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١/١ (٩٠٣) عن أبي زرعة ، عن منجاب به .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣.

(٧ - ٧) في م ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣: « جاءهم ما عرفوا كفروا » .

اللهِ : ﴿ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال : قد تَبيَّنَ لهم أنه رسولُ اللهِ ، فمِن هنالك نَفَع اللهُ الأوسَ والخزرجَ بما كانوا يَسْمَعون منهم أن نبيًّا خارجٌ .

فإن قال لنا قائلٌ : فأين جوابُ قولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ ؟ قيل : قد اختلف أهلُ العربيةِ فى جوابِه ؛ فقال بعضُهم : هو مما تُرِك جوابُه استغناءً بمعرفةِ المخاطَبين به بمعناه وبما قد ذُكِر من أمثالِه فى سائرِ القرآنِ ، وقد تفعَلُ العربُ ذلك إذا طال الكلامُ ، فتأتى بأشياءَ لها أجوبةٌ فتَحْذِفُ/ أجوبتَها ١/٤١٣
لاستغناءِ سامعيها بمعرفتِهم بمعناها عن ذكرِ الأجوبةِ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الرعد : ٣١] . فترَك جوابَه . والمعنى : ولو أن قرآنًا سوى هذا القرآنِ سُيِّرَتْ به الجبالُ لَسُيِّرَتْ بهذا القرآنِ . (١) فترَك قولَه : لسُيِّرَتْ بهذا القرآنِ (١) . استغناءً بعلمِ السامعين بمعناه . قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

وقال آخرون : جوابُ قولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . فى « الفاءِ » التى فى قولِه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . وجوابُ الجزاءَيْن فى ﴿ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . كقولِك : لما قُمْتَ فلما جِئْتَنا أحسَنْتَ . بمعنى : لما جِئْتَنا إذ قُمْتَ أحسنْتَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٩) ﴾ .

[٤٤/٣و] قد دلَّلْنا على معنى « اللعنةِ » وعلى معنى « الكفرِ » فيما مضَى بما فيه الكفايةُ (٢) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) ينظر معنى « اللعنة » فى ص ٢٣١ ، وتقدم معنى الكفر فى ١/٢٦٢ .

فمعنى الآيةِ : فخِزْىُ اللهِ وإبعادُه على الجاحِدين ما قد عَرَفوا من الحقِّ عليهم للهِ ولأنبيائِه ، المنكِرين ما قد ثَبَت عندهم صحَّتُه من نبوةِ محمدٍ ﷺ . وفى إخبارِ اللهِ عز وجل عن اليهودِ بما أخبَر عنهم بقولِه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ : البيانُ الواضحُ أنهم تعَمَّدوا الكفرَ بمحمدٍ ﷺ بعد قيامِ الحجةِ بنبوتِه عليهم وقَطْعِ اللهِ عُذْرَهم بأنه رسولُه إليهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا ﴾ .

ومعنى قولِه جل ثناؤه : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ : ساء ما اشْتَرَوْا به أنفسَهم .

وأصلُ « بِئْسَ » « بَئِسَ » من البُؤْسِ ، سُكِّنَتْ همزتُها ثم نُقِلت حركتُها إلى الباءِ ، كما قيل فى : ظَلِلْتُ : ظِلْتُ . وكما قيل للكَبِدِ : كِبْدٌ . فنُقِلَتْ حركةُ الباءِ إلى الكافِ لما سُكِّنتِ الباءُ . وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ « بِئْسَ » - وإن كان أصلُها « بَئِسَ » - من لغةِ الذين ينقُلُون حركةَ العينِ من « فَعِل » إلى الفاءِ ، إذا كانت عينُ الفعلِ أحدَ حروفِ الحلقِ الستةِ ، كما قالوا من : لَعِبَ ، لِعْبَ . ومن : سَئِم ، سِئْمَ . وذلك فيما يقالُ لغةٌ فاشِيَةٌ فى تميمٍ ، ثم جُعِلَتْ دَلالةً[1] على الذمِّ والتوبيخِ ووُصِلَتْ بـ « ما » .

ثم اختلَف أهلُ العربيةِ فى معنى « ما » التى مع ﴿ بِئْسَمَا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّ البصرةِ : هى وحدَها - اسمٌ ، و ﴿ أَن يَكْفُرُواْ ﴾ تفسيرٌ له ، نحوَ : نِعْمَ رجلًا زيدٌ . و ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ ﴾ بدلٌ مِن ﴿ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ .

---

(١) فى م : « دالة » .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : معنى ذلك : بئس الشىءُ اشترَوْا به أنفسَهم أن يَكْفُروا . فـ « ما » اسمُ « بِئْسَ » ، و ﴿ أَن يَكْفُرُواْ ﴾ الاسمُ الثانى . وزعَم أنَّ قولَه [١] : ﴿ أَن يَكْفُرُواْ ﴾ [٢] إن شِئْتَ جعلْتَ : ﴿ أَن ﴾/ فى موضِعِ رفعٍ ، وإن شِئْتَ فى موضعِ خفضٍ ؛ أما الرفعُ : فبِئْسَ الشىءُ هذا أن يَفْعلوا . وأما الخفضُ : فبِئْسَ الشىءُ اشترَوْا به أنفسَهم بأن [٣] يَكْفُروا بما أنزَل اللهُ بَغْيًا . قال : وقولُه : ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ٨٠] كمثلِ ذلك . قال [٤] : والعربُ تجعَلُ « ما » وحدَها فى هذا البابِ بمنزلةِ الاسمِ التامِّ ، كقولِه : ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [البقرة : ٢٧١] . وبئسما أنت . واسْتَشْهد لقولِه ذلك برَجزٍ لبعضِ [٥] الرُّجّازِ [٦] : ١٤/١ ٤

لا تَعْجَلا فى السَّيْرِ وادْلُواها [٧]

[٤٤/٣ظ] لَبِئْسما بُطْءٌ ولا نَرْعاها [٨]

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى النسخ : « ينزل الله من فضله » ، والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/ ٥٦، وينظر تفسير القرطبى ٢/ ٢٨.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أن » .

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) فى م : « بعض » .

(٦) هو زفر بن الخيار المحاربى ، والرجز فى التكملة والذيل والصلة ، واللسان ، والتاج (ن ب ل) ، واللسان (د ل و) باختلاف عما هنا .

(٧) دلوت الناقة والإبل دلوا : سقتها سوقا رفيقا رويدا .

(٨) فى الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « انزعاها » ، وفى الموضع الأول من اللسان والتاج : « ترعاها » .

والعربُ تقولُ : لبِئْسَما تزويجٌ ولا مَهْرٌ . فيَجْعَلون « ما » وحدَها اسمًا بغيرِ صلةٍ .

قال أبو جعفرٍ : وقائلُ هذه المقالةِ لا يُجيزُ أن يكونَ الذى يَلِى « بئْسَ » معرفةً مُوَقَّتةً ، وخبرُه معرفةً موقتةً . وقد زعَم أن « بئسما » بمعنى[1] : بِئْسَ الشىءُ اشتَرَوْا به أنفسَهم . فقد صارتْ « ما » بصِلَتِها اسمًا موقَّتًا ؛ لأنَّ « اشتَرَوْا » فعلٌ ماضٍ من صلةِ « ما » ، فى قولِ قائلِ هذه المقالةِ ، وإذا وُصِلَتْ بماضٍ من الفعلِ كانت معرفةً موقَّتةً معلومةً ، فيصيرُ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ : بئس شراؤُهم كفرُهم . وذلك عنده غيرُ جائزٍ ، فقد تبيَّنَ فسادُ هذ القولِ .

وكان آخرُ منهم[2] يزعُمُ أنَّ ﴿ أَن ﴾ فى موضعِ خفضٍ إن شِئْتَ ، ورفعٍ إن شِئْتَ . فأما الخفضُ فأن تَرُدَّه على الهاءِ التى فى ﴿ بِهِۦٓ ﴾ . على التكريرِ على كلامَيْن ، كأنك قُلْتَ : اشتَرَوْا أنفسَهم بالكفرِ . وأما الرفعُ فأن يكونَ مُكَرَّرًا[3] على موضعِ « ما » التى تَلِى « بِئْسَ » . قال : ولا يجوزُ أن يكونَ رفعًا على قولِك : بِئْسَ الرجلُ عبدُ اللهِ .

وقال بعضُهم : ﴿ بِئْسَمَا ﴾ شىءٌ واحدٌ (٤)يُعْرَبُ بما(٤) بعدَه ، كما حُكِى عن العربِ : بئسما تَزويجٌ ولا مَهْرٌ . فرفَع « تَزويجٌ » بـ « بئسما » ، كما يقالُ : بئسما زيدٌ . ونعمّا[5] عمرٌو . فيكونُ « بئسما » رفعًا بما عادَ عليها من الهاءِ ، كأنك

---

(١) فى م : « بمنزلة » .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٥٦.

(٣) فى معانى القرآن : « مكرورا » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يعرف ما » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بئسما » .

قُلْتَ: (١) شيءٌ بِئْس (١) الشيءُ اشتَرَوْا به أنفسَهم. وتكونُ «أنْ» مترجِمةً (٢) عن «بئسما» .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولُ من جعَل : ﴿ بِئْسَمَا ﴾ مرفوعًا بالراجعِ من الهاءِ فى قولِه : ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ ﴾ كما رَفَعوا ذلك بـ « عبدِ اللهِ » ، إذ قالوا : بئسما عبدُ اللهِ . وجعَل ﴿ أَن يَكْفُرُوا ﴾ مترجِمةً عن ﴿ بِئْسَمَا ﴾ . فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : بئس الشيءُ باع اليهودُ به أنفسَهم كفرُهم بما أنزَلَ اللهُ بغيًا وحسدًا أن يُنَزِّلَ اللهُ من فضلِه . وتكونُ ﴿ أَن ﴾ التى فى قولِه : ﴿ أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ ﴾ . فى موضعِ نصبٍ ؛ لأنه يَعْنِى به : أن يَكْفُروا بما أنزَل اللهُ من أجلِ أن يُنَزِّلَ اللهُ من فضلِه على مَن يشاءُ من عبادِه . وموضعُ ﴿ أَن ﴾ جزاءٌ (٣) . وكان بعضُ أهلِ العربيةِ من الكوفيِّين (٤) يزعُمُ أنَّ ﴿ أَن ﴾ فى موضِعِ خفضٍ بنيةِ الباءِ . وإنما اختَرْنا (٥) فيها النصبَ لتمامِ الخبرِ قبلَها ، ولا خافضَ معها يَخْفِضُها ، والحرفُ الخافضُ لا يُخْفَضُ به مُضْمَرًا .

وأما قولُه : ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ فإنه يَعْنى به : باعُوا به أنفسَهم .

كما حدثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ . يقولُ : باعُوا به (٦) أنفسَهم ﴿ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (٧) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بئس شىء » .

(٢) الترجمة هى تسمية الكوفيين لما يسميه البصريون عطف البيان . همع الهوامع ١/ ١٢١.

(٣) فى م : « جر » . وينظر معانى القرآن ١/ ٥٨.

(٤) هو الكسائى . ينظر معانى القرآن الموضع السابق .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أجزنا » .

(٦) سقط من : م .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٢، ١٩٥ (٩٠٨، ١٠٣٠) من طريق عمرو به .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ[(١)] ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ : يهودُ ، شَرَوُا الحقَّ بالباطلِ ، وكتمانَ ما [٣/٤٥و] جاء به محمدٌ ﷺ / بأن يُبيِّنوه[(٢)] . ٤١٥/١

والعربُ تقولُ : [(٣)] شَرَيْتُ الشيءَ[(٣)] . بمعنى : بِعْتُه . و ﴿ اشْتَرَوْا ﴾ فى هذا الموضعِ « افتعلوا » مِن « شَرَيت » . وأكثرُ[(٤)] كلامِ العربِ - فيما بلَغنا - أن يقولوا : شَرَيتُ . بمعنى : بِعتُ ، و : اشْتَريتُ . بمعنى : ابْتَعتُ . وقِيلَ : إنما سُمِّىَ الشارى[(٥)] شاريًا ؛ لأنه باع نفسَه ودنياه بآخرتِه . ومن ذلك قولُ يزيدَ بنِ مُفرِّغٍ الحِمْيرىِّ[(٦)] :

وشَرَيْتُ بُرْدًا ليتنى مِن قبلِ[(٧)] بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ[(٨)]

ومنه قولُ المُسيَّبِ بنِ عَلَسٍ[(٩)] :

يُعْطَى بِها ثَمَنًا فَيَمْنَعُها ويقولُ صاحِبُها[(١٠)] ألا تَشْرِى[(١١)]

يعنى به : بِعْتُ بُرْدًا . وربما اسْتُعْمِلَ « اشْتَريتُ » [(١٢)] فى معنى[(١٢)] : بِعْتُ ،

---

(١) فى م : « الحسن » .

(٢) فى م : « بينوه » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٢ (٩٠٩) من طريق حجاج به .

(٣ - ٣) فى م : « شريته » .

(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) الشارى واحد الشراة : وهم الخوارج . التاج (ش ر ى) .

(٦) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٨٩ ، وأمالى الزجاجى ص ٤٢ ، والأضداد ص ٧٣ .

(٧) فى مصادر التخريج : « بعد » .

(٨) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كهامة » . يقال : هذا هامة اليوم أو غد . أى يموت اليوم أو غدا . اللسان (هـ و م) .

(٩) الأضداد ص ٧٤ ، وهو فى الخزانة ٣/٢٣٧ ضمن أبيات للأعشى .

(١٠) كذا فى النسخ ، وفى مصدرى التخريج : « صاحبه » ، وهو الصواب ، راجع الخزانة .

(١١) فى ت ٢ ، ت ٣ : « تشترى » .

(١٢ - ١٢) فى م : « بمعنى » .

و « شَرَيتُ » فى معنى : ابْتَعتُ . والكلامُ المُسْتَفيضُ[(١)] هو ما وصَفتُ .

وأما معنى قولِه : ﴿ بَغْيًا ﴾ فإنه يعنى به : تعدِّيًا وحسدًا .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ بَغْيًا ﴾ . قال : أى حسدًا ، وهم اليهودُ[(٢)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ بَغْيًا ﴾ . قال : بَغَوْا على محمدٍ ﷺ وحسَدوه ، وقالوا : إنما كانت الرسلُ مِن بنى إسرائيلَ ، فما بالُ هذا مِن بنى إسماعيلَ ؟ فحسَدوه أن يُنَزِّلَ اللهُ مِن فضلِه على مَن يشاءُ مِن عبادِه .

وحدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ بَغْيًا ﴾ يعنى : حسدًا ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ وهم اليهودُ ، كفروا بما أُنزِل على محمدٍ ﷺ[(٣)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

فمعنى الآيةِ : بئس الشىءُ باعوا به أنفسَهم ، الكفرُ بالذى أنْزَله اللهُ فى كتابه على موسى ، مِن نبوّةِ محمدٍ ﷺ والأمرِ بتصديقِه واتباعِه ، مِن أجلِ أن أنْزَل اللهُ مِن فضلِه - وفضلُه حكمتُه وآياتُه ونبوَّتُه - ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ يعنى به : على محمدٍ ﷺ ، بغيًا وحسدًا لمحمدٍ ﷺ مِن أجلِ أنه كان مِن ولدِ إسماعيلَ ، ولم يكنْ مِن بنى إسرائيلَ .

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيهم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٣/١ (٩١٠ ، ٩١١) من طريق آدم به .

فإن قال قائلٌ : وكيف باعت اليهودُ أنفسَها بالكفرِ ، فقيل : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . وهل يُشْتَرى بالكفرِ شيءٌ ؟

قيل : إن معنى الشراءِ والبيعِ عندَ العربِ هو إزالةُ مالكٍ مِلْكَه إلى غيرِه بعِوَضٍ يَعْتاضُه منه ، ثم تَسْتَعمِلُ العربُ ذلك فى كلِّ مُعْتاضٍ مِن عملِه عِوَضًا ، شرًّا أو خيرًا ، فتقولُ : نِعْمَ ما باع به فلانٌ نفسَه ، وبئس ما باع به فلانٌ نفسَه . بمعنى : نِعْمَ الكَسْبُ أَكْسَبها ، وبئس الكَسْبُ أكْسَبها . إذا أوْرَثها بسَعْيِه عليها خيرًا أو شرًّا . فكذلك معنى قولِه جل ثناؤه : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ [٣/٤٥ظ] بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ . لمّا أوْبقوا أنفسَهم بكفرِهم بمحمدٍ ﷺ فأهْلَكوها ، خاطَبهم اللهُ والعربَ بالذى يَعْرِفونه فى كلامِهم ، فقال : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ يعنى بذلك : بئس ما أكْسَبوا أنفسَهم بسعيِهم ، وبئس العِوَضُ اعْتاضُوا مِن كفرِهم باللهِ فى تكذيبِهم محمدًا ؛ إذ كانوا قد رَضُوا عِوَضًا مِن ثوابِ اللهِ وما أعدَّ لهم - لو كانوا/ آمَنوا باللهِ وما أنْزَل على ١/٤١٦
أنبيائِه - بالنارِ وما أعدَّ لهم بكفرِهم بذلك .

وهذه الآيةُ - وما أخبَر اللهُ فيها عن حسدِ اليهودِ محمدًا ﷺ وقومَه مِن العربِ ، مِن أجلِ أن اللهَ جعَل النبوةَ والحِكمةَ فيهم دونَ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ ، حتى دعَاهم ذلك إلى الكفرِ به مع علمِهم بصدقِه ، وأنه للهِ نبىٌّ مبعوثٌ ورسولٌ مُرْسَلٌ - نَظيرةُ الآيةِ الأُخْرى فى سورةِ النساءِ ، وذلك قولُه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ .

قد ذَكَرْنا تأويلَ ذلك وبيَّنَّا معناه ، ولكنا نذكرُ الرِّوايةَ بتصْحيحِ ما قلنا فيه :

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ الأنْصاريِّ ، عن أشْياخٍ منهم قولَه : ﴿ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ . أى : أن اللهَ تعالى جعلَه فى غيرِهم[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : هم اليهودُ ، لما بعَثَ اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ فرأَوا أنه بُعِث من غيرِهم ، كفَروا به حسدًا للعربِ ، وهم يَعْلمون أنه رسولُ اللهِ ﷺ ، يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ مثلَه .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : قالوا : إنما كانت الرسلُ مِن بنى إسرائيلَ ، فما بالُ هذا مِن بنى إسماعيلَ ؟

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن علىٍّ الأَزْدِىِّ ، قال : نزَلت فى اليهودِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٦.

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٨.

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٧.

[٤٦/٣و] يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ : فرجَعت اليهودُ من بنى إسرائيلَ - بعدَ الذى كانوا عليه مِن الاسْتِنصارِ بمحمدٍ ﷺ والاستفتاحِ به ، وبعدَ الذى كانوا يُخْبِرون[١] الناسَ مِن قبلِ مَبْعثِه أنه نبيٌّ مَبْعوثٌ - مُرْتَدين على أعقابِهم حين بعَثه اللهُ نبيًّا مرسلاً ، [٢]وانصرَفت[٢] بغضبٍ من اللهِ ، اسْتَحقوه منه بكفرِهم بمحمدٍ حينَ بعَثه[٣] ، وجُحودِهم بنبوَّتِه ، وإنكارِهم إياه أن يكونَ هو الذى يَجِدون صفتَه فى كتابِهم ، عِنادًا منهم له ، وبغيًا وحسدًا له وللعربِ ، عَلى غَضَبٍ سالفٍ كان مِن اللهِ عليهم قبلَ ذلك ، سابقٍ غضبَه الثانىَ ؛ لكفرِهم[٤]/ كان قبلَ ذلك ، بعيسى ابنِ مريمَ ، أو لعبادتِهم العجلَ ، أو لغيرِ ذلك مِن ذنوبٍ كانت لهم سَلَفت ، اسْتحقُّوا[٥] بها الغضبَ مِن اللهِ . ٤١٧/١

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ - فيما [٦]يرَى أبو جعفرٍ الطبرىُّ[٦] - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ : فالغضبُ على الغضبِ ، غضبُه عليهم فيما كانوا ضَيَّعوا مِن التوراةِ وهى معهم ، وغضبٌ بكفرِهم بهذا النبىِّ الذى أحْدَث اللهُ إليهم[٧] .

وحدَّثنا ابنُ بشارٍ[٨] ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ وعبدُ الرحمنِ ، قالا : ثنا سفيانُ ،

---

(١) بعده فى م : « به » .

(٢ - ٢) فى م : « فباءوا » .

(٣) فى م : « بعث » .

(٤) بعده فى م : « الذى » .

(٥) فى م : « يستحقون » .

(٦ - ٦) فى م : « أروى » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أرى » .

(٧) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٣/١ (٩١٥) من طريق سلمة به .

(٨) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يسار » .

عن أبي بكرٍ[(١)] ، عن عكرمةَ : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ . قال : كُفْرٌ بعيسى وكفرٌ بمحمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهما وسلَّم .

وحدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي بكرٍ[(١)] ، عن عكرمةَ : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ . قال : كفرُهم بعيسى ومحمدٍ ﷺ .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثوريُّ ، عن أبي بكرٍ[(١)] ، عن عكرمةَ مثلَه[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، قال : الناسُ يومَ القيامةِ على أربعةِ مَنازلَ : رجلٌ كان مؤمنًا بعيسى فآمَن بمحمدٍ ﷺ ، فله أجْران ، ورجلٌ كان كافرًا بعيسى فآمَن بمحمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهما وسلَّم ، فله أجرٌ ، ورجلٌ كان كافرًا بعيسى فكَفَر بمحمدٍ ﷺ ، فباءَ بغضبٍ على غضبٍ ، ورجلٌ كان كافرًا بعيسى مِن مُشرِكى العربِ ، فمات بكُفرِه قبلَ محمدٍ ﷺ ، فباءَ بغضبٍ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ : غَضِب اللهُ عليهم بكفرِهم بالإنجيلِ وبعيسى صلى اللَّه عليه ، وغَضِب عليهم بكفرِهم بالقرآنِ وبمحمدٍ ﷺ[(٣)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن

---

(١) فى الأصل ، م ، ت ١ : « بكير » . وينظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٥٩.

(٢) فى الأصل : « نحوه » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ . وأبو بكر هو الهذلى ، ضعيف .

(٣) ذكره البغوى فى تفسيره ١/ ١٢١ عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

مجاهدٍ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: اليهودُ، غضَبٌ[1] بما كان مِن تبديلِهم التوراةَ قبلَ خروجِ النبيِّ ﷺ، ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ جُحودُهم [٣/٤٦ظ] النبيَّ ﷺ وكفرُهم بما جاء به[2].

وحدَّثني المثنى، قال: ثنا آدمُ، قال: ثنا أبو جعفرٍ، عن الربيعِ، عن أبي العاليةِ ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ يقولُ: غَضِب اللهُ عليهم بكفرِهم بالإنجيلِ وعيسى، ثم غَضِب[3] عليهم بكفرِهم بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ[4].

وحدَّثني موسى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّديِّ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: أما الغضبُ الأولُ، فهو حين غَضِب اللهُ عليهم في العجلِ، وأما الغضبُ الثاني، فغَضِب عليهم حين كفَروا بمحمدٍ ﷺ[5].

وحدَّثني القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: حدَّثني حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن[6] عطاءٍ وعبيدِ بنِ عميرٍ في قولِه: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾. قال: غَضِب اللهُ عليهم فيما كانوا فيه مِن قبلِ خروجِ النبيِّ ﷺ / من تبديلِهم وكفرِهم، ثم غَضِب ٤١٨/١
عليهم في محمدٍ ﷺ إذ خرَج فكَفَروا به.

وقد بيَّنّا معنى الغضَبِ من اللهِ على مَن غَضِب[7] من خلقِه، واختلافَ المختلِفين في صفتِه فيما مضَى من كتابِنا هذا بما أغْنَى عن إعادتِه[8].

---

(١) سقط من: م.

(٢) ذكره البغوى في تفسيره ١٢١/١ عن مجاهد.

(٣) في م: «غضبه».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٣/١ (٩١٤) من طريق آدم به.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٤/١ (٩١٧) عن أبي زرعة، عن عمرو به.

(٦) في م، ت١، ت٢، ت٣: «و».

(٧) بعده في م: «عليه».

(٨) ينظر ما تقدم في ١/ ١٨٩، ١٩٠.

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ : وللجاحدِين نبوّةَ محمدٍ ﷺ من الناسِ كلِّهم عذابٌ من اللهِ ، إمّا فى الآخرةِ وإمّا فى الدنيا والآخرةِ ، ﴿ مُّهِينٌ ﴾ . وهو المُذِلُّ صاحبَه المخْزِى ، المُلْبِسُه هوانًا وذِلّةً .

فإن قال قائلٌ : وأىُّ عذابٍ هو غيرُ مُهِينٍ صاحبَه ، فيكونَ للكافرين المُهِينُ منه ؟

قيل : إن المُهِينَ هو الذى قد بيّنّا أنه المُورِثُ صاحبَه ذِلّةً وهوانًا ، الذى يَخْلُدُ فيه صاحبُه فلا ينتقلُ من هوانِه إلى عزٍّ وكرامةٍ أبدًا ، وهو الذى خصَّ اللهُ به أهلَ الكفرِ به وبرسلِه ، وأما الذى هو غيرُ مُهِينٍ لصاحبِه ، فهو ما كان تمحيصًا لصاحبِه ، وذلك[(1)] كالسارقِ من أهلِ الإسلامِ ، يَسْرِقُ ما يجِبُ عليه به القطعُ فتُقْطَعُ يدُه ، والزانى منهم يَزْنِى فيقامُ عليه الحدُّ ، وما أشبهَ ذلك من العذابِ والنَّكالِ الذى جعَله اللهُ كفاراتٍ للذنوبِ التى عَذَّبَ بها أهلَها ، وكأهلِ الكبائرِ[(2)] من أهلِ الإسلامِ الذين يُعَذَّبُون فى الآخرةِ بمقاديرِ أجرامِهم التى ارتكبُوها ليُمَحَّصُوا من ذنوبِهم ، ثم يَدخُلون الجنةَ ، فإن كلَّ ذلك وإن كان عذابًا ، فغيرُ مُهِينٍ مَن عُذِّبَ به ، إذ كان تعذيبُ اللهِ له[(3)] به ليُمَحِّصَه به[(4)] من آثامِه ، ثم يُورِدُه مَعْدِنَ العزِّ والكرامةِ ، ويُخَلِّدُه فى نعيمِ الجِنانِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه [٣/٤٧و] : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ .

يَعْنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ : وإذا قيل لليهودِ من بنى إسرائيلَ ،

---

(١) بعده فى م : ت ١، ت ٢،ت ٣: « هو » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « الكتاب » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إياه » .

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

الذين كانوا بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ أى : صَدِّقوا ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ يَعْنى بقولِه : ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآنِ على محمدٍ ﷺ ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ ﴾ أى : نُصَدِّقُ ﴿ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ يعنى : بالتوراةِ التى أنزلَها اللهُ على موسى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ ﴾ : ويَجْحَدُون ، ﴿ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ يَعْنى : بما وراءَ التوراةِ .

وتأويلُ « وراء » فى هذا الموضعِ : « سوى » ، كما يقالُ للرجلِ يتكلَّمُ[1] بالحَسَنِ : ما وراءَ هذا الكلامِ شىءٌ . يُرادُ به : ليس عندَ المتكلمِ به شىءٌ سِوَى ذلك الكلامِ . فكذلك معنى قولِه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أى : بما سوى التوراةِ وبما بعدَه من كتبِ اللهِ التى أنزلَها إلى رسلِه .

كما/ **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ٤١٩/١
قولَه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ يقولُ : بما بعده[2] .

وحدثنا المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أى : بما بعدَه ، يَعْنى : بما بعدَ التوراةِ[3] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ يقولُ : بما بعده[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م : « المتكلم » .
(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ عقب الأثر (٩٢١) معلقًا .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ (٩٢١) من طريق آدم به .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ عقب الأثر (٩٢١) من طريق ابن أبى جعفر به .

يَعْنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أى : وما وراء الكتابِ الذى أُنْزِل عليهم ، من الكتبِ التى أنزلها اللهُ إلى أنبيائِه ، الحقُّ . وإنما يَعْنى بذلك تعالى ذكرُه القرآنَ الذى أنزَله إلى محمدٍ ﷺ .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ : وهو القرآنُ ، يقولُ اللهُ جل ثناؤه : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[(١)] .

وإنما قال تعالى ذكرُه : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ . لأنَّ كتبَ اللهِ يُصَدِّقُ بعضُها بعضًا ، ففى الإنجيلِ والقرآنِ من الأمرِ باتباعِ محمدٍ ﷺ ، والإيمانِ به وبما جاء به ، مثلُ الذى من ذلك فى توراةِ موسى عليه السلامُ ، فلذلك قال جل ثناؤه لليهودِ - إذ أَخْبرَهم عما وراءَ كتابِهم الذى أنزَله على موسى ، من الكتبِ التى أنزَلَها إلى أنبيائِه - أنه الحَقُّ مُصدِّقًا للكتابِ الذى معهم . يَعْنى أنه له مُوافِقٌ فيما اليهودُ به مُكَذِّبون[(٢)] . وذلك خَبَرٌ من اللهِ جل ثناؤُه أنهم من التَّكْذِيبِ [٤٧/٣ظ] بالتوراةِ على مثلِ الذى هم عليه من التكذيبِ بالإنجيلِ والفرقانِ ، عنادًا للهِ ، وخلافًا لأمرِه ، وبَغْيًا على رسلِه صلواتُ اللهِ عليهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

يَعْنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ : قلْ يا محمدُ ليهودِ بنى إسـرائيلَ الذين إذا قُلْتَ لهم : ﴿ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ قالوا لك : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ (٩٢٢) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) بعده فى م : « قال » .

أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ - : لم تَقْتُلون - إن كنتم يا معشرَ اليهودِ مؤمنين بما أنزلَ اللهُ عليكم - أنبياءَه ، وقد حرَّم اللهُ فى الكتابِ الذى أنزلَ عليكم قَتْلَهم ، بل أمَركم فيه باتباعِهم وطاعتِهم وتصديقِهم . وذلك من اللهِ جل ثناؤُه تكذيبٌ لهم فى قولِهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ وتَعْيِيرٌ لهم .

كما حدثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : قال اللهُ تعالى ذكرُه وهو يُعَيِّرُهم ، يعنى اليهودَ : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل[2] : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ فابتدأ الخبرَ على لفظِ المستقبلِ ، ثم أخبرَ أنه قد مضَى ؟

قيل : إن أهلَ العربيةِ مُختلِفون فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُ البصريِّين : /معنى ١/٤٢٠
ذلك : فلم قَتَلْتم أنبياءَ اللهِ من قبلُ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] أى : ما تَلَتْ . وكما قال الشاعرُ[3] :

ولقد أمُرُّ على اللئيمِ يسُبُّنى فمَضَيْتُ عنه وقلتُ لا يَعْنِينى

يريدُ بقولِه : ولقد أمُرُّ : ولقد مَرَرْتُ . واستدلَّ على أن ذلك كذلك بقولِه : فمضَيْتُ عنه . ولم يَقُلْ : فأمْضِى عنه . وزعَم أن « فعَل » و « يفعَلُ » قد تَشْتَرِكُ فى معنًى واحدٍ ، واسْتَشْهَدَ على ذلك بقولِ الشاعرِ[4] :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٥/١ (٩٢٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٢) بعده فى م : « لهم » .

(٣) البيت لشمر بن عمرو الحنفى فى الأصمعيات ص ١٢٦، ولرجل من بنى سلول فى الكتاب ١/ ٢٤، وبلا نسبة فى الصاحبى ص ٣٦٤، واللسان (ث م م ، م ن ى) .

(٤) هو الطرماح ، والبيت فى ذيل ديوانه (ملحق بالديوان) صفحة ٥٧٢.

وإنى لآتيكم تَشَكُّرَ[١] ما مَضَى من الأمرِ واسْتِيجابَ ما كانَ في غَدِ

يعنى بذلك : ما يكونُ فى غدٍ . وبقولِ الحُطَيْئَةِ[٢] :

شَهِد الحُطَيئَةُ يومَ يَلْقَى ربَّه أنَّ الوَلِيدَ أحَقُّ بالعُذْرِ

يعنى : يَشْهَدُ . وكما قال الآخرُ[٣] :

فما أُضْحِى ولا أَمْسَيْتُ إلَّا [٤]أَرانى منكُمُ[٤] فى كُوَّفانِ[٥]

فقال : أُضْحِى . ثم قال : ولا أمْسَيْتُ .

٤٢١/١ وقال بعضُ نحويِّى الكوفيِّين[٦] : إنما [٣/٤٨و] قيل : /﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ فخاطَبهم بالمستقبلِ من الفعلِ ومعناه الماضى ، كما يُعَنِّفُ الرجلُ الرجلَ على ما سلَف منه من فِعْلٍ ، فيقولُ له : ويحكَ لِمَ تَكْذِبُ ، ولِمَ تُبَغِّضُ نفسَك إلى الناسِ ! كما قال الشاعرُ[٧] :

إذا ما انْتَسَبْنا لم تَلِدْنى لَئِيمَةٌ ولم تَجِدِى من أن تُقِرِّى بها[٨] بُدًّا

---

(١) فى م : « بشكرى » .

(٢) ديوانه ص ٢٣٣.

(٣) البيت فى الصاحبى ص ٣٦٤، واللسان (ك و ف) .

(٤ - ٤) فى الصاحبى : « رأونى منهم » .

(٥) يقولون : وقعنا فى كُوفَان وكُوَّفان . أى عناء ومشقة ، كأنهم اشتقوا ذلك من الرمل المتكوف ؛ لأن المشى فيه يُعنِّى . مقاييس اللغة ٥/ ١٤٧. وفى حاشية الأصل : « كوفان من كيف » .

(٦) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٦٠، ٦١.

(٧) تقدم البيت فى ص ٥٧.

(٨) فى م : « به » .

فالجزاءُ للمستقبَلِ ، والولادةُ كلُّها قد مضَت ، وذلك أن المعنى معروفٌ ، فجاز ذلك .

قال : ومثلُه فى الكلامِ : إذا نظَرْتَ فى سيرةِ عمرَ لم يُسِئْ[1] . المعنى : لم تَجِدْه أساء . فلما كان أمرُ عمرَ لا يُشَكُّ فى مُضِيِّه ، لم يَقَعْ فى الوَهْمِ أنه مُسْتَقْبَلٌ ، فلذلك صَلَحت : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مع قولِه : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ .

قال : وليس الذين خوطِبوا بالقتلِ هم القَتَلَةَ ، إنما قتَل الأنبياءَ أسلافُهم الذين مَضَوْا ، فتوَلَّوْهم[2] على ذلك ورَضُوا ، فنُسِب القتلُ إليهم .

والصوابُ فى ذلك من القولِ عندنا أن اللهَ تعالى ذكرُه خاطَب الذين أدرَكُوا رسولَ اللهِ ﷺ من يهودِ بنى إسرائيلَ - بما خاطَبهم به[3] فى سورةِ « البقرةِ » وغيرِها من سائرِ السورِ - بما سلَف من إحسانِه إلى أسلافِهم ، وما[4] سلَف من كُفْرانِ أسلافِهم نِعَمَه ، وارتكابِهم معاصيَه ، واجترائِهم عليه وعلى أنبيائِه ، فأضاف[5] ذلك إلى المخاطَبين به ، نظيرَ قولِ العربِ بعضِها لبعضٍ : فعَلْنا بكم يومَ كذا[6] وكذا ، وفعلْتُم بنا يومَ كذا[6] وكذا - على نحوِ ما قد بيَّنّا فى غيرِ موضعٍ من كتابِنا هذا[7] - يَعْنُون بذلك أن أسلافَنا فعَلُوا ذلك بأسلافِكم ، وأن أوائلَنا فعَلُوا ذلك بأوائلِكم ،

---

(١) فى م : « تجده يسىء » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قتلوهم » .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى م : « بما » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وأضاف » .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كذا » .

(٧) ينظر ما تقدم فى ١/٦٤٢ ، ٦٤٣ .

فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ . (١) وما أشبَهَه . فإذ كان ذلك معناه ، وكان قولُه : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ (١) - وإن كان قد خرَج على لفظِ الخبرِ عن المخاطَبين به - خبرًا من اللهِ تعالى ذكرُه عن فعلِ السالفين منهم - على نحوِ الذى بَيَّنَّا - جاز أن يُقالَ : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ . إذ كان معناه : قل : فلِمَ يَقْتُلُ أسلافُكم أنبياءَ اللهِ من قبلُ . وكان معلومًا بأن قولَه : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ إنما هو خبرٌ عن فعلِ سَلَفِهم .

وتأويلُ قولِه : ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أى : من قبلِ اليومِ .

أما قولُه : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . فإنه يَعْنى : إن كنتم مؤمنين بما أنزَل اللهُ عليكم كما تَزْعُمون (٢) . وإنما يعْنى (٣) بذلك اليهودَ الذين أدركوا رسولَ اللهِ ﷺ وأسلافَهم : إن كانوا وكنتم - كما تزعُمون أيها اليهودُ - مؤمنين . وإنما عَيَّرهم جل ثناؤُه [٤٨/٣ظ] بقتلِ أوائلِهم أنبياءَه عندَ قولِهم - حين قيل لهم : ﴿ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (٤) قالوا : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ لأنهم كانوا لأوائلِهم الذين تولَّوْا قَتْلَ أنبياءِ اللهِ مع قيلِهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ مُتَوَلِّين ، وبفعلِهم راضِين ، فقال لهم : إن كنتم كما تزعُمون مؤمنين بما أُنزِلَ عليكم ، فلِمَ تَتَوَلَّوْن قَتَلَةَ أنبيائى (٥) ، وتَرْضَوْن أفعالَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « زعمتم » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عنى » .

(٤) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣ : « قالوا » .

(٥) فى م : « أنبياء الله ، أى » ، وفى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أنبياء الله » .

ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

يعْنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أى : جاءَكم بالبيناتِ الدالةِ على صدقِه وحقيقةِ[(١)] نبوَّتِه ، كالعصا التى تَحوَّلَتْ ثعبانًا مُبينًا ، ويدِه التى أخرَجها بيضاءَ للناظِرين ، وفَلْقِ البحرِ ، ومَصيرِ أرضِه له طريقًا يَبَسًا ، والجرادِ والقُمَّلِ والضفادِعِ ، وسائرِ الآياتِ التى بيَّنَتْ صدقَه وحقيقةَ[(١)] نبوَّتِه . وإنما سمّاها اللهُ جلَّ ثناؤه بيِّناتٍ ، لتبَيُّنِها للناظِرين إليها أنها مُعجزةٌ لا يَقْدِرُ على أن يأْتِىَ بها بَشَرٌ إلا بتسخيرِ اللهِ ذلك له ، وإنما هى جمعُ بَيِّنةٍ مثلَ طَيِّبةٍ وطَيِّباتٍ .

ومعنى الكلامِ : ولقد جاءَكم يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ موسى بالآياتِ البيِّناتِ على[(٢)] أمرِه وصدقِه وحقيقةِ[(١)] نبوتِه .

وقولُه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ يقولُ جل ثناؤُه لهم : ثم اتَّخَذْتُم العجلَ من بعدِ موسى[(٣)] . فالهاءُ التى فى قولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من ذكرِ موسى . وإنما قال : من بعدِ موسى ؛ لأنهم اتخَذُوا العجلَ من بعدِ أن فارَقَهم موسى ماضيًا إلى ربِّه لموعدِه ، على ما قد بَيّنّا فيما مضَى من كتابِنا هذا[(٤)] . وقد يجوزُ أن تكونَ الهاءُ التى فى : ﴿ بَعْدِهِۦ ﴾ من[(٥)] ذكرِ المجىءِ ، فيكونُ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ : ولقد جاءَكم موسى بالبيناتِ ، ثم اتخذتمُ العجلَ من بعدِ مجىءِ [(٦)]موسى بالبيناتِ[(٦)] وأنتم ظالمون . كما تقولُ : جِئْتَنى فكَرِهْتُك[(٧)] . يَعْنى : فكَرِهْتُ مجيئَك .

---

(١) فى م : « حقية » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إلها » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٦٦٨/١ وما بعدها .

(٥) فى م : « إلى » .

(٦ - ٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « البينات » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فكرهته » .

وأما قولُه : ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ فإنه يَعنى بذلك أنكم فعلْتُم ما فعلْتُم من عبادةِ العجلِ وليس ذلك لكم ، وعبَدْتُم غيرَ الذى كان يَنْبَغى لكم أن تَعْبُدُوه ؛ لأن العبادةَ لا تَنْبَغى لغيرِ اللهِ . وهذا تَوبيخٌ من اللهِ جل ثناؤُه لليهودِ ، وتَعْيِيرٌ منه لهم ، وإخبارٌ منه لهم أنهم (١) إذ كانوا قد (١) فعلُوا ما فعلُوا من اتخـاذِ العجلِ [٤٩/٣و] إلهًا وهو لا يَمْلِكُ لهم ضَرًّا ولا نفعًا ، بعدَ الذى عَلِموا أن ربَّهم هو الربُّ الذى يَفْعَلُ من الأعاجيبِ وبدائعِ الأفعالِ ما أجْراه على يَدَىْ موسى صلواتُ اللهِ عليه ، من الأمورِ التى (٢) عايَنُوها التى (٢) لا يَقْدِرُ عليها أحدٌ من خلقِ اللهِ ، ولم يَقْدِرْ عليها فرعونُ وجندُه مع بطشِه وكثرةِ أتباعِه ، وقُرْبِ عهدِهم بما عايَنُوا من عجائبِ حكمِ اللهِ فيهم ، فهم

٤٢٢/١ إلى تكذيبِ محمدٍ ﷺ ، /وجحودِ ما فى كتبِهم التى زعموا أنهم بها مؤْمِنون من صفتِه ونعتِه ، مع بُعْدِ ما بينَهم وبين عهدِ موسى مِن المدةِ - أسرعُ ، وإلى التكذيبِ بما جاءَهم به موسى مِن ذلك أقربُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ : واذْكُروا إذ أخَذْنا عُهودَكم بأن خُذوا ما آتيناكم مِن التوراةِ التى أَنْزَلْتُها إليكم أن تَعْملوا بما فيها مِن أمْرِى ، وتَنْتَهوا عما نَهَيْتُكم فيها بجدٍّ منكم فى ذلك ونشاطٍ ، فأعْطَيتم على العملِ بذلك مِيثاقَكم ، إذ رفَعنا فوقَكم الجبلَ .

وأما قولُه : ﴿ وَٱسْمَعُواْ ﴾ فإن معناه : واسْمَعوا ما أمرتُكم به ، وتَقَبَّلوه بالطاعةِ . كقولِ الرجلِ للرجلِ يأمرُه بالأمرِ : سمِعتُ وأطعتُ . يعنى بذلك : سمِعتُ قولَك وأطَعتُ أمرَك . كما قال الراجزُ (٣) :

(١ - ١) فى م : « إذا كانوا » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ذكره المصنف فى تاريخه ٥/ ٢٩٩ .

السَّمْعُ والطَّاعَةُ والتَّسْلِيمْ
خَيْـــرٌ وأعْفى لبَنى تَمِيمْ

يعنى بقولِه : السمعُ : قبولُ ما تسمعُ ، والطاعةُ لِما تُؤْمرُ . فكذلك معنى قولِه ﴿ وَٱسۡمَعُواْۖ ﴾ : اقْبَلُوا ما سمِعتم ، واعْمَلوا به .

قال أبو جعفرٍ : فمعنى الآيةِ إذن : وإذ أخَذْنا مِيثاقَكم أن خُذُوا ما آتيناكم بقوةٍ ، واعْمَلوا بما سمِعتم ، وأطيعوا اللهَ ، ورفَعنا فوقَكم الطورَ مِن أجلِ ذلك .

وأما قولُه : ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾ فإن الكلامَ خرَج مَخْرجَ الخبرِ عن الغائبِ بعد أن كان الابتداءُ بالخطابِ ، وذلك ما وصَفنا مِن أن ابتداءَ الكلامِ إذا كان حكايةً ، فالعربُ تُخاطِبُ فيه ثم تَعودُ فيه إلى الخبرِ عن الغائبِ ، وتُخْبِرُ عن الغائبِ ثم تُخاطِبُ ، كما قد بَيَّنا ذلك فيما مضى قبلُ . فكذلك ذلك فى هذه الآيةِ ؛ لأن قولَه ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ ﴾ بمعنى : قُلْنا لكم فأجَبْتمونا . وأما قولُه : ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾ فإنه خبرٌ مِن اللهِ عن اليهودِ الذين أخَذ ميثاقَهم أن يَعْملوا بما فى التوراةِ ، وأن يُطِيعوا اللهَ فيما [٤٩/٣ظ] يَسْمعون منها ، أنهم قالوا حين قِيلَ لهم ذلك : سمِعنا قولَك ، وعصَينا أمرَك .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ ﴾ .

اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : تأويلُه : وأُشْرِبوا فى قلوبِهم حبَّ العِجلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ قال : أُشْرِبوا حبَّه حتى خَلَص ذلك إلى

قلوبِهم[١] .

١/٤٢٣ /حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال : أُشْرِبوا حبَّ العِجلِ بكفرِهم[٢] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ قال : أُشْرِبوا حبَّ العجلِ فى قلوبِهم[٣] .

وقال آخرون : معنى ذلك أنهم سُقُوا الماءَ الذى ذُرِّىَ فيه سُحالةُ[٤] العجلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : لمَّا رجَع موسى إلى قومِه أخَذ العجلَ الذى وجَدهم عاكفين عليه فذبحَه[٥] ، ثم حَرَقَه[٦] بالمبردِ ، ثم ذَرَّاه فى اليَمِّ ، فلم يَبْقَ بحرٌ يومئذٍ يَجْرِى إلا وقَع فيه شىءٌ منه ، ثم قال لهم موسى : اشْرَبوا منه . فشرِبوا منه ، فمن كان يُحِبُّه خرَج على شاربِه الذهبُ ، فذلك حين يَقولُ اللهُ عز وجل : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٧] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٥٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٦ (٩٣٤) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٦ عقب الأثر (٩٣٤) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٦ عقب الأثر (٩٣٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) السحالة : ما سقط من الذهب والفضة ونحوها إذا برد . التاج (س ح ل) .

(٥) أى : شقه .

(٦) فى م : « خرقه » . وحرقه بالمبرد : برده . وينظر ما تقدم فى ١/ ٦٨١.

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٦ (٩٣٣) من طريق عمرو به .

لما سُحِل فأُلْقِى فى اليّم استقبلوا جِرْيةَ الماءِ ، فشرِبوا حتى ملئوا بطونَهم ، فأوْرَث ذلك مَن فعَله منهم جُبْنًا .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلَى التأويلين اللذين ذكَرتُ بقولِ اللهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ تأويلُ مَن قال : وأُشْرِبوا فى قلوبِهم حبَّ العجلِ ؛ لأن الماء لا يُقالُ منه : أُشْرِب فلانٌ فى قلبِه . وإنما يُقالُ ذلك فى حبِّ الشىءِ ، فيُقالُ منه : أُشْرِب قَلْبُ فلانٍ حبَّ كذا . بمعنى : سُقِىَ ذلك حتى غلَب عليه وخالطَ قلبَه . كما قال زُهيرٌ[(١)] :

فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْد حُبٍّ داخلٍ والحُبُّ يُشْرَبُهُ فُؤَادُكَ دَاءُ

ولكنه ترَك ذِكْرَ « الحبِّ » اكْتِفاءً بفهمِ السامعِ لمعنى الكلامِ ؛ إذ كان معلومًا [٣/٥٠و] أن العجلَ لا يُشْرِبُ القلبَ ، وأن الذى يُشْرِبُ القلبَ منه حبُّه . كما قال جل ثناؤُه : [(٢)] ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [(٢)] [الأعراف : ١٦٣] . ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] . وكما قال الشاعرُ[(٣)] :

حسِبتَ بُغامَ[(٤)] راحلتى عَناقًا[(٥)] وما هى وَيْبَ[(٦)] غيرِك بالعَناقِ

يعنى بذلك : حسبتَ بُغامَ راحلتى بُغامَ عناقٍ .

---

(١) شرح ديوانه ص ٣٣٩.

(٢ - ٢) ليست فى : الأصل .

(٣) البيت فى اللسان (و ى ب) (ب غ م) ، وفى النوادر ص ١١٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٦٢، منسوب لذى الخِرَق الطهوى يخاطب ذئبا تبعه فى طريقه ، وفى اللسان (ع ن ق) منسوب لقريط بن أنيف ، وغير منسوب فى مجالس ثعلب ١/ ٧٦.

(٤) بغام الناقة : صوت لا تفصح به . اللسان (ب غ م) .

(٥) العناق : الأنثى من المعز . اللسان (ع ن ق) .

(٦) الويب : كلمة بمعنى ويل . اللسان (و ى ب) .

وكما قال طَرفةُ بنُ العبدِ[(١)] :

ألا إنَّنِى سُقِّيتُ أسودَ حالِكًا ألا بَجَلِى[(٢)] مِن الشَّرابِ ألا بَجَلْ

يعنى بذلك : سُقِيتُ سَمًّا أسودَ . فاكْتَفى بذكرِ « أسودَ » من ذِكْرِ « السَمِّ » لمعرفةِ السامعِ معنى ما أراد بقولِه : سُقِيتُ أسودَ . ويُرْوَى :

ألا إنَّنِى سُقِّيتُ أسْوَدَ سالخًا[(٣)]

وقد تقولُ العربُ : إذا سرَّك أن تَنْظُرَ إلى السخاءِ فانْظُرإلى هَرِمٍ أو إلى حاتمٍ . فتَجْتَزِئُ بذِكرِ الاسمِ مِن ذكرِ فعلِه ، إذا كان معروفًا بشجاعةٍ أو سخاءٍ ، أو ما أشْبَهَ ذلك مِن الصفاتِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[(٤)] :

يَقُولون جاهِدْ يا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وإن جِهادًا طَيِّئٌ وَقِتالُها

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣ ﴾ .

يَعْنِى بذلك جل ثناؤُه : قل يا محمدُ ليهودِ بنى إسرائيلَ : بئس الشىءُ يَأْمرُكم به إيمانُكم ، إن كان يأمرُكم بقتلِ أنبياءِ اللهِ ورسلِه ، والتكذيبِ بكُتُبِه ، وجُحودِ ما جاءَ مِن عندِه . ومعنى إيمانِهم : تَصْديقُهم /الذى زعَموا أنهم به مصدِّقون مِن كتابِ ١/٤٢٤
اللهِ ، إذ قِيلَ لهم : آمِنوا بما أنزَل اللهُ . فقالوا : نُؤمنُ بما أُنزِلَ علينا .

وقولُه : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى : إن كُنتُم مُصدِّقين - كما زعَمتم - بما

(١) ديوانه ص ١١٥.

(٢) بجلى : حسبى . التاج (ب ج ل) .

(٣) السالخ : الأسود من الحيات شديد السواد وأقتل ما يكون من الحيات . اللسان (س ل خ) .

(٤) معانى القرآن للفراء ١/٦٢ ، ومجالس ثعلب ١/ ٧٦، واللسان (غ ز ى) .

أنزَل اللهُ عليكم . وإنما كذَّبهم اللهُ بذلك لأن التوراةَ تَنْهَى عن ذلك كلِّه ، وتأْمُر بخلافِه ، فأخْبَرهم أنّ تصديقَهم بالتوراةِ إن كان يأمُرُهم بذلك ، فبئس الأمْرُ تأمرُ به . وإنما ذلك نَفْىٌ مِن اللهِ تعالى ذِكْرَه عن التوراةِ أن تكونَ تأْمرُ بشىءٍ مما يَكرهُه اللهُ مِن أفعالِهم ، وأن يكونَ التصديقُ بها يدلُّ على شىءٍ مِن مخالفةِ أمرِ اللهِ ، وإعلامٌ منه جل ثناؤُه [٣/٥٠ظ] أن الذى يأْمرُهم بذلك أهواؤُهم ، والذى يَحْمِلُهم عليه البغىُ والعدوانُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه الآيةُ مما احتجَّ اللهُ به لنبيِّه محمدٍ ﷺ على اليهودِ الذين كانوا بين ظَهْرَانَىْ مُهاجَرِه ، وفضَح بها أحبارَهم وعلماءَهم ، وذلك أن اللهَ جل ثناؤُه أمَر نَبيَّه ﷺ أن يَدْعوَهم إلى قضيةٍ عادلةٍ بينَه وبينَهم ، فيما كان بينَه وبينَهم مِن الخلافِ ، كما أمَره اللهُ أن يَدْعوَ الفريقَ الآخرَ مِن النَّصارَى - إذ خالفوه فى عيسى صلواتُ اللهِ عليه ، وجادلوه فيه - إلى فاصلةٍ بينَه وبينَهم مِن المُباهَلَةِ ، وقال لفريقِ اليهودِ : إن كنتم مُحِقِّين فتَمنَّوُا الموتَ ، فإن ذلك غيرُ ضارِّكم إن كنتم مُحِقِّين فيما تَدَّعون مِن الإيمانِ وقُربِ المَنْزِلةِ مِن اللهِ ، بل إن أُعْطِيتُم أُمْنِيتَكم مِن الموتِ إذا تمنَّيتم ، فإنما تَصِيرون إلى الراحةِ مِن تعَبِ الدنيا ونصبِها وكَدَرِ عَيْشِها ، والفوزِ بجوارِ اللهِ فى جِنانِه ، إن كان الأمرُ كما تَزْعُمون ، مِن أنّ الدارَ الآخرةَ لكم خالصةٌ دونَنا ، وإن لم تُعْطَوْها عِلِم الناسُ أنكم المُبطِلون ، ونحن المُحِقُّون فى دعوانا ، وانْكَشف أمرُنا وأمرُكم لهم . فامْتَنعت اليهودُ مِن إجابةِ النبىِّ ﷺ إلى ذلك لعلْمِها أنها إن تَمنَّت الموتَ هلكَت ، فذَهَبت دنياها ، وصارت إلى خِزْىِ الأبدِ فى آخرتِها ، كما امتنع فريقُ النَّصارى الذين جادلوا النبىَّ ﷺ فى عيسى ، إذ دُعُوا إلى المُباهلةِ - مِن المباهلةِ ، فبلَغنا أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لو أن اليهودَ تَمنَّوا الموتَ لماتوا ، ولرأَوا

مقاعدَهم مِن النارِ ، ولو خرَج الذين يُباهِلون رسولَ اللهِ ﷺ لرجَعوا لا يَجِدون أهلًا ولا مالًا » .

حدَّثنا بذلك أبو كريبٍ ، قال : حدثنا[1] زكريا بنُ عديٍّ ، قال : حدَّثنا عُبيدُ اللهِ ابنُ عمرٍو ، عن عبدِ الكريمِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ[2] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا عَثَّامُ بنُ عليٍّ ، عن الأعمشِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قال : لو تمنَّوا الموتَ لشَرِقَ أحدُهم بريقِه[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن
١/٤٢٥ عبدِ الكريمِ الجزَريِّ ، / عن عكرمةَ في قولِه : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قال : [٣/٥١و] قال ابنُ عباسٍ : لو تَمنَّى اليهودُ الموتَ لماتوا[4] .

حدَّثني موسى ، قال : أخْبَرنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ - قال أبو جعفرٍ : فيما أرى - أنا - عن سعيدٍ ، أو عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو تمنَّوه يومَ قال لهم ذلك ، ما بقِي على ظَهرِ الأرضِ

---

(١) بعده في م : « أبو » .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف) ، وابن مردويه - كما في الفتح ٨/٧٢٤ - من طريق زكريا بن عدى به . وأخرجه أحمد ٤/٩٩ (٢٢٢٦) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٦١) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله بن عمرو به .

(٣) الأعمش لم يدرك ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٧ (٩٣٦) من طريق عثام ، عن الأعمش قال : لا أظنه إلا عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٧ (٩٣٨) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٩ إلى ابن المنذر وأبي نعيم .

يهوديٌّ إلا مات[(١)] .

قال أبو جعفرٍ : فانكَشف - لمَن كان مُشكِلاً عليه أمرُ اليهودِ يومَئذٍ - كَذِبُهم وبُهْتُهم وبَغْيُهم على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه ، وظهَرت حُجَّةُ رسولِ اللهِ وحُجة أصحابِه عليهم ، ولم تَزَلْ - والحمدُ للهِ - ظاهرةً عليهم وعلى غيرِهم مِن سائرِ أهلِ المللِ ، وإنما أُمِرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يقولَ لهم : ﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ لأنهم -فيما ذكرنا- قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨] وقالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١] . فقال اللهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل لهم إن كنتم صادقين فيما تَزْعُمون فتمنَّوُا الموتَ . فأبان اللهُ كَذِبَهم بامْتِناعِهم مِن تَمنِّى ذلك ، وأفلَجَ حُجَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ .

وقد اختلف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجلِه أمَر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يَدْعوَ اليهودَ إلى أن يَتمنَّوُا الموتَ ، وعلى أىِّ وجهٍ أُمِروا أن يَتمنَّوه ؛ **فقال بعضُهم** : أُمِروا أن يَتمنَّوه على وجهِ الدعاءِ على الفريقِ الكاذبِ منهما .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال اللهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أى : ادْعُوا بالموتِ على أىِّ الفريقين أكْذَبُ[(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٧ (٩٤٠) من طريق سلمة به .

(٢) سيأتى بتمامه فى ص ٢٧٢، ٢٧٣.

وقال آخرون بما حدَّثني بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ : وذلك أنهم قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ . وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ . فقيلَ لهم : ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : قالت اليهودُ : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ . فقال اللهُ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً [٥١/٣ظ] مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ فلم يفْعَلوا[2] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثني [3]ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه[3] ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ / لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية : ٤٢٦/١
وذلك بأنهم قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾[4] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فإنه يقولُ : قُلْ يا محمدُ : إن كان نعيمُ الدارِ الآخرةِ ولَذَّاتُها لكم يا مَعْشَرَ اليهودِ عندَ اللهِ . فاكْتفى بذِكْرِ الدارِ مِن ذِكْرِ نعيمِها لمعرفةِ المُخاطبين بالآيةِ معناها .

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٧ عقب الأثر (٩٣٥) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٦، ١٧٧ (٩٣٥) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) في م : « أبو جعفر » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٧ عقب الأثر (٩٣٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

وقد بيَّنَّا مَعْنى الدارِ الآخرةِ فيما مضى بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ [(١)] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ خَالِصَةً ﴾ فإنه يعنى به : صافيةً . كما يُقالُ : خَلَص لى [(٢)]هذا الأمرُ[(٢)] . بمعنى : صار لى وَحْدى وصَفَا لى ، يُقالُ منه : خَلَصَ لى هذا الشىءُ فهو يخْلُصُ خلوصًا وخالصةً . والخالصةُ مصدرٌ ، مِثْلُ العافية ، ويقالُ للرجلِ : هذا خُلْصَانى . يعنى به : خالِصَتى مِن دونِ أصحابِى .

وقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَتأولُ قولَه : ﴿ خَالِصَةً ﴾ : خاصةً . وذلك تأويلٌ قريبٌ مِن مَعْنى التأويلِ الذى قُلْناه فى ذلك .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمَارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ قال : قُلْ يا محمدُ لهم - يَعْنى اليهودَ - إن كانت لكم الدارُ الآخرةُ ، يَعْنى الخيرَ [(٣)] ﴿ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً ﴾ . يقولُ : خاصةً لكم [(٤)] .

وأما قولُه : ﴿ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ فإن الذى يَدلُّ عليه ظاهِرُ التنزيلِ أنهم قالوا : لنا الدارُ الآخرةُ عندَ اللهِ خالصةً مِن دونِ جميعِ الناسِ . ويُبَيِّنُ أن ذلك كان قولَهم - مِن غيرِ اسْتِثناءٍ منهم مِن ذلك أحدًا مِن بنى آدمَ - إخْبارُ اللهِ عنهم أنهم قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . إلا أنه قد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ قولٌ غيرُ ذلك .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢ - ٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فلان » .

(٣) كذا فى النسخ ، وفى الدر المنثور : « الجنة » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٨٩ إلى المصنف .

ذكرُ ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ يقولُ : مِن دونِ محمدٍ ﷺ وأصحابِه الذين اسْتَهزأتم بهم ، وزَعَمْتم أن الحقَّ فى أيدِيكم ، وأن الدارَ الآخرةَ لكم دونَهم .

وأما قولُه : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ ﴾ فإن تأويلَه : تَشهَّوه وأَرِيدوه . وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه قال فى تأويلِه : فسَلُوا الموتَ . [٥٢/٣و] ولا يُعْرَفُ التَّمنى بمعنى المسألةِ فى كلامِ العربِ . ولكنى أحْسِبُ أن ابنَ عباسٍ وجَّه مَعْنى الأُمْنِيةِ - إذ كانت محبةَ النفسِ وشهوتَها - إلى معنى الرَّغْبةِ والمسألةِ ، إذ كانت المسألةُ هى رغبةَ السائلِ إلى اللهِ فيما سأله .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ ﴾ يقولُ : فسَلُوا الموتَ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللهِ جل ثناؤُه عن اليهودِ وكراهتِهم الموتَ ، وامتناعِهم من الإجابةِ إلى ما دُعُوا إليه مِن تَمَنِّى الموتِ ؛ لعلمِهم بأنهم إن فعَلوا ذلك فالوعيدُ بهم نازلٌ ، والموتُ بهم حالٌّ ، ولمعرفتِهم بمحمدٍ ﷺ أنه رسولٌ مِن اللهِ إليهم مرسلٌ ،
١/٤٢٧ وهم به مُكذِّبون ، وأنه لن يُخْبِرَهم خبرًا إلا كان حقًّا كما أخْبَر ، فهم / يَحذَرُون أن يتمنَّوا الموتَ ، خوفًا أن يَحِلَّ بهم عقابُ اللهِ بما كسَبت أيديهم مِن الذنوبِ .

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ

إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ - فيما يرَى أبو جعفرٍ - عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ الآية . أى : ادْعُوا بالموتِ على أىِّ الفريقين أكذبُ ، فأبَوا[1] ذلك على رسولِ اللهِ ﷺ . يقولُ اللهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى : لعلمِهم بما عندَهم مِن العلمِ بك والكفرِ بذلك[2] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ . يقولُ : يا محمدُ ، ولن يتمنَّوه أبدًا ؛ لأنهم يَعْلَمون أنهم كاذبون ، ولو كانوا صادقين لتمنَّوه ، ورَغِبوا فى التعجيلِ إلى كَرامتى ، فليس يتمنَّونه أبدًا بما قدَّمت أيديهم[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ : وكانت اليهودُ أشدَّ الناسِ[4] فرارًا مِن الموتِ ، ولم يكونوا ليتمنَّوه أبدًا .

وأما قولُه : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ [٥٢/٣ظ] أَيْدِيهِمْ ﴾ . فإنه يَعْنى به : بما أسْلَفَته أيديهم . وإنما ذلك مَثَلٌ ، على نحوِ ما تتَمَثَّلُ به العربُ فى كلامِها ، فتقولُ للرجلِ يُؤْخَذُ بجَريرةٍ جرَّها ، أو جنايةٍ جَناها فيعاقبُ عليها : نالك هذا بما جَنَتْ يداك ، وبما كَسبت يداك ، وبما قَدَّمت يداك . فتُضِيفُ ذلك إلى اليدِ ، ولعلَّ الجنايةَ التى جَناها فاستحقَّ عليها العقوبةَ كانت باللسانِ أو بالفَرْجِ أو بغيرِ ذلك مِن أعضاءِ جسدِه سِوَى

(١) فى م : « قالوا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٧، ٩٤٠) من طريق سلمة به .

(٣) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٧١.

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٣.

اليدِ . وإنّما قِيلَ ذلك بإضافتِه إلى اليدِ ؛ لأن عُظْمَ جِناياتِ الناسِ بأيديهم ، فجَرَى الكلامُ باستعمالِ إضافةِ الجناياتِ التي يجنيها الناسُ إلى أيديهم ، حتى أُضِيفَ كلُّ ما عُوقِبَ عليه الإنسانُ مما جَناه بسائرِ أعضاءِ جسدِه إلى أنها عقوبةٌ على ما جَنَتْه يَداه[(١)] ، فلذلك قال جل ثناؤُه للعربِ : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعنى به : ولن يَتمنَّى اليهودُ الموتَ بما قدَّموا أمامَهم فى حياتِهم مِن كفرِهم باللهِ ، فى مخالفتِهم أمرَه وطاعتَه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ وما جاءهم[(٢)] به مِن عندِ اللهِ ، وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ ، ويَعْلمون أنه نبىٌّ مبعوثٌ . فأضاف جل ثناؤُه ما انْطَوت عليه قلوبُهم ، وأَضْمَرته نفوسُهم ، ونَطَقت به ألسنتُهم ؛ مِن حسدِ محمدٍ ﷺ والبغيِ عليه ، وتكذيبِه وجُحودِ رسالتِه - إلى أيديهم ، وأنه مما قدَّمته أيديهم لعلمِ العربِ بمعنى ذلك فى منطقِها وكلامِها ، إذ كان جل ثناؤُه إنما أنزَل القرآنَ بلسانِها ، وبلغتِها خاطَبها[(٣)] .

ورُوِىَ عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما حدَّثنا به أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقولُ : بما أسْلفت أيديهم[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : إنهم عَرَفوا أن محمدًا ﷺ نبىٌّ فكَتَموه .

وأما قولُه : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فإنه يعنى جل ثناؤُه : واللهُ ذو علمٍ بظَلَمةِ
١/٤٢٨ بنى آدمَ - يهودِها / ونَصارَاها وسائرِ أهلِ [(٥)] مللِها غيرِهم [(٥)] - وما يَعْملون .

(١) فى م : « يده » .
(٢) فى م : « جاء » .
(٣) سقط من : م .
(٤) ليست فى : الأصل .
(٥ - ٥) فى م : « الملل غيرها » .

وظلمُ اليهودِ كفرُهم باللهِ فى خلافِهم أمرَه وطاعتَه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ ، بعدَ أن كانوا يَسْتَفْتِحون به وبمَبْعثِه ، وجُحودِهم نبوتَه وهم عالمون أنه نبىُّ اللهِ ورسولُه إليهم .

وقد دَلَّلْنا على معنى الظلمِ فيما مضَى بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ .

[٥٣/٣و] يَعْنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ اليهودَ . يقولُ : يا محمدُ ، لتَجِدَنَّ أشدَّ الناسِ حِرصًا على الحياةِ فى الدنيا ، وأشدَّهم كراهةً للموتِ ، اليهودَ ، كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ،قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ - فيما يرَى[(٢)] أبو جعفرٍ - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أوعكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ . يعنى اليهودَ[(٣)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، [(٤)]عن الربيعِ[(٤)] ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ . يعنى اليهودَ[(٥)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، [(٤)]قال : ثنا إسحاقُ[(٤)] ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٦)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٢) فى م : « يروى » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٤٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٨ (٩٤٤ ، ٩٤٦) ، والحاكم ٢/ ٢٦٣ من طريق مسلم البطين عن سعيد به بزيادة : ﴿ومن الذين أشركوا﴾ قال : الأعاجم . وستأتى بقيته فى ص ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٢.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٨ عقب الأثر (٩٤٤) من طريق آدم به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٨ عقب الأثر (٩٤٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وإنما كراهتُهم الموتَ لعلمِهم بما لَهم فى الآخرةِ من الخزْيِ والهَوانِ الطويلِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ .

يَعْنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ : وأحرصَ من الذين أشرَكُوا على الحياةِ . كما يقالُ : هو أَشجعُ الناسِ ومن عنترةَ . بمعنى : هو أشجعُ من الناسِ ومن عنترةَ . فكذلك قولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : ولَتَجِدَنَّ يا محمدُ اليهودَ من بنى إسرائيلَ أحرصَ من [(1)] الناسِ على حياةٍ ومن الذين أشركُوا . فلمّا أُضِيفَ ﴿ أَحْرَصَ ﴾ إلى ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ ، وفيه تأويلُ « مِن » - أُظْهِرَتْ بعدَ حرفِ العطفِ رَدًّا على التأويلِ الذى ذكَرْنا .

وإنما وصَف اللهُ جل ثناؤُه اليهودَ بأنهم أحرصُ الناسِ على الحياةِ ، لِعلْمِهم بما قد أَعَدَّ لهم فى الآخرةِ على كفرِهم ، مما لا يُقِرُّ به أهلُ الشركِ ، فهم للموتِ أكْرَهُ من أهلِ الشركِ الذين لا يُؤْمِنون بالبعثِ ؛ لأنهم يُؤمنون بالبعثِ ويَعْلَمون ما لهم هنالك من العذابِ ، وأنَّ المُشركِينَ لا يُصَدِّقُون ببعثٍ ولا عقابٍ ، فاليهودُ أحرصُ منهم على الحياةِ وأكْرَهُ للموتِ .

وقيل : إن الذين أَشركُوا ، الذين أخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه أن اليهودَ أحرصُ منهم فى هذه الآيةِ على الحياةِ ، هم المجوسُ . [(2)] وقيل : هم [(2)] الذين لا يُصَدِّقُون بالبعثِ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

/ ذكرُ من قال : هم المجوسُ ٤٢٩/١

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : يعنى المجوسَ[(١)] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : [٥٣/٣ظ] ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : المجوسُ .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنى ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ . قال : يهودُ أحرصُ من هؤلاء على الحياةِ .

ذكرُ من قال : هم الذين يُنْكِرون البعثَ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ ابنُ أبي محمدٍ - فيما يَرَى[(٢)] أبو جعفرٍ - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ : وذلك أن المشركَ لا يَرْجُو بعثًا بعد الموتِ ، فهو يُحبُّ طولَ الحياةِ ، وأن اليهوديَّ قد عَرَف ما له في الآخرةِ من الخِزْيِ ، [(٣)]لما ما ضَيَّع بما[(٣)] عنده من العلمِ[(٤)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

وهذا خبرٌ من اللهِ جل ثناؤُه[(٥)] عن الذين أشرَكُوا ، الذين أخبرَ أن اليهودَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٩/١ (٩٤٧) من طريق آدم به .

(٢) في م : « يروى » .

(٣ - ٣) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بما ضيع مما » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٩/١ (٩٥٠) من طريق سلمة به .

(٥) بعده في : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بقوله » .

أحرصُ منهم على الحياةِ ، يقولُ جل ثناؤُه : يَوَدُّ أحدُ هؤلاءِ الذين أشرَكُوا - (١) ليأسِه بفناءِ (١) دنياه وانقضاءِ أيامِ حياتِه ، من (٢) أن يكونَ له بعد ذلك نُشورٌ أو مَحْيَا ، أو فَرحٌ أو سُرُورٌ - لو يُعَمَّرُ (٣) فى الدنيا (٣) ألفَ سنةٍ ، حتى جعَل بعضُهم تحيةَ بعضٍ : (٤) عِشْ ألفَ (٤) عامٍ . حرصًا منهم على الحياةِ .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ ، قال : سمِعتُ أبى عليًّا يقولُ (٢) : أخبرَنا أبو حمزةَ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : هو قولُ الأعاجمِ : هَزار (٢) سال زِه نَوْروز مِهْرجان دَر (٥)(٦) .

وحُدِّثت عن نُعَيمِ النحْوىِّ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : هو قولُ أهلِ الشركِ بعضِهم لبعضٍ إذا عَطِس : زِه هَزار سال (٧) .

حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : حُبِّبَتْ إليهم الخطيئةُ طولَ العُمُرِ (٨) .

(١ - ١) فى م : « إلا بعد فناء » .
(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عشرة آلاف » .
(٥) فى النسخ : « حر » .
وهزار : ألف ، وسال : سنة ، وزه : عِش ، ونوروز ومهرجان : من أعياد الفرس ، ودر : حرف جر بمعنى : فى . وينظر المعجم الذهبى ص ٢٥٨ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٥٥١ ، ٦٠٣ .
(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٨٤ عن المصنف .
(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٩ عقب الأثر (٩٤٩) معلقًا .
(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٧٩ (٩٤٩) من طريق ابن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثني ابنُ مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ في قولِه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ . فذكَر مثلَه .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ حتى بلَغ : ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ [٣/٥٤و] سَنَةٍ ﴾ : ويهودُ أحرصُ من هؤلاء على الحياةِ ، وقد وَدّ هؤلاءِ لو يُعَمَّرُ أحدُهم ألفَ سنةٍ[١] .

/ **وحُدِّثت** عن أبي معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ١/٤٣٠ في قولِه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : هو قولُ أحدِهم إذا عَطَس : زِه هَزار سال . يقولُ : [٢]عِشْ ألفَ[٢] سنةٍ[٣] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ .

يعني جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ : وما التعميرُ وطولُ البقاءِ بمُزَحْزِحِه من عذابِ اللهِ .

و[٤]قولُه : ﴿ هُوَ ﴾ . عِمادٌ ، لطلَبِ « ما » الاسمَ أكثرَ من طلبِها الفعلَ ، كما

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٨٥ .

(٢ - ٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عشرة آلاف » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٠١ - تفسير) ، والحاكم ٢/٢٦٣ من طريق أبي معاوية به . وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٤٧٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٩ (٩٤٨) من طريق ابن نمير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد به ، وأخرجه الحاكم ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ من طريق قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد به . وتقدم في ص ٢٧٨ عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٩ إلى ابن المنذر .

(٤) بعده في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هو » .

قال الشاعرُ[(١)] :

* فهل هو مَرفُوعٌ بما هَلهُنا راسُ *

و ﴿أَن﴾ التى فى : ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ رَفْعٌ بـ﴿ مُزَحْزِحِهِۦ﴾ ، و[(٢)] ﴿ هُوَ﴾ التى مع ﴿ مَا﴾ [(٣)]من ذكرِه[(٣)] ، عمادٌ للفعلِ ؛ لاستقباحِ[(٤)] العربِ النكرةَ قبل المعرفةِ .

وقد قال بعضُهم : إن ﴿ هُوَ﴾ التى مع ﴿وَمَا﴾ كنايةٌ مِن ذكرِ العُمُرِ . كأنه قال : يَوَدُّ أحدُهم لو يُعَمَّرُ ألفَ سنةٍ ، وما ذلك العُمْرُ بمُزَحْزحِه من العذابِ . وجعَل : ﴿أَن يُعَمَّرَ ﴾ مُتَرْجِمًا[(٥)] عن ﴿ هُوَ﴾ . يُريدُ : ما هو بمُزَحْزِحِه التعميرُ .

وقال بعضُهم : قولُه : ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ نظيرُ قولِك : ما زيدٌ بمُزَحْزِحِه أن يُعَمَّرَ .

وأقربُ هذه الأقوالِ عندنا إلى الصوابِ ما قلْناه ، وهو أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ عمادًا ، نظيرُ قولِك : ما هو قائمًا[(٦)] عمرٌو .

وقد قال قومٌ من أهلِ التأويلِ : إنَّ ﴿ أَن ﴾ التى فى قولِه : ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ بمَعْنَى : وإنْ عُمِّرَ . وذلك قولٌ لمعانى كلامِ العربِ المعروفِ مخالفٌ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ :

---

(١) تقدم تخريج البيت فى ص ٢١٥ ، وينظر تعريف العماد هناك أيضًا .

(٢) فى م : « أو » .

(٣ - ٣) فى م : « تكرير » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لاستفتاح » .

(٥) ينظر تعريف الترجمة فى ص ٢٤٦ .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائم » .

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ . يقولُ : وإن عُمِّر[(١)] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ : ولو عُمِّرَ[(٢)] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾ فإنه : بمُبْعِدِه ومُنْجِيه[(٣)] ، كما قال الحُطَيئةُ[(٤)] :

وقالُوا تَزَحْزَحْ لا بِنا فَضْلُ حاجةٍ إليكَ ولا مِنّا لِوَهْيِكَ[(٥)] راقِعُ

[٣/٥٤ظ] يعني بقولِه : تَزَحْزَحْ : تَباعَدْ . يقالُ منه : زَحْزَحَه يُزَحْزِحُه زَحْزَحَةً وزِحْزَاحًا ، وهو عنك يُزَحْزَحُ . أي : هو مُتباعِدٌ .

فتأويلُ الآيةِ : وما طولُ العمرِ بمُبْعِدِه من عذابِ اللهِ ولا مُنْجِيه[(٣)] منه ؛ لأنه لا بُدَّ للعُمُرِ من الفناءِ ومصيرِه إلى اللهِ .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ - قال أبو جعفرٍ : فيما أرى - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أو

---

(١) سيأتي بتمامه في ص ٢٨٢.

(٢) سيأتي تخريجه في ص ٢٨٣ .

(٣) في م : « بمنحيه » .

(٤) البيت في الاختيارين ص ٢٢٧، والأغاني ١٤/ ١٥٧، منسوب لقيس بن الحدادية ، ونسب الشطر الأخير ابن بري - كما في اللسان (و هـ ى) إلى الحطيئة . والشطر الأول في الاختيارين :

* وقالت تزحزح لابنا خلت خلة *

وفي الأغاني :

* فقالت تزحزح ما بنا كبر حاجة *

(٥) في الاختيارين والأغاني : « لفقرك » . والوهي : خرق قليل من السقاء . اللسان (و هـ ى) .

عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ . أى : ما هو بمُنجِيه من العذابِ[1] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ . يقولُ : وإنْ عُمِّر ، فما[2] ذلك بمُغْنيه[2] من العذابِ ولا منجِيه[3] .

٤٣١/١ / وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ : فهم الذين عادَوْا جبريلَ عليه السلامُ[4] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ : ويهودُ أحرصُ على الحياةِ من هؤلاءِ ، وقد وَدَّ هؤلاءِ لو يُعَمَّرُ أحدُهم ألفَ سنةٍ ، وليس[5] بمُزَحْزِحِه من العذابِ لو عُمِّر كما عُمِّر إبليسُ ، لم يَنْفَعْه ذلك إذا[6] كان كافرًا ، لم[7] يُزَحْزِحْه ذلك

---

(١) تقدم أوله فى ص ٢٧٥ ، ٢٧٧.

(٢ - ٢) فى م : « ذاك بمغيثه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ (٩٥١) من طريق آدم به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٨٤/١ عن العوفى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/١ إلى المصنف .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٣: « ذلك » ، وفى ت ٢: « ذاك » .

(٦) فى م : « إذ » .

(٧) فى م : « ولم » .

من العذابِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

يَعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ : واللهُ ذو إبصارٍ بما[(٢)] يَعمَلون ، لا يَخْفَى عليه شىءٌ من أعمالِهم ، بل هو بجميعِها مُحيطٌ ، ولها حافظٌ ذاكرٌ ، حتى يُذِيقَهم بها من العقابِ جزاءَها .

وأصلُ بصيرٍ مُبْصِرٌ ، من قولِك[(٣)] : أبْصَرْتُ فأنا مُبْصِرٌ . ولكنّه صُرِف إلى « فَعِيلٍ » ، كما صُرِفَ مُسْمِعٌ إلى سَمِيعٍ ، وعذابٌ مؤلمٌ إلى أليمٍ ، ومُبدِعُ السماواتِ إلى بَديعٍ ، وما أشبهَ ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ .

أجمع أهلُ العلمِ بالتأويلِ جميعًا على أن هذه الآيةَ نزَلتْ جوابًا لليهودِ مِن بنى إسرائيلَ ، إذ زعَموا أنَّ جبريلَ عدوٌّ لهم ، وأن ميكائيلَ وَلِىٌّ لهم . **ثم اختلَفوا فى السببِ** [٣/٥٥و] الذى مِن أجلِه قالوا ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : إنما[(٤)] كان سببُ قيلِهم ذلك مِن أجلِ مناظرةٍ جرَتْ بينهم وبين رسولِ اللهِ ﷺ فى أمرِ نبوَّتِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ[(٥)] بُكَيرٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرامَ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٨٥.

(٢) فى الأصل : « ما » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قول القائل » .

(٤) ليست فى : الأصل .

(٥) فى م : « عن » .

شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : حضَرَتْ عِصابةٌ من اليهودِ رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا : يا أبا القاسمِ ، حدِّثْنا عن خِلالٍ نسأَلُك عنهنَّ لا يَعْلَمُهن إلا نبيٌّ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « سَلُوا عمَّا شِئْتُم ،ولكن اجعَلُوا لى ذِمّةَ اللهِ وما أخَذ يَعْقُوبُ على بَنِيه ، لَئِنْ أنا حَدَّثْتُكم شيئًا فعرَفْتُموه لَتُتابِعُنِّى [(١)] على الإسلامِ » . فقالوا : ذلك لك . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « سَلُونى عمّا شِئْتُم » . فقالوا : أخبِرْنا عن أربعِ خِلالٍ نسأَلُك عنهن ؛ أخبِرْنا أىُّ الطعامِ حرَّم إسرائيلُ على نفسِه من قبلِ أن تُنَزَّلَ التوراةُ ، وأخبِرْنا كيف ماءُ المرأةِ وماءُ الرجلِ ، وكيف يكونُ الذكرُ منه والأُنثى ، وأخبِرْنا بهذا النبىِّ الأُمِّىِّ فى [(٢)] النومِ ، ومن [(٢)] وَلِيُّه مِن الملائكةِ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « عليكم عَهْدُ اللهِ لَئِنْ
٤٣٢/١ أنا أَنْبَأْتُكم لَتُتابِعُنِّى [(٣)] » . فأعطَوْه ما شاء مِن عهدٍ وميثاقٍ ، فقال : « نَشَدْتُكم/ بالذى أنْزَلَ التوْراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أن إسْرائِيلَ يعقوبَ [(٤)] مَرِض مَرَضًا شديدًا ، فَطال سَقَمُه منه ، فنَذر للهِ [(٤)] نَذْرًا لئِن عافاه اللهُ مِن سَقَمِه ، لَيُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطعامِ والشرابِ إليه ، وكانَ أحبَّ الطعامِ إليه لُحْمانُ [(٥)] الإبِلِ » - قال أبو جعفرٍ : فيما أرى أنا - « وأَحَبَّ الشرابِ إليه أَلْبانُها ؟ » فقالوا : اللهمَّ نعم . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « [(٦)] اللهُمَّ اشْهَدْ عليهم [(٦)] . وأنْشُدُكم باللهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، الذى أنْزَلَ التوراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أنَّ ماءَ الرَّجُلِ أبْيَضُ غليظٌ ، وأن ماءَ المرأةِ أصفرُ رقيقٌ ، فأَيُّهما عَلا كان له الوَلَدُ والشَّبَهُ بإذنِ اللهِ ، إذا [(٧)] عَلا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ كان الولَدُ ذَكَرًا بإذنِ اللهِ ، وإذا علا ماءُ

---

(١) فى ت ٢، ونسخ من الطيالسى : « لتبايعنى » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ت١ ، ت ٢: « التوراة و » .
(٣) فى ت ١، ت ٣، ونسخ من الطيالسى : « لتبايعنى » ، وفى ت ٢: « لتبايعوه » ، وغير منقوطة فى الأصل .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لحم » .
(٦ - ٦) فى م : « أشهد الله عليكم » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « أشهد عليكم » .
(٧) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فإذا » .

المرأةِ ماءَ الرجلِ كان الولَدُ أُنثَى بإذنِ اللهِ ؟ » قالوا : اللهمَّ نعَم . قال : « اللهمَّ اشْهَدْ » . قال : « وأَنْشُدُكم بالذى أنزَل التوراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أن هذا النبيَّ الأُمِّيَّ تنامُ عيناه ولا يَنامُ قلبُه ؟ » قالوا : اللهمَّ نعَم . قال : « اللهمَّ اشْهَدْ » . قالوا[1] : أنت الآنَ ، فحدِّثْنا مَن وَلِيُّك مِن الملائكةِ ، فعندَها نجامِعُك[2] أو نُفارِقُك . قال : « فإن وَليِّى جبريلُ ، ولم يَبْعَثِ اللهُ نبيًّا قطُّ إلَّا وهو وليُّه » . قالوا : فعندَها نُفارِقُك ؛ لو كان وليُّك سواه مِن الملائكةِ تابَعْناك وصدَّقْناك . قال : « فما يَمْنَعُكم أن تُصدِّقوه ؟ » قالوا : إنه عدوُّنا . فأنزَل [٣/٥٥ظ] اللهُ عزَّ وجل : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ . إلى قولِه : ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . فعندَها باءوا بغضَبٍ على غضَبٍ[3] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الحسينِ المكِّىُّ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشعرىِّ ، أن نَفرًا مِن اليهودِ جاءوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا له : يا محمدُ ، أخبِرْنا عن أربعِ خصالٍ[4] نسألُك عنهنَّ ، فإن فعَلتَ اتَّبعْناكَ وصدَّقْناكَ وآمنَّا بكَ . فقال لهم[4] رسولُ اللهِ ﷺ : « عليكم بذلك عهدُ اللهِ وميثاقُه ، لئن أنا أخبَرْتُكم بذلك لَتُصدِّقُنِّى » . قالوا : نعم . قال : « فسلُوا عمَّا بدَا لكم » . فقالوا : أخبِرْنا كيف يُشْبِهُ الولدُ أُمَّه وإنما النطفةُ مِن الرجلِ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « أنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه[5] عندَ بَنى إسرائيلَ ، هل تَعْلَمونَ أن نُطفَةَ الرَّجُلِ بَيضاءُ غليظةٌ ، ونُطْفَةَ المَرأةِ صفراءُ رَقيقَةٌ ، فأيَّتُهما عَلَت[6] صاحبَتَها

(١) فى الأصل : « فقالوا » .

(٢) فى م : « نتابعك » .

(٣) أخرجه الطيالسى (٢٨٥٤) ، وابن سعد فى الطبقات ١/ ١٧٤ ، وعبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١/ ١٨٦ - وأحمد ١/ ٢٧٣، ٢٧٨ (٢٤٧١، ٢٥١٤) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ١/ ٢٧٨ (٢٥١٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٠٤ (٣٨١٦) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠١٢) ، والبيهقى فى الدلائل ٦/ ٢٦٦، ٢٦٧ من طرق عن عبد الحميد بن بهرام به .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « بآياته » .

(٦) فى م : « غلبت » .

كان لها الشَّبَهُ ؟ » قالوا : اللهمَّ نعم . قالوا : فأخبِرْنا كيف نومُك ؟ قال : « أَنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بَنِى إسرائيلَ ، هل تعْلَمون أن (١) نومَ هذا (٢) النبيِّ الذى تزعُمون أنى لستُ به ، تنامُ عينُه (٣) وقلبُه يقظانُ؟ (١) » قالوا : اللهمَّ نعم . قال : « (٤) فكـذلك نَوْمِى ؛ تَنامُ عَينى وقَلْبى يقظانُ » . قالوا : فأخبِرْنا عمّا (٤) حرَّم إسرائيلُ على نفسِه (٥) ، فقال : « (٦) أَنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بَنى إسرائيلَ (٦) ، هل تَعْلَمون أنه كان أحبَّ الطعامِ والشرابِ إليه أَلْبانُ الإبلِ ولُحُومُها ، وأنه اشْتَكَى شكوَى فعافاه اللهُ منها ، فحرَّم أحَبَّ الطعامِ والشرابِ إليه شُكْرًا (٧) للهِ ، فحرَّم على نَفْسِه لُحُومَ الإبِلِ وأَلْبانَها ؟ » قالوا : اللهمَّ نعَم . قالوا : فأخبِرْنا عن الرُّوحِ . قال : « أَنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عندَ بنى إسْرائيلَ ،

٤٣٣/١ هل تَعْلَمون أنه جبريلُ ، وهو الذى يَأْتِينى ؟ » قالوا : نعَم ، ولكنه/ لنا عدوٌّ ، وهو مَلَكٌ إنما يأْتى بالشِّدَّةِ وسفْكِ الدماءِ ، فلولا ذلك اتبعْناك . فأنْزَل اللهُ فيهم : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : حدَّثنى القاسمُ بنُ أبى بَزَّةَ ، أن يهودَ سألوا النبيَّ ﷺ مَن صاحبُه الذى يَنْزِلُ عليه بالوحيِ ؟ فقال : « جبريلُ » . قالوا : فإنه لنا عدوٌّ ، ولا يأتى إلَّا بالحربِ والشدَّةِ والقتالِ . فنزَل : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ الآية . قال ابنُ جُرَيْجٍ : وقال

(١ - ١) فى م : « هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ : « عيناه » .
(٤ - ٤) فى م : « اللهم اشهد . قالوا : أخبرنا أى الطعام » .
(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « من قبل أن تنزل التوراة » .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) فى الأصل : « تشكرا » .
(٨) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ . وتقدم طرف منه فى ص ٢٢٢ .

مجاهدٌ : قالت يهودُ : يا محمدُ ، ما يَنْزِلُ جبريلُ إلَّا بشدَّةٍ وحربٍ وقتالٍ[(١)] ، وإنه لنا لعدوٌّ . فنزَل : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ الآية[(٢)] .

وقال آخرون : بل كان سَبَبُ قِيلِهم ذلك مِن أجلِ مُناظرةٍ جرَت بين عمرَ بنِ الخطابِ رضِى اللهُ عنه وبينهم [٣/٥٦و] فى أمرِ النبىِّ ﷺ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ المُثنَّى ، قال : ثنا رِبْعِىٌّ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، قال : نزَل عمرُ بنُ الخطابِ الرَّوْحَاءَ[(٣)] ، فرأَى رجالًا يَبْتَدِرُون أحجارًا يُصَلُّون إليها ، فقال : ما بالُ[(٤)] هؤلاءِ ؟ قالوا : يَزْعُمون أن رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى هلهنا . قال : فكرِه ذاك ، وقال : إنَّما رسولُ اللهِ ﷺ أدركَتْه الصلاةُ بوادٍ ، فصلَّى ، ثم ارتحل وترَكه . ثم أنشأ يُحَدِّثُهم فقال : كنتُ أشْهَدُ اليهودَ يومَ مِدْراسِهم[(٥)] ، فأعْجَبُ مِن التوراةِ كيف تُصَدِّقُ الفُرقانَ ، ومِن الفرقانِ كيف يُصَدِّقُ التوراةَ ، فبينما أنا عندَهم ذاتَ يومٍ قالوا : يا بنَ الخطابِ ، ما مِن أصحابِك أحدٌ أحبُّ إلينا منك . قلتُ : ولِمَ ذلك ؟ قالوا : إنك تَغْشانا وتأْتِينا . قال : قلتُ : إنى آتِيكم فأعْجَبُ مِن الفُرْقانِ كيف يُصَدِّقُ التوراةَ ، ومِن التوراةِ كيف تُصَدِّقُ الفرقانَ . قال : ومرَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقالوا : يا بنَ الخطابِ ، ذاك صاحبُكم فالحَقْ به . قال : فقلتُ لهم عند ذلك : نَشَدْتكم باللهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، وما استرعاكم مِن حَقِّه واسْتَودَعَكم مِن كتابِه ، أَتَعْلَمون أنه

---

(١) فى م : « قالوا » .

(٢) أخرجه سنيد فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١٨٦/١ - عن حجاج بن محمد به .

(٣) الروحاء : بئر مأثورة ارتوى منها النبى ﷺ فى غزوة بدر تبعد عن المدينة نحو ٧٥ كيلو متر . صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ٥/ ١٧٩.

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢.

(٥) المدراس : البيت الذى يدرس فيه اليهود التوراة . ينظر النهاية ١١٣/٢.

رسولُ اللهِ ؟ قال : فسكَتوا . قال : فقال عالـمُهم وكبيرُهم : إنه قد عظُم عليكم فأَجيبوه . قالوا : أنت عالـمُنا وسيِّدُنا ، فأَجِبْه أنت . قال : أَمَّا إذ نشدْتَنا [١]بما نَشَدْتَنا[١] به ، فإنّا نَعْلَمُ أنه رسولُ اللهِ . قال : قلتُ : وَيْحَكم ! فأنَّى[٢] هلكتُم ! قالوا : إنَّا لم نَهْلِكْ . قال : قلتُ : كيف ذاك وأنتم تَعْلَمون أنه رسولُ اللهِ ، ثم لا تَتَّبِعونه ولا تُصَدِّقونه ؟ قالوا : إن لنا عدوًّا مِن الملائكةِ وسِلْمًا مِن الملائكةِ ، وإنه قُرِن بنبوَّتِه[٣] عدُوُّنا مِن الملائكةِ . قال : قلتُ : ومَن عدوُّكم ومَن سِلْمُكم ؟ قالوا : عدوُّنا جبريلُ وسِلْمُنا ميكائيلُ . قال : قلتُ : وفيمَ عاديْتُم جبريلَ وفيمَ سالمتم ميكائيلَ ؟ قالوا : إن جبريلَ مَلَكُ الفظاظةِ والغلظةِ والإعسارِ والتشديدِ والعذابِ ونحوِ ذلك ، وإن ميكائيلَ ملكُ الرأفةِ والرحمةِ والتخفيفِ ونحوِ هذا . قال : قلتُ : وما منزِلتُهما مِن ربِّهما ؟ قالوا : أحدُهما عن يمينِه والآخرُ عن يسارِه . قال : فقلتُ : فواللهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، إنهما والذى بينهما لعَدوٌّ لمَن عاداهما ، وسِلْمٌ لمَن سالَمَهما ، ما يَنْبَغى لجبريلَ أن يُسالمَ عدوَّ ميكائيلَ ، و[٤]ما يَنْبغِى[٤] لميكائيلَ أن يُسالمَ عدوَّ جبريلَ . قال : ثم قمتُ فاتَّبعْتُ النبيَّ ﷺ ، فلحِقْتُه وهو خارجٌ مِن خَوْخَةٍ[٥] لبنى فلانٍ ، فقال لى : « يا بنَ الخطابِ ،
٤٣٤/١ ألا / أُقرِئُك آياتٍ نزَلْنَ قبلُ[٦] » ؟ فقرأ علىَّ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا [٣/٥٦ظ] لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ حتى قرأ الآياتِ . قال : قلتُ : بأبى وأمى يا رسولَ اللهِ ، والذى بعَثك بالحقِّ ، لقد جِئْتُ وأنا أُرِيدُ أن أُخبِرَك

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى م : « أى » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لا » .

(٥) فى م : « خرقة » . والخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب . النهاية ٨٦/٢ .

(٦) سقط من : م .

الخبرَ ، فأسمعُ اللطيفَ الخبيرَ قد سبَقنى إليك بالخبرِ[(١)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ[(٢)] إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن داودَ ، عن الشَّعْبىِّ ، قال : قال عمرُ : كنتُ رجلاً أغْشَى اليهودَ فى يومِ مِدْراسِهم . ثم ذكَر نحوَ حديثِ رِبْعِىٍّ .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن عمرَ بنَ الخطابِ انْطَلَق ذاتَ يومٍ إلى اليهودِ ، فلمَّا أبْصَروه رحَّبوا به ، فقال لهم عمرُ : أمَا واللهِ ما جئتُ لحُبِّكم ولا للرغبةِ فيكم ، ولكن جئتُ لأسْمَعَ منكم . فسألهم وسألوه ، فقالوا : مَن صاحبُ صاحبِكم ؟ فقال لهم : جبريلُ . فقالوا : ذاك عدوُّنا مِن أهلِ السماءِ ، يُطْلِعُ محمدًا على سرِّنا ، وإذا جاء جاء بالحربِ والسَّنَةِ[(٣)] ، ولكنَّ صاحبَ صاحبِنا ميكائيلُ ، وكان إذا جاء جاء بالخِصْبِ وبالسِّلْمِ . فقال لهم عمرُ : أفتَعْرِفون جبريلَ وتُنْكِرون محمدًا ؟ ففارَقهم عمرُ عندَ ذلك وتوجَّه نحوَ رسولِ اللهِ ﷺ ليُحَدِّثَه حديثَهم ، فوجَده قد أُنْزِلت عليه هذه الآيةُ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[(٤)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن قتادةَ ، قال : بلغَنا أن عمرَ بنَ الخطابِ أقبلَ إلى[(٥)] اليهودِ يومًا . فذكَر نحوَه .

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٨٩١) - من طريق داود به . وقال السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٠: صحيح الإسناد ، ولكن الشعبى لم يدرك عمر .

(٢) فى م : « قال : ثنا » .

(٣) السنة : القحط والجدب . اللسان (س ن هـ) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٠ إلى المصنف .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « على » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ قال : قالت اليهودُ : إن جبريلَ هو عدوُّنا ؛ لأنه يَنْزِلُ بالشِّدَّةِ والحربِ والسَّنَةِ ، وإن ميكائيلَ يَنْزِلُ بالرخاءِ والعافيةِ والخِصْبِ ، فجبريلُ عدوُّنا . فقال اللهُ تعالى ذكرُه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾[(١)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قال : كان لعمرَ بنِ الخطابِ أرضٌ بأعلَى المدينةِ ، فكان يأتيها ، وكان ممَرُّه على طريقِ مِدْراسِ اليهودِ ، وكان كُلَّما (٢) مرَّ عليهم (٢) دخَل عليهم فيسمَعُ[(٣)] منهم ، وإنه دخَل عليهم ذاتَ يومٍ ، فقالوا : يا عمرُ ، ما فى أصحابِ محمدٍ أحدٌ أحبُّ إلينا منك ، إنهم يمُرُّون بنا فيُؤْذُوننا ، وتمُرُّ بنا فلا تُؤْذِينا ، وإنَّا لنَطْمَعُ فيك . قال لهم عمرُ : أىُّ يمينٍ فيكم أعظمُ ؟ قالوا : الرحمنُ الذى أنزَل التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْنَاءَ . قال لهم عمرُ : فأَنْشُدُكم بالرحمنِ الذى أنزَل التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْنَاءَ ، أتجِدُون محمدًا ﷺ عندَكم . فأُسْكِتوا ، فقال : تَكلَّموا ، ما شأنُكم ؟ فواللهِ ماسألْتُكم وأنا شاكٌّ فى شىءٍ مِن دينى . فنظَر بعضُهم إلى بعضٍ ، فقام رجلٌ منهم فقال : أخْبِروا الرجلَ ، لَتُخْبِرُنَّه أو لأُخْبِرَنَّه . قالوا : نعم ، إنَّا لَنجِدُه مكتوبًا عندَنا ، ولكنَّ [٣/٥٧و] صاحبَه مِن الملائكةِ الذى يأتيه بالوحيِ هو جبريلُ ، وجبريلُ عدوُّنا ، وهو صاحبُ كلِّ عذابٍ أو قِتالٍ أو خَسْفٍ ، ولو أنه كان وليَّه ميكائيلَ إذن لآمنَّا به ، فإن ميكائيلَ
١/٤٣٥ صاحبُ كلِّ رحمةٍ وكلِّ غَيْثٍ . قال لهم عمرُ : فأَنْشُدُكم بالرحمنِ/ الذى أنزَل

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٢، ٥٣.

(٢ - ٢) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م : « سمع »، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فسمع ».

التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْنَاءَ ، أين مكانُ جبريلَ مِن اللهِ ؟ قالوا : جبريلُ عن يمينِه ، وميكائيلُ عن يسارِه . قال عمرُ : فأشْهَدُ[(١)] أن الذى هو عدوٌّ للذى عن يمينِه عدوٌّ للذى هو عن يسارِه ، والذى هو عدوٌّ للذى هو عن يسارِه ، عدوٌّ للذى هو عن يمينِه ، وأنه مَن كان عدوَّهما فإنه عدوٌّ للهِ . ثم رجَع عمرُ ليُخْبِرَ النبىَّ ﷺ فوجَد جبريلَ قد سبَقه بالوحيِ ، فدعاه النبىُّ ﷺ فقرَأه عليه ، فقال عمرُ : والذى بعَثك بالحقِّ ، لقد جئتُك وما أُرِيدُ إلَّا أن أُخْبِرَك[(٢)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحَجَّاجِ الرازىُّ ، قال : [(٣)]ثنا أبو زُهَيْرٍ عبدُ الرحمنِ بنُ مَغْراءَ ، عن مجالدٍ[(٣)] ، عن الشَّعْبىِّ ، قال : انْطَلق عمرُ إلى يهودَ ، فقال : إنى أَنْشُدُكم بالذى أنزَل التوراةَ على موسى ، هل تَجِدون محمدًا ﷺ فى كتابِكم ؟ فقالوا : نعَم . فقال : فما يَمْنَعُكم أن تتَّبِعوه ؟ فقالوا : إن اللهَ لم يَبْعَثْ رسولًا إلَّا كان له مِن الملائكةِ كِفْلٌ ، وإن جبريلَ هو الذى يَتَكَفَّلُ بمحمدٍ ﷺ ، وهو عدوُّنا مِن الملائكةِ ، وميكائيلُ سِلْمُنا ، فلو كان هو الذى يأتيه اتَّبَعْناه . قال : فإنى أَنْشُدُكم بالذى أنْزَل التوراةَ على موسى ، ما منزلتُهما مِن ربِّ العالمين ؟ قالوا : جبريلُ عن يمينِه ، وميكائيلُ عن جانبِه الآخرِ . فقال : إنى أَشْهَدُ ما يقولان إلَّا بإذنِ اللهِ ، وما كان ميكائيلُ ليُعَادِىَ سِلْمَ جبريلَ ، وما كان جبريلُ لِيُسَالِمَ عدوَّ ميكائيلَ . إذ مرَّ نبىُّ اللهِ ﷺ ، فقالوا : هذا صاحبُك يا بنَ الخطابِ . فقام إليه ، فأتاه وقد أُنْزِل عليه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[(٤)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فأشهدكم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٠/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) فى م : « ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، قال : ثنا زهير ، عن مجاهد » .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٢٨٥/١٤ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ من طريق مجالد به .

وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا حُصَيْنُ[١] بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ أبي ليلى في قولِه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ . قال : قالت اليهودُ للمسلمين : لو أن ميكائيلَ كان الذي يَنْزِلُ عليكم لَتَبِعْناكم ، فإنه يَنْزِلُ بالرحمةِ والغَيْثِ ، وإن جبريلَ يَنْزِلُ بالعذابِ والنِّقْمَةِ ، وهو لنا عدوٌّ . قال : فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾[٢] .

وحدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا[٣] عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ بنحوٍ مِن ذلك .

وأمّا تأويلُ الآيةِ ، أعنى قولَه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . فهو أن اللهَ تعالى ذكرُه يقولُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل يا محمدُ لمعاشرِ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين زعَموا أن جبريلَ [٣/٥٧ظ] لهم عدوٌّ ، من أجلِ أنه صاحبُ عذابٍ وسطواتٍ وعقوباتٍ ، لا صاحبُ وَحْيٍ وتنزيلٍ ورحمةٍ ، فأَبَوْا اتِّباعَك ، وجحَدوا نبوَّتَك ، وأنكَروا ما جئتَهم به مِن آياتى وبيِّناتِ حُكْمِى ، مِن أجلِ أن جبريلَ وليُّك وصاحبُ وحيِ إليك ، وزعَموا أنه لهم عدوٌّ - : مَن يكنْ مِن الناسِ لجبريلَ عَدُوًّا ، ومُنْكِرًا أن يكونَ صاحبَ وحيِ اللهِ إلى أنبيائِه ، وصاحبَ رحمتِه ، فإنى له وليٌّ وخليلٌ ، ومُقِرٌّ بأنه صاحبُ وحيِ اللّهِ إلى أنبيائِه ورسلِه ، وأنه هو الذى يُنَزِّلُ وحىَ اللهِ على قلبى مِن عند ربى ، بإذنٍ من ربى له بذلك ، فيَرْبِطُ به على قلبى ويَشْدُدُ به فؤادِى .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ،

---

(١) فى الأصل : « أبو حصين » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٢ (٩٦١) من طريق حصين بن عبد الرحمن به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩١ إلى ابن المنذر .

(٣) فى الأصل : « وأخبرنا » .

عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ . قال : وذلك أن اليهودَ قالت حين سألتْ محمدًا ﷺ عن أشياءَ كثيرةٍ ، فأخبرَهم بها على ما هى عندَهم - : إلَّا جبريلَ ، فإن جبريلَ كان/ عندَ اليهودِ ١/٤٣٦ صاحبَ عذابٍ وسَطْوةٍ ، ولم يكنْ عندَهم صاحبَ وَحْيٍ - يعنى : تنزيلٍ مِن اللهِ على رسلِه - ولا صاحبَ رحمةٍ . فأخْبَرهم رسولُ اللهِ ﷺ فيما سألُوه عنه ؛ أن جبريلَ صاحبُ وَحْيِ اللهِ ، وصاحبُ نِقَمِه[(١)] ، وصاحبُ رحمتِه . فقالوا : ليس بصاحبِ وحيٍ ولا رحمةٍ ، وهو لنا عدوٌّ . فأنزَل اللهُ تعالى ذكرُه إكذابًا لهم : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ ﴾ . يقولُ : فإن جبريلَ ﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾ . يقولُ : نزَّل القرآنَ [(٢)] مِن عندى ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . يقولُ : على قلبِك يا محمدُ : ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ[(٢)] : بأمرِ اللهِ . يقولُ[(٣)] : يَشْدُدُ به فؤادَك ، ويَرْبطُ به على قلبِك - يعنى : بوحْيِنا الذى نزَل به جبريلُ عليك مِن عندِ اللهِ - وكذلك يَفْعلُ بالمرسلينَ والأنبياءِ مِن قبلِك[(٤)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : أنْزَل الكتابَ على قلبِك بإذنِ اللهِ .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . يقولُ : نَزَّل الكتابَ على قلبِك جبريلُ[(٥)] .

---

(١) فى م : « نقمته » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) سقط من : م .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٠ (٩٥٣، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧) من طريق أبى كريب به .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٠ عقب الأثر (٩٥٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

وإنما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . وهو يعنى بذلك قلبَ محمدٍ ﷺ ، وقد أَمَر محمدًا ﷺ فى أولِ الآيةِ أن يُخْبِرَ اليهودَ بذلك عن نفسِه ، ولم يَقُلْ : فإنه نزَّله على قلبى . ولو قِيلَ : على قلبى . كان صوابًا مِن الكلامِ ؛ لأن مِن شأنِ العربِ إذا أمَرت رجلاً أن يَحْكِيَ ما قِيلَ له عن نفسِه ، أن تُخْرِجَ فعلَ المأمورِ مرَّةً مضافًا إلى (١ كنايتِه ، كهيئةِ ١) المخبِرِ عن نفسِه ، إذ كان هو المُخبرَ عن نفسِه ، ومرَّةً مضافًا إلى اسمِه ، كهيْئةِ كنايةِ اسمِ المخاطبِ ؛ لأنه به مُخاطبٌ . فتقولُ فى نظيرِ ذلك : [٣/٥٨و] قُلْ للقومِ : إن الخيرَ عندِى كثيرٌ . فتُخْرِجُ كنايةَ اسمِ (٢ المأمورِ كهيئةِ اسمِ ٢) المخبرِ عن نفسِه ؛ لأنه المأمورُ أن يُخبرَ بذلك عن نفسِه . وقلْ للقومِ : إن الخيرَ عندَك كثيرٌ . فتُخْرِجُ كنايةَ اسمِه أُخْرى (٣) كهيئةِ كنايةِ اسمِ المُخاطَبِ ؛ لأنه وإن كان مأمورًا بقيلِ ذلك ، فهو مخاطبٌ مأمورٌ بحكايةِ ما قِيلَ له . وكذلك : لا تقلْ للقومِ : إنى قائمٌ . ولا تَقُلْ لهم : إنك قائمٌ . والياءُ مِن « إنى » اسمُ المأمورِ بقولِ ذلك على ما وَصفنا . ومِن ذلك قولُ اللهِ عز وجل : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ﴾ و (سَيُغْلَبُونَ) (٤) [آل عمران : ١٢] بالياءِ والتاءِ (٥ مثلَ الذى وصَفنا سواءً ٥) .

وأما جبريلُ ، فإن للعربِ فيه لغاتٍ ، فأما أهلُ الحجازِ فإنهم يقولون : جِبريلُ وميكالُ . بغيرِ همزٍ ، بكَسْرِ الجيمِ والراءِ من جِبريلَ ، وبالتخفيفِ . وعلى القراءةِ بذلك عامةُ قَرأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ (٦) .

(١ - ١) فى م : « كناية نفس » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سقط من : م .

(٤) سيأتى تخريج هاتين القراءتين فى موضعها .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٦) وهى قراءة أبى عمرو وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٦ .

وأما تميمٌ وقيسٌ وبعضُ نجدٍ فإنهم يقولون : جَبْرَئيلُ ومِيكائيلُ . على مثالِ : جَبْرَعيل ومِيكاعيل . بفتحِ الجيمِ والراءِ ، وبهمزٍ ، وزيادةِ ياءٍ بعدَ الهمزةِ . وعلى القراءةِ بذلك عامةُ قَرَأةِ أهلِ الكوفةِ(١) ، كما قال جريرُ بنُ عطيةَ(٢) :

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبوا بمُحَمَّدٍ   وبِجَبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكالا

وقد ذُكِرَ عن الحسنِ البصريِّ وعبدِ اللهِ بنِ كثيرٍ أنهما كانا يقرأان : (جَبْرِيل) . بفتحِ الجيمِ وتركِ الهمزِ .

وهى قراءةٌ غيرُ جائزةِ القراءةُ بها(٣) ؛ لأن « فَعْليلَ »(٤) فى كلامِ العربِ غيرُ موجودٍ . وقد أجاز(٥) ذلك بعضُهم ، وزعَم أنه اسمٌ أعْجَميٌّ ، كما يُقالُ : سَمْوِيلُ(٦) . وأنْشَد فى ذلك(٧) :

بحيث لو وُزِنَتْ لَخْمٌ بأجْمَعِها   (٨)ما وَازَنَتْ(٨) رِيشَةً مِن رِيشِ سَمْوِيلا(٩)

/ وأما بنو أسدٍ فإنها تقولُ : جِبْرِينُ . بالنونِ . ٤٣٧/١

وقد حُكِيَ عن بعضِ العربِ أنها تَزيدُ فى جبريلَ أَلِفًا فتقولُ : جِبرائيلُ وميكائيلُ .

وقد حُكِيَ عن يحيى بنِ يَعْمَرَ أنه كان يقرأُ : (جَبْرَئِلّ) بفتحِ الجيمِ ، والهمزِ ، وتركِ المدِّ ، وتشديدِ اللامِ(١٠) .

---

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى ، ورواية عن أبى بكر عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٧.

(٢) ديوانه ١/ ٥٢.

(٣) بل هى قراءة متواترة مستفيض نقلها .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فعيل » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « اختار » .

(٦) فى ت ٢ ، ت ٣: « شمويل » ، وسمويل : طائر ، وقيل : بلدة كثيرة الطير . اللسان (س م ل) . والبيت فيه .

(٧) البيت للربيع بن زياد العبسى ، وهو فى الفاخر ص ١٧٣ ، والأغانى ١٧/ ١٨٦.

(٨ - ٨) فى مصادر التخريج : « لم يعدلوا » .

(٩) فى ت ١ ، ت ٣: « شمويلا » ، بالشين ، وهو رواية للبيت ، ويروى أيضًا : « قِتْميلا » .

(١٠) مختصر الشواذ لابن خالويه ، والبحر المحيط ٣١٨/١ .

فأما « جَبْر » و « ميك » ، فإنهما هما الاسمان اللذان أحدُهما بمعنى « عَبْدٍ » ، والآخرُ بمعنى « عُبَيدٍ » .

وأما « إيل » فهو اللهُ تعالى ذِكْرُه ، كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ الحِمَّانيُّ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : جبريلُ وميكائيلُ كقولِك : عبدُ اللهِ .

وحدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا [٣/٥٨ظ] يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النَّحْويِّ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جبريلُ : عبدُ اللهِ ، وميكائيلُ : عُبَيدُ اللهِ ، وكلُّ اسمِ « إيلَ » فهو اللهُ .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن إسماعيلَ بنِ رجاءٍ ، عن عميرٍ[(١)] مولى ابنِ عباسٍ ، [(٢)]عن ابنِ عباسٍ[(٢)] ، أن إسرائيلَ وميكائيلَ وجبريلَ وإسرافيلَ ، كقولِك : عبدُ اللهِ[(٣)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ ، قال : « إيلُ » اللهُ بالعِبْرانيةِ[(٣)] .

وحدَّثنا الحسينُ بنُ يزيدَ الطَّحّانُ[(٤)] ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، قال: ثنا قيسٌ ، عن عاصمٍ ، عن عِكْرِمةَ ، قال : جبريلُ اسمُه عبدُ اللهِ ، وميكائيلُ اسمُه عُبَيدُ اللهِ ، « إيلُ » اللهُ[(٥)] .

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عمر » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨١.

(٢ - ٢) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم فى ١/٥٩٣ .

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الضحاك » . وينظر تهذيب الكمال ٦/ ٥٠١.

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٨٧ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩١ إلى ابن المنذر .

وحدَّثنى الحسينُ بنُ عمرِو بنِ محمدٍ العَنْقَزِىُّ[(١)] ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن [(٢)] محمدِ بنِ عمرِو بنِ علقمةَ ، عن [٢)] محمدِ ابنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن علىِّ بنِ حسينٍ ، قال : اسمُ جبريلَ عبدُ اللهِ ، واسمُ ميكائيلَ عُبَيدُ اللهِ ، واسمُ إسْرافيلَ عبدُ الرحمنِ ، وكلُّ مُعَبَّدٍ بـ « إيل » فهو عبدُ اللهِ .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا قَبيصةُ بنُ عُقْبةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن محمدٍ المَدنىِّ - قال المثنَّى : قال قبيصةُ : أُراه محمدَ بنَ إسحاقَ - عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن علىِّ بنِ حسينٍ ، قال : ما تَعُدُّون جبريلَ فى أسمائِكم ؟ قال : جبريلُ عبدُ اللهِ ، وميكائيلُ عُبيدُ اللهِ ، وكلُّ اسمٍ فيه « إيلُ » فهو مُعَبَّدٌ للهِ .

[(٢)] **وحدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ،عن علىِّ بنِ حسينٍ ، قال : اسمُ جبريلَ عبدُ اللهِ ، وميكائيلَ عبيدُ اللهِ ، وكلُّ اسمٍ فيه « إيلُ » فهو مُعَبَّدٌ للهِ [٢)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن علىِّ بنِ حسينٍ ، قال : قال لى : هل تَدْرِى ما اسمُ جبريلَ مِن أسمائِكم ؟ قال : قلت : لا . قال : عبدُ اللهِ . فهل تَدْرِى ما اسمُ ميكائيلَ مِن أسمائِكم ؟ قلتُ : لا . قال : عُبيدُ اللهِ . قال : وقد سَمَّى لى إسـرافيلَ[(٣)] باسمِ نحوِ ذلك فنَسِيتُه ، إلَّا أنَّه

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « العبقرى » ..

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م : « إسرائيل » .

قد قال لى : أرأيتَ كلَّ اسمٍ يَرْجِعُ إلى « إيل » ، فهو مُعَبَّدٌ للهِ[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن عِكْرمةَ فى قولِه : ﴿ جِبْرِيلَ ﴾ . قال : « جبر » عبدٌ ، « إيلُ » اللهُ ، و « ميكا » قال : عبدٌ ، « إيلُ » اللهُ[2] .

فهذا تأويلُ مَن قرأ : (جَبْرَائيل) . بالفتحِ ، والهمزِ ، والمدِّ ، وهو إن شاء اللهُ معنى مَن قرَأ بالكسرِ ، وتَرَكَ الهمْزَ .

وأما تأويلُ مَن قرأ ذلك بالهمزِ وتَرْكِ المدِّ وتشديدِ اللامِ ، فإنه قصَد بقراءتِه ذلك كذلك ، إلى إضافةِ « جَبْر » و « ميكا » إلى اسمِ اللهِ [٥٩/٣و] الذى يُسَمَّى به بلسانِ
٤٣٨/١ العربِ ، دون السريانىِّ والعِبْرانىِّ ، وذلك أن « الإلّ » بلسانِ العربِ : / اللهُ ، كما قال اللهُ تعالى ذكرُه : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ١٠] . فقال جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ : « الإلُّ » هو اللهُ . ومنه قولُ أبى بكرٍ الصديقِ رضِى اللهُ عنه لوفدِ بنى حَنِيفةَ ، حين سألَهم عما كان مُسَيلِمةُ يقولُه ، فأخبروه - فقال لهم : وَيحَكُم ! أين ذُهِبَ بكم ؟ فواللهِ ، إن هذا الكلامَ ما خرَج مِن إلٍّ ولا بِرٍّ[3] . يعنى بقولِه : مِن إلٍّ : مِن اللهِ .

وقد حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سليمانَ التيمىِّ ، عن أبى مِجْلزٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ . قال : قولُه : « جبريلُ »

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٦) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٨٤) من طريقين عن ابن إسحاق به .

(٢) علقه البخارى فى باب قوله : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل ﴾ من كتاب التفسير . فتح البارى ٨/ ١٦٥ ، وعلقه أيضًا ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ عقب الأثر (٩٦٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/١ إلى وكيع .

(٣) ينظر تاريخ المصنف ٣/ ٣٠٠.

« ميكائيلُ » « إسرافيلُ » ، كأنه يقولُ حين يُضِيفُ « جبر » و « ميكا » و « إسرا[١] » إلى « إيلَ » يقولُ : عبدُ اللهِ ، فقال : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا ﴾ . كأنه يقولُ : لا يَرْقُبون اللهَ عز وجلَّ[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : القرآنَ . ونصَب ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على القطعِ مِن « الهاءِ » التى فى قولِه : ﴿ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ فمعنى الكلامِ : فإن جبريلَ نزّل القرآنَ على قلبِك يا محمدُ ، مصدقًا لما بين يَدَيِ القرآنِ . يعنى بذلك : مُصدِّقًا لما سلَف مِن كُتُبِ اللهِ أمامَه ، ونزَل على رسلِه الذين كانوا قبلَ محمدٍ ﷺ . وتصديقُه إياها مُوافقةُ معانيه معانيَها فى الأمرِ باتِّباعِ محمدٍ ﷺ ، وما جاء به مِن عندِ اللهِ ، وفى[٣] تصديقِه .

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ يقولُ : مصدِّقًا ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . يقولُ : لما قبلَه مِن الكُتُبِ التى أنزَلَها اللهُ ، والآياتِ ، والرسلِ الذين بعَثهم اللهُ بالآياتِ ، نحو موسى ونوحٍ وهودٍ وشعيبٍ وصالحٍ ، وأشباهِهم مِن المرسلين[٤] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[٥] : مِن التوراةِ والإنجيلِ[٦] .

---

(١) فى الأصل : « سرا فى » .

(٢) ينظر ما سيأتى فى تفسير هذه الآية من سورة التوبة .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٠ (٩٥٧) من طريق أبى كريب به .

(٥) بعده إحالة غير واضحة فى الأصل .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨١ عقب الأثر (٩٥٨) معلقًا .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَهُدًى ﴾ : ودليلٌ وبرهانٌ ، وإنما سمَّاه اللهُ جل ثناؤُه هدًى لاهتداءِ المؤمنِ به ، واهتداؤُه به اتخاذُه إياه هاديًا يَتْبعُه ، وقائدًا يقْتادُ لأمرِه ونهيِه ، وحلالِه وحرامِه . والهادى مِن كلِّ شىءٍ ما تَقدَّم أمامَه . ومِن ذلك قيل لأوائلِ الخيلِ : هَوادِيها . وهو ما تَقدَّم أمامَها ، [٥٩/٣ظ] ولذلك[(٢)] قِيلَ للعُنقِ : الهادى . لتَقدُّمِها أمامَ سائرِ الجسدِ .

وأما البُشْرَى ، فإنها البِشارةُ . أخْبَر اللهُ عبادَه المؤمنين أن القرآنَ لهم بُشْرَى منه ؛ لأنه أعْلَمهم فيه ما أعدَّ لهم مِن الكرامةِ عندَه فى جِنانِه ، وما هم إليه صائرون فى مَعادِهم مِن ثوابِه ، وذلك هو البُشْرَى الذى[(٣)] بَشَّر اللهُ المؤمنين بها فى كتابِه ؛ لأن البِشارَةَ فى كلامِ العربِ إعلامُ الرجلِ [(٤)]الرجلَ ما[(٤)] لم يكنْ به عالمًا مما يُسَرُّ به مِن الخيرِ ، قبلَ أن يَسْمَعَه مِن غيرِه ، أو يَعْلمَه مِن قِبَلِ غيرِه . وقد رُوِىَ عن قتادةَ فى ذلك قولٌ قريبُ المعنى مما قُلْناه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : [(٥)]جعَل اللهُ هذا القرآنَ هُدًى وبُشْرَى للمؤمنين[(٥)] ؛/لأن المؤمنَ ٤٣٩/١

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ عقب الأثر (٩٥٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) فى م ، ت ٢: « كذلك » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « التى » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بما » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

إذا سمِع القرآنَ حفِظه ووعاه(١) ، وانْتَفَع به ، واطْمَأَنَّ إليه ، وصدَّق بموعودِ اللهِ الذى وعَد فيه ، وكان على يقينٍ مِن ذلك(٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ(٣) فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه (٤عن عداوتِه٤) مَن عاداه وعادَى جميعَ ملائكتِه ورسلِه ، وإعلامٌ منه أن مَن عادَى جبريلَ فقد عاداه وعادَى ميكائيلَ ، وعادَى جميعَ ملائكتِه ورسلِه ؛ لأنَّ الذين سمَّاهم اللهُ فى هذه الآيةِ هم أولياءُ اللهِ وأهلُ طاعتِه ، ومَن عادَى للهِ وَليًّا فقد عادَى اللهَ وبارَزه بالمحاربةِ ، ومن عادَى اللهَ فقد عادَى جميعَ أهلِ طاعتِه وولايـتِه ؛ لأنَّ العدوَّ للهِ عدوٌّ أوليائِه ، والعدوَّ لأوليائِه عدوٌّ له . فلذلك(٥) قال اللهُ تعالى ذكرُه لليهودِ الذين قالوا : إنَّ جبريلَ عدوُّنا مِن الملائكةِ ، وميكائيلَ وليُّنا منهم : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ . مِن أجلِ أنَّ عدوَّ جبريلَ عدوُّ كلِّ وليٍّ للهِ ، فأخبرَهم جلَّ ثناؤه أنَّ مَن كان عدوًّا لجبريلَ ، فهو لكلِّ مَن ذكَره ؛ مِن ملائكتِه ورسلِه وميكائيلَ ، عدوٌّ ، وكذلك عدوُّ بعضِ رسلِ اللهِ عدوٌّ للهِ ولكلِّ وليٍّ للهِ(٦) .

وقد حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عبيدُ اللهِ - يعنى العَتَكيَّ - عن رجلٍ مِن قريشٍ ، قال : سأل النبيُّ ﷺ اليهودَ فقال : « أسألُكم

---

(١) فى م : « ورعاه » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ (٩٥٩) من طريق يزيد به .

(٣) فى الأصل : « ميكائل » ، وهى قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٦.

(٤ - ٤) فى م : « من كان عدو لله » .

(٥) فى م : « فكذلك » .

(٦) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

بكتابِكم الذى تَقْرَءُونَ ، هل تجِدُونى[(١)] قد بشَّر بى عيسى أن يَأْتِيَكم رسولٌ اسمُه أحمدُ ؟ » فقالوا : اللهمَّ نعم[(٢)] ، وجَدْناك فى كتابِنا ، ولكنَّا كرِهْناك لأنَّك تَسْتَحِلُّ الأموالَ وتُهَرِيقُ الدِّماءَ . فأنزَل اللهُ : [٦٠/٣و] ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ . الآية[(٣)] .

وحدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن حصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، قال : إنَّ يهوديًّا لقِى عمرَ فقال له : إنَّ جبريلَ الذى يَذْكُرُه صاحبُك هو عدوٌّ لنا . فقال له عمرُ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ . قال : فنزَلتْ[(٤)] على لسانِ عمرَ[(٥)] .

وهذا الخبرُ يدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى ذكرُه أنزَل هذه الآيةَ توبيخًا لليهودِ فى كفرِهم بمحمدٍ ﷺ ، وإخبارًا منه لهم أن من كان لمحمدٍ ﷺ عدوًّا فاللهُ له عدوٌّ ، وأنَّ عدوَّ محمدٍ ﷺ مِن الناسِ كلِّهم مِن الكافرين باللهِ الجاحِدين آياتِه .

فإن قال قائلٌ : أوَ ليس جبريلُ وميكائيلُ مِن الملائكةِ ؟ قيل : بلى . فإن قال : فما معنى تَكريرِ ذِكرِهما بأسمائِهما وقد مضَى ذِكرُهما فى الآيةِ فى جملةِ أسماءِ الملائكةِ ؟ قيل : معنى إفرادِ ذكرِهما بأسمائِهما أن اليهودَ لمَّا قالت : جبريلُ عدوُّنا وميكائيلُ وليُّنا . وزعَمتْ أنَّها تكْفُرُ[(٦)] بمحمدٍ ﷺ مِن أجلِ أن جبريلَ صاحبُ محمدٍ ﷺ ، أعلَمهم اللهُ أن من كان لجبريلَ عدوًّا ، فإنَّ اللهَ له عدوٌّ ، وأنَّه مِن

---

(١) فى م : « تجدون به » وفى ت ١، ت ٢: « تجدونه » ، وفى ت ٣: « تجدون » .
(٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/١ إلى المصنف .
(٤) فى الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فنزل » .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦١) من طريق أبى جعفر به .
(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « كفرت » .

الكافرين . فنصَّ عليه باسمِه وعلى ميكائيلَ باسمِه ، لئلا يقولَ منهم قائلٌ : إنما قال اللهُ : مَن كان عدوًّا للهِ وملائكتِه ورسلِه . ولسنا للهِ ولا لملائكتِه ورسلِه بأعداءٍ ؛ لأنَّ الملائكةَ اسمٌ عامٌّ يَحتَمِلُ خاصًّا ، وجبريلُ / وميكائيلُ غيرُ داخِلَيْنِ فيه . وكذلك ٤٤٠/١
قولُه : ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ . فلستَ يا محمدُ بداخلٍ فيهم . فنصَّ اللهُ تعالى ذكرُه على أسماءِ مَن زعَموا أنَّهم أعداؤُه بأعيانِهم ؛ ليقطَعَ بذلك تلبيسَهم على أهلِ الضعفِ منهم ، ويَحْسِمَ تمويهَهم أمورَهم على المنافقين .

وأما إظهارُ اسمِ اللهِ فى قولِه : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ . وتكريرُه فيه - وقد ابتَدَأ أوَّلَ الخبرِ بذكرِه فقال : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ - [(1)]فإرادةُ نَفْيِ الشكِّ عن سامعِ ذلك أن الذى هو عدوٌّ من عادَى جبريلَ أو ملائكتَه أو رسلَه ، اللهُ جلَّ ثناؤُه[1)] ، ولئلّا يلتبِسَ - لو ظهَر ذلك بكنايةٍ ، فقيل : فإنه عدوٌّ للكافرين - على سامِعِه - مَن المعنىُّ بالهاءِ التى فى قولِه[(2)] : فإنَّه . آللَّهُ[(3)] ، أم جبريلُ ، أم ميكائيلُ ؟ إذ لو جاء ذلك بكنايةٍ على ما وصَفْنا - فإنه - لالتَبَس[(4)] معنى ذلك على مَن لم يُوقَّفْ على المعنىِّ بذلك ؛ لاحتمالِ الكلامِ ما وصَفتُ .

وقد كان بعضُ أهلِ العربيةِ يوجِّهُ ذلك إلى نحوِ قولِ الشاعرِ[(5)] :

ليت الغرابَ غداةَ يَنْعَبُ دائبًا[(6)] كان الغرابُ مُقَطَّعَ الأَوْداجِ[(7)]

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده فى م : « أم رسل الله جل ثناؤه » .

(٤) فى م : « يلتبس » .

(٥) هو جرير بن عطية . والبيت فى ديوانه ١/ ١٣٦ .

(٦) فى الديوان : « بالنوى » .

(٧) الوَدَج : عرق فى العنق ، وهما ودجان . تاج العروس (و د ج) .

[٦٠/٣ظ] وأنه إظهارُ الاسمِ الذى حظُّه الكنايةُ عنه .

والأمرُ فى ذلك بخلافِ ما قال ؛ وذلك أن الغرابَ الثانىَ لو كان مَكْنيًّا عنه لما التبسَ على أحدٍ يعقِلُ كلامَ العربِ أنه كنايةُ اسمِ الغرابِ الأولِ ؛ إذ كان لا شىءَ قبلَه يحتملُ الكلامُ أن يوجَّهَ إليه غيرُ كنايةِ اسمِ الغرابِ الأولِ ، وأنَّ قبلَ[(١)] قولِه : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ . أسماءً[(٢)] لو جاء اسمُ اللهِ تعالى ذكرُه مكنيًّا عنه ، لم يُعْلَمْ مَن المقصودُ إليه بكنايةِ الاسمِ إلا بتوقيفٍ مِن حجةٍ ، فلذلك اختلف أمراهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ . أى : أنزَلنا إليك يا محمدُ علاماتٍ واضحاتٍ دالَّاتٍ على نُبوَّتِك ، وتلك الآياتُ هى ما حَواه كتابُ اللهِ الذى أنزَله إلى محمدٍ ﷺ مِن خَفايا علومِ اليهودِ ، ومَكنونِ سرائرِ [(٣)]أخبارِهم وأخبارِ[(٣)] أوائلِهم مِن بنى إسرائيلَ ، والنبأَ عما تضمَّنَتْه كتبُهم التى لم يكنْ يعلمُها إلا أحبارُهم وعلماؤُهم ، وما حرَّفه أوائلُهم وأواخرُهم وبدَّلوه مِن أحكامِهم التى كانت فى التوراةِ ، فأطلَع اللهُ تعالى ذكرُه فى كتابِه الذى أنزَله إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، فكان فى ذلك مِن أمرِه الآياتُ البيناتُ لمَن أنصَف نفسَه ، ولم يدْعُه إلى إهلاكِها الحسدُ والبغىُ ؛ إذ كان فى فطرةِ كلِّ ذى فِطرةٍ صحيحةٍ تصديقُ مَن أَتَى بمثلِ الذى أَتَى به محمدٌ ﷺ مِن الآياتِ البيناتِ التى وصفتُ ، عن غيرِ تعلُّمٍ تعلَّمه مِن بشرىٍّ[(٤)] ، ولا أخْذِ شىءٍ منه عن آدمىٍّ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قيل » .

(٢) فى م : « اسما » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أحبارهم وأحبار » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بشر » .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ . يقولُ : فأنت تَتلوه عليهم وتُخبرُهم به غُدوةً وعشيةً وبينَ ذلك ، وأنت عندَهم أميٌّ لم تقرَأْ كتابًا ، وأنت تُخبرُهم بما فى أيديهم على وجهِه ، يقولُ اللهُ : ففى ذلك لهم عبرةٌ وبيانٌ ، وعليهم حجةٌ لو كانوا يعلمون[1] .

٤٤١/١ / وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، أو[2] عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال [3]ابنُ صُوريَا[3] الفِطْيَوْنى[4] لرسولِ اللهِ ﷺ : يا محمدُ ، ما جئتَنا بشىءٍ نعرِفُه ، وما أنزَل اللهُ عليك مِن آيةٍ بينةٍ فنتَّبِعَك لها[5] . فأنزَل اللهُ [6]فى ذلك من قولِه[6] : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ [٦١/٣و] إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[7] .

---

(١) فى الأصل : « يعقلون » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٤/١ إلى المصنف .

(٢) فى م ، ت ٢: « و » .

(٣ - ٣) فى سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٨: « أبو صلوبا » ، وفى نسختين منها : « ابن صلوبا » .

وقد ذكر ابن إسحاق - كما فى سيرة ابن هشام ٥١٤/١ - الأعداء من بنى النضير فقال : ومن بنى ثعلبة بن الفطيون ؛ عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ، وابن صلوبا ...

(٤) فى م ، ت ٢: « القطيونى » . بالقاف . وضبط فى الأصل : « الفَطْيُونى » . والمثبت موافق لما فى المعرب ص ٢٩٣، والروض الأنف ٣٩٧/٤ حيث ذكراه : الفِطْيَوْن ، وضبطه فى الجمهرة ٣/ ١١١: الفِطْيُون . وقال السهيلى : والفطيون كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم .

(٥) فى م : « بها » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سيرة ابن هشام ٥٤٨/١ .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ ابنُ جبيرٍ أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال ابنُ صُورِيا لرسولِ اللهِ ﷺ . فذكَر مثلَه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ ﴾ : وما يجحَدُ بها . وقد دلَّلنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن معنى الكفرِ الجحودُ ، بما أغنَى عن إعادتِه هلهنا[(٢)] ، وكذلك بيَّنا معنى الفِسْقِ ، وأنه الخروجُ من[(٣)] الشيءِ إلى غيرِه[(٤)] .

فتأويلُ الآيةِ : ولقد أنزَلنا إليكَ - فيما أوحَينا إليك مِن الكتابِ - علاماتٍ واضحاتٍ ، تُبيِّنُ لعلماءِ بنى إسرائيلَ وأحبارِهم ، الجاحدين نبوَّتَك والمكذِّبين رسالتَك ، أنك لى إليهم رسولٌ مُرْسَلٌ ، ونبيٌّ مبعوثٌ ، وما يجْحَدُ تلك الآياتِ الدالَّاتِ على صدقِك ونبوَّتِك ، التى أنزَلتُها إليك فى كتابى ، فيكذِّبَ بها منهم ، إلا الخارجُ منهم مِن دينِه ، التاركُ منهم فرائضى عليه فى الكتابِ الذى يَدينُ بتصديقِه ، فأما المتمسكُ منهم بدينِه والمتَّبِعُ منهم حكمَ كتابِه ، فإنه بالذى أنزَلتُ إليك مِن آياتى مصدِّقٌ ، وهم الذين كانوا آمنوا باللهِ وصدَّقوا رسولَه محمدًا ﷺ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٣ (٩٧٠) من طريق يونس بن بكير به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢.

(٣) فى م : « عن » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٣٤.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ العربيةِ فى حكمِ الواوِ التى فى قولِه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصريين هى واوٌ تُجعَلُ مع حروفِ الاستفهامِ ، وهى مثلُ الفاءِ فى قولِه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ﴾ [البقرة : ٨٧] . قال : وهما زائدتان فى هذا الوجهِ ، وهى مثلُ الفاءِ التى فى قولِه : أفاللهِ[1] لتصنَعَنَّ كذا وكذا . وكقولِك للرجلِ : أفلا تقومُ ؟ قال[2] : وإن شئتَ جعلتَ الواوَ والفاءَ هاهنا حرفَ عطفٍ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفيِّينَ: هى حرفُ عطفٍ أدخِل عليها أَلِفُ[3] الاستفهامِ .

والصوابُ عندى فى ذلك مِن القولِ أنها واوُ عطفٍ أدخِلت عليها ألفُ الاستفهامِ ، كأنه قال جلّ ذكرُه : وإذ أخَذْنا ميثاقَكم ورفَعْنا فوقَكم الطورَ ، خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمَعوا ، قالوا : سمِعنا وعصَينا . [٦١/٣ظ] و[4] كلما عاهَدوا عهدًا نبَذه فريقٌ منهم . ثم أدخَل ألفَ الاستفهامِ على « وكلما » ، فقال : قالوا : سمِعْنا وعصَينا . أوَكلَّما عاهَدوا عهدًا نبَذه فريقٌ منهم .

٤٤٢/١ وقد بيَّنا فيما مضَى أنه غيرُ جائزٍ أن يكونَ فى كتابِ اللهِ حرفٌ / لا معنَى له[5] ، فأغنَى ذلك عن إعادةِ البيانِ على فسادِ قولِ مَن زعَم أن الواوَ والفاءَ مِن قولِه :

---

(١) فى م ، ت ٢: « فالله » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢.

(٣) فى م ، ت ٢: « حرف » .

(٤) فى م ، ت ٢: « أو » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٤٦٦/١ وما بعدها .

﴿ أَوَكُلَّمَا ﴾ . و﴿ أَفَكُلَّمَا ﴾ . زائدتان لا معنًى لهما .

وأما العهدُ ، فإنه الميثاقُ الذى أعطَته بنو إسرائيلَ ربَّهم لَيعمَلُنَّ بما[(١)] فى التوراةِ مرةً بعدَ أُخرى ، ثم نقَض بعضُهم ذلك مرةً بعدَ أخرى ، فوبَّخهم جلَّ ذكرُه بما كان منهم مِن ذلك ، وعيَّر به أبناءَهم إذ سلكوا منهاجَهم فى نقضِ[(٢)] ما كان جلَّ ذكرُه أخَذ عليهم بالإيمانِ به مِن أمرِ محمدٍ ﷺ مِن العهدِ والميثاقِ ، فكفَروا به[(٣)] ، وجحَدوا ما فى التوراةِ مِن نعتِه وصفتِه ، فقال تعالى ذكرُه : أوَكلما عاهَد اليهودُ مِن بنى إسرائيلَ ربَّهم عهدًا ، وأوثَقُوه ميثاقًا ، نبَذه فريقٌ منهم فترَكه ونقَضه !

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال مالكُ بنُ الصَّيْفِ[(٤)] حينَ بُعِث رسولُ اللهِ ﷺ ، وذكَر لهم ما أُخِذ عليهم مِن الميثاقِ ، وما عهِد اللهُ إليهم فيه : واللهِ ما عهِد اللهُ إلينا فى محمدٍ ﷺ عهدًا ، وما أخَذ له علينا ميثاقًا . فأنزَل اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى[(٦)] زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، أو عن

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بها » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بعض » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣، ونسخة من سيرة ابن هشام : « الصيف » ، وهما روايتان فيه .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٣/١ (٩٧٣) من طريق يونس بن بكير به .

(٦) بعده فى م ، ت ٢، ت ٣: « آل » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٨٢.

سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

وأما « النَّبْذُ » فإن أصلَه فى كلامِ العربِ الطَّرْحُ ، ولذلك قيل للملقوطِ : المنبوذُ . لأنه مطروحٌ مرميٌّ به ، ومنه سمِّى النبيذُ نبيذًا ؛ لأنه زبيبٌ أو تمرٌ يُطرَحُ فى وعاءٍ ، ثم يعالَجُ (١) بما عُولج به (١) ، وأصلُه « مفعولٌ » صُرف إلى « فعيلٍ » ، أعنى أن النبيذَ أصلُه منبوذٌ ، ثم صُرِف إلى « فعيلٍ » ، فقيل : نبيذٌ . كما قيل : كفٌّ خضيبٌ ، ولحيةٌ دهينٌ . بمعنى مخضوبةٍ ومدهونةٍ . يقالُ منه : نبَذتُه أنبِذُه نَبْذًا . كما قال أبو الأسودِ الدُّؤليُّ[٢] :

نظَرتَ إلى عُنوانِه فنبَذتَه كنَبْذِكَ نعلاً أخلَقَتْ مِن نِعالِكا

فمعنى قولِه جلَّ ذكرُه : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ ﴾ : طرَحه فريقٌ منهم ، فترَكه ورفَضه ونقَضه .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ ﴾ يقولُ : نقَضه فريقٌ منهم[٣] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ ﴾ . قال : لم يكنْ فى [٦٢/٣و] الأرضِ عهدٌ يعاهِدون عليه إلا نقَضُوه ، ويعاهِدونَ اليومَ ويَنقُضون غدًا . قال : وفى قراءةِ عبدِ اللهِ : (نقَضه فريقٌ منهم)[٤] .

(١ - ١) فى م : « بالماء » .

(٢) فى م : « الديلى » ، وفى ت ٢، ت ٣: « الديلمى » .

والبيت فى مجاز القرآن ١/ ٤٨، واللسان (خ ل ق ، ع ن ن) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٤ (٩٧٥) من طريق يزيد به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٥ إلى المصنف ، وقراءة ابن مسعود ذكرها ابن عطية فى المحرر الوجيز ١/ ٣٣٦، وأبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٣٢٤.

والهاءُ التى فى قولِه : ﴿ نَّبَذَهُۥ ﴾ مِن ذكرِ « العهدِ » ، فمعناه : أوَكلما عاهَدوا عهدًا نبَذ ذلك العهدَ فريقٌ منهم !

و « الفريقُ » الجماعةُ ، لا واحدَ له مِن لفظِه ، بمنزلةِ الجيشِ والرهطِ الذى لا واحدَ له مِن لفظِه .

والهاءُ والميمُ اللتان فى قولِه : ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ . مِن ذكرِ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ .

وأما قولُه : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه يعنى جلَّ ثناؤه : بل أكثرُ هؤلاءِ الذين كلَّما عاهَدوا اللهَ عهدًا[1] ووَاثَقُوه موثقًا ، نقَضه فريقٌ منهم لا يؤمنون .

١/٤٤٣ ولذلك وجهان مِن التأويلِ : **أحدُهما** ، أن يكونَ الكلامُ / دلالةً على الزيادةِ والتكثيرِ فى عددِ المكذِّبين الناقِضين عهدَ اللهِ على عددِ الفريقِ ، فيكونَ الكلامُ حينَئذٍ معناه : أوَكلما عاهَدتِ اليهودُ مِن بنى إسرائيلَ ربَّها عهدًا نقَض فريقٌ منهم ذلك العهدَ ؟ لا ، ما ينقُضُ ذلك منهم فريقٌ ، ولكن الذى ينقُضُ ذلك فيكفُرُ باللهِ أكثرُهم لا القليلُ منهم . فهذا أحدُ وجهَيْه .

والوجهُ الآخرُ ، أن يكونَ معناه : أوَكلما عاهَدتِ اليهودُ ربَّها عهدًا نبَذ ذلك العهدَ فريقٌ منهم ؟ لا ، ما ينبِذُ ذلك العهدَ فريقٌ منهم فينقُضُه ، على الإيمانِ منهم بأن ذلك غيرُ جائزٍ لهم ، ولكنَّ أكثرَهم لا يصدِّقون باللهِ ورسلِه ، ولا بوعدِه ووعيدِه .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على معنى الإيمانِ وأنه التصديقُ[2] .

---

(١) ليست فى : الأصل .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤١.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ : (١) ولمَّا جاء (١) أحبارَ اليهودِ وعلماءَها مِن بنى إسرائيل ﴿ رَسُولٌ ﴾ يعنى بالرسولِ محمدًا ﷺ .

كما **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ ﴾ . قال : لمَّا جاءهم محمدٌ ﷺ (٢) .

وأما قولُه : ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ . فإنه يَعنى به أن محمدًا ﷺ يُصدِّقُ التوراةَ ، والتوراةُ تصدِّقُه فى أنه نبىٌّ للهِ مبعوثٌ إلى خلقِه .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ فإنه : للذى (٣) هو مع اليهودِ ، وهو التوراةُ . فأخبَر اللهُ جلَّ ثناؤه أن اليهودَ لمَّا جاءَهم رسولٌ (٤) مِن اللهِ بتصديقِ ما فى أيديهم مِن التوراةِ ، بأن محمدًا ﷺ [٦٢/٣ظ] نبىٌّ للهِ ؛ ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ ﴾ . يعنى بذلك أنهم جحَدوه ورفَضوه بعدَ أن كانوا به مقرِّين ؛ حسدًا منهم له وبغيًا عليه .

وقولُه : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . وهم علماءُ اليهودِ الذين أعطاهم اللهُ العلمَ بالتوراةِ وما فيها . ويعنى بقولِه : ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ : التوراةَ . وبقولِه : نَبَذوه ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ : جعَلوه وراءَ ظهورِهم . وهذا مَثَلٌ ، يقالُ لكلِّ رافضٍ أمرًا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى الأصل : « الذى » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رسول الله ﷺ » .

كان منه على بالٍ : قد جعَل فلانٌ هذا الأمرَ منه بظَهْرٍ ، وجعَله وراءَ ظهرِه . يعنى به : أعرَض عنه وصدَّ وانصرَف .

كما **حدَّثني** موسى قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . قال : لمَّا جاءهم محمدٌ ﷺ عارَضوه بالتوراةِ فخاصَموه بها ، فاتَّفَقتِ التوراةُ والقرآنُ ، فنبَذوا التوراةَ وأخَذوا بكتابِ آصَفَ وسحْرِ هاروتَ وماروتَ ، فذلك قولُ اللهِ : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

ومعنى قولِه : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : كأنَّ هؤلاءِ الذين نبَذوا كتابَ اللهِ مِن
١/٤٤٤ علماءِ اليهودِ - فنقَضوا / عهدَ اللهِ بتركِهم العملَ بما واثَقوا اللهَ على أنفسِهم العملَ [٢] به مما [٢] فيه - لايعلَمون ما فى التوراةِ مِن الأمرِ باتباعِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه . وهذا مِن اللهِ جلَّ ثناؤه إخبارٌ عنهم أنهم جحَدوا الحقَّ على علمٍ منهم به ومعرفةٍ ، وأنهم عانَدوا أمرَ اللهِ فخالَفوه على علمٍ منهم بوجوبِه عليهم .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ قال : ثنا يزيدُ قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . يقولُ : نقَضه فريقٌ مِن الذين أوتوا الكتابَ ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . أى : أن القومَ قد[٣] كانوا يعلَمون ، ولكنهم أفسَدوا علمَهم و[٤] جحَدوه وكتَموه وكفَروا به[٤] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٧، ٩٧٩) من طريق عمرو بن حماد به .
(٢ - ٢) فى ت ٢، ت ٣، م : « بما » .
(٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) فى م : « جحدوا وكفروا وكتموا » .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٥/١ (٩٨٠) من طريق يزيد به إلى قوله : وراء ظهورهم ، وأخرج بقيته (٩٨١) ، من طريق شيبان النحوى ، عن قتادة .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ . الفريقَ مِن أحبارِ يهودَ وعلمائِها الذين وصَفهم جلَّ ثناؤه بأنهم نبَذوا كتابَه الذى أنزَله إلى[(١)] موسى وراءَ ظهورِهم ، تجاهلًا منهم وكفرًا بما هم به عالِمون ، كأنهم لا يعلَمون ، فأخبَر عنهم أنهم رفَضوا كتابَه الذى [٦٣/٣و] يعلَمون أنه تنزِيلٌ[(٢)] مِن عندِه على نبيِّه [(٣)] موسى صلواتُ اللهِ عليه[(٣)] ، ونقَضوا عهدَه الذى أخَذه عليهم فى العملِ بما فيه ، وآثَروا السحرَ الذى تلَتْه الشياطينُ فى ملكِ سليمانَ بنِ داودَ صلى اللهُ عليه فاتَّبعوه ، وذلك هو الخَسارُ والضلالُ المبينُ .

واختلف أهلُ التأويلِ فى الذين عُنوا بقولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : عنَى اللهُ تبارَك وتعالى بذلك اليهودَ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللهِ ﷺ ؛ لأنهم خاصَموا رسولَ اللهِ ﷺ بالتوراةِ ، فوجَدوا التوراةَ للقرآنِ موافقةً ، تأمُرُ مِن اتباعِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه بمثلِ الذى يأمُرُ به القرآنُ ، فخاصَموه بالكتبِ التى كان الناسُ اكتتَبوها مِن الكهنةِ على عهدِ سليمانَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[(٤)] . قال : كانت الشياطينُ تصعَدُ إلى السماءِ

(١) فى م : « على » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « منزل » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ٢، ت ٣: « ﷺ » .

(٤) بعده فى الأصل : « على عهد سليمان » .

١/٤٤٥ فتقعُدُ منها / مقاعدَ للسمعِ ، فيستمِعون مِن كلامِ الملائكةِ فيما يكونُ فى الأرضِ مِن موتٍ أو غيثٍ[(١)] أو أمرٍ ، فيأتون الكهنة فيُخبِرونهم ، فتحدِّثُ الكهنةُ الناسَ فيجِدونه كما قالوا ، حتى إذا أمِنَتْهم الكهنةُ كذَبوا لهم ، فأدخَلوا فيه غيرَه ، فزادُوا مع كلِّ كلمةٍ سبعينَ كلمةً ، فاكتتَب الناسُ ذلك الحديثَ فى الكتبِ ، وفَشا فى بنى إسرائيلَ أن الجنَّ تعلَمُ الغيبَ ، فبعَث سليمانُ فى الناسِ فجمَع تلك الكتبَ ، فجعَلها فى صندوقٍ ، ثم دفَنها تحتَ كرسيِّه ، ولم يكنْ أحدٌ مِن الشياطينِ يستطيعُ أن يدنُوَ مِن الكرسىِّ إلا احترَق ، وقال : لا أسمَعُ أحدًا يذكُرُ أن الشياطينَ تعلَمُ الغيبَ إلا ضرَبتُ عنقَه . فلما مات سليمانُ وذهَبتِ العلماءُ الذين كانوا يعرِفون أمرَ سليمانَ ، وخلَف بعد ذلك خَلْفٌ ، تمثَّل شيطانٌ[(٢)] فى صورةِ إنسانٍ ، ثم أتَى نفرًا مِن بنى إسرائيلَ فقال لهم[(٣)] : هل أدلُّكم على كنزٍ لا تأكُلونه[(٤)] أبدًا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفِروا تحتَ الكرسىِّ ، وذهَب معهم فأَراهم المكانَ ، وقام ناحيةً ، فقالوا له : فادْنُ . قال : لا ، ولكنِّى هلهنا فى أيديكم ، فإن لم تجِدوه فاقتُلونى . فحفَروا فوجَدوا تلك الكتبَ ، فلمَّا أخرَجوها قال الشيطانُ : إن سليمانَ إنما كان يضبُطُ الإنسَ والشياطينَ والطيرَ بهذا السحرِ . ثم طار فذهَب ، وفَشا فى الناسِ أن سليمانَ كان ساحرًا ، واتَّخَذتْ بنو إسرائيلَ تلك الكتبَ ، فلمَّا جاء محمدٌ خاصَموه بها ، فذلك حينَ يقولُ اللهُ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ [٦٣/٣ظ] كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[(٥)] .

---

(١) فى تفسير ابن أبى حاتم وابن كثير : « غيب » .

(٢) فى م : « الشيطان » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٤) أكل فلان عمرَه : إذا أفناه . تهذيب اللغة ١٠/ ٣٦٩. والمراد : لا يفنى .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٦ (٩٨٧) من طريق عمرو بن حماد به إلى قوله : « إلا احترق » ، وذكره ابن كثير بتمامه فى تفسيره ١/ ١٩٤.

وحدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال[1] : إن اليهودَ سألوا محمدًا ﷺ زمانًا عن أمورٍ مِن التوراةِ ، لا يسألونه عن شيءٍ مِن ذلك إلا أنزَل اللهُ عليه ما سألوا عنه فيخصِمُهم[2] ، فلمَّا رأَوْا ذلك قالوا : هذا أعلمُ بما أُنزِل إلينا منَّا . وإنهم سألوه عن السحرِ وخاصَموه به ، فأنزَل اللهُ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ . وإن الشياطينَ عَمَدوا إلى كتابٍ فكتَبوا فيه السحرَ والكهانةَ وما شاء اللهُ مِن ذلك ، فدفَنوه تحتَ مجلسِ سليمانَ - وكان سليمانُ لا يعلَمُ الغيبَ - فلما فارَق سليمانُ الدنيا استخرَجوا ذلك السحرَ ، وخدَعوا به الناسَ وقالوا : هذا علمٌ كان سليمانُ يكتُمُه ويحسُدُ الناسَ عليه . فأخبرَهم النبيُّ ﷺ بهذا الحديثِ ، فرجَعوا مِن عندِه وقد خزُوا[3] وأدحَض اللهُ حجتَهم[4] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال : لمَّا جاءهم رسولُ اللهِ مُصدِّقًا لِما معهم ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية . قال : اتَّبعوا السحرَ ، وهم أهلُ الكتابِ . فقرَأ حتى بلَغ : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .

وقال آخرون : بل عنى اللهُ بذلك اليهودَ الذين كانوا على عهدِ سليمانَ .

---

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « قالوا » .

(٢) خصمه يخصمه خصمًا وخصومة : غلبه . تاج العروس (خ ص م) .

(٣) فى م ، ت ٣: « حزنوا » ، وفى ت ٢: « خزيوا » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٤، ١٩٥ عن الربيع . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٥ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٦ (٩٨٥) .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ :
١/٤٤٦ تَلَتِ الشياطينُ / السحْرَ على اليهودِ على ملكِ سليمانَ ، فاتَّبعتْه اليهودُ على ملكِه . يعنى : اتَّبعت السحْرَ على ملكِ سليمانَ .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : عمَدتِ الشياطينُ حين عَرَفت موتَ سليمانَ بنِ داودَ عليه السلامُ ، فكتَبوا أصنافَ السحرِ : مَن كان يحبُّ أن يبلُغَ كذا وكذا ، فليقُلْ[(١)] كذا وكذا . حتى إذا صنَّفوا[(٢)] أصنافَ السحْرِ ، جعَلوه فى كتابٍ ثم ختَموا عليه بخاتَمٍ على نقشِ خاتَمِ سليمانَ ، وكتَبوا فى عُنوانِه : هذا ما كتَب آصَفُ بنُ بَرْخِيَا الصديقُ للملكِ سليمانَ بنِ داودَ مِن ذخائرِ كنوزِ العلمِ . ثم دفَنوه تحتَ كرسيِّه . فاستَخرَجتْه بعدَ ذلك بقايا بنى إسرائيلَ حين أحدَثوا ما أحدَثوا ، فلما عثَرُوا عليه قالوا : [(٣)]واللهِ[(٣)] ما كان سليمانُ بنُ داودَ إلا بهذا . فأفشَوُا السحرَ فى الناسِ ، [٣/٦٤و] وتعلَّموه وعلَّموه ، فليس فى أحدٍ أكثرُ منه فى يهودَ ، فلما ذكَر رسولُ اللهِ ﷺ -فيما نزَل عليه مِن اللهِ- سليمانَ بنَ داودَ ، وعدَّه فى مَن عدَّه مِن المرسلين ، قال مَن كان بالمدينةِ مِن يهودَ : ألَا تَعجَبون لمحمدٍ ، يزعُمُ أن ابنَ داودَ كان نبيًّا ، واللهِ ما كان إلا ساحرًا . فأنزَل اللهُ فى ذلك مِن قولِهم على محمدٍ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ [(٣)]الآية[(٤)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ[(٣)] عَلَىٰ مُلْكِ

---

(١) فى م : « فليفعل » .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « صنعوا » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٥. وهو فى سيرة ابن هشام ١/٥٤٤ مختصرًا .

سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : كان حينَ ذهَب مُلكُ سليمانَ ، ارتدَّ فِئامٌ[1] مِن الجنِّ والإنس واتَّبَعُوا الشهواتِ ، فلما رجَع اللهُ إلى سليمانَ ملكَه ، أقام[2] الناسُ على الدِّينِ كما كان[3] ، وإن سليمانَ ظهَر على كتبِهم فدفَنها تحتَ كرسيِّه ، وتوفِّى سليمانُ حِدْثانَ[4] ذلك ، فظهَرت الجنُّ والإنسُ على الكتبِ بعدَ وفاةِ سليمانَ ، وقالوا : هذا كتابٌ مِن اللهِ نزَل على سليمانَ أخفاه مِنَّا ؛ فأخَذوا به فجعَلوه دينًا ، فأنزَل اللهُ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . واتَّبَعُوا [5]الشهَواتِ التى كانت[5] تَتْلو الشياطينُ ، وهى المعازفُ واللعِبُ ، وكلُّ شىءٍ يصُدُّ عن ذكرِ اللهِ[6] .

والصوابُ مِن القولِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . أن ذلك من اللهِ جلَّ ذكرُه توبيخٌ لأحبارِ اليهودِ الذين أدرَكوا رسولَ اللهِ ، فجحَدوا نبوَّتَه وهم يعلَمون أنه للهِ رسولٌ مرسَلٌ ، وتأنيبٌ منه لهم فى رفْضِهم تنزيلَه ، وهجْرِهم العملَ به ، وهو فى أيديهم يعلَمونه ويعرِفون أنه كتابُ اللهِ ، واتباعِهم واتباعِ أوائلِهم وأسلافِهم ما تَلَتْه الشياطينُ فى عهدِ سليمانَ . وقد بيَّنا وجهَ جوازِ إضافةِ أفعالِ أسلافِهم إليهم فيما مضَى ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا

---

(١) الفئام : الجماعة الكثيرة : اللسان (ف أ م) .

(٢) فى م : « قام » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم وابن كثير : « وقام » .

(٣) فى م : « كانوا » .

(٤) حدثان الأمر ، بالكسر : أوله وابتداؤه كحداثته . التاج (ح د ث) .

(٥ - ٥) فى م ، ت ٢، ت ٣: « ما » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٥ (٩٨٤) عن محمد بن سعد به .

الموضِعِ[(١)] .

وإنما اخترنا هذا التأويلَ ؛ لأن المتَّبِعَةَ ما تَلَتْه الشياطينُ فى عهدِ سليمانَ وبعدَه ، إلى أن بعَث اللهُ نبيَّه بالحقِّ ، (٢) من السحرةِ لم تَزَلْ (٢) فى اليهودِ ، ولا دلالةَ فى الآيةِ أن اللهَ أراد بقولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا ﴾ . بعضًا منهم دونَ بعضٍ ، إذ كان جائزًا فصيحًا فى كلامِ العربِ إضافةُ ما وصَفنا مِن اتِّباعِ أسلافِ المُخْبَرِ عنهم بقولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ . إلى أخلافِهم بعدَهم ، ولم يكنْ بخصوصِ ذلك عن رسولِ اللهِ ﷺ أثرٌ منقولٌ ، ولا حجةٌ تدلُّ عليه ، فكان الواجبُ [٣/٦٤ظ] مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ : كلُّ مُتَّبِعٍ ما تَلَتْه الشياطينُ على عهدِ سليمانَ مِن اليهودِ داخلٌ فى معنى الآيةِ . على النحوِ الذى قلنا .

١/٤٤٧ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ .**

ويعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ مَا تَتْلُوا ﴾ : الذى تَتلو . فتأويلُ الكلامِ إذن : واتَّبعوا الذى تَتلو الشياطينُ .

واختلَف (٣) أهلُ التأويلِ (٣) فى تأويلِ قولِه : ﴿ تَتْلُوا ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : يعنى بقولِه : ﴿ تَتْلُوا ﴾ : تُحَدِّثُ وتَروِى وتتكلَّمُ به وتخبِرُ ، نحوَ تلاوةِ الرجلِ القرآنَ ، وهى قراءتُه . ووجَّه قائلو هذا القولِ تأويلَهم ذلك إلى أن الشياطينَ هى التى علَّمت الناسَ السحرَ ورَوَته لهم .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٦٤٢ ، ٦٤٣.

(٢ - ٢) فى م : « وأمر السحر لم يزل » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ . قال : كانت الشياطينُ تستَمِعُ الوحىَ ، فما سمِعوا مِن كلِمةٍ زادوا فيها مائتين مثلَها ، فأرسَل سليمانُ إلى ما كتَبوا مِن ذلك[(١)] ، فلما توفِّى سليمانُ وجَدَتْه الشياطينُ فعلَّمَته الناسَ ، وهو السحرُ[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ . قال[(٣)] : مِن الكهانةِ والسحرِ . قال[(٣)] : وذُكِر لنا ، واللهُ أعلمُ ، أن الشياطينَ ابتَدعتْ كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيمٌ ، ثم أفشَوْه فى الناسِ وعلَّموهم إيَّاه[(٤)] .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال لى عطاءٌ : قولُه : ﴿ مَا تَتْلُوا۟ ﴾ . قال : نُراه ما تُحدِّثُ[(٥)] .

وحدَّثنى سَلْمُ[(٦)] بنُ جُنادةَ السُّوائىُّ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : انطلَقت الشياطينُ فى الأيامِ التى ابتُلى فيها سليمانُ ، فكتبَتْ فيها كتبًا فيها سحرٌ وكفرٌ ، ثم دفَنوها تحتَ كرسىِّ

---

(١) بعده فى م : « فجمعه » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٥.

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٧/١ (٩٩٢) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة نحوه بزيادة فى أوله ستأتى فى ص ٣٢٧ ، ٣٢٨.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « سالم » .

سليمانَ ، ثم أخرَجوها فقرءوها على الناسِ[(١)] .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ مَا تَتْلُواْ ﴾ : ما [(٢)]تتَّبعُ وتأتمُّه[(٢)] وتعمَلُ به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا [(٣)]الحسينُ بنُ عمرِو بنِ محمدٍ العَنْقزىُّ[(٣)] ، قال : حدَّثنا أبى ، عن أسباطَ ، عن السدىِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَتْلُواْ ﴾ . قال : تتَّبعُ[(٤)] .

وحدَّثنى نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأودىُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ إبراهيمَ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، [٦٥/٣و] عن منصورٍ ، عن أبى رزينٍ مثلَه .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ : إن اللهَ تعالى ذكرُه أخبرَ عن الذين أخبرَ عنهم أنهم اتَّبعوا ما تَتلوا الشياطينُ على عهدِ سليمانَ ؛ باتباعِهم ما تَلَته الشياطينُ . ولقولِ القائلِ : هو يتلو كذا . فى كلامِ العربِ معنيان : أحدُهما : الاتِّباعُ ، كما يقالُ : تلوتُ فلانًا . إذا مشَيْتَ خلفَه وتبِعتَ أثَرَه ، كما قال جلَّ ثناؤه : (هُنالِك تَتْلُو[(٥)] كلُّ نفسٍ ما أسلَفَتْ) [يونس : ٣٠] . يعنى بذلك : تتَّبعُ . والآخرُ : القراءةُ والدراسةُ ، كما يقالُ : فلانٌ يَتلو القرآنَ . بمعنى أنه يقرَؤه ويدرُسُه ، كما قال حسانُ بنُ ثابتٍ[(٦)] :

١/٤٤٨ / نَبىٌّ يَرى ما لا يَرى الناسُ حولَه ويَتْلو كتابَ اللهِ فى كلِّ مَشهَدِ

---

(١) سيأتى بتمامه فى ص ٣٢٣.

(٢ - ٢) فى م : « تتبعه وترويه » .

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحسن بن عمرو العبقرى » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٥) فى م ، ت ٣: « تبلو » . وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . والمثبت قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٣٢٥.

(٦) ديوانه ص ٣٧٧.

ولم يخبِرْنا اللهُ تعالى ذكرُه بأيِّ مَعْنَيَيِ[(١)] التلاوةِ كانت تلاوةُ الشياطينِ الذين تَلَوْا ما تَلَوْه مِن السحرِ على عهدِ سليمانَ ، بخبرٍ يقطَعُ العذرَ ، وقد يجوزُ أن تكونَ الشياطينُ تَلَت ذلك دراسةً وروايةً وعملاً به[(٢)] ، فتكونَ كانت له[(٢)] متَّبِعةً[(٣)] بالعملِ ، ودِراسةً[(٤)] بالروايةِ ، فاتَّبعتِ اليهودُ منهاجَها في ذلك فعمِلتْ به ورَوَته .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ .

يعني جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ : في ملكِ سليمانَ . وذلك أن العربَ تضَعُ « في » موضعَ « على » ، و « على »[(٥)] موضعَ « في » . مِن ذلك قولُ اللهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] . يعني به : على جذوعِ النخلِ ، وكما يقالُ : فعلتُ كذا في عهدِ كذا ، وعلى عهدِ كذا . بمعنًى واحدٍ .

وبما قلنا في[(٦)] ذلك كان ابنُ جريجٍ وابنُ إسحاقَ يقولان في تأويلِه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ . يقولُ : في ملكِ سليمانَ[(٧)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ في قولِه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ . أي : في ملكِ سليمانَ[(٨)] .

---

(١) في م : « معنى » .
(٢) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٣) في م : « متبعته » .
(٤) في م : « دارسته » .
(٥) بعده في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « في » .
(٦) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .
(٧) عزاه في الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٦/١ (٩٨٨) من طريق سلمة به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ .

[٦٥/٣ظ] إن قال لنا قائلٌ : وما هذا الكلامُ مِن قولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ . ولا خبرَ مضَى[١] قبلُ عن أحدٍ أنه أضاف الكفرَ إلى سليمانَ ، بل إنما ذكَر اتباعَ مَن اتبعَ مِن اليهودِ ما تَلَته الشياطينُ ، فما وجهُ نفيِ الكفرِ عن سليمانَ بعقبِ الخبرِ عن اتباعِ مَن اتبعَ[٢] الشياطينَ فى العملِ بالسحرِ وروايتِه مِن اليهودِ ؟

قيل : وجهُ ذلك أن الذين أضاف اللهُ جلّ ثناؤُه إليهم اتباعَ ما تلَته الشياطينُ على عهدِ سليمانَ من السحرِ والكفرِ من اليهودِ ، نسَبوا ما أضافه اللهُ تعالى ذكرُه إلى الشياطينِ من ذلك إلى سليمانَ بنِ داودَ ، وزعَموا أن ذلك كان مِن عملِه[٣] وروايتِه ، وأنه إنما كان يستعبِدُ من كان[٤] يستَعبِدُ من الإنسِ والجنِّ والشياطينِ وسائرِ خلقِ اللهِ بالسحرِ[٥] ، فحسَّنوا بذلك - من ركوبِهم ما حرَّم اللهُ عليهم مِن السحرِ - لأنفسِهم عندَ من كان جاهلًا بأمرِ اللهِ ونهيِه ، وعندَ من كان لا علمَ له بما أنزَل اللهُ فى ذلك مِن التوراةِ . وتبرَّأ - بإضافةِ ذلك إلى سليمانَ - من سليمانَ ، وهو نبيُّ اللهِ صلى الله عليه ، منهم بشرٌ ، وأنكَروا أن يكونَ كان للهِ رسولًا ، وقالوا : بل كان ساحرًا . فبرَّأ اللهُ جلَّ ثناؤُه سليمانَ بنَ داودَ من السحرِ والكفرِ عندَ من كان منهم يَنْسِبُه إلى السحرِ والكفرِ ، لأسبابٍ ادَّعَوْها عليه قد ذكَرنا بعضَها قبلُ ، وسنذكُرُ

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « معنا » .
(٢) فى م : « اتبعت » ، وفى ت ٢، ت ٣: « اتبعته » .
(٣) فى م ، ت ٢: « علمه » .
(٤) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.
(٥) بعده فى الأصل ، ت١ : « دون الشياطين » .

باقىَ ما حضَرَنا ذكرُه منها ، وأكذَبَ الآخرين الذين كانوا يعمَلون بالسحرِ ، مُتَزيِّنِين عندَ أهلِ الجهلِ فى علمِهم[(١)] ذلك بأن سليمانَ كان يعمَلُه ، فنفَى اللهُ عن سليمانَ عليه السلامُ أن يكونَ كان ساحرًا أو كافرًا ، وأعلَمهم أنهم إنما اتَّبَعوا فى عملِهم
٤٤٩/١ / بالسحرِ ما تَلَته الشياطينُ فى عهدِ سليمانَ ، دونَ ما كان سليمانُ يأمُرُهم به[(٢)] مِن طاعةِ اللهِ ، واتِّباعِ ما أمَرهم به فى كتابِه الذى أنزَله على موسى صلى اللهُ عليه .

ذكرُ الدَّلالةِ[(٣)] على صحةِ ما قلنا من الأخبارِ والآثارِ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا يعقوبُ القُمِّىُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : كان سليمانُ يتتبَّعُ ما فى أيدى الشياطينِ من السحرِ ، فيأخُذُه فيدفِنُه تحتَ كرسيِّه فى بيتِ خَزائنِه[(٤)] ، فلم تقدِرِ الشياطينُ أن يصِلوا إليه ، فدنَت[(٥)] إلى الإنسِ فقالوا لهم : أتريدون العلمَ الذى كان سليمانُ يسخِّرُ به الشياطينَ والرياحَ وغيرَ ذلك ؟ قالوا : نعم . قالوا : فإنه فى بيتِ [٣/٦٦و] خَزائنِه[(٤)] وتحتَ كرسيِّه . فاستَثارته الإنسُ فاستَخرَجوه فعمِلوا به ، فقال أهلُ الحِجا[(٦)] : كان سليمانُ يعمَلُ بهذا ، وهذا سحرٌ . فأنزَل اللهُ على لسانِ نبيِّه محمدٍ ﷺ براءةَ سليمانَ فقال : ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ الآية . (٧)فأبرأ اللهُ(٧) سليمانَ على لسانِ نبيِّه ﷺ[(٨)] .

---

(١) فى م : « عملهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م ، ت ٢، ت ٣: « الدلائل » .

(٤) فى م ، ت ٢، ت٣ وتفسير ابن كثير : « خزانته » .

(٥) فى تفسير ابن كثير : « فدبت » .

(٦) فى م ، ت ٢، ت ٣: « الحجاز » ، والحجا : العقل والفطنة والمقدار . القاموس المحيط (ح ج ى) .

(٧ - ٧) فى م ، ت ٢، ت ٣، وتفسير ابن كثير : « فأنزل الله براءة » .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٥.

حدَّثني أبو السائبِ السُّوائيُّ ، قال : حدّثناه أبو معاوية ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الذى أصاب سليمانَ بنَ داودَ فى سببِ أناسٍ من أهلِ امرأةٍ يقالُ لها : جَرادَةُ . وكانت مِن أكرمِ نسائِه عليه ، قال : فكان هَوَى سليمانَ أن يكونَ الحقُّ لأهلِ الجَرادَةِ فيَقْضِىَ لهم ، فعوقِب حينَ لم يكنْ هواه فيهم واحدًا . قال : وكان سليمانُ إذا أراد أن يدخُلَ الخلاءَ ، أو يأتىَ شيئًا مِن نسائِه ، أعطَى الجَرادَةَ خاتَمَه ، فلما أراد اللهُ أن يَبْتَلِىَ سليمانَ بالذى ابتَلاه به ، أعطَى الجَرادَةَ ذاتَ يومٍ خاتَمَه ، فجاء الشيطانُ فى صورةِ سليمانَ فقال لها : هاتى خاتمى . فأخَذه فلبِسه ، فلما أُلبسه دانتْ له الشياطينُ والجنُّ والإنسُ . قال : فجاء سليمانُ فقال : هاتى خاتمى . فقالت : كذَبتَ لستَ سليمانَ . قال : فعرَف سليمانُ أنه بلاءٌ ابتُلِى به . قال : فانطلَقت الشياطينُ فى تلك الأيامِ فكتَبتْ كُتُبًا فيها سحرٌ وكفرٌ ، ثم دفَنوها تحتَ كرسىِّ سليمانَ ، ثم أخرَجوها فقرءوها على الناسِ ، وقالوا : إنما كان سليمانُ يغلِبُ الناسَ بهذه الكتبِ . قال : فبرِئَ الناسُ مِن سليمانَ وأكفَروه حتى بعَث اللهُ محمدًا ﷺ ، فأنزَل اللهُ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . يعنى : الذى كتَب الشياطينُ مِن السحرِ والكفرِ ، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ . فأنزَل اللهُ عذرَه[(١)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى الصنعانىُّ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ عمرانَ بنَ حُدَيرٍ[(٢)] ، عن أبى مِجْلَزٍ ، قال : أخَذ سليمانُ من كلِّ دابةٍ عهدًا ،

(١) أخرجه النسائى فى الكبرى (١٠٩٩٣) ، وفى تفسيره (١٣) من طريق أبى معاوية به بأطول مما هنا . وابن عساكر فى تاريخه ٢٤٨/٢٢ من طريق جعفر بن عون ، عن الأعمش به مختصرًا . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٣/١ عن المصنف . وإسناده ضعيف لعنعنة الأعمش ، والمتن فيه نكارة واضحة .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جبير » .

فإذا أصِيب رَجلٌ فسُئل[(١)] بذلك العهدِ ، خُلِّى[(٢)] عنه ، فزاد[(٣)] الناسُ السَّجعَ والسحرَ وقالوا : هذا كان يعمَلُ به سليمانُ . فقال اللهُ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[(٤)] .

وحدَّثنا ابنُ[(٥)] حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عمرانَ ، [(٦)]وهو عمرانُ[(٦)] بنُ الحارثِ ، قال : بينا نحن عندَ ابنِ عباسٍ ، إذ جاءه رجلٌ فقال له ابنُ عباسٍ : مِن أين جئتَ ؟ قال : مِن العراقِ . قال : مِن أيِّه ؟/ قال : مِن الكوفةِ . ١/٤٥٠
قال : فما الخبرُ ؟ قال : تركتُهم يتحدَّثون [٣/٦٦ظ] أن عليًّا خارجٌ إليهم . ففزِع [(٧)]ثم قال[(٧)] : ما تقولُ لا أبا لك ! لو شعَرنا ما نكَحنا نساءَه ، ولا قسَّمنا ميراثَه ، أمَا [(٨)]إنى سأُحدِّثُكم عن[(٨)] ذلك ، إنَّه كانت الشياطينُ يَسترِقون السمعَ مِن السماءِ ، فيجِىءُ[(٩)] أحدُهم بكلمةِ حقٍّ قد سمِعها ، فإذا جُرِّبَ[(١٠)] منه صِدْقٌ ، كذَب معها سبعين كِذْبةً . قال : فيُشرِبُها قلوبَ الناسِ ، فأطلَع اللهُ عليها سليمانَ فدفَنها تحتَ كرسيِّه ، فلمّا توفِّى سليمانُ قام شيطانٌ بالطريقِ فقال : ألَا أدلُّكم على كَنزِه المُمَنَّعِ الذى لا كنزَ له[(١١)] مثلُه ؟

---

(١) فى تفسير ابن كثير ، والدر المنثور : « فسأل » . وقوله : « فسئل » . لعله يريد : فسئل له .
(٢) فى الأصل : « خلت » .
(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣ ، والدر المنثور : « فرأى » ، وفى ت ٢ : « فرأوا » .
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٦/١ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف وابن المنذر .
(٥) فى م : « أبو » .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧ - ٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقال » .
(٨ - ٨) فى م : « أحدثكم من » .
(٩) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيأتى » .
(١٠) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « حدث » .
(١١) سقط من : م .

تحتَ الكرسيِّ . فأخرَجوه فقالوا : هذا سحرٌ . فتناسَخها الأممُ – حتى بَقاياها[(١)] ما يتحدَّثُ به أهلُ العراقِ – فأنزل اللهُ عذرَ سليمانَ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[(٢)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا ، واللهُ أعلمُ ، أن الشياطينَ ابتَدعَت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيمٌ ، ثم أفشَوْه فى الناسِ وعلَّموهم[(٣)] إياه ، فلما سمِع بذلك سليمانُ نبيُّ اللهِ ، تتبَّع[(٤)] تلك الكتبَ ، فأتَى بها فدفَنها تحتَ كرسيِّه ، كراهيةَ أن يَتعلَّمَها الناسُ ، فلمَّا قبَض اللهُ نبيَّه سليمانَ ، عمَدت الشياطينُ فاستَخرَجوها مِن مكانِها التى كانت فيه فعلَّموها الناسَ ، فأخبَروهم أن هذا علمٌ كان يكتُمُه سليمانُ ويستأثِرُ به ، فعَذَرَ اللهُ[(٥)] سليمانَ وبرَّأه مِن ذلك ، فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾[(٦)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : كتَبت الشياطينُ كتُبًا فيها سحرٌ وشركٌ ، ثم دفَنتْ تلك الكتبَ تحتَ كرسيِّ سليمانَ ، فلما مات استَخرجَ الناسُ تلك الكتبَ فقالوا : هذا علمٌ كتَمَناه سليمانُ . فقال اللهُ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[(٧)] .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بقاياهم » .

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٥ وابن عساكر فى تاريخه ٢٢/ ٢٥٥ من طريق جرير به . وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٠٧ – تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٧ (٩٨٩) من طرق عن حصين به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٥ إلى سفيان بن عيينة وابن المنذر .

(٣) فى م ت ١، ت ٢، ت ٣: « أعلموهم » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٣: « فتتبع » .

(٥) بعده فى م ت ١، ت ٢، ت ٣: « نبيه » .

(٦) تقدم طرف منه فى ص ٣١٩، وسيأتى تخريجه فى ص ٣٢٩.

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٣، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٢٢/ ٢٥٤ من طريق معمر به .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا (١الحسينُ ، قال : حدَّثنى١) حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ الآية[٢] . قال : كانت الشياطينُ تستَمِعُ الوحىَ من السماءِ ، فما سمِعوا مِن كلِمةٍ زادوا فيها مثلَها ، وإن سليمانَ أخذ ما كتَبوا مِن ذلك فدفَنه تحت كرسيِّه ، فلما توفِّى وجَدَته الشياطينُ فعلَّمَته الناسَ[٢] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن أبى بكرٍ ، عن شهرِ بنِ حَوْشبٍ ، قال : لمَّا سُلِب سليمانُ مُلكَه ، كانتِ الشياطينُ تكتُبُ السحرَ فى غَيْبةِ سليمانَ ، فكتَبَت : مَن أراد أن يأتىَ كذا وكذا ، فليستَقبِلِ الشمسَ ولْيقلْ كذا وكذا ، ومن أراد أن يفعَلَ كذاوكذا ، فليستَدبِرِ الشمسَ ولْيقلْ كذا وكذا . [٣/ ٦٧و] فكتَبَتْه وجعلَتْ عُنوانَه : هذا ما كتَب آصَفُ بنُ بَرْخِيَا للملكِ سليمانَ بنِ داودَ مِن ذخائرِ كنوزِ العلمِ . ثم دفَنَته تحتَ كرسيِّه ، فلما مات سليمانُ قام إبليسُ خطيبًا فقال : يا أيُّها الناسُ ، إن سليمانَ لم يكنْ نبيًّا ، إنما كان ساحرًا ، فالتَمِسوا سحرَه فى متاعِه وبيوتِه . ثم دلَّهم على المكانِ الذى دُفِن فيه ، فقالوا : واللهِ لقد كان سليمانُ ساحرًا ، هذا سحرُه ، بهذا تعبَّدَنا ، وبهذا قهَرَنا . فقال المؤمنون : بل كان نبيًّا مؤمنًا .
١/٤٥١ فلما بعَث / اللهُ النبىَّ ﷺ ، جعَل يذكُرُ الأنبياءَ حتى ذكَر داودَ وسليمانَ ، فقالتِ اليهودُ : انظُروا إلى محمدٍ ، يخلِطُ الحقَّ بالباطلِ ، يذكُرُ سليمانَ مع الأنبياءِ ، وإنما كان ساحرًا يركَبُ الريحَ . فأنزَل اللهُ عذرَ سليمانَ ، فقال[٣] : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ الآية[٤] .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) تقدم تخريجه من طريق عمرو بن دينار عن مجاهد فى ص ٣١٩.

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٩٥ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٩٥ إلى المصنف .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ : وذلك أن رسولَ اللهِ ﷺ - فيما بلَغنى - لمَّا ذكَر سليمانَ بنَ داودَ فى المرسَلين ، قال بعضُ أحبارِ يهودَ : ألَا تعجَبون مِن محمدٍ ، يزعُمُ أن ابنَ داودَ كان نبيًّا ، واللهِ ما كان إلا ساحرًا . فأنزَل اللهُ فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ . أى : باتباعِهم السحرَ ، (١) وعملِهم (١) به ، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ (٢) .

فإذ (٣) كان الأمرُ فى ذلك ما وصَفنا ، وتأويلُ قولِه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ . ما ذكَرنا ، فبيِّنٌ (٤) أن فى الكلامِ متروكًا ، ترِك ذكرُه اكتفاءً بما ذكِر منه ، وأن معنى الكلامِ : واتَّبعوا ما تَتْلو الشياطينُ مِن السحرِ على مُلْكِ سليمانَ ، فتُضِيفُه إلى سليمانَ ، وما كفَر سليمانُ فيعمَلَ بالسحرِ ، ولكنَّ الشياطينَ كفَروا يعلِّمون الناسَ السحرَ .

وقد كان قتادةُ يتأوَّلُ قولَه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ . على (٥) نحوِ ما ذكَرنا (٥) .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن

(١ - ١) فى ت٢ ، ت٣ : « وعلمهم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٤.

(٣) فى م : « فإذا » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فتبين » .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ما قلنا » .

قتادةَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَطِينَ كَفَرُواْ ﴾ . يقولُ : ما كان عن مشورتِه ، ولا عن رضًا منه ، ولكنه شيءٌ افتعَلَته الشياطينُ دونَه[(١)] .

وقد دلَّلنا فيما مضَى قبلُ على اختلافِ المختلِفين في معنى : ﴿ تَتْلُواْ ﴾ . وتوجيهِ مَن وجَّه ذلك إلى أنه[(٢)] بمعنى « تلَت » ، إذ كان الذى قبلَه خبرًا ماضيًا ، وهو قولُه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ﴾ . وتوجيهِ الذين وجَّهوا ذلك إلى خلافِ ذلك ، وبيَّنا فيه وفى نظيرِه الصوابَ مِن القولِ ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضِعِ[(٣)] .

وأمَّا معنى قولِه : ﴿ مَا تَتْلُواْ ﴾ . فإنه بمعنى : الذى تتلو ، وهو [٣/٦٧ظ] السحرُ .

كما[(٤)] **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ﴾ . أى : السحرَ .

ولعلَّ قائلًا أن يقولَ : أوَ ما كان السحرُ إلا أيامَ سليمانَ ؟

قيل له : بل[(٥)] قد كان ذلك قبلَ ذلك ، وقد أخبرَ اللهُ عن سَحَرةِ فرعونَ بما[(٦)] أخبرَ عنهم ، وقد كانوا قبلَ سليمانَ ، وأخبرَ عن قومِ نوحٍ أنهم قالوا لنوحٍ إنه ساحرٌ .

فإن[(٧)] قال : فكيف أخبرَ عن اليهودِ أنهم اتبَعوا ما تَلَته الشياطينُ فى[(٨)] عهدِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٧ (٩٩٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة .
(٢) فى م : «أن تتلو» .
(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٥٦ .
(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣: « بلى » .
(٦) فى م : « ما » .
(٧) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « على » .

سليمانَ ، (١) دون الخبرِ عنهم أنهم اتَّبعوا ما تَلَته الشياطينُ من ذلك أيامَ نوحٍ وأيامَ موسى ؟

قيل : إنما أخبَر اللهُ بذلك ، تعالى ذكرُه ، عن اتِّباعِهم ما تَلَتْهُ الشياطينُ على عهدِ سليمانَ (١) ؛ لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمانَ - على ما قد قدَّمنا البيانَ عنه - فأراد اللهُ تعالى ذكرُه تَبرئةَ سليمانَ مما نَحَلُوه وأضافوا إليه مما كانوا وجَدوه ، إما في خزائنِه (٢) وإما تحتَ كرسيِّه ، على ما جاءت به الآثارُ التى قد ذكَرناها من ذلك ، فخصّ (٣) الخبرَ عما كانت اليهودُ اتبعتْه مما (٤) تَلَته الشياطينُ أيَّامئذٍ (٥) دونَ غيرِه لذلك من (٦) السببِ ، وإن كانت الشياطينُ قد كانت تاليةَ السحرِ والكفرِ قبلَ ذلك .

٤٥٢/١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه** : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ (٧) فى تأويلِ « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معناها (٨) الجحدُ ، وهى بمعنى « لَمْ » .

(١ - ١) فى م : « قيل » .

(٢) فى الأصل : « خزانته » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فحصر » .

(٤) فى م : « فيما » .

(٥) فى م : « أيام سليمان » .

(٦) سقط من : م ، ت ١ .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « العلم » .

(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « معناه » .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ ﴾ . فإنه يقولُ : لم يُنزِلِ اللهُ السحرَ[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا حكَّامٌ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . قال : ما أنزَل اللهُ عليهما السحرَ[(٢)] .

فتأويلُ الآيةِ على هذا المعنى الذى ذكَرناه عن ابنِ عباسٍ والربيعِ - مِن توجيهِهما معنى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . أى[(٣)] : ولم ينزِلْ على الملَكين : واتَّبَعوا الذى تَتلو الشياطينُ على مُلكِ سليمانَ مِن السحرِ ، وما كفَر سليمانُ ، ولا أنزَل اللهُ السحرَ على الملَكينِ ، ولكنَّ الشياطينَ كفَروا ، يعلِّمون الناسَ السحرَ ببابلَ هاروتَ وماروتَ . فيكونُ حينئذٍ قولُه : ﴿ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ ﴾ . مِن المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ .

فإن [٣/٦٨و] قال لنا قائلٌ : وكيف وجهُ تقديمِ ذلك ؟

قيل : وجهُ تقديمِه أن يقالَ : واتبَعوا ما تَتلو الشياطينُ على ملكِ سليمانَ ، [(٤)] وما كفَر سليمانُ[(٤)] ، وما أنزِل على الملَكين ، ولكنَّ الشياطينَ كفَروا ، يعلِّمون الناسَ السحرَ ببابلَ هاروتَ وماروتَ . فيكونُ معنيًّا بـ ﴿ ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ جبريلُ وميكائيلُ ؛

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٨ (٩٩٧) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٨٨ عقب الأثر (٩٩٨) من طريق أبى جعفر به .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إلى » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

لأنَّ سحَرةَ اليهودِ ، فيما ذكِر ، كانت تزعُمُ أن اللهَ أنزَل السحرَ على لسانِ جبريلَ وميكائيلَ إلى سليمانَ بنِ داودَ ، فأكذَبها اللهُ بذلك ، وأخبرَ نبيَّه محمدًا ﷺ أن جبريلَ وميكائيلَ لم ينزِلا بسحرٍ قطُّ ، وبرَّأ سليمانَ مما نحَلوه من السحرِ ، وأخبرَهم أن السحرَ مِن عملِ الشياطينِ ، وأنها تعلِّمُ الناسَ ذلك[(١)] ببابلَ ، وأن الذين يعلِّمونهم ذلك رجُلان ؛ اسمُ أحدِهما هاروتُ ، واسمُ الآخرِ ماروتُ ، فيكونُ هاروتُ وماروتُ على هذا التأويلِ ترجمةً عن[(٢)] الناسِ وردًّا عليهم .

وقال آخرون[(٣)] : تأويلُ « ما » التي في قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ ﴾ : الذي .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : قال معمرٌ : قال قتادةُ والزهريُّ ، عن عُبيدِ[(٤)] اللهِ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ ﴾ . كانا ملَكَينِ مِن الملائكةِ ، فأُهبِطا ليحكُما بينَ الناسِ ؛ وذلك أن الملائكةَ سخِروا مِن حكّامِ[(٥)] بنى آدمَ . قال : فحاكَمتْ إليهما[(٦)] امرأةٌ ، فَحافَا[(٧)] لها ، ثم ذهَبا يصعَدان فحِيل بينَهما وبينَ ذلك ، وخُيِّرا بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا عذابَ

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « على » .

(٣) بعده فى م : « بل » .

(٤) فى م : « عبد » ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٢، والدر المنثور ١/ ٩٩.

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، وتفسير عبد الرزاق : « أحكام » .

(٦) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « إليهم » .

(٧) فى تفسير عبد الرزاق : « فحابيا » . والمثبت موافق لما فى الدر . وقوله : « فحافا » . ضبط فى الأصل بتشديد الفاء ، وضبطناه بالتخفيف على أصل الفعل ، ومعناه : جارا وظلما ومالا عن القصد فى الحكم . وانظر التاج (ح ى ف) .

الدنيا . قال معمرٌ : وقال قتادةُ : فكانا يعلِّمان الناسَ السحرَ ، فأخِذ عليهما ألا يعلِّما[(١)] أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[(٢)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أما قولُه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ / بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . فهذا سحرٌ آخرُ ٤٥٣/١
خاصَموه به أيضًا . يقولُ : خاصَموه بما أنزِل على الملَكين ، وأن كلامَ الملائكةِ فيما بينَهم ، إذا علِمتْه الإنسُ فصُنِع وعمِل به كان سحرًا[(٣)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ : فالسحرُ سِحران : سحرٌ تعلِّمُه الشياطينُ ، وسحرٌ يعلِّمُه هاروتُ وماروتُ[(٤)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . قال : التفريقُ بينَ المرءِ وزوجِه[(٥)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . [٦٨/٣ظ] فقرأ حتى بلَغ : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قال : الشياطينُ والملَكان يعلِّمون الناسَ

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعلمان » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٣/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٨/١ (٩٩٦) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى ابن المنذر .

السحرَ .

فمعنى الآيةِ على تأويلِ هذا القولِ الذى ذكَرناه عمَّن ذكَرنا عنه : واتبَعتِ اليهودُ الذى تَلتِ الشياطينُ فى مُلكِ سليمانَ والذى أنزِل على الملكَين ببابلَ هاروتَ وماروتَ .

[1]وقال قائلو هذه المقالةِ : إن اللهَ أنزَل السحرَ على هاروتَ وماروتَ ببابلَ[1] . وهما ملَكان مِن ملائكةِ اللهِ ، سنذكُرُ ما روِى مِن الأخبارِ فى شأنِهما بعدُ[2] إن شاء اللهُ .

وقالوا : إن قال لنا قائلٌ : وهل يجوزُ أن يُنزِلَ اللهُ السحرَ ، أم هل يجوزُ لملائكتِه أن تعلِّمَه الناسَ ؟

قلنا له : إنَّ اللهَ تبارَك وتعالى قد أنزَل الخيرَ والشرَّ كلَّه ، وبيَّن جميعَ ذلك لعبادِه ، فأوحاه إلى رسلِه ، وأمَرهم بتعليمِ خلقِه وتعريفِهم ما يحِلُّ لهم مما يحرُمُ عليهم ، وذلك كالزِّنَا والسَّرَقِ[3] وسائرِ المعاصى التى عرَّفَهُموها[4] ونهَاهم عن ركوبِها ، فالسحرُ أحدُ تلك المعانى[5] التى أخبرَهم بها ونَهاهم عن العملِ بها .

وقالوا : ليس فى العلمِ بالسحرِ إثمٌ ، كما لا إثمَ فى العلمِ بصنعةِ الخمرِ ونحتِ الأصنامِ والطَّنابيرِ[6] والملاعبِ ، وإنما الإثمُ فى عملِه وتسويتِه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « السرقة » . وهما بمعنى .

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عرفتمهوها » .

(٥) فى م : « المعاصى » .

(٦) الطنابير ، جمع الطُّنْبُور والطِّنْبار : من آلات الطرب ، ذو عنق طويل وستة أوتار ، معرب تنبور . الألفاظ الفارسية المعربة ص ١١٣.

قالوا : وكذلك لا إثمَ فى العلمِ بالسحرِ ، وإنما الإثمُ فى العملِ به ، وأن يَضُرَّ به مَن لا يَحِلُّ ضَرُّه به .

قالوا : فليس فى إنزالِ اللهِ إياه على الملَكَين ، ولا فى تعليمِ الملَكَين مَن علَّماه مِن الناسِ إثمٌ ؛ إذ[1] كان تعليمُهما مَن علَّما ذلك بإذنِ اللهِ لهما بتعليمِه ، بعدَ أن يُخبِراه أنَّهما فتنةٌ ، وينهياه عن السحرِ والعملِ به والكفرِ ، وإنما الإثمُ على مَن يتعلَّمُه منهما ويعمَلُ به ؛ إذ كان اللهُ تعالى ذكرُه قد نَهى[2] عن تعلُّمِه والعملِ به .

قالوا : ولو كان اللهُ أباح لبنى آدمَ أن يتعلَّموا ذلك ، لم يكنْ مَن تعلَّمَه[3] حَرِجًا ، كما لم يكونا حَرِجَين[4] لعلمِهما به ؛ إذ كان علمُهما بذلك عن تنزيلِ اللهِ إليهما .

وقال آخرون : معنى « مَا » معنى « الذى » ، وهى عطفٌ على « مَا » الأُولى ، غيرَ أن الأُولى فى معنى السحرِ ، ومعنى[5] الآخِرةِ فى معنى التفريقِ بينَ المرءِ وزوجِه .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : واتَّبَعوا السحرَ الذى تَتلو الشياطينُ فى مُلكِ سليمانَ ، والتفريقَ[6] بينَ المرءِ وزوجِه الذى أُنزِل على الملَكَين ببابلَ هاروتَ وماروتَ .

---

(١) فى م : « إذا » .

(٢) فى م : « نهاه » .

(٣) بعده فى الأصل : « منهما » .

(٤) الحِرْج والحَرَج : الإثم ، والحارج : الآثم . قال ابن سيده : أراه على النسب ؛ لأنه لا فعل له . اللسان (ح ر ج) . وقال الشيخ شاكر عن استعمال الحرِج بمعنى الآثم : وأهل اللغة ينكرون ذلك ، لا يقال للآثم إلا « الحارج » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « الذى » .

ذكر من قال ذلك

١/٤٥٤ / **حدَّثني** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ : وهما يعلِّمان ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، وذلك قولُ اللهِ - [(١)] وقالوا : كفر سليمانُ [(١)] -: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ . فكان يقولُ : أمَّا السحرُ فإنما تُعلِّمُه الشياطينُ ، وأما الذى يعلِّمه الملَكان فالتفريقُ بينَ المرءِ وزوجِه ، كما قال اللهُ تعالى[(٢)] .

وقال آخرون : جائزٌ أن تكونَ « مَا » بمعنى « الذى » ، وجائزٌ أن تكونَ بمعنى « لم » .

[٦٩/٣و] ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثني الليثُ بنُ سعدٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، وسأله رجلٌ عن قولِ اللهِ : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ . فقال الرجلُ : يعلِّمان الناسَ ما أنزِل عليهما ، أم يعلِّمان الناسَ ما لم يَنزِلْ عليهما ؟ قال القاسمُ : ما أبالى أيَّتهما كانت[(٣)] .

وحدَّثني يونسُ ، قال : حدَّثني أنسُ[(٤)] بنُ عياضٍ ، عن بعضِ أصحابِه ، أن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٨/١ عن المصنف . وينظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٧ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بشر » . وينظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٤٩ .

القاسمَ بنَ محمدٍ سُئل عن قولِ اللهِ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . فقيل له : أُنزِل أو لم يُنزَلْ ؟ فقال : لا أبالى أىَّ ذلك كان ، إلَّا أنى آمنتُ به[١] .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندنا قولُ من وجَّه « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . إلى[٢] معنى « الذى » دونَ معنى « ما » التى هى بمعنى الجحدِ . وإنما اخترتُ ذلك من أجلِ أن « مَا » إن وجِّهت إلى معنى الجَحدِ فنَفَى[٣] عن الملَكين أن يكونا مُنْزَلًا إليهما ، لم[٤] يَخلُ الاسمان اللذان بعدَهما - أعنى هاروتَ وماروتَ - مِن أن يكونا بدلًا منهما وترجمةً عنهما ، أو بدلًا من « الناسِ » فى قولِه : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ . وترجمةً عنهم[٥] . فإن جُعِلا بدلًا من « الملَكين » وترجمةً عنهما ، بطَل معنى قولِه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ . لأنهما إذا لم يكونا عالِمَين بما يُفرَّقُ به بينَ المرءِ وزوجِه ، فما الذى يُتعلَّمُ منهما مما[٦] يفرِّقُ بينَ المرءِ وزوجِه ؟

وبعدُ ، فإن « مَا » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . إن كانت بمعنى[٧] الجَحْدِ عطفًا على قولِه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ . فإن اللهَ جلّ ثناؤه نفى بقولِه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ . عن سليمانَ أن يكونَ السحرُ من عملِه أو من علمِه أو تعليمِه ، فإن كان الذى نفَى عن الملَكين من ذلك نظيرَ الذى نفَى عن سليمانَ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٩٨ عن المصنف . وينظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٧.

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « التى » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٣: « فتنفى » .

(٤) فى م : « ولم » .

(٥) فى م : « عنهما » .

(٦) فى م : « ما » .

(٧) فى م : « فى معنى » .

منه - وهاروتُ وماروتُ هما الملَكان - فمَن المتعلِّمُ منه إذن ما يفرِّقُ به بينَ المرءِ وزوجِه ؟ وعمَّن الخبرُ الذى أخبرَ عنه بقولِه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ؟ إنَّ خطأَ هذا القولِ لواضحٌ بيِّنٌ .

وإن كان قولُه : ﴿ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . ترجمةً عن « الناسِ » الذين فى قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ . فقد وجَب أن تكونَ
١/٤٥٥ /الشياطينُ هى التى تعلِّمُ هاروتَ وماروتَ السحرَ ، وأن[(١)] تكونَ السحرةُ إنما تعلَّمت السحرَ من هاروتَ وماروتَ عن تعليمِ الشياطينِ إياهما . فإن يكنْ ذلك كذلك ، فلنْ يخلوَ هاروتُ وماروتُ عندَ قائلى[(٢)] هذه المقالةِ من أحدِ أمرين ؛ إما أن يكونا ملَكَين ، فإن كانا عندَهم[(٣)] ملَكَين ، فقد أوجَبوا[(٤)] لهما مِن الكفرِ باللهِ والمعصيةِ له - بنسبتِهم[(٥)] إياهما إلى أنهما يتعلَّمان مِن الشياطينِ السحرَ [(٦)]والكفرَ[(٦)] ويعلِّمانه الناسَ ، وإصرارِهما على ذلك ومُقامِهما عليه - أعظمَ مما ذكِر عنهما أنهما أتَياه مِن المعصيةِ التى استحقَّا عليها العقابَ . وفى خبرِ اللهِ تعالى ذكرُه عنهما أنهما لا يعلِّمان [٣/٦٩ظ] أحدًا ما يَتعلَّمُ منهما حتى يقولا له : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . ما يُغنى عن الإكثارِ فى الدَّلالةِ على خطأِ هذا القولِ ، أو أن يكونا كانا[(٧)] رجلين من بنى آدمَ ، فإن يكن ذلك كذلك فقد كانا يجبُ أن يكونَ بهلاكِهما قد

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « قائل » ، وغير واضحة فى : ت ١.

(٣) فى م : « عنده » .

(٤) فى م : « أوجب » .

(٥) فى م : « بنسبته » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

ارتفَع السحرُ والعلمُ به والعملُ من بنى آدمَ ؛ لأَنه إذا كان علمُ ذلك مِن قِبَلِهما يُؤخذُ ، ومنهما يُتعلَّمُ ، فالواجبُ أن يكونَ بهلاكِهما وعدمِ وجودِهما عدمُ السبيلِ إلى الوصولِ إلى المعنى الذى كان لا يوصَلُ إليه إلا بهما . وفى وجودِ السحرِ فى كلِّ زمانٍ ووقتٍ ، أبيَنُ الدَّلالةِ على فسادِ هذا القولِ . أو[1] يزعُمُ قائلُو[2] ذلك أنهما رجلان مِن بنى آدمَ لم يُعْدَما مِن الأرضِ منذُ خُلِقت الأرضُ[3] ، ولا يُعدَمان[4] ما وجِد السحرُ فى الناسِ ، فيدَّعى ما لا يَخفى بُطولُه .

فإذ[5] فسَدتْ هذه الوجوهُ التى دلَّلنا على فسادِها ، فبيِّنٌ أن معنى « ما » التى فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ . بمعنى « الذى » وأن هاروتَ وماروتَ مُترجَمٌ بهما عن « الملَكَين » ، ولذلك فُتِحت أواخرُ أسمائِهما ؛ لأنهما فى موضعِ خَفضٍ بالرَّدِّ[6] على « الملَكَين » ، ولكنهما لمّا كانا لا يُجْريان[7] فُتِحت أواخرُ أسمائِهما .

فإن التبَس على ذى غباءٍ ما قلنا ، فقال : وكيف يجوزُ لملائكةِ اللهِ أن تعلِّمَ الناسَ التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِه ؟ أم كيف يجوزُ أن يُضافَ إلى اللهِ إنزالُ ذلك على الملائكةِ ؟

قيل له : إن اللهَ جلّ ثناؤُه عرَّف عبادَه جميعَ ما أمَرهم به ، وجميعَ ما نهاهم عنه ، ثم أمَرهم ونهاهم بعدَ العلمِ منهم بما يؤمَرون به ويُنهَون عنه ، ولو كان الأمرُ

---

(١) فى م : « وقد » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « قائل » .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بعد » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢: « فإذا » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « على الرد » .

(٧) فى م : « يجران » . والإجراء هو الصرف . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٩٨ - ١٠١ .

على غيرِ ذلك ، لَمّا كان للأمرِ والنهْيِ معنًى مفهومٌ ، فالسحرُ مما قد نهَى عبادَه من بنى آدمَ عنه ، فغيرُ منكرٍ أن يكونَ جلّ ثناؤُه علّمه المَلَكَين اللذين سمَّاهما فى تنزيلِه ، وجعَلهما فتنةً لعبادِه من بنى آدمَ ، كما أخبرَ عنهما أنهما يقولان لمَن يتعلَّمُ ذلك منهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . ليَختبِرَ بهما عبادَه الذين نهاهم عن التفريقِ بينَ المرءِ وزوجِه ، وعن السحرِ ، فيمحِّصَ المؤمنَ بترْكِه التعلُّمَ منهما ، ويُخزِىَ الكافرَ بتعلُّمِه السحرَ والكفرَ منهما ، ويكونُ المَلَكان فى تعليمِهما مَن علَّما ذلك ، للهِ مُطيعَين ، إذ كانا عن إذنِ اللهِ لهما بتعليمِ ذلك من علَّماه يُعلِّمان ، وقد عُبِد من دونِ اللهِ جماعةٌ من أولياءِ اللهِ ، فلم يكنْ ذلك لهم ضائرًا ، إذ لم يكنْ ذلك بأمرِهم إياهم به ، بل عُبِد بعضُهم والمعبودُ عنه ناهٍ ، فكذلك المَلَكان غيرُ ضائرِهما سحرُ مَن سحَر ممن تعلَّم ذلك منهما بعدَ نهْيِهما إياه عنه ، وعظَتِهما له بقولِهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ [٣/٧٠و] فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . إذ كانا قد أدَّيَا ما أمِرا به بقيلِهما ذلك .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . (١) قال : قولُه : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (١) : أُخِذ عليهما ذلك (٢) .

١/٤٥٦ / ذكرُ بعضِ الأخبارِ التى (٣) جاءت فى شأنِ (٣) الملكين (١) وأمرِهما (١) ، ومَن قال : إن هاروتَ وماروتَ هما الملكان اللذان ذكَر اللهُ فى قولِه : ﴿ (١) وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ (١) بِبَابِلَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٢/١ (١٠١١) من طريق عباد بن منصور ، عن الحسن نحوه مطولا .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فى بيان » .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا معاذُ بنُ هشامٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ ، قال : حدثنا أبو شعبةَ العدوىُّ فى جنازةِ يونسَ بنِ جبيرٍ أبى غَلَّابٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن اللهَ تبارك وتعالى أفرَج السماءَ لملائكتِه ينظُرون إلى أعمالِ بنى آدمَ ، فلما أبصَروهم يعمَلون بالخطايَا ، قالوا : يارَبِّ ، هؤلاء بنو آدمَ الذى خلَقتَ بيدِك ، وأسجَدتَ له ملائكتَك ، وعلَّمته أسماءَ كلِّ شيءٍ ، يعمَلون بالخطايا . قال : أمَا إنكم لو كنتم مكانَهم لعمِلتُم مثلَ أعمالِهم . قالوا : سبحانَك ما كان ينبغى لنا . قال : فأمِروا أن يَختاروا [(١] ملكين ليهبِطَا [١)] إلى الأرضِ . قال : فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فأُهبِطا إلى الأرضِ ، وأحِلَّ لهما ما فيها مِن شىءٍ ، غيرَ ألا يُشْرِكَا باللهِ شيئًا ، ولا يسرِقا ، ولا يزنِيا ، ولا يشرَبا الخمرَ ، ولا يقتُلا النفسَ التى حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ . قال : فما أشْهرا [(٢)] حتى عرِّض لهما بامرأةٍ [(٣)] قد قُسِم لها نصفُ الحسنِ ، يقالُ لها : بيذُختْ [(٤)] . فلما أبصَراها كشَرا [(٥)] بها إِرْبًا [(٦)] ، فقالت : لا ، إلَّا أن تُشرِكا باللهِ ، وتشرَبا الخمرَ ، وتقتُلا النفسَ ، وتسجُدا لهذا الصنمِ . فقالا : ما كنا لنشرِكَ باللهِ شيئًا . فقال أحدُهما للآخرِ : ارجِعْ إليها . فقالت : لا ، إلَّا أن تشرَبا الخمرَ . فشرِبا حتى ثَمِلا [(٧)] ، ودخَل عليهما سائلٌ فقتَلاه ، فلما وقَعا فيما وقَعا فيه مِن الشرِّ ، أفرَج اللهُ

(١ - ١) فى م : « من يهبط » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « استمرا » . وأشهر : أتى عليه شهر . التاج (ش هـ ر) .

(٣) فى م : « امرأة » .

(٤) فى الأصل : « بيدخت » . بالدال المهملة . وتقال بالوجهين . ينظر نهاية الأرب ٣٩/١ .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى م : « أرادا » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كسرا » . وكتب فى حاشية الأصل : « فى الأم : كُسرا » وصححها .

وكشَر عن أسنانه : إذا أبدى ، يكون فى الضحك وغيره . وقد كاشره : إذا ضحك فى وجهه وباسطه . والكَشْرُ ضرب من النكاح . التاج (ك ش ر) . ولعله كنى بذلك عن إرادة الزنا والمراودة .

(٦) فى م : « زنا » .

(٧) ثَمِل يَثْمَل ثمَلا : إذا سكر وأخذ فيه الشراب . اللسان (ث م ل) .

السماءَ لملائكتِه ، فقالوا : سبحانَك كنتَ أنتَ[(١)] أعلمَ . قال : فأوحَى اللهُ إلى سليمانَ ابنِ داودَ أن يُخيِّرَهما بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا عذابَ الدنيا ، فكُبِّلا مِن أكعبِهما إلى أعناقِهما بمثلِ أعناقِ البُخْتِ[(٢)] ، وجُعِلا ببابلَ[(٣)] .

حدَّثنى المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : حدَّثنا حمادٌ[(٤)] ، عن[(٥)] علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أبى عثمانَ النهدىِّ ، [٣/٧٠ظ] عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ أنهما قالا : لمّا كثُر بنو آدمَ وعصَوْا ، دعَت الملائكةُ عليهم والأرضُ والسماءُ والجبالُ : ربَّنا [(٦)]ألَا تهلِكُهم[(٦)] ؟ فأوحَى اللهُ إلى الملائكةِ : إنى لو أنزلتُ الشهوةَ والشيطانَ مِن قلوبِكم ، ولو نزَلتم لفعَلتُم أيضًا .قال : فحدَّثوا أنفسَهم أن لو[(٧)] ابتُلوا اعتصَموا . فأوحَى اللهُ إليهم أن اختاروا ملكين مِن أفضلِكم . فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فأهبِطا إلى الأرضِ ، وأنزِلت الزُّهَرةُ إليهما فى صورةِ امرأةٍ مِن أهلِ فارسَ ، كان أهلُ فارسَ يسمُّونها بِيذُخْتْ . قال : فوقَعا بالخطيئةِ ، وكانت الملائكةُ يستغفِرون للذين آمنوا : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] . فلما وقَعا بالخطيئةِ استغفَروا لمَن فى الأرضِ : ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥] . فخُيِّرا بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) البخت : الإبل الخراسانية . اللسان (ب خ ت) .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٠ إلى المصنف . وإسناده ضعيف لجهالة أبى شعبة العدوى .

(٤) فى م : « حجاج » ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٠.

(٥) فى الأصل : « بن » .

(٦ - ٦) فى العقوبات لابن أبى الدنيا : « أهلكهم » ، وفى تفسير ابن كثير : « لا تهلكهم » ، وفى الدر المنثور : « لا تمهلهم » . وكذا فى بعض طبعات ابن كثير كما أشار محققوه .

(٧) سقط من : الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

عذابَ الدنيا[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن عميرٍ[(٢)] بنِ سعيدٍ ، قال : سمِعتُ عليًّا يقولُ : كانت الزُّهَرةُ امرأةً جميلةً من أهلِ فارسَ ، وإنها خاصَمت إلى الملَكَين هاروتَ وماروتَ ، فراوَداها عن نفسِها ، فأبَت عليهما إلا أن يعلِّمَاها الكلامَ الذى إذا تُكُلِّم به يُعرَجُ به إلى السماءِ ، فعلَّماها ، فتكلَّمَت ، فعرَجَت إلى السماءِ فمُسِخَت كوكبًا[(٣)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنَّى ، قالا : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، جميعًا عن الثورىِّ ،عن موسى[(٤)] بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن كعبٍ ، قال : ذكَرت الملائكةُ أعمالَ بنى آدمَ وما يأتُون من الذنوبِ ، فقيل لهم : اخْتاروا منكم/ اثنين- وقال الحسنُ بنُ يحيى ٤٥٧/١ فى حديثِه : اختاروا ملَكَين - فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فقيل لهما : إنى أرسِلُ إلى بنى آدمَ رُسُلًا ، وليس بينى وبينَكما رسولٌ ، انزِلا ، لا تُشرِكا بى شيئًا ، ولا تزنِيا ، ولا تشرَبا الخمرَ . قال كعبٌ : فواللهِ ما أمسَيا مِن[(٥)] يومِهما الذى أُهبِطا فيه إلى الأرضِ

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٢١) من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) فى م : « عمرو » .

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٨٩٢) - وابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٢٣) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٧٠٢) ، والحاكم ٢٦٥/٢ من طريق عمير بن سعيد عن على مطولا ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٩/١ عن المصنف ، وقال : وهذا الإسناد رجاله ثقات ، وهو غريب جدا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٧/١ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى م : « محمد » .

(٥) فى الأصل : « فى » .

حتى استكمَلا جميعَ ما نُهِيا عنه . وقال الحسنُ بنُ يحيى فى حديثِه : فما استَكمَلا يومَهما الذى أنزِلا فيه حتى عَمِلا ما حرَّم اللهُ عليهما[(١)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا معلَّى بنُ أسدٍ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ المختارِ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، قال : حدَّثنى سالمٌ ، أنه سمِع عبدَ اللهِ يحدِّثُ عن كعبِ الأحبارِ ، أنه حدَّث أن الملائكةَ أنكَروا أعمالَ بنى آدمَ وما يأْتُون فى الأرضِ مِن المعاصى ، فقال اللهُ لهم : إنكم لو كنتم مكانَهم أتيتم ما يأتون مِن الذنوبِ ، فاختاروا منكم ملَكَين . فاختاروا هاروتَ وماروتَ اخْتيارًا[(٢)] ، فقال [٣/٧١و] اللهُ لهما : إنى أرسِلُ رُسلى إلى الناسِ ، وليس بينى وبينَكما رسولٌ ، انزِلا إلى الأرضِ ، ولا تُشرِكا بى شيئًا ولا تزنِيَا . فقال كعبٌ : والذى نفسُ كعبٍ بيدِه ، ما استكمَلا يومَهما الذى نزَلا فيه حتى أتَيا كلَّ[(٣)] ما حُرِّم عليهما .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : إنه كان مِن أمرِ هاروتَ وماروتَ أنهما طعَنا على أهلِ الأرضِ فى أحكامِهم ، فقيل لهما : إنى أعطَيتُ بنى[(٤)] آدمَ عشرًا مِن الشهواتِ فبها يعصوننى . قال هاروتُ وماروتُ : ربَّنا لو أعطَيتنا تلك الشهواتِ ثم نزَلنا ، لحكمْنا بالعدلِ . فقال لهما : انزِلا ، فقد أعطَيتُكما تلك الشهواتِ العشرَ ، فاحكُما بينَ الناسِ . فنزَلا ببابلِ دُنْباوَنْدَ[(٥)] ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٩٠ (١٠٠٦) من طريق مؤمل به . وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٥٣، وابن أبى شيبة ١٣/ ١٨٦، وابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٢٤) ، والبيهقى فى الشعب (١٦٤) من طريق الثورى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٩٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى م : « ابن » .

(٥) دُنْباوَند لغة فى دُبَاوَنْد ، ودُباوَنْد كورة من كور الرى بينها وبين طبرستان ، ودُنْباوند جبل من نواحى =

فكانا[(١)] يحكُمان ، حتى إذا أمسَيا عَرَجا ، فإذا أصبَحا هبَطا ، فلم يزالا بذلك حتى أتَتْهما امرأةٌ تخاصِمُ زوجَها ، فأعجَبهما حسنُها - واسمُها بالعربيةِ الزُّهَرةُ ، واسمُها[(٢)] بالنَّبطيةِ بِيذُخْتْ ، واسمُها بالفارسيةِ أناهِيذ - فقال أحدُهما لصاحبِه : إنها لتُعجِبُنى . قال الآخرُ : قد أردتُ أن أذكرَ لك ذلك[(٢)] فاستحييتُ منك . فقال الآخرُ : هل لك أن أذكرَها لنفسِها ؟ قال : نعم ، ولكن كيف لنا بعذابِ اللهِ ؟ قال الآخرُ : إنا نرجُو رحمةَ اللهِ . فلما جاءت تخاصِمُ زوجَها ذكَرا لها[(٣)] نفسَها ، فقالت : لا ، حتى تقضِيا لى على زوجى . فقضَيا لها على زوجِها ، ثم واعَدتْهما خَربةً من الخَرِبِ يأتيانها فيها ، فأتياها لذلك ، فلما أراد الذى يواقعُها ، قالت : ما أنَا بالذى أفْعَلُ حتى تخبرانى بأىِّ كلامٍ تصعَدان إلى السماءِ ، وبأىِّ كلامٍ تنزِلان منها . فأخبَراها فتكلَّمت فصعِدت ، فأنساها اللهُ ما تَنْزِلُ به ، فبقِيت مكانَها ، وجعَلها اللهُ كوكبًا - فكان عبدُ اللهِ بنُ عمرَ كلما رآها لعَنها وقال : هذه التى فتَنت هاروتَ وماروتَ - فلما كان الليلُ أرادا أن يصعَدا فلم يُطِيقا[(٤)] ، فعرَفا الهَلكةَ[(٥)] ، فخُيِّرا [(٦)] عذابَ الدنيا من عذابِ[(٦)] الآخرةِ ، فاختارا عذابَ الدنيا[(٧)] ، فعُلِّقا ببابلَ ، وجعَلا يكلِّمان الناسَ كلامَهما ، وهو السحرُ[(٨)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : لما وقَع الناسُ مِن بعدِ آدمَ فيما وقَعوا فيه مِن المعاصِى والكفرِ باللهِ ، قالت

= الرى . معجم البلدان ٢/ ٥٤٤، ٦٠٦.

(١) فى الأصل : « فكان » .

(٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م ، ت ٢، ت ٣: « إليها » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يستطيعا » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٣: « الهلك » .

(٦ - ٦) فى م : « بين عذاب الدنيا و » .

(٧) بعده فى م : « من عذاب الآخرة » .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٠٢.

الملائكةُ فى السماءِ : أىْ ربّ، هذا العالَمُ إنما خلقتَهم لعبادتِك وطاعتِك ، وقد ركِبوا الكفرَ ، وقتلَ النفسِ الحرامِ ، وأكلَ المالِ الحرامِ ، والسرقةَ ، والزنا ، وشرْبَ الخمرِ . فجعَلوا يدعون عليهم ولا يَعْذِرونهم ، فقيل لهم : إنهم فى غَيْبٍ . فلم يعذِروهم ، فقيل لهم : اختاروا منكم ملَكَين آمرُهما بأمرى ، وأنْهاهما عن معصيتى . فاختاروا
١/٤٥٨ هاروتَ وماروتَ ، فأُهبِطا إلى/ الأرضِ ، وجعِل لهما[(١)] شهواتُ بنى آدمَ ، وأمِرا [٣/٧١ظ] أن يعبُدا اللهَ ، وألا يشرِكا به شيئًا ، ونُهِيا عن قتلِ النفسِ الحرامِ ، وأكلِ المالِ الحرامِ ، والسرقةِ ، والزنا ، وشربِ الخمرِ ، فلبِثا فى الأرضِ على ذلك زمانًا يحكُمان بينَ الناسِ بالحقِّ - وذلك فى زمانِ إدريسَ - وفى ذلك الزمانِ امرأةٌ حسنُها فى سائرِ النساءِ[(٢)] كحسنِ الزُّهَرةِ فى سائرِ الكواكبِ ، وأنها أتَت عليهما ، فخضَعا لها بالقولِ ، وأراداها على نفسِها ، وأنها أبَت إلا أن يكونا على أمرِها ودينِها ، وأنهما سألاها عن دينِها الذى[(٣)] هى عليه ، فأخرَجت لهما صنمًا ، فقالت : هذا أعبُدُ . فقالا : لا حاجةَ لنا فى عبادةِ هذا . فذهَبا فصبرَا ما شاء اللهُ ، ثم أتَيا عليها فخضَعا لها بالقولِ ، وأراداها على نفسِها ، فقالت : لا ، إلَّا أن تكونا على ما أنا عليه . فقالا : لا حاجةَ لنا فى عبادةِ هذا . فلما رأتْ أنهما قد[(٤)] أبَيا أن يعبُدا الصنمَ ، قالت لهما : اختارا إحدَى الخِلالِ الثلاثِ ؛ إما أن تعبُدا الصنمَ ، أو تقتُلا النفسَ ، أو تشرَبا هذه[(٤)] الخمرَ . فقالا : كلُّ هذا لا ينبغى ، وأهونُ الثلاثِ شُرْبُ الخمرِ . فسقَتْهما الخمرَ حتى إذا[(٥)] أخَذتِ الخمرُ فيهما[(٦)] ، وقَعا بها ، فمرَّ بهما إنسانٌ وهما فى ذلك ، فخشِيا أن يُفشِىَ عليهما

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، والدر المنثور : « بهما » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، والدر المنثور : « الناس » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « التى » .

(٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) بعده فى الأصل : « وأنهما » .

فقتَلاه ، فلما أن ذهَب عنهما السكرُ ، عرَفا ما قد[(١)] وقَعا فيه مِن الخطيئةِ ، وأرادا أن يصعَدا إلى السماءِ فلم يستطِيعا ، فحِيل بينَهما وبينَ ذلك ، وكُشِف الغطاءُ فيما[(٢)] بينهما وبينَ أهلِ السماءِ ، فنظَرتِ الملائكةُ إلى ما قد[(١)] وقَعا فيه مِن الذنبِ ، فعجِبوا كلَّ العَجَبِ ، و(٣)عرَفوا أنه(٣) مَن كان فى غَيْبٍ فهو أقلُّ خشيةً[(٤)] ، فجعَلوا بعدَ ذلك يستغفِرون لمَن فى الأرضِ . وإنهما لمّا وقَعا فيما وقَعا فيه مِن الخطيئةِ ، قيل لهما : اختارا عذابَ الدنيا أو عذابَ الآخرةِ . فقالا : أمَّا عذابُ الدنيا فإنه ينقطِعُ (٥)ويذهَبُ(٥) ، وأمَّا عذابُ الآخرةِ فلا انقطاعَ له . فاختارا عذابَ الدنيا ، فجُعِلا ببابلَ ، فهما يعذَّبان[(٦)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا فرجُ بنُ فَضالةَ ، عن معاويةَ ابنِ صالحٍ ، عن نافعٍ ، قال : سافَرتُ مع ابنِ عمرَ ، فلما كان مِن آخرِ الليلِ ، قال : يا نافعُ ، انظُرْ ، طلعتِ الحمراءُ ؟ (٧)قلتُ : لا(٧) . مرَّتين أو ثلاثًا ، ثم قلتُ : قد طلَعت . قال : لا مرحبًا بها[(٨)] ولا أهلًا . قلت : سبحانَ اللهِ ، نجمٌ مسخَّرٌ سامعٌ مطيعٌ ! قال : ما قلتُ لك إلا ما سمِعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ - أو[(٩)] قال : قال لى[(١٠)] رسولُ اللهِ ﷺ - :

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) فى م : « علموا أن » .
(٤) فى م : « غشية » .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٠ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٨٩ (١٠٠٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس قوله ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٠١ عن ابن أبى حاتم ، وقال : رواه الحاكم فى مستدركه مطولا عن ... أبى جعفر الرازى به ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فهذا أقرب ما روى فى شأن الزهرة ، والله أعلم .
(٧ - ٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قالها » .
(٨) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٩) فى م : « و » .
(١٠) سقط من الأصل .

« إنَّ الملائكةَ قالت : يا ربِّ ، كيف صبرُك على بنى آدمَ فى الخطايا والذنوبِ ؟ قال : إنى ابتَليتُهم وعافَيتُكم . قالوا : لو كنا مكانَهم ما عصَيناك . قال : فاختارُوا ملَكَين منكم » . قال : « فلم يألُوا أن يختارُوا ، فاختارُوا هاروتَ وماروتَ »[1] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : أمّا شأنُ هاروتَ وماروتَ ، فإن [٧٢/٣و] الملائكةَ عجِبت من ظلم بنى آدمَ ، وقد جاءتْهم الرسلُ والكتبُ والبيناتُ ، فقال لهم ربُّهم : اختاروا منكم ملَكَين أُنزِلْهما يحكُمان فى الأرضِ بين بنى آدمَ . فاختاروا - [2]فلم يألُوا[2] - هاروتَ وماروتَ . فقال لهما حينَ أنزَلهما : أَعجِبتما مِن بنى آدمَ ومِن ظلمِهم ومعصيتِهم ، وإنما تأتِيهم الرسلُ والكتبُ مِن وراءَ وراءَ ؟! وأنتما ليس بينى وبينَكما رسولٌ ، فافعَلا كذا وكذا ، ودعا كذا وكذا . فأمَرهما بأمرٍ ونهاهما ، ثم نزَلا على ذلك ، ليس أحدٌ أطوعَ للهِ منهما ، فحكَما فعدَلا ، فكانا يحكُمان النهارَ بين بنى آدمَ ، فإذا أمسَيا عَرَجا وكانا مع الملائكةِ ، وينزِلان حين يصبِحان فيحكُمان فيعدِلان ، حتى أُنزِلت عليهما الزُّهَرةُ
١/٤٥٩ فى أحسنِ صورةِ امرأةٍ / تخاصِمُ ، فقضَيا عليها ، فلما قامت وجَد كلُّ واحدٍ منهما فى نفسِه ، فقال أحدُهما لصاحبِه : وجَدتَ مثلَ ما وجَدتُ ؟ قال : نعم . فبعَثا إليها : أنِ ائتِينا نَقْضِ لكِ . فلما رجَعت ، قالا لها - وقضَيا لها - : ائتِينا . فأتتهما ، فتكشَّفا لها عن عورتِهما ، وإنما كانت شهوتُهما فى أنفسِهما ، ولم يكونا كبنى آدمَ فى شهوةِ النساءِ ولذَّتِها ، فلما بلَغا ذلك واستحلَّاه وافتُتِنا ، طارتِ الزُّهَرةُ فرجَعت حيث كانت ، فلما

---

(١) أخرجه سنيد - كما فى الدر المنثور ١/ ٩٧ - ومن طريقه الخطيب ٨/ ٤٢، وابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٨٦، والذهبى فى الميزان ٢/ ٢٣٦. وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٩ عن المصنف ، وقال : غريب جدا ، وأقرب ما فى هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبى ﷺ .... وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٩٨ - ٢٠٠، والدر المنثور ١/ ٩٧، ٩٨، والضعيفة (٩١٢) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

أمسَيا عَرَجا فزُجِرا[(١)] فلم يؤذنْ لهما ، ولم تحمِلْهما أجنِحَتُهما ، فاستغاثا برجلٍ من بنى آدمَ ، فأتَياه فقالا : ادعُ لنا ربَّك . فقال : كيف يشفَعُ أهلُ الأرضِ لأهلِ السماءِ ؟ قالا : سمِعنا ربَّك يذكُرُك بخيرٍ فى السماءِ . فوعَدهما يومًا وغدًا[(٢)] ؛ يدعو لهما ، فدَعا لهما فاستُجيب له ، فخيِّرا بين عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فنظَر أحدُهما إلى صاحبِه[(٣)] فقال : ألا تعلمُ[٣)] أن أفواجَ[(٤)] عذابِ اللهِ فى الآخرةِ كذا وكذا فى الخلدِ[(٥)] ، ومع الدنيا سبعَ[(٦)] مراتٍ مثلَها . فأُمِرا أن ينزِلا ببابلَ ، فثَمَّ عذابُهما ، وزُعِم أنهما معلَّقان فى الحديدِ مَطويَّان ؛ يصطَفِقان[(٧)] بأجنِحَتِهما[(٨)] .

قال أبو جعفرٍ : وحُكِى عن بعضِ القرأةِ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (وما أُنزِل على المَلِكينِ) . يعنى به : رجلين مِن بنى آدمَ[(٩)] .

---

(١) فى م : « فردا » ، وفى ت ١ : « فرجعا » ، وفى ت ٢ : « فرجوا » .

(٢) فى م : « وغدا » .

(٣ - ٣) فى م : « فقالا نعلم » .

(٤) فى م : « أنواع » .

(٥) بعده فى الأصل : « نعم » . وعليها استشكال .

(٦) فى تفسير ابن كثير : « تسع » .

(٧) فى تفسير ابن كثير : « يصفقان » . واصطفق القوم : اضطربوا . اللسان (ص ف ق) .

(٨) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٠٤) من طريق أبى حذيفة به مختصرًا . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٢/١ (١٠٠٩) من طريق ابن جريج ، عن مجاهد مختصرا . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٠٣/١ كاملًا ثم قال : وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدى والحسن و... وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٩) قرأها كذلك ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلى والضحاك وابن أبزى ، وهى قراءة شاذة . المحتسب ١/ ١٠٠ ، والبحر المحيط ١/ ٣٢٩. وأخرج قراءة ابن أبزى والضحاك ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٠٠٠ ، ١٠٠٢) .

وقد دلَّلْنا على خطأَ القراءةِ بذلك مِن جهةِ الاستدلالِ[(١)] ، فأما مِن جِهَةِ النقلِ ، فإجماعُ الحجةِ على خطأَ القراءةِ بها من الصحابةِ والتابعين وقرأةِ الأمصارِ . وكفَى بذلك شاهدًا على خطَئِها .

وأما قولُه : ﴿ بِبَابِلَ ﴾ . فإنه اسمُ قريةٍ أو موضعٍ مِن مواضعِ الأرضِ .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فيها ؛ فقال بعضُهم : إنها ببابلِ دُنْباوَنْدَ .

حَدَّثنى بذلك موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ[(٢)] .

وقال بعضُهم : بل ذلك ببابلِ العراقِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ أبى الزنادِ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ فى قصةٍ [٧٢/٣ظ] ذكَرتها عن امرأةٍ قدِمت المدينةَ ، فذكَرت أنها صارت بالعراقِ ببابلَ ، فأتَت بها هاروتَ وماروتَ ، فتعلَّمت منهما السحرَ[(٣)] .

واختُلف فى معنى السحرِ ؛ **فقال بعضُهم** : هو خُدَعٌ ومَخاريقُ ومعانٍ يفعَلُه الساحرُ ، حتى يُخَيَّلَ إلى المسحورِ الشيءُ أنه بخلافِ ما هو به ، نظيرَ الذى يرى السَّرابَ مِن بعيدٍ ، فيُخَيَّلُ إليه أنه ماءٌ ، ويرَى الشيءَ مِن بعيدٍ (٤) فيه ، فيتبيَّنُه (٤) بخلافِ ما هو به (٥) على حقيقتِه ، وكراكبِ السفينةِ السائرةِ سيرًا حثيثًا يُخَيَّلُ إليه أن ما عاين مِن

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٣٨ ، ٣٣٩.

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٣٤٥ .

(٣) سيأتى تخريجه فى ص ٣٥٣ .

(٤ - ٤) فى م : « فيثبته » .

(٥) سقط من : م .

الأشجارِ والجبالِ سائرٌ معه . قالوا : فكذلك المسحورُ ، ذلك صفتُه ، يحسَبُ بعدَ الذى وصَل إليه مِن سحرِ الساحرِ أن الذى يراه أو يفعلُه بخلافِ الذى هو به على حقيقتِه .

كالذى **حدَّثنى** أحمدُ بنُ الوليدِ وسفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن النبىَّ ﷺ لمَّا سُحِر ، كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشىءَ ولم يَفْعَلْه[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ نميرٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : سحَر / رسولَ اللهِ ﷺ يهوديٌّ مِن يهودِ بنى زُرَيقٍ ، يقالُ له : لبيدُ ١/٤٦٠
ابنُ الأعصمِ . حتى كان رسولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشىءَ وما يَفْعَلُه[(٢)] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَنى يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : كان عروةُ بنُ الزبيرِ وسعيدُ بنُ المسيّبِ يحدِّثان أن يهودَ بنى زُرَيقٍ عقَدوا عُقَدَ سِحْرٍ لرسولِ اللهِ ﷺ ، فجعَلوها فى بئرِ حَزْمٍ[(٣)] ، حتى كان رسولُ اللهِ ﷺ يُنكِرُ[(٤)] بصرَه ، ودلَّه اللهُ على ما صنَعوا ، فأرسَل رسولُ اللهِ ﷺ إلى بئرِ حزْمٍ التى فيها العُقَدُ فانْتزَعها ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : « سحرَتْنى يهودُ بنى زريقٍ »[(٥)] .

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٥٠ (٢٤٢٨٣) ، والبخارى (٣١٧٥) من طريق يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد ٦/٦٣ (٢٤٣٩٣) ، والبخارى (٣٢٦٨) ، ومسلم (٢١٨٩) ، وغيرهم من طرق عن هشام به .

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٩) من طريق ابن نمير به .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حزم » بالزاى ، وفى صحيح مسلم : « بئر ذى أروان » . قال الإمام النووى فى شرح مسلم ١٤/ ١٧٧ : هكذا هو فى جميع نسخ مسلم : ذى أروان . وكذا وقع فى بعض روايات البخارى ، وفى معظمها : « ذروان » . وكلاهما صحيح ، والأول أجود وأصح ، وادعى ابن قتيبة أنه الصواب ، وهو قول الأصمعى ، وهى بئر بالمدينة فى بستان بنى زريق .

(٤) فى جامع معمر : « يغض » .

(٥) أخرجه معمر فى جامعه (١٩٧٦٤) عن ابن شهاب به ، ولم يذكر اسم البئر . وأخرجه ابن سعد ٢/١٩٨ من طريق ابن شهاب به ، مقتصرا على آخره .
=

وأنكَر قائلو هذه المقالةِ أن يكونَ الساحرُ يَقدِرُ بسحْرِه على قلبِ شيءٍ عن حقيقتِه ، أو[(١)] استسخارِ[(٢)] شيءٍ مِن خلقِ اللهِ إلا نظيرَ الذى يقدِرُ عليه مِن ذلك سائرُ بنى آدمَ ، أو إنشاءِ شيءٍ مِن الأجسامِ سوى المخاريقِ والخُدَعِ المتخيَّلةِ لأبصارِ الناظرين ، بخلافِ حقائقِها التى وصَفنا . وقالوا : لو كان فى وُسعِ السحرةِ إنشاءُ الأجسامِ ، وقلبُ حقائقِ الأعيانِ عما هى به مِن الهيئاتِ ، لم يكنْ بينَ الباطلِ والحقِّ فصلٌ[(٣)] ، ولجاز أن تكونَ جميعُ المحَسّاتِ[(٤)] مما سحَرته السحرةُ فقلَبت أعيانَها . قالوا : وفى وصفِ اللهِ جلَّ وعزَّ سحرَ[(٥)] سحَرةِ فرعونَ بقولِه : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] . وفى خبرِ عائشةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه كان إذ[(٦)] سُحِر يخيَّلُ إليه أنه يفعَلُ الشيءَ وهو لا يفعلُه - أوضحُ الدَّلالةِ على بُطُولِ دعْوَى المدَّعِين - أن الساحرَ يُنشئُ أعيانَ الأشياءِ بسحرِه ، ويستسْخِرُ ما يتعذَّرُ استِسخارُه على غيرِه مِن بنى آدمَ ، كالمواتِ والجمادِ والحيوانِ - وصحةِ ما قلنا .

وقال آخرون : قد يقدِرُ الساحرُ بسحرِه أن يحوِّلَ الإنسانَ حمارًا ، وأن يَسحَرَ

= وقال الحافظ فى الفتح ١٠/ ٢٢٦، ٢٢٧ : قال المازرى : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ... وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى ، وعلى عصمته فى التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها ، فهو فى ذلك عرضة لما يعترض البشر ، كالأمراض ... . وعقد القاضى عياض فى هذا البحث فصلا جيدا فى الشفا ٢/ ٨٦٥ وما بعدها .

(١) فى م : « و » .
(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « استحسان » .
(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فضل » .
(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « المحسوسات » .
(٥) سقط من : م .
(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إذا » .

(١) الحيوانَ والجمادَ (١) ، وينشِئَ أعيانًا وأجسامًا .

واعتلُّوا فى ذلك بما حدَّثنا به الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَنى ابنُ أبى الزنادِ ، قال : حدَّثنى هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالت : قدِمت علىَّ امرأةٌ مِن أهلِ دُومَةِ الجندلِ (٢) ، جاءت تَبتغى رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ موتِه (٣) حَدَاثةَ ذلك ، تسأله عن شيءٍ دخَلتْ فيه من أمرِ السحرِ ولم تعمَلْ به . قالت عائشةُ لعروةَ : يا بنَ أختى ، فرأيتُها تبكى حينَ لم تجِدْ رسولَ اللهِ ﷺ فيشفِيَها ، كانت تبكى حتى إنى لأرحَمُها ، وتقولُ : إنى لأخافُ أن أكونَ قد هلَكْتُ ، كان لى زوجٌ فغاب عنى ، فدخَلَت علىَّ عجوزٌ فشكَوتُ ذلك إليها ، فقالت : إن فعَلتِ ما آمرُكِ به ، فأجعلُه يأتيك . فلما كان الليلُ جاءتْنى بكلبَين أسودَين ، فركِبتُ أحدَهما وركِبتُ الآخرَ ، فلم يكنْ كشيءٍ (٤) حتى وقَفنا ببابلَ ، فإذا برجلَين [٣/٧٣و] معلَّقَين بأرجلِهما ، فقالا : ما جاء بكِ ؟ فقلتُ : أتعلَّمُ السحرَ . فقالا : إنما نحن فتنةٌ ، فلا تكفُرى وارجِعى . فأبَيْتُ ، وقلتُ : لا . قالا : فاذهَبى إلى ذلك التنُّورِ فبُولى فيه ./ فذهَبتُ ففزِعتُ فلم أفعلْ ، فرجَعتُ إليهما ، فقالا : ٤٦١/١
أفعَلتِ ؟ فقلتُ : نعم . قالا : فهل رأيتِ شيئًا ؟ قلتُ : لم أرَ شيئًا . فقالا : لم تفعَلى ، ارجِعى إلى بلادِك ولا تكفُرى . (٥) فأرْبَبْتُ وأبيتُ (٥) ، فقالا : اذهَبى إلى ذلك التنورِ فبولى فيه . فذهَبتُ فاقشعرَرْتُ وخفتُ ، ثم رجعتُ إليهما فقلتُ : قد فعلتُ .

(١ - ١) فى م : « الإنسان والحمار » .

(٢) دومة الجندل : هى ما بين برك الغماد ومكة . معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٤ .

(٣) بعده فى الأصل : « فى » .

(٤) هذه اللفظة ليست عند ابن أبى حاتم ، حيث أورده مختصرًا ، وفى المستدرك : « مكثى » ، وفى سنن البيهقى : « كثير » .

(٥ - ٥) فى م : « فأبيت » . وأرب فلان بالمكان : إذا أقام به فلم يبرحه . التاج (ر ب ب) .

فقالا : فما رأيتِ ؟ فقلتُ : لم أرَ شيئًا . فقالا : كذَبتِ لم تفعَلى ، ارجِعى إلى بلادِك ولا تكفُرى ، فإنك على رأسِ أمرِكِ[(١)] . فأرْبَبْتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهَبى إلى ذلك التنُّورِ فبولى فيه . فذهَبتُ إليه فبُلتُ فيه ، فرأيتُ فارسًا مُتقنِّعًا بحديدٍ خرَج منه[(٢)] حتى ذهَب فى[(٣)] السماءِ ، وغاب عنى حتى ما أراه . فجئتُهما فقلتُ : قد فعلتُ . فقالا : فما رأيتِ ؟ فقلتُ : رأيتُ[(٤)] فارسًا مُتقنِّعًا خرَج منه[(٢)] ، فذهَب فى السماءِ حتى ما أراه . فقالا : صدَقتِ ، ذلك إيمانُكِ خرَج منك ، اذهبى . فقلتُ للمرأةِ : واللهِ ما أعلمُ شيئًا ، وما قالا لى شيئًا . فقالت : بلى ، لن تريدى شيئًا إلا كان ، خُذى هذا القمحَ فابذُرى . فبذَرتُ ، فقلتُ : أطْلِعى . فأطْلَعتْ ، وقلت : أحْقِلى . فأحْقَلت ، ثم قلت : (٥)أفْرِكى . فأفْرَكَتْ(٥) ، ثم قلت : أيْبِسى . فأيْبَست ، ثم قلت : أطْحِنى . فأطْحَنَتْ ، ثم قلتُ : أخبِزى . فأخبزَتْ . فلمّا رأيتُ أنى لا أريدُ شيئًا إلا كان ، سُقِط فى يدِى وندِمتُ ، واللهِ يا أمَّ المؤمنين[(٦)] ما فعلتُ شيئًا قطُّ ولا أفعلُه أبدًا[(٧)] .

فقال أهلُ هذه المقالةِ بما وصَفنا ، واعتلُّوا بما ذكَرنا ، وقالوا : لولا أن الساحرَ يقدِرُ على فعلِ ما ادَّعى أنه يقدِرُ على فعلِه ، ما قدَر أن يفرِّقَ بينَ المرءِ وزوجِه . قالوا : وقد أخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه عنهم أنهم يتعلَّمون مِن الملَكَين ما يفرِّقون به بينَ المرءِ

---

(١) أى فى أوله . التاج (ر أ س) .

(٢) فى م ، ومصادر التخريج : « منى » . وقولها : « منه » . أى من البول .

(٣) فى الأصل : « إلى » .

(٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٥ - ٥) فى المستدرك : « أفرخى فأفرخت » .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢: « والله » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٩٤ (١٠٢٢) ، والحاكم ٤/ ١٥٥، والبيهقى ٨/ ١٣٦ من طريق الربيع بن سليمان به مطولا ومختصرا . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٠٣، ٢٠٤ عن المصنف ، وقال : أثر غريب ، وسياق عجيب . وقال أيضًا : ١/ ٢٠٥: هذا إسناد جيد إلى عائشة .

وزوجِه ، وذلك لو كان على غيرِ الحقيقةِ ، وكان على وجهِ التخييلِ والحُسبانِ ، لم يكنْ تفريقًا على صحةٍ ، وقد أخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه عنهم أنهم يفرِّقون على صحةٍ .

وقال آخرون : بل السحرُ أخْذٌ بالعينِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وتأويلُ ذلك : وما يعلِّمُ الملَكان من أحدٍ مِن الناسِ الذى أُنزِل عليهما مِن التَّفريقِ بينَ المرءِ وزوجِه ، حتى يقولا له : إنما نحن بلاءٌ وفتنةٌ لبنى آدمَ ، فلا تكفُرْ بربِّك .

كما **حدَّثنى** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : إذا أتاهما - يعنى هاروتَ وماروتَ - إنسانٌ يريدُ السحرَ ، وعَظاه وقالا له : لا تكفُرْ ، إنما نحن فتنةٌ . فإذا أبَى ، قالا له : ائتِ هذا الرمادَ فبُلْ [٣/٧٣ظ] عليه . فإذا بال عليه خرَج منه نورٌ يسطَعُ حتى يدخُلَ السماءَ ، وذلك الإيمانُ ، وأقبَلَ[(١)] شىءٌ أسودُ كهيئةِ الدُّخانِ حتى يدخُلَ فى مسامعِه وكلِّ شىءٍ منه ، فذلك غضبُ اللهِ ، فإذا أخبرَهما بذلك علَّماه السحرَ ، فذلك قولُ اللهِ : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ الآية[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ والحسنِ : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قالا : أُخِذ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[(٣)] .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قيل » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٠٦/١ عن السدى .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٢/١ (١٠١١، ١٠١٢) من طريق عباد بن منصور عن الحسن ، وأبى جعفر عن قتادة .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال قتادةُ : كانا يعلِّمان الناسَ السحرَ ، فأخِذ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[1] .

٤٦٢/١ / **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، قال : قال غيرُ قتادةَ : أخِذ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يَتقدَّما إليه فيقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : أخِذ عليهما أن يقولا ذلك .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخِذ الميثاقُ عليهما ألَّا يعلِّما أحدًا حتى يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ : لا يَجترِئُ على السحرِ إلا كافرٌ[2] .

وأما « الفتنةُ » فى هذا الموضعِ ، فإن معناها الاختبارُ والابتلاءُ ، مِن ذلك قولُ الشاعرِ[3] :

(٤)وقد فُتِن(٤) الناسُ فى دينِهم وخَلَّى ابنُ عفّانَ شَرًّا طَوِيلا

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٣٣ .

(٢) ذكر آخره ابن كثير فى تفسيره ٢٠٦/١ عن الحسين به .

(٣) نسبه المصنف فى تاريخه ٤٢٦/٤ إلى الحباب بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق . وفى الاستيعاب ١/ ٤١٢، والإصابة ٢/ ٢٩ : الحتات بن يزيد ، وفى الإصابة : زيد . ونسبه ابن قتيبة فى معجم الشعراء ص ٢٤٠، والمبرد فى الكامل ٣/ ٢٩، وابن حجر فى الإصابة ٥/ ٦٣٧، إلى ابن الغريرة - وفى الكامل : الغريزة - النهشلى ، وذكر الخلاف فى نسبته فى أنساب الأشراف ٢٢٨/٦ فقال : وقال على بن الغدير بن المضرس الغنوى ، ويقال : إهاب بن [illegible] المجاشعى . ويقال : ابن الغريرة النهشلى .

(٤ - ٤) [illegible] «فقد سفه» .

ومنه يقالُ : فتَنتُ الذهبَ فى النارِ - إذا امتَحنتَها لتعرِفَ جوْدَتَها مِن رَداءتِها - أفتِنُها[(١)] فتنةً وفتونًا .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ . أى : بلاءٌ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ .

وقولُه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ عن المتعلِّمين مِن الملَكين ما أُنزِل عليهما ، وليس بجوابٍ لقولِه : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ . بل هو خبرٌ مستأنفٌ ، فلذلك رفِع فقيل : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . فمعنى الكلامِ إذن : وما يعلِّمان مِن أحدٍ حتى يقولا : إنما نحنُ فتنةٌ . فيأبَون قبولَ ذلك منهما ، فيتعلَّمون منهما ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه .

وقد قيل : إن قولَه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . خبرٌ عن اليهودِ معطوفٌ على قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ - ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ وجعَلوا ذلك مِن المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ .

والذى قلنا أشبهُ بتأويلِ الآيةِ ؛ لأن إلحاقَ ذلك بالذى يليه مِن الكلامِ ، ما كان للتأويلِ وجهٌ صحيحٌ ، أولَى مِن إلحاقِه بما قد حِيل بينه وبينه من معْترَضِ الكلامِ .

والهاءُ والميمُ والألفُ [٧٤/٣و] مِن قولِه : ﴿ مِنْهُمَا ﴾ . من ذكرِ الملَكين . ومعنى ذلك : فيتعلَّمُ الناسُ من الملَكين الذى يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه .

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ : « أفتنه » . وقوله : « أفتنها » . يريد القطعة من الذهب . كقوله : « امتحنتها ... » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٢/١ (١٠١٢) من طريق يزيد بن زريع ، عن قتادة .

و ﴿ مَا ﴾ التى مع ﴿ يُفَرِّقُونَ ﴾ بمعنى الذى . وقيل : إن[١] معنى ذلك : السحرُ الذى يفرِّقون به . وقيل : هو معنًى غيرُ السحرِ . وقد ذكَرنا اختلافَهم فى ذلك فيما مضَى قبلُ[٢] .

وأما « المرءُ » ؛ فإنه بمعنى رجلٍ ، من أسماءِ بنى آدمَ ، والأُنثى منه المرأةُ . يوحَّدُ ويثنَّى ، ولا يجمعُ ثلاثتُه[٣] على صورتِه ، يقالُ منه : هذا امرؤٌ صالحٌ ، وهذان امرآن صالحان . ولا يقالُ : هؤلاء امرؤو صِدقٍ . ولكن يقالُ : هؤلاء رجالُ صِدقٍ ، وقومُ صِدقٍ . وكذلك المرأةُ تُوحَّدُ وتُثنَّى ، ولا تُجْمَعُ على صورتِها ، يقالُ : هذه امرأةٌ ، وهاتان امرأتان . ولا يقالُ : هؤلاء امرآتٌ . ولكن : هؤلاء نسوةٌ .

وأما « الزوجُ » ، فإن أهلَ الحجازِ يقولون لامرأةِ الرجلِ : هى زوجُه . بمنزلةِ الزوجِ الذَّكرِ ، ومِن ذلك قولُ اللهِ تعالى ذكرُه : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وتميمٌ وكثيرٌ من قيسٍ وأهلُ نجدٍ يقولون : هى زوجتُه[٤] .

قال الشاعرُ[٥] :

فإن [٦]الذى يمشِى يُحَرِّشُ[٦][٧] زَوْجَتى كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى[٨] يَسْتَبيلُها[٩]

---

(١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٣٦ ، ٣٣٧.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ثلاثيه » .

(٤) بعده فى م : « كما » .

(٥) هو الفرزدق ، والبيت فى شرح ديوانه ص ٦٠٥.

(٦ - ٦) فى شرح الديوان : « امرأ يسعى يخبب » .

(٧) حرش بينهم : أفسد وأغرى بعضهم ببعض . التاج (ح ر ش) .

(٨) الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قال بعضهم : شرى موضع بعينه تأوى إليه الأسد ، وقيل : هو شرى الفرات وناحيته ، وبه غياض وآجام ومأسدة . اللسان (ش ر ى) .

(٩) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يستقيلها » . والمراد يأخذ بولها فى يده . اللسان (ب و ل) .

/ فإن قال قائلٌ : وكيف يفرِّقُ الساحرُ بينَ المرءِ وزوجِه ؟ ٤٦٣/١

قيل : قد دلَّلنا فيما مضَى على أن معنى السحرِ تخييلُ الشيءِ إلى المرءِ بخلافِ ما هو به فى عَينِه وحقيقتِه ، بما فيه الكفايةُ لمَن وفِّق لفهمِه[١] . فإذ كان ذلك صحيحًا بالذى عليه استشهَدْنا ، فتفريقُه بينَ المرْءِ وزوجِه ، تخييلُه بسحرِه إلى كلِّ واحدٍ منهما شخصَ الآخرِ على خلافِ ما هو به فى حقيقتِه مِن حسنٍ وجمالٍ ، حتى يقبِّحَه عندَه ، فينصرِفَ بوجهِه ويعرِضَ عنه ، حتى يُحدِثَ الزوجُ لامرأتِه فِراقًا . فيكونُ الساحرُ مفرِّقًا بينَهما بإحداثِه السببَ الذى كان عنه[٢] فُرْقَةُ ما بينَهما . وقد دلَّلنا فى غيرِ موضعٍ مِن كتابِنا هذا على أن العربَ تضيفُ الشيءَ إلى مُسبِّبِه من أجلِ تَسْبيبِه[٣] ، وإن لم يكنْ باشرَ فعلَ ما حدَث عن السببِ ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[٤] . فكذلك تفريقُ الساحرِ بسحْرِه بينَ الزوجَين[٥] .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قاله عددٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ : وتفريقُهما أن يُؤَخِّذَ[٦]

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٥٠ وما بعدها .

(٢) فى م : « منه » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « تسببه » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١٩٨/١ ، ١٩٩.

(٥) فى م : « المرء وزوجه » .

(٦) التأخيذ : أن تحتال المرأة بحيل فى منع زوجها عن جماع غيرها وذلك نوع من السحر. اللسان (أ خ ذ) .

كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبِه ، ويُبغِّضَ كلَّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه[١] .

وأما الذين نفَوا[٢] أن يكونَ الملكان يعلِّمان الناسَ التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِه ، فإنهم وجَّهوا تأويلَ قولِه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ . إلى : فيتعلَّمون مكانَ ما علَّماهم ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، كقولِ القائلِ : ليت لنا [٣]من كذا ، كذا وكذا[٣] كما قال الشاعرُ[٤] :

جَمَعْتَ من الخيراتِ وَطْبًا وعُلبَةً[٥] وصَرًّا لأخْلافِ[٦] المُزَمَّمَـةِ[٧] البُزْلِ[٨]

ومِن كلِّ أخْلاقِ الكِرامِ نَميمةً وَسَعْيًا على الجارِ المُجاوِرِ بالمَـحْلِ[٩]

[٣/٧٤ظ] يريدُ بقولِه : جَمَعْتَ[١٠] مكانَ خيراتِ الدنيا هذه الأخلاقَ الرديئةَ والأفعالَ الدنيئةَ . ومنه قولُ الآخرِ :

صَلَدَتْ[١١] صَفاتُك[١٢] أن تَلِينَ حُيُودُها[١٣] وَوَرِثْتَ من سَلَفِ الكِرامِ عُقُوقا

---

(١) أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٣ (١٠١٥، ١٠١٦) من طريق أبى جعفر وسعيد بن بشير ، عن قتادة نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٣ إلى عبد حميد .

(٢) فى م : « أبوا » ، وفى ت ٢، ت ٣: « بنوا » .

(٣ - ٣) فى م : « كذا من كذا . أى مكان كذا » .

(٤) البيتان فى أمالى المرتضى ١/٤٢١ دون نسبة .

(٥) العلبة : قدح ضخم من جلود الإبل . التاج (ع ل ب) .

(٦) الأخلاف جمع الخِلف : وهو ضرع الناقة . اللسان (خ ل ف) .

(٧) فى م : « المذممة » ، وفى نسختين من الأمالى : « المزهمة » والمزممة : النوق التى علقت عليها الأزمة . اللسان (ز م م) .

(٨) البزل جمع بازل ، ويقال ذلك للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه . اللسان (ب ز ل) .

(٩) فى م ، ت ٢: « بالنجل » . والمحل : المكر والكيد . اللسان (م ح ل) .

(١٠) بعده فى م ، ت ١، ت ٢: « من الخيرات » ، وبعده فى ت٣ : « من الخيرات مكان هذه الخيرات » .

(١١) صلدت الأرض : صلبت فلم تنبت شيئا . التاج (ص ل د) .

(١٢) الصفاة : الصخرة الملساء . اللسان (ص ف ا) .

(١٣) فى ت ١، ت ٣: « جلودها » ، وفى ت ٢: « جنودها » . وجبل ذو حيود : إذا كانت له حروف ناتئة=

يعنى : وَرِثتَ مكانَ سلفِ الكرامِ عُقوقًا مِن ولدِك[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ : وما المتعلِّمون مِن الملَكَين هاروتَ وماروتَ ما يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، بضارِّين بالذى تعلَّموه منهما مِن المعنى الذى يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، من أحدٍ من الناسِ ، إلا من قد قضَى اللهُ عليه أن ذلك يضُرُّه ، فأما مَن دفَع اللهُ عنه ضُرَّه وحفِظه مِن مكروهِ السحرِ والنَّفْثِ والرُّقى ، فإن ذلك غيرُ ضارِّه ولا نائلِه أذاه .

وللإذْنِ فى كلامِ العربِ أوجهٌ ؛ منها الأمرُ على غيرِ وجهِ الإلزامِ ، وغيرُ جائزٍ أن يكونَ منه قولُه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ ؛ لأن اللهَ جلّ ثناؤُه قد حرَّم التفريقَ بينَ الرجلِ[(٢)] وحليلتِه بغيرِ سحرٍ - فكيف به على وجهِ
١/٤٦٤ السحرِ - على لسانِ الأُمةِ ؟ ومنها التخليةُ بينَ المأذونِ له والمخلَّى بينَه وبينَه/ . ومنها العلمُ[(٣)] بالشىءِ ، يقالُ منه : قد أذِنْتُ بهذا الأمرِ ، إذا علِمتَ به ، آذَنُ به إذنًا . ومنه قولُ الحطيئةِ[(٤)] :

ألا يا هِنْدُ إن جَدَّدْتِ وَصْلًا وإلَّا فـائـذنِـينى بـانْـصِـرامِ

يعنى : فأعلِمينى .

= فى أعراضه لا فى أعاليه . التاج (ح ى د) .

(١) فى م : « والديك » .

(٢) فى م : « المرء » .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « العمل » .

(٤) البيت ليس فى ديوانه ، وهو فى التبيان ١/ ٣٨٠.

ومنه قولُه جلّ ثناؤه : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] . وهذا هو معنى الآيةِ ، كأنه قال جلّ ثناؤه : وما هم بضارين بالذى تعلَّموا مِن الملَكين مِن أحدٍ إلا بعلمِ اللهِ . يعنى : بالذى سبَق له فى علمِ اللهِ أنه يضرُّه .

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ فى قولِه : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . قال : بقضاءِ اللهِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ .

يعنى [(٢)] جلَّ ثناؤُه بقولِه [(٢)] : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . أى : الناسُ الذين يتعلَّمون من الملَكين ، ما أنزِل إليهما[(٣)] من المعنى الذى يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه ، يتعلَّمون منهما السحرَ الذى يضرُّهم فى دينِهم ، ولا ينفعُهم فى مَعادِهم ؛ فأما فى العاجلِ فى الدنيا ، فإنهم قد كانوا يكسِبون به ويُصيبون به معاشًا .

[٧٥/٣و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه** : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُۥ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُۥ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ . الفريقَ الذين [(٤)] أخبرَ عنهم أنهم [(٤)] لمَّا جاءهم رسولٌ من عندِ اللهِ مصدِّقٌ لما معهم ، نبَذوا كتابَ اللهِ وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلمون ، واتَّبَعوا ما تتلو الشياطينُ على ملكِ سليمانَ . فقال جلَّ ثناؤُه : لقد علِم النابِذون مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ١/١٩٤ (١٠٢٠) من طريق ابن المبارك به .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « بذلك جل ثناؤه » .

(٣) فى م : « عليهما » .

(٤ - ٤) سقط من ، م ، وفى ت ١ ، ت ٣: « أنهم » .

كتابى وراءَ ظهورِهم تجاهلًا منهم ، التاركون العملَ بما فيه ، من اتباعِك يا محمدُ واتباعِ ما جئتَ به ، بعدَ إنزالى إليك كتابى مصدِّقًا لما معهم ، وبعدَ إرساليك إليهم بالإقرارِ بما معهم وما فى أيديهم ، المؤثِرون عليه اتباعَ السحرِ الذى تَلته الشياطينُ على عهدِ سليمانَ ، والذى أنزِل على الملَكَين ببابلَ هاروتَ وماروتَ - لمن اشترَى السحرَ بكتابى الذى أنزَلتُه على رسولى فآثرَه عليه ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه :﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ . (١) أى : لمَن استحبَّه (١) ، ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ يقولُ : قد علِم ذلك أهلُ الكتابِ فى عهدِ اللهِ إليهم ؛ أن الساحرَ لا خلاقَ له عندَ اللهِ يومَ القيامةِ [٢] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ يعنى : اليهودَ ، يقولُ : قد علِمَت اليهودُ أن من تعلَّمه و[٣] اختاره ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ [٤] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ : لمن اشترَى ما يفرِّق به بينَ المرءِ وزوجِه [٥] .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٢٤) من طريق يزيد به ، إلى قوله : لمن استحبه . وأخرج باقيه ١/١٩٥ (١٠٢٣، ١٠٢٩) من طريق سعيد وغيره عن قتادة .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣: «أو» .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٣٠) من طريق عمرو بن حماد به ، إلى قوله : اليهود .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٥ (١٠٢٥) من طريق أبى حذيفة عن شبل عن ابن أبى نجيح من قوله .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ / فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ . قال : قد علِمت يهودُ أن فى كتابِ ١/٤٦٥
اللهِ فى التوراةِ ، أن من اشتَرى السحرَ ، وترَك دينَ اللهِ ، ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ ، (١ومن لم يكنْ له خَلاقٌ١) ، فالنارُ مثْواه ومأْواه(٢) .

وأما قولُه : ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ . فإن « مَن » فى موضعِ رفعٍ ، وليس قولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ ﴾ . بعاملٍ فيها ؛ لأن قولَه : ﴿ عَلِمُوا۟ ﴾ . بمعنى اليمينِ ، فلذلك كانت « مَن »(٣) فى موضعِ رفعٍ ؛ لأن الكلامَ بمعنى : واللهِ لَمن اشتَرى السحرَ ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ . ويكونُ(٤) قولُه : ﴿ عَلِمُوا۟ ﴾ . بمعنى اليمينِ ، أُجيبَ(٥) بلامِ اليمينِ ، فقيل : ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ . كما يقالُ : أقسِمُ لَـمَن قام خيرٌ ممن قعَد . وكما يقالُ : قد علمتَ لعمرٌو خيرٌ من أبيك . وأما « مَن » فهو حرفُ جَزاءٍ ، وإنما قيل : اشترَاه . ولم يقلْ : يشترِه(٦) ؛ لدخولِ لامِ القسمِ على « مَن » ، ومِن شأنِ العربِ إذا أحدَثت على حرفِ الجزاءِ لامَ القسمِ ، ألا ينطِقوا فى الفعلِ معه إلا بـ « فَعَل » دونَ « يفْعَل » إلا قليلًا ؛ كراهةَ أن [٧٥/٣ظ] يُحدِثوا على الجزاءِ حادثًا وهو مجزومٌ ، كما قال اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٢] . وقد يجوزُ إظهارُ فعلِه بعدَه على « يفعلُ » مجزومًا ، كما قال الشاعرُ(٧) :

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٢) ينظر التبيان للطوسى ١/ ٣٨١.

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٤) فى م ، ت ٢: « لكون » .

(٥) فى م : « حققت » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « خففت » .

(٦) فى م : « يشتروه » .

(٧) معانى القرآن للفراء ١/ ٦٦ ونسبه فى ٢/ ١٣١ إلى الكميت بن معروف عن الكسائى ، وهو فى الخزانة ١٠/ ٦٨.

لَئن تكُ قد ضاقَتْ عليكم بُيوتُكمْ ... لَيَعْلَمُ ربِّى أنَّ بَيتىَ واسِعُ

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : الخلاقُ فى هذا الموضعِ النصيبُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ . يقولُ : من نصيبٍ[(١)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ . قال : من نصيبٍ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : ثنا وكيعٌ ، قال : قال سفيانُ : سمِعنا فى قولِه : ﴿مَا[(٣)] لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ . أنه : ما له فى الآخرةِ من نصيبٍ .

وقال آخرون[(٤)] : الخَلاقُ هلهنا : الجِهةُ[(٥)] .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف ، وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ عقب الأثر (١٠٢٦) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ عقب الأثر (١٠٢٦) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٣: « وما » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « بعضهم » .

(٥) فى م : « الحجة » .

قتادة : ﴿ مَا[(١)] لَهُۥ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنۡ خَلَـٰقٍۚ ﴾ . قال : ليس له فى الآخرةِ جهةٌ[(٢)] .

وقال آخرون : الخَلاقُ الدينُ .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال الحسنُ : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنۡ خَلَـٰقٍۚ ﴾ . قال : ليس له دينٌ[(٣)] .

وقال آخرون : الخلاقُ هٰهنا القِوامُ .

١/٤٦٦ / ## ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنۡ خَلَـٰقٍۚ ﴾ . قال : قِوامٌ[(٤)] .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ قولُ من قال : معنى الخلاقِ فى هذا الموضعِ النصيبُ . وذلك أن ذلك معناه فى كلامِ العربِ . ومنه قولُ النبيِّ ﷺ : « لَيُؤيِّدنَّ اللهُ هذا الدينَ بأقوامٍ لا خلاقَ لهم »[(٥)] . يعنى : لا نصيبَ لهم ولا حظَّ فى الإسلامِ والدينِ . ومنه قولُ أميةَ بنِ أبى الصلتِ[(٦)] :

---

(١) فى الأصل ، م ، ت١ ، ت٣ : « وما » .

(٢) فى م : « حجة » ، وفى تفسير عبد الرزاق : « جنة » ، وفى تفسير ابن كثير ٢٠٧/١ عن عبد الرزاق : « جهة » . والأثر فى تفسير عبد الرزاق ٥٤/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ (١٠٢٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ (١٠٢٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) عزاه فى الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف .

(٥) حديث صحيح : أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٨٨٥) ، وابن حبان (٤٥١٧) من حديث أنس . وأخرجه أحمد ٤٥/٥ (الميمنية) من حديث أبى بكرة ، ولفظه : «إن الله تبارك وتعالى سيؤيد ....» .

(٦) ديوانه ص ٥٤.

يَدْعون بالوَيْلِ فيها لا خلاقَ لهم إلا سرابيلُ مِن قِطْرٍ[(١)] وأغلالُ

يعنى بذلك : لا نصيبَ لهم ولا حظَّ إلا السرابيلُ [(٢)]والأغلالُ[(٢)] .

فكذلك قولُه : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ : ما له فى الدارِ الآخرةِ حظٌّ من الجنةِ ، من أجلِ أنه لم يكنْ له إيمانٌ ولا دينٌ ولا عملٌ صالحٌ يجازَى به الجنة ويثابُ عليه ، فيكونَ له حظٌّ ونصيبٌ من الجنةِ . وإنما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ . فوصَفه بأنه لا نصيبَ له فى الآخرةِ ، وهو يعنى به : لا نصيبَ له من جزاءٍ وثوابٍ وجنةٍ ، دونَ نصيبِه من النارِ ؛ إذ كان قد دلَّ بذمِّه[(٣)] جلَّ ثناؤه أفعالَهم التى نفَى [٧٦/٣و] من أجلِها أن يكونَ لهم فى الآخرةِ نصيبٌ ، على مرادِه من الخيرِ ، وأنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيبَ لهم فيها من الخيراتِ ، فأما من الشرورِ فإن لهم منها[(٤)] فيها [(٥)]أنصباءَ وأنصباءَ[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

قد دلَّلنا فيما مضَى قبلُ على أن معنى : ﴿ شَرَوْا۟ ﴾ : باعُوا[(٦)] . فمعنى الكلامِ إذن : ولبئسَ ما باع به نفْسَه مَن تعلَّم السحرَ لو كان يعلمُ سوءَ عاقبتِه .

كما **حدَّثنا** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ،عن السديِّ :

---

(١) القطر : النحاس الذائب . تاج العروس (ق ط ر) .

(٢ - ٢) زيادة من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٣) فى م : « ذمه » .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « نصيبا » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٥ .

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ يقولُ : بئس ما باعوا به أنفسَهم[(١)] .

فإن قال لنا قائل : وكيف قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . وقد قال قبلُ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى الْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ . فكيف يكونون عالِمين بأن من تعلَّم السحرَ فلا خلاقَ له[(٢)] ، وهم يجهَلون أنهم بئسَ ما شرَوْا بالسحرِ أنفسَهم ؟

قيل : معنى ذلك على غيرِ الوجهِ الذى توهَّمتَه من أنهم موصوفون [(٣)] بجهلِ ما[(٣)] هم موصوفون بالعلمِ به ، ولكنَّ ذلك من المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ ، وإنما معنى الكلامِ : وما هم بضارِّين به من أحدٍ إلا بإذنِ اللهِ ، ويتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهم ، ولبئس ما شرَوْا به أنفسَهم لو كانوا يعلَمون ، ولقد علِموا لمن اشترَاه ما له فى الآخرةِ من خلاقٍ . فقولُه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . ذمٌّ من اللهِ تعالى ذكرُه فعْلَ المتعلِّمين من الملَكَين التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِه ، وخبرٌ منه جلَّ ثناؤه عنهم أنهم بئسَ ما باعوا[(٤)] أنفسَهم ، برضاهم بالسحرِ عِوضًا من[(٥)] دينِهم الذى به نجاةُ أنفسِهم من الهلكةِ ، جهلًا منهم بسوءِ عاقبةِ فعلِهم ، وخسارةِ صفقةِ بيعِهم ؛ إذ كان قد يتعلَّمُ ذلك منهما من لا يعرِفُ اللهَ ، ولا يعرِفُ حلالَه وحرامَه ،
١/٤٦٧ وأمرَه ونهيَه . ثم عاد إلى الفريقِ / الذى أخبَر عنهم أنهم نبَذوا كتابَه وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلَمون ، واتَّبعُوا ما تَتْلُو الشياطِينُ على مُلْكِ سليمانَ وما أُنْزِل على الملَكَينِ ، فأخبَر عنهم أنهم قد علِموا أن من اشترَى السحرَ ما له فى الآخرةِ من

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٤٦ .
(٢) فى م ، ت ٣: « لهم » .
(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٣: « بالجهل بما » .
(٤) فى م : « شروا به » .
(٥) فى م : « عن » .

خلاقٍ ، ووصَفهم بأنهم يركَبون معاصيَ اللهِ على علمٍ منهم بها ، ويكفُرون باللهِ ورسلِه ، ويُؤْثِرون اتباعَ الشياطينِ والعملَ بما أحدَثَتْهُ من السحرِ ، على العملِ بكتابِه ووحيِه وتنزيلِه ، عنادًا منهم له[1] ، وبغيًا على رسلِه ، وتعدِّيًا منهم حُدودَه ، على معرفةٍ منهم بما لِمَنْ فعَل ذلك عندَ اللهِ من العقابِ والعذابِ . فذلك تأويلُ ذلك[2] .

وقد زعَم بعضُ الزاعِمين أن قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ . معنيٌّ[3] به الشياطينُ ، وأن قولَه : ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ معنيٌّ[3] به الناسُ .

وذلك قولٌ [4]لقولِ جميعِ[4] أهلِ التأويلِ مخالفٌ . وذلك أنهم [٧٦/٣ظ] مُجْمِعون على أن قولَه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ . معنيٌّ به اليهودُ دونَ الشياطينِ ، ثم هو مع ذلك خلافُ ما دلَّ عليه التنزيلُ ؛ لأن الآياتِ قبلَ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ ﴾ . وبعدَ قولِه : ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ جاءت من اللهِ بذَمِّ اليهودِ ، وتوبيخِهم على ضلالِهم و [5]ذهابِهم عن[5] وحيِ اللهِ وآياتِ كتابِه[6] ، مع علمِهم بخطأِ فعلِهم ، فقولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ . أحدُ تلك الأخبارِ عنهم .

وقال بعضُهم : إن الذين وصَف اللهُ بقولِه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٣.

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٣: « قوله » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٣: « يعني » .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٣: « لجميع » .

(٥ - ٥) في م : « وذما لهم على نبذهم » ، وفي ت ١ : « وذما لهم من نبذهم » .

(٦) بعده في م : « وراء ظهورهم » .

أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فنفى عنهم العلمَ ، هم الذين وصَفهم اللهُ بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ . وإنما نفَى عنهم جلّ ثناؤُه العلمَ بقولِه : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . بعدَ وصفِه إياهم بأنهم قد علِموا بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . من أجلِ أنهم لم يعمَلوا بما علِموا ، وإنما العالِمُ ، العاملُ بعلمِه ، فأما إذا خالَف عملُه علمَه ، فهو فى معانى الجهَّالِ . قالوا[1] : وقد يقالُ للفاعلِ الفعلَ بخلافِ ما ينبغى أن يفعلَ ، وإن كان بفعلِه عالِمًا : لو علِمتَ لأقصَرتَ . كما قال كعبُ بنُ زهيرٍ المزنيُّ ، وهو يصِفُ ذئبًا وغُرابًا تبِعاه لينالا من طعامِه وزادِه[2] :

إذا حضَرانى قلتُ لو تَعْلَمانه ألم تَعْلَما أنى مِن الزَّادِ مُرْمِلُ[3]

فأخبرَ أنه قال لهما : لو تعلَمانه . فنفَى عنهما العلمَ ، ثم استخبرَهما فقال : ألم تعلَما . قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . و : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وهذا تأويلٌ ، وإن كان له مخرَجٌ ووجهٌ ، فإنه خلافُ الظاهرِ المفهومِ بنفسِ الخطابِ ، أعنى بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . وقولِه : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . وإنما هو استخراجٌ . وتأويلُ القرآنِ على المفهومِ الظاهرِ بالخطابِ دونَ الخفيِّ الباطنِ منه - حتى تأتىَ دَلالةٌ من الوجهِ الذى يجبُ التسليمُ له ، بمعنًى خلافِ دليلِه الظاهرِ المتعارَفِ فى أهلِ اللسانِ الذين بلسانِهم نزَل القرآنُ - أَولى[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ

---

(١) فى م : « قال » .

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٥١ .

(٣) المرمل : الذى نفد زاده ، وأصله من الرمل ، كأنه لصق بالرمل . اللسان (ر م ل) .

(٤) سقط من : الأصل ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ .

/ يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ : لو أن الذين يتعلَّمون ٤٦٨/١ من الملَكين ما يُفرِّقون به بينَ المرءِ وزَوْجِه ﴿ ءَامَنُوا ﴾ فصدَّقوا اللهَ ورسولَه ، وما جاءهم به من عندِ ربِّهم ﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ ربَّهم فخافُوه ، وخافوا عقابَه ، فأطاعوه بأداءِ فرائِضه ، وتجنُّبِ[1] معاصِيه - لكان جزاءُ اللهِ إياهم ، وثوابُه لهم على إيمانِهم به وتقواهم إياه ، خيرًا لهم من السحرِ وما اكْتَسَبوا به ، ﴿ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ثوابَ اللهِ إيَّاهم على ذلك خيرٌ لهم من السحرِ ومما اكْتَسَبوا به . وإنما نفَى بقولِه : ﴿ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . العلمَ عنهم أن يكونوا عالِمين بمَبْلَغِ ثوابِ اللهِ وقَدْرِ جزائِه على طاعتِه .

والمَثُوبَةُ فى كلامِ العربِ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أَثَبْتُك إثابةً وثَوابًا ومَثوبةً . وأصلُ ذلك مِن : ثاب إليك الشىءُ . بمعنى : رجَع . ثم يقال : أَثَبته إليك . أى : أرجَعْتُه[2] إليك وردَدْتُه . فكأنَّ[3] معنى إثابةِ الرجلِ الرجلَ على الهَدِيَّةِ وغيرِها ، إرجاعُه إليه[4] منها [٧٧/٣و] بَدَلًا ، وردُّه عليه منها عِوَضًا . ثم جُعِل كلُّ مُعَوِّضٍ غيرَه من عملِه أو هديَّتِه أو يدٍ له سلَفت منه إليه مُثِيبًا له . ومنه ثوابُ اللهِ عزَّ وجلَّ عبادَه على أعمالِهم ، بمعنى إعطائِه إياهم العِوَضَ والجزاءَ عليه ، حتى يَرْجِعَ إليهم بَدَلٌ مِن عملِهم الذى عمِلوه له .

وقد زعَم بعضُ نحويِّ أهلِ[5] البصرةِ أن قولَه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٣ : « تجنبوا » .
(٢) فى م ، ت ٣ : « رجعته » .
(٣) فى م : « فكان » .
(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إليها » .
(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ . مما اكْتُفى بدَلالةِ الكلامِ على معناه عن ذكرِ جوابِه ، وأن معناه : ولو أنهم آمَنوا واتَّقَوْا لأُثِيبوا . ولكنه اسْتُغْنى بدَلالةِ الخبرِ على المثوبةِ عن قولِه : لأُثِيبوا .

وكان بعضُ نحويِّى الكوفةِ[1] ينكِرُ ذلك ، ويرَى أن جوابَ قولِه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ - ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ وأن « لو » إنما أُجيبت بالمثوبةِ ، وإن كانت أجْوِبتُها[2] بالماضى مِن الفعلِ ، لتقارُبِ معناها مِن معنى « لئن » فى أنهما جزاءان ، وأنهما جوابان للإيمانِ ، فأُدْخِل جوابُ كلٍّ واحدةٍ منهما على صاحبتِها ، فأُجِيبت « لو » بجوابِ « لئن » و « لئن » بجواب « لو » ، لذلك ، وإن اخْتَلَفت أجوبتُهما ، وكانت « لو » مِن حكمِها وحظِّها أنْ تُجابَ بالماضى مِن الفعلِ ، وكانت « لئن » مِن حكمِها وحظِّها أن تُجابَ بالمستقبلِ مِن الفعلِ ، لِما وصَفْنا من تقارُبِهما . فكان يتأوَّلُ معنى قولِه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ : ولئن آمَنوا واتَّقَوا لمثوبةٌ مِن عندِ اللهِ خيرٌ .

وبما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يقولُ : ثوابٌ مِن عندِ اللهِ[3] .

وحدَّثنى موسى[4] ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ : أمَّا المثوبةُ فهو الثوابُ[5] .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أهل البصرة » .

(٢) فى م : « أخبر عنها » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٤ .

(٤) فى م : « يونس » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٩٦ عقب الأثر (١٠٣٣) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ . يقولُ : لثوابٌ مِن عندِ اللهِ[1] .

[٤/١ظ]/ ***القولُ في تأويلِ قولِ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا ﴾ .** ٤٦٩/١

اختَلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا ﴾ ؛ فقال بعضُهم : تأويلُه : لا تقولوا خِلافًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ في قولِه : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا ﴾ . قال : لا تقولوا خِلافًا[2] .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا ﴾ : لا تقولوا خِلافًا[3] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٦/١ عقب الأثر (١٠٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(*) من هنا بداية الجزء الرابع من مخطوطة جامعة القرويين بفاس وسيشار إليها بالأصل ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٢) تفسير الثوري ١/ ٤٧، ٤٨.

(٣) تفسير مجاهد ص٢١٠ ، ٢٨٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧/١ ، ٩٦٦/٣ (١٠٤٠، ٥٣٩٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/١ ، ١٦٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٥.

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازِيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخَرون : تأويلُه : أَرْعِنا سمْعَك . أىْ : اسْمَعْ مِنَّا ونسمَعَ منك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . أى : أرْعِنا سمْعَك[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو[(٢)] ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ . لا تقولوا : اسمعْ منَّا ونَسْمَعَ منك[(٣)] .

وحُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمعتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : أخبرَنا عُبَيْدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضَّحَّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . قال : كان الرجلُ مِن المشركين يقول : أرْعِنى سمْعَك .

ثم اخْتلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجْلِه نهَى اللَّهُ المؤمنين أن يقولوا :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٦٠ .

(٢) فى الأصل : « عمر » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٤ إلى المصنف .

راعِنا ؛ **فقال بعضهم** : هى كلمةٌ كانت اليهودُ تقولُها على وجْهِ الاستهزاءِ والسبِّ(١) ، فنهَى اللَّه تعالى ذكرُه المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبيِّ ﷺ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ : قولٌ كانت [٢/٤و] تقولُه اليهودُ استهزاءً ، فزجَر اللَّهُ المؤمنين أن يقولوا كقولِهم(٢) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبيْرِىُّ ، عن فُضَيْلِ(٣) بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ . قال : كان أناسٌ مِن اليهودِ يقولون : أرْعِنا سمْعَك . حتى قالها أناسٌ مِن المسلمين ، فكرِه اللَّهُ لهم ما قالت اليهودُ ، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ . كما قالت اليهودُ والنصارَى(٤) .

٤٧٠/١ / **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ . قال : كانوا يقولون : راعِنا سمْعَك . فكان اليهودُ يأتون فيقولون مثلَ ذلك مستهْزِئين ، فقال اللَّهُ : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾(٥) .

وحُدِّثتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بِشْرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ،

---

(١) فى م : « المسبة » .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى نعيم فى الدلائل .
(٣) فى الأصل : « فضل » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٠٥ .
(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٧/١ ، ٩٦٦/٣ عقب الأثر (١٠٣٨ ، ٥٣٩٨) معلقًا عن عطية ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى المصنف وأبى نعيم فى الدلائل .
(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٤ . وينظر ما سيأتى فى ١٠٧/٧ .

عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ . قال : كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ : راعِنا سمْعَك . وإنما ﴿رَٰعِنَا﴾ كقولِك : عاطِنا[(١)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ[(٢)] زيدٍ فى قولِه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ قال : ﴿رَٰعِنَا﴾ القولُ الذى قاله القومُ ؛ قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦] . قال : قال : هذا الراعِنُ - والراعِنُ الخطأُ[(٣)] - قال : فقال للمؤمنين : لاتقولوا خطأً[(٤)] كما قال القومُ ، وقولوا : انظُرْنا واسْمَعوا . قال : كانوا يَنْظُرون إلى النبىِّ ﷺ ويُكَلِّمونه ويَسْمَعُ منهم ، ويسأَلونه ويُجِيبُهم .

وقال آخرون : بل هى كلمةٌ كانت الأنصارُ فى الجاهليَّةِ تقولُها ، فنهاهم اللَّهُ فى الإسلامِ أن يقولوها لنبيِّه ﷺ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ[(٥)] ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال : كانت لغةً فى الأنصارِ فى الجاهليَّةِ ، فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ ولكن ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ إلى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٦/١ ، ٩٦٦/٣ (١٠٣٨، ٥٣٩٨)، والطبرانى فى الكبير (١٢٦٥٩) من طريق المنجاب به . وينظر الدلائل لأبى نعيم ص ٤٤(٦)، والفتح ١٦٣/٨.

(٢) فى الأصل : « أبو » .

(٣) فى م : « الخطاء » .

(٤) فى م : « خطاء » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الرزاق » .

آخرِ الآيةِ[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . قال : كانت لغةً فى الأنصارِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ مثلَه .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . قال : إن مُشرِكى العربِ كانوا إذا حدَّث بعضُهم بعضًا يقولُ أحدُهم لصاحبِه : أرْعِنى سمْعَك . [٢/٤ظ] فنُهُوا عن ذلك[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿رَاعِنَا﴾ قولُ الساخِرِ ، فنهاهم أن يَسْخَروا مِن قولِ محمدٍ ﷺ .

وقال بعضُهم : بل كان ذلك كلامَ يهودىٍّ مِن اليهودِ بعينِه ، يقال له : رفاعةُ بنُ زيدٍ . كان يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ به[(٣)] على وجهِ السَّبِّ له ، وكان المسلمون أخَذوا عنه ذلك ، فنهَى اللَّهُ المؤمنين عن قِيلِه للنبىِّ ﷺ .

/ ذكر من قال ذلك ١/٤٧١

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿يَتَأَيُّهَا

---

(١) أخرجه النحاس فى ناسخه ص١٠٤ من طريق هشيم به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٧ (١٠٣٩) من طريق عبد الملك به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٤ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٩٧ عقب الأثر (١٠٣٨) من طريق أبى جعفر به .

(٣) سقط من : الأصل .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ : كان رجلًا مِن اليهودِ ، مِن قبيلةٍ مِن اليهودِ يقالُ لهم : بنو قَيْنُقَاعَ . كان يُدْعَى رفاعةَ بنَ زيدِ بنِ السائبِ - قال أبو جعفرٍ : هذا خطأٌ ، إنما هو ابنُ التابوتِ ، ليس ابنَ السائبِ - كان يأتى النبيَّ ﷺ ، فإذا لقِيَه فكلَّمه فقال : أرْعِنى سمْعَك ، واسمَعْ غيرَ مُسْمَعٍ . فكان المسلمون يَحْسَبون أن الأنبياءَ كانت تُفَخَّمُ[(١)] بهذا ، فكان ناسٌ منهم يقولون : اسمعْ غيرَ مُسْمَعٍ . كقولِك : اسمعْ غيرَ صاغرٍ . هى[(٢)] التى فى « النساءِ » : ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء : ٤٦] . يقولُ : إنما يُريدُ بقولِه طَعْنًا فِى الدِّينِ . ثم تقدَّم إلى المؤمنين فقال : ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾[(٣)] .

والصوابُ مِن القولِ فى نهْيِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبيِّه : ﴿رَٰعِنَا﴾ أن يقالَ : إنها كلمةٌ كرِهها اللَّهُ لهم أن يقولوها لنبيِّه ﷺ ، نظيرَ الذى ذُكِر عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « لا تَقُولُوا للعِنَبِ الكَرْمَ ، ولكِن قولوا الحَبَلَةَ »[(٤)] . و « لا تَقُولُوا عَبْدِى ، ولكِنْ قُولُوا فتاىَ »[(٥)] .

وما أشبهَ ذلك مِن الكلمتينِ اللَّتينِ تكونان مستعمَلتين بمعنًى واحدٍ فى كلامِ العربِ ، فتأتى الكراهةُ أو النهىُ باستعمالِ إحداهما ، واختيارِ الأُخرَى عليها فى المخاطَباتِ .

---

(١) فى الأصل ، ت ٢، ت ٣: « تعجم » .

(٢) فى م : « وهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٤ إلى المصنف وابن المنذر ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢١٤.

(٤) أخرجه الدارمى ٢/ ١١٨، ومسلم (٢٢٤٨) من حديث وائل بن حجر ، وأخرجه البخارى (٦١٨٢) ، ومسلم (٢٢٤٧) ، وغيرهما من حديث أبى هريرة ، دون قوله : « ولكن قولوا الحبلة » .

(٥) أخرجه البخارى (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبى هريرة نحوه .

فإن قال[(١)] قائلٌ : فإنَّا قد علِمْنا معنى نَهْيِ النبيِّ ﷺ فى العِنَبِ أن يقالَ له : كَرْمٌ . وفى العبدِ أن يقالَ له : عبدٌ . فما المعنى فى قولِه : ﴿ رَاعِنَا ﴾ . حينئذٍ الذى مِن أجلِه كان النهىُ مِن اللَّهِ جل ثناؤه المؤمنين عن أن يقولوه ، حتى أمَرَهم أن يُؤْثِروا قولَهم[(٢)] : ﴿ انظُرْنَا ﴾ عليه[(٣)] ؟

قيل : الذى فيه مِن ذلك نظيرُ الذى فى قولِ القائلِ : الكَرْمُ . للعنبِ ، و : العبدُ . للمملوكِ . وذلك أن قولَ القائلِ : عبدٌ . [(٤)]صفةُ جميعِ[(٤)] عبادِ اللَّهِ ، فكرِه النبيُّ ﷺ أن يُضافَ بعضُ عبادِ اللَّهِ - بمعنى [٣/٤و] المعبودِ[(٥)] - إلى غيرِ[(٦)] اللَّهِ ، وأمَرَ أنْ يُضَافَ ذلك إلى غيرِه ، بغيرِ المعنى الذى يُضافُ إلى اللَّهِ عز وجلَّ ، فيقال : [(٧)]فتى اللَّهِ[(٧)] . وكذلك وجهُ نهيِه فى العنبِ أن يقالَ لها : كَرْمٌ . [(٨)]لأن الكَرْمَ مصدرٌ من كرَم كرْمًا[(٨)] ، وإن كانت راؤُها[(٣)] مُسَكَّنةً ، فإن العربَ قد تُسَكِّنُ بعضَ الحركاتِ إذا تتابَعت على [(٩)]نوعٍ واحدٍ[(٩)] ، فكرِه أن يُوصفَ[(١٠)] بذلك العنبُ . فكذلك نهَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ المؤمنين أن يقولوا : راعِنا . لما كان قولُ القائل : راعِنا . محتمِلًا أن يكونَ بمعنى : احْفَظْنا ونَحْفَظَك ، وارْقُبْنا ونَرْقُبَك . مِن قولِ العربِ بعضِهم لبعضٍ : رعاك

---

(١) بعده فى م : « لنا » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قوله » .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لجميع » .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « العبودية » .

(٦) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٧ - ٧) فى م : « فتاى » .

(٨ - ٨) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣، وفى م : « خوفًا من توهم وصفه بالكرم » .

(٩ - ٩) فى الأصل ك « تنوع واحدة » .

(١٠) فى م : « يتصف » .

اللَّهُ . بمعنى : حفِظك اللَّهُ وكَلأك . ومحتمِلًا أن يكونَ بمعنى : أرْعِنا سمْعَك . مِن قولِهم : أرْعَيتُ به[1] سمعِى إرعاءً . أو : راعَيْتُه سمعِى رِعاءً أو مُراعاةً . بمعنى : فرَّغْتُه لسماعِ كلامِه . كما قال الأعْشى ميمونُ بنُ قيسٍ[2] :

يُرْعِى إلى قَوْلِ ساداتِ الرِّجالِ إذَا أبْدَوْا لهُ الحزْمَ أو ما شاءَه ابْتَدَعا

يعنى بقولِه يُرْعِى : يُصْغِى سمعَه إليه مُفرِّغَه لذلك .

وكأنَّ اللَّهَ جل ثناؤه قد أمَر المؤمنين بتوقيرِ نبيِّه ﷺ وتعظيمِه ، حتى نهاهم جلّ
١/٤٧٢ ذكرُه / فيما نهاهم عنه ، عن رفعِ أصواتِهم فوقَ صوتِه ، وأن يَجْهَرُوا له بالقوْلِ كجَهْرِ بعضِهم لبعضٍ ، وخوَّفَهم على ذلك حبوطَ أعمالِهم ، تقدَّم[3] إليهم بالزجرِ لهم عن أن يقولُوا له من القولِ ما فيه جَفاءٌ ، وأمَرَهم أن يَتَخَيَّرُوا لخطابِه من الألفاظِ أحسنَها ، ومن المعانى أَرَقَّها ، فكان من ذلك قولُهم : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . لِمَا فيه[4] احتمالُ معنى : ارْعَنا نَرْعَك . إذ كانت المفاعلةُ لا تكونُ إلا مِن اثنين ، كما يقولُ القائلُ : عاطِنا وحادِثْنا وجالِسْنا . بمعنى : افعَلْ بنا نَفْعَلْ بك . ومعنى : أَرْعِنا سمعَك حتى نَفهمَك وتَفهمَ عنا . فنَهَى اللَّهُ تعالى ذكرُه أصحابَ محمدٍ أن يقولوا ذلك كذلك ، وأمرَهم[5] أن يُفْرِدُوا مسألَتَه بانتظارِهم وإمهالِهم ؛ ليَعْقِلوا عنه ، بتَبْجيلٍ منهم له وتعظيمٍ ، وألَّا يَسألُوه ما سألوه من ذلك على وجهِ الجَفاءِ والتَّجَهُّمِ منهم له ، ولا بالفظاظةِ والغِلْظةِ ، تَشْبيهًا منهم باليهودِ فى خطابِهم نبىَّ اللَّهِ ﷺ بقولِهم له : ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا﴾ [النساء : ٤٦] . يَدُلُّ على صحةِ ما قُلْنا فى ذلك قولُه :

---

(١) سقط من : م .
(٢) ديوانه ص ١٠٩ .
(٣) فى م : « فتقدم » ، وفى ت ١ : « يقدم » .
(٤) بعده فى م : « مرة » .
(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٥] . فدلَّ بذلك أن الذى عاتَبهم[1] عليه مما يَسُرُّ اليهودَ والمشركين .

فأما التأويلُ الذى حُكِى عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . أنه بمعنى : خِلافًا . فما[2] لا يُعْقَلُ فى كلامِ العربِ ؛ لأنَّ « رَاعَيْتُ » فى كلامِ العربِ إنما هو على أحدِ وجهَيْن ؛ أحدُهما ، بمعنى : فاعَلْتُ ، من الرِّعْيةِ ، وهى [٣/٤ظ] [3]الرِّقْبةُ والكَلاءةُ[3] . والآخرُ ، بمعنى إفراغِ السمعِ ، بمعنى : أَرْعَيْتُه سمعى . وأما « راعَيْتُ » بمعنى : « خالَفْتُ » ، [4]فما لا[4] وجهَ له مفهومٌ فى كلامِ العربِ ، إلا أن يكونَ قرأ ذلك بالتنوينِ ، ثم وَجَّهه إلى معنى الرُّعُونةِ والجهلِ والخطأ ، على النحوِ الذى قال فى ذلك عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ ، فيكونُ لذلك - وإن كان مخالفًا قراءةَ القَرَأةِ - معنى مفهومٌ حينئذٍ .

وأما القولُ الآخرُ الذى حُكِىَ عن عطيةَ ومَن حُكِىَ ذلك عنه أن قولَه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . كانت كلمةً لليهودِ بمعنى السبِّ والسخريةِ ، فاستعملَها المؤمنون أَخْذًا منهم ذلك عنهم ، فإن ذلك غيرُ جائزٍ فى صفةِ المؤمنين أن يأخُذوا مِن كلامِ أهلِ الشركِ كلامًا لا يَعْرِفون معناه ، ثم يَسْتعملُونه بينهم وفى خطابِ نبيِّهم ﷺ . ولكنه جائزٌ أن يكونَ ذلك كما[5] رُوِى عن قتادةَ ، أنها كانت كلمةً صحيحةً مفهومةً من كلامِ العربِ ، وافقَتْ كلمةً من كلامِ اليهودِ بغيرِ اللسانِ العربىِّ ، هى عند اليهودِ

---

(١) فى الأصل ، ت ٣: « عاقبهم » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « فمما » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الوقفة والكلمة » ، وفى ت ١ : « الرتبة والكلية » ، وفى ت ٢ : « الرقبة والكلية » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلا » .

(٥) فى م : « مما » .

سَبٌّ ، وهى عند العربِ : أَرْعِنى سمعَك وفرِّغه لى[(١)] ؛ لتَفْهَمَ عنى . فعلَّم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه معنى اليهودِ فى قيلِهم ذلك للنبىِّ ﷺ ، وأن معناها منهم خلافُ معناها فى كلامِ العربِ ، فنَهَى اللَّهُ عزّ وجلّ المؤمنين عن قيلِها للنبىِّ ﷺ ؛ لئلا يَجْتَرِئَ مَن كان معناه فى ذلك غيرَ معنى المؤمنين فيه ، أن يُخاطِبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ به . وهذا تأويلٌ لم يَأْتِ الخبرُ بأنه كذلك مِن الوجهِ الذى تقومُ به الحجةُ . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويلِ الآيةِ ما وصَفْنا ، إذ كان ذلك هو الظاهرَ المفهومَ بالآيةِ دون غيرِه .

وقد حُكِىَ عن الحسنِ البصرىِّ أنه كان يقرؤُه : (لا تقولوا راعنًا)[(٢)] . بالتنوينِ ، بمعنى : لاتقولوا قولًا راعنًا . من الرُّعونةِ ، وهى الحُمْقُ والجهلُ .

وهذه قراءةٌ لقَرأةِ المسلمين مخالِفةٌ ، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ القراءةُ بها ، لشذوذِها وخروجِها من قراءةِ المتقدِّمين والمتأخِّرين ، وخلافِها ما جاءت به الحجّةُ من المسلمين . ومن نوَّن (راعنًا) نوَّنه بقولِه : ﴿لَا تَقُولُواْ﴾ ؛ لأنه حينئذٍ عاملٌ فيه ، ومن لم يُنَوِّنْه

٤٧٣/١ فإنه تَرَك تنوينَه لأنه أمرٌ مَحْكِيٌّ ؛ / لأن القومَ كأنهم كانوا يقولون للنبىِّ ﷺ : راعِنا . بمعنى مَسألتِه ؛ إمّا أن يُرْعِيَهم سمعَه[(٣)] ؛ وإمّا أن يرعاهم ويَرْقُبَهم - على ما قد بَيَّنْتُ فيما مضَى - فقيل لهم : لا تقولُوا فى مسألتِكم إياه : ﴿رَٰعِنَا﴾ . فتكونُ الدلالةُ على معنى الأمر فى ﴿رَٰعِنَا﴾ حينئذٍ سقوطَ الياءِ التى كانت [٤/٤و] تكونُ فى « راعَيْتُه »[(٤)] ، ويدلُّ عليها - أَعنى على الياءِ الساقطةِ - كسرةُ العينِ مِن ﴿رَٰعِنَا﴾ .

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨.

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م : « يراعيه » ، وفى ت ١ ت ٢، ت ٣: « راعيه » .

وقد ذُكر أن[1] قراءةَ ابنِ مسعودٍ : (لا تقولوا راعونا)[2] . بمعنى حكايةِ أمرٍ[3] صالحةٍ لجماعةٍ بمراعاتِهم[4] . فإن كان ذلك من قراءتِه صحيحًا ، وُجِّه[5] أن يكونَ القومُ كأنهم نُهُوا عن استعمالِ ذلك بينهم فى خطابِ بعضِهم بعضًا ، كان خطابُهم للنبىِّ ﷺ أو لغيرِه ، ولا نعلمُ ذلك صحيحًا من الوجهِ الذى تصحُّ منه الأخبارُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ : وقولوا أيها المؤمنون لنبيِّكم ﷺ : انتظِرْنا وارقُبْنا ، نَفْهَمْ ونتبيَّنْ ما تقولُ لنا وتُعلِّمُنا .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ : فقِّهْنا[6] ، بَيِّنْ لنا يا محمدُ[7] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ : أفْهِمْنا ، بَيِّنْ لنا يا محمدُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

يقالُ منه : نظَرْتُ الرجلَ ، أَنظُرُه نَظِرةً . بمعنى : انتظرْتُه ورقَبْتُه . ومنه قولُ

---

(١) فى الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنها » .

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٣٨.

(٣) فى الأصل : « من » .

(٤) فى الأصل : « مراعاتهم » .

(٥) فى الأصل : « وجب » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فهمنا » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٠ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٩٨ (١٠٤٤) .

الحُطَيئةِ[(١)] :

وقد نَظَرْتُكُمُ [(٢)]أعْشاءَ صادِرَةٍ[(٢)] للخِمْسِ[(٣)] طالَ بها حَوْزِى[(٤)] وتَنْساسِى[(٥)]

ومنه قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد : ١٣] . يَعنى به : انتظِرُونا . [(٦)]وقد قُرِئَ : (أنظِرونا نَقْتَبِسْ من نُورِكم)[(٧)] . يعنى به : انْتَظِرونا . وقد قُرِئَ : (أنظِرونا)[(٦)] . وقد قرِئَ : (أنظِرْنا)[(٨)] . بقطْعِ الألفِ فى الموضِعَيْن جميعًا . فمَن قَرأ ذلك كذلك ، أراد : أَخِّرْنا . كما قال جلَّ ثناؤُه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص : ٧٩] . أى : أخِّرْنى . ولا وجهَ لقراءةِ ذلك كذلك فى هذا الموضعِ ؛ لأن أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إنما أُمِروا بالدنوِّ من رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والاستماعِ منه ، وإلطافِ الخطابِ له ، وخَفْضِ الجناحِ ، لا بالتأخُّرِ عنه ، ولا بمسألتِهِ تأخيرَهم عنه . فالصوابُ - إذ كان ذلك كذلك - من القراءةِ ، قراءةُ مَن وصَل الألفَ من قولِه : ﴿ ٱنظُرْنَا﴾ ولم يَقْطَعْها ، بمعنى : انتظِرْنا .

وقد قيل : إن معنى : (أَنْظِرْنا) بقطعِ الألفِ بمعنى : أَمْهِلْنا . حُكِى عن بعضِ

---

(١) ديوانه ص ٢٨٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : « إيناء عاشية » . والأعشاء ، واحدتها عِشْىٌ ، والعشى : ما يتعشى به . اللسان (ع ش ى) .

(٣) الخمس : من أظماء الإبل ، وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع ، أو هو أن ترد الماء يوما فتشربه ، ثم ترعى ثلاثة أيام ، ثم ترد الماء اليوم الخامس . التاج (خ م س) .

(٤) الحوز : السوق اللين . وقد حاز الإبل يحوزها ويحيزها وحوَّزها : ساقها سوقًا رويدًا . التاج (ح و ز) .

(٥) التنساس : سرعة الذهاب لورود الماء . التاج (ن س س) .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) هى قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بوصل الألف . حجة القراءات ص ٦٩٩ .

(٨) هى قراءة أبىّ والأعمش . البحر المحيط ١/ ٣٣٩ .

العربِ سماعًا : أَنْظِرْنى أكلِّمْك . وذكَر سامعُ ذلك من بعضِهم أنه استثْبته فى معناه ، فأخبرَه أنه أراد : أَمْهِلْنى . فإن لم[(١)] يكُنْ ذلك صحيحًا عنهم ، فـ « انظُرْنا » و « أَنظِرْنا » ، بقطعِ الألفِ ووصلِها متقاربتا المعنى ، غير أن الأمرَ وإن كان كذلك ، فإن القراءةَ التى لا[(٢)] أستجيزُ [٤/٤ظ] غيرَها قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ . بوصلِ الألِفِ ، بمعنى : انتظِرْنا . لإجماعِ الحجةِ على تصويبِها ، ورفضِهم غيرَها من القراءاتِ [(٣)]فى ذلك[(٣)] .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ . ٤٧٤/١

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ : اسمَعُوا ما يقالُ لكم ، ويُتْلَى عليكم من كتابِ ربِّكم ، وعُوه وافهمُوه .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ : اسمَعُوا ما يقالُ لكم[(٤)] .

فمعنى الآيةِ إذن : يأيُّها الذين آمنوا لاتقولوا لنبيِّكم : راعِنا سمعَك وفرِّغْه لنا ، نَفْهَمْك وتَفْهَمْ عنا ما نقولُ ، ولكن قولوا : انتظِرْنا وترَقَّبْنا حتى نَفهمَ عنك ما تُعلِّمُنا وتبينُه لنا . واسمَعوا منه ما يقولُ لكم فعُوه واحفظُوه وافهمُوه . ثم أخبرَهم جل ثناؤُه أن لمن جحَد منهم ومِن غيرِهم آياتِه ، وخالفَ أمرَه ونَهْيَه ، وكذَّب برسولِه - العذابَ الموجعَ فى الآخرةِ ، فقال : وللكافرين بى وبرسولى عذابٌ أليمٌ . يعنى بقولِه : « الأليم » . الموجِعَ . وقد ذكَرْنا الدلالةَ على ذلك فيما مضَى قبلُ وما فيه مِن الآثارِ[(٥)] .

---

(١) سقط من : م ، ت ١.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٤/١ إلى المصنف .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٢٩١/١ - ٢٩٣.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿مَّا يَوَدُّ﴾ : ما يُحِبُّ . أى : ليس يَوَدُّ[١] كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ . يقالُ منه : وَدَّ فلانٌ كذا ، يَوَدُّ ، وُدًّا ووَدًّا ووِدًّا[٢] ومَوَدَّةً .

وأما « المشركون » فإنهم فى موضعِ خَفْضٍ بالعطفِ على « أهلِ الكتابِ » .

ومعنى الكلامِ : ما يَوَدُّ[٣] الذين كفروا من أهلِ الكتابِ ولا من[٤] المشركين أن يُنَزَّلَ عليكم من خيرٍ من ربِّكم .

وأما « أنْ » فى قولِه : ﴿أَن يُنَزَّلَ﴾ فنُصِب بقولِه : ﴿يَوَدُّ﴾ . وقد دلَّلْنا على[٥] دخولِ « مِن » فى قولِه : ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ . وما أَشبهَ ذلك من الكلامِ الذى يكونُ فى أولِه جَحْدٌ فيما مضَى ، فأغنى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[٦] .

فتأويلُ الكلامِ : ما يحبُّ الكافرون من أهلِ الكتابِ ولا من[٤] المشركين باللَّهِ من عَبَدَةِ الأوثانِ ، أن يُنَزِّلَ اللَّهُ[٤] عليكم شيئًا[٤] مِن الخيرِ الذى[٧] هو عندَه . والخيرُ الذى كان[٧] اللَّهُ يُنزِّلُه عليهم فتمنَّى المشركون [٤/٥و] وكَفَرةُ أهلِ الكتابِ ألَّا يُنزِّلَه[٨] اللَّهُ عليهم - الفرقانُ وما أوحاه إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ من حُكْمِه وآياتِه ، وإنما أحبَّتِ

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يحب » .

(٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م : « يحب » .

(٤) زيادة من : الأصل .

(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « وجه » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٤ ، ١٥.

(٧ - ٧) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « كان عند » .

(٨) فى م : « ينزل » .

اليهودُ وأتباعُهم مِن المشركين ذلك حسدًا وبَغْيًا منهم على المؤمنين .

وفى هذه الآيةِ دلالةٌ بيِّنةٌ على أن اللَّهَ تبارك وتعالى نَهَى المؤمنين عن الرُّكونِ إلى أعدائِهم من أهلِ الكتابِ والمشركين ، والاستماعِ من قولِهم ، وقَبولِ شىءٍ مما يَأتونهم[(١)] به على وجهِ النصيحةِ لهم منهم ، بإطْلاعِه جلّ ثناؤُه إياهم على ما يَستبطِنُه لهم أهلُ الكتابِ والمشركون مِن الضِّغْنِ والحسدِ ، وإن أظهَرُوا بألسنتِهم خلافَ ما هم [(٢)]مُستبطِنوه لهم[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ : واللَّهُ يختصُّ مَن يشاءُ لنبوَّتِه ورسالاتِه ، فيُرسِلُه إلى من يشاءُ من خلقِه ، ويتفضّلُ بالإيمانِ به[(٣)] على مَن أحبَّ فيَهْديه له . واختصاصُه إياهم بها ، إفرادُهم[(٤)] بها دونَ غيرِهم من خلقِه . وإنما جعَل اللَّهُ رسالتَه إلى من أرسَل إليه من خلقِه ، وهدايتَه مَن هدَى من عبادِه رحمةً[(٥)] منه له ؛ ليُصَيِّرَه / بها إلى رضاه ومحبتِه ، وفوزِه بها بالجنةِ ، ١/٤٧٥
واستحقاقِه بها ثناءَه[(٦)] ، وكلُّ ذلك رحمةٌ من اللَّهِ له .

وأما قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ . فإنه خبرٌ من اللَّهِ [(٧)]جل ثناؤُه[(٧)]

---

(١) فى الأصل ، ت ١ : « يأتوهم » ، وحذف النون لغة . ينظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٣٦.
(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « مستبطنون » .
(٣) سقط من : م .
(٤) فى الأصل ، ت ٢ ، ت ٣: « إقرارهم » .
(٥) فى الأصل : « ورحمة » .
(٦) فى الأصل : « ثناء » .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(١) عن أن كلَّ خيرٍ ناله عبادُه فى دينِهم ودنياهم ، فإنه مِن عندِه ابتداءً ، وتفضُّلًا منه عليهم من غيرِ استحقاقٍ منهم ذلك عليه .

وفى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . تعريضٌ مِن اللَّهِ (١) تعالى ذِكرُه بأهلِ الكتابِ أن الذى آتى نبيَّه محمدًا ﷺ والمؤمنين به من الهدايةِ تَفَضُّلٌ (٢) منه ، وأن نعمَه لا تُدْرَكُ بالأمانىِّ ، ولكنها مواهبُ منه يَختصُّ بها مَن يشاءُ من خلقِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ : (٣) ما ننقُلْ مِن حكمِ آيةٍ (٣) إلى غيرِه ، فنغيِّرْه ونبدِّلْه . وذلك أن يحوِّلَ الحلالَ حرامًا ، والحرامَ حلالًا ، والمباحَ محظورًا ، والمحظورَ مباحًا . ولا يكونُ ذلك إلا فى الأمرِ والنهيِ ، والحظرِ والإطلاقِ ، والمنعِ والإباحةِ . فأما الأخبارُ فلا يكونُ منها (٤) ناسخٌ ولا منسوخٌ .

وأصلُ النسخِ من نَسْخِ أصلِ (٥) الكتابِ ، وهو نقلُه مِن نسخةٍ إلى أُخرَى غيرِها . فكذلك معنى نَسْخِ الحكمِ إلى غيرِه ، (٦) إنما هو تحويلُه ونقلُ عبادِه (٧) عنه إلى غيرِه (٦) . فإذ كان ذلك معنى نسخِ الآيةِ ، فسواءٌ – إذا نُسِخَ حكمُها فغُيِّر وبُدِّل فرضُها ، ونُقِل (٨) العبادُ عن اللازمِ كان لهم بها – (٩) أُقِرَّ خطُّها (٩) فتُرِك ، أو مُحِىَ أثرُها

(١ – ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « تفضلا » .

(٣ – ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيها » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦ – ٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى م : « عبارته » . وفى تفسير ابن كثير ٢١٥/١ عن المصنف : عبادة إلى غيرها .

(٨) بعده فى م : « فرض » .

(٩ – ٩) فى م : « أوفر حظها » .

فعُفِّيَ و[1] نُسِي ؛ إذ هي حينئذٍ في كلتي حالتَيْها منسوخةٌ ، والحُكْمُ الحادثُ [٤/٥٥ظ] المُبْدَلُ به الحكمُ الأولُ والمنقولُ إليه فرضُ العبادِ هو الناسخُ . يقالُ منه : نسَخ اللَّهُ حكمَ[2] آيةِ كذا وكذا ، يَنْسَخُه نَسْخًا ، والنُّسخةُ الاسمُ .

وبمثلِ الذي قلنا في ذلك كان الحسنُ البصريُّ يقولُ[3] .

حدَّثنا سَوّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا خالدٌ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ أنه قال في قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا[4] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ قال[5] : أُقرِئَ قرآنًا ثم نُسِّيَه ، فلم يكنْ شيئًا ، ومن القرآنِ ما قد نُسِخ وأنتم تقرءُونه[6] .

اختلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم بما حدَّثني** به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ : أما نسخُها فقبضُها[7] .

وقال آخرون بما حدَّثني به المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . ما نُبَدِّلْ من آيةٍ[8] .

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده في الأصل : « قال » .

(٤) في ت ٢ ، ت ٣ : « ننساها » ، وغير منقوطة في الأصل . وقراءة الحسن : (تَنسها) . ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨ ، وسيأتي ما في هذه الكلمة من قراءات .

(٥) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٠٥ إلى المصنف .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٠٠ (١٠٥٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٨) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٠١ (١٠٦٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٦) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٠٤ إلى ابن المنذر .

وقال آخرون بما حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن أصحابِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنهم قالوا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾. نُثْبِتْ خَطَّها، ونُبَدِّلْ حُكمَها[١].

وحدَّثني المثنَّى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال: ثنا شبلٌ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾. نُثْبِتْ خطَّها، ونُبَدِّلْ حكمَها. حُدِّثْت به عن أصحابِ ابنِ مسعودٍ.

٤٧٦/١ / حدَّثني المثنَّى، قال: حدَّثنا إسحاقُ، قال: حدَّثني بكرُ بنُ شرودٍ[٢]، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مجاهدٍ، عن أصحابِ ابنِ مسعودٍ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: نُثْبِتْ خطَّها.

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾.

اختلف أهلُ القراءةِ في قراءةِ ذلك، فقرَأها قَرَأَةُ أهلِ المدينةِ والكوفةِ: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾[٣]. ولقراءةِ مَن [٤]قرأها كذلك[٤] وجهانِ من التأويلِ:

أحدُهما، أن يكونَ تأويلُه: ما نَنسَخْ يا محمدُ مِن آيةٍ فنُغَيِّرْ حكمَها أو نُنْسِكَها[٥] - وقد ذُكِر أنها في مصحفِ عبدِ اللَّهِ (ما نُنْسِكَ من آيةٍ أو

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١١، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٩٩ (١٠٥٥)، والنحاس في ناسخه ص ٥٨ من طريق ابن أبي نجيح به، وليس عند النحاس ذكر أصحاب ابن مسعود، وأخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٦، وابن أبي حاتم ١/٢٠٠ (١٠٦٢) من طريق ابن جريج، عن مجاهد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٥ إلى آدم بن أبي إياس وأبي داود في ناسخه.

(٢) في م، ت١: «شوذب»، وفي ت٢، ت٣: «شودب».

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. السبعة لابن مجاهد ص ١٦٨.

(٤ - ٤) في م، ت١، ت٢، ت٣: «قرأ ذلك».

(٥) في م، ت١، ت٢، ت٣: «ننسها».

نَنْسَخْها)[(١)] - نجئْ بمثلِها . فذلك تأويلُ النسيانِ . وبهذا التأويلِ قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ : كان ينسَخُ الآيةَ بالآيةِ بعدَها ، ويقرأُ نبيُّ اللَّهِ ﷺ الآيةَ أو أكثرَ مِن ذلك ثم يُنَسَّى وتُرْفَعُ[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . قال : كان اللَّهُ تعالى ذِكْرُه [٤/٦٦و] يُنْسِي نبيَّه ﷺ ما شاء ، ويَنْسَخُ ما شاء[(٣)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان عُبيدُ بنُ عُميرٍ يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نَرْفَعُها مِن عندِكم[(٤)] .

حدثنا سوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ الحارثِ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ أنه قال فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا[(٥)] ﴾ . قال : إن نبيَّكم ﷺ أُقْرِئَ قرآنًا ثم نُسِّيه .

وكذلك كان سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ [(٦)] يتأوَّلُ الآيةَ [(٦)] ، [(٧)] إلَّا أنه [(٧)] كان يَقْرَؤُها :

---

(١) ينظر المصاحف لابن أبى داود ص ٥٨، والناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ١٠.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٥ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥.

(٤) سيأتى بأتم مما هنا فى ص ٤٠٠ .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « ننساها » . وينظر ما تقدم فى ص ٣٨٨ .

(٦ - ٦) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتأوله » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(أو تَنْسَها[١]) . بمعنى الخطابِ لرسولِ اللَّه ﷺ ، كأنه عنَى : أو تَنْسَها أنت يا محمدُ .

ذكرُ الأخبارِ [٢]عن ذلك[٢]

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا يَعْلَى بنُ عطاءٍ ، عن القاسمِ بنِ ربيعةَ ، قال : سمِعتُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ يقولُ : (مَا نَنْسَخْ مِن آيةٍ أو تَنْسَهَا) . قال[٣] : قلتُ له : فإن سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ يقرؤُها : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . قال : فقال سعدٌ : إن القرآنَ لم يَنْزِلْ على المُسَيَّبِ ولا على آلِ المسيَّبِ ، قال اللَّهُ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى : ٦] . ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[٤] [الكهف : ٢٤] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبد الرزاقِ ، قال : أخبرَنا هُشَيْمٌ ، قال : حدَّثنا يَعْلَى بنُ عطاءٍ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ ربيعةَ بنِ قانفٍ الثَّقفىُّ ، قال : سمِعتُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ يَذْكُرُ نحوَه[٥] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، [٦]قال : حدثنا ابنُ مهدىٍّ ، **وحدَّثنى** المثَنَّى ، قال : حدَّثنا[٦] آدمُ العَسْقلانىُّ ، قالا جميعًا : حدَّثنا شعبةُ ، عن يَعْلَى بنِ عطاءٍ ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ ربيعةَ الثقفىَّ يقولُ : قلتُ لسعدِ بنِ أبى وقاصٍ : إنى سمعتُ ابنَ المُسَيَّبِ

---

(١) فى ت ١: « تنساها » ، وفى ت ٢،ت ٣: « ننساها » ، وهذه القراءة شاذة . ينظر حجة القراءات ص ١١٠.

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بذلك » .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢١ من طريق يعقوب بن إبراهيم به . وأخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ١٠، وسعيد بن منصور فى سننه (٢٠٨ - تفسير) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٩٦، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٧٥ من طريق هشيم به . وصححه الحاكم ، والقاسم مجهول . وفى المصادر اختلاف فى حكاية قراءة سعد وسعيد فانظره فيها .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥.

(٦ - ٦) سقط من : م .

١/٤٧٧ يَقْرَأُ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ / أَوْ نُنسِهَا ﴾ . فقال سعدٌ : إن اللَّهَ لم يُنْزِلِ القرآنَ على المُسَيَّبِ ولا على ابنِه[(١)] ، إنما هى : (ما نَنْسَخْ مِن آيةٍ أو تَنْسَها) يا محمدُ . ثم قرَأ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نَرْفَعْها ، وكان اللَّهُ تعالى ذكرُه أنْزَل أمورًا مِن القرآنِ ثم رفَعها[(٣)] .

والوجهُ الآخرُ منهما ، أن يكونَ بمعنى التركِ ، مِن قولِ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعنى به : ترَكوا اللَّهَ فترَكهم . فيكونُ تأويلُ الآيةِ حينئذٍ على هذا التأويلِ : ما نَنْسَخْ مِن آيةٍ فنُغَيِّرْ حكمَها ، [(٤)]أو نترُكْها ولا نُغيِّرْ حُكمَها[(٤)] ولا[(٥)] نُبَدِّلْ فرضَها ، نأتِ بخيرٍ مِن التى نسَخْناها أو مثلِها .

وعلى هذا التأويلِ تأوَّل ذلك[(٥)] جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن [٤/٦ظ] ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . يقولُ : أو نَترُكْها لا نُبَدِّلْها[(٦)] .

---

(١) فى الأصل : « أبيك » .

(٢) أخرجه أبو داود فى ناسخه - كما فى التحفة ٣/٣٠٩ - والنسائى فى الكبرى (١٠٩٩٦) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٩٦، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٠ (١٠٥٩) ، والحاكم ٢/٢٤٢ من طريق شعبة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٤ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠١ عقب الأثر (١٠٦٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) سقط من : م .

(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٨٩.

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَه : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ : نَترُكُها لا نَنْسَخُها[١] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضَّحَّاكِ فى قولِه : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ . قال : الناسخُ والمنسوخُ[٢] .

قال : وكان عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ يقولُ فى ذلك بما **حدَّثنى** به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ . قال : نَمْحُها .

وقرَأ ذلك آخَرون : (أو نَنْسَأْها)[٣] . بفتحِ النونِ وهمزةٍ بعدَ السينِ ، بمعنى : نُؤَخِّرْها . مِن قولِك : نسَأْتُ هذا الأمرَ أَنْسَؤُه نَسْأً ونَساءً ، إذا أخَّرْتَه . وهو مِن قولِهم : بعتُه بنسَاءٍ . يعنى : بتأخيرٍ . ومِن ذلك قولُ طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ[٤] :

لَعَمْرُك إنَّ المَوْتَ ما أنسَأَ[٥] الفتَى   لَكَالطِّوَلِ[٦] المُرْخى وثِنْياهُ باليَدِ

يعنى بقولِه : أَنْسَأَ . أخَّر .

وممَّن قرَأ ذلك كذلك[(٨] جماعةٌ مِن الصحابةِ والتابعين ، وقرَأه[٨)] جماعةٌ مِن قرأةِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠١ (١٠٦٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٠ (١٠٦١) من طريق هشيم به .

(٣) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . حجة القراءات ص ١٠٩.

(٤) ديوانه ص ٣٧.

(٥) فى الديوان : « أخطأ » .

(٦) الطول : الحبل الطويل جدًّا . اللسان (ط و ل) ، والبيت فيه كرواية الديوان .

(٧) سقط من : م .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل . وهى قراءة عمر وابن عباس من الصحابة ، وقراءة النخعى وعطاء ومجاهد وعبيد ابن عمير من التابعين . ينظر البحر المحيط ١/ ٣٤٣.

المكِّيين[(١)] والبصريين . وتأوَّله كذلك جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ فى قولِه : (مَا نَنْسَخْ من آيةٍ أو نَنْسأْها[(٢)]) . قال : نُؤَخِّرْها[(٣)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، قال : سمِعتُ ابنَ أبى نَجيحٍ يقولُ فى قولِ اللَّهِ : (أو نَنْسَأْهَا) . قال : نُرْجِئْها[(٤)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : (أو نَنْسَأْهَا) : نُرْجِئْها ونُؤَخِّرْها[(٥)] .

٤٧٨/١ / **حدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبيرىُّ ، قال : ثنا فُضَيلٌ ، عن عطيةَ : (أو نَنْسَأْهَا) قال : نُؤَخِّرْها فلا نَنْسَخْها .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن عُبيدٍ الأزْدِىِّ ، عن عُبَيدِ بنِ عُمَيْرٍ : (أو نَنْسَأْهَا) : إرجاؤُها[(٦)] وتأخِيرُها[(٦)] .

---

(١) فى م : « الكوفيين » .

(٢) فى الأصل ، ت٢ ، والناسخ والمنسوخ : « ننسها » ، وفى سنن سعيد : « ننسيها » .

(٣) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٦ عن هشيم به . وأخرجه أبو عبيد - أيضا - وسعيد بن منصور فى سننه (٢٠٩ - تفسير) عن مروان بن معاوية عن عبد الملك به .

(٤) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٧) من طريق ابن أبى نجيح عن أصحاب ابن مسعود . وهو تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٩٠ .

(٥) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٦ ، ٧ من طريق جرير بن حازم عن حميد الأعرج عن مجاهد به .

(٦ - ٦) فى الأصل : « تأخيرها » .

هكذا حدَّثنا القاسمُ : عن عبدِ اللَّهِ بن كثيرٍ ، عن عُبيدٍ الأزْدِيِّ ، وإنما هو : عن عليٍّ الأزديِّ .

حدَّثنى أحمدُ بنُ يوسفَ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كثيرٍ ، عن عليٍّ الأزدِيِّ ، عن عُبيْدِ بنِ عُمَيْرٍ أنه قَرأها : (أو نَنْسَأْهَا)[١] .

قال : فتأويلُ مَن قَرأ ذلك كذلك : ما نُبدِّلْ مِن آيةٍ أنزَلناها إليك يا محمدُ ، فنُبطِلْ حُكْمَها ونُثْبِتْ خَطَّها ، أو نُؤخِّرْها فَنُرْجِئْها ونُقِرَّها فلا نُغَيِّرْها ولا نُبطِلْ حُكْمَها ، نأتِ بخيرٍ مِنها أو مِثلِها .

وقد قرأ بعضُهم [٧/٤و] ذلك : (مَا نَنْسَخْ من آيةٍ أو تُنْسَها[٢]) . وتأويلُ هذه القراءةِ نظيرُ تأويلِ قراءةِ[٣] مَن قرأ : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ . إلا أن معنى : [٤]﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ : أو نُنْسِكَها يا محمدُ نحن . مِن : أَنْساه اللَّهُ يُنْسِيه . ومعنَى مَن قرأ : (أو تُنْسَها)[٤] . أو تنْسَها أنتَ يا محمدُ .

وقد قرَأ بعضُهم : (مَا نُنْسِخْ[٥] من آيةٍ) . بضَمِّ النونِ وكَسْرِ السِّينِ . بمعنَى : ما نُنْسِخْكَ يا محمدُ نحنُ مِن آيةٍ . مِن : أَنْسَختُكَ فأنا أُنسِخُكَ .

قال : وذلك خطأٌ مِن القِراءةِ عندَنا ، لخروجِه عما جاءتْ به الحجَّةُ مِن القرأَةِ[٦]

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٧ .

(٢) رويت هذه القراءة عن سعيد بن المسيب . المحرر الوجيز ١/ ٣٨٢.

(٣) فى الأصل : « قوله » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) هى قراءة ابن عامر ، من السبعة . حجة القراءات ص ١٠٩.

(٦) فى م : « القراءة » .

بالنقلِ المستفيضِ . وكذلك قراءةُ مَن قَرَأ : (تَنْسَها) أو (تُنْسَها) . لشذوذِها وخروجِها عن القراءةِ التى جاءتْ بها الحجةُ مِن قرأةِ الأمةِ .

وأولى القراءاتِ فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . بالصوابِ ، قراءةُ مَن قرأ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . بمعنى : نَترُكْها ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبرَ نبيَّه ﷺ أنه مهما بدَّل حُكمًا أو غيَّرَه ، أو لم يبدِّلْه ولم يغيِّرْه ، فهو آتِيه بخيرٍ منه أو بمثلِه . فالذى هو أوْلَى بالآيةِ إذ كان ذلك معناها ، أن يكونَ إذ قدَّم الخبرَ عما هو صانعٌ[1] إذا هو غيَّر وبدّل حكمَ آيةٍ - أن يُعقِّبَ ذلك بالخبرِ عما هو صانِعٌ إذا هو لم يُبدِّلْ ذلك ولم يُغيِّرْه . والخبرُ الذى يجِبُ أن يكونَ عَقيبَ قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . قولُه : أو نترُكْ نَسْخَها . إذ كان ذلك المعروفَ الجارِىَ فى كلامِ الناسِ ، مع أن ذلك إذا قُرِئَ كذلك بالمعنى الذى وَصَفتُ ، فهو يَشتَمِلُ على معنَى الإنْساءِ الذى هو بمعنى التَّرْكِ ، ومعنى النَّسْءِ[2] الذى هو بمعنَى[3] التَّرْكِ . ومعنى النَّسْءِ الذى هو بمعنَى[3] التأخيرِ ، إذ كان كلُّ متروكٍ فمؤخَّرٌ فى[4] حالِ ما هو متروكٌ .

وقد أنكَر قومٌ قراءةَ مَن قرأ : (أَوْ تَنْسها) . إذا عنَى به النسيانَ . وقالوا : غيرُ جائزٍ أن يكونَ رسولُ اللَّهِ ﷺ نَسِى مِن القرآنِ شيئًا مما نُسِخَ[5] ، إلا أن يكونَ نَسِى منه شيئًا ثم ذكَره . قالوا : وبعدُ ، فإنه لو نَسِى منه شيئًا لم يكنِ الذين قرءُوه وحفِظوه مِن أصحابِه بجائزٍ على جميعِهم أن يَنْسَوه . قالوا : وفى قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء : ٨٦] . ما يُنْبِئُ عن أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه

---

(١) فى الأصل : « سايع » .

(٢) فى م : « النساء » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) فى م : « على » .

(٥) فى م : « لم ينسخ » .

لم يُنْسِ نبيَّه شيئًا[1] آتاه مِن العلمِ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا قولٌ يَشهَدُ على بُطُولِه وفسادِه الأخبارُ المتظاهِرَةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه بنحوِ الذى[2] **حدثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : حدثنا/ أنسُ بنُ مالكٍ : إنَّ أولئكَ ١/٤٧٩
السَّبْعِين مِن الأنصارِ الذين قُتِلوا بيئرِ مَعُونةَ[3] قرأْنا بهم وفيهم [٤/٧ظ] كتابًا : (بلِّغوا عنَّا قَوْمَنا أنَّا لَقِينا ربَّنا فرَضِىَ عنَّا وأرْضَانا) . ثم إن ذلك رُفِعَ[4] .

فالذى ذُكِرَ[5] عن أبى موسى الأشعَرىِّ أنهم كانوا يَقْرءون[6] : (لو أن لابنِ آدمَ واديين مِن مَالٍ لابتغى لهما ثالثًا ، ولا يَمْلأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ ، ويتوبُ اللَّهُ على مَن تابَ)[7] . ثم رُفِعَ .

وما أشْبَهَ ذلك مِن الأخبارِ التى يَطُولُ بإحْصائِها الكتابُ .

وغيرُ مستحيلٍ فى فِطْرةِ ذِى عقلٍ صحيحٍ ، ولا بحُجةِ خبرٍ ، أن يُنْسِىَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ بعضَ ما قد كان أنزَله إليه ، فإذا كان ذلك غيرَ مستحيلٍ مِن أحدِ هذين الوجهين ، فغيرُ جائزٍ لقائلٍ أن يقولَ : ذلك غيرُ جائزٍ .

وأما قولُه : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ . فإنه جل ثناؤُه لم يُخْبِرْه أنه لا يَذْهَبُ بشىءٍ منه ، وإنما أخبرَه أنه لو يشاءُ لذَهَب بجَميعِه ، فلم يَذْهَبْ

(١) بعده فى م : « مما » .

(٢) بعده فى م : « قلنا » .

(٣) بئر معونة : بين أرض بنى عامر وحرَّة بنى سليم . معجم البلدان ١/ ٤٣٥ .

(٤) أخرجه البخارى (٤٠٩٠) من طريق يزيد به بنحوه .

(٥) فى م : « ذكرنا » .

(٦) فى الأصل : « يقولون » .

(٧) أخرجه مسلم (١٠٥٠) بنحوه . وينظر مسند الطيالسى (٥٤١) .

به ، والحمدُ للَّهِ ، بل إنما ذَهَب منه[(١)] بما[(٢)] لا حاجةَ بهم إليه منه ، وذلك أن ما نَسَخ منه فلا حاجةَ بالعبادِ إليه ، وقد قال اللَّهُ تعالى ذِكْرُه : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى : ٦، ٧] . فأخبرَ أنه يُنْسِي نبيَّه منه ماشاء . فالذى ذَهَب منه الذى اسْتَثْناه اللَّهُ .

فأما نحن ، فإنما اخْتَرنا ما اخْتَرنا مِن التأويلِ طَلَبَ اتِّساقِ الكلامِ على نظامٍ فى المعنى ، لا إنكارَ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذِكرُه قد كان أنسى[(٣)] نبيَّه بعضَ ما نَسَخ مِن وحيِه إليه وتنزيلِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ .

اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ . **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ . يقولُ : خيرٍ لكم فى المنفعةِ وأرفقَ بكم[(٤)] .

وقال آخرون بما **حدَّثنى** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ . يقولُ : آيةٍ فيها تَخفِيفٌ ، فيها رُخْصَةٌ[(٥)] ، فيها أَمْرٌ ، فيها نَهْىٌ[(٦)] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ت ١، ت ٢: « ما » .

(٣) فى م : « آتى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠١ (١٠٦٧) من طريق عبد الله بن صالح به . وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٥٤، والفتح ٨/ ١٥٨.

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « رحمة » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥ .

وقال آخرون : نأتِ بخيرٍ مِن التى نَسَخْناها ، أو بخيرٍ مِن التى تَرَكْناها فلم نَنْسَخْها .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ . يقولُ : نأتِ بخيرٍ مِن التى نَسَخْناها ، ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ أو مثلِ التى تركْناها[1] .

فالهاءُ والألفُ اللتان فى : ﴿ مِّنْهَآ ﴾ عائدتان - على هذه المقالةِ - على الآيةِ فى قولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ . والهاءُ والألفُ اللتان فى قوله : ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ عائدتان على الهاءِ والألفِ اللتين فى قولِه : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ .

[٤/٨و] **وقال آخرون** بما **حدَّثنى** به المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان عُبيدُ بنُ عُميرٍ يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نرفعُها مِن عندِكم ، فنأْتى[2] بمثلِها أو خيرٍ منها[3] .

١/٤٨٠ /**حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ : نَرْفعُها ، نأتِ بخيرٍ منها أو بمثلِها[4] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا بكرُ بنُ شرودٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أصحابِ ابنِ مسعودٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) فى م : « نأت » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٤) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٧) عن ابن أبى نجيح عن عبيد بن عمير .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٣٩٣ .

والصوابُ مِن القولِ في معنى ذلك عندَنا : ما نُبَدِّلْ مِن حُكْمِ آيةٍ فنُغَيِّرْه ، أو نَتْرُكْ تَبْدِيلَه فنُقِرَّه بحالِه ، نَأْتِ بخيرٍ[1] لكم مِن حُكْمِ الآيةِ التى نَسَخْنا فغَيَّرنا حُكْمَها ، إما فى العاجلِ ؛ لخِفَّتِه عليكم ، مِن أجلِ أنه وَضْعُ فَرْضٍ كان عليكم ، فأُسْقط ثِقَلُه عنكم ، وذلك كالذى كان على المؤمنين مِن فَرْضِ قيامِ الليلِ ، ثم نُسِخ ذلك فوضِع عنهم ، فكان[2] خيرًا لهم فى عاجلِهم ، لسقوطِ عِبْءِ ذلك وثِقلِ حِمْلِه عنهم ، وإما فى الآجلِ ؛ لعِظَمِ ثوابِه مِن أجلِ مَشَقَّةِ حملِه ، وثِقَلِ عِبْئِه على الأبدانِ . كالذى كان عليهم مِن صيامِ أيامٍ مَعْدوداتٍ فى السنةِ ، فنُسِخَ وفُرِضَ عليهم مكانَه صومُ شهرٍ كاملٍ فى كلِّ حَوْلٍ . فكان فَرْضُ صومِ شهرٍ كاملٍ كلَّ سنةٍ أثْقلَ على الأبدانِ مِن صيامِ أيامٍ مَعْدوداتٍ ، غيرَ أن ذلك وإن كان كذلك ، فالثوابُ عليه أجْزَلُ ، والأجرُ عليه أكثرُ ؛ لفَضْلِ مَشَقَّتِه على مُكَلَّفيه مِن صومِ أيامٍ معدوداتٍ بذلك[3] ، وإن كان على الأبدانِ أشقَّ ، فهو خيرٌ مِن الأوَّلِ فى الآجلِ ؛ لفضلِ ثوابِه وعِظَمِ أجْرِه الذى لم يكنْ مثلُه لصومِ الأيامِ المعدوداتِ . فذلك معنى قولِه : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ . لأنه إما بخيرٍ منها فى العاجلِ لخِفَّتِه على مَن كُلِّفَه ، أو فى الآجلِ لعِظَمِ ثوابِه وكثرةِ أجرِه . أو يكونُ مِثلَها فى المشقَّةِ على البدنِ ، واستواءِ الأجرِ والثوابِ عليه ، نَظِيرَ نسخِ اللَّهِ تعالى ذِكْرُه فرضَ الصلاةِ شَطْرَ بيتِ المقدسِ إلى فرضِها شطرَ المسجدِ الحرامِ . فالتوجُّهُ شَطْرَ بيتِ المقدسِ وإن خالَف التوجهَ شطرَ المسجدِ الحرامِ[4] ، فكُلْفةُ مؤنةِ[5] التوجهِ [6]شطرَ أيِّهما توجَّه[6]

(١) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « منها » .

(٢) بعده فى م : « ذلك » .

(٣) فى م ، ت ٢: « فذلك » .

(٤) زيادة من : ت ٢.

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى الأصل : « فوجه شطرانهما » .

شطرَه[١] المتوجِّهُ[٢] - واحدةٌ ؛ لأنَّ الذى على المتوجِّهِ شطرَ البيتِ المقدَّسِ مِن مُؤْنةِ تَوجُّهِه شطرَه ، نَظِيرُ الذى على بدنِه[٣] من[٤] مؤنةِ توجُّهِهِ شطرَ الكعبةِ سواءٌ . فذلك هو معنى المِثْلِ الذى قال جل ثناؤُه : ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ .

وإنما عَنَى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ : ما نَنْسَخْ [٤/٨ظ] مِن حكمِ آيةٍ أو نُنْسِه . غيرَ أن المُخاطبين بالآيةِ لمَّا كان مفهومًا عندَهم معناها ، اكتفى بدَلالةِ ذكرِ الآيةِ مِن ذِكْرِ حُكْمِها . وذلك نظيرُ سائرِ ما ذَكَرنا مِن نظائرِه فيما مَضَى مِن كتابِنا هذا ، كقولِه : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . بمعنى : حُبَّ العجلِ . ونحوِ ذلك[٥] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : ما نُغيِّرْ مِن حُكْمِ آيةٍ فنُبَدِّلْه ، أو نَتْرُكْه فلا نُبَدِّلْه ، نَأْتِ بخيرٍ لكم منه[٦] - أيها المؤمنون - حُكْمًا منها ، أو مِثْلِ حُكْمِها ، فى الخِفَّةِ والثِّقَلِ ، والأجرِ والثوابِ .

فإن قال قائلٌ : فإنا قد عَلِمنا أن العِجْلَ لا يُشْرَبُ[٧] القلوبَ ، وأنه لا يَلْتَبِسُ على مَن سمِع قولَه : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . أن معناه : وأُشْرِبوا فى قلوبِهم حُبَّ العجلِ . فما الذى يَدُلُّ على أن قولَه : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ لذلك نظيرٌ ؟

---

(١) فى ت ٢: « الشطر » ، وفى ت ١، ت ٣: « شطره » .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى ت ٢: « يده » ، وفى ت ١، ت ٣: « يديه » .
(٤) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « نظير » .
(٥) ينظر ما تقدم فى ص ٢٦٥، ٢٦٦ .
(٦) زيادة من : الأصل .
(٧) بعده فى م : « فى » .

قيل : الذى دلَّ على أن ذلك كذلك قولُه : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ .

وغيرُ جائزٍ أن يكونَ مِن / القرآنِ شىءٌ خيرًا مِن شىءٍ ؛ لأن جميعَه كلامُ اللَّهِ ، ولا ٤٨١/١
يجوزُ فى صفاتِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه أن يقالَ : بعضُها أفضلُ مِن بعضٍ ، أو[1] بعضُها خيرٌ مِن بعضٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : ألم تَعْلَمْ يا محمدُ أنى قادرٌ على تعويضِك ممَّا نسَختُ مِن أحكامى ، وغيَّرْتُه مِن فرائضِى التى كنتُ افترَضْتُها عليك ، ما أشاءُ ممَّا هو خيرٌ لك ولعبادى المؤمنين معك ، وأنفعُ لك ولهم ، إمَّا عاجلًا فى الدنيا ، وإمَّا آجلًا فى الآخرةِ ، أو بأن أبدِّلَ لكَ ولهم مكانَه مثلَه فى النفعِ لهم ، عاجلًا فى الدنْيا وآجلًا فى الآخِرَةِ ، وشَبيهَه فى الخِفَّةِ عليك وعليهم ؟ فإنى - فاعلَمْ يا محمدُ - على ذلك وعلى كلِّ شىءٍ قديرٌ .

ومعنى قولِه : ﴿ قَدِيرٌ ﴾ . فى هذا الموضعِ : قَوِىٌّ . يقالُ منه : قد قدَرْتُ على كذا وكذا - إذا قَوِيتَ عليه - أقدِرُ عليه ، وأَقْدُرُ عليه ، قُدْرَةً وقِدْرانًا ومَقْدِرَةً . وبنو مُرَّةَ مِن غَطَفَانَ تقولُ خاصةً[2] : قدِرتُ عليه . بكسرِ الدالِ .

فأمَّا مِن التقديرِ مِن قولِ القائلِ : قدَرتُ الشىءَ . فإنه يقالُ منه : قدَرتُه أَقْدُرُه قَدْرًا وقدَرًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) سقط من : م .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : أوَلم يكُنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعلَمُ أن اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأن اللَّهَ له مُلكُ السماواتِ والأرضِ حتى قيل [٩/٤و] له ذلك ؟

قيل : بَلَى ، فقد كان بعضُهم يقولُ : إنما ذلك مِن اللَّهِ جل ثناؤه خبرٌ عن أن محمدًا ﷺ قد علِم ذلك ، ولكنه[1] أَخرَجَ الكلامَ مُخْرَجَ التقريرِ ، كما تفعَلُ مثلَه العربُ في خطابِ بعضِها بعضًا ، فيقولُ أحدُهم لصاحبِه : ألم أُكْرِمْك ، ألم أُفْضِلْ[2] عليك . بمعنى إخبارِه أنه قد أكرَمَه وأَفضَلَ[3] عليه . يُريدُ : أليس قد أكرمتُك ، أليس قد أفْضلْتُ[4] عليك . بمعنى : قد علِمتَ ذلك .

قال : وهذا قولٌ[5] لا وجهَ له عندنا ، وذلك أن قولَه جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ . إنما معناه : أمَا علِمتَ . وهو حرْفُ جَحْدٍ أُدخِلَ عليه حرفُ استفهامٍ ، وحروفُ الاستفهامِ إنما تَدْخُلُ في الكلامِ ؛ إمَّا بمعنى الاسْتِثْباتِ ، وإمَّا بمعنى النفيِ ، فأمَّا بمعنى الإثباتِ ، فذلك غيرُ معروفٍ في كلامِ العربِ ، ولا سيَّما إذا أُدخِلتْ على حروفِ الجحدِ ، ولكنَّ ذلك عندى ، وإن كان ظَهَر ظُهورَ الخطابِ للنبيِّ ﷺ ، فإنما هو مَعْنِيٌّ به أصحابُه الذين قال لهم[6] اللَّهُ جل ثناؤه : ﴿ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ . والذى يَدُلُّ على أن ذلك كذلك قولُه جل ثناؤه : ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ . فعاد بالخطابِ في آخرِ الآيةِ إلى جميعِهم ، وقد ابتدأ أوَّلَها بخطابِ النبيِّ ﷺ بقولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . لأن المرادَ بذلك الذين وصَفتُ أمرَهم مِن أصحابِه ، وذلك مِن كلامِ

---

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قد » .

(٢) في م : « أتفضل » .

(٣) في م : « تفضل » .

(٤) في م : « تفضلت » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : م .

العربِ مستفيضٌ بينهم فصيحٌ ، أن يُخْرِجَ المتكلِّمُ منهم(١) كلامَه على وجهِ الخطابِ
منه لبعضِ الناسِ ، وهو قاصدٌ به غيرَه ، وعلى / وجهِ الخطابِ لواحدٍ ، وهو يَقْصِدُ به ٤٨٢/١
جماعةً غيرَه ، أو جماعةٍ(٢) المخاطَبُ به أحدُهم ، وعلى وجهِ(٣) الخطابِ للجماعةِ والمقصودُ به أحدُهم ؛ مِن ذلك قولُ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ ﴾ ثم قال : ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١، ٢] . فرجَع إلى خطابِ الجماعةِ ، وقد ابتدأ(٤) الكلامَ بخطابِ النبيِّ ﷺ . ونظيرُ ذلك قولُ الكُمَيْتِ بنِ زيدٍ فى مدحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ(٥) :

إلى السِّراجِ المُنيرِ أحمَدَ لا ... يَعْدِلُنِى رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ
عنه إلى غيرِه ولو رَفَعَ النَّاسُ إلىَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
وقِيلَ أفْرَطْتَ بل قَصَدْتُ ولو ... عَنَّفَنى القائِلُونَ أوْ ثَلَبُوا(٦)
لَجَّ بتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيك الضِّجاجُ واللَّجَبُ(٧)
[٩/٤ظ] أنتَ المُصَفَّى(٨) المَحْضُ المُهَذَّبُ فى النِّسْبَةِ إنْ نَصَّ(٩) قَوْمَكَ النَّسَبُ

فأخرجَ كلامَه على وجهِ الخطابِ للنبيِّ ﷺ ، وهو قاصدٌ بذلك أهلَ بيتِه .

---

(١) سقط من : م .
(٢) بعده فى م : « و » .
(٣) فى م : « هذا » .
(٤) فى ت ١ : « ابتدئ » .
(٥) الأبيات فى الحيوان للجاحظ ٥/ ١٧٠.
(٦) ثلب : لام وعاب ، وقيل : الثلب : شدة اللوم والأخذ باللسان . التاج (ث ل ب) .
(٧) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها . التاج (ل ج ب) .
(٨) فى ت ١، ونسخ الحيوان : « المصطفى » .
(٩) نص : رفع . اللسان (ن ص ص) .

فكَنَى عن وصفِهم ومدحِهم بذكرِ النبيِّ ﷺ ، وعن بنى أُمَيَّةَ بالقائلين المُعَنِّفينَ ؛ لأنه معلومٌ أنه لا أحدَ يُوصَفُ (١ من المسلمين ١) بتعنيفِ مادحِ النبيِّ ﷺ وتفضيلِه ، ولا بإكثارِ الضِّجاجِ واللَّجَبِ فى إطنابِ القِيلِ بفضلِه . وكما قال جَمِيلُ(٢) بنُ مَعْمَرٍ(٣) :

ألا إنَّ جِيرانى العَشِيَّةَ رَائِحُ دَعَتْهُمْ دَواعٍ مِن هَوًى ومَنادِحُ(٤)

فقال : ألا إن جيرانى العشيةَ . فابْتَدَأ الخبرَ عن جماعةِ جيرانِه ، ثم قال : رائحُ ؛ لأن قصْدَه فى ابتدائِه ما ابْتَدَأ(٥) مِن كلامِه الخبرُ عن واحدٍ منهم دونَ جماعتِهم . وكما قال جَمِيلٌ أيضًا فى كلمتِه الأُخرَى(٦) :

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رَأَيْتُما قَتِيلًا بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبْلى

وهو يُريدُ قاتلتَه(٧) ؛ لأنه إنما يَصِفُ امرأةً ، فكَنَى بوصفِ(٨) الرجلِ عنها وهو يَعْنِيها . فكذلك قولُه : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وإن كان ظاهرُ الكلامِ على وجهِ الخطابِ للنبيِّ ﷺ ، فإنه مقصودٌ به قصدُ أصحابِه ، وذلك بيِّنٌ بدلالةِ قولِه : ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ الآياتِ الثلاثَ بعدَها ، على أن ذلك كذلك .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « جرير » .

(٣) التبيان ١/ ٤٠١.

(٤) المنادح : المفاوز ، وأرض مندوحة : واسعة بعيدة . التاج (ن د ح) .

(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « به » .

(٦) البيت فى أمالى القالى ٢/ ٧٤، والأغانى ١/ ١١٧.

(٧) فى الأصل : « قاتله » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « قاتليه » .

(٨) فى م : « باسم » .

وأمَّا قولُه : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ ﴾ . ولم يقُلْ : مِلكُ السماواتِ . فإنه عنَى بذلك مُلْكَ السلطانِ والمملكةِ دونَ المِلْكِ ، والعربُ إذا أرادت الخبرَ عن المملكةِ التي هي مملكةُ سلطانٍ ، قالت : ملَك اللَّهُ الخلقَ مُلْكًا . وإذا أرادت الخبرَ عن المِلْكِ قالت : ملَك فلانٌ هذا الشيءَ ، فهو يَمْلِكُه مِلْكًا ومَلَكَةً ومَلْكًا .

فتأويلُ الآيةِ إذن : ألم تعلَمْ يا محمدُ أن لي مُلكَ السماواتِ والأرضِ وسلطانَهما دونَ غيرِي ، أحْكُمُ فيهما وفيما فيهما ما أشاءُ[(١)] ، وآمُرُ فيهما وفيما فيهما بما أشاءُ ، وأنْهَى عمَّا أشاءُ ، وأَنْسَخُ وأُبَدِّلُ وأغيِّرُ مِن أحكامي التي أحْكُمُ بها في عبادي ما أشاءُ إذا أشاءُ ، وأُقِرُّ منها ما أشاءُ .

١/٤٨٣ وهذا الخبرُ وإن كان مِن اللَّهِ عزّ وجلَّ خطابًا / لنبيِّه محمدٍ ﷺ على وجهِ الخبرِ عن عَظَمتِه ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيبٌ لليهودِ الذين أنْكَروا نسْخَ أحكامِ التوراةِ ، وجحَدوا نُبوَّةَ عيسى ومحمدٍ[(٢)] صلى اللَّه عليهما ، لمجيئِهما بما جاءا به مِن عندِ اللَّهِ بتغييرِ ما غيَّرَ اللَّهُ مِن أحكامِ[(٣)] التوراةِ ، فأخبَرهم اللَّهُ أن له مُلْكَ السماواتِ والأرضِ وسلطانَهما ، [(٤)]وأنَّ[(٤)] الخلقَ أهلُ مَمْلَكتِه وطاعتِه ، عليهم السمعُ له والطاعةُ لأمرِه ونهيِه ، وأن له أمْرَهم بما شاءَ ، ونهيَهم عمَّا شاءَ ، وإقرارَ ما شاءَ ، ونسْخَ ما شاءَ ، وإنساءَ ما شاءَ مِن أحكامِه وأمْرِه ونهيِه ، ثم قال [٤/١٠و] لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين معه : انقادُوا لأمرِي ، وانْتَهُوا إلى طاعتي فيما أَنْسَخُ وفيما أتْرُكُ[(٥)] ، فلا

---

(١) بعده في ت ٣: « إذا أشاء » .

(٢) في م : « أنكروا محمدًا » .

(٣) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « حكم » .

(٤ - ٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فإن » .

(٥) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « أنزل » .

أنْسَخُ مِن أحكامى ولا[(١)] حُدُودِى وفرائضِى ، ولا يَهِيدَنَّكم[(٢)] خلافُ مُخالفٍ لكم فى أمرِى ونهيِى ، وناسخِى ومنسوخِى ، فإنه لا قَيِّمَ بأمرِكم[(٣)] سواىَ ، ولا ناصِرَ[(٤)] لكم غيرى ، وأنا المنفردُ بوَلايتِكم والدفاعِ عنكم ، والمتوحِّدُ بنُصْرَتِكم بعزَّتى وسُلطانى وقوَّتى على مَن ناوَأكم وحادَّكم ، ونصَب حَرْبَ العداوةِ بينه وبينَكم ، حتى أُعْلِىَ حُجَّتَكم ، (٥ وأجعلَها عليهم ٥) لكم .

و « الوَلِىُّ »[(٦)] فَعِيلٌ ، مِن قولِ القائلِ : وَلِيتُ أمرَ فلانٍ . إذا صِرْتَ قيِّمًا به ، فأنا أَلِيه ، وهو[(٧)] وَلِيُّه وقيِّمُه . ومِن ذلك قِيل : فلانٌ ولىُّ عهدِ المسلمين . يعنى به القيِّمَ بما عُهِد إليه مِن أمرِ المسلمين .

وأمَّا « النصيرُ » ، فإنه فَعِيلٌ ، مِن قولِك : نصَرتُك أنصرُك ، فأنا ناصِرُك ونصيرُك . وهو المُؤَيِّدُ والـمُقَوِّى .

وأمَّا معنى قولِه: ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فإنه : سِوَى اللَّهِ وبعدَ اللَّهِ . ومنه قولُ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[(٨)] :

يا نَفْسُ ما لَكِ دُونَ اللَّهِ مِن وَاقِى ... ومَا عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنْ باقى

يُريدُ : ما لكِ سوى اللَّهِ وبعدَ اللَّهِ مَن يَقِيكِ المكارهَ .

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « يهتدنكم » ، وفى ت ١ : « يهدينكم » . وهاده الشيء يَهيده : أفزعه . التاج (هـ ى د) .

(٣) فى ت ١ ، ت ٣: « يأمركم » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يأمر » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « وأجعل الظفر عليكم » ، وفى ت ١ ، ت ٣: « وأجعل عليهم » ، وفى ت ٢: « وأجعله عليهم » .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « معناه » .

(٧) فى ت ١: « فأنا » .

(٨) ديوانه ص ٢١.

فمعنى الكلامِ إذن : وليس لكم أيُّها المؤمنون بعدَ اللَّهِ مِن قَيِّمٍ بأَمْرِكم[(١)] ، ولا نصيرٍ يؤيِّدُكم ويقوِّيكم ، فيُعِينَكم علَى أعدائِكم .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ في السببِ الذي مِن أجلِه أُنْزِلَت هذه الآيةُ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، **وحدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ بنُ الفضلِ ، قالا : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثني سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رافعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ ووهبُ بنُ زيدٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : ائتنا بكتابٍ تُنَزِّلُه علينا مِن السماءِ نَقْرَؤُه ، وفجِّرْ لنا أنهارًا نَتَّبِعْك ونُصَدِّقْك . فأَنْزَل اللَّهُ [(٢)] في ذلك مِن قولِهم[(٢)] : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾ الآية[(٣)] .

[٤/١٠ظ] **وقال آخرون** بما **حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾ : وكان موسى سئِل فقيل له : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[(٤)] .

/**حدَّثني** موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ٤٨٤/١
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾ أن يُرِيَهم اللَّهَ

---

(١) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « يأمركم » ، وغير منقوطة في الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤٨/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٢/١ (١٠٧٤) من طريق سلمة به .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ عقب الأثر (١٠٧٧) معلقا .

جهرةً ، فسألت العربُ محمدًا ﷺ أن يأتيَهم باللَّهِ[(١)] فيَرَوْنَه جهرةً[(٢)] .

وقال آخرون بما حدَّثني به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهم اللَّهَ جهرةً ، فسألت قريشٌ محمدًا ﷺ أن يَجْعَلَ لهم[(٣)] الصَّفا ذهبًا ، قال : « نعم ، [(٤)]وهو[(٤)] لكم [(٥)]كالمائدةِ لبَنى[(٥)] إسرائيلَ[(٦)] » . فأبَوْا ورجَعوا[(٧)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سألتْ قريشٌ محمدًا ﷺ أن يَجْعَلَ لهم الصَّفَا ذهبًا ، فقال : « نَعَمْ ، [(٨)]وهو[(٨)] لكم كالمَائِدةِ لبَنى إسرائيلَ إن كفَرْتُم » . فأبَوْا ورجَعوا ، فأَنْزَل اللَّهُ : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهم اللَّهَ جهرةً .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخرون بما حدَّثني به المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ،

---

(١) في الأصل : « الله » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/١ إلى ابن المنذر .

(٣) في م : « الله له » .

(٤ - ٤) في الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هو » .

(٥ - ٥) في م : « كمائدة بني » .

(٦) بعده في م : « إن كفرتم » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٨ - ٨) في الأصل : « هو » .

عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : قال رجلٌ : (١) يا رسولَ اللَّهِ (١) ، لو كانت كفَّاراتُنا كفَّاراتِ بنى إسرائيلَ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « اللهمَّ لا نَبْغِيها ، (٢) اللهمَّ لا نبغيها (٢) ، ما أعطاكم اللَّهُ خيرٌ مما أعطَى بنى إسرائيلَ ؛ كانت بنو إسرائيلَ إذا أصابَ (٣) أحدُهم الخَطيئةَ وجَدها مكتوبةً على بابِه وكفَّارتَها ، فإن كفَّرها كانت له خِزْيًا فى الدنيا ، وإن لم يُكَفِّرْها كانت له خِزيًا فى الآخرةِ ، (٤) وقد (٤) أعْطاكم اللَّهُ خيرًا مما أعْطى بنى إسرائيلَ ، قال : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ » [النساء : ١١٠] . قال : وقال : « الصلواتُ الخمسُ ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ، كَفَّاراتٌ لمَا بينَهنَّ » . وقال : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْها كُتِبت له [٤/١١و] حسنةً ، وإن عمِلها كُتِبت له عشْرَةَ أمثالِهَا ، ولا يَهْلِكُ على اللَّهِ إلَّا هالكٌ » . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ (٥) .

واخْتَلف أهلُ العربيةِ فى معنى « أمْ » التى فى قوله : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ .

فقال بعضُ البصريِّين : هى بمعنى الاستفهامِ ، وتأويلُ الكلامِ : أتُريدون أن تسألوا رسولَكم ؟

وقال آخرُ (٦) منهم : هى بمعنى استفهامٍ مُسْتَقْبَلٍ مُنْقَطِعٍ مِن الكلامِ ، كأنك تَمِيلُ بها إلى أوَّلِه ، كقولِ العربِ : إنها لإبلٌ - يا قومُ - أم شاءٌ ، ولقد كان كذا وكذا أم حَدْسُ (٧) نفسى .

(١ - ١) فى الأصل : « لرسول الله ﷺ » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : « ثلاثا » .

(٣) فى م : « فعل » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وجد » .

(٤ - ٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقد » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : « فما » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٦) من طريق ابن أبى جعفر به . وهو مرسل .
وقوله : « الصلوات الخمس ... » . أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبى هريرة .
وقوله : « من هم بحسنة فلم يعملها ... » . أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس .

(٦) فى م : « آخرون » .

(٧) فى الأصل : « حدثت » .

قال : وليس قولُه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ على الشكِّ ، ولكنه قاله ليُقَبِّحَ له صنيعَهم . واسْتَشْهَد لقولِه ذلك ببيتِ الأَخْطَلِ[1] :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رَأَيْتَ بوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّبَابِ خَيَالَا

١/٤٨٥ / وقال بعضُ نحويِّي الكوفيِّين[2] : إن شِئتَ جعَلتَ قولَه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ استفهامًا مُبتدأً[3] على كلامٍ قد سبَقه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [السجدة : ١- ٣] . فجاءت « أمْ » وليس قبلَها استفهامٌ . فكان ذلك عندَه دليلًا على أنها استفهامٌ مبتدَأٌ على كلامٍ قد سبَقه .

وقال قائلُ هذه المقالةِ : « أم » في المعنى تكونُ ردًّا[4] على الاستفهامِ على جهتين : إحداهما ، أن تُفَرِّقَ[5] معنى « أيّ » ، والأُخْرَى ، أن يُسْتَفْهَمَ بها ، ويكونَ على جهةِ[6] النَّسَقِ ، والذى يُنْوَى به الابتداءُ ، إلَّا أنه ابتداءٌ مُتَّصلٌ بكلامٍ ، فلو ابتدأتَ كلامًا ليس قبلَه كلامٌ ثم استفْهمتَ ، لم يكنْ إلَّا بالألفِ أو بـ « هل » .

قال : وإن شِئتَ قلتَ في قولِه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ : قبلَه استفهامٌ فرُدَّ عليه ، وهو في قولِه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندى - على ما جاءتْ به الآثارُ التى ذكَرْناها عن أهلِ التأويلِ - أنه استفهامٌ مُبْتدأٌ بمعنى : أَتُرِيدون أيُّها القومُ أن تَسْألوا رسولَكم ؟ وإنما جاز أن يَسْتَفْهِمَ القومَ بـ « أم » - وإن كانت « أم » أحدُ شروطِها أن تكونَ نَسَقًا

---

(١) شرح ديوانه ص ٣٨٥.
(٢) هو الفراء في معاني القرآن ١/ ٧١.
(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
(٤) في الأصل : « تدل » .
(٥) في م : « تعرف » .
(٦) في الأصل : « وجه » .

فى الاستفهامِ - لتقدُّمِ ما تقدَّمَها مِن الكلامِ ؛ لأنها تكونُ استفهامًا مُبتَدأً إذا تقدَّمَها سابقٌ مِن الكلامِ ، ولم يُسْمَعْ مِن العربِ استفهامٌ بها ولمّا يتقدَّمْها كلامٌ . (١) ونظيرُه (١) قولُه جل ثناؤه : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ . وقد [١١/٤ظ] تكونُ « أم » بمعنى « بل » إذا سبقَها استفهامٌ لا تَصْلُحُ فيه « أىّ » ، فيقولون : هل لك قِبَلَنا حقٌّ ، أم أنت رجلٌ معروفٌ بالظلمِ ؟ (٢) يرادُ به : بل أنت رجلٌ مَعْروفٌ بالظُّلْمِ (٢) . كما قال الشاعرُ (٣) :

فَوَاللَّهِ ما أَدْرِى أَسَلْمَى (٤) تَغَوَّلَتْ أَمِ النَّوْمُ (٤) أَمْ كُلٌّ إِلَىَّ حَبِيبُ

يَعنى : بل كلٌّ إلىَّ حبيبٌ .

وقد كان بعضُهم يقولُ - مُنْكِرًا قولَ مَن زعَم أن « أم » فى قولِه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ استفهامٌ مُستقبَلٌ مُنقطِعٌ مِن الكلامِ ، يَمِيلُ بها إلى أوَّلِه - : إن الأولَ خبرٌ ، والثانىَ استفهامٌ ، والاستفهامُ لا يكونُ فى الخبرِ ، والخبرُ لا يكونُ فى الاستفهامِ ، ولكن أدركَه الشكُّ - بزَعمِه - بعدَ مُضِىِّ الخبرِ ، فاسْتَفْهَمَ .

فإذ كان بمعنى (٥) « أم » ما وصَفْنا ، فتأويلُ الكلامِ : أتُريدون أيُّها القومُ أن تَسْأَلوا رسولَكم مِن الأشياءِ نظيرَ ما سأَل قومُ موسى موسى (٦) مِن قبلِكم ، فتَكْفُروا إن مُنِعْتُموه ، بمسألَتِكم (١) ما لا يجوزُ فى حكمةِ اللَّهِ إعطاؤُكُموه ، أو تَهْلِكوا إن كان

(١ - ١) فى الأصل : « هو ونظير » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « هو نظير » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٧٢، والصاحبى ص ١٦٨.

(٤ - ٤) فى النسخ : « تقولت أم القوم » ، والتصويب من مصدرى التخريج وما سيأتى فى تفسير الآية ٦٦ من سورة النمل .

وتغولت المرأة : تلونت . اللسان (غ و ل) .

(٥) فى م : « معنى » .

(٦) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

مِمَّا يجوزُ فى حكمتِه[٢] إعطاؤُكُموه ، فأعْطاكُموه ، ثم كفَرْتُم مِن بعدِ ذلك ، كما هلَك مَن كان قبلَكم مِن الأممِ التى سألت أنبياءَها ما لم يكنْ لها مسألتُها إيَّاهم ، فلمَّا أُعْطِيَتْ كفَرَت ، فعُوجِلَت بالعقوباتِ لكفرِها بعدَ إعطاءِ اللَّهِ إيَّاها سُؤْلَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ﴾ : ومَن يَسْتَبْدِلْ ، ﴿ الْكُفْرَ ﴾ ، ويعنى بالكفرِ الجحودَ باللَّهِ وبآياتِه ، ﴿ بِالْإِيمَٰنِ ﴾ ، يعنى بالتصديقِ باللَّهِ وبآياتِه والإقرارِ به .

وقد قيل : عَنى بالكفرِ فى هذا الموضعِ الشدَّةَ ، وبالإيمانِ الرخاءَ .

ولا أعرِفُ الشدةَ فى معانى الكفرِ ، ولا الرخاءَ فى معنى الإيمانِ ، إلَّا أن يكونَ قائلُ ذلك أراد - بتأويلِه الكفرَ بمعنى الشدَّةِ فى هذا الموضعِ ، وبتأويلِه الإيمانَ فى معنى الرخاءِ - ما أعَدَّ اللَّهُ للكفارِ فى الآخرةِ / مِن الشدائدِ ، وما أعَدَّ اللَّهُ لأهلِ ٤٨٦/١ الإيمانِ فيها مِن النعمِ[٣] ، فيكونُ ذلك وجهًا وإن كان بعيدًا مِن المفهومِ بظاهرِ الخطابِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، [٤]عن الربيعِ[٤] ، عن أبى العاليةِ : [٤/١٢و] ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ ﴾ . يقولُ : يَتَبَدَّلِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ : « فى مسألتكم » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٣: « حكمه » .

(٣) فى م ، ت ٢: « النعيم » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

الشدَّةَ بالرخاءِ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن[2] أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ بمثلِه .

وفى قولِه : ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ . دليلٌ واضحٌ على صحةِ[3] ما قلنا مِن أن هذه الآياتِ مِن قولِه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ . خطابٌ مِن اللَّهِ المؤمنين به مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعتابٌ منه لهم على أمرٍ سلَف منهم ، ممَّا سُرَّ به اليهودُ ، وكرِهه رسولُ اللَّهِ ﷺ لهم ، فكرِهه اللَّهُ لهم ، فعاتَبهم[4] على ذلك ، وأعْلَمَهم أن اليهودَ أهلُ غِشٍّ لهم ، وحسَدٍ وبَغْيٍ ، وأنهم يتمنَّوْن لهم المكارِهَ ، ويَبْغُونهم الغوائلَ ، ونهاهم أن يَنْتَصِحوهم ، وأخبرَهم أن مَن ارتدَّ منهم عن دينِه فاسْتَبْدَل بإيمانِه[5] باللَّهِ وبرسولِه[5] كُفرًا ، فقد أخْطَأ قصدَ السبيلِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ .

أمَّا قولُه : ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ . فإنه يعنى به : ذهَب وجارَ[6] . وأصلُ الضلالِ عن الشىءِ : الذهابُ عنه والجورُ[7] ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الشىءِ الهالكِ والشىءِ الذى لا يُؤْبَهُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٧٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ت٣ : « ابن » .

(٣) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى الأصل : « فعاقبهم » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « بالله » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢: « حاد » .

(٧) فى م : « الحيد » .

له ، كقولِهم للرجلِ الخاملِ الذى لا ذِكْرَ له ولا نباهةَ : ضُلُّ بنُ ضُلٍّ ، وقُلُّ بنُ قُلٍّ .
وكقولِ الأخطلِ فى الشيءِ الهالكِ[1] :

كُنْتَ القَذَى فى مَوْجِ أَكْدَرَ[2] مُزْبِدٍ   قَذَفَ الأَتِيُّ[3] بِهِ فَضَلَّ ضَلالا

يعنى : هلَك فذهَب .

والذى عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ : فقد ذهَب عن سواءِ السبيلِ وجارَ عنه .

وأمَّا تأويلُ قولِه : ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . فإنه يعنى بالسواءِ القصدَ والمَنْهَجَ . وأصلُ السواءِ الوَسَطُ . ذُكِر عن عيسى بنِ عُمرَ النحويِّ أنه قال : مازِلْتُ أكتُبُ حتى انْقَطعَ سَوَائى . يعنى : وَسَطى . وقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ[4] :

يا وَيْحَ أنْصَارِ النبيِّ ونَسْلِهِ   بَعْدَ المُغَيَّبِ فِى سَوَاءِ المُلْحَدِ

يعنى بالسواءِ : الوسَطَ . والعربُ تقولُ[5] : فى سواءِ الليلِ[6] . يعنى : فى مُسْتَوى الليْلِ[6] . وسواءُ الأرضِ مستواها عندَهم .

وأمَّا « السبيل » ، فإنها الطريقُ المسبولُ ، صُرِف مِن مسبولٍ إلى سبيلٍ .

---

(١) شرح ديوانه ص ٣٩٢.

(٢) فى م : « أكبر » .

(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . اللسان (أ ت ى) .

(٤) البيت فى الأضداد ص ٤٢، ومجاز القرآن ١/ ١٥٧. وسيأتى البيت فى تفسير الآية ٥٨ من سورة الأنفال .

(٥) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هو » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « السبيل » .

فتأويلُ الكلامِ إذن : ومَن يَسْتَبْدِلْ بالإيمانِ باللَّهِ وبرسولِه الكفرَ ، فيَرْتَدَّ عن دينِه ، فقد جار عن منهجِ الطريقِ ووسَطِه الواضحِ المسبولِ .

وهذا القولُ ظاهِرُه الخبرُ عن زوالِ المُستبدِلِ بالإيمانِ الكفرَ عن الطريقِ ، [٤/١٢ظ] والمعنىُّ به الخبرُ عنه أنه قد ترَك دينَ اللَّهِ الذى ارْتَضاه لعبادِه ، وجعَله لهم طريقًا يَسْلُكونه إلى رضاه ، وسبيلاً[1] يَرْكَبونها إلى محبّتِه والفوزِ بجنانِه . فجعَل جلَّ ثناؤه الطريقَ - الذى إذا ركِب مَحَجَّتَه السائرُ فيه ، ولزِم وَسَطَه / المجتازُ فيه ، نجا وبلَغ حاجتَه ، وأدرك طَلِبتَه - لدينِه الذى دعا إليه عبادَه مَثَلًا ٤٨٧/١
لإدراكِهم - بلزومِه واتِّباعِه - إدْراكَ[2] طَلِباتِهم فى آخرتِهم ، كالذى يُدْرِكُ اللازمُ محجَّةَ السبيلِ - بلزومِه إيَّاها - طَلِبتَه مِن النجاةِ منها ، والوصولِ إلى الموضعِ الذى أمَّه وقصَده . وجعَل مثَلَ الجائرِ[3] عن دِينِه ، والحائدِ عن اتِّباعِ ما دعا[4] إليه مِن عبادِه[5] فى خَيْبتِه[6] ما رجا أن يُدْرِكَه بعمَلِه فى آخرتِه ، وينالَ به فى مَعَادِه وذهابِه ، عمَّا أمَّل مِن ثوابِ عملِه ، وبُعْدِه به مِن ربِّه - مثلَ الجائرِ[3] عن منهجِ الطريقِ ، وقصدِ السبيلِ ، الذى لا يزدادُ وُغُولًا فى الوجهِ الذى سلَكه ، إلَّا ازدادَ مِن موضعِ حاجتِه بُعْدًا ، وعن المكانِ الذى أمَّه وأرادَه نَأْيًا .

وهذه السبيلُ التى أخبرَ اللَّهُ عنها ، أن مَن يَتَبَدَّلِ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «سبلا» .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «إدراكهم» .

(٣) فى م : «الحائد» .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «دعاه» .

(٥) فى م : «عبادته» .

(٦) فى م : «حياته» .

سَواءِها ، هو[١] الصراطُ المستقيمُ ، الذى أُمِرْنا بمسألتِه الهدايةَ[٢] له بقولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقد صَرَّح هذا القولُ مِن قولِ اللَّهِ جل ثناؤُه ، بأن خطابَه بجميعِ هذه الآياتِ مِن قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ وإن صرَف فى بعضِه الكلامَ إلى خطابِ النبيِّ ﷺ ، إنما هو خطابٌ منه للمؤمنين[٣] من أصحابِه[٣] ، وعِتابٌ منه لهم ، ونهىٌ عن انتصاحِ اليهودِ ونُظَرائِهم مِن أهلِ الشركِ ، وقبولِ آرائِهم فى شىءٍ مِن أمورِ دينِهم ، ودليلٌ على أنهم كانوا اسْتَعملوا ، أو مَن اسْتَعمل منهم ، فى[٤] خطابِ ومسألةِ[٤] رسولِ اللَّهِ ﷺ الجفاءَ ، وما لم يكنْ له استعمالُه معَه ، تأسِّيًا فى ذلك باليهودِ أو ببعضِهم ، قال لهم ربُّهم ناهيًا لهم[٥] عن استعمالِ ذلك : لا تقولوا لنبيِّكم ﷺ كما تقولُ[٦] اليهودُ : راعِنا . تأسِّيًا منكم بهم ، ولكنْ [١٣/٤و] قولوا : انْظُرْنا واسْمَعوا . فإن أذَى رسولِ اللَّهِ ﷺ كفرٌ بى وجحودٌ لحقِّى الواجبِ لى[٧] عليكم فى تعظيمِه وتوقيرِه ، ولمَن كفَر بى عذابٌ أليمٌ ، فإن اليهودَ والمشركين ما يَوَدُّون أن يُنَزَّلَ عليكم مِن خيرٍ مِن ربِّكم ، ولكنَّ كثيرًا منهم وَدُّوا أنهم

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هى » .

(٢) فى م : « نفسه » .

(٣ - ٣) فى م : « وأصحابه » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « خطابه ومسألته » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « له » .

(٧) زيادة من : م .

يَرُدُّونكم مِن بعدِ إيمانِكم كفَّارًا ؛ حسَدًا مِن عندِ أنفسِهم لكم ولنبيِّكم محمدٍ ﷺ ، مِن بعدِ ما تبيَّن لهم الحقُّ فى أمرِ محمدٍ ﷺ ، وأنه نبيٌّ إليهم وإلى خلقى كافَّةً .

وقد قيل : إن اللَّهَ جل ثناؤُه عنَى بقولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعبَ بنَ الأشرفِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ فى قولِه : / ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ : هو كعبُ بنُ الأشرفِ[1] . ٤٨٨/١

وحدَّثنا القاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ المعْمَرىُّ[2] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِيِّ وقتادَةَ : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال : كعبُ بنُ الأَشْرفِ[3] .

وقال بعضُهم بما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، **وحدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ ، وأبو ياسرِ ابنُ أَخْطَبَ ، مِن أشدِّ يهودَ للعربِ حسدًا ، إذْ خَصَّهم اللَّهُ برسولِه ﷺ ، وكانا جاهدَيْن فى ردِّ الناسِ عن الإسلامِ بما استطاعا ، فأنزَل اللَّهُ فيهما : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية[4] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٨٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) فى م : « العمرى » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٠٩.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٧/١ إلى المصنف .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٤٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٨١) من طريق سلمة .

وليس لقولِ القائلِ : عَنَى بقولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كعبَ بنَ الأشرفِ . معنًى مفهومٌ ؛ لأن كعبَ بنَ الأشرفِ واحدٌ ، وقد أخبرَ اللَّهُ جلّ ثناؤُه أن كثيرًا منهم يَوَدُّون لو يَرُدُّون المؤمنين كفارًا بعد إيمانِهم ، والواحدُ لا يقالُ له : كثيرٌ . بمعنى الكثرةِ فى العددِ ، إلا أن يكونَ قائلُ ذلك أرادَ توجيهَ[(١)] الكثرةِ التى وصَف اللَّهُ بها مَن وصَفه بها فى هذه الآيةِ ، الكثرةَ فى العزِّ ورفعةِ المنزلةِ فى قومِه وعشيرتِه ، كما يقالُ : فلانٌ فى الناسِ كثيرٌ . يرادُ به كثرةُ المنزلةِ والقدْرِ . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأَ ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤُه قد وصَفَهم بصفةِ الجماعةِ ، فقال : ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ . فذلك دليلٌ على أنه عَنَى به[(٢)] الكثرةَ فى العددِ . أو يكونَ ظَنَّ أنه من الكلامِ الذى يَخْرُجُ مَخْرَجَ الخبرِ عن الجماعةِ ، والمقصودُ بالخبرِ عنه الواحدُ ، نظيرَ ما قلْنا آنفًا فى بيتِ جَميلٍ ، فيكونُ ذلك أيضًا خطأً . وذلك أن الكلامَ إذا كان بذلك المعنى فلابدَّ من دَلالةٍ فيه تدلُّ على أن ذلك معناه ، ولا دلالةَ تدلُّ فى قولِه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أن المرادَ به واحدٌ دونَ جماعةٍ كثيرةٍ ، فيجوزَ صرفُ تأويلِ الآيةِ إلى ذلك ، وإحالةُ دليلِ ظاهرِها[(٣)] إلى غيرِ الغالبِ فى الاستعمالِ .

[١٣/٤ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ .**

يعنى جلّ ذكرُه بقولِه : ﴿حَسَدًا﴾ . أن كثيرًا من أهلِ الكتابِ يَوَدُّون للمؤمِنين ما أخبرَ جل ثناؤُه عنهم أنهم يَوَدُّونه لهم ، من الرِّدَّةِ عن إيمانِهم إلى الكفرِ ، حسَدًا منهم وبَغْيًا عليهم . فالحسَد إذن منصوبٌ على غيرِ النعتِ للكفارِ ، ولكن على

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بوجه » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «ظاهره » .

وجهِ المصدرِ الذى يأتى خارجًا من معنى الكلامِ الذى يخالفُ لفظُه لفظَ المصدرِ، كقولِ القائلِ لغيرِه: تمنَّيْتُ لك ما تمنَّيْتُ من السوءِ حسَدًا منى لك. فيكونُ الحسَدُ مصدرًا مِن معنى قولِه: تمنَّيْتُ (١) لك ما تمنَّيْتُ (١) من السوءِ. لأنَّ فى قولِه: تمنَّيْتُ لك ذلك. معنى: حَسَدْتُك على ذلك. فعلى هذا نَصْبُ الحسدِ؛ لأنَّ فى قولِه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾. معنى (٢): حسَدكم أهلُ الكتابِ على ما أَعْطاكم اللَّهُ من التوفيقِ، ووَهَب لكم من الرَّشادِ لدينِه والإيمانِ (٣) به وبرسولِه ﷺ (٣)، وخَصَّكم بهِ من أن جعَل رسولَه إليكم رجلًا منكم، رَءُوفًا بكم رَحيمًا، ولم يجعَلْه منهم، فتكونوا لهم تبَعًا. فكان قولُه: ﴿حَسَدًا﴾. مصدرًا مِن ذلك المعنى.

وأما قولُه: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾. فإنه يَعْنى بذلك (٤): من قِبَلِ أنفسِهم. كما يقولُ القائلُ: لى عندك كذا وكذا. بمعنى: لى قِبَلَك.

وكما **حدِّثْتُ** عن عمارٍ، قال: ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، (٥) عن أبيه، عن الربيعِ (٥) قولَه: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: (٦) من قِبَلِ أنفسِهم (٦).

١/٤٨٩ وإنما أخبرَ اللَّهُ جل / ثناؤُه عنهم المؤمنين أنهم وَدُّوا ذلك للمؤمنين من عندِ أنفسِهم، إعلامًا منه لهم أنهم لم يُؤْمَروا بذلك فى كتابِهم، وأنهم يَأْتُونَ ما يَأْتُون من

(١ - ١) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) فى م: «يعنى».

(٣ - ٣) فى م، ت ١، وفى ت ٢، ت ٣: «برسوله».

(٤) فى ت ١، ت ٣: «به ذلك».

(٥ - ٥) سقط من: م، ت ٢، وفى ت ١، ت ٣: «فى».

(٦ - ٦) سقط من: م، ت ١، ت ٢،ت ٣.

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٥/١ (١٠٨٥) من طريق ابن أبى جعفر به.

ذلك على علمٍ منهم بنَهْيِ اللَّهِ إياهم عنه .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ .

يعني جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ . أى : من بعدِ ما تَبيَّنَ لهؤلاءِ الكثيرِ من أهلِ الكتابِ - الذين يَوَدُّون أنهم يَرُدُّونكم كفارًا من بعدِ إيمانِكم - الحقُّ في أمرِ محمدٍ ﷺ ، وما جاء به من عندِ ربِّه ، والملَّةِ التي دعا إليها ، فأضاء لهم أن ذلك الحقُّ الذي لا[1] يَمْتَرُون فيه .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ : من بعدِ ما تَبيَّنَ لهم أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، والإسلامَ دينُ اللَّهِ[2] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ[3] : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ . يقولُ : تَبيَّنَ لهم أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندهم في التوراةِ والإنجيلِ[4] .

وحدِّثْت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه ، وزاد فيه : فكفَروا به حسدًا وبَغْيًا ، إذ كان من غيرِهم .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ [٤/١٤و] مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ : فإنَّ[5] الحقَّ هو محمدٌ ﷺ ، وتَبيَّنَ لهم أنه هو الرسولُ[6] .

---

(١) سقط من : ت ٣.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) بعده فى م : « عن أبى العالية » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٥/١ عقب الأثر (١٠٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى م : « قال » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٥/١ عقب الأثر (١٠٨٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ . قال : قد تَبيَّنَ لهم أنه رسولُ اللَّهِ .

فدَلَّ جلَّ ثناؤُه بقيلِه ذلك أن كُفْرَ الذين قَصَّ قِصَّتَهم فى هذه الآيةِ باللَّهِ وبرسولِه ، عنادٌ ، وعلى علمٍ منهم ومعرفةٍ بأنهم على اللَّهِ مُفْتَرُون .

كما حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ : يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه : من بعدِ ما أضاءَ لهم الحقُّ لم يَجْهَلُوا منه شيئًا ، ولكنَّ الحسدَ حملَهم على الجَحْدِ ، فعيَّرهم اللَّهُ ولامَهم ووبَّخهم أشدَّ الملامةِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَٱعۡفُواْ ﴾ : فتجاوَزُوا عما كان منهم من إساءةٍ وخطأٍ فى رأيٍ أشارُوا به عليكم فى دينِكم ، إرادةَ صدِّكم عنه ، ومحاولةَ ارتدادِكم بعد إيمانِكم ، وعما سلَفَ منهم من قيلِهم لنبيِّكم ﷺ : ﴿ وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ ﴾ [النساء : ٤٦] . ﴿ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ عما كان منهم من جهلٍ فى ذلك ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ ، فيُحْدِثَ لكم من أمرِه فيهم[(٢)] ما يشاءُ ، ويَقْضِىَ فيهم بما[(٣)] يريدُ . فقضَى فيهم [(٤)]بعدَ ذلك[(٤)] تعالى ذكرُه ، وأتى بأمرِه ، فقال لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين به : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا
٤٩٠/١ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ / أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٥/١ (١٠٨٦) من طريق أبى كريب به .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيكم » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ما » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . فنسَخ العفوَ جل ثناؤُه عنهم والصفحَ ، بفرضِ قتالِهم على المؤمنين ، حتى تصيرَ كلمتُهم وكلمةُ المؤمنين واحدةً ، أو[1] يُؤَدُّوا الجزْيةَ عن يدٍ صَغارًا .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . نسَخ ذلك قولُه : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] [2] .

حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ : فأتى اللَّهُ بأمرِه فقال : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فقرأ[3] حتى بلَغ ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . أى : صَغارًا ونِقْمةً لهم ، فنسَختْ هذه الآيةُ ما كان قبلَها ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾[4] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ قال : اعفُوا عن أهلِ الكتابِ حتى يُحْدِثَ اللَّهُ أمرًا ، فأَحدَثَ اللَّهُ بعدُ فقال : [٤/ ١٤ظ] ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[5] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

---

(١) فى الأصل : « و » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٦/١ (١٠٨٩) من طريق أبى صالح به .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٦ من طريق همام عن قتادة نحوه .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٦/١ عقب الأثر (١٠٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ قال : نسختْها : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[1] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ . قال : هذا منسوخٌ نسَخه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد دَلَّلْنا فيما مضَى على معنى القديرِ وأنه القويُّ[3] . فمعنى الآيةِ هلهنا : إنَّ اللَّهَ على كلِّ ما يشاءُ[4] ويُريدُ[4] - بالذين وصَفْتُ لكم[5] أمرَهم من أهلِ الكتابِ وغيرِهم - قديرٌ ؛ إن شاء الانتقامَ منهم بعنادِهم ربَّهم ، وإن شاء هِدايتَهم[6] لما هداكم[7] له من الإيمانِ ، لا يَتعذَّرُ عليه شىءٌ أراده ، ولا يمتنعُ[8] عليه أمرٌ شاء قضاءَه ؛ لأن له الخلقَ والأمرَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد دلَّلْنا فيما مضَى قبلُ[9] على معنى إقامةِ الصلاةِ ، وأنها أداؤُها

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥، ومن طريقه ابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٦ عقب الأثر (١٠٩٠) ، والنحاس فى ناسخه ص ١٠٦ من طريق عمرو به .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٤٠٣.

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) فى ت ٢: « لك » .

(٦) فى م : « هداهم » .

(٧) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الله » .

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتعذر » .

(٩) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

بحدودِها وفروضِها ، وعلى تأويلِ الصلاةِ ، وما أصلُها ، وعلى معنى إيتاءِ الزكاةِ ، وأنه إعطاؤُها بطِيبِ نفسِ مُؤْتيها ، على ما فُرِضَت ووجَبَتْ ، / وعلى معنى الزكاةِ ، ١/٤٩١
واختلافِ المختلفين فيها ، والشواهدِ الدالةِ على صحةِ القولِ الذى اختَرْنا فى ذلك بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . فإنه يَعنى جل ثناؤُه بذلك : ومَهْمَا تَعمَلُوا من عملٍ صالحٍ فى أيامِ حياتِكم ، فتُقَدِّموه قبلَ وفاتِكم ذُخْرًا لأنفسِكم فى مَعادِكم ، تَجِدُوا ثوابَه عند ربِّكم يومَ القيامةِ ، فيُجازِيكم به .

والخيرُ : هو العملُ الذى يَرضاه اللَّهُ .

وإنما قال : ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ . والمعنَى : تجِدُوا ثوابَه .

كما حدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ يعنى : تَجِدُوا ثوابَه عند اللَّهِ[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : لاستغناءِ سامعِ[(٣)] ذلك بدليلِ ظاهرِه على معنى المرادِ منه ، كما قال عمرُ[(٤)] بنُ لَجأٍ[(٥)] :

[٤/١٥و] وسبَّحَتِ المدينةُ لا تَلُمْها رَأَتْ قمَرًا بسُوقِهِمُ نهارًا

وإنما أراد : وسبَّح أهلُ المدينةِ .

وإنما أمَرهم جل ثناؤُه فى هذا الموضعِ بما أمَرهم به من إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٧، ٦١١ وما بعدهما .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٧ عقب الأثر (١٠٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « سامعى » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عمرو » .

(٥) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٨٧ .

وتقديمِ الخيراتِ لأنفسِهم ؛ ليَتَطَهَّرُوا بذلك من الخطأ الذى سَلَف منهم فى استِنْصاحِهم اليهودَ ، وركونِ من كان رَكَن منهم إليهم ، وجفاءِ من كان جَفَا منهم فى خطابِه رسولَ اللَّهِ ﷺ بقولِه : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ . إذ كانت إقامةُ الصلَواتِ كفارةً للذنوبِ ، وإيتاءُ الزكاةِ تطهيرًا للنفوسِ والأبدانِ من أدناسِ الآثامِ ، وفى تقديمِ الخيراتِ إدراكُ الفوزِ برِضْوانِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ من اللَّهِ جل ثناؤُه للذين خاطَبَهم بهذه الآياتِ من المؤمِنين ، أنهم مَهْما فعَلُوا من خيرٍ أو[(1)] شرٍّ ، سرًّا و[(2)] علانيةً ، فهو به بَصِيرٌ ، لا يَخْفَى عليه منه شىءٌ ، فيَجْزِيهم بالإحسانِ جزاءَه ، وبالإساءةِ مثلَها .

وهذا الكلامُ وإن كان خرَج مَخْرَجَ الخبرِ ، فإن فيه وعْدًا ووَعيدًا ، وأمرًا وزَجْرًا ، وذلك أنه أعلَمَ القومَ أنه بَصِيرٌ بجميعِ أعمالِهم ، لِيَجِدُّوا فى طاعتِه ؛ إذ كان ذلك مَذخورًا لهم عندَه حتى يُثِيبَهم عليه ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ . ولِيَحْذَرُوا معصيتَه ، إذ كان مُطَّلِعًا على راكِبِها ، بعد تَقَدُّمِه إليه فيها بالوعيدِ عليها ، وما أوْعَدَ عليه ربُّنا جل ثناؤُه فمَنْهِىٌّ عنه ، وما وعَد عليه فمأمورٌ به .

أما قولُه : ﴿ **بَصِيرٌ** ﴾ . فإنه مُبْصِرٌ ، صُرِف إلى بَصيرٍ ، كما صُرِف مُبْدِعٌ إلى بَدِيعٍ ، ومُؤْلِمٌ إلى أَليمٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو » .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَقَالُوا ﴾ : وقالت اليهودُ والنصارَى ، ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

فإن قال قائلٌ : وكيف جمعَ اليهودَ والنصارَى فى هذا الخبرِ ، مع اختلافِ
٤٩٢/١ مقالةِ الفريقَيْن ، واليهودُ تَدْفَعُ / النصارَى عن أن يكونَ لها فى ثوابِ اللَّهِ نصيبٌ ، والنصارَى تَدْفَعُ اليهودَ عن مثلِ ذلك ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلافِ الذى ذهبْتَ إليه ، وإنما عَنَى به : وقالت اليهودُ : لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا من كان [٤/١٥ظ] هودًا . وقالت النصارَى : لن يَدخُلَ الجنةَ إلا النصارَى . ولكنَّ معنى الكلامِ لما كان مفهومًا عند المخاطَبين به معناه ، جُمِع الفريقان فى الخبرِ عنهما ، فقيل : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

(١كما حدثنى موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ١) إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ الآية . قالت اليهودُ : لن يدخُلَ الجنةَ إلا مَن كان يهوديًّا . وقالت النصارَى : لن يدخُلَ الجنةَ إلا مَن كان نصرانيًّا(٢) .

وأما قولُه : ﴿ مَن كَانَ هُودًا ﴾ . فإن فى الهودِ قولين : أحدُهما ، أن يكونَ جمعَ هائدٍ ، كما عُوطٌ جمعُ عائطٍ(٣) ، وعُوذٌ جمعُ عائذٍ(٤) ، وحُولٌ جمعُ حائلٍ(٥) ، فيكونَ جمعًا للمذكرِ والمؤنثِ بلفظٍ واحدٍ ، والهائدُ : التائبُ الراجعُ إلى الحقِّ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩٢/١ عقب الأثر (١٠٩٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) العُوط : الناقة إذا لم تحمل سنين من غير عُقْر . التاج (ع و ط) .

(٤) العُوذ : الحديثات النِّتاج من الظباء والإبل والخيل ومن كل أنثى . التاج (ع و ذ) .

(٥) الحُول : كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل . التاج (ح و ل) .

والآخرُ، أن يكونَ مصدرًا أدَّى[(١)] عن الجميعِ، كما يقالُ: رجلٌ صَوْمٌ، وقَوْمٌ صَوْمٌ، ورجلٌ فِطْرٌ، وقومٌ فِطرٌ، ونسوةٌ فِطْرٌ.

وقد قيل: إن قولَه: ﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾. إنما هو: إلا مَن كان يهودِيًّا. ولكنَّه حُذِفَت الياءُ الزائدةُ، ورجَع إلى الفعلِ من اليهوديةِ. وقيل: إنه في قراءةِ أُبيٍّ: (إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا)[(٢)].

وقد بيَّنّا فيما مضَى معنى النصارَى، ولِمَ سُمِّيَتْ بذلك وجُمِعت كذلك، بما أغْنَى عن إعادتِه[(٣)].

وأما قولُه: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾. فإنه خبرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه عن قولِ الذين قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾. أنه أمانيُّ منهم يَتَمَنَّوْنها على اللَّهِ، بغيرِ حقٍّ ولا حُجَّةٍ ولا برهانٍ، ولا يقينِ علمٍ بصحةِ ما يَدَّعون، ولكنْ بادِّعاءِ الأباطيلِ وأمانيِّ النفوسِ الكاذبةِ.

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ، قال: ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: أمانيُّ يَتَمَنَّوْنها على اللَّهِ كاذبةً[(٤)].

وحدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾. قال: أمانيُّ تمنَّوْا على اللَّهِ بغيرِ الحقِّ[(٥)].

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾.

---

(١) سقط من: م، ت١، ت٢، ت٣.

(٢) معانى القرآن للفراء ١/٧٣، وفيه أنها قراءة ابن مسعود أيضًا.

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٣٢- ٣٤.

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٧ عقب الأثر (١٠٩٥) معلقًا.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٧ عقب الأثر (١٠٩٥) من طريق ابن أبى جعفر به.

وهذا أمرٌ من اللَّهِ جل ثناؤه لنبيِّه ﷺ بدعاءِ الذين قالُوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ إلى أمرٍ عَدْلٍ بين جميعِ الفِرَقِ ؛ مُسلِمِيها ويهودِها ونصاراها ، وهو إقامةُ الحجةِ على دَعْواهم التى ادَّعَوْا من أن الجنةَ لا يَدخُلُها إلا من كان هودًا أو نَصارَى . يقولُ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ ، قلْ للزاعِمين أن الجنةَ لا يدخُلُها إلا من كان هودًا أو نصارَى ، دون غيرِهم من سائرِ البشرِ : هاتُوا حُجَّتَكم[(١)] على ما تزعُمون من ذلك ، فنُسَلِّمَ لكم [٤/١٦و] دَعْواكم ، إن كنتم فى دَعْواكم - مِن أن الجنةَ لا يدخُلُها إلا من كان هودًا أو نصارى - مُحِقِّين .

والبرهانُ : هو البيانُ والحجةُ والبيِّنةُ .

كما حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ . يقولُ : هاتوا بيِّنَتَكم[(٢)] .

٤٩٣/١ / وحدثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ : هاتُوا حُجَّتَكم[(٣)] .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حَجّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ . قال : حُجَّتَكم[(٤)] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) فى م : « برهانكم » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ (١٠٩٧) من طريق شيبان ، عن قتادة بنحوه .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) معلقًا .

الربيعِ : ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ . أى : حُجَّتَكم[١] .

وهذا الكلامُ وإن كان ظاهرُه ظاهرَ دعاءٍ للقائلين : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . إلى إحضارِ حجةٍ على دَعْواهم ما ادَّعَوا من ذلك ، فإنه بمعنى تكذيبٍ من اللَّهِ لهم فى دَعْواهم وقيلِهم ؛ لأنهم لم يكونوا قادِرين على إحضارِ برهانٍ على دَعْواهم تلك أبدًا .

وقد أبان قولُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ . على أن الذى ذُكِرَ[٢] من الكلامِ بمعنى التكذيبِ لليهودِ والنصارَى فى دَعْواهم ما ذكَر اللَّهُ عنهم .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ فإنه : أَحْضِرُوا وأْتُوا به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ : ليس الأمرُ[٣] كما قال الزاعمون : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . ولكن مَن أَسلمَ وجهَه للَّهِ وهو مُحسِنٌ ، فهو الذى يَدخُلُها ويُنَعَّمُ فيها .

كما **حدثنى** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : أَخْبَرَهم[٤] مَن يدْخُلُ الجنةَ [٥]فقال : ﴿ بَلَىٰ[٥] مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ الآية .

وقد بيَّنَّا معنى « بَلى » فيما مضَى قبلُ[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) من طريق ابن أبى جعفر .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « ذكرنا » .

(٣) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣.

(٤) بعده فى م : « أن » .

(٥ - ٥) فى م : « هو » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٧٩ .

وأما قولُه : ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ . فإنه يَعنى بإسلامِ الوجهِ التذلُّلَ لطاعتِه والإذعانَ لأمرِه . وأصْلُ الإسلامِ الاستسلامُ ؛ لأنه مِن : اسْتَسْلَمتُ له[1] . وهو الخُضوعُ لأمرِه . وإنما سُمِّىَ المسلمُ مسلمًا ؛ لخضوعِ جوارحِه لطاعةِ ربِّه .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ . يقولُ : أَخْلَصَ للَّهِ[2] .

وكما قال زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيلٍ[3] :

(٤وأَسْلَمْتُ٤) وَجْهِى لمن أسْلَمَتْ ... له المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلالا

يعنى بذلك : اسْتَسْلَمْتُ لطاعةِ من اسْتَسْلَم لطاعتِه المُزْنُ وانقَدْتُ[5] له .

١/٤٩٤ /وخصَّ اللَّهُ جل ثناؤُه بالخبرِ عمن أخبرَ عنه بقولِه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ بإسلامِ وجهِه له دون سائرِ [١٦/٤ظ] جوارحِه ؛ لأن أكرمَ أعضاءِ ابنِ آدمَ وجوارحِه وجهُه ، وهو أعظمُها عليه حرمةً وحقًّا ، فإذا خضَع لشىءٍ وجهُه الذى هو أكرمُ أجزاءِ جسدِه عليه ، فغيرُه من أجزاءِ جسدِه أَحْرَى أن يكونَ (٦قد خَضَعَ٦) له . ولذلك تَذْكرُ العربُ فى مَنْطِقِها الخبرَ عن الشىءِ فتُضِيفُه إلى وجهِه ، وهى تعنى بذلك نَفْسَ الشىءِ وعَيْنَه ، كقولِ الأعْشَى[7] :

---

(١) فى م : « لأمره » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٨/١ عقب الأثر (١٠٩٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣١، والأغانى ١٢٨/٣ .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ت ٢، والأغانى : « أسلمت » .

(٥) فى م ت١، ت٢، ت ٣: « انقادت » .

(٦ - ٦) فى م : « أخضع » .

(٧) ديوانه ص ١٤٣.

أُوَّلُ[1] الحُكْمَ على وجْهِهِ لَيْسَ قَضائِي بالهَوَى الجائِرِ

يعنى بقولِه : على وجهِه : على ما هو به مِن صحتِه وصوابِه . وكما قال ذو الرُّمَّةِ[2] :

فَطاوَعْتُ هَمِّى وَانْجلَى وَجْهُ بازِلٍ[3] مِن الأمرِ لم يَتْرُكْ خِلاجًا[4] بُزُولُها[5]

يريدُ : وانجلَى البازلُ[6] من الأمرِ فتبيَّن . وما أشْبَهَ ذلك ، إذ كان حُسْنُ كلِّ شيءٍ وقبحُه فى وجهِه ، فكان[7] وصْفُها مِن الشيءِ وجهَه بما تَصِفُه به ، إبانةً عن عينِ الشيءِ ونفسِه . فكذلك معنى قولِه جل ثناؤُه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ . إنما يعنى : بلى مَن أسلَم للَّهِ بدنَه ، فخضَع له بالطاعةِ جَسدُه ، وهو مُحسِنٌ فى إسلامِه له جسدَه ، فله أجرُه عندَ ربِّه . فاكْتفَى بذكرِ الوجهِ مِن ذكرِ جسدِه ، لدلالةِ الكلامِ على المعنى الذى أُرِيدَ به بذكرِ الوجهِ .

وأما قولُه : ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فإنه يعنى به : فى حالِ إحسانِه . وتأويلُ الكلامِ : بلى مَن أخلَص طاعتَه [8]وعبادتَه للَّهِ[8] محسنًا فى فعلِه ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ : فللمُسْلمِ وجهَه للَّهِ محسنًا ، جزاؤُه وثوابُه على إسلامِه وطاعتِه ربَّه ، عندَ اللَّهِ فى معادِه .

---

(١) فى النسخ : « وأوّل » . والمثبت من الديوان .
(٢) ديوانه ٢/ ٩٣٨.
(٣) فى النسخ ، ونسخة من الديوان : « نازل » ، والمثبت من بقية نسخ الديوان ، وأمر بازل : مستحكم ، وخطب بازل : شديد . التاج (ب ز ل) .
(٤) الخلاج : الشك . اللسان (خ ل ج) .
(٥) فى الأصل ، م ، ت : « نزولها » ، وفى ت٢ : « يرولها » . والمثبت من الديوان .
(٦) فى النسخ : « النازل » . والباء غير منقوطة فى الأصل .
(٧) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « وكان فى » .
(٨ - ٨) فى م ، ت١، ت ٢: « لله وعبادته له » .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ : (١) ولا خوفٌ (١) على المسلمين وجوهَهم للَّهِ وهم محسِنون ، المخلِصين للَّهِ الدينَ ، فى الآخرةِ مِن عقابِه وعذابِ جحيمِه ، ومما قَدِموا عليه مِن أعمالِهم .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : ولا هم يَحْزنون على ما خَلَّفوا وراءَهم فى الدنيا ، ولا أن يُمْنَعوا ما قَدِموا عليه مِن نعيمِ ما أعدَّ اللَّهُ لأهلِ طاعتِه .

وإنما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وقد قال قبلُ : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ . لأن ﴿ مَنْ ﴾ التى فى قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ فى لفظِ واحدٍ ومعنَى جمعٍ (٢) ، فالتوحيدُ فى قولِه : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾ للَّفظِ ، والجميعُ (٣) فى قولِه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . للمعنى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ .

[١٧/٤و] ذُكِرَ أن هذه الآيةَ نزَلت فى قومٍ مِن أهلِ الكتابين تنازَعوا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال ذلك (٤) بعضُهم لبعضٍ .

/ ذِكْرُ مَن قال ذلك ١/٤٩٥

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، **وحدَّثنا** أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قالا جميعًا : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت ٣ : « جميع » .
(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت ٣ : « الجمع » .
(٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت ٣ .

قَدِم أهلُ نَجْرانَ مِن النصارَى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أَتَتْهم أحبارُ يهودَ ، فتنازَعوا عندَ رسولِ اللَّه ﷺ ، فقال رافعُ بنُ حُرَيْمِلةَ : ما أنتم على شيءٍ . وكفَر بعيسى ابنِ مريمَ وبالإنجيلِ ، فقال رجلٌ مِن أهلِ نجرانَ مِن النصارى : ما أَنتم على شيءٍ . وجحَد نبوَّةَ موسى وكفَر بالتوراةِ ، فأنزَل اللَّهُ في ذلك مِن قولِهما : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[(١)] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ الكتابِ الذين كانوا على عهدِ النبيِّ ﷺ[(٢)] .

وأما تأويلُ الآيةِ فإنه : وقالت اليهودُ : ليست النصارَى في دينِها على صوابٍ . وقالت النصارى : ليست اليهودُ في دينِها على صوابٍ .

وإنما أخبَر اللَّهُ عنهم بقيلِهم ذلك المؤمنين[(٤)] ، إعلامًا منه لهم تَضْييعَ[(٥)] كلِّ فريقٍ منهم حُكمَ الكتابِ الذي يُظْهِرُ الإقرارَ بصِحتِه وأنه مِن عندِ اللَّهِ ، وجحودَهم مع ذلك ما أنزَل اللَّهُ فيه مِن فروضِه ؛ لأن الإنجيلَ الذي تَدينُ بصِحتِه وحقيقتِه النصارى ، يُحققُ ما في التوراةِ مِن نبوَّةِ موسى ، وما فرَض اللَّهُ على بني إسرائيلَ فيها مِن الفرائضِ ، وأن التوراةَ التي تَدينُ بصحتِها وحقيقَتِها اليهودُ ، تُحققُ نبوَّةَ عيسى ، وما

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٨/١ (١١٠٣) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في م ، ت١، ت٢، ت ٣: « للمؤمنين » .

(٥) في م ، ت١، ت٢، ت ٣: « بتضييع » .

جاء به مِن عندِ اللَّهِ مِن الأحكامِ والفرائضِ . ثم قال كلٌّ فريقٍ منهم للفريقِ الآخرِ ما أخبرَ اللَّهُ عنهم فى قولِه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ . مع تلاوةِ كلٍّ واحدٍ مِن الفريقين كتابَه الذى يشهَدُ على كذبِه فى قيلِه ذلك .

فأخْبَرَ جل ثناؤُه أن كلَّ فريقٍ منهم قال ما قال مِن ذلك ، على علمٍ منهم أنهم فيما قالوه مُبْطِلون ، وأتَوْا ما أتَوْا مِن كفرِهم بما كفروا به ، على معرفةٍ منهم بأنهم فيه مُلحِدون .

فإن قال لنا قائلٌ : أوَ كانت اليهودُ أو النصارَى بعدَ أن بعَث اللَّهُ رسولَه ﷺ على شىءٍ ، فيكونَ الفريقُ القائلُ ذلك منهم للفريقِ الآخرِ مُبطِلًا فى قيلِه ما قال مِن ذلك ؟

قيل : قد روَينا الخبرَ الذى ذكَرْناه عن ابنِ عباسٍ قبلُ ، مِن أن إنكارَ كلِّ فريقٍ منهم إنما كان إنكارًا لنبوَّةِ النبىِّ الذى كان يَنْتحِلُ التَّصْديقَ به وبما جاء به الفريقُ الآخرُ ، لا دفعًا منهم أن يكونَ الفريقُ الآخرُ - فى [٤/١٧ظ] الحالِ التى بعَث اللَّهُ فيها نبيَّنا ﷺ - على شىءٍ مِن دينِه ، بسببِ جحودِه نبوَّةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ . وكيف يجوزُ أن يكونَ معنى ذلك إنكارُ كلِّ فريقٍ منهم أن يكونَ الفريقُ الآخرُ على شىءٍ بعدَ ما بُعث نبيُّنا ﷺ ، وكلٌّ[(١)] الفريقين كان جاحدًا نبوَّةَ نبيِّنا ﷺ فى الحالِ التى أنزَل

١/٤٩٦ اللَّهُ فيها هذه الآيةَ ؟/ ولكن معنى ذلك : وقالت اليهودُ : ليست النصارَى على شىءٍ مِن دينِها منذ دانَتْ دينَها . وقالت النصارى : ليست اليهودُ على شىءٍ منذ دانَتْ دينَها . وذلك هو معنى الخبرِ الذى روَيناه عن ابنِ عباسٍ آنِفًا . فكَذَّب اللَّهُ الفريقين فى قيلِهما ما قالا .

---

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « كلا » .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ : (١)ألَا وبلَى(١) ! قد كانت أوائلُ النصارى على شيءٍ ، ولكنَّهم ابتدَعوا وتفرَّقوا ، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ : (٢)ألَا وبلَى ! قد كانت أوائلُ اليهودِ على شيءٍ(٢) ، ولكن القومَ (٣)افترَوا وتفرَّقوا وابتدَعوا(٣) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ(٤) : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ . قال : قال مجاهدٌ : قد كانت أوائلُ اليهودِ والنصارى على شيءٍ(٥) .

وأما قولُه : ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . فإنه يعنى كتابَ اللَّهِ التوراةَ والإنجيلَ ، وهما شاهدانِ على فريقَيِ اليهودِ والنصارى بالكفرِ ، وخِلافِهم أمرَ اللَّهِ الذى أمرَهم به فيه .

كما حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قالا جميعًا : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ . أى : كلٌّ يَتْلو فى كتابِه تصديقَ ما كفَر به ، أى : تَكْفُرُ اليهودُ بعيسى وعندَهم التوراةُ فيها ما أخَذ اللَّهُ عليهم مِن الميثاقِ على لسانِ موسى بالتصديقِ بعيسى ، وفى الإنجيلِ مما جاء

(١ - ١) فى م : « قال : بلى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣ - ٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « ابتدعوا وتفرقوا » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٨ إلى المصنف وعبد بن حميد ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٣.

(٤) فى ت٢: « أبى نجيح » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٢٣.

به عيسى تصديقُ موسى ، وما جاء به مِن التوراةِ مِن عندِ اللَّهِ ، وكلٌّ يَكْفُرُ بما في يدِ صاحبِه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ ﴾ .

اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى الذين عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ ﴾ . قال : وقالت النصارى مِثلَ قولِ اليهودِ قبلَهم[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، [(٣)] قال : حدثنا [١٨/٤و] يزيدُ ، قال : حدثنا[(٣)] سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ ﴾ قال : قالت النصارى مِثلَ قولِ اليهودِ قبلَهم[(٤)] .

وقال آخرون بما **حدَّثنا** به القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قلتُ لعطاءٍ : مَن هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أُممٌ كانت قبلَ اليهودِ والنصارى ، وقبلَ التوراةِ والإنجيلِ[(٥)] .

وقال بعضُهم : عَنَى بذلك مُشرِكى العربِ ؛ لأنهم لم يكونوا أهلَ كتابٍ ، فنُسِبوا إلى الجهلِ ، ونُفِى عنهم مِن أجلِ ذلك العلمُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٦) من طريق سلمة به .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٩) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٩) معلقا .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٨) من طريق حجاج به .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : / فهمُ العربُ ، قالوا : ليس محمدٌ على شيءٍ[(١)] . ٤٩٧/١

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندَنا أن يقالَ : إن اللَّهَ أخْبَر تبارك وتعالى عن قومٍ وصفَهم بالجهلِ ، ونفَى عنهم العلمَ بما كانت اليهودُ والنصارى به عالِمين - أنهم قالوا بجهلِهم نظيرَ ما قالت اليهودُ والنصارى بعضُها لبعضٍ ، مما أخْبَر اللَّهُ عنهم أنهم قالوه في قولِه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ . وجائزٌ أن يكونوا هم المشركين مِن العربِ ، وجائزٌ أن يكونوا أُمةً كانت قبلَ اليهودِ والنصارى ، ولا أمَّةٌ هي[(٢)] أوْلَى أن يُقالَ هي التي عُنِيت بذلك من الأُخْرى ، إذ لم يَكُنْ في الآيةِ دلالةٌ على أيٍّ من أيٍّ ، ولا خبرَ بذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ تثْبُتُ[(٣)] حجتُه من جهةِ النقلِ المُستفيضِ ، ولا مِن جهةِ نقلِ الواحدِ العدْلِ .

وإنما قصَد اللَّهُ جل ثناؤه بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ . إلى[(٤)] إعلامِ المؤمنين أن اليهودَ والنصارَى قد أتَوْا - مِن قيلِ الباطلِ ، وافتراءِ الكذبِ على اللَّهِ ، وجُحودِ نبوَّةِ الأنبياءِ والرسلِ ، وهم أهلُ كتابٍ يَعْلمون أنهم فيما يقولون مُبْطِلون ، وبجُحودِهم ما يجحَدون مِن ملتِهم خارِجون ، وعلى اللَّهِ مُفْترون - مِثلَ الذي قاله أهلُ الجهلِ باللَّهِ وكتُبِه ورسلِه الذين لم يَبْعثِ اللَّهُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « ثبتت » .

(٤) سقط من : م .

إليهم[1] رسولًا ، ولا أوْحَى إليهم كتابًا .

وهذه الآيةُ تُنبئُ عن[2] أن مَن أتَى شيئًا مِن معاصِى اللَّهِ على علمٍ منه بنَهْىِ اللَّهِ عنها ، فمُصيبتُه فى دينِه أعظمُ مِن مصيبةِ مَن أتَى ذلك جاهلًا به ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذِكرُه عظَّم توبيخَ اليهودِ والنصارَى بما وبَّخهم به - فى قِيلِهم ما أخبرَ عنهم بقولِه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ - مِن أجلِ أنهم أهلُ كتابٍ ، قالوا ما قالوا مِن ذلك على علمٍ منهم بأنهم فيه مُبْطِلون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ [٤/١٨ظ] يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فاللَّهُ يَقْضِى فيَفصِلُ بينَ هؤلاءِ المُختلِفين القائلِ بعضُهم لبعضٍ : لستم على شىءٍ مِن دينِكم . يومَ قيامِ الخلقِ لربِّهم مِن قبورِهم ، فيتبيَّنُ[4] المحقُّ منهم مِن المُبطِلِ ، بإيتائِه المحقَّ ما وعَد أهلَ طاعتِه على أعمالِهم الصالحةِ ، ومجازاتِه المُبطِلَ منهم بما أوْعَد أهلَ الكفرِ به على كفرِهم به ، فيما كانوا فيه يَخْتَلِفون مِن أديانِهم ومِلَلِهم فى دارِ الدنيا .

وأما « القيامةُ » ، فهى مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : قمتُ قِيامًا وقِيامةً . كما يقالُ : عُدْتُ فلانًا عِيادةً . و: صُنْتُ هذا الأمرَ صِيانةً . وإنما عنَى بالقيامةِ قيامَ الخلقِ مِن قبورِهم لربِّهم . فمعنى ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ : يومَ قيامِ الخلائقِ مِن قبورِهم لمحشرِهم .

---

(١) فى م : « لهم » .

(٢) فى ت١، ت٢: « على » .

(٣) فى م : « بإثابة » .

(٤) فى متن الأصل : « فيبين » ، وكتب مقابله : « فتبين » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ .

قد دَلَّلْنا فيما مضَى قبلُ على أن تأويلَ الظُّلمِ وَضْعُ الشيءِ فى غيرِ موضعِه[(١)] .

فتأويلُ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ : وأىُّ امرِئٍ أشدُّ تعدِّيًا وجُرأَةً على اللَّهِ وخلافًا لأمرِه ، مِن امرئٍ منَع مساجدَ اللَّهِ أن يُعبدَ اللَّهُ فيها ؟

٤٩٨/١ / والمساجدُ جمعُ مسجدٍ ، وهو كلُّ مَوضِعٍ عُبِدَ اللَّهُ فيه . وقد بيَّنا معنى السجودِ فيما مضَى[(٢)] . فمعنى المسجدِ : المَوضعُ الذى يُسْجَدُ للَّهِ فيه . كما يقالُ للموضعِ الذى يُجْلَسُ فيه : المجلِسُ . وللمَوضعِ الذى يُنزَلُ فيه : المَنزِلُ . ثم يُجمعُ منازلَ ومجالسَ ، نَظيرَ[(٣)] جمعِ مَسجدٍ ؛ مَساجدَ[(٣)] . وقد حُكِىَ سماعًا مِن بعضِ العربِ : مَسْجَدٌ[(٤)] . فى واحدِ المساجدِ ، وذلك كالخطأِ مِن قائلِه .

وأما قولُه : ﴿ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . فإن فيه وَجْهين مِن التأويلِ : **أحدُهما** ، أن يكونَ معناه : ومَن أظلمُ ممن منَع مساجدَ اللَّهِ مِن أن يُذكرَ فيها اسمُه . فتكونَ ﴿ أَن ﴾ حينئذٍ نصبًا فى[(٥)] قولِ بعضِ أهلِ العربيةِ بفَقْدِ الخافضِ ، وتَعلُّقِ الفعلِ بها . [(٦)]وفى قولِ بعضِهم خَفْضُها بمعنَى « مِن » وإن لم تكُنْ « مِن » ظاهرةً ، إذْ كان فى الكلامِ عليها دلالةٌ[(٦)] .

والوجهُ الآخرُ ، أن يكونَ معناه : ومَن أظلمُ ممن منَع أن يُذْكرَ اسمُ اللَّهِ فى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٧١٥ .

(٣ - ٣) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « مسجد ومساجد » .

(٤) فى م : « مساجد » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « من » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

مساجدِه . فتكونَ ﴿أَن﴾ حينئذٍ فى موضعِ نصبٍ تكريرًا على موضعِ [٤/١٩و] « المساجدِ » وردًّا عليه .

وأما قولُه : ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ . فإن معناه : ومَن أظلمُ ممن منَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكرَ فيها اسمُه ، وممن سعَى فى خرابِ مساجدِ اللَّهِ . فـ﴿وَسَعَىٰ﴾ إذن عطفٌ على ﴿مَنَعَ﴾ .

فإن قال لنا قائلٌ : ومَن الذين عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ ؟ وأىُّ المساجدِ هى ؟

قيل : **إن أهلَ التأويلِ فى ذلك مُختلِفون ؛ فقال بعضُهم** : الذين مَنَعوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكرَ فيها اسمُه هم النصارى ، والمسجدُ بيتُ المقدسِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أَبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ : فإنَّهم النصارى[(١)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ : النصارى ، كانوا يَطْرَحون فى بيتِ المقدسِ الأذى ، ويَمْنعون الناسَ أن يُصلُّوا فيه[(٢)] .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٠ (١١١١) عن محمد بن سعد به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٠(١١١٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٨ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثني المُثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهد مثلَه .

وقال آخرون : بل هو بُخْتُنَصَّرَ وجندُه ، ومَن أعانَهم مِن النصارى ، والمسجدُ مسجدُ بيتِ المقدسِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ الآية : أولئك أعداءُ اللَّهِ النصارى ، حملَهم بُغْضُ اليهودِ على أن أعانوا بُخْتَنَصَّرَ البابليَّ المجوسيَّ على تخريبِ بيتِ المقدسِ[(١)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ قال : هو بُخْتُنَصَّرَ وأصحابُه ، خرَّب بيتَ المقدسِ ، وأعانَه على ذلك النصارى[(٢)] .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ / ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ : فإن[(٣)] الرُّومَ كانوا ٤٩٩/١
ظاهروا بُخْتَنَصَّرَ على خرابِ بيتِ المقدسِ حتى خرَّبه ، وأمَر به أن تُطْرَحَ فيه الجِيفُ ، وإنما أعانَه الرومُ على خرابِه مِن أجلِ أن بني إسرائيلَ قتَلوا يحيى بنَ

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٨ إلى عبد بن حميد ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٤.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٥٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢١٠ (١١١٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) في م ، ت١، ت٢، ت ٣: « قال » .

زَكَريا[1] .

وقال آخرون: بل عَنَى اللَّهُ عز وجل بهذه الآيةِ مُشْرِكى قريشٍ ، إذ مَنَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن المسجدِ الحرامِ .

[١٩/٤ظ] ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ . قال : هؤلاء المشركون حين حالُوا بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيبيةِ وبينَ أن يَدْخُلَ مكةَ ، حتى نحَر هديَه بذِى طُوًى وهادَنَهم ، وقال لهم : « ما كان أحدٌ يُرَدُّ عن هذا البيتِ ، وقد كان الرجلُ يَلْقَى قاتلَ أبيه أو أخيه فيه فما يصدُّه ! » فقالوا : لا يَدْخُلُ علينا مَن قتَل آباءَنا يومَ بدرٍ وفينا باقٍ . وفى قولِه : ﴿ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ قال[2] : إذا قطَعوا مَن يَعمُرُها بذِكْرِه ، ويأْتِيها للحجِّ والعمرةِ[3] .

وأَوْلَى التأويلاتِ التى ذَكَرناها بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : عَنَى اللَّهُ عز وجل بقولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ النصارى ، وذلك أنهم هم الذين سعَوا فى خرابِ بيتِ المقدسِ ، وأعانوا بُخْتَنَصَّرَ على ذلك ، ومنَعوا مُؤْمنى بنى إسرائيلَ مِن الصلاةِ فيه بعدَ مُنْصرَفِ بختِنصَّرَ عنهم إلى بلادِه .

والدليلُ على صحةِ ما قلنا فى ذلك ، قيامُ الحُجةِ بأن لا قولَ فى معنى هذه الآيةِ إلا أحدُ الأقوالِ الثلاثةِ التى ذكرناها ، وأن لا مسجدَ عَنَى اللَّهُ عزّ وجل بقولِه : ﴿ فِى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١١٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « قالوا » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٢٤/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٨/١ إلى المصنف .

خَرَابِهَآۚ ﴾ إلا أحدُ المَسجدَيْن ، إما مَسْجدُ بيتِ المقدسِ ، وإما المسجدُ الحرامُ . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلومًا أن مُشرِكى قريشٍ لم يَسْعَوا قَطُّ فى تخريبِ المسجدِ الحرامِ ، وإن كانوا قد منَعوا فى بعضِ الأوقاتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه مِن الصلاةِ فيه ، صحَّ وثبَت أن الذين وصفَهم اللَّهُ عزّ وجل بالسعيِ فى خرابِ مساجدِه ، غيرُ الذين وصفَهم اللَّهُ بعمارتِها ، إذ كان مُشْرِكو[(١)] قريشٍ هم[(٢)] بنَوا المسجدَ الحرامَ فى الجاهليةِ ، وبعِمارتِه كان افْتِخارُهم ، وإن كان بعضُ أفعالِهم فيه كان منهم على غيرِ الوجهِ الذى يَرْضاه اللَّهُ منهم . وأُخرى أن الآيةَ التى قبلَ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . مضَت بالخبرِ عن اليهودِ والنصارَى وذمِّ أفعالِهم ، والتى بعدَها عقَّبَت[(٣)] بذمِّ النصارَى والخبرِ عن افترائِهم على ربِّهم ، ولم يَجْرِ لقريشٍ ولا لمُشركى العربِ ذِكْرٌ ، ولا للمسجدِ الحرامِ قبلَها ، فيُوجَّهَ الخبرُ بقولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . إليهم وإلى المسجدِ الحرامِ . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أوْلَى بالآيةِ أن يُوجَّهَ تأويلُها إليه ، هو ما كان نَظيرَ قصةِ الآيةِ قبلَها والآيةِ بعدَها ، إذ كان خبرُها لخبرِهما نظيرًا وشكلًا ، إلا أن تقومَ حُجةٌ يجِبُ التسليمُ لها بخلافِ ذلك ، وإن اتفَقت قصصُها فاشْتَبهت .

١/٥٠٠ /فإن ظنَّ ظانٌّ أن ما قلنا فى ذلك ليس كذلك - إذ كان المسلمون لم يَلْزمْهم قَطُّ فرضُ الصلاةِ فى [(٤)]مسجدِ بَيْتِ[(٤)] المقدسِ فَمُنِعوا مِن الصلاةِ فيه ،

---

(١) فى م : « مشرك » .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) فى م : « نبهت » .

(٤ - ٤) فى م : « المسجد » .

فيجوزَ[١] توجيهُ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن [٢٠/٤و] يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ . إلى أنه مَعْنيٌّ به مسجدُ بيتِ المقدسِ - فقد أخطأَ فيما ظَنَّ مِن ذلك . وذلك أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه إنما ظلَّمَ[٢] مَن منَع مَن كان فرضَه الصلاةُ فى مسجدِ بيتِ المقدسِ مِن مؤمنى بنى إسرائيلَ ، وإياهم قصَد بالخبرِ عنهم بالظلمِ ، والسَّعْيِ فى خرابِ المسجدِ ، وإن كان قد دلَّ بعمومِ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ أن كلَّ مـانعٍ مصليًا فى مسجدٍ للَّهِ ، فرضًا كانت صلاتُه فيه أو تطوعًا ، وكلَّ ساعٍ فى خرابِه[٣] ، فهو مِن المُعْتدين الظالمين .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جل ثناؤُه عمَّن مَنَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه ، أنه قد حَرَّم عليهم دخولَ المساجدِ التى سَعَوا فى تخريبِها ، ومَنَعوا عبادَ اللَّهِ المؤمنين مِن ذكرِ اللَّهِ عز وجل فيها ما داموا على مُناصَبةِ الحربِ ، إلا على خوفٍ ووَجَلٍ مِن العقوبةِ على دُخولِهموها .

كالذى **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ : وهم اليومَ كذلك ، لا يُوجَدُ نَصرانيٌّ فى بيتِ المقدسِ إلا نُهِك ضربًا ، وأُبْلِغ إليه فى العقوبةِ .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : قال اللَّهُ عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ . وهم

---

(١) فى م : « فيلجئون » .

(٢) فى م : « ذكر ظلم » .

(٣) فى م : « إخرابه » .

النَّصارَى ، فلا يَدْخُلون المسجدَ[(١)] إلا مُسارَقةً ، إن قُدِرَ عليهم عُوقِبوا[(٢)] .

وحدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ : فليس فى الأرضِ رومىٌّ يَدْخُلُه اليومَ إلا وهو خائفٌ أن تُضْرَبَ عُنقُه ، أو قد أُخِيفَ بأداءِ الجِزْيةِ فهو يُؤَدِّيها[(٣)] .

وحدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ . قال : نادَى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَّا[(٤)] يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشْرِكٌ ، ولا يَطُوفَ بالبيتِ عُرْيانٌ » . قال : فجعَل المُشرِكون يقولون : اللهم إنا مُنِعْنا أن نُبَرَّكَ[(٥)] .

وإنما قِيلَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ فأُخرِج على وجهِ الخبرِ عن الجميعِ وهو خبرٌ عمّن منَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه ؛ لأن « مَن » فى مَعْنَى الجمعِ وإن كان لفظُه واحدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا [٤/٢٠ظ] خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

أما قولُه : ﴿ لَهُمْ ﴾ . فإنه يَعْنى : للذين أَخْبَرَ عنهم أنهم مَنَعوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه .

---

(١) بعده فى الأصل : « الحرام » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١١ (١١١٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١١ (١١١٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « لا » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « ننزل » .

وقوله : « ألّا يحج بعد العام مشرك ... » . متفق عليه من حديث أبى هريرة ، أن أبا بكر بعثه ... يؤذن بمنى : ألا لا يحج ... وينظر فتح البارى لابن رجب ٢/ ٤٠١، ٤٠٢، وسيأتى من طرق فى أول سورة التوبة .

وأما قولُه : ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ . فإنه يَعْنى بالخزيِ الشرَّ والعارَ والذِّلةَ ؛ إما القتلُ والسَّبئُ ، وإما الذِّلةُ والصَّغارُ بأداءِ الجزيةِ .

١/٥٠١ /كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ . قال : يُعْطُون الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرون[(١)] .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَه : ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ : أما خزيُهم فى الدنيا ، فإنهم إذا قام المَهْدىُّ وفُتِحَت القُسْطَنطينيةُ قَتَلهم ، فذلك الخزىُ[(٢)] .

[(٣)]وأما قولُه : ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ . فإن الآخرةَ صفةٌ للدارِ . وقد بيَّنَّا فيما مضَى قبلُ لِمَ قيلَ لها : آخرةٌ[(٣)] .

وأما العذابُ العظيمُ ، فإنه عذابُ جهنمَ الذى لا يُخَفَّفُ عن أهلِه ، ولا يُقْضَى عليهم فيه[(٤)] فيموتوا .

وتأويلُ الآيةِ : لهم فى الدنيا الذلةُ والهوانُ ، والقتلُ والسبئُ ، على مَنْعِهم مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه ، وسَعْيِهم فى خرابِها ، ولهم على مَعْصِيتِهم وكفرِهم بربِّهم ، وسعيِهم فى الأرضِ فسادًا ، عذابُ جهنمَ ، وهو العذابُ العظيمُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١١ (١١١٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١١ (١١١٨) من طريق عمرو به .

(٣ - ٣) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت٣ . وينظر ما تقدم فى ١/ ٢٥١.

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فيها » .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ : للَّهِ مِلْكُهما وتَدْبيرُهما ، كما يُقالُ : لفلانٍ هذه الدارُ . يَعْنى أنها له مِلْكًا ، فكذلك قولُه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ . يَعْنى أنهما له مِلْكًا وخَلْقًا .

والمَشْرِقُ : موضعُ شُروقِ الشمسِ ، وهو موضعُ طلوعِها (١) منه . وكذلك المغربُ : الموضعُ الذى تَغْرُبُ فيه (١) ، كما يُقالُ لموضعِ طلوعِها منه : مَطْلِعُ . بكسرِ اللَّامِ ، كما بَيَّنَّا فى مَعْنَى المَسْجِدِ آنفًا .

فإن قال قائلٌ : أَوَما للَّهِ إلا مشرِقٌ واحدٌ ومغرِبٌ واحدٌ ، حتى قِيلَ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ ؟

قيل : إن معنى ذلك غيرُ الذى ذهَبتَ إليه ، وإنما معنى ذلك : وللَّهِ المشرِقُ الذى تَشْرُقُ منه الشمسُ كلَّ يومٍ ، والمغرِبُ الذى تَغْرُبُ فيه كلَّ يومٍ . فتأويلُه إذْ كان ذلك مَعْناه : وللَّهِ ما بينَ قُطْرِي المشرقِ وما بينَ قُطْرِي المغربِ . إذ كان شروقُ الشمسِ كلَّ يومٍ مِن موضعٍ منه لا تَعودُ لشروقِها منه إلى الحولِ الذى بعدَه ، وكذلك غروبُها كلَّ يومٍ .

فإن قال قائلٌ : أَوَ ليس - وإن كان تأويلُ ذلك ما [٢١/٤و] ذكرتَ - للَّهِ كلُّ ما دونَه ، والخلقُ خلقُه ؟ قيل : بَلَى .

فإن قال : فكيف خصَّ المشارقَ والمغاربَ بالخبرِ عنها أنها له فى هذا الموضعِ دونَ سائرِ الأشياءِ غيرِها ؟

قِيلَ : **قد اختَلف أهلُ التأويلِ** فى السببِ الذى مِن أجلِه خصَّ اللَّهُ ذِكْرَ ذلك بما خصَّه به فى هذا الموضعِ ، ونحن مُبيِّنو الذى هو أَوْلَى بتأويلِ الآيةِ بعدَ ذِكْرِنا أقوالَهم فى ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : خصَّ اللَّهُ ذلك بالخبرِ عنه (٢) مِن أجلِ أن اليهودَ كانت تُوَجِّهُ فى صلاتِها وجوهَها قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(١) وأصحابُه يَفْعلون(١) ذلك مُدَّةً ، ثم حُوِّلوا إلى الكعبةِ ، فاستَنْكرت اليهودُ ذلك مِن فعلِ النبيِّ ﷺ فقالوا : ما ولَّاهم عن قِبْلَتِهم التى كانوا عليها . فقال اللَّهُ تبارك وتعالى لهم : المشارقُ والمغاربُ كلُّها لى ، أصْرِفُ وجوهَ عِبادِى كيف أشاءُ منها ، فأينَما(٢) تُوَلُّوا فثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ .

١/٥٠٢ / ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان أولَ ما نسَخَ اللَّهُ مِن القرآنِ القبلةُ ، وذلك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما هاجَر إلى المدينةِ ، وكان أكثرَ أهلِها اليهودُ ، أمرَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ أن يَسْتَقبلَ بيتَ المقدسِ ، ففَرِحت اليهودُ ، فاسْتَقْبلها رسولُ اللَّهِ ﷺ بضعةَ عشرَ شهرًا ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ قِبْلةَ إبراهيمَ ، فكان يَدْعُو ويَنْظُرُ إلى السماءِ ، فأنْزَل اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . فارْتاب مِن ذلك اليهودُ ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ ﴾ . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ ﴾ [البقرة : ١٤٢] . وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا(٣) تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ ﴾(٤) .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ بنحوِه(٥) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يفعل » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فحيثما » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « أينما » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٨/١ ، ٢٥٣ (١٣٢٩ ، ١٣٥٥) ، والنحاس فى ناسخه ص ٧١ ، والبيهقى ٢/ ١٢ ، ١٣ من طريق أبى صالح به . وأخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ١٦ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٢/١ (١١٢٣) ، والبيهقى ١٢/٢ ، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٤٤ من طريق عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، نحوه . وعطاء لم يسمع من ابن عباس ، كما تقدم فى ص ٨٤ . وسيأتى فى ص ٦١٦- مختصرا - ، ٦٢٢ ، ٦٥٧ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ٢١٢/١ عقب الأثر (١١٢٣) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وينظر =

وقال آخرون : بل أنزل اللَّهُ هذه الآيةَ قبلَ أن يَفرِضَ على محمدٍ نبيِّه ﷺ وعلى المؤمنين به ، التوجُّهَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وإنما أنزلها عليه مُعْلِمًا نبيَّه بذلك وأصحابَه أن لهم التوجُّهَ بوجُوهِهم للصلاةِ حيث شاءوا مِن نواحى المشرقِ والمغربِ ؛ لأنهم لا يُوجِّهون وُجوهَهم وَجْهًا مِن ذلك وناحيةً ، إلا كان جلَّ ثناؤُه فى ذلك الوجهِ وتلك الناحيةِ ؛ لأن له المشارقَ والمغاربَ ، وأنه لا يَخْلو منه مكانٌ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة : ٧] . قالوا : ثم نَسَخَ ذلك بالفرضِ الذى فَرَضَ عليهم فى التوجُّهِ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ[(١)] .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : ثم نسخ ذلك بعدَ ذلك ، فقال اللَّهُ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾[(٢)] .

[(٣)]**وحدَّثنى** الحسنُ بنُ يحيى[(٣)] ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . قال : هى القِبلةُ ، [٤/ ٢١ظ] ثم نسَختها القِبلةُ إلى المسجدِ الحرامِ .

= الدر المنثور ١/ ١٠٨، ١٠٩.

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٢٧ تعليقا على قول المصنف هذا : هكذا قال ، وفى قوله : « وإنه لا يخلو منه مكان » . إن أراد علمه تعالى فصحيح ، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى ، فلا تكون محصورة فى شيء من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وهذا ما سيذكره المصنف فى تفسير الآية من سورة المجادلة .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٩٥٨) من طريق يزيد به ، وأخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ١٤٥ من طريق سعيد به نحوه . وأخرجه ابن الجوزى ص ١٤٦ من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٠٩ إلى عبد بن حميد .

(٣ - ٣) فى م : « حدثت عن الحسن » .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ بنُ المِنهالِ ، قال : حدَّثنا همَّامُ بنُ[(١)] يحيى ، قال : سمِعتُ قتادةَ في قولِ اللَّهِ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كانوا يُصَلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ قبلَ الهجرةِ ، وبعدَ ما هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ صلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم وُجِّهَ بعدَ ذلك نحوَ الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فنسَخها اللَّهُ في آيةٍ أُخرى : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ إلى : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ . قال : فنسَخت هذه الآيةُ ما كان قبلَها مِن أمرِ القِبلةِ[(٢)] .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمِعتُه - يعني[(٣)] ابنَ زيدٍ[(٣)] - يقولُ : قال اللَّهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هؤلاءِ قومُ يهودَ يَسْتَقْبِلون بيتًا مِن بُيوتِ اللَّهِ - [(٤)]لبيتِ
١/٥٠٣ المَقْدسِ[(٤)] - لو أنَّا اسْتَقْبلناه » . فاسْتَقْبله / النبيُّ ﷺ ستةَ عشرَ شهرًا ، فبلَغه أن يهودَ تقولُ : واللَّهِ ما درَى محمدٌ وأصحابُه أين قِبلتُهم حتى هَدَيْناهم . فكَرِه ذلك النبيُّ ﷺ ، ورفَع وَجهَه إلى السماءِ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية[(٥)] .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ على النبيِّ ﷺ إذْنًا مِن اللَّهِ عز وجل له أن يُصَلِّيَ التطوعَ حيثُ توجَّه وجهُه مِن شرقٍ أو غربٍ ، في مسيرِه في سفرِه ، وفي حالِ المُسايفةِ وشدَّةِ الخوفِ والتقاءِ الزُّحوفِ - الفرائضَ ، وأعلَمه أنه حيثُ وجَّه وجهَه فهو هنالك ، بقولِه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال ثنا » .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ١٤٥ من طريق همام به نحوه .

(٣ - ٣) في م : « زيدًا » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زيد » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) ذكره النحاس في ناسخه ص ٧٦ ، ٧٧ معلقًا .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ ، عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عمرَ أنه كان يُصَلِّى حيثُ تَوجَّهتْ به راحِلتُه ، ويَذْكُرُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَفْعلُ ذلك ، ويتأوَّلُ هذه الآيةَ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[(١)] .

وحدَّثنى أبو السائبِ سَلْمُ بنُ جُنَادةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ فُضيلٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عمرَ أنه قال : لمَّا[(٢)] نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : أن تُصَلِّىَ أينما[(٣)] توجَّهتْ بك راحِلتُك فى السفرِ تَطوعًا ، كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا رجَع مِن مكةَ يُصَلِّى على راحلتِه تَطوعًا ، يُومِئُ برأْسِه نحوَ المدينةِ[(٤)] .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ فى قومٍ عَمِيت عليهم القِبلةُ فلم يَعْرِفوا شَطْرَها ، فصلَّوا على أنحاءٍ مختلفةٍ ، فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لهم : لىَ المشارقُ والمغاربُ ، فأينَ[(٥)] ولَّيتم وجوهَكم فهنالك وَجْهِى ، وهو قِبلَتُكم . يُعْلِمُهم[(٦)] بذلك أن صلاتَهم ماضيةٌ .

---

(١) أخرجه أحمد ٩/٤٨ (٥٠٠١) عن عبد اللَّه بن إدريس به . وأخرجه أحمد ٨/٣٣٧ (٤٧١٤) ، ومسلم (٧٠٠/ ٣٣، ٣٤) ، والترمذى (٢٩٥٨) ، والمروزى فى السنة (٣٧٧) ، والنسائى (٤٩٠) ، وابن خزيمة (١٢٦٧) ، والنحاس فى ناسخه ص ٧٨، والحاكم ٢/ ٢٦٦، والبيهقى ٢/ ٤، والواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٤١ ، من طرق عن عبد الملك به .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إنما » .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « حيثما » .

(٤) أخرجه ابن خزيمة (١٢٦٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٢ (١١٢١) من طريق ابن فضيل به .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فإن » .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « معلمهم » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : حدثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ ، قال : حدثنا أبو الرَّبيعِ السَّمَّانُ ، عن عاصمِ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، عن أبيه ، قال : كنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ليلةٍ سوداءَ مظلمةٍ ، فنزَلْنا مَنْزِلًا ، فجعَل الرجلُ يأْخذُ الأحجارَ فيَعْملُ مسجدًا يُصَلِّى فيه ، فلما أن أصْبَحْنا إذا نحن قد صلَّينا على غيرِ القبلةِ ، فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد صلَّينا ليْلتَنا هذه لغيرِ القبلةِ . فأنزل اللَّهُ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)] .

وحدَّثنى المُثنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدثنا حمَّادٌ ، قال [(٢)] أخبرنا حمادٌ ، قال[(٢)] : قلتُ للنَّخعِىِّ : إنى كنت اسْتَيْقظتُ - أو قال : أُيْقظتُ[(٣)] . شكَّ أبو جعفرٍ - فكان فى السماءِ سحابٌ ، فصَلَّيتُ لغيرِ القِبلةِ ، قال : مضَت صلاتُك ، يقولُ اللَّهُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[(٤)] .

[٢٢/٤و] **حدَّثنا** سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدثنا أبى ، عن أشعثَ السَّمَّانِ ، عن عاصمِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، عن أبيه ، قال : كنا مع النبىِّ ﷺ فى ليلةٍ مُظْلمةٍ فى سفرٍ ، فلم نَدْرِ أين القِبلةُ ،/ فصَلَّينا ؛ وصَلَّى كلُّ رجلٍ[(٥)] منا على حِيالِه ، ثم أصبَحْنا فذكَرنا ذلك للنبىِّ ﷺ ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ ١/٥٠٤

---

(١) حديث ضعيف . أخرجه الطيالسى (١٢٤١) ، وعبد بن حميد (٣١٦) ، وابن ماجه (١٠٢٠) ، والبزار (٣٨١٢) ، والعقيلى ١/ ٣١، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١٢٠) ، والطبرانى فى الأوسط (٤٦٠) ، والدارقطنى ١/ ٢٧٢، والبيهقى ٢/ ١١، وأبو نعيم فى الحلية ١٧٩/١ ، وابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٨، ١٣٩ من طريق أبى الربيع السمان به ، وأبو الربيع وعاصم ضعيفان . وقال العقيلى : حديث عامر بن ربيعة ليس يُروى من وجه يثبت متنه . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، وهو حماد بن سلمة ، عن حماد بن أبى سليمان .

(٣) فى م : « أوقظت » .

(٤) ذكره النحاس فى ناسخه ص ٧٧ معلقا .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « واحد » .

وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[(١)] .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ فى سببِ النجاشىِّ ؛ لأن أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَنازعوا فى أمرِه ؛ مِن أجلِ أنه مات قبلَ أن يُصَلِّىَ[(٢)] القبلةَ ، فقال لهم اللَّهُ : المشارقُ والمغاربُ كلُّها لى ، فمَن وَجَّه وجهَه نحوَ شىءٍ منها يريدُنى به ، ويَبْتَغِى به طاعتى ، وجدَنى هنالك . يعنى بذلك أن النجاشىَّ وإن لم يكن صَلَّى[(٢)] القبلةَ ، فإنه كانَ يُوجِّهُ إلى بعضِ وُجوهِ المشارقِ أو المغاربِ وَجْهَه ، يَبْتَغى بذلك رضا اللَّهِ فى صلاتِه .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا [(٣)] معاذُ بنُ هشامٍ[(٣)] ، قال : حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ أن النبىَّ ﷺ قال : « إن أخاكم النَّجاشىَّ قد مات فصَلُّوا عليه » . قالوا : أنُصَلِّى على رجلٍ ليس بمسلمٍ ! قال : فنزلَت : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران : ١٩٩] . قال قتادةُ : فقالوا : وإنه كان لا يُصَلِّى[(٢)] القبلةَ . فأنزَل اللَّهُ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[(٤)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك [(٥)] أن يقالَ[(٥)] : إن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه إنما خصَّ الخبرَ عن المشرقِ والمغربِ فى هذه الآيةِ بأنهما له مِلْكًا - وإن كان لا شىءَ إلَّا وهو له

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٤٥، ٢٩٥٧) ، والدارقطنى ١/ ٢٧٢، والواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥ من طريق وكيع به .

(٢) بعده فى م : « إلى » .

(٣ - ٣) فى م : « هشام بن معاذ » ، وينظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢١٥.

(٤) سيأتى تخريجه فى سورة آل عمران .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

مِلْكٌ - إعلامًا منه لعبادِه المؤمنين أن له مِلْكَهما ومِلكَ ما بينَهما مِن الخلائقِ ، وأن على جميعِهم - إذ كان له مِلْكُهم - طاعتَه فيما أمرَهم ونهاهم ، وفيما فرَض عليهم مِن الفرائضِ ، والتوجيهَ[1] نحوَ الوجهِ الذى وُجِّهوا إليه ، إذ كان مِن حكمِ المماليكِ طاعةُ مالكِهم ، فأخرَج الخبرَ عن المشرقِ والمغربِ ، والمرادُ به ما[2] بينَهما مِن الخلقِ ، على النحوِ الذى قد بيَّنتُ مِن الاكْتفاءِ بالخبرِ عن سببِ الشىءِ مِن ذِكْرِه والخبرِ عنه ، كما قِيل : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . وما أشْبَهَ ذلك[3] .

فمَعْنَى الآيةِ إذن : وللَّهِ مِلْكُ الخلقِ الذى بينَ المشرقِ والمغربِ ، [4]يستعبِدُهم بما يشاءُ[4] ، ويَحْكُمُ فيهم ما يُريدُ ، عليهم طاعتُه ، فولُّوا أيها المؤمنون وجوهَكم نحوَ وجهِى ، فإنكم أينما تُوَلُّوا[5] وجوهَكم فهنالك وَجْهِى .

فأما القولُ فى : هل هذه الآيةُ ناسخةٌ أم منسوخةٌ ؟ أم لا هى ناسخةٌ ولا منسوخةٌ ؟ فإن الصوابَ فيه مِن القولِ أن يقالَ : إنها آيةٌ جاءت مجىءَ العمومِ ، والمرادُ منها الخاصُّ ، وذلك أن قولَه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . مُحْتَمِلٌ : فأينما تُوَلُّوا فى حالِ سيرِكم فى أسفارِكم فى صلاتِكم التَّطوعَ ، وفى حالِ مسايفتِكم[6] عدوَّكم فى تَطوُّعِكم ومكتوبتِكم - فثَمَّ وجهُ اللَّهِ . كما قال ابنُ عمرَ والنَّخَعىُّ ومَن قال ذلك ممن ذكَرنا ذلك عنه آنفًا .

ومُحْتَمِلٌ : فأينما تُوَلُّوا مِن أرضِ اللَّهِ فتَكونوا بها - فثَمَّ قِبلةُ اللَّهِ التى تُوجِّهون

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التوجه » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « من » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤ - ٤) فى م : « يتعبدهم بما شاء » .

(٥) فى الأصل : « تولون » .

(٦) فى الأصل : « مسابقتكم » .

وُجوهَكم إليها ؛ لأن الكعبةَ مُمْكِنٌ لكم التوجُّهُ إليها منها .

كما **حدَّثنا**[1] أبو كُرَيبٍ ، قال : **حدَّثنا** وكيعٌ ، **عن** أبى سِنانٍ ، عن الضحاكِ ، والنضرِ بنِ عَرَبىٍّ ، عن مجاهدٍ / فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . قال : قِبلةُ اللَّهِ ، [٢٢/٤ظ] فأينما كُنْتَ مِن شرقٍ أو غربٍ فاسْتَقْبِلْها[2] . ١/٥٠٥

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخْبَرنى إبراهيمُ[3] بنُ أبى بكرٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : حيثُما كُنْتُم فلكم قِبلةٌ تَسْتقبِلُونها . قال : للكعبةِ[4] .

ومُحْتمِلٌ : فأينما تُوَلُّوا وجوهَكم فى دُعائِكم لى ، فهنالك وَجْهِى ، أَسْتَجِبْ لكم دعاءَكم .

كما **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال مجاهدٌ : لمَّا نزَلت : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . قالوا : إلى أين ؟ فنزَلت : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[5] .

فإذ كان قولُه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . مُحْتمِلًا ما ذكَرنا مِن الأوجُهِ ، لم يكنْ لأحدٍ أن يَزْعُمَ أنها ناسخةٌ ولا منسوخةٌ إلا بحُجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ؛ لأن

---

(١) فى م : « قال » .

(٢) أخرجه الترمذى ١٨٩/٥ (٢٩٥٨) عن أبى كريب ، عن وكيع ، عن النضر ، عن مجاهد . وأخرجه البيهقى ١٣/٢ من طريق أبى أسامة ، عن النضر به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٩/١ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد .

(٣) بعده فى م : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٦٣/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٢/١ (١١٢٢) من طريق حجاج به .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٠/١ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٩/١ إلى المصنف وابن المنذر .

الناسخَ لا يكونُ إلا لمنسوخٍ[(١)] ، ولم تَقُمْ حُجةٌ يَجِبُ التسليمُ لها بأن قولَه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . مَعْنِيٌّ به : فأينما تُوَلُّوا وجوهَكم فى صلاتِكم فثَمَّ قِبلتُكم . ولا أنها نزَلت بعدَ صلاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه نحوَ بيتِ المقدسِ ، أمرًا مِن اللَّهِ لهم بها أن يَتوجَّهوا نحوَ الكعبةِ ، فيَجُوزَ أن يقالَ : هى ناسخةُ الصلاةَ نحوَ بيتِ المقدسِ . إذ كان مِن أهلِ العلمِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ وأئمةِ التابعين مَن يُنْكِرُ[(٢)] أن تكونَ نزَلت فى ذلك المعنى ، ولا خبرَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ثابتٌ بأنها نزَلت فيه ، وكان الاخْتلافُ فى أمرِها موجودًا على ما وَصَفْتُ . ولا هى - إذ لم تكنْ ناسخةً لِما وَصَفْنا - قامَت حُجتُها بأنها منسوخةٌ ، إذ كانت مُحْتمِلةً ما وَصَفنا مِن أن تكونَ جاءت بعمومٍ و[(٣)] معناها فى حالٍ دونَ حالٍ - إن كان عُنِىَ بها التوجُّهُ فى الصلاةِ - وفى كلِّ حالٍ - إن كان عُنِىَ بها الدُّعاءُ - وغيرَ ذلك مِن المعانِى التى ذكَرنا .

وقد دَلَّلنا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » ، على ألا ناسخَ فى آيِ القرآنِ وأخبارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إلا ما نَفَى حكمًا ثابتًا ، قد لزِم العِبادَ فرضُه ، غيرَ مُحْتَمِلٍ ظاهرُه[(٤)] وباطنُه غيرَ ذلك ، فأما ما احْتَمل غيرَ ذلك - مِن أن يكونَ بمَعْنى الاستثناءِ ، أو الخصوصِ والعمومِ ، أو المُجْمَلِ والمُفَسَّرِ - فمِن الناسخِ والمنسوخِ بمَعْزِلٍ ، بما أغْنَى عن تكريرِه فى هذا الموضعِ . وألا منسوخَ إلا المَنْفِىُّ الذى قد كان ثَبَت حُكمُه وفَرْضُه . ولم يَصِحَّ واحدٌ مِن هذين المعنيين لقولِه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . بحُجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، فيُقالَ فيه : هو ناسخٌ أو منسوخٌ .

وأما قولُه : ﴿ فَأَيْنَمَا ﴾ . فإن مَعْناه : فحيثما .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بمنسوخ » .

(٢) فى الأصل : « يمكن » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لظاهره » .

وأما قولُه : ﴿ تُوَلُّوا ﴾ . فإن الذى هو أَوْلى بتأويلِه أن يكونَ : تُوَلُّون نحوَه وإليه . كما يقولُ القائلُ : وَلَّيتُ وَجْهِى نحوَ كذا ، ووَلَّيتُه إليه . بمعنى : قابلتُه وواجهتُه .

وإنما قُلْنا : ذلك أَوْلَى بتأويلِ الآيةِ ؛ لإجماعِ الحُجةِ على أن ذلك تأويلُها ، وشُذوذِ مَن تأوَّلَها بأنها بمَعْنَى : تُوَلُّون [٢٣/٤و] عنه فتَسْتَدْبرونه ، (١) ففى الذى (١) تتَوجَّهون إليه وجهُ اللَّهِ . بمَعْنَى : قِبلةُ اللَّهِ .

(٢) وقولُه : ﴿ تُوَلُّوا ﴾ . مجزومٌ بحرفِ الجزاءِ ، وهو قولُه : ﴿ فَأَيْنَمَا ﴾ (٢) . وأما قولُه : ﴿ فَثَمَّ ﴾ . فإنه بمَعْنَى : هنالك .

/واختُلِفَ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : تأويلُ ذلك : فثَمَّ قِبلةُ اللَّهِ . يَعْنى بذلك : وَجْهُه الذى وَجَّههم إليه . ٥٠٦/١

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدثنا وكيعٌ ، عن النضرِ بنِ عَرَبيٍّ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ . قال : قبلةُ اللَّهِ [٣] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى الحجَّاجُ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخبَرنى إبراهيمُ ، عن مجاهدٍ ، قال : حيثُما كنتُم فلكم قِبلةٌ تَسْتقبِلُونها .

وقال آخرون : معنى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : فثَمَّ اللَّهُ .

(١ - ١) فى م ، ت ١ : « فالذى » ، و فى ت ٢ ، ت ٣ : « فى الذى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٧ .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : فثَم تُدْرِكون بالتوجُّهِ إليه رضا اللَّهِ الذى له الوجهُ الكريمُ .

وقالوا[(١)] : عَنَى بالوجهِ : ذو[(٢)] الوجهِ . وقال قائلو هذه المقالةِ : وجهُ اللَّهِ له صفةٌ .

فإن قال قائلٌ : وما هذه الآيةُ مِن التى قبلَها ؟

قيل : هى لها مُواصلةٌ ، وإنما معنى ذلك : ومَن أظلمُ مِن النصارى الذين منَعوا عبادَ اللَّهِ مساجدَه أن يُذْكرَ فيها اسمُه ، وسَعَوا فى خرابِها ، ولِلَّهِ المشرقُ والمغربُ ، فأينما وجَّهتم وجوهَكم فاذْكُروه ، فإن وجهَه هنالك ، يَسَعُكم فَضْلُه وأرضُه وبلادُه ، ويَعلمُ ما تعمَلون ، ولا يَمْنعكم تخريبُ مَن خرَّب[(٣)] مساجدَ اللَّهِ ببيتِ المقدسِ[(٣)] ، ومَنْعُهم مَن مَنَعوا مِن ذكرِ اللَّهِ فيه - أن تَذْكروا اللَّهَ حيثُ كنتم مِن أرضِ اللَّهِ ، تَبْتَغون به وجهَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ وَٰسِعٌ ﴾ : يَسَعُ خلقَه كلَّهم بالكِفايةِ والإفْضالِ والجودِ والتدبيرِ .

وأما قولُه : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . فإنه يعنى أنه عليمٌ بأعمالِهم[(٤)] ، لا يَغيبُ عنه منها شىءٌ ، ولا يَعْزُبُ عنه[(٥)] علمُه ، بل هو بجميعِها عليمٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقال آخرون » .

(٢) فى م : « ذا » .

(٣ - ٣) فى م : « مسجد بيت المقدس » .

(٤) فى م : « بأفعالهم » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « عن » .

يعنى بقولِه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ . الذين مَنَعوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه . و﴿ قَالُوا ﴾ معطوفٌ على قولِه : ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ .

وتأويلُ الآيةِ : ومَن أظلمُ ممن مَنَع مساجدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُه وسَعَى فى خرابِها ، وقالوا : اتخَذ اللَّهُ ولدًا . وهم النَّصارَى الذين زعَموا أن عيسى ابنُ اللَّهِ ، فقال جلَّ ثناؤُه مُكَذِّبًا قِيلَهم ما قالوا مِن ذلك ، ومُنْتفيًا مما نَحَلُوه ، [٢٣/٤ظ] وأضافوا إليه بكَذِبِهم وفِرْيتِهم - : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ . يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : تنزيهًا للَّهِ ، وتَبَرِّيًا[١] مِن أن يكونَ له ولدٌ ، وعلوًّا وارتفاعًا عن ذلك .

١/٥٠٧ وقد دَلَّلْنا فيما مضى على معنى قولِ القائلِ : سُبحانَ اللَّهِ . بما أغْنَى عن إعادتِه / فى هذا الموضعِ[٢] .

ثم أخْبَر جلَّ ثناؤُه أن له ما فى السماواتِ والأرضِ مِلْكًا وخَلْقًا . ومعنى ذلك : وكيف يكونُ المسيحُ للَّهِ ولدًا ، وهو لا يَخْلو مِن[٣] أن يَكونَ فى بعضِ هذه الأماكنِ ؛ إما فى السماواتِ ، وإما فى الأرضِ ، وللَّهِ مِلكُ ما فيهما ، ولو كان المسيحُ ابنًا كما زعَمتم ، لم يكنْ كسائرِ ما فى السماواتِ والأرضِ مِن خلقِه وعبيدِه ، فى ظهورِ آثارِ[٤] الصنعةِ فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : [٥]كلٌّ له[٥] مُطِيعون .

---

(١) فى م : « تبريئا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٥٠٤، ٥٠٥ .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إما » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « آيات » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بن يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ : مُطِيعون[1] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . قال : مُطِيعون . وقال : طاعةُ الكافرِ فى سجودِ ظِلِّه[2] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ بمثلِه ، إلا أنه زاد : يَسْجُدُ ظِلُّه وهو كارهٌ[3] .

وحدَّثنى موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . يقولُ : كلٌّ له مُطِيعون يومَ القيامةِ[4] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عمَّن ذَكَره ، عن عكرمةَ : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . قال : الطاعةُ .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بِشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَٰنِتُونَ ﴾ : مُطِيعون[5] .

وقال آخرون : معنى ذلك : كلٌّ له مُقِرُّون بالعُبودةِ[6] .

---

(١) ينظر ما سيأتى فى ٣٧٩/٤ - ٣٨٣ ، وتفسير الآية ٢٦ من سورة الروم ، والدر المنثور ١١٠/١ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٢.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٣/١ (١١٢٩) عن أبيه ، عن أبى حذيفة به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣١/١ عن السدى .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٠/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بالعبودية » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : حدثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ قولَه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . قال : كلٌّ له مُقِرٌّ بالعُبودةِ[(١)] .

وقال آخرون بما حدَّثني به المُثَنَّى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ قولَه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . يقولُ : كلٌّ له قائمٌ يومَ القيامةِ[(٢)] .

وللقنوتِ فى كلامِ العربِ مَعانٍ : أحَدُها ، الطاعةُ . والآخرُ ، القِيامُ . والثالثُ ، الكفُّ عن الكلامِ والإمساكُ عنه .

وأوْلَى معانى القُنوتِ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ : الطاعةُ والإقرارُ للَّهِ بالعبودةِ ، بشَهادةِ أجسامِهم بما فيها مِن آثارِ الصنعةِ ، [٢٤/٤و] والدلالةِ على وحدانيةِ اللَّهِ ، وأن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه بارئُها وخالقُها ، وذلك أن اللَّهَ أكْذَبَ الذين زعَموا أن للَّهِ ولدًا بقولِه : ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . مِلْكًا / وخلقًا . ثم أخبَرَ عن جميعِ ٥٠٨/١
ما فى السماواتِ والأرضِ أنها مُقِرَّةٌ بدلالتِها على ربِّها وخالقِها ، وأن اللَّهَ تعالى بارئُها وصانعُها - وإن جحَد ذلك بعضُهم بألسنتِهم[(٣)] - مُذعِنةٌ له بالطاعةِ ، بشَهادتِها له بآثارِ الصنعةِ التى فيها بذلك ، وأن المسيحَ أحدُهم ، فأنَّى يَكونُ للَّهِ ولدًا وهذه صفتُه !

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بالعبودية » . والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ (١١٣٢) من طريق الحسين بن واقد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ (١١٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فألسنتهم » .

وقد زعَم بعضُ مَن قَصُرت معرفتُه عن توجيهِ هذا الكلامِ وجْهتَه ، أن قولَه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ . خاصةٌ لأهلِ الطاعةِ وليست بعامةٍ . وغيرُ جائزٍ ادِّعاءُ خصوصٍ فى آيةٍ عامٍّ ظاهرُها ، إلا بحُجةٍ يجبُ التسليمُ لها ؛ لِما قد بيَّنَّا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن أن المسيحَ - الذى زعَمت النصارى أنه ابنُ اللَّهِ - مُكَذِّبُهم هو والسماواتُ والأرضُ وما فيهما ، إما باللسانِ ، وإما بالدلالةِ ، وذلك أنَّه جلَّ ثناؤُه أخْبَر عن جميعِهم بطاعتِهم إيَّاه ، وإقرارِهم له بالعبودةِ ، عَقِيبَ قولِه : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ . فدلَّ ذلك على صحةِ ما قلنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : مُبدِعُها . وإنما هو مُفْعِلٌ ، فصُرِفَ إلى فعيلٍ ، كما صُرِفَ المؤلمُ إلى الأليمِ ، والمسمعُ إلى السميعِ .

ومعنى المُبدعِ : المُنْشِئُ والمُحْدِثُ ما لم يَسْبِقْه إلى إنشاءِ مثلِه وإحداثِه أحدٌ . ولذلك سُمِّىَ المُبتدِعُ فى الدينِ مُبْتدِعًا ؛ لإحداثِه فيه ما لم يَسْبِقْه إليه غيرُه . وكذلك كلُّ مُحْدِثٍ فعلًا أو قولًا لم يَتقدمْه فيه مُتقدِّمٌ ، فإن العربَ تُسَميه مُبتدعًا ، مِن ذلك قولُ أعْشَى بنى ثَعْلبةَ فى مدحِ هَوْذَةَ بنِ علىٍّ الحَنَفىِّ[(1)] :

يُرْعِى إلى قَوْلِ ساداتِ الرجالِ إذا أَبْدَوْا له الحَزْمَ أو ما شاءَه ابْتَدَعا

أى : يُحْدِثُ ما شاء .

وقولُ رُؤْبةَ بنِ العجَّاجِ[(2)] :

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٨٠ .

(٢) ديوان رؤبة (مجموعة أشعار العرب) ص ٨٧.

فأيُّها الغاشِى القِذافَ[(١)] الأَتْيَعا[(٢)]

إن كُنْـتَ للَّهِ التَّقِـىَّ الأَطْوَعَا

فليـس وَجْهُ الحـقِّ أن تَبَدَّعا

يعنى : أن تُحْدِثَ فى الدينِ ما لم يَكُنْ فيه .

فمعنى الكلامِ : سُبحانَ اللَّهِ ، أَنَّى يكونُ له ولدٌ وهو مالكُ ما فى السماواتِ والأرضِ ، تَشْهدُ له جميعُها بدلالتِها عليه بالوَحْدانيةِ ، وتُقِرُّ له بالطاعةِ ، وهو بارئُها وخالقُها ، ومُوجدُها مِن غيرِ أصلٍ ، ولا مِثالٍ احْتَذاها عليه ! .

وهذا إعلامٌ مِن اللَّهِ عبادَه أنَّ مما يَشْهَدُ له بذلك المسيحُ الذى أضافوا إلى اللَّهِ بُنُوَّتَه ، [٤/٢٤ظ] وإخبارٌ منه لهم أن الذى ابْتَدع السماواتِ والأرضَ مِن غيرِ أصلٍ ، وعلى غيرِ مِثالٍ ، هو الذى ابْتَدع المسيحَ مِن غيرِ والدٍ بقُدْرتِه .

وبنحوِ الذى قُلْنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : ابْتَدع خلقَها ، ولم يَشْرَكْه فى خلقِها أحدٌ[(٣)] .

١/٥٠٩ / **وحدَّثنى** موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ بَدِيعُ

---

(١) القذاف : سرعة السير . التاج (ق ذ ف) .

(٢) فى الديوان : « الأتبعا » . والأتيع : المتتابع : أى المتسارع فى الحمق . التاج (ت ى ع) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٤/١ عقب الأثر (١١٣٥) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٠/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ٢١٤/١ (١١٣٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . يقولُ : ابْتَدعها فخَلَقها ، ولم يَخْلُقْ مثلَها شيئًا يتمثَّلُ[1] به[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ : وإذا أحْكَم أمرًا وحَتَمه . وأصلُ كلِّ قضاءٍ : الإحْكامُ والفراغُ منه . ومِن ذلك قِيلَ للحاكمِ بينَ الناسِ : القاضِى بينهم . لِفَصْلِه القضاءَ بينَ الخصومِ ، وقَطْعِه الحُكْمَ بينَهم وفراغِه . ومنه قيل للميتِ : قد قضَى . يُرادُ به : فرَغ مِن الدنيا وفصَل منها . ومنه قيل : ما يَنْقضِى عَجَبِى مِن فلانٍ . يُرادُ : ما ينقطِعُ . ومنه قيل : تَقَضَّى النهارُ . إذا انْصَرم . ومنه قولُه : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٢٣] . أى : فصَل الحُكْمَ فيه بينَ عبادِه بأمرِه إيَّاهم بذلك . وكذلك قولُه : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء : ٤] . أى : أعْلَمناهم بذلك وأخْبَرناهم به ، ففَرَغْنا إليهم منه . ومنه قولُ أبى ذُؤَيبٍ[3] :

وعليهما مَسْرُودتَانِ[4] قَضَاهما دَاودُ أو صَنَعُ[5] السوابِغِ تُبَّعُ

ويُرْوَى :

* وتَعاوَرَا مَسْرُودتَيْنِ قَضَاهما *

ويَعْنِى بقولِه : قضاهما : أحْكَمهما . ومنه قولُ الآخرِ فى مدحِ عمرَ بنِ

---

(١) فى م : « فتتمثل » ، وفى ت ١ ، ت ٣: « فتمثل » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١٤ (١١٣٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ١٩ .

(٤) مسرودتان : درعان . اللسان (س ر د) .

(٥) الصنع : الحاذق بالعمل . التاج (ص ن ع) .

الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه[(١)] :

قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غادَرْتَ بعدَها بوَائِقَ فى أكْمامِها لم تَفتَّقِ

ويُرْوَى : بوائجَ[(٢)] .

وأما قولُه : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . فإنه يَعْنى بذلك : وإذا أحكَم أمرًا فحَتَمه فإنما يَقولُ له : كُنْ . فيكونُ ذلك الأمرُ على ما أمرَه اللَّهُ أن يكونَ وأرادَه .

فإنْ قال لنا قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ؟ وفى أىِّ حالٍ يقولُ للأمرِ الذى يَقْضِيه : كُنْ . أفى حال عدمِه - وتلك حالٌ لا يَجوزُ أمرُه ، إذ كان مُحالًا أن يُؤْمرَ إلا مأمورٌ ، فإذا لم يكنِ المأمورُ ، اسْتَحال الأمرُ ، كما محالٌ الأمرُ مِن غيرِ آمرٍ ، فكذلك محالٌ الأمرُ مِن آمرٍ إلا لمأمورٍ - أم يقولُ ذلك له فى حالِ وجودِه ، وتلك حالٌ لا يجوزُ أمرُه فيها بالحدوثِ ؛ لأنه حادِثٌ موجودٌ ، ولا [٤/٢٥و] يُقالُ للموجودِ : كُنْ موجودًا . إلا بغيرِ مَعْنَى الأمرِ بحدوثِ عَيْنِه ؟ .

قيل : قد تَنازَع المتأوِّلون معنى ذلك ، ونحن مُخْبِرون بما قالوا فيه ، والعللِ التى بها اعتلَّ كلُّ قائلٍ[(٣)] منهم لِقولِه فى ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك خبرٌ مِن اللَّهِ عن أمرِه المحتومِ - على وجهِ القضاءِ لمن قضَى عليه قضاءً مِن خلقِه الموجودين - أنه إذا أمرَه بأمرٍ نفَذ فيه قضاؤُه ، ومضى فيه أمرُه . نَظِيرُ أمرِه مَن أمَر مِن بنى إسرائيلَ بأن يكونوا قِرَدةً خاسِئين ، وهم موجودون فى حالِ أمرِه إيَّاهم بذلك ، وحَتْمِ قضائِه عليهم بما

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٣، وتأويل مشكل القرآن ص ٣٤٣، وزهر الآداب ٢/ ٩٦٨، وقد نسب البيت إلى الشماخ ، وإلى أخيه جزء ، ونسبوه أيضًا إلى الجن .

(٢) البوائج : جمع بائجة ، وهى الداهية . التاج (ب و ج) .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فريق » .

قضَى فيهم ، وكالذى خسَف به وبدارِه الأرضَ ، وما أشْبَه ذلك مِن أمرِه وقضائِه ، فى من كان موجودًا مِن خلقِه فى حالِ أمرِه المحتومِ عليه . فوجَّه قائِلو هذا القولِ قولَه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . إلى الخصوصِ دونَ العمومِ .

١/٥١٠ /**وقال آخرون** : بل الآيةُ عامٌّ ظاهِرُها ، فليس لأحدٍ أن يُحِيلَها إلى باطنٍ بغيرِ حُجَّةٍ يجبُ التسليمُ لها . وقالوا : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عالمٌ بكلِّ ما هو كائنٌ قبلَ كونِه ، فلما كان ذلك كذلك ، كانت الأشياءُ التى لم تَكُنْ - وهى كائنةٌ ، لعلمِه بها قبل كونِها - نَظائرَ التى هى موجودةٌ ، فجاز أن يَقولَ لها : كونى . ويأمرَها بالخروجِ مِن حالِ العدمِ إلى حالِ الوجودِ ؛ لتَصوُّرِ جميعِها له ، ولعلمِه بها فى حالِ العدمِ .

وقال آخرون : بل الآيةُ وإن كان ظاهِرُها ظاهِرَ عمومٍ ، فتأويلُها الخصوصُ ؛ لأن الأمرَ غيرُ جائزٍ إلا لمأمورٍ على ما وصَفْتُ قبلُ . قالوا : وإذْ كان ذلك كذلك ، فالآيةُ تأويلُها : وإذا قضى أمرًا ؛ مِن إحياءِ مَيِّتٍ ، أو إماتةِ حيٍّ ، ونحوِ ذلك ، فإنما يقولُ للحيِّ : كُنْ[(١)] مَيتًا . وللميتِ : كُنْ حيًّا . وما أشْبَه ذلك مِن الأمرِ .

وقال آخرون : بل ذلك مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه خبرٌ عن جميعِ ما يُنْشِئُه ويُكَوِّنُه ، أنه إذا قضاه وخلَقه وأنشَأه كان ووُجِدَ . ولا قولَ هنالك عندَ قائلِى هذه المقالةِ إلا وجودُ المخلوقِ ، وحدوثُ المَقْضِيِّ . وقالوا : إنما قولُ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . نَظيرُ قولِ القائلِ : قال فلانٌ برأسِه ، وقال بيدِه . إذا حرَّك رأسَه وأوْمأ بيدِه ، ولم يَقُلْ شيئًا . وكما قال أبو النَّجْمِ[(٢)] :

---

(١) فى الأصل : « كان » .

(٢) اللسان (ح ن ق) .

قد[١] قالتِ الأنْساعُ للبَطْنِ الْحَقِ[٢]
قِدْمًا فآضَــتْ كالفَنِــيقِ المُحْنِقِ[٣]

ولا قولَ هنالك ، إنما عَنَى أن الظَّهْرَ قد لحِق بالبطنِ . وكما قال عمرُو بنُ حُممة الدَّوْسِيُّ[٤] :

فأصْبَحْتُ [٥]مِثْلَ النّسْرِ طارَتْ فراخُه[٥] إذا رَامَ تَـطْـيَـارًا يُـقـالُ لـه قَـعِ

ولا قولَ هنالك ، وإنما معناه : إذا رام طَيَرانًا وقَع . وكما قال الآخرُ[٦] :

[٢٥/٤ظ] امْتَلأَ الحَوْضُ وقال قَطْنِـى
مَهْلًا[٧] رُوَيْـدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنى

وأولى الأقوالِ بالصوابِ في قولِه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . أن يُقالَ : هو عامٌّ فى كلِّ ما قضاه اللَّهُ ودبَّره[٨] ؛ لأن ظاهِرَ ذلك ظاهِرُ عمومٍ ، وغيرُ جائزٍ إحالةُ الظاهرِ إلى الباطنِ مِن التأويلِ بغيرِ برهانٍ ؛ لما قد بَيَّنَّا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » . وإذ كان ذلك كذلك ، فأمرُ اللَّهِ تعالى

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « و » .

(٢) الأنساع : جمع نسع ، وهو سير مضفور تشد به الرحال ، ولحق البطن لحوقًا : ضمر . اللسان (ن س ع ، ل ح ق) .

(٣) آضت : رجعت . والفنيق : هو الفحل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم . والمحنق : الضامر . اللسان (أ ى ض ، ف ن ق ، ح ن ق) .

(٤) معجم الشعراء ص ١٧.

(٥ - ٥) فى معجم الشعراء : « بين الفخ فى العش ثاويا » .

(٦) أمالى ابن الشجرى ١/ ٣١٣، ومجالس ثعلب ص ١٨٩.

(٧) فى الأصل ، م ، ت ٢، ت ٣: « سيلا » .

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « برأه » .

ذكرُه للشىءِ إذا أراد تكوينَه موجودًا بقولِه : ﴿ كُن ﴾ . فى حالِ إرادتِه جل ثناؤُه إيّاه مُكَوَّنًا[(١)] ، لا يَتقدَّمُ وجودَ[(٢)] الذى أراد إيجادَه وتكوينَه ، إرادتَه إيَّاه ، ولا أمرَه بالكونِ والوجودِ - ولا يَتأخَّرُ عنه ، فغيرُ جائزٍ أن يكونَ الشىءُ مأمورًا بالوجودِ مرادًا كذلك إلا وهو موجودٌ ، ولا أن يكونَ موجودًا إلا وهو مأمورٌ بالوجودِ مرادٌ كذلك . ونظيرُ قولِه : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ . قولُه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥] . بأن خروجَ القومِ مِن قبورِهم لا يَتقدَّمُ دُعاءَ اللَّهِ إيَّاهم ولا يَتأخَّرُ عنه .

ويُسألُ مَن زعَم أن قولَه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ خاصٌّ
١/٥١١ فى التأويلِ -/ اعتِلالًا بأن أمْرَ غيرِ الموجودِ غيرُ جائزٍ - عن دَعْوةِ أهلِ القبورِ ، أقبْلَ خُروجِهم مِن قبورِهم أم بعدَه[(٣)] ، أم هى فى خاصٍّ مِن الخلقِ ؟ فلن يقولَ فى ذلك قولًا إلا أُلْزِم فى الآخَرِ مثلَه .

وأمَّا[(٤)] الذين زعَموا أن معنى قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . نظيرُ قولِ القائلِ : قال فلانٌ برأسِه أو بيدِه . إذا حرَّكه أو أوْمأ . ونَظيرُ قولِ الشاعرِ [(٥)]مُخبرًا عن ناقتِه[(٥)] :

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « تكوينا » .

(٢) فى م : « وجوده » .

(٣) فى الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بعدها » .

(٤) فى م : « يسأل » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.
والبيت للمثقب العبدى ، وهو فى ديوانه ص ١٩٥.

تقولُ إذا دَرَأْتُ[(١)] لها وَضِينِى[(٢)] أهـذا دِيـنُـه أبـدًا ودِيـنِـى[(٣)]

وما أشْبَهَ ذلك ، فإنهم لا صوابَ اللغةِ أصابوا ، ولا كتابَ اللَّهِ وما دلَّت على صحتِه الأدلةُ اتَّبَعُوا ، فيُقالُ لقائلى ذلك : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخْبَرَ عن نفسِه أنه إذا قضَى أمرًا قال له : كُنْ . أفتُنْكِرون أن يكونَ قائلًا ذلك ؟ فإن أنْكَروه كذَّبوا بالقرآنِ ، وخرَجوا مِن الملةِ .

وإن قالوا : بل نُقِرُّ به ، ولكنا نَزْعُمُ أن ذلك نظيرُ قولِ القائلِ : قال الحائطُ فمال . ولا قولَ هنالك ، وإنما ذلك خبرٌ عن مَيْلِ الحائطِ .

قيل لهم : أفتُجيزون للمُخْبِرِ عن الحائطِ بالمَيْلِ أن يقولَ : إنما قولُ الحائطِ إذا أراد أن يَميلَ أن يقولَ هكذا فيَمِيلَ ؟

فإن أجازوا ذلك ، خرَجوا مِن معروفِ كلامِ العربِ ، وخالفُوا مَنْطِقَها وما يُعْرَفُ فى لسانِها .

وإن قالوا : ذلك غيرُ جائزٍ . قيل لهم : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخْبَرَ[(٤)] عن نفسِه أن قولَه للشىءِ إذا أراده أن يقولَ له : كُنْ . فيكونُ . [٢٦/٤و] فأعْلَم عبادَه قولَه الذى يكونُ به الشىءُ ، ووصَفه ووكَّده . وذلك عندَكم غيرُ جائزٍ فى العبارةِ عما لا كلامَ له ولا بيانَ ، فى مثلِ قولِ القائلِ : قال الحائطُ فمال . فكيف لم تَعْلَموا بذلك فَرْقَ ما بينَ قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . وقولِ القائلِ : قال الحائطُ فمال ؟ وللبيانِ عن فسادِ هذه المَقالةِ موضعٌ غيرُ هذا ، نَأْتى فيه على القولِ بما

---

(١) درأت وضين البعير : إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به . التاج (د ر أ) .

(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر . اللسان (و ض ن) .

(٣) الدين : العادة . اللسان (د ى ن) .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أخبرهم » .

فيه الكِفايةُ إن شاء اللَّهُ .

وإذْ كان الأمرُ فى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . هو ما وصَفْنا ، مِن أن حالَ أمْرِه الشىءَ بالوجودِ حالُ وجودِ المأمورِ بالوجودِ ، فَبَيِّنٌ[1] بذلك أن الذى هو أولى بقولِه : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . [2]أن يكونَ رفعًا[2] على العطفِ على قولِه : ﴿ يَقُولُ ﴾ . لأن القولَ والكونَ حالُهما واحدةٌ . وهو نظيرُ قولِ القائلِ : تاب فلانٌ فاهْتَدَى ، واهْتَدَى فلانٌ فتاب . لأنه لا يكونُ تائبًا إلا وهو مُهْتَدٍ ، ولا مُهْتَدِيًا إلا وهو تائبٌ . فكذلك لا يكونُ أن يَكونَ اللَّهُ آمِرًا شيئًا بالوجودِ إلا وهو موجودٌ ، ولا موجودًا إلا وهو آمِرُه بالوجودِ .

ولذلك اسْتَجاز مَن استجاز نَصْبَ (فيكونَ) مَن قرَأ : (إنما قولُنا لشىءٍ إذا أرَدْناه أن نقولَ له كنْ فيكونَ)[3] [النحل : ٤٠] . بالمعنى الذى وصَفْنا على معنى : أن نقولَ فيكونَ .

وأمَّا رَفْعُ مَن رفَع ذلك ، فإنه رأَى أن الخبرَ قد تمَّ عندَ قولِه : ﴿ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن ﴾ . إذ كان معلومًا أن اللَّهَ إذا حتَم قضاءَه على شىءٍ ، كان المحتومُ عليه موجودًا ، ثم ابْتَدأ بقولِه : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج : ٥] . وكما قال ابنُ أحمرَ[4] :

يُعالِجُ عاقِرًا أَعْيَتْ عليه ... لِيُلْقِحَها فيَنْتِجُها حُوَارَا[5]

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فتبين » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رفع » .

(٣) النصب والرفع قراءتان سيأتى تخريجهما فى موضعه من التفسير .

(٤) المعانى الكبير ٢/ ٨٤٦، والكتاب ٣/ ٥٤ .

(٥) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أمه خاصة . التاج (ح و ر) .

يُرِيدُ : فإذا هو يَنْتِجُها حُوَارًا .

/فمعنى الآيةِ : وقالوا اتَّخذ اللَّهُ ولدًا . سبحانَه أن يكونَ له ولدٌ ، بل هو مالكُ ١/٥١٢
السماواتِ والأرضِ وما فيهما ، كلُّ ذلك له مُقِرٌّ بالعبوديَّةِ ، بدلالتِه على وَحْدانيتِه . فأنَّى يكونُ له ولدٌ ، وهو ابْتَدَع السماواتِ والأرضَ مِن غيرِ أصلٍ ، كما الذى ابْتَدَع المسيحَ مِن غيرِ والدٍ بقدرتِه وسلطانِه ، الذى لا يَتَعَذَّرُ عليه به شىءٌ أراده ، بل إنما يقولُ له إذا قضاه فأراد تكوينَه : كُنْ . فيكونُ موجودًا كما أراده وشاءَه ، فكذلك كان ابتداعُه المسيحَ وإنشاؤُه ، إذ أراد خَلْقَه مِن غيرِ والدٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ ﴾ .

[٢٦/٤ظ] **اخْتَلَف أهلُ التأويلِ** فى مَن عنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : عنَى اللَّهُ بذلك النَّصارَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ ﴾ . قال : النَّصارَى تَقولُه[(١)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه ، وزاد فيه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : النصارى .

وقال آخَرون : بل عنى اللَّهُ بذلك اليهودَ الذين كانوا فى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٥ (١١٤٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١١٠ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، **وحدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، قالا جميعًا : حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بن ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عِكْرِمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رافعُ بن حُرَيْمِلةَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إن كنتَ رسولًا مِن عندِ اللَّهِ كما تقولُ ، فقلْ للَّهِ فلْيُكَلِّمْنا حتى نَسْمَعَ كلامَه . فأنْزَل اللَّهُ فى ذلك مِن قولِه[(١)] : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ . الآية كلها[(٢)] .

وقال آخَرون : بل عنَى اللَّهُ بذلك مُشْرِكى العربِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدثنا يَزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ : وهم كفارُ العربِ[(٣)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ . قال : هم كفارُ العربِ[(٤)] .

---

(١) فى الأصل : « قولهم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٥/١ (١١٤٠) من طريق سلمة به . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٢.

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٥/١ عقب الأثر (١١٤١) معلقًا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٥/١ عقب الأثر (١١٤١) من طريق ابن أبى جعفر به .

/وحدَّثنى موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ١/٥١٣
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ : أما الذين لا يعلمون فهم العربُ[1] .

وأوْلَى هذه الأقوالِ بالصحةِ والصوابِ قولُ القائلِ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه عَنَى بقولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . النَّصارَى دونَ غيرِهم ؛ لأن ذلك فى سياقِ خبرِ اللَّهِ عنهم ، وعن افترائِهم عليه ، وادِّعائهم له ولدًا ، فقال جلَّ ثناؤُه مخبرًا عنهم فيما أخْبَرَ عنهم مِن ضلالتِهم ، أنهم مع افترائِهم على اللَّهِ الكذبَ بقولِهم : ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ . تمنَّوا على اللَّهِ الأباطيلَ ، فقالوا جَهْلًا منهم باللَّهِ ، وبمنزلتِهم عندَه ، وهم باللَّهِ مُشْرِكون : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا [٢٧/٤و] ٱللَّهُ ﴾ كما يُكَلِّمُ رسلَه وأنبياءَه ، ﴿ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ كما أتَتْهم . ولا يَنْبَغِى للَّهِ أن يُكلِّمَ إلَّا أولياءَه ، ولا يُؤْتِىَ آيةً مُعْجزةً على دَعْوَى مُدَّعٍ إلا لمَن كان مُحِقًّا فى دعواه ، وداعيًا إلى دينِه[2] وتوحيدِه . فأما مَن كان كاذبًا فى دعواه ، وداعيًا إلى الفِريةِ عليه ، وادِّعاءِ البنين والبناتِ له ، فغيرُ جائزٍ أن يُكلِّمَه جل ثناؤُه ، أو يُؤْتِيَه آيةً مُعْجزةً تكونُ مُؤَيدةً كَذِبَه وفِريتَه عليه .

فأمَّا[3] الزاعمُ أنَّ اللَّهَ عَنَى بقولِه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . العربَ ، فإنه قائلٌ قولًا لا خبرَ بصحتِه ، ولا بُرهانَ على حقيقتِه فى ظاهرِ الكتابِ . والقولُ إذا صار إلى ذلك ، كان واضحًا خطؤُه ؛ لأنه ادَّعَى ما لا برهانَ على صحتِه . وادِّعاءُ مثلِ ذلك لن يَتَعذرَ على أحدٍ .

وأما معنى قولِه : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ . فإنه بمعنى : هَلَّا يُكلِّمُنا اللَّهُ . كما

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٣٣ عن السدى .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

(٣) فى م : « وقال » ، وفى ت ٢ : « قول » .

قال الأشْهَبُ بنُ رُمَيْلةَ[(١)] :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ[(٢)] أفْضَلَ مَجْدِكُمْ[(٣)] بَنِى ضَوْطَرَى[(٤)] لَوْلا الكَمِىَّ المُقَنَّعا

يعنى : هلَّا تَعُدُّون الكمىَّ المُقَنَّعَا .

وكما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ . قال : فهلَّا يُكلِّمُنا اللَّهُ[(٥)] .

وأمَّا « الآيَةُ » ، فقد [(٦)] بيَّنتُ فيما مضى قبلُ[(٦)] أنها العلامةُ . وإنما أخْبَرَ اللَّهُ عنهم أنهم قالوا : هلَّا تَأْتينا آيةٌ على ما نُريدُ ونَسْأَلُ ، كما أَتَت الأنبياءَ والرسلَ ، فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى من عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** فى ذلك بما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ : هم

---

(١) البيت لجرير وليس للأشهب ، ولعل المصنف قد تابع أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٣٤، ولكن أبا عبيدة نسبه فى النقائض ٨٣٣/٢ إلى جرير ، وهو فى ديوانه ٢/ ٩٠٧.

(٢) النيب : جمع ناب ، والناب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم . التاج (ن ى ب) .

(٣) فى الديوان والنقائض : « سعيكم » .

(٤) بنو ضوطرى : يقال للقوم إذا كانوا لا يَغْنُون غَناء : بنو ضوطرى . اللسان (ض ط ر) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٥/١ (١١٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٦ - ٦) فى م : « ثبت فيما قبل معنى الآية » . وينظر ما تقدم فى ١/ ١٠٤.

اليهودُ[(١)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الذين من قبلهم اليهودُ .

/**وقال آخرون** : هم اليهودُ والنصارى ؛ لأن الذين لا يَعْلَمون هم العربُ[(٢)] . ١/٥١٤

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ﴿ٱلَّذِينَ مِن [٤/٢٧ظ] قَبْلِهِم﴾ . يعنى : اليهودُ والنصارى وغيرُهم[(٣)] .

وحدَّثني موسى ، قال : حدثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : قالوا - يعنى العربَ - كما قالت اليهودُ والنصارى مِن قبلِهم[(٤)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ . يعنى : اليهودُ والنصارى[(٥)] .

قال أبو جعفرٍ : قد دَلَّلنا على أن الذين عَنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ . هم النصارى ، فالذين قالت النصارى[(٦)] مثْلَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢.

(٢) فى م : « اليهود » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/٢١٦ عقب الأثر (١١٤٤) معلقا .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/٢١٦ عقب الأثر (١١٤٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/٢١٦ عقب الأثر (١١٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٦) سقط من : م .

قولِهم هم اليهودُ ؛ [(١)] لأن اليهودَ [(١)] سألت موسى عليه السلامُ أن يُرِيَهم ربَّهم جهرةً ، وأن يُسْمِعَهم كلامَ ربِّهم - كما قد بيَّنا فيما مَضَى مِن كتابِنا هذا [(٢)] - وسألوا مِن الآياتِ ما ليس لهم مسألتُه تَحكُّمًا منهم على ربِّهم ، وكذلك تَمنَّت النصارى على ربِّها تَحكُّمًا منها عليه ، أن يُسْمِعَهم كلامَه ، ويُرِيَهم ما أرادوا مِن الآياتِ ، فأخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم قالوا مِن القولِ فى ذلك مِثْلَ الذى قالَتْه اليهودُ ، وتَمنَّت على ربِّها مِثْلَ أمانيِّها ، وأن قولَهم الذى قالوه مِن ذلك إنما يُشابِهُ قولَ اليهودِ ، مِن أجلِ تَشابُهِ قلوبِهم فى الضلالةِ والكفرِ باللَّهِ . فهم وإن اخْتَلفتْ مذاهبُهم فى كذبِهم على اللَّهِ ، وافترائِهم عليه ، فقلوبُهم متشابهةٌ فى الكفرِ بربِّهم والفِريةِ عليه ، وتَحكُّمِهم على أنبياءِ اللَّهِ ورسلِه عليهم السلامُ . وبمثلِ ما قلنا فى ذلك قال مجاهدٌ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ : قلوبُ النصارى واليهودِ .

وقال غيرُه : معنى ذلك : تَشابَهت قلوبُ كفارِ العربِ واليهودِ والنصارى وغيرِهم .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . يعنى العربَ واليهودَ والنصارى وغيرَهم .

وحدَّثنى المثنى ، حدثنا إسحاقُ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

(١ - ١) فى م : « و » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٦٨٧ وما بعدها .

وغيرُ جائزٍ فى قولِه : ﴿ تَشَٰبَهَتْ ﴾ . التَّثْقِيلُ ؛ لأن التاءَ فى أوَّلِها زائدةٌ ، أُدْخِلت لقولِه : « تفاعَل » . فإن ثُقِّلت صارت تاءَيْن ، ولا يَجوزُ إدْخالُ تاءَيْن زائِدَتين علامةً لمعنًى واحدٍ ، وإنما يَجوزُ ذلك فى الاستقبالِ ، لاختلافِ معنَى دُخولِهما ؛ لأن إحداهما تَدْخُلُ عَلَمًا للاستقبالِ ، والأُخْرَى منهما التى فى « تفاعَل » ، ثم تُدْغَمُ إحداهما فى الأخرى فتُثَقَّلُ ، فيقالُ : تَشَّابَهُ بعدَ اليومِ قلوبُنا .

فمعنَى الآيةِ : وقالت النصارى الجُهَّالُ باللَّهِ وبعَظمتِه : هَلَّا يُكلِّمُنا اللَّهُ ربُّنا ، كما كَلَّم أنبياءَه ورسلَه ، أو تَجيئُنا علامةٌ مِن / اللَّهِ نَعْرِفُ بها صدقَ ما نحن عليه ، ١/٥١٥
على ما نَسْأَلُ ونُريدُ . قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : فكما قال هؤلاء الجَهَلةُ مِن النصارى وتَمَنَّوا على ربِّهم ، قال مَن قَبْلَهم مِن اليهودِ ، فسألوا ربَّهم أن يُرِيَهم نفسَه جَهْرةً ، ويُؤْتِيَهم آيةً ، واحْتَكموا عليه وعلى رسلِه ، وتَمَنَّوا الأمانيَّ ، فاشْتَبهت [٢٨/٤و] قلوبُ اليهودِ والنصارى فى تَمرُّدِهم على اللَّهِ ، وقِلَّةِ مَعرِفتِهم بعظمتِه ، وجُرْأتِهم على أنبيائِه ورسلِه ، كما اشْتَبهت أقوالُهم التى قالوها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ : قد بيَّنَّا العلاماتِ التى مِن أجلِها غَضِبَ اللَّهُ على اليهودِ ، وجعَل منهم القِردةَ والخنازيرَ ، وأعدَّ لهم العذابَ المُهينَ فى معادِهم ، والتى مِن أجلِها أخْزَى اللَّهُ النصارى فى الدنيا ، وأعدَّ لهم الخزىَ والعذابَ الأليمَ فى الآخرةِ ، والتى مِن أجلِها جعَل سُكَّانَ الجِنانِ الذين أسْلَموا وجوهَهم للَّهِ وهم محسنون - فى هذه السورةِ وغيرِها ، فأُعْلِموا الأسبابَ التى مِن أجلِها استحقَّ كلُّ فريقٍ منهم مِن اللَّهِ ما فعَل به مِن ذلك . وخصَّ اللَّهُ بذلك القومَ الذين يُوقِنون ؛ لأنهم هم أهلُ التَّثبُّتِ فى الأمورِ ، والطالبون معرفةَ حقائقِ الأشياءِ على يقينٍ وصحةٍ . فأخْبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه بَيَّنَ لمَن كانت هذه الصفةُ

صفتَه ما بَيَّنَ مِن ذلك ؛ ليزولَ شَكُّه ، ويَعْلَمَ حقيقةَ الأمرِ ، إذ كان ذلك خبرًا مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه ، وخبرُ اللَّهِ الخبرُ الذى لا يُعذَرُ سامِعُه بالشكِّ فيه . وقد يَحْتَمِلُ غيرُه مِن الأخبارِ ما يَحْتَمِلُ مِن الأسبابِ العارضةِ فيه ، مِن السَّهْوِ والغلَطِ والكذبِ ، وذلك مَنْفِيٌّ عن خبرِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

ومعنى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ : إنا أرسلناك يا محمدُ بالإسلامِ الذى لا أَقبَلُ مِن أحدٍ غيرَه مِن الأديانِ ، وهو الحقُّ ، مُبشِّرًا مَن اتَّبعك فأطاعك ، وقَبِل منك ما دَعوتَه إليه مِن الحقِّ ، بالنصرِ فى الدنيا ، والظَّفَرِ بالثوابِ فى الآخرةِ ، والنعيمِ المُقيمِ فيها ، ومُنْذِرًا مَن عصاك فخالفَك ، وردَّ عليك ما دَعَوْتَه إليه مِن الحقِّ ، بالخِزْيِ فى الدنيا ، والذلِّ فيها ، والعذابِ المُهينِ فى الآخرةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قَرأت عامَّةُ القَرأةِ : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . [٢٨/٤ظ] بِضَمِّ التاءِ مِن ﴿ تُسْـَٔلُ ﴾ ورَفْعِ اللامِ منها على الخبرِ ، بمعنى : يا محمدُ ، إنا أرْسَلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ، فبلِّغ(١) ما أُرْسِلْتَ به ، فإنما عليك البلاغُ والإنْذارُ ، ولسْتَ مسئولًا عمَّن كفَر بما أَتيْتَه به مِن الحقِّ فكان مِن أهلِ الجحيمِ .

وقرَأ ذلك بعضُ أهلِ المدينةِ : (ولا تَسأَلْ) . جَزْمًا بمعنى النَّهْيِ ، مفتوحَ التاءِ مِن (تَسْأَلْ) ، وبجَزْمِ اللامِ منها(٢) . ومعنى ذلك على قراءةِ هؤلاء : إنا أرْسَلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ؛ لتُبلِّغَ ما أُرْسِلْتَ به ، لا لتسألَ عن أصحابِ الجحيمِ ، فلا تَسْأَلْ عن حالِهم .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فبلغت » .

(٢) وهذه قراءة نافع ، وقرأ الباقون كالوجه الأول . حجة القراءات ص ١١١ .

وتأوَّل الذين قرَءوا هذه القراءةَ ما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : حدثنا وكيعٌ ، عن موسى بنِ عُبيدةَ[1] ، عن / محمدِ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليتَ شِعْرِى ما فعَل أبواى » . فنزَلت : (ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجَحيمِ)[2] . ١/٥١٦

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثوريُّ ، عن موسى بنِ عُبيدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليت شِعْرِى ما فعَل أبواى ، ليت شِعْرِى ما فعَل أبواى ، ليت شِعْرِى ما فعَل أبواى »[3] . فنزَلت : (إنا أرْسَلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ) . فما ذكَرهما حتى توفَّاه اللَّهُ[4] .

وحدَّثنى القاسمُ ، قال : حدثنا الحسينُ ، قال : حدثنا حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخبرنى داودُ بنُ[5] أبى عاصمٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال ذاتَ يومٍ : « ليت شِعْرِى أين أبواى » . فنزَلت : (إنا أرْسَلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ)[6] .

والصوابُ عندى مِن القراءةِ فى ذلك قراءةُ مَن قرَأ بالرفعِ[7] ، على الخبرِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قصَّ قَصصَ أقوامٍ مِن اليهودِ والنصارى ، وذكَر ضلالتَهم وكفرَهم

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عبدة » . وينظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٠٤.

(٢) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/ ١١١ - ومن طريقه ابن الأعرابى فى معجمه (٧٥١) ؛ بالزيادة الآتية فى الأثر بعده .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١١ إلى ابن عيينة وعبد بن حميد وابن المنذر ، وقال : هذا مرسل ضعيف الإسناد ... لا يقوم به حجة . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٤.

(٣) بعده فى م ، ت١، ت٢، ت ٣: « ثلاثا » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢١٧ (١١٥١) من طريق الثورى به .

(٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٠٧.

(٦) إسناده مرسل . ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٣٤ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١١ إلى المصنف ، وقال : معضل الإسناد ، ضعيف ، لا يقوم به حجة .

(٧) القراءتان متواترتان ، لا مدخل لترجيح إحداهما على الأخرى .

باللَّهِ ، وجُرْأتَهم على أنبيائِهم[١] ، ثم قال لنبيِّه ﷺ : إنا أرسلناك يا محمدُ بشيرًا مَن آمَن بك واتبعك ، ممن قَصَصتُ عليك أنباءَه ومَن لم أقْصُص عليك أنباءَه ، ونذيرًا مَن كفَر بك وخالفَك . فبَلِّغْ رسالتى ، فليس عليك مِن أعمالِ مَن كفَر بك - بعدَ إبلاغِك إياه رسالتى - تَبِعةٌ ، ولا أنت مسئولٌ عما عمِل[٢] بعدَ ذلك . ولم يَجْرِ لمسألةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ربَّه عن أصحابِ الجحيمِ ذِكْرٌ فيكونَ لقولِه : ﴿ ولا تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ ﴾ . وجهٌ يُوَجَّهُ إليه . وإنما الكلامُ موجَّهٌ معناه إلى ما دلَّ عليه ظاهرُه المفهومُ ، حتى تأتىَ دلالةٌ بينةٌ تقومُ بها الحجةُ على أن المرادَ به غيرُ ما دلَّ عليه ظاهرُه ، فيكونَ حينَئذٍ مُسلَّمًا للحجةِ الثابتةِ بذلك . ولا خبرَ تَقومُ به الحجةُ على أن النبىَّ ﷺ نُهِىَ عن أن يَسْأَلَ فى هذه الآيةِ عن أصحابِ الجحيمِ ، ولا دلالةَ تدلُّ على أن ذلك كذلك فى ظاهرِ التنزيلِ . فالواجبُ أن يكونَ تأويلُ ذلك الخبرَ عمّا[٣] مَضَى ذِكْرُه قبلَ هذه الآيةِ ، وعمَّن ذكَره بعدَها مِن اليهودِ والنصارى وغيرِهم مِن أهلِ الكفرِ ، دونَ النهيِ عن المسألةِ عنهم .

فإن ظنَّ [٢٩/٤و] ظانٌّ أن الخبرَ الذى رُوِىَ عن محمدِ بنِ كعبٍ صحيحٌ ، فإن فى استحالةِ الشكِّ مِن الرسولِ ﷺ - فى أن أهلَ الشركِ مِن أهلِ الجحيمِ ، وأن أبويه كانا منهم - ما يَدْفعُ صحةَ ما قاله محمدُ بنُ كعبٍ ، إن كان الخبرُ عنه صحيحًا . مع أن فى ابتداءِ اللَّهِ الخبرَ بعدَ قولِه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . بالواوِ ، بقولِه : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . وتركِه وَصْلَ ذلك بأولِه بالفاءِ ، وأن يقولَ[٤] : إنا أَرسلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا فلا[٥] تَسْأَلْ عن أصحابِ الجحيمِ - أوضحَ

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أنبيائه » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فعل » .

(٣) فى م : « على ما » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يكون » .

(٥) فى م : « ولا » .

الدلائلِ على أن الخبرَ بقولِه : ﴿ وَلَا تُسْئَلُ ﴾ . أَوْلَى مِن النهيِ ، والرفعُ أَوْلَى به مِن الجزمِ .

وقد ذُكِرَ أنها في قراءةِ أبيٍّ : (وما تُسْأَلُ) . وفي قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (ولن تُسْأَلَ) . وكلتا هاتين القراءتين تَشْهَدُ للرفعِ والخبرِ فيه بالصحةِ[1] ، دونَ النهيِ .

/ وقد كان بعضُ نحويِّي البصرةِ يُوجِّهُ قولَه : ﴿ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . إلى الحالِ ، كأنه كان يَرى أن معناه : إنا أرسلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا غيرَ مسئولٍ عن أصحابِ الجحيمِ . وذلك إذا ضَمَّ التاءَ ، وقَرَأه على معنى الخبرِ . وكان يُجيزُ على ذلك قراءتَه : (ولا تَسْأَلُ) . بفتحِ التاءِ وضَمِّ اللامِ على وجهِ الخبرِ أيضًا ، بمعنى : إنا أرسلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا غيرَ سائلٍ عن أصحابِ الجحيمِ . ٥١٧/١

وقد بيَّنّا الصوابَ عندنا في ذلك .

وهذان القولان اللذان ذكَرْتُهما عن البصريِّ في ذلك تَدْفَعُهما[2] ما رُوِى عن ابنِ مسعودٍ وأُبيٍّ من القراءةِ ؛ لأن إدخالَهما ما أَدخلا في[3] ذلك من « ما » ، و « لن » ، يدلُّ على انقطاعِ الكلامِ عن أولِه وابتداءِ قولِه : ﴿ وَلَا تُسْئَلُ ﴾ . وإذا كان ابتداءً لم يكنْ حالًا .

وأما أصحابُ الجحيمِ ، [4]فإنهم أهلُ الجحيمِ ، والجحيمُ[4] هي النارُ بعينِها إذا شبَّ وقودُها ، ومنه قولُ أميةَ بنِ أبي الصَّلْتِ[5] :

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وقراءة أُبي وابن مسعود شاذة . ينظر البحر المحيط ١/ ٣٦٧.

(٢) في م : « يرفعهما » .

(٣) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « من » .

(٤ - ٤) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فالجحيم » .

(٥) ديوانه ص ٥١ .

إذا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ دارَت[(١)] وأعْرَضَ عن قَوابِسِها الجَحِيمُ

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ : وليست اليهودُ يا محمدُ ولا النصارَى براضيةٍ عنك أبدًا ، فدَعْ طلبَ ما يُرضِيهم ويوافقُهم ، وأقْبِلْ على طلبِ رضا اللَّهِ فى دعائِهم إلى ما بعَثك اللَّهُ به من الحقِّ ، فإن الذى تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيلُ إلى الاجتماعِ فيه معك على الألفةِ والدين القيمِ ، ولا سبيلَ لك إلى إرضائِهم باتباعِ ملتِهم ؛ لأن اليهوديةَ ضدُّ النصرانيةِ ، والنصرانيةَ ضدُّ اليهوديةِ ، ولا تجتمعُ النصرانيةُ واليهوديةُ فى شخصٍ واحدٍ ، فى حالٍ واحدةٍ ، [٢٩/٤ظ] واليهودُ والنصارى لا تجتمعُ على الرضا بك ، إلا أن تكونَ يهوديًّا نصرانيًّا ، وذلك مما لا يكونُ منك أبدًا ؛ لأنك شخصٌ واحدٌ ، ولن يَجْتَمِعَ فيك دينان متضادّان فى حالٍ واحدةٍ ، وإذا لم يكنْ لك إلى اجتماعِهما فيك فى وقتٍ واحدٍ سبيلٌ ، لم يكنْ إلى إرضاءِ الفريقَيْن سبيلٌ ، وإذا لم يكنْ لك إلى ذلك سبيلٌ ، فالزمْ هُدَى اللَّهِ الذى لجميعِ[(٢)] الخلقِ إلى الألفةِ عليه سبيلٌ .

وأما « الملةُ » ، فإنها الدينُ ، وجمعُها المِلَلُ .

ثم قال جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ - لهؤلاءِ النصارَى واليهودِ الذين قالوا : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ ﴾ - : ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ . يعنى أن بيانَ اللَّهِ هو البيانُ المُقْنِعُ ، والقضاءُ

---

(١) فى الأصل : « زارت » . وفى رواية للديوان : « فارت » .

(٢) فى م : « لجمع » ، وفى ت١ ، ت٣ : « يجتمع » ، وفى ت٢ : « يجمع » .

الفاصلُ بيننا ، فهَلُمُّوا إلى كتابِ اللَّهِ وبيانِه الذى بيَّنَ فيه لعبادِه ما اختلَفوا فيه - وهو التوراةُ التى تُقِرُّون جميعًا بأنها من عندِ اللَّهِ - يَتَّضِحْ لكم فيها المُحِقُّ منا من المُبْطِلِ ، وأيُّنا أهلُ الجنةِ وأيُّنا أهلُ النارِ ، وأيُّنا على الصوابِ وأيُّنا على الخطأِ .

وإنما أمَر اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن يَدعوَهم إلى هُدَى اللَّهِ وبيانِه ؛ لأن فيه تكذيبَ اليهودِ والنصارَى فيما قالوا من أن الجنةَ لن يَدخُلَها إلا من كان هُودًا / أو نصارَى ، وبيانَ أمرِ ١/٥١٨
محمدٍ ﷺ ، [(١)] وأنه رسولُ اللَّهِ [(١)] ، وأن الـمُكَذِّبَ به هو من أهلِ النارِ دونَ المصدِّقِ به.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَبِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك[(٢)] : ولئِنِ اتَّبعتَ يا محمدُ هَوَى هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى ، فيما يُرضيهم عنك من تَهَوُّدٍ وتَنَصُّرٍ ، فصِرْتَ من ذلك إلى رضاهم ، ووافقْتَ فيه محبتَهم ، من بعدِ الذى جاءَك من العلمِ ، بضلالتِهم وكفرِهم بربِّهم ، ومن بعدِ الذى اقتصَصْتُ عليك من نبئِهم فى هذه السورةِ ، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ ﴾ . يعنى بذلك : ليس لك يا محمدُ من ولىٍّ يَلِى أمرَك ، وقَيِّمٍ يقومُ به ، ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يَنصُرُك من اللَّهِ ، فيدفَعَ عنك ما ينزِلُ بك منه من عقوبةٍ ، ويمنَعُك من ذلك إن أحلَّ بك ذلك ربُّك .

وقد بيَّنَّا معنى « الولىِّ » و « النصيرِ » فيما مضَى قبلُ[(٣)] .

وقد قيل : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أنزلَ هذه الآيةَ على نبيِّه عليه السلامُ ؛ لأن اليهودَ والنصارَى دعَتْه إلى أديانِها ، وقال كلُّ حزبٍ منهم : إن الهُدَى هو ما نحن عليه ،

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى م : « بقوله » .

(٣) ينظر ما تقدم ص ٤٠٨ .

دونَ ما عليه غيرُنا من سائرِ المللِ . فوعَظه اللَّهُ أن يفعلَ ذلك ، وعلَّمه الحجةَ الفاصلةَ بينَهم فيما ادَّعى كلُّ فريقٍ منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ .

[٣٠/٤و] **اختلف أهلُ التأويلِ** فى الذين عناهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم :** هم المؤمنون برسولِ اللَّهِ وبما جاء به من أصحابِه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ : هؤلاء أصحابُ نبيِّ اللَّهِ ﷺ ، آمَنوا بكتابِ اللَّهِ وصدَّقُوا به(١) .

وقال آخرون : بل عَنَى اللَّهُ بذلك علماءَ بنى إسرائيلَ الذين آمنوا باللَّهِ وصدَّقوا رسلَه ، فأقرُّوا بحكمِ التوراةِ ، فعمِلوا بما أمَرهم اللَّهُ فيها من اتباعِ محمدٍ ﷺ ، والإيمانِ به ، والتصديقِ بما جاء به من عندِ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾ . (٢قال : مَن آمَن برسولِ اللَّهِ من بنى إسرائيلَ وبالتوراةِ . وقرَأ٢) : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ قال :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٨/١ (١١٦١) من طريق شيبان ، عن قتادة بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد عن قتادة بنحوه ، وفيه زيادة .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

مَن كفر بالنبيِّ ﷺ من يهودَ ، فأولئك هم الخاسرون[1] .

وهذا القولُ أولى بالصوابِ من القولِ الذى قاله قتادةُ ؛ لأن الآياتِ قبلَها مضَت بأخبارِ أهلِ الكتابَيْن ، وتبديلِ مَن بدَّل منهم كتابَ اللَّهِ ، وتأوُّلِهم / إيَّاه على غيرِ ٥١٩/١
تأويلِه ، وادِّعائِهم على اللَّهِ الأباطيلَ ، ولم يَجْرِ لأصحابِ محمدٍ ﷺ فى الآيةِ التى قبلَها ذكْرٌ ، فيكونَ قولُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . موجَّهًا إلى الخبرِ عنهم ، ولا لهم بعدَها ذكرٌ فى الآيةِ التى تَتْلُوها ، فيكونَ مُوَجَّهًا ذلك إلى أنه خبرٌ مبتدأٌ عن قَصَصِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ انقضاءِ قَصَصِ غيرِهم ، ولا جاء بأن ذلك خبرٌ عنهم أثرٌ يَجِبُ التسليمُ له .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أوْلَى بمعنى الآيةِ أن يكونَ موجَّهًا إلى أنه خبرٌ عمن قصَّ اللَّهُ نبأَه[2] فى الآيةِ قبلَها والآيةِ بعدَها ، وهم أهلُ الكتابيْن ؛ التوراةِ والإنجيلِ . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : الذين آتيْناهم الكتابَ الذى قد عرَفته يا محمدُ ، وهو التوراةُ ، فقرءُوه واتَّبعوا ما فيه ، فصدَّقوك وآمَنوا بك ، وبما جئتَ به مِن عندى ، فأولئك يتلونه حقَّ تلاوتِه . وإنما أُدخلت الألفُ واللامُ فى ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لأنه معرفةٌ ، قد كان النبىُّ ﷺ وأصحابُه عرَفوا أىَّ الكتبِ عَنَى به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ .

اخْتلَف أهلُ التأْويلِ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك : يتَّبعونه حقَّ اتِّباعِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ وعبدُ الأعلى ، [٣٠/٤ظ]

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٥/١ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « جل ثناؤه » .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِيٍّ ، جميعًا عن داودَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّبَاعِه[(١)] .

وحدَّثنى ابنُ[(٢)] المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الوهَّاب ، قال : حدَّثنا داودُ ، عن عكرمةَ بمثلِه[(٣)] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن عكرمةَ مثلَه[(٣)] .

وحدَّثنى الحسينُ بنُ عمرٍو العَنْقَزِىُّ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن أسباطَ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يُحِلُّون حلالَه ، ويُحَرِّمون حرامَه ، ولا يُحَرِّفونه[(٤)] .

وحدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : قال أبو مالكٍ : إن ابنَ عباسٍ قال فى : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . فذكَر مثلَه ، إلَّا أنه قال : ولا يُحَرِّفونه عن مواضعِه[(٥)] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا المُؤَمَّلُ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٨/١ (١١٥٩) ، وابن المقرئ فى معجمه (١٠٥) من طريق داود به . وزاد ابن أبى حاتم : ثم قرأ : ﴿والقمر إذا تلاها﴾ يقول : اتبعها . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن المنذر والهروى فى فضائله .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ . وينظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٩.

(٣) ينظر ما سيأتى فى ص ٤٩٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١٨/١ (١١٥٧) من طريق عمرو بن محمد العنقزى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه الحاكم ٢٦٦/٢ من طريق عمرو بن حماد به . وقال : صحيح الإسناد .

زُبَيدٌ[(١)] ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه[(٢)] .

وحُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : والذي نفسي بيدِه ، إن حَقَّ تلاوتِه أن يُحِلَّ حلالَه ، ويُحَرِّمَ حرامَه ، ويَقْرأَه كما أنزَلَه اللَّهُ ، ولا يُحَرِّفَ الكَلِمَ عن مواضعِه ، ولا يَتَأَوَّلَ منه شيئًا على غيرِ تأويلِه[(٣)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ومنصورِ بنِ / المُعْتَمِرِ ، عن ابنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : أن ٥٢٠/١
يُحَلَّ حلالُه ، ويُحَرَّمَ حرامُه ، ولا يُحَرَّفَ[(٤)] عن مواضعِه[(٥)] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : حدَّثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، عمَّن ذكَره ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه[(٦)] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبادُ بنُ العَوَّامِ ، عن الحجَّاجِ ، عن عطاءٍ مثلَه[(٧)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن

---

(١) في م : « يزيد » ، وفي ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « زيد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٩/٩ .
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٣٦/١ عن سفيان .
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٣٥/١ عن أبي العالية .
(٤) في م : « يحرفه » .
(٥) تفسير عبد الرزاق ٥٦/١ ، ٥٧ . وقتادة ومنصور لم يدركا ابن مسعود .
(٦) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٦١ .
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ عقب الأثر (١١٥٩) معلقا .

منصورٍ ، عن أبي رَزِينٍ في قوله : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه[1] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا المُؤَمَّلُ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، **وحدَّثنا** المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو نُعيمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، **وحدَّثني** نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَوْديُّ[2] ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ إبراهيمَ ، عن سفيانَ ، قالوا جميعًا : عن منصورٍ ، عن أبي رَزِينٍ مثلَه .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : عملًا به .

وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ ، [3]عن مجاهدٍ[3] : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه ، ألم تَرَ إلى قولِه : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٢] ؟ يعني الشمسَ إذا اتَّبعها[4] القمرُ[5] .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ المُبارَكِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ ، عن عطاءٍ وقيسٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يعمَلون به حقَّ عمَلِه .

حدَّثني المُثَنَّى ، [٣١/٤و] قال : حدَّثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرَنا هُشيمٌ ، عن

---

(١) تفسير الثوري ص ٤٨ .

(٢) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الأزدي » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) في م : « تبعها » .

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٦٢ عن هشيم به .

عبدِ الملكِ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتِّباعِه .

وحَدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : يعمَلون به حَقَّ عملِه[(١)] .

وحدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتباعِه .

وحدَّثنى عمرٌو ، قال : حدَّثنا أبو قُتيبةَ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ أبى جعفرٍ ، عن[(٢)] أيوبَ ، عن أبى الخليلِ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتباعِه .

وحدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا يحيى القَطَّانُ ، عن عبدِ الملِكِ ، عن عطاءٍ قولَه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حَقَّ اتباعِه ، يعمَلون به حقَّ عمَلِه[(٣)] .

وحدَّثنا سفيانُ بنُ وَكِيعٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن المُبارَكِ ، عن الحسنِ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يعمَلون بمحكمِه ، ويؤمنون بمتشابِهه ، ويَكِلُون ما

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١١ - تفسير) من طريق خصيف عن مجاهد .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أبى » . وينظر تهذيب الكمال ٤٥٧/٣ .

(٣) تقدم من وجه آخر عن عطاء فى ص ٤٨٩ .

أَشْكَل عليهم إلى عالمِه(١) .

وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن
٥٢١/١ قتادةَ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . / قال : أحَلُّوا حلالَه ، وحرَّموا حرامَه ، وعمِلوا بما فيه . ذُكِر(٢) لنا أن ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : إن حقَّ تلاوتِه أن يُحَلَّ حلالُه ، ويُحَرَّمَ حرامُه ، وأن يُقْرَأَ(٣) كما أنزَلَه اللَّهُ ، ولا يُحَرَّفَ(٤) عن مواضعِه(٥) .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أبو داودَ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ عَطِيَّةَ ، قال : سمِعتُ قَتادةَ يقولُ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حقَّ اتِّباعِه(٦) ، يحِلُّون حلالَه ، ويحرِّمون حرامَه ، ويقرءونه كما أُنْزِل .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : أخبرنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرَنا هشيمٌ ، عن داودَ ، عن عكرمةَ : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . قال : يَتَّبِعونه حقَّ اتِّباعِه ، أمَا سمِعتَ قولَ اللَّهِ : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٢] . قال : إذا اتَّبعها(٧) .

وقال آخرون : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : يَقْرَءونه حقَّ قراءتِه .

والصوابُ مِن القولِ فى تأويلِ ذلك أنه بمعنى : يَتَّبِعونه حَقَّ اتباعِه . مِن قولِ

---

(١) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/١١١ - ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٨ (١١٥٨) .

(٢) فى ت٢ : « قيل » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يقرأه » .

(٤) فى م : « يحرفه » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ص ٤٨٦ ، ٤٨٩ .

(٦) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قال اتباعه » .

(٧) فى م ، ت١ ، ت٣ : « تبعها » ، وفى ت٢ : « تبعتها » .

والأثر أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٦١ عن هشيم به . وأخرجه فى غريب الحديث ٤/١٧٣ عن عباد بن العوام عن داود به . وينظر ما تقدم فى ص ٤٨٨ .

القائلِ : ما زلتُ أَتلو أثرَه . إذا اتَّبع أثرَه ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن أهلِ التأويلِ على أن ذلك تأويلُه . وإذ كان ذلك تأويلَه ، فمعنى الكلامِ : الذين آتيناهم الكتابَ يا محمدُ ، مِن أهلِ التوراةِ الذين آمنوا بك ، وبما جئتَهم به مِن الحقِّ مِن عندى - يَتَّبِعون كتابى الذى أنزلْتُ على رسولى موسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، فيؤمِنون به ، ويقِرُّون بما فيه مِن نعتِك وصفتِك ، وأنك رسولى ، فَرْضٌ عليهم طاعتى فى الإيمانِ بك ، والتصديقِ بما جئتَهم به مِن عندى ، ويَعمَلون بما أحْلَلتُ لهم ، ويتَجنَّبون[(١)] ما حرَّمتُ عليهم فيه ، ولا يُحرِّفونه عن مواضِعِه ، ولا يُبَدِّلونه ، ولا يُغيِّرونه عمَّا[(٢)] أنزلتُه عليهم ، بتأويلٍ ولا غيرِه .

وقولُه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . مبالغةٌ فى صفةِ اتِّباعِهم الكتابَ ، ولزومِهم العملَ به ، كما يقالُ : إن فلانًا لعالمٌ حَقُّ عالمٍ . وكما يقالُ : إن فلانًا لفاضلٌ كلُّ فاضلٍ .

وقد اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى إضافةِ « حقّ » إلى المعرفةِ ؛ [٣١/٤ظ] فقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : غيرُ جائزةٍ إضافتُه إلى معرفةٍ ؛ لأنه بمعنى « أىّ » ، وبمعنى قولِك : أفضلُ رجلٍ . قال[(٣)] : و « أَفْعَلُ » لا يُضافُ إلى واحدٍ معرفةٍ ؛ لأنه مُبَعَّضٌ ، ولا يكونُ الواحدُ [(٤)]المعرفةُ مبعَّضًا[(٤)] . فأحالوا أن يقالَ : مررتُ بالرجُلِ حقَّ الرجُلِ ، ومرَرتُ بالرجُلِ جِدَّ الرجُلِ . كما أحالوا : مرَرتُ بالرجُلِ أىَّ الرجُلِ . وأجازوا ذلك فى : كلّ الرجلِ ، وعين[(٥)] الرجلِ ، ونفس الرجلِ . وقالوا : إنما أجَزْنا ذلك لأن هذه

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يجتنبون » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كما » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فلان » .

(٤ - ٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « المبعض معرفة » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « غير » .

الحروفَ كانتْ فى الأصلِ تواكيدَ ، فلمَّا صِرْنَ مُدُوحًا تُرِكْنَ[١] على أصولِهنَّ فى المعرفةِ .

وزعَموا أن قولَه : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . إنما جازت إضافتُه إلى « التلاوةِ » وهى مضافةٌ إلى معرفةٍ ، لأن العربَ تعتدُّ بالهاءِ إذا عادت [٢]بالنكرةِ نكرةً[٢] ، فيقولون : مررتُ برجلٍ واحدِ أُمِّه ، ونَسِيجِ وَحْدِه ، وسيِّدِ قومِه . قالوا : فكذلك قولُه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . إنما جازت إضافةُ « حقّ » إلى « التلاوةِ » وهى مضافةٌ إلى الهاءِ ؛ لاعتدادِ العربِ بالهاءِ التى فى نظائرِها فى عِدادِ النكِراتِ . قالوا : ولو كان تأويلُ[٣] ذلك : حقَّ التلاوةِ . لوجَب أن يكونَ جائزًا : مررتُ بالرجُلِ حَقَّ الرجُلِ . فعلى هذا القولِ تأويلُ الكلامِ : الذين آتَيْناهم الكتابَ يَتْلونه حَقَّ تلاوةٍ .

١/٥٢٢ / وقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : جائزةٌ إضافةُ « حقّ » إلى النكِراتِ مع النكراتِ ، ومع المعارفِ إلى المعارفِ ، وإنما ذلك نظيرُ قولِ القائلِ : مررتُ بالرجُلِ غُلامِ الرجُلِ ، وبرجُلٍ غُلامِ رجلٍ . فتأويلُ الآيةِ على قولِ هؤلاء : الذين آتيناهم الكتابَ يتلُونه حقَّ التلاوةِ[٤] .

وأَوْلَى ذلك بالصوابِ عندَنا القولُ الأولُ ؛ لأن معنى قولِه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ : أىَّ تلاوةٍ ، بمعنى مَدْحِ التلاوةِ التى تلَوْها وتفضيلِها ، و « أىّ » غيرُ جائزةٍ إضافتُها إلى واحدٍ معرفةٍ عندَ جميعِهم ، فكذلك « حقّ » غيرُ جائزةٍ إضافتُها إلى واحدٍ معرفةٍ ، وإنما أُضِيف فى قولِه : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ إلى ما فيه الهاءُ ؛ لِمَا وصفتُ مِن العلَّةِ التى

---

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مدوحا » .

(٢ - ٢) فى م : « إلى نكرة بالنكرة » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « تلاوته » .

تقدَّمَ بيانُناها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦٓ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : هؤلاء الذين أخْبَر عنهم أنهم يَتْلون ما آتاهم مِن الكتابِ حقَّ تلاوتِه .

وأمَّا قولُه : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِۦٓ ﴾ . فإنه يعنى : يُصَدِّقون به . والهاءُ التى فى قولِه : ﴿ بِهِۦٓ ﴾ عائدةٌ على الهاءِ التى فى ﴿ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ . وهما جميعًا مِن ذكْرِ الكتابِ الذى قال اللَّهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . فأخبَر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن المؤمنَ بالتوراةِ هو المُتَّبِعُ ما فيها مِن حلالِها وحرامِها ، والعاملُ بما فيها مِن فرائضِ اللَّهِ التى فرَضها فيها على أهلِها ، وأن أهلَها الذين هم أهلُها مَن كان ذلك صفتَه دونَ مَن كان مُحَرِّفًا لها ، مُبَدِّلًا تأويلَها ، مُغَيِّرًا سُنَنَها ، تارِكًا ما فرَض اللَّهُ فيها عليه .

وإنما وصَف جلَّ ثناؤُه مَن وصَف بما وصَف به مِن مُتَّبِعى التوراةِ ، فأَثْنَى عليهم بما أَثْنَى به عليهم ؛ لأن فى اتباعِها اتباعَ محمدٍ نبىِّ اللَّهِ ﷺ وتصديقَه ؛ لأن التوراةَ تَأْمُرُ أهلَها بذلك ، وتُخْبِرُهم عن اللَّهِ تعالى ذكرُه بنُبُوَّتِه وفرْضِ طاعتِه على جميعِ خلْقِ اللَّهِ [٣٢/٤و] مِن بنى آدمَ ، وأن فى التكذيبِ بمحمدٍ ﷺ التكذيبَ بها[(١)] ، فأخبَر جلَّ ثناؤُه أن مُتَّبِعى التوراةِ هم المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ ، وهم العاملون بما فيها .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦٓ ﴾ . قال : مَن آمن برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن بنى إسرائيلَ وبالتوراةِ ، وأن الكافرَ بمحمدٍ ﷺ هو الكافرُ بها الخاسرُ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ

(١) فى م : « لها » .

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾ : ومَن يَكْفُرْ بالكتابِ الذى أخبرَ أنه يَتْلُوه مَن آتاه مِن المؤمنين حَقَّ تلاوتِه .

ويعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَكْفُرْ ﴾ : يَجْحَدْ ما فيه مِن فرائضِ اللَّهِ ونُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه ، ويُبَدِّلْه فيُحَرِّفْ تأويلَه ، أولئك هم الذين خسِروا علْمَهم وعمَلَهم ، فبَخَسوا أنفسَهم حُظوظَها مِن رحمةِ اللَّهِ ، واسْتَبْدَلوا بها سَخَطَ اللَّهِ وغضَبَه .

وقال ابنُ زيدٍ فى ذلك[(١)] بما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال

١/٥٢٣ ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمَن / يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ . قال : مَن كفَر بالنبىِّ ﷺ مِن يهودَ ، فأولئك هم الخاسرون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

وهذه الآيةُ عِظَةٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه لليهودِ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتذكيرٌ منه لهم بما سلَف مِن أَيادِيه إليهم فى صُنْعِه بأوائِلِهم ، استعطافًا منه لهم على دينِه ، وتصديقِ رسولِه محمدٍ ﷺ ، فقال : يا بنى إسرائيلَ ، اذْكُروا أَيادِىَّ لديكم ، وصنائِعى عندَكم ، واستنقاذى إيَّاكم مِن أَيْدِى عدوِّكم فرعونَ وقومِه ، وإنزالى عليكم المَنَّ والسَّلْوَى فى تِيهِكم ، وتمكينى لكم فى البلادِ ، بعدَ أن كنتُم مُذَلَّلِينَ مقهورين ، واختصاصى الرسُلَ منكم ، وتفضيلى إيَّاكم على

(١) فى م : « قوله » .

عالَم مَن كنتُم بينَ ظَهْرَانَيْه ، أيامَ أنتم فى طاعتى [(١)] تَبْتَغون مرضاتى ، فراجِعوا طاعتى [(١)] ، باتِّباعِ رسولى إليكم ، وتصديقِه وتصديقِ ما جاءكم به مِن عندى ، ودَعُوا التمادىَ فى الضلالِ والغىِّ .

وقد ذكَرْنا فيما مضَى النِّعَمَ التى أنْعَم اللَّهُ بها على بنى إسرائيلَ ، والمعانىَ [٣٢/٤ظ] التى ذكَّرهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه مِن آلائِه عندَهم ، والعالَمَ الذى فُضِّلوا عليه فيما مضَى قبلُ ، بالرِّواياتِ والشواهدِ ، فكرِهْنا تطويلَ الكتابِ بإعادتِه ؛ إذ كان المعنى فى ذلك فى هذا الموضعِ وهنالك واحدًا [(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

وهذه الآيةُ ترهيبٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه للذين سلَفت عِظَتُه إيَّاهم بما وعَظهم به فى الآيةِ قبلَها ، يقولُ اللَّهُ لهم : واتَّقوا يا معشرَ بنى إسرائيلَ المُبدِّلينَ كتابى وتنزيلى ، المحرِّفين تأويلَه عن وجهِه ، المكذِّبين برسولى محمدٍ ﷺ - عذابَ يومٍ لا تَقْضِى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، ولا تُغْنِى عنها غَناءً ؛ أن تَهلِكوا على ما أنتم عليه مِن كفرِكم ، وتكذيبِكم رسولى ، فتَموتوا عليه ، فإنه يومٌ لا يُقْبَلُ مِن نفسٍ فيما لزِمها فِدْيَةٌ ، ولا يَشْفَعُ فيما وجَب عليها مِن حقٍّ لها شافعٌ ، ولا هم يَنْصُرُهم ناصرٌ مِن اللَّهِ إذا انْتَقَم منها بمعصيتِها إيَّاه .

وقد مضَى البيانُ عن كلِّ معانى هذه الآيةِ فى نظيرتِها قبلُ ، فأَغْنى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ [(٣)] .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٩٤ - ٥٩٦ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٦٣١ وما بعدها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ .

٥٢٤/١ [٥٢٤/١] / يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ ﴾ : وإذ اخْتَبَر . يقالُ منه : ابْتَلَيتُ فلانًا أَبْتَلِيه ابتلاءً . ومنه قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ [النساء : ٦] . يعنى به : اخْتَبِرُوهم . وكان اختبارُ اللَّهِ تعالى ذكرُه إبراهيمَ اختبارًا بفرائضَ فرَضها عليه ، وأمرٍ أمَره به ، وذلك هو الكلماتُ التى أوحاهنَّ إليه فكلَّفه العمَلَ بهنَّ ، امتحانًا منه له واختبارًا .

ثم اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ الكلماتِ التى ابْتَلى اللَّهُ بها إبراهيمَ خليلَه ، صلواتُ اللَّه عليه ؛ **فقال بعضُهم** : هى شرائعُ الإسلامِ ، وهى ثلاثون سهمًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدثنى عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ [٣٣/٤و] ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : قال ابنُ عباسٍ : لم يُبْتَلَ أحدٌ بهذا الدِّينِ فأقامه إلَّا إبراهيمُ ؛ ابتلاه اللَّهُ بكلماتٍ فأتمهنَّ ، قال : فكتَب اللَّهُ له البراءةَ ، فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] . قال : عَشْرٌ منها فى « الأحزابِ » ، وعشْرٌ منها فى « براءةَ » ، وعشرٌ منها فى « المؤمنين » ، و « سأل سائل » . وقال : إن هذا الإسلامَ ثلاثون سهمًا[١] .

وحدثنى إسحاقُ بنُ شاهينِ الواسطىُّ ، قال : ثنا خالدٌ الطَّحَّانُ ، عن داودَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما ابتُلِى أحدٌ بهذا الدِّينِ فقام به كلِّه غيرُ إبراهيمَ ، ابتُلِى بالإسلامِ فأتمَّه ، فكتَب اللَّهُ له البراءةَ ، فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . فذكر

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٧٩ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١/ ٥٢٢ ، وابن عساكر فى تاريخه ٦/ ١٩٤ من طريق عبد الأعلى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٢٠ (١١٦٦) ، والحاكم ٢/ ٤٧٠ ، ٥٥٢ من طريق داود به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١١ إلى ابن مردويه .

عشرًا فى « براءةَ » ، فقال : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] . وعشرًا فى « الأحزابِ » : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وعشرًا فى سورةِ « المؤمنين » ، إلى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ[(1)] يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ١- ٩] ، وعشرًا فى « سأل سائل » : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[(2)] [المعارج : ٢٢- ٣٤] .

وحدَّثنا عبدُ[(3)] اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ شَبُّويَه[(4)] ، قال : ثنا عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : ثنا خارجةُ بنُ مُصْعَبٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الإسلامُ ثلاثون سهمًا ، وما ابْتَلى اللَّهُ بهذا الدِّينِ أحدًا فأقامه إلَّا إبراهيمَ ، قال اللَّهُ : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . فكتب اللَّهُ له براءةً مِن النارِ[(5)] .

وقال آخرون : هى خِصالٌ عَشْرٌ مِن سُنَنِ الإسلامِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : ابتلاه اللَّهُ بالطَّهارةِ ؛ خمسٌ فى الرأسِ ، وخمسٌ فى الجسدِ ، فى الرأسِ قصُّ الشاربِ ، والمَضْمَضَةُ ، والاسْتِنْشاقُ ، والسِّواكُ ، وفَرْقُ الرأسِ ، وفى الجسدِ تقليمُ الأظفارِ ، وحلْقُ العانةِ ، والخِتَانُ ، ونَتْفُ الإبطِ ، وغَسْلُ أَثَرِ الغائطِ والبولِ بالماءِ[(6)] .

(١) فى الأصل ، ت١ : « صلاتهم » . وهما قراءتان ، وسنذكر تخريجهما فى موضعه من التفسير .
(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٧٩ .
(٣) فى م : « عبيد » . وينظر تاريخ بغداد ٩/٣٧١ ، والثقات لابن حبان ٨/٣٦٦ .
(٤) فى م : « شبرمة » . وينظر المصدر السابق .
(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٠ .
(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٧، ومن طريقه الحاكم ٢/٢٦٦ - وسقط منه أول الإسناد - والبيهقى ١/ ١٤٩.=

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الحَكَمِ بنِ أبانٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن ابنِ عباسٍ بمثلِه ، ولم يَذْكُرْ أَثَرَ البولِ[(١)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ
١/٥٢٥ في قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ / إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ قال : ابتلاه ؛ أمَره[(٢)] بالخِتَانِ ، وحلْقِ العانةِ ، وغسْلِ القُبُلِ والدُّبُرِ ، والسواكِ ، وقصِّ الشاربِ ، وتقليمِ الأظفارِ ، ونتْفِ الإبطِ . قال أبو هلالٍ : ونسِيتُ خَصْلةً[(٣)] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن مَطَرٍ ، عن أبي الجَلْدِ ، قال : ابْتُلِي إبراهيمُ بعشَرةِ أشياءَ ، هنَّ في الإنسانِ سُنَّةٌ ؛ الاستنشاقُ ، وقصُّ الشاربِ ، والسواكُ ، ونتْفُ الإبطِ ، وتقليمُ الأظفارِ ، وغسْلُ البراجِمِ[(٤)] ، والخِتَانُ ، وحلْقُ العانةِ ، وغسْلُ الدُّبُرِ والفرجِ[(٥)] .

[٣٣/٤ظ] وقال بعضُهم : بل الكلماتُ التي ابْتُلِي بهنَّ عشْرُ خِلالٍ ، بعضُهنَّ في تطهيرِ الجسدِ ، وبعضُهنَّ في مناسكِ الحجِّ .

= وأخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٠، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٩/١ (١١٦٥) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٧/١ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٠/١ .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٠/١ .

(٤) البراجم : العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ ، الواحدة بُرْجُمة . النهاية ١١٣/١ .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٠، ٢٨١: حدثني عبدان المروزي ، ثنا عمار بن الحسن به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، قال : ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن ابنِ هُبَيْرَةَ ، عن حَنَشٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قال : ستَّةٌ في الإنسانِ ، وأربعةٌ في المشاعرِ ؛ فالتي في الإنسانِ ؛ حلْقُ العانةِ ، والختانُ ، ونتفُ الإبطَيْنِ[1] ، وتقليمُ الأظفارِ ، وقصُّ الشاربِ ، والغُسلُ يومَ الجمعةِ ، وأربعةٌ في المشاعرِ ؛ الطوافُ ، والسعيُ بينَ الصَّفا والمروةِ ، ورميُ الجِمارِ ، والإفاضةُ[2] .

وقال آخرون : بل ذلك : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، و[3] مناسكُ الحجِّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعتُ إسماعيلَ بنَ أبي خالدٍ ، عن أبي صالحٍ في قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فمنهنَّ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وآياتُ النُّسُكِ[4] .

وحدَّثني أبو السائبِ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعتُ إسماعيلَ بنَ أبي خالدٍ ، عن أبي صالحٍ مولى أُمِّ هانئٍ في قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : منهنَّ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهنَّ آياتُ النسكِ ، و : ﴿ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾[4] .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

---

(١) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الإبط » .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٢٠ (١١٦٨) من طريق ابن لهيعة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١١١ إلى ابن المنذر .

(٣) في م : « في » .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٦/ ١٩٤ من طريق ابن إدريس به .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قال : قال اللَّهُ لإبراهيمَ : إنى مُبتَلِيك بأمرٍ ، فما هو ؟ قال : تَجْعَلُنى للناسِ إمامًا ؟ قال : نعم . قال : ومِن ذُرِّيَّتِى ؟ قال : لا يَنالُ عهدى الظالمين . قال : تَجْعَلُ البيتَ مثابةً للناسِ ؟ قال : نعم . وأَمْنًا ؟ قال : نعم . وتَجْعَلُنا مُسْلِمَيْنِ لك ومِن ذُرِّيَّتِنا أمةً مسلمةً لك ؟ قال : نعم . وتُرِينا مناسكَنا وتَتُوبُ علينا ؟ قال : نعم . قال : وتَجْعَلُ هذا البلدَ آمِنًا ؟ قال : نعم . قال : تَرْزُقُ أهلَه مِن الثمراتِ مَن آمَن[(١)] ؟ قال : نعم[(٢)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، أخبرَه به عن عكرمةَ ، قال : فعرَضتُه على مجاهدٍ فلم يُنْكِرْه[(٣)] .

١/٥٢٦ / **وحدَّثنا** القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِه . قال ابنُ جُرَيْجٍ : فاجتمَع على هذا القولِ مجاهدٌ وعكرمةُ جميعًا[(٤)] .

وحدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال : ابْتُلِىَ بالآياتِ التى بعدَها : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٥)] .

---

(١) بعده فى م : « منهم » .
(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٢، وهو فى تفسير مجاهد ص ٢١٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢١ (١١٧١) .
(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٢ .
(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٢ .
(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٢ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١/٥٢١ عن وكيع به .

وحُدِّثتُ عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ : فالكلماتُ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقولُه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً [٤/٣٤و] لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ . وقولُه : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . وقولُه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾ الآية . وقولُه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ ﴾ الآية . قال : فذلك كلُّه[(١)] مِن الكلماتِ التى ابْتُلِىَ بهنَّ إبراهيمُ[(٢)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فمنهنَّ : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهنَّ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ، ومنهنَّ الآياتُ فى شأنِ المَنسَكِ ، والمقامُ الذى جُعِل لإبراهيمَ ، والرزقُ الذى رُزِق ساكنو البيتِ ، ومحمدٌ بُعِث[(٣)] فى ذُرِّيَّتِهما صلى اللَّهُ عليهم[(٢)] .

وقال آخرون : بل ذلك مناسكُ الحجِّ خاصَّةً .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ نَبْهانَ ، عن قتادةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : مناسكُ الحجِّ[(٤)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان

---

(١) فى م : « كلمة » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٣/١ .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٣/١ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩٥/٦ من طريق شيبان ، عن قتادة به نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم .

ابنُ عباسٍ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : هى المناسكُ[(١)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ابتلاه بالمناسكِ[(٢)] .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : بلغَنا عن ابنِ عباسٍ أنه قال : إن الكلماتِ التى ابْتُلِى بها إبراهيمُ ، المناسكُ[(٣)] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن التَّميمىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : مناسكُ الحجِّ[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ[(٤)] ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن التَّميمىِّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : منهنَّ مناسكُ الحجِّ[(١)] .

وقال آخَرون : هى أمورٌ ، منهن الخِتانُ .

٥٢٧/١ ## / ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، عن يونسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢١/١ (١١٦٩) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩٣/٦ من طريق محمد بن حماد الطهرانى عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ .

(٤) فى حاشية الأصل : « الحمانى كذا وقع فى الأم ، وهو .. المثنى وعصره إلا أن طاهر ... عنه على معنى ... والله أعلم » . وينظر ترجمة الحمانى فى تهذيب الكمال ٤١٩/٣١ .

الشَّعْبيِّ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : منهن الخِتانُ[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، قال : سمِعتُ الشعبىَّ يقولُ . فذكَر مثلَه[(٢)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، قال : سمِعتُ الشعبىَّ - وسأَله أبو إسحاقَ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ - قال : منهن الختانُ يا أبا إسحاقَ[(٢)] .

وقال آخرون : بل ذلك الخلالُ الستُّ ؛ الكوكبُ ، والقمرُ ، والشمسُ ، والنارُ ، والهجرةُ ، والختانُ ، التى ابْتُلِى بهنَّ فصبَر عليهنَّ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أبى رجاءٍ ، قال : قلتُ للحسنِ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ؟ قال : ابتلاه بالكوكبِ[(٣)] فرضِى عنه ، وابتلاه بالقمرِ فرضِى عنه ، وابْتَلاه بالشمسِ فرضِى عنه ، وابْتَلاه بالنارِ فرضِى عنه ، وابتلاه بالهجرةِ ، وابتلاه بالختانِ[(٤)] .

[٣٤/٤ظ] وحدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : إى واللَّهِ ، لابتلاه[(٥)] بأمرٍ فصبَر عليه ، ابتلاه بالكوكبِ[(٣)] ، والشمسِ ، والقمرِ ، فأحسَنَ فى ذلك ، وعرَف أن ربَّه دائمٌ لا يَزولُ ،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٥٢١/١١ عن وكيع عن يونس به .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ .

(٣) فى الأصل : « بالكواكب » .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٥/١، وابن عساكر فى تاريخه ١٩٣/٦ من طريق يعقوب به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢١/١ (١١٧٠) من طريق ابن علية به .

(٥) فى م : « ابتلاه » .

فوجَّه وجهَه للذى فطَر السماواتِ والأرضَ حنيفًا ، وما كان مِن المشركينَ ، ثم ابتلاه بالهجرةِ ، فخرَج مِن بلادِه وقومِه حتى لحِق بالشامِ مهاجرًا إلى اللَّهِ ، ثم ابتلاه بالنارِ قبلَ الهجرةِ ، فصبَر على ذلك ، وابتلاه اللَّه بذَبْحِ ابنِه وبالختانِ ، فصبَر على ذلك[(١)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عمَّن سمِع الحسنَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : ابتلاه بذَبْحِ ولدِه ، وبالنارِ ، وبالكوكبِ ، والشمسِ ، والقمرِ[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، عن الحسنِ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . قال : ابتلاه بالكوكبِ ، وبالشمسِ ، وبالقمرِ ، فوجَده صابرًا[(٣)] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : الكلماتُ التى ابتلى بهنَّ إبراهيمَ ربُّه : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ إلى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[(٤)] .

والصوابُ فى ذلك مِن القولِ عندَنا أن يقالَ : إن اللَّهَ عز وجل أخبَر عبادَه أنه اختبَر إبراهيمَ خليلَه بكلماتٍ أوحاهنَّ إليه ، وأمَره أن يَعمَلَ بهنَّ ، [(٥)] فعمِل بهن[(٥)]

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٥ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٥ من طريق شيبان، عن قتادة به .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٥ ، وهو تفسير عبد الرزاق ١/٥٧ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/١٩٣ من طريق محمد بن حماد الطهرانى عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٨٥ ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٣ ، ١٩٤ من طريق أبى هلال به نحوه مطولًا .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٠ عن السدى .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

وأَتمَّهنَّ ، كما أخبرَ اللَّهُ جل ثناؤه عنه أنه فعَل . وجائزٌ أن / تكونَ تلك الكلماتُ ٥٢٨/١
جميعَ ما ذكَره مَن ذكَرْنا قولَه في تأويلِ الكلماتِ ، وجائزٌ أن تكونَ بعضَه ؛ لأن إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه قد كان امْتُحِنَ فيما بلغَنا بكلِّ ذلك ، فعمِل به ، وقام فيه بطاعةِ اللَّهِ وأمرِه الواجبِ عليه فيه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ أن يقولَ : عنَى اللَّهُ بالكلماتِ اللواتى ابتَلى بهنَّ إبراهيمَ شيئًا مِن ذلك بعينِه دونَ شيءٍ ، ولا عنَى به كلَّ ذلك . إلَّا بحُجَّةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، مِن خبرٍ عن الرسولِ ﷺ ، أو إجماعٍ مِن الحُجَّةِ ، ولم يصحَّ بشيءٍ[1] من ذلك خبرٌ عن الرسولِ بنقلِ الواحدِ ، ولا بنقلِ الجماعةِ التى يَجِبُ التسليمُ لِما نَقَلَتْه . غيرَ أنه قد رُوِى عن النبيِّ ﷺ فى نظيرِ معنى ذلك خبران لو ثَبَتا أو أحدُهما ، كان القولُ به فى تأويلِ ذلك هو الصوابَ :

أحدُهما ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا رِشْدِينُ[2] بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى زَبّانُ[3] بنُ فائدٍ ، عن سهلِ بنِ مُعاذِ بنِ أنسٍ ، عن أبيه ، قال : كان النبيُّ ﷺ يقولُ : « ألا أُخْبِرُكم لِمَ سَمَّى اللَّهُ [٣٥/٤و] إبراهيمَ خَليلَه ، الذى وفَّى ؛ لأنَّه كان يَقُولُ كُلَّما أَصْبَحَ وكُلَّما أَمْسَى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] حتى يَخْتِمَ الآيةَ » .

والآخَرُ ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عطيَّةَ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن القاسمِ ، عن أبى أُمامةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) فى م : « فيه شىء » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « شىء » .

(٢) فى م : « راشد » ، وفى ت٢ : « رشيد » ، وفى ت١ ، ت٣ : « رشد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٢/٩ .

(٣) فى الأصل ، م ، ت٢ ، ت٣ : « ريان » ، وفى ت١ : « زياد » . وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٨١.

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] . قال : « تدْرُونَ ما وَفَّى ؟ » قالوا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « وَفَّى عَمَلَ يَوْمِه أربعَ رَكَعاتٍ فى النَّهارِ » .

فلو كان خبرُ سهلِ بنِ مُعاذٍ عن أبيه صحيحًا سَنَدُه ، كان بيِّنًا أن الكلماتِ التى ابْتُلِى بهنَّ إبراهيمُ ، فقام بهنَّ ، هى قولُه كُلَّما أصبحَ وأمسَى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ . أوْ كان خبرُ أبى أمامةَ عُدُولًا نَقَلَتُه ، كان معلومًا أن الكلماتِ التى أُوحِيَنَ إلى إبراهيمَ فابْتُلِى بالعمَلِ بهنَّ ، أن يُصَلِّىَ كلَّ يومٍ أربعَ ركَعاتٍ ، غيرَ أنهما خبرانِ فى أسانيدِهما نَظَرٌ .

فالصوابُ مِن القولِ فى معنى الكلماتِ التى أخبرَ اللَّهُ أنه ابتَلى بهنَّ إبراهيمَ ، ما بيَّنَّا آنفًا .

ولو قال قائلٌ فى ذلك : إن الذى قاله مجاهدٌ وأبو صالحٍ والربيعُ بنُ أنسٍ ، أوْلَى بالصوابِ مِن القولِ الذى قاله غيرُهم . كان مذهبًا ؛ لأن قولَه : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقولَه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ ، وسائرَ الآياتِ التى هى نظيرةُ ذلك - كالبيانِ عن الكلماتِ التى ذكَر اللَّهُ أنه ابتَلى بهنَّ إبراهيمَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ .

ويعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فأتَمَّ إبراهيمُ الكلماتِ . وإتمامُه إيَّاهنَّ إكمالُه إيَّاهنَّ بالقيامِ للَّهِ بما أوجَب عليه فيهنَّ ، وهو الوفاءُ الذى قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . يعنى بذلك : وفَّى بما عَهِد إليه بالكلماتِ فأمَره به ،

مِن فرائِضه ومِحَنِه فيها .

١/٥٢٩ /كما حدَّثني محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . أى : فأدَّاهنَّ(١) .

وحدَّثني بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . أى : عمِل بهنَّ فأتمهنَّ(٢) .

وحُدِّثْتُ عن عمَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . أى : عمِل بهنَّ وأتمهنَّ(٣) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : [٤/٣٥ظ] ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ : فقال اللَّهُ : يا إبراهيمُ ، إنى مُصَيِّرُك للناسِ إمامًا يُؤْتَمُّ به ويُقْتَدَى به .

كما حُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ليُؤَمَّ به ويُقْتَدَى به(٤) .

يقال منه : أمَمْتُ القومَ فأنا أؤُمُّهم أمًّا وإمامةً . إذا كنتَ إمامَهم .

وإنما أراد جلَّ ثناؤه بقولِه لإبراهيمَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ : إنى مُصَيِّرُك

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٤ من طريق عبد الأعلى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٥ من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٢ عقب الأثر (١١٧٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٢ عقب الأثر (١١٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

تَؤُمُّ مَن بعدَك مِن أهلِ الإيمانِ بى وبرُسُلى ، فتَقَدَّمُهم أنت ، ويَتَّبعون هَدْيَك ، ويَسْتَنُّون بسُنَّتِك التى تَعْمَلُ بها ، بأمرِى إيَّاك ووحْيى إليك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ .

يعْنى جلَّ ثناؤه بذلك : قال إبراهيمُ - لـمَّا رفَع اللَّهُ منزلتَه وكرَّمه ، وأعلَمه ما هو صانعٌ به ، مِن تصييرِه إمامًا فى الخيراتِ لمن فى عصرِه ، ولمن جاء بعدَه مِن ذُرِّيَّته وسائرِ الناسِ غيرِهم ، يُهْتَدَى بهدْيِه ويُقْتَدَى بأفعالِه وأخلاقِه -: يا ربِّ ، ومِن ذُرِّيَّتى فاجعلْ أئمةً يُقْتَدَى بهم ، كالذى جعَلْتنى إمامًا يُؤْتَمُّ بى ويُقْتَدَى بى . مسألةٌ مِن إبراهيمَ ربَّه سأله إيَّاها .

كما **حُدِّثْتُ** عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال إبراهيمُ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ . يقولُ : واجْعَلْ مِن ذُرِّيَّتى مَن يُؤْتَمُّ ويُقْتَدَى به[(١)] .

وقد زعَم بعضُ الناسِ أن قولَ إبراهيمَ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ مسألةٌ منه ربَّه لعَقِبِه أن يكونوا على عهْـدِه ودِينِه ، كما قال : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] . فأخبرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤه أن فى عَقِبِه الظالمَ المخالفَ له فى دِينِه ، بقولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

والظاهرُ مِن التنزيلِ يَدُلُّ على غيرِ الذى قاله صاحبُ هذه المقالةِ ؛ لأن قولَ إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ . فى إثرِ قولِ اللَّهِ له جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ ﴾ . فمعلومٌ أن الذى سأَل إبراهيمُ لذُرِّيَّتِه لو كان غيرَ الذى أخبَره ربُّه أنه أعطاه إيَّاه ، لكان مُبيَّنًا ، ولكنَّ المسألةَ لمَّا كانت ممَّا قد جرَى ذكرُه ، اكْتُفِيَ بالذكْرِ الذى قد مضَى مِن تكريرِه وإعادتِه ، فقال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ . بمعنى : ومِن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف .

ذُرِّيَّتى فاجْعَلْ مثلَ الذى جعَلْتنى به مِن الإمامةِ للناسِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

/ وهذا خبرٌ من اللَّهِ جل ثناؤُه عن أن الظالمَ لا يكونُ إمامًا يَقْتَدِى به أهلُ الخيرِ . ٥٣٠/١
وهو مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤه جوابٌ لإبراهيمَ[(١)] فى مسألتِه إياه أن يجعلَ من ذرِّيتِه أئمةً مثلَه . فأخبَره أنه فاعلٌ ذلك إلا بمن [٣٦/٤و] كان من أهلِ الظلمِ منهم ، فإنه غيرُ مُصَيِّره كذلك ، ولا جاعلِه فى محلِّ أوليائِه عنده بالتَّكْرِمةِ بالإمامةِ ؛ لأن الإمامةَ إنما هى لأوليائِه وأهلِ طاعتِه ، دون أعدائِه والكافرين به .

واختلف أهلُ التأويلِ فى العهدِ الذى حرَم اللَّهُ تعالى ذكرُه الظالمين أن ينالُوه ؛ فقال بعضُهم : ذلك العهدُ هو النُّبوَّةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : عهدى : نبوّتى[(٢)] .

فمعنى تأويلِ[(٣)] هذا القولِ فى تأويلِه[(٤)] الآيةَ : لا ينالُ النُّبوَّةَ أهلُ الظلمِ والشركِ .

وقال آخرون : معنى العهدِ عهدُ الإمامةِ .

فتأويلُ الآيةِ على قولِهم : لا أجعلُ من كان من ذرِّيتِك [(٥)]يإبراهيمُ[(٥)] ظالمًا ،

---

(١) فى م : « لما توهم » ، وفى ت١ : « لا يوهم » ، وفى ت٢ : « لا يتوهم » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ (١١٨٢) ، من طريق عمرو به .
(٣) فى م : « قائل » .
(٤) فى م : « تأويل » .
(٥ - ٥) فى م : « بأسرهم » .

إمامًا لعبادى يُقْتَدَى به .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا ظالمٌ [(١)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ [(٢]لى إمامًا ظالمٌ[٢)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عكرمةَ بمثلِه .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عامرٍ [(٣)] ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا [(٤)] ظالمٌ يُقْتَدَى به [(٥)] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنا مُشَرَّفُ [(٦)] بنُ أبانٍ الحَطّابُ [(٧)] ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا أجعلُ إمامًا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد ووكيع .
(٢ - ٢) فى م : « إمام ظالما » .
(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عاصم » . وينظر تهذيب الكمال ٣٦٤/١٨ .
(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « إمام » .
(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤١/١ عن سفيان به . وينظر تفسير سفيان ص ٤٨ ، وتفسير ابن أبى حاتم ٢٢٣/١ (١١٧٩) .
(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مسروق » . وينظر تاريخ بغداد ٢٢٤/١٣ .
(٧) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحطاب » .

ظالمًا يُقْتَدَى به .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عُبيدٍ المحاربيُّ ، قال : ثنا مُسلمُ بنُ خالدٍ الزنْجيُّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال : لا أجعلُ إمامًا ظالمًا يُقْتَدَى به[١] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا ظالمٌ .

قال ابنُ جُريجٍ : وأما عطاءٌ فإنه قال : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ فأبَى أن يجعلَ من ذريتِه ظالمًا إمامًا . قلت لعطاءٍ : ما عهدُه ؟ قال : أمرُه[٢] .

/ **وقال آخرون** : معنى ذلك أنه لا عهْدَ عليك لظالمٍ أن تطيعَه فى ظلمِه . ٥٣١/١

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . يعنى : لا عهدَ لظالمٍ عليك فى [٣٦/٤ظ] ظلمِه أن تطيعَه فيه[٣] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن مسلمٍ الأعورِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : ليس للظالمين عهدٌ ، وإن عاهدْتَه فانقُضْه .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١٣ - تفسير) من طريق مسلم بن خالد الزنجى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ (١١٧٨) من طريق حجاج عن ابن جريج عن عطاء ، وكذا ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤١/١ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٢٤١/١ .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجاجٌ ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ليس لظالمٍ عهدٌ[1] .

وقال آخرون : معنى العهدِ فى هذا الموضعِ الأمانُ .

فتأويلُ الكلامِ على معنى قولِهم : قال اللَّهُ : لا ينالُ أمانى أعدائى وأهلَ الظلمِ لعبادى . أى : لا أُؤَمِّنُهم مِن عذابى فى الآخرةِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : ذلكم يومَ القيامةِ عندَ اللَّهِ ، لا ينالُ عهدَه ظالمٌ ، فأما فى الدنيا فقد نالُوا عهدَ اللَّهِ ، فوارثوا به المسلمين وعادُّوهم[2] وناكَحوهم به ، فلما كان يومُ القيامةِ قصَر اللَّهُ عهدَه وكرامتَه على أوليائِه[3] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا ينالُ عهدَ اللَّهِ فى الآخرةِ الظالمون[4] ، فأما فى الدنيا ، فقد نالَه الظالمُ (٥ فأَمِن به ٥) ، وأكَل به وعاشَ[6] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ (٥ بنُ عبدِ اللَّهِ ٥) ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٤ (١١٨٦) من طريق سفيان به بلفظ : ليس لظالم عليك عهد فى معصية الله أن تطيعه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١١٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى الأصل : « غازوهم به » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦/١٩٥ من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم : « الظالمين » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/٥٨ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٤ (١١٨٧) عن الحسن بن يحيى به .

إسرائيلَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال : لا ينالُ عهدَ اللَّهِ فى الآخرةِ الظالمون ، فأما فى الدنيا ، فقد ناله الظالمُ فأَمِن به ، وأكَل وأبصَر وعاشَ[(١)] .

وقال آخرون : بل العهدُ الذى ذكَره اللَّهُ فى هذا الموضعِ دينُ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال اللَّهُ لإبراهيمَ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : فعهدُ اللَّهِ الذى عَهِد إلى عبادِه دينُه . يقولُ : لا ينالُ دينَه الظالمين ، ألا ترى أنه قال : ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٣] . يقولُ : ليس كلُّ ذرِّيتِك يا إبراهيمُ على الحقِّ[(٢)] .

وحدَّثنى محمدُ[(٣)] بنُ جعفرٍ ، قال : أخبرَنا يزيدُ ، قال : أخبرَنا جُويبرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : لا ينالُ طاعَتى[(٤)] عدوٌّ لى يَعْصِينى ، ولا أَنحَلُها إلا وَلِيًّا لى يُطيعُنى[(٥)] .

٥٣٢/١ /وهذا الكلامُ وإن كان ظاهرُه ظاهرَ خبرٍ عن أنه لا ينالُ مِن ولدِ إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه عهدُ اللَّهِ - الذى هو النبوّةُ والإمامةُ لأهلِ الخيرِ ، بمعنى الاقتداءِ به فى الدنيا ، والعهدُ الذى بالوفاءِ (٦ به للَّهِ ٦) ينجو فى الآخرةِ مَن وفَّى للَّهِ به فى الدنيا - مَن كان

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٢/١ عن إبراهيم .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ عقب الأثر (١١٨٠) معلقا ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٤٢/١ .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يحيى » .

(٤) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « عهدى » ، وفى ت١ : « عهد » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٣/١ ، ٢٢٤ (١١٨٣ ، ١١٨٥) من طريق جويبر به .

(٦ - ٦) فى م ، ت٢ : « به » ، وفى ت١ ، ت٣ : « لله » .

منهم ظالمًا مُعْتَدِيًا[(١)] ، جائرًا عن قصدِ سبيل الحقِّ ، فهو إعلامٌ من اللَّهِ تعالَى ذكرُه لإبراهيمَ أنَّ مِن ولدِه من يُشرِكُ به ، ويَزولُ[(٢)] عن قصدِ السبيلِ ، ويَظلِمُ نفسَه وعبادَه .

كالذى حدثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشهيدِ ، قال : ثنا عَتّابُ بنُ بشرٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَنَالُ [٣٧/٤و] عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . قال : إنه سيكونُ فى ذرّيتِك ظالمون[(٣)] .

وأما نَصْبُ ﴿ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ، فلأن العهدَ هو الذى لا ينالُ الظالمينَ . وقد ذُكر أنه فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (لا يَنَالُ عَهْدِى الظالمون)[(٤)] . بمعنى أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهدَ اللَّهِ .

وإنما جاز الرفعُ فى ﴿ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ والنصبُ ، وكذلك فى « العهدِ » ؛ لأن كلَّ ما نال المرءَ فقد ناله المرءُ . كما يقالُ : نالنى خيرُ فلانٍ ، ونِلْتُ خيرَه . فيُوجَّهُ الفعلُ مرةً إلى الخيرِ ، ومرةً إلى نفسِه .

وقد بيّنّا معنى الظُّلمِ فيما مضَى فكَرِهْنا إعادتَه[(٥)] .

القول فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

أما قولُه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ . فإنه عطَف بـ ﴿ إِذْ ﴾ على قولِه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ . وقولُه : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . معطوفٌ على قولِه : ﴿ يَـٰبَنِىٓ

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « متعديا » .

(٢) فى م : « يجور » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١٢ - تفسير) من طريق عتاب بن بشر به .

(٤) ينظر تفسير القرطبى ١٠٨/٢ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٥٥٩/١ .

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ﴾ . واذكُروا إذ ابتَلَى إبراهيمَ ربُّه ، وإذ جعَلْنا البيتَ مَثابةً .

والبيتُ الذى جعَله اللَّهُ مَثابةً للناسِ هو البيتُ الحرامُ .

وأما المثابةُ ، فإن أهلَ العربيةِ مختلِفون فى معناها ، والسببِ الذى من أجلِه أُنِّثَتْ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : أُلحِقَت الهاءُ فى المثابةِ لمّا كثُر مَن يثوبُ إليه ، كما يقالُ : سَيّارةٌ . لمن يُكْثِرُ ذلك ، ونَسّابةٌ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : بل المَثابُ والمثابةُ بمعنًى واحدٍ ، نظيرُ المَقام والمَقامةِ . والمَقامُ ذُكِّر - على قولِه - لأنه أُريدَ به الموضعُ الذى يُقامُ فيه ، وأُنِّثَتِ المَقامَةُ لأنه أريد بها البُقْعَةُ . وأنكرَ هؤلاء أن تكونَ المثابةُ للسيّارةِ[1] والنّسّابةِ نَظيرةً[2] . وقالوا : إنما أُدخلتِ الهاءُ فى السيّارةِ والنسّابةِ تشبيهًا لها بالداهيةِ[3] .

والمَثابةُ مَفْعَلَةٌ من : ثاب القومُ إلى الموضعِ ، إذا رجَعوا إليه ، فهم يثُوبون إليه مَثابًا ومَثابةً وثوابًا .

فمعنى قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ : وإذ جعَلْنا البيتَ مَرجِعًا للناسِ ومَعاذًا ، يأْتُونه كلَّ عامٍ ، ويَرجِعون إليه فلا يَقْضُون منه وَطَرًا . ومن المثابِ قولُ وَرَقَةَ ابنِ نوفلٍ فى صفةِ الحَرَمِ[4] :

مَثابٌ لأفْناءِ القبائلِ كلِّها ... تَخُبُّ إليه اليَعْمَلاتُ الطَّلائحُ

ومنه قيل : ثاب إليه عقلُه ، إذا رجَع إليه بعد عُزوبِه عنه . وبنحوِ ما قلْنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى م : « كالسيارة » .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) فى م : « بالداعية » .

(٤) ينظر تخريج البيت فى البداية والنهاية ٣/٤٧٣ .

٥٣٣/١ / ذكرُ من قال ذلك

حدثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : لايَقْضون منه وَطَرًا[١] .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، [٣٧/٤ظ] عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[٢] .

وحدثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يثوبون إليه ، لا يَقْضُون منه وَطَرًا .

وحدثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : أما المثابةُ ، فهو الذى يثوبون إليه كلَّ سنةٍ ، لا يَدَعُه الإنسانُ إذا أتاه مرّةً أن يعودَ إليه .

وحدثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ يقولُ : لا يَقْضُون منه وَطَرًا ، يَأتونه ، ثم يَرجِعون إلى أهليهم ، ثم يَعُودون إليه[٣] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٤ ، ومن طريقه البيهقى ١٧٦/٥ ، وفى الشعب (٣٩٩٥) ، وأخرجه البيهقى أيضا فى سننه من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى ابن عيينة وعبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٥٢١.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٢/١ عن العوفى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ (١١٩١) من طريق مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس نحوه .

وحدثني عبدُ الكريمِ بنُ أبى عُمَيرٍ ، قال : حدثنى الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : قال أبو عمرٍو : حدثنى عَبْدةُ بنُ أبى لُبابةَ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال لا يَنْصَرِفُ عنه مُنْصَرِفٌ وهو يَرى أنه قد قضَى منه وَطَرًا(١) .

وحدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَثوبون إليه من كلِّ مكانٍ ، ولا يَقْضُون منه وَطَرًا(٢) .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ مثلَه .

وحدثني محمدُ بنُ عُمارةَ الأسديُّ ، قال : ثنا سهلُ بنُ عامرٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، عن عطيةَ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : لا يَقْضون منه وَطَرًا(٣) .

وحدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى الهُذَيلِ ، قال : سمِعتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ يقولُ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَحُجُّون ويَثُوبون(٤) .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا الثوريُّ ، عن أبى الهُذَيلِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ قال : يَحُجُّون (٥) ويَثوبونَ(٥) .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٢ عن المصنف ، وعبد الكريم بن أبى عمير ذكره الذهبى فى الميزان ٣/ ٦٤٤ ، والمغنى ١/٥٦٩ ، وينظر لسان الميزان ٤/٥٠ ، ٥١ .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٥ عقب الأثر (١١٩١) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١١٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٥ عقب الأثر (١١٩١) معلقا .

(٤) تفسير سفيان ص ٤٨ نحوه .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(١) وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبد الرزّاقِ ، قال : أخبرنا الثَّوريُّ ، عن أبي الهُذَيْلِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قولَه : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يحُجُّون (١) ، ثم يَحُجُّون ، ولا يَقْضُون منه وَطَرًا (٢) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا ابنُ دُكَيْنٍ (٣) ، قال : ثنا مِسْعَرٌ ، عن غالبٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَثُوبون إليه .

وحدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : مَجْمَعًا (٤) .

١/٥٣٤ / وحدثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال حدثني مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : يَثُوبون إليه (٥) .

وحُدِّثْت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : يَثُوبون إليه (٦) .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَثُوبون إليه من البُلْدانِ كلِّها ويأتُونه (٧) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٩/١ .

(٣) في م : « بكير » .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٢) معلقا .

(٥) سقط من : الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الإتقان ٧/٢ - عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح به ، بلفظ : يثوبون إليه ثم يرجعون .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٢/١ عن المصنف .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ .

والأمنُ مصدرٌ ؛ من قولِ القائلِ : أَمِن يَأْمَنُ أَمْنًا . وإنما سَمّاه اللَّهُ أَمْنًا ؛ لأنه كان في الجاهليةِ مَعاذًا لمن استعاذَ به ، وكان الرجلُ منهم لو لَقِيَ به قاتلَ أبيه أو أخيه لم يَهِجْه ولم يَعْرِضْ له حتى [٣٨/٤و] يَخرُجَ منه ، وكان كما قال جل ثناؤُه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . قال : مَن أَمَّ إليه فهو آمِنٌ ، كان الرجلُ يَلقَى قاتلَ أبيه أو أخيه فلا يَعْرِضُ له[(١)] .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : أما ﴿ أَمْنًا ﴾ فمَن دخَله كان آمنًا[(٢)] .

[(٣)] **حدثني** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَأَمْنًا ﴾[(٣)] . قال : تحريمُه[(٤)] ، لا يخافُ فيه مَن دخَله[(٥)] .

وحُدِّثْت عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . يقولُ : أمنًا مِن العدوِّ أن يَحْمِلَ فيه السلاحَ ، وقد كان في الجاهليةِ

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٣/١ عن ابن زيد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في الأصل : « عزمة » .

(٥) تقدم أوله في ص ٥١٨ .

يُتَخَطَّفُ الناسُ مِن حولِهم وهم آمنون لا يُسْبَوْن[١] .

وحُدِّثْت عن المِنجابِ ، قال : أخبرَنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . قال : أمنًا للناسِ[٢] .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَأَمْنًا ﴾ . قال : تحريمُه ، لا يَخافُ فيه مَن دخَله .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

اختلف القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُهم : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . بكسرِ الخاءِ على وجهِ الأمرِ باتخاذِه مصلًّى ، وهى قراءةُ عامةِ قَرَأَةِ المِصْرَيْنِ ؛ الكوفةِ والبصرةِ ، وقراءةُ عامةِ قَرَأَةِ أهلِ مكةَ ، وبعضِ قَرَأَةِ أهلِ المدينةِ[٣] .

[٤]وذهَب الذين قرءوا ذلك إلى[٤] الخبرِ الذى **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : حدَّثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا حُميدٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لو اتخذْتَ المَقامَ مُصَلًّى ! فأنزل اللَّهُ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[٥] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٤) من طريق ابن أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف عن أبى العالية .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٥/١ (١١٩٣) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .

(٣) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء ، وسيأتى ، ينظر حجة القراءات ص ١١٣ .

(٤ - ٤) فى م : « وذهب إليه الذين قرءوه كذلك من » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ : « وذهب إليه الذين قرءوه كذلك إلى أن » .

(٥) أخرجه أحمد ٢٣/١ (١٥٧) ، والبخارى (٤٠٢) ، والترمذى (٢٩٦٠) ، والنسائى فى الكبرى (١٠٩٩٨) ، وابن ماجه (١٠٠٩) من طريق هشيم به . =

وحدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، **وحدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، جميعًا عن حُميدٍ ، عن أنسٍ ، عن عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه[(١)] .

١/٥٣٥ / **وحدثنا** عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا حُمَيدٌ ، عن أنسٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : قلتُ : يارسولَ اللَّهِ . فذكَر مثلَه .

قالوا : فإنما أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه هذه الآيةَ أمرًا منه نبيَّه ﷺ باتِّخاذِ مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ، فغيرُ جائزةٍ قراءتُها وهى أمرٌ ، على وجهِ الخبرِ .

وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أن قولَه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . جزمٌ[(٢)] معطوفٌ على قولِه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ﴾ واتَّخِذوا مصلًّى من مَقام إبراهيمَ . فكان الأمرُ بهذه الآيةِ ، وباتخاذِ المصلَّى من مَقامِ إبراهيمَ - على قولِ هذا القائلِ - لليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

[(٣)]وقال[(٣)] الربيعُ بنُ أنسٍ بما **حدِّثْت** به عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، [(٤)]عن الرَّبيع بنِ أنسٍ[(٤)] ، قال : من الكلماتِ التى ابتُلِىَ بها إبراهيمُ قولُه : [٣٨/٤ظ] ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . يأمُرُهم أن يَتَّخِذوا مِن مَقامِ

= وأخرجه الترمذى (٢٩٥٩) من طريق حماد بن سلمة ، عن حميد به . وينظر مسند الطيالسى (٤١) .

(١) أخرجه أحمد ٢٤/١ (١٦٠) ، وفى فضائل الصحابة (٤٣٤) من طريق ابن أبى عدى به .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣ - ٣) فى م : « كما حدثنا » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « حدثنا » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

إبراهيمَ مُصَلًّى ، فهم يُصَلُّون خلفَ المَقامِ .

فتأويلُ قائلِ هذا القولِ : وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ ، قال : إنى جاعِلُك للناسِ إمامًا . قال : اتَّخِذوا من مَقامِ إبراهيمَ مصلًّى .

والخبرُ الذى ذكَرْناه عن عمرَ بنِ الخطابِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلُ ، يَدُلُّ على خلافِ الذى قاله هؤلاء ، وأنه أمرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، والمؤمنين به ، وجميعَ الخلقِ المكلَّفِين .

وقرَأه بعضُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والشامِ : (واتَّخَذوا) . بفتحِ الخاءِ ، على وجهِ الخبرِ .

ثم اختُلِف فى الذى عُطِف عليه بقولِه : (واتَّخَذوا) . إذا قُرِئَ كذلك على وجهِ الخبرِ ، فقال بعضُ نحويِّى البَصْرةِ : تأويلُه إذا قُرِئ كذلك : وإذ جعَلْنا البيتَ مَثابةً للناسِ وأمْنًا ، (١) وإذِ اتخَذُوا (١) من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : بل ذلك معطوفٌ على قولِه : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ . فكأن معنى الكلامِ على قولِه : وإذ جعَلْنا البيتَ مثابةً للناسِ ، واتَّخَذُوه مُصَلًّى .

والصوابُ من القولِ والقراءةِ فى ذلك عندنا : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ . بكسرِ الخاءِ [٢] ، على تأويلِ الأمرِ باتخاذِ مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ، للخبرِ الثابتِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى ذكَرْناه آنفًا ، وأن عمرَو بنَ علىٍّ **حدثنا** ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، قال : حدثنى أبى ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قرَأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [٣] .

(١ - ١) فى م : « وإذ واتخذوا » .

(٢) القراءتان صواب لأنهما متواترتان .

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٥/٢٢ (١٤٤٤٠) ، وأبو داود (١٩٠٧ ، ١٩٠٩) ، وابن خزيمة (٢٧٥٤) من طريق يحيى بن سعيد به مطولًا ، وهو جزء من حديث جابر الطويل فى صفة حجة النبى ﷺ فى صحيح مسلم (١٢١٨) ، وينظر مسند الطيالسى (١٧٧٣) .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . وفى مقامِ إبراهيمَ ؛ **فقال بعضُهم** : مقامُ إبراهيمَ هو الحجُّ كلُّه .

/ذكرُ من قال ذلك ٥٣٦/١

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . قال : الحجُّ كلُّه مقامُ إبراهيمَ[(١)] .

وحدثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : الحجُّ كلُّه .

وحدثنا أبو كُريبٍ ، قال: ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : الحجُّ كلُّه مَقامُ إبراهيمَ .

وقال آخرون : مَقامُ إبراهيمَ عَرَفةُ والمُزْدَلِفَةُ والجِمارُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصِمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : لأنى قد جعَلْتُه إمامًا ، فمَقامُه عَرَفةُ والمُزْدَلِفَةُ والجِمارُ[(٢)] .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : [٣٩/٤و] أخبرَنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ[(٣)] ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٦/١ (١١٩٧) من طريق حجاج ، عن ابن جريج به مطولًا .

(٢) تفسير مجاهد ٢١٤/١ .

(٣) بعده فى م : « عن قتادة » .

مُصَلًّى ﴾ . قال : مَقامُه جَمْعٌ[(١)] وعَرَفةُ ومِنًى . لا أعلمُه إلا وقد ذكَر مكةَ[(٢)] .

وحدثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو عاصِم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : مَقامُه عَرفةُ .

وحدثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا داودُ ، عن الشعبيِّ ، قال : نزلَتْ عليه وهو واقفٌ بعرفةَ مَقامِ إبراهيمَ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[(٣)] الآية [المائدة : ٣] .

وحدثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن الشعبيِّ مثلَه .

وقال آخرون : مَقامُ إبراهيمَ الحرمُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدِّثْتُ عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : الحرمُ كلُّه مَقامُ إبراهيمَ[(٤)] .

وقال آخرون : بل مَقامُ إبراهيمَ هو الحَجَرُ الذى قام عليه إبراهيمُ حين ارتفَع بناؤُه ، وضَعُف عن رَفْعِ الحِجارةِ .

---

(١) جمع : المزدلفة . اللسان (ج م ع) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ .

(٣) سيأتى هذا الأثر فى سورة المائدة من طريق عبد الأعلى ، وابن علية ، وليس فيه : عرفة مقام إبراهيم .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٦/١ عقب الأثر (١١٩٨) معلقا .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا ابنُ[(١)] سِنانٍ القزّازُ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المجيدِ أبو عليٍّ الحنفيُّ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ ، قال : سمِعتُ كَثيرَ بنَ كَثيرٍ يُحدِّثُ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جعَل إبراهيمُ يَبْنيه ، وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ ، ويقولان[(٢)] : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . فلمّا ارتفع البنيانُ وضعُف الشيخُ عن رَفْعِ الحجارةِ ، قام على حجَرٍ ، فهو مَقامُ إبراهيمَ[(٣)] .

وقال آخرون : بل مَقامُ إبراهيمَ ، هو مَقامُه الذى هو فى المسجدِ الحرامِ .

/ ذكرُ من قال ذلك ٥٣٧/١

حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ : إنما أُمِروا أن يُصلُّوا عندَه ولم يُؤْمَروا بمَسْحِه ، ولقد تَكلَّفَت هذه الأمةُ شيئًا ما[(٤)] تَكلَّفَتْه الأممُ قبلَها ، ولقد ذكَر لنا بعضُ مَن رأى أثَرَ عَقِبِه وأصابعِه[(٥)] ، فما زالت هذه الأمةُ يمسَحُونه حتى اخْلَوْلَق[(٦)] وانْمَحى[(٧)] .

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى الأصل : « يقولون » .

(٣) أخرجه البخارى (٣٣٦٥) من طريق إبراهيم بن نافع به مطولًا ، وليس فيه : فهو مقام إبراهيم . وكذلك أخرجه البخارى (٣٣٦٤) من طريق معمر ، عن أيوب وكثير بن كثير ، عن سعيد به مطولًا ، وهذه العبارة عند الأزرقى فى أخبار مكة ٢٧٣/١ ، ٢٧٤ من طريق مسلم بن خالد عن ابن جريج عن كثير به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مما » .

(٥) بعده فى الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيها » ، وفى تفسير ابن كثير ٢٤٦/١ « فيه » . والمثبت موافق لما فى أخبار مكة والدر المنثور .

(٦) خلق الشىء خلقا واخلولق : املاسّ ولان واستوى . اللسان (خ ل ق) .

(٧) فى الأصل : « امحى » .

والأثر أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٧٢/١ من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وحدِّثْت عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ : (١) يأمُرُهم أن يتَّخِذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى (١) ، فهم يُصلُّون خلفَ المقامِ .

وحدثنى موسى (٢) ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ : وهو الصلاةُ عند مَقامِه فى الحَجِّ . والمقامُ هو الحَجَرُ الذى كانت زوجةُ إسماعيلَ وَضَعَتْ (٣) تحت قَدَمِ إبراهيمَ حين غسَلتْ رأسَه ، فوضَع إبراهيمُ رِجْلَه عليه وهو راكِبٌ ، فغسَلتْ شِقَّه ، ثم رفَعتْه (٤) من تحتِه وقد غابت رِجْلُه فى الحَجَرِ ، فوضَعتْه تحت الشِّقِّ الآخرِ فغسَلتْه ، فغابت رِجْلُه أيضًا فيه ، فجعَلها اللَّهُ من شعائِره ، فقال : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (٥) .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ عندنا ما قاله القائلون : إنَّ مَقامَ إبراهيمَ هو المَقامُ المعروفُ بهذا الاسمِ ، الذى هو فى المسجدِ الحرامِ ؛ لما روَيْنا آنفًا عن عمرَ بنِ الخطابِ ، ولما حدَّثنا به يوسفُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا جعفرُ ابنُ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، قال : استلَم رسولُ اللَّهِ ﷺ الرُّكْنَ ، [٣٩/٤ظ] فرَمَل ثلاثًا ، ومشَى أربعًا ، ثم نفَذ (٦) إلى مَقامِ إبراهيمَ فقرَأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . فجعَل المَقامَ بينَه وبينَ البيتِ ، فصلَّى ركعتين (٧) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يونس » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وضعته » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « دفعته » .

(٥) أخرج ابن أبى حاتم أوله فى تفسيره ٢٢٧/١ (١٢٠٢) من طريق عمرو به .

(٦) فى الأصل : « نفد » بالدال المهملة .

(٧) أخرجه مسلم (١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) من طريق حاتم بن إسماعيل به ، وهو جزء من حديث جابر الطويل فى صفة حجة النبى ﷺ ، وينظر ص٥٢٤ .

فهذان الخبرانِ يُنْبِئان أنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُه إنما عَنَى بمَقامِ إبراهيمَ الذى أمَرنا[(١)] باتخاذِه مصلًّى منه[(٢)] ، هو الذى وصَفْنا ، ولو لم يكنْ على صِحَّةِ ما اخترْنا فى تأويلِ ذلك خبرٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لكان الواجبُ من القولِ فيه ما قلْنا ؛ وذلك أنَّ الكلامَ مَحْمولٌ معناه على ظاهِرِه المعروفِ دونَ باطِنِه المجهولِ ، حتى يأتىَ ما يدلُّ على خِلافِ ذلك مما يَجِبُ التسلـيمُ له . ولا شكَّ أنَّ المعروفَ فى الناسِ بمَقامِ إبراهيمَ ، هو [(٣)] ما وصَفتُ دونَ جميعِ الحَرَمِ ، ودونَ مَواقِفِ الحجِّ كلِّها .

وأمّا[(٣)] المُصَلَّى الذى قال اللَّه تعالى ذِكْرُه : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . **فإنَّ أهلَ التأويلِ مُختلِفون** فى معناه ؛ **فقال بعضُهم** : هو المُدَّعَى .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . قال : مصلَّى إبراهيمَ مُدَّعًى[(٤)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل اتخِذُوا مصلًّى تصلُّون عنده .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بِشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : أُمِروا أن يُصلُّوا عنده[(٥)] .

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اللَّه » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١٤ - تفسير) عن سفيان به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٢٧ (١٢٠١) من طريق زكريا بن إسحاق ، عن ابن أبى نجيح به .

(٥) تقدم تخريجه بتمامه فى ص ٥٢٧ .

١/٥٣٨ / وحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حَمّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : هو الصلاةُ عندَه[1] .

فكأنَّ الذين قالوا : تأويلُ المُصلَّى ههنا المُدَّعَى . وجَّهوا المُصلَّى إلى أنه مُفعَّل ، مِن قولِ القائلِ : صلَّيتُ . بمعنى : دعوتُ . وقائلو هذه المقالةِ هم الذين قالوا : إن مَقامَ إبراهيمَ هو الحجُّ كلُّه .

فكأنَّ معناهم في تأويلِ هذه الآيةِ : واتَّخِذوا عرفةَ والمُزْدَلِفَةَ والمَشْعرَ والجَمَراتِ[2] وسائرَ أماكنِ الحجِّ التى كان إبراهيمُ يقومُ بها ، مُدَّعًى[3] تَدْعونَنى[4] عندَها ، وتَأْتَمُّون[5] بإبراهيمَ خليلى صلواتُ اللَّهِ عليه فيها ، فإنى قد جعَلتُه لمَن بعدَه - مِن أوليائى وأهلِ طاعَتى - إمامًا يَقْتَدون به وبآثارِه ، فاقْتَدوا به .

وأما تأويلُ القائلين القولَ الآخرَ ، فإنه : اتَّخِذوا أيها الناسُ مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصلًّى تُصلُّون عندَه ، عِبادةً مِنكم لى ، وتَكْرِمةً منى لإبراهيمَ .

وهذا القولُ هو أوْلَى بالصوابِ عندَنا ؛ لما ذَكَرنا مِن الخَبرِ عن عمرَ بنِ الخطّابِ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ .

[٤٠/٤و] يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَعَهِدْنَآ ﴾ : وأَمَرْنا .

---

(١) تقدم تخريجه بتمامه فى ص ٥٢٨ .

(٢) فى م : « الجمار » .

(٣) فى م : « مداعى » .

(٤) فى الأصل : « يدعوننى » .

(٥) فى الأصل : « يأتمون » .

كما **حدثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قُلتُ لعطاءٍ : ماعَهْدُه ؟ قال : أَمْرُه[(١)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . قال : أَمَرْناه[(٢)] .

فمعنى الآيةِ : وأَمَرْنا إبراهيمَ وإسماعيلَ بتطهيرِ بيتى للطائِفين . و« التَّطهيرُ » الذى أمَرهما اللَّهُ به فى البيتِ هو تطهيرُه مِن الأصنامِ ، وعبادةِ الأوثانِ فيه ، ومِن الشركِ باللَّهِ .

فإن قال قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ ؟ وهل كان أيامَ إبراهيمَ - قبلَ بنائِه البيتَ - بيتٌ يُطَهَّرُ مِن الشركِ وعبادةِ الأوثانِ فى الحَرَمِ ، فيجوزَ أن يكونا أُمِرا بتَطْهيرِه ؟

قِيل : لذلك وجهانِ مِن التأويلِ ، قد [(٣)]قال بكلٍّ[(٣)] واحدٍ مِن الوَجْهين مِن أهلِ التأويلِ جماعةٌ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ معناه : وعَهِدْنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ أن ابْنِيا بيْتِى مُطَهَّرًا مِن الشركِ والرَّيْبِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] . فكذلك قولُه : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ . أى : ابْنِيا بيْتِىَ على طُهْرٍ مِن الشِّركِ بى والرَّيْبِ .

كما **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ،

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٧ ، عن ابن جريج به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٢١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٨ .

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ، ت ٣ : « كان لكل » .

عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ . يقولُ : ابْنِيا بيتى للطائفين(١) .

فهذا أحدُ وَجْهَيْه .

والوجهُ الآخرُ منهما : أن يكونا أُمِرا بأن يُطَهِّرا مكانَ البيتِ قبلَ بِنائِه(٢) والبيتَ بعدَ بِنائِه(٢) ، مما كان أهلُ الشركِ باللَّهِ يَجْعَلونه فيه ، على عهدِ نوحٍ ومَن قبلَه مِن الأوثانِ ؛ ليكونَ ذلك سُنَّةً لمَن بعدَهما ، إذ كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قد جعَل إبراهيمَ إمامًا يُقْتَدَى به(٣) بعدَه .

١/٥٣٩ / كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ . قال : مِن الأصنامِ التى يَعْبُدون ، التى كان المشركون يُعَظِّمونها(٤) .

(٥) ذكرُ مَن قال : معنى قولِه : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ أى : طهِّراه من الشِّرْكِ والرَّيْبِ(٥)

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ(٦) ، عن عطاءٍ ، عن عُبيدِ بنِ عُمَيرٍ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾

---

(١) سقط من م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٢٧ (١٢٠٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) فى م : « بنيانه » .

(٣) بعده فى م : « من » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٤٨ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « أبى نجيح » .

قال : مِن الآفاتِ[(١)] والرِّيَبِ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : مِن الشركِ[(٣)] .

وحدَّثنا أحمدُ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا[(٤)] إسرائيلُ ، عن أبى حَصينٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : مِن الأوثانِ[(٥)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ [٤/٤٠ظ] ، قال : أخْبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : مِن الشركِ وعبادةِ الأوثانِ[(٦)] .

حدثنا بِشْرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ بمثلِه ، وزاد فيه : وقولِ الزُّورِ[(٧)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ .

اختلَفَ أهلُ التأويلِ فى معنى « الطائفين » فى هذا الموضعِ ؛ **فقال بعضُهم** : هم

---

(١) فى م : « الأوثان » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١٩٩/١ من طريق عثمان بن ساج ، عن ابن جريج به .

(٣) تفسير سفيان ص ٢١٠ .

(٤) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبو » . وينظر تهذيب الكمال ٢/ ٥١٥ .

(٥) ذكره القرطبى فى تفسيره ١١٤/٢ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ ، ٣٦/٢ .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

الغرباءُ الذين يَنْتابون[1] البيتَ الحرامَ مِن غربةٍ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال ثنا أبو بكرِ بنُ عَياشٍ ، قال : ثنا أبو حَصِينٍ ، عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ فى قولِه : ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ قال : مَن أتاه مِن غربةٍ[2] .

وقال آخرون : بل الطائفون هم الذين يَطُوفون به ، [3]غريبًا كان[3] أو مِن أهلِه .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عطاءٍ : ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : إذا كان طائفًا بالبيتِ ، فهو مِن الطائفين[4] .

وأوْلَى التأويلين بالآيةِ ما قاله عطاءٌ ؛ لأن الطائفَ هو الذى يَطُوفُ بالشيءِ دونَ غيرِه ، والطَّارِئُ مِن غربةٍ لا يَستحِقُّ اسمَ طائفٍ بالبيتِ إن لم يَطُفْ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكْرُه بقولِه : ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ : والمُقِيمين به . والعاكِفُ على الشيءِ : المُقِيمُ عليه ، كما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[5] :

عُكُوفًا لَدَى أبياتِهِمْ يَثْمِدُونَهُمْ[6] ... رَمَى اللَّهُ فِى تِلكَ الأكُفِّ الكوَانِعِ[7]

---

(١) فى م : « يأتون » . وينتابون : يأتون مرة بعد مرة . اللسان (ن و ب) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ (١٢١١) من طريق أبى بكر بن عياش به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ : « غرباء كانوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ (١٢٠٩) من طريق أبى بكر الهذلى به نحوه .

(٥) ديوانه ص ١٨٩ ، وفيه : « قعودا » مكان « عكوفا » .

(٦) يثمدونهم : يطلبون معروفهم فى إلحاح . اللسان (ث م د)

(٧) الكوانع : الذليلة . اللسان (ك ن ع) .

وإنما قيل للمُعْتكِفِ : مُعْتكِفٌ . مِن أجلِ مُقامِه فى الموضِعِ الذى حَبَس نفسَه فيه للَّهِ تعالى .

/ **ثم اختلف أهلُ التأويلِ** فى مَن عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ ؛ **فقال** ١/٥٤٠
بعضُهم : عَنَى به الجالسَ فى البيتِ الحرامِ بغيرِ طوافٍ ولا صلاةٍ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبى بكرٍ الهُذَلِىِّ ، عن عطاءٍ ، قال : إذا كان طائفًا بالبيتِ ، فهو مِن الطائفين ، وإذا كان جالسًا ، فهو مِن العاكفين[(١)] .

وقال بعضُهم : العاكفون : هم المُعْتَكِفون المُجاوِرون .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن جابرٍ ، عن مُجاهدٍ [٤١/٤و] وعكرمةَ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ . قال : العاكِفون[(٢)] المُجاوِرون .

وقال بعضُهم : العاكفون هم أهلُ البلدِ الحرامِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ ، قال : ثنا أبو حَصينٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ قال : أهلُ البلدِ[(٣)] .

---

(١) الشطر الأول تقدم فى ص٥٣٤، والشطر الثانى ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٢) معلقا .

(٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٣) معلقا .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : العاكفون أهلُه[(١)] .

وقال آخرون : العاكفون هم المُصلُّون .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى قولِه : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾ قال : العاكِفون المصلون .

وأوْلَى هذه التأويلاتِ بالصوابِ ما قاله عطاءٌ ، وهو أن العاكفَ فى هذا الموضِعِ المقيمُ فى البيتِ مجاورًا فيه بغيرِ طوافٍ ولا صلاةٍ ؛ لأن صِفَةَ العُكوفِ ما وصَفنا مِن الإقامةِ بالمكانِ ؛ والمقيمُ بالمكانِ قد يكونُ مقيمًا به وهو جالسٌ ومصلٍّ وطائفٌ ونائمٌ[(٢)] ، وعلى غيرِ ذلك مِن الأحوالِ ، فلما كان جلَّ ثناؤُه قد ذكَر فى قولِه : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ المُصلِّين والطائفين ، عُلِمَ بذلك أن الحالَ التى عَنَى جلَّ ثناؤُه مِن العاكِفِ غيرُ حالِ المُصلِّى والطائفِ ، وأن الذى[(٣)] عَنَى مِن أحوالِه هو العُكوفُ بالبيتِ على سبيلِ الجِوارِ فيه ، وإن لم يَكُنْ مُصلِّيًا فيه ولا راكعًا ولا ساجدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ﴾ جماعةَ القومِ الراكعين فيه له ،

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٣) معلقا .

(٢) فى م : « قائم » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التى » .

واحدُهم « راكِعٌ » . وكذلك ﴿ ٱلسُّجُودِ ﴾ هم جماعةُ القومِ الساجدين فيه له ، واحدُهم « ساجِدٌ » ، كما يُقالُ : رجلٌ قاعِدٌ ، ورجالٌ قُعودٌ ، ورجلٌ جالسٌ ، ورجالٌ جُلوسٌ . وكذلك : رجلٌ ساجدٌ ، ورجالٌ سجودٌ .

وقيل[(١)] : عُنِى بـ ﴿ ٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ : المصلُّون .

٥٤١/١ / ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن أبى بكرٍ الهُذلىِّ ، عن عطاءٍ : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ قال : إذا كان يُصَلِّى فهو مِن الرُّكَّعِ السُّجودِ[(٢)] .

[٤١/٤ظ] **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، أهلُ الصلاةِ[(٢)] .

وقد أتينا فيما مضَى على بيانِ معنى « الركوعِ » و« السجودِ » ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ : واذْكُروا إذ قال إبراهيمُ : ربِّ اجْعَلْ هذا البلدَ بلدًا آمنًا . يعنى بقولِه : ﴿ ءَامِنًا ﴾ : آمنًا مِن الجبابرةِ وغيرِهم ، أن يُسَلَّطوا عليه ، ومِن عقوبةِ اللَّهِ أن تنالَه ، كما تنالُ سائرَ البلدانِ ، مِن خَسْفٍ وائتفاكٍ[(٤)] وغرقٍ ، وغيرِ ذلك مِن سخطِ اللَّهِ ومَثُلاتِه التى تُصيبُ سائرَ

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « بل » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٩/١ عقب الأثر (١٢١٦) معلقا .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦١٣/١ ، ٧١٥ .

(٤) فى م : « انتقال » . والائتفاك : الانقلاب ، يقال منه : ائتفكت بهم الأرض ، أى انقلبت . ينظر اللسان (أ ف ك) .

البلادِ غيرَه .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِرَ لنا أن الحرَمَ حُرِّمَ (١) بحيالِه إلى العرشِ (١) . وذُكِر لنا أن البيتَ هبَط مع آدمَ حينَ هبَط ، قال اللَّهُ له : أُهْبِطُ معك بيتى يُطافُ حولَه كما يُطافُ حولَ عَرْشِى . فطافَ حولَه آدمُ ومَن كان بعدَه مِن المؤمنين ، حتى إذا كان زمنُ الطُّوفانِ - حين أغْرَق اللَّهُ قومَ نوحٍ - رفَعه وطَهَّره فلم تُصِبْه عُقوبةُ أهلِ الأرضِ ، فتَتَبَّع منه إبراهيمُ أثرًا ، فبَناه على أساسٍ قديمٍ كان قبلَه (٢) .

فإن قال لنا قائلٌ : أو ما كان الحرمُ آمنًا إلا بعدَ ما سأَل إبراهيمُ ربَّه له الأمانَ ؟

قيل : **قد اخْتُلِفَ فى ذلك ؛ فقال بعضُهم** : لم يَزَلِ الحرمُ آمنًا مِن عقوبةِ اللَّهِ وعقوبةِ جبابرةِ خلقِه ، منذُ خُلِقَتِ السماواتُ والأرضُ .

واعْتَلُّوا فى ذلك بما **حدَّثنا** أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ المَقْبُرىُّ ، قال : سمِعت أبا شُريحٍ الخُزاعىَّ يقولُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما افْتَتح مكةَ قَتَلت خُزاعةُ رجلًا مِن هُذَيلٍ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ خطيبًا فقال : « يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ حرَّم مكةَ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ ، فهى حرامٌ بحرامِ (٣) اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ ، لا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَسْفِكَ فيها (٤) دمًا ، أو يَعْضِدَ بها شجرًا (٥) ، وإنها لا تَحِلُّ لأحدٍ بعدِى ،

(١ - ١) فى حاشية الأصل : « فى الأم : بحياله العرش » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣٥٥/١ من طريق يزيد به إلى قوله : « العرش » .

(٣) فى م ، ت ٢ : « بحرمة » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بها » .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ألا » .

لا[(١)] تَحِلُّ لى إلا هذه الساعةَ غضبًا[(٢)] على أهلِها ، ألا فهى قد رجَعت على حالِها بالأمسِ ،/ أَلَا لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، فمَن قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قتَل بها ، ٥٤٢/١
فقولوا : إنَّ اللَّهَ قد أحلَّها لرسولِه ولم يُحِلَّها لك »[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، **وحدَّثنا** ابنُ حميدٍ وابنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، جميعًا عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال [٤٢/٤و] رسولُ اللَّهِ ﷺ لمكةَ حين افتتَحها : « هذه حَرَمٌ حرَّمها اللَّهُ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ وخلَق الشمسَ[(٤)] والقمرَ[(٤)] ووضَع هذين الأخْشَبَيْنِ ، لم تَحِلَّ لأحدٍ قبلِى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدى ، أُحِلَّت لى ساعةً من نهارٍ »[(٥)] .

قالوا : فمكةُ لم تَزَلْ منذ خُلِقت حرَمًا آمنًا مِن عقوبةِ اللَّهِ وعقوبةِ الجبابرةِ .

قالوا : وقد أَخبرَت عن صحةِ ما قلنا مِن ذلك الروايةُ الثابتةُ[(٦)] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ التى ذكرناها .

قالوا : ولم يسألْ إبراهيمُ ربَّه أن يؤمِّنَه من عقوبتِه وعقوبةِ الجبابرةِ ، ولكنه سأله أن يؤمِّنَ أهلَه من الجدوبِ والقحوطِ ، وأن يرزُقَ ساكنيه[(٧)] من الثمراتِ ، كما أخبر ربُّه عنه أنه سأله بقولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لم » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عصى » .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٨٣/٥ من طريق يونس بن بكير به ، وأخرجه أحمد ٣٠٠/٤ (١٦٣٧٧) ، والطحاوى ٢٦٠/٢ ، والطبرانى فى الكبير ١٨٥/٢٢ (٤٨٥) من طرق عن ابن إسحاق به بنحوه ، كما أخرجه البخارى (١٠٤، ١٨٣٢، ٤٢٩٥) ، ومسلم (١٦٥٤) من طريق سعيد بن أبى سعيد المقبرى به بنحوه .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٩٦/١٤، ٤٩٧ ، والدارقطنى ٢٣٥/٤ من طريق يزيد به .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الثانية » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ساكنه » .

ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ .

قالوا : وإنما سأل ربَّه ذلك ؛ لأنه أَسْكَن فيه ذرِّيَّته ، وهو غيرُ ذى زَرْعٍ ولا ضَرْعٍ ، فاستعاذ بربِّه من أن يُهلِكَهم بها جوعًا وعطشًا ، فسأله أن يؤمِّنَهم مما حذِر عليهم منه .

قالوا : وكيف يجوزُ أن يكونَ إبراهيمُ صلواتُ اللَّهِ عليه سأل ربَّه تحريمَ الحرمِ ، وأن يؤمِّنَه من عقوبتِه وعقوبةِ جبابرةِ خلقِه ، وهو القائلُ حينَ حلَّه ونزَله بأهلِه وولدِه : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

قالوا : فلو كان إبراهيمُ هو الذى حرَّم الحرمَ أو سأل ربَّه تحريمَه لَمَا قال : ﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، عندَ نزولِه به ، ولكنه حُرِّم قبلَه وحُرِّم بعدَه .

وقال آخرون : كان الحرمُ حلالًا قبلَ دعوةِ إبراهيمَ كسائرِ البلادِ غيرِه ، وإنما صار حرامًا[(١)] بتحريمِ إبراهيمَ إياه ، كما كانت مدينةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حلالًا قبل تحريمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياها ، [(٢)] فصارت حرامًا بتحريمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياها [٢)] .

قالوا : والدليلُ على صحةِ ما قلنا فى ذلك ما **حدَّثنا** به ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن إبراهيمَ حرَّم بيتَ اللَّهِ وأمَّنه ، وإنى حرَّمت المدينةَ ما بينَ لابَتَيْها[(٣)] ، فلا يصادُ صَيْدُها ، ولا تُقْطَعُ عِضاهُها[(٤)] »[(٥)] .

---

(١) فى الأصل : « حرما » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) اللابتان : تثنية لابة ، وهى الحرَّة ، وهى الأرض ذات الحجارة السود التى قد ألبستها لكثرتها . النهاية ٤/ ٢٧٤ .

(٤) العضاه : أعظم الشجر ، وقيل : ما عظم من شجر الشوك . اللسان (ع ض هـ) .

(٥) أخرجه النسائى فى الكبرى (٤٢٨٤) عن ابن بشار به ، وأخرجه مسلم (١٣٦٢) من طريق سفيان به .

حدثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ، قالا : (١) حدثنا ابنُ إدريسَ، **وحدثنا** أبو كريبٍ، قال (١) ثنا عبدُ الرحيم الرازىُّ، (٢) قالا جميعًا : سمِعنا (٢) أشعثَ، عن نافعٍ، عن أبى هريرةَ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ كانَ عبدَ اللَّهِ وخَليلَهُ، وإنى عبدُ اللَّهِ ورسولُه، وإنَّ إبراهيمَ حرَّم مكَّةَ وإنى حرَّمتُ المَدِينَةَ ما بينَ لابَتَيْها ؛ عِضاهَها وَصَيْدَها، ولا يُحْمَلُ فيها سلاحٌ لقتالٍ، ولا يُقْطَعُ منها شَجَرةٌ إلا لعَلَفِ بَعِيرٍ » (٣) .

١/٥٤٣ / **وحدَّثنا** أبو كريبٍ، قال : ثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال : ثنا بكرُ بنُ مُضَرَ، عن ابنِ الهادِ، عن أبى بكرِ بنِ محمدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ، عن رافعِ بنِ خَديجٍ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ حرَّم مكةَ، وإنى أُحَرِّمُ (٤) ما بينَ لابَتَيْها » (٥) .

وما أشبَه ذلك مِن الأخبارِ التى يطولُ باستيعابِ ذكرِها [٤٢/٤ظ] الكتابُ .

قالوا : وقد أخبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه فى كتابِه أنَّ إبراهيمَ قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ ولم يخبِرْ عنه أنَّه سأَله أن يجعَلَه آمنًا مِن بعضِ الأشياءِ دونَ بعضٍ، فليس لأحدٍ أن يَدَّعِيَ أن الذى سأَله مِن ذلك الأمانُ له مِن بعضِ الأشياءِ دونَ بعضٍ إلا بحُجَّةٍ يَجِبُ التسليمُ لها .

قالوا : وأما خبرُ أبى شُرَيحٍ وابنِ عباسٍ فخبران لا تَثْبُتُ بمثلِهما فى الدينِ حجةٌ

(١ - ١) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣ .

(٢ - ٢) فى م : « سمعت »، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣ : « قالا سمعنا » .

(٣) عزاه المتقى الهندى فى كنز العمال (٣٨١٥٦) إلى المصنف عن نافع به، وأخرجه مسلم (١٣٧٣)، والترمذى (٣٤٥٤) من طريق سهيل بن أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة بنحوه .

(٤) بعده فى م : « المدينة » .

(٥) أخرجه أحمد ٥٠٩/٢٨ (١٧٢٧٣)، ومسلم (١٣٦١) والبيهقى ١٩٧/٥، ١٩٨ من طريق قتيبة به، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٤٣٢٦) من طريقين عن بكر به، وأخرجه أحمد ٥٠٧/٢٨، ٥٠٨ (١٧٢٧١)، والطحاوى ١٩٣/٤، والطبرانى (٤٣٢٥، ٤٣٢٧، ٤٣٢٨) من طرق عن يزيد به .

لما فى أسانيدِهما مِن الأسبابِ التى (١) يَجِبُ التثبتُ (١) فيها مِن أجلِها .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه جعَل مكةَ حَرَمًا حينَ خلَقها وأنشأَها ، كما أخبَر النبىُّ ﷺ أنه حرَّمها يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ بغيرِ تحريمٍ منه لها على لسانِ أحدٍ مِن أنبيائِه ورسلِه ، ولكنْ بمنعِه جلَّ ثناؤُه مَن أرادها بسوءٍ ، وبدفعِه عنها مِن الآفاتِ والعقوباتِ وعن ساكنيها ، ما أحلّ بغيرِها وغيرِ ساكنيها مِن النِّقْماتِ ، فلم يَزَلْ ذلك أمرَها حتى بَوَّأَها اللَّهُ إبراهيمَ خليلَه ، وأسكَن بها أهلَه هاجرَ وولدَه إسماعيلَ ، فسأَل حينَئذٍ إبراهيمُ ربَّه إيجابَ (٢) فرضِ تحريمِها على عبادِه على لسانِه ؛ ليكونَ ذلك سنةً لمن بعدَه مِن خلقِه يَسْتَنُّون به (٣) فيها ، إذ كان جلَّ ثناؤُه قد اتَّخذَه خليلًا ، وأخبَره أنَّه جاعلُه للناسِ إمامًا يُقْتَدى به ، فأجابَه ربُّه إلى ما سأَله ، وألزَم عبادَه حينَئذٍ فرضَ تحريمِه على لسانِه .

فصارت مكةُ بعدَ أن كانت ممنوعةً بمنعِ اللَّهِ إياها بغيرِ إيجابِ اللَّهِ فرضَ الامتناعِ منها على عبادِه ، ومحرّمةً بدفعِ اللَّهِ عنها بغيرِ تحريمِه إياها على لسانِ أحدٍ مِن رسلِه - فرضًا تحريمُها على خلقِه على لسانِ خليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ ، وواجبًا على عبادِه الامتناعُ مِن استحلالِها ، واستحلالِ صيدِها وعِضاهِها ، بإيجابِه الامتناعَ مِن ذلك ؛ ببلاغِ إبراهيمَ رسالةَ اللَّهِ إليه بذلك إليهم (٤) ، فلذلك أُضيف تحريمُها إلى إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ (٥) حَرَّمَ مَكَّةَ » ؛ لأن فرضَ تحريمِها الذى ألزَم اللَّهُ عبادَه على وجهِ العبادةِ له بِه - دونَ التحريمِ

(١ - ١) فى م : « لا يجب التسليم » .

(٢) فى م ، ت ٣ : « إيجاد » .

(٣) فى م : « بها » .

(٤) فى م : « إليه » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اللَّه » .

الذى لم يَزَلِ (١) اللَّهُ منفردًا (١) لها به على وجهِ الكِلاءَةِ والحفظِ لها قبلَ ذلك - كان عن مسألةِ إبراهيمَ ربَّه إيجابَ فرضِ ذلك على لسانِه ، لزِم العبادَ فرضُه دونَ غيرِه .

فقد تبيَّنَ إذن بما قلنا صحةُ معنى الخبرين ؛ أعنى خبرَ أبى شريحٍ وابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إنَّ اللَّهَ حرَّم مكةَ يومَ خلَق الشمسَ والقمرَ » . وخبرَ جابرٍ وأبى هريرةَ ورافعِ بنِ خَدِيجٍ وغيرِهم ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « اللهمَّ إنَّ إبراهيمَ حرَّم مكةَ » . وأنْ ليس أحدُهما دافعًا صحةَ معنى الآخرِ كما ظنَّه بعضُ الجهالِ .

وغيرُ جائزٍ فى أخبارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنْ يكونَ بعضُها دافعًا بعضًا إذا ثبَت صحتُها ، وقد جاء الخبران اللذان رُوِيا فى ذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مَجيئًا ظاهرًا مستفيضًا يَقْطَعُ عذرَ مَن بلَغه .

/ وأمَّا (٢) قولُ إبرهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ ٥٤٤/١
غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم ٣٧] . فإنَّه [٤٣/٤و] إنْ يَكُنْ قال ذلك (٢) قبلَ إيجابِ اللَّهِ فرضَ تحريمِه على لسانِه على خلقِه ، فإنما عنى بذلك تحريمَ اللَّهِ إياه الذى حرَّمه بحياطتِه إياه وكِلاءتِه (٣) ، مِن غيرِ تحريمِه إياه على خلقِه على وجهِ التعبدِ لهم بذلك ، وإن يكنْ قال ذلك بعدَ تحريمِ اللَّهِ إياه على لسانِه على خلقِه على وجهِ التعبدِ ، فلا مسألةَ لأحدٍ علينا فى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ .

وهذه مسألةٌ مِن إبراهيمَ ربَّه أن يَرْزُقَ مؤمنى أهلِ مكةَ مِن الثمراتِ دونَ

(١ - ١) فى م ، ت ١ : « متعبدًا لها » .
(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٣) فى م ، ت ١ : « كلائه » .

كافريهم ، وخصَّ بمسألةِ ذلك للمؤمنين دونَ الكافرين ، لما أعلَمه اللَّهُ - عند مسألتِه إياه أن يَجْعَلَ مِن ذريّتِه أئمةً يُقْتَدَى بهم - أنَّ منهم الكافرَ الذى لا ينالُ عهدَه ، والظالمَ الذى لا يُدْرِكُ وِلايته ، فلما[(١)] علِم أنَّ مِن ذريّتِه الظالمَ والكافرَ ، خصَّ بمسألتِه ربَّه أن يَرْزُقَ مِن الثمراتِ مِن سكانِ مكةَ المؤمنَ منهم دونَ الكافرِ ، وقال اللَّهُ له : قد أجَبت دعاءَك ، وسأَرْزُقُ مع مؤمنى أهلِ هذا البلدِ كفَّارَهم ، فأُمَتِّعُه به قليلًا .

فأمَّا « مَنْ » فى قولِه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فإنه نصبٌ على الترجمةِ والبيانِ عن « الأهلِ » ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢١٧] . بمعنى : يسألونك عن قتالٍ فى الشهرِ الحرامِ . وكما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] . بمعنى : وللَّهِ حِجُّ البيتِ على مَن استطاع إليه سبيلًا .

وإنما سأَل إبراهيمُ ربَّه ما سأَل مِن ذلك ؛ لأنه حلَّ بوادٍ غيرِ ذى زرعٍ ولا ماءٍ ولا أهلٍ ، فسأَل أن يَرْزُقَ أهلَه ثمرًا ، وأن يَجْعَلَ أفئدةً من[(٢)] الناسِ تَهْوِى إليهم . فذُكِر أنَّ إبراهيمَ لما سأَل ذلك ربَّه ، نقَل اللَّهُ الطائفَ مِن[(٣)] فلسطينَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : ثنا هشامٌ ، قال : قرَأتُ على محمدِ بنِ مسلمٍ الطائفىِّ أنَّ إبراهيمَ لما دعا للحَرَمِ : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ : نقَل اللَّهُ الطائفَ مِن[(٣)] فلسطينَ[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى قائلِ هذا القولِ ، وفى وجهِ قراءتِه ؛ **فقال بعضُهم** : قائلُ

---

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن » .

(٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) زيادة من مصدر التخريج .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٠ (١٢٢٢) من طريق هشام به .

[٤٣/٤ظ] هذا القولِ ربُّنا تعالى ذكرُه . وتأويلُه على قولِهم : قال اللَّهُ : ومَن كفَر بى فأُمَتِّعُه برزقى مِن الثمراتِ قليلًا فى الدنيا إلى أن يَأْتِيَه أجلُه . وقرَأ قائلو هذه المقالةِ ذلك : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ بتشديدِ التاءِ ورفعِ العينِ[(١)] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : حدَّثنى أبو العاليةِ ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ فى قولِه : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ . قال : هو قولُ الربِّ تبارك وتعالى[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : لما قال إبراهيمُ : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ وعزَل[(٣)] الدعوةَ عمن أبَى اللَّهُ أن يَجْعَلَ له الوِلايةَ ؛ انقطاعًا إلى اللَّهِ ومحبتِه[(٤)] ، وفِراقًا لمن خالَف أمرَه ، وإن كانوا مِن ذريتِه حينَ عرَف أنه كائنٌ[(٥)] / منهم ظالمٌ لا ينالُ عهدَه ، ١/٥٤٥
بخبرِه عن ذلك حين أخبرَه ، فقال اللَّهُ : ومن كفر ، فإنى أَرْزُقُ البَرَّ والفاجرَ فأُمَتِّعُه قَلِيلًا[(٦)] .

وقال آخرون : بل قال ذلك إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ على وجهِ المسألةِ منه ربَّه أن يَرْزُقَ الكافرَ أيضًا مِن الثمراتِ بالبلدِ الحرامِ ، مثلَ الذى يَرْزُقُ به المؤمنَ ، ويُمَتِّعُه بذلك قليلًا[(٧)] فى حياتِه حتى تَخْتَرِمَه مَنِيَّتُه . وقرأ قائلو ذلك : (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قَلِيلًا[(٧)] ثم

---

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وحمزة والكسائى ، وقرأ ابن عامر : (فأُمْتِعُه) . خفيفة من : أمْتَعْتُ . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧٠.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٠/١ (١٢٢٤) من طريق أبى جعفر به .

(٣) فى م : « عدل » .

(٤) فى م ، ت١ : « محبة » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « كان » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٥٣/١ عن ابن إسحاق .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

اضْطَرَّه إلى عَذَابِ النَّارِ) . بتخفيفِ التاءِ وجزمِ العينِ ، وفتحِ الراءِ من (اضْطَرَّه) ، ووصلِ[(١)] (ثم اضطَرَّه) بغيرِ قطعِ ألفِها[(٢)] ، على وجهِ الدعاءِ مِن إبراهيمَ ربَّه لهم والمسألةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال أبو العاليةِ : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : ذلك قولُ إبراهيمَ يَسْأَلُ ربَّه أن (مَن كفَر فأَمْتِعْه قليلًا)[(٣)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، [(٤)]عن أبيه[(٤)] ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْه قَلِيلًا) . يقولُ : ومَن كفَر فارْزُقْه أيضًا (ثم اضْطَرَّه إلى عذابِ النارِ)[(٥)] .

والصوابُ مِن القراءةِ في ذلك عندَنا والتأويلِ ما قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ [(٦)]وقرَأ به[(٦)] ؛ لقيامِ الحجةِ بالنقلِ المستفيضِ وراثةً[(٧)] بتصويبِ ذلك ، وشذوذِ ما خالَفه مِن القراءةِ ، وغيرُ جائزٍ الاعتراضُ بمن كان جائزًا عليه في نقلِه الخطأُ والسهوُ على مَن كان ذلك غيرَ جائزٍ عليه في نقلِه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : قال اللَّهُ : يا إبراهيمُ ، قد أجبتُ دعوتَك ورزَقتُ مؤمني أهلِ هذا البلدِ مِن الثمراتِ وكفارَهم متاعًا لهم إلى بلوغِ آجالِهم ، ثم

---

(١) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « فصل » .

(٢) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد . البحر المحيط ٣٨٤/١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٠/١ (١٢٢٤) من طريق أبي جعفر به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت٢ .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٣/١ عن مجاهد .

(٦ - ٦) في م : « وقراءته » .

(٧) في م ، ت١ : « دراية » .

أضطرُّ كفارَهم بعدَ ذلك [٤/٤٤و] إلى عذاب النارِ .

وأما قولُه : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ فإنه يعنى : فأَجْعَلُ ما أَرْزُقُه مِن ذلك فى حياتِه متاعًا يَتَمَتَّعُ به إلى وقتِ مماتِه .

وإنما قلنا : إنَّ ذلك كذلك ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما قال ذلك لإبراهيمَ جوابًا لمسألتِه ما سأل مِن رزقِ الثمراتِ لمؤمنى أهلِ مكةَ ، فكان معلومًا بذلك أن الجوابَ إنما هو فيما سأَلَه إبراهيمُ لا فى غيرِه . وبالذى قلنا فى ذلك قاله مجاهدٌ ، وقد ذكَرنا الروايةَ بذلك عنه .

وقال بعضُهم : تأويلُه : فأمتِّعُه بالبقاءِ فى الدنيا .

وقال غيرُه : فأمتِّعُه قليلًا فى كفرِه ما أقام بمكةَ ، حتى أبعَثَ محمدًا ﷺ فيَقْتُلَه إن أقام على كفرِه أو يُجْلِيَه عنها . وذلك وإن كان وجهًا يَحْتَمِلُه الكلامُ ، فإن دليلَ ظاهرِ الكلامِ على خلافِه ؛ لما وصَفنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ : ثم أَدْفَعُه إلى[(1)] النارِ وأَسُوقُه إليها ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور : ١٣] . ومعنى الاضْطرارِ الإكراهُ . يقالُ : اضْطَرَرْتُ فلانًا إلى هذا الأمرِ ، إذا ألجأْتَه إليه وحمَلتَه عليه . فكذلك معنى قولِه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ : أَدْفَعُه إليه وأَسُوقُه سحبًا وجرًّا على وجهِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

---

(١) بعده فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « عذاب » .

١/٥٤٦ / قد دلَّلنا على أنَّ « بئس » أصلُه « بئِس » مِن « البُؤْسِ » ، سُكِّنَ ثانيه ونُقِلت حركةُ ثانيه إلى أولِه ، كما قيل للكبِدِ : كِبْدٌ . وما أشبَه ذلك .

فمعنى الكلامِ : وساء المصيرُ عذابُ النارِ ، بعدَ الذى كانوا فيه مِن متاعِ الدنيا الذى مَتَّعْتُهم فيها .

وأما « المصيرُ » فإنه « مَفْعِلٌ » مِن قولِ القائلِ : صِرْتُ مَصيرًا صِلْحًا[(١)] . وهو الموضعُ الذى يَصِيرُ إليه [(٢)] من جهنمَ . فتأويلُ الكلامِ : وبئس المكانُ الذى يصيرُ إليه[(٢)] الكافرُ باللَّهِ[(٣)] عذابُ النارِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ .

[٤٤/٤ظ] يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ : واذكروا إذ يرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ ، و « القواعدُ » جمعُ قاعدةٍ ، يقالُ للواحدةِ مِن قواعدِ البيتِ : قاعدةٌ . وللواحدةِ مِن قواعدِ النساءِ - وهن[(٤)] عجائزُهن - قاعدٌ . فتُلْقَى[(٥)] هاءُ التأنيثِ ؛ لأنَّها « فاعلٌ » مِن قولِ القائلِ : قد قعَدت عن الحيضِ . ولا حظَّ فيه للذكورِ ، كما يقالُ : امرأةٌ طاهرٌ وطامثٌ ؛ لأنه لا حظَّ فى ذلك للذكورِ ، ولو عُنِى به القُعودُ الذى هو خلافُ القيامِ لقيل : قاعدةٌ . ولم يَجُزْ حينَئذٍ إسقاطُ هاءِ التأنيثِ . وقواعدُ البيتِ : إساسُه[(٦)] .

---

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « صالحا » ، وكلاهما بمعنًى .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) بعده فى م : « من » .

(٤) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٥) فى م : « فتلغى » وهما بمعنى .

(٦) الإساس : جمع ، واحده الإس مثلثة ، والإس أصل البناء كالأساس والأَسَس . التاج (أ س س) .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى « القواعدِ » التى رفَعها إبراهيمُ وإسماعيلُ مِن البيتِ ، أهما أحدَثا ذلك ، أم هى قواعدُ كانت له قبلَهما ؟ **فقال قومٌ** : هى قواعدُ بيتٍ كان بناه آدمُ أبو البشرِ بأمرِ اللَّهِ إياه بذلك ، ثم درَس مكانُه وتعَفَّى أثرُه بعدَه حتى بَوَّأه اللَّهُ إبراهيمَ عليه السلامُ فبناه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ جريجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : قال آدمُ : أىْ[1] ربِّ ، إنى لا أسمعُ أصواتَ الملائكةِ . قال : خطيئتُك[2] ، ولكنِ اهبِطْ إلى الأرضِ فابنِ لى بيتًا ، ثم احْفُفْ به كما رأَيتَ الملائكةَ تَحُفُّ ببيتىَ الذى فى السماءِ . فيَزْعُمُ[3] الناسُ أنه بناه مِن خمسةِ أجبُلٍ ؛ من حِراءٍ ، وطورِ زَيْتَا[4] ، وطورِ سَيْناءَ ، و[5] لُبنانٍ ، والجُودىِّ ، وكان رُبْضُه[6] من حِراءٍ ، فكان هذا بناءَ آدمَ حتى بناه إبراهيمُ بعدُ[7] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ

(١) فى م : « يا » .

(٢) فى م : « بخطيئتك » .

(٣) فى الأصل : « فزعم » .

(٤) طور زيتا : علم مرتجل لجبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر ولذلك سمى طور زيتا ، وجبل زيتا : مطل على مسجد بيت المقدس شرقى وادى سلوان . معجم البلدان ٣/٥٥٨.

(٥) بعده فى م : « جبل » .

(٦) الرُّبْضُ : أساس البناء . وقيل : وسط الشىء . التاج (ر ب ض) .

(٧) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٢) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٢٧، ١٣١ إلى ابن المنذر والبيهقى . وينظر أخبار مكة للأزرقى ١/٧ ، ونقله ابن كثير فى تفسيره ١/٢٥٩ عن عبد الرزاق ، وقال : وهذا صحيح إلى عطاء ، ولكن فى بعضه نكارة ، واللَّه أعلم .

ٱلۡبَيۡتِ﴾ . قال : القواعدُ التى كانت قواعدَ البيتِ قبلَ ذلك[(١)] .

وقال آخرون : بل هى قواعدُ بيتٍ كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أهبَطه لآدمَ مِن السماءِ إلى الأرضِ ، يَطُوفُ به كما كان[(٢)] يَطُوفُ بعرشِه فى السماءِ ، ثم رفَعه إلى السماءِ أيامَ الطوفانِ ، فرفَع إبراهيمُ قواعدَ ذلك البيتِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهّابِ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن أبى قِلابةَ ،
١/٥٤٧ عن عبدِ اللَّهِ بنِ / عمرٍو[(٣)] ، قال : لما أهبَط اللَّهُ آدمَ مِن الجنةِ قال : إنى مُهبِطٌ معك - أو منزِلٌ معك - بيتًا يُطافُ[(٤)] حولَه ، كما يُطافُ حولَ عرشى ، ويُصَلَّى عندَه ، كما يُصَلَّى عندَ عرشى . فلما كان زمنُ الطوفانِ رفِع ، فكانت الأنبياءُ يَحُجونَه ولا يَعْلَمون مكانَه ، حتى بَوَّأه اللَّهُ إبراهيمَ وأعلَمه مكانَه ، فبناه مِن خمسةِ أجْبُلٍ : من حِراءٍ ، وثَبِيرٍ ، ولُبنانٍ ، وجبلِ الطورِ ، وجبلِ الخَمَرِ[(٥)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٨، ٥٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣١ (١٢٣٢) من طريق محمد ابن ثور ، عن معمر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٢٦، ١٢٧ إلى ابن المنذر ، وصحح الحافظ إسناده فى الفتح ٨/ ١٧٠.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣ : « عمر » .

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « فطف » .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣ : « الحمر » . وبعده فى حاشية الأصل : « جبل بالشام » . وبعده فى الدر المنثور : « وهو جبل بيت المقدس » . وجبل الخمر يراد به جبل بيت المقدس ، سمى بذلك لكثرة كرومه . معجم البلدان ٢/ ٢١.

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى فى الكبير عن عبد اللَّه بن عمرو . ينظر مجمع الزوائد ٣/ ٢٨٨، والدر المنثور ١/ ١٢٧. وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٣) عن معمر ، عن أيوب قال : بنيت الكعبة من خمسة أجبل . فذكر نحو أثر عطاء السابق . وينظر البداية والنهاية ٣/ ٤٧٧.

وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا إسماعيلُ ابنُ عليةَ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن أبي قِلابةَ ، قال : لما أُهبِط آدمُ . ثم ذكَر نحوَه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا هشامُ بنُ حسانَ ، عن سَوّارٍ [(٢)] ختَنِ عطاءَ ، عن [(٢)] عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، قال : [٤٥/٤و] لما أهبَط اللَّهُ آدمَ مِن الجنةِ كان رِجلاه في الأرضِ ورأسُه في السماءِ ، يَسْمَعُ كلامَ أهلِ السماءِ ودعاءَهم ، يأنَس إليهم ، فهابَتِ[(٣)] الملائكةُ حتى شكَت إلى اللَّهِ في دعائِها وفي صلاتِها ، فخفَضه اللَّهُ[(٤)] إلى الأرضِ ، فلما فقَد ما كان يَسْمَعُ منهم ، استوحَش حتى شكا ذلك إلى اللَّهِ في دعائِه وفي صلاتِه ، فوجِّه إلى مكةَ ، فكان موضعُ قدمِه قريةً وخَطْوُه مفازةً ، حتى انتهى إلى مكةَ ، وأنزَل اللَّهُ ياقوتةً مِن ياقوتِ الجنةِ ، فكانت على موضعِ البيتِ الآنَ ، فلم يَزَلْ يَطُوفُ به حتى أنزَل اللَّهُ الطوفانَ ، فرُفِعت تلك الياقوتةُ ، حتى بعَث اللَّهُ إبراهيمَ فبناه ، فذلك قولُ اللَّهِ : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[(٥)] [الحج : ٢٦] .

وحدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : وضَع اللَّهُ البيتَ مع آدمَ[(٦)] ؛ أهبَط اللَّهُ آدمَ إلى الأرضِ ، وكان مَهْبِطُه بأرضِ الهندِ ، وكان رأسُه في السماءِ ورِجلاه في الأرضِ ، فكانت الملائكةُ تَهابُه ، فنُقِص إلى

---

(١) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٣٠/١ من طريق أيوب به .

(٢ - ٢) في م ، ت١ ، ت٣ : « عن » ، وفي ت٢: « ختن » .

(٣) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « فهابته » .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ١٢٣/١ . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٩٠) ، وابن عساكر في تاريخه ٤٢١/٧ من طريق هشام بن حسان به ، وأخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٧/١، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٢١) من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وطلحة متروك .

(٦) بعده في م : « حين » .

ستين ذِراعًا ، فحزِن آدمُ إذ فقَد أصواتَ الملائكةِ وتسبيحَهم ، فشكا ذلك إلى اللَّهِ تعالى ، فقال اللَّهُ : يا آدمُ ، إنى قد أهبَطتُ لك بيتًا تَطُوفُ به كما يُطافُ حولَ عرشى ، وتصَلِّى عندَه كما يُصَلَّى عندَ عَرْشى . فانطَلَق إليه آدمُ ، فخرَج ومُدّ له فى خطوِه ، فكان (١ بينَ كلِّ خُطوتين ١) مفازةٌ ، فلم تَزَلْ تلك المفاوزُ بعدَ ذلك ، فأتى آدمُ البيتَ فطاف به ومَن بعدَه مِن الأنبياءِ (٢) .

وحدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن أَبانٍ أنَّ البيتَ أُهبِط ياقوتةً واحدةً ، أو دُرّةً واحدَةً ، حتى إذا أغرَق اللَّهُ قومَ نوحٍ رفَعه وبقِىَ أساسُه ، فبوَّأه اللَّهُ لإبراهيمَ ، فبناه بعدَ ذلك (٣) .

وقال آخرون : بل كان موضعُ البيتِ ربوةً حمراءَ كهيئةِ القبةِ ، وذلك أن اللَّهَ لما أراد خلْقَ الأرضِ علا الماءَ زَبَدةٌ حمراءُ أو بيضاءُ ، وذلك فى موضعِ البيتِ الحرامِ ، ثم دَحا اللَّهُ الأرضَ مِن تحتِها ، فلم يَزَلْ ذلك كذلك حتى بوَّأه اللَّهُ إبراهيمَ ، فبناه على أساسِه . وقالوا : أساسُه على أركانٍ أربعةٍ فى الأرضِ السابعةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال جريرُ بنُ حازمٍ : حدَّثنى حميدُ بنُ قيسٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان موضعُ البيتِ على الماءِ قبلَ

(١ - ١) فى الأصل ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كل خطوة بين » ، وفى التاريخ والمصنف : « بين كل خطوة » . والمثبت موافق لما سيأتى فى تفسير الآية (٢٦) من سورة الحج ، وكذلك هو فى الدر المنثور .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٢٣ . وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٦) ، وهو فى تفسيره ٢/ ٣٤ ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ١٢ من طريق معمر به نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٥٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٦) ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ١٠ من طريق معمر به .

أن يَخْلُقَ اللَّهُ السماواتِ والأرضَ ، مثلَ الزَّبَدةِ البيضاءِ ، ومِن تحتِه دُحِيَت الأرضُ[(١)] .

/ وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا ابنُ جُرَيجٍ ، ٥٤٨/١
قال : قال عطاءٌ وعمرُو بنُ دينارٍ : بعَث اللَّهُ رِياحًا فصَفَقت الماءَ ، فأبْرَزَتْ في موضعِ البيتِ عن حَشَفةٍ[(٢)] كأنها القبّةُ ، فهذا البيتُ منها ، فلذلك هي أمُّ القُرَى . قال ابنُ جُريجٍ : قال عطاءٌ : ثم وَتَدها بالجبالِ كي لا تَكَفَّأَ ؛ تَمِيدَ[(٣)] ، [٤/٤٥ظ] فكان أولَ جبلٍ أبو قُبَيسٍ[(٤)] .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن حفصِ بنِ حميدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وُضِعَ البيتُ على أركانِ الماءِ ، على أربعةِ أركانٍ ، قبلَ أن تُخْلَقَ الدُّنْيا بألفَى عامٍ ، ثم دُحِيت الأرضُ مِن تحتِ البيتِ[(٥)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، قال : وَجَدوا بمكةَ حجرًا مكتوبًا فيه[(٦)] : إني أنا اللَّهُ ذو بكةَ ، بنَيْتُه يومَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٠٩٧) من طريق حميد به بمعناه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٢٨ إلى عبد بن حميد بآخره .

(٢) في ت١، ت٢، ت٣: « حسنة » . وفي مصنف عبد الرزاق : « خشفة » ، وبالحاء والخاء روايتان ، وتروى بالعين أيضا بدل الفاء .

والحشفة : صخرة رخوة حولها سهل من الأرض . التاج (ح ش ف) .

والخشفة واحدة الخشف : وهي حجارة تنبت في الأرض نباتا . ذكره ابن الأثير في النهاية ٣٥/٢ عن الخطابي .

(٣) في م : « بميد » .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٨٩) ، وأخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٤/١ من طريق آخر عن عطاء، عن ابن عباس ، نحوه .

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٠١) من طريق يعقوب القمي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٢٨ إلى عبد بن حميد .

(٦) في م ، ت١، ت٢، ت٣: « عليه » .

صُغْتُ[١] الشمسَ والقمرَ، وحفَفْتُه بسبعةِ أملاكٍ حنفاءَ[٢].

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، قال: حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ وغيرِه مِن أهلِ العلمِ، أن اللَّهَ لمَّا بَوَّأ لإبراهيمَ مكانَ البيتِ، خرَج إليه مِن الشامِ، وخرَج معه بإسماعيلَ وبأمِّه هاجرَ، وإسماعيلُ طفلٌ صغيرٌ يَرْضَعُ، وحُمِلُوا - فيما حدَّثنى - علَى البُراقِ، ومعه جبريلُ يَدُلُّه على مَوْضعِ[٣] البيتِ ومَعالمِ الحرمِ، فخرَج وخرَج معه جبريلُ - يقال: كان لا يمرُّ بقريةٍ إلا قال: أبهذه أُمِرْتَ ياجبريلُ؟ فيقولُ جبريلُ: امْضِهْ - حتى قَدِم به مكةَ، وهى إذ ذاك عِضاهُ سَلَمٍ وسَمُرٍ[٤]، وبها[٥] أناسٌ يقالُ لهم: العَماليقُ خارجَ مكةَ وما حولَها، والبيتُ يومَئذٍ رَبوةٌ حمراءُ مَدَرَةٌ. فقال إبراهيمُ لجبريلَ: أهاهنا أُمِرتَ أن أضَعَهما؟ قال: نعم. فعمَد بهما[٦] إلى موضعِ الحِجرِ فأنزَلهما فيه، وأمر هاجرَ أمَّ إسماعيلَ أن تَتخِذَ فيه عريشًا، فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ إلى قولِه: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[٧] [إبراهيم: ٣٧].

قال ابنُ حميدٍ: قال سلمةُ: قال ابنُ إسحاقَ: ويَزْعُمون - واللَّهُ أعلمُ - أن ملكًا مِن الملائكةِ أتَى هاجرَ أمَّ إسماعيلَ - حينَ أنزَلهما إبراهيمُ مكةَ قبلَ

---

(١) فى م: «صنعت».

(٢) فى م، ت١، ت٢، ت٣: «حفا».

(٣) فى الأصل: «مواضع». وينظر مصدر التخريج.

(٤) السَّلَمُ شجر من العضاه وورقها القرَظ الذى يدبغ به الأديم، والسَّمُرُ ضرب من العضاه، وقيل من الشجر صغار الورق قصار الشوك وله بَرَمَةٌ صفراء يأكلها الناس. اللسان (س ل م، س م ر).

(٥) فى م، ت١، ت٢، ت٣: «يروبها».

(٦) فى الأصل: «بها».

(٧) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢١، ٢٢ من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحده، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٠.

أن يَرْفعَ إبراهيمُ وإسماعيلُ القواعدَ مِن البيتِ - فأشار لها[(١)] إلى البيتِ، وهو[(٢)] رَبْوةٌ حمراءُ مَدَرَةٌ، فقال لها[(٣)]: هذا أولُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ[(٤)]، وهو بيتُ اللَّهِ العتيقُ، واعْلَمِي أن إبراهيمَ وإسماعيلَ هما يَرْفعانِه[(٥)]. فاللَّهُ أعلمُ.

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخْبَرنا هشامُ بنُ حسانَ، قال: أخْبَرنى حُميدٌ، عن مجاهدٍ، قال: خلَق اللَّهُ مَوْضِعَ هذا البيتِ قبلَ أن يَخْلُقَ شيئًا مِن الأرضِ بأَلْفَى سنةٍ، وأركانُه فى الأرضِ السابعةِ[(٦)].

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخْبَرنا ابنُ عُيَينةَ، قال: أخْبَرنى بِشْرُ بنُ عاصمٍ، عن ابنِ المسيَّبِ، قال: حدَّثنا كعبٌ أن البيتَ كان غُثاءةً على الماءِ قبلَ أن يَخلُقَ اللَّهُ الأرضَ بأربعين سنةً، ومنه دُحِيَت الأرضُ. قال:
١/٥٤٩ وحدَّثنا[(٧)] عليُّ بنُ أبى طالبٍ أن إبراهيمَ أقْبَل مِن إرمينيةَ ومعَه / السكينةُ تَدُلُّه، [(٨)]حتى تبوَّأَ[(٨)] البيتَ، كما تَتَبوأُ العنكبوتُ بيتَها. قال: فرَفَعت عن أحجارٍ يُطِيقُه - أو لا يُطيقُه - ثلاثون رجلًا. قال: قلت: يا أبا محمدٍ، فإن اللَّهَ يقُولُ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: كان ذلك بعدُ[(٩)].

---

(١) فى النسخ: «لهما». والمثبت من أخبار مكة.
(٢) فى الأصل: «هى». والمثبت من أخبار مكة.
(٣) فى النسخ: «لهما».
(٤) فى م، ت١، ت٢، ت٣: «فى الأرض». وينظر مصدر التخريج.
(٥) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٣/١ من طريق ابن إسحاق به بنحوه.
(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٧)، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣/١، ٤ من طريقين عن هشام به. وليس فى الموضع الثانى ذكر حميد.
(٧) بعده فى م: «عن».
(٨ - ٨) فى م، ت١، ت٢: «علة تبوئ».
(٩) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٨).

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن يقالَ : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤه [٤٦/٤و] أخْبَرَ عن إبراهيمَ خليلِه أنه وابنَه إسماعيلَ رفَعا القواعدَ مِن البيتِ الحرامِ . وجائزٌ أن يكونَ ذلك قواعدَ بيتٍ كان أهْبَطه مع آدمَ ، فجَعله مكانَ البيتِ الحرامِ الذى بمكةَ . وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان القُبَّةَ التى ذكَرها عطاءٌ مما أنْشَأه اللَّهُ مِن زَبَدِ الماءِ . وجائزٌ أن يكونَ كان ياقوتةً أو درةً أُهْبِطتا مِن السماءِ . وجائزٌ أن يكونَ كان آدمُ بناه ثم تَهَدَّم حتى رفَع قواعِدَه إبراهيمُ وإسماعيلُ . ولا علمَ عندَنا بأىٍّ ذلك كان من أىٍّ ؛ لأن حقيقةَ ذلك لا تُدْرَكُ إلا بخبرٍ عن اللَّهِ أو[1] عن رسولِه ﷺ بالنَّقْلِ المُسْتفيضِ . ولا خبرَ بذلك تقومُ به الحجةُ ، فيَجِبَ التسليمُ لها ، ولا هو - إذ لم يَكُنْ به خَبَرٌ على ما وصفنا - مما [(٢]يُدْرَكُ علمُه[٢)] بالاستدلالِ والمقاييسِ ، فيُمَثَّلَ بغيرِه ، ويُسْتنبطَ عِلمُه مِن جهةِ الاجتهادِ . فلا قولَ فى ذلك هو أوْلَى بالصوابِ مما قلنا واللَّهُ تعالى أعلمُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ .

يعنى تعالى ذِكْرُه بذلك وإذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ . يقولان : رَّبنا تقبَّلْ منا . وذُكِرَ أن ذلك كذلك فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ[3] ، وهو قولُ جماعةٍ مِن أهلِ التأويلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

= وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٥، ١٢٣٦) ، والأزرقى فى أخبار مكة ٣/١، ٢٩ من طريق ابن عيينة به . وأخرجه الحاكم ٢٦٧/٢ من طريق بشر بن عاصم به ، بأثر على وحده . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢٦/١ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن على وحده .

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « و » .

(٢ - ٢) فى م : « يدل عليه » .

(٣) المصاحف ص ٥٧ .

السديِّ ، قال : بنَيا وهما يَدْعوان الكلماتِ التى ابْتَلى بها إبراهيمَ ربُّه ، قال : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ - ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[1] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخْبَرنى ابنُ كثيرٍ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ قال : قاما[2] يَرْفعان القواعدَ مِن البيتِ ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال : وإسماعيل يَحْمِلُ الحجارةَ على رقبتِه ،والشيخُ يَبْنى[3] .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : وإذ يَرْفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ وإسماعيلُ قائلين : ربنا تَقبَّلْ مِنَّا .

وقال آخرون : بل قائلُ ذلك كان إسماعيلَ .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : وإذ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ ، وإذ يقولُ إسماعيلُ : ربَّنا تَقبلْ مِنَّا . فيَصِيرُ حينئذٍ ﴿ إِسْمَـٰعِيلُ ﴾ مرفوعًا بالجملةِ التى بعدَه ، و « يقولُ » حينئذٍ خبرٌ له دونَ إبراهيمَ .

١/٥٥٠ / ثم **اختلف أهلُ التأويلِ** فى الذى رفَع القواعدَ ، بعدَ إجماعِهم على أن إبراهيمَ كان ممن رفَعها ؛ **فقال بعضُهم** : رفَعها إبراهيمُ وإسماعيلُ جميعًا .

[٤٦/٤ظ] ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٧) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « هما » .

(٣) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٥/١، ٢٦ من طريق ابن جريج به مطولًا .

السدىِّ : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ . قال : فانطلَق إبراهيمُ حتى أتَى مكةَ ، فقام هو وإسماعيلُ وأخَذا المعاولَ لا يَدْرِيان أين البيتُ ، فبعَث اللَّهُ ريحًا يقال لها : ريحُ الخَجُوجِ [(١)] ، لها جَناحان ورأسٌ ، فى صورةِ حيَّةٍ ، فكنَست لهما ما حولَ الكعبةِ [(٢)] عَنْ أساسِ البيتِ الأولِ ، واتَّبعاها بالمَعاولِ يَحْفِران حتى وضَعا الأساسَ ، فذلك حين يقولُ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الحج : ٢٦] . فلما بنَيا القواعدَ فبلَغا مكانَ الرُّكنِ ، قال إبراهيمُ لإسماعيلَ : يا بُنىّ ، اطْلُبْ لى حجرًا حسنًا أضعْه هٰهنا . قال : يا أبَتِ إنى كسلانُ لَغِبٌ [(٣)] . قال : علىَّ ذلك . فانطلَق يطلُبُ حجرًا ، فجاءه بحجرٍ فلم يَرْضَهْ ، فقال : ائْتِنى بحجرٍ أحسنَ مِن هذا . فانْطَلق يَطْلُبُ له حجرًا ، وجاءه جبريلُ بالحجرِ الأسودِ مِن الهندِ ، وكان أبيضَ ، ياقوتةً بيضاءَ مثلَ الثَّغامةِ [(٤)] ، وكان آدمُ هبَط به مِن الجنةِ فاسودَّ مِن خطايا الناسِ ، فجاءه إسماعيلُ بحجرٍ فوجدَه عندَ الركنِ ، فقال : يا أبتِ ، مَن جاءك بهذا ؟ فقال : [(٥)] جاء به [(٥)] مَن هو أنشطُ مِنك . فبنَياه [(٦)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عمرَ [(٧)] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عروةَ [(٨)] ، عن [(٩)] عبيدِ بنِ عميرٍ الليثىِّ ، قال : بَلَغنى أن إبراهيمَ

---

(١) ريح خجوج : شديدة المرور فى غير استواء . النهاية ٢/١١ .

(٢) بعده فى م : « و » .

(٣) لَغَب يلغُب لَغْبًا : أعيا أشد الإعياء . اللسان (ل غ ب) .

(٤) الثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب ، وقيل : هى شجرة تبيض كأنها الثلج . النهاية ١/٢١٤.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٥٢ مختصرا ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٢ (١٢٣٧) من طريق عمرو به . وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٥٣ من طريق أسباط به نحوه .

(٧) فى الأصل ، م ، ت١ ، ت٣ : « عمرو » .

(٨) فى النسخ : « عتبة » ، والمثبت من تاريخ المصنف ١/٢٦١ . وينظر تهذيب الكمال ٢١/٤١٣.

(٩) فى ت٢ ، ت٣ : « بن » .

وإسماعيلَ هما رفَعا قواعدَ البيتِ[(١)] .

وقال آخرون : بل رفَع قواعدَ البيتِ إبراهيمُ ، وكان إسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ ثابتٍ الرازيُّ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا معمرٌ ، عن أيوبَ وكثيرِ بنِ كثيرِ بنِ المطلبِ بنِ أبى وداعةَ - يَزيدُ أحدُهما على الآخرِ - عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جاء إبراهيمُ وإسماعيلُ يَبْرِى نَبْلًا قريبًا مِن زمزمَ ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يَصْنعُ الوَالدُ بالولدِ ، والوَلدُ بالوالدِ ، ثم قال : يا إسماعيلُ ، إن اللَّهَ أمَرنى بأمْرٍ . قال : فاصْنَعْ ما أمَرَك ربُّك . قال : وتُعِينُنى ؟ قال : وأُعِينُك . قال : فإن اللَّهَ أمَرَنى أن أبنىَ هلهنا بيتًا . وأشار إلى الكعبةِ مُرتفعةً على ما حولَها . قال : فعنَد ذلك رفعا القواعدَ من البيتِ . قال : فجعلَ إسماعيلُ يأتى بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبْنى ، حتى إذا ارتفَع البناءُ جاء بهذا الحجرِ فوضَعه له ، فقام عليه وهو يَبنى ، وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ وهما يقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حتى دوَّر حولَ البيتِ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ سنانٍ[(٣)] القَزازُ ، قال : ثنا عبيدُ[(٤)] اللَّهِ بنُ عبدِ المجيدِ أبو علىٍّ الحَنفىُّ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ ، قال : سمِعتُ كثيرَ بنَ كثيرٍ يُحدِّثُ عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء - يعنى إبراهيمَ - فوجَد إسماعيلَ يُصْلِحُ نَبْلًا له[(٥)] مِن وراءِ زمزمَ ،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٦١ ، مطولًا .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩١٠٧) ، ومن طريقه البخارى (٣٣٦٤) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣٢ (١٢٣٤) ، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦ ، ٥٢ . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٥ ، ٢٦ من طريق معمر به . وينظر أخبار مكة ١/ ٢٢ ، والدر المنثور ١/ ١٢٥ .

(٣) فى م : « بشار » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٢٣ .

(٤) فى ت١ ، ت٣ : « عبد » .

(٥) سقط من : م .

فقال إبراهيمُ : يا إسماعيلُ ، إن ربَّك قد أمرَنى أن أبنىَ له بيتًا . فقال له إسماعيلُ : فأطِعْ ربَّك فيما أمرَك به . فقال له إبراهيمُ : قد أمرَك أن تُعِينَنى عليه . قال : إذن أفْعَلَ . قال :
١/٥٥١ فقام / معه ، فجَعل إبراهيمُ يَبْنِيه وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . فلما ارْتَفع البنيانُ ، وضَعُف الشيخُ عن رفعِ الحجارةِ ، قام على حجَرٍ فهو مَقامُ إبراهيمَ ، فجعَل يُناوِلُه ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)] .

وقال آخرون : بل الذى رفَع قواعدَ البيتِ إبراهيمُ وحدَه ، وإسماعيلُ يومئذٍ طفلٌ صغيرٌ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ [٤/٤٧و] ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حارثةَ بنِ مُضَرِّبٍ[(٢)] ، عن علىٍّ ، قال : لما أُمِرَ إبراهيمُ ببناءِ البيتِ ، خرَجَ معه إسماعيلُ وهاجرُ ، قال : فلما قَدِم مكةَ رأى على رأسِه فى موضعِ البيتِ مثلَ الغَمامةِ فيه مثلُ الرأسِ فكَلَّمه ، فقال : يا إبراهيمُ ، ابْنِ على ظلِّى - أو على قَدْرى - ولا تَزِدْ ولا تَنْقُصْ . فلما بَنَى خرَجَ[(٣)] وخَلَّف إسماعيلَ وهاجرَ ، فقالت

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٥٩، ٢٦٠ عن محمد بن سنان به . وأخرجه الحاكم ٢/٥٥١، ٥٥٢ من طريق محمد بن سنان به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وينظر تفسير ابن كثير ١/٢٥٦. وأخرجه البخارى (٣٣٦٥) ، والنسائى فى الكبرى (٨٣٨٠) ، وابن أبى حاتم ١/٢٣٢ (١٢٣٣) من طريق إبراهيم بن نافع به . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٥، ٢٦، وابن مردويه - كما فى التفسير لابن كثير ١/٢٥٦- من طريق كثير بن كثير به .

(٢) فى م : « مصرف » . وينظر تهذيب الكمال ٥/٣١٧ .

(٣) سقط من : م .

هاجرُ : يا إبراهيمُ إلى مَن تكِلُنا ؟ قال : إلى اللَّهِ . قالت : انْطَلِقْ فإنه لا يُضَيِّعُنا . قال : فعَطِش إسماعيلُ عَطَشًا شديدًا ، قال : فصَعِدت هاجرُ الصَّفَا فنظَرت فلم ترَ شيئًا ، ثم أتَتِ المَروةَ فنَظَرتْ فلم ترَ شيئًا ، ثم رجَعت إلى الصَّفَا فنظَرت فلم تَر شيئًا ، حتى فعَلت ذلك سبعَ مرارٍ ، فقالت : يا إسماعيلُ مُتْ حيثُ لا أراك . فأتَتْه وهو يَفْحَصُ برجلِه مِن العطشِ ، فناداها جبريلُ ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا هاجرُ أمُّ ولدِ إبراهيمَ . قال : إلى مَن وَكَلكما ؟ قالت : وَكَلنا إلى اللَّهِ . قال : وَكَلكما إلى كافٍ . قال : ففَحَص الغلامُ[(١)] الأرضَ بأصبعِه ، فنَبَعت زمزمُ ، فجعَلت تحبسُ الماءَ ، فقال : دَعيه ، فإنها رَوَاءٌ[(٢)] .

حدَّثنا [(٣]هنادُ بنُ السريِّ[٣)] ، قال : ثنا أبو الأحوصِ ، عن سِماكٍ ، عن خالدِ بنِ عرعرةَ ، أن رجلًا قام إلى عليٍّ فقال : ألا تُخْبِرُنى عن البيتِ أهو أولُ بيتٍ وُضِعَ فى الأرضِ ؟ فقال : لا ، ولكنه أولُ بيتٍ وُضِعَ فيه[(٤)] البركةُ ، مَقامُ إبراهيمَ ، ومَن دخَله كان آمنًا ، وإن شِئْتَ أنبأتُك كيف بُنِىَ ، إن اللَّهَ أوْحَى إلى إبراهيمَ أن ابْنِ لى بيتًا فى الأرضِ . قال : فضاق إبراهيمُ بذلك ذَرْعًا ، فأرسل اللَّهُ السكينةَ - وهى ريحٌ خَجُوجٌ ، ولها رأسان - فأتْبع أحدُهما صاحبَه حتى انْتَهت إلى مكةَ ، فتَطوَّت على مَوضعِ البيتِ

---

(١) زيادة من تاريخ المصنف .

(٢) الماء الرواء : العذب . اللسان (روى) .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٥٢ . وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٥١ من طريق مؤمل به . وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٧، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣١ (١٢٢٩) من طريق أبى إسحاق به ، بأوله . ونقله ابن كثير ١/ ٢٥٧، ٢٥٨ عن المصنف ، وقال : ففى هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما ، وقد يحتمل - إن كان محفوظًا - أن يكون أوّلًا وضع له حوطا وتحجيرا ، لا أنه بناه إلى أعلاه ، حتى كبر إسماعيل فبنياه معًا كما قال اللَّه تعالى .

(٣ - ٣) فى م : « عباد » .

(٤) فى الأصل ، م : « فى » . والمثبت من مصادر التخريج .

كتَطوِّى الحَجَفَةِ[(١)] ، وأُمِر إبراهيمُ أن يبنىَ حيثُ تَستقرُّ السكينةُ . فبنى إبراهيمُ وبقِى حجرٌ ، فذهب الغلامُ يَبْنى[(٢)] شيئًا ، فقال إبراهيمُ : لا ، أبْغِنى حجرًا كما آمُرُك . قال : فانْطَلق الغلامُ يَلْتمِسُ له حجرًا ، فأتاه به[(٣)] فوجَده قد رَكَّب الحجرَ الأسودَ فى مكانِه ، فقال : يا أبتِ ، مَن أتاك بهذا الحجرِ ؟ فقال : أتانى به مَن لم يَتَّكِلْ على بنائِك ، جاء به جبريلُ مِن السماءِ . فأتمَّاه[(٤)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ[(٥)] ، عن سماكٍ ، قال : سمِعت خالدَ بنَ عرعرةَ يُحدِّث عن علىٍّ بنحوِه .

وحدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا شعبةُ وحمادُ بنُ سلمةَ وأبو الأحوصِ ، كلُّهم عن سماكٍ ، عن خالدِ بنِ عرعرةَ ، عن علىٍّ بنحوِه[(٦)] .

فمن قال : رفَع القواعدَ إبراهيمُ وإسماعيلُ . أو قال : رفَعها إبراهيمُ وكان إسماعيلُ يناولُه الحجارةَ . فالصوابُ فى قولِه أن يكونَ المضمرُ مِن القولِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ، ويكونُ الكلامُ حينئذٍ وإذ يَرْفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ يقولان : [٤/٤٧ظ] ربَّنا تقبَّلْ منا .

---

(١) الحجفة : التُّرس . النهاية ١/ ٣٤٥ .

(٢) فى م : « يبغى » .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٥١ .

وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦ من طريق أبى الأحوص به .

وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٩٢، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٥ من طريق سماك به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٢٦ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد والحارث بن أبى أسامة . والحديث إسناده ضعيف لجهالة خالد بن عرعرة .

(٥) فى م : « سعيد » .

(٦) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٩٢٣) - والأزرقى فى أخبار مكة ١/ ٢٨ من طريق حماد به .

/وقد كان يَحْتمِل على هذا التأويلِ أن يكونَ المُضمرُ مِن القولِ لإسماعيلَ خاصةً دونَ إبراهيمَ ، ولإبراهيمَ خاصةً دونَ إسماعيلَ ، لولا ما عليه عامةُ أَهلِ التأويلِ مِن أن المُضمرَ مِن القولِ [(١] في ذلك [١)] لإبراهيمَ وإسماعيلَ جميعًا . ٥٥٢/١

وأما على التأويلِ الذى رُوِىَ عن علىٍّ - أن إبراهيمَ هو الذى رفَع القواعدَ دونَ إسماعيلَ - فلا يجوزُ أن يكونَ المضمرُ مِن القولِ عندَ ذلك إلا لإسماعيلَ خاصةً .

والصوابُ مِن القولِ عندَنا في ذلك أن المُضمرَ مِن القولِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ، وأن قواعدَ البيتِ رفَعها إبراهيمُ وإسماعيلُ جميعًا ؛ وذلك أن إبراهيمَ وإسماعيلَ إن كانا هما بنياها[(٢)] ورفعاها ، فهو ما قلنا . وإن كان إبراهيمُ تَفرَّد ببنائِها ، وكان إسماعيلُ يُناولُه أحجارَها[(٣)] ، فهما أيضًا رفعاها ، لأن رفعَها كان بهما ؛ مِن أحدِهما البناءُ ، ومِن الآخرِ نقلُ الحجارةِ إليها ومعونةُ وَضْعِ الأحجارِ مواضعَها . ولا تَمْتنِعُ العربُ مِن إضافةِ[(٤)] البناءِ إلى مَن كان بسببِه البناءُ ومَعونتِه . وإنما قلنا ما قلنا مِن ذلك لإجماعِ جميعِ أهلِ التأويلِ على أن إسماعيلَ معنيٌّ بالخبرِ الذى أخْبَر اللَّهُ عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولُهما : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . فمعْلُومٌ أن إسماعيلَ لم يَكُنْ ليقولَ ذلك إلا وهو إما رجلٌ كاملٌ ، وإما غلامٌ قد فَهِم مواضعَ الضُّرِّ مِن النفعِ ، ولزِمَته فرائضُ اللَّهِ وأحكامُه . وإذا كان [(١] ذلك أمرَه [١)] في حالِ بناءِ أبيه ما أمَره اللَّهُ ببنائِه ورفعِه قواعدَ بيتِ اللَّهِ[(٥)] -

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) في م : « بنياهما » .

(٣) سقط من : م .

(٤) في م : « نسبة » .

(٥) بعده في م : « كذلك » .

فمعلومٌ أنه لم يكن تاركًا معونةَ أبيه ، إما على البناءِ ، وإما على نقلِ الحجارةِ . وأىُّ ذلك كان منه ، فقد دخَل فى معنى مَن رفَع قواعدَ البيتِ ، وثبَت أن القولَ المُضمرَ خبرٌ عنه وعن والدِه إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليهما . فتأويلُ الكلامِ : وإذ يَرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ ، يقولان : ربَّنا تَقبلْ مِنَّا عملَنا ، وطاعتَنا إياك وعبادَتنا لك ، فى انتهائِنا إلى أمرِك الذى أمَرتنا به فى بناءِ بيتِك الذى أمَرْتنا ببنائِه ، إنك أنت السميعُ العليمُ .

وفى إخبارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أنهما رفَعا القواعدَ مِن البيتِ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ دليلٌ واضحٌ على أن بناءَهما ذلك لم يَكُنْ بناءَ مَسكنٍ يَسْكُنانه ولا منزلٍ يَنْزِلانِه ، بل هو دليلٌ على أنهما بنياه ورفَعا قواعدَه لكلِّ مَن أراد أن يَعْبُدَ اللَّهَ ، تَقرُّبًا منهما إلى اللَّهِ بذلك ، ولذلك قالا : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ ولو كانا بنياه مسكنًا لأنفسِهما لم يكنْ لقولِهما : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ وَجهٌ مفهومٌ ؛ لأنه (١) كان يكونُ (١) – لو كان الأمْرُ كذلك – (٢) سألا ربَّهما (٢) أن يتقبَّلَ منهما ما لا قُرْبةَ فيه إليه . وليس (٣) من صفتِهما (٣) مسألةُ اللَّهِ قبولَ ما لا قُربةَ إليه فيه .

[٤٨/٤و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .**

وتأويلُ قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ : إنك أنت السميعُ دعاءَنا ومَسألتَنا إياك قَبولَ ما سألناك قَبولَه منا مِن (٤) طاعتِنا لك (٤) فى بناءِ بيتِك الذى أمَرْتنا ببنائِه ، العليمُ بما فى ضمائرِ نفوسِنا مِن الإذعانِ لك بالطاعةِ والمصيرِ إلى ما فيه لك

(١ – ١) فى م : « كانا يكونان » .

(٢ – ٢) فى م : « سائلين » .

(٣ – ٣) فى م : « موضعهما » .

(٤ – ٤) فى م : « طاعتك » .

الرضا والمحبةُ ، وما نُبْدِى وما[1] نُخْفِى مِن أعمالِنا .

كما **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : أخْبَرنى ابنُ[2] كثيرٍ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يقولُ : تَقبَّلْ مِنَّا إنك سميعُ الدعاءِ[3] .

١/٥٥٣ /**القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه** : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ .

وهذا أيضًا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن إبراهيمَ وإسماعيلَ ، أنهما كانا يَرفعان القواعدَ مِن البيتِ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ . يعنيان بذلك : واجْعَلْنا مُستسلِمَيْنِ لأمرِكَ ، خاضعيَنِ لطاعتِكَ ، لا نُشْرِكُ معَك فى الطاعةِ أحدًا سواك ، ولا فى العبادةِ غيرَك .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى « الإسلامِ » الخضوعُ للَّهِ بالطاعةِ[4] .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ فإنهما خصَّا بذلك بعضَ الذُّرِّيَّةِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد كان أعلمَ إبراهيمَ خليلَه قبلَ مسألتِه هذه أن مِن ذُرِّيَّتِه مَن لا يَنالُ عهدَه ، لظلمِه وفجورِه ، فخَصَّا بالدعوةِ بعضَ ذُرِّيَّتِهما . وقد قيل : إنهما عنَيا بذلك العربَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) زيادة من : ت ٣.

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أبو » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٥٥٧.

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣٢ ، ٤٣٣.

السُّدِّيِّ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾ : يَعنيانِ العربَ[1] .

وهذا قولٌ يَدُلُّ ظاهرُ الكتابِ على خلافِه ؛ لأن ظاهرَه يَدُلُّ على أنهما دَعَوَا اللَّهَ أن يَجْعَلَ مِن ذُرِّيَّتِهما أهلَ طاعتِه وولايتِه والمُسْتَجِيبِينَ لأمرِه ، وقد كان فى ولدِ إبراهيمَ العربُ وغيرُ العربِ ، والمستجيبُ لأمرِ اللَّهِ والخاضعُ له بالطاعةِ مِن الفريقين ، فلا وجهَ لقولِ مَن قال : عنَى إبراهيمُ بدعائِه ذلك فريقًا مِن ولدِه بأعيانِهم دونَ غيرِهم ، إلَّا التحكُّمَ الذى لا يعْجِزُ عنه أحدٌ .

[٤٨/٤ظ] وأمَّا « الأُمَّةُ » فى هذا الموضعِ ، فإنه يَعنى بها الجماعةَ مِن الناسِ ، مِن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ .

اخْتَلَفتِ القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُهم : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ . بمعنى رُؤْيةِ العينِ ، أى : أظهِرْها لأعيُنِنا حتى نراها . وذلك قراءةُ عامَّةِ قرأةِ[2] الحجازِ والكوفةِ . وكان بعضُ مَن يُوَجِّهُ تأويلَ ذلك إلى هذا التأويلِ يُسَكِّنُ الراءَ مِن (أرْنا)[3] ، غيرَ أنه يُشِمُّها كسرةً[4] .

واختلف قائلُو هذه المقالةِ وقَرَأَةُ هذه القراءةِ فى تأويلِ قولِه : ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : هى مناسكُ الحجِّ ومعالِمُه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٤/١ (١٢٤٦) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « أهل » .

(٣) تسكين الراء قراءة ابن كثير المكى ، والسوسى عن أبى عمرو ، ويعقوب الحضرمى ، وهو من العشرة . والاختلاس قراءة الدورى عن أبى عمرو ، والباقون بكسر الراء . ينظر النشر ٢/ ٢٢٢، وإتحاف فضلاء البشر ص ٩٠.

(٤) المراد بالإشمام هنا : الاختلاس ، أى : إخفاء الحركة ، وهو الإتيان بثلثى الحرف بحيث يكون المنطوق به من الحركة أكثر من المحذوف منها . ينظر الوافى فى شرح الشاطبية ص ٢٠٣.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ : فأراهما اللَّهُ مناسِكَهما بالطوافِ بالبيتِ ، والسعْيِ بينَ الصفا والمروةِ ، والإفاضةِ مِن عَرَفاتٍ ، والإفاضَةِ مِن جَمْعٍ ، ورمْيِ الجمارِ ، حتى أكمل اللَّهُ الدِّينَ - أو : دِينَه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قال : أرِنا نُسُكَنا وحِجَّنا[(٢)] .

٥٥٤/١ /**حدَّثنا** موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : لمَّا فرَغ إبراهيمُ وإسماعيلُ مِن بنيانِ البيتِ أمَره اللَّهُ أن يُنادىَ ، فقال : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج : ٢٧] . فنادَى بينَ أَخْشَبَىْ مكةَ[(٣)] : يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ يأمرُكم أن تحُجُّوا بيتَه . قال : فوقَرت فى قلبِ كلِّ مؤمنٍ ، فأجابه كلُّ شىءٍ[(٤)] سمِعه مِن جبلٍ أو شجرٍ أو دابَّةٍ : لبَّيْكَ لبَّيْك . فأجابوه بالتلبيةِ : لبَّيْك اللهمَّ لبَّيْك . وأتاه مَن أتاه ، فأمَره اللَّهُ أن يَخرُجَ إلى عرفاتٍ ونعَتها فخرَج ، فلمَّا بلَغ الشجرةَ عندَ العَقَبَةِ استَقْبَله الشيطانُ فردَّه[(٥)] ، فرمَاه بسبعِ حَصَياتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كلِّ حصاةٍ ، فطار فوقَع على الجمرةِ الثانية أيضًا ، فصدَّه فرماه وكبَّر ، فطار فوقَع على الجمرةِ الثالثةِ ، فرماه وكبَّر ، فلمَّا رأى أنه

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٩.

(٣) الأخشب من الجبال الغليظ ، والأخشبان : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال : أحدهما أبو قبيس ، والآخر الجبل الأحمر المشرف هنالك . معجم البلدان ١/ ١٥٩، ١٦٣.

(٤) فى م : « من » .

(٥) سقط من : م .

لا يُطِيقُه ، ولم يَدْرِ إبراهيمُ أين يذهبُ ، فانطلق حتى أتى ذا المجازِ ، فلمَّا نظَر إليه فلم يَعْرِفْه جاز ، فسُمِّى ذا المجازِ ، ثم انْطَلق حتى وقَع بعرفاتٍ ، فلمَّا نظَر إليها عرَف النعتَ ، قال : قد عرَفتُ . فسُمِّى عرفاتٍ ، فوقَف إبراهيمُ بعرفاتٍ ، حتى إذا أمسى ازْدَلَف إلى جَمْعٍ ، فسُمِّيتِ المُزْدَلِفةَ ، فوقَف بجمعٍ ، ثم أقبل حتى أتى الشيطانُ حيثُ لقِيه أوَّلَ مرَّةٍ ، فرَماه بسبعِ حَصَياتٍ سبعَ مرَّاتٍ ، ثم أقام بمِنًى حتى فرَغ مِن الحجِّ وأمرِه ، وذلك قولُه : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[(١)] .

وقال آخرون - [٤٩/٤و] ممَّن قرَأ هذه القراءةَ -: المناسكُ : المذابحُ . فكان تأويلُ هذه الآيةِ على قولِ مَن قال ذلك : وأرِنا كيف نَنْسُك لك ياربَّنا نسائكَنا فنَذْبَحُها لك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قال : ذَبْحَنا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا الثوريُّ ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : مذابحَنا[(٢)] .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٣)] .

وحدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٢٨/١ بنحوه .

(٢) تفسير الثورى ١/ ٤٩، وتفسير عبد الرزاق ٥٩/١ ، ولفظ تفسير الثورى : « ذبائحنا » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٥/١ (١٢٥١) من طريق سفيان ، عن ابن أبى نجيح به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لى[(١)] عطاءٌ : سمعتُ عُبيدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ . قال : مذابحَنا .

وقرأ ذلك آخَرون : (وأرْنا مَناسِكَنا) . بتسكينِ الراءِ ، وزعَموا أن معنى ذلك : وعَلِّمْنا ودُلَّنا عليها . لا أن معناها : أرِناها بأبصارِنا . وزعَموا أن ذلك نظيرُ قولِ حُطائِطِ بنِ يَعفُرَ أخى الأسودِ بنِ يَعْفُرَ[(٢)] :

أَرِينِى جَوَادًا ماتَ هَزْلًا لأَنَّنِى[(٣)] أَرَى ما تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا

يعنى بقولِه : أرينى : دُلِّينى عليه وعَرِّفِينى مكانَه . ولم يَعْنِ به رؤيةَ العينِ . وهذه قراءةٌ رُوِيتْ عن بعضِ المُتقدِّمين .

/ ذكرُ مَن قال ذلك ١/٥٥٥

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عطاءٌ : (أَرْنَا مَنَاسِكَنا) : أخرِجْها لنا ، علِّمْناها[(٤)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ المُسَيَّبِ ، قال عليُّ بنُ أبى طالبٍ : لمَّا فرَغ إبراهيمُ مِن بناءِ البيتِ ، قال : قد[(٥)] فعَلتُ أىْ ربِّ ، فأَرْنا مناسِكَنا - أَبْرِزْها لنا ، علِّمْناها - فبعَث اللَّهُ جبريلَ عليه السلامُ فحجَّ به[(٦)] .

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) البيت مختلف فى نسبته : فهو لحطائط بن يعفر فى الحماسة ٣٥٨/٢ ، ومجاز القرآن ٥٥/١ ، والشعر والشعراء ١/ ٢٤٨، ٢٥٦، وسمط اللآلى ٢/ ٧١٤، ولحاتم الطائى فى ديوانه ص ٤٠ ، ولمعن بن أوس فى ديوانه ٤٩ ، ولدريد بن الصمة أو حطائط أو حاتم أو معن فى اللسان (أ ن ن) ، وسيأتى ٤٨٨/٩ منسوبًا لدريد .

(٣) فى ت ١، ت ٢: « أننى » ، وفى الشعر والشعراء وسمط اللآلى : « لعلنى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٤/١ (١٢٤٩) من طريق حجاج به .

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٩) مطولًا .

والقولُ (١) **عندى فى ذلك** أن تأويلَ (أرنا) بكسرِ الراءِ وتسكينِها (١) واحدٌ ؛ فمَن كسَر الراءَ جعَل علامةَ الجزمِ سقوطَ الياءِ التى فى قولِ القائلِ : (٢) أَريتُه ، أُرِيه (٢) . وأقرَّ الراءَ مكسورًا كما كانت قبلَ الجزمِ . ومَن سكَّن الراءَ مِن (أَرْنا) توهَّم أن إعرابَ الحرفِ فى الراءِ فسكَّنها للجزمِ (٣) ، كما فعَلوا ذلك فى « لم يكن » « ولم يكُ » ، وسواءٌ كان ذلك مِن رؤيةِ العينِ ، أو مِن رؤيةِ القلبِ ، ولا معنى لفرقِ مَن فرَّق بين رؤيةِ العينِ فى ذلك وبين رؤيةِ القلبِ .

وأمَّا « المناسكُ » فإنها جمعُ مَنْسِكٍ ، [٤٩/٤ظ] وهو الموضعُ الذى يُنْسَكُ للَّهِ فيه ، ويُتَقَرَّبُ إليه فيه بما يُرْضِيه مِن عملٍ صالحٍ ؛ إمَّا بذبحِ ذبيحةٍ له ، وإما بصلاةٍ أو طوافٍ أو سعْيٍ ، وغيرِ ذلك مِن الأعمالِ الصالحةِ ، ولذلك قيل لمشاعرِ الحجِّ : مناسكُه ؛ لأنها أماراتٌ وعلاماتٌ يعتادُها الناسُ ، ويَتَرَدَّدون إليها .

وأصلُ « المنسِك » فى كلامِ العربِ : الموضعُ المعتادُ الذى يَعتادُه الرجلُ ويألفُه ، يقال : إن لفلانٍ منسِكًا . وذلك إذا كان له موضعٌ يعتادُه لخيرٍ أو لشرٍّ ، ولذلك سُمِّيت المناسكُ مناسكَ ؛ لأنها تُعْتَادُ ويُتَرَدَّدُ إليها بالحجِّ والعمرةِ ، وبالأعمالِ (٤) التى يُتَقَرَّبُ بها إلى اللَّهِ .

وقد قيل : إن معنى النسكِ : عبادةُ اللَّهِ ، وإن الناسكَ إنما سُمِّى ناسكًا بعبادتِه ربَّه . فتأوَّل قائلُو هذه المقالةِ قولَه : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ : وعلِّمْنا عبادتَك كيف نعبُدُك ، وأين نعبدُك ، وما يُرْضِيك عنَّا فنفعلُه . وهذا القولُ وإن كان مذهبًا يحتمِلُه الكلامُ ، فإن الغالبَ على معنى المناسكِ ما وصَفْنا قبلُ مِن أنها مناسكُ الحجِّ التى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « أرنيه » .

(٣) فى م : « فى الجزم » .

(٤) فى الأصل : « للأعمال » .

ذكَرْنا معناها ، وخرَج هذا الكلامُ مِن قولِ إبراهيمَ وإسماعيلَ على وجهِ المسألةِ منهما ربَّهما لأنفسِهما ، وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسِهما وذُرِّيَّتِهما المسلمين ، فلمَّا ضمَّا ذُرِّيَّتَهما المسلمين إلى أنفسِهما صارا كالمُخبِرَيْن عن أنفسِهما بذلك . وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ؛ لتقدم الدعاءِ منهما للمسلمين مِن ذُرِّيَّتِهما قبلُ فى أوَّلِ الآيةِ ، وتأخرِه بعدُ فى الآيةِ الأُخرى .

فأمَّا الذى فى أوَّلِ الآيةِ فقولُهما : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ . ثم جمَعَا أنفسَهما والأمَّةَ المسلمةَ مِن ذُرِّيَّتِهما فى مسألتِهما ربَّهما أن يُرِيَهم مناسكَهم فقالا : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ .

وأمَّا الذى[1] فى الآيةِ التى بعدَها : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ . فجعَلا المسألةَ لذُرِّيَّتِهما خاصَّةً .

وقد ذُكِر أنها فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (وأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ)[2] . يعنى بذلك : وأَرِ ذُرِّيَّتَنا المسلمةَ مناسكَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

أمَّا التوبةُ فأصلُها الأَوْبَةُ مِن مكروهٍ إلى محبوبٍ ، فتوبةُ العبدِ إلى ربِّه أوبتُه ممَّا يكرَهُه اللَّهُ منه بالندمِ عليه والإقلاعِ عنه ، والعزمِ على تركِ العودِ فيه . وتوبةُ الربِّ على عبدِه عَوْدُه عليه بالعفوِ له عن جُرْمِه والصفحِ له عن عقوبةِ ذنبِه ، مغفرةً منه له ، وتَفَضُّلًا عليه .

(١) فى م : « التى » .

(٢) ينظر البحر المحيط ١/ ٣٩٠.

١/٥٥٦ / فإن قال لنا قائلٌ : وهل كانت لهما ذنوبٌ فاحتاجا إلى مسألةِ ربِّهما التوبةَ ؟

قيل : إنه لا أحدَ مِن خلقِ اللَّهِ إلَّا وله مِن العملِ فيما بينه وبين ربِّه ما يَجِبُ عليه الإنابةُ منه والتوبةُ ، فجائزٌ أن يكونَ ما كان مِن قيلِهما[1] ما قالا مِن ذلك[2] ، [٤/٥٠و] إنما خصَّا به الحالَ التى كانا عليها مِن رفْعِ قواعدِ البيتِ ؛ لأن ذلك كان أحْرَى الأماكنِ أن يستجيبَ اللَّهُ فيها دعاءَهما ، وليَجْعَلا ما فعَلا مِن ذلك سُنَّةً يُقْتَدَى بها بعدَهما ، وتَتَّخِذَ الناسُ تلك البقعةَ بعدَهما موضعَ تَنَصُّلٍ مِن الذُّنوبِ إلى اللَّهِ . وجائزٌ أن يكونا عَنَيا بقولِهما : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ : وتُبْ على الظَّلَمةِ مِن أولادِنا وذُرِّيَّتِنا ، الذين أعلَمْتَنا أمرَهم مِن ظلمِهم وشِركِهم ، حتى يُنيبوا إلى طاعتِك . فيكونُ ظاهرُ الكلامِ على الدعاءِ لأنفسِهما ، والمعنىُّ به ذُرِّيَّتُهما ، كما يقالُ : أكرَمنى فلانٌ فى ولدى وأهلى ، وبرَّنى فلانٌ ، إذا برَّ ولدَه .

وأمَّا قولُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه يعنى به : إنك أنت العائدُ على عبادِك بالفضلِ ،والمُتفضِّلُ عليهم بالعفوِ والغفرانِ ، الرحيمُ بهم ، المستنقذُ مَن تشاءُ منهم برحمتِك مِن هَلكتِه ، المُنجِى مَن تُرِيدُ نجاتَه منهم برأفتِك مِن سَخَطِك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ .

وهذه دعوةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ صلواتُ اللَّهِ عليهما لنبيِّنا محمدٍ ﷺ خاصَّةً ، وهى الدعوةُ التى كان نبيُّنا ﷺ يقولُ : « أنا دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى » .

حدَّثنا بذلك ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن ثورِ بنِ

(١) فى م : « قبلهما » .

(٢) بعده فى م : « و » .

يزيدَ ، عن خالدِ بنِ معدانَ الكَلاعيِّ ، أن نفرًا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قالوا له : يارسولَ اللَّهِ ، أخبِرْنا عن نفسِك . قال : « نعم ، أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى عليه السلامُ »[(١)] .

حدَّثني عمرانُ بنُ بَكَّارٍ الكَلاعيُّ ، قال : ثنا أبو اليمانِ ، قال : ثنا [(٢)]أبو بكرِ بنُ[(٢)] أبي مريمَ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن العِرْبَاضِ بنِ سارِيَةَ السُّلَمِيِّ ، قال : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إني عندَ[(٣)] اللَّهِ في أُمِّ الكتابِ لخاتمُ النبيِّين ، وإن آدمَ لمُنْجَدِلٌ[(٤)] في طِينتِه ، وسوف أُنَبِّئُكم بتأويلِ ذلك[(٥)] ؛ دعوةُ أبي إبراهيمَ ، وبشارةُ عيسى قومَه ، ورُؤْيا أُمِّي »[(٦)] .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَني معاويةُ بنُ صالحٍ ، **وحدَّثني** عُبَيْدُ بنُ آدمَ بنِ أبي إياسٍ العَسْقَلانيُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، قالا جميعًا : عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن

---

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢/١٦٥ ، مطولا . وأخرجه ابن إسحاق في السيرة ص ٢٨- ومن طريقه الحاكم ٢/ ٦٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/ ٨٣، مطولا . وصححه الحاكم .

(٢ - ٢) في م : « أبو كريب عن » . وينظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٠٩.

(٣) في ت ١، ت ٣: « عبد » .

(٤) المنجدل : الملقى على الجَدَالة ، وهي الأرض . النهاية ١/ ٢٤٨.

(٥) بعده في م : « أنا » .

(٦) أخرجه أحمد ٢٨/٣٩٥ (١٧١٦٣) ، والحاكم ٢/ ٦٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/٨٣ من طريق أبي اليمان به . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٠٩) ، والبزار (٢٣٦٥ - كشف) ، والطبراني في الكبير ١٨/ ٢٥٣ (٦٣١) ، وابن بشران في الأمالي (٤٠) من طريق أبي بكر به . وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي بضعف أبي بكر . وقد خولف فيه .

وقال البيهقي : قصر أبو بكر بن أبي مريم بإسناده فلم يذكر فيه عبد الأعلى بن هلال ، وقصر بمتنه فجعل الرؤيا بخروج النور منها وحده ، وكذلك قال خالد بن معدان عن أصحاب النبي ﷺ .

عبدِ اللَّهِ[١] بنِ هلالٍ السُّلَمِيِّ ، عن عِرْبَاضِ بنِ ساريةَ السُّلَمِيِّ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه[٢] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن عبدِ الأعلى بنِ هلالٍ السُّلَميِّ ، عن عِرْبَاضِ بنِ سارِيَةَ أنه قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ . فذكَر نحوَه[٣] .

١/٥٥٧ / [٥٠/٤ظ] وبمثلِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةُ[٤] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : ففعَل اللَّهُ ذلك ، فبعَث فيهم رسولًا مِن أنفسِهم يعرِفون وجهَه ونَسَبَه ، يُخرِجُهم مِن الظلماتِ إلى النورِ ، ويَهْدِيهم إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ[٥] .

---

(١) قوله : « عبد اللَّه » . هكذا قال ابن مهدى عند أحمد . والصواب : عبد الأعلى . كما قال عبد اللَّه بن أحمد ٣٨٦/٢٨ (١٧١٥٤) . وكذلك هو فى المصادر .

(٢) أخرجه المصنف فى تفسير الآية ٦ من سورة الصف ، عن يونس به . وفيه : عبد الأعلى بن هلال . على الصواب . وفيه زيادة بعد قوله : « ورؤيا أمى » .

وأخرجه ابن حبان (٦٤٠٤) ، وأبو نعيم فى الدلائل (٩) ، والبغوى فى تفسيره ١/ ١٥١، من طريق ابن وهب به . وأخرجه ابن سعد ١/ ١٤٨، ١٤٩، وأحمد ٣٨٢/٢٨ (١٧١٥١) ، والطبرانى فى الكبير ١٨/ ٢٥٢ (٦٣٠) من طريق الليث به ، بالزيادة . وأخرجه أحمد ٣٧٩/٢٨ (١٧١٥٠) - ومن طريقه أبو نعيم فى الدلائل (١٠) - من طريق معاوية به .

(٣) أخرجه الفسوى فى تاريخه ٢/ ٣٤٥، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٦/١ (١٢٥٤) ، والطبرانى فى الكبير ٢٥٢/١٨ (٦٢٩) ، والآجرى فى الشريعة (٩٤٨) ، والبيهقى فى الدلائل ١/ ٨٠، ١٣٠/٢ من طريق أبى صالح به . وينظر تعجيل المنفعة ١/ ٥٨٣، ٥٨٤، ولسان الميزان ٣/ ٣٣، ومسند الطيالسى (١٢٣٦) ، والصحيحة (١٩٢٥) ، والضعيفة (٢٠٨٥) .

(٤) بعده فى م : « من » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ٢٣٦/١ (١٢٥٧) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : وهو محمدٌ ﷺ [١] .

وحُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : هو محمدٌ ﷺ ، فقيل له : قد [٢]استجبتُ لك[٢] ، وهو في آخرِ الزمانِ [٣] .

ويعْني تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ : يقْرأُ عليهم كتابَك الذي تُوحِيه إليه .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ .

ويعْني بالكتابِ القرآنَ . وقد بيَّنتُ فيما مضَى لَم سُمِّي القرآنُ كتابًا ، وما تأويلُه [٤] . وهو قولُ جماعةِ [٥] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ ﴾ : [٦]قال : الكتابُ[٦] القرآنُ .

ثم اختَلف أهلُ التأويلِ في معنى « الحكمةِ » التي ذكَرها اللَّهُ في هذا الموضعِ ؛

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٣٦ (١٢٥٦) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٢ - ٢) في م : « استجيب ذلك » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٣٩ إلى المصنف وابن أبي حاتم عن أبي العالية ، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٣٦ (١٢٥٥) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٤) ينظر ما تقدم في ١/٢٢٨ - ٢٣١.

(٥) بعد في م : « من » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

فقال بعضُهم : هى السُّنَّةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . أى : السُّنَّةَ[(١)] .

وقال بعضُهم : الحكمةُ هى المعرفةُ بالدِّينِ والفقهُ فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قلتُ لمالكٍ : ما الحكمةُ ؟ قال : المعرفةُ بالدِّينِ ، والفقهُ فيه ، والاتِّباعُ له[(٢)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال : الحكمةُ : الدِّينُ [(٣)] التى لا يعرفونها [(٣)] إلَّا به ﷺ ، يُعَلِّمُهم إيَّاها . قال : والحكمةُ : العقلُ فى الدِّينِ . وقرأ : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] . وقال لعيسى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] . قال : وقرأ ابنُ زيدٍ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٥] . قال : لم يَنْتَفِعْ بالآياتِ حين[(٤)] لم

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٧ عقب الأثر (١٢٦٢) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٣٩ إلى المصنف وعبد بن حميد ، مطولا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣٢ (٢٨٢٩) ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٧٠) من طريق ابن وهب به نحوه مطولا .

(٣ - ٣) فى م : « الذى لايعرفونه » .

(٤) فى م : « حيث » .

تَكُنْ معَها حكمةٌ . قال : والحكمةُ شيءٌ يَجْعَلُه اللَّهُ فى القلبِ يُنَوِّرُه[١] له به[٢] .

والصوابُ مِن القولِ عندَنا فى « الحكمةِ » أنها العِلْمُ بأحكامِ اللَّهِ التى لا يُدْرَكُ عِلْمُها إلَّا ببيانِ الرسولِ ﷺ والمعرفةِ بها ، وما دَلَّ عليه ذلك مِن نظائرِه ، وهو عندى مأخوذٌ [٥١/٤و] مِن « الحُكْمِ » الذى بمعنى الفصلِ / بينَ الحقِّ والباطلِ ، بمنزلةِ « الجِلْسةِ ٥٥٨/١ والقِعْدَةِ » مِن الجلوسِ والقعودِ ، يقال منه : إن فلانًا لحكيمٌ بيِّنُ الحِكمةِ . يعْنى بذلك أنه لبيِّنُ الإصابةِ فى القولِ والفعلِ .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : ربَّنا وابعَثْ فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتِك ، ويُعَلِّمُهم كتابَك الذى تُنزِّلُه عليهم ، وفصلَ قضائِك ، وأحكامَك التى تُعلِّمُه إيَّاها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ .

قد دلَّلْنا فيما مضَى قبلُ على أن معنى التزكيةِ التطهيرُ ، وأن معنى الزكاةِ النماءُ والزيادةُ[٣] . فمعنى قولِه : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ فى هذا الموضعِ : ويُطَهِّرُهم مِن الشركِ باللَّهِ ، وعبادةِ الأوثانِ ويُنَمِّيهم ويُكَثِّرُهم بطاعةِ اللَّهِ .

كما **حدَّثنى** المُثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ . قال : يعنى بالزكاةِ طاعةَ اللَّهِ والإخلاصَ[٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ينور » .

(٢) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٥٣٤/٢ (٢٨٣٨) ، وما سيأتى فى تفسير ، الآية (٢٦٩) من هذه السورة .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦١١/١ ، ٦١٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٧/١ (١٢٦٥) من طريق عبد اللّه بن صالح به .

قولَه : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ قال : يُطَهِّرُهم مِن الشركِ ويُخَلِّصُهم منه[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بذلك : إنك ياربِّ أنت العزيزُ . يعنى : القوىُّ الذى لا يُعْجِزُه شىءٌ أرادَه ، فافعلْ بنا وبذُرِّيَّتِنا ما سألْناه وطلَبْناه منك . والحكيمُ الذى لا يَدْخُلُ تدبيرَه خَلَلٌ ولا زَلَلٌ ، فأعْطِنا ما يَنْفَعُنا وينفعُ ذُرِّيَّتَنا ، ولا يَنْقُصُك ولا يَنْقُصُ خزائنَك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

يعْنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : وأىُّ الناسِ يَزْهَدُ فى ملَّةِ إبراهيمَ ويترُكُها رغبةً عنها إلى غيرِها . وإنما عنَى اللَّهُ بذلك اليهودَ والنصارَى لاختيارِهم ما اختارُوا مِن اليهوديَّةِ والنَّصْرانيةِ على الإسلامِ ؛ لأن ملَّةَ إبراهيمَ هى الحنيفيَّةُ المُسْلِمةُ ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] فقال تعالى ذكرُه لهم : ومَن يَزْهَدُ فى ملَّةِ إبراهيمَ الحنيفيَّةِ المسلمةِ إلَّا مَن سفِه نفسَه .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ : رغِب عن ملَّتِه اليهودُ والنصارَى ، واتَّخذوا اليهوديةَ والنصرانيةَ بدعةً ليستْ مِن اللَّهِ ، وترَكوا ملةَ إبراهيمَ ، يعنى الإسلامَ حنيفًا ، [٤/١٥١ظ] كذلك بعَث اللَّهُ نبيَّه محمدًا ﷺ بملةِ إبراهيمَ[٢] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٨/١ عقب الأثر (١٢٧٠) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى عبد بن حميد .

حُدِّثتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن / مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ قال : رغِبت اليهودُ ١/٥٥٩
والنصارَى عن ملةِ إبراهيمَ وابْتَدَعوا اليهوديةَ والنصرانيةَ وليستْ مِن اللَّهِ ،وترَكوا ملة إبراهيمَ الإسلامَ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ .

يعْنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ : إلَّا مَن سفِهت نفسُه . وقد بَيَّنَّا فيما مضَى أن معنى السفَهِ الجهلُ[2] . فمعنى الكلامِ : وما يَرْغَبُ عن ملةِ إبراهيمَ الحنيفيَّةِ إلَّا سفيهٌ جاهلٌ بموضعِ حظِّ نفسِه فيما يَنْفَعُها ويَضُرُّها فى مَعَادِها .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ قال : إلَّا مَن أخطأ حظَّه[3] .

وإنما نصَب « النفسَ » على معنى المفسِّرِ ؛ وذلك أن « السفَهَ » فى الأصلِ للنفسِ ، فلمَّا نُقِل إلى « مَن » نُصِبت « النفسُ » بمعنى التفسيرِ[4] ، كما يقالُ : هو أوسعُكم دارًا . فتدخلُ الدارُ فى الكلامِ على أن السّعةَ فيها لا فى الرجلِ ، فكذلك النفسُ ، أُدْخِلت لأن السفهَ للنفسِ لا لـ « مَن » ، ولذلك لم يَجُزْ أن يقالَ : نفسَه[5] سَفِه أخوك . وإنما جاز أن يُفَسَّرَ بالنفْسِ وهى مضافةٌ إلى معْرفةٍ ؛ لأنها فى تأويلِ نكرةٍ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٨ (١٢٧٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية من قوله .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٣٠٢.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٣٩ إلى المصنف .

(٤) يريد بالتفسير هنا التمييز . مصطلحات النحو الكوفى ص ٢٩ .

(٥) سقط من : م .

وقد قال بعضُ نحويِّي البصرةِ : إن قولَه : ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ جرَت مَجْرَى « سفه » إذا كان الفعلُ غيرَ مُتعَدٍّ ، وإنما عدَّاه إلى « نفسِه » و « رأيِه » وأشباهِ ذلك مما هو فى المعنى نحوُ « سَفِه » ، إذا هو لم يَتعَدَّ ، فأمَّا « غبِن » و « خسِر » فقد يَتعَدَّى إلى غيرِه ، يقال : غبِن خمسين وخسِر خمسين .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ : ولقد اصطفَيْنا إبراهيمَ . والهاءُ التى فى قولِه : ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ مِن ذكْرِ إبراهيمَ .

والاصطفاءُ الافتعالُ ، مِن الصفوةِ ، وكذلك « اصطفَيْنا » : افتعلْنا ، منه ، صُيِّرت تاؤها طاءً لقربِ مخرجِها مِن مخرجِ الصادِ .

ويعْنى بقولِه : ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ : اخترْناه ، واجْتبيْناه للخُلَّةِ ، ولنُصَيِّرَه فى الدنيا لمَنْ بعدَه إمامًا . وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن أن مَن خالف إبراهيمَ فيما سنَّ لِمَن بعدَه فهو للَّهِ مخالفٌ ، وإعلامٌ منه خلقَه أن مَن خالف ما جاء به محمدٌ ﷺ ، فهو لإبراهيمَ مخالفٌ ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبرَ أنه [٥٢/٤و] اصطفاه لخُلَّتِه ، وجعَله للناسِ إمامًا ، وأخبرَ أن دينَه كان الحنيفيَّةَ المسلمةَ ، ففى ذلك أوضحُ البيانِ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن أن مَن خالفه فهو للَّهِ عدوٌّ ، لمخالفتِه الإمامَ الذى نصَبه لعبادِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ : وإن إبراهيمَ فى الدارِ الآخرةِ لمن الصالحين ، والصالحُ مِن بنى آدمَ هو المُؤَدِّى حقوقَ اللَّهِ عليه . فأخبرَ تعالى ذكرُه عن إبراهيمَ خليلِه أنه فى الدنيا له صَفِىٌّ ، وفى الآخرةِ ولىٌّ ، وأنه واردٌ مواردَ أوليائِه المُوفين بعهدِه .

١/٥٦٠ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ**

ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ﴾ : إذ قال لإبراهيمَ[1] ربُّه : أَخْلِصْ لِىَ العبادةَ ، واخْضَعْ لى بالطاعةِ .

وقد دلَّلنا فيما مضَى على معنى « الإسلامِ » فى كلامِ العربِ ، فأغْنى ذلك عن إعادتِه[2] .

وأمَّا معنى قولِه : ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكرُه : قال إبراهيمُ مُجيبًا لربِّه : خضَعتُ بالطاعةِ ، وأخلَصتُ العبادةَ لمالكِ جميعِ الخلائقِ ومُدَبِّرِها دونَ غيرِه .

فإن قال قائلٌ : قد علِمتَ أنَّ « إذ » وقتٌ ، فما الذى وُقِّتَ به ، وما الذى جلبَه[3] ؟ . قيل : هو صلةٌ لقولِه : ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ . وتأويلُ الكلامِ[(٤] : ولقد اصْطَفَيناه فى الدنيا حين قال ربُّه : أسلمْ . قال : أسْلَمْتُ لربِّ العالمين . وإنَّما معْنى الكلامِ[٤)] : ولقد اصْطَفَيناه فى الدنيا حين قلنا له : أَسْلِمْ . قال : أسلمتُ لربِّ العالمين . فأظْهَر اسمَ اللَّهِ تعالى ذكرُه فِى قولِه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ﴾ على وجهِ الخبرِ عن غائبٍ ، وقد جرَى ذكرُه قبلُ على وجهِ الخبرِ عن نفسِه ، كما قال خُفَافُ ابنُ نُدْبَةَ[5] :

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنَّنِى أنا ذَالِكا

فإن قال لنا قائلٌ : وهل دعا اللَّهُ جل ثناؤه إبراهيمَ إلى الإسلامِ . قيل له[6] :

---

(١) فى م : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « صلته » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٣٠ .

(٦) زيادة من : م .

نعم ، قد دعاه إليه .

فإن قال : وفى أىِّ حالٍ دعاه إليه ؟ قيل : حينَ قال : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام : ٧٨، ٧٩] . وذلك هو الوقتُ الذى قال له ربُّه : أسلِمْ . مِن بعدِ ما امتحَنه بالكوكبِ[(١)] والقمرِ والشمسِ .

[٥٢/٤ظ] **القول فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه :** ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ ﴾ : ووصَّى بهذه الكلمةِ ، أعنى بالكلمةِ قولَه : ﴿ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)]وهى[(٢)] الإسلامُ الذى أمَر به نبيَّه ﷺ ، وهى إخلاصُ العبادةِ والتوحيدِ للَّهِ ، وخضوعُ القلبِ والجوارحِ له .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ : عهِد إليهم بذلك وأمرَهم به .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَيَعۡقُوبُ ﴾ فإنه يعنى : ووصَّى بذلك أيضًا يعقوبُ بَنِيه .

كما **حدثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ ﴾ يقولُ : ووصَّى بها يعقوبُ بَنِيه بعد إبراهيمَ[(٣)] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ : وصَّاهم بالإسلامِ ، ووصَّى يعقوبُ بمثلِ ذلك[(٤)] .

---

(١) فى م : « بالكواكب » .

(٢ - ٢) فى م : « وهو » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ عقب الأثر (١٢٧٦) معلقًا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ (١٢٧٥، ١٢٧٦) عن محمد بن سعد به .

٥٦١/١ / **وقال بعضُهم**: قولُه ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ خبرٌ مُنْقَضٍ. وقولُه: ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ خبرٌ مُبْتَدَأٌ، كأنه[1] قال: ووَصَّى بها إبراهيمُ بَنيه بأنْ يقولوا: أسلَمْنا لربِّ العالمين. ووصَّى يعقوبُ بَنيه أنْ: يا بنيَّ إن اللهَ اصْطَفَى لكم الدينَ فلا تموتُنَّ إلَّا وأنتم مسلمون.

ولا معنى لقولِ مَن قال ذلك؛ لأنَّ الذى أوْصَى به يعقوبُ بَنيه نظيرُ الذى أوصَى به إبراهيمُ بَنيه مِن الحَثِّ على طاعةِ اللَّهِ والخضوعِ له والإسلامِ.

فإن قال قائلٌ: فإنْ كان الأمرُ [2]على ما[2] وصفتَ مِن أنَّ معناه: ووصَّى بها إبراهيمُ بَنِيه ويعقوبُ أن يا بنيَّ. فما بالُ «أنْ» محذوفةً مِن الكلامِ؟

قيل: لأن الوصيةَ قولٌ، فحُمِلت على معناها، وذلك أن ذلك لو جاء بلفظِ القولِ[3] لم تَحْسُنْ معه «أن»، وإنما كان يقالُ: وقال إبراهيمُ لبَنِيه ويعقوبُ: يابَنيَّ. فلمَّا كانت الوصيةُ قولًا حُملتْ على معناها دونَ لفظِها، فحُذفتْ «أن» التى تَحْسُنُ معَها، كما قال تعالى ذكرُه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. وكما قال الشاعرُ[4]:

إنِّى سَأُبْدى لَكَ فيما أُبْدِى
لِى شَجَنانِ شَجَنٌ[5] بنَجْدِ
وشَجَنٌ لى بِبِلادِ السِّنْدِ

---

(١) فى م: «فإنه».
(٢ - ٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «كما».
(٣) فى الأصل: «القرآن».
(٤) معانى القرآن ١/ ٨٠، ١٨٠، واللسان (ش ج ن) بغير نسبة.
(٥) الشجَن: الحاجة أينما كانت. اللسان (ش ج ن).

فحُذِفت « أنْ » إذ كان الإبداءُ باللسانِ في المعنى قولًا ، فحمَله على معناه دونَ لفظِه .

وقد قال بعضُ أهلِ العربيةِ : إنما حُذفتْ « أن » من قولِه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ اكتفاءً بالنِّداءِ . يعنى بالنداءِ قولَه : ﴿ يَٰبَنِيَّ ﴾ وزعَم أن علَّته فى ذلك أن مِن شأنِ العربِ الاكتفاءَ بالأدواتِ من[1] « أنْ » ، كقولِهم : ناديتُ هل [٤/٥٣و] قمتَ ؟ وناديتُ أين زيدٌ ؟ . قال : وربَّما أدْخَلوها مع الأدواتِ فقالوا : ناديتُ أن هل قمتَ ؟ .

وقد قرَأ جماعةٌ مِن القَرَأَةِ : (وأوصَى بها إبراهيمُ)[2] . بمعنى : عهِد .

وأمّا مَن قرَأ : ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ مشدَّدةً ، فإنه يعنى بذلك أنه عهِد إليهم عهدًا بعد عهدٍ ، وأوصَى وصيةً بعد وصيةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ : إن اللَّهَ اختار لكم هذا الدِّينَ الذى [3]عَهِدنا فيه إليكم[3] ، واجتباه لكم . وإنما أدخَل الألفَ واللامَ فى ﴿ٱلدِّينَ ﴾ ؛ لأن الذين خُوطبوا مِن ولدِهما وبَنِيهما بذلك كانوا قد عرَفوه بتوصيتِهما إيَّاهم به ، وعهدِهما إليهم فيه ، ثم قالا لهم بعد أن عرّفاهموه : إنَّ اللَّهَ اصطفَى لكم هذا الدينَ الذى قد عهِدنا إليكم فيه ، فاتَّقوا[4] أن تموتوا إلَّا وأنتم عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : أوَ إلى بنى آدمَ الموتُ والحياةُ فيُنْهَى أحدُهم أن يموتَ إلَّا على حالةٍ دونَ حالةٍ ؟

---

(١) فى م ، ت ١: « عن » .

(٢) وهى قراءة نافع وابن عامر ، والباقون بدون همز وتشديد الصاد . السبعة لابن مجاهد ص ١٧١.

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عهد إليكم فيه » .

(٤) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « اللَّه » .

قيل له : إن معنى ذلك على غيرِ الوجهِ الذى ظننتَ ، وإنما معناه : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أى : فلا تُفارِقُنَّ هذا الدِّينَ - وهو الإسلامُ - أيامَ حياتِكم ، وذلك أن أحدًا لا يَدْرِى متى تأتِيه مَنِيَّتُه ، فلذلك قالا لهم : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ لأنكم لاتدرون متى تأتيكم مَنايَاكم مِن ليلٍ أو نهارٍ ، فلا تُفارِقوا الإسلامَ فتأتِيَكم منايا كُم وأنتم على غيرِ الدِّينِ الذى اصطفاه لكم ربُّكم فتموتوا وربُّكم عليكم ساخطٌ ، فتَهْلِكوا .

١/٥٦٢ / **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه :** ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ : أكنتُم شهداءَ(١) . ولكنَّه اسْتَفْهم بـ « أمْ » إذ كان استفهامًا مستأنَفًا على كلامٍ قد سبَقه ، كما قيل : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ [٤/٥٣ظ] ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [السجدة : ١-٣] . وكذلك تفعلُ العربُ فى كلِّ استفهامٍ ابتدأْته بعدَ كلامٍ قد سبَقه ، تَستفهِمُ فيه بـ « أمْ » .

والشهداءُ جمعُ شهيدٍ ، كما الشُّركاءُ جمعُ شَرِيكٍ ، والخُصَماءُ جمعُ خَصيمٍ .

وتأويلُ الكلامِ : أكنتُم يا معشرَ اليهودِ والنصارى المكذِّبين بمحمدٍ ﷺ ، الجاحدِين نبوَّتَه - حُضورَ يعقوبَ وشُهودَه إذ حضَره الموتُ . أى : إنَّكم لم تَحْضُروا ذلك ، فلا تَدَّعوا على أنبيائى ورُسُلى الأباطيلَ ، وتَنْحُلوهم اليهوديَّةَ والنَّصرانيةَ ، فإنِّى ابْتَعَثْتُ خليلى إبراهيمَ وولدَه إسحاقَ وإسماعيلَ وذُرِّيَّتَهم بالحنيفيَّةِ المسلمةِ ، وبذلك وصَّوْا بَنِيهم ، وبه عهِدوا إلى أولادِهم مِن بعدِهم ، فلو حضَرْتُموهم فسمِعتُم منهم علِمْتُم أنَّهم على غيرِ ما تَنْحَلونهم مِن الأديانِ والمِلَلِ(٢) .

---

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « من بعدهم » .

وهذه الآياتُ نزَلت تكذيبًا مِن اللَّهِ تعالى لليهودِ والنصارى فى دعواهم إبراهيمَ وولدَه و[(١)] يعقوبَ أنَّهم كانوا على ملَّتِهم ، فقال لهم فى هذه الآيةِ : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ فتعْلَموا ما قال لولدِه ، وقال له ولدُه ؟ ثم أعلَمَهم ما قال لهم وقالوا له .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ : يعنى أهلَ الكتابِ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ : إذ قال يعقوبُ لبَنِيه . و ﴿إِذْ﴾ هذه مُكَرَّرةٌ إبدالًا مِن ﴿إِذْ﴾ الأُولى ، بمعنى : أم كنتُم شهداءَ يعقوبَ إذ قال يعقوبُ لبَنِيه حينَ حضورِ موتِه ؟ .

ويعنى بقولِه : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ : أىَّ شىءٍ تَعْبُدون مِن بعدِى ؟ أى : مِن بعدِ وفاتى ؟ ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ يعنى به : قال بَنُوه له : نَعْبُدُ معبودَك الذى تعبُدُه ، ومعبودَ آبائِك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أى : نُخْلِصُ له العبادةَ ، ونُوَحِّدُ له الرُّبُوبيَّةَ ، فلا نشرِكُ به شيئًا ولا نتَّخذُ دونَه ربًّا .

ويعنى بقولِه : ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: ونحن له خاضِعون بالعبودةِ والطاعةِ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٣٩ (١٢٧٨) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية من قوله .

ويَحْتَمِلُ قولُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أن تكونَ بمعنى الحالِ ، كأنهم قالوا : نعبُدُ إلهَكَ مُسلمينَ له بطاعتِنا وعبادتِنا إيَّاه . ويَحتمِلُ أن يكونَ خبرًا مُستأنفًا ، فيكونَ بمعنى : نعبدُ إلهَك بعدَك ، ونحن له الآن وفى كلِّ حالٍ مسلمون .

٥٦٣/١ / **قال أبو جعفرٍ** : وأحسنُ هذين الوجهينِ فى تأويلِ ذلك أن يكونَ بمعنى الحالِ ، وأن يكونَ بمعنى : نعبُدُ إلهَك وإلهَ آبائِك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ مسلمينَ لعبادتِه .

وقيل : إنما قُدِّم ذكرُ إسماعيلَ على إسحاقَ ؛ لأن إسماعيلَ كان أسنَّ مِن إسحاقَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ [٤/٥٤و] عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ قال : يُقالُ : بدَأ بإسماعيلَ لأنه أكبرُ[(١)] .

وقرَأ بعضُ القرأةِ[(٢)] : (وَإِلَه أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ)[(٣)] . ظنًّا منه أن إسماعيلَ إذ كان عمًّا ليعقوبَ ، فلا يجوزُ أن يكونَ فى من تُرْجِم به عنِ الآباءِ وداخلًا فى عِدادِهم . وذلك من قارئِه[(٤)] كذلك قِلَّةُ علمٍ منه بمَجارِى كلامِ العربِ ، والعربُ لا تَمْتَنِعُ مِن أن تَجْعَلَ الأعمامَ بمعنى الآباءِ ، والأخوالَ بمعنى الأُمَّهاتِ ، فلذلك دخَل إسماعيلُ فى مَن تُرْجِم به عن الآباءِ .

و ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ ترجمةٌ عن الآباءِ فى موضعِ جرٍّ ، ولكنَّهم نُصِبوا بأنهم[(٥)] لا يُجْرَوْن .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٣٩ إلى المصنف .

(٢) فى م : « المتقدمين » .

(٣) هى قراءة ابن عباس والحسن وابن يعمر والجحدرى وأبى رجاء . ينظر البحر المحيط ١/ ٤٠٢.

(٤) فى الأصل : « قراءته » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢: « لأنهم » .

والصوابُ مِن القراءةِ عندنا فى ذلك : ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾ لإجماعِ القَرَأةِ على تصويبِ ذلك وشذوذِ مَن خالَفه مِن القَرَأةِ ممَّن قرَأ خلافَ ذلك .

ونُصِب قولُه : ﴿ إِلَٰهًا ﴾ على الحالِ من قولِه : ﴿ إِلَٰهَكَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ وولدَهم . يقولُ لليهودِ والنصارى : يا معشرَ اليهودِ والنصارى ، دَعُوا ذكْرَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والمسلمينَ مِن أولادِهم بغيرِ ما هم أهلُه ، ولا تَنْحَلوهم (١) الكفرَ و (١) اليهوديَّةَ والنصرانيَّةَ فتُضِيفُوها إليهم ، فإنهم أُمَّةٌ - ويعنى بالأمَّةِ فى هذا الموضعِ الجماعةَ والقرنَ مِن الناسِ - ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ : قد (٢) مضَت لسبيلِها .

وإنما يقالُ للذى قد مات فذهَب : قد خلَا . لتخلِّيه مِن الدنيا ، وانفرادِه مما (٣) كان مِن الأُنْسِ بأهلِه وقُرَنائِه فى دنياه ، وأصلُه مِن قولِهم : خلا الرجلُ . إذا صار إلى المكانِ الذى لا أنيسَ له فيه وانفرَد مِن الناسِ ، فاسْتُعمِل ذلك فى الذى يموتُ على ذلك الوجهِ .

ثم قال تعالى ذكْرُه لليهودِ والنصارى : إن لـمَن نَحَلْتُموه ضلالَكم (٤) وكفرَكم الذى أنتم عليه مِن أنبيائى ورسلى ما كسَب (٥) .

(١ - ١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « كفر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بما » .

(٤) فى م ، ت ٣: « بضلالكم » .

(٥) فى م : « كسبت » .

والهاءُ والألفُ فى قولِه : ﴿ لَهَا ﴾ عائدةٌ إن شئتَ على ﴿ تِلْكَ ﴾ ، وإن شئتَ على ﴿ أُمَّةٌ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ أى : ما عمِلت مِن خيرٍ ، ولكم يا معشرَ اليهودِ والنصارى مثلُ ذلك ما عمِلتم ، ولا تُؤاخَذون أنتم أيها (١) الناحِلوهم ما تنحُلونهم (١) من المِلَلِ ، فتُسْألوا عمَّا كان إبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ وولدُهم يعمَلون فيكسِبون مِن خيرٍ [٤/٥٤ظ] وشرٍّ ؛ لأن لكلِّ نفسٍ ما كسَبت ، وعليها ما اكتسَبت ، فدَعُوا انتحالَهم وانتحالَ مِلَلِهم ، فإن الدعاوَى غيرُ مُغْنِيَتِكم عندَ اللَّهِ شيئًا (٢) ، وإنما يُغْنى عنكم عنده ما سلَف لكم مِن صالحِ أعمالِكم إن كنتم عمِلتموها وقدَّمْتُموها أمامَكم (٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ .

٥٦٤/١ / يعنى تعالى ذكره بقولِه : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ : وقالتِ اليهودُ لمحمدٍ ﷺ وأصحابِه من المؤمنين : كونوا يهُودًا تَهْتَدُوا . وقالتِ النصارَى لهم : كونوا نَصارَى تَهْتَدُوا . ويعنى بقولِه : ﴿ تَهْتَدُوا ﴾ . أى : تُصِيبوا طريقَ الحقِّ .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، **وحدثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، جميعًا عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال: حدثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ ابنُ صُورِيا الأعورُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : ما الهُدَى إلا ما نحن عليه ، فاتَّبِعْنا يا محمدُ تَهْتَدْ . وقالتِ النصارَى مثلَ ذلك ، فأَنزل اللَّهُ فيهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٣: « الناحلون مانحلتموهم » ، وفى ت ٢: « الناحلون ما ينحلونهم » .
(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣.

نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(١)] .

فاحتجَّ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ أبلغَ حُجةٍ وأوجزَها وأكملَها ، وعلَّمها محمدًا نبيَّه ﷺ فقال : يا محمدُ ، قل للقائلين لك من اليهودِ والنصارَى ولأصحابِك : كونوا هُودًا أو نَصارَى تَهْتَدُوا -: بل تعالَوْا فلنَتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيمَ التى يُجْمِعُ[(٢)] جميعُنا على الشهادةِ لها بأنها دينُ اللَّهِ الذى ارْتَضاه واجْتَباه وأمَر به ، فإنَّ دينَه كان الحَنِيفيةَ المسلِمةَ ، ونَدَعْ سائرَ المللِ التى نَخْتَلِفُ فيها فيُنكرُها بعضُنا ويُقِرُّ بها بعضُنا ، فإن ذلك على اختلافِه لا سبيلَ لنا إلى[(٣)] الاجتماعِ عليه ، كما لنا السبيلُ إلى الاجتماعِ على ملةِ إبراهيمَ .

وفى نَصْبِ قولِه : ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ أوجُهٌ ثلاثةٌ :

أحدُها : أن يُوَجَّهَ معنى قولِه : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ إلى معنى : وقالوا : اتَّبِعُوا اليهوديةَ والنصرانيةَ . لأنهم إذ قالوا : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ إلى اليهوديةِ والنصرانيةِ دَعَوْهم ، ثم يُعطَفُ على ذلك المعنى بالملةِ ، فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : قلْ يا محمدُ : لا نتَّبعُ اليهوديةَ والنصرانيةَ ، ولا نتَّخِذُها ملةً ، بل نتَّبعُ ملةَ إبراهيمَ حنيفًا . ثم يُحذَفُ « نَتَّبِعُ » الثانيةُ ، ويُعطَفُ بالملةِ على إعرابِ « اليهوديةِ » و « النصرانيةِ » .

والآخرُ : أن يكونَ نَصْبُه بفعلٍ مُضْمَرٍ بمعنى « نَتَّبِعُ » .

والثالثُ : أن يكونَ أُريدَ : بل نكونُ أصحابَ ملةِ إبراهيمَ ، أو أهلَ ملةِ إبراهيمَ . ثم حذَف الأهلَ والأصحابَ ، وأُقِيمتِ الملةُ [٥٥/٤و] مُقامَهم ، إذ كانت مُؤَديةً عن

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩٠) من طريق يونس به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٠/١ إلى ابن المنذر . وينظر تفسير البغوى ١/ ١٥٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٧١.
(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « تجمع » .
(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « على » .

معنى الكلامِ ، كما قال الشاعرُ[١] :

حَسِبْتَ بُغامَ راحلتى عَناقًا   وما هى وَيْبَ غيرِكَ بالعَناقِ

يعنى صوتَ عَناقٍ . فتكونُ الملةُ حينئذٍ منصوبةً عطفًا فى الإعرابِ على اليهودِ والنصارَى . وقد يجوزُ أن يكونَ منصوبًا على وجهِ الإغراءِ باتباعِ ملةِ إبراهيمَ .

وقرَأ بعضُ القَرَأةِ ذلك رفعًا[٢] ، فتأويلُه على قراءةِ من قرَأه رفعًا : بل الهُدى ملةُ إبراهيمَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

والمِلَّةُ الدينُ ، وأما الحَنيفُ فإنه المستقيمُ من كلِّ شىءٍ . وقد قيل : إن الرجلَ الذى تُقْبِلُ إحدى قدمَيْه على الأخرى إنما قيل له : أَحْنَفُ . نظرًا له إلى السلامةِ ، كما قيل للمَهْلَكةِ من البلادِ : المَفازَةُ . بمعنى الفوزِ بالنجاةِ فيها[٣] والسلامةِ ، وكما قيل لِلَّديغِ : السَّلِيمُ . تفاؤُلًا له بالسلامةِ من الهلاكِ ، وما أَشبهَ ذلك .

٥٦٥/١ / فمعنى الكلام إذن : قلْ يا محمدُ : بل نَتَّبِعُ ملةَ إبراهيمَ مستقيمًا . فيكونُ « الحنيفُ » حينئذٍ حالًا من « إبراهيمَ » .

وأما أهلُ التأويلِ ، **فإنهم اختلَفوا فى تأويلِ ذلك** ، **فقال بعضُهم** : الحَنيفُ الحاجُّ . وقال[٤] : إنما سُمِّى دينُ إبراهيمَ الإسلامَ الحَنِيفيةَ ؛ لأنه أوّلُ إمامٍ لَزِم العِبادَ الذين كانوا فى عصْرِه ، والذين جاءُوا بعدَه إلى يومِ القيامةِ - اتباعُه فى مناسكِ الحجِّ ، والائتمامُ به فيه . قالوا : فكلُّ من حجَّ البيتَ فنَسَك مَناسِكَ إبراهيمَ على ملتِه ، فهو حَنيفٌ مسلمٌ على دينِ إبراهيمَ .

---

(١) تقدم فى ص ٢٦٥ .

(٢) هى قراءة ابن هرمز الأعرج وابن أبى عبلة وابن جندب . ينظر مختصر ابن خالويه ص ١٧، والبحر المحيط ١/ ٤٠٦.

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣: « منها » .

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣: « قيل » .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ الفضلِ ، عن كَثيرٍ أبى سهلٍ ، قال : سألتُ الحسنَ عن الحَنِيفيةِ ، قال : حجُّ البيتِ .

وحدثنى محمدُ بنُ عُمارةَ[(١)] الأسدىُّ ، قال : ثنا عبيدُ[(٢)] اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أخبرَنا فُضَيلٌ ، عن عطيةَ فى قولِه : ﴿ حَنِيفًا ﴾ قال : الحَنِيفُ الحاجُّ[(٣)] .

وحدثنى الحسينُ بنُ علىٍّ الصُّدائىُّ ، قال : ثنا أبى ، عن الفُضَيلِ ، عن عطيةَ مثلَه .

وحدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكّامُ بنُ سلمٍ[(٤)] ، عن عَنْبسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ ، قال : الحَنِيفُ الحاجُّ .

وحدثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ التَّيْمِىِّ ، عن كَثيرِ بنِ زيادٍ ، قال : سألتُ الحسنَ عن الحَنيفيةِ ، قال : هو حَجُّ هذا البيتِ . قال ابنُ التَّيمِىِّ : وأخبرَنى جُويبرٌ ، عن الضحاكِ [٤/٥٥ظ] بنِ مُزاحِمٍ مثلَه[(٥)] .

وحدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ مَهْدِىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن السدىِّ ، عن مجاهدٍ ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ [الحج : ٣١] قال : حُجّاجًا[(٦)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عبادة » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عبد » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤١ ، عقب الأثر (١٢٩١) معلقا .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سالم » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٩ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٥٩ إلى عبد بن حميد وهو فى تفسير سفيان ص ٢١٢ عن السدى من قول ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤١ عقب الأثر (١٢٩١) من طريق أسباط ، عن السدى . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤٠ ، ٤/ ٣٥٩ إلى ابن المنذر عن السدى .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿حَنِيفًا﴾ قال : حاجًّا[(١)] .

حدِّثت عن وكيعٍ ، عن فُضَيلِ بنِ غَزْوانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ ، قال : كان ناسٌ[(٢)] من مُضَرَ يَحُجُّون البيتَ فى الجاهليةِ يُسَمَّوْن حُنفاءَ ، فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[(٣)] .

وقال آخرون : الحَنِيفُ المتَّبِعُ . كما وصَفْنا قبلُ مِن قولِ الذين قالوا : إن معناه الاستقامةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿حُنَفَآءَ﴾ قال : مُتَّبِعِين[(٤)] .

وقال آخرون : إنما سُمِّى دينُ إبراهيمَ الحنيفيةَ ؛ لأنه أوّلُ إمامٍ سَنَّ للعبادِ الخِتانَ ، فاتَّبَعه مَن بعدَه عليه . قالوا : فكلُّ مَن اخْتَتَنَ على سبيلِ اخْتِتانِ إبراهيمَ ، [(٥)]وهو[(٥)] على ما كان عليه إبراهيمُ من الإسلامِ ، فهو حَنيفٌ على ملةِ إبراهيمَ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩١) من طريق عبد اللَّه بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « الناس » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى ابن أبى حاتم .

(٤) تفسير سفيان ص ٢١٢ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٥ - ٥) فى م : « فهو » .

١/٥٦٦ / **وقال آخرون** : قولُه : ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ ﴾ : بل ملةَ إبراهيمَ مُخلِصًا . فالحَنيفُ على قولِهم ، المُخْلِصُ دينَه للَّهِ وحدَه .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ ﴾ [النساء : ١٢٥] . يقولُ : مخْلِصًا[1] .

وقال آخرون : بل الحَنيفيةُ الإسلامُ ، فكلُّ مَن ائْتَمَّ بإبراهيمَ فى مِلَّتِه فاستقام عليها فهو حَنيفٌ .

قال أبو جعفرٍ : والحَنيفُ عندى هو الاستقامةُ على دينِ إبراهيمَ واتباعُه على مِلَّتِه ، وذلك أن الحَنيفيةَ لو كانت حجَّ البيتِ ، لوجَب أن يكونَ الذين كانوا يَحُجُّونه فى الجاهليةِ من أهلِ الشركِ كانوا حنفاءَ ، وقد نَفَى اللَّهُ جل ثناؤه أن يكونَ ذلك تَحَنُّفًا بقولِه : ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] . وكذلك القولُ فى الختانِ ؛ لأن الحَنيفيةَ لو كانت هى الخِتانَ ، لوجَب أن يكونَ اليهودُ حنفاءَ ، وقد أخرجَهم اللَّهُ من ذلك بقولِه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] . فقد صحَّ إذن أن الحنيفيةَ ليست الختانَ وحدَه ، ولا حجَّ البيتِ وحدَه ، ولكنّه هو ما وصَفْنا من الاستقامةِ على ملةِ إبراهيمَ واتباعِه عليها والائتمامِ به فيها .

فإن قال قائلٌ : أَوَما كان مَن كان قبلَ إبراهيمَ عليه السلامُ من الأنبياءِ وأتباعِهم مستقيمين على ما أُمِروا به من طاعةِ اللَّهِ استقامةَ إبراهيمَ وأتباعِه ؟ قيل : بلى .

فإن قال قائلٌ : فكيف أُضيفَ الحَنيفيةُ إلى إبراهيمَ وأتباعِه على مِلَّتِه خاصةً دونَ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٠٧٤ (٦٠١١) من طريق أحمد بن المفضل به .

سائرِ الأنبياءِ قبلَه وأتباعِهم ؟

قيل : إن كلَّ مَن كان قبلَ إبراهيمَ من الأنبياءِ كان حنيفًا مُتَّبِعًا طاعةَ اللَّهِ ، ولكنَّ اللَّهَ تعالى ذكرُه لم يَجعلْ أحدًا منهم إمامًا لمن بعدَه من عِبادِه إلى قيامِ الساعةِ ، كالذى فعَل مِن ذلك بإبراهيمَ ، فجعَله إمامًا فيما بيَّنه من مناسكِ الحجِّ [٤/٥٦و] والختانِ ، وغيرِ ذلك من شرائعِ الإسلامِ - يُقتدَى[1] به أبدًا إلى قيامِ الساعةِ ، وجعَل ما سنَّ من ذلك عَلَمًا مُميِّزًا بين مؤمنى عبادِه وكفارِهم ، والمطيعِ منهم له والعاصى ، فسُمِّىَ الحنيفُ من الناسِ حنيفًا باتِّباعِه مِلَّتَه واستقامتِه على هَدْيِه ومنهاجِه ، وسُمِّى الضَّالُّ عن ملَّتِه بسائرِ أسماءِ المللِ ، فقيل : يهوديٌّ ونصرانيٌّ ومَجوسيٌّ ، وغيرُ ذلك من صنوفِ المللِ .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . فإنه يقولُ : إنه لم يكنْ ممن يَدِينُ بعبادةِ الأوثانِ والأصنامِ ، ولا كان من اليهودِ ولا من النصارَى ، بل كان حنيفًا مسلمًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

١/٥٦٧ / يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : قولوا أيُّها المؤمنون لهؤلاء اليهودِ والنصارَى الذين قالوا لكم : كونوا هُودًا أو نصارَى تهتدُوا -: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ . أى : صدَّقْنا .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى الإيمانِ التصديقُ ، بما أَغنى عن إعادتِه[2] .

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ يقولُ : وصدَّقْنا أيضًا بالكتابِ الذى أَنزَل اللَّهُ إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ . فأضاف الخطابَ بالتنزيلِ إليهم ، إذ كانوا مُتَّبِعيه ومأمورين مَنْهِيِّين به ، فكان وإن كان تنزيلًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ - بمعنى التنزيلِ إليهم لِلذى لهم فيه من

(١) فى م : « تعبدا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٢٤٠ ، ٢٤١ .

المعانى التى وَصَفْتُ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ : وصدَّقْنا أيضًا وآمَنّا بما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإلى إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ . وهم الأنبياءُ من ولدِ يعقوبَ .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ يعنى : وآمَنّا أيضًا بالتوراةِ التى آتاها اللَّهُ موسى ، وبالإنجيلِ الذى آتاه عيسى ، والكتبِ التى آتى النبيِّين كلَّهم ، وأَقْرَرْنا وصدَّقْنا أن ذلك كلَّه حقٌّ وهُدًى ونورٌ من عندِ اللَّهِ ، وأن جميعَ مَن ذكَر اللَّهُ من أنبيائِه كانوا على حقٍّ وهُدًى يُصَدِّقُ بعضُهم بعضًا على مِنهاجٍ واحدٍ فى الدعاءِ إلى توحيدِ اللَّهِ والعملِ بطاعتِه .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ . يقولُ : لا نؤمنُ ببعضِ [٤/٥٦ظ] الأنبياءِ ونكفُرُ ببعضٍ ، ونتبرَّأُ من بعضٍ ونتَوَلَّى بعضًا ، كما تبرَّأَتِ اليهودُ من عيسى ومحمدٍ عليهما السلامُ وأقرَّتْ بغيرِهما[(١)] من الأنبياءِ[(٢)] ، وكما تَبَرَّأَتِ النصارى من محمدٍ ﷺ ، وأقرَّت بغيرِه من الأنبياءِ ، بل نَشْهَدُ لجميعِهم أنهم كانوا رسلَ اللَّهِ وأنبياءَه ، بُعِثوا بالحقِّ والهُدَى .

وأما قولُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكرُه : ونحن للَّه خاضِعون بالطاعةِ ، مُذْعِنون له بالعبودةِ . فذُكِر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال ذلك لليهودِ ، فكَفروا بعيسى وبمن يُؤْمِنُ به .

كما **حدثنا** أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ نفرٌ من يهودَ فيهم أبو ياسرِ بنُ أَخْطَبَ ، ورافعُ بنُ أبى رافعٍ ، وعازَرُ وخالدٌ ، وزيدٌ ، وإزارُ بنُ أبى إزارٍ ، وأَشْيَعُ ، فسألوه عمن يُؤْمِنُ به من الرسلِ ، فقال : « أُومِن باللَّهِ وما أُنزِلَ إلينا ، وما أُنزِلَ إلى

---

(١) فى الأصل : « بغيره » .

(٢) فوقها إحالة فى الأصل ، وفى الحاشية كلام غير مقروء .

إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ، وما أُوتِيَ موسى وعيسى ، وما أُوتِيَ النبيُّون من ربِّهم ، لا نُفرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مُسلِمُون » . فلما ذكَر عيسى جَحَدوا نُبُوَّتَه وقالوا : لا نُؤْمِنُ بعيسى ، ولا نُؤْمِنُ بمن آمَن به . فأَنزَل اللَّهُ فيهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٥٩] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ . فذكَر نحوَه ، / إلا أنه قال : ونافعُ بنُ أبي نافعٍ . مكانَ ٥٦٨/١
رافعِ بنِ أبي رافعٍ [(١)] .

وقال قتادةُ : أُنزِلت هذه الآيةُ أمرًا من اللَّهِ تعالى ذكرُه للمؤمنين بتصديقِ رسلِه كلِّهم .

حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ : أمَر اللَّهُ المؤمنين أن يُؤمِنوا ويُصدِّقوا بأنبيائِه ورسلِه كلِّهم [(٢)] ، ولا يُفرِّقوا بين أحدٍ منهم [(٣)] .

وأما الأسباطُ الذين ذكَرهمُ اللَّهُ ، فهم اثنا عشَرَ رجلًا من ولدِ يعقوبَ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٦٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٣، ١١٦٤/٤ (١٢٩٩، ٦٥٥٩) من طريق سلمة به .

(٢) فى الأصل : « كلها » .

(٣) أخرج آخره ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ (١٣٠٥) من طريق يزيد به ، وأخرج أوله (١٣٠٤) من طريق شيبان النحوى عن قتادة .

إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، ولَد كلُّ رجلٍ منهم أُمةً من الناسِ ، فسُمُّوا أسباطًا .

كما **حدثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : الأسباطُ : يوسفُ وإخوتُه بنو يعقوبَ ، ولَد اثنَىْ عشَرَ رجلًا ، فولَد كلُّ رجلٍ منهم أُمةً من الناسِ ، فسُمُّوا أسباطًا(١) .

حدثنى موسى ، قال : ثنا [٥٧/٤و] عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أما الأسباطُ فهم بنو يعقوبَ ؛ يوسفُ ، وبنْيامِينُ ، ورُوبيلُ ، ويهوذَا ، وشَمْعُونُ ، ولَاوِى ، ودانُ ، وقهاثُ(٢) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ(٣) ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : الأسباطُ : يوسفُ وإخوتُه بنو يعقوبَ اثنا عشَرَ رجلًا ، فوُلِد لكلِّ رجلٍ منهم أُمةٌ من الناسِ ، فسُمُّوا الأسباطَ(٤) .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : نكَح يعقوبُ بنُ إسحاقَ - وهو إسرائيلُ - ابنةَ خالِه ليا ابنةَ ليانَ بنِ تبويلَ(٥) بنِ إلياسَ ، فولَدت له رُوبيلَ بنَ يعقوبَ ، وكان أكبرَ ولدِه ، وشَمْعُونَ بنَ يعقوبَ ، ولَاوِى ابنَ يعقوبَ ، ويهوذا بنَ يعقوبَ ، وربالونَ(٦) بنَ يعقوبَ ، ويشجرَ بنَ يعقوبَ ، ودينةَ بنتَ يعقوبَ ، ثم تُوُفِّيَت ليا بنتُ ليانَ ، فخلَف يعقوبُ على أختِها راحيلَ بنتِ ليانَ بنِ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ عقب الأثر (١٣٠٠) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ (١٣٠١) من طريق عمرو به .

(٣) فى الأصل : « أسباط » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٣/١ عقب الأثر (١٣٠٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى م : « توبيل » ، وفى ت ٣: « يوبيل » ، وفى تاريخ المصنف : « بتويل » .

(٦) فى م : « ريالون » .

تبويلَ بنِ إلياسَ ، فوَلَدتْ له يوسفَ بنَ يعقوبَ وبِنْيامِينَ (١ بنَ يعقوبَ ١) ، وهو بالعربيةِ شدادٌ (٢) ، ووُلِد له من سُرِّيَّتَيْنِ له ، اسمُ إحداهما زلفةُ ، واسمُ الأخرى بلهةُ (٣) ، أربعةَ نفرٍ : دانُ بنُ يعقوبَ ، ونفثالى (٤) بنُ يعقوبَ ، وجادُ بنُ يعقوبَ ، وأشرُ (٥) بنُ يعقوبَ ، فكان بنو يعقوبَ اثنَيْ عشَرَ رجلًا ، نَشَر اللَّهُ منهم اثنَيْ عَشَرَ سِبْطًا لا يُحْصِى عددَهم ولا يعلمُ أنسابَهم إلا اللَّهُ ، يقولُ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] (٦) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ : فإن صَدَّق اليهودُ والنصارَى باللَّهِ وما أُنزِل إليكم وما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ، وما أُوتِىَ موسى وعيسى ، وما أُوتِىَ النبيُّون من ربِّهم ، وأقرُّوا بذلك مثلَ ما صدَّقتم أنتم به أيُّها المؤمِنون وأقرَرْتم ، فقد وُفِّقوا ورَشَدوا ولَزِموا/ طريقَ ٥٦٩/١
الحقِّ فاهتدَوا (٧) ، وهم حينئذٍ منكم وأنتم منهم لدخولِهم (٨) فى ملَّتِكم ، بإقرارِهم بذلك . فدَلَّ تعالى ذكرُه بهذه الآيةِ على أنه لم يَقْبَلْ من أحدٍ عملًا إلا بالإيمانِ بهذه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « أشد » .

(٣) فى م : « بلهية » .

(٤) فى الأصل : « تفثالى » .

(٥) فى م : « أشرب » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣١٧/١ .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واهتدوا » .

(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بدخولهم » .

المعانى التى (١) عدَّها قبلَها (١) .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ ونحو هذا . قال : أخبرَ اللَّهُ سبحانه أن الإيمانَ هو العروةُ الوُثْقَى ، وأنه لا يَقْبَلُ عملًا إلا به ، ولا يُحَرِّمُ الجنةَ إلا على مَن تَرَكه [٢] .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك قراءةٌ جاءت مصاحفُ المسلمين بخلافِها ، وأجمعتْ قَرَأَةُ القرآنِ على تركِها .

وذلك ما حدثنا به محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى حمزةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : لا تقولوا : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ - [٥٧/٤ظ] فإنه ليس للَّهِ مِثْلٌ - ولكن قولوا : (فإن آمَنوا بالذى آمَنتم به) . أو قال : (فإن آمَنوا بما آمَنتم به) [٣] .

فكأن ابنَ عباسٍ فى هذه الروايةِ - إن كانت صحيحةً عنه - وَجَّه تأويلَ قراءةِ من قرَأ : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ : فإن آمَنوا بمثلِ اللَّهِ ، وبمثلِ ما أُنْزِل على إبراهيمَ وإسماعيلَ . وذلك إذا صُرِف إلى هذا الوجهِ شِرْكٌ -لا شكَّ - باللَّهِ العظيمِ ؛ لأنه لا مثلَ للَّهِ تعالى ذكرُه فيُؤْمَنَ أو يُكْفَرَ به ، ولكنَّ تأويلَ ذلك على غيرِ المعنى الذى وُجِّه إليه تأويلُه ، وإنما معناه ما وصَفْنا ، وهو : فإن صدَّقوا مثلَ تصديقِكم بما صدَّقْتم به مِن جميعِ ما عدَدْنا عليكم من كُتبِ اللَّهِ وأنبيائِه ، فقد اهتدَوْا . فالتشبيهُ إنما وقع

(١ - ١) فى الأصل : « عددها فيها » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٤/١ (١٣٠٧) من طريق أبى صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٧٦ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٤/١ (١٣٠٦) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٠٣) من طريق شعبة به . وعنه ابن أبى داود « أبو جمرة » وأبو حمزة هو عمران بن =

بين التصديقَيْنْ والإقرارَيْن اللذين هما إيمانُ هؤلاءِ وإيمانُ هؤلاءِ ، كقولِ القائلِ : مرَّ عمرٌو بأخيك مثلَ ما مرَرْتُ به . يعنى بذلك : مرَّ عمرٌو بأخيك مثلَ مرورِى به . فالتمثيلُ[(١)] إنما دخَل تمثيلًا بين المرورَيْن ، لا بين عمرٍو وبين المتكلِّمِ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ إنما وقَع التمثيلُ بين الإيمانَيْنْ لا بين المؤمَنِ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ : وإن تَوَلَّى هؤلاءِ الذين قالوا لمحمدٍ ﷺ وأصحابِه : كونوا هُودًا أو نَصارَى . فأعرَضوا ، ولم يُؤْمِنوا مثلَ إيمانِكم أيها المؤمنون باللَّهِ ، وبما جاءت به الأنبياءُ ، وابْتُعِثتْ به الرسلُ ، وفَرَّقُوا بين رسلِ اللَّهِ ، وبين اللَّهِ ورسُولِه[(٢)] ، فصدَّقوا ببعضٍ وكَفروا ببعضٍ ، فاعلَموا أيها المؤمنون أنهم إنما هم فى عِصيانٍ وفِراقٍ وحربٍ للَّهِ ولرسولِه ولكم .

كما **حدثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، [(٣)] قال : حدَّثنا سعيدٌ[(٣)] عن قتادةَ : ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ أى : فى فِراقٍ[(٤)] .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ يعنى : فِراقٍ[(٥)] .

وحدثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا

= أبى عطاء القصاب ، وأبو جمرة نصر بن عمران كلاهما رويا عن ابن عباس ، وروى عنهما شعبة .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « والتمثيل » .

(٢) فى م ، ت ١ : « ورسله » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٤ عقب الأثر (١٣١١) معلقًا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٤ عقب الأثر (١٣١١) من طريق ابن أبى جعفر به .

هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ قال : الشِّقاقُ المنازعةُ والمحاربةُ ، إذا شاقَّ فقد حارَبَ ، وإذا حارَبَ فقد شاقَّ ، وهما واحدٌ فى كلامِ العربِ . وقرأ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء : ١١٥] .

وأصلُ الشِّقاقِ عندنا ، واللَّهُ أعلمُ ، مأخوذٌ من قولِ القائلِ : شقَّ عليَّ(١) هذا الأمرُ ، إذا كَرَثَه(٢) وآذاه . ثم قيل : شاقَّ فلانٌ فلانًا . بمعنى : نال كلُّ واحدٍ منهما مِن صاحبِه ما كَرَثَه / وآذاه [٥٨/٤و] وأثقلَتْه مَساءتُه ، ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه ﴿ وَإِنْ ١/٥٧٠
خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [النساء : ٣٥] . بمعنى : فِراقَ بينِهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ : فسيَكْفِيك اللَّهُ يا محمدُ هؤلاءِ الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿كونوا هُودًا أو نَصارَى تَهْتَدُوا﴾ . من اليهودِ والنصارَى ، إن هم تَوَلَّوْا عن أن يُؤمِنوا مثلَ(٣) إيمانِ أصحابِك باللَّهِ ، وبما أُنزِل إليك ، وما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ وسائرِ الأنبياءِ غيرِهم ، وفَرَّقوا بين اللَّهِ ورسلِه ، إما بقتلٍ بالسيفِ ، وإما بجَلاءٍ عن جِوارِك ، وغيرِ ذلك من العقوباتِ ، فإن اللَّهَ هو السميعُ لما يقولون لك بألسنتِهم ، ويُبْدُون لك بأفواهِهم من الجهلِ والدعاءِ إلى الكفرِ والمِلَلِ الضالَّةِ ، العليمُ بما يَنْطُوون(٤) لك ولأصحابِك من المؤمنين عليه(٥) فى أنفسِهم من الحسَدِ والبغضاءِ ، ففعَل اللَّهُ بهم ذلك عاجلًا ، وأَنجزَ وَعْدَه ، فكفاهم(٦) نبيَّه ﷺ بتسليطِه إياه عليهم حتى قَتَل بعضَهم ، وأَجلَى بعضًا ، وأَذلَّ بعضًا وأَخزاه بالجِزْيةِ والصَّغارِ .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢ ت ٣: « عليه » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « كربه » ، وكرثه الأمر يَكْرِثه ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة . اللسان (كرث) .

(٣) فى م ، ت ٢: « بمثل » .

(٤) فى م : « يبطنون » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « ينطرون » .

(٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ .

(٦) فى م ، ت ٢: « فكفى » .

القول فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بالصِّبغةِ صبغةَ الإسلامِ ، وذلك أن النصارَى إذا أرادت أن تُنصِّرَ أطفالَهم جعَلتهم فى ماءٍ لهم تزعُمُ أن ذلك لها تقديسٌ بمنزلةِ الخِتانةِ[(1)] لأهلِ الإسلامِ ، وأنه صِبغةٌ لهم فى النصرانيةِ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه ، إذ قالوا لنبيِّه محمدٍ ﷺ وأصحابِه المؤمنين به : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ : قل لهم يا محمدُ : أيُّها اليهودُ والنصارَى ، بل اتَّبِعُوا ملةَ إبراهيمَ صِبغةَ اللَّهِ التى هى أحسنُ الصِّبَغِ ، فإنها هى الحَنِيفيَّةُ المُسلِمةُ ، ودَعُوا الشركَ باللَّهِ والضلالَ عن مَحَجّةِ هُداه .

ونَصَب « الصِّبغةَ » مَن قرَأها نَصْبًا على الردِّ على « الملةِ » ، وكذلك رفَع « الصِّبغةَ » مَن رفَع « المِلةَ » على ردِّها عليها . وقد يجوزُ رفعُها على غيرِ هذا الوجهِ ، وذلك على الابتداءِ ، بمعنى : هى صِبغةُ اللَّهِ . وقد يجوزُ نصبُها على غيرِ وجهِ الردِّ على « الملةِ » ، ولكن على قولِه : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ صبغةَ اللَّهِ ، بمعنى : آمَنَّا هذا الإيمانَ . فيكونُ الإيمانُ حينئذٍ هو صِبغةَ اللَّهِ .

وبمثلِ [٥٨/٤ظ] الذى قلنا فى تأويلِ « الصِّبغةِ » قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ : إن اليهودَ تَصْبُغُ أبناءَها يهودَ ، والنصارَى تَصْبُغُ أبناءَها نصارَى ، وإن صبغةَ اللَّهِ الإسلامُ ، فلا صِبْغةَ أحسنُ من الإسلامِ ولا أَطْهرُ ، وهو دينُ اللَّهِ الذى بعَث به نوحًا والأنبياءَ بعدَه[(2)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « غسل الجنابة » . وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٨٢ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنى حجّاجٌ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال لى عطاءٌ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ : صَبغت اليهودُ أبناءَهم ، خالَفُوا الفِطرةَ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ **؛ فقال بعضُهم :** دينَ اللَّهِ .

٥٧١/١ **/ ذكرُ من قال ذلك**

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ[(١)] .

وحدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ : ومَن أحسنُ من اللَّهِ دينًا[(٢)] ؟.

وحدثنا المثَّنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٣)] .

وحدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٤)] .

وحدثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٠.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣، ١٣١٥) من طريق أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣، ١٣١٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد - كما فى الفتح ١٦١/٨ من طريق منصور ، عن مجاهد ، وهو فى تفسير سفيان ص ٤٩ من قوله .

مجاهدٍ مثلَه .

وحدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبيريُّ ، قال : ثنا فُضَيلُ بنُ مرزوقٍ ، عن عطيةَ قولَه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ[1] .

وحدثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ يقولُ : دينَ اللَّهِ ، ومن أحسنُ من اللَّهِ دينًا[2] ؟ .

وحدثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ[3] .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ .

وحدثني ابنُ البَرْقيِّ ، قال : ثنا عمرُو بن أبي سلمةَ ، قال : سألْتُ ابنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [4]قال : دينَ اللَّهِ[4] .

وقال آخرون : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ : فطرةَ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ،

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٥ عقب الأثر (١٣١٣) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٥ عقب الأثر (١٣١٣، ١٣١٥) من طريق عمرو به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٤١ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٥ (١٣١٣) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فذكر مثله » .

عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : فطرةَ اللَّهِ التى فطَر الناسَ عليها[(١)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، قال : ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ [٤/٥٩و] مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ . قال : الصِّبغةُ الفطرةُ .

وحدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ : الإسلامَ ، فطرةَ اللَّهِ التى فطرَ الناسَ عليها . قال ابنُ جريجٍ : قال لى عبدُ اللَّهِ بنُ كَثيرٍ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ قال : دينَ اللَّهِ ، ومَن أحسنُ من اللَّهِ دينًا ؟ قال : هى فطرةُ اللَّهِ .

قال أبو جعفرٍ : ومن قال هذا القولَ فوجَّه الصِّبغةَ إلى الفطرةِ ، فمعناه : بل نَتَّبِعُ
٥٧٢/١ فطرةَ اللَّهِ وملَّتَه / التى خلَق عليها خلقَه ، وذلك الدينُ القيِّمُ ، من قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ١] بمعنى : خالقِ السماواتِ والأرضِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

وقولُه تعالى ذكرُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ أمرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه ﷺ أن يقولَه لليهودِ والنصارَى الذين قالوا له ولمَن تبعه من أصحابِه : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ فقال لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قُلْ : بل نَتَّبِعُ ملةَ إبْراهيمَ حَنيفًا صِبْغَةَ اللَّهِ ، ونَحْنُ لَهُ عابِدُونَ – [(٢)] ويعنى بالعابدين[(٢)] : الخاضِعين للَّهِ المستكِينِين له – فى اتِّباعِنا ملةَ إبْراهيمَ ودَيْنُونَتِنا له بذلك ، غيرَ مستكبِرِين عليه[(٣)] فى اتِّباعِ أمرِه والإقرارِ برسالةِ[(٤)]

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٤ ، وعزاه الحافظ فى الفتح ٨/ ١٦١ ، والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤١ إلى عبد ابن حميد من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يعنى ملة » .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رسالته » .

رُسلِه ، كما استكْبَرت اليهودُ والنصارَى ، فكفَروا بمحمدٍ ﷺ استكبارًا وبَغْيًا وحسَدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ : قل يا محمدُ لمَعاشرِ اليهودِ والنصارَى الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ . وزعَموا أن دينَهم خيرٌ من دينِكم ، وكتابَهم خيرٌ من كتابِكم ؛ لأنه كان قبلَ كتابِكم ، وزعَموا أنهم من أجلِ ذلك أَوْلَى باللَّهِ منكم - : أتُحاجُّونَنا فى اللَّهِ وهو ربُّنا وربُّكم ؟ بيدِه الخيراتُ ، وإليه الثوابُ والعقابُ ، والجزاءُ على الأعمالِ ، الحسناتِ منها والسيئاتِ ، فتزعُمون أنكم أوْلى باللَّهِ منا من أجلِ أن نبيَّكم قبلَ نبيِّنا ، وكتابَكم قبلَ كتابِنا ، وربُّكم وربُّنا واحدٌ ، وإنّما[(١)] لكلِّ فريقٍ منا ما عَمِل واكتسَب من [٤/٥٩ظ] صالحِ الأعمالِ وسيِّئِها ، وعليها[(٢)] يُجازَى ، فيُثابُ أو يُعاقَبُ ، لا على الأنسابِ وقِدَمِ الدينِ والكتابِ .

ويعنى بقولِه : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ قلْ : أتُخاصِموننا وتُجادِلوننا ؟

كما **حدثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ قل : أتُخاصِمُوننا ؟

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ : أتُخاصِمُوننا ؟

حدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « إن » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ (١) ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ : أتُجادِلوننا (١) ؟

فأمّا قولُه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ فإنه يعنى : ونحنُ للَّهِ مُخْلِصو العبادةِ والطاعةِ ، لا نُشرِكُ به شيئًا ، ولا نَعبُدُ غيرَه أحدًا ، كما عبَد أهلُ الأوثانِ معه الأوثانَ ، وأصحابُ العجلِ معه العجلَ . وهذا من اللَّهِ تعالى ذكرُه توبيخٌ لليهودِ واحتجاجٌ لأهلِ الإيمانِ ، بقولِه تعالى ذكرُه للمؤمنين من أصحابِ محمدٍ ﷺ : قولوا - أيها المؤمنون لليهودِ والنصارى الذين قالوا لكم : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ -: أتُجادلوننا (٢) فى اللَّهِ . وإنما (٣) يعنى بقولِه : ﴿ فِى ٱللَّهِ ﴾ : فى دينِ اللَّهِ الذى أمَرنا أن نَدِينَه به ، وربُّنا وربُّكم واحدٌ عَدْلٌ لا يَجورُ ، وإنما يُجازِى العبادَ على ما اكْتَسَبوا ، فتزعُمون أنَّكم أَوْلَى باللَّهِ منا لقِدَمِ دِينِكم وكتابِكم ونبيِّكم ، ونحن مُخلِصون له العبادةَ / لم نُشرِكْ به شيئًا ، وقد أَشرَكْتُم فى عبادتِكم إياه ، فعَبد ٥٧٣/١
بعضُكم العجلَ ، وبعضُكم المسيحَ ، فأنَّى تكونوا خيرًا منا ، وأَوْلَى باللَّهِ منا ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفى قراءةِ ذلك وجهان ؛ **أحدُهما :** ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ بالتاءِ (٤) ، فمَن قرَأه كذلك ، فتأويلُه : قل يا محمدُ - للقائلين لك من اليهودِ والنصارى : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ -: أتُجادِلوننا فى اللَّهِ ؟ أمْ تَقولُونَ : إن إبْراهيمَ ؟

(١ - ١) فى الأصل : « تحاجون : تجادلون » .
والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤١، إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٥ (١٣١٦) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس بلفظ « أتخاصموننا » .
(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣: « أتحاجوننا » .
(٣) سقط من : م .
(٤) وهى قراءة حفص عن عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٥ .

فيكونُ ذلك معطوفًا على قولِه ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ .

والوجهُ الآخرُ منهما : (أم يقولون) بالياءِ[1] . ومن قرَأ ذلك كذلك وجَّه قولَه : (أم يقولون) إلى أنه استفهامٌ مُستأنَفٌ كقولِه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [يونس : ٣٨] . وكما يقالُ : إنها لإبلٌ أم شاءٌ ؟ وإنما جعَله استفهامًا مستأنَفًا لمجيءِ خبرٍ مُستأنَفٍ ، كما يقالُ : أتقومُ أم يقومُ أخوك ؟ فيصيرُ قولُه : أم يقومُ أخوك ؟ خبرًا مستأنَفًا بجُملةٍ[2] ليست من الأوّلِ واستفهامًا مبتدأً ، ولو كان نَسَقًا على الاستفهامِ الأوّلِ لكان خبرًا عن الأوّلِ ، فقيل : أتقومُ أم تقعدُ ؟

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن ذلك إذا قُرِئ [٦٠/٤و] كذلك بالياءِ ، فإن كان الذى بعد « أَمْ » جملةً تامةً فهو عطفٌ على الاستفهامِ الأوّلِ ؛ لأن معنى الكلامِ قيل : أىُّ هذين الأمرَيْن كائنٌ ، أهذا أم هذا ؟

والصوابُ من القراءةِ عندنا فى ذلك : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ بالتاءِ دون الياءِ[3] ، عطفًا على قولِه : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ بمعنى : أىَّ هذين الأمرَيْن تفعَلون ؟ أتُجادِلُوننا فى دينِ اللَّهِ ؟ فتزعُمون أنكم أوْلَى منّا ، وأَهْدَى منّا سبيلًا ، وأمْرُنا وأمْرُكم ما وصَفْنا على ما قد بيّنّاه آنفًا[4] ، أم تزعُمون أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ومن سمَّى اللَّهُ كانوا هُودًا أو نَصارَى على مِلَّتِكم ؟ فيَضِحُ[5] للناسِ بَهْتُكم وكَذِبُكم ؛ لأن اليهوديةَ والنصرانيةَ حدَثَتْ بعدَ هؤلاءِ الذين سمّاهم اللَّهُ من أنبيائِه . وغيرُ جائزةٍ قراءةُ ذلك بالياءِ لشذوذِها عن قراءةِ القرَأةِ .

---

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو ، وأبى بكر عن عاصم . حجة القراءات ص ١١٥ .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « لجملة » .

(٣) القراءتان كلتاهما صواب ؛ لأنهما متواترتان .

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أيضا » .

(٥) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يصح » .

وهذه الآيةُ أيضًا احتجاجٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ على اليهودِ والنصارَى الذين ذكَر اللَّهُ قَصَصَهم ، يقولُ اللَّهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ اليهودِ والنصارَى : أتُحاجُّوننا فى اللَّهِ ، وتزعُمون أن دينَكم أفضلُ من دينِنا ، وأنَّكم على هُدًى ونحن على ضَلالةٍ ببُرْهانٍ من اللَّهِ تعالى ذكرُه فتدْعُوننا إلى دينِكم ؟ فهاتُوا برهانَكم على ذلك فنتَّبِعَكم عليه . أم تقولون : إنّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هودًا أو نصارَى على دينِكم ؟ فهاتوا على دَعْواكم ما ادَّعيتم من ذلك بُرْهانًا فنُصَدِّقَكم ، فإن اللَّهَ قد جعَلَهم أئمةً يُقْتَدَى بهم ، ثم قال تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : قل لهم يا محمدُ إن ادَّعَوا أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُودًا أو نَصارَى : أأنتم أَعْلمُ بهم وبما كانوا عليه من الأديانِ أم اللَّهُ ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ .

٥٧٤/١ / يعنى جل ثناؤُه بذلك : فإن زعَمَتْ يا محمدُ اليهودُ والنصارَى الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ ، أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُودًا أو نصارَى ، فمن أظلمُ منهم ؟! يقولُ : وأىُّ امرئٍ أظلمُ منهم وقد كَتَموا شهادةً عندَهم من اللَّهِ بأن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين ، فكَتَموا ذلك ونحَلُوهم اليهوديةَ والنصرانيةَ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فحدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا [٦٠/٤ظ] عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال : فى قولِ يهودَ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ومَن ذُكِر معهما : إنهم كانوا يهودَ أو نصارَى . فيقولُ اللَّهُ : لاتكْتُموا منى شهادةً إن كانت عندَكم فيهم . وقد عَلِم أنهم كاذبون[(١)] .

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٥، وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى عبد بن حميد .

وحدثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ : في قولِ اليهودِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ومن ذُكِر معهما : إنهم كانوا يهودَ أو نصارَى . فقال اللَّهُ لهم : لا تَكْتُموا منى الشهادةَ فيهم إن كانت عندَكم فيهم ، وقد عَلِم اللَّهُ أنَّهم كانوا كاذبين .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني إسحاقُ ، عن أبي الأشهبِ ، عن الحسنِ أنه تلا هذه الآيةَ : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال الحسنُ : واللَّهِ لقد كان عندَ القومِ من اللَّهِ شهادةٌ أن أنبياءَه بُرَآءُ من اليهوديةِ والنصرانيةِ ، كما أن عندَ القومِ من اللَّهِ شهادةً أن دماءَكم وأموالَكم حرامٌ بينكم ، فبم استحَلُّوها[(١)] ؟ .

وحدِّثْت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ : أهلُ الكتابِ كَتَموا الإسلامَ ، وهم يَعلمون أنه دينُ اللَّهِ ، وهم يَجِدُونه مكتوبًا عندهم في التوراةِ والإنجيلِ ، أنهم لم يكونوا يهودَ ولا نصارَى ، وكانت اليهوديةُ والنصرانيةُ بعدَ هؤلاءِ بزمانٍ[(٢)] .

وإنما عَنَى تعالى ذكرُه بذلك أن اليهودَ والنصارَى إن ادَّعَوْا أن إبراهيمَ ومن سُمِّيَ معه في هذه الآيةِ كانوا هودًا أو نصارَى ، تَبَيَّنَ[(٣)] لأهلِ الشركِ الذين هم نصراؤُهم كَذِبُهم وادِّعاؤُهم على أنبياءِ اللَّهِ الباطِلَ ؛ لأن اليهوديةَ والنصرانيةَ حدَثت

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤١ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٦ (١٣٢٠) من طريق عباد بن منصور ، عن الحسن بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٦ عقب الأثر (١٣١٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في م : « بين » .

بعدَهم ، وإن هم نَفَوْا عنهم اليهوديةَ والنصرانيةَ ، قيل لهم : فهَلُمّوا إلى ما كانوا عليه من الدينِ ، فإنا وأنتم مُقِرُّون جميعًا بأنَّهم كانوا على حقٍّ ، ونحن مختلِفون فيما خالَف الدينَ الذى كانوا عليه .

وقال آخرون : بل عَنَى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ اليهودَ فى كتمانِهم أمرَ محمدٍ ﷺ ونبوَّتَه ، وهم يَعلمون ذلك ويَجِدُونه فى كُتُبِهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ [٦١/٤و] بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا
١/٥٧٥ أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ : أولئك أهلُ الكتابِ ، كَتَموا الإسلامَ / وهم يَعلمون أنه دينُ اللَّهِ ، واتَّخذُوا اليهوديةَ والنصرانيةَ ، وكَتَموا محمدًا ﷺ وهم يَعلمون أنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ(١) .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال : الشهادةُ ، النبىُّ ﷺ مكتوبٌ عندَهم ، وهو الذى كَتَموا(٢) .

وحدثنى المثنَّى (٣) قال : حدثنى إسحاقُ(٣) ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ نحوَ حديثِ بشرِ بنِ معاذٍ ، عن يزيدَ بنِ زريعٍ(٤) .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٠.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٦ عقب الأثر (١٣١٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال : هم يهودُ يُسألون عن النبيِّ ﷺ وعن صفتِه في كتابِ اللَّهِ عندَهم ، فيَكْتُمون الصفةَ .

وإنما اخترْنا القولَ الذي قُلْناه في تأويلِ ذلك ؛ لأنَّ قولَه تعالى ذكرُه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ في إثْرِ قصةِ مَن سمَّى اللَّهُ من أنبيائِه ، وأمامَ قَصِّه[(1)] لهم ، فأَوْلَى بالذي هو بينْ ذلك أن يكونَ من قَصصِهم دون غيرِه .

فإن قال قائلٌ : وأيَّةُ شهادةٍ عندَ اليهودِ والنصارَى من اللَّهِ في أمرِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ؟

قيل : الشهادةُ التي عندَهم من اللَّهِ في أمرِهم ما أنزل اللَّهُ إليهم في التوراةِ والإنجيلِ ، وأمْرَهم فيهما[(2)] بالاستنانِ بسنتِهم واتباعِ مِلَّتِهم ، وأنهم كانوا حنفاءَ مسلمين ، فتلك هي الشهادةُ التي عندهم من اللَّهِ التي كتَموها حين دعاهم نبيُّ اللَّهِ ﷺ إلى الإسلامِ ، فقالوا له : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ . وقالوا له ولأصحابِه : ﴿ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ . فأنزَل اللَّهُ فيهم هذه الآياتِ بتكذيبِهم[(3)] وكتمانِهم الحقَّ ، وافترائِهم على أنبياءِ اللَّهِ الباطلَ والزُّورَ .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ .

يعْني تعالى ذكرُه بذلك : وقل لهؤلاءِ اليهودِ والنصارَى الذين يحاجُّونك يا محمدُ : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من كتمانِكم الحقَّ فيما ألزَمَكم في كتابِه بيانَه للناسِ ، من أمرِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ

(١) في م : « قصته » .
(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « فيها » .
(٣) في م : « في تكذيبهم » .

والأسباطِ و[(١)] أمرِ الإسلامِ ، وأنهم كانوا مسلمين ، وأن الحنيفيّةَ المسلمةَ دينُ اللَّهِ الذى على جميعِ الخلقِ الدَّيْنونةُ به دونَ اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرِهما [٦١/٤ظ] من المللِ ، ولا هو ساهٍ عن عقابِكم على فعلِكم ذلك ، بل هو مُحْصٍ عليكم حتى يُجازيَكم به من الجزاءِ ما أنتم له أهلٌ فى عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرةِ . فجازاهم جلَّ ذكرُه عاجلًا فى الدنيا بقَتْلِ بعضِهم [(٢)] وتَشريدِ بعضِهم [(٢)] وإجلائِه عن وطنِه ودارِه ، وهو مُجازِيهم فى الآخرةِ العذابَ المُهِينَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ .

٥٧٦/١ / كما **حدثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ يعنى : إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ[(٣)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ بمثلِه[(٣)] .

وقد بَيَّنَّا فيما مضَى أن الأُمةَ الجماعةُ[(٤)] .

فمعنى الآيةِ إذن : قلْ يا محمدُ لهؤلاء الذين يُجادِلُونك فى اللَّهِ من اليهودِ والنصارَى إن كَتَموا ما عندَهم من الشهادةِ فى أمرِ إبراهيمَ ومَنْ سَمَّيْنا معه ، وأنَّهم

---

(١) فى م : « فى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٥٦٦ .

كانوا مسلمِينَ ، وزَعَمُوا أنّهم كانوا هودًا أو نصارَى ، فكَذَبوا : إنّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ أُمةٌ قد خَلَتْ ؛ أى : مضَت لسبيلِها ، فصارت إلى ربِّها ، وخَلَت بأعمالِها ، وإنما[1] لها[2] عندَ اللَّهِ ما كانت[3] كَسَبت من خيرٍ فى أيامِ حياتِها ، وعليها ما اكْتَسَبت من شرٍّ ، لا ينفعُها غيرُ صالحِ أعمالِها ، ولا يضرُّها غيرُ سَيِّئِها ، فاعلَموا أيها اليهودُ والنصارَى ذلك ، فإنَّكم إن كان هؤلاءِ - و[4] هم الذين بهم تَفْتَخِرون وتزعُمون أن بهم تَرْجُون النجاةَ من عذابِ ربِّكم مع سيئاتِكم ، وعظيمِ خطيئاتِكم - لا ينفعُهم عندَ اللَّهِ غيرُ ما قدَّمُوا من صالحِ الأعمالِ ، ولا يضرُّهُمْ غيرُ سيِّئِها ، فأنتم كذلك أَحْرَى ألا ينفعَكم عند اللَّهِ غيرُ ما قَدَّمْتُم من صالحِ الأعمالِ ، ولا يضرُّكم غيرُ سَيِّئِها ، فاحذَرُوا على أنفسِكم وبادِرُوا خروجَها بالتوبةِ وبالإنابةِ إلى اللَّهِ مما أنتم عليه من الكفرِ والضلالةِ والفِرْيةِ على اللَّهِ وعلى أنبيائِه ورسلِه ، ودَعُوا الاتّكالَ على فضائلِ الآباءِ والأجْدادِ ، فإنما لكم ما كَسَبتم ، وعليكم ما اكْتَسَبتم ، ولاتُسألُون عمَّا كان إبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ والأسباطُ يَعمَلون من الأعمالِ ؛ لأن كلَّ نفسٍ قَدِمَتْ على اللَّهِ يومَ القيامةِ فإنما تُسألُ عما كسَبت وأَسْلَفت ، دون ما أَسلفَ غيرُها .

[٦٢/٤و]/ **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .** ١/٢

يعنى بقولِه جلّ ثناؤه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : سيقولُ الجُهالُ من الناسِ ، وهم اليهودُ وأهلُ النفاقِ . وإنما سمّاهم اللهُ عز وجل سفهاءَ ؛ لأنهم سفِهوا الحقَّ ،

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آمالها » .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) سقط من : م ، ت ١ .

(٤) سقط من : م .

فتجاهَلتْ أحبارُ اليهودِ ، وتعاظَمَت جُهّالُهم وأهلُ الغباءِ منهم عن[(١)] اتباعِ محمدٍ ﷺ ، إذ كان من العربِ ولم يكنْ من بنى إسرائيلَ ، وتحيَّرَ المنافقون فتبلَّدوا .

وبما قلنا فى السفهاءِ أنهم هم اليهودُ وأهلُ النفاقِ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال : هم اليهودُ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ قال : اليهودُ تقولُه حين ترَك بيتَ المقدسِ[(٢)] .

وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : اليهودُ[(٣)] .

وحدِّثتُ عن أحمدَ بنِ يونسَ ، عن زهيرٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : اليهودُ[(٤)] .

---

(١) فى ت١ ، ت٣ : « عند » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٥. وأخرجه الثورى فى تفسيره ص٥٠ عن رجل ، عن مجاهد . وينظر الفتح ٨/ ١٧١.

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١/ ١٤٢ - وأخرجه ابن المقرئ فى معجمه (٧١٧) من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق به . وأخرجه البخارى (٣٩٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٧ (١٣٢٣) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٢٨ من طريق إسرائيل به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه وابن المنذر .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٢٠.

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا الحِمَّانيُّ ، قال : حدَّثنا شريكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ في قولِه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قال : أهلُ الكتابِ[(١)] .

٢/٢ / **وحدَّثني** المثنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ ابنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : اليهودُ[(٢)] .

وقال آخرون : السفهاءُ المنافقون .

ذِكرُ من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : نزلَت : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : في المنافقين[(٣)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ ﴾ .

يعني جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ : أيُّ شيءٍ صرفَهم عن قبلتِهم ؟ وهو من قولِ القائلِ : ولاني فلانٌ دُبُرَه . إذا حوَّل وجهَه عنه واستدْبَره ، فكذلك قولُه : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ : أيُّ شيءٍ حوَّل وجوهَهم ؟

وأما قولُه : ﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ فإن قبلةَ كلِّ شيءٍ ما قابلَ وجهَه ، وإنما هي فِعْلةٌ ، بمنزلةِ الجِلْسَةِ والقِعْدةِ (٤) وصِفوةِ الشيءِ (٤) ، [٤/٦٢ظ] من قولِ القائلِ : قابلتُ فلانًا ، إذا صرتَ قُبالتَه ، أقابِلُه ، فهو لي قِبلةٌ ، وأنا له قِبلةٌ ، إذا قابلَ كلٌّ واحدٍ منهما بوجهِه وجهَ صاحبِه .

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٠١) ، والبغوي في الجعديات (٢١٣٢) من طريق شريك به . وسيأتي مطولا في ص ٦٢٠.

(٢) تقدم مطولا في ص ٤٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٧/١ (١٣٢٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وسيأتي مطولا في ص ٦٤٠.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

فتأويلُ الكلامِ إذن إذْ كان ذلك[(١)] معناه : سيقولُ السفهاءُ من الناسِ لكم أيها المؤمنون باللهِ وبرُسلِه[(٢)] ، إذا حوّلتم وجوهَكم عن قبلةِ اليهودِ التى كانت لكم قبلةً ، قبلَ أمرِى إياكم بتحويلِ وجوهِكم عنها شطرَ المسجدِ الحرامِ : أىُّ شىءٍ حوّل وجوهَ هؤلاء فصرَفها عن الموضعِ الذى كانوا يستقبِلونه بوجوهِهم فى صلاتِهم ؟

فأعلمَ اللهُ جل ثناؤُه نبيَّه ﷺ ما اليهودُ والمنافقون قائِلون من القولِ عند تحويلِ اللهِ[(٣)] قبلتَه وقبلةَ أصحابِه ، عن الشامِ إلى المسجدِ الحرامِ ، وعلّمَه ما ينبغِى أن يكونَ مِن ردِّه عليهم من الجوابِ ، فقال له : إذا قالوا ذلك لكَ يا محمدُ ، فقلْ لهم : ﴿ لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وكان سببَ ذلك أن النبىَّ ﷺ صلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ مدةً سنذكُرُ مبلَغَها فيما بعدُ إن شاء اللهُ تعالى ، ثم أرادَ اللهُ تعالى صرْفَ قبلةِ نبيِّه ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ ، فأخبرَه عما اليهودُ قائلُوه من القولِ عند صرْفِه وجهَه ووُجوهَ أصحابِه شَطْرَه ، وما الذى ينبغِى أن يكونَ من مَردِّه[(٤)] عليهم من الجوابِ .

ذكرُ المدةِ التى صلّى[(٥)] رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه نحوَ بيتِ المقدسِ ، وما كان سببُ صلاتِه نحوَه ، وما الذى دعا اليهودَ والمنافقين إلى قيلِ ما قالوا عند تحويلِ اللهِ قبلةَ المؤمنين عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ

اختلَف أهلُ العلمِ فى المدّةِ التى صلّى[(٥)] رسولُ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ بعدَ الهجرةِ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، **وحدَّثنا** ابنُ

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى م : « رسوله » ، وفى ت١ ، ت٣ : « برسوله » .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م : « رده » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « صلاها » .

حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قالا جميعًا : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ - / شكَّ محمدُ بنُ أبى محمدٍ - عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما صُرِفت القبلةُ عن الشامِ إلى ٣/٢
الكعبةِ - وصُرِفت فى رجبٍ على رأسِ سبعةَ[1] عشرَ شهرًا من مَقدَمِ رسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ - أتى رسولَ اللهِ ﷺ رفاعةُ بنُ قيسٍ ، وقَرْدَمُ بنُ عمرٍو ، وكعبُ بنُ الأشرفِ ، ونافعُ بنُ أبى نافعٍ - هكذا قال ابنُ حميدٍ ، وقال أبو كُريبٍ : ورافعُ بنُ أبى رافعٍ - والحجاجُ بنُ عمرٍو ، حليفُ كعبِ بنِ الأشرفِ ، والربيعُ ابنُ الربيعِ بنِ أبى[2] الحُقَيقِ ، وكِنانةُ [3]بنُ الربيعِ[3] بنِ أبى الحُقَيقِ ، [٦٣/٤و] فقالوا له : يا محمدُ ، ما ولَّاك عن قبلتِك التى كنت عليها وأنت تزعُمُ أنك على ملةِ إبراهيمَ ودينِه ، ارجِعْ إلى قبلتِك التى كنتَ عليها نتبِعْك ونصدِّقْك . وإنما يُريدون فتنتَه عن دينِه ، فأنزَل اللهُ فيهم : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ إلى قولِه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[4] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عيّاشٍ ، قال : قال البراءُ : صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ سبعةَ عشرَ شهرًا . قال : وكان يشتهِى أن يُصرفَ إلى الكعبةِ . قال : فبينا نحن نصلِّى ذات يومٍ ، فمرَّ بنا مارٌّ ، فقال : ألا هل علِمتم أن النبيَّ ﷺ قد صُرِف إلى الكعبةِ ؟ قال : وقد صلَّينا ركعتَين إلى هٰهنا ، وصلّينا ركعتَين إلى هٰهنا .

---

(١) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « تسعة » .

(٢) سقط من : ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣ - ٣) زيادة من : م . وهو كذلك فى سيرة ابن هشام .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٥٠/١ ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٥٧٥/٢ من طريق يونس بن بكير به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٧، ٢٤٨ (١٣٢٧) من طريق سلمة به .

قال أبو كريبٍ : فقيل له : فيه أبو إسحاقَ ؟ فسكَت .

وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن أبي بكرِ بنِ عياشٍ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ ، قال : صلَّينا بعدَ قدومِ النبيِّ ﷺ المدينةَ ستةَ[1] عشرَ شهرًا إلى بيتِ المقدسِ[2] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، قال : صلّيتُ مع النبيِّ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا أو سبعةَ عشرَ شهرًا - شكّ سفيانُ - ثم صُرِفْنا إلى الكعبةِ[3] .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدثنا النُّفيليُّ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، قال : ثنا زُهيرٌ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ أن رسولَ اللهِ ﷺ كان أوّلَ ما قدِم المدينةَ نزلَ على أجدادِه أو أخوالِه من الأنصارِ ، وأنه صلَّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ [4]أو سبعةَ عشرَ[4] شهرًا ، وكان يُعجبُه أن تكونَ قبلتُه قِبَلَ البيتِ ، وأنه صلَّى صلاةَ العصرِ ومعه قومٌ ، فخرَج رجلٌ ممن صلَّى معه ، فمرَّ على أهلِ المسجدِ وهم ركوعٌ ، فقال : أشهَدُ لقد صليْتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مكةَ . فداروا كما هم قِبَلَ البيتِ ، وكان يُعجِبُه أن يحوَّلَ قِبَلَ البيتِ ، وكان اليهودُ قد[5] أعجَبَهم هذا[5] ؛ أن كان رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) فى م : « سبعة » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠١٠) ، والدارقطنى ١/ ٢٧٣ من طريق أبى بكر بن عياش به .

وأورد الحافظ فى الفتح ١/ ٩٧ الخلاف فى هذه المدة ، وقال : وشذت أقوال أخرى ؛ ففى ابن ماجه من طريق أبى بكر بن عياش عن أبى إسحاق فى هذا الحديث : « ثمانية عشر شهرا » . وأبو بكر سيئ الحفظ ، وقد اضطرب فيه ، فعند ابن جرير من طريقه فى رواية : « سبعة عشر » . وفى رواية : « ستة عشر » .

(٣) تفسير سفيان ص ٥٢. وأخرجه النسائى (٤٨٧) عن ابن بشار به . وأخرجه أحمد ٣٠/ ٥١١ (١٨٥٣٩) ، والبخارى (٤٤٩٢)، ومسلم (٥٢٥)، وابن خزيمة (٤٢٨) من طريق يحيى به.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

يصلِّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ وأهلِ الكتابِ ، فلما ولَّى وجْهَه قِبَلَ البيتِ أنكَروا ذلك[(١)] .

وحدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن ابنِ المسيَّبِ ، قال : صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ بعد أن قَدِم المدينةَ ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم وُجِّه نحوَ الكعبةِ قبلَ بدرٍ بشهْرين[(٢)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعدٍ الكاتبُ ، قال : / حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، قال : صُرِف[(٣)] نبيُّ اللهِ ﷺ نحوَ بيتِ ٤/٢
المقدسِ تسعةَ أشهرٍ أو عشرةَ أشهرٍ ، فبينما هو [٦٣/٤ظ] قائمٌ يصلِّى الظهرَ بالمدينةِ ، وقد صلَّى ركعتين نحوَ بيتِ المقدسِ ، انصرفَ بوجهِه إلى الكعبةِ ، فقال السفهاءُ : ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾[(٤)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا المسعودِيُّ ، عن عمرِو بنِ مُرّةَ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن معاذِ بنِ جبلٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قدِم المدينةَ ، فصلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ ثلاثةَ عشرَ شهرًا[(٥)] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى المعرفة (٦٥٨) من طريق النفيلى به . وأخرجه ابن سعد ١/ ٢٤٢، ٢٤٣ ، وأحمد ٣٠/ ٤٥٣، ٤٥٤ (١٨٤٩٦) ، والبخارى (٤٠، ٤٤٨٦) ، وابن منده فى الإيمان (١٦٧) ، والبيهقى ٢/ ٣ من طريق زهير به . وينظر مسند الطيالسى (٧٥٥) .

(٢) أخرجه سفيان فى تفسيره ص ٥١، ومالك فى الموطأ ١/ ١٩٦ - ومن طريقه الشافعى فى مسنده (١٩٠) ، والبيهقى فى المعرفة (٦٥٦) ، وفى الدلائل ٢/ ٥٧٣ - عن يحيى بن سعيد به . وينظر علل الدارقطنى ٤/ ٣٦٥، والتمهيد ٢٣/ ١٣٤، وفتح البارى لابن رجب ١/ ١٨٠، ١٨١.

(٣) فى م : « صلى » .

(٤) إسناده ضعيف ؛ عثمان بن سعد ضعيف . وأخرجه البزار (٤٢٠ - كشف) عن عمرو بن على به . وأخرجه ابن خزيمة (٤٣٤) من طريق أبى عاصم به . وقال الهيثمى : حديث أنس بن مالك فى الصحيح أن ذلك فى صلاة الصبح . والذى فى صحيح مسلم (٥٢٧) ليس فيه ذكر النبى ﷺ .

(٥) إسناده منقطع ؛ ابن أبى ليلى لم يدرك معاذا . وأخرجه أبو داود (٥٠٧) عن ابن المثنى به . والحديث فى مسند الطيالسى (٥٦٧) ، وفيه : فصلى سبعة عشر شهرا .

وحدَّثنى أحمدُ بنُ المِقْدامِ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ أبى ، قال : ثنا قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أن الأنصارَ صلَّت القبلةَ الأُولَى قبلَ قدومِ النبىِّ ﷺ بثلاثِ حِجَجٍ ، وأن النبىَّ ﷺ صلَّى القبلةَ الأولَى بعد قُدومِه المدينةَ ستةَ[(١)] عشرَ شهرًا[(٢)] . أو كما قال . وكِلا الحديثَين يحدِّث قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ .

ذكرُ السببِ الذى كان من أجلِه (٣ﷺ يصلِّى ٣) نحوَ بيتِ المقدسِ ، قبل أن يُفرضَ عليه التوجُّهُ شطرَ الكعبةِ

اختلَف أهلُ العلمِ فى ذلك ؛ فقال بعضُهم : كان ذلك باختيارٍ من النبىِّ ﷺ ، (٤من غيرِ أن يكونَ اللهُ فرَض ذلك عليه٤) .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ أبو تُمَيلَةَ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، (٥**عن** عكرمةَ ، و٥) **عن** يزيدَ النحوىِّ ، عن عكرمةَ والحسنِ البصرىِّ ، قالا : أوَّلُ ما نُسِخ من القرآنِ القبلةُ ، وذلك أن النبىَّ ﷺ كان يستقبِلُ صخرةَ بيتِ المقدسِ ، وهى قبلةُ اليهودِ ، فاستقبلَها النبىُّ ﷺ سبعةَ عشرَ شهرًا ، ليؤْمنوا به ويتَّبِعوه ، ويَدعُو بذلك الأُمِّيين من العربِ ، فقال اللهُ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٦)] .

---

(١) فى الأصل : « ثلاثة » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٣/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) فى م : « يصلى رسول الله ﷺ » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٢/١ إلى المصنف عن عكرمة وحده . وعزاه أيضًا إلى أبى داود فى ناسخه عن ابن عباس بلفظه .

وحدَّثني المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، (١ قال : حدَّثنا إسحاقُ ١) ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ : يعنُون بيتَ المقدسِ .

قال الربيعُ : قال أبو العاليةِ : إن نبيَّ اللهِ ﷺ خُيِّرَ بين(٢) أن يُوجِّهَ وجهَه حيث شاء ، فاختارَ بيتَ المقدسِ ، لكي يتألَّفَ أهلَ الكتابِ ، فكانت قبلةَ(٣) ستةَ عشرَ شهرًا ، وهو في ذلك يقلِّبُ وجهَه في السماءِ ، ثم وجَّهه اللهُ إلى البيتِ الحرامِ(٤) .

وقال آخرون : بل كان فعلُ ذلك من النبيِّ ﷺ وأصحابِه بفرضِ اللهِ عليهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا [٤/٦٤و] عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنا معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، / عن ابنِ عباسٍ قال : لما هاجرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى ٢/٥
المدينةِ ، وكان أكثرَ(٥) أهلِها اليهودُ ، أمرَه اللهُ أن يستقْبِلَ بيتَ المقدسِ ، ففرِحت اليهودُ ، فاستقبَلها رسولُ اللهِ ﷺ بضعةَ عشرَ شهرًا ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يحبُّ قبلةَ إبراهيمَ عليه السلامُ ، وكان يدْعو وينظُرُ إلى السماءِ ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية . فارْتاب من ذلك اليهودُ ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ ﴾ ؟ فأنزل اللهُ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ ﴾(٦) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٣) في م : « قبلته » .
(٤) ينظر تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٨/١ (١٣٢٧) .
(٥) سقط من : م .
(٦) تقدم تخريجه في ص٤٥٠ .

جُريجٍ : صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ أوّلَ ما صلَّى إلى الكعبةِ ، ثم صُرِف إلى بيتِ المقدسِ ، فصلَّت الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ قبلَ قدومِه عليه السلامُ ثلاثَ حِجَجٍ ، وصلَّى بعدَ قدومِه ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم ولاه اللهُ إلى الكعبةِ .

ذكرُ السببِ الذى من أجلِه قال (١)من قال(١) :

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾

اختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك ؛ فرُوى عن ابنِ عباسٍ فيه قولان ؛ **أحدُهما** ، ما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال ذلك قومٌ من اليهودِ للنبىِّ ﷺ ، فقالوا له : ارجِعْ إلى قبلتِك التى كنتَ عليها نَتَّبِعْك ونصدِّقْك . يُريدون فتنتَه عن دينِه(٢) .

والقولُ الآخرُ : ما ذكَرتُ من حديثِ عليِّ بنِ أبى طلحةَ عنه الذى مضَى قبلُ(٣) .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ قال : صلَّت الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ حولَيْنِ قبلَ قدومِ نبىِّ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، وصلَّى نبىُّ اللهِ ﷺ بعدَ قدومِه المدينةَ مهاجرًا نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا ، ثم وجَّهه اللهُ بعد ذلك إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فقال فى ذلك قائلون من الناسِ : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾؟ لقد اشتاق الرَّجلُ إلى مولدِه . فقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدم مطولا فى ص ٦١٨، ٦١٩ .

(٣) تقدم فى ص ٦٢٣.

وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) .

(٢)وقال آخرون : بل قائلو(٢) هذه المقالةِ المنافقون ، وإنما قالوا ذلك استهزاءً بالإسلامِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : لما وُجِّه النبيُّ ﷺ قِبلَ المسجدِ الحرامِ ، اختلَفَ الناسُ فيها فكانوا أصنافًا ، فقال المنافقون : ما بالُهم كانوا على قبلةٍ زمانًا ثم تركوها وتوجَّهوا(٣) غيرَها ؟! فأنزَل اللهُ فى المنافِقين : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ . الآية كلَّها(٤) .

[٦٤/٤ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه** : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بذلك : قلْ يا محمدُ - لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابِك : ما ولّاكم عن قبلتِكم من بيتِ المقدسِ التى كنتم على التوجُّهِ إليها ، إلى التوجُّهِ شطرَ المسجدِ الحرامِ ؟ - : للهِ مُلكُ المشرقِ والمغربِ - يعنى بذلك : مُلكُ ما بينَ قُطْرَىْ مَشرِقِ الشمسِ ، وقُطْرَىْ مَغرِبِها ، وما بينهما من العالَمِ - يَهْدِى من يشاءُ من خَلْقِه
٦/٢ / فيسدِّدُه ويوفِّقُه إلى الطريقِ القويمِ ، وهو الصراطُ المستقيمُ - ويعنى بذلك : إلى قبلةِ إبراهيمَ الذى جعلَه للناسِ إمامًا - ويخذُلُ من يشاءُ منهم فيضِلُّه عن سبيلِ الحقِّ .

وإنما عَنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ : قلْ يا محمدُ : إنّ اللهَ هدانا بالتوجُّهِ شطرَ المسجدِ الحرامِ لقبلةِ إبراهيمَ ، وأضلَّكم أيها

(١) سيأتى بتمامه فى ص ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

(٢ - ٢) فى م : « وقيل قائل » .

(٣) بعده فى م : « إلى » .

(٤) سيأتى بتمامه فى ص ٦٤٠، ٦٤١، ٦٦٨ .

اليهودُ والمنافقون وجماعةُ الشركِ باللهِ ، فخذَلكم عما هدَانا له من ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : كما هدَيْناكم أيها المؤْمنون بمحمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، وبما جاءَكم به من عندِ اللهِ ، فخصَصْناكم بالتوفيقِ لقبلةِ إبراهيمَ وملّتِه ، وفضَّلناكم بذلك على من سواكم من أهلِ المللِ ، كذلك خصَصْناكم أيضًا ففضَّلناكم على غيرِكم من أهلِ الأديانِ ؛ بأن جعَلْناكم أمةً وسطًا . وقد بيّنا أن « الأمَّةَ » هى القرنُ من الناسِ ، والصِّنْفُ منهم وغيرهم[(١)] .

وأما « الوسطُ » فإنه فى كلامِ العربِ الخيارُ ، يقالُ منه : فلانٌ واسِطُ[(٢)] الحسَبِ فى قومِه . أى : متوسِّطُ الحسَبِ ، إذا أرادُوا بذلك الرفعَ فى حسبِه ، وهو وسطٌ فى قومِه وواسطٌ . كما يقالُ : شاةٌ يابسةُ اللبنِ ، ويَبَسةُ اللَبَنِ . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ [طه : ٧٧] . وقال زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى فى « الوسطِ »[(٣)] :

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأنامُ بحُكمِهِمْ إذا نَزَلَت إحدَى الليالى بمُعْظَمِ

قال أبو جعفرٍ : وأنا أرَى أن « الوسَطَ » فى هذا الموضعِ هو [٤/٦٥و] الوسَطُ الذى بمعنى الجزءِ الذى هو بين الطرفَين ، مثلَ وسَطِ الدارِ ، [(٤)]محرَّكةُ الوسطِ مثقَّلتُه[(٤)] ، غيرُ جائزٍ فى سينِه التخفيفُ . وأرَى أن اللهَ تبارَك وتعالى إنما وصَفهم بأنهم

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٢٢٤ ، ٢/٥٨٨ .

(٢) فى م : « وسط » .

(٣) شرح ديوان زهير ص ٢٧ . والبيت فيه هكذا :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقـــــــت .....

وأنشده الجاحظ فى البيان والتبيين ٣/٢٥٥ غير منسوب هكذا :

هم وسط يرضى الإله بحكمهم إذا طـــــرقت ....

(٤ - ٤) فى م : « محرك الوسط مثقله » ، وفى ت ٢ : « محركة الوسط مثقلة » .

وسَطٌ ، لتوسُّطِهم فى الدينِ ، فلا هم أهلُ غلوٍّ فيه غلوَّ النصارَى الذين غَلَوْا بالترهُّبِ ، وقيلِهم فى عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهلُ تقصيرٍ فيه تقصيرَ اليهودِ الذين بدَّلوا كتابَ اللهِ ، وقتَلوا أنبياءَهم ، وكذَبوا على ربِّهم ، وكفَروا به ، ولكنهم أهلُ توسُّطٍ واعتدالٍ فيه ، فوصَفهم اللهُ بذلك ، إذْ كان أحبَّ الأمورِ إلى اللهِ أوساطُها[(١)] .

٧/٢ /وأما التأويلُ فإنه جاء بأن الوسَطَ العدْلُ ، وذلك هو معنى الخيارِ ؛ لأن الخيارَ من الناسِ عُدولُهم .

ذكر من قال : الوسطُ العَدْلُ

حدَّثنى سلمُ[(٢)] بنُ جُنادَةَ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ فى قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « عدلًا »[(٣)] .

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ومحمدُ بنُ بشارٍ ، قالا : ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه[(٤)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدرىِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أوسطها » .

(٢) فى م : « سالم » .

(٣) فى م : « عدولا » .

والحديث أخرجه الإسماعيلى - كما فى الفتح ١٧٢/٨ - من طريق حفص بن غياث به ، مختصرا . وأخرجه أحمد ١٧/ ١٢٢، ٣٧٢ (١١٠٦٨، ١١٢٧١) ، والترمذى (٢٩٦١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٦) ، وأبو يعلى (١٢٠٧) ، وابن حبان (٧٢١٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٨، ٢٤٩ (١٣٣١) ، والإسماعيلى ، وأبو عمرو بن منده فى فوائده (١) من طرق عن الأعمش به ، مختصرا . وسيأتى مطولا فى ص ٦٣٠ .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٣٠، ٦٣١.

وَسَطًا ﴾ قال : « عدلًا »[(١)] .

وحدَّثنى علىُّ بنُ عيسى ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، عن حفصِ بنِ غِياثٍ ، [(٢)] عن الأعمشِ [(٢)] ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ فى قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « عدلًا »[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدّثنا ابنُ يمانٍ ، عن أشعثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلًا .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : عدلًا[(٤)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو[(٥)] حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلًا .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عُدولًا[(٦)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عدولا » .
والأثر فى تفسير الثورى ص ٥٠. وأخرجه الحاكم ٢/٢٦٨ بإسناد منقطع عن الأعمش به .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٤ إلى المصنف .
(٤) تفسير مجاهد ص ٢١٥، بلفظ : عدولا . وستأتى بقيته فى ص ٦٣٣.
(٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٠، ٦١.

عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلًا .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . يقولُ : جعَلكم أمة عدلًا[1] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن رِشْدِينَ[2] بنِ سعدٍ ، قال : أخبرنى [٦٥/٤ظ] ابنُ أنْعُمِ المَعافِرىُّ ، عن حِبّانَ بنِ أبى جَبَلَةَ يُسْنِدُه[3] إلى رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : « الوسَطُ العدلُ »[4] .

/ **وحدَّثنا** القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن ٨/٢
عطاءٍ ومجاهدٍ وعبدِ اللهِ بنِ كَثيرٍ : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قالوا : عدلًا . قال مجاهدٌ : عدولًا .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : هم وسطٌ بين النبىِّ ﷺ وبين الأُممِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ .

والشهداءُ جمعُ شهيدٍ .

فمعنى ذلك : وكذلك جعَلناكُم أُمةً (٥ عدلاً لتكونوا ٥) شهداءَ لأنْبيائى ورُسلى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٤/١ إلى المصنف .

(٢) فى م : « راشد » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « رشد » .

(٣) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « بسنده » .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٣٥، ٦٣٦ .

(٥ - ٥) فى م : « وسطا عدولا » .

على أُمَمِها بالبلاغِ ، أنها قد بلَّغت ما أُمِرت ببلاغِه من رسالاتى إلى أُمَمِها ، ويكونَ رَسولى محمدٌ ﷺ شهيدًا عليكم بإيمانِكم به ، وبما جاءكم به من عندى .

(١)وقيل : معنى « عَلَيْكُمْ » فى قولِه : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ : لكم . كأن تأويلَه عندهم : ويكونَ الرسولُ شهيدًا لكم .

وقال قائلُ هذه المقالةِ : هذا نظيرُ قولِه : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة : ٣] إنما هو : وما ذبِح للنصُبِ(١) .

حدَّثنى أبو السّائبِ ، قال : حدَّثنا حفصٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يُدْعَى بنُوحٍ عليه السلامُ يومَ القيامَةِ ، فيُقالُ له : هل بَلَّغْتَ ما أرْسِلتَ به ؟ فيقولُ : نعم . فيقالُ لقَومِه : هل بَلَّغَكم ؟ فيقولُون : ما جاءنا من نَذيرٍ . فيُقالُ له : من يَعْلَمُ ذاك ؟ فيقولُ : محمَّدٌ وأُمَّتُه » . فهو قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾(٢) .

وحدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : حدَّثنا جعفرُ بنُ عوْنٍ، قال : أخبَرنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه ، إلا أنه زاد فيه : (٣)« فتُدْعَوْن فتَشْهَدون(٣) أنه قد بلَّغ »(٤) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٢٢ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ١١/ ٤٥٤، وأحمد ١٧/ ٣٨٣، ١١٢/١٨ (١١٢٨٣، ١١٥٥٨) ، والبخارى (٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩) ، وفى خلق أفعال العباد (١٥٨) ، وابن ماجه (٤٢٨٤) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٧) ، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (١٩٦) ، وأبو يعلى (١١٧٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٤٩، ٢٥٠ (١٣٣٢، ١٣٣٦) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٦٤) من طرق عن الأعمش به ، مطولا . وتقدم مختصرا فى ص ٦٢٧.

(٣ - ٣) فى م : « فيدعون ويشهدون » .

(٤) أخرجه الترمذى ١٩١/٥ (٢٩٦١) عن ابن بشار عن جعفر بن عون ، مطولا . وتقدم فى ص ٦٢٧ عن ابن بشار ، مختصرًا .

=

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بأن الرسلَ قد بلَّغوا ، ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ بما عمِلْتم أو فعَلْتم[1] .

وحدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ فُضَيلٍ ، عن أبى مالكٍ الأشْجعىِّ ، عن المغيرةِ ابنِ عُتَيْبةَ[2] بنِ النَّهّاسِ ، أن مُكْتِبًا[3] لهم حدَّثهم ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « إنِّى وأُمَّتى لعلى كَوْمٍ[4] يومَ القيامةِ مُشْرِفين على الخلائقِ ، ما أحدٌ من الأُمَمِ إلا ودَّ أنه [٤/٦٦و] منا[5] أيَّتُها[6] الأُمَّةُ ، وما من نبىٍّ كذَّبه قومُه إلا نحن شُهَداؤُه يومَ القيامةِ أنه قد بلَّغ رسالاتِ ربِّه ونصَح لهم . قال : [7] والرسولُ عليكم شهيدٌ[7] » .

وحدَّثنى عصامُ بنُ رَوّادِ[8] بنِ الجرّاحِ العسقلانىُّ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال :

= وأخرجه عبد بن حميد (٩١١) - وعنه الترمذى ١٩٠/٥ (٢٩٦١) - والبيهقى فى الشعب (٢٦٤) من طريق جعفر به .

(١) تفسير سفيان ص ٥١.

(٢) فى م : « عيينة » . ينظر الجرح والتعديل ٢٢٧/٨ .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مكاتبًا » . والمكتب : المعلِّم . التاج (ك ت ب) .

(٤) الكوم : المواضع المشرفة ، واحدها كومة . النهاية ٢١١/٤ .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « منها » .

(٦) هذه اللفظة تقال فى الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه ، كما فى حديث كعب بن مالك : فتخلفنا أيتها الثلاثة . يريد تخلفهم عن غزوة تبوك وتأخر توبتهم . ينظر النهاية ١/ ٨٨، واللسان (أيا) .

(٧ - ٧) فى م : « ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

والحديث عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٤/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن مردويه وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٢٧٦/١ - من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن أبى مالك الأشجعى به . وينظر المؤتلف للدارقطنى ٢١٣٢/٤ .

(٨) فى م : « وراد » ، وفى ت٢ ، ت٣ : « داود » . ينظر الجرح والتعديل ٢٦/٧ .

حدَّثنا الأوزاعيُّ ، عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي[1] الفضلِ ، عن أبي هريرةَ ، قال : خرَجْتُ مع النبيِّ ﷺ في جِنازةٍ ، فلما صُلِّي على الميتِ قال الناسُ : نِعمَ الرجلُ . فقال النبيُّ ﷺ : « وَجَبَتْ » . ثم خرَجْتُ معه في جِنازةٍ أُخرى ، فلمّا صلَّوْا على الميتِ قال الناسُ : بئسَ الرجلُ . فقال النبيُّ ﷺ : « وَجَبَتْ » . فقام إليه أُبيُّ بنُ كعبٍ فقال : يا رسولَ الله ، ما قولُك : وَجبتْ ؟ قال : « قولُ اللهِ : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ » .

٩/٢ / وحدَّثني عليُّ بنُ سهلٍ الرمْليُّ ، قال : حدّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : حدَّثني أبو عمروٍ ، عن يحيى ، قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ أبي الفضلِ المدينيُّ ، قال : حدَّثني أبو هريرةَ ، قال : أُتي رسولُ اللهِ ﷺ بجِنازةٍ ، فقال الناسُ : نِعمَ الرجلُ . ثم ذكَر نحوَ حديثِ عصامٍ ، عن أبيه[2] .

[3]حدَّثنا العباسُ بنُ الوليدِ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني الأوزاعيُّ ، قال : حدَّثني يحيى بنُ أبي كثيرٍ ، قال : حدَّثني عبدُ اللهِ ، قال : حدَّثني أبو هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوِه[3] .

وحدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا زيدُ بنُ حُبَابٍ ، قال : حدَّثنا عكرمةُ بنُ عمارٍ ، قال : حدَّثني إياسُ بنُ سلمةَ بنِ الأكوعِ ، عن أبيه ، قال : كنا مع النبيِّ ﷺ فمُرَّ

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٩/١ (١٣٣٤) من طريق الوليد به . وعبد الله بن أبي الفضل مجهول . وأخرجه أحمد ٥١٣/١٢، ٢٨٧/١٦، ٤٨٧ (٧٥٥٢، ١٠٤٧١، ١٠٨٣٦) ، وغيره عن أبي هريرة بمعناه دون ذكر أُبي بن كعب ، وقال في آخره : « إنكم شهداء الله في الأرض » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

بجنازةٍ عليه فأُثْنى عليها ثناءٌ[(١)] حسنٌ ، فقال : « وَجَبَتْ » . ومُرَّ عليه بجِنازةٍ أُخْرى ، فأُثْنى عليها دونَ ذلك ، فقال : « وَجَبَتْ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ما « وجَبَتْ ؟ » قال : « الملائكةُ شُهداءُ اللهِ فى السماءِ ، وأنتم شُهداءُ اللهِ فى الأرضِ ، فما شَهِدْتم عليه [(٢)] من شىءٍ [(٢)] وَجَبَتْ » . ثم قرأ : « ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ »[(٣)] الآية [التوبة : ١٠٥] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ : تكونوا شهداءَ لمحمدٍ ﷺ على الأُمَمِ ؛ اليهودِ والنصارَى والمجوسِ[(٤)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، قال : يأْتى النبىُّ ﷺ يومَ القيامةِ بإذنِه[(٥)] ليس معه أحدٌ ، فتَشْهَدُ له أمةُ محمدٍ ﷺ أن قد[(٦)] بلَّغهم .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن أبيه ، أنه سمِع عُبيدَ بنَ عُميرٍ [(٢)] يقولُ . فذكَر [(٢)] مثلَه[(٧)] .

---

(١) فى م : « بثناء » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/٣٦٨ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦/١٨٧٧ (١٠٠٥٥) ، والطبرانى فى الكبير (٦٢٥٩ ، ٦٢٦٢) من طرق عن إياس بن سلمة به .

(٤) تقدم أوله فى ص ٦٢٧ .

(٥) فى ت٢ : « بادية » ، وغير منقوطة فى ت١ . وينظر الدر المنثور ١/ ١٤٦ .

(٦) كتب مقابله فى حاشية الأصل : « ربه لا صلى » . ولم نهتد إلى صوابها .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٥ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٦ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : حدثنى ابنُ أبى نَجيحٍ ، عن أبيه ، قال : يأتى النبىُّ ﷺ يومَ القيامةِ . فذكَر مثلَه ، ولم يذكُرْ عُبيدَ بنَ عُميرٍ[(١)] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أى : أنَّ رسلَهم قد بلّغت قومَها عن ربِّها ، ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ على أنه قد بلَّغ رسالاتِ ربِّه [٤/٦٦ظ] إلى أُمتِه .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادَةَ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ : لتكونَ هذه الأمةُ شهداءَ على الناسِ أن الرسُلَ قد بلَّغتهم ، ويكونَ الرسولُ على هذه الأمةِ شهيدًا أن قد بلَّغ ما أُرْسِل به[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن زيدِ ابنِ أسلمَ ، أنّ قومَ نوحٍ يقولون يومَ القيامةِ : لم يبلِّغْنا نوحٌ . فيُدْعَى نوحٌ فيُسألُ : هل بلَّغتَهم ؟ فيقولُ : نعم ، [(٣]قد بلَّغتُهم[٣)] . فيقالُ : من شُهودُك ؟ فيقولُ : أحمدُ وأُمتُه . فتُدْعَوْن فتُسأَلون فتقولون : نعم قد بلَّغهم . فيقولُ قومُ نوحٍ : كيف تَشْهدون[(٤)] علينا ولم تُدْرِكونا[(٥)] ؟ قالوا : قد جاءنا[(٦)] نبيُّ اللهِ فأخبَرنا أنه قد بلَّغكم ، وأُنزلَ عليه أنه قد بلَّغكم ، فصدَّقْناه . قال : فيُصدَّق نوحٌ [(٧]ويكذبون هم[٧)] . قال : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[(٨)] .

---

(١) بعده فى م : « مثله » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٦٠ ، ٦١ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى الأصل : « يشهدون » .

(٥) فى الأصل : « يدركونا » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « جاء » .

(٧ - ٧) فى م : « ويكذبونهم » .

(٨) تفسير عبد الرزاق ١/٦١ .

/ حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن ٢/١٠
زيدِ بنِ أسلمَ ، أن الأممَ يقولون يومَ القيامةِ : واللهِ لقد كادت هذه الأمةُ أن يكونوا[1]
أنبياءَ كلَّهم . لِما يَرَوْن اللهَ أعطاهم[2] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن رِشدِينَ[3] بنِ سعدٍ ، قال : أخبَرنى ابنُ أنعمٍ المَعافرِىُّ ، عن حِبّانَ بنِ أبى جَبَلَةَ ، يُسْنِدُه[4] إلى رسولِ اللهِ ﷺ قال : « إذا جمَع اللهُ عبادَه يومَ القيامَة كان أوَّلَ من يُدْعَى إسْرافيلُ ، فيقولُ له ربُّه : ما فعَلْتَ فى عَهْدى ؟ هل بَلَّغْتَ عَهْدى ؟ فيقولُ : نعم رَبِّ ، قد بَلَّغْتُه جبْريلَ . فيُدْعَى جبْرِيلُ فيقالُ له : هل بَلَّغَك[5] إسْرافيلُ عَهْدى ؟ فيقولُ : نعم ربِّ ، قد بَلَّغنى . فيُخَلَّى عن إسرافيلَ ، ويقالُ لجبريلَ : هل بَلَّغْتَ عَهْدى ؟ فيقولُ : نعم قد بَلَّغْتُ الرُّسُلَ . فتُدْعَى الرسلُ فيقالُ لهم : هل بَلَّغَكم جبريلُ عَهْدِى ؟ فيقولون : نعم رَبَّنا . فيُخَلَّى عن جبريلَ ، ثم يقالُ للرسلِ : ما فَعَلتم بعَهْدى ؟ فيقولون : بلَّغْنا أُمَمَنا . فتُدْعى الأُمَمُ فيقالُ : هل بَلَّغَكم الرسلُ عَهْدى ؟ فمنهم المُكَذِّبُ ، ومنهم المُصدِّقُ ، فتقولُ الرسلُ : إن لنا عليهم شُهودًا يَشْهَدون أنْ قد بَلَّغْنا مع شَهادتِك . فيقولُ : من يَشْهَدُ لكم ؟ فيقولون : أُمَّةُ أحمدَ . فتُدْعَى أُمةُ أحمدَ . فيقولُ : أتَشْهَدُون أن رُسُلى هؤلاء قد بَلَّغوا عَهْدى إلى من أُرْسِلوا إليه ؟ فيقولون : نعم رَبَّنا ، شهِدْنا أنْ قد بَلَّغوا . فتقولُ تلك الأُمَمُ : ربَّنا[6] ، كيف يَشْهَدُ علينا من لم يُدْرِكْنا ؟ فيقولُ لهم الرَّبُّ : كيف تَشْهَدون على من لم تُدْرِكوا ؟

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « تكون » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٦١/١ .

(٣) فى م : « راشد » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « رشد » .

(٤) فى م : « بسنده » .

(٥) فى م : « بلغت » .

(٦) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

فيقولون : رَبَّنا بَعَثْتَ إلينا رسولًا ، وأنزَلْتَ إلينا عهْدَك وكتابَك ، وقصَصْتَ علينا أنهم قد بَلَّغُوا ، فشهِدْنا بما عَهِدْتَ إلينا . فيقولُ الرَّبُّ : صَدَقُوا . فذلك قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . والوسطُ العدلُ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ » . قال ابنُ أنعمٍ : فبلَغنى أنه يشهَدُ يومئذٍ أمةُ محمدٍ إلا من كان فى قلبِه [٦٧/٤و] حِنَةٌ[(١)] على أخيه[(٢)] .

حدثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ : يَعنى بذلك الذين استقاموا على الهدَى ، فهم الذين يكونون شهداءَ على الناسِ يومَ القيامةِ ، لتكذيبِهم رسلَ اللهِ ، وكفرِهم بآياتِ اللهِ .

وحدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : لتكونوا شهداءَ على الأُممِ الذين
١١/٢ خلَوْا من قبلِكم بما جاءتهم به[(٣)] رسلُهم ، وبما كذَّبوهم ، / فقالوا يومَ القيامةِ وعجِبوا : إن أمةً لم يكونوا فى زمانِنا ، فآمَنوا بما جاءَت به رسلُنا ، وكذَّبْنا نحن بما جاءُوا به ! فعجِبوا كلَّ العجبِ[(٤)] .

وقولُه : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ يعنى : بإيمانِهم به ، وبما أُنزِل عليه .

---

(١) الحنة : العداوة ، وهى لغة قليلة فى الإحنة . النهاية ١/٤٥٣ .

(٢) إسناده مرسل ضعيف ؛ رشدين وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيفان . وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٥٩٨) ، ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الأهوال (٢٣٧) .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٤٩ (١٣٣٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، بأوله .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : يعنى أنهم شُهداءُ[(١)] على القرونِ بما سمَّى اللَّهُ لهم .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : قلتُ لعطاءٍ : ما قولُه : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ قال : أمةُ محمدٍ شُهداءُ[(١)] على من ترَك الحقَّ حين جاءَه ، [(٢)]والإيمانَ[(٢)] والهدَى ممن كان قبلَنا . [(٣)]وقالها[(٣)] عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ . قال : وقال عطاءٌ : هم[(٤)] شهداءُ على من ترَك الحقَّ ، من[(٥)] ترَكه من الناسِ أجمعين ، جاء ذلك أمةَ محمدٍ في كتابِهم ، ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ على أنهم قد آمَنوا بالحقِّ حين جاءهم ، وصدَّقوا به[(٦)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ قال : رسولُ الله ﷺ شاهدٌ على أمَّتِه ، وهم شهداءُ على الأُمَمِ ، وهم أحدُ الأشهادِ الذين قال اللهُ : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] [(٧)]والأشهادُ أربعةٌ :[(٧)] الملائكةُ الذين يُحصُون أعمالَنا ، لنا وعلينا . وقرَأ قولَه : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] وقال : هذا يومُ القيامةِ . قال : والنبيُّون شهداءُ على أُممِهم . قال : وأمةُ محمدٍ شهداءُ

---

(١) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « شهدوا » .

(٢ - ٢) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الإيمان » .

(٣ - ٣) سقط من : ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، وفي م : « قالها » .

(٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥) في م : « ممن » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٠/١ (١٣٣٧) من طريق حجاج به .

(٧ - ٧) في م : « الأربعة » .

على الأُمِمِ . قال : والأطوارُ الأجسادُ والجلودُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ : ولم نجعَلْ صرْفَكَ عن القبلةِ التى كنتَ على التوجُّهِ إليها يا محمدُ ، فصرَفْناكَ عنها ، إلا لنعلَمَ من يتَّبِعُك[(٢)] ممن ينقلِبُ على [٤/٦٧ظ] عَقِبيه .

والقبلةُ التى كان ﷺ عليها ، التى عناها اللهُ بقولِه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ ، هى القبلةُ التى [(٣)]كان يتوجَّهُ[(٣)] إليها قبلَ أن يَصْرِفَه[(٤)] إلى الكعبةِ .

كما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، عن أسباطَ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ يَعنى بيتَ المقدِس[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلت لعطاءٍ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ ؟ قال : القبلةُ بيتُ المقدسِ[(٦)] .

وإنما ترَك ذكرَ الصرفِ عنها اكتِفاءً بدَلالةِ ما قد ذُكِر من الكلامِ على مغْناه ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣٥٢ إلى المصنف وابن أبى حاتم ، بلفظ : الأشهاد أربعة ....
وقوله : « الأطوار » . لعل الصواب : « الأطراف » . وفى التبيان ٢/ ٧: قال ابن زيد : الأشهاد أربعة ... والجوارح كما قال : ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ .

(٢) بعده فى م : « ممن لا يتبعك » .

(٣ - ٣) فى م : « كنت تتوجه » .

(٤) فى م : « يصرفك » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٥٠ عقب الأثر (١٣٤٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٥٠ (١٣٤٠) من طريق حجاج به .

كسائرِ ما قد ذكرْنا فيما مضَى من نظائرِه[(١)] .

وإنما قلنا ذلك مغْناه ؛ لأن محنةَ اللهِ أصحابَ رسولِه فى القبلةِ إنما كانت - فيما

تظاهَرَت به الأخبارُ - عند / التحويلِ من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ ، حتى ارتدَّ - فيما ١٢/٢

ذُكر - رجالٌ ممن كان قد أسلَم واتَّبعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأظهَر[(٢)] كثيرٌ من المنافقين من أجلِ ذلك نفاقَهم ، وقالوا : ما بالُ محمدٍ يحوِّلُنا مرَّةً إلى هلهنا ، ومرَّةً إلى هلهنا . ومرَّةً إلى ههنا . وقال المسلمون[(٣)] فى أنفسِهم وفى من[(٣)] مضَى من إخوانِهم المسلمين ، وهم يصلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ : بطَلَتْ أعمالُنا وأعمالُهم وضاعتْ . وقال المشرِكون : تحيّرَ محمدٌ فى دينِه . فكان ذلك فتنةً للناسِ وتمحيصًا للمؤمنين ، فلذلك قال جل ثناؤه : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ بمعنى[(٤)] : وما جعلْنا صرْفَك عن القبلةِ التى كنتَ عليها . وتحويلَك إلى غيرِها . كما قال جل ثناؤه : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء : ٦٠] بمعنى : وما جعلْنا خبرَك عن الرُّؤْيا التى أريناك . وذلك أنه لو لم يكنْ أخبرَ القومَ بما كان أُرِىَ ﷺ ، لم يكنْ فيه على أحد فتنةٌ . وكذلك القبلةُ الأُولى التى كانت نحوَ بيتِ المقدسِ لو لم يكنْ صرفٌ عنها إلى الكعبةِ ، لم يكنْ فيها على أحدٍ فِتْنةٌ ولا محنةٌ .

ذِكرُ الأخبارِ التى رُوِيت فى ذلك بمعْنى ما قلنا

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، قال :

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/١٣٩ - ١٤١ ، ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) فى الأصل : « أصر » .

(٣ - ٣) فى م : « فيما » .

(٤) فى م : « أى » .

كانت القبلةُ فيها بلاءٌ وتمْحيصٌ ، صلَّتِ الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ حولَيْن قبل قدومِ نبيِّ اللهِ ﷺ المدينةَ[(١)] ، وصلَّى نبيُّ اللهِ بعد قُدومِه المدينةَ مهاجرًا نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ[(٢)] عشرَ شهرًا ، ثم وَجَّهه اللهُ بعدَ ذلك إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فقال فى ذلك قائلُون من الناسِ : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ ؟ لقد اشتاقَ الرجلُ إلى مولدِه ! قال اللهُ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ [٤/٦٨و] مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . فقال أناسٌ لمّا صُرِفت القبلةُ نحوَ البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالِنا التى كنا نعمَلُ فى قبلتِنا الأُولَى ؟ فأنزلَ اللهُ جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ ، وقد يَبتلى اللهُ العبادَ بما شاء من أمرِه ، الأمرَ بعدَ الأمرِ ؛ ليعلمَ من يُطيعُه ممن يَعصِيه ، وكلُّ ذلك مقبولٌ إذا كان فى إيمانٍ باللهِ ، وإخلاصٍ له ، وتَسليمٍ لقضائِه[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : كان النبىُّ ﷺ يصلِّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، فنَسَختها الكعبةُ ، فلمّا توَجَّه قِبَلَ المسجدِ الحرامِ ، اختلفَ الناسُ فيها فكانوا أصنافًا ؛ فقال المنافقون : ما بالُهم كانوا على قبلةٍ زمانًا ، ثم ترَكوها وتوجَّهُوا[(٤)] غيرَها ؟ وقال المسلمون : ليت شِعْرَنا عن إخوانِنا الذين ماتوا وهم يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، هل تَقبَّل اللهُ منّا ومنهم أم لا ؟ وقالت اليهودُ : إن محمدًا اشتاقَ إلى بلدِ أبيه ومولدِه ، ولو ثبَت على قبلتِنا ، لكنا نرجُو أن يكونَ هو صاحبَنا الذى ننتظِرُ . وقال المشرِكون من أهلِ مكةَ : تحيَّرَ [(٥)] محمدٌ على[(٥)] دينِه ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « سبعة » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٣/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وتقدم أوله فى ص ٦٢٤، ٦٢٥ .

(٤) بعده فى م : « إلى » .

(٥ - ٥) فى م : « على محمد » .

فتوجَّه بقبلتِه إليكم ، وعلِم أنكم كنتم أهدَى منه ، ويوشِكُ أن يدخُلَ في دينِكم . فأنزَل اللهُ في المنافقين : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ وأنزلَ في الآخَرين الآياتِ بعدَها[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ إِلَّا / لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ ؟ فقال ١٣/٢
عطاءٌ : يَبْتليهم ليعلمَ من يُسلِمُ لأمرِه . قال ابنُ جُريجٍ : بلَغني أن ناسًا ممن أسلَم رجَعوا فقالوا : مرَّةً هٰهنا ومرَّةً هٰهنا[2] !

فإن قال لنا قائلٌ : أوَ ما كان اللهُ عالمًا بمن يتَّبِعُ الرسولَ ممن ينقلِبُ على عَقِبيه ، إلا بعدَ اتِّباعِ المتَّبعِ ، وانقلابِ المنقلِبِ على عَقِبيه ، حتى قال : ما فعَلْنا الذى فعَلْنا من تحويلِ القبلةِ إلا لنعلَمَ المتَّبعَ رسولَ اللهِ من المنقلِبِ على عَقِبيه ؟

قيل : إن اللهَ جل ثناؤُه هو العالمُ بالأشياءِ كلِّها قبلَ كونِها ، وليس قولُه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [3]بخبرِ عن[3] أنه لم يعلَمْ ذلك إلا بعدَ وجودِه .

فإن قال : فما معْنى ذلك ؟

قيل له : أمّا معْناه عندَنا فإنه : وما جعَلْنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلا ليعلمَ رسولى وحِزْبى وأوْليائى مَن يتَّبعُ الرسولَ ممن ينقلِبُ على عَقِبيه ، فقال جل ثناؤُه : ﴿ إِلَّا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٢/١ إلى المصنف . وتقدم أوله فى ص ٦٢٤. وينظر ما سيأتى فى ص ٦٨٧.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥١/١ عقب الأثر (١٣٤٢) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) فى م : « يخبر » .

لِنَعْلَمَ ﴾ . ومعناه : ليعلَمَ رسولى وأوليائى . إذْ كان رسولُه وأولياؤُه من حزْبه ، وكان من شأنِ العربِ إضافةُ ما فعَلته أتباعُ الرئيسِ إلى الرئيسِ ، وما فعَل بهم إليه ، نحوَ قولِهم : فتَح عمرُ بنُ الخطابِ سوادَ العراقِ ، وجبَى خراجَها . وإنما فعَل ذلك أصحابُه عن سببٍ كان منه فى ذلك .

وكالذى رُوِى فى نظيرِه عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « يقولُ اللهُ : مَرِضْتُ فلم يَعُدْنى عَبْدى ، واسْتَقْرَضْتُه فلم يُقْرِضْنى ، وشَتَمَنى ولم يَنْبَغِ له أن يَشْتُمَنى » .

[٦٨/٤ظ] حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا خالدٌ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يقولُ[(١)] اللهُ : استقْرَضْتُ عَبْدى فلم يُقْرِضنى ، وشَتَمَنى ولم يَنْبَغِ له أن يَشْتُمَنى ، يقولُ : وادَهْراه . [(٢)]وأنا[(٢)] الدهْرُ ، أنا الدهْرُ » .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه .

فأضاف تعالى ذكرَه الاستقراضَ والعيادةَ إلى نفسِه ، وإن[(٣)] كان ذلك بغيرِه ، إذْ كان ذلك عن سَببِه .

وقد حُكِى عن العربِ سماعًا : أجوعُ فى غيرِ بطنى ، وأعْرَى فى غيرِ ظهرِى . بمعنى جوعِ أهلِه وعيالِه ، وعُرْىِ ظهورِهم . فكذلك قولُه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى :

---

(١) فى م : « قال » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « أنا » .

(٣) فى م : « قد » .

يعلَمُ أوليائى وحِزْبى . وبنحوِ ما[(١)] قلْنا فى ذلك [(٢)] قالت جماعةٌ من [٢)] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ ، عن علىٍّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : لنَميزَ أهلَ اليقينِ من أهلِ الشكِّ[(٣)] والرِّيبةِ[(٤)] .

وقد[(٥)] قال بعضُهم : إنما قيلَ ذلك من أجلِ أن العربَ تضَعُ العِلْمَ مكانَ الرؤْيةِ ، والرؤيةَ مكانَ العلمِ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] ، فزعَم أن معنى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تعْلَمْ ؟ وزعَم / أن معنى قولِه : ١٤/٢
﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى : إلا لنَرى من يتّبعُ الرسولَ . وزعَم أن قولَ القائلِ : رأيْتُ وعلِمتُ وشهِدتُ . حروفٌ تتعاقَبُ ، فيوضَعُ بعضُها موضعَ بعضٍ ، كما قال جريرُ ابنُ عطيةَ[(٦)] :

كأنّك لم تَشْهَدْ لَقِيطًا وحاجِبًا ... وعمرَو بنَ عمرٍو إذ دعا[(٧)] يا لدارِمِ

بمعنى : كأنك لم تعلَمْ لقيطًا ؛ لأن بينَ هُلْكِ لَقيطٍ وحاجبٍ وزمانِ جريرٍ ما لا يَخْفى بُعدُه من المُدَّةِ ، وذلك أن الذين ذكَرهم هلكوا فى الجاهليةِ ، وجريرٌ كان بعدَ

---

(١) فى م : « الذى » .

(٢ - ٢) فى م : « قال » .

(٣) فى م : « الشرك » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٥٠ (١٣٤١) من طريق أبى صالح به .

(٥) سقط من : م .

(٦) ديوان جرير ٢/ ١٠٠٤ .

(٧) فى الديوان : « دعوا » .

بُرهةٍ مضَت من مجيءِ الإسلامِ .

وهذا تأويلٌ بعيدٌ ؛ من أجلِ أن الرؤْيةَ وإن استُعْملت فى موضعِ العلمِ ، من أجلِ أنه مستحِيلٌ أن يَرَى أحدٌ شيئًا ، فلا توجِبُ له[(١)] رؤيتُه إياه علْمًا بأنه قد رآه ، إذا كان صحيحَ الفِطرةِ ، فجاز من الوجهِ الذى أثبتَه رؤيةً أن يُضافَ إليه إثباتُه إياه علْمًا ، وصحَّ أن يدُلَّ بذكرِ الرؤيةِ على معنى العلمِ من أجلِ ذلك ، فليس ذلك وإن جاز[(٢)] فى الرؤيةِ - لما وصفْنا - بجائزٍ فى العلمِ ، فيدُلَّ بذكرِ الخبرِ عن العلمِ على الرؤْيةِ ؛ لأن المرءَ قد يعلَمُ أشياءَ كثيرةً لم يرَها ولا يراها ، ويستَحِيلُ أن يَرَى شيئًا إلا علِمه ، [(٣)]على ما[(٣)] قد قدَّمنا البيانَ ، مع أنه غيرُ موجودٍ فى شىءٍ من كلامِ العربِ أن يقالَ : علِمتُ كذا . بمعنى : رأيتُه . وإنما يجوزُ توجيهُ معانى ما فى كتابِ اللهِ الذى أنزَله على محمدٍ ﷺ من الكلامِ ، إلى ما كان موجودًا مثلَه فى كلامِ العربِ ، دونَ ما لم يكنْ موجودًا فى كلامِها ، فموجودٌ فى كلامِها : رأيتُ[(٤)] . [٦٩/٤و] بمعنى : علِمتُ[(٥)] . وغيرُ موجودٍ فى كلامِها : علِمتُ[(٥)] بمعنى : رأيتُ[(٤)] . فيجوزُ توجيهُ قولِه[(١)] : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ إلى معنى : إلَّا لنرَى .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ من أجلِ أنّ المنافقين واليهودَ وأهلَ الكفرِ باللهِ أنكَروا أن يكونَ اللهُ تعالى ذكرُه يعلَمُ الشىءَ قبلَ كونِه ، وقالوا - إذْ قيل لهم : إن قومًا من أهلِ القبلةِ سيرْتدُّون على أعقابِهم إذا حُوِّلت قبلةُ محمدٍ إلى الكعبةِ - : ذلك غيرُ كائنٍ . أو قالوا : ذلك باطلٌ . فلمَّا فعَل اللهُ ذلك ، وحوَّل القبلةَ ، وكفَر من أجلِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « كان » .

(٣ - ٣) فى م : « كما » .

(٤) فى الأصل : « أرأيت » .

(٥) فى الأصل : « أعلمت » .

ذلك من كفَر ، قال جل ثناؤه : ما فعَلتُ إلا ليُعلَمَ (١) عندَكم - أيها (٢) المنكِرون علْمِى بما هو كائنٌ من الأشياءِ قبل كونِه - أنى عالمٌ بما هو كائنٌ مما لم يكنْ بَعدُ .

فكأنّ معْنى قائِلِى (٣) هذا القولِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ : إلا ليتبيَّن (٤) لكم أنّا نعلمُ من يتَّبعُ الرسولَ ممّن ينقلبُ على عَقِبَيْه . وهذا وإنْ كانَ وجهًا لهُ مَخْرجٌ ، فبعيدٌ من المفهومِ .

وقال آخرون : إنّما قيل : ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ - وهو بذلك عالمٌ قبلَ كونِه ، وفى (٥) حالِ كونِه (٥) - على وجهِ الترفُّقِ (٦) بعبادِه واستمالتِهم إلى طاعتِه ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ : ٢٤] وقد عَلِم أنه على هدًى وأنهم على ضلالٍ مبينٍ ، ولكنَّه رفَق بهم فى الخطابِ ، فلم يقُلْ : إنا على هدًى وأنتم على ضلالٍ . فكذلك قولُه : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ معناه عندَهم : إلا لتعلَموا أنتم إذْ كنتم جُهّالًا به قبلَ أن يكونَ . فأضاف العلمَ إلى نفسِه ، رفقًا بخطابِهم .

وقد بينَّا القولَ الذى هو أولَى (٧) ذلك بالحقِّ .

فأما قولُه : ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ . فإنه يعنى : الذى يتَّبعُ محمدًا ﷺ رسولَ اللهِ ، فيما يأمرُه اللهُ به ، فيتوَجَّهُ (٨) نحوَ الوجهِ الذى يتوجَّهُ نحوَه محمدٌ ﷺ .

---

(١) فى م : « لنعلم ما » .
(٢) بعده فى م : « المشركون » .
(٣) فى م : « قائل » .
(٤) فى م : « لنبين » .
(٥ - ٥) فى م : « كل حال » .
(٦) فى م : « الترفيق » .
(٧) بعده فى م : « فى » .
(٨) فى م : « فيوجه » .

١٥/٢ / وأما قولُه : ﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ فإنه يعنى به[(١)] : من الذى يرتدُّ عن دينِه ، فيُنافقُ ، أو يكفُرُ ، أو يخالفُ محمدًا ﷺ فى ذلك ، ممن يُظهِرُ اتِّباعَه .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ قال : من إذا دخَلته شبهةٌ رجَع عن اللهِ ، وانقلَب كافرًا على عَقِبيْه .

وأصلُ المرتدِّ على عَقِبيه - [(٢)]وهو[(٢)] المنقلِبُ على عَقِبيه - الراجعُ مستدبِرًا فى الطريقِ الذى قد كان قطَعه ، منصرِفًا عنه ، فقيل ذلك لكلِّ راجعٍ عن أمرٍ كان فيه ، من دينٍ أو خبرٍ[(٣)] ، ومن ذلك قولُه : ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف : ٦٤] بمعنى : رجَعا فى الطريقِ الذى كانا سلَكاه .

وإنما قيل للمرتدِّ : مُرتدٌّ . [(٤)]من ذلك[(٤)] ؛ لرُجوعِه عن دينِه وملَّتِه التى كان عليها . وإنما قيل : رجَع على عَقِبيه . لرُجوعِه دُبُرًا على عَقِبيْه[(٥)] إلى الوجهِ الذى كان فيه بدءُ سيرِه قبلَ مرجِعِه عنه . فجُعل[(٦)] ذلك مثلًا لكلِّ تاركٍ أمرًا وآخذٍ آخرَ غيرَه ، إذا انصَرف عما كان فيه إلى الذى كان [٦٩/٤ظ] له تاركًا فأخذَه ، فقيل : ارتدَّ فلانٌ على عَقِبيه[(٥)] ، وانقلَب على عَقِبيْه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « هو » .

(٣) فى م : « خير » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « عقبه » .

(٦) فى م : « فيجعل » .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى التى وصَفها اللهُ جل ثناؤه بأنها كانت كبيرةً إلا على الذين هدَى اللهُ .

فقال بعضُهم : عنَى جل ثناؤه بالكبيرةِ التوليةَ من بيتِ المقدسِ شطرَ المسجدِ الحرامِ والتحويلةَ(١) ، وإنما أُنِّثت(٢) الكبيرةُ لتأنيثِ التوليةِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ (٣) قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ (٣) ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : قال اللهُ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ يعنى : تحويلَها(٤) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهلىُّ ، قال : حدَّثنا الضَّحّاكُ بنُ مَخْلَدٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ قال : ما أُمِروا به (٥) من التَّحوُّلِ (٥) إلى الكعبةِ من بيتِ المقدسِ(٦) .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) فى م : « التحويل » .

(٢) فى م : « أنث » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥١/١ (١٣٤٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فى التحويل » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم ٢٥١/١ (١٣٤٣) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ . قال : كبيرةٌ حين حُوِّلتِ القبلةُ إلى المسجدِ الحرامِ ، فكانت كبيرةً إلا على الذين هدَى اللهُ[١] .

وقال آخرون : بل الكبيرةُ هى القبلةُ بعينِها التى كان ﷺ يتوجَّهُ إليها من بيتِ المقدسِ قبلَ التحويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، [٢]عن الربيعِ[٢] ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ . أى قبلةَ بيتِ المقدسِ : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[٣] .

١٦/٢ / وقال بعضُهم : بل الكبيرةُ هى الصلاةُ التى كانوا صلَّوْها[٤] إلى القبلةِ الأُولى.

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ قال : صلاتَكم حتى يَهديَكم اللهُ القبلةَ[٥] .

وقد حدَّثنى[٦] يونسُ مرَّةً أُخرى فقال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٦١ ، ٦٢ .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، وهو من الأسانيد الدائرة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥١ عقب الأثر (١٣٤٣) من طريق أبى جعفر به .

(٤) فى م : « يصلونها » .

(٥) سيأتى بتمامه فى ص ٦٥٠.

(٦) بعده فى م : « به » .

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ . قال : صلاتَكم[(١)] هلهنا - يعنى إلى بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهرًا - وانحرافَكم[(٢)] هلهنا .

وقال بعضُ نحويِّي البصرةِ : أُنِّثت الكبيرةُ لتأنيثِ القبلةِ ، وإيّاها عنَى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ .

وقال بعضُ نحويِّي الكوفةِ : بل أُنِّثت الكبيرةُ لتأنيثِ التوليةِ والتحويلةِ .

فتأويلُ الكلامِ على معنَى [٧٠/٤و] ما تأوَّله قائلُو هذه المقالةِ : وما جعلَنا تحويلَتَنا إيّاكَ عن القبلةِ التى كنتَ عليها وتولِيتَنَاكَ عنها ، إلا لنعلَمَ من يتبعُ الرسولَ ممن ينقلِبُ على عَقِبيْه ، وإن كانت تحويلَتُنا إياك عنها وتولِيتُنَاكَ لكبيرةً إلا على الذين هدَى اللهُ .

وهذا التأويلُ أولَى التأويلاتِ عندى بالصوابِ ؛ لأن القومَ إنما كبُر عليهم تحويلُ النبيِّ ﷺ وجهَه عن القبلةِ الأولَى إلى الأُخرى ، لا عينُ القبلةِ ، ولا الصلاةُ ؛ لأن القبلةَ الأولَى والصلاةَ قد كانت وهى غيرُ كبيرةٍ عليهم . إلا أن يُوجِّهَ موجِّهٌ تأنيثَ الكبيرةِ إلى القبلةِ ، ويقولَ : اجتُزِئ بذكرِ القبلةِ من ذكرِ التوليةِ والتحويلةِ ؛ لدَلالةِ الكلامِ على معنى ذلك . كما قد وصفنا ذلك[(٣)] فى نظائرِه[(٤)] ، فيكونَ ذلك وجهًا صحيحًا ، ومذهبًا مفهومًا .

ومعنَى قولِه : ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ : عظيمةً .

---

(١) فى م : « صلاتك » .

(٢) فى م : « انحرافك » .

(٣) فى م : « لك » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٣٩/١ - ١٤١ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ٦٣٨/٢ ، ٦٣٩ .

كما **حدَّثنا** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ قال : كبيرةٌ فى صدورِ الناسِ ، فيما يدخُلُ الشيطانُ به ابنَ آدمَ ، قال : ما لهم صلَّوْا إلى هٰهنا ستةَ عشرَ شهرًا ثم انحرفُوا ! فكبُر[(١)] فى صُدورِ من لا يعرِفُ ولا يعقِلُ والمنافقين ، قالوا : أىُّ شىءٍ هذا الدينُ ؟ وأما الذين آمنوا فثبَّت اللهُ ذلك فى قلوبِهم . وقرأ قولَ اللهِ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ . قال : صلاتُكم حتى يَهدِيَكم للقبلةِ .

وأما قولُه : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ فإنه يعنى به : وإن [(٢)]كانت نَقْلَتُناك[(٢)] عن القبلةِ التى كنتَ عليها لعظيمةً إلا على من وفَّقه اللهُ فهَداه لتصديقِك ، والإيمانِ[(٣)] بذلك ، واتباعِك فيه ، وفيما أنزلَ اللهُ عليك .

كما **حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ : إلا على الخاشِعين ، يعْنى المصدِّقين بما أنزَل اللهُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ قيل : عَنَى بالإيمانِ فى هذا الموضعِ الصلاةَ .

/ ذكرُ الأخبارِ التى رُويت بذلك وذكرُ قولِ من قاله ١٧/٢

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ وعُبيدُ اللهِ ، **وحدَّثنا** سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا عبيدُ اللهِ بنُ موسى ، جميعًا عن إسرائيلَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن

(١) بعده فى م : « ذلك » .
(٢ - ٢) فى م : « كان تقليبتناك » .
(٣) بعده فى م : « بك و » .

ابنِ عباسٍ ، قال : لما وُجِّه رسولُ اللهِ ﷺ إلى الكعبةِ قالوا : كيف بمن مات من إخوانِنا قبلَ ذلك وهم يصلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ ؟ فأنزلَ [٤/٧٠ظ] اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[(١)] .

حدَّثني إسماعيلُ بنُ موسى السُّدِّيُّ ، قال : أخبرنا شَرِيكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ في قولِ اللهِ عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ قال : صلاتكُم نحوَ بيتِ المقدسِ[(٢)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيرِيُّ ، قال : حدَّثنا شريكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ نحوَه .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ نُفَيلٍ[(٣)] الحرّانيُّ ، قال : حدَّثنا زهيرٌ ، قال : حدَّثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ ، قال : مات على القبلةِ قبلَ أن تُحَوَّلَ إلى البيتِ رجالٌ وقُتلوا ، فلم ندْرِ ما نقولُ فيهم ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٩٨ (٣٢٤٩) - ومن طريقه الخلال في السنة (١١٤٣) - والترمذى (٢٩٦٤) ، وابن حبان (١٧١٧) من طريق وكيع به . وأخرجه الدارمى ١/٢٨١ ، والحاكم ٢/٢٦٩ من طريق عبيد الله بن موسى به . وأخرجه أحمد ٤/٤٢٦، ٤٩٥، ٥/١١٨ (٢٦٩١، ٢٧٧٤، ٢٩٦٤) ، والطبرانى فى الكبير (١١٧٢٩) من طرق عن إسرائيل به . وأخرجه الطيالسى (٢٧٩٥ - طبعتنا) ، وأبو داود (٤٦٨٠) من طريق سماك به .

(٢) أخرجه الطيالسى (٧٥٨ - طبعتنا) ، وسعيد بن منصور فى سننه (٢٢٥- تفسير) ، والخلال فى السنة (١١٤٢) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥١ (١٣٤٧) ، وأبى عمر وعثمان بن محمد السمرقندى فى الفوائد المنتقاة ص (٨٥) ، وابن منده فى الإيمان (١٦٨) من طرق عن شريك به .

(٣) بعده فى م : « عن » .

(٤) تقدم أوله فى ص ٦٢٠ .

قال : قال أناسٌ من الناسِ لما صُرِفَت القبلةُ نحوَ البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالِنا التى كنا نَعملُ فى قبلَتِنا الأُولى[(١)] ؟ . فأنزل اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : لما توجَّه رسولُ الله ﷺ قِبَلَ المسجدِ الحرامِ ، قال المسلمون : ليت شِعْرَنا عن إخوانِنا الذين ماتوا وهم يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، هل تقبَّل اللهُ منَّا ومنهم أم لا ؟ فأنزَل اللهُ فيهم : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ قال : صلاتَكم قِبَلَ بيتِ المقدسِ . يقولُ : إن تلك كانت[(١)] طاعةً وهذه طاعةٌ .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيهِ ، عن الربيعِ ، قال : قال ناسٌ لما صُرِفت القبلةُ إلى البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالِنا التى كنا نعملُ فى قبلَتِنا الأولَى ؟ فأنزلَ اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ الآية .

حدَّثنا القاسمُ ، قال: حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : أخبرَنى داودُ بنُ أبى عاصمٍ ، قال : لما صُرِف [(٢)] رسولُ اللهِ ﷺ [(٢)] إلى الكعبةِ ، قال المسلمون : هلَك أصحابُنا الذين كانوا يصلُّون إلى بيتِ المقدسِ . فنزلَت : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ يقولُ : صلاتَكم التى صلَّيتم[(٣)] من قبلِ أن تكونَ القبلةُ . وكان المؤمنون قد أشفَقوا على من

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) فى م : « صليتموها » .

صلَّى منهم أن لا تُقبلَ صلاتُهم[(١)] .

/حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ قال[(٢)] : صلاتَكم . ١٨/٢

حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ الضِّراريُّ[(٣)] ، قال : أخبرنا مؤمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ قال : صلاتَكم نحوَ بيتِ المقدسِ .

قال أبو جعفرٍ : قد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنَى[(٢)] الإيمانِ التصديقُ ، وأن التصديقَ قد يكونُ بالقولِ وحدَه ، وبالفعلِ وحدَه ، وبهما جميعًا[(٤)] .

فمعنى قولِه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ - على ما تظاهَرتْ به الرِّوايةُ من أنه الصلاةُ - : وما كان اللهُ ليُضيعَ تصديقَكم[(٥)] رسولَه عليه الصلاةُ والسلامُ بصلاتِكم التى صلَّيتُموها نحوَ بيتِ [٧١/٤و] المقدسِ عن أمرِه ؛ لأن ذلك كان منكم تصديقًا لرسولى ، واتِّباعًا لأمرِى ، وطاعةً منكم لى[(٦)] . وإضاعتُه إياه جل ثناؤُه - لو أضاعَه - تركُ إثابةِ أصحابِه وعامليه عليه ، فيذهَبُ ضياعًا ، ويصيرُ باطلًا ، كهيئةِ إضاعةِ الرجلِ مالَه ، وذلك إهلاكُه إياه فيما لا يَعتاضُ منه عِوَضًا فى عاجلٍ ولا آجلٍ . فأخبرَ اللهُ جل ثناؤُه أنه لم يكنْ بالذى[(٧)] يُبطِلُ عمَلَ عاملٍ عمِل له عملًا وهو له طاعةٌ ، فلا يُثيبُه عليه ، وإن نُسِخ ذلك الفرضُ بعدَ عملِ العاملِ إياه على ما كلَّفه من عملِه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى م : « الفزارى » . وينظر تهذيب الكمال ٤٨٢/٢٤ .
(٤) ينظر ما تقدم فى ٢٤٠/١ ، ٢٤١ .
(٥) فى م : « تصديق » .
(٦) بعده فى م : « قال » .
(٧) سقط من : م ، وفى ت ١ : « عمل » .

فإن قال لنا[(١)] قائلٌ : وكيف قال اللهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ فأضاف الإيمانَ إلى الأحياءِ المخاطَبين ، والقومُ المخاطَبون بذلك إنما كانوا أشفَقُوا على إخوانِهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلُّون نحوَ بيتِ المقدسِ ، وفى ذلك من أمرِهم أُنزلت هذه الآيةُ ؟

قيل : إن القومَ وإن كانوا قد[(١)] أشفَقوا من ذلك ، فإنهم أيضًا قد كانوا مشفِقين من حُبوطِ ثوابِ صلاتِهم التى صلَّوْها إلى بيتِ المقدسِ قبلَ التحْويلِ إلى الكعبةِ ، وظنُّوا أن عملَهم ذلك قد بطَل وذهَب ضياعًا ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ حينَئذٍ ، فوجَّه الخطابَ بها إلى الأحياءِ ودخَل فيهم الموتَى منهم ؛ لأن من شأنِ العربِ إذا اجتَمع فى الخبرِ المخاطَبُ والغائبُ ، أن يُغَلِّبوا المخاطَبَ ، فيُدْخلوا[(٢)] الغائبَ فى الخطابِ ، فيقولُوا لرجلٍ خاطَبوه على وجهِ الخبرِ عنه ، وعن آخرَ غائبٍ غيرِ حاضرٍ : فعلْنا بكما وصنعْنا بكما . كهيئةِ خِطابِهم لهما وهما حاضِران ، ولا يَسْتجِيزون أن يقولوا : فعلْنا بهما . وهم يُخاطِبون أحدَهما ، فردُّوا[(٣)] المخاطَبَ إلى عدادِ الغائبِ[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

ومعنى قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أن اللهَ بجميعِ عبادِه ذُو رأفةٍ . والرأفةُ على معانى الرحمةِ ، وهى عامةٌ لجميعِ الخلقِ فى الدنيا ولبعضِهم فى الآخرةِ ، وأمّا الرحيمُ ، فإنه ذُو الرحمةِ للمؤمنين فى الدنيا والآخرةِ على ما قد بيَّنا فيما مضَى قبلُ[(٥)] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « فيدخل » .

(٣) فى م : « فيردوا » .

(٤) فى م : « الغيب » . وهما بمعنى . وينظر ص ١٨٨ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ١/١٢٤ - ١٣٤ .

وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أن اللهَ أرحمُ بعبادِه من أن يُضِيعَ لهم طاعةً أطاعُوه بها فلا يُثِيبَهم عليها ، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذَهم بتركِ ما لم يَفرِضْ عليهم ، أى : فلا تأسَوْا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيتِ المقدسِ ، فإنى لهم - على طاعتِهم إيایَ [٤/٧١ظ] بصلاتِهم التى صلَّوها كذلك - مثيبٌ ؛ لأنى أرحمُ بهم من أن أُضيعَ لهم عملًا عمِلوه لى ، ولا تحزَنُوا عليهم ، فإنى غيرُ مؤاخِذِهم بتركِهم الصلاةَ إلى الكعبةِ ؛ لأنى لم أكنْ فرضْتُ ذلك عليهم ، وأنا أرأفُ بخلقى من أن أعاقِبَهم على تركِهم ما لم آمرْهم بعملِه .

وفى الرءوفِ لغاتٌ : إحداها ، « رَؤُفٌ » على مثالِ (فعُل) ، كما قال الوليدُ بنُ عقبةَ[(١)] :

وشَرُّ الطّالبين[(٢)] فلا تَكُنْهُ /بقاتِلِ[(٣)] عَمِّه الرَّؤُفُ الرَّحيمُ ٢/١٩

وهى قراءةُ عامَّةِ قرأةِ أهلِ الكوفةِ . والأُخْرى : رَءوفٌ على مثالِ (فعولٍ) . وهى قراءةُ عامةِ قَرَأَةِ أهلِ[(٤)] المدينةِ . ورَئِفٌ ، وهى لغةُ غَطَفَانَ ، على مثالِ (فَعِل) ، مثل « حَذِر » . ورأْفٌ ، على مثالِ (فعْل) بجزمِ الهمزِ[(٥)] ، وهى لغةٌ لبنى أَسَدٍ .

---

(١) البيت فى تفسير القرطبى ١٥٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٢٧/١ .

وللوليد بن عقبة أبيات يحض فيها معاوية على قتال على رضى الله عنهما ، وهذا البيت يدور معناه فى فلك هذه الأبيات ، غير أنه ليس منها . ينظر هذه الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٥٦٤، واللسان (ح ل م) .

(٢) فى البحر المحيط : « الظالمين » .

(٣) فى تفسير القرطبى : « يقاتل » ، وفى البحر المحيط : « يقابل » .

(٤) سقط من : م . وقراءة « لرؤُفٌ » هى قراءة أبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر ، وحمزة والكسائى ، وقراءة « لرءُوفٌ » هى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم فى رواية حفص ، وروَى الكسائى عن أبى بكر عن عاصم « لرؤفٌ » .

(٥) فى م : « العين » ، والقراءتان الأخيرتان شاذتان .

والقراءةُ على أحدِ الوجْهين الأوَّلين .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : قد نرَى يا محمدُ نحن تقلُّبَ وجهِك فى السماءِ . ويعْنى بالتقلُّبِ التحوُّلَ والتصرُّفَ . ويعنى بقولِه : ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ نحوَ السماءِ وقِبَلَها .

وإنما قيل ذلك له ﷺ - فيما بلغنا - لأنه كان قبلَ تحويلِ قبلتِه من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ يرفعُ بصرَه إلى السماءِ ، تَنظُّرًا[(١)] من اللهِ جلَّ ثناؤُه أمْرَه بالتحوُّلِ[(٢)] نحوَ الكعبةِ .

كما **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : كان النبىُّ ﷺ يقلِّبُ وجهَه إلى[(٣)] السماءِ يحبُّ أن يَصرِفَه اللهُ إلى الكعبةِ حتى صرَفه اللهُ إليها[(٤)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فكان نبىُّ الله ﷺ يصلِّى نحوَ بيتِ المقدسِ ، يهوَى ويشتَهِى القبلةَ نحوَ البيتِ الحرامِ ، فوجَّهه اللهُ لقبلةٍ كان يهوَاها ويشتَهِيها[(٥)] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ : « ينتظر » .
(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بالتحويل » .
(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فى » .
(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ .
(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف وعبد بن حميد ، نحوه .

عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقولُ : نظرَك فى السماءِ . وكان النبيُّ ﷺ يقلِّبُ وجهَه فى الصلاةِ وهو يصلِّى نحوَ بيتِ المقدسِ ، وكان يهوَى قِبلةَ البيتِ الحرامِ ، فولَّاه اللهُ قبلةً كان يهوَاها[(١)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : كان الناسُ يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، [٧٢/٤و] فلما قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ على رأسِ ثمانيةَ عشرَ شهرًا من مُهاجَرِه ، وكان إذا صلَّى رفَع رأسَه إلى السماءِ ينظُرُ ما يُؤْمَرُ ، وكان يصلِّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، فنسَخَتْها /الكعبةُ . وكان النبيُّ ﷺ يحبُّ أن يُصلِّىَ ٢٠/٢
قِبلَ الكعبةِ ، فأنزَل اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية .

ثم اختُلِف فى السببِ الذى من أجلِه كان النبيُّ ﷺ يهوَى قبلةَ الكعبةِ .

فقال بعضُهم : كرِهَ قبلةَ بيتِ المقدسِ من أجلِ أن اليهودَ قالوا : يتَّبعُ قبلتَنا ويخالِفُنا فى دينِنا !

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قالت اليهودُ : يخالِفُنا محمدٌ ويتَّبعُ قبلَتَنا . فكان يدعُو اللهَ [(٢)] ويستفرِضُ القبلةَ [(٢)] ، فنزَلت : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ - وانقطَع قولُ يهودَ :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٣/١ (١٣٥٦، ١٣٥٨) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٢ - ٢) فى م ، ت ٢ : « يستعرض للقبلة » . قال الشيخ شاكر : ليست بشىء . وقال : أى يطلب فرضها عليه وعلى المؤمنين ، وهذا ما لم تثبته كتب اللغة ، ولكنه صحيح العربية .

يخالِفُنا ويتَّبعُ قِبلَتَنا ! - في صلاةِ الظهرِ ، فجعَل الرجالَ مكانَ النساءِ ، والنساءَ مكانَ الرجالِ[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمعتُه - يعني ابنَ زيدٍ - يقولُ : قال اللهُ لنبيِّه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] . قال : فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « هؤلاء قَوْمُ يَهُودَ يَسْتَقبِلُون بَيْتًا من بُيُوتِ اللهِ - لبيتِ المقدسِ - لو أنا استقْبلْناه » . فاستقْبلَه النبيُّ ﷺ ستةَ عشرَ شهرًا ، فبلَغه أن اليهودَ تقولُ : واللهِ ما دَرَى محمدٌ وأصحابُه أين قِبلتُهم حتى هدَيْناهم . فكرِه ذلك النبيُّ ﷺ ، ورفَع وجهَه إلى السماءِ ، فقال اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ الآية[(٢)] .

وقال آخرون : بل كان يهوَى ذلك من أجلِ أنه كان قبلةَ أبيه إبراهيمَ عليه السلامُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ،عن عليٍّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ لما هاجَر إلى[(٣)] المدينةِ ، وكان أكثرَ أهلِها اليهودُ ، أمَرَه اللهُ أن يستقبلَ بيتَ المقدسِ ، ففرِحت اليهودُ ، فاستقبَلها رسولُ الله ﷺ بضعةَ[(٤)] عشرَ شهرًا ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يحبُّ قبلةَ إبراهيمَ ، فكان يدْعو وينظُرُ إلى السماءِ ، فأنزَل اللهُ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٧ إلى المصنف وعبد بن حميد . وأخرجه البغوى فى تفسيره ١/١٦١ من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . والزنجى ضعيف .

(٢) تقدم فى ص ٤٥٢ .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ستة » .

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية[(١)] .

[٧٢/٤ظ] وأما قولُه : ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ فإنه يعنى : فلنَصرِفَنَّك عن بيتِ المقدسِ إلى قبلةٍ ترضاها. [(٢)]ويعنى بقولِه : ﴿تَرْضَىٰهَا﴾[(٢)] تهوَاها وتُحِبُّها .

وأما قولُه : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ فإنه[(٣)] يعنى به[(٣)] : اصرِفْ وجهَك وحوِّلْه .

وقولُه : ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعنى بالشَّطرِ : النحوَ والقصدَ والتِّلقاءَ ، كما قال الهُذَلِىُّ[(٤)] :

/إن العَسيرَ[(٥)] بها داءٌ مُخامِرُها[(٦)] فشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ[(٧)] ٢١/٢

يعنى بقولِه : شَطْرَها : نحوَها . وكما قال ابنُ أحمرَ[(٨)] :

تَعْدُو بنا شَطْرَ جَمْعٍ[(٩)] وهْى عاقِدَةٌ[(١٠)] قد كارَبَ[(١١)] العَقْدُ من إيفادِها[(١٢)] الحَقَبا[(١٣)]

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٠ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) هو قيس ابن العيزارة ، والعيزارة أمه ، واسمه قيس بن خويلد . والبيت فى شرح أشعار الهذليين ٦٠٧/٢ ، واللسان (ح س ر ، ش ط ر) .

(٥) العسير : الناقة التى ركبت قبل تذليلها . اللسان (ع س ر) .

(٦) خامره الداء : خالطه . اللسان (خ م ر) .

(٧) حسر بصره : كَلّ وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك . اللسان (ح س ر) .

ورواية البيت فى شرح أشعار الهذليين هكذا :

إن النعوس بها داء يخامرها فنحوها بصر العينين مخزور

(٨) مجاز القرآن ٦٠/١ ، وسيرة ابن هشام ٥٥١/١ ، وخزانة الأدب ٢٥٥/٦ .

(٩) جمع : المزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس بها . اللسان (ج م ع) .

(١٠) ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . اللسان (ع ق د) .

(١١) كارب الشىء : قاربه . اللسان (ك ر ب) .

(١٢) فى ت٣ : « إيقادها » . وهو لفظ رواية مجاز القرآن . والإيفاد : الإسراع . اللسان (و ف د) . فهما بمعنى .

(١٣) الحقب : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله ، لئلا يؤذيه التصدير ، أو يجتذبه التصدير ، =

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن[1] أبى العاليةِ : ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ قال[2] : تلقاءَه[3] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ نحوَه[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ نحوَه[5] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ :

= فيقدمه . اللسان (ح ق ب) .

وقال فى الخزانة : وروى أيضا :

تعدو بنا شطر جمع وهى موفدة قد قارب الغرض من إيفادها الحقبا

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ابن » .

(٢) فى م : « يعنى » .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ١٤٧/١ - وعنه ابن أبى شيبة ٣٣٥/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦١، ١٣٦٢) من طريق داود به . وأخرجه ابن عيينة فى تفسيره - كما فى الدر المنثور - وعنه سعيد بن منصور سننه (٢٢٧ - تفسير) عن عاصم الأحول عن أبى العالية ، وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١٤٧/١ إلى عبد بن حميد والدينورى .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى الإتقان ٧/٢ -، والبيهقى ٣/٢ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه البيهقى ٣/٢ .

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أى : تلقاءَ المسجدِ الحرامِ[١] .

حدَّثنا الحسنُ[٢] بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ قال : نحوَ المسجدِ الحرامِ[٣] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أى : تلقاءَه[٤] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : أخبرنى عمرُو بنُ دينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ نحوَه .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا الحِمَّانىُّ ، قال : حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ : ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ قال : قِبَلَه[٥] .

/**حدَّثنى** يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ ٢٢/٢
ناحيتَه ، جانِبَه . قال : وجوانبُه شُطورُه .

ثم اختلَفوا فى المكانِ الذى أمَر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يولِّىَ وجهَه إليه من المسجدِ الحرامِ : فقال بعضُهم : القِبلةُ التى حُوِّل إليها النبىُّ ﷺ ، وعناها اللهُ جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ حِيالَ مِيزابِ[٦] الكعبةِ .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٤ عقب الأثر (١٣٦٤) معلقًا .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٣ : « الحسين » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٦٢ . بزيادة : ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ - أى : تلقاءه .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٤ عقب الأثر (١٣٦١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٤ عقب الأثر (١٣٦٣) معلقًا .

(٦) الميزاب : هو ما يسيل منه الماء من موضع عال . تاج العروس (و ز ب) .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي زيادٍ ، قال : حدَّثنا [٤/٧٣و] عثمانُ بنُ عمرَ ، قال : أخبرَنا شعبةُ ، عن يعلَى بنِ عطاءٍ ، عن يحيى بنِ قمِطَّةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ قال : حِيالَ ميزابِ الكعبةِ[١] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : حدَّثنا هُشَيمٌ ، عن يعلَى بنِ عطاءٍ ، عن يحيى - يَعنى[٢] ابنَ قمِطَّةَ - قال : رأيتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو جالسًا في المسجدِ الحرامِ بإزاءِ الميزابِ ، وتلا هذه الآيةَ : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ قال : هذه القِبلةُ[٣] ، هذه القِبلةُ[٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا هشيمٌ بإسنادِه ، عن عبدِ اللهِ ابنِ عمرٍو ، نحوَه ، إلَّا أنه قال : استقبَل الميزابَ فقال : هذه القبلةُ التى قال اللهُ لنبيِّه : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ .

وقال آخرون : بل ذلك البيتُ كلُّه[٥] .

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٩ من طريق شعبة به . وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١/١٤٧ إلى ابن المنذر وابن أبى شيبة والطبرانى . وقال الهيثمى فى المجمع ٦/٣١٦: رواه الطبرانى من طريقين ، ورجال إحداهما ثقات .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٦٢، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٢٦- تفسير) ، وأحمد بن منيع فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٥٧) - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٣ (١٣٥٧) من طريق هشيم به.

(٥) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قبلة وقبلة البيت الباب » .

ذكرُ من قال ذلك

(١) حدَّثنى عمرانُ بنُ موسى القزّازُ ، قال : حدَّثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : البيتُ كلُّه قبلةٌ ، وقبلةُ البيتِ البابُ(٢) .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هشيمٌ ، قال : أخبرَنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه(١) .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : البيتُ كلُّه قبلةٌ ، وهذه قبلةُ البيتِ . يعنى التى فيها البابُ .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندى ما قال اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ فالمولِّى وجهَه شطرَ المسجدِ الحرامِ(٣) هو المصيبُ القبلةَ ، وإنما على من توجَّه إليه النيةُ بقلبِه أنه متوجِّهٌ إليه ، كما أن على مَن ائتمَّ بإمامٍ فإنما عليه الائتمامُ به وإن لم يكنْ مُحاذيًا بدَنُه بدَنَه ، وإن كان فى طرَفِ الصفِّ والإمامُ فى طرَفٍ آخرَ ، عن يمينِه أو عن يسارِه ، بعد أن يكونَ مَن خلفَه مؤتمًّا به مصلِّيًا إلى الوجهِ الذى يُصلِّى إليه الإمامُ . فكذلك حكمُ القبلةِ ، وإن لم يُحاذِها(٤) كلُّ مصلٍّ ومتوجِّهٍ إليها ببدَنِه ، غيرَ أنه متوجِّهٌ إليها . وإن كان عن يمينِها أو(٥) عن يسارِها مقابلَها ، فهو مستقبلُها ، بَعُدَ ما بينَه وبينها أو قرُب ، مِن عن يمينِها أو عن يسارِها ، بعد أن يكونَ

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) ذكره ابن رجب فى فتح البارى ٣/ ٨٠ عن المصنف من طريق عطاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٤٧ إلى المصنف .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يكن يحاذيها » .
(٥) فى الأصل : « و » .

غيرَ مستدبِرِها ، ولا منحرفٍ عنها ببدنِه ووجهِه .

كما حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزبيريُّ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عَمِيرةَ بنِ زيادٍ الكنديِّ ، عن عليٍّ : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال : شطْرَه فينا قِبلَه[1] .

وقبلةُ البيتِ الحرامِ[2] بابُه .

كما حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ والفضلُ بنُ الصَّبَّاحِ ، قالا : حدَّثنا هُشيمٌ ،

٢٣/٢ قال : أخبرَنا عبدُ الملكِ ، /عن عطاءٍ ، قال : قال أسامةُ بنُ زيدٍ : رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ حينَ خرَج من البيتِ أقبلَ بوجهِه إلى [٧٣/٤ظ] البابِ ، فقال : « هذه القبلةُ ، هذه القبلةُ »[3] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ وسفيانُ ، قالا : حدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ ، عن عطاءٍ ، قال : حدَّثني أسامةُ بنُ زيدٍ ، قال : خرَج النبيُّ ﷺ من البيتِ ، فصلَّى ركعتَين مستقبِلاً بوجهِه الكعبةَ ، فقال : « هذه القبلةُ » . مرَّتين[4] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ نحوَه .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأمويُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ،

---

(١) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قبلة » .
والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦٣) من طريق إسرائيل به . وأخرجه الحاكم ٢٦٩/٢ – وعنه البيهقي ٣/٢ – من طريق أبي إسحاق به . وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١٤٧/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والدينوري في المجالسة .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٣) أخرجه النسائي (٢٩١٥) ، وابن خزيمة (٣٠٠٥) عن يعقوب بن إبراهيم به . وأخرجه أحمد ٢٠٩/٥ (الميمنية) عن هشيم به . وأخرجه ابن خزيمة – أيضًا – من طرق عن عبد الملك به .

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٣٠٠٦) من طريق جرير به .

قال : قلتُ لعطاءٍ : أسمِعتَ ابنَ عباسٍ يقولُ : إنما أُمِرْتم بالطوافِ ، ولم تُؤْمروا بدُخولِه؟ قال : لم يكنْ ينهَى عن دُخولِه ، ولكنى سمِعتُه يقولُ : أخبرَنى أسامةُ بنُ زيدٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ لما دخَل البيتَ دعا فى نواحيه كلِّها ، ولم يصلِّ حتى خرَج ، فلما خرَج ركَع فى قُبُلِ القبلةِ ركعتين ، وقال : « هذه القبلةُ »[(١)] .

فأخبر ﷺ أن البيتَ هو القبلةُ ، وأن قبلةَ البيتِ بابُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وأينما كنتم من الأرضِ أيها المؤمِنون ، فحوِّلوا وجوهَكم فى صلاتِكم نحوَ المسجدِ الحرامِ وتلقاءَه . والهاءُ التى فى : ﴿ شَطْرَهُۥ ﴾ عائدةٌ إلى المسجدِ الحرامِ . فأوجَب جلَّ ثناؤُه بهذه الآيةِ على المؤمِنين فرضَ التوجُّهِ نحوَ المسجدِ الحرامِ فى صلاتِهم حيثما كانوا من أرضِ اللهِ ، وأُدْخلت الفاءُ فى قولِه : ﴿ فَوَلُّوا۟ ﴾ جوابًا للجزاءِ ، وذلك أن قولَه : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ جزاءٌ ، ومعناه : حيثما تكونوا فولُّوا وجوهَكم شطْرَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أحبارَ اليهودِ وعلماءَ النصارى .

وقد قيل : إنما عنَى بذلك اليهودَ خاصةً .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَإِنَّ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٠٥٦) ، وأحمد ٥/ ٢٠١، ٢٠٨ (الميمنية) ، ومسلم (١٣٣٠) ، والنسائى (٢٩١٧) ، والبيهقى ٣٢٨/٢ من طريق ابن جريج به . وينظر مسند الطيالسى (٢٧٧٥) .

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال[1] : أُنزِل ذلك في اليهودِ[2] .

وقولُه : ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ يعني به[1] هؤلاءِ الأحبارَ والعلماءَ من أهلِ الكتابِ ، يعلَمون أن التوجُّهَ نحوَ المسجدِ الحرامِ[1] الحقُّ الذي فرَضه اللهُ عزَّ وجلَّ على إبراهيمَ وذرِّيتِه وسائرِ عبادِه بعدَه .

ويَعنى بقولِه : ﴿مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ أنه الفرضُ الواجبُ على عبادِ اللهِ تعالى ذكرُه ، وهو الحقُّ من عندِ ربِّهم ، فرَضه عليهم .

[٧٤/٤] **القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[3]) .**

٢٤/٢ /يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وليس اللهُ بغافلٍ عما تعملون أيها المؤمنون في اتِّباعِكم أمرَه ، وانتهائِكم إلى طاعتِه ، فيما ألزَمكم من فرائضِه ، وإيمانِكم به في صلاتِكم نحوَ بيتِ المقدسِ ، ثم صلاتِكم من بعدِ ذلك شطرَ المسجدِ الحرامِ ، ولا هو ساهٍ عنه ، ولكنه جلَّ ثناؤه مُحصِيه لكم ، ومُدَّخِرُه لكم عندَه ، حتى يُجازيَكم به أحسنَ جزاءٍ ، ويُثيبَكم عليه أفضلَ ثوابٍ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ﴾ .

يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ولئن جئتَ يا محمدُ اليهودَ والنصارَى بكلِّ برهانٍ وحُجةٍ ، وهي الآيةُ ، بأن الحقَّ هو ما جئتَهم به من فرضِ التحوُّلِ من قِبْلةِ بيتِ المقدسِ

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦٥) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) كذا في الأصل ، م ، ت١ بالتاء ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ، وفي ت٢ ، ت٣ بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم . ينظر حجة القراءات ص ١١٦، ١١٧.

فى الصلاةِ إلى قبلةِ المسجدِ الحرامِ ، ما صدَّقوا به ولا تبِعوا - مع قيامِ الحُجَّةِ عليهم بذلك - قبلتَك التى حوَّلتُك إليها ، وهى التوجُّهُ شَطرَ المسجدِ الحرامِ .

وأُجِيبتْ ﴿ وَلَئِنْ ﴾ بالماضى من الفعلِ ، وحكْمُها الجوابُ بالمستقبلِ ، تشبيهًا لها بـ « لو » ، فأجِيبت بما تُجابُ به « لو » لتقارُبِ معنَيَيْهما . وقد مضَى البيانُ عن نظيرِ ذلك فيما مضَى(١) . وأُجِيبتْ ﴿ وَلَئِنْ ﴾(٢) بجوابِ الأيْمانِ ، ولا تفعَلُ العربُ ذلك إلا فى الجزاءِ خاصةً ؛ لأن الجزاءَ مُشابهُ اليمينِ فى أن كلَّ واحدٍ منهما لا يَتِمُّ أولُه إلا بآخرِه ، ولا يتمُّ وحدَه ، ولا يصِحُّ إلَّا بما يؤكَّدُ به بعدَه . فلما بدَأ باليمينِ فأُدخِلت على الجزاءِ ، صارت اللامُ الأُولى بمنزلةِ يمينٍ ، والثانيةُ بمنزلةِ جوابٍ لها ، كما قيل : لعمرُكَ لتقُومَنَّ . إذْ كثُرت اللامُ من « لعمرُك » حتى صارت كحرفٍ من حروفِه ، فأُجِيبتْ بما تجابُ به الأيمانُ ، إذْ كانت اللامُ تنوبُ فى الأيْمانِ عن الأيمانِ دونَ سائرِ الحروفِ غيرِها(٣) التى هى أجوبةُ الأيمانِ ، فتدلُّ على الأيمانِ ، وتعمَلُ عملَ الأجوبةِ ، ولاتدلُّ سائرُ أجوبةِ الأيمانِ(٤) على الأيمانِ ، فشُبِّهت اللَّامُ التى (٥) هى جوابٌ للأيمانِ(٥) بالأيمانِ ، لما وصفْنا ، فأُجِيبتْ بأجوبتِها .

فكان معنى الكلامِ ، إذ كان الأمرُ على ما وصفْنا : (٦) واللهِ(٦) لو أتيتَ الذين أُوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبِعوا قبلتَك .

وأما قولُه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ يقولُ : وما لكَ من سبيلٍ يا محمدُ إلى

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٧٢ ، وينظر معانى القرآن ١/ ٨٤ .
(٢) فى م : « لو » .
(٣) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « غير » .
(٤) بعده فى م ، ت٢ ، ت٣ : « لنا » .
(٥ - ٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فى جواب الأيمان » .
(٦ - ٦) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

اتِّباعِ قبلتِهم ، وذلك أن [٧٤/٤ظ] اليهودَ تستقبِلُ بيتَ المقدسِ بصلاتِها ، وأن النصارى تستقبِلُ المشرِقَ ، فأنَّى يكونُ لك السبيلُ إلى اتباعِ قبلتِهم مع اختلافِ وُجوهِها ؟! يقولُ : فالزَمْ قبلتَك التى أُمرتَ بالتوجُّهِ إليها ، ودعْ عنك ما تقولُه اليهودُ والنصارى ، وتدعُوك إليه مِن قِبلتِهم واستقبالِها .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ ﴾ فإنه يَعنى : وما اليهودُ بتابعةٍ قبلةَ النصارى ، وما[1] النصارَى بتابعةٍ قبلةَ اليهودِ ، فمتوجِّهةٌ نحوَها .

كما حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ ﴾ يقولُ : ما اليهودُ بتابِعى قبلةِ النصارَى ، ولا النصارَى بتابِعى قبلةِ اليهودِ[2] . قال : وإنما أُنزِلت هذه الآيةُ من أجلِ أن النبىَّ ﷺ لما
٢٥/٢ حُوِّل إلى الكعبةِ ، قالت /اليهودُ : إن محمدًا اشتاق إلى بلدِ أبيه ومَولِده ، ولو ثبَت على قبلتِنا لكنا نَرْجُو أن يكونَ هو صاحبَنا الذى ننتظِرُ . فأنزَل اللهُ جلَّ ثناؤُه فيهم : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ ﴾ إلى قولِه : ﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وحدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ ﴾ مثلَ ذلك .

وإنما قلنا[4] : يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك أن اليهودَ والنصارَى لا تجتمِعُ على قبلةٍ واحدةٍ ، مع إقامةِ كلِّ حزبٍ منهم على مِلَّتِه . فقال تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ لا تُشْعِرْ نفْسَك رضا هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى ، فإنه أمرٌ لا سبيلَ إليه ؛ لأنهم

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « لا » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٧/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وتقدم أوله فى ص ٦٢٤ .

(٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

مع اختلافِ مِلَلِهم لا سبيلَ لك إلى إرضاءِ كلِّ حزْبٍ منهم ، من أجْلِ أنك إن اتبَعت قبلةَ اليهودِ أسخَطتَ النصارَى ، وإن اتبَعت قبلةَ النصارَى أسخَطتَ اليهودَ ، فدعْ ما لا سبيلَ إليه ، وادْعُهم إلى ما لهم السبيلُ إليه ، من الاجتماعِ على مِلَّتِك الحنيفيَّةِ المُسلِمةِ ، وقبلتِك قبلةِ إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليه والأنبياءِ من بعدِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ذكرُه : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ ولئن التمَستَ يا محمدُ رضَا هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى الذين قالوا لك ولأصحابِك : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ [البقرة : ١٣٥] . فاتبَعْتَ قبلَتَهم ، يَعنى : فرجَعْتَ إلى قبلَتِهم .

ويَعنى بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ من بعدِ ما وصَل إليك من العلمِ ، [٤/٧٥ظ] بإعلامِى إياك أنهم مقيمون على باطلٍ ، على[(١)] عنادٍ منهم للحقِّ ، ومعرفةٍ منهم بأنَّ[(٢)] القبلةَ التى وجهتُك إليها هى القبلةُ التى فَرضْتُ على أبيكَ إبراهيمَ ، صلواتُ اللهِ عليه وسائرِ ولدِه ، [(٣)]ومَن[(٣)] بعدَه من الرسلِ ، التوجُّهَ نحوَها .

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعنى : إنك ، إذا فعَلتَ ذلك ، من عبادى الظلَمةِ أنفسَهم ، المخالِفين أمرى ، والتارِكين طاعتى ، وأحدُهم [(٤)]وفى[(٤)] عِدادِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ .

---

(١) فى م : « وعلى » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن » .

(٣ - ٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « من » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فى » .

يَعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ أحبارَ اليهودِ وعلماءَ النصارَى . يقولُ : يعرِفُ هؤلاء الأحبارُ من اليهودِ ، والعلماءُ من النصارَى ، أن البيتَ الحرامَ قبلتُهم وقبلةُ إبراهيمَ وقبلةُ الأنبياءِ قبلك ، كما يعرِفون أبناءَهم .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يقولُ : يعرِفون أن البيتَ الحرامَ هو[1] القبلةُ[2] .

٢٦/٢ /حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِ اللهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يَعنى القبلةَ[3] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ عرَفوا أن قبلةَ البيتِ الحرامِ هى قبلتُهم التى أُمِروا بها ، كما عرَفوا أبناءَهم[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ يعنى بذلك الكعبةَ البيتَ الحرامَ[5] .

---

(١) فى الأصل ، ت١ ، ت٣ : « هى » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ عقب الأثر (١٣٦٨) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ عقب الأثر (١٣٦٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٧) عن محمد بن سعد به .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾ يعرِفون الكعبةَ (١)أنها هي(١) قبلةُ الأنبياءِ ، كما يعرِفون أبناءَهم(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾ قال : اليهودُ يعرِفون أنها هي القبلةُ ، مكةُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ في قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾ قال : القبلةُ والبيتُ .

[٤/٧٥ظ] **القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾** .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : وإنَّ طائفةً من الذين أوتوا الكتابَ ، وهم اليهودُ والنصارَى . وكان مجاهدٌ يقولُ : هم أهلُ الكتابِ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بذلك(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ مثلَه .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي

(١ - ١) في النسخ : « من » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٨) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .
(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٠) .

نَجيحٍ ، (١) عن مجاهدٍ (١) مثلَه .

﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ وذلك الحقُّ هو القبلةُ التى وَجَّه اللهُ عز وجل إليها نبيَّه محمدًا ﷺ بقولِه (٢) : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . التى كانت الأنبياءُ مِن قبلِ محمدٍ ﷺ يتوجَّهون إليها ، فكَتَمتْها اليهودُ والنصارَى ، فوجَّه بعضُهم شرقًا ، وبعضُهم بيتَ المقدسِ ، ورفَضوا ما أمَرهم اللهُ به ، وكتَموا مع ذلك أمرَ محمدٍ ﷺ ، وهم يجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، فأطلَع اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه محمدًا ﷺ وأمَّتَه على خيانَتِهم اللهَ تبارَك وتعالى و (٣) عبادَه ، بكتمانِهم (٤) ذلك ، وأخبَر أنهم يفعَلون ما يفعَلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحقَّ غيرُه ، وأن الواجبَ عليهم من اللهِ جلَّ ثناؤه خلافُه ، فقال : ﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه (٥) ليس لهم كتمانُه ، فيتعمَّدون معصيةَ اللهِ تبارَك وتعالى (٦) .

٢٧/٢ /كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ فكتَموا محمدًا ﷺ .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ قال : يكتُمون محمدًا ﷺ ، وهم يجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ (٧) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « يقول » .

(٣) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « خيانتهم » .

(٤) فى م : « وكتمانهم » .

(٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن » .

(٦) هنا نهاية الخرم فى النسخة «ص» ، والمشار إليه فى ٧٢١/١ .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٢) من طريق أبى حذيفة به .

حدَّثنا المثنَّى قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يَعنى القبلةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤه : اعلمْ يا محمدُ أنَّ الحقَّ ما أعلمَك ربُّك وأتاك من عندِه ، لا ما يقولُ [٤/٧٦و] لك اليهودُ والنصارَى . وهذا من اللهِ جلَّ وعزَّ خبرٌ لنبيِّه ﷺ ، عن أن القبلةَ التى وجَّهه نحوَها هى القبلةُ الحقُّ التى كان عليها إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ ، ومَن بعدَه مِن أنبياءِ اللهِ . (١) يقولُ تعالى ذكرُه (١) له : فاعمَلْ بالحقِّ الذى أتاك من ربِّك يا محمدُ ، ولا تكونَنَّ من المُمْترِين . يَعنى بقولِه : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ . أى : فلا تكونَنَّ من الشاكِّين فى أن القبلةَ التى وجَّهْتُك نحوَها قبلةُ إبراهيمَ خليلى وقبلةُ الأنبياءِ غيرِه .

كما **حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال اللهُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ يقولُ : لا تكنْ فى شكٍّ ، فإنها قِبلَتُك وقبلةُ الأنبياءِ قبلَك (٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ قال : من الشاكِّين (٣) ، لا تَشُكَّنَّ فى ذلك .

وإنما (٤) المُمْترِى مُفْتعِلٌ ، من المِرْيةِ ، والمِريةُ هى الشكُّ ، ومنه قولُ الأعشَى (٥) :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٣) من طريق أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٧/١ ، ١٤٨ إلى المصنف وأبى داود فى ناسخه عن أبى العالية .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قال » .

(٤) سقط من : م .

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٣ .

تَدِرُّ[١] على أسْؤُقِ[٢] المُمْتَرِيـ نَ[٣] رَكْضًا إذا ما السَّرابُ ارْجَحَنْ[٤]

فإن قال قائلٌ : أوَ كان النبيُّ شاكًّا فى أن الحقَّ من ربِّه ، أو[٥] فى أن القبلةَ التى وجَّهه اللهُ إليها حقٌّ من اللهِ ، حتى نُهِى عن الشكِّ فى ذلك ، فقيل له : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ .

قيل : ذلك من الكلامِ الذى تُخْرِجُه العربُ مُخرَجَ الأمْرِ و[٦] النهيِ للمخاطَبِ به ، والمرادُ به غيرُه ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١، ٢] . فخرَج الكلامُ مَخرَجَ الأمْرِ للنبىِّ والنَّهىِ له ، والمرادُ به أصحابُه المؤمِنون به ، وقد بيَّنَّا نظيرَ ذلك فيما مضَى قبلُ بما أغنَى عن إعادَتِه[٧] .

٢٨/٢ /القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ .

يعنى بقولِه : [٨]﴿ وَلِكُلٍّ ﴾[٨] ولكلِّ أهلِ مِلَّةٍ . فحذَف أهلَ مِلةٍ ، واكتفى بدَلالةِ الكلامِ عليه .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ،

---

(١) در الفرس يدِر دريرا ودرة : عدا عدوا شديدا . ومر على درته : أى لا يثنيه شيء . اللسان (د ر ر) .

(٢) أسؤق : جمع ساق ، ويجمع أيضا على سوق وسيقان . تاج العروس (س و ق) .

(٣) مِرْية الفرس : ما استخرج من جريه فدر لذلك عرقه ، ومَرَيتُ الفرس : إذا استخرجتَ ما عنده من الجرى بسوط أو غيره . اللسان (م ر ى) .

(٤) ارجحن السراب : ارتفع . اللسان (رجحن) .

(٥) فى ص : « و » .

(٦) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « أو » .

(٧) ينظر ما تقدم فى ص ٤٠٤ - ٤٠٦ .

(٨ - ٨) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ قال : لكلٍّ صاحبِ مِلَّةٍ[(١)] .

وحدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ فلليهودِىِّ[(٢)] وِجهةٌ هو مُوَلِّيها ، وللنصرانىِّ[(٣)] وِجهةٌ هو مُوَلِّيها ، وهَداكم اللهُ أنتم أيتُها الأمةُ للقبلةِ التى هى قبلةٌ[(٤)] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنى الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولُه : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ قال : كلٌّ[(٥)] أهلِ دينٍ ؛ اليهودُ والنصارَى . قال ابنُ جُريجٍ : قال مجاهدٌ : لكلٍّ صاحبِ مِلَّةٍ[(٦)] .

[٧٦/٤ظ] حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ قال : لليهودِ قبلةٌ . وللنصارَى قبلةٌ . ولكم قبلةٌ . يُريدُ المسلمين .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾. يَعنى بذلك أهلَ الأديانِ ، يقولُ : لكلٍّ قبلةٌ يَرضَوْنها ، ووَجهُ اللهِ حيثُ توجَّه المؤمنون ، وذلك أن اللهَ قال :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٦. وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٦٧٦ ، ٦٧٧.

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ : « فلليهود » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « للنصارى » .

(٤) فى م ، ت٣ : « قبلته » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) فى ص ، م ، ت٢ : « لكل » .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) معلقًا .

﴿ فَأَيْنَمَا[(١)] تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٢)] [البقرة : ١١٥] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . يقولُ : لكلِّ قومٍ قبلةٌ قد وُلُّوها[(٣)] .

فتأويلُ أهلِ هذه المقالةِ فى هذه الآيةِ : ولكلِّ أهلِ ملَّةٍ قبلةٌ هو مستقبِلُها ومُوَلٌّ وجهَه إليها .

وقال آخرون بما حدَّثنا به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . قال : هى صلاتُهم إلى بيتِ المقدسِ ، وصلاتُهم إلى الكعبةِ[(٤)] .

وتأويلُ قائلى[(٥)] هذه المقالةِ : ولكلٍّ ناحيةٍ وجَّهكَ إليها ربُّك يا محمدُ قِبلةٌ ، اللهُ مُولِّيها عبادَه .

وأمّا الوِجهةُ ، فإنها مصدرٌ مثلُ القِعدةِ والمِشيةِ ، من التوَجُّهِ . وتأويلُها : مُتَوَجَّهٌ يَتوجَّهُ إليه[(٦)] بوَجْهِه[(٧)] فى صلاتِه .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ،

---

(١) فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « حيث ما » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٤) عن محمد بن سعد به ، ولم يذكر الآية آخره .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ (١٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى أبى داود فى ناسخه .

(٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قائل » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « إليها » .

(٧) فى ص : « توجهه » . وينظر معانى القرآن ١/ ٩٠.

عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وِجْهَةٌ ﴾ . قبلةٌ[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

٢٩/٢ /حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ . قال : وجهٌ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وِجْهَةٌ ﴾ . قبلةٌ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، قال : قلتُ لمنصورٍ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . قال : نحن نقرؤها : (ولكلٍ جعَلْنا قبلةً يَرْضَونها)[(٢)] .

وأَمَّا قولُه : ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . فإنَّه يَعنى : هو مولٍّ وجهَه إليها ، [(٣)]ومستقبِلُها[(٣)] .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ . قال : هو مستقبلُها[(١)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

ومعنى التوْليةِ هاهنا : الإقبالُ ، كما يقولُ القائلُ لغيرِه : انصرِفْ إلىَّ . بمعنى : أقْبِلْ إلىَّ . والانصِرافُ المستعمَلُ إنما هو الانصِرافُ عن الشىءِ ، ثم يقالُ : انصَرفَ إلى الشىءِ . بمعنى : أقبَلَ إليه مُنصرِفًا عن غيرِه . وكذلك يقالُ : ولَّيْتُ عنه . إذا

---

(١) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٦٧٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٥٥ من طريق جرير به ، والقراءة بها شاذة لمخالفتها رسم المصاحف العثمانية .

(٣ - ٣) فى م : « مستقبلها » .

أَدْبَرْتَ عنه . ثم يقالُ : ولَّيتُ إليه . بمعنى : أقبلْتُ إليه مُوَلِّيًا عن غيرِه[١] .

والفعلُ - أَعنى التوليةَ - فى قولِه : ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ لـ « لكُلٍّ » و[٢] ﴿ هُوَ ﴾ التى مع ﴿ مُوَلِّيهَا ﴾ هى[٣] الكلُّ ، [٧٧/٤و] وُحِّدت للفظِ الكلِّ . فمعنى الكلامِ إذًا : ولكلِّ أهلِ ملةٍ وِجهةٌ ، الكلُّ[٤] منهم مولُّوها وُجُوهَهم .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ وغيرِه أنهم قرءوها : (هو مُوَلَّاها)[٥] . بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوَها . ويكونُ الكلُّ[٦] حينَئذٍ غيرَ مسمًّى فاعلُه ، ولو سُمِّى فاعلُه لكان الكلامُ : ولكلٍّ ذِى مِلَّةٍ وِجْهةٌ ، اللهُ مولِّيه إياها . بمعنى : مُوجِّهُه إليها .

وقد ذُكِر عن بعضِهم أنه قرَأ ذلك : (ولكُلِّ وِجْهةٍ هو موليها) بتَرْكِ التنوينِ والإضافةِ[٧] .

وذلك لحنٌ لا[٨] تجوزُ القراءةُ به ؛ لأن ذلك إذا قُرِئ كذلك ، كان الخبرُ غيرَ تامٍّ ، وكان كلامًا لا معنَى له ، وذلك غيرُ جائزٍ أن يكونَ من اللهِ تعالى ذكرُه[٩] .

---

(١) ينظر معانى القرآن ٨٥/١ .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص : « وهو » . وفى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هو » .

(٤) فى م : « لكل » .

(٥) قراءة ابن عباس أخرجها ابن الأنبارى فى المصاحف كما فى الدر المنثور ١٤٨/١ ، وذكرها القرطبى فى تفسيره ٢/ ١٦٤ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٤٣٧ ، وابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٨١ ، عن ابن عباس وأبى جعفر الباقر . ومن السبعة قرأها ابنُ عامر وحده ، والباقون بكسر اللام وبعدها ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧١ ، وحجة القراءات ص ١١٧ .

(٦) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « الكلام » .

(٧) أخرج هذه القراءة ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ (١٣٧٨) بإسناده إلى ابن عباس وذكر ابن عطية فى المحرر الوجيز ١/ ٤٥٠ أن أبا عمرو الدانى حكاها عن ابن عباس ، وذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ٤٣٧/١ غير معزوة إلى أحد ، ووصفها بالشذوذ .

(٨) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ولا » .

(٩) وقال ابن عطية : وهى متجهة ، أى : فاستبقوا الخيرات لكلِّ وجهةٍ ولاكموها ، ولا تعترضوا فيما =

والصوابُ عندنا من القراءةِ فى ذلك : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ بمعنى[(١)] : ولكلٍّ وِجهةٌ وقِبلةٌ ، ذلك الكلُّ مُوَلٍّ وَجْهَه نحوَها ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من القرأةِ على قراءةِ ذلك كذلك ، وتصويبِها إياها ، وشُذوذِ مَن خالَف ذلك إلى غيرِه ، وما جاء به النقلُ مستفيضًا فحُجَّةٌ ، وما انفرَد به مَن كان جائزًا عليه السهوُ والغَلَطُ[(٢)] ، فغيرُ جائزٍ الاعتراضُ به على الحُجَّةِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا ﴾ : فبادِرُوا وسارِعُوا ، من الاستِباقِ ، وهو المبادرَةُ والإسراعُ .

كما **حدَّثنى** المثنى قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ . يقولُ[(٣)] : فسارِعوا فى الخيرات[(٤)] .

وإنما يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أى : قد بيَّنتُ لكم أيها المؤمنون الحقَّ ، وهدَيتُكم للقبلةِ التى ضلَّت عنها اليهودُ والنصارَى ، وسائرُ أهلِ المللِ غيرِكم ، فبادِرُوا بالأعمالِ الصالحةِ ، /شكرًا لربِّكم ، وتزوَّدُوا فى دنْياكم لآخرتِكم ، ٣٠/٢ فإنِّى قد بيَّنتُ لكم سبيلَ النجاةِ ، فلا عُذرَ لكم فى التفْريطِ ، وحافِظوا على قبلتِكم ، فلا تُضيِّعوها كما ضيَّعَتْها الأُمَمُ قبلَكم ، فتضِلُّوا كما ضلَّتْ .

= أمركم بين هذه وهذه ...، وقدم قوله : (لكلٍّ وجهةٍ). على الأمر فى قوله: (فاستبقوا) . للاهتمام بالوجهة ...

قال أبو حيان - بعد أن نقل عنه هذا التوجيه - فى البحر المحيط ١/ ٤٣٨، ٤٣٩: وهو توجيه لا بأس به .

(١) ليست فى الأصل ، ت٢ .

(٢) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الخطأ » .

(٣) فى م : « يعنى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ عقب الأثر (١٣٧٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

كالذى **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يقولُ : لا تُغلَبُنَّ على قبلتِكم[(١)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال : الأعمالُ الصالحةُ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

[٧٧/٤ظ] ومعنى قولِه : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ فى أىِّ مكانٍ وبقعةٍ تهلِكون فيه ، يأتِ بكم اللهُ جميعًا يومَ القيامةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

كما **حُدِّثتُ** عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ يقولُ : أينما تكونوا يأتِ بكم اللهُ جميعًا يومَ القيامةِ[(٣)] .

حدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ . يعنى يومَ القيامةِ[(٤)] .

وإنما حَضَّ اللهُ المؤمنين بهذه الآيةِ على طاعتِه ، والتزوُّدِ فى الدنيا للآخرةِ ، فقال جلَّ ثناؤه لهم : فاستبِقُوا أيها المؤمنون إلى العملِ بطاعةِ ربِّكم ، ولُزومِ ما هَداكم له من قبلةِ إبراهيمَ خليلِه ، وشرائعِ دينِه ، فإن اللهَ يأتى بكم وبمن خالفَ قبلَتَكم[(٥)] ودينَكم

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف ، وسقط متنه من المطبوع . وينظر فتح القدير ١/ ١٥٨ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٢) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٥) فى م : « قبلكم » .

وشريعتَكم جميعًا يومَ القيامةِ ، من حيثُ كنتم من بقاعِ الأرضِ ، حتى يوفِّىَ[1] المحسنَ منكم جزاءَه بإحسانِه ، و المسيءَ عقابَه بإساءتِه ، أو يتفضَّلَ فيصفَحَ .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فإنه تعالى ذكرُه يعنى : إن اللهَ على جمعِكم - بعد مماتِكم - من قبورِكم إليه[2] ، من حيثُ كنتم[3] وكانت قُبورُكم[3] ، وعلى غيرِ ذلك مما يشاءُ قادرٌ[4] ، فبادِرُوا خُروجَ أنفسِكم بالصالحاتِ من الأعمالِ قبلَ مماتِكم ، ليومِ بعثِكم وحشْرِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[5] ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾ ومن أىِّ موضعٍ خرَجْتَ إلى أىِّ موضعٍ وجَّهْتَ ، فولِّ يا محمدُ وجهَك . يقولُ : حوِّلْ وجْهَك .

وقد دلَّلْنا على أن التَّوليةَ فى هذا الموضعِ شطرَ المسجدِ الحرامِ ، إنما هى الإقبالُ بالوجهِ نحوَه ، وقد بيَّنَّا مَعنى الشطرِ فيما مضَى[6] .

وأما قولُه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ فإنه يعنى به جلَّ ثناؤه : وإن التوجُّهَ شطرَه لَلحقُّ الذى لا شكَّ فيه من عندِ ربِّك ، فحافِظوا عليه ، وأطِيعوا اللهَ بتوجُّهِكم[7] قِبَلَه .

---

(١) فى ص : « يؤتى » .
(٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى م ، ت٢ : « قدير » .
(٥) فى ص : (يعملون) . وهى قراءة أبى عمرو ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالخطاب . إتحاف فضلاء البشر ص ٩١.
(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥٩ .
(٧) فى ص : « فتوجهكم » ، وفى م ، ت٢ : « فى توجهكم » .

٣١/٢ وأما قولُه:/ ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ فإنه يقولُ : فإن اللهَ ليس بساهٍ عن أعمالِكم ، ولا بغافلٍ عنها ، ولكنه مُحصِيها لكم حتى يُجازيَكم بها يومَ القيامةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ .

[٧٨/٤و] يَعنى بقولِه : ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ ومن أىِّ مكانٍ وبقعةٍ شَخَصْتَ فخرَجتَ يا محمدُ ، فحوِّلْ[(١)] وجهَك تلقاءَ المسجدِ الحرامِ ، وهو شطرُه .

ويَعنى بقولِه : ﴿ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرضِ اللهِ ، فولُّوا وُجوهَكم فى صَلواتِكم تُجاهَه وقِبَلَهُ وقَصْدَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾ .

فقال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ : عَنى اللهُ بالناسِ فى قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ﴾ أهلَ الكتابِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ ﴾ يَعنى بذلك أهلَ الكتابِ ، قالُوا حين صُرِف نبىُّ اللهِ إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ : اشتاقَ الرجلُ إلى بيتِ أبيه ودينِ قومِه[(٢)] .

---

(١) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « فول » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٧) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يَعنى بذلك أهلَ الكتابِ ، قالوا حينَ صُرِف نبيُّ اللهِ إلى الكعبةِ : اشتاقَ الرجلُ إلى بيتِ أبيه ودينِ قومِه[(١)] .

فإن قال قائلٌ : فأيَّةُ حُجَّةٍ كانت لأهلِ الكتابِ بصلاةِ رسولِ اللهِ وأصحابِه نحوَ بيتِ المقدسِ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه ؟

قيل : قد ذكَرْنا فيما مضَى ما رُوِى فى ذلك ، قيل : إنهم كانوا يقولون : ما درَى محمدٌ وأصحابُه أين قِبلتُهم حتى هدَيناهم نحن ! وقولَهم : يخالِفُنا محمدٌ فى دينِنا ويتَّبعُ قبلَتَنا[(٢)] ! فهى الحُجَّةُ التى كانوا يحتَجُّون بها على النبىِّ ﷺ وأصحابِه ، على وجهِ الخُصومةِ منهم لهم ، والتَّمويهِ منهم بها على الجُهّالِ وأهلِ الغَباءِ[(٣)] من المشرِكين .

وقد بينَّا فيما مضَى أن معنى حِجاجِ القومِ إيّاه الذى ذَكَره اللهُ فى كتابِه إنما هو[(٤)] الخُصوماتُ والجدالُ ، فقطَع اللهُ ذلك من حُجَّتِهم وحسَمه ، بتحويلِ قِبلةِ نبيِّه ﷺ والمؤمِنين به ، من قِبلةِ اليهودِ إلى قِبلةِ خليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ .

٣٢/٢ /فذلك هو معنى قولِ اللهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يَعنى بـ « الناس » ، الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصَفْتُ .

وأما قولُه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا [٧٨/٤ظ] مِنْهُمْ ﴾ فإنهم مشرِكو العربِ من قريشٍ ، فيما تأوَّله أهلُ التأويلِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥٧ .

(٣) فى م : « العناد » .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « هى » .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ : قومُ محمدٍ ﷺ .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : هم المشركون من أهلِ مكةَ .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ : يعنى مشرِكى قريشٍ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ ، وابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، فى قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ قال : هم مشركو العربِ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ : والذين ظلَموا مشرِكو قريشٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال عطاءٌ : هم مشرِكو قريشٍ . قال ابنُ جُريجٍ : وأخبرَنى عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ مثلَ قولِ عطاءٍ[(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٩/١ عقب الأثر (١٣٨٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) سيأتى مطولا فى ص ٦٨٦ .

(٣) ذكره البغوى فى تفسيره ١٦٥/١ . وينظر ما سيأتى فى ص ٦٨٧ .

فإن قال قائلٌ : فأيّةُ حُجةٍ كانت لمشرِكى قريشٍ على رسولِ اللهِ وأصحابِه فى توجُّهِهم فى صلاتِهم إلى الكعبةِ ؟ وهل يجوزُ أن يكونَ للمشرِكين على المؤمنين - فيما أمَرهم اللهُ به أو نَهاهم عنه - حُجةٌ ؟

قيل : إن معنَى ذلك بخلافِ ما توهّمتَ وذهَبْتَ إليه ، وإنما الحُجةُ فى هذا الموضعِ الخصومةُ والجدلُ ومعنى الكلامِ : لئلَّا يكونَ لأحدٍ من الناسِ عليكم خُصومةٌ ودعوَى باطلٍ[1] ، غيرَ مشرِكى قريشٍ ، فإن لهم عليكم دعوَى باطلٍ[1] وخصومةً بغيرِ حقٍّ ، بقيلِهم لكم : رجَع محمدٌ إلى قبلَتِنا ، وسيرجِعُ إلى دينِنا . فذلك من قولِهم وأمانيِّهم الباطِلةِ ، هى الحجةُ التى كانت لقريشٍ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه ، ومن أجلِ ذلك استَثْنى اللهُ تعالى الذين ظلَموا من قريشٍ من سائرِ الناسِ غيرِهم ، إذْ نفَى أن يكونَ لأحدٍ منهم فى قبلتِهم التى وجَّههم إليها حُجَّةٌ .

وبمثلِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك منهم

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ قومُ محمدٍ ﷺ . قال مجاهدٌ : يقولُ : حُجَّتُهم قولُهم : قد راجعْتَ[2] قبلَتَنا[3] .

(١) فى م ، ت٢ : « باطلة » .

(٢) فى م : « رجعت » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٨ إلى المصنف وعبد بن حميد ، بلفظ : حجتهم ...، وفى تفسير مجاهد ص ٢١٦ : ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ يعنى : أمة محمد ﷺ ، وحجتهم قولهم : تركت قبلتنا .

٣٣/٢ /حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلّا أنه قال : قولُهم : قد رجعْتَ إلى قِبلَتِنا ؟.

حدَّثنا [٧٩/٤و] الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ ، وابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، في قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قالا : هم مشرِكو العربِ ، قالوا حينَ صُرِفتْ القبلةُ إلى الكعبةِ : قد رجَع إلى قبلتِكم ، فيوشِكُ أن يرجِعَ إلى دينِكم . قال اللهُ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي [(١)] ﴾ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ قال : حدَّثنا سعيدٌ عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ والذين ظلَموا مشرِكو قريشٍ . يقولُ : إنهم سيحْتجُّون عليكم بذلك . فكانت حُجَّتُهم على نبيِّ اللهِ بانصرافِه [(٢)] إلى البيتِ الحرامِ أنهم قالوا : سيرجِعُ إلى دينِنا كما رجَع إلى قِبلتِنا . فأنزَل اللهُ في ذلك كلِّه [(٣)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه [(٤)] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فيما

---

(١) في الأصل ، وتفسير عبد الرزاق : (واخشون) بحذف الياء ، والقرأة متفقة على إثبات الياء . وينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٩١.

والأثر في تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ . وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١٤٨/١ إلى ابن المنذر وأبي داود في ناسخه . وينظر تفسير البغوي ١/ ١٦٥.

(٢) في ص : « انصرافه » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وزاد فيه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ .

(٤) تقدم مختصرًا في ص ٦٨٤ .

يَذكُرُ **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ قالوا[1] : لما صُرِف نبىُّ اللهِ نحوَ الكعبةِ بعدَ صلاتِه إلى بيتِ المقدسِ ، قال المشركون من أهلِ مكةَ : تَحيّر على محمدٍ دينُه ، فتوجَّهَ بقبلتِه إليكم ، وعلِم أنكم كنتم أهدَى منه سبيلًا ، ويوشِكُ أن يدخُلَ فى دينِكم . فأنزَلَ اللهُ فيهم : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولَه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ قال : قالت قريشٌ لمّا رجَع إلى الكعبةِ وأُمر بها : ما كان يستغْنى عنَّا ، قد استقْبلَ قبلَتَنا . فهى حُجَّتُهم ، وهم الذين ظلَموا . قال ابنُ جريجٍ : وأخبَرنى عبدُ اللهِ بنُ[3] كثيرٍ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ مثلَ قولِ عطاءٍ ، فقال مجاهدٌ : حُجّتُهم : قولُهم : رجَعتَ إلى قِبلَتِنا[4] .

فقد أبان تأْويلُ من ذكَرنا تأويلَه - من أهلِ التأويلِ - قولَه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ عن صحةِ ما قلنا فى تأويلِه ، وأنه استِثناءٌ على (٥) صحةٍ ، بمعنى (٥) الاستِثناءِ المعروفِ ، الذى يَثْبُتُ فيه لما بعدَ حرفِ الاستثناءِ ما كان منفيًّا عما قبلَه ، كما[6] قولُ القائلِ : ما سار من الناسِ أحدٌ إلّا أخوك . إثباتٌ للأخِ من السَّيرِ ما هو

---

(١) فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « قال » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى المصنف ، وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٠ ، ٦٤١ .

(٣) بعده فى الأصل : « أبى » . وينظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٦٨.

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(٥ - ٥) فى م : « معنى » .

(٦) بعده فى م : « أن » .

مَنفيٌّ عن كلِّ أحدٍ من الناسِ . فكذلك قولُه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ نَفْيٌ عن أن يكون لأحدٍ خُصومةٌ وجَدَلٌ قِبلَ رسولِ اللهِ ﷺ ، ودعوَى باطلٍ[1] عليه وعلى أصحابِه ، /بسببِ تَوجُّهِهم فى صلاتِهم قِبلَ ٣٤/٢
الكعبةِ ، [٧٩/٤ظ] إلَّا الذين ظلَموا أنفسَهم من قريشٍ ، فإن لهم قِبلَهُم خصومةً ودعوَى باطلٍ[1] ، بأن يقولوا : إنما توجّهتُمْ إلينا وإلى قبلتِنا لأنا كنا منكم أهدَى سبيلًا ، وأنكم كنتم بتوجُّهِكم نحوَ بيتِ المقدسِ على ضلالٍ وباطلٍ .

وإذْ كان ذلك معنَى الآيةِ بإجماعِ الحُجَّةِ من أهلِ التأويلِ ، فبَيِّنٌ[2] خطأُ قولِ من زعَم أن معنَى قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ ولا الذين ظلَموا منهم[3] . وأن معنى[4] ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنَى الواوِ ؛ لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفْىُ الأولُ عن جميعِ الناسِ - أن يكونَ لهم حُجةٌ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه فى تحوُّلِهم نحوَ الكعبةِ بوُجوهِهم - مُبيِّنًا عن المعنَى المرادِ ، ولم يكنْ فى ذكرِ قولِه بعدَ ذلك : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ إلا التلْبيسُ الذى يتعالَى عن أن يُضافَ إليه أو يُوصفَ به . هذا مع خُروجِ معنَى الكلامِ إذا وُجِّهَت[5] ﴿ إِلَّا ﴾ إلى معنَى الواوِ وبمعنَى[6] العطفِ ، من كلامِ العربِ . وذلك أنه غيرُ موجودةٍ « إلا » فى شىءٍ من كلامِها بمعنى الواوِ ، إلَّا مع استثناءٍ سابقٍ قد تقدّمَها ، كقولِ القائلِ : سارَ القومُ إلَّا عَمرًا إلَّا أخاك . بمعنى : إلّا عَمرًا وأخاك . فتكونُ « إلّا » حينئذٍ مؤدِّيةً عما تؤدِّى عنه الواوُ لتعلُّقِ « إلا »

(١) فى م : « باطلة » .
(٢) فى ص : « فتبين » .
(٣) كأنه يعنى أبا عبيدة ، فهذا القول له فى مجاز القرآن ١/ ٦٠ .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى ص : « وجهه » .
(٦) فى ص ، م : « معنى » .

الثانيةِ (١) بـ « إلّا » (١) الأُولى . ويُجمعُ أيضًا فيها بينَ « إلّا » والواوِ ، فيقالُ : سار القومُ إلّا عَمرًا ، وإلّا أخاك . فتُحذفُ إحداهما فتنوبُ الأخرَى عنها ، فيقالُ : سارَ القومُ إلّا عَمرًا وأخاك . أو : إلّا عَمرًا إلّا أخاك . لما وصَفْنا قبلُ .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فغيرُ جائزٍ لمدَّعٍ (٢) من الناسِ أن يدّعِيَ أن ﴿ إِلَّا ﴾ في هذا الموضعِ بمعنى الواوِ التي تأتي بمعنَى العطفِ .

وواضحٌ فسادُ قولِ من زعَم أن معنى ذلك (٣) : إلّا الذين ظلَموا منهم ، فإنهم لا حُجّةَ لهم ، فلا تَخشَوْهم ، كقولِ القائلِ في الكلامِ (٤) : الناسُ كلُّهم لك حامدون ، إلّا الظالمَ (٥) المعتدِيَ عليك ، فإن ذلك لا يُعتدُّ بعُدْوانِه (٦) ، ولا بترْكِه الحمدَ لموضِعِ العداوةِ . وكذلك الظالمُ لا حُجةَ له ، وقد سُمِّي ظالمًا - لإجماعِ جميعِ أهلِ التأويلِ على تخْطِئةِ ما ادَّعى من التأويلِ في ذلك . وكفَى شاهدًا على خطأِ مقالةٍ (٧) إجماعُهم على تخطِئَتِها .

وظاهرٌ بطولُ قولِ من زعَم أن الذين ظلَموا ههنا ناسٌ من العربِ كانوا يهودًا أو (٨) نصارَى ، فكانوا يحتَجُّون على النبيِّ ، فأما سائرُ العربِ ، فلم تكنْ لهم حُجّةٌ ، وكانت حُجّةُ من يحتَجُّ مُنكسِرةً ؛ لأنك تقولُ لمن تُريدُ أن تكسِرَ عليه حُجَّتَه : إن لك

(١ - ١) في ص : « إلى » .

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى . ينظر مجاز القرآن ١/ ٦٠.

(٣) هو الفراء ، وما سيأتي هو نص كلامه في معاني القرآن ١/ ٨٩.

(٤) في م ، ت٢ : « كلامه » .

(٥) بعده في معاني القرآن : « لك » .

(٦) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بعداوته » .

(٧) في م ، ت٢ : « مقالته » .

(٨) في ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « و » .

عليَّ حُجّةً ، ولكنها مُنكسِرَةٌ ، إنَّك لتحتجُّ بلا حُجَّةٍ ، وحُجّتُك ضعيفةٌ . ووَجّه[١] معنى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ إلى معنَى : إلّا الذين ظلموا منهم من أهلِ الكتابِ ، فإن لهم عليكم حُجةً واهيةً ، أو حُجةً ضعيفةً . ووَهَاءُ[٢] قولِ من قال : « إلّا » فى هذا الموضعِ بمعنى « لكن » . وضَعْفُ قولِ من زعَم أنه ابتداءٌ بمعنَى : إلّا الذين ظلَموا منهم فلا تخشوهم ؛ لأن تأويلَ أهلِ التأويلِ جاءَ فى [٨٠/٤و] ذلك بأن ذلك من اللهِ خبرٌ عن الذين ظلَموا منهم أنهم يحتَجُّون على النبيِّ وأصحابِه بما قد ذكرْنا ، ولم يقصِدْ فى ذلك إلى الخبرِ عن صفةِ حُجّتِهم بالضعفِ ولا بالقوّةِ – وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلةٌ – وإنما قصَد فيه الإثباتَ للذين ظلَموا ما قد نَفَى عن الذين قبلَ حرفِ الاستثناءِ من الصفةِ .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : قال الربيعُ : إن يهوديًّا خاصمَ أبا العاليةِ فقال : إن موسى كان يُصلِّى إلى صخرةِ بيتِ المقدسِ . فقال أبو العاليةِ : كان يُصلِّى عند الصخرةِ إلى البيتِ الحرامِ . قال : قال
٣٥/٢ فبينى وبينَك مسجدُ صالحٍ ، فإنه نحته من الجبلِ . قال/ أبو العاليةِ : قد صلّيتُ فيه وقبلتُه إلى البيتِ الحرامِ . قال الربيعُ : وأخبرَنى أبو العاليةِ أنه مرَّ على مسجدِ ذِى القرنين وقِبلتُه إلى الكعبةِ .

وأما قولُه : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ يعنى : فلا تخشَوْا هؤلاء الذين وصَفْتُ لكم أمرَهم من الظلَمةِ[٣] ، فى حُجّتِهم وجدالِهم وقولِهم ما يقولُون من[٤] أن محمدًا

---

(١) التقدير : وظاهر بطلان قول من وجّه .

(٢) فى النسخ عدا الأصل : « وهى » وهما بمعنى . وتقدير الكلام : وظاهر وهاء .

(٣) فى م : « الظلم » .

(٤) فى ص : « فى » .

قد رجَع إلى قبلتِنا ، وسيَرْجِعُ إلى دينِنا ، أو أن يقدِرُوا لكم على ضُرٍّ في دينِكم ، أو صَدٍّ كم عما هَداكم اللهُ له من الحقِّ ، ولكن اخشَوْني ، فخافوا عقابي في خلافِكم أمرِي إن خالَفتُموه .

وذلك من اللهِ تقدُّمٌ إلى عبادِه المؤمنين ، بالحضِّ على لزومِ قبلتِهم والصلاةِ إليها ، وبالنَّهي عن التوجُّهِ إلى غيرِها . يقولُ جلَّ ثناؤُه : واخشَوْني أيها المؤمنون ، في ترْكِ طاعتي فيما أمَرتُكم به من الصلاةِ شطرَ المسجدِ الحرامِ .

وقد حُكِي عن السُّدِّيِّ في ذلك ما حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ يقولُ : لا تخشَوْا أن أردَّكم في دينِهم[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

يَعني تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ ومن حيث خرجتَ من البلادِ والأرضِ إلى أيِّ بقعةٍ شَخَصْتَ ، فولِّ وجْهَك شَطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيثُ كنتَ أنت يا محمدُ والمؤمنون ، فولُّوا وُجوهَكم في صلاتِكم شطْرَه ، واتّخِذوه قِبلةً لكم ، كيلا يكونَ لأحدٍ من الناسِ عليكم[2] سِوَى مشركِي قريشٍ حُجةٌ ، وكي أُتِمَّ بذلك - من هِدايتي لكم إلى قبلةِ خليلي إبراهيمَ ، الذي جعَلْتُه إمامًا للناسِ - نعْمتي ، فأُكمِلَ لكم به فضلي عليكم ، وأتمِّمَ به شرائعَ ملَّتِكم الحنيفيّةِ [٤/٨٠ظ] المسلمةِ التي وصَّيتُ بها نوحًا وإبراهيمَ وموسى وعيسى وسائرَ الأنبياءِ غيرَهم .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٩ (١٣٩٠) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

وإلى هنا انتهى المجلد الثاني من نسخة دار الكتب المصرية . وقد أشرنا في المقدمة إلى أن الجزء الثالث منها غير موجود وتستأنف عند قوله جل ثناؤه : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ . من الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

وذلك هو نِعْمتُه التى أخبرَ جلَّ ثناؤه أنه مُتِمُّها على رسولِه والمؤمنين به من أصحابِه .

وقولُه : ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يعنى : وكى (١) تَهْتَدوا فترْشُدوا (١) للصوابِ من القِبَلِ (٢) . و ﴿ وَلَعَلَّكُمْ ﴾ عطفٌ على قولِه : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ ، (٣) وقولُه (٣) ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ عطفٌ على قولِه : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (١٥١) ﴾ .

يَعنى بقولِه تعالى ذكرُه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾ . ولأُتِمَّ نعمَتى عليكم ببيانِ شرائعِ ملّتِكم الحنيفيّةِ وأهديَكم لدينِ خليلى إبراهيمَ ، فأجعَلَ لكم دَعوتَه التى دعانى بها ومسألتَه التى سألَنيها فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] كما جعَلتُ لكم دَعوتَه التى دعانى بها ، ومسألَته التى سألَنيها فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ / إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] فابتعثْتُ ٣٦/٢
منكم رسولى الذى سألَنى خليلى إبراهيمُ وابنُه إسماعيلُ أن أبعَثَه من ذُرِّيتِهما .

فـ ﴿ كَمَآ ﴾ إذن - إذ كان ذلك معنى الكلامِ - صلةٌ لقولِ اللهِ : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ (٤) وتأويلُه : ولأُتِمَّ نعمتى عليكم كما أرسلْنا فيكم رسولًا منكم (٤) .

(١ - ١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « ترشدوا » .

(٢) فى م ، ت٢ : « القبلة » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى م : « ولا يكون قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾ . متعلقا بقوله : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ » . وهو جيد أيضًا .

وقد قال قومٌ[١] : إن مَعنى ذلك : فاذْكُرونى كما أرسَلْنا فيكم رسولًا منكم أذكُرْكم . وزعَموا أن ذلك من المقدَّمِ الذى مَعناه التأْخيرُ ، فأغرَقوا النَّزْعَ[٢] ، وبعُدوا من الإصابةِ ، وحمَلوا الكلامَ على غيرِ معناه المعروفِ ، وسِوَى وجهِه المفهومِ . وذلك أن الجارىَ من الكلامِ على ألسُنِ العربِ ، المفهومَ فى خطابِهم بينَهم ، إذا قال بعضُهم لبعضٍ : كما أحسَنتُ إليك يا فلانُ فأحسِنْ . أن لا يشترطوا : لأُحسن[٣] . لأن الكافَ فى « كما » شرطٌ ، معناه : افعَلْ كما فعَلتُ . ففى مجىءِ جوابِ : ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ . بعدَه ، وهو قولُه : ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ أوضحُ الدليلِ على أن قولَه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ من صلةِ الفعلِ الذى قبلَه ، وأن قولَه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ خبرٌ مبتدأٌ منقطِعٌ عن الأولِ ، وأنه من سببِ قولِه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ بمعزِلٍ .

وقد زعَم بعضُ النحْويين[٤] أن قولَه : ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ إذا جُعِل قولُه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ جوابًا له مع قولِه : ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ نظيرُ الجزاءِ الذى يُجابُ [٨١/٤و] بجوابين ، كقولِ القائلِ : إذا أتاك فلانٌ فائتِه تُرْضِه . فيصيرُ قولُه : فائتِه[٥] تُرْضِه جَوابين لقولِه : إذا أتاك . وكقولِه : إن تأتنى أُحسِنْ إليكَ أُكْرِمْك .

وهذا القولُ وإن كان مذهبًا من المذاهبِ ، فليس بالأشهرِ[٦] الأفصحِ فى كلامِ العربِ ، والذى هو أَوْلَى بكتابِ اللهِ أن يوجَّهَ إليه من اللغاتِ الأفصحُ الأعرفُ من كلامِ العربِ ، دونَ الأنْكرِ الأجهلِ من منطقِها . هذا ، مع بُعد وَجْهِه من المفهومِ فى التأويلِ .

---

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٩٢.

(٢) أغرق النازع فى القوس : أى استوفى مدها ، يضرب مثلا للغلو والإفراط . اللسان (غ ر ق) .

(٣) فى م : « للآخر » .

(٤) هو من قول الفراء أيضا ، ينظر معانى القرآن ١/ ٩٢.

(٥) بعده فى م : « و » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بالأسهل » .

ذكرُ من **قال** : إن قولَه : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ ﴾ جوابٌ لقولِه : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، قال : سمِعتُ ابنَ أبى نَجيحٍ يقولُ فى قولِ اللهِ : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ : كما فعَلتُ فاذْكرونى .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(١)] .

[(٢)] وأمّا[(٢)] قولُه : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ فإنه يَعنى بذلك العربَ ، قال لهم : الزَموا أيها العربُ طاعتى ، وتوجَّهوا إلى القِبلةِ التى أمَرْتكم بالتوجُّهِ إليها ، لتنقطِعَ حُجّةُ اليهودِ عنكم ، فلا تكونُ لهم عليكم حُجّةٌ ، ولأُتمَّ نعمتى عليكم وتهْتدوا ، كما ابتدَأْتكم بنعمَتى ، فأرسَلْتُ فيكم رسولًا إليكم منكم . وذلك الرسولُ الذى أرسَلَه إليهم منهم محمدٌ ﷺ .

كما **حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ يعنى محمدًا ﷺ[(٣)] .

وأما قولُه : ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ فإنه يعنى آياتِ القرآنِ . وبقولِه :
٣٧/٢ ﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾ ويطهِّرُكم من /دَنسِ الذنوبِ : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وهو

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٧، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٩/١ (١٣٩١) ، وينظر تفسير البغوى ١/ ١٦٦، ١٦٧. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وقد سقط أوله من المطبوع .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٩/١ عقب الأثر (١٣٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

القرآنُ[١] ، يعنى أنه يعلِّمُهم أحكامَه . ويعنى بالحكمةِ السُّنَنَ والفقهَ فى الدينِ ، وقد بيَّنا جميعَ ذلك فيما مضَى قبلُ بشواهِدِه[٢] .

وأما قولُه : ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ فإنه يَعنى : ويعلِّمُكم من أخبارِ الأنبياءِ ، وقَصصِ الأممِ الخاليةِ ، والخبرِ عما هو حادثٌ وكائنٌ من الأمورِ التى لم تكنِ العربُ تعلَمُها . فعلَّمهموها[٣] رسولُ اللهِ ﷺ . فأخبَرهم اللهُ أن ذلك كلَّه إنما يُدْرِكونه برسولِ الله ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

[٨١/٤ظ] يَعنى بذلك : فاذْكُرونى أيها المؤمنون بطاعتِكم إيّاىَ فيما آمُرُكم به وفيما أنْهاكم عنه ، أذكُرْكم برحْمتى إيَّاكم ومغْفِرتى لكم .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ لَهيعَةَ ، عن عطاءِ بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ فى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال : اذْكُرونى بطاعتى ، أذكُرْكم بمغفرتى[٤] .

وقد كان بعضُهم يتأوَّلُ ذلك أنه من الذِّكرِ بالثناءِ والمدحِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

(١) فى م : « الفرقان » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٧٥ .

(٣) فى م : « فعلموها من » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٠ (١٣٩٨) من طريق ابن لهيعة به . وأخرجه ١/ ٢٦١ (١٣٩٩) من طريق ابن لهيعة به ، بلفظ : أذكركم برحمتى . وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ١/ ١٤٨ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير البغوى ١/ ١٦٧ .

الربيعِ فى قولِه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ إن اللهَ ذاكرٌ من ذكَره ، وزائدٌ من شكَره ، ومعذِّبٌ من كفَره[(١)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال : ليس مِن عبدٍ يذكُرُ اللهَ إلا ذكَره اللهُ ، لا يذكُرُه مؤمنٌ إلا ذكَره برحمةٍ ، ولا يذكُرُه كافرٌ إلا ذكَره بعذابٍ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾ .

يَعنى : اشكُروا لى أيُّها المؤمنون فيما أنعمتُ عليكم به من الإسلامِ ، والهدايةِ للدينِ الذى شرَعتُه لأنبيائى وأصْفيائى ، ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ . يقولُ : ولا تجْحَدوا إحسانى إليكم ، فأسْلُبَكم نعمَتى التى أنعمْتُ عليكم ، ولكنِ اشكُروا لى عليها ، فأزيدَكم ، وأُتَمِّمَ نعمَتى عليكم ، وأهديَكم لما هَدَيتُ له من رَضِيتُ عنه من عبادى ، فإنى وَعَدتُ خلقى أن من شكَر لى زدْتُه ، ومن كفَرنى حرَمتُه وسلَبتُه ما أعطَيتُه . والعربُ تقولُ : [(٣)]شكَرْتُ لك صَنيعتَك . ولا تكادُ تقولُ : شكَرْتُك . وكذلك تقولُ : نصَحتُ لك[(٣)] . ولا تكادُ تقولُ : نصَحتُك . وربما قالتْ : شكَرتُك ونصَحتُك . من ذلك قولُ الشاعرِ[(٤)] :

هُمُ جمَعوا بُؤْسَى ونُعْمَى عليكُمُ   فهلَّا شَكَرْتَ القَوْمَ إذْ[(٥)] لم تُقاتِلِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٠، ٢٦١ عقب الأثر (١٣٩٦، ١٤٠٣) من طريق ابن أبى جعفر به ، نحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٠ عقب الأثر (١٣٩٦، ١٣٩٧) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به ، نحوه .

(٣ - ٣) فى م : « نصحت لك وشكرت لك » .

(٤) نسبه أبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٤٤٧ إلى عمرو بن لجأ التميمى ، وذكره الفراء فى معانى القرآن ١/ ٩٢ ولم ينسبه .

(٥) فى م : « إن » .

وقال النابغةُ فى : نَصَحْتُك[(١)] :

نَصَحْتُ بنى عَوْفٍ فلم يَتقبَّلوا رسولى[(٢)] ولم تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسائِلى

/وقد دلَّلْنا على أن معنى الشكرِ الثناءُ على الرجلِ بأفعالِه المحمودَةِ، وأن معنى ٣٨/٢
الكفرِ تغطيةُ الشيءِ، فيما مضَى قبلُ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه[(٣)].

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ [٨٢/٤و] ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

وهذه الآيةُ حَضٌّ من اللهِ على طاعتِه، واحتمالِ مَكْروهِها على الأبدانِ والأموالِ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ ﴾ على القيامِ بطاعتى، وأداءِ فرائضِى فى ناسخِ أحكامِى، والانصرافِ عما أنْسَخُه منها إلى الذى أُحْدِثُه لكم مِن فرائضِى، وأنقُلُكم[(٤)] إليه مِن أحْكَامِى، والتسليمِ لأمرِى فيما آمرُكم به فى حينِ إلزامِكم حُكْمَه، والتحوُّلِ عنه بعدَ تحويلى إيَّاكم عنه - وإنْ لحِقَكُم فى ذلك مَكْروهٌ مِن مقالةِ أعدائِكم مِن الكفارِ [(٥)]تَحَذُّلٌ منهم لكم بالباطلِ[(٥)]، أو مَشَقَّةٌ على أبدانِكم فى قيامِكم به، أو نَقْصٌ فى أموالِكم - وعلى جهادِ أعدائِكم وحربِهم فى سبيلى، بالصبرِ مِنكم لى على مكروهِ ذلك، ومشقتِه عليكم، واحتمالِ عِبْئِه[(٦)]

(١) ديوان النابغة صفحة ٦٧.

(٢) فى ديوان النابغة تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم صفحة ١٤٣ : «وصاتى». والرسول : الرسالة، يؤنث ويذكر. اللسان (ر س ل).

(٣) ينظر ما تقدم فى معنى الشكر فى ١/١٣٥ - ١٣٨، وفى معنى الكفر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢.

(٤) فى حاشية الأصل : «فى الأم وأنقله».

(٥ - ٥) فى م : «بقذفهم لكم الباطل»، وفى ت ١ : «يحد لهم منهم لهم الباطل»، وفى ت ٢ : «لخذلهم منهم لكم بالباطل»، وفى ت ٣ : «بخذلهم منهم لكم بالباطل». وتحذُّل أى : ظلم. ينظر التاج (ح د ل).

(٦) فى م : «عنائه».

وثِقَلِه ، (١) وبالعزاءِ منكم عمَّن قُتِل فى سبيلى (١) ، ثم بالفَزعِ منكم فيما ينوبُكم مِن مُفظِعاتِ الأمورِ إلى الصلاةِ لى ، فإنَّكم بالصبرِ على المَكارِه تُدْرِكون مرضاتى ، وبالصلاةِ لى تَسْتَنْجِحون طَلِباتِكم قِبَلى ، وتُدْرِكون حاجاتِكم عندى ، فإنى مع الصابرين على القيامِ بأداءِ فرائِضِى وتركِ معاصِىَّ ، أنصُرُهم وأرعاهُم وأكلؤُهم حتى يظفَرُوا بما طلَبوا وأمَّلوا مِن قِبَلى ، وقد بَيَّنْتُ معنى الصبرِ والصلاةِ فيما مضَى قبلُ فكرِهْنا إعادَتَه (٢) .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ . يقولُ : استعينوا بالصبرِ والصلاةِ على مرضاةِ اللهِ ، واعلَموا أنَّهما مِن طاعةِ اللهِ (٣) .

حُدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قولَه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ اعْلَموا أنهما عَوْنٌ على طاعةِ اللهِ .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ فإن تأويلَه أن اللهَ ناصِرُه وظَهِيرُه ، وراضٍ بفعلِه ، كقولِ القائلِ لآخرَ : « افعلْ يا فلانُ كذا وأنا معكَ » . يعنى : إنى ناصرُك على فعلِك ذلك ومعينُك عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبرِ على طاعتى فى جهادِ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٤٨ ، ٦١٧ ، ٦١٨ .

(٣) تقدم فى ١/ ٦٢٠ ، ٦٢١ .

عدوِّكم ، وتركِ معاصىَّ ، وأداءِ سائرِ فرائضِى عليكم ، ولا تقولوا لمَن يُقتلُ مِنكم فى سبيلى : هو ميِّتٌ . فإن الميتَ مِن خلقِى هو مَن سلَبتُه حياتَه وأعدمْتُه حوَاسَّه ، فلا يَلْتَذُّ لذَّةً ولا يُدرِكُ [٨٢/٤ظ] نعيمًا ، وإنَّ مَن قُتِلَ مِنكم ومِن سائرِ خَلقِى فى سبيلِى أحياءٌ عندِى فى حَبْرةٍ(١) ونعيمٍ ، وعيشٍ هنىٍّ ، ورِزْقٍ سَنىٍّ ، فَرِحين بما آتيْتُهم مِن فضلِى وحَبَوْتُهم به مِن كرامتى .

/ كما حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال: ثنا عيسى ، عن ابنِ ٣٩/٢
أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِه: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].
قال : (٢) يُرزَقون (٢) من ثمرِ الجنةِ ، ويجدون ريحَها وليسُوا فيها(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قولَه : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ ، (٤) كنا نُحدَّثُ (٤) أنّ أرواحَ الشهداءِ تَعارفُ فى طيرٍ بِيضٍ(٥) يأْكُلْنَ من ثمارِ الجنةِ ، وأن مساكنَهم السِّدرةُ(٦) ، وأن للمجاهدِ فى سبيلِ اللهِ ثلاثَ خَصَلاتٍ(٧) : مَن قُتِلَ فى

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حياة » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٧ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١٣/٢ (٤٤٩٥) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٥٥ ، ٩٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤ - ٤) فى م : « كما يحدث » .

(٥) فى الأصل : « خضر » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سدرة المنتهى » .

(٧) فى م : « خصال من خير » .

سبيلِ اللهِ منهم صارَ حيًّا مَرْزوقًا ، ومَن غلَب آتاه اللهُ أجرًا عظيمًا ، ومَن ماتَ رزَقَه اللهُ رِزقًا حَسنًا[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ . قال : أرواحُ الشهداءِ فى صُوَرِ[(٢)] طيرٍ بيضٍ[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ . [(٤)]قال : أحياءٌ[(٤)] فى صورِ طيرٍ خضرٍ يطيرون فى الجنةِ حيث شاءُوا منها ، يأكلون مِن حيثُ شاءُوا[(٥)] .

حدَّثنى المثنى ، [(٦)]قال : حدثنا إسحاقُ[(٦)] ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ غِياثٍ ، قال : سمعتُ عكرمةَ يقول فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ . قال : أرواحُ الشهداءِ فى طيرٍ بِيضٍ[(٧)] فى الجنةِ[(٨)] .

فإن قال لنا قائلٌ : وما فى قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٥٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى الأصل : « صدور » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٦٣، وأخرجه كذلك فى مصنفه (٩٥٥٣، ٩٥٥٨) ، وينظر الدر المنثور ١/ ١٥٥.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيأتى نحوه عن الربيع فى ٦/٢٣١ ، ٢٣٢ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٦٣ (١٤١٢) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبى جعفر عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٧) فى م : « خضر » .

(٨) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٥/٣٣٧ من طريق عثمان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٥٥ إلى=

﴿أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ مِن خصوصيةِ الخبرِ عن المقتولِ فى سبيلِ اللهِ الذى لم يُعمَّ به غيرُه ، وقد عَلِمتَ تَظاهرَ الأخبارِ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه وصَف حالَ المؤمنينَ والكافرينَ بعدَ وفاتِهم ، فأخبرَ عن المؤمنينَ أنهم تُفتحُ لهم مِن قبورِهم أبوابٌ إلى الجنةِ يتَنَسَّمُون[(١)] منها رَوْحَها ، ويَستَعْجِلونَ اللهَ قيامَ الساعةِ ؛ ليَصيروا إلى مساكنِهم منها ، ويُجْمَعَ بينَهم وبينَ أهاليهم وأولادِهم فيها ، وعن الكافرين أنه[(٢)] تُفْتَحُ لهم من قبورِهم أبوابٌ إلى النارِ يَنظُرونَ إليها ويُصيبُهم مِن نَتْنِها ومَكْروهِها ، ويُسلَّطُ عليهم فيها إلى قيامِ الساعةِ مَن يَقمَعُهم فيها ، ويسألون اللهَ فيها تأخيرَ قيامِ الساعةِ ؛ حَذارًا مِن المصيرِ إلى ما [٨٣/٤و] أُعِدَّ لهم فيها ، من[(٣)] أشباهِ ذلك من الأخبارِ[(٤)] . فإذا كانت الأخبارُ بذلك مُتَظاهرةً عن رسولِ الله ﷺ ، فما الذى خُصَّ به القتيلُ فى سبيلِ اللهِ مما لمْ يُعمَّ به سائرُ البشرِ غيرُه من الحياةِ ، وسائرُ الكفارِ والمؤمنين غيرُه أحياءٌ فى البَرْزَخِ ؛ أما الكفارُ فمعذَّبونَ فيه بالمَعيشَةِ الضَّنْكِ ، وأما المؤمنون فمُنَعَّمون بالرَّوْحِ والرَّيْحانِ ونَسيمِ الجِنَانِ ؟

قيل : إنّ الذى خَصَّ اللهُ به الشهداءَ فى ذلك وأفادَ المؤمنين بخبرِه عنهم جلَّ ثناؤُه ، إعلامُه إيَّاهم أنَّهم مَرزُوقون مِن مآكلِ الجنةِ ومطاعِمِها فى بَرْزَخِهم قَبلَ بَعْثِهم ، ومُنعَّمُون بالذى يُنَعَّمُ به داخلُوها بعدَ البعثِ / من سائرِ البشرِ مِن لَذيذِ ٤٠/٢
مطاعمِها ، (٥)التى لم يُعْطِها(٥) اللهُ أحدًا غيرَهم فى بَرْزَخِه قبلَ مَبْعَثِه[(٦)] ، فذلك هو

= المصنف وابن أبى شيبة فى المصنف . وعثمان بن غياث ، كان يحيى بن سعيد يضعف حديثه عن عكرمة فى التفسير.

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢: « يشمون » .

(٢) فى م : « أنهم » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « مع » .

(٤) ينظر مسند الطيالسى (٧٨٩) .

(٥ - ٥) فى م ، ت ٣: « الذى لم يطعمها » ، وفى ت ١ ، ت ٢: « التى لم يعطها » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بعثه » .

الفضيلةُ التي فضَّلهم بها وخصَّهم بها مِن غيرِهم ، والفائدةُ التي أفاد المؤمنين بالخبرِ عنهم ، فقال جلَّ وعزَّ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٦٩، ١٧٠].

وبمثلِ ذلك جاء الخبرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ وعَبْدَةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الحارثِ بنِ فُضيلٍ ، عن محمودِ بنِ لَبيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الشُّهَداءُ على بارقٍ(١) ؛ نهرٍ ببابِ الجنَّةِ ، في قُبَّةٍ خَضْراءَ - وقال عَبْدَةُ : في رَوْضَةٍ خَضْراءَ - يَخْرُجُ عليهم رِزْقُهُمْ مِنَ الجنَّةِ بُكرَةً وَعَشِيًّا »(٢) .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، عن الإفْريقيِّ ، عن ابنِ يسارٍ(٣) السُّلَمِيِّ ، أو أبي يسارٍ(٣) - الطبريُّ يشكُّ - قال : أرواحُ الشهداءِ في قِبابٍ بِيضٍ مِن قِبابِ الجنةِ ، في كلِّ قُبةٍ زوجتانِ ، رِزْقُهمْ في كلِّ يومٍ طلَعتْ فيه الشمسُ ثَوْرٌ وحُوتٌ ؛ فأمَّا الثورُ ففيه طَعْمُ كلِّ ثَمرةٍ في الجنةِ ، وأما الحوتُ ففيهِ طَعْمُ كلِّ شرابٍ في الجنةِ(٤) .

فإن قال قائلٌ : فإن الخبرَ عمَّا ذكرتَ أن اللهَ أفاد المؤمنين بخبرِه عن الشهداءِ من النِّعمةِ التي خصَّهم بها في البرْزَخِ ، غيرُ موجودٍ في قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ وإنما فيه الخبرُ عن حالِهم ؛ أمواتٌ هُمْ أمْ أحياءٌ .

---

(١) بعده في ص ، ت٢ ، ت٣ : « على » .

(٢) سيأتي تخريجه في ٦/ ٢٣٠.

(٣) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يشار » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٩٦ إلى المصنف .

قيل : إن المقصودَ بذكرِ الخبرِ عن حياتِهم إنما هو الخبرُ عمَّا هُمْ فيه مِنَ النِّعمةِ ، ولكنَّه جلَّ ذكرُه لمَّا كان قد أنبأ عبادَه عمَّا قد خصَّ به الشهداءَ - في قولِه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . وعلِمُوا حالَهم بخبرِه ذلك ، ثم كان المرادُ من اللهِ في قولِه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ نَهْىَ خَلْقِه عن أن يقولوا للشهداءِ : إنَّهم مَوْتَى - ترك إعادةَ ذكرِ ما قد بيَّنَ لهم مِن خبرِهم .

وأما قولُه : ﴿ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ فإنه يعني به : ولكنَّكم لا ترونَهم ، فتعلَموا أنّهم أحياءٌ ، وإنما [٨٣/٤ظ] تعلَمون ذلك بخبرِى إيّاكم به .

وإنما رفَع قولَه : ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ بإضمارِ مكنيٍّ من[(١)] أسماءِ : « من يُقتلُ في سبيلِ اللهِ » .

ومعنى ذلك : ولا تقولوا لمن يُقتلُ في سبيلِ اللهِ : هُم أمواتٌ . ولا يجوزُ النصبُ في « الأمواتِ » ؛ لأنّ « القولَ » لا يعملُ فيهم ، وكذلك قولُه : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ رفعٌ بمعنى [(٢)]بل هم[(٢)] أحياءٌ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ .

/وهذا إخبارٌ من اللهِ أتباعَ رسولِه محمدٍ ، أنه مُبتليهم فممتحنُهم بشدائدَ من ٤١/٢
الأمورِ ؛ ليعلَمَ مَن يَتَّبعُ الرسولَ مِمَّن يَنقَلِبُ على عَقِبَيْهِ ، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويلِ القِبلةِ مِن بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ ، وكما امتحَن أصْفِياءَه قبلَهم ، ووعَدهم

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن » .

(٢ - ٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنهم » .

ذلك فى آيةٍ أخرى فقال لهم : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك كان ابنُ عباسٍ وغيرُه يقولُ .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا عبدُ اللهِ ، قال : حدثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قولَه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ ونحوِ هذا . قال : أخبرَ اللهُ سبحانَه المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاءٍ ، وأنه مُبتَلِيهم فيها ، وأمَرَهُم بالصبرِ وبشَّرهم ، فقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . ثم أخبرَهم أنه هكذا فعَل بأنبيائِه وصِفْوَتِه ؛ لتَطِيبَ أنفسُهم ، فقال : ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾[(١)] .

فمعنى قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ : ولَنَخْتَبِرَنَّكم ، وقد أتَيْنا على البيانِ عن أن معنى الابتلاءِ الاختبارُ ، فيما مضَى قبلُ[(٢)] .

وقولُه : ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ ، يعنى : من الخوفِ مِن العدوِّ ، وبالجوعِ ، وهو القَحْطُ ، يقولُ : لَنَخْتَبِرَنَّكُم بشىءٍ مِن خوفٍ ينالُكم مِن عدُوِّكم ، وبسَنةٍ تُصيبُكم ، ينالُكم فيها مجاعةٌ وشدَّةٌ وتَعَذُّرُ المطالبِ عليكم ، فتنقُصُ لذلك أموالُكم ، وحروبٍ تكونُ بينَكم ، وبينَ أعدائِكم من الكفارِ ، فينقُصُ لها عددُكم ، وموتِ ذَرارِيِّكم وأولادِكم ، وجُدوبٍ تحدُثُ ، فتَنْقُصُ لها ثمارُكم ، كلُّ ذلك امتحانٌ منِّى لكم ، واختبارٌ منِّى لكم ؛ ليتَبَيَّنَ صادقُوكُم فى إيمانِهم مِن كاذِبِيكم فيه ، ويُعرفَ أهلُ البصائرِ فى دينِه[(٣)] مِنكم مِن أهلِ النفاقِ فيه ، والشكِّ والارتيابِ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٦٣، ٢٦٤ (١٤١٦، ١٤١٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) ينظر ما مضى فى ١/ ٦٥٣ ، ٦٥٤.

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢: « دينهم » .

كلُّ ذلك خطابٌ منه لأتباعِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه .

كما حدثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأصمُّ الكوفيُّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المحاربيُّ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ . قال : هم أصحابُ محمدٍ ﷺ[1] .

وإنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ ﴾ ، ولم يقُلْ : بأشياءَ ؛ لاختلافِ أنواعِ ما أعلمَ عبادَه [٨٤/٤و] أنه مُمتَحنُهم به ، فلما كانَ ذلك مختلفًا - وكانتْ « مِن » تدلُّ على أن مع كلِّ نوعٍ منها مُضْمَرًا « شىءٌ » ، وأنّ معنى ذلك : ولَنَبْلونَّكم بشىءٍ مِن الخوفِ ، وبشىءٍ من الجوعِ ، وبشىءٍ من نقصِ الأموالِ - اكتفَى بدَلالةِ ذِكرِ « الشىءِ » فى أولِه من إعادتِه مع كلِّ نوعٍ منها . ففعَل جلَّ ثناؤُه كلَّ ذلك بهِم ، فامتحَنهم بضُروبِ المِحَنِ .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾. قال: قد كان ذلك، وسيكونُ ما هو أشدُّ مِن ذلك ، قال اللهُ عند ذلك :
﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ /أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ ٤٢/٢
رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[2] .

ثم قال جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ : وبشِّرْ ، يا محمدُ ، الصابرين على امتحانى بما أَمْتَحِنُهم[3] به ، والحافظين أنفسَهم عن التقدّمِ على نَهْيِى عما أنهاهم عنه ، والآخذِين

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٣/١ (١٤١٤، ١٤١٥) ، من طريق عبد الملك به .
(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .
(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « امتحنتهم » .

أنفُسَهم بأداءِ ما أكلِّفُهم مِن فرائِضِى مع ابتلائى إيَّاهم بما أبْتَلِيهم[(١)] به ، القَائلين إذا أصابتْهم مصيبةٌ : نحن[(٢)] للهِ ونحن[(٢)] إليه راجعون . فأمَره اللهُ عزَّ وجلَّ بأن يَخصَّ بالبشارَةِ على ما يَمْتَحِنُهم به من الشدائدِ ، أهلَ الصبرِ الذين وصَف صِفتَهم .

وأصلُ « التبشيرِ » : إخبارُ الرجلِ الرجلَ الخبرَ يَسُرُّه أو يَسوءُه لم يَسْبِقْه به إليه غيرُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ .

يعنى بذلك : وبشِّرْ ، يا محمدُ ، [(٣)]من الصابرين[(٣)] ، الصابرين الذين يعلَمون أن جميعَ ما بهم مِن نعمةٍ فمنِّى ، فيُقِرُّون بعبودتى[(٤)] ، ويوحِّدونَنى بالرُّبوبيةِ ، ويصدِّقون بالمعادِ والرجوعِ إلىَّ ، فيَستسْلِمون لقضائى ، ويَرجُون ثَوابِى ، ويخافون عقابِى ، ويقولون - عندَ امتحانى إيَّاهم ببعضِ مِحَنِى ، وابتلائِى إيَّاهم بما وعَدتُهم أن أبتلِيَهم به من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وغيرِ ذلك من المصائبِ التى أنا مُمْتَحِنُهم بها - : إنَّا مماليكُ ربِّنا ومَعْبودِنا أحياءً ونحنُ عبيدُه ، وإنَّا إليه بعدَ مَماتِنا صائرونَ . تسليمًا لقضائى ورضًا بأحكامِى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ .

[٨٤/٤ظ] يعنى بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : هؤلاءِ الصابرين الذين وصَفهم ونعَتهم . ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يعنى : لهم ﴿ صَلَوَٰتٞ ﴾ يعنى : مغفرةٌ . وصلواتُ اللهِ على عبادِه :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ابتليتهم » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إنا » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعبوديتى » .

غُفرانُه[(١)] ، كالذى رُوِى عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « اللّهُم صَلِّ على آلِ أبى أوْفَى »[(٢)] . يعنى : اغفرْ لهم .

وقد بيَّنَّا الصلاةَ وما أصلُها فى غيرِ هذا الموضعِ[(٣)] .

وقولُه : ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، يعنى : ولهم مع المغفرةِ التى[(٤)] صفَح عن ذنوبِهم وتغمَّدها ، رحمةٌ من اللهِ لهم ورأفةٌ .

ثم أخبَر عزَّ وجلَّ - مع الذى ذكَر أنه مُعطيهم على اصطِبارِهم على مِحَنِه تسليمًا منهم لقضائِه من المغفرةِ والرحمةِ - أنهم هم المهتدون المصيبون طريقَ الحقِّ ، والقائلون ما يُرْضِى عنهم ربَّهم[(٥)] ، والفاعلون ما استوجَبُوا به من اللهِ الجزيلَ مِن الثوابِ .

وقد بيَّنا معنى الاهتداءِ فيما مضَى ، وأنه بمعنى الرُّشْدِ للصوابِ[(٦)] .

وبمعنى ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) بعده فى م : « لعباده » ، وبعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عباده » .

(٢) أخرجه البخارى (١٤٩٧) ، ومسلم (١٠٧٨) . وينظر مسند الطيالسى (٨٥٧) .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢٤٨/١ .

(٤) بعده فى م : « بها » .

(٥) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٦) ينظر ما تقدم فى ٢٣٤/١ .

٤٣/٢ ﴿ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ . قال : أخبرَ اللهُ أنّ المؤمنَ /إذا سلَّم لأمرِ اللهِ ، ورجَّع واسْتَرْجَعَ عندَ المصيبةِ ، كتَب اللهُ[1] له ثلاثَ خصالٍ من الخيرِ : الصلاةَ مِن اللهِ ، والرحمةَ ، وتحقيقَ سبيلِ الهدَى . وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ ، وأحْسَنَ عُقْباهُ ، وجعَل له خلَفًا صَالحًا يَرْضَاهُ »[2] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ . يقولُ : الصلواتُ والرحمةُ على الذين صبرُوا واسْتَرْجعوا[3] .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ العُصْفُريِّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : ما أُعطِيَ أحدٌ ما أُعطِيَتْ هذه الأُمةُ : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ولو أُعطِيَها أحدٌ لأُعطِيَها يعقوبُ ، ألَمْ تسمَعْ إلى قولِه : ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[4] [يوسف : ٨٤] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ .

والصَّفَا : جمعُ صَفَاةٍ ، وهي الصخرةُ المَلْساءُ ، ومنه قولُ الطِّرمَّاحِ بنِ حكيمٍ[5] :

أَبَى لي ذُو القُوَى والطَّوْلِ أَلَّا يُؤَبِّسَ[6] حافِرٌ أَبَدًا صَفَاتِي

---

(١) ليس في : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٤/١ (١٤٢١) ، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٧) ، والبيهقي في الشعب (٩٦٨٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٦/١ (١٤٢٨) ، والبيهقي في الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٥/١ (١٤٢٢) ، والبيهقي في الشعب (٩٦٩١) من طريق سفيان العصفري به .

(٥) ديوانه ص ٢٤. وفيه يؤيس بدلا من يؤبس ، وهما بمعنى . وينظر التاج (أ ب س ، أ ى س) .

(٦) ذو القوى والطول : هو الله تعالى ذكره ، ويؤبس : يذلل ويكسر . ينظر التاج (أ ب س) .

وقد قيل : إن الصَّفَا واحدٌ ، وأنه يُثنَّى صفوَان ، ويُجمعُ أصْفاءٌ وصُفِيًّا وصِفيًّا .
واستشهَدوا [٤/٨٥و] على ذلك بقولِ الراجزِ (١) :

كـأنَّ مَتْنَيْـه مِن النَّفِيِّ (٢)

مَوَاقِعُ الطَّيْرِ على الصُّفِيِّ

وقالوا : هو نظيرُ عَصًا وعُصِيٍّ ورَحًا ورُحِيٍّ وأرْحَاءٍ (٣) .

وأمَّا المرْوَةُ فإنَّها الحصاةُ الصغيرةُ يُجمعُ قليلُها ؛ مَرَوَاتٌ ، وكثيرُها ؛ المرْوُ مثلُ تَمْرَةٍ وتَمَراتٍ وتَمْرٍ . كما قال الأعشى ميمونُ بنُ قَيْسٍ (٤) :

(٥) وتُـولِّـى الأرْضَ (٥) خُـفًّـا زائِـلًا (٦) فـإذا مـا صـادَف المَرْوَ رَضَـحْ (٧)

يعنى بالمَرْوِ : الحصَى (٨) الصغارَ ، ومِن ذلك قولُ أبى ذؤيبٍ الهُذَلىِّ (٩) :

/حتى كـأنّى للـحَـوادِثِ مَرْوَةٌ بصَفا المُشَرَّقِ (١٠) كلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ ٤٤/٢

(١١) ويُقالُ : المشقَّرُ (١١) . وإنما عنَى اللهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا

---

(١) هو الأخيل الطائى . كما فى اللسان (ن ف ى ، هـ ى ص ، هـ ى ض) . وينظر أمالى القالى ٢/ ٨.
(٢) فى الأصل ، ت ١، ت ٣، وفى ت ٢: « التقى » والنفى : ما وقع عن الرِّشاء من الماء على ظهر المُستقى . وقيل : هو تطاير الماء عن الرشاء عند الاستقاء . اللسان (ن ف ى) .
(٣) ينظر تفسير الطبرى تحقيق الشيخ محمود شاكر ٢/ ٢٢٥.
(٤) ديوانه ص ٢٤١.
(٥ - ٥) فى م : « وترى بالأرض » . وفى ت ٢: « وترى الأرض » .
(٦) فى الأصل : « زابلا » ، وفى الديوان : « مجمرًا » .
(٧) رضَح الحصى والنَّوى يَرْضَحه رَضْحا . كسره ودقَّه . التاج (ر ض ح) .
(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الصخر » . وينظر القاموس المحيط (م ر و) .
(٩) ديوان الهذليين ١/ ٣ وشرح أشعار الهذليين ١/ ٩، واللسان : (ش ر ق) .
(١٠) قال الضبى : المشرَّق المُصلَّى . قال ابن الأنبارى : وإنما خص المشرق ؛ لكثرة مرور الناس به . ديوان المفضليات ص ٨٥٧.
(١١ - ١١) سقط من : الأصل . والمشقر : لفظ رواية أبى عبيدة ، قال ابن الأنبارى : يعنى سوق الطائف .=

وَٱلْمَرْوَةَ ﴾ . فى هذا الموضعِ : الجبَلَيْن المسمَّيَيْنِ بهذَيْنِ الاسْمَيْنِ اللذَيْنِ فى حَرَمِه دونَ سائرِ الصَّفا والمرْوةِ[(١)] ، ولذلك أدخَل فيهما الألفَ واللَّامَ ؛ ليُعْلِمَ عبادَه أنه عنَى بذلك الجبلَيْنْ المعروفَيْن بهذَيْن الاسمَيْن ، دون سائرِ الأصفاءِ والمرْوِ .

وأما قولُه : ﴿ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . فإنه يَعْنى به : مِن معالم اللهِ التى جعَلَها جلَّ ثناؤُه لعبادِه مَعْلَمًا ومَشْعَرًا يعبدونَه عندَها إمَّا بالدُّعاءِ ، وإمَّا بالذِّكرِ[(٢)] ، وإما بأداءِ ما فُرِضَ عليهم من العملِ عندَها ، ومنه قولُ الكُميتِ[(٣)] بنِ زيدٍ :

نُقَتِّلُهُمْ جِيلًا[(٤)] فجِيلًا نَراهُمُ[(٥)] شَعائِرَ قُرْبانٍ بِهِمْ نَتَقَرَّبُ[(٦)]

وكان مجاهدٌ يقولُ فى الشعائرِ ما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، حدثنا عيسى ، **وحدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : من الخيرِ الذى أَخبَركم عنه[(٧)] .

فكأنّ مجاهدًا كان يرى أن الشعائرَ إنما هو جمعُ شَعِيرةٍ من إشْعارِ اللهِ عبادَه أمْرَ الصفَا والمروةِ ، وما عليهم فى الطوافِ بهما ، بمعنى[(٨)] إعلامِهم ذلك ، وذلك تأويلٌ من المَفْهومِ بعيدٌ .

= ينظر المصدر السابق .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المرو » .

(٢) فى الأصل : « الصلاة » . وفى ت ٣ : « بالفكرة » .

(٣) البيت فى اللسان ، والتاج (ش ع ر) .

(٤) فى م : « جبيلا » .

(٥) فى م ، واللسان ، والتاج : « تراهم » . وينظر تفسير الطبرى للشيخ محمود شاكر ٢٢٦/٢ حاشية (٣) .

(٦) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « يتقرب » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٧ ، بزيادة ستأتى فى ص ٧١٦ ، ٧٢٣ ، ٧٢٨ .

(٨) فى م : « فمعناه » .

وإنما أعلَمَ اللهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . عبادَه المؤمنين أن السَّعىَ بينهما مِن مَشاعرِ الحجِّ التى سنَّها لهم ، وأمَر بها خليلَه إبراهيمَ ﷺ ، إذْ سأله أن يُرِيَه مناسكَ الحجِّ ، وذلك وإنْ كان مَخرجُه مَخرَجَ الخبرِ ، فإنه مرادٌ به الأمرُ ؛ لأن اللهَ تعالى ذكرُه قد أمَر نبيَّه محمدًا ﷺ باتِّباعِ مِلةِ إبراهيمَ عليه السلامُ ، فقال له : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣] وجعَل تعالى ذِكرُه إبراهيمَ إمامًا لمن بعدَه ، فإذا كان صحيحًا أن الطوافَ والسعىَ بينَ الصفَا والمروةِ مِن شعائرِ اللهِ ومن مَناسِكِ الحجِّ ، فمعلومٌ أنَّ إبراهيمَ ﷺ ، قد عمِل به ، وسنَّه لمَنْ بعدَه ، وقد أُمِر نبيُّنا ﷺ وأُمَّتُه باتِّباعِه ، فعليهِمُ العملُ بذلك على ما بيَّنه رسولُ اللَّهِ ﷺ [٨٥/٤ظ] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكرُه : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ ﴾ فمَن أتاه عائدًا إليه بعدَ بدءٍ ، وكذلك كلُّ مَن أكثَرَ الاختلافَ إلى شىءٍ فهو حاجٌّ إليه ، ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

وأَشْهدَ مِن عَوْفٍ حُلُولًا كَثيرةً يَحُجُّونَ بيتَ[(٢)] الزِّبْرِقانِ[(٣)] المُزَعْفَرَا

٤٥/٢ /يعنى بقولِه يَحجُّون : يُكثِرون التردُّدَ إليه لسُؤْدَدِه ورياسَتِه ، وإنّما قيل للحاجِّ : حاجٌّ . لأنه يأتى البيتَ قبلَ التعريفِ[(٤)] ، ثم يعودُ إليه للطوافِ[(٥)] يومَ النَّحْرِ

(١) هو المخبل السعدى ، والبيت فى البيان والتبين ٣/ ٩٧، وفى التاج (س ب ب) . واللسان (س ب ب ، ح ج ج ، ز ب ر ق) .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى مصادر التخريج : « سِبّ » والسب : هو العمامة كما ذهب إليه الجاحظ ووافقه الطبرى ، وذهب غيرهم إلى أن السب هنا هى الاست . ينظر تعليق الشيخ شاكر ٣/ ٢٢٨.

(٣) الزبرقان : هو حصين بن بدر الفزارى من سادات العرب . المصدر السابق (س ب ب) .

(٤) التعريف : الوقوف بعرفات . اللسان (ع ر ف) .

(٥) فى م ، ت ٣: « لطواف » وفى ت ٢: « مرة بعد أخرى لطواف » .

بعدَ التعريفِ ، ثم يَنْصَرِفُ عنه إلى مِنًى ، ثم يعودُ إليه لِطوافِ الصَّدَرِ[(١)] ، فلِتَكْرارِه العَوْدَ إليه مرَّةً بعدَ أُخرى قيل له : حاجٌّ . وأما المعتمرُ فإنما قيلَ له : مُعْتَمِرٌ . لأنه إذا طاف به انْصَرَف عنه بعدَ زيارتِه إيّاه ، وأما قولُه : ﴿ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ فإنه يعنى : أو اعتمَرَ البيتَ ،ويعنى بالاعتمارِ الزيارَةَ ، فكلُّ قاصدٍ لشىءٍ فهو له مُعتمِرٌ ، ومنه قولُ العَجّاجِ[(٢)] :

لَقَدْ سَمَا ابنُ مَعْمَرٍ حينَ اعْتَمَرْ
مَغْزًى بَعيدًا مِن بَعيدٍ وضَبَرْ[(٣)]

يعنى بقولِه حينَ اعْتَمر : حين قصَدَه وأَمَّه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

يعنى تعالى ذِكرُه بقولِه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . يقولُ : فلا حَرَجَ عليه ولا مأْثَمَ فى طوافِه بهما .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ هذا الكلامِ ، وقد قلْتَ لنا : إنّ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ وإنْ كان ظاهرُه ظاهرَ الخبرِ ، فإنَّه فى معنى الأمْرِ بالطوافِ بهما[(٤)] ؟ فكيف يكونُ أمْرًا بالطوافِ ، ثم يقالُ : لا جُناحَ على مَن حَجَّ البيتَ أو اعْتَمر فى الطوافِ بهما . وإنما يُوضَعُ الجُناحُ عمن أتَى ما عليه بإتيانِه الجُناحَ والحَرَجَ ،

---

(١) طواف الصدَر : هو طواف الوداع . وسمى بذلك ؛ لأن الناس يصدرون عن مكة بهذا الطواف إلى أماكنهم بعد قضاء نسكهم . ينظر تاج العروس (ص د ر) .

(٢) ديوانه ص ٥٠.

(٣) قال الأصمعى : إذا وثب الفرس فوقع مجموعة يداه ، فذلك الضَّبْرُ . التاج (ض ب ر) .

(٤) فى الأصل : « بينهما » .

فالأمرُ بالطوافِ بهما ، والترخيصُ فى الطوافِ بهما غيرُ جائزٍ اجتماعُهما فى حالٍ واحدةٍ ؟! قيلَ : إنّ ذلك بخلافِ ما إليه ذهبتَ[(١)] ، وإنما معنَى ذلك عندَ أقوامٍ أن النبىَّ ﷺ لما اعتمَرَ عُمرةَ القضيَّةِ تَحَوَّبَ[(٢)] أقوامٌ كانوا يَطُوفون بهما فى الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ لصَنَمَيْن كانا عليْهما ؛ تعظيمًا منهم لهما فقالوا : وكيف نطوفُ بهما ، وقد علِمْنَا أن تعظيمَ الأصنامِ وجميعِ ما كانَ مِن ذلك يُعبدُ مِن دونِ اللهِ باللهِ شِركٌ ، [(٣)]وطوافُنا[(٣)] بهذيْن الحَجَريْن أحدُ ذلك ؛ لأن الطوافَ بهما فى الجاهِليةِ إنما كان للصنمينِ اللذينِ كانَا عليهمَا ، وقد جاء اللهُ اليومَ بالإسلامِ ولا سبيلَ إلى تعظيمِ شىءٍ مع اللهِ بمعنى العبادةِ له ؟! فأنزَل اللهُ تعالى ذِكرُه فى ذلك مِن أمرِهِمْ : [٨٦/٤و] ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى : إنّ الطوافَ بهما . فترَك ذِكرَ الطوافِ بهما اكتفاءً بذكرِهما منه ، إذْ كان معلومًا عند المخاطَبِينَ به أن معناهُ : من معالمِ اللهِ التى جعَلها عَلَمًا لعبادِه يَعبُدونَه عندَهما بالطوافِ بينَهما ويَذْكُرونه عليْهما وعندَهما ، بما هو له أهلٌ من الذِّكرِ ، فمَن حجَّ البيتَ أو اعتمَرَ فلا [(٤)]يَتحَوَّبَنَّ مِن[(٤)] الطوافِ بهما ، مِن أجلِ ما كان أهلُ الجاهليةِ يَطوفُون بهما ، مِن أجلِ الصنَمَيْن اللّذيْن كانَا عليهما ، فإنّ أهلَ الشركِ كانوا يَطوفُون بهما كفرًا ، وأنتم تَطوفُون بهما إيمانًا بى[(٥)] وتصديقًا لرسولِى ، وطاعةً لأمْرِى ، فلا جُناحَ عليكم فى الطوافِ بهما .

والجُناحُ : الإثمُ . كما **حدثنى** موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ذهب » .

(٢) فى م : « تخوّف » ، والتَّحوُّبُ : التحرُّج والتأثُّم . وينظر اللسان (ح و ب) .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٣ : « ففى طوافنا » . وفى ت ٢ : « بطوافين فى صلواتنا » .

(٤ - ٤) فى م : « يتخوفن » .

(٥) سقط من م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

السُّدِّيِّ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ . يقولُ : ليس عليه إثمٌ ولكنْ له أجرٌ .

وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك تظاهرتِ الروايةُ عن السَّلفِ من الصحابةِ والتابعين .

/ذِكرُ الأخبارِ التى رُويتْ بذلك ٤٦/٢

حدثنى محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشواربِ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا داودُ ، عن الشَّعبيِّ ، أن وَثَنًا كان فى الجاهليةِ على الصَّفَا يُسمَّى إسَافًا ، ووَثَنًا على المَرْوةِ يُسمَّى نائلةَ ، فكان أهلُ الجاهليةِ إذا طافوا بالبيتِ مسَحُوا الوثَنَيْن ؛ فلمَّا جاء الإسلامُ وكُسرت الأوثانُ ، قال المسلمون : إن الصّفا والمروةَ إنما كان يُطافُ بهما من أجلِ الوثَنيْن ، وليس الطوافُ بهما مِن الشعائرِ . قال : فأنزَل اللهُ أنهما من الشعائرِ : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾[1] .

حدثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشَّعبيِّ ، نحوَه ،وزادَ فيه ، قال : فجعَله اللهُ تَطوُّعَ خيرٍ .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، قال : كان صَنمٌ بالصَّفا يُدعى إسافًا ، ووَثَنٌ بالمروةِ يُدعَى نائلةَ . ثم ذكَر نحوَ حديثِ ابنِ أبى الشواربِ ، وزادَ فيه ، قال : فذُكِّرَ الصَّفا من أجل الوثَنِ الذى كان عليه مذكَّرًا ، وأُنِّث المروةُ من أجلِ الوثنِ الذى كان عليه مؤنَّثًا .

حدثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ أبى زائدَةَ ، قال : أخبَرنى عاصمٌ الأحولُ ، قال :

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٤ - تفسير) من طريق داود بن أبى هند به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وعزاه الحافظ فى الفتح ٥٠٠/٣ إلى الفاكهى وإسماعيل القاضى فى الأحكام بإسناد صحيح عن الشعبى .

قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : أَكُنتم تكرهون الطوافَ بينَ الصَّفَا والمروةِ حتى نزَلتْ هذه الآيةُ ؟ فقال : نعمْ كنّا نَكرَهُ الطوافَ بينَهما ؛ لأنهما مِن شعائرِ الجاهليةِ حتى نزَلت هذه الآيـةُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[(١)] .

حدثني عليُّ بنُ سهلٍ الرَّمْليُّ ، قال : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، قال : سألْتُ أنسًا عن الصفَا والمروةِ ، فقال : كانتا من مشاعرِ أهلِ الجاهليةِ ، فلما كان الإسلامُ أمْسَكوا عنهما ، فنَزلتْ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)] .

حدثني عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ [(٣)] قال : حدثني أبي [٣)] ، قال : حدثني الحسينُ[(٤)] المعلِّمُ ، قال : ثنا شيبانُ[(٥)] أبو معاويةَ ، عن جابرٍ الجُعْفيِّ ، عن عمرِو بنِ حُبشيٍّ ، قال : قلتُ لابنِ عمرَ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ [٤/٨٦ظ] أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال : انْطلِقْ إلى ابنِ عباسٍ فاسْأله ، فإنه أعلمُ مَن بقِيَ بما أُنزل على محمدٍ ﷺ ، فأتيته فسألْته ، فقال : إنه كان عندَهما أصْنامٌ[(٦)] ، فلمَّا حُرِّمْنَ أمسَكوا عن الطوافِ بينهما حتى أُنزلتْ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[(٧)] .

---

(١) أخرجه البخارى (١٦٤٨) ، ومسلم (١٢٧٨) ، والنسائى فى الكبرى (٣٩٥٩) ، وابن خزيمة (٢٧٦٨) من طرق عن عاصم به . وينظر ما سيأتى فى ص ٧١٧، ٧٢٣ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد (١٢٢٤ - منتخب) ، والبخارى (٤٤٩٦) ، والترمذى (٢٩٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٦٧ (١٤٣٢) من طريق سفيان به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « أبو الحسين » . ينظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٧٢.

(٥) فى م : « سنان » وهو تحريف .

(٦) بعده فى الأصل : « وعند البيت أصنام » . وليس فى مصدر التخريج .

(٧) ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣١ عن عمرو بن حبشى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٥٩ إلى المصنف.

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ ، قال : حدثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . وذلك أن ناسًا تحرَّجوا[(١)] أن يَطَّوَّفُوا بينَ الصفَا والمروةِ ، فأخبَر اللهُ أنهما مِن شعائرِه ، والطوافُ بينَهما أحبُّ إليه[(٢)] ، فمضت السُّنةُ بالطوافِ بينَهما[(٣)] .

حدثني موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . قال : زعَم أبو مالكٍ ، عن / ابنِ عباسٍ أنه كان فى الجاهليةِ شياطينُ ٤٧/٢
تعزِفُ[(٤)] الليلَ أجمعَ بينَ الصفا والمروةِ ، وكانت بينَهما آلهةٌ ، فلمّا جاء الإسلامُ وظهَر ، قال المسلمون : يا رسولَ اللهِ لا تَطُوفَنَّ[(٥)] بينَ الصفَا والمروةِ ، فإنه شِرْكٌ كنّا نَصْنَعُه[(٦)] فى الجاهليةِ فأنزَل اللهُ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[(٧)] .

حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ قال : قالت الأنصارُ : إن السعىَ بينَ هذينِ الحَجَرَيْن مِن أمرِ الجاهليةِ ، فأنزَل اللهُ تعالى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[(٨)] .

---

(١) فى م : « كانوا يتحرّجون » .

(٢) فى الأصل : « إلى » . وينظر مصدر التخريج .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٥٩ إلى المصنف .

(٤) عزيف الجن : جرس أصواتها . اللسان (ع ز ف) .

(٥) فى م : « نطوف » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نفعله » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٦٧ (١٤٣٥) ، والحاكم ٢/٢٧١ من طريق عمرو عن أسباط به . كلاهما بزيادة فى آخره « يقول : ليس عليه إثم ولكن له أجر » . وأخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ١٠٠ من طريق عامر بن الفرات ، عن أسباط به .

(٨) أخرجه سعيد بن منصور سننه (٢٣٥- تفسير) عن ابن علية به . وتقدم أوله فى ص ٧١٠ .

حدثني محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

[(١)]**حدثني** المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه[(١)] .

حدثني يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ . قال : كان أهلُ الجاهليةِ قد وضَعوا على كلِّ واحدٍ منهما صنمًا يُعَظِّمونَهما ؛ فلمَّا أسلَم المسلمون كرِهوا الطوافَ بالصفَا والمروةِ لمكانِ الصنميْن ، فقال اللهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ وقرأ : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] وسَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ الطوافَ بهما .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عاصمٍ ، قال : قلت لأنسِ بنِ مالكٍ : الصفَا والمروةَ أكنتمْ تكرَهون أنْ تطوفُوا بهما مع الأصنامِ التى نُهيتُم عنها ؟ قال : نعمْ حتى نزَلتْ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾[(٢)] .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عاصمٍ ، قال : سَمِعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : إن الصفَا و المروةَ كانا من مشاعرِ قريشٍ فى الجاهليةِ ، فلمَّا كان الإسلامُ ترَكْناهُما .

وقال آخرون : بل أنزَل اللهُ تعالى ذكرُه هذه الآيةَ فى سببِ قومٍ كانوا فى الجاهليةِ لا يسعَوْنَ بينَهما ، فلما جاءَ الإسلامُ [٨٧/٤و] تحَوَّبوا[(٣)] السعْىَ بينَهما كما

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٧١٥ .

(٣) فى م : « تخوّفوا » .

كانوا يَتَحَوَّبُونه[(١)] فى الجاهليةِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآيةَ ، فكان حىٌّ مِن تِهامَةَ فى الجاهليةِ لا يسعَوْن بينَهما ، فأخبرَهمُ اللهُ أنّ الصفَا والمروةَ من شعائرِ اللهِ وكان من سُنةِ إبراهيمَ وإسماعيلَ الطوافُ بينَهما[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان ناسٌ من أهلِ تِهامةَ لا يَطُوفُونَ بين الصفَا والمروةِ ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ قال : حدَّثنى الليثُ ، قال : حدَّثنى عُقيلٌ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : حدَّثنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، قال : سألتُ عائشةَ فقلتُ لها : أرأيتِ قولَ اللهِ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ وقلتُ لعائشةَ : واللهِ ما على أحدٍ جُناحٌ أن لا يطُوفَ بالصفَا والمروةِ ؟ فقالتْ عائشةُ : بئسَ ما قلتَ يا ابنَ أختِى ، إن هذه الآيةَ لو كانت كما أَوَّلتَها كانت : لا جُناحَ عليه أن لا يطَّوَّفَ بهما ، ولكنها إنما أُنزِلتْ فى
٤٨/٢ الأنصارِ كانوا /قبلَ أنْ يُسلموا يُهِلُّونَ لمَناةَ الطاغيةِ التى كانوا يَعْبُدونَ بالمُشَلَّلِ[(٣)] ، وكان مَن أَهَلَّ لها يَتحرَّجُ أن يَطُوفَ بالصفَا والمروةِ ، فلمّا أسلموا سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّا كنّا نتحرّجُ أن نطوفَ بالصَّفَا والمروةِ . فلما

---

(١) فى م : « يتخوّفونه » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٦٠ إلى المصنف .

(٣) المشلّل ، بالضم ثم الفتح : جبل يُهبط منه إلى قُديدٍ (موضع قرب مكة) من ناحية البحر . ينظر معجم البلدان ٤/ ٥٤٣، ومعجم ما استعجم ٣/ ١٠٥٥، ٤/ ١٢١٧، ١٢٣٣.

سألوا رسولَ اللَّهِ عن ذلك ؛ أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . قالت عائشةُ : ثم قدْ سنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ الطوافَ بينَهما ، فليس لأحدٍ أن يترُكَ الطوافَ بينَهما[(١)] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : كان رجالٌ مِن الأنصارِ ممَّن يُهِلُّ لمناةَ فى الجاهليةِ ، ومَناةُ صَنمٌ بينَ مكةَ والمدينةِ ، قالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنّا كنا لا نطوفُ بينَ الصفَا والمروةِ تعظيمًا لمناةَ ، فهلْ علينا مِن حَرَجٍ أن نطوفَ بهما ؟ فأنزَل اللَّهُ تعالَى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال عروةُ : فقلت لعائشةَ : ما أبالِى أن لا أطوفَ بينَ الصفَا والمروةِ ، قال اللَّهُ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ قالت : يا ابنَ أختِى ، ألَا ترى أنه يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . قال الزهريُّ : فذكرتُ ذلك لأبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، فقال : هذا العلمُ ! قال أبو بكرٍ : ولقد سمِعتُ رِجالًا مِن أهلِ العلمِ يقولون : لمّا أنزَل اللَّهُ [٤/٨٧ظ] الطوافَ بالبيتِ ، ولم يُنزِلِ الطوافَ بينَ الصفَا والمروةِ ، قيل للنبيِّ ﷺ : إنّا كُنا نطوفُ فى الجاهليةِ بينَ الصفَا والمروةِ ، وإنّ اللَّهَ قد ذكَر الطوافَ بالبيتِ ، ولم يَذْكُرِ الطوافَ بينَ الصفَا والمروةِ ، فهل علينا مِن حرجٍ أن لا نطوفَ بهما ؟ فأنزَل اللَّهُ تعالى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآيةَ كلَّها . قال أبو بكرٍ : فأسمعُ هذه الآيةَ نزلتْ فى الفريقيْن كليْهما ؛ فيمن طافَ وفيمن لمْ يَطُفْ[(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢/١٢٧٧) ، والبيهقى ٩٦/٥، ٩٧ من طريق ليث به . وأخرجه أحمد ١٤٤/٦، ٢٢٧ (الميمنية) ، والبخارى (١٦٤٣، ٤٨٦١)، ومسلم (٢٦١/١٢٧٧، ٢٦٣) ، والترمذى (٢٩٦٥) ، والنسائى (٢٩٦٧، ٢٩٦٨) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٦/١ (١٤٣٠، ١٤٣١) من طريق الزهرى به. وسيأتى من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه فى ص ٧٢١، ٧٢٦.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٢/٦ (الميمنية) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ١٠٠ من طريق عبد الرزاق به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، (١) قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ (١) ، قال : أخبرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان ناسٌ من أهلِ تِهامةَ لا يطوفون بينَ الصفَا والمروةِ ، فأنزلَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾(٢) .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندنَا ، أن يُقالَ : إنّ اللَّهَ تعالى ذِكرُه قد جعَل الطوافَ بينَ الصفَا والمروةِ مِن شعائرِ اللَّهِ ، كما جعَل الطوافَ بالبيتِ مِن شعائرِه ، فأما قولُه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ فجائزٌ أن يكونَ قيلَ لكلا الفريقين اللّذيْنِ تَحَوَّب(٣) بعضُهم الطوافَ بهما مِن أجلِ الصّنمينْ اللّذيْنِ ذكَرهما الشعبىُّ(٤) ، وبعضُهم من أَجْلِ ما كان مِن كراهتِهم الطوافَ بهما(٥) فى الجاهليةِ على ما رُوِىَ عن عائشةَ . وأىُّ الأمريْنِ كان مِن ذلك فليسَ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ دَلالةٌ (٦) فى الآيةِ (٦) على أنه عَنى به وضْعَ الحرَجِ عمَّن طاف بهما ، مِن أجلِ أن الطوافَ بهما كان غيرَ جائزٍ بحظْرِ اللَّهِ ذلك ، ثم جَعَل الطوافَ بهما رُخْصةً ؛ لإجماعِ الجميعِ على أنَّ اللَّهَ تعالى ذِكرُه لم يَحظُرْ ذلك فى وقتٍ ، ثم رخَّص فيه بقولِه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ .

وإنما الاختلافُ فى ذلك بينَ أهلِ العلمِ على أوْجُهٍ ؛ **فرأَى بعضُهم** أن تاركَ
٤٩/٢ الطوافِ بينَهما تاركٌ مِن مَناسكِ /حَجِّهِ ما لا يُجزئُه منه غيرُ قضائِه بعَيْنِه ، كما لا

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) تقدم فى ص ٧١٨ .
(٣) فى م : « تخوف » .
(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٧١٣ .
(٥) فى الأصل : « بينهما » .
(٦ - ٦) سقط من : م .

يُجْزِئُ تاركَ الطوافِ ، الذى هو طوَافُ الإفاضةِ إلا قَضاؤُه بعَيْنِه ، وقالوا : هما طوافانِ أمَر اللَّهُ بهما ؛ أحدُهما بالبيتِ ، والآخرُ بينَ الصفَا والمروةِ ، (١) حُكْمُهما واحدٌ (١) .

ورأى بعضُهم أن تاركَ الطوافِ بهما يُجزئُه مِن تَرْكِه فِديةٌ ، ورأَوْا أنَّ حُكمَ الطوافِ بهما حُكْمُ رَمْىِ بعضِ الجمَراتِ ، والوقوفِ بالمَشْعَرِ ، وطوافِ الصَّدَرِ ، وما أشبهَ ذلك مما يُجزِئُ تارِكَه مِن تَرْكِه فديةٌ ، ولا يَلْزَمُه العوْدُ لقضَائِه بعينِه .

ورأى آخرون أنَّ الطوافَ بهما تطوُّعٌ ؛ إنْ فعَله فاعلٌ (٢) كان مُحْسنًا ، وإن ترَكه تاركٌ لم يلْزَمْه بترْكِه شىءٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

ذِكرُ مَن قال : إنّ الطوافَ (٣) بينَ الصفا والمروةِ واجبٌ ولا يُجزِئُ منه فديةٌ ، ومَن ترَكهُ فعليه (٤) العَوْدُ له (٤)

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالتْ : لعَمرِى [٨٨/٤و] ما حجَّ مَن لمْ يسْعَ بينَ الصَّفَا والمروةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (٥) .

حدثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال مالكُ بنُ أنسٍ : مَن نَسِىَ السعىَ بينَ الصفَا والمروةِ ، حتى يَسْتَبْعِدَ مِن مكّةَ فلْيَرْجِعْ فلْيَسْعَ ، وإن كان قد أصابَ النساءَ فعليه العُمْرةُ والهَدْىُ (٦) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « صاحبه » .

(٣) فى م : « السعى » .

(٤ - ٤) فى م : « العودة » .

(٥) أخرجه مسلم (١٢٧٧/٢٥٩، ٢٦٠) ، وابن ماجه (٢٩٨٦) من طريق هشام بن عروة به . وسيأتى من طريق مالك عن هشام فى ص ٧٢٦ . وسبق من طرق عن الزهرى فى ص ٧١٨، ٧١٩.

(٦) الموطأ ٣٧٤/١ (١٣٠) .

وكان الشافعيُّ يقولُ: على مَن ترَك الطوافَ[(١)] بينَ الصفا والمروةِ حتى[(٢)] يرجعَ إلى بلدِه، العوْدُ إلى مكةَ حتى يطوفَ بينَهما، لا يُجزئُه غيرُ ذلك، حدَّثنا بذلك عنه الربيعُ[(٣)] .

ذِكرُ مَن قال : يُجزئُ منه دمٌ وليس عليه عَوْدٌ لقضائِه

قال الثوريُّ فيما حدَّثني به عليُّ بنُ سهلٍ ، عن زيدِ بنِ أبي الزرقاءِ عنه[(٤)] ، وأبو حنيفةَ ، وأبو يوسفَ ، ومحمدٌ : إن عاد تاركُ الطوافِ بينَهما لقضائِه فحسنٌ ، وإن لم يعُدْ فعليه دَمٌ[(٥)] .

ذِكرُ مَن قال : الطوافُ بينَهما تطوُّعٌ ولا شيءَ على مَن ترَكه ، ومَن كان يقرأُ : (فلا جُناحَ عليه أن لا يطَّوَّف بهما)

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال عطاءٌ : لو أن حاجًّا أفاض بعدَ رَمْى الجَمْرةِ ؛ جَمرةِ العقبةِ فطاف بالبيتِ ولم يَسْعَ ، فأصابَها ، يعنى امرأتَه ، لم يكن عليه شيءٌ ؛ لا حجٌّ ولا عمرةٌ ، من أجلِ قولِ اللَّهِ فى مصحفِ ابنِ مسعودٍ : (فمَنْ حَجَّ البيتَ [(٦)]أوِ اعتَمَرَ[(٦)] فلا جُناحَ عليه أن لا يَطَّوَّف بهما) . فعاودْتُه بعدَ ذلك ، فقلتُ له[(٧)] : إنه قد ترَك سُنةَ النبيِّ ﷺ ! قال : ألا تَسْمَعُه يقولُ: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ [البقرة : ١٨٤]؟ فأبَى أن يَجعَلَ عليه شيئًا[(٨)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « السعى » .
(٢) فى ت٢ : « حين » .
(٣) الأم ٢/ ٢١٠ .
(٤) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار ١٢/ ٢٠٢ (١٧٣٥١) .
(٥) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار ١٢/ ٢٠٢ (١٧٣٥٢) .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل . والقراءة فى مصحف ابن مسعود وأبى بن كعب ، وهى أيضًا قراءة أنس وابن عباس وابن سيرين وشهر بن حوشب وهى قراءة شاذة . ينظر البحر المحيط ١/ ٤٥٦.
(٧) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .
(٨) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار ١٢/ ٢٠٦ (١٧٣٧٣) عن عطاء، وروى ابن حزم القراءة فى المحلى ٧/ ١١١=

حدثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان يقرأُ : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[(١)] .

حدثنى علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا مؤملٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، قال : سمِعتُ أنسًا يقولُ : الطوافُ بهما[(٢)] تطوُّعٌ[(٣)] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، قال : أخبرنا عاصمٌ الأحولُ ، قال : قال أنسُ بنُ مالكٍ : هما تطوُّعٌ[(٣)] .

٢/٥٠ /حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ [٤/٨٨ظ] فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال : فلم يُحرِّجْ من لمْ يَطفْ بهما[(٤)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا حجاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ[(٥)] ، عن قيسٍ[(٦)] ، عن عطاءٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ قال : هما تطوُّعٌ .

= من طريق عبد بن حميد عن الضحاك عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن مسعود .

(١) أخرجه أبو عبيد فى الفضائل ص ١٦٣ ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٧٣ من طريق هشيم به . وأخرجه أبو عبيد ص ١٦٣ ، والبيهقى فى المعرفة (٢٩٨٤) من طريق عبد الملك به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٦٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنبارى .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بينهما » .

(٣) تقدم طرف منه فى ص ٧١٤ - ٧١٧ . وينظر تفسير الثورى ص ٥٣ .

(٤) تقدم أوله فى ص ٧١٠ .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « أحمد » .

(٦) فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « عيسى بن قيس » .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عاصمٍ ، قال : قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : السعىُ بينَ الصفَا والمروةِ تطوُّعٌ ؟ فقال : تطوُّعٌ[(١)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن الطوافَ بهما فرضٌ واجبٌ ، وأن على مَن تركه العَوْدَ لقضائِه ، ناسيًا كان تركَه[(٢)] أو عامدًا ، لا يُجزِئُهُ غيرُ ذلك ، لتظاهُرِ الأخبارِ عن النبىِّ ﷺ أنه حجَّ بالناسِ فكان مما علَّمهم من مناسكِ حجِّهم الطوافُ بهما .

ذِكرُ الروايةِ عنه بذلك

حدثنى يوسُفُ بنُ سلمانَ البصرىُّ[(٣)] ، قال : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، قال : لما دنا رسولُ اللَّهِ ﷺ من الصفَا فى حجَّتِه[(٤)] ، قال : « ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ ، ابدَءُوا بما بَدأ اللَّهُ به[(٥)] » . فبدأَ بالصفَا فرقِىَ عليه[(٦)] .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا محمودُ بنُ ميمونٍ أبو الحسنِ ، عن أبى بكرِ بنِ عياشٍ ، عن ابنِ عطاءٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ » . فأتَى الصفَا فبدَأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروةَ فقام عليها وطاف سَبْعًا[(٧)] .

---

(١) تقدم طرف منه فى ص ٧١٦ .

(٢) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) زيادة من الأصل .

(٤) فى م : « حجة » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بذكره » .

(٦) أخرجه عبد بن حميد (١١٣٣) ، ومسلم (١٢١٨/١٤٧) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) من طريق حاتم بن إسماعيل به . وهذا الحديث جزء من حديث جابر ، الطويل المشهور . وينظر مسند الطيالسى (١٧٧٣) .

(٧) فى م : « وسعى » .

فإذ كان صحيحًا بإجماعِ الجميعِ مِن الأمَّةِ أن الطوافَ بهما (١ مما علَّم ١) النبيُّ أمَّتَه فى مناسكِهم ، وعَمِلَه فى حجِّه وعُمرتِه ، وكان بيانُه لأمَّتِه جُمَلَ ما نصَّ اللَّهُ فى كتابِه ، وفرَضه فى تَنْزِيلِه ، وأمَر به مما لا (٢) يُدْرَكُ عِلْمُه إلَّا بِبيانِه عليه السلامُ ، لازمًا العملُ به أمَّتَه ، لما قد بَيَّنَّا فى كتابِنا « كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » إذا اخْتَلَفَت الأُمةُ فى وُجُوبِه ، ثم كان مُخْتَلَفًا فى الطوافِ بينَهما : هل هو واجِبٌ أم غيرُ واجبٍ - كان بيِّنًا وُجوبُ فَرْضِه على مَن حجَّ أو اعْتَمَر لمَا وصَفْنا .

وكذلك وجوبُ العوْدِ لقضاءِ الطوافِ بينَ الصفَا والمروةِ ، لمَّا كان مُخْتَلَفًا فيها (٣) على مَن ترَكه ، مع إجماعِ جَميعِهم ، على أنَّ ذلك مما فعَله رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وعلَّمه أُمتَه فى حجِّهم (٤) ، إذْ علَّمَهُم مَناسِكَ حجِّهم ، كما طافَ بالبيتِ ، وعلَّمه أمتَه فى حجِّهم وعُمرتِهم ، إذْ علَّمهم مناسكَ حجِّهم وعمرتِهم . ثم أجمَع الجميعُ على أن الطوافَ بالبيتِ لا تُجزِئُ منه فِديةٌ ولا بَدَلٌ ، ولا يُجْزِئُ تاركَه إلا العوْدُ لقضائِه ، كان نظيرًا له الطوافُ بالصفَا والمروةِ ، لا تُجزِئُ منه فديةٌ ولا جزاءٌ ، ولا يُجزِئُ تاركَه إلا العوْدُ لقضائِه ؛ إذْ كانا كلاهُما طَوافين ؛ أحدُهما بالبيتِ ، والآخرُ بالصفَا والمروةِ ، ومَن فرَّق بينَ حُكْميهما (٥) عُكِس عليه القولُ فيه ، ثم سُئلَ البرهانَ على التفرقةِ بينَهما .

٥١/٢ **فإنِ / اعْتَلَّ بقراءةِ مَن قرَأ** : (فلا جُنَاحَ عليه أن لا يطَّوَّفَ بهما) . قيل : ذلك قراءةٌ (٦) خلافِ ما فى مصاحفِ المسلمينَ ، غيرُ جائزٍ لأحدٍ أن يزيدَ فى مصاحفِهم

(١ - ١) فى م ، ت١، ت٢: « على تعليم » . وفى ت٣: « على عمل » .

(٢) فى م : « لم » .

(٣) فى م : « فيما » .

(٤) بعده فى م : « وعمرتهم » .

(٥) فى م : « حكمهما » .

(٦) سقط من : م .

[٨٩/٤و] ما ليس فيها ، وسواءٌ قرَأ ذلك كذلك قارئٌ ، أو قرَأ قارئٌ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] ، (فلا جُناحَ عليهم[١] أن لا يطَّوَّفوا به) فإنْ جازتْ[٢] إحدَى الزيادتينِ اللَّتيْن ليستا فى المصاحِفِ[٣] كانت الأخرَى نظيرتَها ، وإلَّا كان مُجيزُ إحداهُما إذا منَع الأخرى مُتحكِّمًا ، والتَّحكُّمُ فلا يَعْجِزُ عنه أحدٌ ، وقد رُوِىَ إنكارُ هذه القراءةِ وأن يكونَ التنزيلُ بها ، عن عائشةَ .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى مالكُ بنُ أنسٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، قال : قلت لعائشةَ زوجِ النبىِّ ﷺ وأنا يومئذٍ حديثُ السِّنِّ : أرأيتِ قولَ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . فما نرَى على أحدٍ شيئًا أن لا يطوَّفَ بهما ؟ فقالت عائشةُ : كلَّا لو كانتْ كما تقولُ كانتْ : فلا جُناحَ عليه أن لا يطوَّفَ بهما . إنما أُنزلتْ هذه الآيةُ فى الأنصارِ ؛ كانوا يُهِلُّونَ لِمَناةَ وكانتْ مَناةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ ، وكانوا يَتحرَّجون أن يَطُوفُوا بينَ الصفَا والمروَةِ ؛ فلمَّا جاء الإسلامُ سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[٤] .

وقد يَحتمِلُ قراءةُ مَن قرَأ : (فلا جناحَ عليه أن لا يطَّوَّف) [(٥]أن يكونَ معناها : فلا جناحَ عليه أن يطَّوَّف ﴿ بهما ﴾[٥)] - أن تكونَ « لا » التى هى مع « أن » صِلَةً فى الكلامِ[٦] ،

(١) فى م : « عليه » .
(٢) فى م : « جاءت » .
(٣) فى م : « المصحف » .
(٤) الموطأ ١/٣٧٣ (١٢٩) ، ومن طريقه البخارى (١٧٩٠) ، وأبو داود (١٩٠١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٩) . وأخرجه أبو داود (١٩٠١) من طريق ابن وهب به . وسبق من طريق وكيع عن هشام فى ص ٧٢١، ومن طرق عن الزهرى عن عروة فى ص ٧١٨، ٧١٩.
(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .
(٦) ينظر معانى القرآن للفراء ١/٩٥ .

إذْ كان قد تقدَّمَها جَحْدٌ فى الكلامِ قبلَها ، وهو قولُه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ ، فيكونُ نظيرَ قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف : ١٢] . بمعنى ما منعكَ أن تسجدَ ، كما قال الشاعرُ (١) :

ما كان يَرْضَى رسولُ اللَّهِ فعلَهمُ (٢) والطيِّبان أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ

فلو كان رسمُ المصحفِ كذلك لم يكن فيه لمحتجٍّ به حجةٌ ، مع احتمالِ الكلامِ ما وصفْنا ؛ لما بيَّنَّا من أنّ ذلك مما علَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ أمَّتَه فى مناسكِهم على ما ذَكَرْنا ، ولدَلالةِ القياسِ على صحتِه ، فكيف وهو خلافُ رُسومِ مصاحفِ المسلمين ، ومما لوْ قرأ به اليومَ قارئٌ كان مُسْتَحِقًّا العقوبةَ ؛ لزيادتِه فى كتابِ اللَّهِ عزّ وجلَّ ما ليس منه ؟!

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

اختَلف القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأتْه عامَّةُ قَرَأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ (٣) . على لفظِ المُضِىِّ ؛ بالتاءِ وفَتْحِ العينِ . وقرأتْه عامةُ قرَأةِ الكوفيين : (ومَنْ يَطَّوَّعْ خيرًا) (٤) بالياءِ وجزْمِ العينِ وتشْديدِ الطاءِ ، بمعنى : ومَن يتطوَّعْ . وذُكِر أنها فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ (ومَن يَتطوّعْ) (٥) . فقرأتْ ذلك [٨٩/٤ظ] قَرَأَةُ أهلِ الكوفةِ ، على ما وصَفْنا ، اعتبارًا بالذى ذكرْنا مِن قراءةِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، سوَى عاصمٍ فإنه وافَق المدنيِّينَ ، فشدّدُوا الطاءَ طلبًا لإدغامِ التاءِ /فى الطاءِ . وكلْتَا القراءتَيْن معروفةٌ ٥٢/٢

---

(١) هو جرير بن عطية . والبيت تقدم فى ١٩٣/١ .

(٢) فى م : « فعلهما » .

(٣) هذه قراءة غير حمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٨ .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٨ .

(٥) حجة القراءات ص ١١٨ . وقراءته : (ومن يتطوع بخير) . وهى قراءة شاذة . ينظر المصاحف ص ٥٧، والبحر المحيط ٤٥٨/١.

صحيحةٌ متفقٌ مَعْنيَاهما غيرُ مُخْتَلِفَيْن ؛ لأن الماضِيَ من الفعلِ مع حروفِ الجزاءِ بمعنى المستقبلِ ، فبأىِّ هاتَيْن القراءتَيْن قرأ ذلك قارئٌ فمصيبٌ .

ومعنى ذلك : فمَن تطوَّع بالحجِّ والعمرةِ بعدَ قضاءِ حَجَّتِه الواجبةِ عليه ، فإن اللَّهَ شاكرٌ له على تطوُّعِه له بما تطوَّعَ به من ذلك ابتغاءَ وجهِه فمجازِيه به ، عليمٌ بما قصَد وأرادَ بتطوُّعِه بما تطوَّع منه[(١)] .

وإنما قلنا : إنَّ الصوابَ في معنى قولِه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ هو ما وصفْنَا دونَ قولِ مَن زعَم أنه معنيٌّ به : فمَن تطوَّعَ بالسعى والطوافِ بينَ الصفا والمروةِ . لأن الساعيَ بينَهما لا يكونُ متطوِّعًا بالسعى بينَهما إلَّا في حجٍّ تطوُّعٍ أو عُمرةِ تطوُّعٍ ، لمَا وصفْنَا قبلُ . وإذ كان ذلك كذلك كان معلومًا أنه إنما عنَى بالتطوُّعِ بذلك ، التطوّعَ بما يُعمَلُ ذلك فيه من حجٍّ أو عمرةٍ .

وأما الذين زعَمُوا أن الطوافَ بهما تطوُّعٌ لا واجبٌ ، فإن الصوابَ أن يكونَ تأويلُ ذلك على قولِهم : فمَن تطوَّعَ بالطوافِ بهما فإن اللَّهَ شاكرٌ . لأنَّ للحاجِّ والمعتمرِ على قولِهم الطوافَ بهما إن شاءَ ، وتَرْكَ الطوافِ ، فيكونُ معنى الكلامِ على تأويلِهم : فمَن تطوَّعَ بالطوافِ بالصفَا والمروةِ ، فإنّ اللَّهَ شاكرٌ تطوُّعَه ذلك ، عليمٌ بما أرادَ ونوَى الطائفُ بهما كذلك .

كما **حدثني** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : مَن تطوَّعَ خيرًا فهو خيرٌ له ، تطوَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ فكانت من السُّنَنِ[(٢)] .

---

(١) في م : « به » .

(٢) تقدم أوله في ص ٧١٠ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومَن تطوَّعَ خيرًا فاعتمرَ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ : ومَن تطوَّعَ خيرًا فاعتمرَ فإن اللَّهَ شاكرٌ عليمٌ ؛ قال : فالحجُّ فريضةٌ ، والعمرةُ تطوُّعٌ ، ليستِ العمرةُ واجبةً على أحدٍ من الناسِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

وإنما يَعْنى بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ : علماءَ اليهودِ وأحبارَها وعلماءَ النصارى ؛ لكِتْمانِهم الناسَ أمرَ محمدٍ ﷺ ، وتركِهم اتِّباعَه ، وهم يَجِدُونه [٤/٩٠و] عندَهم مكتوبًا فى التوراةِ والإنجيلِ .

و[(١)] « البينات » التى أنزَلها اللَّهُ عزَّ وجلَّ ؛ ما بَيَّنَ مِن أمْرِ نُبوَّةِ محمدٍ ﷺ ، ومَبعَثِه وصِفَتِه ، فى الكتابيْنِ اللَّذيْنِ أخبرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أن أهلَهما يَجِدون صفتَه فيهما .

ويعنى جلَّ ثناؤه بـ ﴿ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ : ما أوْضَحَ لهم مِن أمرِه فى الكُتُبِ التى أنزَلَها على أنبيائِهم ، فقال عزَّ ذِكرُه : إن الذين يكتمونَ الناسَ الذى أنزلْنا فى كُتُبِهم من البيانِ عن أمرِ محمدٍ ونبوَّتِه /وصحةِ المِلَّةِ التى أرْسَلْتُه بها وحَقيقتِها[(٢)] فلا ٢/٥٣
يُخْبِرُونَهم به [(٣)]وهم يعلَمون تَبْيِينى[(٣)] ذلك للناسِ ، وإيضاحِى لهم فى الكتابِ الذى

---

(١) فى م : « من » .

(٢) فى م : « وحقيتها » .

(٣ - ٣) فى م : « ولا يعلمون من تبيينى » .

أنزلْتُه إلى أنبيائِهم - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا ﴾ الآية .

كما **حدَّثنا** أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، **وحدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قالَا جميعًا : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدثني سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عِكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سأَل معاذُ بنُ جبلٍ أخو بني سَلِمَةَ ، وسعدُ بنُ معاذٍ أخو بني عبدِ الأشهلِ ، وخارجةُ ابنُ زيدٍ أخو بني الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ - نَفَرًا مِن أحبارِ يهودَ ، قال أبو كُريبٍ : عما في التَّوْراةِ . وقال ابنُ حميدٍ : عن بعضِ ما في التَّوْراةِ . فكَتَموهم إيَّاهُ ، وأبَوْا أن يُخْبِرُوهم عنه ، فأنزَل اللَّهُ تعالى ذِكرُه فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثني عيسى ، **وحدَّثني** المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، جميعا عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ . قال : هم أهلُ الكتابِ[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ . قال : كتمُوا محمدًا ﷺ وهم يَجِدُونه مَكْتوبًا عندَهم ، فكَتَموه حَسَدًا وبَغْيًا[(٣)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٥١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٦٨ (١٤٣٩) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦١ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٨، بزيادة : « كتموا نعت محمد ﷺ وصفته » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٦٨ عقب الأثر (١٤٤١) من طريق ابن أبي جعفر به .

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . أولئِكَ أهلُ الكتابِ ، كَتَمُوا الإسلامَ وهو دينُ اللهِ ، وكَتَمُوا محمدًا ﷺ ، وهم يَجِدُونه مَكْتوبًا عندَهم في التوراةِ والإنجيلِ[(١)] .

حدثني موسى ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . زعَموا أن رجلًا مِن اليهودِ كان له صديقٌ من الأنصارِ يُقالُ له : ثَعلبةُ بنُ عَنَمةَ[(٢)] . قال له : هل تَجِدون محمدًا عندَكم ؟ قال : لا . قال : محمدٌ : البيناتُ[(٣)] .

[(٤)] ويَعْنى بقولِه[(٤)] : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ . بعضَ الناسِ ؛ لأن العلمَ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ وصفتِه [٤/٩٠ظ] ومبعثِه لم يكنْ إلا عندَ أهلِ الكتابِ ، دونَ غيرِهم ، وإيَّاهم عَنَى بذلك عزَّ وجل . ويعنى جلَّ ذِكرُه بالكتابِ التوراةَ والإنجيلَ ، وهذه الآيةُ وإن كانت نزلتْ فى خاصٍّ من الناسِ ، فإنها مَعنيٌّ بها كلُّ كاتمٍ علمًا فرَض اللَّهُ تعالَى عليه بيانَه للناسِ ، وذلك نظيرُ الخبرِ الذى رُوِىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « مَن سُئِلَ عن عِلْمٍ يَعْلَمُه فكَتَمه ، أُلْجِمَ يومَ القيامةِ بلجامٍ مِن نارٍ »[(٥)] .

وكان أبو هريرةَ يقولُ بما **حدثنا** به نصرُ بنُ علىٍّ الجَهْضَمِىُّ ، قال : ثنا حاتمُ بنُ وَرْدانَ ، قال : ثنا ، /أيوبُ السَّختيانىُّ ، [(٦)]عن محمدٍ[(٦)] ، عن أبى هريرةَ ، قال : لولا ٢/٥٤

(١) أخرجه ابن سعد ٣٦٢/١ ، ٣٦٣ من طريق سعيد به نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦١/١ إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٧٣٦ .

(٢) فى م : « غنمه » ، وفى ت١: « عثمة » . وينظر الإصابة ٤٠٦/١.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٢/١ إلى المصنف .

(٤ - ٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « القول فى تأويل قوله تعالى » .

(٥) أخرجه أحمد ١٧/١٣ (٧٥٧١) ، وأبو داود (٣٦٥٨) ، والترمذى (٢٦٤٩) ، وابن ماجه (٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٦) من حديث أبى هريرة وغيره .

(٦ - ٦) سقط من : م .

آيةٌ فى كتابِ اللَّهِ ما حدَّثْتُكم. وتلا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[1].

حدثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : ثنا أبو زُرْعةَ وهْبُ اللَّهِ بنُ راشدٍ ، عن يونسَ قال : قال ابنُ شهابٍ ، قال ابنُ المسيَّبِ ، قال أبو هريرةَ : لولا آيتان أنزَلهما اللَّهُ فى كتابِه ما حَدَّثْتُ شيئًا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ ، إلى آخرِ الآيةِ[2] . والآيةُ الأخرى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾[3] [آل عمران : ١٨٧] إلى آخرِ الآيةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ : هؤلاءِ الذين يَكْتُمون ما أنزَل اللَّهُ مِن أمرِ محمدٍ ﷺ وصفتِه وأمرِ دينِه ، أنه الحقُّ ، مِن بعدِ ما بيَّنَه اللَّهُ لهم فى كتُبِهم ، يَلْعَنُهم اللَّهُ بكِتْمانِهم ذلك وتَرْكِهم تَبْيِينَه للناسِ . واللعنةُ الفَعْلةُ . مِن : لَعَنه اللَّهُ ، بمعنى : أقصاهُ اللَّهُ وأبعدَه وأسْحقَه . وأصلُ اللعنِ : الطَّرْدُ ، كما قال الشَّماخُ بنُ ضِرارٍ ، وذكَر ماءً ورَد عليه[4] :

ذَعَرْتُ به القَطا ونَفَيْتُ[5] عنه مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

يعنى به مَقامَ الذئبِ الطَّرِيدِ ، و « اللعينُ » من نعتِ الذئبِ ، وإنما أرادَ : مَقامَ

(١) أخرجه عبد الرزاق فى التفسير ٦٤/١، وابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣، وأحمد ٢٢١/١٢ (٧٢٧٦) ، والبخارى (١١٨) ، ومسلم (٢٤٩٢) ، وغيرهم من طريق الأعرج عن أبى هريرة . وينظر الدر المنثور ١٦٣/١ .

(٢) فى الأصل ، ت١، ت٢، ت٣ : « الآيتين » . وهو لفظ مسلم فى الموضع الآتى .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٢) عقب حديث عائشة ، من طريق يونس به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٨/١ (١٤٤٠) من طريق ابن شهاب به . وعندهما بغير ذكر آية آل عمران .

(٤) ديوان الشماخ ص ٣٢١ .

(٥) فى الأصل : « ونيت » .

الذئبِ[(١)] اللعينِ كالرَّجلِ .

فمعنى الآيةِ إذًا : أولئك يُبْعِدُهم اللَّهُ منه ومِن رحمتِه ، ويَسْأَلُ ربَّهم اللاعنون أن يَلْعَنَهم ؛ لأن لعنةَ بنى آدمَ وسائرِ خَلقِ اللَّهِ ما لَعنوا أن يقولوا : « اللهمَّ الْعَنْه » . وإن كانَ معنى اللعنِ هو ما وصَفْنا مِن الإقْصاءِ والإبْعادِ[(٢)] وأما مِن اللَّهِ فالإبعادُ من [٩١/٤و] رحمتِه[(٢)] .

وإنما قُلْنا : إنَّ لعنةَ اللاعنين هى ما وصفنا مِن مَسْألتِهم ربَّهم أن يَلْعَنَهم ، وقولِهم : لعنهُ اللَّهُ . أو : عليه لعنةُ اللَّهِ . لأن محمدَ بنَ خالدِ بنِ خِداشٍ ويعقوبَ بنَ إبراهيمَ **حدَّثانى** ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ [(٣)] قال : اللاعنون[(٣)] : البهائمُ ، قال : إذا أَسْنَتَتِ[(٤)] السنةُ ، قالتِ البهائمُ : هذا من أجْلِ عُصاةِ بنى آدمَ ، لعَن اللَّهُ عُصاةَ بنى آدمَ[(٥)] .

واختلفَ أهلُ التأويلِ فيمنْ عنَى اللَّهُ تعالى ذِكرُه باللاعِنين ؛ **فقال بعضُهم** : عنى بذلك دوابَّ الأرضِ وهوامَّها .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : تَلْعَنُهم

---

(١) بعده فى م : « الطريد و » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م : « أسنت » . وأسفتت السنة : أجدبت ، من السنة وهو القحط : الجدب . ينظر اللسان (ج د ب) .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٦- تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٩/١ (١٤٤٦) من طريق إسماعيل ابن علية به .

دوابُّ الأرضِ وما شاء اللَّهُ من الخنافِسِ والعقاربِ ، تقولُ : نُمْنَعُ القَطْرَ بذُنوبِهم (١) .

حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن
٢/٥٥ مجاهدٍ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ /يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ . قال : دوابُّ الأرضِ : العقاربُ والخنافسُ يقولون : مُنِعْنَا القَطْرَ بخطايا بنى آدمَ (٢) .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عَمرٍو ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ قال : تلعنهم الهوامُّ ودوابُّ الأرضِ ، تقولُ : أُمْسِكَ القَطرُ عنا بخطايا بنى آدمَ (٣) .

حدثنا مُشَرَّفُ بنُ أبانٍ الحَطَّابُ (٤) ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ . قال : يَلْعَنُهم كلُّ شىءٍ حتى الخنافسُ والعقاربُ ، يقولون : مُنِعْنَا القَطْرَ بذنوبِ بنى آدمَ (٥) .

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : اللّاعنون : البهائمُ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ : البهائمُ تَلْعَنُ عُصاةَ بنى آدمَ حينَ أمسكَ اللَّهُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/٢٨٦ من طريق جرير به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٧- تفسير) ، وابن أبى الدنيا فى العقوبات (٢٧١) ، والطبرانى فى الدعاء (٩٥٥) ، من طريق منصور به .

(٢) تفسير سفيان ص ٥٣ . وأخرجه البيهقى فى الشعب (٣٣١٧) من طريق عبد الرحمن به .

(٣) أخرجه ابن المقرئ فى معجمه (٧٣٨) من طريق الأعمش عن مجاهد ، بلفظ : يلعنهم كل شىء حتى هوام الأرض .

(٤) فى الأصل : « الحطاب » . وينظر الثقات ٩/٢٠٣، وتاريخ بغداد ١٣/٢٢٤. وقد تقدم قبل ذلك .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٦٩ عقب الأثر (١٤٤٧) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٦٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

عنهم بذنوبِ بنى آدمَ القَطْرَ[(١)] ، فتخرجُ البهائمُ فتلْعَنُهم[(٢)] .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ : البهائمُ ؛ الإبلُ والبقرُ والغنمُ ، تلعنُ عصاةَ بنى آدمَ إذا أجدبتِ الأرضُ[(٣)] .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ [(٤)]قولِ هؤلاءِ[(٤)] الذين وجَّهوا تأويلَ قولِه : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ إلى أنَّ اللّاعنين هُم الخنافسُ والعَقاربُ ، وغيرُ ذلك مِن هوامِّ الأرضِ ، وقد علمتَ [(٥)]أن العربَ[(٥)] إذا جَمعتْ ما كانَ من نوعِ البهائمِ وغيرِ بنى آدمَ ، فإنما تَجْمَعُه بغيرِ الياءِ والنونِ وغيرِ الواوِ والنونِ ، وإنما تَجمَعُه بالتاءِ ، وما خالف ما ذكرنَا ، فتقولُ : « اللاعِنَاتُ » . ونحوُ ذلك ؟

قيل : إن الأمرَ وإن كان كذلك ، فإنَّ مِن شأنِ العربِ إذا وَصفَتْ شيئًا من البهائمِ أو غيرِها مما حُكْمُ جَمعِه أن يكونَ « بالتاءِ » ، أو[(٦)] بغيرِ صُورةِ جَمْعِ ذُكرانِ بنى آدمَ بما هو مِن صفةِ الآدميِّينَ - أن يَجمَعُوه جَمْعَ ذُكورِهم ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٢١] . فأخرَج خطابَها[(٧)] على مثالِ خطابِ ذكورِ[(٨)] بنى آدمَ إذ كلَّمَتْهم [٩١/٤ظ] وكلَّمُوها ، وكما قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ [النمل : ١٨] . وكما قال : ﴿ وَٱلشَّمْسَ

---

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « المطر » .
(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٦ - تفسير) من طريق ابن أبى نجيح به نحوه .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٠/١ (١٤٤٨) عن يونس بن عبد الأعلى به .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣.
(٥ - ٥) فى م : « أنها » .
(٦) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « و » .
(٧) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « خطابهم » .
(٨) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣.

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] .

وقال آخرون : عنى اللَّهُ تعالى ذِكرُه بقولِه : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ : الملائكةَ والمؤمنين .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، [(١] قال : حدثنا سعيدٌ [١)] ، عن قتادةَ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . قال : يقولُ : اللاعنون مِن ملائكةِ اللَّهِ ومن المؤمنين[(٢)] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [(٣] قال : اللاعنون [٣)] الملائكةُ[(٤)] .

٥٦/٢ /**حدثنى** المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ابنِ أنسٍ ، قال : اللَّاعنون مِن ملائكةِ اللَّهِ والمؤمنين[(٥)] .

وقال آخرون : يعنى باللَّاعنِين : كلَّ ما عَدا بنى آدمَ والجنَّ[(٦)] .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ قال : قال البراءُ بنُ عازبٍ : إنَّ الكافرَ إذا وُضِعَ فى قبرِه أتتْهُ دابةٌ كأن عيْنَيْها قِدرانِ مِن نُحاسٍ معها عمودٌ من حديدٍ ، فتَضْرِبُه ضَرْبةً بينَ كَتِفَيْه فيَصِيحُ ، فلا يَسْمَعُ أحدٌ صوتَه إلا لَعَنَهُ ، ولا يبقَى شيءٌ إلا سمِع صوتَه ، إلا الثقلين الجنَّ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم أوله فى ص ٧٣١ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٥/١ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٩/١ عقب الأثر (١٤٤٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٦) فى الأصل : « الحن » .

والإنْسَ[(١)] .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ . قال : الكافرُ إذا وُضِعَ فى حفرَتِه ضُربَ ضَرْبةً بمِطْرَقٍ فيَصِيحُ صَيْحةً فيَسمَعُ صَوْتَه كلُّ شىءٍ إلَّا الثَّقَلين ؛ الجنَّ والإنسَ ، فلا يَسْمَعُ صَيْحَتَه شىءٌ إلَّا لعَنه[(٢)] .

وأوْلَى هذه الأقوالِ بالصحةِ عندنا قولُ مَن قال : اللاعنون : الملائكةُ والمؤمنون ؛ لأنّ اللَّهَ تعالى ذِكرُه قد وصَف الكفارَ بأن اللّعنةَ التى تَحِلُّ بهم إنما هى مِن اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ، فقال جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ . فكذلك اللعنةُ التى أخبرَ اللَّهُ جلَّ ذِكرُه أنها نازلةٌ[(٣)] بالفريقِ الآخرِ : الذين يَكْتُمونَ ما أنزلَ اللَّهُ مِن البيِّناتِ والهُدى من بعدِ ما بيَّنه[(٤)] للناسِ ، هى لعنةُ اللَّهِ الذين[(٥)] أخبرَ أن لعنتَهم حالَّةٌ بالذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ ، وهم اللاعنون ؛ لأن الفريقَيْنْ جميعًا أهلُ كفرٍ .

وأما قولُ مَن قال : إنّ اللَّاعنِين هم الخنافِسُ والعقاربُ وما أشبَه ذلك من دَبيبِ الأرضِ وهَوامِّها . فإنه قولٌ لا تُدرَكُ حقيقَتُه إلا بخبرٍ عن اللَّهِ أن ذلك مِن فعلِها[(٦)] وقيلِها[(٦)] ، تقومُ به الحجّةُ ، ولا خبرَ بذلك عن نبىِّ اللَّهِ ﷺ ، فيجوزَ أن

---

(١) هذا الحديث جزء من حديث البراء الطويل المشهور ، وقد أخرجه الطيالسى (٧٨٩) فراجع تخريجه هناك . وسيأتى فى تفسير سورة إبراهيم آية (٢٧) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦٢/١ إلى المصنف .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « حالة » .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بيناه » .

(٥) فى م : « التى » .

(٦ - ٦) سقط من : م . وفى ت١، ت٢، ت٣: « وفعلها » .

يقالَ : إنَّ ذلك كذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، **فالصوابُ مِن القولِ فيما قالوه** أن يُقالَ : إن الدليلَ مِن ظاهرِ كتابِ اللَّهِ موجودٌ بخلافِ هذا[1] التأويلِ ، وهو ما وصفْنا ، وإن كان جائزًا أن تكونَ البهائمُ وسائرُ خلقِ اللَّهِ تَلْعَنُ الذين يكتُمونَ ما أنزلَ اللَّهُ فى كتابِه من صِفَةِ محمدٍ ﷺ [٩٢/٤و] ونَعْتِه ونُبُوتِه ، بعدَ علْمِهم به ، وتَلْعَنُ معهم جميعَ الظَّلَمَةِ ، [2]غيرَ أنه غيرُ[2] جائزٍ قطعُ الشهادةِ بأنَّ[3] اللَّهَ عَنى باللَّاعنين البهائمَ والهوامَّ ودَبيبَ الأرضِ ، إلا بخبرٍ للعذرِ قاطعٍ ، ولا خبرَ بذلك ، وكتابُ اللَّهِ الذى ذكرناه دالٌّ على خِلافِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ . يعنى بذلك جلَّ ثناؤه أنَّ اللَّهَ واللّاعنِينَ يَلْعنونَ الكاتمِى الناسِ ما عَلِمُوا مِن أمْرِ نُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ ونَعتِه وصِفَتِه فى الكتابِ
٥٧/٢ الذى أنْزَلَهُ اللَّهُ وبيَّنهُ للناسِ ، إلَّا مَن أنابَ مِن كِتمانِه ذلك مِنهم ، وراجعَ/ التوبةَ بالإيمانِ بمحمدٍ ﷺ ، والإقرارِ به وبنُبُوَّتِه ، وتَصْديقِه فيما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وبَيانِ ما أنزَل اللَّهُ فى كُتُبِه التى أنزَلها إلى أنبيائِه من الأمرِ باتباعِه ، وأصلَحَ حالَ نفسِه بالتقرُّبِ إلى اللَّهِ مِن صالحِ الأعمالِ بما يُرْضيهِ عنه ، وبيَّنَ الذى علِم من وحْيِ اللَّهِ الذى أنزَله إلى أنبيائِه وعَهِد إليهم فى كُتُبِه ، فلم يكْتُمْه ، وأظْهرَه فلم يُخْفِه ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ : فهؤلاء الذين فعَلوا هذا الذى وصَفْتُ منهم ، هم الذين أتوبُ عليهم ، فأجْعَلُهم من أهلِ الإيابِ إلى طاعتى ، والإنابةِ إلى مَرْضاتى .

---

(١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « أهل » .

(٢ - ٢) فى م : « فغير » .

(٣) فى م : « فى أن » .

ثم قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾ . يقولُ : وأنا الذى أَرجِعُ بقلوبِ عبيدِى المُنْصَرِفةِ عنِّى إلىَّ ، والرادُّها بعدَ إدبارِها عن طاعتى ، إلى طلبِ مَحبَّتى ، والرحيمُ بالمُقْبِلِينَ بعدَ إقبالِهم إلىَّ ، أَتَغَمَّدُهم منِّى بعفوٍ ، وأصْفَحُ عنهم[1] عظيمَ ما كانوا اجترَمُوا فيما بينى وبينَهم بفضلِ رحمتى لهم .

فإنْ قال قائلٌ : وكيف يُتابُ على مَن قد تاب ؟ وما وجهُ قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟ وهل يكونُ تائبٌ إلَّا وهو مَتوبٌ عليه ، أو مَتوبٌ عليهِ إلَّا وهو تائبٌ ؟ قيلَ : ذلك مما لا يكونُ أحدُهما إلَّا والآخرُ معه ، فسواءٌ قيلَ : إلَّا الذين تِيبَ عليهم فتابُوا . أو قيلَ : إلَّا الذين تابوا فإنِّى أتوبُ عليهم . وقد بينَّا وجْهَ ذلك فيما جاءَ من الكلام هذا المجىءَ فى نظيرِه فيما مضَى من كتابِنا هذا ، فكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضِعِ[2] .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ . يقولُ : أصلَحوا فيما بينَهم وبينَ اللَّهِ ، وبيَّنُوا الذى جاءَهم من اللَّهِ فلم يكْتُموه ، [٤/٩٢ظ] ولم يَجْحَدُوا به ، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ . قال : بيَّنُوا ما فى كتابِ اللَّهِ للمؤمنين ، ولِمَا

(١) فى م ، ت٢ : « عن » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٤٧٢ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٧٠ (١٤٥٠) من طريق شيبان النحوى عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٦٣ إلى عبد بن حميد .

سألوهُم عنه من أمرِ النبيِّ ﷺ ، وهذا كلُّه فى يهودَ .

وقد زعَم بعضُهم أنَّ معنَى قولِه : ﴿ وَبَيَّنُوا ﴾ . إنما هو : وبيَّنوا التوبةَ بإخلاصِ العملِ .

ودليلُ ظاهرِ الكتابِ والتنزيلِ بخلافِه ؛ لأن القومَ إنما عُوتِبوا فى[1] هذه الآيةِ على كتمانِهم ما أنزَل اللَّهُ تعالى ذِكرُه وبيَّنه فى كتابِه من[2] أمرِ محمدٍ ﷺ ودينِه ، ثم استثنَى منهم جلَّ ثناؤه الذين يبيِّنون أمْرَ محمدٍ ﷺ ودينَه ، ويتوبونَ مما كانوا عليهِ من الجُحودِ والكتمانِ ، فأخرَجَهم من عِدادِ[3] مَن يَلْعَنُه اللَّهُ ويَلْعَنُه اللّاعنون ، ولم يكنِ العتابُ على ترْكِهم تبْيِينَ التوبةِ بإخلاصِ العملِ .

والذين استثنَى اللَّهُ مِن الذين يكتُمون ما أنْزَل اللَّهُ مِن البيناتِ والهدَى مِن بعدِ ما بيَّنه[4] للناسِ فى الكتابِ ، عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ وذَوُوه مِن أهلِ الكتابِ الذين أسْلَموا فحسُنَ إسْلامُهم واتَّبعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ .

٥٨/٢ /يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ : إنَّ الذين جَحدُوا نبوّةَ محمدٍ ﷺ وكذَّبوا به ، مِن اليهودِ والنصارَى وسائرِ أهلِ المللِ ، والمشركينَ مِن عَبَدَةِ الأوثانِ ، ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . يعنى : وماتوا وهم على جُحُودِهم ذلك وتكذيبِهم

(١) بعده فى م : « مثل » .

(٢) فى م : « من » .

(٣) فى م : « عذاب » .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بيناه » .

محمدًا ﷺ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعنى (١) بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ (١) : الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ ، ﴿ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : أبْعَدَهم اللَّهُ وأسْحَقَهم مِن رحمتِه ، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعنى : ولعنَتْهم الملائكةُ والناسُ أجمعون . ولعنةُ الملائكةِ والناسِ إيَّاهم قولُهم : عليهم لعنةُ اللَّهِ . وقد بيَّنَّا معنَى اللعنةِ فيما مضَى قبلُ (٢) ، بما أغنَى عن إعادَتِه .

فإن قال قائلٌ : وكيف تكونُ على الذى يموتُ كافرًا بمحمدٍ (٣) لعنةُ جميعِ الناسِ ، وقد عَلِمتَ أنَّ من يَكفُرُ بمحمدٍ (٣) ﷺ مِن أصنافِ الأُمَمِ ، (٤) أكثرُ ممَّن يؤمنُ (٤) به ويُصدِّقُه ؟ قيل : إنّ معنَى ذلك على خلافِ ما ذهبتَ إليه .

وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : عَنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ . أهلَ الإيمانِ به وبرسولِه خاصةً ، دونَ سائرِ البشرِ .

[٩٣/٤و] ذِكرُ من قال ذلك

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ . يعنى بالناسِ أجمعين : المؤمنين (٥) .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ . يعنى بالناسِ أجمعينَ : المؤمنين .

(١ - ١) فى م ، ت١، ت٢، ت٣ : « فأولئك » .

(٢) تقدم فى ص ٢٣٠ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٤ - ٤) فى م : « وأكثرهم ممن لا يؤمن » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ عقب الأثر (١٤٥٦) معلقًا .

وقال آخرون : بل ذلك يومَ القيامةِ ، يُوقَفُ على رءوسِ الأشهادِ الكافرُ ، فيَلْعَنُه الناسُ كلُّهم .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، أن الكافرَ يُوقَفُ يومَ القيامةِ فيَلْعَنُه اللَّهُ ، ثم يلعنُه الملائكةُ ، ثم يلعنُه الناسُ أجمعونَ[(١)] .

وقال آخرون : بل ذلك قولُ القائلِ كائنًا مَنْ كان : لعَن اللَّهُ الظالمَ . فيَلْحَقُ ذلك كلَّ كافرٍ ؛ لأنه مِن الظَّلَمةِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ قولَه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ : فإنه لا يتلاعَنُ اثنانِ مؤمنانِ ولا كافرانِ ، فيقولُ أحدُهما : لعنَ اللَّهُ الظالمَ . إلّا وجبتْ تلك اللعنةُ على الكافرِ ؛ لأنه ظالمٌ ، فكلُّ أحدٍ من الخَلْقِ يَلْعَنُه[(٢)] .

وأوْلَى هذه الأقوالِ بالصوابِ عندَنا قولُ مَن قال : عنَى اللَّهُ بذلك جميعَ الناسِ ، بمعنى لَعْنِهم إيّاه[(٣)] بقولِهم : لعنَ اللَّهُ الظالمَ أو الظالمين . فإنَّ كلَّ أحدٍ مِن بنى آدمَ لا يَمْتَنِعُ[(٤)] مِن قِيلِ ذلك كائنًا مَن كان ، ومِن أىِّ أهلِ مِلةٍ كان ، فيَدخُلُ بذلك فى لعنتِه كلُّ كافرٍ كائنًا مَن كان ، وذلك بمعنَى ما قاله أبو العاليةِ ؛ لأنّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه أخبرَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٦) من طريق أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « إياهم » . ويعنى بـ « إياه » : الظالم .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « يمنع » .

عمَّن شَهِدهم يومَ القيامةِ أنَّهم يَلعَنُونهم ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا /أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ ٥٩/٢
كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] .

وأمّا ما قاله قتادةُ مِن أنه عُنِى به بعضُ الناسِ ، فقولٌ ظاهرُ التنزيلِ بخلافِه ، ولا برهانَ على حقيقتِه من خبرٍ ولا نظرٍ ، فإنْ كان ظَنَّ أنَّ المَعْنِىَّ به المؤمنون ، مِن أجلِ أن الكفارَ لا يَلْعَنونَ أنفسَهم ولا أولياءَهم ، فإنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه قد أخبرَ أنهم يَلْعَنونهم فى الآخرةِ ، ومعلومٌ منهم أنهم يَلْعَنون الظَّلَمةَ ، وداخلٌ فى الظَّلمةِ كلُّ كافرٍ بظُلمِه نفسَه ، وجُحودِه نعمةَ ربِّه ، ومخالفتِه أمرَه .

[٩٣/٤ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه :** ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : ما الذى نَصَب ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ؟ قيل : نُصِب على الحالِ ، من الهاءِ والميمِ اللَّتين فى ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ . وذلك أن معنى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾ : أولئكَ يَلْعَنهم اللَّهُ ، (١) فتأويلُ الكلامِ : أولئك يَلْعَنهم اللَّهُ (١) والملائكةُ والناسُ أجمعونَ ، خالِدِين فيها . ولذلك قرأ ذلك : (أولئِك عليهم لعنةُ اللَّهِ والملائكةُ والناسُ أجمعون)(٢) مَن قَرأه كذلك ، توجيهًا منه إلى المعنَى الذى وَصَفتُ ، وذلك وإن كان جائزًا فى العربيةِ ، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به ؛ لأنه خلافُ القراءةِ(٣) لمصاحفِ المسلمين ، وما جاء به المسلمون مِن القراءةِ مُستفيضًا (٤) فيهم ، وغيرُ (٤) جائزٍ الاعتراضُ بالشاذِّ من القولِ على ما قد ثَبَتَتْ حُجَّتُه بالنقلِ المستفيضِ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٢) فى م : « أجمعين » . وقراءة الرفع هذه هى قراءة الحسن . ينظر المحتسب ١١٦/١ .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤ - ٤) فى م : « فيها فغير » .

وأمّا الهاءُ والألفُ اللتان فى قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ ، فإنهما عائدتان على اللعنةِ ، والمرادُ بالكلامِ ما صار إليه الكافرُ باللعنةِ مِن اللَّهِ ومن ملائكتِه ومن النَّاسِ ، والذى صار إليه بها ، نارُ جهنمَ ، فأجْرَى الكلامَ على اللعنةِ ؛ والمرادُ بها ما صار إليه الكافرُ ، كما قد بيَّنا مِن نظائرِ ذلك فيما مضَى قبلُ .

كما **حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ . يقول : خالدين فى جهنمَ فى اللَّعنةِ[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ ، فإنه خبرٌ من اللَّهِ عن دوامِ العذابِ لهم[(٢)] أبدًا مِن غيرِ توْقيةٍ[(٣)] ولا تخفيفٍ ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] . وكما قال : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] .

وأما قولُه : ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ، فإنه يعنى : ولا هم ينتظِرون[(٤)] لمعذرةٍ[(٥)] يَعْتَذِرُون .

كما **حُدِّثْتُ** عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ . يقولُ : لا ينظرون فيَعْتَذِرون ، كقولِه ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[(٦)] [المرسلات : ٣٥، ٣٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٨) من طريق أبى جعفر به .
(٢) سقط من : ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .
(٣) فى الأصل : « ترقيه » ، وفى م ، ت٣: « توقيت » .
(٤) فى م : « ينظرون » .
(٥) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « بمعذرة » .
(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ من طريق أبى جعفر به نحوه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

/قد بيَّنَّا فيما مضَى معنى الأُلُوهةِ[1] ، وأنها اعْتِبادُ الخلقِ ، فمعنى قولِه : ٦٠/٢
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [٩٤/٤و] والذى يَسْتَحِقُّ عليكم أيها الناسُ الطاعةَ له ، ويَسْتَوجِبُ منكم العبادةَ ، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحدٌ ، فلا تَعْبُدوا غيرَه ولا تُشْرِكُوا معه سِواه ، فإن مَن تُشْرِكونَه معه فى عبادتِكم إياه هو خلقٌ مِن خلقِ إلهِكم مثلُكم ، وإلهُكم واحدٌ ، لَا مِثْلَ له ولَا نظيرَ .

واختُلِفَ فى معنى وحدانيتِه جلَّ ذِكرُه ؛ **فقال بعضُهم** : معنى وحدانيةِ اللَّهِ معنى نفيِ الأشباهِ والأمْثالِ عنه ، كما يقالُ : فلانٌ واحدُ الناسِ ، وهو واحدُ قومِه . يعنى بذلك أنه ليسَ له فى الناسِ مِثلٌ ، ولا له فى قومِه شبيهٌ ولا نظيرٌ . قالوا[2] : فكذلك معنى قولِنا[3] : اللَّهُ واحدٌ . نعْنى[4] به : اللَّهُ جلَّ ثناؤه لا مِثلَ له ولا نظيرَ . فزعَمُوا أن الذى دلَّهم على صحةِ تأويلِهم ذلك ، أن قولَ القائلِ : « واحدٌ » . اسمٌ[5] لمعانٍ أربعةٍ : **أحدُها** ، أن يكونَ واحدًا مِن جنسٍ ، كالإنسانِ الواحدِ من الإنسِ . **والآخَرُ** ، أن يكونَ غيرَ مُتَنَصِّفٍ[6] ، كالجزءِ الذى لا يَنْقَسِمُ . **والثالثُ** ، أن يكونَ معنيًّا به : المِثلُ والاتِّفاقُ ، كقولِ القائلِ : هذان الشيئانِ واحدٌ . يرادُ بذلك أنهما متشابهانِ

---

(١) فى م : « الألوهية » . وينظر ما تقدم فى ١٢١/١ - ١٢٤ .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت٢: « قول » .

(٤) فى م ، ت١، ت٢، ت٣: « يعنى » .

(٥) فى م ، ت١، ت٢: « يفهم » .

(٦) فى م : « متصرف » . وقد أثبتها الشيخ شاكر فى ٢٦٥/٢ : « متفرق » .